

13 me Année No. 600 — Lundi - 1 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق أول يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهــرس

الرسالة

في عامها الثالث عشر

لاحت في جوانب العام المنصرم تباشير السلم كما تلوح في هوادي الليل تباشير الفجر الكاذب[1] ؛ فانبعثت رواقد الأماني هنا ، وتحلبت أشداق المطامع هناك ؛ وابتهل العالم العربي إلى الله أن يوقّيه ويلات السلم كما وقّاه ويلات الحرب، فأُوحيَ إليه أن يتحد — ومن طباع العالم العربي الذي يؤمن بانقطاع الوحي ، ألا يعمل إلا بوحي — فوفد إلى القاهرة وفود الدول العربيــة خفافاً وثقالاً ، وأخذوا ينظرون في الصورة التي تكون عليها الوحدة ، وفي الألوان التي تتألف منها الصورة . ولا يزال أقطاب « الجامعة العربية » يديرون الرأي فيما بينهم استعداداً لجمع « المؤتمر » وعقد « الميثاق »

ذلك وحي الضرورة نزل على قلوب الساسة فصدعوا به وعملوا له . وهنالك وحي الطبيعة أوحته القرابة الواشجة ، واللغة الواحدة ، والوطن المشاع ، والتاريخ المشترك ، فتجلى في المجمع اللغوي ، وفي التعاون الثقــافي ، وفي مؤتمر الأطباء ، ومؤتمر المحامين ، وفي مهرجان أبي العلاء ، وفي مؤتمر النساء ، وفي بعوث الأقطار العربية في معاهد مصر العلمية ، وفي الدعوات

(١) الفجر الكاذب ضوء داكن يبدو قبيل الفجر الصادق مستطيلا معترضاً ويقال له ذنب السرحان

والرحلات ، وفى الكتب والمجلات ، وفى الأصوات المتجاوبة تزأر بالدفاع عن فلسطين المهددة ، وفي الجماعات المتزاورة تتساقى المودة حيناً على النيل وحيناً على بَرَدى وحيناً على دجلة

تلك وحدة الروح والهوى ، لا خلاف فيها على زعامة ، لأن زعيمها الخالد بالإجماع محمد . ولا خوف منها على استقلال ، لأنها كدين الله لا تعرف الحدود ولا تقبل الحصر . ولا مثار بها لعصبية ، لأنها كمروءة الإسلام لا تفرق بين أحد من الناس لدين أو جنس . والرسالة تحمد الله وتشكره على أن وفقها فى سنيها الثلاث عشرة لتكون جندياً صادق البأس خالص العقيدة من جنود هذه الوحدة . وكان الرجاء أن تصدق نبوءة المتنبئين بانطفاء هذه الحرب فى عامنا الذاهب ، لتستعيد الأرض قرارها المطمئن ، وتستأنف الحياة سيرها الآمن ، وتستقبل الرسالة عامها الجديد وهى على حال من القوة والفتوة والجِدَّة توافق هذا الجهاد وتطابق هذه السن . ولكن الشياطين ما برحوا يحتلون مختبرات العلماء ومكاتب الزعماء ورءوس القادة . ورأس الشيطان كنفس الإنسان لا يُسبَر غورها ولا يحد مداها ؛ فإذا خبت نار ذكت نار ، وإذا سكن إعصار ثار إعصار ، وكلما انكشف سر تلاحقت أسرار . فالخطة تنسخ الخطة ، والعُدَّة ترفد العُدة ، والاختراع يتبع الاختراع . وليس يعرف لهذه القوى الجبارة أمداً تخور عنده إلا الخبير القدير الذى شاء أن يطامن من كبرياء الإنسان ويكسر من غروره ، فسلط هواه العارم على عقله القاصر ، ثم وكله إلى نفسه ، فاعتل إدراكه ، واختل توازنه ، وانطلق فى ضراوة الوحش ، ورعونة العاصفة ، يدمر ما عمَّر ، وينقض ما أبرم ، ويقتل ما ولد !

* * *

ليست هذه الحرب مقصورة على جهاتها المادية بين الجيوش المتحاربة فى أوربا وآسيا ؛ إنما هى زلزلة اجتماعية عامة هزت كل وطن ، وبلبلت كل نفس ، وزعزعت كل نظام ، وغيرت كل معنى . فمن لم يجدها فى جيشه أو على أرضه وجدها فى نفسه وفكره وعقيدته وأحزابه وتقاليده ونظمه . والأسلحة والوسائل تختلف باختلاف البواعث النفسية فى كل محارب ؛ فقد تكون ، إذا تحركت فى الجماعة حوافز السمو ونوازع الكمال ، ثورةً على قيد يعوق نهضتها ، أو على نظام يهين إنسانيتها ، أو على مذهب يستعبد عقليتها ، أو على حكم يلغي إرادتها

وقد تكون ، إذا اضطربت فى قرارة هذه الجماعة كدورة الطين وشهوات البهيم ، اعتداء على حُرَم الناس بالدس والسباب ، أو بالسرقة والاغتصاب ، أو بالغدر والحيلة ؛ أو تمرداً على الأوضاع الطبيعية ، فيرغب الفقير الكسول فى ثروة الغنى المجد ، ويتشوف العاجز الكَل إلى منصب القادر الكفء ، وتطلب المرأة الخرقاء مساواة الرجل فى الحق دون الواجب .

ستنطفئ نائرة هذه الحرب فى وقت ما ؛ وستأتى نتائجها بالطبع منطقية مع أسبابها التى بعثتها على صورة من هذه الصور . فأما الذين أنفقوا فيها من أنفسهم وأموالهم ، فى سبيل أمجادهم وآمالهم ، فسيجدون الكمال فى هذا النقص ، والحياة فى هذا الموت ، كالشَّعر يغزر ويقوى بالقص ، وكالشجر يغلظ ويرف بالتقليم . وعقبى مثل هذه الحرب على الغالب والمغلوب وثبة إلى الرقي الإنسانى والعمرانى يُفتتح بها عصر ويبدأ تاريخ

وأما الذين أنفقوا من فضائلهم وأخلاقهم ، فى سبيل مناصبهم وأرزاقهم ، فقد خسروا كل شيء : خسروا ما لا كفاء له ولا عوض منه ، وربحوا ما لا بقاء له ولا فضل فيه . وهل تغنى المادة إذا ذهبت الروح ، أو تحيا الأمة إذا مات الخلق ؟

لقد نجا العالم العربى من حرب الإنسان التى تهدم لتجدد ، وتقلع لتثقف ، وتبيد لتزيد ؛ فهل نجا من حرب الحيوان التى تقتل لتأكل ، وتغلب لتلذّ ، وتغصب لتحتكر ؟ إنك يا سيدى أبصر من أن تُبصَّر . والنتن ينم على وجوده ، والشر يدل على نفسه . ومن لا ير يسمع . ومن لا يسمع يشم . ومن أعوزه الدليل فى نفسه وجده فى غيره . فليت شعرى ماذا أعد سادتنا وزعماؤنا للسلم التى تعقب هذه الحرب ؟ إن أقطاب العالم الثلاثة قد استعدوا من اليوم لتعمير ما اندثر من المدن ، وتجديد ما رثّ من النظم ، فهل يستطيع أقطابنا الثلاثون أن يستعدوا لتعمير ما خرب من الضمائر ، وتجديد ما رث من الأخلاق ، وتوثيق ما وهى من العقود؟

احمد حسن الزيات

في عيد المعري

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذا قطار فلسطين ، يحمل ذكرى البلاد التي نحبها ، ويُيمّم بنا مهوى أفئدتنا ، ومثار أشواقنا من بلدان وجماعات طالما حننا إليها ، وسعدنا برؤيتها ، وردّدنا الفكر بين ماضيها وحاضرها ، ووجّهنا العزائم والآمال إلى مستقبلها . وإن حز في نفوسنا الألم لها فإنه الألم الذي يحفز الهمم ، ويُعطى العزائم ، ويُعدّ العُدد ، ويجمع الكلمة ، ويؤلف القلوب ، ويؤكد الآمال

وهذه قناة السويس تسيل مع مائها العبر ، ويجرى التاريخ ، ويزخر الحاضر بما عبرها من الجنود والخطوب . وليس هنا مجال الحديث عنها . ليس بها من جديد إلا جسر من حديد جمع عِبريها ليعبر القطار بركابه لا ينتقلون من قطار إلى آخر ، ولا يشق عليهم العبور بأمتعتهم ليلاً على مُعدّيات القناة . ووقف القطار على القنطرة الشرقية وقفته لجوازات السفر وما يتصل بها . ثم سار حين كاد ينتصف الليل فضرب في بيدائه ، وعبرناها منطجعين ، تجيش بنا هموم لا تنام ولا تُنيم . ولاحت فلسطين مع الضحى ، والعين تتقرّى ما يسر وما يسوء ، والفكر يضرب في الماضي والحاضر ، ثم يرى مستقبلاً تكفله القلوب المجتمعة والعزائم الموحدة

وبلغ القطار حيفا ظهراً متأخراً عن موعده ساعتين أو ثلاثاً . ولم نتلبث بها إلا ريثما أعددنا لاستئناف السفر . وهذه سيارتنا تغور وتنجد ، وتتوقل الجبال وتنحدر على السفوح ، وتقطع الأودية ، وتقف عند حدود لم يخلقها الله ، ولم يعرفها التاريخ ، ولم يقرّها الحق ولم تقبلها الأوطان ولا أهل الأوطان ... فلنطو المسافات ، ونقتحم العقبات ، مسرعين إلى دمشق الجيلة الجليلة

أدركنا الليل ونحن نُغِذّ السير على مقربة من دار الأمويين فطمحت الأبصار ، وهفت القلوب ، وغشى الأنفس ما غشيها من جلال الذكر ، ومن الاغتباط والابتهاج بالعود إلى المدينة التي ما دخلتها ولا خرجت منها ولا غبت عنها إلا محبًّا لها مشتاقاً إليها معجباً بها مفكراً فيها آملاً لها كل خير ، داعياً لها بما هي أهله من الأمن والرخاء والمجد والعظمة . المدينة التي ما دخلتها ولا أقمت بها إلا منشرح الصدر ، قرير العين ، على رغم الخطوب والكروب ، والتي قلت فيها وقد عاودت الشعر بعد طول العهد ، من أجلها :

أحيت دمشقُ رميم الشعر في خَلَدى

لا غرو أن تبعث الأشعارَ أشعار

أقصر أيها القلم فإني متهم بالعصبية لدمشق ، والمغالاة فيها . وما حملتك بنانى الآن لتكتب عن دمشق ، ولكن عن عيد أبي العلاء المعرى

بلغنا دمشق بعد الغروب بساعة ونزلنا عند فندق أميّة . وقد تعودت أن أنزل به وذكرته في بعض رحلاتي ، فلم نجد به مكاناً فنزلنا بفندق دمشق — وكنا نزلنا به في بعض أسفارنا مع طلاب الجامعة المصرية ونزل رفقاء لنا في غيره . ففخر فريقنا عليهم بأن تسمّوا بالدمشقيين

ولم يستقر بنا المقام في الفندق حتى جاء بعض إخواننا المشرفين على مهرجان أبي العلاء ، فرأينا وجوهاً معروفة محبّبة إلينا . ولا أذكر أسماء خوفاً من التطويل إن ذكرتها كلها والعتاب إن ذكرت بعضها . وأصبحنا في دمشق يوم الجمعة خامس شوال سنة ١٣٦٣ وقد بقى للمهرجان ثلاثة أيام ، واجتمعنا هذا اليوم نحن وجماعة من علماء الشام وأدبائها أعضاء المجمع العلمي العربي في دار المجمع ، وهي المدرسة الأشرفية التي بناها الملك الأشرف الأيوبي .

وكان العمل يُسرع في صحنها لتشارك في حفلات أبي العلاء ، ولكن وافى المهرجان ولمّا يفرغ منها الترميم . وجلسنا مع رئيس المجمع وبعض أعضائه حيناً . وقدم إلينا من مطبوعات المجمع :

كتاب التبصر بالتجارة لأبي عثمان الجاحظ . صححه وعلق عليه السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي

تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة لأبي منصور الجواليقي . صححه وعلق عليه الأستاذ عز الدين التنوخي

ديوان الوليد بن يزيد جمعه المستشرق الإيطالي جبريالي وكتب مقدمته الأستاذ خليل مردم بك

بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لمحمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي نشره الأستاذ عز الدين التنوخي

الجزء الثامن من جامع التواريخ للتنوخي

وعدنا إلى دار المجمع مرة أخرى بعد أيام ، فزرت ضريح الملك الأشرف ، وقد اتخذت حجرة الضريح خزانة كتب . ثم خرجنا إلى البناء المقابل وهو المدرسة الظاهرية التي بناها الملك الظاهر بيبرس، وزرنا القبة التي فيها قبره، ورأينا بدائع النقش والفسيفساء فيها . وقد جعلت هي وحجرة متصلة بها خزانتان لبعض كتب المكتبة الظاهرية . ورأينا حول قبر الظاهر طائفة من الكتب المكتوبة بأيدي علماء معروفين فرأينا سلسلة من خطوط كبار علمائنا في عصور متطاولة . منها :

مسائل أحمد بن حنبل بخط الذهبي

كتاب بخط سبط ابن الجوزي

إنباء الغمر لابن حجة بخطه

كتاب بخط ابن تيمية

كتاب بخط ابن الفوطي

كتاب بخط ابن عبد الهادي

كتاب بخط ابن عساكر

كتاب بخط المزّي

كما رأينا كتبا أخرى قديمة نفيسة

وأمضينا سحابة يوم السبت في الربوة دعانا إليها اثنان من كرام تلاميذنا : الدكتور أسعد طلس والأستاذ شكري فيصل ، فاجتمع هناك الأساتذة طه الراوي ممثل العراق في مهرجان المعري ، والأساتذة أحمد أمين ، وعبد الحميد العبادي ، واحمد الشايب ممثلو جامعة فؤاد ، وجامعة فاروق ، والمجمع اللغوي

والربوة مكان جميل نزه يحار فيه الطرف والفكر بين ماء يسقط من قمة الجبل حيث يجري نهر يزيد وماء يجري على السفح ، وآخر في بطن الوادي وآخر في العدوة الأخرى وآخر فوقه . هناك تجري شُعَب سبع من هذا النهر المبارك العجيب نهر بردى ، في القمم والسفوح وبطن الوادي وأصلها واحد

والماء هناك تتجلى به الحياة قوة وبهجة وزينة ولعباً ، يسقط من السماء على السفح شلالاً ، ويجري على السفوح وفي الوادي أنهاراً ، ويستتر تحت الشجر والعشب ، يومض بينها أحياناً ويختفي ، ويفجؤك منبجسا من صخر أو صاعداً من نافورة ، أو سائلاً من جدار ، وتسمع خريره أحياناً ووسوسته حيث لا تراه . فما تزال بين الفكر والنظر والسرور والتعجب والمرح والوجوم . ولا تدعك هذه المرائي الجميلة العجيبة تفلت من بهجتها إلى التفكير فيما يحزنك من هموم العيش ، ولا يخليك الجمال والجلال من نظر ساهر ، وخيال حائر ، ووجوم سار ولذة يشوبها حزن .

ولا يمكنك هذا الجريان الذي هو أشبه بالزمان أن تحس مضى الوقت . ولا ينبهك طول الزمن من التمادي مع هذا الجريان .

وما أحسبني جلست على هذه الربوة فقدّرت الجلوس بالطول والقصر ، والساعات والدقائق ، ولكنها أفكار متوالية ، ونظرات متمادية ، وصُوَر متتابعة ، لا يدري الإنسان بينها أهو في فراغ أم في شغل ، وفي تفكير أم في غفلة ، وفي جد أم في لهو ، حتى يدعوه صحبه إلى الكلام أو القيام فيتكلم مشغولاً بها ، ويقوم وملء عينيه التفت إليها ، وفي جوانحه الحنين إلى معاودتها ...

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

دراسة اللغة العربية وآدابها

للدكتور محمــد مندور

لا أستطيع أن أصور للقارئ مبلغ دهشتي عند ما وصلت إلى باريس وسألت فى السربون عن ليسانس الأدب الفرنسى فأخبرت أن هذا شيء لا وجود له . وأنت لا تستطيع أن تحصل من الجامعات الفرنسية على ليسانس فى آدابهم وإنما هناك شيء اسمه الليسانس الكلاسيكى ، وهو يتكون من أربع شهادات عليا كل منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولك أن تبدأ بالتقدم لأيها شئت وفى أى سنة تريد بعد تمضيتك للسنة الأولى بالجامعة . وهذه الشهادات هى : شهادة اللغة اليونانية القديمة وآدابها، وشهادة اللغة اللاتينية وآدابها، وشهادة اللغة الفرنسية وآدابها ، وأخيراً شهادة فقه هـذه اللغات النحوى وإذن فلا يستطيع أن ينال الليسانس ، أى إجازة التدريس فى الأدب إلا من يعرف اللغتين اليونانية واللاتينية وفقههما اللغوى، وذلك إلى جوار اللغة الفرنسية وأدبهـا وفقهها وفى الجامعة تلقى الدروس والمحاضرات التى تُعد لكل من هذه الشهادات ، ولك أن تحضر منها ما تريد ، وتتقدم إلى الامتحان عند ما تحس أنك قد وصلت إلى المستوى المطلوب وهو مستوى رفيع جداً لا نصل إليه هوناً؛ حتى إن قليلاً جداً من الأجانب من يستطيع أن يجازف فينافس الفرنسيين فى هذا الميدان الموبص . وذلك لأن الفرنسيين لا يتقدمون إليه إلا بعد إعداد طويل بمدارسهم الثانوية حيث يدرسون تلك اللغات جميعاً دراسة متينة مفصلة . وكاتب هذا المقال يستطيع أن يتحدث عن يقين عن جدية هذه الدراسات وقد تقلمت فيها أظفاره . ولقد يدهش القارئ عند ما نخبره أن الامتحان فى شهادة الآداب الفرنسية شيء بالغ البساطة فى صورته بالغ المشقة فى جوهره . فالامتحان التحريرى عبارة عن سؤال واحد تعالجه فى أربع ساعات ، فإذا نجحت تقدمت إلى الامتحان الشفوى أمام ثلاث لجان : اثنتان منها لقراءة وشرح نصين أحدهما قديم والآخر حديث ، وأمام اللجنة الثالثة تُسأل فى مسألة من نظريات الأدب أو مدارسه أو كتابه . وهم لا يتطلبون منك فى التحريرى أن تدل على تحصيل فحسب ، بل لا بد أن تثبت إلى جانب ذلك مقدرة حقيقية على النقد الشخصى والفهم العميق ، ثم لا بد فوق كل شيء من أن تملك هبة الأسلوب وجماله ، وذلك لإيمانهم أنه لا بد أن تكون إلى حد ما أديباً لتصلح مدرساً للأدب ، وعندهم أن الأدب من المجالات التى لا يغنى فيها شيء عن مواهب النفس

غادرت مصر بعد أن درَست الأدب العربى بجامعتها وعدت إلى مصر فدرّست الأدب العربى بجامعتها ، ولقد كنت منذ عودتى شديد التبرم بمناهجنا وطرق فهمنا لآدابنا القومية . ولقد جاهدت فى سبيل إصلاحها ما استطعت حتى تركت الجامعة ، ولكن تركى لها لن يمنعنى أن أواصل الجهاد فى خارجها . وذلك لإيمانى بأن دراسة الأدب هى المدرسة التى يتخرج منها قادة الرأى فى البلاد . فهى مدرسة الثقافة العامة ومدرسة فن الكتابة

وما أريد أن تعترض سبيلنا نزعات مغرضة فتحارب بتعصب لمناهج الغرب التى تكونا بين أحضانها . ولى أمل كبير فى أن يوليني القارئ الثقة حيث أننى قد بلوت مناهجنا ومناهجهم فى نفسى وأطلت فيها التفكير بعد أن استطعت أن أستقل بالحكم؛ ومن واجبنا أن نأخذ الخير حيث نجده

وفى دراستنا للغة العربية وآدابها عيبان كبيران ، يشق على من لم يدرس اللغات والآداب الأخرى أن يدركهما أو يجد لها علاجاً . ولا بد إذا أريد القضاء عليهما من إعداد جيل جديد من الذين تثقفوا بأوروبا للنهوض بتلك المهمة الشاقة ، مهمة تدريس اللغة العربية وآدابها ، وبغير ذلك لن تكون أية محاولة غير ضجة عقيمة ، وهذا رأى يؤمن به من كبار أساتذتنا المصريين من استطاع منهم لرحابة عقله وتخلصه من الهوى الشخصى أن يدرك الحقائق فى شجاعة ونبل

أما العيب الأول فهو فهم معنى الأدب : فالأدب مقصور عندنا على الشعر والنثر الفنى عند العرب . ومن الملاحظ أن الشعر

قد غلبت عليه ابتداء من القرن الثالث الهجرى روح المحاكاة حتى إن التجديد فيه لم يعد إلا بمقدار . وأما النثر فإنك إذا قصرته على الفنى منه لم تخرج إلا بمحصول ضئيل : خطب ورسائل ومقامات وتوقيعات وأمثال . ولقد كان ظهور النثر متأخراً ، وكان عمر الجيد منه وهو النثر المرسل الخالى من الصنعة المتكلفة قصيراً إذ لم يلبث أن طغى البديع ابتداء من القرن الرابع فجرد الكتابة من صدق الإحساس وجوهر الفكر . والإحساس والفكر هما المادة التى إذا خلت منها كتابة فقدت الكثير من قيمتها . ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا الحد ، فمعنى الأدب حتى على النحو الضيق الذى ذكرنا قد تغير فى عصرنا الحاضر ؛ وذلك لأن العرب لم يعرفوا فى الحقيقة غير الشعر الغنائى والنثر القصير الباع ، وأما الأدب المسرحى وأدب القصة فذلك ما لا نستطيع أن نقول على نحو جدى إنهم قد عرفوه . فالبون شاسع بين أنواع الحوار التى خلفوها من أمثال حوار وفود العرب عند كسرى وغيرها وبين المسرحية بالمعنى الحديث . وكذلك الأمر فى البون بين أيام العرب وما شابهها من قصص وبين القصة بالمعنى المعروف اليوم . وها نحن منذ اتصالنا بالغرب أخذنا نكتب القصص والمسرحيات ، وهذا يضعنا فى موضع فريد بين الأمم ، فالجامعات فى أوروبا لا تتناول عادة بالدراسة الأحياء من الكتاب . وفى فرنسا كلها لا يدرس الأدب المعاصر فيما أعلم ، ولا تعطى عن دراسته درجة علمية إلا فى جامعة واحدة هى جامعة استراسبورج ، وأما السربون فتقف مناهجها عند أواخر القرن التاسع عشر . ولو أننا فى مصر حذونا حذوهم كما نفعل الآن لكان موقفنا عجيباً . فسيخرج الطالب وهو لا يعرف عن أدب القصة وأدب المسرحية ، وأصولها ونقدهما شيئاً . ومعنى ذلك هو أن الجامعة لن تساعد على خلق بيئة أدبية ورأى عام أدبى ، ينمو فيهما أدبنا الحديث ، ويتجه وجهة جدية تساير تيارات الأدب العالمى ، وتدخلنا فى ثناياه . وأمعن من ذلك فى الدلالة ما نلاحظه من أن الشعر الغنائى ، بل وكافة أنواع الشعر حتى المسرحى منه ، آخذ فى التقهقر أمام النثر فى كافة بقاع العالم حتى لأذكر أنه لم يعد فى فرنسا كلها غير مجلة واحدة متخصصة بالشعر هى مجلة « اجدرازيل Yggdrasill » وهى مجلة شهرية . وعلى العكس من ذلك النثر ، فقد احتل موضع الصدارة . ومن بين فنون النثر كلها أصبح للقصة بأنواعها المكان الأول . ومع ذلك فجامعتنا لا تزال عنايتها بالشعر فوق عنايتها بالنثر ، وهذا أمر يفسره ما ذكرنا من قصرها لمعنى النثر على الفنى منه . وباستطاعة القارئ أن يتناول أى كتاب فى تاريخ أى أدب أجنبى كالأدب الفرنسى أو الإنجليزى أو الألمانى ، وأن يقلب فهرسه ليجد فصولاً ممتعة عن التاريخ والمؤرخين والفلسفة والفلاسفة ، وعن كتاب الأخلاق والاجتماع والباحثين فى فلسفة العلوم . ونحن لدينا أمثال هؤلاء : لدينا المؤرخون والفلاسفة والمتصوفة وعلماء الكلام ، وفقهاء التشريع ، ورجال الأخلاق والاجتماع . فلماذا لا نوسع من معنى الأدب كما يفعل الغربيون فندخل دراسة هؤلاء الكتاب جميعاً فى مناهجنا وندرسهم بروح العلم الحديثة ، وننقد مواضع الضعف عندهم وسبل الكمال على ضوء ما وصل إليه الغرب ، وبذلك يخرج طالبنا بمادة فكرية لها قيمتها بدلاً من قصره على الدراسات اللفظية التى نأخذه بها اليوم؟

ولكننا إذا أردنا أن نفهم الأدب بهذا المعنى الواسع ، وإذا أردنا أن ندخل فيه أدبنا المعاصر الذى نأخذ ألوانه عن الآداب الغربية ، تبين عندئذ صدق ما قلناه من قبل من أنه لن يستطيع عندئذ الاستقلال بتدريسه إلا من ثقف ثقافة غربية وتشبع بمناهج الغرب على نحو واسع متين

والعيب الثانى قائم فى منهج الدراسة فهو لا يزال المنهج التقريرى كما عرفته القرون الوسطى مع أن مناهج الدراسة فى كافة الجامعات اليوم قد أصبحت المناهج التاريخية ، ومن واجبنا أن نسلك مسلكهم فنوفر على أنفسنا قروناً من الزمان ، ولو أننا فعلنا لتغيرت دراساتنا كلها رأساً على عقب ، فالنحو عندئذ لن ندرسه على أساس أنه معايير للصحة والخطأ ، فتلك دراسة مكانها فى المدارس الثانوية وإنما نتناوله كتطور تاريخى للغة منذ أصولها السامية إلى أن انتهت اليوم باللهجات العامية ، وهذه

دراسة لا تعرف الخطأ والصواب وإنما تعرف التحول الطبيعي الخاضع لاعتبارات عضوية واجتماعية ونفسية . والبلاغة علم سنحذفه أصلا من برامجنا كما حذفته جميع الجامعات ونحل محلها دراسة الأساليب وتاريخ تكوينها والتمييز بين اتجاهات الكتاب المختلفين وتحديد خصائصهم الروحية باعتبار أن الأسلوب صورة للملكات الرجل لا وسيلة من وسائل الأداء اللفظي فحسب ... وسوف نفطن عندئذ إلى شيء لم نسمع بوجوده بعد في جامعتنا وهو تاريخ اللغة ، ففي كل الجامعات تجد كراسي لأساتذة كبار يضطلعون بهذه المهمة الشاقة ولقد أتيح لي أن أتابع سنوات دراسة الأستاذ فرديناد برينو لتاريخ اللغة الفرنسية بالسربون . وكم كان يشجيني أن أستمع إلى هذا الشيخ الجليل وهو يقص تاريخ لغته ، فإذا به يكشف لنا بهذا التاريخ عن العقلية الفرنسية كلها وقد رسبت على طول القرون في مفردات اللغة وتراكيبها ولقد كان يخيل إلى عندئذ أن هـذا الرجل لا يلقي إلينا بعلم ، وإنما يقص ذكريات حياته الخاصة ، وذلك لطول مباشرته لتلك اللغة وإلفه لها ولقد أودع الرجل — رحمه الله — محصول عمره فيما يقرب من عشرين مجلداً في كل مجلد ما يقرب من ألف صفحة من القطع الكبير، وأجمع الفرنسيون على أن هذا الشيخ الوقور قد أقام لفرنسا بكتابه هـذا عن « تاريخ اللغة الفرنسية » تمثال مجـد لن يفنى أبد السنين . وكم كان رائعاً يوم وفاته أن تحمل جثته إلى ساحة السربون ويأتي الوزراء ورجال الدولة ومعهم فصائل من الجيش وموسيقاه ليحيوا رفاته الطاهرة في مشهد وطني رسمي كان من أكبر ما أثر في نفسي إذ كشف عن عظمة هذه الشعوب التي تعرف كيف تقدس الفكر البشري .

والمنهج التاريخي كما سيجدد تدريسنا للغة ، سيجدد أيضاً تدريسنا للأدب ، فالأدب كما نريد أن نفهمه هو مستودع الحضارة ، وما أظن أننا نستطيع أن نفهم الحضارة العربية فهماً صحيحاً ما لم نكشف عن أصولها ومصادرها ، ولك أن تقلب الرأي كيفما شئت فستنتهي إلى نتيجة حتمية هي أن الثقافة العربية مزيج من عناصر ثلاثة : العنصر العبري ، والعنصر الفارسي ، والعنصر اليوناني . ففي القرآن وفي الاسلام مالا يحصى من مبادىء التوراة وقصص التوراة وأصول التوراة التشريعية ، وفي الحضارة العباسية الكثير من وسائل الحياة الفارسية ببذخها ومظاهرها المادية ، بل وتياراتها الأخلاقية والفكرية في بعض الأحايين ، وأما اليونان فأظن أن تأثيرهم في الفلسفة الاسلامية والمنطق الاسلامي وعلم الكلام بل وفي العلوم اللغوية كالنحو والبلاغة وغيرها أوضح من أن يذكر .

والآن لو وسعنا من معنى الأدب وزدنا من عنايتنا بالنثر وأدخلنا في دراستنا إلى جوار الأدب القديم الأدب المعاصر ، ولو أصلحنا مناهجنا فجعلناها تاريخية كيف نظن أننا نستطيع عملياً أن ننظم تلك الدراسة . أليس من الخير لنا أن نأخذ بالنظام الفرنسي فلا نقيد دراسة الأدب العربي بسنين بل نجعله شهادات يحضر الطلبة ما يريدون منه ، حتى إذا أحسوا بنضوجهم تقدموا إلى الامتحان ؟ ونوع هـذه الشهادات أمرها واضح فهي لا يمكن أن تكون إلا : ١ — شهادة اللغة العبرية وآدابها . ٢ — شهادة اللغة الفارسية وآدابها . ٣ — شهادة اللغة اليونانية وآدابها . ٤ — شهادة اللغة العربية وآدابها . وبذلك يخرج الطالب مثقفاً ثقافة حقيقية تمكنه من أن يفهم التراث العربي فهماً صحيحاً وأن يستطيع مقارنته بغيره من الآداب ..

ومن البين أنه يجب أن يصلح نظام التعليم في المدارس الثانوية بحيث توجد به فروع تعد إعداداً صحيحاً لهذا النوع من الدراسة الجامعية بحيث يخرج الطالب ولديه العناصر الأساسية لمواصلة دراسته .

ولست أجهل ما في مثل هذه الدراسة من مشقة ، ولكن الأوروبيين يعالجون مثلها في دراسة أصول آدابهم اللاتينية واليونانية ، ولقد تغلبوا على تلك الصعوبات ، فلما ذا يقعد بنا نحن الكسل عن مواجهة الطرق الجدية والسير في السبل الصحيحة ؟

محمد مندور
المحامي

الحياة صادقة!

العـــدل الالهى!

مقدمات للإدراك واليقين به

[مهداة إلى انعقاد الكبير بمناسبة مقاله « تبارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ – لا شك أن « العقل » هو المميز والخصوصية الأولى للإنسان ، فواجبه أن يثق به ويقيم حياته جميعها عليه ، وهو محاسب عليه أشد الحساب . لأنه ميزان الحساب في كل شيء

وهو الذى وطد الحياة الاجتماعية التى يحياها الإنسان الآن ، وإليه يرجع كثير مما في الحياة الإنسانية من آثار الرفاهة والسعادة والخدمة المشتركة بين الناس ، فلماذا لا يصمم الإنسان على ألا يحيد عنه حتى يرتاح دائماً ؟

ولماذا لا يعرف أن عقله روح من العقل الأعلى الذى يدير الكون بالتدبير والدقة والاطراد وعدم الإخلال بشيء ؟

إن الغرائز يجب أن تكون ملجمة بحدوده حتى يتأتى تقدم الإنسان دائماً وعدم ارتداده وانتكاسه

وعقلنا هو نتيجة تلاقى المؤثرات المختلفة التى فى الطبيعة على كياننا ، فيجب أن يكون تلاقى هذه المؤثرات موزوناً بنسب معينة تقريباً من جميع الجهات ، حتى يخرج العقل منسوقاً موزوناً ... فإذا صار لشيء من الطبيعة زيادة تأثير على ناحية من كياننا ، كان فى هذا اختلال لمركز التجمع الفكرى العام .

ومهمة التربية والتنشئة أن توازن بين تسلط هذه المؤثرات الطبيعية جميعها على الإنسان ، فلا تجعل مؤثراً أو عدداً من المؤثرات يطغى أو يستأثر بالتسلط عليه ، بينما المؤثرات الأخرى تكون معطلة

فإنسان الصحراء وحدها قد خضع لمؤثراتها وحدها ، فله عقل معين ؛ وإنسان المزارع وحدها متأثر بها وحدها ، فله عقل آخر . وإنسان المدن الصناعية له عقل ثالث . وهلم جرا

وإنسان الفن وحده له عقل معين ، وإنسان العلم وحده له عقل آخر ، وإنسان الأعمال التجارية له عقل ثالث وهلم جرا .

فلكى نتحاشى أن تكون الفروق بين العقول فروقاً فاحشة بحيث لا يمكن تلاقيها ، يجب أن نجعل الفرد تتقلب عليه شتى المؤثرات وتتداول فكره ، حتى تكون آثارها فيه بنسب موزونة تعطيه سعة النظر إلى الحياة وتقدير آفاقها جميعاً

وإنى لأعجب للدولة الواحدة التى تترك أفرادها ، وبينهم من التفاوت فى النشأة العلمية والاقتصادية والخلقية ما لا يمكن أن يتصور معه لقاء منهم على شيء !

فكيف يتصور هؤلاء الأفراد الأوزاعُ المشتتون الذين لا رابطة تجمعهم معانى العدالة الإلهية أو العدالة الإنسانية ؟!

لا شك أنهم معذورون إذا لم يستطيعوا أن يتصوروا تلك المعانى الكلية الجامعة التى تحتاج إلى إعداد وتهذيب وتمرين خاص لإدراكها

٢ – وأول نظرة يدركها العقل الذى يتعرف وجهات الحياة والاعتراف بجميع الأمم والشعوب ، المتحرر من التأثر بالمخلفات ومواريث التاريخ ، توحى أن الإنسانية أسرة واحدة ، وأن الأرض وطن واحد لهذه الأسرة

وثانى نظرة توحى أن الله وضع الإنسان فى الأرض موضعاً عظيما هو موضع السيد المتصرف ، على الأقل فى الظاهر

وثالث نظرة توحى أن الله أطلق للانسان قدرة وأعطاه اختياراً لتكييف حياته كما يشاء . .

ورابع نظرة توحى أنه يكاد لا يكون فى الطبيعة فساد ولا آلام تجعل وجه الحياة كريهاً مشوهاً ، لا يباشر إلا على غضاضة ومضاضة إلا بفعل الإنسان الذى نسبة الشرور التى يرسلها هو على الحياة وعلى بنى جنسه أعظم بكثير من الشرور التى تأتى من الطبيعة مباشرة كالبراكين والزلازل والطوفان والصواعق ... الخ ، وخصوصاً فى هذا العصر الراهن ... ومن المشاهد المعروف أن الإنسان لا يضيق صدره بقضاء الله وقدره المباشر ، ولا يثور غضبه وحقده ، ويتحول إلى عامل دمار وخسار إلا فى مقاومة الاعتداء والشر الإنسانى الذى يأتيه من الناس ، لأنه يجد نفسه فى قدرة على دفاعهم والانتقام منهم ، فيقدم على ذلك ليرضى حزازات نفسه . أما شرور الطبيعة ، فيتألم منها ، ولكن لا يثور عليها ، لأنه لا يملك أن يثور عليها ، فهو يجد أن أحسن وسيلة للقائها هو الصبر والاحتمال ومحاولة مقاومتها بإدراك أسباب الوقاية أو المعالجة

فإذا أردت أن « تحاكم » الله ، وتعرف واجبه الذى فرضه على نفسه ، فلا تنظر نظرة ضيقة متأثرة بالأنانية الشخصية

أو القومية ... لا تنظر إليه من مكانك أنت فى أمتك ولا من مكان أمتك فى الأمم ، بل انظر إليه وأنت تمثل الإنسانية الواحدة الهائلة ...

ثم إذا أردت أن تنظر إلي الإنسانية فى الأرض ، فانظر إليها من السماء نظرة الله ... إنك حينئذ تراها هكذا : أسرة واحدة منوعة أفراداً وجماعات وأمماً .. كل جماعة استأثرت بمكان ومنعت غيرها عنه . وكان اقتسام الأمكنة غير عادل فأخذت أمة السهول الممرعة ونالت أخرى الأجادب ، فزاغت عيون المحرومين وجاءوا إلى الضروريات فلم يلب لهم رجاء ، ولم يخف المترفون الأغنياء لنجدتهم ، فهاجموا وقاتلوا واستولوا وأذلوا وصار بعضهم بموج فى بعض ..

وحقيقة الحقائق الاقتصادية التي يجب أن تقوم عليها فلسفة الحياة المادية ، أن ما فى الأرض من خيراتها ومناجمها وموارد الأرزاق كاف لجميع سكانها .. ذلك أمر تولى الله تقديره وتدبيره « وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » .

كان الواجب العقلي المجرد من الغرائز أن يسرع المتخوم بإسعاف المحروم ، وأن يقتسم معه ما زاد عن كمالياته ، وأن تقوم حكومة عادلة تتولى ذلك .. فإن الأرض كلها ميراث للإنسانية كلها كما يرى الله وكما قدر ودبر ...

٣ – وعقيدتى أن كل ظلم واقع على المستضعفين فمسئوليته أمام الله واقعة على كاهل الأمم القوية ، وكل أمة جاهلة مسئولية جهلها واقعة على الأمم العالمة .. وكل أمة فقيرة مسئولية فقرها واقعة على الأمم الغنية . فالله تعالى ترك القاصرين منا للراشدين ، كما يترك الأب أولاده الصغار لرعاية الكبار .. ذلك قياس العقل الإنساني وذلك منطقه فى الأسرة الواحدة . فلم لا يكون قياسنا فى الأمة الواحدة ، ثم فى الأمم المتعددة ؟ !

ولذلك كانت النفس العربية فى أول نهضتها برسالتها تحس ذلك الإحساس المتمثل فى قول رسول الله : « كلكم راع وكلكم مسئول » .

وقول أبي بكر : « لو أن عقال بعير ضاع بالعراق لحسبت أني مسئول عنه أمام الله » .

وقول عمر حينما رأى شيخاً قبطياً يسأل الناس على باب مسجد « لقد أضعناك صغيراً ولم نكفك كبيراً » وأجرى عليه رزقاً يكفيه ..

وقد قام العرب أول الأمر بمقتضيات هذا . فكانوا يعتقدون أنهم مسئولون عن إصلاح الناس جميعاً ، ورعاة لهم جميعاً .. فتنقلوا كالسحب لا يبحثون عن الأمكنة الخصبة للاستعمار ، بل يبحثون عن عباد الله للارشاد والإنقاذ والتعليم ، فكان أحدهم يخرج من جنات الشام والعراق ومصر إلى صحارى الشرق والغرب يبحث عن النفوس الضالة والعقول الشاردة .. فلما ركنوا إلى المكث فى الرياض وتركوا الهجرة لمثلهم الأعلى وفقدوا التبشير به قل دخول الناس فى دينهم إذ وجدوهم مثلهم .. تجار دنيا ..

٤ – إن العقل إذا أهمل ضلت الإنسانية وتحولت أسباب حسناتها إلى سيئات .. والمسئول عن ذلك ليس الله ، بل الإنسان فى مجموعه ، ولم يخل عصر من العصور التاريخية من امبراطورية عظيمة كانت تسيطر على أغلب مقدرات الأمم ، وتستطيع أن تقيم العدالة بينها لو أرادت ، ولكن الأنانية والجهل وعدم الانتباه إلى مسئولية الخلافة فى الأرض هى التى ملأت الأرض بالظلم والفساد ..

والدليل على ذلك أن الانجليز مثلا أو الجرمان أو الروس البلاشفة أو الأمريكان حين أقاموا دولهم فى بلادهم على الشعور بالوصاية العامة وتوزيع العدالة بالتساوى ارتفعت نفوس الأفراد وصحت الأجسام وسمت عقائد الحياة وتقدم العلم وكفيت حاجات النفوس إلى حد ما . مع أن كل أمة من هؤلاء مكونة من عدد كبير .. بينما أمة صغيرة من الهمج وأشباههم لا يزيد عددها على بضعة آلاف ولا تزيد مساحة بلادها على بضعة أميال ، تعيش فى فوضى واضطراب وفساد وجهالة . وذلك لعدم الاحساس بالمعنى الإنساني فى كل فرد ، وعدم الاحساس بالوصاية وعدم تدبير الأمر بينهم .

وإن حياة السوء التى تحياها الأمم المتأخرة هى التى تبلبل عقائد المفكرين منا والجهال . وتجعلهم يحملون الله مسئولية ما يقترفون هم .... إنهم يعترفون بالأقدار ويحملونها متاعبهم ومسئولياتهم حين يكونون متأخرين متقاعسين ، ولا ينظرون إليها ويعترفون بها حينما يكونون قادرين .

وإنك لو فكرت وقدرت لوجدت أن جرائم القادرين والأغنياء هى التى سببت ملء الأرض بجرائم الفقراء كالسرقة والقتل وحمل أسباب الأمراض وآثار الفقر المدمر ..

(لكلام صلة) **عبد المنعم خلاف**

على هامش النقد :

ملــــيم الأكبر

بحث وقصة : ... عادل كامل
للأستاذ سيد قطب

أيها القارئ !

هذا كتاب يجب أن تقرأه . لا لأنك ستوافق على كل ما جاء فيه ؛ ولا لأنك ستنبذ كل ما جاء فيه . ولكن لأنه سيثير انفعالاتك بالرضى مرة وبالسخط مرة ؛ ولأنه سيدعوك إلى التأمل والتفكير في كثير من القضايا المسلم بها في الأدب والفن والأخلاق والنظم الاجتماعية والاقتصادية ، لتنبذها وتحطمها ، أو لتذود عنها وتتمسك بها ...

وأيما كتاب استطاع أن يستجيش انفعالاتك على هذا النحو ، فهو كتاب قد وهبت له الحياة ، ولو قذفت به في النهاية إلى الجحيم !

وقد كان الكتاب في أول أمره « قصة » تقدم بها الأستاذ « عادل كامل » إلى « المجمع اللغوي » لتنال جائزة معينة ، فرأت لجنة المجمع الأدبية لاعتبارات خاصة ألا تمنحها الجائزة ... ومن هنا نشأ « البحث » الذي يرد به المؤلف على هذه الاعتبارات ، فيتناول فيه نواحي في اللغة والأدب والفن والأخلاق ، لا تقل في قيمتها ، ولا فيما تثيره من انفعالات السخط والرضى عن القصة ذاتها

ونحن نؤثر أن نسير في مناقشة هذين الكتابين ، حسب وجودهما في عالم الحياة فهذا هو الترتيب الطبيعي للأشياء

* * *

قصة « مليم الأكبر » هي قصة الصراع بين الطبقات ، مصبوبة في قالب فني . فهي على هذا الوضع من أدب « الوعي الاجتماعي » الذي يدعو إليه جمهور من المفكرين في جميع أنحاء العالم ، وتدعو إليه الاشتراكية والشيوعية بشكل خاص !

ولهذا النوع من الأدب قيمته ـ وبخاصة في هذه الفترة من حياة العالم ـ ولكن الذي يثير الانتقاد هو غلو الداعين إليه ومبالغتهم في فرضه على جميع الفنانين ؛ بوصفه ضريبة إنسانية على كل فنان ... هذا الغلو غير مفهوم من الوجهة الفنية ـ بل من الوجهة الإنسانية ـ فالإنسانية ليست هي هذا الجيل وليست هي بضعة الأجيال المقبلة ... إنما هي الأجيال الماضية منذ الأزل ، والأجيال المقبلة طول الأبد . وهذه وتلك لا تنكمش في هذا الحيز الضيق ، حيز جيل من الأجيال . ثم إن هنالك مطالب الإنسانية التي لا تنحصر في ضرورات الطعام والشراب ؛ ولا في حيز الضرورات على الإطلاق ؛ إنما تتطلع إلى آفاق أرفع وأرحب ؛ وتهفو حتى في أشد حالات الضرورة إلى ألوان من الفن الطليق الرفيع

وإذا صح أن أدب الوعي الاجتماعي ضريبة على كل فنان ، فلتكن نسبته هي نسبة الضرائب إلى مجموعة الإيراد ! بل ليكن فرض كفاية على الفريق المهيأ له من بين جموع الفنانين ؛ فالتجنيد قد يصلح في كل بيئة إلا بيئة الفنانين !

* * *

ثم أبادر إلى تصحيح وهم ربما يكون قد سبق إلى ذهن القارئ حين وصفت هذه القصة بأنها من « أدب الوعي الاجتماعي » ... إن انحصار القصة في هذا الحيز لم يسلبها السمة الفنية الأصيلة . وإن المؤلف ليبدو في قصته هذه صاحب موهبة فنية لا سبيل إلى الشك فيها . موهبة العرض والتنسيق ورسم الملامح والشخصيات ، وإدارة الحوادث والمفاجآت ... فهي من هذه الناحية تستوفي صفات القصة الجيدة على وجه العموم .

ثم هي تحمل طابع مؤلفها بوضوح في نواحي النقص فيها ونواحي الكمال . فالمؤلف صاحب طريقة مطبوعة وأسلوب مرسوم . وهذا يقرر وجوده الفني في عالم القصة بلا جدال

يعمل المؤلف في جو متماوج متخلخل ، جو « الضباب والرماد[1] » فتمر الحوادث والشخصيات والملامح والانفعالات مراً متأرجحاً متماوجاً . وتبدو للعين كما تبدو المناظر وراء الضباب ... ليست هناك مواقف حاسمة ، ولا انفعالات صارمة ، ولا حركات عنيفة ، ولا ضجات توقظ الإحساس . وحينما تنتهي القصة تحس أنك في حاجة لأن تقرأها من جديد لتتثبت من ملامحها التي مرت من قبل مر السحاب ! وربما خطر لك أن تسأل ، ماذا يريد ؟ ثم تتوارى الشخصيات والحوادث لتجد في نفسك انفعالات غامضة متماوجة تثير القلق والتأرجح والاضطراب

(١) عنوان أقصوصة للمؤلف !

... يخيل إلىّ أن هذا هو كل غرض المؤلف من عمله الفنى - إن كان له غرض - : أن يثير القلق الغامض والتأرجح المضطرب ، وأن يغمز اليقين الهادئ ويطلق فى النفس الإنسانية عنصر الاضطراب ويسلبها الثقة والاطمئنان لأى شىء فى الحياة ! وما الحوادث والشخصيات إلا أدوات فقط للوصول عن طريقها إلى هذا الهدف الأخير

إنه - من وجهة نظر المذاهب الاجتماعية التى يدعو إليها - يعد ناجحاً إذا هو قد هز فى النفس الإنسانية عنصر الاستقرار ! فهو إذن من خيرة من يصلحون لهذه الدعوة ، لا بما يلقيه هنا وهناك من توجيهات ظاهرة ، ولا بما يغمز به النظام الاجتماعى والاقتصادى من غمزات موحية . ولكن — قبل ذلك كله — بما يطلقه فى النفس الإنسانية من التأرجح المضطرب الذى لا يقر على قرار !

***

« قال مليم
— بلا جدال ...

ثم حمل عدته وانطلق فى الطريق دون التفات ، وهو يضرب الأرض فى عزم وإصرار كأنه مقدم على فتح عكاء . أما رفيقه فقد وقف يشيعه بابتسامة ساخرة ؛ فلما أن صار منه على مرمى حجر ، صاح فى إثره قائلاً :
— سترى ...

وقهقه ضاحكاً ثم انكفأ إلى طريق غير الطريق »

***

« بلغ النقاش أقصاه بين خالد وأبيه كعادتهما كلما دار بينهما حديث - أى حديث - . ومهما يكن الموضوع تافهاً ، فإنه يتطور على الدوام إلى اصطدام عنيف بين الأب وابنه . أما الأب فداهية مراوغ ، يلذ له شعور القوة الذى يدفع بالقط إلى العبث بفريسته قبل التهامها ، فهو يطيل من النقاش ويدير دفته إلى وجوه من الرأى يعرف أن ابنه يضيق بها ذرعاً ، ثم يرقب فى سعادة أثيمة ما يختلج فى صدره من ثورة ، وما يلوح على وجهه من اضطراب وضيق

« وقد كان . فما لبث أن اربد محيّا الفتى ، فانفجر يرد على تساؤل أبيه قائلاً :
— بلا جدال ...

ثم انثنى إلى حجرة المكتب ، وأغلق من خلفه الباب ، ولو انتظر لرأى بسمة السعادة الأثيمة ترتسم على شفتى أحمد باشا خورشيد ، ولسمعه يتمتم قائلاً :
— سترى »

***

هكذا يبدأ المؤلف قصته فيرسم - منذ الصفحة الأولى - الخطوط الأولى فى ملامح هذه الشخصيات الثلاثة التى هى محور القصة جميعاً : مليم ، خالد ، أحمد باشا خورشيد ؛ ويرسم لهذه الشخصيات الثلاثة طريقها كذلك - لا طابعها وحده - فمليم « ينطلق فى طريقه دون التفات وهو يضرب الأرض فى عزم وإصرار » تلك طريقته أيضاً فى جميع أدوار القصة ! وخالد « يربد محياه ثم ينفجر وهو يرد على أبيه ، ثم ينثنى إلى حجرة المكتب ويغلق من خلفه الباب » تلك أيضاً طريقته فى مستقبل الحياة : انفعال وانفجار ثم انزواء واعتزال ، واضطراب دائم بين هاتين الخطتين حتى ينتهى الصراع » . وخورشيد باشا « داهية مراوغ يلذ له شعور القوة الذى يدفع بالقط إلى العبث بفريسته قبل التهامها .. وهو يرقب فى سعادة أثيمة ما يختلج فى صدر ولده من ثورة وما يلوح على وجهه من اضطراب وضيق » تلك طبيعته وهذه طريقته فى القصة وفى الحياة !

هو استهلال بارع - كما ترى - وهى ريشة ملهمة تضع الخطوط الأولى فتشير إلى الخطوط الأخيرة ... وقد يبدو أن القصة لم تسر فى جميع مراحلها بهذه القوة وبهذا الوضوح ... فيجب أن نلتفت إلى أن القوة والوضوح ليسا من أهداف المؤلف ... وأن التموج والاضطراب هما قوام طبيعته وقوام طريقته . وقوام أهدافه المقصودة أو غير المقصودة ولكنها هى التى تتحقق على كل حال !

***

جعل المؤلف « مليم » هو بطل القصة وبه سمّاها . أما نحن فنرى أن « خالد » هو الشخصية الأولى فيها . فخالد شاب نشأ فى طبقة الأثرياء - ابن خورشيد باشا - ولكنه سافر إلى انجلترا وطاف بالبلاد الأوربية حيث كانت المذاهب الاجتماعية الحديثة ، تصطرع مع الأوضاع التقليدية القديمة . ثم عاد فوجد نفسه غريباً بين أهله ، غريباً كذلك فى مجتمعه . إن رأسه محشو بالنظريات الحديثة وإنه لمتحمس لها كل الحماسة . ولكنه لم يكن

ذا طبيعة عملية ، تنفذ فى عالم الواقع ما يجيش فى نفسه من نزعات . كان خليطاً عجيباً من رجل الواقع ورجل الخيال . كانت تصطرع فى نفسه وراثات مختلفة وتيارات متعارضة . كان صوفياً وشهوانياً. كانت نفسه حلبة صراع بين شتى الاتجاهات . « ولو أتيح لأحد أن يكشف عن رأسه لوجد فيها حجرتين إحداهما يتربع فيها القرن العشرون بآلاته ومعادلاته . والثانية يمرح فيها القرن الثامن عشر وسط غابة يخترقها جدول » كما يقول مؤلفه

تصطدم هذه الشخصية المخلخلة المضطربة الثائرة الحائرة بشخصية خورشيد باشا القاسية الجانية الماكرة الأثيمة . ذلك الرجل الذى يجد طعم اللذة الأثيمة وهو يحاور ابنه الطيب القليل الحيلة ويداوره حتى يشعره بالألم والضيق . والذى يتهمه المؤلف بأنه قاتل أبيه ليرثه . وبأنه يشعر بسعادة أثيمة وهو يؤذى فلاحيه ويطلق عليهم كلبه ليعقرهم ... الخ، إنه نموذج لتلك الطبقة الأنانية الجشعة « التى تسرق أموال الفقراء ! » والتى أفلح المؤلف فى أن نمقتها كل المقت ونزدريها كل الازدراء

يصطدم خالد بأبيه انتصاراً لمليم (صبى النجار) المتهم من الباشا بالسرقة جزاء أمانته ، وهنا نجد جميع القوى مجندة فى صف المال . وما إجراءات العدالة إلا مظاهر جوفاء كمراسيم التضحية بالفريسة فى مجتمع متوحش . ويسلم مليم للسجن جزاء أمانته ! ! !

أما مليم فمهمته الحقيقية فى القصة أنه محورها الفنى .. لقد فهمنا أن المؤلف يريد أن يرمز به إلى « رجل الشارع » ذى الفضائل الفطرية والطبيعة المستقيمة والعزيمة العملية ... ولكننا فوجئنا وهو ينحرف به فى منتصف القصة فيكلفه القيام بعمل لا يقوم به « الرجل الشريف » ثم يجعله فى نهايتها أحد أغنياء الحرب المرموقين !

ترى أفلت الزمام من يد المؤلف ؟ أم هى طبيعته طبيعة الضباب والرماد ؟ ! هنا تستوى الغلطة والاصابة فى الدلالة على طبيعة المؤلف وطريقته !

* * *

وفى القصة غير هذه الشخصيات الرئيسية الثلاثة شخصيات أصيلة هى الأخرى . أطلق عليها اسم « جماعة القلمة » أولئك جماعة من الحالمين المنحلين . يصنعون كل شىء فى أحلامهم الممتزجة بدخان النرجيلة ! إنهم ينشئون مجتمعاً جديداً مطلقاً من جميع القيود والتقاليد ، ولكن « فى المنام » ! هذه الجماعة تمثل حيرة فريق من شباب الجيل فى مفرق الطريق !

وهنا يجتمع خالد ومليم ، فيقوم مليم بعمله الذى لا يقوم به « الرجل الشريف ! » يحتال على الرجال باسم « هانيا » الفتاة إحدى شخصيات جماعة القلمة !

ويقوم خالد بدور من أدواره كذلك . حتى إذا انتهت القصة وجدنا هذه الجماعة المنحلة الحالمة وقد تفرق شملها ولم تصنع شيئاً . ووجدنا « خالد » يعود إلى طبقته ، ومجتمعه وقد انحلت نفسه وفرغت طاقتها وسقط صريعاً فى حومة الصراع الذى دار فى داخل شخصيته أعواماً . ووجدنا « مليم » وقد أصبح من أغنياء الحرب ... ثم وجدنا الحوادث والشخصيات كلها تتوارى ليسأل كل منا نفسه : ماذا أراد ؟ وماذا كان يريد ؟ وقبل أن يسأل الجواب على سؤاله يجد نفسه تتأجج وتتماوج فى هذا الضباب الذى أطلقه المؤلف ، وكأنما يطلقه بغير تدبير !!!

* * *

فى أحلام « جماعة القلمة » ، وفى تصرفات خالد ومليم . وفى حوادث القصة نزوات وفلتات خلقية وجنسية ، أخشى أن تكون جميعها وحى مزاج منحرف شاذ !

مقياس الجماعة لصلاحية الفرد للجيل الجديد ، ألا يجد غضاضة فى معاشرة أخته معاشرة الأزواج ! ذلك هو الدليل الذى لا يخطىء على أنه طليق من جميع التقاليد !

أحد أفراد الجماعة ينظر إلى مليم بإعجاب ويقول : إنه « زَوْجُنا » جميعاً !

خالد يتحسر — بعد وفاة أمه — على أنه لم يوقظها بقبلاته كل صباح كأنها « زوج » له !

مليم يعثر على لفافة فى بيت خورشيد باشا وهو يصلح النافذة ، فيعطيها لخالد . فيتوقع خالد أن تكون غرامية تخص والدته الحاجة . ويبتهج لهذا الخاطر ويستريح !

بنت عمة خالد أنثى تتهالك عليه فى أوضاع مخجلة عارمة البهيمية . لهذا ولأمثاله دلالته . ولعل هذه الدلالة كانت أهم الاعتبارات التى منعت لجنة المجمع من منح الجائزة للقصة . واللجنة محقة — لا من الوجهة الفنية — ولكن من وجهة أن مثل هذه الاتجاهات مما يجب أن يلقى به صاحبه رأساً إلى الجو الأدبى الطليق فيرى فيه رأيه بحرية . لا مما تحتمل اللجان الرسمية تبعة تقديمه إلى القراء .

أما الكلام فى القدمة فموعدنا به قريب . سيد قطب

القضايا الكبرى فى الاسلام

١١ – قضية المؤامرة على المهاجرين

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بنى المُصْطَلق سنة ست من الهجرة، فلقيهم على ماء لهم يقال له المُرَيْسِيع من ناحية قُدَيْدٍ إلى الساحل، وحاربهم حتى هزمهم وقتل من قتل منهم، وبينا هو على ذلك الماء وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غِفَار، يقال له جَهْجَاه ابن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه، وسنان بن وَبَرا الجُهَنِى حليف بنى عوف ابن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين. فسمع ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: دعوها فإنها منتنة

وقد وقف الخصام بين الرجلين عند هذا الحد، ولكن عبد الله بن أبيّ بن سلول أراد أن يتذرع بذلك إلى إحداث فتنة بين الجيش، وتأليب الأنصار على المهاجرين بعد أن ألف الإسلام بينهم، وجعل منهم أمة واحدة لا أثر فيها لعصبية من عصبيات القبائل العربية، فجمع عبد الله رهطاً من قومه، وكان فيهم غلام حدث يقال له زيد بن أرقم، فقال لهم: أوَقدْ فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعَدُّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: سَمِّنْ كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم

فذهب زيد بن أرقم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذه المؤامرة، فقال له: لعلك أخطأ سمعك، لعلك شبه عليك. فأصر على شهادته ولم يرجع عنها، وما أظن إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض له بالرجوع عن شهادته، حتى لا يمضى فى تحقيق هذه القضية الشائكة، لما كان لعبد الله من المنزلة بين قومه، وقد كان الإغضاء عنه وعن غيره من المنافقين مما يقضى به حسن السياسة فى أول الإسلام، لأنه كان ضعيفاً لا يحتمل الفتن، فكان من حسن السياسة أن يسالم أولئك المنافقين الذين يسالمونه فى الظاهر، وأن يتحمل مثل ذلك منهم، إرضاء لمن حسن إسلامه من قومهم، واحتقاراً لأمر أولئك المنافقين، لأنهم كانوا يقولون ما لا يفعلون، وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك من زيد بن أرقم: دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

ثم أرسل إلى عبد الله وأصحابه ليسألهم عن تلك المؤامرة التى أخبره بها زيد بن أرقم، لأنه لم يجد بعد إصراره على شهادته إلا أن يمضى فى تحقيق ما نسبه إليهم، حتى تأخذ قضيته حظها من التحقيق، ولا يهمل أمرها، فيطمعهم ذلك فى المضى فى مؤامرتهم

فلما حضروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أخذهم ضعف النفاق، فأنكروا ما نسبه إليهم زيد بن أرقم، وحلفوا ما قالوا شيئاً مما نسبه إليهم، فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعلم حقيقة أمرهم، وكذب زيد بن أرقم وهو يعلم صدقه وإخلاصه، ولكن المصلحة العامة قضت بأن يكتفى منهم بذلك، فأهملت قضيتهم خوفاً من إحداث الفرقة بين المسلمين. وما كان للنبى أن يؤثر أمراً من الأمور على أمر الوحدة بينهم، وقد كان عبد الله فى قومه شريفاً عظيما، فلما حلف بالله ما قال شيئاً مما نسبه إليه زيد بن أرقم، قال من كان بالمجلس من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل. فأظهروا بذلك حَدَباً على عبد الله، وعطفاً عليه ودفعاً عنه، وإهمال هذه القضية بهذا الشكل هو ما يسمى حفظ القضية فى القضاء الحديث.

ثم بادر النبى صلى الله عليه وسلم فأذَّنَ بالرحيل فى ساعة لم يكن يرتحل فيها، فلما ارتحل لقيه أسيد بن حُضَيْر فحياه

فرقة التمثيل

للأستاذ زكي طليمات

المدير الفني للفرقة المصرية سابقاً

يسرني أن يتجه الجدل بيني وبين الأستاذ حبيب الزحلاوي إلى ما يفيد منه القارئ، ويعلي جانب الحق.

في مقاله الأخير، تحت هذا العنوان، يزعم السيد الزحلاوي أنه مثالي في نظرته إلى أعمال الفرقة المصرية، ولهذا كتب ما سبق أن كتب. وهذا الزعم إنما هو بادرة شعورية من جانبه لخلجة لاشعورية في خبيئته الباطنة، أقامها عقله الواعي تبريراً لما حاوله من تجريح أراده بي فلم يفلح.

بيد أن المثالية الحقة العادلة في مهمة فرقة للتمثيل إنما تستمد عناصرها مما هو عليه المزاج السائد والمستوى الثقافي العام في البلد الذي تعمل فيه هذه الفرقة. فما هو مثالي في مهمة فرقة تعمل في لندن وباريس لا يمكن أن يكون كذلك من جانب فرقة تعمل بين القاهرة وجرجا وكفر الشيخ. أقرر هذا باعتبار أن دور التمثيل للجمهور أولاً وأخيراً. فإن لم يقبل عليها فلا فائدة من قيامها، وأن فن التمثيل ثقافة اختيارية لا إجبارية، وأن السواد الأكبر من المسرحيات التي تقدم يجب أن تكون في متناول فهم واستساغة السواد الأعظم من الجمهور.

ولا أتدخل في هذا الصدد في (المثالية المطلقة) لأن تحقيقها فيما نحن فيه يقف جامداً عند حد القولة الفرنسية (Vouloir n' est pas pouvoir) ومفادها شتان ما الازماع والإنجاز!!

فمثالية المسرح المصري في الوقت الحاضر — والأسف لا يحسه سواي — لا يمكن أن يكون أكثر من الأخذ بالتوسط والاعتدال بين ما يجب أن يقدم وما يمكن أن يقدم من المسرحيات بحيث يكفل ما يقدم في مجموعه إقبال الجمهور على دور التمثيل، هذا الإقبال الذي يبرر وحده قيام هذه الدور وفتح أبوابها.

عرفنا هذه المثالية على ضوء التجاريب، وليس على هدى النظر، وأخذنا بها على أحسن وجه، وأشرنا إليها في البيان الذي تصدرت به برامج مسرحيات الفرقة في كل عام، فقد جاء فيها بالحرف الواحد «ورسالة الفرقة وهي أدبية وفنية تهدف

بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحْتَ في ساعة مبكرة ما كنت تروح في مثلها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أوَما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأيُّ صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أُبَيّ. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل. قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً

وإن في هذا لدليلاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أهمل هذه القضية وهو يعلم صحة تلك المؤامرة، ولكن زيد بن أرقم أصابه من ذلك هم لم يصب مثله قط، فجلس في بيته لا يظهر لأحد، ومكث مختفياً عن الناس حتى أنزل الله في شأنه ـ إذا جاءك المنافقون ـ الآيات إلى قوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زيد بن أرقم فقرأها عليه، ثم قال له: إن الله قد صدقك. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ بعد هذا أن يثير تلك القضية، وآثر أن يمضي في إهمالها. وقد قالوا إن في هذه القصة من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم، والاقتصار على معاتبتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك، لما في ذلك من التأنيس والتأليف

وإني أرى أن ما حصل من أولئك المنافقين لا عقاب عليه في الدنيا، لأنهم تآمروا على شيء وبلغ عنهم قبل أن يشرعوا فيه، ولا مؤاخذة على مثل هذا في كثير من الشرائع القديمة والحديثة، وإنما تؤاخذ الشرائع بعد المضي في الفعل، واقتراف الجرم، رأفة بالناس ورحمة بهم، وجمعا بين الشدة واللين، والعقاب والعفو، لأن أمر الناس لا يصلح بالشدة الخالصة، كما لا يصلح باللين الخالص، وفي أخذهم بالعزم على الجرم قبل اقترافه قسوة يأباها العقل، وقد عفا الله عن الهمّ بالسيئة، وجعل لمن هم بها ولم يفعلها حسنة.

عبد المتعال الصعيدي

إلى المستوى الرفيع فى الأدب ولكن من غير تعال على ما يستسيغه الخاصة من الجمهور ، ومن غير إسفاف إلى مجاراة العامة ، وهى رسالة سامية بأغراضها متواضعة بوسائل تحقيقها » .

وإخراجنا (شهر زاد) و (يوم القيامة) ، كل واحدة فى بداية كل عام فحسب ، يحقق القسم الثانى من رسالة الفرقة وهى الموسيقى باعتبار أنها « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى » فلا لوم ولا تثريب علينا .

وفوق هذا فليس فى هاتين المسرحيتين الغنائيتين ما يخرج على شرعة النوع الذى ينتميان إليه وهو « الأوبريت » وإن كنت آسف على شىء فى إخراجهما على المسرح فلأنه لم يتيسر لى عناصر الرقص الاجتماعى Ballet الذى هو ركن رئيسى فى هذا النوع من المسرحيات .

ومن التعسف والحيف أن نطالب هـذا النوع بمعالجة مشكلات المجتمع ، والكشف عن حنايا النفس البشرية بالتحليل النفسى الدقيق ، وأن تنبسط أطرافه إلى الفلسفة والأخلاقيات واللاهوت .

ومسرحيات « كانا كده » و « سلك مقطوع » و « قطر الندى » و « شارع البهلوان » ليس فى تقديمها ضير ولا إفساد ولا انحراف عما يجب أن تكون عليه المسرحية الباسمة ، لأنها كلها فكاهيات ظاهرها هزل وباطنها جد ، تخفى كل واحدة منها وراء مظاهرها المفرحة موضـوعاً له أثره فى التبصير والتقويم الخلقى . فمسرحية « كانا كده » توحى بأن الحياة للخطأ والتوبة . والثانية تلوح بأن التمادى فى توخى القصاص من جانب المرأة للرجل فيه مدعاة إلى تعقيد الأمور والتردى فى أخطاء أخرى . والثالثة تقرر أن الجريمة إلى قصاص وأن الشر لا يكون طريقاً إلى خير . والرابعة ، على إغراقها فى الهزل ، إنما هى سخرية من الغيرة العمياء . مسرحيات باسمة تثير الضحك فى وقت عز فيه الابتسام بفعل ضائقة الحرب

وكلها للردع وللإيحاء بما يجب أن تكون عليه جوانب من الحياة ليسعد الناس ويستريح القاضى . فأين فى هذه المسرحيات ما يشين ؟ ومن أين جاء للسيد الزحلاوى أننى اعترفت بأنها مشينة ومقالى السابق بين يدى القراء[1] ؟ ؟

أما مثالية الأستاذ الزحلاوى ، ومفادها « أن تكون الفرقة مائة فى المائة للمسرحيات الرفيعة ، ولا يهم أن يحضرها الجمهور أو لا يحضر » فأقول عنها إنها ضرب من الاجتلاب شف عما وراءه ، ولون من التعالم النظرى ، ومحاولة للسطوع واللمعان من ضوء غيره .

وأعجب مما تقدم أن يبرر الأستاذ مطالبته بهذه المثالية بزعم أن الفرقة المصرية « حكومية بكل معانى الحكومية » ! وكأن الحكومية فى روعه مدعاة إلى أن تغير الأشياء من طبائعها وتبدل من عناصرها وتتردى فى مهاوى الفشل والخيبة لخروجها على محاور ذاتيتها ، فتكون الفرقة هيئة لا يحسها إلا القعدون ولا يأبه لها إلا الخاملون ، تعيش على هامش الحياة كالتكايا وملاجئ العميان ...

« وحكومية » الفرقة ، وهم من أوهام الأستاذ الزحلاوى؛ لأنه من أولى مستلزمات هذه « الحكومية » أن تدفع الحكومة أجور الممثلين وكافة مصاريف الفرقة ، وهـذا غير ما هو واقع فى الفرقة ، وقد سبق أن قررت أن الفرقة هيئة تشملها رعاية الحكومة كما تشمل هيئات أخرى تمدها بالإعانة ، وأن الإعانة التى تدفعها لا تفى بأجور الممثلين فحسب .

لندع الأوهام ولنواجه الحقائق . . إن مسرحنا المصرى كائن كما يستحق كل مصرى أن يكون ، وكما نكون نحن يكون مسرحنا . ونحن نستطيع أن نقدم مسرحيات لشاكسبير وموليير وديماس الابن وأوسكار وايلد وإيلى برونتى إلى جانب فكاهيات ومحاولات من وضع أقلام مصرية لم يصل إلينا خير منها ، نقدمها على مضض لتغرى الجمهور على غشيان مسرحنا وتذوق مسرحيات من ذكرت من صفوة المؤلفين للعالميين ، ونحن فيما نفعل نرقص على إيقاع الزمان ونصدر عن مثالية المسرح فى بلد لا أود أن أذكر النسبة المئوية فى متعلميه . فإذا كانت هذه الحال تمض السيد الزحلاوى حقاً فليجرد قلمـه على الجمهور يوجهه ويستحثه على مشاهدة النفيس من المسرحيات ، فهذا أجدى به ، وبنا أبر وأكرم . أما أن يوبس الثرى بيننا وبينه مسوقاً بنطحات عاطفيـة وشطحات شخصية لا ترتكز على الروية والاعتبار فأمر أرجو أن يعاود النظر فيه .

زكى طليمات

(١) الرسـالة ٥٩٨ ص ٢٠٠٨ السطر ٢٠ بالعمود الثانى ، وهذا نص ما أوردته وصفاً لجانب هـذه المسرحيات (ذلك الجانب الذى لا يؤاخذ عليه إلا صاحب التجنى والهوى) .

أيتها الابتسامة !

للأستاذ محمود الخفيف

أتوقاك ما رأيتك جهدى وأعاف الوضىء من لمحاتك
مثل لمح السراب لمحك عندى
ليس غير السراب أصل صفاتك

أتوقاك ، لا أسيئك . . . إنى
من سقاه العذاب لمح السراب
أبدا فيك ليس يخطئ ظنى
بل يزيد اليقين فيك ارتيابى

أتوقاك ! كم سحرت خيالى
بأفانين من بروق الخداع
يوم كان الفؤاد غر الليالى لم تذقه الحياة لؤم الطباع

أى معنى للخير أطمع فيه من معانيك فى وجوه الرجال ؟
أى طيف للسحر لا أتقيه فى وجوه تزهى بسحر الجمال ؟

صور أنت من ضلال الحياة وطيوف بغيضة أتقيها
عفت حتى ماحار من بسماتى بين سحب من الأسى تحتويها

أتوقاك ... كم لمحت طلاء يحجب الإفك فى حنايا الضلوع
يحمل الحقد ما يريد انطفاء والعداوات مالها من هجوع

أتوقاك صورة للتشفى سوأة ميزت سليل التراب
أى وصف لهذه أى طيف غير ظفر تحت الطلاء وناب ؟!

أتوقى مرآك فى وجه حر باسم وهو لا يطيق ابتساما
وجه غر ما كان يوما بغر غير أن الرشاد أن يتعامى !

أتوقاك فى محيا دعى فى ابتساماته أرى الخيلاء
يتبدى يا ويحه من غبى فى عبوس وفى ابتسام سواء

وكريه مرآك بسمة ذل فى وجوه ذليلة القسمات
تتقى عصف كل عات مدل بكلام من ضارع البسمات !

وشجى للنفوس مرآك معنى من معانى مغالب لهوان
حطه الدهر ما ارتدى بك لونا من تأس يشف عما يعانى

أتوقاك آية للوفاء ركبت من تملق ودهان
يا لزلفى فى صورة نكراء ذكرتنى ضآلة الإنسان

جمرة فى الحشا ورشقة سهم فى صميم الفؤاد مرآك حينا
إذ يرى العاشقون فى غير وهم أن هجس الظنون أمسى يقينا

إذ يرون الخداع أبغض ومضا
من شعاعات خنجر مشهور
هو من حده أحر وأمضى
إن أنكى الجراح جرح الشعور

أتوقاك ما لمحت لعينى
لمحة الكأس ضوأت بالسلاف
رب كأس يغلو إليها التمنى مزجت خمرها بسم زعاف

أتوقاك ! ... شد ما أتوقى صورا منك عف عنها بيانى
إن يكن عافها حياء ورفقا رب صمت حوى بليغ المعانى

أين ياقلب ؟ أين تبصر عينى بسمة لا يكون منها عنائى
ويك ياقلب قد سئمت التمنى وأرانى كرهت فقد الرجاء !

قد أحب ابتسامة الطفل لولا خاطر ساء وقعه فى خيالى
لن تراه الغداة عيناى طفلا إن فيه الغداة لؤم الرجال

وأسيغ ابتسامة الزهر لولا سوء مرآه ذابلا فى المساء
ويح نفسى كم يملأ النفس هولا كل حسن تطويه كف الفناء

في سبيل العرب

ســــيف العروبة

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

سَيْف العروبة فى كفَّيكَ مُنصلتٌ
فاضربْ به فى رقاب الحادثِ الجَلَل
فأين منه سيوفُ الهندِ ماضيةً ؟ فللعروبة سيفٌ غيرُ منخذل
وشّتْه أيدى القُيون الصِّيدِ من مُضَرٍ
وجلّته يَدُ الأبطال بالحلل
نمتْهُ للبيضِ من عدنانَ آصرةٌ وأنبتته مع الخطيّة الذُّبل
سلِ الوقائعَ عما كان من أجل فى صفحتيه وعمّا كان من عمل
تُديره كفُّ غلابين عِزُّهمو
فى ضربة السيف أوفى طعنة الأسَل
لا يسكُتون على ضيمٍ يرادُ بهمْ ولا يَقرُّ لهم قلبٌ على دَخل
يجيب كل فتى منهم مُسائله بالسيف لا بعبارات ولا جُمَل
من كل حرٍّ عزيزِ النفس ممتنعٍ
كالشمس ممنوعةً إلا على المُقل

سيف من الجبل العالى بذُروته المستطيلِ على القِمّات والقُلل
يُهدَى إلى السهل من مصرٍ ولا عجبٌ
ما قيمة السهل إلا فى ذَرا الجبل ؟
لبنان لم يُلقِ هذا السيفَ عن وهَنٍ
من الضرابِ ولا خوفٍ ولا وجل
لكنْ لبنانَ أهداهُ إلى بَطَلٍ[1]
(لا يعمل السيف إلا فى يدى بطل)

يا سيفَ عدنانَ لا يُرجى لطائفة
شأنٌ بغير حديدِ النَّصلِ معتدل
ما قيمةُ الحق إن لم يَحْمِ جانبَه
صوتُ الأسنّة لا صوتٌ من الجدل
قل للضعيف بلا ســيف يؤيده
أمَا سَمِعتَ حديثَ الذئب والحمَل ؟

يا أمةَ العُربِ هبُّوا من مراقدكم
ولا تكونوا عن الأحداث فى شُغُل
ضموا الصفوف بقلب غيرِ منقسمٍ
علىْ الزمان وحبلٍ غيرِ منفصل
ولا يكن وُدُّكم يوماً على خَبَثٍ ولا يكن حبكم يوماً على دَخَل
قد وحَّدت بينكم دنيا موزَّعةٌ من الجراحاتِ والآلامِ والعِلل
يا قوم إن سبيل الُخلد واحدةٌ
فيم الخلافُ علي الغايات والسبل ؟
لا يؤكل الشرقُ إلا وهْو مُنعزلٌ
وليس يُرهَبُ إلا غيرَ منعزلِ

محمد عبد الغنى حسن

---

(١) جلالة الملك فاروق الأول

أبهَجَتْنى ابتسامَةُ الأُم طِفلاً وهْيَ أُنسِي وبهجتى فى شبابى
آهِ ! مَنْ لى الغداةَ يا قلبُ ألاَّ يملأُ القلبَ ذِكرُها بالعذاب ؟

ليسَ غَيْرَ ابتسامَةِ الفَجْرِ فارْقُبْ
طَلْعةَ الفَجْرِ إذ يَشُقُّ الظَّلاما
ومِنَ اللّيلِ رَوْعَةِ البَدْرِ فاطلُبْ
وجْهَهُ إذ يزيحُ عَنْــهُ اللِّثاما

مِنْ بنى آدم اشْمَأَزَّ فؤادِى وابتساماتهمْ عَذَابٌ لنفسى
كلَّ يَوْمٍ كُزْهِى لهم فى ازدِيادِ
لَيْتَ لى فى غَدٍ سَذاجَةَ أمسى

٢ ـ ٥ ـ ٢٤ الخفيف



الكشف الأثرى فى منطقة حلوان

زار صاحب الجلالة الملك منذ سنتين المنطقة الصحراوية الواقعة جنوبي حلوان ، فأدرك قيمتها الأثرية وتوقع جلالته أن يعثر الباحثون فيها على آثار ذات شأن ، فأصدر أمره الكريم بمزاولة الحفر فيها على نفقته الخاصة ، وتفضل فعهد بذلك إلى الأستاذ زكى يوسف سعد كبير مفتشى الآثار فى منطقتى القاهرة والجيزة ، فبدأ العمل فى يوليو سنة ١٩٤٢ ولم يكد ينتهى موسم الحفر فى تلك السنة حتى كشف عن ٧٣٥ مقبرة يرجع عهدها إلى الأسرة الأولى (٣٢٠٠ قبل الميلاد) وفى عام ١٩٤٣ كشف عن ١٢٦٦ مقبرة ، ولا يزال يتابع الحفر والكشف ، والمأمول أن يصل إلى نتائج عظيمة . وقد دل المكشوف منها على حقائق تاريخية هامة أشار اليها أحد أساتذة الآثار البريطانيين فى جريدة الصنداى تيمس قال : « إن لهذا الكشف مزية خاصة لمن يريد دراسة تاريخ العصور الأولى في مصر ؛ وذلك لما له من أهمية تاريخية لا تتوفر دائماً فى الآثار العظيمة الأخرى كالتى وجدت فى مقبرة توت عنخ آمون ، لأن هـذه المقبرة لم تلق أى ضوء على أمر جديد ، بل أيدت ما كان معلوماً من قبل عن طريق الاستنتاج ، كما أنها أمدت المتحف بقطع ثمينة ، فى حين أن هذا الكشف الجديد يرجع بنا إلى عصر من أقدم العصور، وقد يجلو للعلماء الذين لم تتوفر لديهم البيانات ما يعينهم على الوصول إلى ما يبتغونه من النتائج .

وثمة أمر آخر وهو أن فى هذا الكشف ما يثبت قيام أسرة ملكية قبل عهد الأسرة الأولى .

إنا لنعلم أنه كان هناك ملوك حكموا مصر قبل عهد الأسرة الأولى ، وأن الحفائر التى قام بها العلامة اعرى مدة عشر سنوات قبل عام ١٩٣٩ قد برهنت على أن الأدوات المصنوعة من الأحجار والتى ترجع إلى عهد الأسرة الأولى هى أبعد فى القدم مما كنا نظن ؛ ولكن هذه الآثار الحديثة التى كشف عنها الأستاذ زكى يوسف ، قد أظهرت حقائق جديدة مدهشة عن عصور أشد قدماً . على أنه ينبغى أن ننتظر ما ينشر عن هذه الاستكشافات ، قبل أن نبدى فيها رأيا » .

وقال الدكتور دريتون مدير مصلحة الآثار المصرية :

« إن هذا الكشف ذو أهمية كبيرة من الناحية التاريخية فضلاً عن أنه عنصر جديد لتاريخ المصاطب القديمة التى يرجع تاريخها الى عهد الأسرتين الأولى والثانية ؛ وهذا ما يدعو إلى إعادة بحث تاريخ المصاطب الأثرية من جديد » .

عرب ومسلمون

حضرت المهرجان الذى أقامته مراقبة النشاط المدرسى ، وأشهد أنه دل على تقدم عظيم فى حياتنا المدرسية في النواحي الفنية والرياضية والإجتماعية ، ولهذا تفصيل ستتحدث عنه الجرائد فى الغد ، فأنا أكتب هذه الكلمة بعد الإنصراف من المهرجان .

أنا أدوّن ملاحظة لن تدونها الجرائد ، ملاحظة تلخصها السطور الآتية :

مَثَّلَ طلبة المدرسة الإبراهيمية رواية عمرو بن العاص ، وفى الرواية أن قسيساً قبطيًّا عَرَضَ على اثنين من قواد الروم أن يجتمعوا بالدير القبطى إذا دهمهم العرب الفاتحون ، وأن القائدين قالا : وماذا نصنع إذا أخذنا العرب من الدير ؟ فقال القسيس : العرب يحترمون المعابد .

والخطأ هنا فى كلمة « عرب » ، والصواب أن يضع المؤلف كلمة « مسلمين » ، فهى الكلمة التى يعرفها تاريخ ذلك العهد ، فمصر فُتِحت باسم الإسلام لا باسم العرب .

وفى الرواية أن فلاحاً مصريًّا أحضر الضريبة للروم وفيها خمر ، ثم كان من حظه أن يلاقى عمرو بن العاص ، فقال له عمرو : نحن العربَ لا نشرب الخمر .

والخطأ فى كلمة « عرب » ، فالعرب كانوا يشربون الخمر ، والصواب أن يقول المؤلف « نحن المسلمين لا نشرب الخمر » ، لأن الذى حرّم الخمر هو الاسلام .

وأذّن المؤذن فاذا هو يصيح :

« الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، حيَّ على الصلاة ، حي على الصلاة » .

وأنا أتذكر جيداً أن الأذان فيه « أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » .

فأين ذهبت هذه الشهادة ؟ أين ذهبت ؟

إن الرواية تاريخية ، فيجب حتماً أن يراعى فيها الصدق في رواية التاريخ .

أنا عاتب على المؤلف وعلى المخرج وعلى المراقب ، فما يجوز بَتْرَ الأذان بهذه الصورة ، ولا يجوز أن نضع كلمة عرب في مكان كلمة مسلمين ، لأن في هذا تزييفاً للحق والتاريخ .

لم يبق إلا الثناء على الممثلين ، وهم طلبة نجباء سيكون لهم بإذن الله مستقبل مرموق .

زكي مبارك

الجبال الجرداء وكيف نعشب

جاء في كتاب « في منزل الوحي » صحيفة ٢٩٨ لصاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا ما يلي :

« وعجيب أن تظل هذه الجبال جرداء على رغم ما ينحط عليها من سيول وأمطار فلا تنبت الأشجار في قننها وعلى سفوحها . أيرجع السر في ذلك إلى أنه لم يعن أحد باستنبات هذه القنن والسفوح فظلت جرداء إذ لم تبذر فيها بذور ولم يغرس بها شجر . ما أظن ، ففي صحارى تهامة وأوديتها ألوان من الشجر تنبت بذاتها منها السلم والعشر والطلح ، ولعل هذه الالوان لا ترق إلى سفوح الجبال وقننها ، ولذلك ظلت جبال اليمانية جرداء رغم المياه التي تنحدر عنها » .

والحقيقة أن لا عجب هناك ، فالحيوانات التي ترعى وخصوصاً الماعز منها هي السبب في هذا كله ، فاذا دامت الحيوانات في هذا الرعى سنين عديدة فأنها لا تلبث أن تقضم كل طلق من النبات يظهر على وجه الأرض . والنبات من شأنه أن يحفظ التربة من أن تجرف إلى الوادي بسبب تهاطل الأمطار فلا تلبث أن تتكشف الصور وأن ينقل التراب الذي يغطيها إلى الوادي ولا يعود بعد ذلك بالامكان أن ينبت الشجر لا في القنن ولا في السفوح . وعندنا في فلسطين مثل هذه الجبال الجرداء ، والسبب واحد وانجراف التربة Soil Erosion معضلة من أكبر المعضلات في الزراعة ، والحكومات تعنى بهذا كثيراً وطرق العلاج عديدة منها « الدورة في الرعى » كأن تقسم المراعى إلى أقسام عديدة يسمح للحيوانات أن ترعى في قسم منها في السنة الأولى ثم تنقل إلى القسم الثاني في السنة الثانية وهكذا فما ترجع الحيوانات للرعى في القسم الاول بعد خمس أو ست سنين إلا ويكون القسم الاول قد أينع نباته وغلظ وتعاظم .

وقد زرت في هذه السنة هذه الجبال الواقعة بين السيل الكبير والزيمه ، وأرى أن أحسن علاج لها هي الدورة في الرعى ، فاذا اتبعت هذه الطريقة في تلك المساحات الشاسعة وحوفظ عليها من الحيوانات فلا تلبث البذور أن تنتشر وأن تتكاثر من نفسها . ولا بأس من استعجال ذلك بأن تنثر البذور باليد في المساحات التي لم يبق فيها من الاشجار ما تستطيع أن تنثر بذورها .

لواء غزة — فلسطين

صبحي الشرابي
كبير مفتشي الزراعة

أساطير الحب والجمال عند الاغريق

عزيزي الأستاذ دريني خشبة

أخرجت للناس باكورة كتبك فكنت راوياً لروايات إغريقية عاشت عصوراً وهي أملوحة الآداب ، ومَجْلبة الإطراب ، وألهية الفكر ، فقراؤك نظارة ، وصفحاتك مشاهد ، وفي آخر كل قصة من قصصك يُسدل الستار .

وشئتَ أن تطرف ببراعة استهلال ، فقدمتَ بين أيدي القراء أروع هاتيك القصص عن پسيشيه وإله الحب ، فإذا بك تعرض ڤينوس أم هـذا الإله الطفل في معارض الحسد الذي ما سلمت منه امرأة ، وفي دواهي الكيد وهو ألصق الصفات بالنساء . فڤينوس تنصب شباكها لپسيشيه ، فهي تغار منها وتحسدها على عرش الجمال ، فترسل إليها ابنها بقوسه ونَشّابه ليرميها في جحيم الهوى ، وپسيشيه فتاة لعوب غريرة الدلال ، أصدق حليتها السذاجة والتصديق . فؤادها ما شُق شغافه ولا خفقت بالهوى سويداؤه . فهي تخاف من الحب ، والخوف منه هو الوقوع فيه .

أما كوبيدون هذا الرب الصغير ، فقد جار الإغريق من قبلك عليه ، فحمّلوه الشطط وركبوا به على غوارب الظلم وهو طفل ما شب عن الطوق ، ولا انشق له ناب ، ولا ترك التسلي والألعاب . فأنى له الحب وعذابه ، والغرام ولظاه . وقد أبه لهذا الخطل فى الفن مصورو القرون الأخيرة فكان دولا كروا أسبقهم إلى الصواب فصور كوبيدون فى صورة شاب مراهق وهو يقبل بسيشيه من على الجبين . وإنى لأعجب ، كيف جاز فى الشجون أن يهوى بسيشيه كوبيدون . فهل يحب نفسه الحب كما يُجن الجنون .

وخليقنى بأسطورة نرجس وقد عشق جماله وهام على وجهه فى حب محاسنه ، فكان يطل على صفحة الينبوع وهو ظامئ ، فيشغله الغرام عن الأوام فيهوى بفمه على فمه . ولكن يتكسر الماء دون الارتواء . ولما مات طلعت مكانه على ضفاف الغدير زهرة النرجس فهى تطل أبداً على صفحة الماء ، تتمرّى عليه ، وتهفو إليه .

وتقلنى النرجس من هيامه بجماله ، إلى هيام بجماليون بتمثاله . فيا ثمّ إبداعك وأنت تصف بجماليون الحيران فى مصنع تماثيله ينقش بمنقاشه تمثال غالاتيا ، فيسكب عليه كل مفاتن ڤينوس . وكان قلمك كمنقاشه فجمعت كل حلاوات المرأة ، ثم وزعتها واحدة فواحدة على جوارح غالاتيا وقسماتها الحسان .

وشغف تمثالُ الرخام حباً بجماليون فمر بيديه اللامستين على مرمره البارد المسنون ، وما راعه إلا حرارة الحياة تدب فيه ، فإذا هو من لحم ودم وإذا غالاتيا تناجيه فيه بصوت ڤينوس .

وقد أولع رواة الأساطير بهذه القصة فافتنوا فى سردها الفنون حتى كان براعك فسلك هذا الهَنِيع الجميل .

ولا آتى على أساطيرك كلها ، فهى زهرات منريات تكفى واحدة منها أن تملأ شممي بعطورها القبرصية حيناً من الدهر ألقى فيه عن كتفى عبء الهموم . والأساطير يا صديق منحة أدب غالٍ . قد ابتكرتها الأمم القديمة لترفع الإنسان الفانى من حمأة الأرض إلى ملكوت السماء . ولم يك الأولمب عند الإغريق إلا سُلَّماً عُلْوياً لأولئك الآلهة الذين أحبوا وأبغضوا ، وناحوا وضحكوا ، وسلاهم عن كآبة الفناء أن كتب لهم الخلود ، فذاقوا الحب الذى هو أقوى من الموت كما تقول التوراة . ولكنهم مادنسوه بالمفاسد بل كان محور حياتهم : انزعْ الحب منهم تفرغْ الأساطير من الجمال ، وتصبحْ صحراءَ مبسباً فى لوافح الهجير . ونحن على الارض مُنحنا حباً ولكن ما عرفنا حلاوته ، ولا وعينا نبالته ، ولقد دنسناه ثم دسناه .

كذلك رفعتنى أساطيرك من هذا العالم حين قرأتها . ولا تعجبْ لأمرى ، فقد تمنيت لو كنت أحدها ، لا إلهاً فأسموت إلى مقام الأرباب وعروشها ، ولكنْ إنساناً أعيش فى أكناف الأولمب كسادن فى هيكل الفنون . وما رواية حياتنا يا صديقى بعد ألف عام إلا أسطورة كهذه الأساطير .

ثم هات حديث الأدب عنها ، فقد أفادت فنون الغربيين فزجوها فى شعرهم ونثرهم ، وحكمتهم وعظاتهم . فكانت ڤينوس ريحانة الشعور ، ومبترفاً لسان الحكمة . وصوّرها المصورون ، فألواحهم الخالدة من ألوانها غميسة . وترنم بها القيان وأصحاب اللحون ، ورقص فى إهابها الراقصات ؛ فوانن لَفَتات .

فعلى شعر هوغو بَلَّ نداها ، وفى ليالى موسيّيه أنفاسها وشذاها . وانظر إلى الشاعر أندره شينيه ، فقد كان حبيساً يتنظّر ضرب العنق على مِقصلة روبسبير ، فنظم فى السجن ديوان (المراثى) شكوى مزامير بأنغام الأساطير .

ولم يُفد منها أدبنا القديم ، كما تقول فى مقدمتك ، لعلّة الرِّمّيتين وقد آن أن يُفيد على يديك وبدى أندادك من رواة هذا القصص الإغريقى البديع .

بعد هذا بقى علىّ حسابك ، فكيف أجزت لنفسك أن تجعل من أسطورة السطرين صفحتين . والأسطورة يا أديبى نصٌّ تاريخى عتيق ، تفاوت فى ادعائه سبع مدن . وأنا أعذرك فى التزّيد عند الاوصاف والبدائع ، دون الصفات والوقائع . وهذه منك سابقة إبداع فى العربية فى أن تجرى على غرار من كتب السيرة بأسلوب الأدب وطريقة الفن ، لا بتحقيق التاريخ ونقد الحوادث . فخرجتَ بالأساطير من خمائل عتيقة إلى أفواف جديدة عربية ، بأسلوب حر الكلام ، مبين المعانى . وإن شئتَ فى الختام وصفاً لروعات إنشائك فى هذا القصص الجديد ؛ قلت لك إنى لأراه أسطورةً أحلى من الأساطير .

(القاهرة) **زكى المحاسنى**

العام الهجري

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

العدد ٦٠١ – ٨ يناير ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

13 me Année No. 601

Lundi - 8 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ٨ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

صفحة

اذكروا يا زعماء العرب!



اذكروا وأنتم اليـــوم بسبيل التشاور في تجديد وحدة العرب أن الركن الأول من أركان دينكم هو التوحيـــد ، وأن العمل الأول من أعمال نبيكم كان المؤاخاة

اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ؛ واذكروا إحسان النبي إليكم إذ كنتم أشتاتاً فجمع شتيت شملكم فأقام على وحدته مُلكاً وسلطاناً .

اذكروا لماذا نذكر صاحب الهجرة في كل أذان وفي كل صلاة من كل يوم . هل نذكر اسمه مع اسم الله تعبداً به ؟

معاذ الله فما يكون الشرك غير هذا ؛ إنما نذكر الله ونذكر بعده محمداً كما تُذكر القاعدة ومعها المثَل ، أو النظرية وبعدها العمل . لأن الله يوحى والرسول يبلغ ، ويأمر وهو ينفذ ، ويَشرع وهو يطبق . فذِكر الله استحضار لأوامره ونواهيه وتلك هي القدرة ؛ وذِكر الرسول استحضار لأفعاله وأقواله وتلك هي القدوة .

اذكروا أن الوحدة هي التي أمكنت العرب في الأمس البعيد من تراث كسرى قيصر ، وهي وحدها التي تستطيع في الغد القريب أن تنقذهم من ورّاث (موسو) و (هتلر)

قولوا للعوقين منكم والمخلّفين عنكم : إن العصبية التي توسوس في بعض الصدور بالرياسة والسيادة والعزة إنما كانت في تاريخنا الحافل بالأحداث والعبر علة العلل في انشقاق العصا ، وانقسام الرأي ، وانحلال العقدة ، وانتشار الأمر ، وتعدد الدول . هي النُّعَرة[1] التي قالت يوم السقيفة : منا أمير ومنكم أمير . وهي الهامة[2] التي خرجت من قبر عثمان وظلت تصيح على دار الخلافة : نحن هاشميون وأمويون ! نحن قيسيون ويمنيون ! نحن علويون وعباسيون ! نحن عرب وشعوبيون ! نحن اثنتان وسبعون فرقة تتقاطع في الدين ، وتتمادى في الدنيا ، وتزعم كل فرقة منها أنها هي الناجية ! نحن ثلاثة خلفاء في وقت واحد : عباسي على عرش بغداد ، وأموي على عرش قرطبة ، وفاطمي على عرش القاهرة ، ولكل خليفة منهم شأن يغنيه ، وعُدْوان مع الباغين على أخيه !

اذكروا كل أولئك يا زعماء العرب واستاروا بسيرة نبيكم في السياسة ، واستنوا بسنته في الحكم ، فإن محمد بن عبد الله الذي آثر أن يكون نبياً عبداً على أن يكون نبياً ملِكاً قد ساس الناس في عهده سياسة دينية لا تفرق بين على وبلال ، ولا بين قريش وباهلة . لم يسمها عليه السلام سياسة وطنية ، لأن الوطن محدود والدين لاحد له . ولم يسمها سياسة قومية ، لأن القوم جماعة متميزة لا تعرف العموم ، والدين إنسانية شاملة لا تعرف الخصوص . ومن كان مدينا بزعامته لربه لا لحزبه كان خليقاً لأن يساوي بين الناس جميعاً في عدله وفضله . أما وقد استشرت العصبية ففرقت شعبنا فرقا لكل فرقة طرزٌ ورسوم ، ومزقت وطننا مِزَقاً تفصل بينها مكوس وتخوم ، فإنا أحرياء بأن نصلح الأمر بما صلح عليه أوله : نخفت في نفوسنا صوت الأثرة ، ونسكّن في رءوسنا عصف الهوى ، ونجدد في أذهاننا ما طمس من معاني الإيثار والإخاء والفداء والمروءة ، ونحدد في أفهامنا ما انبهم من هذه المبادىء الإسلامية الصريحة : « إنما المؤمنون اخوة » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، الناس سواسية كأسنان المشط .

وتلك هي المثلُ العليا للسلام والنظام والحكم تطلبها الشعوب المكروبة المسخّرة بالثورة بعد الثورة ، وبالحرب عقب الحرب ، فيحول بينها وبينها تصادم القوى وتعارض المنافع .

***

لا نطمع في أن نجمل من الوطن العربي الذي قطّعه الناصبون الآكلون دويلات أو لقيمات يسهل ازدرادها ، وحدة كاملة . ذلك فوق الطاقة الآن ، لأنه عمل لم يقو عليه من قبل غير محمد ، ولن يقوى عليه من بعد غير رجل من رجال محمد . هو الرجل الذي ينتظره العرب انتظارهم رجعة الربيع ؛ ثم لاينفكون يحدقون النظر العبران[1] في الأفق النائم يرجون أن تنشق الحجب عن ظهوره . وبحسبنا اليوم أن نمهد أمامه الطريق ونهيىء له النفوس بهذه (الجامعة العربية) التي تتوافدون إلى عقد ميثاقها في القاهرة . فإذا أقمتموها يا زعماء العرب على الإيمان الصادق والنية الخالصة كانت إرهاصا لظهور ذلك الزعيم العظيم الذي يجمع الله لكم فيه الراعي الذي يطرد الذئب ، والنظام[2] الذي يجمع الحب ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع العَلم ، والأستاذ الذي يعلمكم أن تصنعوا الابرة والمدفع ، وتشقوا النجم والحقل ، وتوفقوا بين الدين والدنيا ، وتلائموا بين النفعة الخاصة والنفعة العامة ؛ ويومئذ تعودون إلى منزلتكم من صدر الحياة ومكانتكم من قيادة الناس .

احمد حسن الزيات

(١) النعرة ذبابة زرقاء طنانة تدخل في أنف الحمير والخيل فتضطرب وتهيج ، وتستعمل في الخيلاء والكبر

(٢) الهامة في أساطير العرب الأولين طائر يخلق من رأس المقتول ولا يزال يصيح في رأسه يقول : اسقوني ، اسقوني ، حتى يقتل قاتله

(١) العبران : الباكي الحزين .

(٢) النظام : الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونحوه .

وحي الهجرة في سياسة الأمم والشعوب

لصاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا

قال صاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا وهو الرجل الذي ندبه العون الإلهي ليكون الوزير الأول لمصر في تلك الحقبة من تاريخ يموج بالهول ، وتفور أرضه بالحمم ، وتمطر سماؤه بالصواعق — ومصر — قلب العربية ، وأمل شعوبها ، تضطلع بأعبائها وأعباء جيرتها ، وقد أخذتها الأحداث ، وأحاطت بها التبعات ، وتقاذفتها الأهواء ، فإذا « بالفاروق » أعزه الله يجعله على شؤون البلاد ، يقيم الميل ويرد على الوطن هيبته ، ويسير في المعترك العالمي على بصيرة من الأمر ، وعلى هدى من الحق

قال هذا الرجل ، وهو يتحدث عما (توحيه الهجرة) في وجدان الرجل السياسي :

« يوحي يوم الهجرة أنه لا حياة للأمم ولا للشعوب ، إلا بالجهاد الدائم ، والكدح والدأب المتواصل . وليس الجهاد قاصراً على مكافحة الأعداء ، بل أشد الجهاد ، وأعنف الجهاد ، مكافحة الشهوات والأهواء

فلقد رجع محمد رسول الله من بعض غزواته المظفرة فقال : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ـ جهاد النفس والهوى ـ

تذكرنا يوم الهجرة بأن الإنسان لا يحمي إنسانيته ـ بل عقيدته ـ إن هو أقام على الهوان راضياً ، وإنما حق إنسانيته وواجب عقيدته أن يكافح الطغيان ، وأن يصرخ في وجه الظلم ، فإذا أعجزه أن يحمي عقيدته وإنسانيته فليهاجر بهما حتى يبلغ مأمنه ، ثم يستأنف جهاده ونضاله

وإن الله لن يرضى أبداً عن الذليل المستضعف في الأرض ، وهذا كتاب الله يحقر المستضعفين ويؤنب الأذلاء

يقول تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »

يوحي يوم الهجرة ، بصور لأولئك الذين أنجبهم الإسلام ، وهذبتهم فضائله ، فأحسنوا القيام على أممهم وشعوبهم ، وقدروا الأمانة التي ائتمنهم عليها حق قدرها ، فلم يقربوا إلا لوجه الحق ، ولم يبعدوا إلا في سبيل الحق

وهذا عمرَ الفاروق يقول لولاته : اجعلوا الناس في الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريبهم

إياكم والرُّشا ـ فإنها السحت ـ وإياكم والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب »

***

وإني إذا ما رَوَّيت في الأمر ، وفكرت لم كان اختيار الهجرة بدءاً للتاريخ الإسلامي ؟ لا ألبث أن أقتنع ـ على بينة من الأمر ـ أنه يراد أن يكون المسلمون دائماً على ذكر من الحقيقة الخالدة ، وهي أن سبيل الرفعة وطريق العزة ـ الجهاد الجهاد للحق الخالد والعدل السرمدي

وإنه لمن يمن الطالع أن يكون على عرش مصر الملك المفدى ، « فاروق الأول » ؛ فهو الأسوة الحسنة لشعبه وللشعوب الإسلامية . أعز الله ملكه ، ونصر عهده ، وحقق في أيامه مجد الإسلام وعزة المسلمين .

(م)

طوالع الإسلام

للأستاذ عباس محمود العقاد



اسم كتاب ألفه الدكتور لورنس براون أستاذ مقارنة الأديان بجامعة مانشستر ، ونشره في أوائل السنة الماضية ١٩٤٤ وعرض فيه لحركات التجديد والإصلاح التي ظهرت منذ القرن الماضي في أنحاء العالم الإسلامي من الهند إلى إيران ومصر ، وما يليها من الأقطار الأسيوية والإفريقية

وقد خرج من هذا العرض بخلاصة يسهل على الباحث من غير المسلمين أن يقبلها ، ولكن لا يسهل قبولها على المسلم الذي يؤمن بدينه ويعرف ما فيه من قوة على بعث العزائم وإحياء الأمل ومزج الحديث بالقديم أو التقريب بين العقيدة والمعرفة وبين الأصول الدينية والأصول العلمية . فإن الخلاصة التي خرج بها الدكتور براون من عرضه أن الأمل في نهوض دعوة إنسانية تنفع البشر كافة من أعماق الروح الإسلامية ضعيف ، وإنه لا يُرى في العصر الحاضر زعيم من الزعماء الروحانيين في الأقطار المحمدية خليق أن يحمل أعلام النهضة المرجوة ، أو يقود بني الإنسان في طريق الصلاح والتهذيب ، ليحل لهم المشكلات الروحية والاجتماعية التي تواجههم عند كل خطوة يخطونها في حياتهم العصرية

وتعليل هذا اليأس من مستقبل الإسلام عند الدكتور براون – أو من طوالعه كما سماها – أن الإسلام يعزل الدنيا عن الروح الإلٰهية ، ويجعل الوحي الذي يقود الأنبياء والملهمين عملاً خارجاً عن الإنسان يهبط عليه من السماء بين حين وحين وقد انقطع هبوطه على البشر بعد خاتم المرسلين . ويزعم الدكتور براون أن شأن الإسلام في ذلك غير شأن المسيحية والموسوية ، لأن روح الله تمتزج بالإنسان في العقيدة المسيحية ، ولأن الموسوية أخرجت كثيراً من الأنبياء ونصت بعض آيات كتابها على تمنى النبوة لجميع بني إسرائيل ليستمعوا من داخل سرائرهم إلى صوت الله . ويقول الدكتور براون إن الشعائر المادية في الموسوية والمسيحية إن هي إلا كناية عن المعاني الإلٰهية أو الروحانية التي ترمز إليها ، وليست هي كذلك في الإسلام كما يقول

والذي فات الدكتور أن المسلم الذي يعتقد أن الله خلق آدم على صورته لا يمكن أن تعوزه الروح الربانية ولا أن يجرد الإنسان من هذه الروح ، وأن الآيات التي وردت في القرآن عن روح الله والروح عامة أكثر من نظائرها في الكتب الأخرى التي قلما تعرض لكلمة الروح بالمعنى الذي يستفاد من نصوص القرآن

وقد فات الدكتور براون شيء أهم من ذلك كان ينبغي ألا يفوته لأن الدليل عليه قائم من أطوار الحركات الإسلامية التي أشار إليها في كتابه ، وذلك الشيء المهم الذي فاته هو أن الإيمان بنصيب الإنسان من الربانية أو بحلول المعاني الإلٰهية في الإنسان لم يكن قط مسألة نصوص مكتوبة وشعائر ملموسة ، وإنما هو مسألة فطرة تمتاز بها الأمم كما تمتاز بها الأفراد ، وقد نشأت عقائد الروحانية أو الإلٰهية في المسيحية من تفسير الفلاسفة والأحبار الذين آمنوا بالدين ولم تنشأ من الكلمات التي يقرأها كل إنسان في هذا الكتاب أو ذاك

وإن الدين الواحد لتؤمن به أمتان هذه غالية في الوقوف عند المحسوسات، وتلك غالية في المزج بين عالم الحس وعالم الغيب، أو في المزج بين الجسد والروح . وإن الكتاب الواحد ليقرأه الرجلان في مدينة واحدة – بل في بيت واحد – فيفهمه أحدهما

على طريقة المتصوفة أو القائلين بوحدة الوجود ويفهمه زميله كما تفهم الأوامر العسكرية كلمة كلمة وحرفاً حرفاً بغير تعليق ولا تأويل

ولو شاء الدكتور براون لفطن لهذه الحقيقة الواضحة من التفرقة بين الحركات التي أجمل الكلام عليها في الهند وإيران ومصر والحجاز ، وهي حركات القاديانية والبهائية ودعوة الإمام محمد عبده والإمام عبد الوهاب . فكل هذه حركات تجديد أو إصلاح نشأت في الإسلام وبين المسلمين واعتمدت على الكتاب الذي يدين به كل مسلم وهو القرآن الكريم ، ولكن الفرق بينها في الواقع هو الفرق بين فطرة الهند وفطرة الفرس وفطرة المصريين وفطرة العرب ، أو بين الأمزجة والعادات الذهنية التي تعودتها هذه الشعوب من موروثاتها القديمة وبيئاتها الفكرية والإقليمية

ففي الهند ظهر غلام احمد القادياني فبشر بمذهبه الجديد وزعم أنه هو عيسى بن مريم وهو المهدي وهو الإمام المنتظر في مذهب الشيعيين ، وادعى فيما ادعي أنه تلبس بروح مريم العذراء ثم تلبس بروح المسيح على نحو لا تدركه العقول ، وصدق نفسه وصدقه أناس من مريديه حين خيل إليه أنه روح الله حلت في جثمان إنسان لإنقاذ المسلمين والمسيحيين على السواء من الضلال

ومن اليسير جداً أن يلمس المرء في هذه الحركة بقية من بقايا البيئة الهندية التي نشأت فيها عقيدة تقمص الأرواح وتجدد الروح في جثمان بعد جثمان ، تارة جثمان ذكر وتارة جثمان أنثى ، ومرة رسم حيوان ومرة رسم إنسان

وفي البلاد الإيرانية ظهر مرزا علي محمد الشيرازي ، وزعم أنه الإمام المنتظر ، ثم انتحل عقيدة الاسماعيلية فيما يشبه القول بوحدة الوجود ووثب من ذلك إلى القول ببطلان الشريعة الظاهرة والأخذ بالحقيقة الباطنة التي تبيح أصحاب الحلول — حلول الإله في الإنسان — أن يتصرفوا في الأحكام والقواعد الدينية تصرف الوحي الجديد لأنهم يسعوحون مشيئة الله فيما يقولون ويعملون ، ثم جهر بالغاء بعض الشعائر المقدسة التي اتفق عليها المسلمون سنيين وشيعيين حيثما صرحت بها نصوص القرآن

ومن اليسير جداً أن يلمس المرء في هذه الحركة نزعة البيئة التي نشأت فيها طلائع الباطنية والاسماعيلية ، بل نزعة البيئة التي نشأ فيها الإعلان بحلول أو رمزد في جسد « مترا » رسوله الأمين في حربه الأبدية لإله الشر أهرمان

وفي الجزيرة العربية ظهرت الدعوة الوهابية التي تنكر الترف في الكساء والبناء ، وتبطل معاني الرموز والإشارات والتوسل بشيء من الأشياء يقع عليه الحس من جماد أو ذي حياة

ومن اليسير جداً على المرء أن يلمس فطرة الصحراء في هذه الصرامة الخلقية وهذا الفصل الحاسم بين عالم الحس وعالم الغيب ، خلافاً لتلك الأقاليم الهندية أو الفارسية التي امتزج فيها الحس بالتخيل واتصل فيها عالم الأرض وعالم السماء

وفي مصر ظهرت دعوة الإصلاح على يدي الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله فكانت تعليماً جديداً في مدرسة قديمة ، أو كانت تفسيراً للقوانين الإلهية لا يخرج بها عن نصوصها ولكنه يحفظها في تلك النصوص ويقتبس منها المعنى الذي يوافق معارف العصر الحديث

ومن اليسير جداً على المرء أن يلمس في هذه الدعوة روح مصر التي عرفت نظام الحكم منذ ألوف السنين ، وتعودت أن تدين بنصوص الأمر والنهي من ملك بعد ملك وأسرة بعد أسرة ، فليس فيما تعمله أو تدين به إلا ما هو نص محفوظ أو مستمد من تفسير النص المحفوظ بالمعنى الذي لا يخرج عليه ، أو هي روح مصر التي عرفتها منذ قام فيها بالنبوءة فرعونها أخناتون ، وهي الأمة الوحيدة التي تلقت نبوتها من عرش وصولجان

فالحركات التي تتمثل فيها روح التجديد أو الإصلاح بين المسلمين حركات أقوام وطبائع تختلف بينها في العقائد الروحانية والربانية على حسب الفطرة التي طبعت عليها ، ولا تعوقها النصوص والكلمات عن اقتباس المعاني التي تتهيأ لها بفطرتها

وقد وقع خلاف كهذا الخلاف بين المسيحيين والموسويين يرجع إلى أسباب كهذه الأسباب من أثر البيئة الإقليمية أو البيئة الثقافية أو البيئة السياسية

فليس في الإسلام إذن ما يمنع نشوء الحركات الروحانية أو يمنع الاتصال بين روح الإنسان وروح الله ، وإن كان المسلمون يأبون أن تلغى نصوص كتابهم كما يأبى الكتابيون من المسيحيين والموسويين أن تلغى نصوص التوراة والإنجيل

وإنما أصاب الدكتور براون في رأي واحد وهو كلامه عن حاجة النهضة الروحانية إلى زعيم قدير ينفخ في الأمم الإسلامية

سر الخلود في الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمود شلتوت



إنما شرعت الأديان لتصفية الأرواح، وتخليص العقول من شوائب العقائد الفاسدة، لتؤمن بالله خالق الكون ومدبره، وتذعن لعظمته، وتعترف بوحدانيته، وتسلم من الخضوع والعبودية لكل ما سواه، وتتبع هداه وتسلك صراطه السوى فلا تضل ولا تشقى.

هذا هو الجوهر الذي قامت عليه سائر الأديان منذ عرفت الأرض هداية السماء، وهذا هو «الإسلام» الذي دعا إليه جميع الأنبياء، وهذا هو الوحي الذي أوحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى به إلى نوح والنبيين من بعده، وهذه هي الوصية التي «وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب: يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون».

تختلف الشرائع وراء هذا الجوهر في التفاصيل: فصور العبادات ليست واحدة، وأنواع التكاليف متعددة، ودرجات التثقيل أو التخفيف متفاوتة، كل ذلك باختلاف الأمم والأحوال والأزمان «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم».

وقد قضت حكمة الله أن يظل هذا التدرج بالناس عصراً بعد عصر، ورسالة بعد رسالة، حتى تصل البشرية إلى مرتبة من النضوج الفكري والسمو العقلي، تتهيأ معه لاستقبال شريعة كاملة باقية، لا تنسخ بغيرها؛ ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فكان ذلك في عصر محمد صلى الله عليه وسلم: اصطفاه الله لهذه الرسالة الكبرى بعد أن دعاه ورباه وصنعه على عينه، ثم انتزعه من بيئة الشرك والوثنية والكبر والعنجهية والثبات على الباطل الموروث إلى بيئة أخرى فيها صلاحية ولها استعداد لقبول دعوة الحق، فهاجر إليها مع صفوة من أهل الإيمان الراسخ، والولاء الثابت، يحبون الله ورسوله حباً لا تشوبه شائبة من أغراض هذه الدنيا، ويتسابقون إلى السمع والطاعة مخلصين راضين.

في هذا الجو الملائم، وبين الأنصار والمهاجرين، أخذ الوحي ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بتفاصيل هذه الشريعة في العبادات والمعاملات والأخلاق، وأخذت جماعة المسلمين تتركز ويتكون قانونها العام، واستمر ذلك بالتدرج مدى عشرة أعوام هي حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، حتى أصبح العالم أمام دولة ناشئة قوية لها أحكامها الشاملة، ومبادئها القوية في كل شأن من شئون الحياة من بيع وشراء، ونكاح وطلاق، وميراث وهبة ووصية، وزكاة وصدقة، وقضاء وعقوبات وحرب وسلم وغير ذلك.

يومئذ أعلن القرآن في وضوح أن هذا الدين قد كمل كمالاً مطلقاً، وأن نعمة الله به قد تمت، وأنه قد ارتضاه لعباده فلا

وغير الإسلامية من روحه القوية فينفعها وينفع البشر كافة من طريق نفعها

وقد شوهد أثر هذا الزعيم حين وجد، فإذا هو أثر عظيم قلما يشبهه أثر الزعماء المصلحين في الأمم الحديثة، فكان جمال الدين الأفغاني باعثاً لنهضات الإصلاح في الهند وإيران ومصر وتركيا وسائر الأقطار الإسلامية، وقد يخلفه زعيم مثله فيقترب الأمل الذي استبعده الدكتور براون لأنه لم ينظر إليه بعين المعلم الذي يستمد العزيمة من هذه الآمال

ومما لا شك فيه أن الإسلام اليوم قوة مانعة لكثير من الشرور التي تهب على الناس كافة من قبل المذاهب الهدامة التي تبنى على أساس المادية العمياء، وفي وسع هذه القوة المانعة أن تنطلق في سبيل الإصلاح قوة روحانية دافعة إلى الخير العميم، إذا قيض لها الزعيم العظيم

عباس محمود العقاد

يقبل منهم سواه «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا»؛ «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين».

بهذا تقرر، وأصبح من العقائد الإسلامية، أن هذا الدين خالد، وأنه بعقيدته وشريعته طريق الصلاح والنجاة للناس فى دنياهم وأخراهم، وأن العالم مهما طال به الزمن وامتدت به الحياة لا يحتاج فى صلاحه إلى شىء وراء الاستظلال بظل هذا الدين، والعمل بمبادئه، ومن هنا استقر فى الأذهان أن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان.

ولكن ما سر هذه الصلاحية التى استحقت بها شريعة الإسلام أن تكون هى الشريعة الخالدة؟ وهل فى استطاعة الباحث أن يثبت ذلك فى صورة علمية واضحة يستوى فى النظر إليها جميع الناظرين؟

ذلك ما نريد فى هذا المقال:

***

ليس على الباحث أن يستقصى جميع الأحكام التى جاءت بها الشريعة المحمدية حكما حكما، ويتتبع ذلك فى كل جزئية من الجزئيات، ليختبر مبدأ الصلاحية ويعرف مداه، فإن هذا شىء يطول ولا يكاد يقف عند حد.

ولكن حسبه أن ينظر إلى مبدأ واحد هو المحور الذى تدور عليه سائر الأحكام مهما تعددت وتنوعت، وبيان ذلك: أن من يتأمل حالة العالم فى عصوره المتعاقبة وأطواره المتتابعة يعرف حق المعرفة أنه كان يتردد بين طرفين من إفراط وتفريط، وكان ذلك شأنه فى كل شىء: فى العقائد، فى الأخلاق، فى صلة الإنسان بالحياة، فى علاقة الفرد بالمجتمع، فى علاقة الأمم بعضها ببعض، فى طريقة التشريع، إلى غير ذلك من سائر الشئون، وقد جاء الإسلام فأدرك أن العالم لا يصلح بواحدة من هاتين الخطتين، وأنهما منافيتان للفطرة الإنسانية والطبيعة البشرية، منافيتان لسنن الاجتماع التى تقضى بالوقوف عند الحد الوسط فى كل شىء لضمان البقاء والصلاح، وعدم التعرض للانحلال والفساد. أدرك الإسلام ذلك فجاءت شريعته وسطا لا إفراط فيها ولا تفريط، ووقعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت فى هذه الدائرة التى رسمها كتاب الله عز وجل «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس»، «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»:

هى فى العقيدة وسط بين الذين ينكرون الإله، ويزعمون أن هذه الحياة الدنيا ليست إلا وليدة المصادفات والتفاعلات المادية «إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» وبين الذين يقولون بالتعدد، ويتخذون مع الله أنداداً: تقرر فى صراحة وجلاء أن الله إله واحد، وأنه المعبود الذى لا يعبد سواه «قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، «وقال الله: لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأياى فارهبون»، «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين».

وهى فى الأخلاق وسط بين الذين يتحللون من كل الفضائل وبين الذين يشتطون فى تصور الفضيلة والتزام طرف التشديد فيها: تقرر أن الفضيلة وسط بين رذيلتين: لا جبن ولا تهور، لا بخل ولا تبذير، لا استكبار ولا استخذاء، لا جزع ولا استكانة. وأساس ذلك كله قوله تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً» «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما».

وهى فى صلة الانسان بالحياة وسط بين المادية البحت، التى لا تعرف شيئاً وراء ما يقع عليه الحس من طعام وشراب ولذات وشهوات وغلبة وبطش وجمع للأموال وتكاثر وتفاخر، وبين الروحية البحت التى تزهد فى الحياة وتعرض عنها إعراضاً تاماً، فلا زواج ولا سعى ولا عمل، ولكن تبتل مطلق وإهمال للأسباب! يقرر الاسلام فى ذلك الوسط أيضا فيقول «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا»، «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله»، «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق».

وهى فى طريقة التشريع ووضع قوانين الحياة وسط: لم تدع الناس يشرعون لأنفسهم فى كل شىء، ولم تقيدهم بتشريع من عندها فى كل شىء بل نصت وفوضت: نصت فيما لا تستقل العقول بأدراكه، كالعبادات زمانا ومكانا وكيفية ونحو ذلك، وفيما لا تختلف المصلحة فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، كالمواريث وأصول المعاملات من بيع وشراء وتحريم لأكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك، وفوضت فيما يدرك

العقل الخبير فيه وتختلف المصلحة فيه بتغير الأزمنة والأمكنة والأشخاص ، ومن هنا وجد الاجتهاد وكان ركنا من أركان الشريعة الاسلامية حفظ الله به للعقل الانسانى كرامته .

وهى فى تحديد علاقة الفرد بالجماعة وسط أيضا : لم يترك الفرد طليقا يفعل ما يشاء ويترك ما يشاء ولم تدعه كالوحش فى الفلاة يجرى ويمرح ويعبث ويفترس ما يقدر عليه ، ويتحكم فيه الأقوى منه ، ولم تلغ شخصه ، وتنس استقلاله ، وتضيعه فى غمار الجماعة لا يعمل إلا لها ، ولا يفكر إلا فيها ، ولا يعرف لنفسه وجوداً غير وجودها ، كأنه جزء من آلة يتحرك بحركتها ويسكن بسكونها ، ولكنها اعتبرته ذا شخصية مستقلة ، وفى الوقت نفسه اعتبرته لبنة فى بناء المجتمع ، فأثبتت له ، بالاعتبار الأول ، حق الملكية لماله ودمه والهيمنة على نفسه وولده ، ومنحته فى هذه الدائرة حق التصرف بما يراه خيراً له وسبيلا لسعادته فى حياته ، وأوجبت عليه بالاعتبار الثانى ، حقاً فى نفسه بالخروج للغزو والجهاد فى سبيل رد العدوان عن الوطن ، وحقا فى ماله بالبذل والانفاق فى سبيل الله ، وأوجبت عليه إرشاد الأمة وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ، وأوجبت عليه أن يعمل لإنجاب النسل الصالح وتكثير سواد الأمة به فيختار الولود ذات الدين والخلق ، لتقوى بذلك الأمة ويعلو شأنها

وفى مقابل هذه الحقوق التى قررتها الشريعة على الفرد للجماعة ، أوجبت على الجماعة للفرد حقوقا لاسعادة إلا بها : كفلت له حفظ دمه وماله وعرضه ، وشرعت لحمايته حق القصاص وحق الحد والتعزير ، وجعلت له حقا فى أن تعينه بمالها إذا افتقر ، وبذلك تبادل الفرد مع المجتمع الحقوق والواجبات ، وجعلت سعادة الحياة منوطة بالتعادل بين الجانبين ، وعدم طغيان أحدهما على الآخر : فلو ضن الفرد بنفسه أو ماله أو لسانه على المجتمع ساءت حالته وأدركه الضعف والانحلال ، ولو ضن المجتمع بقوته على الفرد فلم يكفل له سعادته ، ولم يحفظه فى ماله ونفسه وعرضه ، ولم يعنه فى حال فقره أضعفه وعرّضه للهلاك ، وبهذا وذاك تصبح الحياة عبئا ثقيلا لا يحتمل ، بل جحيما لا يطاق !

وكذلك كان شأن الشريعة الإسلامية فى تحديد علاقة الأمة بغيرها من الأمم : لم ترض للمسلمين بحياة الضعف والذلة وأن يكونوا عزلا من القوة ينتظرون حظهم ، ويترقبون مصيرهم ، وما تقرره الأمم الأخرى فى شأنهم ، ولم ترض لهم كذلك بحياة الظلم والاستبداد والفتك بالضعفاء والاعتداء على الآمنين فى أوطانهم وأموالهم ، ولكنها أمرت المسلمين بالاستعداد والتقوِّى بالعدد والعدة « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وأمرتهم أن يدعوا إلى الله بالحجة والبرهان لا بالألجاء والقهر « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

ونظرت الى الحرب وأسبابها الداعية اليها والمفضية إلى شب نيرانها نظرة تتفق وغايتها من الصلاح العام والمساواة بين الناس والسير فيهم على سنن العدل والرحمة ، فحصرت أسبابها فى دائرة معقولة تتناسب مع كونها ضرورة من الضرورات : دفع الظلم والعدوان ، وإقرار حرية التدين ، والدفاع عن الأوطان ، وإن القرآن الكريم ليرشد إلى ذلك فى عدة مواضع إذ يقول :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »

وأساس الدستور العام فى ذلك هو قوله تعالى « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »

وقد أباحت الشريعة الإسلامية أن ينشئوا ماشاءوا من العلاقات بينهم وبين الذين لم يعتدوا عليهم فى الدين أو الوطن من كل ما يرونه عونا لهم على حياتهم فى شئون التجارة والصناعة والعلم والسياسة والثقافة ، ينظمون ذلك كله على الوجه الذى يتبين صلاحه ، والذى تقضى به سنن الاجتماع والفطرة ، والذى لايتعارض مع دستورهم الخاص ، وقد أجازت الشريعة أن تصل هذه العلاقات إلى حد البر بهم والإحسان اليهم

وأساس الدستور العام فى ذلك هو قوله تعالى « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من ديارهم أن

وديعة مدينة سالم

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —



محمد بن أبي عامر شابٌ عربيٌ آباؤه من مُعافر، وخؤولته في تميم. دخل جدُّه عبد الملك بن عامر الأندلس في جند طارق بن زياد. وارتقت بأسرته الأمور حتى عُدتْ في أسر الوزارات في الأندلس.

نشأ محمد نجيبا طموحا هُماما تبشر مخايله بنباهة شأنه، وتعِد همّته بعظيم مستقبله، بل تكفل آماله سؤدده، وبضمن عزْمه مجده. سهر ليله وهو طالب علم يفكر فيمن يوليه القضاء إذا آل إليه أمر الأندلس. والمرء حيث يضع نفسه.

صار من أعوان قاضي قرطبة محمد بن السليم، ثم وكيلا لولي العهد هشام بن الحكم المستنصر، وتداولت كفايته وحزمه المناصب إلى أن ولي شرطة قرطبة سنة إحدى وستين وثلثمائة فضبط الأمور وقمع الأشرار ثم دعاه الغزو فلبيّ، فاجتمعت له الشرطة وقيادة الجيش.

تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين »

***

هذا هو الصراط المستقيم، والمبدأ الوسط، الذي تسير عليه الشريعة الإسلامية في جميع أحكامها، والذي صلحت به لكل زمان ومكان، واستحقت به الخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

محمود شلتوت

فأما حزمه في الشرطة فقد قال صاحب البيان المغرب :

« فضبط محمد المدينة ضبطا أنسى أهلَ الحضرة من سلف من الكفاة وأولي السياسة . ولقد كانوا قبله في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله . ويكابدون من رَوعات طُرّاقه مالا يكابد أهل الثغور من العدوّ . فكشف الله عنهم بمحمد بن أبي عامر وكفايته ونزهه . فسدّ باب الشفاعات ، وقمع أهل الفسق والدعارات ؛ حتى ارتفع الباس ، وأمن الناس . وأمنت عادية المتجرّمين من حاشية السلطان حتى لقد عثر على ابن له فاستحضره في مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا كان فيه حمامه ، فانقطع الشر في أيامه جملة » .

وأما الغزو فكان قائده المظفر ، وبطله المحبَّب . وسيأتي حديثه .

ما زال ابن أبي عامر يرقي منصبا إلى منصب ، ويعلو مجدا إلى مجد كالنسر يعلو مرقبا إلى مرقب حتى يوفى على القنة . فلما توفى الحكم المستنصر وآل الأمر إلى طفله هشام اجتمع له الأمر كله وظفر بأعلى مناصب الدولة ، حجابة الخليفة . ثم وكله إلى ابنه عبد الملك وجعل له القيادة العليا وسائر مناصبه وجعل ابنه عبد الرحمن وزيرا . وسما هو إلى السلطان الأعلى . وتسمى المنصور . وأمر أن يكتب عنه « من المنصور ابن أبي عامر وفقه الله » ثم كتب إليه باسم (الملك الكريم) .

— ٢ —

ملك ابن أبي عامر الأندلس ستة وعشرين عاما ، يدبر شؤونها بعدله وعزمه ويعمرها ببرّه ، ويجمّلها بأبنيته ، ويضرب أحسن الأمثال في البأس الذي لا يخالطه جور ، والعدل الذي لا تشوبه هوادة ، والانصاف الذي لا يُميز قريبا من بعيد ، والحكم الذي لا يعرف إلا النصفة والمساواة والنفاذ على كل الناس في كل الأحوال .

ولم تكن سياسته العادلة الحازمة ، أعظم من قيادته المظفرة . حتى لقد جاوزت غزواته أقصى غزوات الناصر ، وحارب حيث لم يحارب قبله أمير من أمراء الأندلس .

غزا خمسين غزوة كانت الثامنة والأربعون منها إلى شنت ياقوب على البحر في أقصى الجزيرة إلى الشمال والغرب ، ولم يحاولها

دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال له لبيك !

وكان يكره التكلف ، وينهى عن التشدد والتزمت «ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويخفض جناحه للمؤمنين ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل الناس بالتي هي أحسن ، ويميل إلى اليسر والسهولة في كل شيء : ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، وما سئل شيئاً عنده إلا أعطاه ، وما انتقم لنفسه قط ، وما نهر خادما ولا مملوكا » .

وكان سهلا إذا أخذ ، وسهلا إذا أعطى، متلطفا في ضروب الإحسان : يقترض فيرد أكثر مما اقترض ، ويشتري فيعطي أكثر من الثمن ، ويقبل الهدية ويكافىء عليها بأضعافها ، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر ، وكانت الصدقة أحب شيء إليه ، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه . وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه ، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والندى .

ولقد ظهرت آثار هذه الصفات الشريفة في سائر أحواله وتصرفاته صلى الله عليه وسلم ؛ وظهرت في سياسته الحكيمة التي ساس بها قومه ، وجعلها نهجا للحكام والرؤساء من بعده . وظهرت في تطبيقه لكتاب الله ، وتنفيذه لأحكامه . وظهرت فيما أوصى به أمته مما يتصل بالعبادات أوالمعاملات أوالأخلاق :

ســـامه أعداؤه سوء العذاب ، واضطهدوه في نفسه وفي أصحابه ، ورموه بكل منكر من القول وزور ، وكانوا يضعون في طريقه الأشواك والأقذار ، ويطرحون عليه وهو يصلي جلود الأبل والبقر ؛ ويمنعونه وأصحابه أن يبيعوا لأحد شيئاً أويبتاعوا، بل كانوا يتآمرون عليهم ، ويدبرون المكائد لهم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقى ذلك كله منهم صابراً محتسباً نقيَّ الصدر من الحفيظة ، سليم القلب من الموجدة ؛ بل كان يلقاه بالدعاء لهم فيقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون !)

ولقد خضبوا وجهه بدمه ، وكسروا رباعيته، وهو مع ذلك لا يدعو عليهم ، ولا يسأل الله تعذيبهم . ويقول : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً » .

ولقد أخرجوه من مكة وطنه الحبيب إلى قلبه ؛ وأخرجوا معه كل من اعتنق دينه ، فلما أظفره الله بهم وفتح له مكة حطم أصنامها ، وأزال أوثانها ثم خطب أهلها فقال : « يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم. قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ولقد كان الرجل من العرب الجفاة الغلاظ يدخل عليه غير مستأذن ، ويناديه باسمه مجرداً يسأله عن شيء أو يقتضيه حقاً ، فيحلم عليه ويجيبه متلطفا في خطابه ، قاضيا حقه ، فإذا غضب له أحد من أصحابه رده عن غضبه ، وهدأ من ثورته . وقد أفضت هذه السياسة الرشيدة بكثير من أهل الكفر إلى الإسلام ، وأصبحوا بها من خيار المؤمنين !

وكان صلى الله عليه وســـلم نعم المعلم لأصحابه : يردهم إذا أخطأوا في رفق وأناة ، ولا يعنف عليهم ، ولا يؤنبهم ، بل يبتسم لهم ، ويبش في وجوههم . حدَّث معاوية بن الحكم السُّلمي قال : كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعطس رجل من القوم ، ولم أكن أعرف أن الكلام يفسد الصلاة ، فقلت له : يرحمك الله ! فرماني القوم بأبصارهم يتعجبون مما فعلت ، فقلت : واثكل أماه ! ما شأنكم تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم وينظرون إليَّ متعجبين ، فلما رأيتهم كذلك سكتُّ حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته ، فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ! فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني ولكن قال : إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفق حتى على أهل الكبائر من أمته ، وقد أقام الحد على رجل فمات فلعنه الناس وسبوه ، فقال لهم : لا تلعنوه ولكن قولوا : اللهم اغفر له. اللهم ارحمه ! وكان رجل يؤتى به إليه كثيراً وهو سكران بعد تحريم الخمر فلعنه الناس مرة فقال : لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله . فكشف لهم عما يعرفه من حقيقة نفسه ودخيلة قلبه لمّا رفضوه لظاهر فعله ، وإنما ينظر الله إلى القلوب !

وجاءه مرة رجل وهو يصلي ، فلما انتهى من صلاته قال له : يا رسول الله . إني أصبت حداً فأقمه عليَّ ، فسكت عنه ، ثم عاوده

الرجل بعد حين فقال له مثل ما قال فسكت عنه ، ثم عاد إليه بعد صلاة الغداة فقال له : يارسول له إنى أصبت حداً فأقه علىّ . فقال له : أصليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم . قال : فاذهب فإن الله غفر لك حدك !

وليس ذلك تهاونا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدود، وحاشاه ، وهو القائل فى حادثة المخزومية التى سرقت وشفع لها أسامة : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ! » وإنما ذلك رجل قد تاب قبل أن يعلم به أحد ، أو يقدر عليه أحد ، ومن تاب تاب الله عليه « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيقا بأهله ، سهلا فى معاشرتهم : روى أنه كان يُسرِب إلى عائشة بعض بنات الأنصار يلعبن معها . ومر يوما جماعة من أهل الحبشة يلعبون ، فقال : ياعائشة تعالىْ فانظرى! فقامت فوضعت لَحيَيها على مَنكِب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت تنظر إليهم فى سرور واهتمام ، ثم قال لها : أما شبعتِ ؟ أما شبعتِ ؟ وهى تقول له : لا ، انتظر.. انتظر ! . .

ومن آثار صفائه النفسى ووفائه صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يعرف الغدر ولا النكث ولا التنكر مع الزمان ، لأنه لا يتقلب مع المنفعة ، ولا تبطره النعمة :

كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد ، فأرسلوا إليه رجلا منهم يفاوضه فى أمر من الأمور ، وهو أبو رافع ، فلما رآه وحدثه أخذته عظمته وراعه حديثه ، وألقى الله فى قلبه الميل إلى الإسلام ، وحينئذ نسى الرجل أنه سفير لقومه ، وأنه جاء للمفاوضة عنهم ، فتوجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له فى لهجة ضارعة : يا رسول الله ! لا أحب أن أرجع إليهم فأبقنى عندك ! فماذا فعل الرسول ؟ هل نسى عهده الذى بينه وبين المشركين ؟ كلا . ولكنه قال : لا . لا . إنى لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُد ، ولكن ارجع إليهم فإن كان فى نفسك الذى فى نفسك الآن فارجع إلينا . قال أبو رافع : فذهبت ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأسلمت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا صدوقا لم يُعرف عنه أنه كذب مرة واحدة فى حياته لا قبل مبعثه ولا بعد مبعثه ، ولذلك كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ويرضون حكمه ، وينزلون على قضائه .

إن الكذب علامة من علامات النفاق ، والنفاق لا يكون من أخلاق العظماء ، ولا يخالط نفوس الأباة الشرفاء، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إنى مسلم : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يشدد على أمته ويسأل الله دائما التخفيف عنهم ، وكان يوصى أصحابه بألا يكثروا من سؤاله لئلا يشددوا على أنفسهم ، ويقول « أعظم الناس جرما من سأل عن شىء لم يكن حراما فحرم على الناس» ويقول «دعونى ما تركتكم . إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقصد إلى تعذيب نفسه وحرمانها من طيبات الحياة كما يفعل المتشددون الذين يتكلفون الزهد والورع قصداً إلى الشهرة بالصلاح ، وإنما كان يأكل الطيّب إذا وجده ، وكان يحب الحلواء والعسل ، ويعجبه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء .

وكان يأمر بالتبشير ، ويكره التنفير . وقد بعث معاذا وابنه إلى اليمن فقال لهما : « بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا » .

وكان يكره المبالغة فى العبادة بما يشق على النفس ، وقد دخل المسجد مرة فوجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا حبل لزينب : تصلى فإذا كَسِلت أو فترت أمسكت به ! فقال : لا . حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر قعد .

وقال لأحد أصحابه « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إليك دين الله . فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

وقد نزه الله رسوله الكريم حتى قبل بعثته عن كل ما كان يأتيه أهل الجاهلية من المباذل والمفاسد ، وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون به إلا مرتين . كل ذلك يحول الله بينى وبين

ما أريد ، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته : قلت ليلة لغلام كان يرعى معى : لو أبصرتَ لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمُر كما يسمر الشباب . فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة فسمعت عزفاً بالدفوف والمزامير فجلستُ أنظر وأسمع ، ولكن النوم غلبنى فما أيقظنى إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك ، ثم لم أهم بعدها بسوء ! » .

لهذه الخلال وأمثالها فطنت خديجة رضى الله عنها ، فلما جاءه الملك لأول مرة بالوحى ، وذهب إلى بيتها يقص عليها ما رأى ، ويذكر لها ما يساوره من خوف على نفسه ، قالت له : « كلا ، والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » عرفت من شريف صفاته ما اتخذته دليلا على نجاحه فى مستقبل حياته .

***

هذه دروس وعبر وآيات بينات تشرق واضحة فى سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وتدل على خلاله الكريمة التي وافقت بها طبيعته طبيعة دعوته ، فيها ما يفيد الناس جميعاً على اختلاف مراتبهم ، وفيها ما يفيد العظماء والمصلحين بوجه خاص . إنها تقول بلسان فصيح :

يادعاة الإصلاح : ليس الإصلاح أقوالا تقال ، ولا مذكرات تكتب ، ولا مبادىء ترسم ، لتَخطفَ بها الأبصار ، وتؤلفَ القلوب ، وتُقضَى على حساب ذلك اللُبانات . إنما الإصلاح أعمال تتحقق بها الأقوال . إنما هو تنفيذ حازم لما رسم من الخطط ووضع من البرامج . إنما هو مُثُل تضرب للناس يبدو فيها الإخلاص لله ، والإيمان بالدعوة ، والغيرة على الفكرة ، والفناء فى سبيل المبدأ .

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

أسأل الله أن يعمر قلوبنا بالإخلاص ، وأن يشرح صدورنا للحق ، وأن يفتح لهَدْى الرسول أبصارنا ، وينير به بصائرنا . إنه على ما يشاء قدير .

محمد محمد المدنى

اعترافات مؤمن

للدكتور محمد مندور



لا يستطيع مثلى أن يتنكر لجلال الفكر البشرى، وهو منبع شقائنا وعزائنا على السواء، ولكننى أحسب أن هناك أنواعاً من ذلك الفكر، فالمرء قد يفكر بعقله وقد يفكر بخياله وقد يفكر بقلبه. والتفكير بالعقل هو ما ينفر منه طبعى وذلك لأنه ما لم يحلق الفكر إلى عالم الصور الجميلة بخيال قوى أو يرسب إلى أعماق القلب بحرارة حية لم تهتز له نفس ولا اطمأن إيمان، وإن كنت لسوء الحظ مضطراً كغيرى من البشر أن أكسر فى بعض الأحايين جناح الخيال وأن أطفىء حرارة القلب حين لا يكون بد من أن نتناول الأمور ببرودة العقل اللصيق بالأرض.

منذ أزمة الإيمان التى صادفتنى فى اليفاعة كما أحسبها صادفت غيرى وأنا دائم التفكير فى حقيقة ذلك الإيمان. ولقد مرت بى عقب تلك الأزمة مباشرة أعوام كنت أناقش فيها كل من ألقى عن المشاكل التى يثيرها العقل عن وجود الله وكيف كان ذلك الوجود وعن علاقته بهذا العالم وما فيه من خير وشر. ولا شك أننى كنت أبحث عندئذ على غير وعى منى عن يقين أطمئن اليه، ولكننى أعترف فى بساطة أننى ما قرأت ولا سمعت ما يوجب ذلك اليقين، حتى أصابنى ما يشبه الملل فلم أعد أطيق الحديث فى هذه الأمور، وأصبحت كلما سألنى عنها سائل أو تحدث بها متحدث رميته بالتفاهة وذلك بوعى منى أو غير وعى، ولكنها تفاهة لا يمكن أن أعفيه منها مهما بلغ سؤاله أو حديثه من عمق أو أصالة. ولقد حاولت غير مرة أن أتبين السر فى موقفى هذا فوجدته، أو خيل إلى أنى قد وجدته، فى أمرين: أولهما أن العقل نفسه نشاطه الأكبر موجه إلى تقويض ذاته، فهو لا يزال يبحث عن حدود قدرته ويتناول بالشك ما يصل اليه من آراء ونظريات يعاود فيها البحث فيقوضها حتى أصبح نقده لنفسه خليقاً بأن يهدم ثقتى فيه. وثانيهما أننى كنت أحس دائماً فى غموض أن تطاول العقل إلى ما لا يستطيعه دليل ضعف فيه لا قوة، ولهذا كم كانت فرحتى يوم سمعت عميداً لكلية الطب بباريس يقول: إن من أمارات الضعف العقلى أن نبحث بعقولنا عما لا نستطيع أن ننفذ إليه، والعقل القوى هو الذى يعرف حدود قدرته». لقد خيل إلىّ عندئذ أن هذه الألفاظ قد أضاءت مظاماً فى نفسى، فرأيت بوضوح ما كنت أحسه غامضاً. ومنذ ذلك الحين آمنت بتفاهة من يناقشنى فى الإيمان بعقله فهذا رجل ضعيف العقل مبدد لنشاطه هدراً

أنا إذن لا أحب الحديث عن الإيمان ولا أومن بالدعوة إليه، ولكننى مع ذلك مؤمن إيماناً راسخاً، وليست لى فى الحياة قوة غير هذا الإيمان، فقد تهب أعاصيرها ومن الممكن أن تتنكر لى يوماً عناصرها ذاتها، ولكن ذلك لا أظنه ينال منى شيئاً، وذلك لا اعتزازاً منى بعروض حياة أو مواهب نفس، ولكن لأننى مؤمن بإله عادل اطمأنت إليه نفسى بحيث لا أذكر أننى قد اتجهت إليه يوماً فلم أجد تأييده، وعند ما أدعوه يسكت فى نفسى طنين الفكر فلا أحس غير الصمت الساكن ولا أفكر حتى فى وسائل القوة التى أبغيها؛ وإنما أساق بعد ذلك فى غير وعى إلى تلك الوسائل كالآلة المسيرة وهى تعرض لخاطرى فى لمحات خاطفة فأسير إليها دون أن أتبين حتى مواقع أقدامى، وإنما أكتفى بما أستشعر من ثقة من أننى ما دمت قد تركت السكون إلى الحركة فإننى فى سواء السبيل. ومهما تكن بعد ذلك من صعوبات، فلا يمكن أن يساورنى شك فى أنها ستذلل ولو فى اللحظة الأخيرة وذلك هو الإيمان الهادى

من أين لى بهذا الإيمان وقد لقيت ضروباً من الناس وقرأت ألواناً من الكتب، ودرست أنواعاً من اللغات والثقافات، بل وخبرت الحياة هزلها وجدها فى كافة الأجواء وتحت مختلف السموات. أستطيع اليوم بعد أن نضجت ملكاتى أن أقول إننى لم يقنعنى أحد به، ولا اكتشفته فى بطون كتب، ولا تلقيته من أفواه بشر،

بل ولا غرسته بمواصلة القيام بشعائره كما تغرس فى النفس مختلف العادات بدوام مزاولتها، وإنما هو إحساس قديم مكنت له فى نفسى حوادث صغيرة كانت بينى وبين أبى

ولا أرى ضيراً من أن أقص طرفاً منها على القراء فتلك تجارب بشرية قد تكون أجدى فى إلقاء بعض الضوء على مشكلة خطيرة هى مشكلة الإيمان من كثير من موسوعات علوم التوحيد والكلام ، ولها على الأقل ميزة الصدق النابض بالحياة ، وهى صادرة عن نفس فيها من القوة ما لا يصرفها عن أن ترد كبار الأمور إلى صغائر الأشياء عند ما تؤمن أن تلك الحوادث الصغيرة هى الأسباب الحقيقية التى تتضاءل إلى جوارها كبرياء العقل ومغالطات الإحساس

عند ما أخذت أدرك علمت أن والدي قد بنى بأحد حقوله « خلوة » لا منفذ لها غير الباب وأنه قد هجر زوجته وأبناءه أربعين يوماً ليقيم فى تلك « الخلوة » يعبد الله فيها آناء الليل وأطراف النهار لا يرى أحداً ولا يراه أحد ، وإنما يحمل له الطعام من خصاص الباب . ولقد أثار هذا الخبر خيالى فكنت ألاحق أبى بالسؤال عنه ولكنه رجل كتوم لسره فلم أحظ منه بجواب غير أن دافعه كان عبادة الله وكفى . ثم علمت أن الشباب كان قد ساقه فى مهاويه فلم يجد عصمة خيراً من معاهدة أحد علماء الدين على التوبة إلى الله . وكان هذا العالم نقشبندى المذهب وكان رجلاً خيراً ، فلم يعد تأثيره على والدى حد توجيهه نحو تجنب الإثم ، وعبادة الله ، والإحسان إلى الناس ، وقراءة كتب الدين . ولكم من مرة حاولت أن أعرف شيئاً عن هذه الطريقة فكان أبى يرفض الإدلاء بشيء ، مكتفياً بأن يخبرني بأن تلك أسرار لا يجوز أن تباح ، ومن غريب الأمر أننى علمت منذ ثلاثة أشهر فقط أن لفظة نقشبند معناها النقش على القلب . واستنتجت من ذلك أن سر هذه العبادة هو أن يستشعر الفرد دائماً أن اسم الله منقوش على قلبه . ولقد لاقيت والدى منذ أيام فأخبرته فرحاً مسروراً أننى قد عرفت معنى اللفظة دون بحث عنه ، ولكن بتوفيق من الله ساقه إلىّ سوقاً . فدهش الرجل وقال : « هو هذا وهو سر العبادة » وإذن فقد خلا أبى لعبادة الله أربعين يوماً، وحرك خيالى لتلك الخلوة ، ولكننى لم يكشف لى عن سرها ، واقتنعت بأنه لا يجوز لى أن أتطاول إلى معرفة هذا السر ، ولقد آمن أبى سنين طويلة بأنه قد نقش اسم الله على قلبه واتخذ من هذا النقش سبيلاً إلى حده منعياً وسالباً ، وسمحت بذلك ، ولكنى أيضاً لم أكتشف سر هذا الحد ، وآمنت أنه لا يجوز لى أن أتطاول إلى كشفه ، وهكذا تهيأت نفسي إلى الإيمان بالمجهول والاطمئنان إليه والثقة به ، وأكبر ظنى أن الخير ما أراد الله . فلو أن أبى بصرنى بما أردت لخلت نفسى من الأسرار ولأصابها العقم . واتفق أن أبى لم يستطع أن يتم حجه فى بعض المرات إذ أصيب بنقرس شديد فى السويس وأنا عندئذ فى السادسة من عمرى ، وألزمه المرض الفراش عامين كاملين قاسى فيهما من الألم ألواناً حتى لا أزال حتى اليوم كلما ذكرت أنينه اقشعر جلدى. ولست أدرى لأى سبب ارتبط هذا المرض فى نفسى بالإيمان حتى لأحسبه ثمن ما أفاض الله على والدى منه، ولا زلت منذ ذلك أومن بأنه لا بد أن يبتلى الله المؤمن ليختبر إيمانه وأن المرء لا بد ناج ما سلم الإيمان فى قلبه

وعندما اختارتنى الجامعة لبعثتها حدث حادثان صغيران كان لهما فى نفسى أبلـــغ الأثر : أولهما أننى قبل سفرى رتبت كتبى فى صندوق كبير وبنير وعى منى وضعت « المصحف » على قمة الكتب ، ورأى والدى ذلك عرضا فسر سروراً لم أقصد إليه ، ولم يجاءه بتوفيق من الله . وحدث إخونى عمارأى قائلا « إن إخاكم فلان سيكون الله دائما معه وسيوفق فى كل مايعمل » فسألوه « ولم ذلك » فأجاب « لأننى لاحظت أنه وضع كتاب الله فوق كل كتاب » ثم إننى فى يوم السفر فوجئت بهدية من والدى أوصاني أن أحتفظ بها مدة غيبتى وأن أعود بها إليه ، وكانت تلك الهدية عبارة عن منديل للشيخ العالم النقشبندى الذى عاهده والدى على الهدى . ولقد أخذت المنديل واحتفظت به تسمة الأعوام التى مكثتها بأوروبا وعدت وهو لا يزال إلى اليوم بين ملابسى . ولا أستطيع أن أزعم أننى قد علقت به إيمانا خاصا أو قوة معينة بل ولا فكرت فى ذلك ، ولكنه نوع من الاطمئنان السلبي المريح . وقد اختلطت فى نفسى قيمة الهدية بمحبتى لمهديها وإيمانى به ، وكان لهذين الحادثين فضل دائم فى ردى إلى الإيمان كلما تجهمت لى الحياة .

ولقد اتخذ الإيمان فى نفسى وجهة الإحسان إلى الغير، حتى لأحسب أننى عاجز عجزا أصيلا عن بغض أحد ، فقد يقسو قلمى وقد يلذع لسانى ، ولكننى ما عدت إلى نفسى إلا أحسست بفيض من التسامح لا أستطيع دفعه . وأكبر ظنى أن هذا الاتجاه كان أيضا لإشباع من والدى ، وليسمح لى القراء أن أقص حادثا عائليا كان له فى هذا الاتجاه أكبر الأثر

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

صديق إبليس

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر بن أبي ربيعة » :

« لم أزل أرى كلثم (هي بنت سعد المخزومية زوجة عمر) أجزلَ النساء رأياً، وأصلبهن مكسراً، وأقواهُنّ على غيرة قلبها سلطاناً، حتى إذا كان مُنذ أيام رأيتُ امرأة قد استعلن ضعفها، وتهتّك عنها جَلَدُها، وعادتْ أنثى العقلِ يُغْويها الذي يغريها.

« وإن أنسَ لا أنسَ يوم احتلتُ عليها حتى دخلت إليها، وقد تهيأت لى أجملَ هيئة وزينت نفسها ومجلسها، وجلست من وراء الستر، فلما سلمتُ وجلستُ، تركتني حتى سكنت، ثم رفعت الستر عن جمال وجه يخطف الأبصار، ثم رمت في وجهى تقول: أخبرني عنك أيها الفاسق ا ألست القائل كذا وكذا؟ تعني أبياتاً لى، فما زلتُ أُفتِلُ في الذِّرْوَة والغارب، وهي تَفِدُ عليَّ وأنا مقيم عندها شهراً لا يدرى أهلي أين أنا، ولا أدرى ما فعل الله بهم. ولا والله ما مرّ عليَّ يوم إلا حسبتها امرأة قد خلقتْ بغير قلب، لما ألقاه من عنادها وامتناعها، وإني لآتيها بالسحْر بعد السحر من حديث تحنُّ عليه الموانس المتصعبات في مَرَابِي الزمن، وأنا يومئذ شاب تتفجر الصَّبْوة من لساني، ويتلألأ الغزلُ في عينيَّ، وهي يومئذ غادة غريرة لو نازعها النسيم، فيما أرى، لاستقادتْ له من دَلِّها ولينها وغضارة العيش. ولبثت شهراً أقول وأحتال وأستنزلُ عُصْمها برُقى السحر، حتى إذا قلت قد دانتْ، انفلتت مصمِّدةً قد تركتني شاخصاً أنظر إلى صيد قد طار، ثم أطرق ناظراً إلى سحر قد بطل. فلما اشتد ذلك عليَّ استأذنتها في الخروج إلى أهلي، وقد يئست منها ومن هواها، فما سمعت حتى قالت: « يمينَ الله أيها الفاسق! بعد أن فضحتني؟ لا والله لا تخرج أبداً حتى تتزوجني! » فتزوجتها وهي أحبُّ النساء إلى أن أتزوّج، وما زلتُ معها وأنا لا أنكرُ منها شيئاً، وأقول الشعر تأخذه الألسن لتشيعه

كان لوالدي تسعة إخوة وكان يحبهم جميعا حبا قلبيا صادقا حتى لقد كان يذهلني عندما يموت أحدهم أن أراه وهو الشيخ المكتوم لسره يبكي بدمع حار، وكان أصغر إخوته رجلا كريما متلافا، وكان والدي يهتز في دخيلة نفسه لكرمه وإن أحزنه إتلافه لماله، ولقد هدد هذا الإتلاف ثروته حتى أوشكت أن تضيع، وكان والدي يحرص على أن يستنقذ من تلك الثروة ما يستطيع؛ وحدث ذات يوم أن ألح الدائنون بالمطالبة وكان الوالد يستطيع عند ئذ أن يسكتهم ببعض ماله الخاص ولقد فعل، وكنت عند ئذ في السابعة عشرة من عمري وكانت والدتي كـكافة الأمهات تحرص على أن يستبقي الوالد أمواله لأبنائه، وكان أخي الأكبر يناصرها في الرأي فانتحى بي والدي في الليل ناحية وأسر لي بنيته طالبا إلى أن أخفي الأمر عن والدتي وأخي. ولقد رأيت في هذه الحركة ثقة بي برغم حداثة سني أثرت في نفسي أبلغ الأثر، فتحمست منذ ذلك اليوم لعمل الخير وآمنت أنه جزء من الإيمان حتى استقر بي الرأي إلى أن عون الملهوف وإسداء المعروف إلى الناس لا بد أن يخلفه الله بالخير على صاحبه، ولا زلت حتى اليوم أعتقد أن بركة الله قد حلت بمال والدي منذ ذلك الحين. وذلك لأنه مال لم يطهره بالزكاة فحسب، بل زكاه بالإحسان.

هذه هي عناصر الإيمان في نفسي، اطمئنان إلى المجهول، وعدم تطاول بالعقل إلا ما لا يستطيعه، وربط للأخلاق بالإيمان، وتسامح مع الناس، وعمل للمعروف حيث نستطيعه. وأما منابع ذلك الإيمان فهي كما ترى لم تكن محاجة عقلية ولا إثارة عاطفية، ولكنها حوادث صغيرة كانت أبلغ في غرسه بالنفس من كبار الموسوعات وطوال الخطب

محمد مندور
المحامي

إلى الآذان ، وأدخل بيتى فألقاها فلا أسمعُ منها قلتَ وقلتَ ! فيكرُبنى إغفالُها لما يبلغها من الشعر ، فألحُّ على النسيب ، وأذهب كل مذهب فى التشبيب ، وأتبعُ النساء بعينىْ وقلبى ، وأقولُ ، فلا والله ما نبَضَ لها قلب ولا تحركت لها جارحة ، ولقد أدخل عليها فإذا هى تلقانى ضاحكة لاهية ، حتى أقول : لعلها لم تسمعْ ! فأنادى مولاى وأملى عليه ، وهى بحيث تسمعُ ما أملى ، وأتخال الإملاء بالشكوى والحنين وأرفع بهما صوتى ، ثم أنهضُ ألقاها فما أرى وجهها يربدُّ أو يتمعّر ، فكان ذلك غيظى وشقوتى ، لا تزيدُها الأيام إلا اتقاداً . ويلمه كبدٌ بغير ثمن ! كم ذا أغيرُها فلا تغارُ !

وأقبلتُ ذلك اليوم ، بعد مرجعى من الكوفة بشهر أو أكثر ، فاستقبلنى جُوان (هو ولد عمر من كلثم) فقال : « يا أَبَهْ . أمى ، ما فعلت بها ؟ » . قلت : « أمك ! بخير يا بُنىّ وعداها السوء » . قال : « كلاَّ يا أَبَهْ ، وما أدرى ما بها ، غير أنى ظللتُ أياماً أستخبرها ، وهى خالية ، عما يريبها أو يؤذيها ، فلا أسمعُ منها إلا ما تنشده من شعرك

كُنَّا كمِثل الخمرِ كان مِزاجها
بالماء ، لا رَنَقٌ ولا تكديرُ
فإذا وذلك كان ظِلَّ سحابة
نفحتْ به فى المُعصرات دَبورُ

« ثم تنظر إلىّ وتقول : يا جُوان ، امضِ لشأنك ، ولا تدعنى فى صلاتك ، فورب هذه البنيَّة ،لقد حملتك ووضعتك وأنا أدعو الله أن يُجنبنى الشيطانَ ، وأن يجنب الشيطانَ ما رزقنى ، فكنتَ أنتَ يا بُنىّ دعوتى، فادعُ ربك يا جُوان لأمك التى حملتك وهناً على وَهن .

فإنك ما شئتَ على ما اقتضى كل وَصْل مُنتقض ذاهبُ
لو يردُّ الدمعُ شيئاً ، لقد ردَّ شيئاً دمعك الساكبُ

فأقول : « يا أماه لقد أفزعتينى ! » فتقول : « اذهبْ يا بُنىّ « لو تُركَ القَطا ليلاً لنام » . ثم تشيح وتنصرف ، ولا والله ما قدرتُ منها على أكثر من أن أسألها فتجيبنى بمثل ما أخبرتُك . فبالله ، يا أَبَهْ ، لا تدع أمي تموتُ بحسرة تتساقط عليها نفسُها ! ارحمها يرحمك الله .

ويذهبُ جُوان ويدعُنى لما بى ، ويأخذنى ما حدُث وما قَدُم ، وكيف ولم أنكرْ منك يا كلثم شيئاً منذ رجعت من غيبتى بالكوفة ؟ وإنى لأدخُل عليها فتداعبنى وتضحكُ لى وتذهبُ بى فى لهوها مذاهبَ ، ولا والله إنْ وقعتُ منها على مساءة تضمرها أو همّ تكتمه ، وكأن الحياة قد منعتْ دونها غِيَرَ النفس فهى لاتتغير . وهذا جُوان يقول ، فلئن صَدَقَ لقد كذبتنى عيناى وكذبَ علىّ قلبى ، وإن كلثم لتلهو بى وتتلعّبُ وأنا فى غفلة عن كُبرْ شأنها وأساها ! وأذهب من ساعتى أدورُ فى الدار أنظر ، فإذا كلّ شىء أراهُ قد لبس من همّ نفسي غلالة سوداء نشأت بينى وبينه ، وإذا أيامنا المواضى قد بُعثتْ فى أسمال هلاهيل تطوف متضائلة فى جنباتِ البيت وهى تنظرُ إلىّ نظرة الذليل المطرَّد المنبوذ ، وإذا كلثم قد خرجت إلىّ كاللبؤة الحَرِبة ريعتْ أشبالها ، وإذا أنا أسمعُ همهمة كأنين الجريح تنفذُ فى أذنىّ من حيثما أصغيتُ ، وما هو إلا أن أرانى فى فراشى قد توكأتُ على مرفقى ، والغشيةُ التى أخذتنى تتقشعُ عنى شيئاً بعد شىء . وبعد لأىٍ ما ذكرت ما كان من حديث جُوان كما كان ، فنهضت من مكانى أطلب كلثم فى غرفتها حيث هى من البيت .

وقصدت مقصورتها فإذا هى قد أجافت الباب ، فذهبتُ أفتحه وإنّ يدى لتأبى علىّ أن تمتد خشية أن أطلع منها على ما يسوءنى ، وهى أحبُّ إلىّ من أن أراها مغمومة أو مكروبة ، على غير ما عودتنى وعودتها . فاستأذنها من ورائه فقالت : « مهلاً يا أبا الخطاب ، وبخير ما جئت » . فقلت لنفسى : « كذبَ والله جُوان وما كان كاذباً » . فلما فتحتْ لى الباب رأيتُ سُنة وجه كالسيف الصقيل يبرق شباباً ورضى ، وقالت : « مرحباً بك يا عمر ، لو رأيت الساعة جاريتى وهى تدخلُ علىّ ساعية تجرى تقول : سيدتى أدركى مولاى فقد سمعت الناس يتناشدون من شعر قاله اليوم ، وإذا فيه

ليس حبٌّ فوق ما أحببتُها غير أن أقتل نفسى أو أُجنّْ

فاحفظيه يا سيدتى من روعة المصيبتين . فقلت لها : لقد وقى مولاك السوء أن ليس بينه وبين الناس إلا لسانه ! ولا يقتل مولاك نفسه أو يجنّ حتى يقتل الحمام نفسه على هديله أو يجنّ . »

لم أدر ما أقول، فقد كانت كلمات جوان قد تشبَّحت لعينيّ ودوَّت فى أذنى، فما أطقت صبراً أن أسألها: «ما يقول جوان؟ زعم أنك لا تزالين مهمومة لأمر يستخبرك عنه فلا تخبرينه، ولقد مضت السنون بينى وبينك، ولا والله ما علمت إلا خيراً ولا رأيت إلا خيراً، وما قال إلا ما يحملنى آسى على ما كان منى إليك مما ساءك أو رابك». وما كدت أتمّ حتى رأيتها تنتفض كالرشأ المذعور أفزعته النبأة، وبَرِقت فتخاذلت وغرق صوتها فما تنطق، فخاصرتها ومشيت بها إلى مجلس فى البيت وجلست أتحفّى بها حتى تهدأ. وبعد قليل ما قالت: «أما إذا كان هذا يا أبا الخطاب فوالله إن كتمتك شيئاً».

ثم أطرقت ساعة، وأنا أنفذها ببصرى أطلب غيب ضميره. ثم رفعت إلىّ بصرها ونظرت نظرة المرتاب ثم قالت «إنى محدّثتك يا أبا الخطاب عما كان كيف كان. هذه جاريتى ظمياء تدخل علىّ كالمجنونة منذ أيام تقول: «سيدتى، يمين الله أن تكتمى علىّ ما أقول» فأقول: «أمنتِ يا ظمياء! ما يروعك؟» فتقول: «لا والله ما يروعنى إلا أن أدع مولاتى توصم بين نساء قريش وبنى مخزوم، ويتحدث أهل مكة أن أم جوان قد لقيت من البلاء كذا وكذا». فأقول: «ويبك يا ظمياء! انظرى ما تقولين!». فتقول: «لا والله إن هو إلا الحق، أرأيت إلى تلك البيضاء الصهباء ذات العينين التى ما زالت تجيئنى منذ أيام، لقد قالت لى فى عُرض حديثها: يا ظمياء لقد جئت مكة من بلادٍ بعيدة، وإنى لأسمع الناس على الطريق يذكرونها ويذكرون بيت الله الحرام، فما ازددت إلا شوقاً أن أرى بيت الله الحرام، وأن أرى الناس يجاورون هذا البيت العتيق، وما وقع فى قلبى إلا أن أرى دنيا لم أرها، وقوماً كتب الله لهم أن يكونوا أطهر وأتقى الناس لله. ولقد خرجتُ من بلادى وهى أبغض إلىّ لما أرى من فجور أهلها وانغماسهم فى كل إثم وباطل، وكنت أرى أشد أهلنا فجوراً ولجاجاً أولئك الشعراء. ثم دخلت بلادكم وطوّفت فيها ما طوّفت حتى إذا انتهيت إلى أرضكم هذه، لم أزل أعرف الشعراء فيكم أفجر وأفسق وأضلّ».

«فما أطقت أن أصبر يا مولاتى حتى قلت: «مَه يا صهباء، وكذبتِ. وأين بنو الأصفر من بنى يعرب؟ فإن شاعر العرب ليقول، وإن قلبه لأطهر من أن يدنسه ما يدنس به شعراؤكم أنفسهم يا بنى الأصفر. وهذا مولاى وهو أغزل العرب لساناً، وما علم أحد عليه سوءاً. قالت صهباء: ما أحسن ما رباك أهلك يا ظمياء! وأحسنى ما شئت ظنك فى مولاك. قلت: تبًّا لك. وإنك لتريغين إلى مولاى منذ اليوم، فلا والله لقد كذبتِ وخسئتِ أيتها الصهباء الطارئة التى لا مولى لها. فقالت صهباء: كذبتُ وخسئتُ! ما أصدق ما قال مواليك «من دخل ظَفار حمّر»! وإنك لغريرة يا ظمياء، وأنا الصهباء الطارئة من بنات الأصفر لأخبر منك بغيب مولاك عمر. قلت: كيف قلتِ؟ قالت: إنه الحق، وإن لمولاك غيباً عميت عنه عينك وعين مولاتك، وهو أحرص عليه من أن يطلع على خَبْئه أحد. قلت وأنَّى لك أيتها الغريبة؟ قالت: دعى عنك، فهو الذى أحدثك.

«ثم دنت منى كالتى تسرُّ إلىّ وقالت: ما كذبتك أيتها الحُلوة الغريرة، فهذا مولاكِ قد ذهب إلى الكوفة منذ زمن، ألم يكن ذلك؟ وهذا مولاكِ قد نزل بأفسق خلق الله وأخبثهم عبد الله بن هلال الحيرى الذى يزعُم أنه صديق إبليس وخَتَنُه وصاحب سرّه، وإذا هذا الفاجر يخرج إليه قينتين من أجمل خلق الله وأحسنه يغنيانه بشعره حتى ذهب عقله، وإذا هو يدير مولاك يوما بعد يوم على أن يُفتَتن بهما، حتى إذا بلغ منه ما أراد ضمن له أن تكونا بالطائف بحيث لا تراهما عين بشر. لا تنظرى إلىّ كالمرتابة، فهذا الخبيث ابن هلال قد ألقى الطاعة إلى إبليس حتى عظُم أمره عنده فهو يُخدِمه ويناطقه، وحتى لقد ترك له صلاة العصر تقربا إليه، وحتى أباحه إبليس أن يأمر الشياطين تتلعّب ببنى آدم، ومن شرطه عليه أن لا يزال أبداً يجمع بين الرجال والنساء فى الحرام. وهو رجل كما يقول مولاى ...» قالت ظمياء: وإن لك لمولى يا صهباء؟ قالت صهباء: دعينى حتى أتمّ يا ظمياء .. هو رجل قد أوتى من القوة على السحر والقدرة على تلبيس أنظار الناس ما لم يجتمع لأحد من شياطين السحرة قبله، فلو هوّس وجه امرئ بمنديله الأزرق ذى الوشى لم تأخذه عين بشر. وهكذا هو يفعل بمولاك وصاحبتيه حتى لا يراهم الناس. قالت ظمياء: وإنّ هذا يكون؟! قالت صهباء: نعم! وليس فى الأرض أحدٌ يطيق أن يدرأ شر هذا الشيطان الخبيث إلا مولاى. فقالت لها ظمياء: ولكن أنى لمولاك يا صهباء أن يكون عرف الذى خبرتنى به إن كان ما تقولين عن

نظام الشورى في الإسلام

بين الكثرة والقلة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي



كم فى السيرة النبوية من أسرار تشريعية لو رجعنا إليها لأغنتنا عن الاستعانة بغيرها من التشريعات المنحرفة ، فى عصر ضلت فيه السياسة ضلالاً بعيــــداً ، وطغت فيـــه التعصبات الحزبية حتى أعمت الأمم عن النظر فى مصالحها العامة ، وآثرت عليه النظر فى مصالحها الحزبية ، وحتى ثارت فى كل أمة خصومات وخلافات خطيرة تفرق كلمتها ، وتقضى على الأخضر واليابس فيها ، لأن الحكومة تقوم فيها على أساس الحزبية ، فكل حزب يعمل كل مايوصله إلى الحكم ، ويرى مصلحته فى هذا فوق غيرها من المصالح

وقد أخذنا نظمنا الحديثة فى الشورى عن تلك الأمم ، وقلدناها فى تلك السياسة الحزبية العمياء ، فضللنا وجه الصواب كما ضلت ، وأخذنا نتخبط فى حكمنا مثلها تخبطا معيبا ، حتى اضطربت أمور الحكم فينا ، وحرمنا من الاستقرار الذى نتفرغ فيه لمصالحنا

ولو رجعنا إلى السيرة النبوية لوجدناها قد سنت نظام الشورى على وجه يسود فيه التسامح ، ولا يغلو فيه التعصب للرأى إلى ذلك الحد المعيب ، فسارت سياسة الحكم فى هدوء ، واستقر الأمر استقراراً ظهر فيه الحق بوضوح ، فلم يعمه عن أعين الناس تعصب للرأى ، ولم يصرف الأمة عن مصلحتها العامة مثل ذلك التغالى فى الخلاف

مولاى مما سمعته منه ؟ قالت ظمياء : فدنت منّى ونظرتْ فى عينىْ بعينين مذعورتين يخفقُ فيهما مثل شقائق البرق ، ثم قالت : مامن شىء يفعله هذا الخبيث ابن هلالٍ حيث كان إلاّ كانَ عند سيّدى خبرُه . فقالت لها ظمياء : وَيْبى ! أحقّـًا قلت ياصهباء ؟ قالت : وَىْ ، أو كنتُ كاذبةً عليك وما أنا وأنت إلاّ من هذه الجوارى الغريبات المستضعفات ؟ ومالك تكذّبينى وإنّ عندى من برهانٍ ذلك مالا قِبلَ لك بردّه . قالت ظمياء : بالله ! قالت : بالله ، فاذهبى إلى صِوَانِ سيّدك فى هذه الغرفة التى إلى جوارنا ، وأخرجى من بين المِطرف السابع والثامن من ثياب مولاكِ ماتجدين !

[قالت كاتم امرأة ابن أبى زبيعة] :

« فهبّت ظمياء فدخلت إلى صِوانك (تعنى عمر) فأخرجت شيئاً رجعتْ به إلى صهباء . ثم إذا هى تدخلُ علىّ وتنفضُ قِصّة ماكان ، فأمرتها أن تأتينى بصهباء لأسمع ماتقول ، فروت لى كل ما حدثتك به يا أبا الخطّاب .

(قال عمر بن أبى ربيعة) :

« فما عالكت أن قلت لكاتم : ماتقولين ؟ وأى شىء هذا الذى كان بين مطرف السابع والثامن ؟ فقالت كاتم رُويدكَ ياعمر ، إما أن تدعنى أتمّ وإلاّ والله لاسمعتَ منى شيئاً حتى يقطَعَ الموت بينى وبينك . قلت : ويحك ، فأتمّى :

قالت كاتم . « ثم إنى سألتُ صهباء عن سيدها ومولاها ، فقالت إنه رجل صالح يسيح فى الأرض ، وإنه قد جاء لحج حِجّتِهُ وهو على سَفَرِه بعد قليل يضرب فى البادية حيث يشاء الله . قلت لها : أو يعلم مولاك من أمر ماتحدثينى عنه أكثر مما قلتِ ؟ قالت : لاأدرى يامولاتى ، فإنه ربما دعانى ويجمل يحدثني ويحدثنى حتى أقول لن يَسْكُتَ ، وما هو إلا كخاطفة البرق حتى يقطع فلا يتكلم . فربما عدت فسألته فلا والله مايزيد على أن ينظر إلى ويبتسم . قلتُ لها . أو تستطيعين ياصهباء أن تأتينى بمولاك ، ولك عندى مائة دينار ؟ كلا لا نلت من مال مولاتى شيئاً ، ولكنى سأديرُه حتى يأتيك لما أرى فى وَجهك من الخير والسّعْد

(البقية فى العدد القادم)

محمود محمد شاكر

وقد تم ذلك فى غزوة أحد من غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت فى السنة الثالثة من الهجرة ، فقد وقع فيها خلاف بين المسلمين انقسموا فيه إلى فريقين : أحدهما يمثل الكثرة ، وثانيهما يمثل القلة ، فحل الخلاف بينهما على وجه لا أثر فيه للتعصب ، ولا يمكن أن يكون هناك أتم منه فى وجوه الشورى

وكان ذلك الخلاف أن رجالا من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر ، لما كانوا يسمعونه من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بفضل من شهدها ، وعظيم ثوابه ، فكانوا يودون غزوة ينالون فيها مثل ماناله أهل بدر وإن استشهدوا ، فلما سار المشركون فى غزوة أحد إلى المدينة رأوا أن يخرجوا منها لقتالهم ، وعرضوا رأيهم هذا على النبى صلى الله عليه وسلم

فنام صلى الله عليه وسلم ليلته فرأى رؤيا ، فلما أصبح قال : والله إنى قد رأيت خيرا : رأيت بقرا تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وإنى رأيت أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ينزلون حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم ورموا من فوق البيوت

وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، وجعلوا فيها الآطام والحصون ، فكانت حصنا قويا لأهلها ، وكان الرأى أن يقيموا فيها ، كما فعلوا بعد ذلك فى غزوة الأحزاب ، فلم يقو المشركون على اقتحامها على المسلمين ، وكانت جموعهم فيها أكثر من جموعهم فى غزوة أحد

فقال أولئك القوم الذين أسفوا على مافاتهم من مشهد بدر ، وغالبهم أحداث لم يمكنهم أن يشهد تلك الغزوة الكبرى ، فأحبوا لقاء العدو وطلبوا الشهادة فأكرمهم الله تعالى بها : يارسول الله ، إنا كنا نتمنى هذا اليوم ، أخرج بنا إلى أعدائنا لايرون أنا جبنا عنهم وضعفنا

وقد رأى عبد الله بن أبى رئيس المنافقين تلك الرغبة الصادقة فى القتال من أولئك الشبان ، فساءه ذلك منهم ، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : أقم بالمدينة لاتخرج اليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا

ومثل هذا لايحمد من عبد الله بن أبى وإن وافق فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق ليس فى كلمة تقال ، ولا فى فعل يظهر بين الناس ، بل لابد مع هذا من صدق النية ، وحسن القصد ، وقد عول الإسلام على النية فى الأقوال والأفعال اكثر من التعويل على الأقوال والأفعال فى ذاتها ، حتى أثر فيه ذلك القول المشهور : نية المرء خير من عمله

فلما سمع أولئك الشبان ذلك القول من عبد الله بن أبى لم يأبهوا له ، واجتهدوا فى حمل النبى صلى الله عليه وسلم على رأيهم ، وقال حمزة وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الأنصار : إنا نخشى يارسول الله أن يظن أعداؤنا أنا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم ، فيكون هذا جراءة منهم علينا . وزاد حمزة : والذى أنزل عليك الكتاب ، لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة . وقال النعمان : يارسول الله ، لاتحرمنا الجنة ، فوالذى نفسى بيده لأدخلنها . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لِمَهْ . فقال : لأنى أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : صدقت . وقد استشهد رضى الله عنه فى هذه الموقعة

وقد نظر النبى صلى الله عليه وسلم فوجد أن الذين يرون من أصحابه رأى أولئك الشبان أكثر من الذين يرون رأيه ، فنزل طائعا على رأى ذلك الفريق الذى كان أكثر عدداً ، وترك رأيه إلى رأيهم ، وهو الرئيس الأعلى ، والرسول المبعوث إلى الناس كافة ، لأنه رأى أن من يوافقه فى الرأى أقل عددا من الفريق الأول ، فلم ينظر إلى شخصه فى ذلك الخلاف ، وإنما نظر إلى التشريع الذى يجب أن يُسَنّ فى تلك الحادثة من الشورى التى شرعها فى الإسلام ، ليستقيم للمسلمين أمرهم فيها ، ولايقعوا في ذلك التعصب الأعمى للرأى ، فتنقلب نعمة الشورى نقمة ، ويضل الناس بها سبيل الحكم الصالح ، وبهذا علم المسلمون أنه يجب عند اختلاف الرأى فى الشورى أن ينزل الفريق الأقل عددا على رأى الفريق الأكثر عددا ، وإن كان يرى أن رأيه هو الأرجح ، لأن مخالفة الكثرة أشد ضررا ، وكما يجب تقديم النافع على الضار ، يجب تقديم الأخف ضررا على الأشد ضررا

ولما نزل النبي صلى الله على رأى تلك الكثرة صلى بالناس الجمعة ، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد في التأهب للقتال ، وأخبرهم بأن لهم النصر ماصبروا ، ففرح الناس لذلك فرحا شديدا ، ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا ، وحضر أهل العوالى وهى القرى التى حول المدينة من جهة نجد ، فدخل حجرته ولبس عُدَّتَه ، وتقلد السيف ، وألقى التُّرْسَ وراء ظهره

وقد اصطف الناس مابين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير : استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج ، وقلتم له ماقلتم والوحى ينزل عليه من السماء ، فردوا اليه الأمر

ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد لبس لَأْمَتَه ، وتقلد سيفه ، فندموا جميعا على ماصنعوا ، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ماشئت ، وفى رواية — مابدا لك — وفى أخرى — فإن شئت فاقعد

وإنه لإيثار جميل من تلك الكثرة ، ولم يحملهم عليه إلا بدء النبي صلى الله عليه وسلم قبلهم بإيثار رأيهم على رأيه ، حفظا للوحدة ، وحذرا من الفرقة ، وإذا كانت فضيلة الإيثار جميلة فيما يملك الإنسان من مال ، فكم يكون جمالها فيما يميز به من رأى ، والرأى عند الإنسان أشرف من المال ، وكم ضحي بالمال فى سبيل الرأى ، ولكن فضيلة الإيثار كانت ظاهرة ذلك العهد النبيل ، فلا غرو أن تبادل تلك الكثرة النبي صلى الله عليه وسلم إيثارا بإيثار ، وأن تترك رأيها إلى رأيه طائعة مختارة ، بعد أن جاهدت فى تأييده ماجاهدت ، وناضلت فى الدفاع عنه ماناضلت

ولكن النبي صلى عليه وسلم رأى أن رأيه كان هو الارجح قبل أن يؤثر رأيهم على رأيه ، وقبل أن يلبس لأمته ويتقلد سيفه ، فأما بعد ذلك فقد اتفق رأيهم جميعاً على الخروج ، فاذا رجعوا عنه لم ير الأعداء إلا أنهم جبنوا عن قتالهم ، فيحملهم ذلك على الطمع فيهم ، ويعطيهم قوة معنوية يكون لها أثرها فى قتالهم

فقال لأولئك الذين تركوا رأيهم إلى رأيه فى القعود بالمدينة : ماينبغى لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . وفى رواية — لاينبغى لنبي إذا أخذ لأمة الحرب ، وأذَّنَ فى الناس بالخروج إلى العدو ، أن يرجع حتى يقاتل . فياله من عهد كريم بلغ فيه حكم الشورى غاية الكمال ، ولم تتفرق فيه الأمة إلى أحزاب متخاصمة على الحكم ، بل ظهرت فيه كتلة واحدة ، إذا اتفق أفرادها فرائدهم المصلحة العامة ، لامصلحة حزب من الاحزاب ، وإذا اختلف أفرادها فرائدهم تلك المصلحة أيضا ، لأنهم لاينقسمون إلى أحزاب ينافس بعضها بعضا ، ويحملهم التعصب لها على نسيان مصلحة الأمة فى نبذ التفرق ، وإيثار الوفاق على الخلاف

وإذا نفخر فى عصرنا قوم بنظام الشورى عندهم ، فهذا نظام الشورى عندنا قد بلغ غاية الكمال ، وخلا من العيوب التى يرمى بها حكم الشورى فى عصرنا ، ويجعل بعض الناس يفضل عليه الحكم الاستبدادى ، وأين تشريع البشر من تشريع الله تعالى ؟ فلا تشريع أكمل من تشريعه ، ولا حكم أعدل من حكمه ، فتبارك الله أعدل الحاكمين ، وأحسن الخالقين

عبد المتعال الصعيدى

التصوير الفني في القرآن

للأستاذ سيد قطب



التصوير هو الطريقة المفضلة فى تعبير القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى، والحالة النفسية، وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية، وعن الحادث والمشهد المنظور، كما سواء فى طريقة التعبير المحسوس. وإنه ليرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد والقصص، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول، الذى وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع، وأمر يكون:

فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث؛ وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة...

إنها الحياةُ هنا. وليست حكايةَ الحياة

فإذا ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى والحالة النفسية، وتشخص النموذجى الإنسانى أو الحادث المروى؛ إنما هى ألفاظ جامدة، لا ألوان تصور، ولا شخوص تعبر... أدركنا سر الإعجاز فى تعبير القرآن.

والأمثلة على هذا الذى نقول هو القرآن كله، حينما نعرض لغرض من الأغراض التى ذكرناها: حينما شاء أن يعبر عن معنى مجرد أو حالة نفسية أو صفة معنوية أو نموذج إنسانى، أو قصة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب؛ أو حينما أراد أن يضرب مثلاً فى جدل، بل حينما أراد هذا الجدل إطلاقاً، واعتمد فيه على الواقع المحسوس، أو التخييل المنظور.

وهذا هو الذى عنيناه حينما قلنا: « إن التصوير هو الطريقة المفضلة فى تعبير القرآن ». فليس هو حلية أسلوب، ولا فلتة تقع حيثما اتفق. إنما هو مذهب مقرر، وخطة موحدة، وخاصية شاملة. يَفْتَنّ فى استخدامها على طرائق شتى، وفى أوضاع مختلفة. ولكنها ترجع فى النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير.

ويجب أن نتوسع فى معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير فى القرآن. فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة — عن طريق التخييل — كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون فى التمثيل. وكثيراً مايشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، وإيقاع الجمل، وموسيقى السياق، فى إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان. وهو تصوير حى منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات. فالمعانى ترسم وهى تتفاعل فى نفوس آدمية حية، أو فى مشاهد طبيعية تخلع عليها الحياة... والآن نأخذ فى ضرب الأمثال

١ — يريد أن يعبر عن معنى: إن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله ولن يدخلوا الجنة إطلاقاً »، وأن دخولهم فيها مستحيل. وهذه هى الطريقة الذهنية للتعبير عن هذه المعانى المجردة؛ ولكن أسلوب التصوير يعرضها فى الصورة الآتية:

« إن الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها، لا تُفتّح لهم أبوابُ السماء، ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجملُ فى سَمِّ الخِياط »

ويدعك ترسم بخيالك مشهداً لتفتُّح أبواب السماء، ومشهداً آخر لولوج الحبل الغليظ في ثقب الإبرة الصغير. « ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم « الجمل » خاصة في هذا المقام ! » . ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالمشهدين ما شاء له التأثر، ليستقر معنى « القبول » ومعنى « الاستحالة » في أعماق النفس، وقد وردا إليها من طريق العين والحس — تخييلا — وعبرا إليها من منافذ شتى، لا من منفذ الذهن وحده، في سرعة الذهن التجريدية.

٢ — ويريد أن يوضح حالة نفسية لتزعزع العقيدة، حيث لا يستقر الإنسان على يقين، ولا يحتمل كل ما يصادفه من الشدائد في سبيل عقيدته القوية، مبتعداً بها عن ملابسات الحياة اليومية، مرتفعاً بها عن مقاييس الربح والخسارة. فإذا هو يرسم لها هذه الصورة المحسوسة.

« ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه. خسر الدنيا والآخرة. ذلك هو الخسران المبين »

إن الخيال ليكاد يجسم هذا « الحرف » الذي يعبد الله عليه هذا « النموذج » من الناس. إنه يتخيل الاضطراب المادي لهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع النفسي، بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع لأنها تنطبع في الحس، وتتصل منه بالنفس

وإني لأذكر الآن تلك الصورة التي ارتسمت في خيالي وأنا طفل صغير، أقرأ القرآن في المدرسة الأولية، حينما وصلت إلى هذه الآية. لقد خيل لي رجل على مكان مرتفع ذي حرف؛ وهو قائم يصلي، ورجلاه لا تثبتان على حرف المكان، فهو يتأرجح في كل حركة، وهو معرض للسقوط في أي لحظة !

ترى يبعد تصوري الآن كثيراً عن هذه الصورة الساذجة ؟ ما أظن. فالاختلاف الذي طرأ، هو مجرد علمي اليوم، بأن هذا مثل يضرب لا حقيقة تشهد.

وذلك هو إعجاز التعبير، الذي تتقارب في إدراكه شتى المدارك، ويصل كل منها إلى صورة حية مع اختلاف الأفهام !

٣ — ويريد أن يرسم نموذجاً إنسانياً للمكابر المعاند في كل زمان ومكان. فإذا هو يرسمه في يسر وسرعة ودقة على هذا المنوال :

« ولو فتحنا عليهم باباً من السماء، فظلوا فيه يعرجون. لقالوا : إنما سُكِّرت أبصارنا، بل نحن قوم مسحورون » !

أو :

« ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس، فلمسوه بأيديهم. لقال الذين كفروا : إنْ هذا إلا سحر مبين » !

فيبرز من خلال هاتين الصورتين، نموذج إنساني معهود. لهؤلاء الذين يلجون في المكابرة على الرغم من كل برهان. ولكن القرآن لا يقول كهذا الذي تقول : يلجون في المكابرة على الرغم من كل برهان — إنه ليرسم لهم صورة شاخصة أوضح من كل تعبير، لأنها تلمس الحس والضمير.

٤ — ثم ها هو ذا يصور حادثاً وقع : مشهداً من مشاهد الهزيمة. فيرسم المشهد كاملاً تبرز فيه الحركات الظاهرة، والانفعالات المضمرة، وتلتقي فيه الصورة الحسية بالصورة النفسية، كأنما يُمثَّل الحادث من جديد، ويقع مرة أخرى كما وقع في المرة الأولى، دون أن يُغفل منه قليل ولا كثير :

« يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جاءتكم جنود، فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيراً. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتُلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديداً. وإذ يقول المنافقون، والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً. وإذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مُقام لكم، فارجعوا. ويستأذن فريق منهم النبيّ يقولون : إن بيوتنا عورة — وما هي بعورة — إن يريدون إلا فراراً » .

فأية حركة نفسية أو حسية من حركات الهزيمة ؟ وأية سمة من سمات الموقف الكثيرة، لم يسجلها هذا الشريط الدقيق المتحرك المساوق لحركة الموقف الأصيل ؟

٥ — وهذا مشهد واحد من مشاهد القصص الكثيرة ، مشهد فى قصة الطوفان .

« وهى تجرى بهم فى موج كالجبال » وفى هذه اللحظة تتنبه فى نوح عاطفة الأبوة . فإن هناك ابنا له لم يؤمن ، وإنه ليعلم أنه مغرق مع المغرقين . ولكن ها هو ذا الموج يطغى ، فيتغلب « الانسان » فى نفس نوح على « النبى » وبروح فى لهفة وضراعة ينادى ابنه :

« ونادى نوح ابنه ـ وكان فى معزل ـ يا بنى اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين » .

ولكن البُنوَّة العاقة لا تحفل هذه العاطفة ، والفتوة المغرورة تعتمد على القوة الشخصية .

(قال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء . قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) .

وفى لحظة تتغير صفحة المشهد فى تعبير خاطف ، يصور الموجة العاتية تطغى على كل شىء : (وحال بينهما الموج . فكان من المغرقين) .

إن السامع ليمسك أنفاسه فى هذه اللحظات القصار : «وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ؛ ونوح الوالد الملهوف، يبعث بالنداء تلو النداء ، وابنه الفتى المغرور، يأبى اجابة الدعاء، والموجة العاتية تحسم الموقف فى لحظة ؛ فكان من المغرقين » .

وإن الهول هنا ليقاس بمداه فى النفس الحية — بين الوالد والمولود كما يقاس بمداه فى الطبيعة ، حيث يطغى الطوفان ، على الذرى والوديان وإنهما لمقياسان متكافئان !

٦ — والآن فإلى مشهد من مشاهد القيامة :

« يوم يدع الداع إلى شىء نُكُر . خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مُهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » .

فهذا مشهد من مشاهد الحشر مختصر سريع ، ولكنه شاخص متحرك ، مكتمل السمات والحركات : هذه جموع خارجة من الأجداث فى لحظة واحدة كأنها جراد منتشر — ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور هذا المشهد العجيب — وهذه الجموع ، تسرع فى سيرها نحو الداعى ، دون أن تعرف لمَ يدعوها ، فهو يدعوها إلى « شىء نكر » لا تدريه « خشعاً أبصارهم » وهذا يكمل الصورة ويعطيها السمة الأخيرة . وفى وسط هذا التجمع والإسراع والخشوع « يقول الكافرون : هذا يوم عسر » .

فماذا بقى من المشهد لم يشخص بعد هذه العبارات القصار ؟

٧ — فإذا طرق القرآن موضوع الجدل حول إحياء الموتى مثلا ، صاغه فى قالب التصوير المؤثر ، ولمس به الحس والوجدان ، فيما ترى العين وفيما يستشعر الضمير :

« الله الذى يرسل الرياح ، فتثير سحابا ، فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً ، فترى الودق يخرج من خلاله ؛ فإذا أصاب به من يشاء من عباده ، إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لَمُبْلِسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها . إن ذلك لمحيى الموتى ، وهو على كل شىء قدير » .

هكذا مشهد بعد مشهد: إرسال الرياح . إثارة السحاب . بسطه فى السماء . جعله متراكما . خروج المطر من خلاله. نزول المطر ، استبشار من يصيبهم بعد يأسهم . إحياء الأرض بعد موتها ... لينتقل من هذه المشاهد المتتابعة بعد استعراضها للعين والخيال ، وبعد تركها تؤثر فى النفس على مهل إلى : « إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » فى أنسب اللحظات النفسية بهذا التقرير

* * *

هذه نماذج قليلة لطريقة القرآن العامة فى التعبير عن جميع الأغراض ، سواء كان الغرض تبشيراً أو تحذيراً . قصة وقعت أو حادثاً سيقع . منطقاً للاقناع . أو دعوة للايمان . وصفاً للحياة الدنيا أو للحياة الأخرى . تمثيلا لمحسوس أو ملموس . إبرازاً لظاهر أو لمضمر . بيانا لخاطر فى الضمير أو لمشهد منظور .

هذه الطريقة الموحدة . هذه القاعدة الكبيرة . هى : « التصوير » فى أرقى آفاق التصوير .

سيد قطب

شهيد كربلاء

للأستاذ محمود الخفيف



خفقتُ اليراعَ لذكرى الشهيدِ   وأشفقتُ من ذلكَ المطلبِ
وحيّرَ شعرىَ هذا الجلالُ   فهل من سبيلٍ إلى مأربى ؟
لذكرى الحسينِ خفقتُ اليراعَ   وأكبرتُ ذكراهُ من مذهبى
لذكرى الأبىِّ النجيدِ الفتىِّ
الكريمِ الزكىِّ ابنِ بنتِ النبى

هلالةَ الحرمِ ، لونُ السماءِ   على جانبيكَ خيالُ الدمِ
ترقرقَ فى الأفقِ هذا النجيعُ   وألقى الخضابَ على الأنجمِ
وجرَّ عليه السوادَ الدجى   فباتَ به الأفقُ فى مأتمِ
طيوفٌ تردّدُ فى خاطرى   لكلِّ معانى الأسى تنتمى

خيالٌ يؤرقنى فى الدجى   وأمحو الغداةَ على ذكرهِ
تفيضُ له أدمعى الغالياتُ   ويذهلُ قلبىَ عن صبرهِ
وإنى تجلدُ أقلَّ الخطوبِ   بعزمٍ تخاذلَ عن قهرهِ
وأحبسُ دمعى فكم داهمتنى   صروفُ الزمانِ فلم أجرهِ

فتى هاشمٍ يا غليلى له   جرى دمهُ أنهراً وانتثر
وقُطّعَ كالشاةِ سبطُ الرسولِ   وبشّرَ قاتلهُ وافتخر
وهامتهُ مثلُ رأسِ الجزورِ   على كفِّ جازرهِ تُنتهر
على فمهِ قُبلاتُ النبىِّ   وفى نحرهِ الرضا بالقدر

على الدهرِ رُزءٌ لعمرى جديدٌ   وإنْ قدمَ العهدُ بالواقعه
غليلى له وقدةٌ فى حشاىَ   وعيناىَ كالمزنةِ الهامعه
قليلٌ له ما تريقُ الجفونُ   وما تحملُ الأنفسُ الجازعه
دعوتُ القريضَ فخرَّ القريضُ   وحارتْ يراعتىَ الخاشعه

تأسَّ وهاتِ حديثَ الشهيدِ   حبيسَ الدموعِ كظيمَ الألمْ
فما فى البطولاتِ يحلو البكاءُ   ولكنْ معانى الفدا والشممْ
ستطوى العصورُ وذكرى الحسينِ
على الدهرِ تخفقُ خفقَ العلمْ
إمامُ الهدى زينةُ المتقين   منارُ الحجازِ العلىُّ الشممْ

مناطُ الخلافةِ من هاشمٍ   دعا باسمهِ نفرٌ بالعراقِ
أبوا أن يطيعوا يزيدَ وقالوا   أميةُ فى الناسِ أصلُ الشقاقِ
ألم يدعُ فى الشامِ جهراً أبوه   إلى فتنةٍ بعدَ سوءِ اختلاقِ ؟
وما نالَ ما نالهُ من علىٍّ   بغيرِ الأذى والخنى والنفاقِ !

ولما قضى نحبهُ غيلةً   علىٌّ وطاحَ الردى بالحسنْ
وساسَ معاويةُ المسلمينَ   تكشّفَ من أمرهِ ما بطنْ
فأنكرَ فى الحكمِ شورى الأمورِ
ودلَّ بسلطانهِ وافتتنْ
ومهّدَ من بعدهِ لابنهِ   فنالَ العهودَ بكلِّ ثمنْ

وباتَ على الضغنِ أهلُ الحجازِ   يسرّونَ سخطاً على الظالمِ
فللموتُ أيسرُ من طاعةٍ   لسيفِ معاويةَ الغاشمِ
أباةٌ فما عرفوا زلفةً   ولا رهبوا سطوةَ الحاكمِ
يرونَ الخلافةَ شورى فلا   أميةَ بالرأيِ أو هاشمِ

دعاهُ إلى الكوفةِ الثائرونَ   يقولونَ إنّا عصينا يزيدا

ترى فى ترديه بُرد النبى … على المسلمين بلاء جديدا
من العصبة الباطشين الغلاظ … إلى الجور يحمل قلبا حديدا
إمام لنا ؟ ساء هذا إماما … يرى الناس إلا ذويه عبيدا

إمام لنا فى مكان الحسين … بقوم على الأمر دنيا ودينا ؟
فأين من النجم بعض الحصى … وما كان إلا التراب المهينا
وهل كابن فاطمة فى الرجال … إذا قلّب الطرف فى المسلمينا ؟
أشد الرجال يدا فى الجهاد … وأضوأهم فى المصلى جبينا

إلينا ... إلينا ؟ ، فتى هاشم … إلينا فليس سواك الهدى
سنهزأ إن جئتنا بالخطوب … ونضرب حتى يخاف الردى
ويفديك آلافنا الدارعون … وهل ثم غيرك من يفتدى ؟
ويفزع خصمك يابن الإمام … ويطرح الخوف من أيدا

وليس الحسين وما مثله … إذا هم بالعون من يستريب
له همة إن تداعى الرجال … وسبق إلى المكرمات عجيب
إذا استصرخ الحق يوما به … فكل عناه إليه حبيب
وما كان عن نزق إذ أجاب … ولكنه الشمم المستجيب

وكائن بمكة من ناصح … يعذبه أنه راحل
يظنون شرا بأهل العراق … فكل هناك له خاذل
وكم ذا احتواه فأوحى له … ليصرفه مجلس حافل
يردد نصحهم الناصحون … وللقدر الكلم الفاصل

تخير من أهله (مسلما)[1] … إليهم يجوب ويستطلع
قلوب العراق حسينية … فليت سيوفهم تتبع
يزيدية تتقى يزيد … فهن لسلطانه أطوع
إذا حمل الإمعات السيوف … فمن حطب هن أو أضيع

قضى نحبه ابن عقيل فما … تسامع أهل الحجاز به
تبرأ منه الذين دعوا … ومن عاهدوا الله من حزبه
وأسلمه للناس لابن زياد … رسول يزيد إلى حربه
فسار الرجال به موثقا … ومن قمة القصر ألقوا به

(١) مسلم بن عقيل بن أبى طالب

مضى الركب يطلب أرض العراق
فيا حادى الركب أبطئ به
تمهل بركبك إن الزمان … عجول بما ساق من خطبه
رويدك ياحادى الركب قف … ومل بالسوابق من نجبه
أدر وجهه أيهذا الدليل … وعد بالحسين ... ألا عد به

سكينة فى الركب تخفى الدموع
وتخفي هواجسها زينب
تقول لئن أسلمتنا الرجال … فأين من الفاتك المهرب ؟
يزيد من الصخر قلب له … وأكباد أصحابه أصلب
فوا حربا إن هذا المسير … إلى غيهب خلفه غيهب

أنبرز فى قلة للرجال … ونبغى به ثم أمرا جليلا ؟
فمن للبنين غدا والبنات … إذا خر فينا الحسين قتيلا
ومن للإمامة من هاشم … إذا قتلوهم هناك قبيلا
عذاب لنفسى هذا الرحيل … ألا ساء هذا لعمري رحيلا

مضى الركب عجلان صوب الفرات
فهلا انثنى الركب عن ورده ؟
مضى بالحسين وآل الحسين … وشم ثمانين من جنده
ثمانين باعوا لديه الحياة … سماحا وساروا على عهده
إلى حيث لا يستقر امرؤ … ولا يقرب السيف من غمده

على فرسخين تراءى الفرات … وأوما للكوفة السالكونا
تلفت للنهر مستوحشا … حسين وراح يظن الظنونا
فأين الدعاة وأين الحماة … وأين الكماة بها الدارعونا
رأى القلب ما لا تراه العيون … وباح الفضاء بما يضمرونا

تصدى له (الحر[1]) فى عسكر … فسد عليه مجاز الطريق
فمال عن الكوفة ابن الإمام
وفى النفس ضيق بها أى ضيق
تغشت محياه سحب انقباض … وفى القلب وسواس حزن عميق
نكول ولؤم ومكر وغدر … وخلف على إثر وعد وثيق

(١) الحر بن يزيد أرسله عبيد الله بن زياد والى البصرة والكوفة .

يُسايرُهُ (الحُرُّ) فى جيشهِ … وركبُ الحسينِ يجوبُ الفلا
عَفا غفوةً فرأى أنهُ … يسيرُ إلى حتفهِ مُعجَلا
تَسايرَ فى سيرِهِ جاهِدًا … فحطَّ به الجَهْدُ فى كَرْبلا
هُنالِكَ حيثُ أحاط بهِ … غِلاظٌ يُسِرُّونَ أنْ يُقتَلا

وكاثرَهُ وهوَ فى قِلةٍ … على الشط من حوْلِهِ عسكرُ
وسدّوا إلى النهرِ عنه الطريقَ … فتدمَعُ عيناهُ إذ ينظرُ
بنى تخدَعٍ بين تلك الخدورِ … صِغارٌ عن الماءِ لا تصبِرُ
وفى خيمةٍ حجبتْها السُّتورُ … جُفونٌ مُقرَّحَةٌ تُمطِرُ

ألاَ كم تطاولَ هذا العذابُ … وكم لمحتْ نُذُرُ الغاشيَهْ
وكم أرمَضَ الحُرُّ مِنْ مُهجَةٍ … وقرَّحَ مِنْ كَبِدٍ صادِيهْ
سعيرٌ يُحرِّقُ أحشاءهمْ … إذا أبصروا حوْلهمْ آنِيهْ
وما شرِبوا غيرَ ماءٍ سخينٍ … تَظَلُّ الجفونُ بهِ هامِيَهْ

بنفسى صبيٌّ ذوَى عودُهُ … كريحانةٍ غضَّةٍ تذبُلُ
تَظَلُّ تُعلِّلُهُ أمُّـــهُ … وفى قلبها وَاغِلٌ يأكلُ
فلَوْ طلبوا ناظِرَيْها معًا … لِيَشرَبَ خفَّتْ بما تَبذُلُ
بمُهجتِها تشترى جُرْعةً … وماءُ الفُراتِ لهم سَلْسَلُ !

تقدَّمَ مُحتبِيًا بالحسامِ … حُسَيْنٌ وقال إليَّ : اسمعوا !
دعانى لِنُصرتِهِمْ قومُكمْ … وإنى إلى الحقِّ مَنْ يُسرِعُ
فإمّا ألاقي بنُصْحى يزيدَ … هُنالِكَ بالشامِ أو أرْجِعُ
فإنْ تكرَهوا تَبِنِك الخصلتَيْنِ
إلى التُّرْكِ أفتحُ أو أُصْرَعُ

أبَوْها عليهِ فما عِندَهُمْ … سوَى أن يُبايِعَ مُستَسلِمَا
أصَرُّوا على لؤمِهِمْ مُوعِدِينَ … وقد عرَفوا شيخَهُمْ ألأما
وكم صارخٍ فيهمُ بالعَداءِ … جَبانٍ تعوَّدَ أنْ يُحجِما
سيوفُهمو حَوْلَهُ تُنْتَضى … كفاهُ الأسى والضَّنى والظَّما !

ولكنهُ عائفٌ ذلةً … وريحُ الرَّدى حوله تَعصِفُ
صَبُورٌ عن الماءِ فى موْقِفٍ … تُرَى الأرضُ مِن هَوْلِهِ ترْجُفُ
ولَوْ كانَ فى نِصفِ تلكَ الجوعِ … لما كانَ عنْ بطشهِ مَصرِفُ

ولولا عقائِلُ بين الخدورِ … تصدّى لهم وحدَهُ يزْحَفُ
تدبّرَ حِينَ احتواهُ الظلامُ … فرَنَّ للتابعينَ النِّداءْ
خذوا البيدَ منجاتَكم واجعلوا
ســواد الدجى فى سُراكُمْ غِطاءْ

فما طلبوا اليومَ إلاَّ دَمى … فإن تسلموا سَلِمَتْ أُختى الفداءْ
وليس عليكم لَعَمرِى عارٌ … ولكن على طالبيكُمْ ظِماءْ

تتابَعَ أصحابُهُ يُقسِمون … لَيَلْقَوْنَ بين يديهِ الرَّدى
إذا بذل النفسَ منَّا غدًا … شهيدٌ ففى الحق ما استُشهِدا
وقال بنو عمِّهِ : مَنْ يخوضُ … سوانا فِداكَ الحُتوفَ غدا ؟
قليلٌ إذا ما لفظنا النفوسَ … سَماحًا لَعَمْرُ أبيك الفدا

وردّدَ فى الدهرِ أُرْجُوزةً … وكيف يسومُ الكِرامَ الهوانا
بكتْ أختُهُ وأتتْ بابَهُ … تشُقُّ الثياب عليه حنانا
فهدْهَدَها ونهاها الحُسَيْنُ … وقال : رَضيتُ بهذا امتحانا
فيا أُختُ لا تأثمى إنْ قُتِلْتُ … وإلاَّ امتَهَنتِ مقامى امتِهانا

وباتت خيولُ العدا حوْلهم … تدورُ فتقرُبُ أو تبعُدُ
لدَى كلِّ رُكْنٍ حديدٌ يرِنُّ … وفى كل زاويةٍ مرصدُ
وجمعٌ يروحُ وجمعٌ يجيءُ … ويسخرُ ذاكَ وذا يوعِدُ
ومن خلف أستارِهِ فى الخِباءِ … حُسَيْنٌ لخالقه يسجدُ

(البقية فى العدد القادم)

الخفيف

ثورة الإسلام

للأستاذ حسن جواد الجشي



كان الإسلام ثورة هائلة من ثورات الطبيعة الكبرى على جمود العقل البشري وتحجره، فأطلقه بعد أن كان موثقاً في قيود الأوهام والخرافات، وأشعره بقيمته بعد أن كان فانياً في تفاهات الحياة وصغائرها؛ وقلب أوضاع تلك الحياة رأساً على عقب وأبدلها بأوضاع أجدر بشرف الإنسان وكرامته. وتلك هي وظيفة الثورة الإصلاحية في كل زمان.

وإذا كانت الثورة كما يعرفها أحد كتاب الغرب (هي سقوط وتهدم يحدثان في فترة صغيرة لجميع ما كان يعد إلى ذلك الوقت أصلاً للحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية في الأمة) فما أحرانا ونحن بصدد التحدث عن مبادئ الثورة الإسلامية أو عن ثورة الإسلام أن نلقي نظرة خاطفة على بعض النظم التي جاء الإسلام لمحاربتها والقضاء عليها لا بين العرب فحسب، وإنما في غيرهم من سائر الأمم أيضاً، لأن الأثر الذي تركه الإسلام لم يقتصر على العرب، وإنما شمل أمماً غيرهم ولو في الشكل دون الجوهر.

يقول الكاتب الانجليزي (H. G. Wells) هـ ج. ولز في كتابه «موجز تاريخ العالم» عند تحدثه عن تلك الحقبة من تاريخ البشر ما ترجمته: «لو أن متنبئاً من هواة التاريخ استعرض العالم في مستهل القرن السابع لكان من المحتمل أن ينتهي إلى الحكم بأنه لن تمضي إلا بضعة قرون حتى تصبح قارتا أوربا وآسيا خاضعتين للحكم المغولي القائم في الصين؛ إذ لم يكن هنالك ما يدل على وجود أي نظام أو اتحاد في أوربا الغربية؛ أما الامبراطوريتان الرومانية والفارسية فقد كانت كل منهما منطوية على هدم الأخرى وتحطيمها؛ وإذا التفت إلى الهند فإنه يجدها منقسمة على نفسها خاوية ...» ثم يقول: «والخطأ الذي كان من المحتمل جداً أن يرتكبه متنبؤنا هذا في استعراضه هو تجاهله للقوى الأصيلة الكامنة في الصحراء العربية».

وفي هذا القول دلالة واضحة على أن العالم كان حينذاك يتخبط في غياهب الفوضى ودياجير الانحلال، وأنه إذا كان ثمة بصيص أمل لإنقاذه فآفاق الصحراء العربية هي التي كان يتخايل على حواشيها هذا البصيص؛ لا لأن سكانها كانوا في يقظة عقلية تؤهلهم للقيام بدور المنقذ، كلا بل لأن أرواحهم كانت نقية لم تدنسها شوائب المدنية أو يدب إليها وهن النعيم. فما هو إلا أن تستثيرها وتوجهها الوجهة الصالحة حتى تأتي بالعجائب في ميادين الثقافة والتقدم.

وعلى خلاف ذلك كانت بيزنطة وفارس، فقد كانتا في حروب متواصلة تنتصر هذه مرة وتفوز تلك أخرى؛ وبرغم ذلك لم تكن الحالة السياسية الداخلية في كلتا الامبراطوريتين لتعرف الهدوء والاستقرار. أما الأخلاق فقد بلغت منتهى التدهور والانحطاط حتى عادت النفوس ولا همّ لها يدفعها ويثير فعاليتها غير الشهوة الجنسية، وإلا فما معنى ذيوع مذهب مزدك في ذلك العصر — وهو مذهب إباحي هدام — لو لم تكن النفوس مستعدة لقبوله؟!

وإلى جانب ذلك كان يقوم في أكثر أنحاء العالم تقريباً نظام من الاسترقاق الفظيع الذي لا يعرف غير العنف والقوة في معاملة الأرقاء والمستعبدين، فكان مباحاً للسادة أن يتصرفوا في حيوات أرقائهم كما يتصرفون في سائر أمتعتهم، فإن شاءوا أبقوا وإن شاءوا أبادوا دون أن يسألوا أمام قانون أو عرف. وإذا عاقبوهم فبالكي على الجباه والجلد بالسياط إلى آخر ما هنالك من ضروب القسوة.

وقد يخطر لأحد القراء أن يسأل: وأين إذن تعاليم المسيحية

لتكفكف من غرب هذه الشهوات وتحد من جوحها وتميد النفوس إلى نقاوة الفطرة وطهارة الإيمان . والجواب على ذلك أتركه للمؤرخ الانجليزى « جيبون » إذ هو خير من توفر على دراسة هذا العصر . قال جيبون : « إن النصرانية فى القرن السابع للميلاد قد استحالت وثنية ، فقد أصبحت الوجوه تولى شطر الأصنام والأنصاب التى حلت محل الهياكل والمعابد وأخذ مكان عرش الله وعظمته القديسون والشهداء ، وحارت الأفهام فى معنى التثليث والاتحاد والحلول وعموا عن التوحيد » .

أما فى مكة والطائف فلم يكن الوضع أحسن منه فى بيزنطه وفارس ؛ فقد فشا فيهما الانحلال الخلقى وسفلت مكانة المرأة حتى وأد الآباء بناتهم ، وجاس المرابون خلال الشعب يمتصون دمه مستغلين فقره وحاجته ، حتى أكره بعض المحتاجين بناتهم على البغاء ليستطيعوا وفاء ما ركبهم من ديون ؛ فلما جاء القرآن نهاهم عن ذلك « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

***

شرور تتلوها شرور ! وظلمات فوقها ظلمات ! فلابد من النور ! لابد من النور ! وإلا تاه القطيع وتردى فى هاوية الفناء !

وشع النور ! وتلألأ واستفاض ! وإذا بصوت محمد يتعالى فى شعاب مكة وبطاحها منادياً : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا » .

وكانت تلك الدعوة شرارة الثورة الكبرى ، الثورة التى قلبت الأوضاع الجائرة ، ومحت النظم البائرة ، ونقلت العالم من حال إلى حال ، والإنسانية من ضعة إلى جلال .

لقد استهل الاسلام ثورته بالدعوة لتوحيد الله وقرن النجاح بهذا التوحيد ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الاسلام يعتبر وعى الروح أصلاً لوعى العقل ؛ معناه أن الأمم مهما وفر حظها من ثقافة العقل ، فان هذه الثقافة لابد لها من عقيدة روحية تسندها وتنير لها المسالك وتأخذ بيدها نحو صالحها وصالح الحياة الانسانية ، وإلا هدمت ما شيدت واقتلعت ما زرعت وتابست طبائع الهر فأكلت ما أنجبت ؛ ولهذا وجه محمد أول ما وجه من جهود نحو غرس هذه العقيدة الروحية ، فعمل على تطهير الأرواح مما علق بها من أدران الشرك واستنبطها من عقابيل الوثنية ، ونادى أول ما نادى أن لا إله إلا الله ، فلا الشهوات بعد اليوم ولا القوة ولا المال ولا الأصنام هى التى تمنولها الحياة ، وإنما تمنولها الله الأحد الصمد خالق الخلق ومدبر كل ما فى الكون . وبهذا مهد السبيل للنفس الإنسانية لتفلت من قيودها الثقيلة المرهقة وتتصل حرة ببارئها تستلهم منه العون والهداية على مواصلة الكفاح وسلوك أقوم السبل دون لجوء لوساطة كاهن أو شفاعة ولى « وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

هذا التسامى بالنفس الإنسانية والتعالى بها عن ضلالات العقول وزيغ البصائر هو الذى يفتقده الباحث فى كثير من تاريخ الثورات البشرية ، فالفرنسيون مثلاً بعد أن ثاروا ثورتهم الكبرى وحطموا معاقل الظلم وزلزلوا معالم الاستبداد وأعلنوا حقوق الإنسان الطبيعية التى تستند إلى مركزه فى الحياة ، ساق الثائرون أنفسهم أكثر من ألفين من خيرة رجال الثورة إلى المشانق ثم عمدوا إلى أجمل فتاة فى باريس ووضعوها فى إحدى الكنائس وأخذوا يقدمون لها فروض العبادة ومراسيم الخشوع باسم « ربة العقل » ، ناسين ما أعلنوه قبل ذلك من حرية البشر وتساويهم ؛ وما كانوا ليقعوا فى مثل هذا الهوس والتطرف ، لو أن ثورتهم استندت إلى وعى روحى شامل كثورة الإسلام .

والحقيقة أن هذا الوعى الروحى الذى يقدر الشخصية الانسانية ويحدد صلة هذه الشخصية بالروح السارية فى هذا الكون ثم صلتها بسائر الأحياء والكائنات ، نعم هذا الوعى هو الذى صقل النفوس المسلمة وهيأها لسائر الانقلابات الاجتماعية والعقلية لأنه وجهها وجهة واحدة وقضى على شعور الخضوع الرائن عليها فنتج عن ذلك إحساس قوى بكفايتها وقدرتها على الفهم والتدبر .

ومن هنا كان ذلك الانقلاب العظيم الذى أحدثه الاسلام فى تقدير العقل واحترام أحكامه باعتباره هادى البشر — بعد الروح — فى جهادهم نحو الكمال . فلقد كان الناس قبل ذلك أسرى موروثاتهم وتقاليدهم لا يصدقون إلا ما كان عليه آباؤهم ، وما كان عليه آباؤهم هو الجهل والجمود ، فدعاهم الاسلام إلى التفكير

والتأمل وشبه الذين لا يعقلون منهم بالأنعام بل أحط منزلة «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل أضل سبيلا» ؛ ولذلك كان سلاح الاسلام الوحيد لغزو النفوس هو الحجة العقلية والبرهان الاقناعي ... ويوم سأل الكفار الرسول أن يأتيهم بما عددوا من المعجزات أجابهم دهشاً : «سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا !» .

أليس في ذلك إيذان بأن البشرية قد بلغت طوراً لا يليق بها فيه ان تقنع بغير ما يعليه العقل، وأن الأسلام يتمشى مع هذا العقل؟ ثم ما قولنا في دين يجعل تفكر ساعة خيراً من عبادة ستين سنة؟ إنه - وربي - لدين يجدر بالبشرية أن تحوطه برعايتها وتجدّ في تفهم أغراضه ومراميه، لأنه كان فاصلاً بين عصرين مختلفين من عصورها: عصر السحر والخرافات وعصر العقل والعلم، وبذلك نقلها نقلة وسّعت آفاق وعيها وألهبتها شوقاً للمعرفة والاطلاع، فكان ذلك ارهاصاً لكل التطورات الثقافية والعلمية التي نعم بها العالم بعد ذلك .

وعلى أساس هذا الوعي الروحي والعقلي نقل الأسلام مبدأ التوحيد من منطقة العقيدة إلى مجال الاجتماع فثار على جميع الفواصل المصطنعة بين الأفراد والأمم، وحارب كل فكرة من شأنها أن تجر الى التنابذ والتنافر، وقرر أن البشر وحدة لا تتجزأ كلهم من آدم وآدم من تراب، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، واتقاهم أبرهم عملاً وأخلصهم سعياً، لا أكثرهم تهجداً وأطولهم عبادة، وإذا كان الناس قد خلقوا شعوباً وقبائل مختلفة فلكي يتعارفوا ويتعاونوا لتستفيد كل أمة من مواهب الأمم الأخرى وخصائصها لا أن يتخذوا هذا الاختلاف ذريعة للتناحر والتباغض (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . والأمم والأفراد يختلفون طبعاً في استعدادهم للتقوى وللتعاون مع الغير باختلاف بيئاتهم وظروف حياتهم .

وتطبيقاً لهذا المبدأ من المساواة والتوحيد الاجتماعي أخذ الاسلام بيد المرأة ورفعها من مراغة المهانة والاستعباد إلى ذروة الشرف والكرامة مقرراً حقها الطبيعي في الحياة : (ولهن مثل الذي عليهن) .

وإذا التفتنا بعد هذا الى الثورة التي احدثها الإسلام في حياة البشر الاقتصادية وجدنا عجباً من العجب، وجدنا نظاماً اقتصادياً لو أخذ به البشر وتمسكوا بأهدابه لكفوا كثيراً من ويلاتهم الاجتماعية والخلقية لأنه يكفيهم الفقر، والفقر منبع أكثر الشرور والمصائب .

لقد كان النظام الطبقي بالغاً اشده قبل الأسلام فكان الاغنياء والأشراف يستغلون جهود الشعب ويبتزون ثمرات اتعابه - كما يفعلون اليوم - ويثقلون كاهله بمختلف الأتاوات والضرائب دون أن يستطيع دفع ذلك أو مناهضته . والى جانب هؤلاء كان المرابون الجشعون يمتصرون ما تبقى من هذه الجهود غير راحمين ولا مشفقين . فلما جاء الاسلام قلب هذه الأوضاع واعاد الحق الى نصابه فحرم الربا وجعل في أموال هؤلاء الأغنياء حقاً معلوماً للمحرومين ملزمين شرعاً وقسراً باداته لهم، بعد أن كان هؤلاء المحرومون ملزمين بتقديم ثمرات اتعابهم للاغنياء دون مقابل . . وبهذا التشريع أقام الاسلام الدعامة الثالثة التي هي التوازن الاقتصادي؛ وهو كالتوحيد الاجتماعي عامل ضروري في هناء البشر وتقدمهم كما أنه نتيجة حتمية لمبدأ التوحيد .

هذه أقباس من تلك الشعلة العظيمة التي تفتح عنها قلب الغيب فتلقتها القلوب العربية المسلمة، وسهرت عليها تغذيها وتلهب ضرامها، حتى إذا تم لها ذلك انداحت بها في أطراف الدنيا تزرع جذواتها في كل نفس تتصل بها فتذيب أرجاسها، وتنفث فيها الإيمان والقوة . . فيا ليت شعري ما الذي حل بالمسلمين اليوم - وهم أحفاد أولئك المغاوير - حتى خمدت هذه الشعلة في نفوسهم وعادوا غرضاً لكل طامع وهدفاً لكل مريد ! ؟

إن في الأمر لسرا، على أن السر اجلى من أن نجدّ في الكشف عنه . . السر أن المسلمين (وقد طال عليهم العهد وتنكروا لبيئتهم الصحراوية الأولى) . نسوا مبادىء دينهم وتمسكوا بالأعراض والقشور، وانقسموا بينهم شيعاً واحزاباً يتنابذون ويتهاترون .

فيا قلب الغيب شعلة كتلك الشعلة ! عساها تحرك هذه النفوس الهوامد عساها !

(القاهرة)

حسن جواد الجشي
عضو البعثة البحرانية

مؤامرة تخيب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



الأشخاص : أبو جهل . أبو سفيان . الشيطان . أمية بن خلف . جماعة من قريش

المكان : متربص قرب دار النبي عليه السلام

الزمان : ليلة مظلمة من ليالي المحرم ...

أبو جهل :

هذا الفتى ضلَّ عن دُنيا أُبوته   وراح ينشر فى آبائه دِينا

إنى لأخشى عليكم من تخبُّطه   مَسًّا ويحسبُه هَدْياً وتبيينا

قالوا أمين ، فقلنا ما أمانته ؟   ما كان حتى على الأصنام مأمونا

لاَ كانَ مِن هاشم فينا حكومتُه   إن صار هذا الفتى مستحكما فينا

أبو سفيان :

أيا بنى هاشم لم تكف إمْرتكم   ولا سدانتكم للبيت والغَلَبُ

حتى يجىء نبيٌّ بين أظهُرِكم   دَعْوى ولكنها يا هاشمُ كذبُ

رجل من بنى أمية :

إن السدانة فيكم   عادتْ فصارت نبوّهْ

بئس البنُوّة ممن   لم يَرْعَ حق الأبوّه

أبو جهل :

لا كنتُ يوماً من بنى مَخزومِ   السائدين الناسَ بالحلومِ

والبالغين المجدَ فى الصميمِ   إن لم يكن محمدٌ غريمى

الشيطان يهمس :

هذا مجالُ الدسِّ والتفريق   بين الصديق الحرِّ والصديقِ

لا كنتُ من نارٍ ومن حريقِ   إن لم أسِرْ فيهم على طريقى

ثم يجهر فيهم :

هذا الفتى يَهذى بكل وساوسٍ   ويُذيعها ما بينكم قرآنا

أن كان ربُّكمو يَخُصُّ بفضله   لِمَ لَمْ يَخُصَّ بفضله عدنانا ؟

أبو سفيان :

دَعُوا عدنانَ والماضِـ   ـينَ فالميْتُ لا يحيا

أما فى النَّفَرِ الأحيا   ءِ مَنْ يستقبلُ الوحيا ؟

أبو جهل مخاطباً أبا سفيان :

لعلك أَوْلى به مِن فتًى   أقامَ على الفقر يَرْعى الغنمْ !

الشيطان مقهقهاً :

وَمِنْ عجبٍ أنه مُدّعٍ   بإعدادِه كيف يَرْعَى الأُمم

أبو سفيان :

نحن لسنا فى حاجة لرعايهْ   ـه هذا الفتى يزيدُ غوايهْ

قد دعوناهُ للهداية لكن   ليس فى مثله تصحُّ الهدايهْ

إذا سئمتم من فتًى   فأسلموه للرَّدى ! !

كيف يَبيتُ قائماً   فى حيكمُ وما اهتدى ؟

الشيطان :

إنى أرى صحابةً   مِنْ حوله وعَددا

فإن تركتمُ أمره الـ   ـيومَ فقد يَعلو غدا

ناشدتكم أصنامَكم   أن تُمْهِلوا فيه المُدى !

وأن تُريحوا العصرَ منـ   ـه والمدَى والأبدَا ...

أبو جهل :

ما كنتَ يا شيطان إلا   رَجْعَ نفسى والصدى

لم تَعْدُ ما فىَّ من الرغبـ   ـة وُقِّيتَ الهدى ... ! !

قصدتُ بالأمس الفتى   وكان يغشى المسجدا

أردت فَضْخَ رأسِه   بحجر ... فما بدا ...

أمية :

لعله قد سحر الـ   ـعينين منكَ واليدا !

عجيبة تخطيء كفّ الك الفتى محمدا
وليس أقوى منك كفـ ـّا أو أشدّ عضُدا

أبو جهل :

أنا في الضرب لا أخيب ولكن خانني ساعدي غداة قصدته
عجبا فاتني بفحل من النو ق ولو كان لهذّما ما فُتّه
حجرٌ في يدي تيبّس لما كدت أهوى عليه حتى قذفته
إن يكن أمس قد تولى فهذي لحظات الردى وذلك وقته

أبو سفيان :

فلنتربص للفتى وهو على وسادِه
حيث الظلامُ في رُبى الحـ ـيِّ وفي وهاده
فلا يرانا أحد يا قوم من آحاده
فنستريح من محمدٍ به ومِنْ جهاده

أمية :

الليل أرخى على الدنيا ذوائبه وفيه للبطش أوطارٌ وآراب
لعل جبريل يحميه إذا هبطت عليه منا بجنح الليل أسرابُ!
غيداً أبداً في الحراب مستتراً فهل يكفُّ أذانا عنه محرابُ ؟

أبو سفيان ينظر من ثقب إلى مخدع النبي :

أراه في البُردة الخضراء مضطجعاً
وسوف نَصْبُغها بالدمِّ حمراء
إذا الصباح تجلى عن تآمرنا فسوف يحمل أخباراً وأنباء !

أبو جهل :

أقضِ هذا الفتى بالأمس مَضْجعَنا
فليس نذْهَبُ فيـه اليومَ آراء
ألم يسخن لنا دُنيا مورَّثةً وأُمةً وديانات وآباء ...
إني لأعجبُ مِنْ أحوال صاحبكم
أجاء يهدِمُنا أم جاء بنَّاء ؟!

قرشي لزميله :

انظر إلى رأسي تجدْ تُرابا !!

زميله :

أواهماً أراك أم مُرْتابا ؟!

زميل آخر :

أرى أمامَ ناظري ضَبابا يعقدُ دون رؤيتي حجابا !

زميل رابع :

ليس ضباباً ما أرى ... وإنما كأنما أصيب لحظي بالعمى
فلا أرى المضيء إلا مُظلما ...

أبو سفيان :

أواهمون كلكمْ ؟ لعل جِنّاً مسّكمْ
ما الرأى يا أبا الحكمْ ؟ فأنتَ خيرُ محتكمْ ...

أبو جهل متطلعاً إلى مخدع النبي :

محمدُ أتا يزل هاهنا قرير الوسادة في مَضْجَعِه
ينام ولم يدر أن قريشاً تهيئ للبتِّ في مصرعِه ...

واحد منهم يقول :

محمدُ قد فرَّ من بيننا وما كان لحظِيَ بالكاذبِ
محمدُ أفلت من كفنا فياحسرة الأمل الذاهب!

آخر يقول :

وما كان في مَضْجع الهاربِ نزيلٌ سوى ابن أبي طالب ...

محمد عبد الغني حسن

العقل في القرآن والحديث

للأستاذ قدري حافظ طوقان



العقل أساس الدين ومنبع العلم ومطلعه ، وهل تقدم علم أو ازدهر فن إلا على أساس العقل؟ وهل يستقيم دين بلا عقل؟ وهل يعرف إنسان ما أمر الله به وما نهى عنه إلا بالعقل؟

وعلى أساس العقل شرعت الشرائع وسنت القوانين وقامت الحضارات وامتدت المدنيات . لهذا لا عجب إذا ورد ذكره في كتاب الله وعلى لسان نبيه الكريم . فقد شرف الله العقل وأعلى مكانته ، وعظم الرسول العقل وقدس حرمته . ومجده الفلاسفة والحكماء والعلماء فصرفوا جهودهم إلى إعلاء شأنه بالبحث فيه والرجوع اليه

لقد أحل القرآن العقل منزلاً سامياً وجعله نوراً يهدي به الناس وطالبهم باستعماله والتحاكم اليه وسماه نوراً في قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة ... » وسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً فقال تعالى : « وأوحينا إليك روحاً من أمرنا ... » وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ... » .

وحين يجادل القرآن الماديين والدهريين وأرباب الملل والنحل إنما يجادلهم بالبرهان ويدعوهم إلى إنعام النظر والفكر، يتجلى ذلك في قوله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون . » وقد حمل القرآن على المقلدين الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ، فقال في موضع « إن شر الدواب عند الله الصم البكم العمي الذين لا يعقلون » وقال في موضع آخر . « أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون » وكثيراً ما وردت آيات تنتهي بهذه الجوامع « بل أكثرهم لا يعقلون » « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، أفلا تسمعون؟ إنما يتذكر أولو الألباب ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . » ولم يقف القرآن عند هذه الحدود ، بل أمر بإحسان استعمال السمع والبصر والعقل حتى يهتدي الإنسان عن طريقها الى الحق والحقيقة ، ويكون الحق واضحاً عنده والحقيقة ثابتة لديه : قال تعالى « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسؤولا ... »

وفي هذه الآية الجامعة الكريمة أصول رئيسية هي المتبعة في أصول النظر العلمي ، فلقد أمر بالمشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح ، وأن على الإنسان أن يتمسك بما يصل اليه من حق أو حقيقة عن هذين الطريقين ، المشاهدة والتفكير

ولسنا بحاجة إلى القول بأن الإسلام أكبر العقل إكباراً دونه أي إكبار، ودعا إلى تعظيمه وإجلاله والرجوع إليه دائماً قال تعالى : « وآتيناه حكماً وعلماً » أي فقهاً وعلماً . وقال : « ولقد آتينا لقمان الحكمة . » أي آتيناه الفقه والعقل وإصابة القول في غير نبوة . وقال : « فاتقون يا أولي الألباب . إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب » وقال : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » أي ذوي عقل . « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » أي عقل ، « لينذر من كان حياً ... » أي عاقلا ، « ولقد بينا الآيات لقوم يعقلون ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »

وهناك آيات جامعات تدعو الإنسان إلى النظر في الكون والبحث في روائعه ، وإلى جعل العقل أساساً للتحكيم والتفكير في الطبيعة على جلالها وعظمتها كما تستحثه على إطلاق تفكيره في السموات والأرض والوجود وما على الأرض ومن عليها . ولفت نظره إلى السماء كيف رفعها، وإلى الأرض كيف سطحها، والجبال كيف نصبها، وإلى الإنسان كيف خلقه ، والأنعام كيف

أوجدها ، وإلى النباتات كيف أنبتها فقال تعالى : « وهو الذى مدّ الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » وقال جل وعلا « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » وقال : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وقال « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وقال « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً . » وقال « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم ... » وقال « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » وقال « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » .

ولا شك أن هذا النمط من الآيات الجامعات والأقوال البيّنات مما يرشد الناس إلى التفكير فى الكون وخبايا الأرض وأسرار الحياة والتطلع إلى خفايا الوجود . وبهذا ينطلق العقل البشرى باحثاً منقباً منتظماً مما يؤدى إلى الوصول إلى دقائق الحقائق فى الوقوف على نظام هذا الكون وموجوداته على تعددها وتباينها وتعقدها . كذلك كان الرسول ينظر إلى العقل نظرة كلها تعظيم وإجلال ، فقد رأى فيه أنه أصل الدين وأساسه ، وأن لا دين لمن لا عقل له قال عليه السلام حين سأله علىّ عن سنته : « . . . والعقل أصل دينى » وأمر بالتواصى بالعقل والرجوع إليه ففيه النجاة وفيه الأمان . قال عليه السلام : « اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه . واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم » وبيّن أن الله يأخذ بالعقل ويعطى بالعقل ويثيب به ويعاقب على أساسه ، وما تم دين أحد إلا بالعقل ، وما عبد الله بشىء أحب إليه من العقل وبمثل العقل .

روى لقمان بن أبى عامر عن أبى الدرداء أن رسول الله قال : « يا عويمر ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً ، قلت : بأبى أنت وأمى ومن لى بالعقل ؟ قال اجتنب محارم الله وأدّ فرائض الله تكن عاقلاً ، ثم تنفل بصالحات الأعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قرباً وبه عزاً ... » وروى أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : « أثنى على رجل عند رسول الله بخير فقال كيف عقله ؟ قالوا يارسول الله إن من عبادته ... إن من خلقه ... إن من فضله ... إن من أدبه .. فقال كيف عقله ؟ قالوا يارسول الله نثنى عليه بالعبادة وتسألنا عن عقله ، فقال رسول الله : « إن الأحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وإنما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم » ويرى الرسول أن الحياء من مستلزمات العقل فلا يكونان إلا مع العقل ولا يسيران إلا فى كنفه .

والعقل نور جعله الله للدين أصلا وللدنيا عماداً به يميز الحق من الباطل وتعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات وعليه يقوم النجاح ويكون الفلاح . قال عليه السلام « العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل » وقال « أفلح من رزق لباً » أى عقلا .

قدرى حافظ طوقان



العـــدد ٦٠٢
السنة الثالثة عشرة

13 me Année No. 602
Lundi - 15 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

الدين في معترك الشكوك

للأستاذ محمد فريد وجدى بك

حفظ الدين وجوده في العصور الأولى للانسانية بالغريزة الطبيعية، فلم يجد العلماء في تاريخها كله جماعة مجردة من الدين حتى فيما نقبوا عليه من عهودها الأولى قبل تدوين التاريخ

ولما أجال الإنسان فكره في الوجود المحيط به، ونشأت فيه خاصة النظر والاستدلال، أيد الإنسان دينه بالعقل

ولما استبحر علم الكون، وافتتن العقل بالبحوث المادية تحت تأثير سحر المكتشفات الطبيعية في عالم القوى والنواميس، ووضع الدستور العلمى وظهرت آثاره في ترقى المعارف، وتجنب الأخطاء التي كان دليلها مجرد النظر العقلى، لم يعد للمنطق سلطان على الإنسان، وأصبح الدين لا يستطيع البقاء، إلا إذا كان له دليل من الوجود المحسوس. وصرح علماء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بأن عهد الدين قد انقضى، وأن بقاءه على الأرض مرتبط ببقاء السذاجة العامية؛ فاذا نشر العلم على العامة رواقه زال الدين كما يزول كل ما ليس له أصل ثابت يقوم عليه

على هذا كان الإجماع منعقدا في العالم العلمى إلى زمان ليس ببعيد. فهل العقل لا يكفى لايجاد الإيمان في العهد الذى نحن فيه؟

يكفى إذا كان يستمد مسلماته من العلم الكونى المحسوس، أما والعقل الذى يعتمد عليه الاعتقاديون يقوم على مسلمات لا تزال فى نظر العلم مسائل تعوزها الحلول، كنشوء الكون والمادة، وكوجود روح من عالم علوى فى الانسان تبقى بعد انحلال جثمانه فى عالم وراء هذا العالم الخ الخ؛ فما يقرره الاعتقاديون اعتمادا على أمثال هذه المسلمات لا يراه العلم جديرا بالاعتبار

ومعنى هذا أن الاعتقاديين فى هذا العصر قد أصبحوا عزلا من الأسلحة التى تصلح للكفاح فى هذا المعترك. فاذا لم يستكملوا هذا النقص فلا يرجى للموضوع الذى هم بسبيله بقاء

وقد بين ذلك الاستاذ «و. ميرس» مدرس علم النفس بجامعة كمبردج فى كتابه «الشخصية الإنسانية» فقال.

«كنت مقتنعا بانه لو أمكنت معرفة شيء عن العالم الروحى على أسلوب يستطيع العلم أن يقبله، ولن يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة، ولا بالتأمل فى علم مابعد الطبيعة، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة، وبتطبيقنا على الظواهر التى تشاهد أساليب المباحث المضبوطة، تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئى المحسوس. هذه المباحث لا يجوز أن تبنى على التأكيدات التى صدرت عن هذا الوحى أو ذاك، بل يجب أن تؤسس ككل بحث علمى بمعناه الصحيح، على تجارب يمكننا تكرارها اليوم؛ مؤملين أن نزيد عليها غدا، ويكون الدافع اليها هذه القضية وهى: «إذا كان يوجد عالم روحانى ظهر للناس فى أى عهد كان، فيجب أن يكون كذلك قابلا للظهور فى أيامنا هذه» ا هـ

ونحن نقول: هذا شرط العلم فى قبول الأصول الاعتقادية، وهو شرط لا يجوز الاستخفاف به ولا إغفاله، لأن العلم آخذ فى الانتشار بخطوات واسعة؛ وأساليبه المحررة، وآثاره الفاتنة، أثرت فى العقول أبلغ تأثير، وانتشرت معها شبهات لم تدع محلا للعقيدة فى العقول، وضعفت حجة الاعتقاديين أمام هذا التحدى ضعفا ظهرت نتائجه فى الجماعات، وخاصة فى البلاد الشرقية، حيث ينتشر العلم، ويصر حفظة الدين على التغاضى عما يستتبعه هذا الانتشار من شيوع ما يلابسه من الشبهات. وقد ظهرت لذلك آثار خلقية وأدبية لا يحسن السكوت عليها.

ولم هذا التعرض لكل هذه المخاطر؟ فإذا كنا ننتظر خلاصا منها باعتمادنا على أساليبنا القديمة، فقد دلت دلالة قاطعة على أنها منيت بالعجز عن وقف هذا التدهور السريع، فإذا كنا نتشبه بالغربيين فى جميع أوضاعهم واتجاهاتهم، فلم نقصر فى تقليدهم فى وقف تيار هذا الانقلاب الخطير؟

إن العلم الأوروبى يشتغل من نحو مائة سنة بمسألة الحياة الإنسانية على أسلوبه من التجربة والتمحيص، وقد اهتدى إلى نتائج كانت غير منتظرة أثارت دهش العالم، كانت مثاراً لحركة لم تحدث لاكتشاف قبلها، فاجتمعت لها مجامع علمية للدرس والتحقيق، وتألفت من أجلها مؤتمرات عامة فى أوروبا وأمريكا اجتمع فيها ألوف من الباحثين، وثارت بسببها مناقشات صحفية لم تثر لغيرها من المسائل العلمية، حتى وصل قادتها إلى نتائج فاقت كل ما كان يتخيله كبار العقول قبل هذا العهد القريب، إذ ثبت للباحثين فيها ثبوتا علميا قاطعا لا يتطرق إليه ريب لابتنائه على التجارب العلمية، أن للانسان روحا مستقلة عن جسده استقلالا تاما، مما حمل العلماء المجربين أن يقولوا كما قال أحدهم وهو العلامة الفلكى المشهور «كاميل فلامريون» فى كتابه «المجهول والمسائل النفسية»:

«إن لدينا اليوم من الادلة على وجود عالم الروح مثل مالدينا منها على وجود العالم المادى المحسوس».

اكتشاف خطير فى عالم البحوث العلمية يدهش منه حتى الذين يعتقدون بوجود الروح، وهو غير اكتشافات أخرى يثبت مجموعها وجود عالم روحانى وراء هذا العالم لا يمكن التمارى فيه وقد بذل أقطاب العلم فى جميع أقطار العالم المتمدن ردحا طويلا من الزمن فى تمحيصها وتحليلها، وانفق أثرياؤهم أموالا وفيرة لإقامة معاهد تجريبية لها، منها المجمع العلمى لما وراء علم النفس وقد شيد بناءه المثرى الفرنسى المسيو «مييه» ووقف عليه اربعة ملايين فرنك ذهبا تنفق فى كل عام، وكان ذلك سنة ١٩٢٠ وشرط ألا ينخرط فى جماعته إلا العلماء.

وفى الولايات المتحدة وألمانيا وايطاليا والنمسا وغيرها أمثال لهذا المجمع؛ ومنها جمعية البحوث النفسية فى لندن، وقد تألفت فى سنة «١٨٨٢» ولا تزال قائمة للآن، يزاول العمل فيها علماء

من الطبقة العليا ، وقد جمعت مما تقرر من تجاربها نحو ستين مجلدا ولا تزال قائمة إلى اليوم .

ذكر هذه الجمعية الأستاذ الكبير وليم جيمس الأمريكي في كتابه « إرادة الاعتقاد » La volonté da cro:re في صفحة ٣١٣ فقال :

« إن جمعية المباحث النفسية التي يمتد عملها في انجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقي العالمان العلمي والروحي ، فاذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات ، خيل إلينا أن الضعف العقلي وسرعة التصديق هما الرباط المعنوي الجامع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الأصل المحرك لها ، ومع ذلك فيكفي أن نلقي نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فان رئيس هذه الجمعية وهو الأستاذ (سيد جويك) معروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد ، وأعصامهم قيادا في الشك بجميع البلاد الانجليزية ، ووكيلها الأستاذين « أرثر بلفور » و « ج.ب. لنجلي » ويمكن التنويه من أعضائها العاملين بالأستاذ « شارل ريشيه » الفيزيولوجي الفرنسي الخطير ، وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين كفايتهم العلمية أشهر من نار على علم . فاذا طلب إلى أن أعين مجموعة علمية تكون مصادر أخطائها ممحصة بأدق الأساليب ، فاني أنوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية ، فان الفصول الفيزيولوجية التي تنشرها المجلات الخاصة بهذا العلم لا تبلغ في دقة النقد مبلغ دقة المحاضر التي نحن بسبيلها » اهـ

فهذه المجامع العلمية التي تألفت من أكبر رجال العلم في أرقى البلاد المتمدنة ، واجتمعت بسببها مؤتمرات عالمية في أكبر عواصم العالم احتشد فيها الوف من الباحثين المستقلين ، ووضع فيها مئات من العلماء كتبا مستفيضة ، قد أثرت في العالم الغربي أكبر تأثير كان من أثره تغيير وجهة الفلسفة في القرن العشرين حتى نوهت مجلة المقتطف بذلك في عدد شهر ديسمبر من سنة ١٩١٨ فقالت :

« من يطلع على ما يكتب وما ينشر من المقالات الفلسفية يجد أن أصحابها مالوا عن الطريقة العلمية إلى الطريقة الروحية .. إلى أن قالت : « ومما يدعو إلى الأسف أن أكثر اهتمام الناس كان موجها في السنوات الأخيرة إلى هذا القسم من الفلسفة كما يظهر مما نشرناه من أقوال السير « أوليفر » وأضرابه من المتقدمين بمناجاة الأرواح والتلباثي وما أشبه » .

نقول والأمر الذي جعل هذه البحوث جديرة بالنظر والتمحيص أن الجمعية الجدلية في لندن كلفت ثلاثة وثلاثين عالما من أجل أعضائها ببحثها ووضع تقرير عنها ، فقامت بما عهد إليها وكان ذلك في سنة ١٨٦٩ ، ولبثت تعمل ثمانية عشر شهراً باذلة أقصى ما يتيحه لها العلم من طرق التمحيص والتحقيق ، ثم وضعت عنها تقريراً وقع في خمسمائة صفحة ، اعترفت فيه إجماعا بصحتها . فكان ذلك مغريا للعلماء في كل بلد ببذل الوسع في دراستها ؛ وانتهى الأمر بهم جميعاً إلى القول بأنها حقيقة لا مرية فيها .

ولما آنست الكنيسة الانجليزية شدة اهتمام الناس بها ألفت مؤتمراً دينياً لأبداء رأي الكنيسة فيها . وقد نشرت خلاصة رأيها المجلات المشهورة ، فكان مما قالته عنها المجلة العالمية بقلم مديرها الفيلسوف الكبير « جان فينو » فقال :

« في مؤتمر الأساقفة الانجليكانية الذي عقد في قصر (لامبيث) من ٥ يوليو إلى ٧ اغسطس من سنة ١٩٢٠ ، اجتمع مائتان واثنان وخمسون من رؤساء الكنيسة ، منهم مطارنة كنتربوري ويورك وسدني وكيتاون والهند الغربية وميلبورن وإمارة بلاد الغال الخ ، هؤلاء عدا أكثر من مائة أسقف من أكبر الأساقفة ، وتقرر النظر في أمر الاسبرتسم والعلم المسيحي والتيوزوفية ، فاعترف المؤتمرون بقيمة هذه الميول الروحانية التي تكافح المادية بنجاح عظيم » .

***

هذه خلاصة ما حدث حول هذه المسألة في البلاد المتمدنة وقد سماها مدير المجلة العالمية بالفيض الألهي ، وقد تسرب إلى الجامعات الكبيرة ، فأسست له جامعة كمبردج في سنة ١٩٤٠ دراسة خاصة ، واتخذت جامعة اكسفورد لأمهات مؤلفاته محلاً خاصابها ، وعينت لمحاضراته عالما خبيرا به ، وأدخلته إلى حظيرتها العلمية جامعات أخرى في أمريكا ، فهل نغض نحن الطرف عنه ولا يستفيد منه حفظة العقائد ليصدوا به تيار المادية التي تتسرب إلى عقول النابتة ، وتقذف بهم من الاباحة إلى مكان سحيق ؟

لقد أدخلنا الفلسفة في معاهدنا العلمية الدينية والدينية

مصبوغة صبغة مادية على ما كانت تعرض بها فى القرن التاسع عشر فى أوروبا ، ولم نتبعها بالآراء التى تنازعها السلطان ، ولا بالمكتشفات العلمية التى نحد من غلوائها !

نعم قد نشرت بحوث عن العالم الروحى فى هذه البلاد ولكنها قوبلت بردود دلت على أن أصحابها لا يدرون عنها شيئاً ، وكان أهون ما قالوه ضدها إنها لا تزال رهن البحث ، ولم يبت فى أمرها بعد ، ونحن لا ندرى متى تنضج هذه البحوث بعد ما مر عليها قرن برمته ، وصدرت فى إثبات صحتها الوف من المؤلفات ، وأعلن اقتناعه بها الوف من العلماء والفلاسفة؟ وهل بعد دخولها أشهر الجامعات يراد دليل على أن البحث فيها قد استوفى حقه استيفاء يؤهلها لأن تأخذ مكانتها الرفيعة بين سائر المعارف المحققة ، وتؤدى للمجتمع المهام الأدبية التى لا يمكن أن يقوم بها غيرها ؟

محمد فريد وجدى

من مذكرات عمر بن أبى ربيعة

صـــديق إبليس . . .

للأستاذ محمود محمد شاكر

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

« وذهبت صهباء وبقيت أرقُبها ثلاثة أيام ولياليها وهى لا تجىء ، حتى إذا كانت ليلةُ خرجتَ أنت إلى الطائف آخر خَرْجَة ، جاءتنى صهباء فى جِنْح العَتَمَة ودخلت هى وظمياء فقالت : لقد أطاع مولاى فى مرضاتِك ، فإن أذنتِ جئتُ به الساعة . قلت لها : لبِّثى حتى يأوىَ جوان . فلما كان بعد هدأة الليل وفقدنا الصوت ، ذهبت صهباء ساعة ثم جاءت . ودَخَل علىَّ رَجُل أسمر طُوالٌ نحيل البدن مَعْروق الوَجْه أبيض اللحية أشعثُ أغبر ، كأن عينيه جمرتان تَتقدان فى وقْبَين غائرين كأنهما كهفان فى حِضْن جبل ونظرى عينى فوالله لتمنيتُ أن الأرض ساخَتْ بى ولم أنظر فى عينيه ، فما هو إلاّ أن سلَّم حتى سمعت نغمةَ صوتٍ شجىٍ كحنين الوالهة ، فوالله لتمنيت أن يتكلم ما بقيتُ . ولم أدر ما أقول ودَهِشْت وهلك صونى ، فنظرت فإذا هو يبتسم إلى ثم يقول : « يا أم جوان ! لقد سعيت إلى بيتك وما سعيت من قبل إلى بيت إلا إلى هذه البَنِيَّة « يعنى الكعبة » . وقد جاءتنى فتاتى صهباء تحدثنى عما كان منها إليك ، وقبيحٌ بامرىء أفزع قلباً ساكناً أن يدعه أو يطمئن ، ولو كنتُ أعلم أنها مفتوقة اللسان ، ما حدَّثتها بشىء أبداً » . قالت كلثم : فكأن الله جعل لى قوة سيلٍ جارف فقلت له : كذبت يارجل وكذبت بنت الأصفر ، ووالله لئن لم تأتنى ببرهان ما تقول ، لتركت شيبتك هذه أبادِيدَ فى أكفّ صبيان مكة . ووالله لو صدقت لأسترنك ولأكفينَّك ما عشتُ . فقال : « جزاك الله خيراً يا أم جوانٍ ! أما إذ كذبتِ فآيتى أن تذهبى فتستخرجى من جوف حقيبة عمر الحمراء بين جلدها ومفرشها كتابَ عبدالله بن هلال الفاسق بخط يده ، قد جعله تميمة لزوجك أن لا يراه أحدٌ إذا خرج إلى مأوى الفتاتين بالطائف ، ومعه منديلُ ابن هلال الأزرق ذو الوشىِ ، يمسح به وجْهَه قبل أن يرحل » . فما كذَّبتُ أن طِرْتُ إلى مازعم ، فوالله لقد صَدَق وبَرَّ

« قال عمر » ، قلت : ما تقولين ؟ قالت : صه يا عمر فوالله لقد صدق وبرّ ، وقلت له : أيها الشيخ ! أفأنت تعلَمُ أين نجد هاتين الخبيثتين ؟ قال : لا . قلت : فما تزعمُ فتاتكُ من أن لاشىء يفعله الخبيث ابن هلالٍ إلا كان عندك خبره ؟ قال : صدقتْ . قلت : فكيف لا تعلم ؟ قال : إنه أخبث وألأم وأضلّ وأدهى وأقرب إلى إبليس وبنته بَيْذخ ذات العرش من أن أطيق معرفة ما انقطع بينى وبينه . قلت : وما بيذخ ذات العرش ؟ قال : إنها ابنة إبليس التى اتخذت عرشها على الماء ، حولها سودٌ غلاظ يشبهون الزُّطَّ ، حفاة مشققو الأعقاب ، ولا يصل إليها إلاّ من قدّم لها القرابين من حيوان ناطق وغير ناطق ، وترك لها من الصلاة والصوم ، وقدم إليها من الذهب والفضة واللآلىء حتى ترضى ، فإذا فعل ما تريد وصل إليها فسجد تحت عرشها ، فتُخدِمه من يريد وتقضى حوائجه . قلت : وما علمُك بهذا أيها الشيخ ؟ قال : ذاك شىء قد كان والله هو التواب الرحيم . قلتُ : قد كان ! قال : نعم أما اليوم فلا ، وما يأتينى بأخبار اللعين الزنديق ابن هلال إلا صاحبٌ

من الجن قد آمن بإيماني ، ولكنه محجوب عن الأسرار . قلت : أفلا تكرمني أيها الشيخ فتسأل صاحبك أن يحتال ليعرف ؟ قال : لا أدري ! ولكن ائتيني بطست أناطق صاحبي .

« فأتيته بطست فكبّه ، وأخرج من كُمّه غلالة سوداء فنشرها عليه ، وأمر بالفتائل فأطفئت ، وطلب جمرات في طبق . فلما تم ذلك أخرج عوداً من المندل فطيّر دخانه ، وجلس واختبى ، وإن عينيه لتبصّان في الظلماء ، وجعل يتمتم ويدندن ويهمهم حتى كدت أنشق ، ثم قال : يا زوبعة ! فإذا صوت يأتي كأنما يخرج من جوف بئر شطون يقول : لبّيك أبا الحسن ! قال : أتدري أين أنا ؟ قال : بلى دريت ! قال : إنه قد حضرني من الأمر ما تعلم ، أفأنت مُدْركي بمأوى الخبيثتين قينتي ابن هلال ؟ قال : لقد علمت مالي ببينخ طاقة بعد إيماني بالله ورسوله ! قال : أفلا تحتال ؟ قال : تباً لك من شيخ سوء ! أتروموني أن أرتد إلى الكفر بعد الإيمان ؟ قال : مهلاً زوبعة ! أمالك من صديق ترفق به حتى تستل منه السر ؟ قال زوبعة : هذا فراق بيني وبينك أيها الخبيث . ووالله ما تركت السحر إلا وفي قلبك رجعة إليه . خسئت أيها الفاجر ! » وإذا الطست يتحرك فينقلب فأرى كمثل شرارة النار تنطلق مصعّدة ثم تخفى . قال الشيخ : يا أم جوان ، لقد رأيت ، ومالي من حيلة . قلت : احتل لي وقاك الله السوء ، ولا والله لا تخرج من هذه الدار حتى تعطيني المواثيق بأن تفعل ما أريد . قال : يا أم جوان ، وكيف بعذاب الله ؟

« قالت كلثم : فوالله ما إن سمعت مقالته حتى خانتني قدماي فوقعت أبكي ويرفض دمعي كالجمر ، ورأيت الدنيا قد أطبقت عليّ ، وما هو إلا أن أنشج بالبكاء . فدنا الشيخ وأسر إليّ أن أبشري أم جوان ، فلا والله ما أدعك أبداً حتى يطمئن قلبك ، واصبري غداً تأتيك الصهباء . وما أفقت حتى رأيتني كالمأخوذة وظمياء تنضح وجهي بالماء . وبقيت الليل كله أطويه ساعة بعد ساعة حتى أصبح الناس ، وقلبي يرجف ، ودمعي ينهل ، وكأن في سمعي دوي النحل ، حتى إذا قام قائم الظهيرة جاءت صهباء فقالت : يقول لك مولاي إنه يبغي رفرفين من الديباج ، وعشرة أثواب من الإبريسم ، وبُردين كذّابين من الخز ، وخمسين لؤلؤة لم تثقب . فما كذبت أن أعطيتها ما طلبت . وغابت يومين ثم جاءتني مع المشي وقالت : يقول لك مولاي : لو أطاق أن لا يكلفك لفعل ، ولكن الأمر قد استعصى عليه بعد توبته ، وإن ينذخ (بنت إبليس) لتتقاضاه كفاء ما عصاها في طاعة الله . وإنها قد طلبت أن يذبح لها من الذبائح ما يسيل على جنبات الغور (مسكن الجن) حتى ترضى . قلت : كم يريد مولاك ؟ قالت : بين المئتين والثلاثمئة . فوالله ما كذبت أن أعطيتها . فما غابت إلا يوماً أو بعضه حتى جاءت تطلب المنديل الذي أعصب به رأسي ، فما كذبت أن أعطيتها . ثم جاءتني من الغد عند الأصيل ، فقالت : يقول لك مولاي لا تصلي العشاء الآخرة الليلة حتى يؤذنك . فوالله لقد كبر علي ولكني أطعته ، وإذا أنا أسمع في سُدفة الفجر صوتاً كالتحدّر ما بين جبلين يقول : قومي إلى صلاتك . فقمت فصليت وما كدت حتى أذّن الفجر . فلما كان بعد أيام جاءتني صهباء تقول : أبشري ! سيأتي مولاي الليلة . قلت : مرحباً به من ضيف . فلما دخل الليل وسكن الناس ، جاء الشيخ لميعاده فسلم وسكت ثم قال : انظري إليّ يا أم جوان . فنظرت في عينين كالنار المشعلة في الليلة الدامسة ، وجعل يمر يده بين عيني وعينيه ، فكلما احتجبتا عني أظلمت الدنيا في عيني ، وإذا وقعت عيني في عينه أضاء ما بيني وبينه كالسراج المتوهج ، فوالله ما شعرت إلا وظمياء تنضحني بالماء حتى أفيق . قلت : يا ظمياء ! أين الشيخ ؟ قالت : لقد أذنت له أن ينصرف بعد أن أعطيته من المال ما طلب . قلت : تباً لي أين كان عقلي ! وكم أعطيته ؟ قالت : ألف دينار ذهباً ، وواعدك أن يأتيك بعد سبعة أيام بمأوى الخبيثتين .

« قال كلثم : وهذا اليوم ميعاده ، ووالله لئن صدقتني يا عمر لقد حفظتك ما عشت في قلبي » .

« قال عمر بن ربيعة » : « فوالله ما كنت أدري ما أقول ، إلا أني قلت لها : أصدقك ؟ لقد ضللت إذن أيتها الحمقاء » . قالت : « أنا حمقاء أيها الفاجر الفاسق ! ثم قامت إلى صوانها فاستخرجت منه شيئاً ونشرته لعيني ، فإذا سرقة من حرير أبيض عليها صورتان ، فما تأملتهما إلا كانتا والله قينتي ابن

هلال حيث رأيتهما وسمعتهما بالكوفة ، ولقد كانتا فى السرقة أجل وأفتن وأحبَّ إلىَّ مما كانتا . قلت : إنهما والله يا كلثم قينتا ابن هلال ! قالت : وصدق الشيخ أيها الفاجر ! أتدع حرائر بنى مخزوم إلى الخبيثات الدنيئات من بغايا الكوفة ، تخالف إليهن تحت الليل والسحر والكفر وعبث الشيطان بك وبعقلك .

[قال عمر] : وإذا جوانٌ بالباب ينظر إلى الصورتين ، ثم يتقدم ويقول : ما بك يا أمَّاه ! فتقول : هذا الخبيث الفاجر يدع الحرائر من بنى مخزوم ملطَّمات ويختلف إلى زوانى الكوفة يقتادهن إليه الخبيث ابن هلال بالسحر والطلاسم . وهذا منديله يمسح به غبارَ وجهه لا يراه الناس ساعياً إلى فجوره .

[قال عمر] : وجعلت تقص على جوان قصة ما كان ، وهى تنظر إلى كاللبؤة المُجرية ربعت أشبالها ، فما كادت تفرغ حتى جاءت ظمياء مُعْجِلةً تقول : مولاتى ، صهباء بالباب . قالت كلثم : إيذنى لها . فما كدت أراها حتى فزعت قائماً إليها وأخذتها بغدائرها : « وإنك لأنتِ أنتِ أيتها الشيطانة ؟ » فانقضَّت علىَّ كلثم تذودنى عنها وتقول : دعها أيها الفاجر ! قلت : إنها فِتن جارية الخبيث الفاجر عبد الله بن هلال ، ولطالما خدمتنى بالكوفة ! أليس كذلك يافتن ؟ قالت : ارحمني ياسيدى فما أنا إلا جارية بائسة مسكينة يركبنى هذا الشيطان بخبثه وخبائثه . قلت : وأين ابن هلال صديق إبليس وصاحبه قالت : ما تدركه يا مولاى ! فقد ارتحل الليلة وتركنى أتبعه والثَّقَل . قلت : وماجئت تبغين ؟ قالت : أرسلنى أطلب بعض المال من مولاتى .

قالت كلثم : دعها يا عمر الآن ، لقد ضللتُ إذن وبئس ما فعلتُ ، ووالله لقدخدعنى الشيطان ابن هلال . أين كان عقلى !

فقال جوان : والله يا أمَّه ! لقد كان لجور أبى بامرأتين خبيثتين من بغايا الكوفة ، أحبَّ إلىَّ من شِركك بالله وكفرك ! قومى يرحمك الله فتوبى إلى الله مما كان من ضلالك وكفرك ... »

محمود محمد شاكر

الحياة صارقة!

٢ — العدل الالهى !

مقدمات لإدراك واليقين به

[مهداة إلى العقاد الكبير بمناسبة
مقاله « تبارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف



٦ — لقد وجدت من حسن حظ الإنسانية فى هذا العصر نظم صالحة تسمح لدعوات الحق والصلاح أن تتخذ طريقها وتزاحم فى أسواق الحياة بدون عوائق غير طبيعية ، بعد أن قدست حرية الفكر والقول وسمح لكل فرد أن يقول ما عنده بدون سباب أو أذى .

لقد تيقظت الإنسانية لحياتها وقيمتها ، وعرفت قيمة الفرد فيها ، فأفسحت الأمم الراقية له المجال ليخدمها بالقول والفعل مهما كان مايدعو إليه جديداً غريباً ؛ ومتى أخذ الناس أنفسهم أن يسمعوا لكل قائل ثم يحاكموه إلى العقل فهم فى تقدم . فعلى كل مظلوم أن يصرخ ! وعلى كل داع أن يتكلم ، وعلى الجماعة أن تسمع لهذا وهذا .

والظلم السياسى أو الاقتصادى من القوى أو الغنى للضعيف المحروم هو الذى يحمل الإنسان يكفر أو يشك فى العدل الألهى . . وطبيعي أن الله لا يتدخل فى كل شىء بين الناس تدخلا ظاهراً . . وهو قد أقام قوانين الطبيعة حدوداً يتحاكم الناس إليها . . فالنار تحرق من يضع يده فيها سواء أكان صديقا أم عدواً . . والتردى من شاهق يهلك ، والتعرض للمرض عرض ، والماء يغرق . وهكذا كل عمل له نتائجه الحتمية لأنها قوانين طبيعية لا تبديل لها ولا تحويل . . والله يترك لقوانين الطبيعة العقاب الطبيعى على كل مخالفة يرتكبها الفرد أو الأمة نحو تلك القوانين . ذلك ظاهر واضح فى مجال الطبيعة .

وأما فى مجال الإنسان فالاختيار أفسد عنده كثيراً مما كان يجب أن يسير عليه سيراً طبيعياً ، إذ قد ملأ حياته بالتهاون .

فالظالم يظلم وعلى المظلوم أن يثأر لنفسه ، ولو كلفه ذلك حياته . ذلك حكم الطبيعة وردها الإيجابى كما ردت بالاحراق على من دس يده فى النار . . ولكن المظلوم كثيراً ما يغفل ويهمل الإصرار على أخذ حقه ، وكثيراً ما تبطىء الجماعة أو تهمل فى رد حقه عليه .

وما دمنا نعيش فى جماعة فلا بد أن تتولى هى الأخذ بثأر المظلوم من ظالمه حتى لا ينفرط العقد الاجتماعى . . فإذا فرط المظلوم فى حقه ، وإذا فرطت الجماعة فى الانتصاف له كان هنا حينئذ قانون طبيعى اجتماعى اعتدى عليه وخولف ولم يكن له من الإنسان تصحيح ورد لقيمته . وكان وراء ذلك حتما ثلمة فى الجماعة يتطرق منها الفساد . فليس الذنب هنا ذنب العدل الألهى ولكن ذنب الجماعة التى برهنت حين أهملت الاقتصاص من ظالمها أو ظالم أحد أفرادها ، مع أنها أقوى من ذلك الظالم ، على أنها لا تستحق الحياة الرشيدة لأنها لا تعرف قوانين المقاومة ، وعلى أنها غثاء وقش يستحق أن تضغطه قوة أخرى أصلح منه للسيطرة على الحياة .

إن الله يقاوم النفس بالنفس كما يقاوم أى قوة طبيعية بقوة مضادة لها ليضمن التناسق والصلاح ودوام كل شىء كما وضعه وجعله يسير فى دوراته الأبدية .

وإن حجته الناهضة على عدله أنه لم يجعل لأحد سيطرة على فكر أحد وشعوره القلبى . فلن تستطيع أية قوة أرضية أن تتحكم فى فكرك وشعورك ، فإذا أحسست بظلم ، فأمام نفسك قوة حرة تستعين بها : هى حرية الحركة الفكرية والغضبية لرد الظلم عنك ، فلا تغفل حقك فى الحياة ، ولا ترضى بها غير كاملة الحقوق ، ولا ترض بحياة الضعف مهما كلفك السعى للقوة ، واستمع لهذا الصوت المتفجر من ضمير الكون يصيح بك :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ ! فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » .

٧ — وأول واجبات الجماعة أن تبحث عن أصلح رجالها لتوليه حكمها . أى أن توسد الأمر إلى أهله ، وأن تقيم حدود حياتها ولا تتهاون أو تستثنى فيها ، ثم تترك لحاكمها أن يحكمها بالعدالة والقوة القاهرة الرادعة

ذلك هو أسلوب الله فى حكم العالم : قوة وإحاطة ، وقهر ويقظة ، وعدالة ومجازاة .

وإن الجماعة هى المسئولة عن كل ظلم أو فساد يتطرق إليها . وإن الله لا يتدخل بتغيير شيء فى حياتها إلا إذا أرادت وغيرت ما بنفوسها ، إنه جعلها فى الأرض صاحبة سلطان يكاد يكون مطلقا فى شئون حياتها الاجتماعية وعلى هذا فهو غير مسئول عن توزيع الثروات توزيعاً ظالما ولا عن شيوع الجهالة والآثام .

من قال إن لكل إنسان الحق فى أن يملك جزءاً كبيراً من ثروة وطنه التى جمعها له كثيرون من العمال والفقراء ، ثم لا يؤدى حق الفقير والمحروم ، ويترك أبناءهم يبحثون عن اللقمة والخرقة فى المزابل كما نرى ! بينما هو يكاد رأسه يتحطم بعمليات حساب أمواله المكدسة ! ؟

من الذى أباح للانسان أن يملك أكثر من حاجات نفسه وكمالياتها فى متوسط عمر الانسان ؟ فإذا كفل أن يملأ مطبخه كل يوم بألوان مختلفة كثيرة ، وداره بالفرش والرياش الفاخرة ، واصطبله بالخيول المطهمة والسيارات الفخمة ، وفناء داره بالأزهار وهكذا . . فما باله يشح على أمته فيما وراء ذلك ؟ !

فإذا تمتع كما يحلوله وأفرط فى ذلك حتى مرض فما باله ينسب ذلك المرض إلى الله ويسخط عليه ؟ !

من قال للانسان الغنى ، أو الفقير : احشد على مائدتك كل مادة مغلظة . . أو كل لحم الربيض من البهائم ، أو كل ما لا تطيقه أحشاؤك . . أو كل طعام الصيف فى الشتاء وطعام الشتاء فى الصيف ، أو أفرط فى السهر وعربد وأطلق لأهوائك وشهواتك العنان وسوف لا يكون من وراء ذلك شقاء ولا هم يحزنون ؟ !

ومن قال لك : كن قوادا لفلان . . أو ماسح حذاء فلان ، أو عاما له لترقى أو تنال درجة أو وظيفة ؟

ومن قال لك : بع حريتك واجعل خدك مداسا وقل للكلاب : يا سادتى . . فى سبيل الخبز القذر المعجون بدموع الذلة !

ومن قال لك : اترك ابنك قذر الجسم والثوب عليه التراب والذباب لأن العمر بيد الله ؟ !

ومن قال لك : لا تحافظ على الطفولة « منطقة نمو الإنسانية » وأخرجها ضعيفة جاهلة ؟ !

ومن قال : إن الحياة آلام ومشقات ؟

من قال ؟ ومن قال ؟ ومن قال ؟ آلله قال هذا ! أم الجماعة الفاسدة هى قالت ذلك ونسبته إلى الله ، جعلتك تهجم على العدل الإلهى الذى أقام الناموس الطبيعى بموازين لا تخطىء ولا تحابى ؟ !

اسمع ما يقول القرآن : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ؛ ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . « وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » . « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاتقون » والتقوى كلمة جامعة ينبغى أن يكون لها مدلولها الأول : وهو العمل الوقائى للخير ولدفع الشر . « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم » إلى آخر الآية التى مر ذكرها .

٨ — قم إلى جسمك وقوه بالرياضة وحافظ عليه من عوامل الفساد ، ولا تأكل إلا ما يسمح لك به الطب ، ولا تسرف فى الأكل والشرب ، ونق جسمك من الأخلاط والفضلات الضارة . . ثم انظر هل يبقى به من سقم أو كلال إلا ما تستتبعه الحياة العادية فى الأرض ؟ !

وقم إلى منزلك ومتعه بهبات الله من الشمس والضياء والهواء والبعد عن العفونات والرطوبات ثم انظر هل تجد فيه غير بهجة الحياة ؟

وقم إلى فكرك وعلمه وهذبه وسلحه بأدوات العصر وقلبه فى أعاجيب الكون ، ثم انظر هل تجد بعد ذلك سخطا فى نفسك وتشاؤما ؟ ! وقم إلى حواسك ومتعها بالجمال المباح ولا تحرمها من زينة الله التى أخرج لعباده ، وأذهب عنها الملل والسأم وعنت الجد والعمل ببعض اللهو واللعب المشروع ، وغن فى غير فحش إن كنت حسن الصوت ، واسمع الغناء والألحان فى غير إسراف ، وارقص رقص الرجال ، رقص الفتوة وطفور القوة الذى لا تخنث فيه ولا شهوة ولا مخاصرة ، لتنفض عن كتفيك أعباء الهموم فى بعض ساعات حياتك . . واضحك من قلبك كطفل ، وافرح بالشمس والقمر ، وأسلم جسمك للنسمات . ولكن احذر أن تحول الاحساس بالراحة من عنت الأعمال الجدية إلى شهوة تتملكك وتسلبك التحكم فى إرادتك وتمنعك من أداء واجباتك . فإن هذه الملاهى والراحات ما حرمت عند بعض المتزمتين إلا لأنها تطغى على النفس وتمنعها عن الواجبات . وكما أن الماء يحرم إذا أورث شاربه

أذى كذلك تحرم هذه .

وقم إلى طفلك واحذر أن تلقى بذرة إنسانية مسمومة بالخمر أو الأمراض الخبيثة حتى ينبت وهو صحيح فى ظلمة الرحم ثم حافظ عليه وهو حمل جنين فلا تحمل مؤثراً عنيفاً يؤثر فيه حتى يخرج الطفل بريئا من عوامل الالتواء والاعوجاج فتعهده وتيقظ لتنمية حواسه وجسمه وافتح روحه وثقفه ، وكله وهذبه .

وقم إلى روحك فاعتقد لها العقيدة الصالحة الصحيحة وتعبد بمقتضاها حتى توقظ فيك حياة الاتصال ببارىء الكون وتجعلك تحيل عليه جميع أمورك وهمومك وآمالك ، وتقدم إلى وجهه جهادك وصبرك . ثم قم إلى الجماعة التى تعيش فيها وأقمها على المنطق والمصلحة العامة واحمل الناس على الانصاف فإنك حينئذ ترى الفردوس المنشود .

٩ — كل هذا قد لا يملكه الفرد لنفسه وذريته وحياته ، ولكن تملكه الأمة لأفرادها إن أرادت ! وإرادتها حينئذ تكون من إرادة القدر الألـهى . . بل إرادة النفس هى بدء إرادة القدر الذى فى حدود قوانين الحيــاة . أما القدر الذى يأتى من وراء الحدود فذلك أمره إلى الله وحده . وهو قليل ونادر جداً .

إن محمداً رسول الله هزم هو وجيشه فى يوم « أحد » ويوم « حنين » لأن فئة من جيشه لم تأخذ بما أمرها به العقل فتركت فى أحد أماكنها فى الصفوف لشهوة صغيرة ، وأعجبها كثرتها فى حنين فلم يحابِ قدر الله الجميع ولو كانوا أصحاب محمد لأن القدر لا يحابى من يخالف قوانين الحياة . وفى ذلك إرشاد بالغ للمسلم حتى يعتمد على فكره وإرادته بعد أن يطلب التوفيق من الله .

إننى أتصور فى بعض الأحيان أننى ألقيت بنفسى فى النيل ، أو لم أنحرف عن طريق ترام مقبل أو سيارة شبراً واحداً ، فاذا بحيــاتى تضيع لأنى أنكرت قوة من قوى الطبيعة لم أحسب حسابها أو استهزأت بها . وهى ذات بأس الحديد أو صعق النار أو غمر الماء .

إن الذى يقرأ القرآن مليون مرة فى مواجهة عـدو مسلح لا يجديه ذلك شيئا كما يجديه أن ينفذ آية واحدة منه وهى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . الخ » ! ذلك لأن اللص لا يجديه شيئا أن يحفظ أو يتلو قانون العقوبات ، لأن هذا القانون لم يوضع للتلاوة والاستظهار بل للتنفيذ .

فالأوامر القرآنية منزلة لتنفيذها وإقامة الحياة بها لا « لحفظها » وإهمال تطبيقها . وتلك حقيقة أخطأ كثير من المسلمين فهمها مع الأسف .

وطبعا ليس فى هذا وعد بالجنة فى الأرض بناء على تنفيذ هذه الوصايا . . ولكن فى هذا زحزحة عن النار . . عن جحيم السخط والألم والنكران والجحود والشك فى قيمة الإنســان وفى العدل الألـهى وعن النظر إلى حياة التدين كحياة كآبة وضعف وحزن وضنى وألم وسخط وندم .

وبعد « فلنحاسب » الله « ولنحاكم » عدله الآلهى بعقل سام وفكر كبير كفكره تعالى فى الطبيعة كلها . . وهذا لا يكون إلا إذا نظرنا إليه تعالى نظرة تتمثل فيها الإنسانية كلها لا نظرة أمة أو جماعة يزعمون أنهم شعبه المختار ، فهم لذلك يعتقدون أنهم أحق بكل ثروات الأرض وقوة الأرض وجنة السماء ! أو نظرة جماعة ذليلة مستعبدة فقيرة يملكون أن يموتوا أحراراً ولكنهم لم يفعلوا ورضوا بمذلات الحياة .

فمن سوء الإصرار وقلة الانصاف أن نظل نحاسب عدل الله بعقول أطفال قصار النظر يريدون أن يستأثروا بحبه تعالى لهم وحدهم ويحاربوا من عداهم من عياله .

ومن المضحك أن كل شعب يزعم أنه الشعب المختــار . . أفراده أبناء الله وأحباؤه ! ومن المؤسف أن كل فرد فى كل شعب غير مهذب يريد ثروة الحياة كلها لنفسه وحدها !

إننا نستطيع أن نقيم العدل الألـهى فى الأرض وأن نحصل على السعادة إذا تحررنا من تاريخ طفولة البشرية الذى لا يزال يصاحبنا ويتمثل فى غرائز الإنسانية تمثلا فظيعا يحيل حياة كل أمة إلى شقاء ، ويجعلنا كأنا نخسر التمتع اللائق بهذه الرحلة السعيدة التى دعانا الله إليها على هذه الأرض ، ويؤخر تقدمنا العلمى الذى يفتح علينا بركات من السماء والأرض تطعمنا من جوع وتؤامننا من خوف وتزودنا من طمأنينة اليقين بعدل الله والرضا عن الحياة .

عبد المنعم خلاف

على هامش النقد

٢ ـ مليم الأكبر

بحث وقصة ... عادل كامل

للأستاذ سيد قطب

تقدم الأستاذ عادل كامل إذن بقصته هذه التي تحدثنا عنها — على قدر الإمكان في مقال سابق الى المجمع اللغوي، فلم تمنحها اللجنة الأدبية جائزة القصة المقررة . وقد وافقنا نحن اللجنة في قرارها على أساس أن مثل هذا الاتجاه ما يحتمل الكاتب تبعته وحده أمام القراء مباشرة ، بلا وسيط من الهيئات المسئولة .

وعندئذ كتب المؤلف تلك المقدمة الطويلة التي بلغت مائة وثمانيا وعشرين صفحة ! وكان في ذلك الخير . فقد أصبحت هذه المقدمة بحثا مطولا في اللغة والأدب والفن والأخلاق وصارت هي الأخرى عملا أدبيا مستقلا بذاته ، قابلا للنقد والجدال !

ولقد تشعبت نواحي هذا البحث ، فلابد من الاختصار في مناقشتها . وتيسيرا للأمر سنسلك نفس الطريق الذي سلكه في إيرادها .

***

فهم الأستاذ عادل أنه كان هناك اعتراض على « مستوى » أسلوب القصة ، فأخذ في بيان مايفهمه عن الأساليب الجيدة والأساليب الرديئة فنفى أولا بأن هناك فكرة وتعبيرا كلاهما مستقل عن الآخر ، وأن هناك فكرة جيدة تعرض في أسلوب ردىء .

« هـذا رأى النظرة العجلى » فالفكرة لاتخطر للكاتب مجردة ، بل تأتيه في صورة ألفاظ ، هـذه الصورة اللفظية هي أسلوبه الذي تتحكم فيه الفكرة تحكما تاما. لهذا فأنت لا تستطيع أن تعبر عن الخاطر عينه بطريقتين مختلفتين . ختم أن يتغير المعنى ان اختلفت طريقة الصياغة . لأن المعنى الذي يوحي به اليك كاتب ماهو خليط غير منفصل من الفكرة واللفظ

« فمن يفهم الأدب فهما صحيحا لا يقر بامكان وجود موضوع جيد مكتوب بأسلوب ردىء ، لأنك وان اعجبت بالموضوع ، فأسلوب الكاتب وألفاظه هما اللذان أوحيا اليك بالإعجاب ، فهما الصلة الوحيدة بينه وبينك .

« ثمة فكرة جيله سرت الى نفسك ، وأنت تطالع كتابا كيف تم هذا ! عن طريق لفظ وفي صورة لفظ . ختم إذن أن يكون الجمال في اللفظ. إذ لو كان الأسلوب رديئا لما وصلتك الفكرة الجميلة »

وهذا كلام جيد . ونحن نوافق عليه بنصه وفصه . لا بل أنا قد كتبته منذ أشهر في فصل من فصول كتابي « التصوير الفني في القرآن » الذي يطبع الان ...

ولكن من الحق أن نرجع الفضل الى أهله . فلست أنا ولا الاستاذ عادل ، ولا النقاد الحديثون في أوربا هم أول من خطرت لهم الفكرة على هذا النحو كما يقرر هنالك رجال ممن كتبوا عن « البلاغة » منذ مئات الأعوام قد اهتدى الى هذه الحقيقة ؛ ولقد عبرت عن هذه الحقيقة في كتابي على النحو التالي

« إنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل في مشكلة اللفظ والمعنى الى رأى حاسم حين انتهى في «دلائل الإعجاز » الى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، انما من حيث دلالته على معنى . وأن المعنى لا يتناوله البحث من حيث هو خاطر في الذهن ، ولكن من حيث أنه ممثل في نظم . وأن المعنى مقيد في وجوده بالنظم الذي يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد .

« لم يصغ عبد القاهر القضية هذه الصياغة فنحن نترجم عنه باختصار، وإلا فقد استغرق فيها كتابا كاملا لا نستطيع نقله هنا ، ولا نقل فقرات منه بذلك الأسلوب المعقد الذي لا يتسق مع كتاب عن « التصوير الفني في القرآن » !

« ولكن « عبد القاهر » له فضله العظيم في تقرير هذه القضية . ولو خطا خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة في النقد الفني . فنقول نحن عنه : إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى . وإنه حينما اختلفت طريقة التعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورة هـذا المعنى في النفس والذهن . وبذلك تربط المعاني وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده

عن المعانى والالفاظ كل على انفراد . فلن يبرز المعنى الواحد الا فى صورة واحدة ، فاذا اختلفت الصورة اختلف المعنى بقدر اختلافها . وقد لا يتأثر المعنى العام فى ذاته ، ولكن صورته فى النفس والذهن تختلف ، وهى المعول عليها فى الفن ، اذ التعبير للتأثير ، فاذا اختلف الاثر الناشىء عنه ، فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء ! »

هذا ما كتبته يومذاك . وفيه اقرار بالفضل للمفكر الاول ، مهما يكن فى عرضه للرأى من تقصير ، ذلك أنه لا يطالب بالكمال فى ذلك الزمن البعيد

ثم يستطرد المؤلف إلى أن اللفظ قد استبد بالأدب العربى وأن آداب اللغة العربية جميعها آداب لفظية ، وشىء كثير من هذا صحيح . هو صحيح بالقياس الى النثر العربى بلا جدال . أما بالقياس الى الشعر فالأمر قد يختلف . ذلك أن هذا الشعر على ما فيه من عيوب تعرضت لها فى مقالين قريبين بالرسالة واقتبس منهما الأستاذ عادل فى الاستشهاد على هذا الرأى بعض الفقرات — أقول على الرغم من ذلك فانه لم يخل من القليل الجيد الحى المعبر عن الحالات النفسية والخلجات الطبيعية ، التى تبرز فيه من وراء الألفاظ حتى لتتوارى هذه الألفاظ ، والمجال لا يتسع هنا لضرب الأمثال ، فأنا معجل عنها إلى قضية أخرى تعرض لها الأستاذ عادل تعرضا لم يرض الكثيرين وذلك حين يقول :

« ولعل مما يلقى بعض الضوء على سر استبداد اللفظ بأدباء العرب ما قاله « موم » بصدد الأسلوب الأدبى فى أمريكا . ففى رأيه أن هذا الأسلوب الذى تستمد معظم مقوماته من لغة الجمهور الحية يعتبر — فى نماذجه الجيدة — أكثر أصالة وحيوية من أسلوب الكتاب الانجليز . وهو يرجع علة ذلك إلى أن الكتاب الامريكيين نجوا من استعباد الترجمة الانجليزية للتوراة التى وضعت فى عصر الملك جيمس » كما أنهم كانوا أقل تأثراً « بالاساتذة » الانجليز القدماء . والحق إن تحكم كتاب بعينه فى أدب شعب من الشعوب — ومثله تقديس كاتب أو نخبة من الكتاب — معناه منع هذا الأدب من النمو والتطور ، والوقوف به عند حد معين لا يتعداه إلا بالثورة . والثورة تصلح ولكنها تحطم وتفسد فى نفس الوقت . ومع ذلك فقد تصبح فى بعض الاحيان شرا لا بد منه »

فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير الى أسلوب « القرآن » وتحكمه فى نمو الأدب العربى ، وغضبوا لهذا الفهم جدا ...

وأنا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، وأن أحكم الحس الدينى فى مسألة أدبية

إن هذه الواقعة غير صحيحة فى ذاتها ومن أساسها بالقياس الى الأدب العربى وعكسها هو الصحيح . والأمر الذى اهتديت اليه فى كتابى الذى مر ذكره ، قد يبدو عجيبا لأول وهلة .

إننى أزعم أن الادب العربى لم يستفد بعد من أسلوب القرآن طوال هذه الاربعة عشر قرنا من الزمان ! بله تحكم هذا الاسلوب فى نموه ! لقد بقى القرآن مجهولا — من مناحية الفنية — طوال هذه القرون من العرب وغير العرب على السواء . فى الوقت الذى نضج البحث فيه عن النواحى التشريعية والاجتماعية والتاريخية واللغوية ...

ان سر التعبير القرآنى قد بقى مغلقا ، فلم يتأثر به الادب العربى فى صميمه مجرد تأثر . هناك اقتباسات ومحاكاة لفظية ، ولكن الطريقة والاتجاه قد بقيا سرا مغلقا الى الآن ، ولو قدر للأدب أن يستقى من هذا المعين لكان اليوم غير ما كان ...

إن عيب الادب العربى الاول — كما قلت فى مقالى بالرسالة — أنه ضئيل الحظ من الصور والظلال ، وأن الذى يغلب عليه هو المعانى الذهنية والحسية ، والتعبيرات المباشرة التى لا تلقى ظلا ولا تشع حياة . وهو فى هذا نقيض الاسلوب القرآنى الذى يجعل الصور والظلال قاعدة فى التعبير ، والذى يحيل المعانى المجردة والحالات النفسية صورا ومشاهد وظلالا . كما يحيل كل جامد فى الطبيعة شخوصا حية وكل مشهد من مشاهدها جديد كأنما تراه العين أول مرة والذى يصور المعانى الذهنية كما تبدو من خلال نفس حية ... وهذا ما ينقص الادب العربى ليبلغ مداه .

ولن أستطيع هنا ضرب الامثلة ، ولا سرد بحث قد استغرق منى أكثر من مائتى صفحة . ولكننى أستطيع أن أجزم بعد الاستقراء الممكن للشعر العربى أنه لم يستق من معين القرآن . فقد تحكمت فيه — مع الاسف — تقاليد الشعر

الجاهلي فترة طويلة بعد وجود القرآن ، ثم تحكمت فيه المباحث الفلسفية والذهنية منذ القرن الثالث بل قبل ذلك ، فصار في معظمه أدبا حسيا ثم أدبا ذهنيا ، وقلت فيه الصور والظلال ، لانه أبعد عن معين الصور والظلال . فاذا آن له اليوم أن يرجع إلى هذا المعين ، فسيجد فيه الزاد الكثير ! ... إذا كان تحكم كتاب بعينه في الأدب الأنجليزي قد عوق نموه فاننا كنا نتمنى تحكم كتاب بعينه في الأدب العربي ليدفع به الى الأمام.

* * *

وعلى كثرة ما أجاد الأستاذ عادل وهو يتحدث عن عيوب الأساليب العربية في النثر ، وعن الحسية والذهنية في الشعر ، وعن القصور المعيب في قواعد النقد ، فقد كان اندفاعه العنيف في هذا المجال سبباً في تجاوز القصد ، ومجانبة الصواب في بعض الأحيان . إننا نتفق معه في وجوب أن علك نحن اللغة ولاندعها تملكنا بأساليبها التقليدية ، وكل ما ذكره في هذا الصدد بالغ غاية الجودة ، ولكنه حين يتجاوز هذه المنطقة يأخذ في الغلو .

يقول مرة : « موضوعات الشعر العربي ـ فيما عدا الغزل ـ هي الحكم والفلسفة ، ثم النقد في صورة هجاء والوعظ في صورة مديح . فإذا تركنا الغزل جانبا وجدنا أن هذه الأغراض جميعا أجنبية عن الشعر ، لا بوصفه نظما ، ولكن بوصفه أداة تعتمد على إثارة الخيال . . »

وفي هذا الكلام غلطة أساسية . فليس هناك موضوع للشعر وموضوع للنثر . إنما العبرة بطريقة تناول الموضوع . ففي بعض حكم المتنبي مثلا شعر أصيل ينبعث من نفس حية ويوحي بشتى الانفعالات ، وفي هجاء ابن الرومي صور فنية بارعة مليئة بالحياة ، وفي بعض الوصف للبحتري إيحاءات وظلال شاعرية.. وهكذا .

فمن الخير أن ننظر في الفن دائماً إلى طريقة تناول الموضوع لا إلى ذات الموضوع . فكل موضوع قابل للفن وقابل للعلم وقابل للفلسفة على نحو من الانحاء .

ورأى آخر في الشعر الغنائي .. فانني أرى بيننا فتنة لاتنتهي بالشعر القصصي والشعر الروائي . وأنا أزعم أن الأصل في الشعر هو الغناء . الغناء الذاتي الفردي . وأنه حين يتجاوز هذه المنطقة يكاد يتعدى خير مجالاته . وأنه إذا كان الشعر القصصي أو الروائي قد راج في حقب من الزمان ، فانه الآن غير قابل للحياة إلا معجزة ، وأنه آن للشعر أن يرتد غناء ، وغناء فحسب !

إن الشعر العربي لم يتخلف لأنه غناء ، ولكن لأنه لم يكن غناء حقا ! فلم يعرف كيف يغني فينطلق من قيود الحس والذهن إلا في القليل منه ، وهذا هو أخلد قسم فيه .

ونحن لا نوافق رأى أرسطو الذي يستشهد به الأستاذ عادل : « إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أقل حديث ممكن وإلا فهو ليس بالمصور والمحاكي لأعمال الرجال كما يفترض فيه »

فلأرسطو أن يقول في هذا ما يشاء . فنقول له : كلا ! إن على الشاعر أن يتحدث عن نفسه أكثر حديث ممكن ، وله ألا يلتفت مرة واحدة إلى سواه !

* * *

ولدينا مباحث كثيرة قد أثارها الأستاذ عادل عن طبيعة اللغة العربية وعيوبها الذاتية كامنة ، والخلاف بيننا وبينه طويل في هذه المباحث ، وإن وافقناه في الكثير منها ، فنحن لا نرى النقص في صميم اللغة ، ولكن في أساليبها ، والأسلوب من صنع الأدباء وعليهم وحدهم أن يطوعوه . وعلى كل حال فنحن لا نجد الفراغ الكافي للجدل حول هذه المباحث ، لأننا نريد أن نعرض لنقطة أخيرة .

تلك هي مسألة الأخلاق ، ومسألة الكتابة عن العظماء ، وبينهما نوع من الارتباط ، ولا نحب أن نطيل القول في هذا المجال ، فلنرجع به إلى قاعدة محدودة .

أمن الخير للانسانية أن تنطلق مع غرائزها وشهواتها ـ بلا ضابط ولا قيود ـ أم من الخير للانسانية أن تكون هناك كوابح وزواجر في صورة من الصور ؟

وبتعبير آخر : أمن الخير للانسانية أن تظل خاضعة للغرائز خاضعة للشهوات . أم من الخير للانسانية أن تتحرر من هذه الضرورات ـ ولو بالتسامي والتصعيد إذا كانت لم تبلغ حتى اليوم درجة التحرر التام ؟

أما نحن فلا نتردد في اختيار الوضع الأخير . وأما الأستاذ عادل فيجمل (جماعة القلعة) في قصته يرون الخير كله في إباحة كل محرم ، وفي الانطلاق من جميع القيود الأخلاقية ، للوقوع في جميع القيود الغريزية !

وهذا هو مفرق الطريق !

ثم إنه ينكر على بعض كبار الأدباء عندنا ، ويستشهد في

إنكاره هـذا رأى للدكتور مندور ! أن يكتبوا عن محمد وأبى بكر وعمر وعلى . لماذا ؟ لأنهم عظماء ! وكان الواجب أن يكتبوا عن (رجل الشارع) !

لكأن العظمة جريمة يعاقب عليها أصحابها بالإهمال !

إن رجل الشـارع ليستحق الحديث ، نعم ، ولـكن العظيم يستحقه ـ على الأقل كرجل الشـارع ـ والأدب مكلف أن يتحدث عمن يحسن الحديث عنهم ، من هؤلاء أو من هؤلاء ، وكل تحكم فى اتجاهه إنما هو مجاوزة للحق ومجانبة للصواب .

* * *

وبعد فليس ما ناقشته هنا إلا جانبا ضئيلا مما طرقه المؤلف من مباحث ، وحسبه أن يثيرنا للرد أو للموافقة ، فهذا أو ذاك نجاح ولا شك للكتاب .

سيد قطب

أثر الرسالة فى الأدب المعاصر

بمناسبة دخولها فى السنة الثالثة عشرة

للدكتور سيد حنفى

راودت خاطرى طويلاً فكرة الكتابة فى أثر الرسـالة فى الأدب المعاصر . ولم يكن يمنعنى عن المضى فيها غير انتظار المناسبة ، فأنا رجل بطبيعة مهنتى لا أقبل على عمل إلا بميعاد معلوم ، ولا اقيم له كيانا إلا بميزان محدود . ثم كانت مناسبة دخول الرسالة فى عامها الثالث عشر فتجسمت الفكرة يقينا فعملا ، وأسرعت إلى الكتابة يدفعنى عاملان مهمان : الأول مايضطرب فى نفسى من رغبة الإنصاف ، والثانى ما يغمرنى غمراً من أطايب الرسالة وكتابها وشعرائها شيبا وشبانا .

ليس من شك فى أن الكتابة عن أثر الرسـالة فى الأدب المعاصر تسدى خدمة كبيرة لمحبى الأدب والتاريخ الأدبى خاصة ، فليس من الميسور على القارىء فى المستقبل أن يلم بأطراف نهضتها الأدبية العظيمة فى مجلدات ضخمة قد يتيسر له الإطلاع عليها وقد لا يتيسر . ومن ثم فان الكتابة المركزة التى ترسم حدود المدارس الأدبية الكبيرة التى نشأت فى ظلال الرسالة وكان قادتها من كتابها وشعرائها ، إن هذه الكتابة تيسر الأمر الذى يصعب فى الحالة الأولى ، وتوفر الجهد لمن يريد الإطلاع والمعرفة وإقرار الحقوق لأصحابها .

ولا يهمنى هنا أن أرسم الخطوط والظلال كاملة لقادة هذه المدارس ، ولهذه المدارس نفسها ، فهذا لا يتسع له مقال ، وإنما يحتاج إلى كتاب . وحبذا لو نهض بهذا العمل الجليل أديب فاضل من أدباء الرسالة ، والذى أريد أن أكشف عنه وأقدمه إلى القراء هو تقسيم أدباء الرسالة وشعرائها إلى مدارس متميزة متباينة لكل منها خصائص واضحة .

وقبل كل ذلك سنقدم أسماء كبار كتابها وباحثيها من شيوخها ، وأسماء كبار كتابها وشعرائها ومفكريها من شبابها ، وسنضطر إلى وضع اسم واحد فى قسمين من تقسيماتنا لجمع صاحبه بين النثر والشعر مثلا . وسيرى القارىء أيضاً أننا سنذكر أسماء لا تكتب فى الرسالة اليوم ، ولكن الحق والغيرة الأدبية يقتضيان أن نذكر فضل الرسالة عليهم وفضلهم عليها ليتم فضلهما معا على الأدب عامة . فمن شيوخها الأفاضل : الأساتذة الأجلاء : الزيات ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، والعقاد ، وعزام ، والرافعى ، ومظهر ، ومحمد عوض ، وزكى مبارك ، ومحمود البشبيشى ، والغمراوى ، والنشاشيبى ، والرصافى ، وأحمد زكى ، وعبد المتعال الصعيدى ، وتوحيد السلحدار ، وتوفيق الحكيم ، والأب أنستاس الكرملى ، وعلى محمود طه ، وابراهيم ناجى ، والنشار ، وجميل صدقي الزهاوى ، وإيليا أبو ماضى ، ومحمود غنيم ، وخليل بك مطران ، وقدرى طوقان ، ورامى . ومن شبابها المبقريين : الأساتذة الكرماء : على الطنطاوى ، وعبد المنعم خلاف ، وسيد قطب ، وصلاح المنجد ، ومحمود الخفيف ، ومحمد مندور ، ودربنى خشبة ، ومحمود إسماعيل ، وحسين البشبيشى ، وأمجد الطرابلسى ، وسـعيد العريان ، وصالح جودت ، ومختار الوكيل ، ونجيب محفوظ ، ومحمود السيد شـعبان ، وزكريا ابراهيم ، وفهمى عبد اللطيف ، وعبد الرحمن الخميسى ، والعوضى الوكيل ، والعجمى ، والصيرفى ، والدكتور عزيز فهمى ، وفتحى مرسى ، والجبلاوى ، والرحلاوى ، وعتيق . ولن أستطيع نسيان السيدة الزهرة ، والآنسة فدوى طوقان .

هـذه أسماء لامعة فى تاريخ الأدب ، والفضل فى ظهورها فى الأفق الأدبى يرجع إلى الرسالة قدمناها بغير ترتيب لنمهد للقارىء السبيل إلى تقسيمها إلى مدارس يجمعها الرسالة .

رأينا أن بعض هذه الشخصيات قد انفردت باستقلال فى شخصيتها ، بل إن قوة هذه الشخصية المنفردة قد أثرت فى غيرها

فكونت مدارس سنعرض لها . ومن هذه الشخصيات الأساتذة: الزيات والرافعي والعقاد ، وهؤلاء كان لهم حقا مدارس ملموسة الأثر في الرسالة . أما طه حسين وزكي مبارك فمع حيويتهما الفائقة فإن أثرهما وإن عظم في الأدب عامة ، لا نستطيع أن نجد له خطوطا بارزة في مدارس الرسالة الأدبية . وسنتكلم عن هذه المدارس .

مدرسة الزيات

ليس من شك في أن للأستاذ الزيات طريقة فذة واضحة التقاسيم ، قوية السبك ، ولعل أبلغ بيان لها وأقوى دفاع عنها هو ما كتبه في سلسلة مقالاته عن « دفاع عن البلاغة » ولسنا هنا بصدد توضيح معالمها ، وإنما علينا أن نشير إلى تلامذتها وحملة مشعلها . وسنجد أن الأستاذ الزيات وإن كان كاتبا فحسب قد أثر في شعراء كثيرين .

فمن كتاب هذه المدرسة مع تفاوت في القوى والقرب أو البعد عن الأصل : الأساتذة الأفاضل : صلاح الدين المنجد ، وشكري فيصل ، ودريني خشبة ، ومحمد فهمي عبد اللطيف ، ومحمد محمد المدني ، وعبد الرحمن عيسى ، ومحمود عزت عرفة .

أما الشعراء الذين تلمح أثر الزيات فيهم فيمتاز كل منهم بأنه ملك القدرة على الكتابة نثراً رصينا وشعراً قوي السبك حلو الرنين ، وفي مقدمتهم الأساتذة : علي محمود طه وعبد الغني حسن ومحمود الخفيف وحسين محمود البشبيشي وأنور العطار ومحمود السيد شعبان . وكل منهم يحتل مكانا عاليا في الخلود الأدبي مع اختلاف في المزاج والاتجاه سنعرض له أخيراً عند الكلام عن مدارس الرسالة الشعرية .

مدرسة الرافعي

كون الرافعي رحمه الله مدرسة كبيرة ، ولكنها في الحقيقة لم تنجح كل النجاح في تقليده تقليداً كاملاً ، وإن كانت قد أحبت نهجه ودافعت عنه وألف بعضهم فيه كتابا قيما . ولعل صعوبة التقليد للرافعي ناشئة عن خياله الخارق للعادة ودرايته العجيبة بكل شاردة أو واردة في اللغة والأدب . ومن تلامذة هذه المدرسة من لم يتأثر إلا بها ، ومنهم الأساتذة الأجلاء سعيد العريان ، وعلي الطنطاوي ، ومحمود محمد شاكر . ولعل أقرب الشعراء إلى هذه المدرسة هو محمود حسن اسماعيل ، ولكننا قد نلمح للرافعي أثراً في بعض الشعراء ، وسنعرض لذلك بعد الكلام عن مدرسة العقاد

مدرسة العقاد

أما العقاد فله مدرسته وله شخصيته ، وهي الآن أشد أثراً ، ولم ينجح كل تلاميذه في تقليده وإن نهجوا نهجه في طريق البحث والتفكير ووسائل التقسيم والتفسير . ولقد برز منهم أساتذة أفاضل في مقدمتهم الأساتذة : سيد قطب ، وعلي أدهم ، والزحلاوي ، والجبلاوي . وممن تأثروا به في الشعر غير سيد قطب والجبلاوي مخيمر والحملاوي والعوضي الوكيل وخاصة في بدء نشأتهم

وهناك مدرسة شعرية بين المدارس الثلاث : وهم شعراء جمعوا بين قوة الديباجة ورقة الموسيقى من الأستاذ الزيات . وقوة الخيال الشعري من المرحوم الرافعي . وملكوا العمق التأملي في الخفايا الوجدانية من الأستاذ العقاد ، وأغلب هذه المدرسة من الشباب وفي مقدمتهم الأستاذ محمود اسماعيل والأستاذ سيد قطب والاستاذ حسين البشبيشي والأستاذ عبد الرحمن الخميسي ، وفي هؤلاء صوفية حبيبة وروح فني وضاء

أما الأساتذة : الوكيل والعجمي وشعبان وعبد الغني حسن وزكي مبارك ففي شعرهم قوة ديباجة وموسيقية ولكنهم يلهون المعاني بهوادة .

مدرسة الأعلام الثقاة

ولعلها كلها من شيوخ الرسالة الأمجاد . وإن كل عالم منها لأشهر من أن يعرف في الأقطار العربية ، بل إن آراءهم وأقوالهم وتحقيقاتهم الأدبية واللغوية لتحمل القول الفصل ، وهم الأساتذة الأجلاء العلماء اسعاف النشاشيبي والأب أنستاس وأحمد العوامري ومحمود البشبيشي والزيات والمبارك ، وهؤلاء ينظر إليهم كقادة محافظون على اللغة فوق قيادتهم للأدب .

وبعد فهذه كلمة موجزة تحتاج الى تفصيل .

دكتور

سيد حنفي

شهيد كربلاء !

[بقية المنشور فى العدد الماضى]

للأستاذ محمود الخفيف

وَيَوْمٍ من الدَّمِ إصباحُهُ … عَلَى الأُفُقِ ذائبُهُ الأحْمَرُ
به صُوَرُ الهَوْلِ قبل الوقوع … كأنَّ السَّماءَ بها تُنْذِرُ
كأنَّ الرَّدى شَبَحٌ ماثلٌ … إليهِ قُلوبُهُمُ تَنْظُرُ
من الحَرِّ تَشْوِى الوجوهَ ضُحىً … كأنَّ الجحيمَ به تَزْفِرُ

بمَيْمَنَةِ الصَّفِّ قامَ زُهَيْرُ (١) … وقامَ حبيبٌ (٢) على المَيْسَرَه
تَهَلَّلَ فى كُلِّ نَفْسٍ يقينٌ … تُلاقى به المَوْتَ مستبشِرَه
وكم مِنْ كَمِيٍّ ترى وَجْهَهُ … فَتُبْصِرُ فى وجهِهِ قَسْوَرَه
مِنَ الجِدِّ تَعْبَسُ تلك الوجوهُ … ومِمَّا ارْتَضَتْهُ ترى مُسْفِرَه

وهذا الحُسَيْنُ فَتَى هاشِمٍ … بِقَبْضَتِهِ سَيْفُهُ مُنْتَضَى
تلألأ فى الصفِّ وَجْهُ الحُسَيْنِ … كصارِمِهِ العَضْبِ إذْ أوْمضا
تَخايَلُ فى وجهه مِنْ أبيهِ … عَلِيٍّ إمامِ الهُدَى المُرْتَضَى
يُسَوِّى الكُماةَ ويدعو الرُّماةَ … ويَخْضَعُ لله فيما قضى

به غُلَّةٌ والفُراتُ الدَّفوقُ … عَلَى قابِ قَوْسَيْنِ أو أقْرَبُ
تُلألئُ شمسُ الضحى ماءَهُ … فَلألاؤه للحشا مُلْهِبُ
وقد أضرمَ الحَرُّ أنفاسَهُ … ونارُ الوغى حَوْلَهُ تَصْخَبُ
يَظَلُّ عَلَى قَرْنِ شَيْطانِها … نذيرٌ بأهوالها يَنْعَبُ

أبوه عَلَى الحوضِ يسقى العِطاشَ … إذا الحَشْرُ عَجَّ بهم واضطَرَمْ
فيا وَيْحَهُمْ يمنعون الحسينَ … مِنَ الماءِ وهْوَ لديهم عَمَمْ
وكم بَلَّ غُلَّةَ ذى غُلَّةٍ … حُسَيْنٌ وكم كانَ عَيْنَ الكَرَمْ
حَيًا فى الجُدوبِ سَنًى فى القُطوبِ … حِمًى فى الخطوبِ غِنًى فى العَدَمْ

يُعالِجُ كُلُّ فَتَى سَيْفَهُ … وقد شهدَ الأكثرينَ نِفارا
تَنادَوْا وقد أحدقوا بالظِّماءِ … إذا التفتوا يَمْنَةً أو يَسارا
وكم ظامئٍ بينَ تلك الخِيامِ … إلى الرَّوْعِ هَزَّ الحُسامَ اضطرارا
لَهيفٍ إلى الماءِ وهْوَ الذى … بكلِّ وَغًى مَنْ يُطيقُ اصْطِبارا!

عَلَى فَرَسٍ زافرٍ باللهيبِ … دَعاهُمْ وفى يدهِ مُصْحَفُ
أصيخوا فإنِّى لكم مُنْذِرٌ … ألم يأنِ يا قومُ أنْ تُنْصِفوا
لئن كانَ سَفْكُ دمى هَمَّكُمْ … فأعفوا العِطاشَ هُنا وارأفوا
أمامكم الظمأُ المستحِرُّ … ضُحَى الحَشْرِ إذ يَعْظُمُ الموقفُ

ألَسْتُ ابنَ فاطمةٍ ويحكمْ … أجيبوا ألَسْتُ ابنَ بنتِ النبى ؟
أفيقوا أتنسونَ أنَّ أبى … عَلِيٌّ وحَمْزَةَ عَمُّ أبى ؟
وَجَعْفَرُ (١) مَنْ كان يُدْعى بذى الجَ … ناحَيْنِ عَمِّى فتى يَعْرُبِ ؟
حَذارِ لكمْ أنْ تُريقوا دمى … فَساءَ لكمْ ذاكَ مِنْ مَطْلَبِ

وشقَّ الفضاءَ صُراخُ النساءِ … فَطِنَّ لِقُرْبِ المُصابِ الجَلَلْ
لقد أحدقتْ قارعاتُ الخطوبِ … فما مَسَّهُ وَهَنٌ أو وَجَلْ
تعاظَمَهُ أمرُ هذا الصُّراخِ … فَمادَ مِنَ الحُزْنِ ذاكَ الجَبَلْ
تَخاذَلَ عَزْمٌ له صارِمٌ … وخارَ . . . فوارحمتا للبَطَلْ !

وعاد الحسينُ ينادى العدوَّ … أثأرٌ دعاكم لهذا العِداءِ ؟
كَرِهْتُ لكم أن تَشُدُّوا علينا … جُموعًا ، وأن تبطشوا بالنساءِ
لئن كان بينى وبين امرئٍ … دمٌ فَلْيُجِبْ بعد هذا النِّداءِ
عَجِبْتُ ! ألم يَدْعُنى قومُكمْ … إليهمْ فَفيمَ أسأتم لقائى ؟

وقال له قائلٌ منهمُ … إذا رُمْتَ أمْنًا فبايِعْ يَزيدا
مقالةَ مُسْتَهْزِئٍ شامِتٍ … يُمَنِّى بوعدٍ ويُخْفى وَعيدا
وردَّ الحسينُ : أبات الكرامُ … بنو هاشمٍ صاغرين عبيدا ؟
دعَوْتُ ولكن أراكم ضَلَلْتُمْ … بما تطلبون ضلالاً بعيدا

تداعَوْا إلى الطَّعْنِ لكنما … تَخَلَّفَ عَنْ جَمْعِهِمْ باسِلُ

(١) زهير بن القين . (٢) حبيب بن المطهر

(١) جعفر بن أبي طالب قطعت ذراعاه فى غزوة مؤته فبشره الرسول بأن سيبدله الله بهما جناحين فى الجنة

مَشَى فى ثلاثينَ مِنْ جُنْدِهِ   أماثِلُ ما فيهمو ناكِلُ
فوارسُ خَبَّتْ بهم خيلهمْ   وفيهم أخو الرُّمْحِ والنَّابِلُ
أصاخوا لِقَوْلِ الحسين كما   يُفِيقُ مِنَ الغَفْلَةِ الغَافِلُ

هُوَ الحُرُّ ثارتْ به نخوةٌ   فهزَّ بها بعض فرسانهِ
فأقبل مُعْتَذِراً للحسين   ومِنْ حَوْلِهِ خَيْرُ أقرانهِ
يقولُ بَرِئْ أنا من يزيدَ   وآل يزيدَ وأعوانهِ
تجبَّرَ شيطانُهُ ابن زيادٍ   فَسُحْقاً له ولشيطانهِ

وصاح: ألا يا خُصُومَ الحسينِ   لأُمِّكُمُو يا لِئَامُ الهَبَلْ
أهذا الفراتُ حرامٌ عليه   حلالٌ لِكلِّ لئيمٍ نَزَلْ؟
تَعُبُّ الخنازيرُ منه وما   يُرَى نابحٌ غلَّ إلا نَهَلْ
وتنهلُ منه سِبَاعُ الفلا   ويصرعُ آلَ الحسينِ الغللْ؟

لك الويلُ يابن زيادٍ ويا سوءَ ما أنتَ ماضٍ له يا عُمَرْ(١)
غدًا يابن ذى الجوشن أصلَ الجحيمَ
فأنتَ وقودٌ لها يا شَمِرْ(٢)

حلفتُ لأقتحِمَنَّ الحتوفَ   وما كنتُ فيها امرءًا ذا خَوَرْ
فإنْ أنا مِتُّ فِداءَ الحسينِ   ففى جنةٍ مَقْعَدِى ونَهَرْ

وغيظ العدوُّ فشدّوا صفوفاً   ففى زحفهم غِلْظَةٌ واحتِدامُ
فوا عجباً زلزلتْ جمعَهُمْ   مِنَ القِلَّةِ الظامئينَ سِهامُ
وشاءوا مُبارزةً فانبرى   لهم مِنْ فريق الحسين عِصامُ
فجندلَ مِنْ جمعهم فارسَيْنِ   وفى السيف والقلب منهم ضِرامُ

وطالتْ مُبارزةٌ بينهمْ   فكرَّاتُهُمْ كلُّها خاسِرَهْ
فما التقتِ الخيلُ إلا جرتْ   بفرسانها خيلهم نافِرَهْ
كأنَّ الحسينَ وأصحابهُ   ضراغِمُ مُهتاجَةٌ زائِرَهْ
كِرامٌ على قِلَّةٍ صابرونَ   بدُنياهُمُو اشتروا الآخِرَهْ

وخافَ المبارزةَ الأكثرونَ   فشدّوا على الظامئينَ صُفُوفا
فكَمْ كرَّةٍ ردَّها صَفُّهُمْ   وما وَهَنوا حينَ خاضوا الحتوفا
وظلَّ الحسينُ لهُمْ داعِياً   عطوفاً على المنهكينَ رؤوفا

وحسبهمو ما بِهِمْ مِن أُوَام   فكيفَ وهُمْ يدفعونَ الألوفا

فواجِعُ تَغْشَى صَمِيمَ الفؤادِ   وللدَّم رائحةٌ تُنْشَقُ
وأوَّلُ ما خرَّ مِنهمْ شَهيدٌ   وجمعُ العدوِّ بِهِمْ مُحْدِقُ
دعا للحُسَيْنِ وأوصى بِهِ   وجفنيهِ كفُّ الرَّدى تطبقُ
وبشَّرَهُ صَحْبُهُ بالنَّعيمِ   فهشَّ لهُمْ وجهُهُ المُشْرِقُ

بميسرةِ الجيشِ شدَّ الدعىُّ ابـ   ـنُ ذى الجوشنِ المستطيلُ الأثيمُ
دَنَتْ خيلُه مِنْ مكانِ الحُسَيْنِ   فآذاهُ لولا كِفاحٌ عظيمُ
وزُحْزِحَ بعدَ اقتتالٍ مَرِيرٍ   ودونَ الحُسَيْنِ جِهادٌ صَرِيمُ
تَكاثَلَ مِنْ حَوْلِهِ الذائدونَ   فخيلٌ تَشُدُّ وخيلٌ تحومُ

طغى وتمادى ابن ذى الجوشنِ   فكُلُّ حِمًى عِنْدَهُ مُسْتَبَاحُ
تصدَّى لِيحرِقَ تِلْكَ الخيامَ   وكَمْ مَلأَ السَّمْعَ مِنها نُواحُ
فكَمْ قَدَّ بالرُّمْحِ من خيمةٍ   ومِنْ حولِهِ مُشْرَعاتٌ رِماحُ
ولولا فتًى عيَّرَ ابنَ الدعيِّ   لما عفَّ وهو السفيهُ الوَقاحُ

دعا بالرُّماةِ فخفَّتْ إليهِ   مِئاتٌ غِلاظٌ تَشُدُّ القِسِيّا
بها عقروا خيلَ صَحْبِ الحُسَيْنِ   فلَمْ يذروا دانياً أو قصِيّا
هَوَى الحُرُّ مُرْتَجِزاً هاتِفاً   أنا الحُرُّ ما كُنْتُ إلا الأبِيّا
فإن تعقروا فرسِى لن أذِلَّ   سأُقْتَلُ دونَ الحُسَيْنِ رضِيّا

وشدَّ زُهَيْرٌ وجُنَّ القِتالُ   وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها
وأومضتِ البيضُ تحتَ الغُبارِ   وردَّدَتِ الخيلُ تَصْهالَها
تهزَّأ كلُّ فتًى بالحتوفِ   فخاضَ هُنالِكَ أهوالَها
وردَّ الأثيمُ على رَغْمِهِ   وقد هاجتِ الحربُ أبطالَها

وكرَّ حبيبٌ على الأكثرينَ   وكرَّ أُباةٌ شِدادٌ مَعَهْ
فقاتلَ فيهمْ إلى أنْ رماهُ   عدوٌّ بسهمٍ لهُ أوقَعَهْ
فهبَّ فعاجلَهُ آخرُ   بسيفٍ فأوْرَدَهُ مَصْرَعَهْ
وكَمْ هدَّ هذا المصابُ الحُسَيْنَ   وأسبلَ مِنْ حَزَنٍ أدمُعَهْ

يقول: لقدْ جَلَّ فيه المصابُ   فنفسِى مِنْ ساعتى أحتسِبْ
فشقَّ على الحُرِّ قولُ الحُسَيْنِ   وهيَّجَهُ دمعُهُ المنسكِبْ
فأقبلَ مُرْتَجِزاً مُنْشِداً   سألقَى الرَّدى عنكَ إذْ يقتربْ
وأضربُ دونكَ لا أنثنى   ولا أستكينُ ولا أنقلِبْ

---

(١) عمر بن سعد بن أبى وقاص أرسله ابن زياد على رأس الجيش.
(٢) شمر بن ذى الجوشن كان على ميسرة العدو شديد الخصومة للحسين

وَمَا لَبِثَ الحُرُّ إلا قليــلا   يخوض الحتوفَ وَيَسْتَقْتِلُ
فَخَيْــلٌ تُحَمْحِمُ مُرْتَدَّةٌ   وَأُخرى تَصَدَّى له تَصْهَلُ
وَقَدْ شَدَّ جَمْعٌ كَبيرٌ عَلَيْهِ   ودارَ بِهِ وَهْـوَ مُسْتَبْسِلُ
هَوَى جَسَداً لا حراكَ بِهِ   يُعَمِّمُهُ الدَّمُ والقَسْطلُ

وَجَاهَدَ فِيهِمْ زُهَيْرٌ وَشَدَّ   فكانَ القَوِيُّ الجليـدَ الفَتِيَّا
يقول : فَدَيْتُكَ أقدِمْ حُسَيْنُ   غَـداً تَلْقَ جَدَّكَ طهَ النبِيَّا
وتلقَ أباكَ الإمَامَ الوَصِيَّ الـ   ـتَقِيَّ النَّقِيَّ النَّجيدَ عَلِيَّا
وَسِبْطَ الرَّسُولِ أخاكَ وذا الـ   ـجناحَيْنِ زينَ الشَّبَابِ الكَمِيَّا

فما زَال يَضْرِبُ دونَ الحُسَيْنِ
وَمُذْ خاضَ هَوْل الوغى ما استَراحا
تَحدى الحتوفَ وَقَدَّ الصفوفَ   وردَّ السيوف وَصَدَّ الرِّماحَا
أحاط بِهِ مُثْخَناً فارسانِ   فما كانَ إلاَّ أشَدَّ كِفاحَا
وما مات حتى بدا عاجزاً   مِنَ النَّزْفِ عَنْ أنْ يَهُزَّ السِّلاحا

تفانَى الرِّجَالُ وَقَلَّ النَّصيرُ   فما لِلْمُكاثِرِ لَمْ يَرْجِعِ ؟
وليسوا وإن خَرَّ مِنهُمْ كثيرٌ   يُحِسُّونَ بالنَّقصِ فى مَوْضِعِ
وَيَشْعُرُ بالنَّقصِ جُنْدُ الحُسَيْنِ   إذا ما شَهيدُ إليـهِ نُعِي
ألا كَمْ تَهاوَوا لديهِ تِباعاً   وفى الجوِّ وَقْدٌ وَفى الأضْلُعِ

بَقِيَّتُهُمْ حَـــوله يَدْفَعونَ   مُشَاةً فما فيهمو فارِسُ
وماتوا لديْهِ فُرادى ومثنى   وَكُلٌّ لِفُسْطَاطِهِ حارِسُ
تَكاثَرَ صَوْبَ الحُسَيْنِ العَدُوُّ   إلى أنْ تَصَدَّى لَهُمْ عَابِسُ[1]
فذاق الرَّدى زاحِفاً وَحْدَهُ   وكلُّ فَتَى باسْمِـهِ هَامِسُ

يَدُ الموتِ لم تُبْقِ مِنْ صَحْبِهِ   كَمِيًّا ، وهَوْلُ الوغى فاجِـعُ
تَقَدَّمَ إخْوَتُهُ يدفعونَ   وما للقضــا منهمو دَافِع
وأبنــاء أعْمَامِهِ حُوَّمٌ   يذودون وَهْوَ لهم دامِـعُ
يلاقون بينَ يديه المنون   أُبَاةً فما فيهمو جازِعُ

فواحسرتا كم رمى الباطشون   من الأفرُعِ الشُّمِّ من هاشمِ
وَوَالهفتَا إذ ينـادى عَلِيٌّ   أبى ! وهو بَين يدى غاشِمِ
فيَسْعى إليه أبوه الحُسَيْنُ   وليس من الموتِ من عاصِمِ

وَتَصْرُخُ زَيْنَبُ : يابْنَ أخى   وتحنـو على البَطَلِ النائِمِ
بكيت لأمْرَدَ جَرَّ الحُسَامَ   وَحِيداً يُنافِحُ عن عَمِّهِ
غُلامٌ كما اعتــدلَ السَّمْهَرِىُّ   وَعَزْمُ المهَنَّدِ مِنْ عَزمِهِ
فتَى دِرْعُهُ البأسُ لَمْ يَدَّرِعْ   بِغَيرِ الإزارِ على جِسْمِهِ
هو القاسِمُ ابن أخيـه الإمام   بَقِيَّةُ مَنْ خَرَّ مِن قومِهِ

فيا هَوْلَ مَصْرَعِهِ إذ أحاطت   بِهِ الخيلُ وَهْوَ لها صامِدُ
فيهتِف : عماه ! مُسْتَصْرِخاً   وَيَهوِى وَقَدْ شَجَّهُ مارِدُ
برجلَيهِ يَفْحَصُ مِمَّا بِهِ   وَبَيْنَ العِـدا عَمُّهُ جاهِدُ
على صدره احتمل ابن أخيه   ولكِنَّهُ جَسَـدٌ هامِـدُ

وأعيـا على باب فُسْطاطِهِ   يَضُمُّ صـبيا إلى صَـدْرِهِ
فبينا يَشُمُّ الحُسَيْنُ ابنـهُ   ويوصى بِهِ وَهْوَ فى حجرِهِ
بسَهْمٍ تَصَيَّـدَهُ قانِصٌ   ففار بِهِ الدَّمُ من نَحْرِهِ
تلقى دم الطِّفْلِ مُسْتَسْلِماً   لما قَدَّرَ اللهُ مِنْ أمْرِهِ

وجاءتْ له امرأةٌ خِلسة   بماء وَهُمْ حَولَهُ حُوَّمُ
فما كادَ يَشْرَبُ حتى رَماه   بسَهْمٍ أخـو خِسَّةٍ مُجْرِمُ
أصَابَ بِهِ الوغدُ شِدْقَ الحُسَيْنِ   ففار علي الماء مِنْهُ الدَّمُ
دَعَا رَبَّهُ : رَبِّ خُذْ ظَالِمِىَّ   فأنْتَ بما ظَلَمُوا أعْلَمُ

ألَحَّتْ على البطل النائباتُ   فمن تَوحِيدٍ ذوى … مَنْ له ؟
تَوَقَّدَ من ظَمَأٍ جَوْفُه   وأصحابه رِمَمٌ حَوْلَه
وَجَمْعُ العَـدُوِّ محيطٌ بِهِ   وإنْ خافَ كلُّ امرىءٍ قتلَهُ
تَهَيَّبَ أنْ يقتُلُوا ابنَ النبِىِّ   شياطينُ كم بطشوا قبلَهُ

وظَلَّ يحـرِّضُ أصْحَابه   أضل العـدا شِمْرُ الفاجِرُ
وهوَّنَ قَتْلَ الحسينِ فشدُّوا   عليـه وليس لهم زاجِرُ
فَهَبَّ وصمصــامه مصلتٌ   كما وَثَبَ الضَّيغمُ الثائرُ
فكَمْ كَرَّةٍ هدَّها بأسُهُ   وزلزلهـا عَزْمُهُ الصابرُ

ألَحُّوا على البطل المستَميت   فشـدُّوا شمالاً وشـدُّوا يميناً
يقوم ويكبو وهم يضربون   وتأبى عريكتهُ أن تلينا
إلى أن هوى مثخناً بالجراح   على وجهه سِمَةُ الصابرينا

الخفيف

(١) عابس بن شبيب وكان أشجع الناس



نون النسوة

[قالوا إن النساء قررن في مؤتمرهن الذي انعقد في القاهرة منذ قليل المطالبة بحذف نون النسوة من اللغة تحقيقاً لمساواتهن بالرجال ، فنظم الدكتور عزيز فهمي هذه الأبيات في ذلك] :

هَلَّا أتاكَ حَدِيثُهُنَّهْ ؟ النُّونُ ليستْ نُونَهُنَّهْ
هـذا القَرارُ وثيقَةٌ أفْصِحْ وذَكِّرْ جَمْعَهُنَّهْ
النونُ تَخْدِشُ سَمْعَهُـ ـنَّ . وما أرقَّ شعورَهُنَّهْ !
ظلم الرجالُ نساءهم ما لِلرِّجال وما لَهُنَّهْ ؟
النونُ فَرْضُ كِفايَةٍ يكفي النساءَ فروضُهُنَّهْ
والميمُ أحْسَمُ للخِلا فِ فلا تُثيروا كَيْدَهُنَّهْ
بَرِىءَ النِّساءُ مِنَ الأُنو ثَةِ مُذْ مَلَكْنَ قِيادَهُنَّهْ
عِفْنَ الخِباءَ وما الحيا ةُ إذا لَزِمْنَ خُدورَهُنَّهْ ؟
عِبْءُ الأُمومَةِ فادِحٌ حَسْبُ العَقائِلِ حَمْلُهُنَّهْ
حَسْبُ العقائلِ ما احْتَمَلْـ ـنَ وما حَمَلْنَ مِنَ الأَجِنَّهْ
ما للغواني والرَّضا عَةِ ؟ إنَّ هذا الفرضَ سُنَّهْ
فإذا صَدَفْنَ فلا جُنا حَ وإن عَطَفْنَ فَتِلْكَ مِنَّهْ
رُفِعَ النِّقابُ فلا نِقا بَ لَهُنَّ غيرَ حيائِهِنَّهْ
أسَرَ الرِّجالُ نساءَهُمْ حتى استحالَ إسارُهُنَّهْ
وطَغى الحليلُ على الحلا ئِلِ واستباحَ حَرِيمَهُنَّهْ
عَقَدَ الوثاقَ فما شَكَيْـ ـنَ ولا بَرِمْنَ بِحالِهِنَّهْ
ومَكَرْنَ مَكْرَ خَديعَةٍ وجَذَبْنَ مِنْ يَدِهِ الأَعِنَّهْ
الطَّيرُ راشَ جَناحَهُ قَدَرٌ يُثيرُ لهُ الدُّجُنَّهْ
وتَمَرَّدَ الحَمَلُ الوديـ ـعُ على الذِّئابِ المُطْمَئِنَّهْ !

عزيز فهمي

الرصافي وأبو حنيفة

كتب الأديب راشد سليمان تحت هذا العنوان في عدد ٥٩٨ من الرسالة ينكر على الرصافي قوله إن أبا حنيفة يجيز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ، ويطلب منه نصاً يؤيد ما قاله وأنا أتطوع بذكر هذا النص فأقول : في كتاب التلويح والتوضيح لصدر الشريعة ، بعد كلام طويل في باب تقسيم اللفظ بالنسبة للمعنى « وقد روى عن أبي حنيفة أنه لم يجعل النظم لازماً في جواز الصلاة خاصة ، بل اعتبر المعنى فقط حتى لو قرأ بغير العربية في الصلاة من غير عذر جازت الصلاة عنده ، وإنما قال خاصة لأنه جعله لازماً في غير جواز الصلاة لقراءة الجنب والحائض حتى لو قرأ آية بالفارسية يجوز لأنه ليس بقرآن لعدم النظم » .

وفي بحث في ترجمة القرآن للامام المراغي شيخ الجامع الأزهر : « قال الصدر الشهير في شرح الجامع الصغير : وهذا تنصيص على أن من يقرأ القرآن بالفارسية لا تفسد صلاته بالاجماع » . وقال شارح الهداية : « والخلاف في الاعتداد ولا خلاف في أنه لا فساد » . وقال الزيلعي في شرح الكنز : «ولا خلاف في الفساد حتى إذا قرأ معه بالعربية قدر ما تجوز به الصلاة جازت صلاته» . وقال أبو اليسر : «والجواز عند العجز بالفارسية نص على أن القرآن بها لا تفسد الصلاة إنما الشأن في جواز الصلاة بها « كذا في جامع قاضيخان » .

وقد تبين من هذا أن أبا حنيفة يجوز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة ولو بغير عذر . وأما الصاحبان فلا يجوزانها إلا إذا عجز عن العربية لأن القرآن اسم لمنظوم عربي لقوله تعالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً » والمراد نظمه . ودليل أبي حنيفة قوله تعالى : « وإنه لفي زبر الأولين » ولم يكن فيها بهذه اللغة ، وقوله تعالى : « إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى » وصحف ابراهيم كانت بالسريانية ، وصحف موسى بالعبرانية فدل على كون ذلك قرآناً .

عبد الفضيل يوسف رجب

الأستاذ النشاشيبي

عاد إلى مجلسه فى (الكنتنتال) أديب العربية وخاتمة أدبائها المحققين الأستاذ إسعاف النشاشيبي . ومجلسه حيث كان متعة للعقل والقلب واللسان : فيه سلافة النديم ، وريحان اللبيب ، ونقل الأديب ، ونوادر اللغوى ، وطرف المؤرخ . وقد زار الأستاذ النشاشيبى دمشق فى مهرجان المعرى ونزل بأربان بالاس فنزل معه الفضل والعلم وما يصحبهما من كل أولئك . وحضر مجلسه فيه الأستاذ صلاح الدين المنجد فقال يصفه :

« هذا الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى ! إنه نسيج وحده فى كل شىء : فى أسلوبه المتين ، وفى حديثه المبين ، وفى إلقائه النادر ، وفى سعة علمه ، وكثيرة محفوظه . فلا يشابهه أحد ، ولا يجاريه أحد

كانت حلقته فى الأربان بالاس مهوى نفوس الذين يتذوقون الفصاحة ، ويرغبون فى سماع محاسن العربية . ينفض أناس ، ويقبل أناس ، وهو لا يمل ، يسمعهم من طريف أدبه ، ويروى ظمأهم من روائع علمه ، ويأسرهم بتهذيبه وتواضعه

قابلته بعد عودته ، أسأله عن صحته ، آملاً ألا تكون هذه الرحلة الطويلة المتعبة المستعجلة قد أضرت به ، فأجابنى فرحاً :

— لقد كشفت سراً ... فى معرة النعمان !

— سر ؟

— نعم ، سر عظيم ... ما كنا نفطن إليه لولا أن رأينا بلدة أبى العلاء

— وما هذا السر ؟

— كان أبو العلاء منقطعاً عن أكل اللحم ، وكان يمن علينا بذلك ، فلما رأيت أن فى المعرة التين ، التين الحلو ، المشوب بالعسل المصفى ، الكبير الحجم ، وإن فيها العدس المغذى ، اللذيذ المفيد ، قلت : ما اللحم أمام تين المعرة وعدسها ؟ أما لو كان لى معدة قوية كمعدة أبى العلاء ، وكنت فى المعرة ، آكل من تينها وأطعم من عدسها ، إذن لآليت ألا أذوق ما حييت لحماً ... !

فلا يمنن علينا أبو العلاء ... فقد كشفنا السر ... !

ثم أطرق وقال :

الحق أن أبا العلاء شىء عظيم . لقد أحب الحياة ، وود لو عاش ألفاً من السنين . وكان متفائلاً كأعظم المتفائلين . وكان يكره الموت إلا موت الأبطال الخالدين . وكان مجنوناً ... جن بالقرآن وجن باللغة العربية ، فعرف من شواردها ، وفصيحها ، وصرفها ، ونحوها ، وشعرها ، ما لم يعرفه أحد . ورأت هى حبه ، فأطاعته وانقادت له ، فملكها وأكثر من تورداد محاسنها ، لأنه يحبها ... »

« جماعة نشر الثقافة الإسلامية » بكلية الآداب

تكونت بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول « جماعة نشر الثقافة الإسلامية » تحت رئاسة شرف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . وغرض الجماعة تبيين ملامح الحضارة الإسلامية على أسس علمية وإظهار نواحيها الأدبية والعلمية والفنية ودراسة التاريخ الإسلامى على أسس منهجية تحليلية جديدة ، والعمل على صوغ التراث العلمى الإسلامى فى قالب جديد يتمشى مع العلم الحديث ومقتضيات النهضة المعاصرة .

وقد وضعت الجماعة منهاجاً يحقق لها هذه الخطوات ، وذلك بأن نظمت سلسلة من المحاضرات يلقيها بالكلية كبار المشتغلين بالفكرة الإسلامية . وستقوم لجان من أعضاء الجماعة وممن يريدون أن يشاركوها فى هذا العمل بإنشاء بحوث إسلامية تنشرها باللغة العربية وباللغات الأوربية الحية ؛ وتقوم كذلك بتعريب البحوث التى كتبت عن الإسلام بلغات غير عربية حتى يتكون لدينا من هذا كله فكرة صحيحة عن الإسلام وحتى ترتسم صورته أمامنا غير مشوهة .

وستقوم الجماعة إن شاء الله بإذاعة محاضراتها وبحوثها فى نشرات خاصة تتعدد بتعدد نواحى الحضارة الإسلامية فسيكون ثمة مثلا نشرة علمية وأخرى أدبية ... وهكذا .

وتبدأ الجماعة نشاطها بإذن الله خلال النصف الثانى من محرم سنة ١٣٦٤ راجية من الله التوفيق والتأييد .

عن الجماعة

محمد على الليثى

إلى الدكتور زكى مبارك

هل يتفضل أستاذنا الفاضل الدكتور زكى مبارك ويشرح لنا ما يريد أن يقول فى قصيدته « غرام يوم الثلاثاء » المنشورة بالعدد الأسبق من الرسالة ؟ وإذا أحسن الدكتور بذلك فليكن شرحه فى غير الرسالة ؛ لأنى أضن بحيزها الضيق عن أن يتسع لشرح المراد من مثل قوله :

عهد الهوى البكر هل تنساه يا هاجر

عهد الهوى البكر هل تنساه يا غادر

عهد الهوى البكر هل تنساه يا قاهر

عهد الهوى البكر هل تنساه يا كافر

يا هاجر ، يا غادر ، يا قاهر ، يا كافر

إسكندرية — محمد محمد يوسف

(الرسالة) : تلقينا تسع رسائل عن (غرام يوم الثلاثاء) أخصرها وأخفها هذه الرسالة . وقد قسا حضرات الكاتبين فى النقد واشتدوا فى الخطاب حتى رمونا بالإساءة إلى الرسالة وإلى الدكتور بنشر هذه القصيدة . ولا أدرى كيف نسوا أن الدكتور المبارك من مؤرخى الأدب ، ومن رجال النقد ، ومن كهنة القريض ؛ فلم لا يكون ذوقه توجيهاً للأذواق ، وشعره تجديداً فى الشعر ؟ وهو بعد ذلك عاشق معمود فمن حقه أن يئن كيف يشاء .

أساطير شرقية

يعجبنى الأدب الذى يطبعه أصحابه بطوابع بلادهم ، ويلبسونه حللاً من نسج أرضهم أو يتسقطون أخباره ، فما كان منها لصيقاً بهم عطفوا فنونهم عليه ، وحنوا بآثارهم إليه . كذلك سرنى أن أقرأ الأساطير الشرقية التى ألفها ورواها الأستاذ كرم البستانى وأخرجتها دار المكشوف فى بيروت . وللأستاذ كرم ولع قديم بهذه الطرف يحسن عرضها ويجلى فى سردها ، ويعدّها للقراء مثل طنفسة ثمينة طرّزتها يد صناع ، وكنت وأنا أقرأ هذه الأساطير أحس بشرقيتى وبتملكنى العجب للأمم التى تعاورت على الشرق فى قديم عهوده وكانت هذه الأساطير سفرها وأدبها .

تمتاز أساطير الأستاذ كرم بهذه الشرقية الصافية التى ألقت قدميها على شواطىء لبنان أيام الفينيقيين مثل حسناء بحرية ، وداعب شعرها نسيم لبنان العليل ، وشاقها الغرب بملاحته وسحره فأحبت بلاد اليونان ودعتها السياحة والمغامرة إلى زيارتها والبقاء فيها .

فعلى أساطير البستانى جمال الشرق وملاحة الغرب كأسطورة قدموس وأخته أوربا ؛ فأم هذين الشقيقين حورية الماء (صور) ، وصور مدينة شرقية عتيقة ما تزال إلى اليوم عليها غلائل الأساطير الفينيقية . ثم انظر كيف تمر هذه الأسطورة من مصنع الشرق إلى سوق الغرب متخذة فنّ راويها كبساط الريح . فإن جمال أوربا أخت قدموس قد استلب لب جوبيتر الشبق الذى يلوب على جمال بنات الأرض فيهبط عليهن يفترقهن مثل نسر كاسر ينقض على عصفور . فيرى فى حقول صور أوربا ترعى الثيران فيرسل إليها أحد بنيه يختطفها إليه ليسبيها فيهب أخوها يبحث عنها فى الأمصار حتى يصل إلى اليونان وتجرى له ثمة حوادث تنسيه أخته وتذهله عن نفسه .

وهذه الأساطير جرى كاتبها فيها على طريقة علمية اكثر مما يجرى على طريقة فنّ وأدب ، فقد تحرّى فيها المصادر ، ودرس آثار الكاتبين عنها قبله فى الآداب القديمة والحديثة ، وألزمته هذه الطريقة أن يشرح ألفاظاً ويحقق تواريخ تتعلق بالميثولوجيا . والعجب لحوادث أوردها بعضها محقق فى الوجود وبعض ورد ذكره وحوادثه فى الكتب المقدسة فرواها الأستاذ البستانى على أنها أساطير فى أساطير .

وليس فى وسع التحقيق الأدبى وإن شاء الإطراف أن يميل إلى هذا التسامح .

زكى المحاسنى


السنة الثانية عشرة
العدد ٦٠٣

13 me Année No. 603

Lundi - 22 - 1 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

رومان رولان

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى هذا الشهر رحل عن هذه الدنيا قائد الحملة الكبرى على عقائد البغضاء والعصبية النكراء

وفى هذا الشهر ولد قبل تسع وسبعين سنة ، قضى أيامها العاملة فى حرب دائمة ونضال واصب ؛ حرب للحرب فى سبيل المطامع والأباطيل ، ونضال للنضال على الغنائم والأسلاب

وكان أكبر الرجاء عنده أن تبطل الحروب فى العالم بأسره .

فقضى الله أن يشهد الحرب العظمى قبل ثلاثين سنة ، وألا يفارق الدنيا حتى يشهد حرباً عالمية أخرى أكبر وأهول من الأولى ، ويذهب من دنياه وهى قائمة والرجاء فى عقباها مبهم مجهول

كتب فى مذكراته بعد نشوب الحرب الماضية : « أحس أننى فى نهاية مواردى . ليتنى قضيت نحبى . فظيع أن يعيش الإنسان والناس قد ضيعوا الصواب وانطلقوا مجانين . فظيع أن نشهد الحضارة تنهار . إن هذه الحرب الأوربية أكبر الكوارث البشرية فى مدى قرون عديدة . إنها تعصف بأغلى الآمال فى الأخوة الإنسانية »

وكتب بعد أيام : « ألمى جسيم لأنه يتجمع من آلام شتى ويوشك أن يخنق أنفاسى ... تخريب فرنسا ومصير إخوانى بين المصارع والجراح ، والحزن على جميع هذه المصائب ، ولواعج

الفزع التى تمزق القلوب تمتلج بها صدور الملايين من المبتلين . يساورني ذلك كله كأنما أنا في سكرات موت أدبى كما نظرت إلى هذه الإنسانية المجنونة تبذل أغلى ذخائرها ... تبذل جهودها وعبقريتها وحماستها وبطولتهــا قرباناً لأرباب الحرب النبية السفاحة ... إننى كسير القلب إذ أنظر فلا أرى علامة من العلامات تشير إلى أية رسالة ربانية ... أية روح سماوية ... أية زعامة خلقية يناط بهــا الرجاء فى إقامة مدنية الله بعد نهاية الذبحة ... لقد بلغ يأسى من كل حياتى غاية مداه . فليتنى أرقد اليوم رقدة لا يقظة بعدها »

وعلى هذا اليأس البالغ فى قرارة نفسه لم يلق سلاحه ولم يتخل عن موقفه فى ميدانه : ميدان الحملة على البغضاء ، وعلى شياطين القتال

فطفق من صومعته يرسل الصيحة بعد الصيحة مدوية فى آفاق الضمائر العالية التى لا تحول جلبة النيران دون بلوغها . وجعل شعاره تلك الكلمة التى سارت بعد ذلك سير الأمثال بعد أن جعلها صيحة الحرب فى سبيل السلام ، وهى : « فوق المعركة » مهيباً فيها بعقول المفكرين والمصلحين أن يرتفعوا بضمائرهم فوق هذه الوغى المصمة للآذان . فحسب البغضاء البهيمية أنها تصم السمع فلا ترتفع صعداً حيث لا ينبغى لها أن ترتفع فتصم الضمير

ولم يزل يكتب إلى كل أديب ينساق فى دفعة الحرب سواء من صفوف قومه أو من صفوف الألمان : يكتب إليه ليذكره برسالة الأدب وواجب الكرامة البشرية فى أمثال تلك الأوقات العصيبات ، فيقبل منه من يقبل ويعرض عنه من يعرض . وهو مع يأسه الذى وصفه لنفسه فى مذكراته لا يكف بينه وبين الناس عن الجهاد

ذلك هو رومان رولان

ذلك هو الكاتب الإنسانى الكبير الذى يغنى وصفه اليسير عن تسميته أو الإفاضة فى وصفه ، لأنه تفرد بغير شبيه من قومه أو أعداء قومه فى هذه الشمائل الروحية ، وهذه السمات النوادر بين أدباء هذا الزمان

كانت دعوته الفنية قبل دعوته الروحية دعوة رسول إنسانى فى عصر الفتن والزعازع والخصومات

فكتب عن بتهوفن وهو ألمانى ، وكتب عن ميكالنجلو وهو إيطالى ، وكتب عن تولستوى وهو روسى ، وكتب سفره العظيم الذى سماه جان كريستوف ليسرد فيه قصة فنان يحب الجمال الموسيقى حيث رآه ويعمل للانسان حيث كان

وقد رأينا أنه كان يناجى نفسه فى مذكراته وهو يتلهف على علامة واحدة تبشر بمدنية الله وتؤذن أن تقام فى يوم من الأيام بعد رجعة السلام . فما هو إلا أن سمع باسم المهاتما الهندى غاندى وعلم بحربه للحرب وكراهته للكراهة ووصيته الأقربين والغرباء أن يقابلوا العدوان بالإحسان حتى تفاءل واستبشر وبادر إلى اللحاق بهذا الأمل المقبل من بعيد ، فكتب سيرة غاندى وكتب سيراً أخرى لأنبياء الهند وحكمائها ، وكان فى عطفه على غاندى وقومه لا ينم على نزعة واحدة من نوازع البغضاء لمن يضطهدونه ويسيئون إليه

من أين للأديب الفرنسى هذه الروح السلمية الإنسانية العامة وقد حضر فى حيــاته ثلاث حروب أصيبت بلاده فى كل منها بأفدح الخسائر وأهول النكبات ؟

فتح عينيه للدنيا فى الرابعة من عمره على حرب السبعين التى منيت فيها بلاده بالهزيمة الجائحة ، ثم شهد الحرب العالمية الماضية ، وشهد الحرب العالمية الحاضرة فى أصعب أدوارها وأخطرها على الأمة الفرنسية

ومن دأب هذه الحوادث أن تذكى فى نفوس من يشهدونها عصبية عنيفة للوطن أو تعودهم السخر بكل شىء وقلة الاكتراث لأمر من الأمور ، يأساً من الأحلام الجميلة واعترافاً بالوقائع الأليمة التى تبلبل الخواطر وتشتت الأذهان

وقد ظهر فى الأمة الفرنسية فعلاً كتــاب متعصبون متحمسون كما ظهر فيهــا كتاب ساخرون متهكمون . فلماذا خالفهم رومان رولان فى هذه الروح ونزع فى حياته وفى كتابته منزعاً آخر غير منزع العصبية ومنزع السخرية بالأحلام الكبار؟

جواب ذلك فى الوراثة والنشأة الفنية ، وله جواب غير هذا الجواب فى أفق التفكير الإنسانى كله ، سواء منه ما اتجه ذات اليمين وما اتجه ذات اليسار

فالكاتب العظيم قد ورث الحماسة الروحية من أبيه وأمه ومن بيئة أهله بأجمعها

كان أبوه من دعاة حقوق الإنسان فى إبان الثورة الفرنسية ، وكانت أمه من أتباع جانسن الذين عرفوا بحرارة الإيمان وخلوص العقيدة

فلم يكن للطفل المولود فى هذه البيئة غنى عن عقيدة تلتهب بها حماسته الروحية وتتعلق بها آماله الكبرى فى حياته وحياة الناس كافة

ووافق ذلك أنه نشأ محباً للفن الجميل ولا سيما الموسيقى والمسرحية الخالدة . وشغفه فى صباه اثنان من كبار أهل الفن المخلدين فى هذين المجالين المقدسين ، وهما بيتهوفن وشكسبير

ثم شغف مع بيتهوفن بالموسيقى الألمانية كلها لأنها كانت فى صباه غالبة على الأذواق الموسيقية فى معظم القارة الأوربية ، فلم يستطع أن يبغض الألمان – أعداء وطنه – ومنهم صفوة الأرباب الفنية الحبيبة إلى فؤاده وضميره ، وتمثل فيه من هذا الجانب ما تمثل قبله فى « جيتى » الشاعر الألمانى الكبير ، فإنه كان يقول كلما لامه أبناء وطنه على إعجابه بالأمة الفرنسية : كيف أبغضها وأنا أعيش مع أبنائها فى عالم الفن والجمال ؟

أما شكسبير فهو شاعر الإنسان فى كل زمان : من عرف أبطاله عرفهم أناسيّ لم تحجبهم صبغة الوطن والعصر، ولم تقيدهم شكول الزمان والمكان ، وقد كان من أبطاله دنمركيون وإيطاليون ومغاربة ويونان ، وكان الإنجليز منهم آدميين نراهم « أولاً » آدميين ثم نراهم بعد ذلك أصحاب صناعة أو أبناء طبقة أو أتباع دين

وكذلك تحولت بروماں رولان وراثته ونشأته معاً إلى الوجهة الإنسانية التى تتجاوز حدود الأوطان والمداوات العصبية . ثم دعته حماسته الروحية الموروثة إلى العمل فلم يجد كفؤاً لها فى العصبية المحدودة ولا فى المطالب الموقوتة ، وفتح له أفق التفكير الإنسانى أبوابه فمضى فيه قدماً بكل ما وسعته نفسه من شوق وإيمان

فقد كانت الزوبعة الوطنية قد بلغت مداها الأقصى بعد ثورة الطليان وثورة اليونان ، وتحرر الأمم من سلطان الكنيسة ذهاباً مع الحرية الوطنية التى كانت ضرورية لها للتمرد على تلك السيطرة الأجنبية ، وكانت حروب نابليون قد أعقبت بعدها حنيناً إلى السلم والمؤاخاة ، وكانت الحركة الصناعية نفسها قد أنشأت مذاهب الاشتراكيين الذين يدينون بالطبقة أو بالعالم قبل أن يدينوا بالوطن أو التراث العنصرى القديم

فتعاقبت الدعوات إلى التحكيم وخلق المحاكم التى تدعى بمحاكم السلام ، وسمع الغرب والشرق رسالة تولستوى التى تنكر السطوة وتبشر بالمحبة والإخاء ، وشهدت أوربا سلسلة من المؤتمرات السياسية قوامها النفور من الحرب والاجتهاد فى حل المشكلات بالمشاورة والمساومة والتوفيق

وكانت هذه الدعوة العالمية أشبه الدعوات بمزاج رومان رولان الذى ورثه من أبويه ونشأ فى تربيته الباكرة عليه ، فاستهوته حين استهوت غيره دعوة العصبية والبغضاء ، واهتم بها حين بطل الاهتمام بالأحلام فى النفوس التى افتقرت إلى حماسة الروح ، وكان أشجع من دعاة الحرب ومن نافخى النار فى الذحول الوطنية والترات السياسية ، لأن الداعى إلى اجتناب الحرب كثيراً ما يحتاج إلى شجاعة لا تقاس إليها شجاعة المقبلين عليها أو المسوقين إليها ، حين تغلى الدماء وبثور الضجيج وتخرس الألسنة وتعمى العقول

وعاش الرجل فى أفق أعلى من الأفق الذى يرين عليه دخان المعارك ، وتوجه إلى قبلة أبعد من القبلة التى يممها اللاصقون بالغبراء ، وجمع رسالته كلها فى كلمة موجزة هى أصدق الكلمات التى تقال فى هذا الزمان وفى كل زمان ، فعلم وقال وعمل بما قال : « إن الإيمان – وليس النجاح – هو غاية الحياة »

سلام على جندى السلام يوم استراح من الكفاح .

عباس محمود العقاد

الرأى العـــام

للدكتور محمد مندور

لا يستطيع الناظر فى حياتنا العامة أن يطمئن إلى وجود رأى عام بالمعنى المفهوم فى بلاد الغرب ، وتلك ظاهرة ترجع فيما يبدو إلى عاملين كبيرين : أولهما اقتصادى ، وثانيهما ثقافى .

ولسنا فى حاجة إلى التدليل من جديد على فساد توزيع الثروة فى مصر ، وتلك آفة قديمة ستلاقى هذه الأمة فى علاجها مشقات كبيرة ، ولكنها ستعالج يوما ما . وإنما نكتفى بإيضاح نتائجها فيما نحن بصدده من وجود رأى عام أو عدم وجوده . وأمتنا تنقسم فى جملتها إلى طبقتين : أغنياء وفقراء ، وأما الطبقة الوسطى فلا تزال فى بدء تكوينها . وكبار الأغنياء بطبيعتهم قوم مترفون أنانيون يسخرون من الاهتمام بالمسائل العامة التى لا تعنيهم إلا فيما يمس مصالحهم المباشرة . وأفراد الشعب تشغلهم مهام العيش ومشقاته حتى لا تترك لهم فراغا للتفكير الجدى فى الأمور العامة ؛ والفقر ينال من قوة نفوسهم فلا يستطيعون أن يتحرروا من إرادة الأغنياء . وعندما يكون المرء فى قبضة غيره ، والحاجة إلى الكفاف من العيش تلاحقه ، كيف تريد أن يكون حر الرأى . والملاحظ فى الأمم الغربية أن الطبقات الوسطى هى التى تكون الرأى العام وتقوده ، وذلك لأنها الطبقة الطموح ، ثم لأنها قريبة من الطبقة الدنيا التى تكون جمهرة الأمة ، وهى بحكم هذا القرب تعرف آلام الشعب وآماله كما تفهم عقليته . وهى طبقة جادة لا تعرف الاستهتار ، تتمتع بقسط من الاستقلال المادى يعطيها القدرة على الصلابة فى الرأى ومواصلة الكفاح من أجله . ثم إنها طبقة مستنيرة تستطيع بما لها من ثقافة ألا تقف عند الرضا أو السخط ، بل تستنبط الوسائل الكفيلة بتحقيق الخير لعامة الناس . وليس من شك فى أن نهاية هذه الحرب ستشهد صراعا قويا بين تيارين من التفكير : التيار الاقتصادى ، والتيار الاجتماعى . ونحن على تمام الثقة من أن سفسطة الاقتصاديين لن تقف عند حد ، فسيحاولون إيهام الشعب أن علاج الفقر الصحيح هو زيادة الانتاج بتنمية الصناعة وحمايتها من المنافسة الأجنبية . والاجتماعيون لا ريب يسرهم أن يزيد الدخل العام للأمة ، وهم ليسوا من خصوم الصناعة ، ولكنهم سيحرصون على أن تكون وسائل الانتاج ملكا للأمة جميعا ولو بطريق التساهم ، لا لفرد من الأفراد . وذلك لأنهم لن يستطيعوا صبراً على التفاوت القائم اليوم ، ولابد أنهم سيمنعونه من أن يستفحل بظهور أثرياء الصناعة إلى جوار أثرياء العقار . وإذا كتب للاجتماعيين الغلبة فلن يتركوا مشكلة توزيع الثروة تغيب عن الأذهان تحت ضباب مريب من الحرص على تنمية الثروة القومية وتعزيز استقلال اقتصادى موهوم ، لو حدث ذلك لتحررت عندئذ أرواح ملايين من البشر ، وارتفع مستواهم النفسى ، فكان لهم صوت فى تكوين الرأى العام .

والعامل الثقافى يطالعك فى دور العلم وفى فنون الصحافة . والذى لا شك فيه أنه لا مدارسنا العامة ولا صحافتنا بقادرة فى وضعها الحاضر على أن تكون رأيا عاما . والمدرسة العامة روحها المدرس ، وباستطاعتك أن تقلب البصر فيمن تلقى من مدرسين ، فما أظنك واجدا الكثيرين بينهم ممن لهم فلسفة خاصة فى الحياة . ولسنا نقصد بالفلسفة الخاصة آراء بعينها فى الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب ، بل نرمى إلى حالة من النضوج الفكرى والعاطفى تمكن صاحبها من أن يتخذ له موقفا محدداً من الناس والأشياء ، فيعتقد مثلا أن المادة هى عصب الحياة ، أو أن الروح هى محركها الخفى ، ويكون من المؤمنين باطراد التقدم فى الانسانية أو القائلين بتراوحها بين المد والجزر . وقد يعالج مشاكل الحياة بالجد الحار أو بالسخرية الباسمة ، وقد يتناولها بالثقة المتفائلة أو الحذر المتشائم ، ونحو ذلك من أنواع الفلسفات الشخصية التى لا بد أن تتصف بإحداها كل نفس ناضجة . وهذه الفلسفة الشخصية هى التى تمكن المدرس من التأثير فى تلاميذه تأثيراً باقياً ، وذلك لأنه يستطيع عندئذ أن يعطيهم ضوءا هاديا فى الحياة ، وبفضل هذا الضوء يستطيعون بدورهم أن يحكموا على مختلف الأمور . ومن البين أن الرأى العام يتكون من تفاعل مجموعة الأحكام الفردية . وإذن فما دام معلمنا لا فلسفة له ، وما دام كبار مفكرينا وأساتذتنا

لا يعرفون كيف يزودون هذا المعلم بتلك الفلسفة ، فما أظننا مستطيعين أن نجعل من مدارسنا بؤرات لتكوين الرأى العام . وأهول ما أخشاه ألا نجد من بين أساتذتنا وكبار مفكرينا أنفسهم نفراً كافياً يصدرون عما نتحدث عنه من فلسفة شخصية ، وما على القارىء إلا أن يستعرض الأسماء المعروفة ليحاول أن يحدد فلسفة كل منهم . ولقد يجد لأغلبهم مجموعة من الكتب أو طائفة من الأبحاث ، ولقد يكون فى تلك الكتب وتلك الأبحاث جمال ومتعة ، ولكنه سيجد مشقة فى أن يستخلص منها روحا عامة وفلسفة جامعة . وعند ما يخرج التلاميذ من المدارس ، وليس لكل منهم اتجاه روحى معلوم ، لن نجد غرابة فى أن يعجزوا عن حمل الصحافة على تقديم غذاء صالح للشعب .

والصحافة كما هو معلوم صحافة إخبارية أو صحافة رأى . والأولى وإن لم تخل من أثر على الرأى العام بحكم تخيرها لنوع الأخبار التى تنشرها وتلوينها لتلك الأخبار ، إلا أنه فى نهاية الأمر أثر محدود . وعلى العكس من ذلك صحافة الرأى التى تتكون فى بلادنا من بعض الصحف اليومية ثم معظم المجلات الأسبوعية . وما دامت الصحف ملكا لأفراد أو شركات وكان هدفها الأول هو الربح المادى ، فما أظن أننا نستطيع أن نرجو من ورائها خيراً كثيراً فى تكوين رأى عام سليم ، وذلك لأن حرصها على الانتشار يدفعها إلى اللعب على غرائز القراء ، فلا تجد فيها إلا فتنا سياسية تدور حول كبار الشخصيات ، ولا ترضى فى القارىء غير حب استطلاع خبيث ، أو تهريجا ديماجوجيا يولول لآلام الشعب ويلوح له بآمال خادعة دون أن يدرس مشاكله دراسة جدية ، ويقترح لعلاجها الوسائل المجدية . وأخيراً ترى إثارة الغرائز الجنسية اعتماداً على ما تنزله حياتنا الاجتماعية بنفوس الشبان من كبت . وإنه وإن يكن من الثابت أن أكثر الصحف انتشاراً فى مصر ، ليس أكثرها تأثيراً فى الرأى العام بحكم أنه كلما ازداد جمهور الصحيفة كان جمهور تسلية وتزجية فراغ ، إلا أنه مما لا شك فيه أن أمثال هذه الصحف تقوم بعملية هدم كبيرة ، فهى تقوض الجدية فى النفوس ، كما تحل الأخلاق وتعود العقول الكسل . وأنت إذا وجدت إلى جوار أمثال تلك الصحف ، صحفا أخرى قليلة الانتشار ولكنها جدية مؤثرة باعتبار أن قراءها ممن يلتمسون غذاء لأرواحهم ، إلا أنك - لسوء الحظ - قلما تجد لاحداها قيادة عامة واتجاها روحيا واضحا ، وإنما هى طائفة من الأقلام والمعلومات لا يجمع بينها غير غلاف الصحيفة ؛ ولهذا قلما تكون صحيفة منها مدرسة خاصة فى الحياة . وإذا كنا لم نصل بعد حتى فى مجال السياسة إلى خلق صحافة تعبر عن مذاهب الحكم المختلفة وتناضل دونها ، مع أن السياسة أمر يهم الملايين من البشر ، فإنه لا ريب يكون من تعجل الأمور تعجلا مسرفا أن نتطلع إلى صحافة ثقافية موحدة الاتجاه ، مع أن الثقافة بطبيعتها ميدان الخواص ، ولكننى مع ذلك لا أفهم لماذا لا تكون لدينا مجلات تتحمس لتيارات التفكير المختلفة ، وتحاول أن تجمع حولها النفوس . ولكم من مرة يسألك أحد الغربيين عن الاتجاه الذى تتميز به هذه المجلة عن تلك ؟ فلا تستطيع جوابا . ونحن لا نقصد بذلك إلى المجلات الخاصة ، بل نصب القول على المجلات العامة ، فهذه هى التى نزعم أن من الممكن بل من الواجب أن تكون لها روح عامة برغم تنوع موضوعاتها وعندما تتعدد أمثال تلك المجلات وتتفاعل تياراتها المختلفة سيبدأ الرأى العام فى أن يتكون .

الرأى العام وليد لفلسفات فردية تشع فى المجتمع . والمجتمع بدوره لا يستطيع أن يتمثلها إلا إذا تركت له الحياة الاقتصادية من الراحة والفراغ ما يمكنه من تأملها . وتلك الفلسفات لن تنمو إلا عن طريق المعلم أو الصحافة ، وإصلاح الأخيرين لا يمكن أن يتم بقرار من قرارات الدولة ، بل ولا قانون من قوانينها ، وإنما لا بد لتحقيقه من سنين طويلة تتضافر فيها جهود الأفراد والحكومات . ولا بد لنا من أن ننتظر ، مع استمرارنا فيما نحن بسبيله اليوم من فتح المدارس والجامعات ومناقشة مناهج الدراسة والتعليم ، وحسن القيام على دور التمثيل والسينما ومحطات الإذاعة وما شابهها من وسائل نشر الثقافة بين الشعب . وإن يكن هناك ما نستطيعه لساعتنا فهو تعويد الجمهور أن يتجرع ما ينفعه والصمود له عندما تدفعه غرائزه الدنيا إلى التماس اللذات الرخيصة .

الرأى العام لم ينضج بعد فى بلادنا ، ولكن لا محل لليأس فنحن سائرون إلى الأمام ، وما علينا إلا أن نواصل السير فى ثقة وشجاعة .

محمد مندور

للضحك أسرار ...!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

أدولف فيليت ، فنان بارع ، ومصور مجيد ، أوتى من القدرة على الهزل فى تصويره ، وعلى تبيان المعايب فى شخوصه ، ماجمله سيد هذا الفن ، المتفوق المبرز ، فانعطفت عليه الصحف الكاريكاتورية فى باريس ، ليمدها من حين إلى حين بصور فيها إبداع وأصالة .

وصوره ذات طابع خاص بها ، وصفة لانفارقها . فهى تبدو ، فى النظرة الأولى ، صوراً ضاحكة مضحكة ، يفور ظاهرها بالسرور ، تثير فى نفسك الإعجاب والتقدير . فاذا أنعمت النظر ودققت فى تلك الصور ، بدا لك أن ما فيها يدفع إلى التأمل والتفكر ، وأن فى أعماقها كآبة تدفع إلى الحزن وعبرة تبعث الألم .

سألته يوماً فنانة باريسية جميلة عن سر ذلك . فأجابها « نعم . إن فى كل شىء ، مهما كان ، قليلاً من الأسى . ويجب أن نزينه بالضحك ليخفى ، لئلا يؤذى أحداً ، أو يؤلم أحداً ! . .

وجواب الفنان جدير بالتأمل . فالحزن فى الحقيقة ، لايفارق الانسان . لأن هذه الدنيا لاترح . ربما أوتى أحدنا المال ، ولازمته الأمراض ؛ أو أوتى العافية ، وسلب المال ؛ أو قعد به الحظ المنكود عن الترقي ، وفى نفسه آمال ؛ أو نال بسطة من العلم فأهمله ذوو الشأن ؛ أو حسده الأصدقاء والأقران ؛ أو اشتهى ولداً يوهب له ، على سعة من غنى ، وعلو فى الجاه ، فلم يوهب له الولد ، فتبقى فى نفسه حسرة على ما أمله ، وحزن على مافاته . لكن ماذا يفيد إذا أظهر حزنه ؟ ومانفع التحسر والوجوم ؟ إن الحزن والشكوى والبكاء ، أشياء تثير الشفقة علينا ، وتدل على ضعفنا ، وفي الشفقة علينا حطة لنا ، ثم هى قد تدفع الناس للابتعاد عنا ، لأنها تؤذيهم ، وتؤلمهم ، أو تذكرهم بآلامهم . فالحزن يبعث الحزن ، ويذكر بالشجى . والدمع يستدر الدمع ، ويجلب الأسى . والناس تكفيهم أحزانهم ، وربما نسوها لحظة أو ساعة ، فاذا ذكرناهم بها تألموا . والدنيا ، وما فيها ، أقصر من أن نقضيها بالحزن . . ولا بد من التجلد فاذا حزنت فاجمل حزنك فى قرارة نفسك . وأظهر الفرح . بل اضحك .. اضحك دائماً ، فلا تؤذى الناس .

بل إن هذا الضحك يؤدى ، ولو كان يخفى وراءه الحزن ، إلى إعجاب الناس بك ، وإلى اكتساء رداء من الجمال ، واكتساب مناعة ، لا تؤثر فيها ، على الأيام ، المصائب والآلام . ولولاهذا لما كانت العرب تمدح من كان ضحوك السن ، بسّام العشيّات ، طليق الوجه . ولولاهذا ، أيضاً ، ماكانت تذم من كان عبوساً أو قطوباً ، أو حامض الوجه ، كأنما وجهه منضوح بالخل

وقد تيقنت ، أن الضحك ، ولو كان يخفى الحزن ، يكسب الجسم مناعة ، لا يؤثر فيه مهما المصائب بعد حادثة شاهدتها بنفسى ففي عودتي من القاهرة فى يناير الخالى ، لقيت فى القطار سيدة فرنسية تحدر نحو الخمسين ، وما تزال ناضرة الوجه ، ريانة الجسم ، كأنها احتبست الشباب في جسمها ، ولم تفلته . وكان يزيد فى جمالها حديث رقيق يغرى ، ولطف شديد يغوى . فعجبت منها ، وتساءلت فى نفسى عن سر احتفاظها بالشباب والجمال ؟

وكان بجانبها فتاة لم تتخط العشرين من عمرها . علمت أنها ابنتها ، كانت ذات وجه ساهم ، ونفس مكروبة . تلمح الحزن فى نظراتها ، ولفتاتها ، وآهاتها . قلت فى نفسى : ربما تكون مريضة ... أو أن داء العشق قد لحقها ....فلما بدأنا الحديث ، شدهنى من الأم فرحها وضحكها ، ومن البنت صمتها وعبوسها . كانت الأم تضحك لكل كلمة ... فيزهر وجهها ويزيد سحرها . وكانت الفتاة تعبس ، فيظلم وجهها ، ويمحمض جمالها . وكانت الأم ، تلفظ الكلمة ، ترفقها بالإشارة ، وتردفها بالضحكة ؛ ضحكة رقيقة تهيج فرحك وسرورك . والبنت ترسل النادرة ، إذا تندرت ، بلفظ خشن وجفاء ظاهر . فعجبت ، ومازلت حتى سألت الأم :

— إنى لأراها حزينة .. أتشكو ألماً ؟ ...

قالت : أوه ! كلا ..إن هذا الجيل لا يعرف كيف يحيا . إن فى الحياة سراً ، لا يهنأ بها ، إلا من عرفه . دعها ، إنها لا تسمع منى . الحياة عابسة ولا تغلب إلا بالضحك . قلت لها

ذلك فلم تعقل . هـذا ما كنا نسمعه من عجائزنا اللواتى عشن سعيدات . أما اليوم ، فالحياة تعبس وهم يعبسون . عبوس يجر الحزن ، وحزن يدفع إلى الموت البطىء . أليس الأمر كذلك يا سيدى ... ؟

ثم أطرقت ... وعادت تقول :

« يا أسفا على ذلك الزمان ، أيام كانت أمى توصينى أن أضحك دائماً . لقد ضحكت كثيراً ، فهنئت . كنت أضحك لأتفه سبب ، وفى قرارة نفسى حزن جاثم شديد . أوه ! ماذا أحدثك ؟ لقد جعلتنى ضحكاتى أجمل فتاة بين صواحبى . ثم وجدت فيها ما يخفف من آلامى ، ثم صرت إذا أصابتنى مصيبة تعمدت أن أضحك ، لأنسى همومى . أتدرى أننى رزئت فى ابنى وبنيتى؟ لقد ابتلع البحر ابنى وهو فى العشرين من عمره ، وماتت ابنتى الصغيرة فى الألب ، وأصابتنى فى هذه الحرب كوارث تحطم ، وكنت أحزن وأبكى ، ثم أعود إلى الضحك ... وأصبر ، فيذهب الحزن ! .

قلت لها : إنها وصاة جديرة أن تتبع يا سيدتى . لو عرف الناس هذه الأسرار ، لضحكوا...

قالت : أؤكد لك أنهم لو عرفوها لما تركوا الضحك أبداً .

كانت أمي تقول : إن فى الضحك أسراراً ليست فى شيء غيره . ضحكة بل بسمة تُرضى زوجك إذا كان مُغْضَباً . وضحكة رقيقة تأسر عقل زائرك ولو كان جافياً . اضحكى ، استعينى على قضاء حاجاتك بالضحكات والبسمات . اضحكى ، وأنتِ فى نزعك . . فإن ذلك يثير شفقة الناس ، ويزيد فى دعائهم لك ، وحبهم إياكِ . اضحكي وأنتِ حانقة مغيظة ، فإن الضحك يهدىء ويُرضى . بل اضحكى إذا أُهنتِ يوماً ، ولم تستطيعى أن تنتقمى ، فإن ضحكك يزيد فى غيظ خصمك . فإذا واتتك الفرصة بعد ذلك فانتقمى منه .

لقد أثر حديثها فى نفسى . وأنستُ به . وأدركت هـذه النضارة التى تسيل فى جسمها وترفّ على خديها ، وهـذا النور الذى يتألق فى عينيها .

إن الناس جميعاً لا يستطيعون أن يفعلوا كل هذا . ولكن ألا يمكن أن يفعلوه إذا اعتادوه ؟

ثم إنه يظهر بعد هـذا ، أن فى الضحك ، ولو كان يخفى الحزن ، سراً .

وأن هـذا السر يقاوم الأمراض ، أو يدفع الجراثيم . إن علماء النفس يشيرون إلى النشاط الذى يتدفق فى الجسم ابان الفرح . وكأن هذا النور الذى يفيض فى الابتسام والضحك ، ينشط ويقوى ، وكأن مادة كهربية تريح الأعصاب ، وتزيد فى العافية ، بل كأن فيه ما يشفي فعلاً من بعض الأمراض .

فقد ذكرت أن « برغسون » الفيلسوف الفرنسى الشهير ، أجهده التفكير والعمل ، قبل موته بعشر سنين ، فضعفت أعصابه ، وبدت عليه أمارات النورستانيا ، فلجأ إلى الأطباء ، فلم ينج بعقاقيرهم مما هو فيه . حتى أشار عليه واحد منهم بأن يضحك . فعجب الفيلسوف ، وألح الطبيب :

« إن دواءك الفرد هو أن تضحك يا سيدى . فاضحك كل يوم ساعة ، أو ساعتين . . . »

وانطلق الفيلسوف إلى داره يضحك من نفسـه ، ومن الطبيب . ولـكن كيف يضحك سـاعة أو سـاعتين ؟ وتعمد الضحك وتكلفه ، ثم لجأ إلى الملاهى ، يشهد كوميديات موليير التى تثير الضحك . فكان يضحك ، فى أعماق قلبه . ولم تمض غير شهور قلائل حتى شعر أنه شُفي . وعندئذ تساءل عن السر الذى يُشفى ، ووضع دراسته المسماة « Le Rire »

فالشفاء هنا ، أتى من موافقة الضحك الجسم ومداواته المرض وإراحته الأعصاب .

ورأيت من قبل أن بالضحك حفظت السيدة الفرنسية شبابها وبنت لحمها . وأعتقد أن الجاحظ العظيم قد فطن لذلك ، فقال :

« وما ظنك بالضحك الذى لا يزال صاحبه فى غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ، ومن مصلحة الطباع كبيراً ، وهو شيء فى أصل الطباع ، وفي أساس التركيب . لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى ، وقد تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذى هو علة سروره ، ومادة قوته . . . »

***

فاضحكوا . . فإن ضحكة واحدة تخرج من أعماق قلبى ، فيستريح بها عقلى ، ويشفي جسمى ، وتبعث فىّ القوة والنشاط ، لهى خير مما يجمعون .

دمشق — صبحي الدين المنجد

على هامش النقد :

في الوظيفة ...

صور انتقادية . . . عبد الحميد جودة السحار

للأستاذ سيد قطب

حينما ينظر الإنسان إلى « دواوين الحكومة » بعين أخرى غير عين « الموظفين » ويقيسها بمقياس آخر غير عين المناصب والمراكز والألقاب . . . لاتقع عينه إلا على أمساخ ومهازيل ، ومخلوقات آدمية بائسة ، محدودة الآفاق ، صغيرة المطامع ، حقيرة البواعث . ولا يشهد إلا رواية تهريجية هازلة تنقصها كل أصول الفن وكل مقوّمات الإخراج ، ولا يبقى لها من سمات الرواية إلا عنصر « التمثيل » !

بهذه العين الإنسانية نظر الأستاذ «عبدالحميد جودة السحار» إلى « الموظفين » وبهذه النظرة الآدمية رأى « الدواوين » وما في الدواوين ، فكانت مجموعة « الصور الانتقادية » التي أخرجها بعنوان « في الوظيفة » .

***

وليست تسميتها باسم « صور انتقادية » مجرد عنوان فهي « صور » في حقيقتها : صور سريعة على طريقة التصوير باللمسات الخاطفة . . . لمسة من هنا ولمسة من هناك ، فإذا ملامح معينة وسحن محددة ووجوه معروفة . ولا عليه بعد هذا ألا يعنى بالدقائق والجزئيات : هذه سحنة منافق ، وتلك سحنة جبان ، هذه ملامح دساس ، وتلك ملامح اص ؛ هذا وجه مُراء ، وذلك وجه مدلس . . . أما سعة العين وشكل الأنف ، وحجم الفم ، فتلك تفصيلات لا تزيد شيئاً في دلالة السمات . .

ومن ناحية أنها « صور » كانت قيمتها الفنية وقيمتها الإنسانية . وإلا فكل ما جاء فيها عن الدواوين وعما يجرى داخل الدواوين ، معروف مشهور ، تلهج به الألسنة في كل مكان ويتندر به كل إنسان ، ويشكو منه كل إنسان .

وإنك لتستطيع أن تقول ألف مرة : إن في الدواوين رشوة وسرقة ، ودسائس ووشايات ؛ وإن الأعمال تسير فيها سير الأجهزة البطيئة والآلات الصماء ؛ وإن الذي لا يجاري التيار فيها يجرفه ويحطمه ، وإن كثيراً من الموظفين يدخل الديوان « إنساناً » فما يلبث أن يصبح « موظفاً » . . . الخ .

ولكنك تكون واثقاً أن هذه الكلمات ستبقى كلمات ، فلا تأخذ طريقها إلى النفس ، ولا تثير الانفعال ضدها والاشمئزاز منها إلا بمقدار . . . ألفاظ تنسى بعد حين كما ينسى كل ضخم من الكلمات .

أما حين تترجم هذه الكلمات إلى حوادث واقعية وصور آدمية كما صنع المؤلف . فعندئذ فقط تلبس ثوب الحياة ، وتتخذ لها جسماً ملموساً ، يوقظ الحس ، ويثير الانفعال . وعندئذ نرجو لها حياة فنية لا شك فيها ، وترجو لها موقظاً اجتماعياً ، ربما كان ! !

***

ولحسن الحظ أن صاحب هذه الصور الانتقادية موهوب في فن التصوير السريع ؛ ومهما أخذت عليه من عيوب في عمله الفني فإنك لن تخطىء الملامح التي يريدها ، والسحنة التي يبغيها . وهذا وحده يكفي . .

إنه ذو عين لماحة تسجل الحركة الحسية ، كما تسجل الحركة النفسية . ثم تغلف اللمحة الموسومة بروح السخرية ، وتمزجها بعنصر الفكاهة . حتى ليخيل إليك أنه ينظر إلى الدنيا كما ينظر إلى ملهاة كبيرة . تأخذ عينه فيها لمحات التناقض ، وتأخذ حسه فيها مواضعُ السخرية ، وتأخذ نفسه فيها مواطن الدعابة !

ولعله أن يكون قد بالغ في إبراز مواضع السخرية ، ومواطن التشويه المضحك في هذه الصور ، ولعله أن يكون في الدواوين وجوه أخرى لم يلتفت إليها لأنها تفذى في نفسه هذه الحاسة .

ولكن الذي لا مراء فيه أنه وفق في تصوير « جو » الدواوين ، وفي تشخيص « روح » الوظيفة . فهذا الجو هو جو الغش والخداع والتهافت والتهالك والرياء والجبن والنفاق والوقيعة . وهذه الروح هي روح البطء والتهاون والإهمال والتواكل والجمود والروتين والسأم والملالة . . . فإذا وجد على هامشه بقايا من الإنسانية السليمة ، فهي محاربة منه ، مكروهة من أهله ، متهمة « بالقنزحة » لا تختلط به ولا تندمج فيه .

***

من « لمحات » هذه العين الخاطفة صورة محسوسة يراها سكان العاصمة الآن في كل آن . صورة الكتل البشرية التي تتزاحم على الترام . وهى على بساطتها صادقة كاملة فيها عنصرا الفكاهة وروح الدعابة : وهى جزء من صورة يسجل فيه ذهاب العمال إلى الورشة :

[« تكدست أكوام البشر في داخل الترام وعلى جانبيه ، ومن خلفه ومن قدامه ؛ واختلطت الأذرع والسيقان ، حتى أصبح من المستحيل أن تقع العين على هيئة إنسان . فهذه ذراع ، وهذا رأس ، وهذا خصر . أما لمن هذا الرأس ، ولمن هذه الذراع ، وأين صاحب هذا الخصر أو هذه الساق ، فهذا ما لا يفطن إليه إنسان . وكثيراً ما يخيل للناظر إلى الكتل البشرية المتراصة على سلم الترام ، أن للجسم الواحد رأسين ، أو للرأس الواحد جسمين ، وأن أغلب الواقفين على سلم الترام ينافسون « البهلوان » . فهذا واضع طرف قدمه على حافة السلم ، وقابض على قائم الترام بأصبع ، وهذا متعلق في عنق آخر متعلق بسروال ثالث . وهكذا » .

ولمحة أخرى تبدأ حسية وتنتهى نفسية ، ويتداخل فيهما اللونان تداخل الأضواء والظلال ، وهى تلى مباشرة صورة الترام :

« وبلغ الترام في أمان مصلحة حكومية ، فتساقط الركاب عنه كما تتساقط الأوراق عن الشجر في يوم اشتد ريحه . وكانوا جميعا من العمال ، فساروا يتحدثون ، فيحدثون صوتاً كدوى النحل . وراحوا يسيرون في نفس الطريق الذى قطعوه آلاف المرات قبل يومهم هذا . وكانوا يدبون كسلحفاة لا ينظرون أمامهم ، ولا يلتفتون حولهم ، بل ينطلقون كما تنطلق الدواب التى عرفت طريقها من كثرة ما دبت فيه . انطلقوا وما فكروا قط في يومهم . ولم يفكرون ؟ فأيامهم جميعاً متشابهة : في الثامنة صباحا يدخلون ، وفى الحادية عشرة يفطرون ، وفى الثالثة ينصرفون . وكان الأمل الوحيد الذى يداعبهم في أثناء عملهم أن تتكرم عقارب الساعة الكبيرة المثبتة في الفناء الواسع المواجه للورش بالدوران السريع حتى تبلغ الثالثة لينصرفوا شاكرين . ولتستريح بعد ذلك ما شاءت لها الراحة ، فما أصبح دورانها يعنيهم بعد انفلاتهم من سجنهم ، فقد كانوا ينظرون إلى ورشتهم نظرتهم إلى سجن بغيض .

وهكذا لا تخطئ سمة من سمات الصورة الحسية الفكهة ؛ لا في الأولى ؛ ولا سمة من سمات الصورة النفسية في الثانية ... وإنك لتلمح الآن هذه الجموع تنطلق في طريقها كالدواب . تلمح هذا القطيع يدب ، لا يحدوه أمل ، ولا تدفعه رغبة . ولكنها لقمة العيش تربطه إلى سجنه ، وتكرار الطريق يقوده إلى مربضه ، في سأم بالغ وملال كئيب

ثم يريد المصور أن يرسم بلمسة سريعة صورة من السرقة أو الاستغلال الذى يناله الرؤساء لأنفسهم بواسطة العمال ، فيبرزها كاملة في هذه الفقرات :

« ولمح أحدهم صديقه فناداه وسلم عليه ، وقال له وهو يحاوره :

« — لم جئت اليوم ؟ هل انتهيت من العمل في بيت المهندس ؟

« — لا لم أنته بعد . ولكن جئت لآخذ غراء ومسامير !

« — هل انتهت نجارة غرفة النوم ؟

« — لا . ولِمَ ؟

« — لأنه أمرنى أن أطليها له !

« — هنيئاً لك ؟

« — ولِمَ ؟

« — ستحتسب لك أيام الجمع !

« — أتحسدنى على شئ سبقتنى في الحصول عليه ؟

« — لا أحسدك ولا تحسدنى . وهل يدفع لنا شيئاً من جيبه ؟ بارك الله في الحكومة ! »

فيبلغ بهذا الحوار القصير أن يرسم صورة كاملة لاستغلال مال الحكومة ووقتها ، وأدواتها . وليس هذا فحسب . بل يرسم معه صورة للفساد النفسى والخلق الذى يبثه هذا الاستغلال في نفوس المرءوسين من العمال وغير العمال

حتى إذا شاء أن يسخر من طريقة العمل في الدواوين ، ومن طريقة الإشراف والتفتيش ، ومن الرؤساء والمفتشين ... كل ذلك في آن واحد . اختار هذه الصورة السريعة الجامعة لكل ما يريد . والتى هى نموذج لسائر ما يجرى في بقية الأعمال وبقية الدواوين إن لم يكن بنصه فبروحه ، وإن لم يكن بصورته فبنوعه :

« وخلع العمال ملابسهم النظيفة ، ولبسوا ملابس العمل الزرقاء ، واتجهوا إلى أماكن عملهم ، ووقفوا يتحدثون ولا يعملون ، وراح الرقيب يقوم بمهمة الاستطلاع . والرقيب عامل من العمال يجدد انتخابه كل يوم ، ويوكل إليه مراقبة الطرق والنافذ ، فإن لمح المهندس أو المدير مقبلاً ، أعطى إشارة الخطر ، فتدب في الورشة الحياة

« وفي حوالى العاشرة لمح الرقيب المهندس مقبلاً يتهادى في حلته الحريرية البيضاء ، وقد ثبتت وردة حمراء في صدره ، وكان يرفع يده بين الفينة والفينة ليسوى رباط رقبته الجميل ، أو ليرفع أطراف المنديل المتدلى من صدره ... فصفر صفير الإنذار – وهو صفير طويل ممدود – فهمس من في الورشة : « ميمى ... ميمى » – وهو ما اصطلحوا على إطلاقه على المهندس الأنيق – فأسرع كل إلى عمله ، وأسرع أحدهم إلى الأزرار الكهربائية وضغطها ، فدارت الآلات وارتفع ضجيجها ، وراحت المبارد ترتفع وتنخفض على قطع الحديد المثبتة في « المناجل » والمناشير تتحرك في توافق كأنما هي فرقة موسيقية تعزف لحناً .

ودخل المهندس بقامته الفارعة . وملابسه الحريرية النظيفة يتبختر كغادة مدلة معجبة ؛ وكان يتحاشى الاقتراب من الآلات أو العمال ، حتى لا تتلوث ملابسه . فما تقول خطيبته التي سيقابلها عقب انتهاء العمل إن رأت بقعة زيت تشين لباسه الذي تفنن في إعداده ؟ . وأجال بصره فيما حوله ، فرأى حركة دائمة ، فقرت عينه واطمأن إلى أن العمل يسير على ما يروم . فانصرف إلى مكتبه ليمضي به بقية يومه بين شرب القهوة ، والمحادثات التليفونية ، ومقابلة الأصحاب والأحباب

« ترك المهندس الورشة ، فأسرع عامل إلى الأزرار الكهربائية وضغطها ، فخرست تلك الآلات التي صدعتهم بصوتها بعض الوقت ، واستأنف العمال سمرهم ، وراح بعضهم يبحثون عن مكان هادئ ، يستسلمون فيه لمنبه لرقاد »

وهكذا ترتسم تلك الصورة الحقيقية الهازلة لجو العمل في المصالح الحكومية الذي يشترك في خلقه الصغير من الموظفين والكبير ! !

* * *

عشرات من هذه الصور الخاطفة تأخذها العين اللماحة ، وتصورها الريشة السريعة . ولست أزعم أنها جميعاً في هذا المستوى البارع الذي ضربت منه الأمثال . فالمؤلف يظل موفقاً ما ظل يستخدم موهبته الأصيلة : موهبة التصوير السريع باللمسات الخاطفة ؛ وما ظل يدع الحادثة توحى بالمعنى ، والحركة تدل على الانفعال . ولكنه يهبط ويجانبه التوفيق ، حين يستخدم الوصف المجرد للتحليل النفسي ؛ فليس هو موهوباً في التحليل . ولهذا تستحيل تلك الأداة في يده أداة معطلة لا تصور ملامح ، ولا ترسم هيئات ، ولا تبلغ في تشخيص النفسيات إلا أن تصفها وصفاً لا حياة فيه (ويضيق الفراغ هنا عن الاستشهاد)

ولحسن الحظ أنه لم يجنح إلى التحليل بالوصف إلا في قليل من هذه الصور . أما أغلبها فجنح فيه إلى التشخيص بالحادثة والتعبير بالحركة على النحو الذي ضربنا منه الأمثال

* * *

نتلفت إلى ما بين أيدينا في المكتبة العربية من مؤلفات ، لنقرن إليها هذا المؤلف الجديد ، فلا نجد إلا « يوميات نائب في الأرياف » لتوفيق الحكيم

ولكنهما لا يلتقيان إلا في المادة التي يتناولانها للتصوير : مادة الشخصيات الآدمية في العمل الحكومي ، والجو الرسمي ، وإلا في جانب من الروح التي يتناولان بها الموضوع : جانب الفكاهة الساخرة على وجه العموم

ثم يختلفان بعد ذلك في طريقة التناول ، وفي نوع الإخراج ، وفي مستوى التفكير :

ففي « يوميات نائب » تبدو سمة العمل الفني الموحد الكبير الذي تضطرب في مجاله الشخصيات كلها وترتبط برباط واحد من الحبكة الفنية ومحور واحد من التنسيق . و « في الوظيفة » تبدو اللمحات السريعة واللمسات الخاطفة ، وتتفرق الشخصيات في الصور المتعددة فلا يربطها إلا عنصر التصوير

وفي « يوميات نائب » إشعاعات فكرية ، ولمحات فلسفية ، وومضات شاعرية لا يحاولها مؤلف « في الوظيفة » لأنه موكل بالتصوير الخاطف لا بالتأمل العميق وباللمحة الحاضرة لا بالغايات البعيدة

ولكن كليهما جدير بأن يوجد في كل مكتبة ، وأن يقرأه كل محب للاصلاح الاجتماعي أو للعمل الفني على اختلاف في المنهج والمستوى والطريق .

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦١٠ — هذا حسن ، هذا مستوفى

فى « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى :

جرى ذكر حديث الذكور والأناث ، فقال الوزير : قد شرّف الله الأناث بتقديم ذكرهن فى قوله عز وجل : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » فقلت : فى هذا نظر ؛ فقال : ما هو ؟ قلت : قدّم الأناث — كما قلتَ — ولكن نكّر ، وأخر الذكور ولكن عرّف ، والتعريف بالتأخير أشرف من النكرة بالتقديم . قال : هذا حسن . قلت : ولم يترك هذا أيضا حتى قال : « أو يزوجهم ذكرانا وإناثا » فجمع الجنسين بالتنكير مع تقديم الذكران ، فقال : هذا مستوفى .

٦١١ — وإلا فغير ذلك الاسم واشرب

فى « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » لياقوت :

قال أبو الفضل جابر بن زهير : كنت عند أبى محمد القاسم ابن الحريرى البصرى بالمشان أقرأ عليه المقامات ، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصرى قد شرب مسكراً ، فكتب إليه :

أبا زيد اعلم أن من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولى المهذب

ومن قبل سميت (المطهر) والفتى يصدق بالأفعال تسمية الأب

فلا تمحها كيما تكون مطهرا وإلا فغيّر ذلك الإسم واشرب

فلما بلغته هذه الأبيات أقبل حافيا إلى الشيخ أبى محمد ، وبيده مصحف ، فأقسم به ألا يعود إلى شرب مسكر . فقال له الشيخ : ولا تحاضر من يشرب .

٦١٢ — فما ثم إلا والغمام قد انقضا . . .

قال المحسن بن على التنوخى فى معنى طريف لم يسبق إليه :

خرجنا لنستسقى بيمن دعائه

وقد كاد هُدْب الغيم أن يبلغ الأرضا

فلما ابتدا يدعو تقشعت السما فما تم إلا والغمام قد انقضا

٦١٣ — عجز الأديب إلى كل علم

فى « وفيات الأعيان » : حكى أبو محمد إسماعيل بن موهوب الجواليقى « الأديب اللغوى » وكان أنجب أولاده قال : كنت فى حلقة والدى يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس يقرءون عليه ، فوقف عليه شاب وقال : يا سيدى قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما منى وتعرفنى معناهما ، فقال : قل ، فأنشده :

وَصْلُ الحبيب جنانُ الخلد أسكنها

وهجره النار ، يصلينى به النارا

فالشمس بالقوس أمست وهى نازلة

إن لم يزرنى وبالجوزاء إن زارا

قال إسماعيل : فلما سمعهما والدى ، قال : يا بنى ، هذا شىء من معرفة علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الأدب . فانصرف الشاب من غير حصول فائدة ، واستحيا والدى من أن يسأل عن شىء ليس عنده منه علم ، وقام وآلى على نفسه ألا يجلس فى حلقته حتى ينظر فى علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر فنظر فى ذلك وحصّل معرفته ثم جلس .

ومعنى البيت المسئول عنه أن الشمس إذا كانت فى آخر القوس كان الليل فى آخر الطول لأنه يكون آخر فصل الخريف ؛ وإذا كانت فى آخر الجوزاء كان الليل فى غاية القصر لأنه آخر فصل الربيع . فكأنه يقول : إذا لم يزرنى فالليل عندى فى غاية الطول ، وإن زارنى كان الليل عندى فى غاية القصر .

٦١٤ — الأشراف والعقلاء تعجبهم الملح

فى كتاب « التطفيل » للخطيب البغدادى أنشد محمد بن عمران قاضى المدينة ، وكان من أعقل من رُئى من القرشيين :

يا أيها السائلُ عن منزلى نزلت فى الخان على نفسى

يغدو على الخبز من خابز لا يقبل الرهنَ ولا ينسى

آكل من كيسي ومن كسرتي حتى لقـــد أوجعني ضرسي

فقال لمنشدها : أكتبني هذه الأبيات ، فقال له : أصلحك الله ، إن هــذه لا تشبهك . فقال له : ويحك ! إن الأشراف والعقلاء تعجبهم الملَح .

٦١٥ — اسمع يا شيخ

قال ابن الباقرجي : بت ليلة متفكراً فى قلة حظى من الدنيا فرأيت مغنيا يغنى فالتفت إلى وقال لى اسمع يا شيخ .

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطائفين ومُنزل القرآن

ما العيش فى المــال الكثير وجمعه

بل فى الكفاف وصحــة الأبدان

٦١٦ — ما قطعت شيئاً قط

فى « تاريخ بغداد » للخطيب : قال أحمد بن أبى طاهر : كنت يوماً عنـد على بن عبيدة الريحانى فورد عليه كتاب : « أم محمد ابنة المأمون » فكتب جواب الكتاب ، ثم أعطانى القرطاس فقال : اقطعه

فقلت : ومالك لا تقطعه أنت ؟ !

فقال : ما قطعت شيئاً قط .

٦١٧ — توجه إلى ثيابك ...

قال رجل لبعض الفقهاء : إذا نزعت ثيابى ودخلت النهر أغتسل ، أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها ؟

قال : توجّـهْ إلى ثيابك التى نزعتَها لئلا تُسرق ...

٦١٨ — غزى بذا من ليس ينتقد

قال يحيى بن حكم الملقب بالغزالى :

قالت : أحبكَ : قلت : كاذبة غرّى بذا من ليس ينتقد

هــذا كلام لست أقبله الشيخ ليس يحبه أحــد

سيان قولك ذا وقولك م ان الريح نعقــدها فتنعقد

أو أن تقولى : النـار باردة أو أن تقولى : المـاء يتقد

٦١٩ — ... ودعهم

فى « إعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن قيم الجوزية : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية « قدس الله روحه ونور ضريحه » يقول : مررت أنا وبعض أصحابى فى زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معى ، فأنكرت عليه وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال فدعهم[1] . . . . . .

٦٢٠ — ولع النساء بخطوط العظماء

فى « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب » سأل أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على حفصة بنت الحاج الركونى[2] يوما أن تنشده ، فقالت ارتجالا :

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده

أمنن علىّ بطرس يكون للدهر عُدّه

تخط يمناك فيه : الحمد لله وحده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية فان السلطان كان يكتب بيده فى رأس المنشور بخط غليظ « الحمد لله وحده » فمن عليها وكتب لها بيده ما طلبت

٦٢١ — كردبد وتنكردبد

فى « شرح النهج » لابن أبى الحديد : كان سلمان من شيعة على « عليه السلام » وخاصته ، وتزعم الإمامية أنه أحد

---

(١) فى (إعلام الموقعين) : إنكار المنكر أربع درجات : الأولى أن يزول ويخلفه ضده ، الثانية أن يقل وإن لم يزل بجملته ، الثالثة أن يخلفه ما هو مثله ، الرابعة أن يخلفه ما هو شر منه ؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة . ثم وضح الامام هذه الدرجات . (الجزء ٣ ص ٢) .

(٢) قال ياقوت : شاعرة أديبة من أهل غرناطة ، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمــال ، جيدة البديهة ، رقيقة الشعر ، أستاذة وليت تعليم النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على

الأربعة الذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلدي سيوفهم في خبر يطول وليس هنا موضع ذكره. وأصحابنا لا يخالفونهم في أن سلمان كان من الشيعة وإنما يخالفونهم في أمر أزيد من ذلك. وما يذكره المحدثون من قوله للمسلمين يوم السقيفة: «كرديد ونكرديد» — محمول عند أصحابنا على أن المراد صنعتم شيئاً وما صنعتم: أي استخلفتم خليفة ونعم ما فعلتم؛ إلا أنكم عدلتم عن أهل البيت، فلو كان الخليفة منهم كان أولى. والامامية تقول: أسلمتم وما أسلمتم، واللفظة المذكورة في الفارسية لا تعطي هذا المعنى وإنما تدل على الفعل والعمل لاغير [1]. ويدل على صحة قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر على المدائن فلو كان ما تنسبه الامامية إليه حقا لم يعمل

(١) لحن ابن هشام في (للغنى) من يقول لاغير والصواب عنده ليس غير، وفي التاج بحث في هذا القول مفيد. وقد أورد صاحبه هذا البيت:

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا   لعن عمل أسلفت لاغير تسأل

وجاءت (لاغير) في المخصص ج ٣ ص ١٥٠ وفي (إصلاح المنطق) ج ١ ص ١٨١ وفي (فصيح ثعلب) ٣١ و ٨١ وفي (رسالة الملائكة) ص ٧٠ وفي (الفائق) ج ١ ص ١٢٦ وفي (اللسان) ج ٤ ص ٣٤٦ فقل: ليس غير وقل لا غير.

٦٢٢ — وإنه أبغضها أنصفها

قال رجل للحسن (البصري) إن لي بنية فمن ترى أن أزوجها؟

قال: زوجها ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقال بعضهم، وهو يشبه قول الحسن — لا تزوج كريمتك إلا من عاقل، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها أنصفها.

٦٢٣ — ما خطر العدل على بالكم

يحيى السرقسطي:

نسيتم الظلم لعمالكم   ونمتمُ عن قبح أعمالكم
والله لو حُكّمتمُ ساعة   ما خطر العدل على بالكم

هذا العالم المتغير!

للأستاذ فوزى الشتوى

يجتاز العالم الآن ثورة تنبىء بقلب نظم الصناعة والزراعة والطب وكل ماله صلة بالحياة الانسانية ، فان الحرب الحالية قفزت بالعلم خطوات واسعة فذللت كثيراً من العقبات التى طالما وقف أمامها الانسان حائراً

وعندما يعود السلام وتعلن أسرار الاكتشافات العلمية سيجد الناس أنفسهم فى عالم غير الذى عرفوه . وفى هذا الباب سنقدم إلى القارىء العربى بعض أنباء هذه المكتشفات الحديثة

قاتل المكروبات

أى حياة نعيشها إذا تخلصنا من المكروبات والحشرات التى تفتك بنا وبمتاعنا ؟ إنك إذا تركت كوبا من اللبن ساعات تراه تجبن وأصبح غير صالح للاستعمال . وإذا تركت اناء طعام مدة من الزمن تجد الفساد يدب فيه ، وعلة هذا الفساد تلك الأحياء الصغيرة التى نسميها مكروبات أو جراثيم تهاجمنا فى عملنا وفى نومنا فتصبغ حياتنا بلون خاص من التحفظ . فنحرص ألا نشرب من كوب شرب منه غيرنا ، ونغلى طعامنا لنقتل ما يحتوى من جراثيم نحرص ألا تتسرب اليه مع الهواء

اننا نظن أننا عرفنا كيف نتقى الجراثيم ، فينكر علينا الواقع حسن ظننا : فالحقيقة اننا تعودنا الاستسلام لفتك الأمراض المختلفة باجسامنا ، فان أصبنا بالتيفود أو التيفوس أو الملاريا أو غيرها من الأمراض أدركنا أن اللص وجد منفذا إلى أجسامنا فهل من سبيل إلى الخلاص من هذا العدو الذى لا يهدأ ؟

كان هذا حلماً ، فاصبح الآن حقيقة . وأمدنا العلم باسلحة تقضى على المكروب الذى يسبح فى الهواء ، ويندس بين طيات ملابسنا ، ويلتصق بفراش نومنا . فقد وصل الى اكتشاف مركب كيميائى نغمر فيه ملابسنا وفراشنا وندهن به حوائط منازلنا وأرضياتها فيقتل كل مكروب يتصل بها . وتحتفظ هذه الأشياء بقدرتها على قتل المكروبات سنة أو أكثر مع الغسل المتواصل

فان أضيف هذا المركب إلى أدوات البناء وشبعت به سجف منازلنا وأثاثاتها ضمنا خلو منازلنا ومكاتب أعمالنا من الميكروبات ، ووفرنا أيضاً متاعنا فلا تستطيع الحشرات إتلافه

تمت أركان هذا الحلم فى أحد معسكرات الجيش الأميركى منذ أسابيع قليلة بعد تجارب طويلة استمرت سنوات . فكر أطباؤه أول الأمر فى إيجاد طبقة رقيقة تنشر على الأثاث والفراش والأرض ، فاذا مر بها ميكروب أمسكته إلى أن يموت . فلا يتطاير فى الهواء كلما نظفت الغرف أو أثارت غبار أرضها مكنسة أو قدم .

واختير لهذه التجربة معسكران يعيش فيهما ١٦ الف جندى قسموا إلى جزءين متساويين . فعاش ثمانية آلاف منهم فى معسكرات عولجت بمادة زيتية تقبض على الجراثيم ، وعاش الآخرون الحياة العادية . فكانت النتيجة أن قلت المكروبات المتطايرة ٩٧ فى المائة فى المعسكر الأول ، وقلت إصابات الجهاز التنفسي بمقدار الثلث عن زميلتها . ولم يرض الأطباء عن هذه النتيجة ؛ فان الجنود لا تعيش داخل معسكراتها الافترة قليلة من الزمن . فليس المطلوب هو اصطياد الميكروب بل قتله

وأقبلت هذه الحرب فأوجبت ميادينها في الشرق الأقصى بين الغابات والمستنقعات حل هذا المعضل بكل سرعة . ولم يكن العلماء مجردين من كل الأسلحة بل كانوا يحتفظون بمركب من القار والنحاس ولكنه كان كريه الرائحة مهيجا للجلد يستحيل غمر الملابس به حتى لا تؤذى الجلد . فكان من الضرورى الحصول على مركب عديم اللون والرائحة لا يؤثر احتكاكه

بالجلد وتبقى خواصه فى الأنسجة سنوات برغم غسلها وتنظيفها

وعهد بالفكرة إلى فريقين : أولهما كيميائى بلجيكى اسمه ليورامبل ويساعده ابنه جاى ؛ وثانيهما علماء معمل الكيمياء التابع لشركة جالمور . وقدمت التجارب الأولى إلى الفريقين لتهذيبها أو استنباط ماهو أفضل منها . فاستمرت التجارب عدة شهور توصلوا فى نهايتها إلى مركب أساسه الزئبق . وتقدر قابليته للفتك بالمكروبات بخمسة عشر ضعفا لحامض الفنيك ومع ذلك لايهيج الجلد ولا يتلف الملابس

واختبر المركب الجديد فجاز اختبارا دقيقا أثبت به أنه خير قاتل للميكروبات . فهو لايستطيع أن يقتل فأراً صغيراً ، فان غمست فيه قطعة قماش ونشفتها ثم وضعتها فى إناء به ميكروبات التيفوس مثلا ثم سحبتها منه وحفظت الإناء فى مكان مظلم وعدت اليه بعد أيام لتختبره تجد أن الميكروبات لم تتكاثر ، وأن البقعة التى هبطت فيها قطعة القماش ظلت منطقة حرام خالية من الميكروبات . ولولا هذا المركب لتكاثرت ميكروبات التيفوس وغيرت لون سائل الإناء

وغمرت قطع النسيج فى المركب القاتل الميكروبات ثم غسلت مرات وعرضت للهواء ولأشعة الشمس فوجد أن المنسوجات الصوفية احتفظت بقتلها لكل ميكروب يقترب منها بعد عشرين غسلة . وغمرت فرشة أسنان فى المركب فاحتفظت بخواصه بعد ٧٠٠ غسلة .

وأراد الكيميائى رامبل أن يجرب تأثير مركبه على الجروح ، ولكن المستشفيات رفضت أن تجمل من مرضاها حقل تجارب ؛ فلم يجد مفرا من جعل نفسه هذا الحقل . فاحدث فى كل من ذراعيه جرحا . وربط إحداهما بمنديله المشبع بمركبه . وعالج الثانية بالقماش المعقم والقطن بالطرق الطبية ، فشفيت الأولى بسرعة ، وظلت الأخرى مدة طويلة التهبت فيها مرات لأن المكروبات هاجمتها .

وليعرف رامبل تأثير مركبه على المنسوجات عمر نصف قيمصه الأيمن فى المركب الزئبق . وبعد مدة طويلة من الاستعمال المتواصل خفت أنسجة الجزء الأيسر الذى لم يغمر فى المركب وتمزق ، بينما احتفظ الجزء الأيمن بشكله ومتانته . فان المكروبات والبكتريا التى تحب العرق الانسانى كانت تهاجم الجزء الأيسر وترعاه ، ولكنها لا تقرب من الأيمن فلم تستطع التأثير فى أنسجته

فان عولجت كل الحاجات التى يتناولها الانسان أو يستعملها بهذا المركب فأنه يأمن شر المكروب والبكتريا . فلا يكون وسيلة لنقل الأمراض فى مناديله وملابسه وأحذيته أو فى فراشه ، بل يوفر على نفسه كثيراً من النفقات بحماية تلك الحاجيات من البكتريا فلا يتعفن طعامه ان هو أهمله يوما أو بعض يوم . فمن تجارب رامبل أنه عمد إلى برتقالتين غطى إحداهما بمركبه الزئبق ، وترك الأخرى للطبيعة ، وتركهما ستة أسابيع فوجد الأولى كما تركها ولكن مقوسة لتبخر مائها ، أما الثانية فوجدها خرابا تفوح منها رائحة العفن .

فوزى الشتوى

حولى عينيك ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

حَوِّلى عَيْنَيْكِ ، إنى لا أُطيقْ … ما تَصُبَّانِ بنفسى من حريقْ
حَوِّلى عنى سُطُوعاً فيهما
قد أرانى الجُرْحَ فى غَوْرِى السحيقْ
حَوِّلى عنى سماءً فيهما … طَيْرُها قلبى، ونجواها خُفوقْ!
حَوِّلى عنى لهيباً فيهما … لَفْحُهُ يُوغِلُ فى مَسْرَى العروقْ

إنمــا تَرْسُبُ عيناكِ إلى … قاعِ روحى... كالرَّدَى المُنعَقِدِ
إنمـا تخترقُ النفسَ بمـا … فيهما من لهب مُتَّقِد ! !
إنمـا تثقبُ ما أنسجُهُ … مِنْ غشاءِ الكِبْرِ فى مُنفردى
إنمـا تجذبنِى ... مُنطرِحاً … تحتَ أقدامِكِ ، مَغْلُولَ اليَدِ!!

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاتلتى … أنا لا أقوى على ما فيهما
لَيْتَ لى القوَّةَ ، أَسْتَنْزِفُهَا … فى مُعاناةِ المنـايَا منهما ! !
لَيْتَ لى القوَّةَ ، لكنْ ما نجا … فى احتمالى رَمَقٌ أو سَلِمَا
ما نجا لى رَمَقٌ يُسْعِدُنِى … أن أُنَحِّيه ذَبيحاً لهما

حَوِّلى عَيْنَيْكِ يا قاهرتى … واسمعى القصةَ تَندَى بالدِّماءْ
قد نبشتُ القبرَ، فاصْغِ الآنَ يا … ماضِىَ الحبِّ ، قتيلَ البُرَحاءْ!
واغْتَفِرْ لى أننى قد هتكتْ … قبضتى الحُرْمَةَ فى وادى الفَناء
أيُّهَا الماضى... أفِقْ واخطُرْ كما … شئتَ بالأكفانِ فى هذا الفضاء

أيُّهَا الماضى ...أفِقْ واقذفْ بما … فيكَ من هَوْلٍ إلى مَرأَى العُيُونْ
كلُّ يومٍ فيكَ كأسٌ مِلْؤُهَا … دَمُ قلبٍ ، ونَفَّاثاتُ طَعِينْ ! !
وثَوَانيكَ شُجُونٌ زَرَحَتْ … تحتَها مُهْجَةُ غِرِّيدٍ أمين
سَقَرٌ أنتَ وقد كابدتُها … فى نعيمِ الحبِّ فيَّاضَ الشئون

أيُّهَا الماضى أفِقْ واجْهَشْ بما … فيك من رعدِ البلايا والعذابْ
كى تريهَا ما بأيامِك من … حُرُقَاتٍ ودُمُوعٍ وسَرابْ...
جُثَّـةٌ أنتَ ... وقد مزَّقها
سَوْطُ حِرْمَانِ شبابٍ من شبابْ
إسْلَخِ الأيامَ من طلعتها … تتساقَطْ حولها فوق التراب !

أنتَ يا ماضِى...أَطْلِقْ نحوها … كلَّ أوقاتكَ من قَيْدِ الزمن
تتـنزَّى فى خُطًى تَلْقَفُهَا … عثراتٌ وشكوكٌ ومِحَنْ ...
وانشُرِ الآنَ ليالِىَّ التى … تنزفُ السعدَ وتستبقِى الشجنْ
لترى ظالمتى السهدَ الذى … طالما سايرَنى فوق الدِّمَنْ ! !

ابعثِ الآنَ دفينَ الذِّكَرِ … لِتُرِيهَا كيف ولَّى عُمُرى
فى هلاكِ اليأسِ قد طاردنى … خوفُ قلبٍ باللظى مُدَّثِرِ
خوف حرمان تَرَدَّيْتُ به … وارتوى من نابعات الفكرِ
وتلوَّى فى ضلوعى نَهِماً … يغتذِى بى فى شقاء السهر

كم حنين قصَّ وُجدانى وما … كفَّ حتى صبغتْ ليلى الدماء
وعذابٍ طحن النفسَ فلم … يُبْقِ منها ما يُذَرِّيه الهواء
وبكاءٍ كنت أَسْتَدْنِى به … فى خيالى رحمة لى أو عزاء
وأحرُّ الدمع ماتبذله … عين مظلوم شديد الكبرياء

هذه الغيلان عَبَّتْ من دمى … فانتشت تقصف فى هَوْلِ الظلام
نَهَشَتْ لحمى فدوَّتْ من فمى … صرخات الذعْرِ والناس نيام
وأنا وحدى دكَّتْ أعظمى … رهبة المُشْفى على مهوى الحِمام
هذه الغيلان غيلان الأسى … أكلَتْ راحة قلبى المستهام

هذه الغيلان لم تُبْقِ سوى … هيكل من جسدى مرتعد
وعظامٍ زلزلتها فى الدُّجى … سَطْوَةُ الحُمَّى التى لم تُعْهَدِ
طللٌ أسى وزادى لم يعد … غيرَ أشواق أضاءت معبدى
طللٌ أسى وفى أركانه … روح آمالى التى لم تُلْحَدِ

طللٌ مُنتفِضٌ يمشى وقد … قصمتْ أضلاعَهُ فأسُ القضاء
خَرِبُ الأنحاء يستوطنه … من معدات المنايا ألف داء
شاحب الجلد كأنى مَيِّتٌ … طرد اللحدُ رُفاتى فى الخلاء
إن تجده العين لا تنكره … إنما تمطره سَيْلَ بكاء ! !

يفتقد الأحياء فى قبضته   رحمةً ، لو يستدرّ الرحماء
إنما يعنيه قلبٌ واحدٌ   هو فى صدركِ يا نيلَ الرجاء
انظرى كيف استحالت نضرتى   صُفرة يُنكرها حتى الفناء
غائر العينين ، مَعْرُوقهما   أطفأت سحرهما ريح الشقاء

أيّها الماضى ألا تعرفنى ؟   شدَّ ما ألقاك قد أنكرتنى !
أنتَ منى قطعةٌ كفّنتها   بسنينى وطواها زمنى !
أنتَ بنيانٌ أقمنا فوقَهُ   حاضراً ... يا ليته لم يكنِ !
حاضراً يمتصّ أعصابى ولا   ينثنى بالويل يستنزفنى

أنتَ سيلٌ عارمٌ منحدرٌ   من حياتى فى مصبّ الأزلِ
هل لأمواهك أن ترتدَّ فى   نهر عمرى ، مرجعاتٍ أوّلى ؟
ثمّ هل للريح أن تقتادنى   فى اتجاهٍ غيرِ ما قُدِّرَ لى ؟
كى أُوقّيكَ الذى حمّلتَهُ   من ركامِ النُّوَبِ المتصلِ !

أين تمضى أيها الماضى وفى   أى كهفٍ تختفى بالعُمُرِ ؟
بعدَ موتى هل ستلقانى وهل   سوف ألقاك كميلِ الصُّوَرِ ؟
أم ستنسانى وأنساك وما   عدتَ تحيا نابضاً فى ذِكَرى
شدّ ما أرهبُ لقياكَ إذا   حانَ حَيْنى وانتهى بى سَفَرى

أنتَ رَجْعٌ للأغاريدِ التى   كنتُ أستودعها قلبَ الزمانْ
عُدْ إلى ساحرتى واقطر بما   فيكَ من شجوٍ لديها وهوانْ
واختفِرْ لى مسلكاً فى قلبها   يحتوينى مرّةً منه الحنانْ
أيها الماضى وطهِّرْ كعبةً   حولها تُعبَدُ فيها وتُصانْ

كم نهارٍ فيكَ أستوقفُهُ   فى هُوِىِّ الزمنِ المنصرمِ
قبل أن يلتحفَ الليلَ على   مهدِ ذاكَ الأُفُقِ المضطرمِ
كنتُ أستوقفُهُ مسترحماً   أن يُعيدَ الكرّ حولَ الأنجمِ
عالَّ فى أوقاتهِ لى موعداً   تائهاً يُشرى بروحى ودمى

كم غروبٍ كنتُ أستمهلُهُ   فى اجتياحِ الهادرِ المنصرفِ
فزعاً أجأرُ فى تيّارهِ   بضميرٍ راعدٍ مرتجفِ :
أيها التيارُ لا تطرحْ لُقَى   خلفَ أنواركَ نهبَ السُّدُفِ
إننى أخشى الدجى ، يا سُمَّهُ   لفؤادِ الصبِّ من مقترفِ !

كم مساءٍ كنتُ أشتاقُ به   زفرتى كالخنجرِ المنغرسِ
صُغتُ أنفاسى به أنشودةً   للهوى رفّافةً كالقبسِ
كم تماثيلَ بأحضانكَ قد   شِدتُها بالأملِ المندرسِ
شِدتُها للحبِّ تستعبدُنى   وهى من صُنعى سواد الناسِ

كم ظلامٍ فيكَ قد مزّقتُهُ   عن صباحٍ مكفهرِّ الجبهةِ
باعثاً طيرَ فؤادى نحوها   ضارعاً بالشوق يَفرى مهجتى
آمــلاً تمنحه رحمتها   فيُغنّى فرحاً فى أيكتى !
وإذا الأيقاظُ ركبٌ هائلٌ   وَصِفٌ يسخرُ من أمنيتى

كم نسيمٍ فيكَ قد حرّرتُهُ   من نطاقِ الخَبْزِ المختلجِ
شرّبتْهُ أذنى واستعرضتْ   ما به من همساتِ المهجِ
علّها تظفرُ فى طيّاتهِ   بصدًى من صوتها المنبلجِ
بصدًى يُبرقُ فى روحى كما   تبرقُ الأنوارُ فوق الثَّبَجِ

كم ربيعٍ فيكَ قد روّيتُ من   روضهِ بالدمعِ زهرَ الأملِ
وخريفٍ عاطفىٍّ غالَ ما   أنبتَ الساقى بماءِ المقلِ
كم ربيعٍ فيكَ قد داهمنى   بشتاءٍ فى ضميرى موغلِ
بَرْدُهُ يصطكُّ منه قفصى   وَرَدَاهُ زاحفٌ فى أجلى

هكذا ولّتْ حياتى فانظرى   أىَّ موتٍ جرّعتنيهِ الحياهْ
أنقذِى قلبى ففى دقّاتهِ   هتفاتٌ لكِ يا كلَّ مُناهْ !
هتفاتٌ شقّتِ الصدرَ لها   من سِنانِ الصدقِ حدٌّ لا أراهْ
فاسمعيها وارحمى مُرسِلَها   فهوَ يهواكِ ولو كنتِ رداهْ !

(القاهرة)   عبد الرحمن الخميسى



إلى معالي الدكتور عبد الرزاق السنهوري بك

يا وزير الحقِّ والعدل ويا منهلا يَغرف منه كل غارف
لك في العلم مكانٌ سابقٌ وتليدٌ في القوانين وطارف
كنت كالصخرة لا تعنيا على صَخَبات الموج والتيّارُ جارف
العصامية فيك انكشفت عن ضنيع وقدير في المواقف
هـذه « دجلة » قد روَّيتها فهي ظلٌّ من جَنَى علمك وارف
فاجعل العـلم بمصرٍ قِبلةً يلتقي في كعبتيها كلُّ طائف
قد شَدَدْتَ العدل في دارته فأقمْهُ اليومَ في دار المعارف

م . ع . ح

نشيد العرب

[اختار إمام العربية الأستاذ إسعاف النشاشيبي هـذه الأبيات من قصيدة للشريف الرضى ، ثم نشرها بهذا العنوان في كتابه (البيان) واقترح بعض الأدباء في مجلسه أن يلحنها أحد الملحنين لتكون النشيد العام لـ (جامعة الدول العربية) وكان الأستاذ سى شو حضراً فأخذ على نفسه أن يلحنها وتلك هي الأبيات] :

أما كنتَ مَعَ الحيِّ صباحاً حينَ وليّنا(١)
وقد صاحَ بنا المجدُ إلى أينَ إلى أينا ؟
لنا كلُّ غلامٍ همُّـــه أن يَرِدَ الحَينا(٢)
لنا السَّبْقُ بأقدامٍ إلى المجدِ تساعينا(٣)
تَرى زَمجَـرةَ الآسا دِ همساً بين غابينا(٤)

(١) (ولينا) ذهبنا والذهاب هنا إلى الحرب
(٢) (همه) مطلبه ، مراده (الحين) الهلاك
(٣) (تساعين) تسابقن
(٤) (الزمجرة) ترديد الزئير (الغاب) جمع الغابة : (بين غابينا) بين الجيشين : جيشنا وجيش العدو

مَلَـكْنا مَقطعَ الرزقِ فأفقرنا وأغنينا(١)
وحُزنا طاعة الدهرِ فأغضبنا وأرضينا
إذا ما ثوَّبَ الداعى إلى الموتِ تداعينا(٢)

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية كثيرة في مقالى الثانى عن مليم الأكبر بالعدد الماضى من (الرسالة) . وكثيراً ما وقع مثلها في مقالاتى فلم أنبه إليه اعتماداً على ذكاء القارئ ، وتوفيراً للوقت والورق !

ولكن يعنيني اليوم تصحيح خطأ يقلب قضية كاملة ، فقد سقطت كلمة « لا » من جملة ، فأحالت المعنى إلى نقيضه في موضع شديد الحساسية !

قلت عن مؤلف « مليم » بعد اقتباس فقرات من كتابه :

« فهم بعض إخواننا من هذه الفقرات أنه يشير إلى أسلوب « القرآن » وتحكمه في نمو الأدب العربى ، وغضبوا لهذا الفهم جداً ... »

ثم قلت :

« وأنا لا أحب أن أعرض للمسألة على هذا الوجه ، ولا أن أحكم الحس الدينى في مسألة أدبية »

وهذا هو الصحيح بنفى الجملة ، وهذا ما اتبعته في كتابى « التصوير الفنى في القرآن » الذى أشرت إلى منهاج البحث فيه على هـذا الأساس في نفس المقال . فقد أردت أن تكون نظرتى للقرآن نظرة فنية بحتة مجردة عن كل تأثر دينى في دراستى لطريقته التصويرية المبدعة .

سيد قطب

تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية

أصدرت لجنة التأليف هـذا الكتاب بقلم معالى مصطفى عبد الرازق باشا ، وهو يقع في ٣٥٩ صفحة من الحجم الكبير ،

(١) (مقطع الرزق) مأخذ الرزق مخرجه
(٢) (ثوب) دعا ، وأصله أن الرجل إذا جاء مستصرخاً لوح بثوبه ليرى ويشتهر (تداعينا) دعا بعضنا بعضاً حتى نجتمع ونتصره

والكتاب قسمان وضميمة : القسم الأول مقالات الغربيين والإسلاميين فى الفلسفة الإسلامية وتحته فصول : الأول فى مقالات المؤلفين الغربيين ، والثانى فى مقالات المؤلفين الإسلاميين ، والثالث فى تعريف الفلسفة وتقسيمها عند الإسلاميين ، والرابع فى الصلة بين الدين والفلسفة عند الإسلاميين . وعنوان القسم الثانى « منهجنا في درس تاريخ الفلسفة الإسلامية » ، وتحته ثلاثة فصول : الأول فى بداية التفكير الفلسفى الإسلامى ، والثانى فى النظريات المختلفة فى الفقه الإسلامي وتاريخه ، والثالث فى الرأى وأطواره . وخاتمة الكتاب ضميمة فى علم الكلام وتاريخه

هذا الكتاب هو أهم وأعظم المؤلفات خطراً من الناحية الثقافية فى العصر الحاضر ، ولا ترجع أهمية الكتاب إلى أن صاحبه وزير من وزراء الدولة ، بل لأن المؤلف كان أستاذ الفلسفة الإسلاميه بالجامعة ، وأنه صاحب مدرسة لها شأنها فى مصر والشرق . وليست هذه المدرسة داراً ذات جدران يختلف إليها المدرسون والطلاب في أوقات معلومة ، بل هى مدرسة روحية تعتمد على الطريقة والمذهب ، والأسلوب والفكرة . وهى مدرسة قديمة زعيمها جمال الدين ، ثم تلميذه محمد عبده ، ثم تلميذه مصطفى عبد الرازق .

منهج المدرسة الحرية فى البحث ، والتثبت والتحقيق ، والاعتماد على الثقافة الإسلامية الصحيحة ، ومذهبها النهضة والاصلاح فى العلم والدين .

والحرية أهم ما يميز منهج هذه المدرسة . ومن آيات ذلك أن زعماءها لم يجدوا حرجاً فى الاطلاع على آثار الغربيين والمستشرقين ، والأخذ بما فى آرائهم من صواب ، ونبذ ما جاء على لسانهم من أخطاء . ولا شك أننا استفدنا من طرائق الغرب فى البحث ، كما أننا نأخذ عنهم إلى جانب العلوم الحديثة كالطبيعة والكيمياء وعلم الحياة ، التاريخ الاسلامى وعلوم الدين . ذلك أن المؤلفات الاسلامية فى التاريخ والدين التى كتبت فى عصور قديمة لا تلائم روح العصر الجديد ولا يتذوقها المحدثون الذين درجوا فى دراساتهم على مناهج الغربيين الحديثة . ومن الخطر الشديد أن نستقى تاريخنا وديننا عن الغرب ، ولا حيلة للشباب إلا الرجوع إلى هذه المؤلفات الأجنبية ، لأن طبيعة نشأتهم فى الدراسة تدفعهم إلى ذلك . وقد كان مصطفى باشا رفيقاً فى خطاب هؤلاء المستشرقين فقال : « أما بعد ، فان الناظر فيما بذل الغربيون من جهود فى دراسة الفلسفة الاسلامية وتاريخها لا يسعه إلا الاعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم . وإذا كنا قد ألمنا إلى نزوات فى الضعف الانسانى تشوب أحياناً جهودهم فى خدمة العلم ، فانا نرجو أن يكون فى تيقظ عواطف الخير فى البشر ، وانسياقها إلى دعوة السلم العام ، والنزاهة الخالصة والانصاف والتسامح ، مدعاة للتعاون بين الناس جميعاً على خدمة العلم باعتباره نوراً لا ينبغى أن يخالط صفاءه كدر »[1]

فأنت ترى أن المؤلف اطلع على مقالات المستشرقين ، ثم ناقشها ، ثم عاد إلى الأصول التى استقى منها الشرقيون نتائج أبحاثهم وهى الكتب والمخطوطات الاسلامية ، ودرسها بنفسه وذوقه واستعداده وروحه أو روح المدرسة التى وصلت زعامتها إليه ، ينشد الحق والخير ، ويبغى النهضة والاصلاح .

وفى الكتاب ظواهر كثيرة جديرة بالتسجيل والالتفات أولاها أن المنهج الذى جرى عليه المؤلف منهج حديث سليم ، يتذوقه أولئك الذين درسوا على مناهج الغربيين

والظاهرة الثانية هى الدقة فى تحرى الحقائق فى مظانها ، ورد الأقاويل إلى مصادرها ، مع الاحاطة بأغلب المصادر من مطبوع ومخطوط .

والثالثة الوضوح التام ، والتمييز بين المعانى المختلفة والآراء المتباينة ، وإيراد الحجج لأنصار الرأى ومخالفيه ، والخروج بعد ذلك بالنتيجة الصحيحة .

وعنوان الكتاب « تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية » ،

---

(١) ص ٢٧

يشير إلى الغرض الذى يرمى إليه صاحب الكتاب ، وهو دعوة المفكرين والطلاب إلى السير فى هذا الطريق ، واستيفاء البحوث التى أثارها وفتح أبوابها فكانت موضع النظر والتفكير الطويل وأبرز الآراء وأكثرها خطراً القول بأن الفلسفة الاسلامية الصحيحة ينبغى التماسها فى الفقه الاسلامى

هذه القضية تناقض تمام التناقض ما يقول به المستشرقون بأن المسلمين عارون عن الفلسفة ، وأن الفلسفة التى دخلت إلى ثقافتهم يونانية .

ومنهم من يعتبر أن علم الكلام هو أصل الفلسفة الاسلامية وأن علم الكلام عند المسلمين مستمد من الفلسفة اليونانية متأثر بها .

ومنهم من يرد بعض الفلسفة الاسلامية إلى الفرس والهند أما أن الفقه هو أصل الفلسفة الاسلامية ، فنظرية جديدة لا شك أنها ستفتح باباً جديداً للبحث والجدل والمناقشة .

ويرى مصطفى باشا بعد الاستشهاد بأقاويل المؤرخين الاسلاميين أن الشافعي هو « أول من وضع مصنفاً فى العلوم الدينية على منهج علمى » ؛ ومصنف الشافعى هو « الرسالة » .

ونحب أن ننقل إليك بعض ما كتبه مصطفى باشا عن « مظاهر التفكير الفلسفى فى الرسالة » بعد أن حللها تحليلاً وافياً :

« ورسالة الشافعى كما رأينا تسلك فى سرد مباحثها وترتيب أبوابها نسقاً مقرراً فى ذهن مؤلفها ، قد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه ، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض ، ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمى المنظم فى فن يجمع الشافعي لأول مرة عناصره الأولى .

وإذا كنا نلمح فى الرسالة نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام من ناحية العناية بضبط الفروع والجزئيات بقواعد كلية ... فانا نلمح للتفكير الفلسفى فى الرسالة مظاهر أخرى .

منها هذا الاتجاه المنطقى إلى وضع الحدود والتعاريف أولاً ، ثم الأخذ فى التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم .

ومنها أسلوبه فى الحوار الجدلى المشبع بصور المنطق ومعانيه حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولاً .

ومنها الايماء إلى مباحث من علم الأصول تكاد تهجم على الالهيات ، أو علم الكلام ، كالبحث فى العلم ... » (١)

هذه هى جملة ما ذكره المؤلف خاصاً بمظاهر التفكير الفلسفى عند الشافعى صاحب الرسالة . ولم يستطع أن يجزم بأنها فلسفة بمعنى الكلمة ، فاستعمل ألفاظ الترجيح كقوله « نلمح للتفكير الفلسفى مظاهر أخرى » ، وكقوله : « حتى لتكاد تحسبه » .

ومهما يكن من شىء ، فهذا الكتاب يفتح آفاقاً جديدة ، وبحثاً لا يزال بكراً ، سيدفع المفكرين إلى الاتجاه إلى الثقافة الاسلامية اتجاهاً جديداً ، يلتمسون فيه الخصوبة الأصيلة للاسلام ، والقوة العقلية التى سادت فى مدنيتها قروناً طويلة من الزمان .

دكتور
أحمد فؤاد الأهوانى

(١) ص ٢٤٤ و ٢٤٥

السنة الثالثة عشرة

العـــدد ٦٠٤



13 me Année No. 604

Lundi - 29 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٩ يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

أبو العـــلاء المعرى (*)

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

كان النبيُّ محمد ، وكان هذا القرآن ، هذا الكتاب المعجز ، فكانت تلك الدنيا العجيبة العربية ، وكان مع الهدى والخير ذلك العلم وذلك الأدب وتلك الفنون ، وكان أولئك الأئمة وأولئك النابغون وأولئك العبقريون ، وكانت تلك المؤلفات الفائقات المحققات ، وكان أولئك المؤلفون الراسخون في العلم المستبحرون. وكان هذا العبقريُّ أبو العلاء المعرى (احمد بن عبد الله بن سليمان) رب هذا المهرجان .

كانت الحضارة العربية ، وكانت هذه المدنية الغربية ، ولن يقدر أن يكفر إفضال المفضلين كافرون . فحمد والقرآن هما شائدا هذا المجد ، وهما القائدان ، وهما الهاديان ، وهما الشمسان الباهرتان ، ذواتا الضياء السرمديّ في العالمين .

« كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ، ويُزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ـ فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون » .

***

(*) الخطبة التى ألقاها الأستاذ في مهرجان أبي العلاء الذى أقيم بدمشق في شهر سبتمبر الماضي .

« دمشق عروس الشـام الموموقة ، وواسطة عقدها المرموقة » .

في دمشق هذه التي قلت فيها - يا أبا العلاء - قولك هذا في رسالتك إلى (أبي منصور محمد) قد مهرج العربيون لك اليوم هذا المهرجان بعد ألف سنة من سعادتك بكونك وسعادة العربية بك . وإن أمة أقامت من بعدك هـذا الدهر الأطول تصارع الكروب والخطوب ، وتقارع تلك الهمجيات الشرقية والوحشيات الغربية ثم لم تَبِيد بل لم تهن ولم تستكن ، إن أمة وقاها كتابها ووقت لغتها ولسان كتابها ؛ وعرفت قدرها في الأقدار ، وفضلها من قبل ، ومسماها اليوم ، وأرادت ألا تزول وأن تكون فكانت ، إن هذه الأمة لقوية وعزيزة وسائدة وخالدة في الخالدين .

***

بلاد الشام جلها ، ولا أقول كلها ، و « إن مع اليوم غدا يا مُسعِدة[1] » لا تردد كثيراً في الوقت قول الشيخ :

ألفنا بلاد الشام إلف ولادة نلاق بها سود الخطوب وحمرها
فطورا نداري من سبيعة ليثها وحينا نصادي من ربيعة نمرها

فالحال اليوم - يا أبا العلاء - مهادن ، والدهر مهادن . وفي الدار من قبيلك صالحون وصادقون ومخلصون و « ما الخلاص إلا في الاخلاص » كما يقول ابو منصور الثعالبي[2] ورئيس القوم[3] ملآن من الفضائل الاسلامية ومن العربية والوطنية ، وهو كما أردت وكما أحببت وكما قلت :

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

لا يتركن قليل الخير يفعله
من نال في الأرض تأييداً وتمكينا

وقد أتى بكثير الخير وأكثره . ومهرجانك هذا هو حسنة من حسناته .

***

(١) من أمثالهم ، قال الميداني : يضرب مثلا في تنقل الدول على مر الأيام وكرها

(٢) في كتابه (المبهج) ورواه في كتابه (الايجاز والاعجاز)

(٣) صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية

كونت العربية في اللغات تكون الألماس[1] والراديوم في المعدنيات .

« صنع الله الذي أتقن كل شيء »

ولله أن يفضل لسانا على لسان ، وأن يحظى إنسانا على إنسان[2]

« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات »

والشيخ يقول في « الفصول والغايات » : « وربك خص بالفضيلة من اختار » وإذا قال العبقري ابن جني : « إنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر » فما غالى بما قال ولا بالغ بل كان من المقتصدين . وهذا شيخ المربانيين العلامة الكبير (نلّينو) الذي حذق لغات متقدمين ومتأخرين من الغربيين والشرقيين يمالن في خطبة غير متسمح في الكلام ولا مُصاد بأن « العربية تفوق سائر اللغات رونقا وغنى ، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها »

« ولو أبصروا ليلى أقروا بحسنها
وقالوا بأني في الثناء مقصر »

فـ « لغة العرب أفصح اللغات ، وبلاغتها أتم البلاغات[3] »

ولو تمثلت لغة غادة لأنشد المنشدون :

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت
فلو جُن إنسان من الحسن جنتِ[4]

***

فتنت هذه العربية «أبا العلاء» فتونا ، وسحرته فنونها ، فأقبل رجلا مسحورا. شُغف بكتابها « قرآنها » ذاك الشغف ، وكلف بغريبها أي كلف ، وهام بألفاظها هيامه بأقوالها .

---

(١) هو الالماس ، والهمزة واللام فيه أصليتان ، ولم يصب المجد في قوله : « ولا تقل ألماس فانه من لحن العامة » وقد وجدت الالماس في (الفائق) ج ١ ص ٢٣٤ وفي (النهاية)

(٢) أحظيت فلانا على فلان من الحظوة والتفضيل (المخصص)

(٣) الزمخشري .

(٤) الشنفرى الأزدي في مفضليته (اسبكرت) طالت وامتدت والمعنى -- كما يقول الانباري شارح المفضليات — : دقت في حسنها ، وجلت في خلقها .

« إن هذا الكتاب الذى جاء به محمد كتاب بهر بالاعجاز . ما حُذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال . . جاء كالشمس اللائحة . . لو فهمه الهضب الراكد لتصدع[1] [وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون] وإن الآية منه أو بعض الآية ليعترض أفصح كلام يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألىء فى جنح غسق [فتبارك الله أحسن الخالقين[2]] » .

« أجدنى ركيكا فى الدين ركاكة أشعار المولدين[3] » .

(١) الكتاب يقول : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله . .

(٢) ابو العلاء فى (رسالة الغفران) .

(٣) أبو العلاء فى (الفصول والغايات) .

سئل أبو عمرو بن العلاء — كما روى ابن رشيق فى العمدة — عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه ، وما كان من قبيح فهو من عندهم . ليس النمط واحدا ، ترى قطعة ديباج وقطعة مسح (ثوب من الشعر غليظ) وقطعة نطع (بساط من الاديم : الجلد)

وروى غير صاحب العمدة لابن الأعرابى هذا القول :

إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا

وللقاضى الجرجانى فى الوساطة بين المتنبى وخصومه ولابن الاثير فى (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) قولان أرويهما وان خالفا مقالة الشيخ

قال الأول : ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلى والمخضرم والاعرابى والمولد ، إلا أننى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر

وقال الثانى :

لقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وانفدت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله ، وكيف ينتهى الى إحصاء قول لم تحص أسماء قائليه . فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعب مقاصده . ولم اكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم إذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف ، فمتى وجد ذلك (فكل مكان خيمت فيه — بابل)

(قلت) : قوله (فكل مكان الخ) هو عجز بيت للأبيوردى فى مقطوعة رواها ياقوت فى أثناء خبر من أخبار الشاعر ولا يتضح ما اقتبسه ابن الاثير الا بإيراد المقطوعة بتمامها وهى :

أبابل ، لا واديك بالخير مفعم ... لراج ، ولا ناديك بالرفد آهل
إذا ضقت عنى فالبلاد فسيحة ... وحسبك عارا أننى عنك راحل
وإن كنت بالسحر الحرام مدلة ... فعندى من السحر الحلال دلائل
قواف تعير الأعين النجل سحرها ... وكل مكان خيمت فيه — بابل

ومن علق بأقوال العرب الأقدمين من الجاهليين أو المخضرمين أو الاسلاميين استنزل كلام المحدثين ، وقضى قضاء أبى العلاء . وللكلام العربى القديم سلطان قاهر إذا استمكن من نفس خليطه سحره عما سواه ، فلا يتقبل إلا إياه . ولولا أن عبقرية أبي تمام وعبقرية المتنبي جهرتا الشيخ وبهرتاه ما كان فخّم حبيبا فى « رسالة الغفران » ذاك التفخيم مشيراً إلى مُقصّدات له فائقات ثم قال : « إنى لأضن بتلك الأوصال ، أن يظل جسدها وهو بالوقدة صال ؛ لأنه كان صاحب طريقة مبتدعة ، ومعان كاللؤلؤ متتبعة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار[1] » وما كان افتتن بأبي الطيب تلك الفتنة[2] . وسبك حبيب — وإن كان محدثا — عجيب . ولغته قد ضارعت أو قاربت فى القوة قديمة مطبوعة .

* * *

ذكر صاحب (الغيث المسجم فى شرح لامية العجم) جماعة من « الذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها »

(١) المحار جمع المحارة : الصدفة .

(٢) في مقالتى (أخبار أبى تمام للصولى) فى الرسالة ٢٢٥ السنة ٦ وفى مقالتي (ابو تمام والمقتطف) الرسالة ٢٣٥ السنة (٦) بينت شيئا من فضلة أبي تمام فى الشعر ، ورويت أقوالا لأئمة فيه ، ومما لم أورده فى تينك المقالتين هذه الأقوال :

كان يقال : أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا : أبو حنيفة فى فقهه ، والخليل فى نحوه ، والجاحظ فى تأليفه ، وأبو تمام فى شعره

فى (الموشح) :

نظر يعقوب الكندى فى شعر أبى تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه لانه حمل على كيانه بالفكر ، ويقال : إن أبا تمام مات لنيف وثلاثين سنة

وفيه :

محمد بن أبى كامل قال : شهدت أبا تمام الطائى فى منزل الحسين بن الضحاك وهو ينشد شعره فقال له اسحاق يافتى ، ما أشد ما تتكىء على نفسك ، يعنى أنه لا يسلك مسلك الشعراء قبله وانما يستقى من نفسه

قال أبو بكر الصولى فى كتابه (أخبار أبى تمام) :

حدثني ابو الحسن الكاتب قال : كان ابراهيم البندنيجى يجيئنا كثيراً ، وكان اعلم الناس بالشعر ، ويجيئنا البحترى وعلى بن العباس الرومى ، وكانوا اذا ذكروا أبا تمام عظموه ورفعوا مقداره فى الشعر حتى يقدموه على اكثر الشعراء ، وكل يقر باستاذيته وانه منه تعلم ، وهؤلاء أعلم زمانهم بالشعر ، وأشعر من لقى

(٣) كان ابو العلاء — كما رووا — اذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نؤاس كذا ، قال البحتري كذا ، قال ابو تمام كذا ؛ فاذا أراد المتنبي قال : قال الشاعر كذا تعظيما له

من حياة دمشق :

نحن والتجـــار ...

للأستاذ علي الطنطاوي

أكتب هذه الكلمة والمطر يهطل منذ ثلاث ليال ، ما انقطع خيطه ، ولا سكت صوته ؛ أقبل بعد سنة مضت ، شحت فيها السماء ، وضنت السحب ، ففرح به الناس واستبشروا ، وانتظروا عاماً خيّراً مباركاً ، يغاث فيه الناس ، ويأتيهم الفرج بعد الشدة ؛ غير أن الخير إن زاد عن حده ، كاد ينقلب إلى ضده ، وكذلك المطر لما استمر صار الناس يسألون الله الجفاف ، ويتمنون لو تطلع الشمس ، والشمس ما تطلع ، والمطر ما ينقطع ...

ووكفت السقوف ، ونزّت الجدران ، واسَّاقطت غرف ، وسالت طرق الجبل أودية ، فامتلأت بالحصى والحجارة ، وغدت أباطح ، ووقف سيلها الدفّاعُ السيارات وحافلات الترام ، واختبأ الناس في البيوت ، وما تكاد البيوت تمنع برداً ولا بللاً ، ونال حيَّ المهاجرين (على سفح جبل قاسيون) مالم ينل مثله حياً في دمشق ، وحي المهاجرين نصفه قصور من الصخر شامخات ، ذات طبقات كثر وشرفات ، ونصفه دور لساكين ، هي أكواخ من اللبن والطين ، وما في بلدنا مكان يلتقي فيه الفقر المدقع المتجمل الصابر ، والغنى السفيه الوقح المبذر ، كما يلتقيان وجهاً لوجه في المهاجرين . أما بيوت الأغنياء فما أحست المطر ولا درت به ، ونام من فيها على فخم الأسرة ووثير الفرش ، لا يعنيهم من خبر السماء وخبر الأرض إلا أن تشبع بطونهم ، وتمتلىء صناديقهم ، ويسلم لهم أولادهم وأهلوهم ؛ وأما أكواخ الفقراء ، فقد صبرت على المطر صبر الكريم ، واحتملت ليلة وليلتين . فلما جاوز الحمل الطاقة ، خرت في المعركة ، كما يخر البطل الشهيد ، وخرج من بقي من ساكنيها فراراً منها حين لم تعد دوراً وإنما صارت بركاً ومستنقعات . . .

سقوف بيوتي صرن أرضاً أدوسها

وحيطان داري ركّع وسجود

وسمعت في الليل هزّة ، اهتزت لها الدور ، ورجفت منها القلوب ، فقمت أستقري الخبر ، فاذا دار جيراننا قد هوت . . .

. . . ومضت ساعة ، وأهل الحمية من الناس يعملون في الوحل والمطر والبرد ، ليواسوا أسرة نزل بها القضاء ، وينقذوا ما يستطيعون إنقاذه ، من فرشها ومواعينها ، وذلك القصر ينظر الينا ثم يعرض عنا ، قد شغلته حفلة أقامها تلك الليلة لا أدري فيم أقامها ، ولا تزال أنواره ساطعة في عيوننا ، ونساؤه الكاشفات يتراءين لنا من وراء الزجاج في الحرير والذهب ، وأصوات الغناء والمرح في آذاننا ، تهزأ بالفقر وأهله ، وتضحك وخة في مآتمهم ، وترقص فاجرة في مقابرهم ، والسيارات تقف في بابه تنزل منها باقات الزهر ، وثمن كل باقة يحيي الأسرة من هذه الأسر أياما ، والهدايا التي تذهب بالمال ولا تأتي بالنفع لوحات مصورة ، وكؤوس منقوشة مذهبة ، وتماثيل للناس وللبهائم ، لو وزعت أثمانها على فقراء الحي لم تدع فيه فقراء ، والفضيلة قد توارت خجلاً في زاوية الطريق ، وابليس واقف يضحك مسروراً بأن سلب نفراً من أمة محمد فضائل دينها ، ومروءتها ، وأن ثأر من آدم فجرد بعض بنيه من بشريتهم ، وأحالهم شياطين في أجسام بشر ، أو ذئابا قد استخفت في الثياب ... ولم أقل كلابا لئلا أشتم الكلاب !

فلما جاء إلى الشيخ قال : « أبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة » .
يقول الامام الشافعي في (رسالته في أصول الفقه) :

« لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي » .

ولو أحاط إنسان غير نبي بجميع هذا العلم لكان الشيخ أبا العلاء ، وإن لم يحط به كله فقد أحاط – كما يخال – بجله . وتلميذه أبو زكريا التبريزي يقول كما ذكر ابن العديم في كتابه (الانصاف والتحري) : « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري [1] » .

---

(١) في (أوج التحري) هذا القول وهو منسوب الى الشيخ في حديث له : « ... والله ما أقول إلا ما قالته العرب ، وما أظن انها نطقت بشيء ولم أعرفه »

ونعجب بعد هذا من ابراهيم بن أدهم لما أخرجوه ليستسقي لهم ، وقالوا له قد استبطأنا المطر ، فادع الله لنا ، فقال : تستبطئون المطر ؟ أنا والله استبطئ الحجارة ...

« ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى »

* * *

وما هذا القصر لملك ولا أمير ، ولكنه لتاجر من هؤلاء التجار الذين يحيون في أيام الحروب التي يموت فيها الناس ، ويغنون حين يفتقرون ، وينسون أن لهذا الكون إلهاً قادراً عادلاً جباراً ، ما استقال ولا أحيل على المعاش ، ولا يزال لهم بالمرصاد ، وينسون أن الموت آت لامفر لهم منه ، وأن قبل الموت المصائب والرزايا ؛ الفقر والثكل والمرض ؛ وأن بعد الموت الحساب ، وبعد الحساب جهنم أو الجنة ، أفبلغ بالتجار أن يعلنوا الحرب على الله ؟

إننا نعيش بحمد الله في منجاة من القتال وأهواله ، والحرب وبلاياها ، ومالنا عدو يحاربنا ، وما عدونا الا هؤلاء المحتكرون أعداء الله وأعداء البشر ، الذين حبسوا أقواتنا ، وأخفوا أرزاقنا ، وارتصوا لنا أن نجوع ونعرى ، ليكنزوا الذهب والفضة ويطيفوا بها إطافة الوثني بصنمه ، وليريقوا فيض مالهم على أرجل بنات إبليس : الأرتستات الراقصات ، وفي معابد الشهوة الملتهيات ونوادي القمار ، وفي كؤوس الحميم التي اسمها الشمبانيا والويسكي ، يحارون ماذا يشترون بمالهم من اللذاذات المحرمة ، وفي أي مطرح من مطارح التبذير يلقونه ، والموظفون والعمال لا يكادون يجدون ثمن الغذاء والكساء ، إلا موظفاً خان أو عاملا سرق ، فما حال الأرملة المفردة ، واليتيم الضائع ، والشيخ الذي لاسناد له من مال أو ولد ، وعندنا في دمشق من الأرزاق والبضائع ما لو أخرج لكفانا الحاجة سنين أخرى ، بل إن عندنا كما أكد لي من يوثق به ، بضائع لاتزال في مخازنها منذ الحرب الماضية ، والناس يحتاجون اليها والتجار يخفونها ويرتقبون بها يوماً أشد ، وضائقة أحكم ، لايدرون أن كل من أخفى بضاعة أو حبسها ينتظر بها ارتفاع الأسعار ، وحرمها من هو في حاجة اليها فهو محتكر قل ما حبسه أو كثر ، وهو عدو مؤذ ، ولص سارق ، وليس بتاجر ، لأن التجارة كما يفهمها عقلي القاصر إنما تكون بنقل البضاعة من بلد تكثر فيه إلى بلد هي فيه قليلة ، أو بجمعها في موسمها لبيعها في غير موسمها ، أو بشرائها جملة وبيعها أفراداً ، ويأخذ التاجر الربح المعقول على مابذل في ذلك من ماله ومن عمله ، أما ماتراه اليوم من اجتماع النفر من التجار حول مائدة من الرخام في (قهوة الكمال) مثلا ، وفي أيديهم أقلامهم وفي أفواههم دخانهم أو أنابيب نراجيلهم ، يبيع أحدهم (بالة الخام) أو (كيس السكر) عشرين مرة بأسعار مختلفة ، ويشتريها ، وما باع على التحقيق ولا اشترى ، ولا قام من مكانه ولا أخذ ولا أعطى . ثم ينفض الاجتماع وباقي الستار على من ربح منهم عشرة آلاف ليرة ، أو من خسر مثلها ... أما هذا وأشباهه — وما أكثر أشباهه — فما هو لعمر الحق الا القمار بعينه وأنفه وذنبه ...

وإذا كان حقاً ما اعتمده (رينان) ، من أن الدولة تقوم على (الإرادة المشتركة) ، لا على الأرض وحدها ولا اللغة منفردة ، إلى آخر ما في « نظريته » المعروفة ، فليس التجار منا ولا نحن من التجار ، لأنهم يريدون غير ما نريد ، ولا إرادة مشتركة بيننا وبينهم ، فنحن نرجو الرخص وهم يتمنون الغلاء ، ونحن نحب أن تنتهي الحرب وهم يحبون أن تدوم ، ونحن نطلب من الحكومة أن تسعّر وتراقب ، وهم يطلبون لأنفسهم حرية إجاعتنا وتعريتنا ، ونحن لا نجد مالاً نشتري به لوازمنا ، وهم لا يجدون لذة جديدة يصرفون فيها أموالهم ، فأي جامعة بيننا وبينهم ؟

* * *

وإذا كانت الرسالة قد جردت قبل الحرب(١) قلمها البليغ ، لنصرة أكرم مبدأ ، مبدأ الإحسان ، والدفاع عن الفقراء والمحتاجين ، وإثارة الحمية في نفوس الأغنياء القادرين ، ذلك والدنيا في رخاء ، والحياة مهلة ، والسلام قائم ، فأولى أن تستل هذا القلم العضب اليوم ، حين اشتد الخطب ، واتسعت بين الفريقين

---

(١) في النصف الأول من سنة ١٩٣٩

الشقة ، وازداد الأغنياء غنى ، والفقراء فقراً ، ونشأت هذه الطبقة المحدثة النعمة ، التي شبعت من المال ولا تزال في جوع إلى الرفاهية والبلهنية واللذائذ : طبقة « أغنياء الحرب »

إن أهل القصر لا يزالون في لهوهم وقصفهم ، وأهل الكوخ لا يزالون في كدهم وجدهم ، والمطر دائب ما ينقطع ، والبرد قارس ما يخف ، والليل موحش مخيف ، فمن لهؤلاء المساكين ، إن لم تجرد لنصرتهم الأقلام من أغمادها ، وتُشرع حتى تصدع على هؤلاء الأغنياء حجارة القصر الذي اعتصموا فيه ، ليروا ما بالناس ويسمعوا ما خطب المساكين ، من إخوانهم في الوطن واللغة والدين . إنهم في سكرة الذهب ، فاصرخوا فيهم حتى يصحوا منها ، قبل أن يذهب السكر ويأتي « الأمر » ، فيروا أن أمر الله إذا جاء لا يرد . أفهموهم – وكيف السبيل إلى إفهامهم – أننا رأينا رأي العين ، ما قرأنا في الكتب ، ولا سمعنا من الناس ، من غنى في الحرب الماضية أكثر مما غنوا ، وبذر أضعاف ما بذروا ، ثم ذهب المال والأهل ، وغدا يسأل الناس على أبواب المساجد ، ولولا أنه يحرم التصريح بعد التلميح ، لصرحت بأسماء أقوام عرفناهم ، وإن جهلهم من قصرت سنه عن أسناننا .

* * *

على أنني ما أعمم القول ، ولا أطلقه إطلاقاً ، وإن في الموسرين لمحسنين ، وفي التجار لمنصفين ، وما تخلو طبقة من خير ولا من شر ، ولكن في الموسرين من يريد الإحسان ولا يعرف المستحق له ، ومن المستحقين من لا يعرف المحسنين ، ومنهم من يعرف ولا يسأل ، أولئك الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف . وإن من أوجب ما يجب علينا في هذه الحرب أن ننشئ جمعيات موثوق برجالها ، بأمانتهم ودينهم ، تكون في كل حي كالوسيط بين الغني المحسن والفقير المحتاج ، تأخذ من الأول وتعطي « بعد التحقق من حاجته » الثاني ، ومن عرفت أنه اتخذ السؤال حرفة – على مقدرة منه على العمل ، أو على مال له قد خبأه ، فعل أكثر هؤلاء المكدين – رفعت أمره إلى الحكومة لتعاقبه عقاب المتشردين . ويا ليت هذه الجمعيات الإسلامية الكثيرة في مصر والشام والعراق : الإخوان والشبان والهداية والتمدن وأمثالها ، تجعل ذلك المطلب من بعض مطالبها

ثم إن من أهم ما ينبغي لهذه الجمعيات أن تصنعه هو أن تختار للاحسان أسلوباً يهون به العطاء على المعطي ، وتجزل به المنفعة للآخذ . ولقد وجدت أنا واحداً من مائة أسلوب تخطر على البال ، حين كنت « من نحو ثلاث سنوات » قاضياً في القلمون ، وضاقت الأقوات وقل الخبز ، فدعوت إلى ما سميته « مشروع الرغيف » ، وأعانني عليه القائم بأمر المنطقة يومئذ[1] ففرضنا على أهل كل بيت من القادرين رغيفاً واحداً في اليوم وكانا من يجمعه ، ووزعنا ما جمعناه على المحتاجين ، وتركنا من هم بين ذلك فلم نأخذ منهم ولم نعطهم ، وهذا الرغيف الذي لا يصعب إعطاؤه على أحد ، ولا تشعر به الأسرة ، أحيا الله به أهل القلمون – وهم أكثر من سبعين ألفاً – في سنة القحط والضيق ، وما ذكرت ذلك لأفخر به ، ولا لأنه الأسلوب البديع الذي لا نظير له ، بل لأمثّل به على ما أريد ، والعبرة بالأعمال لا بالأقوال

نسأل الله أن يوفقنا حتى نعمل ، ويرزقنا الإخلاص في عملنا حتى يقبل ، وألا يجعل هذه المقالة كالصرخة في البيداء .

(دمشق) **علي الطنطاوي**

---

(١) هو القائم مقام السيد زكي غزال من أنشط رجال الادارة في الشام

حول فلسفة نيتشه

سبيل مطروق ... !

للأستاذ زكريا ابراهيم

اعتقد نيتشه أنه رائد الإنسانية الأول ، وظن أن أحداً قبله لم يطرق السبيل الذى طرقه ؛ ولكن الرواد قبله كانوا كثيرين ، وهذا السبيل الذى ضرب فيه مطروق مطروق ! . فهذا الإيمان الشديد بالأرستقراطية وعبادة الذات ، قد سبقه إليه لاروشيفوكو وهلفتيوس وربنان وتين وبرودون وفلوبير وغيرهم . وذلك الاعتقاد الراسخ باستحالة المساواة بين الناس قد ذهب إليه من قبل « جوبينو » الذى أعجب به نيتشه أشد الإعجاب . وتلك الكراهية الشديدة للمذاهب الاشتراكية والفوضوية ، قد ترددت من قبل على لسان « هارتمان » الذى أزرى به نيتشه كل الإزراء . وهذه الثورة العنيفة على الأخلاق السائدة والقيم الجارية ، قد لقيت من قبل فى « جويو » أحسن معبر عنها . وتلك الدعوى الجريئة إلى « اللاأخلاقية » immoralisme قد سبقه إليها أحد معاصريه وهو « شتيرنر » Stirner - فليست رسالة زرادشت إذن جديدة كل الجدة على الإنسانية ، وإنما هى رسالة ردّدها على مسمع منها كثير من مفكرى العصر الحديث . وإذا كان فى هذه الرسالة شىء من الطرافة ، فذلك لأنها تعبّر عن شخصية صاحبها التى استطاعت أن تؤلف بين كل هذه الأفكار المختلفة . ومعنى هذا أن ما يروعنا ويستهوينا فى نيتشه ، هو أولاً وبالذات ، شخصيته ، لا آثاره . فهذه الشخصية الرائعة تنطوى فى أعماقها على نفس فنانة ، وقلب شاعر ؛ وفى أبعد أغوارها يكمن « الإنسان العظيم » الذى طالما تحدث عنه نيتشه نفسه !

بيد أننا مع ذلك مضطرون إلى أن نضرب صفحاً عن تلك الشخصية ، لكى نقصر النظر على آثارها . وقد أراد نيتشه أن نحكم عليه الإنسانية بما خلّف من آثار ، فلم يبق إلا أن نحاسبه على هذا الأساس . وما دام هو قد تنكّر للماضى ، وثار على تراث الإنسانية كله ، فلا بأس من أن نحكم على آثاره محاولين أن نتلمس ما فيها من جدة مطلقة . - ولكن لا بد لنا من أن نقرر قبل ذلك أن نيتشه قد استثنى بعض المتقدمين ، فاعترف بالفضل لطائفة من الكتاب والمفكرين ، ممن أنجبتهم الحضارة الفرنسية « التى هو مدين لها » . وقد حرص نيتشه على أن يذكر بصفة خاصة ستندال ، فإن هذا المفكر الفرنسى - فيما يزعم نيتشه - قد استلبه أجمل فكاهة إلحادية يمكن أن تخطر بالبال ، وهى قوله : « إن العذر الوحيد الذى يشفع لله هو أنه غير موجود ! » . ومهما يكن من شىء ، فإننا إذا استثنينا الإعجاب الذى أبداه نيتشه ببعض المفكرين الفرنسيين ، مثل : بول بورجيه ، وبيير لوتى ، وأناتول فرانس ، وجى دى موباسان ؛ وبعض الشعراء الألمان مثل هينرش هَيْنى ؛ فإننا نجد أنه كان يعتبر دائماً أن أحداً لم يسبقه إلى تلك الأفكار الرائعة التى أعلنها ، وتلك الآراء الصائبة التى أبداها !

ولكننا نلاحظ - بالرغم من هذا الادعاء - أن جوبينو قد سبق نيتشه إلى كثير من هذه الآراء : فقد نادى جوبينو بانعدام التساوى بين الأجناس البشرية ، واعتبر الجنس الأوربى أرقى الأجناس ، وجعل على رأس هذه الأجناس جميعاً الجنس الجرمانى « الأشقر » . وفضلاً عن هذا ، فقد ذهب أيضاً إلى أن من حق الجنس الأوروبى - باعتباره أرقى الأجناس - أن يتحكم فى الأجناس الأخرى - باعتبارها أجناساً سفلى - وارتأى جوبينو أيضاً أن من الواجب تكوين صفوة أرستقراطية مختارة ، تكوّن من تلك الجنسيات nationalitès التى تنتسب إلى أرقى الأجناس races . - وقد انتشرت هذه الآراء التى نادى بها جوبينو فى ألمانيا كلها ، فأنشئت فى أواخر القرن التاسع عشر ، جماعة تحمل اسم جوبينو ، وتعرف فى ألمانيا باسم : Gobineau Vereinigung . وترددت آراء جوبينو على لسان نيتشه ، فقال فيلسوفنا بأرستقراطية الاجناس ، وإمكان قيام جنس أعلى ، أو نوع راق ، يكون جديراً بأن يطلق عليه اسم الجنس « الأعلى » أو « فوق الإنسانى »

وليس جوبينو وحده هو الذى سبق نيتشه إلى بعض الآراء التى ادعاها نيتشه لنفسه ، بل لقد سبقه إلى ذلك أيضاً فيلسوف

آخر ألمانى ، هو ماكس شترنر الذى نادى بمذهب « اللاأخلاقية » والفردية المطلقة . وسواء أكان نيتشه قد عرف شترنر أم لم يعرفه ، فإن هذا الفيلسوف (الذى عاش من سنة ١٨٠٦ إلى سنة ١٨٥٦) كان سلفاً مباشراً لنيتشه فى المناداة بالمذهب اللاأخلاقى . ويمكن أن تلخص فلسفة شترنر فى عبارة واحدة هى « تقديس الذات » ، أو « عبادة الأنا » . فالذات هى مركز العالم ، والعالم - بما فيه من أشياء ، وأفكار وأفراد - إنما هو ملك للذات . وكل ما فى الكون ليس له وجود حقيقى بالقياس إلى الذات ، التى هى الشىء الحقيقى الوحيد و « الإنسان » المجرد أو الإنسان باعتباره معنى كلياً (وهو ما يريد فورباخ أن يجعله موضع تقديسنا) ليس له أى وجود حقيقى ، « وإنما هو خيال لا يكون له وجود حقيقى إلا فى ذاتى وبذاتى » . ولما كانت الحقيقة الوحيدة هى حقيقة « الذات » أو « الأنا » فإن فى استطاعتنا أن نتخذ لنا من هذه « الذات » le Moi مبدأ نسميه باسم « الواحد » أو « الفرد » La' unique . وما دامت الذات هى المبدأ الوحيد الذى يجب أن نأخذ به ، فإن علينا أن نستبعد كل سلطة خارجية ، سواء أكانت سلطة « الله » أم « الانسانية » أم « الأخلاق اللاهوتية » ، أم « الآمر المطلق » . . إلى آخر تلك السلطات التى يراد فرض سيطرتها على الذات وإذن فإن علينا أن نهدم الأخلاق ، لأن الأخلاق تقوم على « فكرة متسلطة » هى فكرة « الواجب » أو « الآمر المطلق » . وهنا نجد أن نيتشه يتفق مع شترنر ، فإن زرادشت سينادى بهدم الأخلاق ، والثورة على المسيحية التى تضع للحياة قيماً فاسدة منحلة . . . أما القول بعبادة الذات أو تقديس « الأنا » فهذا أيضاً مما يتفق فيه نيتشه مع شترنر ، فإن نيتشه هو الذى يقول : « إن وراء أفكارك وعواطفك (يا أخى) يكمن سيد قوى ، بل حكيم مجهول ، هو ذاتك نفسها Selbst وهو فى بدنك يقيم ، بل هو بدنك نفسه » !

ولا تقف أوجه الشبه بين نيتشه وشترنر عند هذا الحد ، بل إنهما ليتفقان أيضاً فى شىء أعمق من هذا ، وهو القول بإرادة القوة « Wille znr Macht » ؛ فقد جعل شترنر لإرادة التوسع فى القوة ، والامتداد بالذات ، أهمية كبيرة فى فلسفته ، حتى إن هذه الإرادة لتبدو عنده باعتبارها « القوة الأساسية للكائن البشرى » ؛ وهذه الفكرة هى التى ستصبح على لسان زرادشت الأغنية المحببة التى يرددها نيتشه فى كل حين . — فنحن نرى من هذا كله أن شترنر قد سبق نيتشه فى الثورة على الأخلاق ، والانتقاض على المسيحية ، والدعوة إلى عبادة الذات . فلم يكن نيتشه إذن أول من ضرب بقدمه فى هذا السبيل ، بل كان شترنر هو الرائد الأول الذى سار فى الدرب الذى طرقه السابقون ، حتى نهايته . وكل مافعله نيتشه هو أنه جدد أفكار شترنر ، وردد آراءه — دون أن يكون قد وقف عليها — كما ردد أيضا آراء السوفسطائيين والكلبيين وبعض المحدثين مثل لاروشيفوكو وهلفتيوس وهولباخ وفريدريك شليجل وستندال — مع وقوفه عليها — .

ونستطيع أن نضيف إلى هؤلاء الفلاسفة الذين أثروا فى نيتشه أو الذين سبقوه إلى الآراء التى نادى بها ، فيلسوفا آخر يتفق مع نيتشه فى أنه شاعر مثله ، ويختلف عنه فى أنه ليس منحرف الطبيعة مثله . أما هذا الفيلسوف الشاعر فهو جويو Guyau صاحب كتاب « صورة مجملة لأخلاق بلا تكليف ولا جزاء » (١) وقد ذهب هذا المفكر الفرنسى فى مؤلفه مذاهب شتى ، بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه اتفاقا كبيراً حتى إنه ليصعب علينا أن نتصور أن يكون نيتشه لم يطلع على ما جاء فيها . ومما يتفق فيه الفيلسوفان :

أولا : القول بأن « الحياة هى الكل » tout est vie بمعنى أنه ليس فى وسعنا أن نتصور شيئاً ما على أنه موجود حقيقة إلا إذا كان هذا الشىء حياً .

وثانياً : القول بأن الأخلاق التى تنادى بفكرة الواجب والآمر المطلق ، أخلاق فاسدة يجب القضاء عليها ، لأن الالزام أو التكليف يرجع إلى الحياة نفسها ، إذ الحياة هى التى توفر للفرد الشعور بالقدرة على العمل ، وليس هناك قوة سحرية غريبة « كالآمر المطلق » المزعوم

(١) «Esquisse d' une moryale sans obligation ni sanction»
وهذا كتاب فريد يجب أن ينقل إلى العربية ، ولعلنا نلخص للقراء طرفاً مما جاء به فى مقال نكتبه عن جويو

وثالثاً: القول بأن التشاؤم يدعو إلى الانحلال والفناء، في حين أن التفاؤل يكسب الحياة خصباً وامتلاء، فكل من جويو ونيتشه يعتبر التشاؤم مظهراً للانحلال والهبوط والفناء...

رابعاً: القول بأن الفن هو المعنى الباطن للحياة بمعنى أنه ليس مجرد متعة أو ألهية، بل هو أمر جدى له قيمته في الشعور بالحياة الحافلة الخصبة المليئة. فكل من جويو ونيتشه ينظر إلى الفن نظرة حيوية، ولا يعده عديم الغاية بل يذهب إلى أن الفن للحياة وبالحياة. ومعنى هذا أن الفن عندهما ليس للفن — كما يقال عادة — بل هو غائى، وغايته ليست تقويم الاخلاق أو إصلاح الناس، بل تقوية الشعور بالحياة

وأما النواحي التي يختلف فيها جويو مع نيتشه، فهي تلك التي تمس مشكلة «الفردية»؛ وذلك لأن جويو يعتقد أن الرجل القوى ليس هو الرجل المتوحد (كما زعم نيتشه) بل هو الرجل الذى يجمعه بغيره من الناس، وشائج العقل والقلب. فعلى الرغم من أن جويو يتفق مع نيتشه في القول بالحياة الخصبة المليئة، إلا أنه يتصور هذه الحياة على أنها أولا وبالذات، حياة اجتماعية تنعدم فيها الأنانية، لأن الأنانية سلب للحياة نفسها، وإنكار لكل خصب أو امتلاء. ولعل خير ما يوضح لنا الفارق بين نيتشه وجويو، هو أن الأول يدعونا إلى اتباع الطبيعة (كما دعا إلى ذلك الأقدمون)، في حين أن الثاني يدعونا إلى تعميق الطبيعة. فنيتشه يقول: «اتبع الطبيعة» Suivez la nature؛ وأما جويو فانه يقول: «عمق الطبيعة» Approfondissez la nature

ومهما يكن من شيء، فان جويو هو بلا ريب واحد من أولئك الرواد الذين سبقوا نيتشه في الطريق الذى سلكه. وقد رأينا أن هؤلاء الرواد كثيرون، فهل علينا من حرج بعد هذا إذا قلنا إن السبيل الذى سلكه نيتشه سبيل مطروق؟

(السويس) زكريا ابراهيم

مدرس بمدرسة السويس الثانوية

إشهار الرؤوس المقطوعة
في ايام العباسيين

للأستاذ ميخائيل عواد

تمهيد:

فى مقال سابق لنا، ذكرنا أخبار « خزانة الرؤوس » فى دار الخلافة العباسية ببغداد [1]، وما ضمته رفوفها من رؤوس لعب أصحابها أدوارا خطيرة فى ميادين السياسة والادارة والفكر. وها نحن أولاء ننتقل إلى بحث آخر ذى صلة بهذا الموضوع، « وهو إشهار الرؤوس المقطوعة فى أيام العباسيين » وذلك فى مختلف البلدان الاسلامية، فنقول:

أولاً – نصب الرؤوس فى سامراء

١ – رأس الخليفة المستعين بالله:

تنكر الأتراك للمستعين لما قتل بعض أعيانهم مثل: وَصيف وبُغَا، ونفى باغر التركيّ الذى فتك بالمتوكل، ولم يكن له مع وصيف وبغا أمر حتى قيل فى ذلك:

خليفة فى قفص   بين وصيف وبُغَا
يقول ماقالا له   كما تقول الببغا.[2]

وانحلّ أمره بعد وقعات كثيرة، فخلع نفسه وأُحدِر إلى واسط، فأقام بها تسعة أشهر محبوساً، ثمّ رُدّ الى سامراء ولم يبلغها حتى حُزّ رأسُه، قال المسعودى: « ولمّا كان فى شهر رمضان من هذه السنة، وهى سنة اثنتين وخمسين ومائتين، بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلاقى المستعين، وقد كان فى جلة من حمله من واسط؛ فلقيه سعيد وقد قرب من سامراء فقتله واحتزّ رأسه وحمله إلى المعتز بالله، وترك جثته ملقاة على الطريق،.... وذكر شاهك الخادم، قال: كنت عديلاً للمستعين عند إشخاص المعتز له الى سامراء ونحن فى عمّارية، فلمّا وصل إلى القاطول تلقّاه جيش كثير، فقال: ياشاهك انظر مَن رئيس القوم؟ فإنْ كان سعيد الحاجب فقد هلكتُ. فلمّا عاينته قلتُ هووالله سعيد، فقال إنّالله وانا اليه راجعون! ذهبتْ والله نفسى [1] وجعل يبكى. فلما قرب سعيد منه جعل يقنعه بالسَّوط ثمّ أضجعه وقعد على صدره واحتزّ رأسه وحمله... » [2]

قال ابن الاثير: « وحُمِل رأسه (أى رأس المستعين) إلى المعتز وهو يلعب بالشطرنج، فقيل هذا رأس المخلوع. فقال ضعوه حتى أفرغ مِن الدست.. » [3].

وفى كتاب « الديارات » للشابشتى وصف مؤثر لهذا المشهد المحزن الذى حلّ برأس المستعين. قال: « وذكرَ أحمد ابن حمدون قال: بَنَى المعتز فى الجَوْسَق فى الصَّحن الكامل بيتاً قَدَّرَته له أُمه ومثلت حيطانه وسقوفه، فكان أحسن بَيْتٍ رُئى. قال: فدعانا المعتز اليه فكُنّا فى أحسن يوم رُئى مسروراً. وخلف الستارة مُغَنِّية تُغَنى أحسن غناء ليس لى بها عَهْد. قال: فنحن فى ذاك، إذْ دَخل علينا خادم فى يده طَبَق عليه مِكَبَّة، فوضعه فى وسط البيت، وكان فى يد المعتز قَدحٌ فشرب به وشربنا، ثم قال للخادم: ارفع المكَبَّة، فرفعها، فاذا رأس المستعين فى الطَبَق. فلما رأيته شَهِقتُ وبكَيتُ. فقال لى المعتز: يا ابن الفاعلة، ماهذا؟ كأنك داخلَتْك له رِقّة. فثاب إلىّ عقلى وتَماسكتُ وقلتُ: ما كان لِرِقّةٍ، ولكنى ذكرتُ الموتَ. فأمرَ الغُلام بردّ المكَبّة ورفع الطبق، فرفعه. وكان المعتز داخَلَته فترة، وكذلك جميع مَنْ حضر وافترقنا عن الحال التى كُنّا عليها من السُّرور. قال: فنحن كذلك إذْ سمعنا وراء السِّتْر ضجة أفزعتنا، فاذا امرأة تصيح، وامرأة أخرى تَشْتم الصائحة، والصائحة تقول: ياقوم أخذتمونى غصباً ثمّ تجيئونى برأس مولاى

(١) الرسالة: (الأعداد ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٩٤٥)

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٢٣٨؛ طبع مصر)

(١) وفى رواية أخرى أنه قال: « قد جاء جزار بنى العباس » المنتظم لأبى الفرج بن الجوزى (٥: ٧٢؛ فى ترجمة أحمد بن طولون)

(٢) مروج الذهب (٧: ٣٦٩ — ٣٧١؛ طبع باريس)؛ وانظر تاريخ الطبرى (٣: ١٦٧٠ — ١٦٧٥؛ طبعة دي غويه)

(٣) الكامل فى التاريخ (٧: ١١٦؛ طبعة تورنبرغ = ٧. ٦١؛ بولاق)

فتضمونه بين يدىّ ! فسمعنا صوت العود قد ضرب بعر أمها . قال : وكان الشاتم لها والضارب قبيحة [1] ، وكانت الجارية من جوارى المستعين . قال : فانصرفنا عن المجلس أقبح انصراف وقد تنغّص علينا ما كنا فيه ، ولم يمض إلا أيام يسيرة حتى وثب الأتراك على المعتز فقتلوه . ثم دُعي بنا لننظر إليه ، فدخلنا عليه فى ذلك البيت ، فإذا هو ممدود فى وسطه ميّتاً [2] »

٢ – رأس صالح بن وصيف

روى قصته الطبرى فى حوادث سنة ٢٥٦هـ ، ودونك بعض ما قاله فى رواية مقتله : « ... وقيل إنه حُمل على برذون صنابى والعامة تعدو خلفه وخمسة من الخاصة يمنعون منه ، حتى انتهوا به إلى دار موسى بن بُغا ، ... فلما صاروا به إلى حد المنارة ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقده منها ، ثم احتزوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى دار المهتدى ، فوافوا به قُبيل المغرب وهو فى بركة قَباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه وقد قام لصلاة المغرب فلم يره ، فأخرجوه ليصلح ، فلما قضى المهتدى صلاته وخبروه أنهم قتلوا صالحاً وجاءوا برأسه ؛ لم يزدهم على أن قال واروه ، وأخذ فى تسبيحه ... فلما كان يوم الإثنين لسبع بقين من صفر حمل رأس صالح بن وصيف على قناة وطيف به ونودى عليه : هذا جزاء من قتل مولاه . ونُصب بباب [3] العامة ساعة ، ثم نحى وفعل به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً . وأخرج رأس بُغا الصغير [4] فى وقت صلب رأس صالح ، يوم الإثنين ؛ فدُفع إلى أهله ليدفنوه ... فقال السلولىّ لموسى إذ قتل صالح بن وصيف :

وصيف بالكرخ ممثول به وبُغا ... بالجسر محترق بالجمر والشرر

وصالح بن وصيف بعد منعفر ... فى الحَير جيفته والروح فى سقر [1]

ثانياً – رؤوس جماعة من بنى أمية

بين يدينا أخبار رؤوس لقوم من بنى أمية ، قطعت قبيل ظهور دولة بنى العباس ؛ أو إبان ظهورها ، ثم نقل بعض هذه الرؤوس إلى العراق ، وكان من أشهرها :

١ – رأس عبيد الله بن زياد

الوقعة التى قتل فيها ابن زياد مشهورة فى التاريخ . قال ابن عبد ربه : « ... ولما التقى عبيد الله بن زياد وابراهيم بن الأشتر بالزاب . قال : من هذا الذى يقاتلنى ؟ قيل له : ابراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركته أمس صبياً يلعب بالحمام . قال : ولما قتل ابن زياد بعث المختار برأسه إلى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى . قال : فلما رآه قال سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله فى عنقه نعمة ، لقد أدخل رأس أبى عبد الله على ابن زياد وهو يتغدى . وقال يزيد ابن معن :

إن الذى عاش ختّاراً بذمته ... ومات عبداً قتيل الله بالزاب [2]

٢ – رأس مروان الحمار :

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بنى أمية . وبقتله طويت صفحة بنى أمية من ديار المشرق . قال ابن الأثير فى رواية مصرعه : « وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه ، وصاح صائح : صُرع أمير المؤمنين فابتدروه ، فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمّان فاحتز رأسه فأخذه عامر فبعث به الى أبى عون ، وبعثه أبو عون الى صالح ، فلما وصل اليه أمر أن يقص لسانه ؛ فانقطع لسانه فأخذته هرّ . فقال صالح : ماذا تُرينا الأيام من العجائب والعبر ، هذا لسان مروان قد أخذته هرّ . وقال شاعر :

(١) هى أم الخليفة المعتز بالله العباسى كانت رومية فائقة فى الجمال فسميت قبيحة من أسماء الأضداد . توفيت بسامراء فى سنة ٢٦٤ هـ

(٢) الديارات للشابشتى ، مخطوط برلين ؛ الورقه ٧٣)

(٣) هو أحد أبواب مدينة سامراء ، له ذكر كثير فى التاريخ . راجع مثلا تاريخ الطبرى ، ٣ : ١٢٣٠ ، ١٣١٨ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٢٢ ، ١٦٦٢ ، ١٧٢٣ ، ١٨١١ ، ١٨٢١ ، ١٨٥٩ ، ١٨٧٤ ؛

(٤) قتل فى سنة ٢٥٤هـ ، وحمل رأسه إلى المعتز ، ونصب فى سامراء ثم فى بغداد ، وأحرقت المغاربة جثته انظر الكامل لابن الأثير ، ٧ : ١٢٦ ؛ ليدن = ٧ : ٦٦ بولاق ،

(١) تاريخ الطبرى ، ٣ : ١٨١٠ – ١٨١١ ، وانظر الكامل لابن الأثير ، ٧ : ١٥٥ ليدن = ٧ : ٨٠ ؛ بولاق ،

(٢) العقد الفريد (٣ : ١٠١ — ١٠٢ طبعة القاهرة سنة ١٩١٣)

معرض الفن البريطاني الحديث

للأستاذ نصري عطا الله سوس



الفن لا زمان له ولا مكان، بل هو تراث الانسانية الخالد على مر الأزمان. وحين تتيح لنا أمة من الأمم فرصة مشاهدة آثارها الفنية تمهد لنا السبيل إلى مشاركة فنانيها ورجال الفكر فيها، أسمى أحلامهم وأمانيهم وأنبل عواطفهم واحساساتهم.

ففي الفن وحده يتسامى الانسان عن المطامع والدنايا والمشاغل الدنيوية، ويفسح الطريق لعواطفه ومشاعره التي تؤكد المعنى الانساني فيه، المعنى الانساني الذي لا يعرف الحدود الجغرافية أو المطامع السياسية وما تثيره من أحقاد وضغائن وفرقة، والفن وحده هو النبراس الهادي الذي يذكرنا دائما أن البشر عائلة واحدة مهما احتدم بينهم الخلاف والبغضاء. وتبادل التراث الثقافي هو خير ما يعزز هذا الاحساس في الانسان.

ومعرض الفن البريطاني المعاصر الذي أقيم في القاهرة خلال هذا الشهر [1] مجهود طيب من مجهودات «المجلس البريطاني» في سبيل تعزيز الألفة الثقافية والفكرية بين مصر وانجلترا

وقد قسم المعرض إلى أقسام ثلاثة: قسم الصور الزيتية والمائية، وقسم الحفر والنقش، وقسم رسوم الأطفال. ويحتوي القسم الأول على ما يقرب من مائة لوحة لأقطاب الفن الحديث في انجلترا، وهي تعطينا فكرة صادقة عن هذا الفن خلال الأربعين سنة الأخيرة. ولا شك عندنا في أن المجهود الذي بذل في انتقاء هذه المجموعة من بين آلاف اللوحات كان مجهودا كبيرا صاحبه التوفيق إلى أبعد الحدود في اختيار خير العناصر التي تمثل مختلف المدارس الفنية المعاصرة في بلاد الانجليز

والفن الانجليزي المعاصر لا يتميز بطابع إقليمي قوي، ذلك لأن غالبية أقطابه تلقوا دراساتهم في البلدان الأوربية الأخرى وبخاصة باريس؛ كما أن سهولة المواصلات وسرعة تبادل الانتاج الفكري ساعد الفنانين الانجليز على سرعة استيعاب المذاهب الفنية الأوربية والتأثر بها.

(١) معرض الفن البريطاني المعاصر بسراي الجمعية الزراعية الملكية بالقاهرة من ١٠ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٥

قد فتح الله مصر عنوةً لكم
وأهلك الفاجرَ الجَعْديَّ إذ ظلما
فلاك مقوله هِرٌّ يجرره
وكان ربُّك من ذي الكفر منتقما

وسيره صالح الى أبي العبّاس السفاح. وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة، ورجع صالح الى الشام...، ولما وصل الرأس إلى السفاح وكان بالكوفة؛ فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك، ولم يبق ثاري قبلك...» [1]

٣ — رأس مصعب بن الزبير

قال ابن عبد ربه في رواية مقتل مصعب بن الزبير: «...فجاءه عبيد الله بن ظبيان وكان مع مصعب، فقال: أين الناس أيها الأمير. فقال: غدرتم يا أهل العراق. فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعباً، فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة، فنشب السيف في البيضة، فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعباً بالسيف فقتله. ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان وهو يقول:

نطيع ملوك الأرض ما أقسطوا لنا
وليس علينا قتلهم بمحرم

قال: فلما نظر عبد الملك إلى رأس مصعب، خرّ ساجداً، فقال عبيد الله بن ظبيان وكان من فتاك العرب: ما ندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن مروان إذ أتيته برأس مصعب فخر ساجداً؛ أن لا أكون ضربت عنقه فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد .. ، الرياشي عن الأصمعي، قال: لما أُتي عبد الملك برأس مصعب بن الزبير، نظر إليه ملياً ثم قال: متى تلد قريش مثلك...» [1]

(البقية في العدد القادم)

ميخائيل عواد

(١) الكامل في التاريخ (٥ : ٣٢٧؛ ليدن؛ حوادث سنة ١٣٢ هـ). وراجع تاريخ الطبري (٣ : ٤٤ — ٥١)، ومروج الذهب (٦ : ٧٦)، والفخري في الآداب السلطانية (ص ١٧٥؛ طبعة أهلورد).

(١) العقد الفريد (٣ : ٢٥٥)

ولطالما نعى النقـاد – حتى الانجليز منهم – على الفن البريطاني خلوه من الروح الفنية الصحيحة وضعف « معنوية الشكل » فيه ، ولـكن المجموعة المعروضة الآن تثبت أن الفنانين البريطانيين قد تحرروا إلى حد بعيد من ذلك الجمود الذى كان يرين على مجهود الـكثيرين منهم . وفى هذا المعرض مجال طيب لدراسة الفن البريطانى المعاصر، كما أنه مجال خصب للتأملات الحرة التى تتصل بجوهر الفن عامة دون تقيد بعصر من العصور أو أمة من الأمم .

وجولة سريعة فى هذا المعرض تقنع المشاهد أن الفنان الانجليزى يبلغ أوجه عندما يرسم مناظر الطبيعة الريفية فى بلاده ، فالصورة رقم ٧ (سنودنيا – لرايموند كوكسن) تتميز بقوة التصميم والتعبير وحرارة اللون ودقته وحيوية العاطفة . والصورة رقم ٨٣ (منظر طبيعى فى وادى ستور – لرولاند سدنى) تمتاز بالتعبير الشعرى وحسن اختيار اللون والشكل . والصورة رقم ٢٧ (كنيسة – بريشة د. أبز) والصورة رقم ٥٧ (تلال – لفيفيان بشفورت) تمتازان بالألوان الحية المعبرة

والصورة رقم ٧٣ (برارى فى دورست – لستانلى سبنسر) ليست إلا صلاة للطبيعة بالشكل والألوان وهى تتسم بنضوج العاطفة وحرارتها وقوة الأداء ، وتستطيع أن تشعر صادقاً وأنت تتأمل هذه الصورة بذلك الشعور الصوفى الذى يستولى على الفنان عندما ينساق إلى الرسم انسياقاً استجابة لقوة أكبر منه . . . .

وللرسام ولسن ستير (١٨٦٠ – ١٩٤٢) أربع لوحات . وستير من أقطاب المدرسة التأثرية ، وأحد مؤسسى نادى الفن الانجليزى الحديث الذى كان له أكبر الأثر فى اتجاه الفن المعاصر بانجلترا . تعلم فى باريس ، ورسومه الأولى متأثرة كل التأثر بمانيه ، وديجا ، ومونيه ، وريتوار ، ولـكنه استطاع فيما بعد أن يتخلص إلى حد ما من طابع التأثريين ويسير فى طريق كبار الرسامين الانجليز مثل ترنر وكونستابل وجيتز بورو . وصوره الأخيرة تجمع بين الطابعين الانجليزى والفرنسى . وهو يجيد كل الاجادة عندما يرسم الأراضى المغطاة بالغابات والمساحات الشاسعة التى تغمرها الظلال والأضواء . وهو خير من يبين لنا أى تأثير كبير يستطيع أن يحدثه الفنان الـكبير فى نفوسنا مع بساطة الأداء وسذاجته .

وأنا حين أضفى هذه الصفات السخية على هذه الأعمـال الفنية التى ذكرتها لا أعنى أن كل هذه الأعمال توضع جنباً إلى جنب مع روائع التراث الفنى العالمي، ونحن لا نستطيع أبداً وليس من حقنا أن نطالب الفنان بما ليس فى طوقه ، إنما نستطيع أن نلزمه بالصدق والاخلاص لعاطفته والمحافظة على كيان شخصيته وطابعها ، وهو إذا التزم هذه الحدود يستطيع أن ينتج شيئاً ، ونستطيع نحن أن نجد فيه مجالا للمتعة الذوقية برغم ما يعتوره من ضعف ، وكل ما يجب أن يتخلص منه الفنان والناقد والجمهور هو : الانخداع . فعلى الفنان أن يعرف حدود طاقته ولا يتعداها ، وعلينا أن نقدره التقدير الصحيح ونضعه فى موضعه اللائق – وقد قال « جيته » مرة : ما أسعد الرجل الذى يكتشف سريعاً الهوة بين رغباته وبين مقدرته – وطابع الاخلاص ظاهر جداً فى الصور التى تحدثت عنها وهو يكسبها حلاوة وجمالا برغم بساطتها ويسرها . ونطالع طابع البساطة أيضاً فى بعض مناظر الطبيعة الصامتة : فالصورة رقم ٣٨ (منضدة جانب الفراش لادوارد لبا) تعبر عن عاطفة لاتتكلم بل تغنى وتغنى بحرارة تتمثل فى فرحة الألوان الزاهية . والصورة رقم ٩ (زاوية غرفة المكتب لدى بليس) تقول كل ما تقوله بالالوان فقط وهى تقول شيئاً ما برغم بساطة التصميم وفجاجته .

ويعتبر دنـكن جرانت من أقطاب الفن البريطانى الذين يمتازون بالحساسية الشعرية وقوة اللون وحسن اختيار الشكل وبراعة الأداء ، وكل هذا يبدو جليا فى لوحتيه رقم ١٨ (الخوان) ورقم ١٩ (صورة شخصية) ؛ وكأن صفاء نفس صاحبة هذه الصورة الأخيرة سرى إلى نفس الفنان فاختار اللون واللباس والجلسة التى تساعد على إبراز المعانى النفسية الوادعة البادية على وجه السيدة صاحبة الرسم .

وفى المعرض مجموعة لابأس بها من صور الأشخاص ، من أهمها الصورة رقم ٣١ لجوين جون، وهى صورة جانبية لفتاة صغيرة وهى من فرائد هذا المعرض فى قوة الشكل وحيوية التعبير وهناك صورة لأوجستس جون بريشته ، وهى تمثل تمثيلاً قوياً الفنان اللاهى دائماً عن عالمنا ، الشارد الذهن دائماً وراء عرائس الإلهام . وجون فنان بوهيمى غذى الفن الإنجليزى

بدماء جديدة بدت غريبة أول الأمر وحدت من شهرته، ولكنه تطور مع الزمن . ويمتاز فنه إبان نضوجه بالميل إلى التبسيط ووضوح الألوان وصفائها . وصور الأشخاص التي يرسمها تمتاز بقوة التعبير وصدق الدلالة على نفسية الشخص المرسوم

ومن الأعلام الممثلين في هذا المعرض السير وليم أوربن الذي لفت الأنظار إليه منذ صدر شبابه لبراعته وقدرته وتمكنه من مختلف نواحي الفن، فمنذ أكثر من ثلاثين عاما وأوربن يرسم صور الأشخاص وصور الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة في يسر وسهولة وتوفيق في التعبير والأداء . ومنهم أيضاً رتشارد سكوت (١٨٦٠ ـ ١٩٤٢) وهو من أصل ألماني ، وقد قيل عنه إنه رسام أدبي ، أي أنه يعنى بما تقصه الصورة أكثر من عنايته بالشكل. وقد تتلمذ على وبسلر، ولكن غلب عليه طابع التأثريين خاصة ديجا ـ وصوره تغلب عليها الألوان القاتمة والظلال ، وكان يفضل الرسم في الأيام الغائمة ، وأكثر رسومه لردهات داخلية قليلة الحظ من الضوء

وأود أن أشير هنا إشارة خاصة إلى الصورة رقم ٨٨ (منظر البحر لإثيل ووكر) وهي من أنفس ما في المعرض ، والذي يتأمل هذه الصورة تأملاً صادقاً ينسى ما تحكيه ـ أي البحر والأمواج ـ ويذكر العاطفة الحية المتوثبة ، الغامضة ، الشادية ، التي تستولي على نفوسنا أحياناً ، فتجعلنا نحس أن الكون لحن كبير قوي ، وإننا بمض هذا اللحن نحس موسيقاه في قلوبنا ، وتهزنا هذه الموسيقى هزاً منغماً كما يهتز القارب الصغير على صفحة الأمواج اهتزازاً قوياً متداركا

***

قلنا إن الفنان الذي يلتزم حدود ذاته يستطيع أن ينتج شيئاً ما ، ونقول أيضاً إن التفرد والشذوذ مع القوة ، والإيمان بسداد هذا التفرد والشذوذ عبقرية وأصالة لا شك فيهما

ويتمثل التفرد والشذوذ في أعمال الفنانين المحدثين، ويمثلهم في معرضنا ـ تمثيلاً روعي فيه الجودة والتعقل ـ هنري مور وسذرلند، وآخرينسج على منوال هذا الأخيراسمه ادوارأرديذون (صاحب الصورتين رقم ١ ، ٢) وأعمالهم لا تخلو من صدق في العاطفة والأداء

وهنري مور رسام ونحات ، وهو كصاحبه سذرلند مجدد يتسم بالجرأة والخروج على الأشكال المألوفة، وبرغم ذلك ـ أولذلك ـ لا يستطيع الناقد إلا أن يسلم له بأنه فنان بل فنان كبير أحياناً

وسذرلند لا يتقيد بالطبيعة إلا فيما ندر ، وإذا تقيد بها اختار ما لم تألفه العين من الأشكال والألوان فيوفق أحياناً ويخونه التوفيق أحياناً ، وعلى كل أعتقد أنه خير من استطاع أن ينتزع من الطبيعة نفسها مادة للتعبير المجرد المعبر

والجزء الأكبر من إنتاج هؤلاء الفنانين المحدثين لم تتقرر قيمته الفنية بعد ، ومن العسف أن يحكم الناقد ذوقه الفردي في ظاهرة فنية عالية كالتي نحن بصددها . وإن كنا نرى أن النظريات الفنية الحديثة في حد ذاتها معقولة ومقنعة ، ولكن الإنتاج الفني نفسه تعوزه القوة ، والعاطفة والخيال والطواعية أي ينقصه كل عناصر الفن !

وهذا الفن الحديث فيما أرى لا يمثل التحرر من القديم ، بل يمثل عنف الثورة والتمرد على القديم ـ والثورة والتمرد عنصران سلبيان ، والدافع إليه في الغالب اقتناع ذهني لا تسنده عاطفة أو خيال ، وكل ما يستطيع أن يقوله الناقد المعتدل إن هذا الفن قد ينضج مع الزمن

وقد راعى منظمو هذا المعرض ذلك ، فهناك صورة واحدة تمثل مذهب السريالزم ، وأخرى تمثل المذهب التكعيبي ، وثالثة تمثل ما يسمى النيو ريالزم ، ورابعة تمثل الفن التجريدي ، والأخيرة (رسم رقم ٨٥ لجون تنارد) قطعة فذة في نوعها تمتاز باللون والتصميم وموسيقية التعبير، وهي تبين لنا أن الفنان الصادق الإحساس ينجح دائماً مهما اتسم « الزي » الذي يختاره لعاطفته بالغرابة والبعد عن المألوف

وما دمنا بصدد الحديث عن النزعات الفنية الحديثة يمكننا أن نقول إن الفنان الإنجليزي عامة أخذ يحس ويبرز في لوحاته المعاني اللونية الباطنة للأشكال الطبيعية ، ولعل هذا أكبر حسنات النظريات الفنية الحديثة .

نصري عطا الله سوس

المسلمون في بولندا (١)

للأستاذ مصطفى كمال عبد العليم

هناك صفحة ليست معروفة تماما فى التاريخ البولندى تتعلق بتاريخ القبيلة التترية الاسلامية التى استوطنت المنطقة الشمالية الشرقية من بولندا. فكما استقرت الشعوب الإسلامية فى أوربا كغزاة — إذا استثنينا مسلمي يوغوسلافيا الذين هم من أصل صربى أسلموا عن طريق الغزو العثمانى — كذلك استوطن تتار بولندا اقليما لم يطأه غاز مسلم من قبل. ومن المعروف أنهم بدأوا يستقرون فى بولندا منذ منتصف القرن الرابع عشر.

وليس هناك من شك فى أصلهم الجنسى، فهم من الجنس التركى المغولى انحدروا من امبراطورية جوشى بن جنكز خان وعرفوا باسم «الرعيل الذهبى» فى غربى القبشاق (٢). ولكى نعرف متى وكيف استقروا فى بولندا يجب أن نعرف أسباب تكوين تلك البقعة الإسلامية الصغيرة وظروف ذلك التكوين، ثم كيف استطاعت هذه الفئة المسلمة وهى محاطة من كل جانب بشعوب مسيحية — أن تحتفظ بدينها خلال كل تلك القرون، وبخاصة من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، تلك القرون التى تميزت بالنضال العنيف بين المسيحية والإسلام.

هناك حقيقتان ثابتتان أولاهما: أنهم بدأوا فى الاستقرار قبل سنة ١٣٩٢ وذلك من وثيقة ترجع إلى ذلك التاريخ تتعلق بمنح قطعة أرض لأسرة تترية. والأخرى: من وثائق ترجع إلى سنة ١٤٧٥ أمكن معرفة استقرار مركزهم الاجتماعى والقانونى إذ ذاك، فهم يمتلكون اقطاعيات منحتها لهم السلطات المركزية مقابل تعهدهم بالخدمة العسكرية وقت الحرب. فما هى الأسباب التى دعت هذه السلطات إلى أن تسمح بايواء عنصر غريب الجنس والدين فى أراضيها؟ حقيقة أن هناك خدمة إجبارية وقت الحرب مقابل هذا الإيواء، ولكن حتى هذا الالزام دليل واضح على ثقة السلطات بهؤلاء التتار فما علة ذلك؟

أخذ أسلاف التتار فى الاستقرار فى ضواحى مدينة فيلنو البولندية التى كانت تابعة لدوقية لتوانيا فى القرن الرابع عشر. وكانت لتوانيا إذ ذاك دولة متسعة ممتدة من نهر نيمن إلى نهر أوكا، ومن البحر البلطي إلى البحر الأسود، وكانت مهددة بغارات الفرسان التيوتون فى الغرب، وامارة موسكو الناشئة فى الشرق التى بدأت تسود الامارات الروسية الأخرى بفضل مساعدة «الرعيل الذهبى» التابعين لموسكو. وكان سكان لتوانيا يبلغون بضعة آلاف، فكان يخشى أن تنفصل الامارات الروسية التابعة للتوانيا لتنضم إلى موسكو بحكم اللغة ووحدة الدين. فكان على لتوانيا أن تحارب فى اتجاهين متضادين، وكان على أدواقها تجنب الاشتباك مع الرعيل الذهبى القوى، وكسب تحالفه إن استطاعوا. وهذا ماحدث فعلا سنة ١٣١٩. فكان هذا التحالف موجها أولا سنة ١٣٧٠ ضد الفرسان التيوتون، ثم ضد موسكو ثانياً سنة ١٣٨٠. هذا هو مبدأ الإتصال بين التتار المسلمين وبين لتوانيا وبولندا. وقد يتصور البعض أنه من الصعب تحالف شعبين أحدهما مسلم والآخر مسيحى فى ذلك الوقت الذى يفور بالعصبية العمياء، ولكن إذا عرفنا أن اللتوانيين كانوا وثنيين أمكن تصور حدوث مثل هذا التحالف

ثم كان أن اتحدت لتوانيا مع بولندا سنة ١٣٨٦ واعتنق اللتوانيون الكثلكة، ولم يؤثر ذلك فى سياسة لتوانيا نحو الرعيل الذهبى، بل بالعكس ازداد انتظام العلاقات الودية بين التتار المسلمين وبين المملكة اللتوانية البولندية المتحدة الكاثوليكية.

لم تعد لتوانيا تقنع باضعاف موسكو، بل تريد القضاء عليها، فتدخلت فى شؤون الرعيل الذهبى الذى بدأ يتفكك فأخذت تناصر الخانات الأقوياء لتفيد منهم فى القضاء على إمارة موسكو، كما شجعت هجرة التتار إلى أراضيها، ومن ثم سمحت لهم بالاستقرار حول فيلنو كما وجد التتار المطرودون من القبشاق

---

(١) ملخصة عن مقالة «The Muslims in Poland By : L. Bohdanovicz .The gourmal of The Royal asiatic Society. 1942»

(٢) كانت امبراطورية جنكزخان تمتد من الصين إلى بحر قزوين قسمها بين أولاده الأربعة. وكان من نصيب جوشى البلاد الواقعة بين نهر إرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين وكان إسم تلك البلاد عامة «القبشاق» ويطلق عليها «الرعيل الذهبى» Golden Horde نسبة إلى خيم معسكراتها ذوات اللون الذهبى (حاشية نمرة ٤ ص ٣٩٤ القسم الثانى من الجزء الأول من كتاب السلوك نشر الدكتور زيادة)

ملجأ رحباً فى لتوانيا . والواقع أن لتوانيا قد جربت اخلاصهم وشدة مراسهم فى الحروب ضد الفرسان التيوتون وضد إمارة موسكو .

وقد عاش التتار فى هذا الاقليم ستمائة سنة ، إلا أنهم كونوا جماعة متميزة بتقاليدها وعاداتها من العنصر الذى عاشوا بين ظهرانيه . وبرغم أنهم تزوجوا بمسيحيات نظرا لقلة النساء المسلمات اللاتى هاجرن معهم ، فإنهم احتفظوا بدينهم وتمسكوا به كما ظل طابعهم التركى التترى متميزا ظاهرا .

وقد تأثر التتار بالبيئة الجديدة التى استقروا بها . فبعضهم لم ترضه حياة الدعة والاستقرار ، فعادوا إلى مراكزهم الأولى فى القبشاق ، والبعض الآخر بقى ، وهؤلاء كانوا قد تأقلموا فى القرن الخامس عشر ونسوا لغتهم حوالى منتصف القرن السادس عشر. ويرجع ذلك إلى اضطرارهم إلى الزواج بنساء بولنديات ، فشب الأبناء على لغة أمهاتهم، إذ أن الآباء كثيراً ما كانوا يتغيبون فى الحروب، وفى هذا تفسير جزئى لاتخاذ المسلمين أسماء بولندية . ولكن برغم كل ذلك لم يضعف تمسكهم بدينهم — كما قلنا — كما أنهم حرصوا على الاتصال الدائم بالعالم الإسلامى وإن كان هذا الاتصال يتأثر بطبيعة الحال بالظروف السياسية . فمن وثيقة ترجع إلى القرن السادس عشر نعرف أنهم حجوا إلى مكة ، كما كانوا فى ذلك الوقت يتداولون فيما بينهم بنقود عربية لابد وأنهم جلبوها معهم بعد عودتهم من الحج . وكان من الطبيعى أن تفيد منهم الحكومة البولندية بأن تجعل منهم سفراءها لدى الدول الإسلامية، وهذا مشاهد من إرسال مترجمين ومبعوثين سياسيين من بين التتار المسلمين خلال النصف الثانى من القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر . ثم من ناحية أخرى كان التتار يستعينون بأئمة وعلماء دينيين من تركيا والقرم ليشملوا بهم وظائفهم الدينية . ومن الطريف أن نذكر أنهم كانوا يستخدمون الحروف العربيـة فى مؤلفاتهم الدينية والعلمية المؤلفة باللغة الروسية أو البولندية .

وقد بلغ التتار البولنديون القمـة فى تطورهم فى منتصف القرن السادس عشر الذى كان عصراً ذهبياً كذلك للتاريخ البولندى . ويمكن أن تقدر عددهم إذ ذاك بنحو مائة الف . وكان فى كل قرية يقطنها المسلمون مسجدها الخاص ، وفى بعض المدن هناك شوارع تترية إسلامية صرف ، بل وأحياناً كلها خاصة بهم .

وهناك مرسوم ملكى مؤرخ بتاريخ ٣٠ يونية سنة ١٥٦٨ بين مركزهم بالنسبة للعناصر الأخرى ، وهـذا المرسوم يعين حقوق نبلاء المسلمين وامتيازاتهم ومساواتها بحقوق المسيحيين وامتيازاتهم . والواقـــع أنهم كانوا أقل فى بعض الحقوق من المسيحيين ، فليس لهم حق الانتخاب للمجمع البولندى ، وليس لهم أن يكونوا أعضاء فيـه أو فى مجالس الولايات . وظلوا محرومين من هذا الحق حتى ظهور دوقية وارسو على يد نابليون سنة ١٨٠٧ . ولكن من ناحيـة أخرى يشتركون مع النبلاء المسيحيين فى الصفة المميزة لنبلاء العصور الوسطى ، وهى ملكية اقطاعات من الأرض كان يقطعها لهم الملك ، فكانوا يسمون أحيانا « تتار الملك » وهم إلى حد ما أتباع مباشرون له ، فهم لايستطيعون توارث ارضهم دون موافقة الملك ، إلا أن هـذا الحق فى التوارث صار نهائياً فيما بعد . أما من الوجهة الاجتماعية فهم مقسـمون الى طبقات ثلاث : الطبقة الأولى كبار الملاك ذوى الاقطاعيات الواسعة ، وهم ملزمون بالخدمة العسكرية وبتقديم جماعات من الفرسان كاملى العدة وقت الحرب ، وتضم هذه الطبقة الأمراء والأشراف . والطبقة الثانية الجند العاديون، ولهم أراض تقل فى مساحتها عن أراضى الطبقة الأولى ، وهم على العمـوم يزرعون أرضهم بانفسهم . أما الطبقة الثالثة فلا يمتلك أفرادها نصابا معيناً من الأرض ، يشتغلون بالزراعة وأعمال النقل والبريد ، إلا أن فى إمكانهم الوصول إلى مركز محترم عن طريق الخدمة العسكرية . وكانت الطبقتان الأولى والثانية معفاتين من الضرائب، ولكن بمضى الوقت أخذت الفوارق تتلاشى بين الطبقات .

[البقية فى العدد القادم]

مصطفى كمال عبد العليم

العصبية المفرقة

للأستاذ محمود الشرقاوى

أبرزت الانتخابات البرلمانية التى جرت فى الأسبوع الماضى ظاهرة جزع لها رجال السياسة كما جزع لها المفكرون على السواء هـذه الظاهرة هى تحريك العنصرية الطائفية واستغلالها فى الصراع الانتخابى بين المرشحين والناخبين .

ورجال السياسة والمفكرون من حقهم أن يجزعوا لبروز هذه الظاهرة التى من شأنها ـ لو أنها لم تتدارك ـ أن تضعف التماسك الشعبى بين أبناء الأمة وأن تمطل إلى حد كبير سيرها إلى أهدافها الوطنية ووصولها بعد ذلك إلى هذه الأهداف ، وأن تقلل من تقدير الأمم ذوات السيادة للوطن المصرى وللوطنية المصرية ولقيمة الشعب ومكانته من الحضارة والثقافة ومايستتبعه ذلك من اعتراف هـذه الدول لمصر بحقها فى الحياة الحرة وتمكينها مما تتطلبه من مركز حسن بين مجموعة الأمم المتحضرة ومكان ممتاز بين مجموعة الشعوب العربية بوجه خاص

ومن المقاييس الصادقة التى تقاس بها حضارة الأمم وثقافتها وحظ طبقاتها من التهـذيب مقياس التسامح الدينى والطائفى . فكلما كانت الأمة أعرق حضارة وأعمق ثقافة وأرق تهذيباً ، كانت أبعد بطبقاتها وأفرادها عن التعصب الدينى والعنصرى ، ومما يتصل بأى نوع من أنواع التعصب للأقليم أو المهنة أو التعليم أو الثقافة . وكلما كانت الأمة أقرب إلى البدائية فى حضارتها وثقافتها وتهذيب شعبها احتدّ بين طبقاتها وأفرادها التعصب وتعددت ألوانه ومظاهره .

وكذلك الأفراد يمكن أن يقاس تهذيبهم رفعةً وخفضاً ورقة وغلظة ، وأن تقاس ثقافتهم تعمقاً وسطحية وجوهراً ومظهراً ، بمقياس بعدهم أو قربهم من التعصب لدينهم أو ذاتهم أو إقليمهم أو معهدهم التعليمى أو نوع ثقافتهم .

وهذه كلها بداهة أعتقد أن جهوراً ممتاز الثقافة والفهم مثل قراء « الرسالة » لابد أن يعرفها ويسلم بها

وكما أبرزت الانتخابات البرلمانية الأخيرة هـذه الظاهرة المؤسفة من مظاهر التعصب الطائفى عند فريق من الناس فتدار كها رجال السياسة والعقلاء من المفكرين ، أبرزت حوادث أخرى مثل إنصاف الطبقات والمتخرجين فى الجامعات والمدارس ظاهرة أخرى لنوع آخر من التعصب للمهنة أو الوظيفـة أو المعهد أو الثقافة ، وكلها ألوان من التعصب هى كما قلنا تمس إلى حد كبير وحدة الأمة وتماسكها ، ويستطيع بعض الناس أن يجعل منها مقياساً لحضارتها وثقافة مجموعها وفهمه لقوّمات الأمم وتهذيب الأفراد .

وقد كان هـذا المظهر الأخير من مظاهر التعصب أكثر وضوحا للمشتغلين بالصحافة والذين لهم وعى وحسن إدراك للتيارات الذهنية والتموجات النفسية والفكرية للمجتمع المصرى . كما كان أبرز وأوضح لمن تولوا شؤون هـذا الأنصاف للطبقات والخريجين والحاصلين على مختلف الأجازات العلميـة والشهادات المدرسية وكم سمعنا وقرأنا لهؤلاء الذين تولوا هـذه الشؤون فأدركنا أن الأمر جدّ ، وأنه مما يستحق أن يشتغل به المفكرون والذين لهم غيرة على وحـدة الأمة الثقافية أو تماسكها الثقافى على الأقل .

وقد كان مما يهون ـ إلى حد ما ـ من شأن التعصب العنصرى والطائفى أن فشوه قاصر على السواد وأبناء الشـعب وأن الساسة والمفكرين يقضون على سمومه عند أول هزة .

ولكن هـذا اللون الجديد من التعصب الثقافى ليس فاشياً بين السواد ولا بين أبناء الشعب ، ولكنه قائم محتدم بين الخاصة والمثقفين منه ، وأن أحداً لم يدرك خطره ولا شره فيعمل على خلاص هؤلاء المثقفين والخاصة منه ، ويعمل على أن يعود بهذه الشيع من المتخاصمين المتنابذين إلى مايجب أن يكونوا عليه جميعاً من رفعة التهذيب ، ومن تعمق الثقافة وسمة الصدر والأدراك

وقد يكون للسواد والجهلة شيء من العـذر فى أن يتعصبوا وأن يفترقوا وأن يخاصم بعضهم بعضاً فيما لايجب أن يكون بينهم فيه خصام ، أوفيما يجب ألا يكون بينهم فيـه خصام ، وأن يميز بعضهم بعضاً أو يفاضل بعضهم بينه وبين بعض آخر فيما يجب ألا يكون بينهم فيه تفاضل ولا تمايز . ولكنه لا عذر للمثقفين ـ إذا أرادوا أن يكون لهم من هـذا الوصف نصيب ـ فى أن يتنابذوا ولا يتعصب كل منهم وينحاز إلى جانب يراه أرفع شأنا وأميز ثقافة وأقوم فى حياة الأمة وفى نفعها ، ليس لأنه كذلك فى واقع الأمر ، ولكن لأنه هو من هذا الطريق .

محمود الشرقاوى

من كتاب الحياة

شريد . . .

للدكتور عزيز فهمي

مرَّ بي كالخيالِ في أسمالِه واهياً كالخيالِ عندَ زوالِه
حائرَ الطرْفِ والخطى كطريدٍ ذاهلاً عن يمينه وشمالِه
راعشاً والسماء تمطِرُ سَيْلاً يُنذِرُ الرعْدُ صاخباً بانهيالِه
يَهرأ البَرْدُ ما يُواريه بُرْدٌ وصريرُ الرياحِ دونَ سُعالِه
أيها العابِرُ المُجِدُّ تمهَّلْ أنتَ أحرَى بأنْ ترِقَّ لحالِه !
صِحْتُ: ياطفلُ! لم يَكدْ ينتبه لي
فتبِعْتُ الشريدَ والقلبُ والِه
حيثُ أنْوَى بمسجدٍ غيرِ ناء مُطرِقاً من حيائه وسؤالِه
والمُصلُّونَ مَنْ يُسبِّحُ منهم عازفٌ عن فضوله وابتذالِه
حَرَماً ياأخي وياصاحِ جَمْعاً... أينَ مِنْ وقعِها ذليل مقالِه ؟
لم يجدْ راحماً ولا مُستجيباً بعْدَ ما بُحَّ صوتُه من كلالِه
فانثنى عائداً بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ كاسفَ البالِ مُشفقاً من مآلِه
ثمَّ ولَّى إلى الكنيسةِ وجهاً واستجارَ الفتى بعيسى وآلِه
رَدَّهُ سادِنُ الكنيسةِ ركلاً
ليتَ من رَدَّهُ استحى من جلالِه !
ما على الدَّيْرِ لو أقامَ نهاراً
أو أطالَ الوقوفَ فوقَ احتمالِه ؟
فمضى هائماً على غيرِ وجهٍ
ليسَ يَلوى على هُدًى في ضلالِه
وإذا بي أرى فتًى أريحيًّا هزَّهُ النُّبلُ لا يَضِنُّ بمالِه
يَترُكُ الحانَ والنَّدامى ويعدو كالذي فرَّ ناشطاً من عِقالِه
صاحَ بالطفلِ يا بُنَيَّ انتظرني لحظةً : فالطريق في أوحالِه
وانتضى ثوبَه وقالَ تدثَّرْ... وأضافَ الجوادُ بعضَ نوالِه
فتأملْتُ ما رأيتُ مليًّا ذلكَ الدرسُ فاعتبِرْ بمثالِه
أيهم عنـــدَ ربه مُتَّقيهِ ليتَ شعري وأيهم غيرُ آلِه[1] ؟
ليتهم إذ صفَوْا بِخِدْنٍ ومالوا عَنْهُ أصغوا إليه عندَ ابتهالِه
مَنْ لهذا الشريدِ إنْ جنَّهُ اللَّيـ ـلُ وأرخى عليهِ مِنْ أسدالِه؟
قابعٌ عندَ دِمنةٍ تحتَ جُبٍّ يحسَبُ الغولَ زاحفاً لاغتيالِه
قد تعرَّى إلى الثرى غيرَ فَضْلٍ منْ قميصٍ مُهلهَلٍ كرِمالِه
مَنْ لهـــذا اليتيمِ أمسى وحيداً
مُشفِقاً من غولِ الدُّجى وخيالِه
بينَ فكَّيْنِ مِنْ طوًى وعَراء يَدفعُ الموتَ وهْوَ بينَ نِصالِه
عالِقٌ بالحياةِ يبغي خلاصاً ويَدُبُّ الفناءُ في أوصالِه
يتلوَّى كما تلوَّتْ قطاةٌ عزَّها الفخُّ وهْيَ بينَ حِبالِه
أيُّها المانعونَ عنه زكاةً فرَضَ اللهُ بذْلَها لعيالِه
لا تصوموا ولا تقيموا صلاةً إنْ ضننْتُمْ بها على أمثالِه
يعلم اللهُ ما غنِمْتُم جزاء أيها المُمعِنونَ في إذلالِه
أحسنوا البرَّ إن أردتم ثواباً وتواصَوا بعِتْقِه وانتشالِه

عزيز فهمي

(١) الآله : العابد .



الجـــارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

توهمت أنى الشرقى المتأمرك الوحيد بين ركب الباخرة التى بعث بهـا الرئيس روزفلت إلى الشرق لتعود بالأمريكيين إلى ولاياتهم المتحدة قبـل أن تقطع الطريق عليهم الحرب الوشيكة الوقوع بين أمريكا واليابان وحليفتيها . توهمت ذلك ، لأنى لم أرَ ساعة رفعت الباخرة مراسيها وأخذت تبتعد عن الميناء مودعاً واحداً يلوح بمنديل ، ولا بصراً واحداً رنا لراكب واحـد من ركاب هـذه الباخرة التى ستشق طريقها بين مجاجات الجحيم المستعرة بين أنصار الحرية وأشياع الفردية .

ألقيت بالنظرة الأخيرة على ميناء بيروت ، ولمـا اختلطت الرؤى ، وصرت لا أميّز بالعين المجردة إلا أشباح جبال لبنان الضاربة قممها فوق الغيوم دون أشجار الصنوبر الخـالدة ، طفقت أرود الباخرة أتطلع إلى ركابها الأمريكيين .

إن الروح الجماعية أصيلة فى خلق الأمريكان ، تستميلهم المغريات كالفرنسيين ، ويدفع بهم حب الاطلاع إلى معرفة ما خفى من الأمور ، وما استتر من الأشياء وخفايا الناس أيضا ، وهم لا يتورعون عن المراهنة على كل حدث أو خاطرة ، فهذه الخاصة هى التى حفزت أكثر الركب ، وقد تعارفوا وتآلفوا ، إلى معرفة طوية رجل متأمرك آخر ســـواى ، نفور جالس فوق كرسى مستطيل من كراسى الباخرة لا يجيب عن سؤال راغب ، ولا يلتفت إلى طلب أى طالب ، سيدة كانت أم رجلا . وقد استعان هؤلاء الطـُلَعات بى ، وكانت رغبتهم فى معرفة ازورار مواطنى الشرقى تكاد تنقلب شهوة ملحاحاً أكثر لجاجة من حبه الرهان .

قالت لى فتاة رفافة البشرة : « أحسب صاحبك عاشقاً ، لأن الحزن يجلل نفسه بوشاح من اليأس ! ! وقالت سيدة فقدت حيلتها فى مغالطة نفسها فتركت نفسها لأقدار الزمن : « صاحبك هذا قوى الغرام وهذه حالة تنتاب الكهول حين يشعرون بالهرم » وقال شيخ : « قد يكون سبب حزنه عدم إتمامه بنـاء القصر الذى بناه فى قريته فتركه يعشش فيه الخفافيش والبوم وعاد إلى أمريكا يجمع الدولارات ليتم بناءه » ولـكمنى فى بطنى « وهو يضحك » لـكمة لولا تمود بطون الأمريكان تحملها لأفرغت ما فيها من كل منفذ . وقال آخر يتعمد الرصانة : « الجنسية الأمريكية للبنانيين حصانة تقى أطماعهم من طغيان إخوانهم الأقوياء » ، فقالت الفتاة الصبية مخاطبة هذا المعترض ، كنت دائما يا عمى العزيز تكبر فى اللبنانيين مقدرتهم فى شق طريقهم للحياة برغم تحاملك عليهم . قلت وقد قطعت على هؤلاء النقادة حبل استرسالهم : « هـذا بحث فى خصال قومى سأحاسبكم عليه فى ظرف مناسب ، أما الآن وغايتكم معرفة صدوف مواطنى عنكم ، فأنى أتكفل باشباع رغبتكم وإرضاء فضولـكم .

البحر والوحدة أنجع دواء للشفاء من لوعة الحزن ، بل لا حرج على القائل : « إذا انطلق لسانى المحزون بالشكوى فقد زال نصف دائه ، وإذا لقيت شكواه قلباً واعيا انتقلت إليه » لقد استطعت بوسائلى الخاصة حل عقدة لسان هـذا الحزين وهو من مدينة فى لبنان اشتهر سكانها بالفطانة والذكاء ، وعرفوا بالصلابة والعناد والأريحية والشمم لتأصل صفات الحربة فيهم فقال لى : أتعرف حى البرازيلى فى زحلة ؟

قلت : أعرف الأبنية الجميلة المزخرفة القـائمة على ضفاف البردونى !

قال : يوجد فى عاصمة البرازيل حى يشبهه فى هندسة البناء يدعى الحى الزحلى .

قلت : ما علاقة هذا بذاك ؟

قال : لست أبالغ إذا قلت لك إن جل طلاب الـكلية الشرقية فى تلك المدينة كانوا يتوجهون وجهة الهجرة إلى البرازيل ، ولم يكن يجول فى خواطرهم إلا نيـل شهادة الدراسة والرحيل إلى البرازيل واللحاق بأخوان سبقوهم إليها ، وهمهم العمل والـكسب يبنون بناية جديدة فى الحى الزحلى فى البرازيل ثم العودة إلى زحلة يشيدون قصراً فخماً فى الحى البرازيلى الفخم :

قلت : أعرف روح المغامرة فى الزحليين دون سواهم من المهاجرين من لبنان .

قال : ما كدت أفوز بالشهادة المدرسية حتى رغبت إلى والدى أن يأذنا لى بالسفر إلى البرازيل وقد وافقا مكرهين .

كانت الباخرة التى أقلتنى آنذاك تعج بمئات من المهاجرين أمثالى ، وكانت مناديل المودعين ترفرف كأجنحة الحمام ، والعيون ترنو بين ساهمة ودامعة ، والقلوب تخفق خفقان حنان وحب ورجاء .

كنت مشرد اللب ساعتذاك ، أنظر إلى أمى وأبى بعين الولد البار ، وانظر إلى فتاة كانت بجانبهما بعين قلبي . لم تكن الفتاة غريبة عنى ، بل كانت من أقاربى الأبعدين ، وقد جاءت من « كفر شيما » خصيصا لوداعى . كانت معرفتى بها بسيطة محدودة ، أما فى ذلك الموقف ، موقف الوداع ، فقد انفتحت لها جوارحى فأحسست فجأة بأن كل ذرة من كيانى الذاتى تدعونى إليها ، وأنها هي هى المتممة لتكامل وجودى فى الحياة ، فوثبت على غير وعى وثبة قلب محفوز ، وأخذت أدفع الناس حتى شققت طريقى إلى سلم الباخرة ، فهرولت نحو والدى ، فأخذت يد الفتاة بيدى اليمني ويد أمى بيدى اليسرى ، وقلت لوالدى هاك « أنيسة » خطيبتى بل زوجتى بالروح ، احتفظا يا والدى بها . لن يطول غيابى . سأقتحم البحر ، وأشق المنجم حتى أصل إلى الذهب أقتلعه من أصوله فأقدمه عربوناً للزواج من حبيبتى « أنيسه » هذه . وقبلت جبينها قبلة خاطفة فيها كل الدوافع والبواعث والحوافز .

كان يتخلل حديثنا فترات ينقطع فيها الحديث لإشعال لفافة أو مسح جبين للاستذكار ، أو مشاهدة دارعة كقلعة ترتج ، أو غواصة تطفو وتغوص ، أو أسراب من طائرات تهبط وترتفع واحدة منها للاستكشاف

قال محدثى : غمر البحر معالم الأرض ، ولم تعد العين ترى إلا قبة مكورة فوق وجه الماء ، وكنت أرى بعين البصيرة وجه « أنيسة » الصبوح ، وعينيها الصافيتين الناعستين تدفعاننى دفعاً إلى الأرض الجديدة التى سأنبش تربتها كالخلد وأقضم خيراتها كالجراد

بدت منابت الأمل فى نفسى تمتد سوقها ، وتبرز براعمها ، وتورق وتزهر . وأخذ خيال السعادة يحوطنى بشملة من فرح ترينى وجه المستقبل نضراً بساما ، فوددت لو أستحث الباخرة أن تثب فوق اليم فتجتاز المحيط ساخرة من أنوائه وعواصفه فأصل طفرة إلى حلبة الجهاد والعمل . ثم صمت هنيهة وقال :

لقنني مواطني فى البرازيل بضع كلمات من لغة البلاد ، وبعد أيام معدودات ملأت أكياسى بأنواع من جوارب ومناديل وأدوات زينة أعطانيها تاجر سورى ، أطوف بها شوارع عاصمة البرازيل أقرع أبواب المنازل أعرض على ربانها بضاعتى . كنت أحس الشفقة بى والضحك من رطانتى واغتفار جرأتى وفضولى

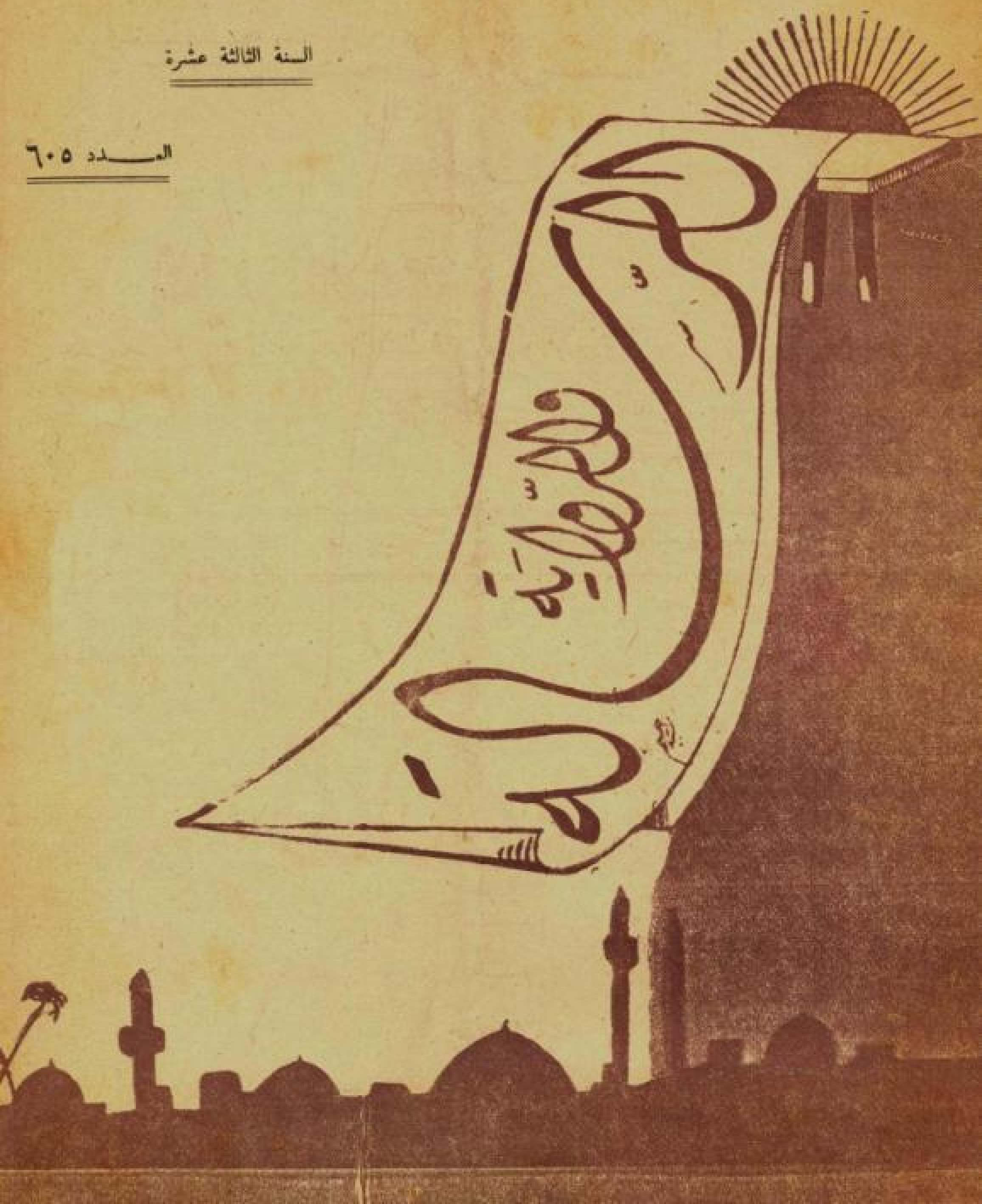
كان تقبل البرازيليين إياى على هذا النحو يحز فى كبريائى فانتقلت إلى الضاحية . جبت الريف وتوغلت فى القرى النائية أسعى على أقدامى ، وكلما نفدت بضاعتى كنت أرسل فى طلب سواها من عميلى الذى استأمننى ولا ضامن لى عنده سوى أنى مواطنه ! ؟

لله در الأمريكانى يا صديقى من عطوف شفوق ! ولكنه طلعة مغامر مراهن تستضيفه فيطعمك ويؤويك ، لا عن كرم ولابدوات خاطر ، بل عن فضول حافز ملح إلى الاستطلاع والمعرفة

(البقية فى العدد القادم) حبيب الزحلاوى

السنة الثالثة عشرة

العـدد ٦٠٥



13 me Année No. 605
Lundi - 5 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٥ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

الشـــجاعة الأدبية

الأستاذ عباس محمود العقاد

كتبت مقالى السابق بالرسالة أحيى ذلك الروح الإنسانى الكبير الذى رحل عن الدنيا برحيل رومان رولان

وقد كان للأدباء على ذلك المقال تعقيب يشبه الإجماع، ويتفق كله على تحية ذلك الكاتب العظيم. إلا رسالة واحدة ينزع صاحبها منزعاً، يخالف ما سمعت، وما تلقيت من الآراء فى رومان رولان، وفيما كتبت عنه. وخلاصتها أن الأوربيين فى حاجة إلى أمثال رومان رولان لقدرتهم على العدوان وإيغالهم فيه، ولكننا نحن الشرقيين أحوج ما نكون إلى التربية الحربية التى نعالج بها الضعف المقيم، ونحمى بها الحوزة المهددة، وإننا ينبغى أن نتعلم كل ما يحرضنا على منازلة الأعداء ومقاومة المعتدين، ونترك تلك الرسالة التى يبشر بها رومان رولان وأمثاله، حتى يحين موعد الحاجة إليها بيننا نحن الشرقيين

* * *

رأى فيه شبهة من الصواب، ولكنها شبهة من الصواب وليست بالصواب فى اللباب

لأن الأدب المترض قد التبس عليه الأمر بين مذهب رومان رولان، ومذهب أولئك المصدين الذين عرفوا فى أوربا

الفهـــرس

باسم « الضميريين » من قولهم « إن ضميرى يأبى على حمل السلاح ولو دفاعاً عن الأوطان »

فليس رومان رولان من هؤلاء ولا هو ممن ينكرون الحرب حين يفرضها الحق والواجب على المدافعين ، ولكنه ينكر البغضاء فى سبيل الزهو والطمع ، ويرى أن يكون السلاح آخر ما يعمد إليه الإنسان لعلاج أزمات السياسة ، بعد أن تنفد وسائل الحسنى وحيل السلام

وما دام فى الدنيا حرب بغى فالحرب الشريفة مفروضة على الناس لجزاء ذلك البغى ومنعه أن يبلغ مقصده من الغلبة على الآمنين والموادعين . فمن ينكر حرب الإغارة والسطوة لا ينكر حرب المقاومة والدفاع

والفرق عظيم بين من يقول بمنع الحروب وتغليب وسائل السلام ، وبين من يرى الحرب الباغية وينكص عن دفعها ، لأنه لا يميز بين الاعتداء ورد الاعتداء

بل الفرق عظيم بين أولئك « الضميريين » وبين من يحاربون العنف بالحسنى ، لعلهم يخجلون صاحبه ، وينبهون فيه تبكيت الضمير ، ومن هؤلاء غاندى وتولستوى وطائفة من المصلحين الشرقيين والأوربيين هنا وهناك . وإنهم ليقولون بالحسنى ، ولكنهم لا يتخذون الحسنى عدة فى الحروب حين لا مناص من الحروب

ومهما يكن من رأى رومان رولان فى ذلك ، فليس كاتب هذه السطور بالذى يحمد « الدروشة » الضميرية فى هذا المقام ، وأقرب الشواهد على ذلك أننى كنت من دعاة المشاركة فى الحرب وإن كانت لا توجبها علينا معاهدة من المعاهدات ، لأن كفاح الطغيان واجب غنى عن الوثائق والعهود

إلا أن العجيب فى كلام الأديب المعرض قوله : إن دعوة رومان رولان وأمثاله قد يحتاج إليها الأوربيون ولا نحتاج إليها نحن الشرقيين

لأن دعوة رومان رولان قائمة على الشجاعة الأدبية وهى ألزم ما يحتاج إليه الضعفاء بعد عصور الجهل والظلم والفساد

وإن الضعفاء الذين طال عليهم مراس تلك العصور لأحوج إلى الشجاعة الأدبية منهم إلى حمل السلاح . لأن الشجاعة الأدبية تشفى أمراض الفساد كلها وتبدل بها الصحة والسلامة والقوة والكرامة ، وليس شىء من ذلك بمكفول من حمل السلاح فى أمة تخاف الجهر بالحق ولا تجترئ على الباطل ، بل لعل السلاح يصيبها قبل أن يصيب أعداءها ، كما رأينا فى كثير من الدويلات الأوربية والأمريكية والشرقية ، حيث يحمل السلاح ولا تعرف الآراء ولا الشجاعة فى الآراء

قال أبو الطيب :

والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

يريد أن الرجل قد يقدم على الموت ولا يقدم على العار ، ويحسب أن العار كله فيما يقوله الناس

فأهون الشجاعات عنده هى الشجاعة على الموت ، ثم يجعل الخوف من العار أكرم من الإقدام على الحمام

لكن الحقيقة أن شجاعة العقيدة أرفع من الشجاعتين بلا مراء ، وإن شجاع العقيدة أكرم من الشجاع على الموت ، ومن الشجاع الذى يموت لأنه يتقى العار ، ويفهم أن العار هو ما يقول الناس إنه عيب ذميم ، وأن الشرف هو ما يقول الناس إنه فضل حميد

أكرم من هذا وذاك من لا يبالى بالموت ولا يبالى بما يقوله الناس إذا اعتقد أنهم مخطئون فيه

ولا شجاعة فى الجرى مع القطيع حين يثور ويعدو فى الطريق الذى تدفعه إليه الغرائز الهوجاء ، ولكن الشجاعة كل الشجاعة أن يقف الرجل أمام ذلك القطيع ثم لا يتخلى عن مكانه حتى يصد القطيع أو يغلب على أمره غير مختار ولا ملوم

وهذه الشجاعة الأدبية التى تعلو درجات على شجاعة الموت وشجاعة العار هى الشجاعة التى نتمثلها فى رومان رولان الذى يقول : « إن الإيمان — وليس النجاح — هو غاية الحياة »

وهى هى التى نحتاج إليها نحن الشرقيين قبل كل حاجة ، ونتحلى بها قبل كل حلية ، ونجترئ بها إذا كان لا بد من الاجتزاء بفضيلة واحدة من الفضائل تغنى عن سائرها ؛ لأن الأمة التى تحسن أن تجهر بالحق وتجترئ على الباطل تمتنع فيها أسباب الفساد ، أو يكون مجرد اقتدارها على تلك الفضيلة دليلاً لا دليل بعده على امتناع أسباب الفساد

ومن الخطأ البين أن يقال إن التربية الحربية أو التربية العسكرية تخلق الشجاعة حيث لم تخلق في طباع الأمم جيلاً بعد جيل

وأبين ما يكون ذلك الخطأ إذا قيل إن الضعفاء يتعلمون الشجاعة بتلك التربية الحربية في العصر الحديث على التخصيص

ولا نبدأ بالتعليل قبل أن نمهد له بالإشارة إلى الواقع الذي لا جدال فيه

فهذا مثال الفاشية في إيطاليا غنى عن الإفاضة في مراجعة المثلات وضرب الأمثال؛ لأن الفاشية زعمت أنها تبعث النخوة بعثاً جديداً في بقايا الأمة الرومانية القديمة، وزعم أناس من الشرقيين مثل هذا الزعم فظنوا أن التربية الحربية منذ الصبا الباكر صنعت في الأمة الإيطالية الأعاجيب، وهي خليقة أن تصنع مثل تلك الأعاجيب في النهوض بعزائم الشرقيين، وراح بعض الدعاة يحاكونها محاكاة لا ترجع إلى فهم ولا اختبار، وكل ما كانت ترجع إليه تخيل كاذب ومظاهر خلاب

والحق أن التربية الحربية أو العسكرية - كما كانوا يسمونها هناك - كانت أولى بالفلاح في التجربة الإيطالية لو أنها كتب لها أن تفلح في بلد من البلدان

لأنهم كانوا ينشئون الأطفال عليها من الخامسة، ويتعهدونهم بها إلى ما بعد العشرين. ومضى على التجربة منذ بدايتها نيف وعشرون سنة بدأت قبل الزحف الفاشي على روما وانتهت قبل الزحف عليها بجيوش الحلفاء الديمقراطيين

فماذا أفاد كل ذلك؟

لقد كان أولئك الجنود الفاشيون أسبق المقاتلين إلى الفرار في ميدان الصحراء وفي ميدان اليونان، وكانت هذه التربية مجبنة لهم ولم تكن سبيلا إلى الشجاعة ونهوض العزيمة، لأن العزيمة والجنجمة قلما تجتمعان

ثم ذهب موسليني - إمام الفاشية - بين عشية وضحاها فلم يسرع إلى نجدته أحد من جنوده في طول البلاد وعرضها سواء ما وقع منها في قبضة الحلفاء الديمقراطيين، وما بقي منها في قبضة الألمان النازيين، وجاءه المدد حين جاءه من هؤلاء، ولم يجئه من أبطاله الذين دربهم على نظامه سنوات بعد سنوات

وتعليل ذلك غير بعيد على من يكلف نفسه مؤونة النظر وراء المواكب والصيحات، لأن الشجاعة خلق من الأخلاق وليست نظاماً من النظم المدروسة، وكل خلق من الأخلاق فلا بد له من الشعور بالتبعة ومن الحرية التي يقتضيها الشعور بالتبعة، لأنك لا تحمل الإنسان تبعة خلقية وأنت توثق مشيئته بوثاق الطاعة العمياء، ولا تعوده خلقاً قط، وهو ماقي التبعة على سواء

وأظهر من هذه العلة البدهية علة الإحجام عن معونة الدولة المدبرة ومن حولها أولئك الأنصار الناشئون على يديها

فإن جنود الفاشية قد نبتوا في حمايتها وقاموا على يديها، فهي التي تحميهم وهي قوية، وهم العاجزون أن يحموها يوم تزول عنها القوة. ومن قام على يد فهو يضرب بها ولا يضرب دونها، ويسقط معها ولا يقيمها بعد سقوطها

وهكذا صنع الجنود الفاشيون بالدولة الفاشية، وهكذا يصنع أمثالهم بأمثالها في كل زمن وبين كل قبيل

فالتربية على الشعور بالتبعة - أو على الشجاعة الأدبية بعبارة أخرى - هي حاجتنا اليوم نحن المصريين أو نحن الشرقيين على التعميم، وأمثولة رومان رولان ألزم لنا من أمثولة العسكرية المزعومة التي رأينا قصارى جهدها في تاريخ قريب لا نزال نشهده، ولا حاجة بنا إلى التاريخ البعيد.

عباس محمود العقاد

أبو العــلاء المعرى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢ —

عبقرية عربية نثرت فبهرت ، ونظمت فعجّبت ، وفكّرت فحيّرت ، وأبدعت وتفننت[1] إذ قالت وألّفت فأدهشت . وعلمُها في كل فن من فنون اللغة علمُ إحاطة[2] ، علمُ الحفيّ[3] المحيط لا العالِم النُّتَفَة[4] . وإذا لم نر (الأيك والغصون) — وهو نحو من مئة جزء — وغير الأيك والغصون ، ومؤلفات الشيخ كثير[5] فقد رأينا المطبوعات المعروفات ، واستدللنا بما حضر على ما غاب ، ولم نستبعد ماروى ابن القارح في رسالته : « الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه ، وباللغة والعروض من الخليل » ووجدنا ابن القارح هذا من المقتصدين حين يقول :

« ... لقد سمعت من رسائله عقائل لفظ ، إن نعتُّها فقد عبتُها ، وإن وصفتُها فما أنصفتُها . وأطربتني (يشهد الله) إطراب السماع . وبالله لو صدرت عن صدرٍ مَن خزانتهُ وكتبه حوله يقلب طرفه في هذا ، ويرجع إلى هذا ... لكان عجيباً صعباً شديداً . ووالله لقد رأيت علماء ، منهم ابن خالويه ، اذا قرئت عليهم الكتب ولاسيما الكبار رجعوا إلى أصولهمّ كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط . والعجبُ العجيب والنادر الغريب حفظُه لأسماء الرجال[6] والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم . وهذا سهل بالقول ، صعب بالفعل ، من سمعه طمع فيه ، ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه »

وإنى لأقول : إنه لمن النادر الغريب أن يحتاز الأديب عبقرية نثرية ، وعبقرية شعرية ، كما احتازهذا الشيخ : واذا كانت الاجادة لا تتفق في فني المنظوم والمنثور معاً إلا للأقل — كما قال ابن خلدون — فكيف حال العبقرية ؟ وهذان الشاعران العبقريان أبو تمام والمتنبي لم ترو لنا كتب الأدب والسير من نثرهما الا رسالة قصيرة للأول سطرها البديعى في (هبة الأيام) ، ورسالة أقصر منها للثاني أوردها ابن خلكان في « وفيات الأعيان » . وأما البحترى المِسكين[1] . فكأن لا يستطيع أن يخط في النثر سطراً ، واذا خاطب أحداً في شأن وجه اليه شعرا . قال الشيخ في إحدى رسائله : « رُوى أن البحترى كان لايقدر على كَتْب رقعة ، فيجعل المنظوم عوضاً عن المنثور » .

وأليةً محلوفة بالقرآن وإعجازه ، لوأن هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وهم عند ابن الأثير وغير ابن الأثير أشعر العرب « هؤلاء لات الشعر وعزاه ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته[2] » مشوا في عُرُض « العروض » المتشعبة ، ومناحى « النحو » المتفرقة المتصعبة ، كما مشى الشيخ ، ونقبوا مثلما نقب ، واستظهروا من مقالات الفلاسفة والمتكلمين ومصنفات الفقهاء وأهل النحَل بعض ما استظهر — لأجبلوا إجبالا[3] أو غثّ كلامهم أو جاءوا في القريض قرازيم[4] . لكن عبقرية الشيخ قوية جنية قد تسيطرت على كل فن ، ولم يسيطر عليها فن ، ولم ينزل نظيمها ونثيرها من عليائهما في وقت ، ولم تتبدل لهما ديباجة أو بهجة .

---

(١) لم يجد أستاذ هذه اللفظة في « القاموس المحيط » فسارع إلى تخطئتها . وهي في كلام الأدباء الكبار وكلام الأئمة . وفي كتب اللغة المشهورة مثل الصحاح والأساس ، واللسان والتاج

(٢) علمه علم إحاطة إذا علمه من جميع وجوهه لم يفته منه شيء .

(٣) الحفى : الذى يتعلم الشيء باستقصاء .

(٤) النتفة : الذى ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه . وكان أبو عبيدة يقول في الأصمعي : ذاك رجل نتفة .

(٥) قالوا : إنها مئة مجلد .

(٦) رسالة أبي العلاء إلى أبي القاسم بن سبيكة يعزيه بأخيه — تؤيد قول ابن القارح .

(١) بكسر الميم . في « رسالة الملائكة » لأبي العلاء : الفراء قد حكى مسكين بفتح الميم في كتاب التثنية والجمع . وحكى أبو مسحل منديل في منديل ، وهذه نوادر لا يطرد عليها القياس .

(٢) ابن الأثير في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ومن قوله في ذلك فيهم : المذهب عندى في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا ، وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة وأبو الطيب فان هؤلاء الثلاثة لايدانيهم مدان في طبقة الشعراء . وروى في كتابه هذا الوصف الوجيز البليغ المرضى في الثلاثة وهو : أما أبو تمام فخطيب منبر ، وأما البحترى فواصف جؤذر ، وأما المتنبي فقائد عسكر

(٣) اجبل الشاعر : أفحم

(٤) القرزام : الشاعر الدون ، وهو يقرزم شعره يجيء به رديئا .

إذا قال أبو الطيب :

ما به قتـــل أعاديه ولـكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فنطَّ وشطَّ وبدت « فاعلن » في العروض « فاعلاتن » في حين أن المتنبي ـ كما قال الشيخ ـ : « كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام ؛ يغيِّر الكلمة بعد أن تُروى عنه ، ويفر من الضرورة وإن جذبه اليها الوزن » . [1]

وإذا قال « الوليد » البحترى :

وكأن الأيام أوثر بالحسن (م) عليها يوم المهرجان الكبير [2]

فـكسر وجاء نقص من الزيادة .

وإذا قال حبيب بن أوس :

بالقائم الثامن المستخلف اتطأدت قواعد الملك ممتداً لها الطوَل [3]

فتهور [4] البيت فى اللغة بـ « اتطأدت » ولم يتطد .

إذا جازف فى اللغة المجازفون ، وطفف المطففون « ويل للمطففين » فعند الشيخ الوازن القسط ، عنده القسطاس المستقيم ، وميزان الصيدلانى [5] الحكيم .

« موازنُ صدق ، كلُّها غير عائل [6] »

***

نثر أبو العلاء مترسلا ومسجعاً ، فبذ الناثرين فى وقته ومن بعده كلهم أجمعين ، وشمُر فتبدى [7] فى سماء القريض شمساً

(١) رسالة أبى العلاء إلى أبى الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى.

(٢) يراجع « الموشح » للمرزبانى ، وذكر الشيخ فى رسالته إلى النكتى أن البحترى كسر فى قوله :

ولماذا تتبع النفس منه شيئا جعل الله الفردوس منه جزاء .

« قلت » : رواية البيت فى ديوانه المطبوع فى بيروت هى .

ولماذا تتبع النفس شيئا يجعل الله الفردوس منه بواء .

(٣) يراجع « المثل السائر » : النوع الأول معرفة علم العربية من النحو والتصريف

« قلت » في الديوان المطبوع فى بيروت : « اعتدلت » مكان « اتطأدت » واليقين أن ناسخا قديما أراد إصلاح الكلمة ، ولو اطلع حبيب على ما جاء به هذا الورق أو الناسخ لعج وضج ، وآثر خطأه على هذا الاصلاح ، وأين كلمة من كلمة ؟ . . .

(٤) تهور : انهدم

(٥) الصيدلانى والصيدنانى منسوبان إلى الصيدل والصيدن وهما أصول الأشياء وجواهرها ، والنون للمبالغة « الفائق » .

(٦) عائل : مائل .

(٧) تبدي : ظهر ، و « تبدى » بمعنى الظهور فى المفضليات والأصمعيات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى والأمالى ورسالة الغفران وديوان المعانى وكتب كثيرة . ففقدان اللفظة فى مثل اللسان والتاج وسائر المعجمات المطبوعة المشهورة — شىء عجب .

علانية لا تأفل ما كان القرآن ، وكان هذا اللسان المبين [1] .

ولقد أصاب الشيخ وأطاب [2] حين حاش فى رسائله ودواوينه وكتبه الكلمات الغريبات ، فجمع نادّات شاردات لم تر كثيراً منهن فى معجم من المعجمات . وإن غريبات قديمات نشأن فى « الجزيرة » مع أخوات لهن ـ لحريات أن يظهرن وأن يعرفن . وقد برع أبو العلاء إذ نصّ تلك الغرائب فى حلل عدنيات [3] من العبارات كأنهن عرائس قعدن فوق منصات . ولأن تجتاف لفظة غريبة جملة أو بيتاً خير من أن توحّد [4] . ولكل لغوى فى التصنيف نمط . وإذا أحسن المعرى فقد أجاد ابن سيده ، وأجاد الجوهرى وابن دريد .

***

لم يكن الشيخ من المبقريين الملهمين ، بل كان من المبقريين الدارين المدركين ، تعلم واستعلم فعلم ، وسأل واستفهم ففهم . وللقائل الملهم حال ، وللدارس حال ، ولذاك وحى ، ولهذا مقال . والوحى لا يحصّل ، ولا يوازيه مؤاز .

وقد استهام الشيخ بلغة العرب ، وكان متمناه فى دنياه أو مرجاه [5] الأسمى أو مثله الأعلى أن ينبغ فيها وفى علومها

(١) فى كتاب « إحكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور الكلاعى الوزير الأديب الأندلسى :

« ... وشأن أبى العلاء عظيم ، وحكم نقدة الكلام أنه لم يكن فى صنعة النثر مثله لا قبله ولا بعده إلا ما كان من أبى الطيب فى الشعر وحده » . وكتاب « إحكام صنعة الكلام » مخطوطة فى خزانة العلامة الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى الوزير التونسى

روى صاحب « أوج التحرى » هذه الأبيات الثلاثة للمنازى الوزير الشاعر فى مدح أبى العلاء :

لله لؤلؤ ألفاظ تساقطها لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل

ومن عيون معان لو كحلن بها نجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من اللفظ لو دارت سلافته على الزمان تمشى مشية الثمل

(٢) أطاب : جاد بشىء طيب .

(٣) عليه عدنيات : أى ثياب كريمة ، وأصلها النسبة إلى عدن ، حول : مرت جوار مدنيات عليهن رياط عدنيات « الأساس » .

(٤) وحد الشىء : صار على حدته

(٥) مرجاه : مصدر ميمى . قال المتنبي :

ما لمن ينصب الحبائل فى الأرض م ومرجاه أن يصيد الهلالا

فى نسخة « ديوان (أبى الطيب المتنبي) الباهر : المحققة التى أظهرها وصححها العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام :

« جنى : فى الحاشية : سألته عن مرجاه من أين لك ؟ فقال : قلتها بالطبع ثم وجدتها فى شعر الأعشى »

قلت : السائل ابن جنى والمجيب المتنبى : وعندى أنها فى البيت « مرجاه » لا « مرجاة » بوزن مسماة كما روى وفسر العكبرى فى شرح الديوان . وواو الحال وجزالة الكلام تدفعان مرجاة هنا

فنبغ ، وبلغ حيث بلغ . فهَـوِيَّتُـه [١] هو هـذه اللغة ، وفنونُ زمانه التى شاء عرفانها هَـوًى للهـوِى تبع .

وإذا عادى الشـيخ فى إعجابه بالعرب الأقدمين ، وتطرَّبه سجعُ محدَثين مسجعين نقلـد، نقد اتقن فى تقليده واجتهد، فعد فى الشـعراء والـكاتبين من المبدعين . وتذرع أبو العلاء بالله وبمحاميده وتماجيده فنظم « اللزوميات » وصاغ أوحاك « الفصول والغايات » والمقـاصدُ لغوية لا أُلهانية [٢] لا دينيـة ، وان اشتملت على أشياء منوعات ، ملونات ، مهولات [٣] فقد بدت مثل « صندوق العجب . . » وما كان يغرب حين يغرب حتى يعمّى مقالة ، ولكن ليعلن قدرة وبراعة . وكيف يكفر معنى قصده وقد أصحبه شرحَ الغريب من ألفاظه ؟

ومؤلفات الشيخ العبقرية من بنات القصد والتكلف وبنات الأربة .

« ... وقد تـكلفت فى هذا التأليف ـ يعنى الشيخ اللزوميات ـ ثلاث كلف ، الاولى أن ينتظم حروفَ المعجم عن آخرها . والثانية أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك والثالثة انه لزم مع كل روى فيه شيء لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف . »

ولو لم يجب الشيخ داعى أربته ، ويحقق قوله فى لاميته ، ويقصد ويتـكلف ما كانت أمثال « اللزوميات والفصول والغايات والأيك والغصون » مما عرفناه وحرمنـا اياه جهل الجاهلين ، وضلال الصليبيين ، وتترية التتر، وحوادث الايام [٤]، وما كانت

(١) هويه : محبوبه ، معشوقه

(٢) هـذه نسبة إلى اسم الله عز وعلا إلا أنه وقع فيها تغيير من تغييرات النسب واقتضاب صيغة ونظيرها الرجولية فى النسبة إلى الرجل والقياس ألهية ورجلية « الفائق » .

(٣) نقد « المهول » في « تكملة إصلاح ما تغلط فيـه العامة » و « ذيل الفصيح » و « شفاء الغليل » وذكرها « المخصص » ج ١٢ س ١٢٤ وقال : قد جاء فى الشعر الفصيح ورواه ، ونقل مقاله وروايته « اللسان والتاج » وفى الأسـاس : مكان مهول فيه هول . وفى « مجمع الأمثال » : « لا يقرأ إلا آية العذاب وكتب الصواعق » ، قال الميدانى : يضرب للمهول .

(٤) فى كتاب « أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى » وفى كتاب « إحكام صنعة الـكلام » قطع من كتب الشيخ مفقودة تضاعف التحسر على ماضاع

و « أوج التحرى » حققه وصححه الأستاذ الألمعى ابراهيم الـكيلانى وكتب مقدمته العلامة الأسـتاذ محمد سليم الجندى وطبعه المعهـد الفرنسى الذي يديره فى هذا الوقت العلامة الأستاذ هنرى لاووست

وأما كتاب (إحكام صنعة الـكلام) فهو — كما قلت قبل . . .

العربية ازدادت ثروة بباهرات عبقريات تباهت بها ، وبلهت غيرها من اللغات . وإذا هُجِّـن فى العلم والأدب تكلف الضعفاء العاجزين حين يتكلفون ، فتكلفُ العباقرة القادرين يجل عن كل تعييب أو تهجين

* * *

حرث أبو العلاء القرآن حرثاً [١] عجباً ، وسيط هواه بلحمه ودمه ، واستهداه فهداه ، وذهن أو أدرك من إلـهية (الـكتاب) وسماويته ومن عربيته الناصعة الصافية ذات الإعجاز ، وبلاغته الخارقة العادة ما أدركه الفصحاء البلغاء من العرب فى عهد النبى أو كاد يدرك ذلك . ولا تستقلـنَّ هذه الـكيدودة . ومصنَّفُ الشيخ (تضمين الآى) » وهو إن لم نره فقد سمعنا خبره [٢] « يبين أنه بلغ فى علم (الـكتاب) المبالغ ـ كما يقول الزمخشرى ـ ولا يُضمِّـنُ مثل ذلك التضمين الفائق البديع إلا من خرّجه (القرآن) هذا التخريج المظيم البليغ [٣]

= مخطوطة فى خزانة العلامة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى . وقد أفضل هذا العلامة الـكريم المفضال على الأدب بنشر طائفة من « الأحكام » فى مصنف « تعريف القدماء بأبى العلاء » الذى جمعـه وحققه لجنة من العلماء الأساتذة : مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الابيارى ، حامد عبد المجيد باشراف العلامة الدكتور طه حسين .

يقول صاحب (أحكام صنعة الـكلام) بعد أن أورد أربـع شذرات من كتاب (القائف) للشيخ :

(... ولأبى العلاء فى كتاب (القائف) احسان مشهور ، وابداع كثير موفور . وهو أكثر من كتاب « كليلة ودمنة » ورقا ، وأفسح طلقا ، واطيب شميما وعبقا ... »

قال صاحب « أوج التحرى » : « ولأبى العلاء ديوان شعر جمعه فى الألغاز » وروى مقاطيع منـه ثم قال : « وكتاب الألغاز كبير الحجم رتبه على جميع حروف الهجاء مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه » .

(١) فى حديث ابن مسعود : احرثوا هذا القرآن وفى (الأساس) : وحرثت القرآن أطلت دراسته وتدبره .

(٢) مقتبسة من البديـع الهمذانى ولشبل الدولة فى الزمخشرى :

زمخشرى فاضل أعجبه زمخشره
كالبحران لم أره فقد أتانى خبره

(٣) ليس هذا الوصف « البليغ » للقول وحده كما ظن بعضهم . فخطأ ولم يصب . ففى الأساس : أبلغت إلى فلان فعلت به ما بلغ به الأذى والمـكروه البليغ . ورواه التاج . وفى الفائق : الخدرى : إن الله حرم الخمر فلا أمت فيها يعنى أنه تحريم بليغ وفيه : الطوال البليغ فى الطول ؛ والطوال — بتشديد الواو — أبلغ منه . وفيه خطب بلغ — بكسر الباء وفتحها وسكون اللام — أى بليغ وفى الـكشاف : «المتين» الشديد القوة ، والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار ، وفيه فى تفسير . « وكذلك زين لـكثير من المشركين قتـل أولادهم » ، ومثل ذلك التزيين البليغ .

« ومن يهد الله فهو المهتدى »

بتّصر الكتاب الإلٰهي المحمدى (أحمد بن عبد الله بن سليمان) بعجائبه وآياته فاستيقن واستبصر ، وارتوى الشيخ من كوثر البلاغة القرآنية فأزهر الكلام الملائى ونوّر

نوّر القرآن قولاً فعلا وسما صاحبه فى القائلين

إنما القرآن هَـدْىُ الناطقين ، إنما القرآن نور العالمين

غثّ قول لم يهذبه (الكتاب)

والقرآن ، القرآن ذلكم الكتاب العجيب المبين ، إنه يراه نابغة الأوربيين الأديب العبقرى العظيم (جان ولففنغ غوت) قد أعطي فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه ، كما يراه قوياً ، عظيماً ، سامياً ، متعالياً ، رائعاً ، مهيباً قد خرق العادة ، فلا غرو أن يبلغ أثره فى العالم - كما قال - حيث بلغ .

ألا إن القرآن فى الكلام ، مثل محمد فى الأنام . فإن وجدت لمحمد خطيراً[1] ، ألفيت للقرآن نظيراً

(١) خطير الشىء مثله « المخصص » وفى اللسان : فلان ليس له خطير أى ليس نظير ، وهذا خطير لهذا أى مثل له فى القدر ، ولا يقال للدون إلا للشىء السرى .

« قل : لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

دعاكم إلى خير الأمور محمد — وليس العوالى فى القنا كالسوافل

حداكم على تعظيم من خلق الضحى — وشهب الدجى من طالعات وآفل

وألزمكم ما ليس يعجز حمله — أخا الضعف من فرض له ونوافل

وحث على تطهير جسم وملبس — وعاقب فى قذف النساء الغوافل

وحرم خمراً خلت ألباب شربها — من الطيش ألباب النعام الجوافل

فصلى عليه الله ما ذرّ شارق — ومافت مسكاً ذكره فى المحافل[1]

***

أبو العلاء « هو جوهرة جاءت إلى الدنيا وذهبت »[2] .

(١) أبو العلاء .

(٢) قال الصفدى فى « نكت الهميان فى نكت العميان » :

« حكى لى عن الشيخ كمال الدين بن الزملكانى أنه قال فى حقه هو جوهرة الخ » .

وفى عينية أبي الفتح بن أبي حصينة المعرى فى رثاء الشيخ :

تتصرم الدنيا ، ويأتى بعده — أمم ، وأنت بمثله لا تسمع !

علل المجتمع المصرى

للدكتور محمد صبرى

لكل مجتمع علله وآفاته ، ولكننا إذا استعرضنا علل المجتمع الأوربى كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع المشخصات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصري ، فهو مجتمع فى طور الانتقال ، وقد بدأت مرحلة الانتقال هذه منذ بداية القرن التاسع عشر ، ولم تنته إلى اليوم ، فى حين أن شعباً كالشعب اليابانى قطع فترة الانتقال فى سنوات .

فما لاشك فيه ، مثلاً ، أن اللغة قد قطعت شوطاً فى طريق التقدم والدقة والمرونة ، فتركنا السجع والإطناب وما إليهما ، ونحت الكتاب ألفاظاً جديدة ردت إلى اللغة شبابها وبهاءها ، ولكن اللغة لا تزال بعيدة من غاياتها ، ولا تزال فى حالة انتقالية ظاهرة ، كما لا يزال تعليمنا العالى فى الأزهر والجامعة ، وكذلك محاكمنا وقوانيننا مزيجاً من تعاليم القرون الوسطى والعلم الحديث ، كما أن حركتنا النسائية يتجاذبها عامل الرجعية والعزلة والجمود من ناحية ، وعامل الطفرة والمطالبة بإلغاء نون النسوة من ناحية أخرى .

ومعلوم أن كل حركة تتجاذبها عوامل متضادة ، ولا تجد قادة يدفعونها بقوة فى طريق الانتقال والتجديد ، لا بد أن تضطرب فى سيرها ، وأن تتعثر وتتباطأ ويختل نظامها .

وهذا الاضطراب ، أو التردد ، يعتور جميع حركاتنا الاجتماعية ، لأن قادة الرأى مختلفو الأمزجة ووجهات النظر ، ولم نسمع مرة أن مفكرينا وضعوا أساساً ثابتاً لإقامة أى إصلاح ؛ بل يتخبط كل منا ، وكل منا مطبوع على الأنانية وحب التفرد والظهور بأنه صاحب المشروع الفلانى ، فيجب أن يسجل التاريخ باسمه — فرداً كان أو حزباً — ذلك المشروع . أما كيف يدرس المشروع ، وكيف ينفذ ، وهل ينفذ دفعة واحدة ، أو على مراحل ، وهل يراعى فى تنفيذه الحال والمستقبل ، وارتكازه على قواعد من البيئة والظروف ، فهذا كله فى المحل الثانى

وها نحن أولاء قد أنشأنا جامعة فؤاد فى القاهرة ، ثم أنشأنا جامعة فاروق فى الأسكندرية ، ونفكر فى إنشاء جامعة ثالثة فى أسيوط دون أن نتأكد من أن أولاها بلغت الكمال كله أو بعضه ، وحققت أغراضها فى خدمة العلم الصحيح . وقد أنشأنا فى إحداها صالة احتفالات بلغت تكاليفها ، فيما يقال ، مائة وأربعين ألفاً من الجنيهات ، بينما يشقى بعض علمائنا وأدبائنا الأعلام فى الجرى وراء القوت اليومى ، ولا يجد بعض طلبة العلم ما يسدون به رمقهم فى بعثة علمية منزهة عن المحسوبية وما إليها .

والواقع أن عللنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده ، وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص Complexe d' infériorité وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب ، وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا وإن تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات

وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم؛ ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل فى إصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب ، وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو ، يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وإن مركزها الجغرافى إلى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التى تهيمن على البحر الأبيض ، أى قبول الاستعباد فى شكل من أشكاله

وقد أخطأ الفريقان فى نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ إلى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصرى باعتباره قد استكمل أداته للكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبر واستقر ، وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

ولو أنهما انتبها إلى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وأن بعض العلل التى نراها ليست من العلل « المزمنة » ، وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصرى الصحيح ، وإنها إذا عولجت انتفت عنه ، وزالت كما يزول كل عَرَض ، أقول لو أنهما انتبها إلى ذلك لفهما أن تشاؤمهما أكبر خطر يتهدد الفكرة الإصلاحية بل وكل فكرة تطمح إلى المُثُل العليا ، والسير بالبلاد إلى أبعد الغايات .

محمد صبرى

«الرقص الكلاسيكي»

للدكتور محمد مندور

بدا لي أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا مني في تقويم الأخلاق ، ولقد يلوح هذا غريباً ، فكيف نقوم الأخلاق بالحديث عن الرقص ، ومع ذلك فهذا حق ، فالرقص ونقصد به الإيقاعي والتعبيري ، لا الرقص الشرقي طبعاً ، يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة في الجسم تحرر النفس من آفاتها

وقديماً حرص سقراط الشيخ على أن يتعلمه ليقلل من قبح جسمه المتبهج ، ويقوى من ضعفه ، فقال لأصدقائه وتلاميذه وقد اجتمعوا يوما بمنزل أحدهم حول غلام يعلم الرقص : «أتضحكون مني لأني أريد رياضة جسمي أن أتعهد صحتي فأتمتع بأكل هنيء ونوم سليم ؟! أتضحكون لأنكم تعتقدون أن شيخا مثلي لن يصاحب مدربا رياضيا إلى الخلاء فيعرى جسمه أمام الجماهير ، بل يقنع بغرفة طعام كهذه التي يكتفي بها هـذا الغلام ؟! أتضحكون لأني سأتدرب في الشتاء تحت السقف وفي الصيف تحت الظلال إذا اشتدت حرارة الشمس ؟! أم تضحكون لأني رحت ببطن كبير إلى حد ما فأردت أن أرده إلى حجم معقول ؟! »

وفي هذا يقول شاعر الإغريق أناكريون . «عندما يرقص الشيخ لا ترى فيه عجوزاً غير شعره ، وأما روحه فلا تزال فتية »

والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح ، وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم في الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك في أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذي نشكو منه يرجع إلى الحزن الذي يُنزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدما . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذي لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور .

ولو أنك قارنت بين الرقص الشرقي والرقص الغربي لأدركت الفارق بين المشاعر التي يثيرها كل منهما ، فالرقص الشرقي رقص مجرد جسمي ، حركاته زوايا لا منحنيات ، وهو إثارة للغريزة الجنسية فحسب ، وأما الرقص الغربي فإيقاع وتعبير ، وهو في أصح أوضاعه يستمد إيقاعه من الموسيقى الشائعة في الطبيعة ، ففيه عنصرا التموج والاستمرار . وليس يخاف أن الحياة كلها تموجات موقعة ، فالصوت والضوء والموج والريح والشجر وأوراقه ، كلها تسير أو تهتز موقعة في موجات . والحركة دائرة مستمرة حتى في الجماد حيث ترقص الذرات الكهربائية . والراقص أو الراقصة في أوروبا لا يخترع حركات وإنما يكتشف حركات ، يكتشف ما هو كامن في نظام الحياة والوجود ، وإن كان لا يقف عند الإحساس بالطبيعة بل يعدو الإحساس إلى الدرس ، ويروض نفسه على تشرب موسيقاها بالتدريب الطويل المتصل حتى يجيد فهمها فتصبح الحركة تعبيراً عن معاني النفس .

لقد أخذنا نعنى في الشرق بتثقيف العقول ، ولست أدعي أننا قد نجحنا كل النجاح في هذا التثقيف ، ولكنني أحسبه شيئاً يذكر إذا قارناه بتثقيف الإحساس . ولقد فطن الناس إلى أن الشيء الرائع في تربية الإغريق القدماء كان عنايتهم بتنمية حاسة الجمال في النفوس عن طريق رياضة الجسم ورياضة الروح ، فأفلاطون نفسه قد قصر منهج التربية في جمهوريته على العلوم الرياضية والموسيقى والرياضة البدنية ، وبذلك يجمع بين تقويم العقل والإحساس والجسم ، ويقيم بين ثلاثتها توازنا هو عماد النفس القوية . ولقد كان الرقص جزءا هاما من رياضتهم ، وذلك سواء أكان حربياً أم فنياً ، ولقد كان المقاتلون لا يسيرون إلى القتال إلا بعد أن يثيروا في نفوسهم الحماسة والنشوة بالرقص الموقع توقيعاً قويا ، حتى لقد قال إفلاطون بلسان سقراط : إن أكثر الناس تبجيلا للآلهة في حلقات الرقص هم أشجعهم ضراوة على القتال في الميادين »

والإنسانية منذ أقدم عصورها لم تعرف الرقص منفصلا عن غيره من الفنون . فمنذ الأزل والناس يجمعون بينه وبين الموسيقى والشعر في ثالوث فني يستهوي أفئدتهم . ولربما كان الرقص أقدم هذه العناصر وأكثرها انتشارا ، فالحركة لا ريب قد سبقت اللفظ في التعبير . وفي الجسم إيقـاع عضوي يتحرك لنغمات الطبيعة ، على غير وعي منا . وعند الإغريق القدماء لم يكن الرقص

والغناء والموسيقى مجتمعة مقصورة على مواكب النصر أو ولائم المرح ، بل كانت تكون العناصر الأساسية فى التمثيل المسرحى أيضاً . وهم لم يعرفوا تمثيلا يقوم على الحوار والحركة المسرحية فحسب ، فكل مسرحياتهم يتخللها الرقص والموسيقى . وإلى جوار الممثلين تجد دائما فرقة المغنين وعلى رأسها عازف الناى . ومن كبار مؤلفيهم كسوفوكليس من كان يجيد الرقص والعزف ويشترك فيهما اشتراكا فعلياً . ولقد كان ذلك من مواضع فخارهم ، فتلك فنون كانت تشارك فيها آلهتهم ذاتها ، ولكم من مرة رأس الإله هرميس أو الإله أبوللون بأعلى الأولمب وفى محضر كبير الآلهة زوس جوقات تعزف وترقص لتطرب الآلهة . ولقد جعلوا للرقص ربة ترعاه كما جعلوا للموسيقى والشعر ربات . وليس من شك فى أن إقبال الإغريق على الحياة وحبهم لها وإمعانهم فيها قد فجر فى نفوسهم ينابيع الابتكار والخلق . وليس من شك كذلك فى أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا فى نفوسهم معانى البطولة ومثل الأخلاق ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاقى هو جماله المشرق . .

ولقد رأت العصور الحديثة نهضة رائعة فى فن الرقص بفضل « الباليه » الروسية والسويدية ، وكان للفنان الكبير جاك دالكروز فضل إثراء فن الإيقاع وتحميله أنواعا من التعبير الإنسانى العميق . ولكم طرب الأوربيون لرقص نيجنسكى وكار سافينا وإزادورا دونكان ولوى فولر وپاڤلوڤا وأرجنتينا . واستهوى الرقص ألباب كبار رجال الفن والأدب . ولقد كانت إزادورا دونكان تلتهب حماسة لفن النحات الكبير رودان ، وكيف كان رودان يعجب برشاقة الحركة وجمالها عند تلك الراقصة الروحية الكبيرة .

ومنذ سنين قليلة كتب الشاعر الفرنسى الشهير بول فاليرى حوارا رائعا عن الرقص ، وفيه يقيم توازنا متصلا بين حركات الراقص وحركات الفكر الذهنية ، ولفهم هذه العلاقة دعنا ننصت إلى فقرة رائعة من مذكرات دونكان : « لقد أنفقت أياما وليالى كاملة فى « الأتيليه » لأبحث عن رقص يستطيع بحركات الجسم أن يعبر عن الروح تعبيرا إلهيا . ولساعات طويلة كنت أقف ساكنة جامعة يدى إلى صدرى ووالدتى ذاهلة من موقفى هذا ، ولكننى انتهيت بأن اكتشفت الدافع الأساسى لكل حركة ، والبؤرة القوية التى تتخذ فيها وحدة الأوضاع .

ومدرسة الرقص التقليدية تلقن تلاميذها أن المركز الأساسى للحركة قائم وسط الظهر عند نهاية العمود الفقرى من أسفل ، ومن هذا المركز تنطلق حركات الأذرع والأرجل والجذع حرة . ولكنها عند ئذ لن تكون غير حرية عرائس من الخشب ، ولن ينتج عن رقص كهذا غير حركات آلية مصطنعة غير جديرة بالروح . والذى كنت أبحث عنه لم يكن مصدر هذا النوع من الحركات ، بل مصدر حركات النفس التى تشيع فى الجسد وقد امتلأ ضوءا فتنعكس فيه رؤية مشرقة . وبعد أشهر طويلة من الجهد المتصل ركزت فيها اهتمامى فى هذه البؤرة الموحدة لاحظت أننى عندما أنصت إلى الموسيقى تنساب إلىّ أشعة وموجات . تجرى فى فيض متلاحق نحو منبع الضياء فى نفسى حيث تنعكس الرؤية المشرقة . ولم يكن هذا المنبع مرآة نفسى بل مرآة روحى وبفضل إشراق تلك الرؤية كنت أستطيع أن أعبر عن الموجات الموسيقية بحركات راقصة » . ولا غرابة فى ذلك فقد ولدت ازادورا الأمريكية الأصل على شواطىء البحار واعترفت بأن فكرة الرقص لم تأتها إلا من مشاهدة أمواج البحر ، وكان أول رقص لها على إيقاع ذلك الموج . وما من شك فى أن للنفوس البشرية إيقاعا يناغم إيقاع الطبيعة . ولقد قالت تلك الأديبة البارعة « إن الرقص كان موجوداً فى نفسها ولكنه نائم فأيقظته »

وما أريد أن أختتم هذا المقال دون أن أذكر أحد أساتذتى الفرنسيين وهو لويس سيشان ، وقد كان رجلا جادا على رقة نفسه ، رجلا حى القلب حى الضمير ، وقد تعلقت بتعاليمه فبحثت عن مؤلفاته ، وإذا من بينها كتاب قيم عن الرقص عند الإغريق القدماء ، فدهشت لأستاذ فى الجامعة يكتب عن الرقص ، وكنت لا أزال حديث عهد بالشرق وأحكامه ، ولكننى لم أكد أتناول الكتاب حتى وجدته قد صدره فى أول صفحة بثلاث كلمات لأفلاطون قالها الفيلسوف عن الشعر ، وأبى أستاذنا إلا أن يطلقها على الرقص ، وهى قوله « شىء خفيف مجنح مقدس »

محمد مندور
المحامى

على هامش النقد :

قصص وأســـاطير

١ — أساطير الحب والجمال ... . . دريني خشبة
٢ — عشاق العرب ... ... كامل عجلان

للأستاذ سيد قطب

(١)

ليس هذا الكتاب «ترجمة» بالمعنى الكامل وليس «تأليفاً» كذلك، فهو استعراض لهذه الأساطير عند الإغريق مطلق من التقيد بالنصوص ... ولست أدري أكان من الخير أن يسلك المؤلف هذا الطريق، أم أن يسلك طريق الترجمة الدقيقة لأصل من أصول هذه الأساطير أو لبحث حولها أو لتفسير. ولكن وجودها في المكتبة العربية — على وضع من الأوضاع — هو بدون شك كسب لهذه المكتبة كبير. وقد تلقيتها بفرح، وعشت معها أسبوعين؛ كانا فرصة لأن أعاود قراءة ترجمة الإلياذة الاغريقية، والشاهنامة الفارسية، والرامايانا الهندية، وبعض الأساطير المصرية. لأعيش فترة من الزمن في هذا الجو الأسطوري الجميل، ولأصاحب الطفولة البشرية العذبة. بعض الوقت، ولتكون لدى الفرصة — على قدر الامكان — لملاحظة الخصائص القومية في الأساطير والملاحم. وهي أصدق المعايير. لأنها من عمل الشعوب في الحقيقة لا من عمل الأفراد.

* * *

وقد أثار وجود هذه المجموعة في اللغة العربية، شوقي لأن يوجد لها نظير عن «الأساطير المصرية»، ومجموعة عن «الأساطير الهندية». وإن كنت قد سمعت - ولم أقرأ - عن مجموعة صدرت للأساطير الشرقية

إن لمصر القديمة. مصر العريقة، مصر الضاربة في مجاهل الأبد، النابتة في جذور التاريخ. إن لمصر هذه أساطير راقية وحياة روحية رفيعة. وقد ثبت بما لا شك فيه أن الاغريق قد تناقلوا كثيراً من هذه الأساطير، وتسلفوا الكثيرين من الآلهة من هنا من مصر! وتثقفوا ثقافة مصر الروحية والعلمية والاجتماعية والقانونية، ثم أقاموا عليها حضارتهم بعد ألف عام.

ولكننا نفتن عن هذا كله، فلا نلتفت إلى هذه الذخيرة الضخمة التي لا يزال العالم الحي يقبس منها. ففي عصرنا الحاضر يوجد في أوربا من النحاتين من يقيمون مذاهبهم على أساس الفن المصري القديم، ويوجد من رجال الآثار ومن رجال الأدب من يتعمق دراسة الآثار الروحية والدينية لمصر القديمة، ومن يحيل هذا الزاد طعاما حاضراً شهياً، يزيد به ألوان المائدة العالمية

أما في مصر فلا شيء من هذا كله. إنما يكتب المفتونون منا بالحضارة الاغريقية، فيصورونها حضارة هبطت من سماء الأولمب، ولم تستق مرة واحدة من نبع النيل. اللهم إلا رجلاً عظيما — عظيما جداً لأنه نجا من هذه الفتنة — هو المرحوم عبد القادر حمزة باشا، ذلك الذي حاول في كتابه الخالد «على هامش التاريخ المصري القديم» أن يكشف لقراء العربية عن هذا الدَّين القديم!

وللشرق على وجه العموم — ولا سيما الهند — ثقافاته العريقة، ثقافاته الروحية والفكرية. ولكن المكتبة العربية منها خواء. وعندما عثرت على ترجمة مختصرة لرامايانا (مجازفات راما) من «مطبوعات مجلة النفير» أحسست أنني عثرت على شيء نادر! ليس لدى من مثله إلا القليل. شيء نادر لأنه شرقي. ونحن المفتونين عن مصر وعن الشرق. لا نحفل من هذه الذخائر ما تحفله الأمم الحية في الغرب، التي تستنقذ كل ما خلفت البشرية من ثقافات فتحيله غذاء شهياً على مائدتها الحافلة بالشهي اللذيذ!

أفلم يئن لنا أن نعرف أنفسنا كما عرفها العالم المتحضر؟

إنني لأشعر بفيض من السعادة يوم أجد المكتبة العربية حافلة بالمترجمات من كل ثقافات العالم. على ألا يبقى ركن الثقافة المصرية وركن الثقافة الشرقية كما هما اليوم يعشش فيهما العنكبوت!!!

* * *

يحس القارئ للأساطير الاغريقية أن الحياة المتنزية الوثابة هي الحكم في هذا الكون العريض، بينما يحس في الأساطير المصرية أن العدل والخير والمبادىء الخلقية هي القانون. أما الأساطير الهندية فتخيل إليه أن التضحية والصبر والتسامح هي محور الوجود. فإذا اجتازها إلى الأساطير الفارسية أحس أن

القوة والمراسم والنظام هي دعائم الحياة » وذلك على تقارب الهند وفارس في الإصل الآري القديم » .

وأوضح الأمثلة على هذه الملاحظات أساطير هرقل، وأوزريس، ورأما، ورستم.

فمجازفات هرقل كلها تنفيذ لقضاء أعمى مبعثه نزوة شخصية لبعض الآلهة. ومأساة أوزريس هي تغليب للعدل والخير على الظلم والشر، وقد وقفت قوى الآلهة في صفه تحقيقاً لهذه المثل العالية.

ومجازفات راما كلها تنفيذ لعهد واجب الوفاء مهما يكن في سبيله من تضحيات فوق الطاقة البشرية المحدودة. ووقائع رستم كلها تمجيد للقوة الخارقة التي تخضع مع هذا للنظام وتعترف عزائم السلطان!

يجمع آلهة الإغريق إلى قدرة الآلهة حماقات البشر. قانونها شهواتها. تخبط كيفما قادتها البدوات والنزوات. ويقع الخير في أعمالها كما يقع الشر كلاهما هو اندفاع من اندفاعات الحيوية النابضة في الوجود. أما آلهة المصريين فتهدف في تصرفاتها إلى تحقيق مبادىء خلقية وإنسانية قوامها الخير والعدل والفضيلة..

ألا ما أحوجنا إلى أن تكون أساطير العالم كله بين أيدينا لنعرف حقائق الشعوب! إن غاندي وصبره وسماحته مثلا، لا يفهم كما لا يفهم تاجور إلا بعدد من الأساطير الهندية تشرح عناصر النفس الهندية وتفسرها خير تفسير.

***

وشيء آخر يحسه قارىء الأساطير الأغريقيـــة. يحس بالمبادة للطبيعة، والفتنة بالجمال، والنشوة بالحركة. الحركة العنيفة. التي لا تقر ولا تهدأ في اللذة والألم. وفي السعادة والشقاء. والحب والبغضاء، ويعيش في ذلك الجو المرفرف الطليق الذي هو مزاج من العرائس والجنيات؛ ومن الفاتن والشهوات، ومن المكائد والمجازفات. ومن الطبيعة الساحرة الفاتنة الحية الفائضة بالحياة المتجاوبة مع كل شيء في هذا الكون الكبير! إنها حياة تشوق وتعجب وتثير الحس والوجدان.

ويجب أن أقول: إن الأستاذ دريني خشبة قد أفلح في نقل هذا الجو الحي الفائض بالحيوية، وأن أسلوبه قد اضطلع بتصوير الحركة التي لا تهدأ في هذه الأساطير. وإن هذا وحده لشيء رائع في حد ذاته.

ولكن! — وددت ألا أجد لها مكانا فيما أقول.!

لقد قادته رغبة التجويد في التعبير، والتفخيم في الأسلوب إلى أشياء أود لو تنبـــه لها كل مؤلف. وكل مترجم على وجه خاص:

إن المطلوب في الترجمة — خاصة — ليس هو نقل المعاني والأفكار فحسب، ولكن نقل الجو الذي تعيش فيه هذه المعاني والأفكار. هذا الجو رهين بطريقة الأداء وبألفاظ الأداء. وفي كل لغة بعض الاصطلاحات وبعض الألفاظ. تعد بضاعة محلية. لا سبيل إلى نقلها من بيئتها إلى أية بيئة أخرى. ذلك أنها تشع جواً إقليميا أو قومياً خاصاً يتمثله الخيال بمجرد نطقها في أي مجال.

هذه الألفاظ وهذه التعبيرات موجودة في اللغة العربية. وهي تصور جوها بمجرد ورودها. — وهي لحسن الحظ قليلة نسبياً بالقياس إلى معجم اللغة اللغوي والفني — وهي لا تصلح للاستخدام في الترجمة على وجه خاص، لأنها تعارض الجو الذي يجب نقله؛ وتعترض الخيال المستغرق في جو خاص بقطعة من الجو العربي البحت الذي لا انسجام بينه وبين ذلك الجو الخاص

إن للألفاظ والتراكيب أرواحاً كما لأفراد الإنسان. وكثيراً ما خيّل إليّ وأنا أقرأ بعض الترجمات، أن المترجم يقذف برجل بدوى في زيه الخاص على المسرح بين جماعة من الأوربيين، فيخل بكل انسجام!

وفي أساطير الحب والجمال شيء من هذا: يتمثل في بعضه استعباد النصوص للمؤلف، كما تتمثل في بعضه الفتنة بالإغراب. ولا يتسع المجال لاستعراض جميع هذه المواضع فنكتفي ببعض الأمثال:

١ — من الأمثلة على استعباد النصوص، أن يرد في أسطورة إغريقية وثنية قول أبوللو لابنه: « فسر على دربها تصل إن شاء الله » فطريف هنا ذكر « إن شاء الله » من إلهي إغريقي ودع عنك « سر على دربها » وما تمثله من بيئة صحراوية. وأن يرد كذلك في كلام هذا الإله نفسه: « ولا تنس السماء التي تجري فوق لمستقر لهـا » وما فيه من جو قرآني ينقل القارىء من أساطير الإغريق إلى القرآن الكريم. ومثله وصف شارون حارس الجحيم لجهنم كما وصفها القرآن: « لا تبقى ولا تذر، وإنها أبداً ترمى بشرر كالقصر »

وكثير من هذه النصوص القرآنية ومن مأثورات الشعر العربي والتعبيرات الإسلامية البحتة يتعارض في بعض الأحيان

لامع الجو الأسطورى فحسب ولكن مع الحقائق الموضوعية كذلك أو مع المشاهدات الواقعية . فلست أحسب أن « المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » تمت بصلة إلى أوضاع الجحيم الإغريقى ! ولست أحسب أن الكبش حين يذبح « يُتَلّ للجبين » كما تلّ إبراهيم ولده للجبين فى القرآن . فالكبش يتل للجنب ، لأنه لا يذبح على طريقة ذبح الإنسان ! ... ولست أحسب أن عرائس الماء كانت تقول كما قالت نساء امرأة العزيز فى القرآن : « ما هذا بشراً إن هـذا إلا ملك كريم » أو أن عجوزاً أسطورية تقول لفتى إغريقى : « ألم تسمع من يقول : « وكم لظلام الليل عندى من يد » وتلك شطرة شعر عربى لم تكن قيلت بعد حتى يسمعها الفتى المسكين ! . . . وهكذا وهكذا من هـذه الأمثلة لاستعباد النصوص المؤلف ، واضطراب الجو الأسطورى الإغريقى بما يلقى فيه من ظلال عربية أو إسلامية خاصة لا تتفق مع هذا الجو بحال

٢ — وأما الفتنة بالإغراب فقد ظهرت كذلك فى مواضع كثيرة : فلست أدرى لم تنبذ كلمة المرآة ليوضع مكانها « السنجنجل » ولا كلمة نعش ليوضع مكانها « إران » ولا كلمة الظمأ ليوضع مكانها « الجواد » ولا كلمة المساند لتوضع مكانها « الحسبانات » . كما لا أفهم أن تكون الفتاة الإغريقية « خدلجة » ! ولا جماعة الفتيات « ربربا »

وليس من عادتى أن أقف للأخطاء اللغوية البحتة ولكننى أنبه هنا إلى غلطات قليلة لعل معظمها من أخطاء المطبعة .

ولكم وددت أن يخلص كتاب الأستاذ دريني من هذا كله ليتم المتاع به فى جوه الإغريقى الأصيل !

(٢)

و « عشاق العرب » إنه هو الآخر ليس « ترجمة » وليس « تأليفاً » ! ولكنه فى هذه المرة مزاج بينهما عن أقاصيص الحب العربى . فلقد عمد الأستاذ « كامل عجلان » إلى بعض أخبار المحبين المبعثرة فى المراجع العربية ، التى لا يتيسر العثور عليها لشبان الجيل ، لأن معداتهم الرقيقة لا تستطيع هضم هذه المراجع الجافة . فصاغ منها قصصاً بأسلوب الحوار . وجعل من الخبر أو من مجموعة الأخبار رواية حب فى فصل أو فصول . فكانت من ذلك روايات : حبابة مع يزيد بن عبد الملك . وزينب مع ابن سلام ومع يزيد بن معاوية . ولبنى مع قيس ثم غادة الهودج مع الآس بأحكام الله ومع الشاعر ابن ميّاح (فى أربعة فصول)

وأنا أعد هذا العمل خليطا من الترجمة والتأليف فالواقع أننا حين نعرض بعض النصوص القديمة فى أسلوبنا الحديث إنما نقوم بعملية ترجمة من معجم جيل إلى معجم جيل . ومن طريقة عرض قديمة إلى طريقة عرض جديدة . وقد كان هذا القسم من عمل الأستاذ كامل عجلان موفقاً وناجحاً . وهو طريقة من طرق الإحياء لتراث المكتبة العربية .

وأما القسم الثانى فلم يستكمل مداه . ذلك أنه أفرط فى التقيد بالنصوص التاريخية ، فلم يتسع أمامه المجال للخلق الفنى . وإن يكن حين وسّع على نفسه بعض الشيء قد رسم خطوطا موفقة فى ملامح بعض الشخصيات كشخصية « برغش » المهرج فى غادة الهودج . وقد نص هو فى المقدمة على أن قصده كان مجرد الإحياء والامتاع بهذا القديم المهجور

فإذا كان معتزما إخراج مجموعة أخرى كما قال فى نهاية الكتاب فوصيتنا إليه أن يخطو خطوة أخرى فيعنى بتصوير الشخصيات الروائية ، وتسجيل الانفعالات النفسية ، وألا يكتفى بعرض الحادثة التاريخية ، بطريقة حوارية . ولعله حين يفعل هذا يستغنى عن كثير من الإشارات المسرحية التى كثرت فى كتابه لتهيئة الجو للقارىء . فالحوار يجب أن يستقل برسم هذا الجو بطبيعة ألفاظه الموحية لا بالإشارات المسرحية الخارجية .

وبعد فقد استمتعت بهذه القصص . أنا الذى تستطيع معدتى الخشنة أن تهضم أصولها القديمة فما أجدر شبابنا الرقيق اللطيف أن يستمتع بها إذ لا مورد له سواها !

سيد قطب

إشهار الرؤوس المقطوعة
في أيام العباسيين

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

للأستاذ ميخائيل عواد

ثالثاً — رؤوس متفرقة

١ — الرؤوس فى مصر

قال المقريزى فى كلامه على دار الوزارة الكبرى : « ..... وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ علىّ السعودى ، وُلِد فى سنة سبع وسبعمائة . قال : رأيتُ مرةً وقد سقط مِن ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس مِن جملة مابقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير ، وعندى أنّ هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى أيام وزارته للعاضد بعد شاور ؛ فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة ، وصار يستدعى واحداً بعد واحد إلى خزانة الدار ويوهم أنه يخلع عليهم ، فاذا صار واحد منهم فى الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن .. (١) »

ومما حفلت به سنة ٤١٠هـ من الأحداث أن « جرد صاحب مصر جيشاً لقتال صالح بن مرداس صاحب حلب ، وبعث الجيش مع نوشتكين الدزبرى ، فكانت الواقعة عند شاطئ نهر الأردن ، فاستظهر الدزبرى وقتل صالحاً وابنه ، وأنفذ رأسيهما إلى مصر .... (٢) » .

٢ — الرؤوس فى قندهار :

قندهار من بلاد السند . قد وقفنا فى بعض أخبار سنة ٣٠٤ هـ ، على أنه « وَرَدَ الكِتاب من خراسان يذكر فيه أنه وجد بالقَنْدَهار (١) فى أبراج سورها برج متصل بها ، فيه خمسة آلاف رأس فى سلال من حشيش ، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً ، فى أذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم كل رجل منهم . والأسماء : شُرَيح بن حَيَّان ، خَبَّاب بن الزبير ، الخليل بن موسى التميمى ، الحارث بن عبد الله ، طَلْق بن معاذ السلمى ، حاتم بن حَسَنَة ، هانئ بن عروة ، عمر بن علان ، جرير بن عبَّاد المدنىُّ ، جابر بن خُبيب ابن الزبير ، فرْقد بن الزبير السعدىُّ ، عبد الله بن سليمان بن عمارة ، سليمان بن عمارة ، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل ، ابن لسهيل بن عمرو ، عمرو بن حيَّان ، سعيد بن عتَّاب الكندىُّ ، حبيب بن أنس ، هرون بن عروة ، غيلان بن العلاء ، جبريل بن عبادة ، عبد الله البجلى ، مُطَرِّف بن صبح ، ختن عثمان بن عفان (رض) — وجدوا على حالهم إلا أنهم قد جفت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغير ، وفى الرقاع من سنة ٧٠ من الهجرة (٢) » .

رابعاً : الطواف بالرؤوس فى الآفاق :

هذا لون آخر من ألوان عرض الرؤوس ، فقد كانت تنصب ببغداد أياماً فوق الأماكن البارزة ثم تحط ، فمنها مايستقر فى خزانة الرؤوس ، ومنها ما يرسل به إلى البلدان فيعرض فى كل بلد وكورة ، فيكون عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن تسول له نفسه الخروج عن طاعة أمير المؤمنين . وكان من هذه الرؤوس :

١ — رأس محمد بن عبد الله :

روى الطبرى فى حوادث سنة ١٤٥ هـ : « حدثنى عيسى

---

(١) خطط المقريزى (٢ : ٣٠٢ — ٣٠٤ ، مطبعة النيل) .
(٢) المنتظم (٨ : ٤٠) .

(١) كذا وردت فى صلة تاريخ الطبرى (بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال) ، أما فى معجم البلدان (٤ : ١٨٣ — ١٨٤ ؛ طبعة وستنفلد) فانها « قندهار : بضم القاف وتسكين النون وضم الدال أيضاً » وهو المشهور .
(٢) صلة تاريخ الطبرى (ص ٦٢ — ٦٣ ، طبع ليدن) ، وتجد هذه الرواية فى المنتظم (٦ : ١٣٩) .

[بن عبد الله] قال : حدثنا ابن أبي الكرام . قال : بعثني عيسى برأس محمد وبعث معي مائة من الجند . قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على النجف كبرنا . قال : وعامر بن اسماعيل يومئذ بواسط محاصر هرون بن سعد العجلي . فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ما هذا التكبير ؟ قال : هذا ابن أبي الكرام جاء برأس محمد بن عبد الله قال : إئذن له ولعشرة ممن معه . قال : فأذن لي ، فوضعت الرأس بين يديه في ترس .... ، حدثني علي بن صالح ابن ميثم . قال : لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة أمر به فطيف به في طبق أبيض ، فرأيته آدم أرقط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق [1] » .

٢ — رأس بابك الخرمي

كان ظهور بابك الخرمي في أيام المعتصم ، وقد اشتهر أمره وذاع صيته وكثر أتباعه ، فهابته أمراء النواحي والأطراف ، وبالغ في الظلم والعيث والفساد ، وكان المعتصم يومذاك مشتغلا في بناء سامراء ، العاصمة الجديدة لبني العباس ، فصبر له ، حتى إذا فرغ من هذا الأمر ، سير إليه الجيوش وعليها الأفشين ، فاتصلت الحرب بين الطرفين مدة ، حتى ضاق الأمر على بابك ثم دارت الدائرة عليه فوقع أسيراً هو وأخوه وجماعة من أصحابه ، فجيء به مقيداً مشهراً . قال المسعودي يصف مشهد قتل بابك :

« ووجدت في كتاب أخبار بغداد [2] أنه لما وقف بابك بين يدي المعتصم لم يكلمه ملياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم أنا عبدك وغلامك ؛ وكان اسم بابك الحسن ، واسم أخيه عبد الله . قال : جردوه ؛ فسلبه الخدام ما كان عليه من الزينة ، فقطعت يمينه فضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ؛ وقد كان تكلم بكلام كثير رغّب في أموال عظيمة قِبَله ؛ فلم يلتفت إلى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه . وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ، ثم أمر بحز رأسه وضم أطرافه إلى جسده ، فصلب ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر ، وحمل بعد ذلك إلى خراسان فطيف به كل مدينة من مدنها وكورها ؛ لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظيم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها . وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ففعل به اسحق ابن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامراء ، وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامراء ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك ... [1] »

٣ — رأس الحلاج :

للحسين بن منصور الحلاج أخبار غريبة أسهب الكتبة فيها ، حتى أنهم صنفوا كتباً [2] شرحوا فيها دعوته وأعماله وأقواله ويهمنا في هذا المقام خبر رأسه . فقد روى ابن الجوزي في ترجمته للحلاج ، قائلاً : « ... . فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة [سنة ٣٠٩ للهجرة] أخرج ليقتل ... ، وضُرب ألف سوط ، ثم قطعت يده ثم رجله ، وحز رأسه وأحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة .. . [3] » .

ثم أشار أبو الفرج إلى مصير رأس الحلاج في حوادث سنة ٣١٠ هـ ، فقال : « وفي يوم الاثنين سلخ ذي القعدة ، أُخرج رأس الحسين بن منصور الحلاج من دار السلطان ليحمل إلى خراسان [4] » .

وعلى هذا فإن رأس الحلاج مكث سنة كاملة ضيفاً على خزانة الرؤوس .

ميخائيل عواد

---

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٥٤ — ٢٥٥) .

(٢) أخبار بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ) ، وقد أشار إليه المسعودي غير مرة في مروج الذهب (١ : ١٢ و ٨ : ٢٠٩) .

والمعروف من هذا الكتاب اليوم ، الجزء السادس فقط ؛ فيه خلافة المأمون . وقد عني بنشره « هنس كلر » في ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وترجمه الى اللغة الألمانية

(١) مروج الذهب (٧ : ١٢٩ — ١٣١) .

(٢) لأبي الفرج ابن الجوزي كتاب في أخبار الحلاج . راجع المنتظم (٦ : ١٦٢) .

(٣) المنتظم (٦ : ١٦٤) .

(٤) المنتظم (٦ : ١٦٧) .

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزي الشتوي

معجزة الأبحاث الروسية

١٢ رجلا يعودون إلى الحياة

أذاعت جريدة برافدا الروسية أن الطب تمكن من إعادة الحياة إلى ١٢ جنديا من ٥١ بعد وفاتهم . وأبرق المراسل الحربي لإحدى الجرائد الاميركية بتفاصيل الخبر، فأيده وتمت هذه العمليات في خطوط القتال الأمامية ، وتحت وابل من قنابل المدافع . فان الأطباء الروسيين يستغلون الحرب الحالية وكثرة ضحاياها ليجروا من التجارب ما يستحيل التفكير فيه في زمن السلم

ويشرف على هذه التجارب الدكتور نيجوفسكي من معهد الاتحاد السوفياتي للطب التجريبي . فبعد ما ظهر على المصابين جميع علامات الوفاة أجريت معهم تجربة جديدة للتنفس وتغذية أجسامهم بالدم . فدفع الهواء إلى الرئتين مباشرة كما غذي الجسم بالدم عن طريق وريد يؤدي إلى القلب ، لا عن طريق شريان

وتقول جريدة برافدا ان التجربة تمت على أساس النظرية القائلة ان الإنسان في الدقائق الأولى لوفاته يكون قريبا من الحياة ، فيتاح إيقاف الموت ان اتخذت الخطوات الموفقة لإعادة القلب والرئتين إلى عملها . وبذلك يستعيد الضغط الدموي بناءه ، ويمتنع انحلال الجهاز العصبي .

ويقول الأطباء الذين أجروا هذه التجارب ان خطواتها يجب أن تتم بأقصى سرعة لأن الجهاز العصبي يتعرض لعدة تغيرات يتعذر تصحيحها ان حدثت في الدقائق الخمس أو الست بعد الوفاة . ولهذا كان من الضروري أن يكون الطبيب سريع التقدير كثير النشاط في التنفيذ

ولم تكن هذه التجربة الأولى من نوعها ، بل سبقتها عدة تجارب أخرى بلغ عددها ٢٥٠ تجربة أجريت على الكلاب . وتقرر في نهايتها أن إعادة الحياة ممكنة في بعض الحالات بواسطة منفاخ يدفع الهواء مباشرة إلى الرئتين ، وبنقل الدم في وريد متصل بالقلب حتى يستطيع الدم تنبيه عضلاته .

وقال الأطباء إن نقل الدم بالطرق العادية ومثله عملية التنفس الصناعي كانتا عديمتي القيمة في حالة حدوث الوفاة . وقد أثبت هؤلاء الأطباء صحة أقوالهم بعدة محاولات لم تسفر عن أية نتيجة .

وذكرت جريدة برافدا حالة الجندي الروسي الكسندر وزوف . فانه أحضر إلى مستشفى الميدان بعد ما أطارت قنبلة إحدى ساقيه . وظل في حالة نزع مدة ١٤ ساعة ، كان تنفسه أثناءها غير عميق ، وقال الأطباء ان النبض كان ضعيفا جداً يتعذر الإحساس به . استمر الأطباء في علاجه مدة ١٢ ساعة ، فنقلوا اليه الدم ، وحقنوه بالكافور والكافيين بدون جدوى . وأخيراً فقدوا كل أمل في إنقاذه وخصوصاً عندما بدأت أعراض الموت تظهر عليه

وعندئذ تسلمه الدكتور نيجوفسكي ومساعدوه وأجروا عليه تجاربهم . واستعملوا الطريقة الحديثة بنقل الدم الى الوريد بدلا من الشريان فاستعاد القلب تأدية لوظيفته . وفي الوقت نفسه أجريت عملية التنفس الصناعي بدفع الهواء إلى الرئتين مباشرة فتحسنت صحة المريض كثيراً ، فأتيح لأحد الجراحين إجراء عملية الساق بدون صعوبة . وبعد يومين استعاد المصاب من القوة ما يكفي لنقله إلى مستشفى في مؤخرة الميدان

لقاح للسل

أوشكت مشكلة الاصابة بمرض السل أن تصل إلى علاج ناجع بعد تقرير قدمه الدكتوران والاس بروك وربرت داي من مستشفى هوبكنس انهما توصلا الى العثور على اللقاح المضاد للسل . فانهما اكتشفا عدداً من الأحياء الميكرسكوبية في فأر الحقل البريطاني . وهذه الاحياء من نفس عائلة الميكروبات التي تسبب السل للماشية والطيور وللانسان

وبتطبيق الطريقة القديمة الناجحة التي أدت الى الوقاية من الجدري الخبيث باستعمال لقاح جدري الابقار يتوقع العلماء أن يقوا الانسان مرض السل باستعمال قريبه الذي يوجد في الفيران كمادة لقاح

وأجريت عدة تجارب على حلوف جوينا لاختبار أثر هذا

اللقاح الجديد ، فلوحظ أن عدوى السل تأخرت مدة طويلة كما لوحظ عند ظهور أعراضه أنه لم يكن قاسياً . وتقدمت التجارب مرحلة أخرى لتطبيقها على الانسان فأعلن فى التقارير الطبية ان حقن اللقاح تحت الجلد أو فى الأوعية الدموية فى الانسان لم يؤد الى زيادة وطأة المرض

وتقول التقارير الأخيرة إن نتائج تجربة استعمال لقاح الفيران الوقاية من السل البشرى بحجت تجاربها فى حالات قليلة عرضت فيها القردة للعدوى فلم تصب بالمرض مما شجع الباحثين على الاستمرار فى تجاربهما

من الطباق الردىء

يتجه العلم الآن إلى الاستفادة من كل حاصلات الأرض على أحسن وجه . ويهتم بهذه الناحية علم جديد يطلقون عليه اسم هندسة الكيمياء . فالمواد التى تلقيها ، وخصوصاً النباتية من لحاء الأشجار وغيرها ، تحلل إلى عناصرها الأولية ، وتصنع منها مواد جديدة جيدة لفائدة الإنسان فى الناحيتين الصناعية والغذائية .

ويتنبأ علماء هذا العلم بأن أنواع الطباق الرديئة لن تستعمل لأغراض التدخين ، بل ينتظرها مستقبل أحسن وأخطر ، فيستخرجون منها الشمع والأصباغ وزيوتا لعمل الصابون ، ويستخرجون من البذور زيوت الطباق والنيكوتين ، أما الألياف فتصنع منها لوحات للحوائط

طماطم بدون بذر

توصل أحد الإخصائيين فى الزراعة من جامعة كاليفورنيا من استنبات طماطم بدون بذور داخلها . والمهم فى هذا الاستنبات أنه ينتظر أن يؤدى إلى نتائج كبيرة القيمة فى توليد نباتات أخرى تكون ذات قيمة أكبر ومحصول أوفر وأقل نفقة

ويقول مستنبت هذه الطماطم إنها كانت تمتاز عن مثيلاتها من ذوات البذور بقوتها وكبر حجمها وخصوصاً فى آخر فصل الحصاد .

وفى سنة ١٩٤٣ تيسر الحصول على ثلاثة مستنبتات مختلفة من الطماطم الخالية من البذور ، والتى ينتظر عند ما تقدم للأسواق أن تكون غالية الثمن

فى ١٠ دقائق تجدد الإطار

من المشاكل التى يواجهها العالم فى الفترة الحالية الحاجة إلى إطارات المطاط للسيارات ، فإن نشوب الحرب فى الشرق الأقصى حرم العالم من الموارد الطبيعية لهذه المادة الضرورية لأدوات النقل حتى أسرعت الدول إلى صقل صناعة المطاط الصناعى . وكان إصلاح إطارات السيارات من المسائل المعقدة ، يحتاج ترميمها وإصلاحها إلى وقت طويل

ووصل أخيراً أحد مهندسى مصلحة الحرب البريطانية إلى استنباط وسيلة يتاح بها إصلاح الإطارات فى مدة ١٠ دقائق ، فتمتد حياتها إلى ١٠٠ر٠٠٠ ميل أخرى . وذلك باستعمال الأليكترونات الكهربائية فى ترقيع الأجزاء البالية من الإطارات فتعيدها جديدة إلى حالتها الأولى . وتضيف هذه الآلة المقدار اللازم من المطاط بطريقة آلية بصرف النظر عن كبر الجزء البالى أو صغره .

فوزى الشتوى



٢ - الجـــارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

وكنت إلى الريف أبيع سلمى لا أنفق إلا نادراً فى شراء سيجارة أو كوبة شراب أو إرضاء رغبة متواضـعة ، وإن هبطت المدينة فإنما أهبطها لأدفع ما على من دين لعميلى أو أودع فى المصرف ما يتبقى معى من مال

أخذت أرقام ريالاتى تزداد أسبوعاً بعد أسبوع ، وشهراً بعد شهر ، فصرت أسخو بتحويل عشرات منها لوالدى ولأنيسة

لم يكن شىء فى الوجود يعادل فرحى حينما كنت أقرأ كتاباً وارداً من والدىّ يقول أبى فى ختامه ، « أما خادمتك أنيسة فتهديك السلام وتقبل يدك » .

كنت أغتفر لوالدى تمسكه بعادات أصيلة واعتبارات تقليدية فى كينونة المرأة ، وكنت أطلق أعنة خيالى تجول فى عوالم الرؤى أتصور نفسى ملقى عند أقدام « خادمتى » أنيسة أقبل يديها .

أجل ياصاحبى كنت أبعث بكتاب فيه تحويل مالى وألحف فى طلب وصل بالاستلام لأقرأ تحيات بريئة ساذجة ولازمة مستحبة لا يحيد والدى عن تسطيرها بالنص الواحد فى كل كتاب : « خادمتك أنيسة تهديك السلام وتقبل يدك » .

اتقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ وامتدت ألسنتها المحرقة إلى جميع أرجاء العالم القديم ، أما العالم الجديد ، برغم اشتراكه فيها فى الساعة الأخيرة ، فقد راجت أسواقه التجارية وعم الرخاء كل الناس . كنت إن أعجب من شىء فعجبى من أخبار كانت تنشرها صحفنا العربية فى أميركا عن بؤس الناس فى لبنان وموت بعضهم جوعاً ، ولم يكن يخامرنى شك فى أن أنيسة المحبوبة ووالدىّ العزيزين أبعد من أن ينالهم ماينال الناس الذين تكلمت الصحف وأطالت فى وصف حالهم ! .

انقطعت أسباب الاتصال بينى وبين أهلى ، ولكنى كنت أغالط نفسى ، أتعمد المغالطة ، فأرسل الرسائل والتحاويل المالية كالعادة إليهم بدون انقطاع ، وأتهم إدارات البريد بالتقصير فى القيام بالواجب ، وكنت أطمئن إلى المغالطة المستحبة لتحيد بى عن مجابهة الحقيقة . وما كادت أجراس الهدنة تدق معلنة رجوع الإنسان إلى وعيه وانتفاقه من وحشيته التى لابسته طوال أربعة أعوام ، حتى عقدت العزم على العودة إلى الشرق . عند سفرى إلى أميركا كان الأمل يحدونى ، وقد افتر لى ثغره وابتسم ، فصار حين عودتى منها إلى وطنى يحدونى الشوق والفرح ، فهل ينضحانى يا ترى بأنداء السعادة ؟ كنت فى الذهاب أستحث الباخرة لتصل بى إلى ميدان الجهاد والعمل ، وقد توسلت إليها فى الإياب أن تسرع السير لأصل إلى مقام الحبيبة ، مقر الوالدين ، فهل يلازمنى الحظ فى هذه المرة أيضاً ؟ كان دنو الباخرة من الشرق ينسل خيوطاً من غشاوات غالطت نفسى فى تبين ما وراءها ، ويلقينى فى غبش صبح يتنفس الريب والشكوك ، وكثيراً ما كنت أستيقظ من أحلامى ، أنفض صور الذعر وأطرد الخيالات المرعبة ، ولكننى كنت أتجلد وأبتسم ! . كل شىء فى ميناء الوطن باق على ما كان عليه ، إلا مظاهر مجلوبة ، ورطانة مقتبسة ، يممت المدينة ، لم ألتفت إلى همّة ناشطة فى حركة البناء والتعمير ، بل شقت سيارتى طريقها إلى الجبل . صدمتنى مشاهد بيوت خربة وقرى مهجورة ، أما قريتنا « كفر شيما » مسكن الحبيبة أنيسة فقد كانت مثالاً بارزاً للأطلال الدارسة . أين أبى وأمى ؟ أين أنيسة ؟ أسأل الجار ولا جار ، وسألت الناس وإذا بهم غير الناس . جبت الدساكر المتناثرة حول القرية . لجأت إلى دير « القرقفة » إلى القساوسة ، استعنت بالمجاز على التعرف على أهلى وأقربائى ففزت منهم بفيض من الأخبار المرتجلة والأكاذيب المفتعلة ، والحيرة الكبرى ! ؟ ذهبت إلى مدينة « زحلة » أسأل عن أمى وأبى فقيل لى : إنهما رحلا عن المدينة منذ سافرت ! قد يكون الموت اخترم والدى الشيخين ، ولكن أنيسة ، الريانة الشباب ، الغريضة الصبا ، هل يقوى الموت اللعين على أن يمد لها يداً ؟ هذا محال

بل المحال هو هذا ! نهض من مكانه وأخذ يتمشى بخطوات واسعة ، ولما عاد إلى مجلسه كنت أتخيل أمارات الهلع ترتسم على محياه فتحل عقدة صبره ، وإذا بجبينه تملوه مسحة من أمل. فقال بصوت حازم : لا يستنيم الأمل فى نفسى ولا يهجع . سأترصد الرجاء وأقاوم شبهات اليأس ، وأجد أنيسة . سأجدها لأنى أرى بصيصاً من روحها يشع فى أعماق نفسى ، وأصغى إلى هاتف روحها يدعونى ، إذن سأجدها . استمادتنى أشغالى المتعطلة إلى أميركا ... استغرقتنى الأعمال أو كادت تنحرف بى عن اتجاه بصيص أمل كنت أتطلع إليه . كان خيال « أنيسة » يلازمني دائماً ، فى الفراغ وفى العمل ، ولم أكن أذكر والدى المسكينين إلا قليلاً ، أستنزل عليهما الرحمة أو أكلف قسيساً إقامة صلاة على روحيهما . لم يكن نداء أنيسة آتياً من وراء المجهول ، بل كنت أسمعها وأراها وأحس بها تتقلب على أذرع الوجود ! هل تزوجت ؟ أشقية هى ؟ ! وفى يوم من أيام ربيع عام ١٩٣٧ لج بى لاعج خفى فنازعتنى نفسى ودفعت بى - على رغم منى - إلى العودة إلى الوطن أعيد الكرة فى الاستقصاء والاستخبار . لم أمهل عقلى مهلة ليهديني إلى الممكنات ويريني المستحيلات ، بل لبيت الهاتف الخفى وعدت إلى لبنان . وفى صبيحة يوم بينما كنت أصعد الجبل إلى كروم العنب والتين ، إذا بى ألقى فتاة تحمل سلة على كتفيها مغطاة بورق الدوالى . نظرت إليها فإذا بها وضاحة المحيا ، ساجية الطرف ، مليحة المعارف . استوقفتها فأجفلت . لمحت فى عينيها نور نفس أنيسة . صرخت على رغم منى : أنيسة ، أنت أنيسة ؟ !

وقفت الفتاة مبهوتة بخجل نظرة حيرى من عينين عقيقيتين مغرورقتين بدموع رقيقة وقالت : لست أنيسة يا سيدى ، بل أنا يمنى ، اسمى يمنى .

يمنى ! يمنى من ؟ أين أمك ، من هو أبوك ؟

ألقيت أسئلتى بنبرات سريعة جافة كادت تربك الفتاة ، ولكنى استدركت الأمر بتهدئة اضطرابى فتعمدت الابتسام لأدخل الطمأنينة على نفسها ، فقلت هل لك أن تحدثينى عن والدتك وأين هى الآن ؟ قالت بصوت مختنق : تعيش أنت يا سيدى ! لقد ماتت أمى ومات أبى من زمن بعيد . قلت : أتذكرين صورة أمك وما وصفها ؟ قالت : مات والدى قبل اكتمال وعيي ، وكل ما أعرفه عن أمى أنها ماتت نفساء وأنها تدعى أنيسة الخشناوى ، أما أبى فأرمنى لا يحسن أحد نطق اسمه . واستطردت كأنها أحست تشوق إلى الاستطلاع فقالت : إن عائلة بطرس بك قد ضمتنى إليها ، وقد نشأت واستيقظت نفسي بين أولاده وخدامه .

كادت عبارتها فى وصف يقظة نفسها تشغلنى عن غرضى وقد أحسست بعاملين قويين وثبا علىّ وأغارا على مشاعرى : عامل الأمل ، وقد تحقق بلقيا هذه الفتاة التى لا شك أنها ابنة أنيسة ، وعامل نفسانى يماثل يقظة الحب التى استيقظت حين رأيت أمها إلى جانب والدتى ساعة الوداع فى الهجرة الأولى . رافقتها إلى بيت مخدومها ، وإذ كنا فى الطريق كنت ألمح فيها طمأنينة الطفل إلى جوار أمه ، وكانت ، الأفكار ، والصور ، والتخيلات ومرائى الماضى والحاضر والمستقبل تتعاقب على ذهنى فتزدحم فيه وتكتظ . طلبت من بطرس بك يد خادمته « يمنى » فلم يمانع فى الطلب بل علقه على رضا زوجته التى كان يعز عليها فقد خادمتها اليتيمة التى لا تليق بمقامى المرموق . لم أدع « يمنى » تشمر طوال أيام الخطوبة أنى كنت أعرف أمها ، وقد غام أو كادت تمحى من ذهنى صور الماضى التى تقمصت وانبثقت متجسدة فى شخص « يمنى ». أخذت أوقظ نفسها وأشعرها ، رويداً رويداً ، بوجدانها الذاتى كإنسان له كامل الحق فى وجوده وحريته فى الحياة . كانت تصغى إلى أقوالى بوعي وتتلقفها بعينيها . صرنا نقرأ الكتب فاندمجت روحها بروحى ، وما عتمت أن تحولت من تلميذة نجيبة إلى فتاة تدرك وتدرى وتتذوق وتتمرد . لم تمنيت مطاولة الزمن لأيسر لها مجال الروح فى حلبة الحياة بدراية وفرح ، وكنت أنسى فوارق العمر وقد ناهزت الخمسين ، وهى تشرف على العشرين . لذلك أسرعت إلى عقد إكليلي وقد تطوع بطرس بك وزوجته أن يكونا « إشبينينا » فى الزواج ، وقد أصرت زوجة بطرس بك على إلباس عروسى « فروة » الشيخة إجلالا لفتاة يتيمة انتقلت إلى مصاف الطبقة العليا .

صمت محدثي قليلاً وقد علت وجهه سحابة غبراء ، ولكن ما لبث حتى أشرق جبينه وقال : جعلت أن أنا الرجل الكهل فاتحة غرام لزوجتي الصبية وقلت : أترى تكون بنيتي هذه خاتمة غرامي كما كانت مقدمة كتاب حياتي ؟ كان مجرد هذا الخاطر وقد داهم ذهني ليلة الزفاف ، كافياً لأن يبعث فيَّ حيوية بكراً ، ويدفعني إلى أن آلي على نفسي وقف وجودي وما أملك على زوجتي ابنة حبيبتي . كم غنيت في ساعات الغبطة والهناءة التي كانت تفيضها زوجتي عليَّ أن تطبق بأصابعها أجفاني فأنام أسعد نومة أبدية ، ولكن سرعان ما كنت أنتفض مذعوراً إذ أتخيل استجابة أمنيتي فأقبض بذراعي القويتين على جسم زوجتي البض اللدن أتشبث به كالطفل ، أتمتم بكلمات متقطعات أغمغمها بلا وعي استحياء منها ومن نفسي المتاعة . لا تعجب يا صاحبي إذا قلت لك إني كنت أحيا بشخصيتين ، وأعيش بماضيين ، وقد كنت أقوى على صهر روحي في بوتقة لا دخل فيها ولا زيف ، وعرفت السعادة معرفة حسية ، واستبدلت أنواعاً منها عامة شائعة بنوع لدّني روحي بحت . اذكر يا صاحبي فوارق العمر ، وتنوع الاختبارات ، ولا تنس فواصل العقل ونزعات المشاعر ، ولك أن تقدر بعد هـذا أن اضطرابي وخلجات نفسي ووساوسي ليست سوى مجرد أوزان قلقة لرجل شارف الخمسين من عمره ليعيش في جنون العشرين . ضحكت طويلا من الزمن وانتقمت كثيراً منه ! وسخرت من تقديرات أناس يعيشون في الضباب ويقدرون علة في زهرة لم تتفتح أوراقها في الربيع ، حاسبين وجوب انطباق علم النبات على عالم الإنسان ، جاهلين النفس وعجائب الغريزة وأسرار الروح ، وقد تفتحت أكمام روحي في غير فصل الربيع . سنحت التفاتة مني فلقيت رفاق الباخرة ، الأميركان الطلعة مشرئبين كأن أعناقهم تمتد إلينا لتسمع آذانهم حديثنا ، وكانت هذه الالتفاتة سبباً لانتشال محدثي من أعماق نفسه . أشعل لفافة وأخذ ينظر إلى حلقات دخانها تفنى في الهواء . لم أكن أجرؤ على مطالبته بإتمام حديثه . أطفأ سيجارته ثم التفت ، فلمحت ابتسامة باكية ترتسم على فمه وقال : انقضى الصيف والخريف ، ثم الشتاء والربيع ، وأنا قابع في داري أرتع بنعم تفيضها عليَّ زوجتي المحبوبة ، مشمولا بعناية خاصة منها ، وكانت كلما طمأنت نفسي بالغبطة تهيئها بغريزتها لغبطة جديدة ،

وهكذا كنت أرى الأوضاع مقلوبة كأني أنا وليست هي الطفل الخليق بالتدليل ! لم أكن زوجاً بل أباً ، ولم تكن لي سوى ابنة معبودة ، وكان هذا الإحساس المختلط يحفزني إلى إشعارها بأني زوج قبل كل شيء ، وكان الحياء يصدني تارة ، وتارة أخرى يدفعني إلى إثبات رجولتي ، وكان يجن جنوني كلما دهمني إحساس تخاذل أو فتور ، إنما الشعور بالتخاذل في مثل هذا الحال يخلق الحركة العنيفة دون وعي . أطلقت السيادة للجسد ، وجعلت العقل خادمه المهمل ، اسمع يا صاحبي لا شيء يجعلنا ننحرف عن سبيل هدى الطبيعة سوى عنعنات العقل ، أليس كذلك ؟ واستطرد . كدت أغرق عند شاطئ الغريزة غير حاسب أنها أوسع وعياً من إدراك الإنسان الحكيم ! أقول لك يا صاحبي إن الغريزة امرأة ، والمرأة إرادة ، والإرادة تحايل على البقاء والخلود ، ولكل هؤلاء غاية واحدة هي « حفظ النسل » وقد تجمعت هذه الإدعاءات وانسجمت متوحدة في ذهني حين همست زوجتي في أذني ، « إنا سنصبح أبوين » . سوف أصبح أباً ؟ يا لجنون السرور ، بل يا للسرور المجنون ! أحقاً يكون لي ولد له لطف الملائكة ولغتهم وصفاء السماء وتفتح الزهرة ؟ إذن سأسميه باسم المرحوم والدي ، سيبقى اسم عائلتنا بعدي إلى الأبد ، ولكن أتراني أعيش حتى أراه رجلا يستعجله الطمع في الاستيلاء على أموالي ؟ سيان عندي ... سأعود إلى العمل ، وأضاعف ثروتي لا لتكون حجاباً بين ولدي والفاقة ، بل سلماً يتوقل عليه ليبلغ قمة المجد الزمني . هـذا ما جال في خاطري ساعة وافتني البشرى السعيدة . غدوت يا صاحبي في فردوس من الغبطة والسعادة يرف على خمائلها خيالي الفياض ، وتبدع في زخرفتها وتنميقها تصوراتي . لم أكن ذلك الراعي وقد صدمت هراوته جرة السمن فاندلقت أحلامه ، وتلاشت آماله وأمانيه ، بل كنت ذلك المحارب الهمجي الظافر لم يصده النهم عن الأسلاب والسبايا ولم ينتقص الحرص والحيلة من ادخاره استعداداً لحرب مقبلة . عادت إليَّ أطماعي طافرة وتنبهت هواجسي وظنوني ، خلت الأيدي التي تعمل في إدارة أعمالي تنهب خيراتي ، وصور لي شيطان الحرص أن عمالي الأمناء ائتمروا بولدي ليحرموه ما كسبته طوال أعوام الشباب بعرق الجبين وادخرتها له وحده !

(البقية في العدد القادم) حبيب الزحلاوي



13 me Année No. 606
Lundi - 12 - 2 - 1945

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهـــرس

الاتجاهات الحـــديثة
في الأدب العربي
للأستاذ عباس محمود العقاد

شاعت في الأدب العربي اتجاهات حديثة منذ أوائل القرن الحاضر لم تكن شائعة في عصوره الماضية . ولكنها على هذا لم تزل على اتصال بمناصر الأدب العربي من أقدم عصوره

ومن شأن هذا الاتصال أن يحوط حركة التجديد بشيء من الأناة والتريث ، لأن الأدب العربي متصل باللغة كجميع الآداب في الأمم كافة ، ولكن اللغة عند العرب خاصة متصلة بكتاب الدين الإسلامي وهو القرآن الكريم ، ومن هنا كان الانقطاع بين الاتجاهات الحديثة والمناصر القديمة أصعب وأندر من المعهود في آداب الأمم الأخرى ، وأمكن أن تقاس درجة المحافظة ، أو درجة التجديد ، في كل قطر من الأقطار العربية بمقياس التراث الإسلامي فيه . فحيثما تمكن هذا التراث في جوار الأماكن المقدسة ، أو المساجد الكبرى ، أو المعاهد العلمية العريقة ، فهنالك تزداد الأناة في تلبية الاتجاه الحديث ، ويشتد الحرص على دوام الصلة بين القديم والجديد ، كما يشاهد في أطوار حركة التجديد بالحجاز والعراق والشام وفلسطين وبلاد المغرب ومصر ولبنان

وإلى جانب هذا العامل القوي من عوامل الأناة المقصودة ، يعرض للأدب العربي سببان آخران غير مقصودين ، يعوقانه عن الاسترسال مع كل حركة جديدة وكل اتجاه حديث . وهما

غلبة الأمية وقلة القارئين ، ونقص وسائل النشر لتوزع القراء بين الأقطار العربية وصعوبة توحيد النشر فيها

وقد يظهر اختلال وسائل النشر حتى فى القطر الواحد الخاضع لحكومة واحدة ، كما نرى فى الديار المصرية ، حيث أوشكت القاهرة أن تنفرد بوسائل النشر المنتظم وتعذر قيام المكتبات الناجحة فى غير العاصمة الكبرى

فالاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى تخضع لهذه العوامل التى تحدها عن قصد وروية ، أو عن ضرورة لا قصد فيها ، وهى عوامل يندر أن تجتمع نظائرها فى أدب أمة واحدة ، ولهذا يلاحظ أن الاتجاه الحديث فى أدبنا العربى يجرى فى مجراه بداءة ثم لا يبلغ أقصى مداه الذى يتاح له أن يبلغه فى الأمم الأخرى ، ولا يخلو هذا الحد من بعض الخير ، حين يمنع الاندفاع والاعتساف فى اتباع الدعوات الطارئة ، ولكنه خليق أن يعالج فى جانب التعويق منه ، كلما كان هذا التعويق عارضاً من عوارض النقص والاختلال

وعلى هذا كله قد اتجه الأدب العربى فى أوائل القرن العشرين وجهات محسوسة لم تكن شائعة فى عصوره الماضية بعيدها وقريبها ، سواء فى مبناه أو فى معناه ، أى سواء فى الألفاظ والعبارات ، أو فى المطالب والموضوعات

***

ففى اللفظ تتجه الكتابة العربية إلى التصحيح والتبسيط ، وتنجم فى العالم العربى من حين إلى حين دعوات جديدة إلى إعادة النظر فى قواعد اللغة ، لتيسير الكتابة بها وتعميم فهمها . وتصدر هذه الدعوات عن نيات مختلفة لغايات متباينة . ولكنها قد تنقسم فى جملتها إلى قسمين اثنين : أحدهما يراد به تغليب اللغة الفصحى ، والآخر يراد به تغليب اللغة - أو اللهجة - العامية وإحلالها محل الفصحى فى الكتابة والخطابة وأحاديث المعيشة اليومية .

وكل ما يبدو من مصير هذه الدعوات أن الأمر لا ينتهى بانفراد اللغة الفصحى ولا بانفراد اللغة العامية فى الكلام المكتوب . وإنما يدل الاتجاه الظاهر — إلى يومنا هذا — على إمكان العزل بين الموضوعات التى تستخدم فيها كل من اللغتين . فتستخدم العربية الفصحى فى الموضوعات العامة الباقية ، وتستخدم العربية العامية فى الموضوعات المحلية الموقوتة ، ومنها لغة الكثير من الروايات التمثيلية سواء فى المسرح أو فى الصور المتحركة ، وكأنهم يحسبونها بهذه المثابة من الكلام المسموع الذى نمر به فى المسرح كما نمر فى الأسواق والبيوت ، ولا يشعر من يسمعه بالانتقال من بيئة المعيشة اليومية إلى بيئة التعليم والثقافة ، وقد يساعد على الترخص فى لغة التمثيل أنها لا تكتب الآن ولا تؤلف للبقاء الطويل ، وإنما تؤلف لموسم بعد موسم ، وقلما تعاد بعد انقضاء مواسمها

أما موضوعات الكتابة العربية ، فأول ما يلاحظ فيها غلبة المنثور على المنظوم ، خلافاً لما كان معهوداً فى معظم العصور ، قبل بداية القرن العشرين .

ولا بد من انتظار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة . ولكننا نستطيع أن نلمس منذ الساعة ، سببين بارزين يفسران لنا هذا الاتجاه الجديد فى تاريخ العصور الأدبية : أولهما أن الشعر كانت له فى العصور الماضية طائفة نافذة السلطان تشجعه وتتكفل بقائليه ، وهى طائفة الممدوحين من العظماء والسراة وأصحاب المصالح السياسية ، ولا سيما فى الزمن الذى كان النظم مفضلا فيه على النثر فى الدعوات السياسية لسهولة حفظه على الأميين وغير الأميين . وثانيهما أن الشعر قد شورك مشاركة قوية فى بواعثه ودواعيه عند جمهرة القراء من غير طبقة السادة والعظماء . فإن جمهرة القراء يجدون اليوم منافذ كثيرة للتعبير عن العاطفة والترويح عنها فى الروايات الممثلة والروايات المقروءة وما يذاع من الأغانى أو يحفظ فى قوالب الحاكى ويردد فى المحافل العامة ، فضلا عن الصحف والمجلات وسائر النشرات . وكل أولئك كان ميداناً وحيداً للشعر أو كان ميداناً للشعراء يوشك أن ينفردوا فيه .

ويلاحظ بعد هذه الملاحظة العابرة عن الشعر والنثر ، أن نصيب القصة فى الكتابة المنثورة آخذ فى الازدياد والانتشار ، وأن فن القصة العربية قد تقدم فى الربع الثانى من القرن العشرين تقدماً لم يعرف له مثيل فى ربعه الأول ولا فى القرن الماضى الذى ازدهر فيه فن القصة بين الآداب العالمية . وفى بعض القصص التى تؤلف فى هذه الفترة نزوع إلى ما يسمى بالأدب المكشوف ترتضيه طائفة من قراء الجنسين ، ولا يقابل بالرضى عنه من جمهرة القراء

ثم يلاحظ مع هذا أن الترجمة تنقص فى هذا الربع الثانى وأن التأليف يزداد ويتمكن فى كثير من الأغراض .

ولعل مرجع هذا إلى نمو الثقة بالنفس فى الأمم العربية ، وإلى ظهور طائفة من الكتاب يستطيعون الكتابة فى موضوعات مختلفة ، كانت وقفاً على الترجمة قبل ثلاثين أو أربعين سنة .

وهنا أيضاً يحسن بنا أن ننتظر أطوار الزمن قبل الحكم بدوام هذه الحالة أو زوالها وارتهانها ببعض الأسباب الموقوتة

لأن نشاط التأليف في السنوات الأخيرة قد يرجع إلى عوارض مستحدثة في الحرب العالمية الحاضرة ، ومنها قلة الوارد من الكتب والمطبوعات الأجنبية ، واتساع الوقت للقراءة واللبث بالمنازل في الليالي التي قيدت بها الإضاءة ومواعيد السهر في الأندية العامة ، ومنها ضمور حجم الصحف والمجلات وفرض الرقابة على المنازعات السياسية التي تشغل طائفة كبيرة من القراء ، ومنها حالة الرواج التي يسرت أثمان الكتب لمن لم تكن ميسرة لهم قبل سنوات .

فإذا استقرت هذه الأسباب جميعها في قرارها بعد تبدل الحال وضحت الحقيقة في حركة التأليف ووضحت كذلك في حركة الترجمة ، لأن الترجمة قد تعود إلى رجحانها بعد تدفق المؤلفات الأجنبية التي تعالج مشكلات العالم في منابتها الأولى ، وقد يكون تدفق هذه المؤلفات موجباً للكتابة في موضوعاتها والتعقيب عليها دون ترجمتها

أما أغراض الأدباء من موضوعاتهم وكتاباتهم ، فالربع الثاني من القرن العشرين حقيق أن يشهد فيها انشعاباً لم يسبق إليه قط بين المدرستين الخالدتين على مدى الزمان ، ونعني بهما مدرسة الفن للفن ، ومدرسة الفن لخدمة المصالح الاجتماعية أو المصالح السياسية

فمنذ وُجد الأدب وجد الأدباء الذين يكتفون بالتعبير لجماله وإعرابه عن سرائر النفس الإنسانية ، ووجد الأدباء الذين يعبرون ليرجّحوا دعوة على دعوة ، أو يقنعوا الناس بمذهب من مذاهب الإصلاح ويحركوهم إلى عمل مقصود .

ولكن الآونة التي نحن فيها تجنح بالناس إلى التفرقة الحاسمة بين المدرستين الخالدتين ، لأنها ليست تفرقة بين رهطين من الأدباء وكفى ، ولكنها تفرقة بين نظم حكومية وطبقات اجتماعية ودعوات فلسفية لا تزال عرضة للمناقشة في صدد المعيشة اليومية وصدد التفكير والدراسة . إذ كان من قواعد الاشتراكية المتطرفة أن الطبقة الاجتماعية الغالبة على الحكم في حل من تسخير الآداب والفنون والعقائد لخدمة مصالحها وتمثيل عاداتها وآمالها . فإذا أضيف القائلون بهذا الرأي لأنهم يدينون بالاشتراكية إلى القائلين به لأنهم ينكرون مذهب الفن للفن عامة ، فقد أصبحت الآونة الحاضرة في الحقيقة آونة النظر في المدرستين الخالدتين على وجه من الوجوه .

وقد ظهر في اللغة العربية بعض القصص ، والدراسات التي تتناول المسائل الاجتماعية ، وتصور الغنى والفقير ، والرجل والمرأة في صورة تستحث النفوس إلى طلب الاصلاح والتغيير . ولا تزال تظهر فيها قصص ودراسات تصور الحالة في صورتها الفنية وتترك العمل المترتب على ظهورها في هذه الصورة لشعور القراء .

ولكننا نعتقد أن مصير الخلاف بين المدرستين ، كمصير الخلاف بين دعاة الفصحى ودعاة العامية ، فلا تنفرد مدرسة الفن للفن بالميدان ، ولا تنفرد به مدرسة الفن لخدمة المقاصد الاجتماعية ، لأن أنماط الكتابة والتفكير لا تفرض بالإملاء والإيحاء ، وإنما تفرضها على الأديب سليقته ومزاجه . فمن غلبت فيه سليقة المصلح على سليقة الفنان ظهرت الدعوة في كتابته عامداً أو غير عامد ، ومن غلبت فيه سليقة الفنان على سليقة المصلح لم يفده إكراهه على الدعوة ، إلا أن يقتسر طبعه على غير ما يحسنه ويجيد فيه ، ولن تخلو الدنيا من أصحاب السليقتين .

وقد أسلفنا في صدر هذه الكلمة أن درجة المحافظة — في كل قطر من الأقطار العربية إنما تقاس بمقياس التراث الإسلامي فيه ؛ فحيثما تمكن هذا التراث في جوار الأماكن المقدسة أو المساجد الكبرى أو المعاهد العلمية العريقة فهناك تزداد الأناة في تلبية الاتجاه الحديث.

ولا تصدق هذه الملاحظة على شيء صدقها على الدعوات الاجتماعية التي تمس قواعد الدين . فإن درجة النفور منها تكاد تتمشى في الترتيب بين الأقطار الإسلامية على حسب المعاهد العريقة التي فيها وحسب منزلتها في القداسة والرعاية الدينية ، وذلك هو شأن الأقطار العربية في كل تجديد له علاقة بالعقيدة الإسلامية من قريب أو بعيد .

وإذا أردنا أن نوجز القول في وصف الاتجاهات الحديثة بجملة القول في وصفها ، بعد هذه اللمحات عن مبناها ومعناها ، أننا نعبر الآن فترة البداية في الاستقلال والثقة بالنفس ، وأن هذا الاستقلال يتجلى حيناً في التحرر من القديم ويتجلى حيناً آخر في التحرر من الجديد .

فقد مضى زمان كان يكفي فيه أن يكون الشيء قديماً ليحكي بلا تصرف ولا مراجعة ، ومضى بعده زمن كان يكفي فيه أن يكون الشيء أوربيا أو حديثاً ليحكي بلا تصرف ولا مراجعة ، فهذا الربع الثاني من القرن العشرين قد عرف أناساً يأبون التقيد بكل قديم لأنه قديم ، كما يأبون التقيد بكل جديد لأنه جديد . ومن الناس اليوم من يوصف بالابتكار والجرأة لأنه يستمسك بقديم كان الاستمساك به وقفاً على الجامدين ، ومنهم من يوصف بالجمود والمحاكاة لأنه يعجل إلى الجديد الذي يستحب على سنة التقليد . ولعل الحقيقة المقبلة هي التي يكتب لها أن تثبت قدم الاستقلال وتطلق الآراء من حجر القديم والجديد على السواء .

عباس محمود العقاد

أبو العـــلاء المعرى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٣ —

الأشاؤم والمتشائمون

لما شاء الله أن يثب قَبيل من نامية الله[1] تلك الوثبة ، أن يطفر تلك الطفرة ، وليست الطفرة على ذى القدرة والحول بمحال ، واعتدلت القامات و [لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم] وتحركت الألسنة بعد حين من الدهر طويل بتلك اللهجات البينات ، وكرّم الله أناسىَّ كثيراً على سائر المخلوقات بالذى دعته اللغات (العقل) وهو نعمة الله الكبرى ، وفضيلة الإنسان على غيره العظمى

[ولقد كرّمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا]

« اللبابُ أهلُ الألباب ، ولكل حيوان حس[2] ولكن الله فضل الناطقين[3] »

لما كان الذى سمته الإفرنجية Evolution وصرنا إلى أفق الإنسانية الذى ذكره ابن خلدون ووضحه وفصّله النشوئيون تفصيلاً [وقد خلقكم أطواراً] ونجم فى الأدمغة ذلك (الفكر) المضىء ، وهو خير ما فى الدنيا ، بل هو كل ما فى الدنيا - كما يقول العلامة بوانكريه - ومحلُّ العقل (الدماغ) كما ذهب إلى ذلك أبو حنيفة وأرنست هيكل لا القلب - كما يقول الشافعى - واستنبط الحجى معانى للأشياء كانت خافية قبل ذلك (الارتقاء) ، وهشت النفوس وبشت بما ترى العيون ، وأقبل (الإدراك)

---

(١) نامية الله : خلقه لأنهم ينمون .

(٢) فى (الامتاع والمؤانسة) لأبى حيان التوحيدى : فأما أنفس أصناف الحيوان كالفرس والحمار فنها أنفس ناقصة غير كاملة ، وهى ضعيفة لأنها لم تجد إلا الاحساس والحركات ، ولم يشع فيها نور النفس الشريفة ، ولم ينبث فيها شعاع العقل الكريم ، فوجب من هذا الوجه أن تكون تابعة لأبدانها جارية على فسادها وبطلانها ، لأن الحكمة انتهت إلى ذلك الحد وكونها حذراً لهذ العا. وزينة ومنافع ومبالغ إلى غايات وأعراض .

(٣) أبو العلاء فى (الفصول والغايات)

وأتى (الفهم) فادرك المحسوس[1] أو المحس ، وفُهِم المنظور ، والحسّ البحث والنظر الصرف كما يشعر غير الناطق ويلمح من دون فكر وفهامة هما كلا شىء ، كونهما مثل العدم ، إن الهناءة والسعادة فى البصيرة لا البصر ،

لما ارتقينا وعقلنا وعلمنا وبنينا وحفرنا وغرسنا وتلونا :

[هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها]

[هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا]

وقال الشيخ فى (الفصول والغايات) :

« إن شاء الملك قرَّب النازح وطواه حتى يطوف الرجل فى الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر ، طوفه بالكعبة حول قاف[2] ثم يؤوب إلى فراشه والليلة ما همت بالأسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من تِهامة[3] فيوقد بها ناره فى يَبرين[4] وقاصية الرمال[5] » خفقنا قوله ، وطار فى الجو أو فى السُّمَّهى[6] مثل الطيور الطائرون ، وسمعنا فى دمشق سرار القوم بله الطنطنة[7] فى برلين وفى لندن وفى باريس وواشنطن ، وبله الطَّطْمطة[8] فى ميادين القتال . وأورى (مركونى) ما أورى وهو فى سفينته فى بحر الروم فأضاءت (سدنى) فى أقصى الأرض [ويخلق ما لا تعلمون] ،

لما قطعنا ما قطعنا ، وبلغنا ما بلغنا ، ومشينا اليَقْدُمِيَّة[9] ، وحمدنا وشكرنا و « الحمد لله رب العالمين » طلعت علينا أجواق تذم الوجود ، وتهجو الحياة ، وتُطرى العدم ، وتلعن الدنيا ،

---

(١) ورد (المحسوس) فى الفصول والغايات ص ٣٢٣ وفى مقدمة المخصص ج١ ص ٢ ، ١٠ ونقد الجواليقى المحسوسات فى (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة) فقال ابن برى : كثيراً ما يستعمل هذه اللفظة أبو على الفارسى وأبو عمران الصقلى على جلالتهما فى العلم فيقولون كل محسوس معلوم وليس كل معلوم محسوسا

(٢) قاف : جبل محيط بالأرض . . وقاف فى سلع الذى هو جبل فى المدينة : يثرب . والمقصود فى كلام الشيخ هو الأول .

(٣) تهامة : مكة ، وبلاد شمالى الحجاز .

(٤) يبرين : من أصقاع البحرين ، ويبرين قرية من قرى حلب .

(٥) رويت هذه الشذرة فى إحدى مقالاتى فى (الرسالة) ٢٥٠ ص ٦ فى ١٧ صفر ١٣٥٧ ، وعنوان المقالة (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) .

(٦) السمهى : الهواء ، الجو .

(٧) الطنطنة : كثرة الكلام والتصويت به .

(٨) الططمطة : تتابع الأصوات فى الحرب وغيرها .

(٩) اليقدمية : التقدم بهمة والأفعال .

وفى (الفائق) فى حديث ابن عباس : أن ابن أبى العاصى مشى اليقدمية ، وأن ابن الزبير مشى القهقرى . أى المشية اليقدمية التى يقدم بها الناس أى يتقدمهم وروى بالتاء غلطا .

وتكنيها بأم دَفْر وأم دَرّن ، وتصفها بأنها دار قُلْعة[١] ، منزل قُلَعة[٢] ، وتسمى خيراتِها حطاما . وجاء فوج أنكر كونها ، ولم يجد لها مثلاً ؛ « قيل لبعضهم : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وما الدنيا ؟ لا أعرف لها وجوداً » وقيل لآخر : ما مثل الدنيا ؟ قال : هى أقل من أن يكون لها مثل » وتمادى محمد بن واسع فى استحقارها بل جاز المدى « قيل له : فلان زاهد ، قال : وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها ؟ » وأقبل الحجاج بن يوسف متقرئاً متحنثاً[٣] فقال فى إحدى الخطب : « والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتى هذه ؛ ولمَا بقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء » وتالله لو لا أن هـذا الكُهاكه - وكان الحجاج قصيراً أصغر كهاكها[٤] - أيدى إلى العربية تلك اليد ، وتقرب إلى (الكتاب) ذلك التقرب الكريم المشتهر ، وولع بالقرآن ولعاً كبيراً حتى قال عمر بن عبد العزيز : « ما حسدت الحجاج على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله » لو لا كل ذلك لسخطنا وأطلنا القول فيه وبدا (الوليد) متحذلقاً متفلسفاً فى هذه المقطوعة التى أخرجته من بغداد :

أخىَّ ، متى خاصمت نفسك فاحتشد
لها ، ومتى حدثت نفسك فاصدق
أرى علل الأشياء شتى ولا أرى التجمع (م)
إلا علـة للتفـرق
أرى الدهر غولاً للنفوس وإنما
يقى الله فى بعض المواطن من يقى
فلا تتبعْ الماضى سؤالك لم مضى؟
وعرج على الباقى وسائله لم يبقى؟
ولم أر كالدنيا حليلة صاحب
محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عيانا (وهى صنعة واحد)
فتحسبها صنعَى لطيف وأخرق[٥]

ومن قوله يذم جميع الناس :

(١) قلعة : اقتلاع ، تحول وارتحال .

(٢) منزل قلعة : المنزل الذى لا تمسكه ، والقلعة من المال مالا يدوم

(٣) « المتقرىء » المتنسك « المتحنث » المتعبد .

(٤) « الكهاكه » هو الذى إذ نظرت اليه كأنه يضحك وليس بضاحك من الكهكهة (الفائق) .

(٥) فى « أمالى المرتضى » : قيل : ان السبب فى خروج البحترى من بغداد هذه الأبيات ، فان بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي حيث قال « صنعى لطيف واخرق » وكانت العامة حينئذ غالبة على البلدة ، فخاف على نفسه ، وقال لابنه أبى الغوث : قم يا بنى حتى نطفىء هذه النائرة بخرجة نلم بها شعثنا ونعود ، فخرج ولم يعد .

إن الزمان زمان سـو
وجميع هـذا الناس بو[١]

وأطال علينا أحمد بن الحسين الكندى مجهوراً هذا الكلام[٢] :

إذا كان الشباب السكر والشيب هماً
فالحياة هى الحمام

هـل الولد المحبوب إلا تعلة
وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل
وما تسع الأزمان علمى بأمرها
وما تحسن الأيام تكتب ما أملى
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده
حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

يقول ابن الأثير فى كتابه (الوشي المرقوم فى حل المنظوم) : « كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٦٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبي الطيب المتنبى دون غيره ، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك ، فلم يذكروا لى فى هذا شيئاً ، ثم إنى فاوضت عبد الرحمن بن على البيسانى (القاضى الفاضل) فى هذا فقال لى : (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال » فهل نطق المتنبى بتلكم الأبيات عن خواطر الأناسين ، أم لقابها عن سوانح الشياطين ، إنهم الشعراء يفتلتون[٣] « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون » و « الشعر للخَلَد[٤] مثل الصورة لليد ، يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر ما لو طولب به لأنكره[٥] » . « وإذا رجع إلى الحقائق فنطقُ اللسان ، لا ينبئ عن اعتقاد الانسان[٦] »

ودهمنا ابن الشبل البغدادى هتاتاً[٧] جدّافاً[٨] يردد هذا الشعر[٩] :

صحة المرء للسقام طريق
وطريق الفناء هـذا البقاء

(١) أصل البو - كما فى اللسان - جلد الحوار يحشى تبنا أو ثماما أو حشيشا لتعطف عليه الناقة اذا مات ولدها ثم يقرب إلى أم الفصيل لترأمه فتدر عليه . والعرب لم تشتق فعلا من البو وقد وضع الشيخ ابرهيم اليازجي للفظة الافرنجية empailler « بوى » وهى لفظة صالحة .

(٢) جهور الكلام : فخمه .

(٣) الفلتة الكلام يقع من غير إحكام وقد افتلته وفى الأساس : افتلت الكلام : ارتجل ، وكل شىء فعلته فلتة فقد افتلت .

(٤) « الخلد » القلب ، النفس .

(٥) أبو العلاء فى مقدمة « سقط الزند » .

(٦) أبو العلاء فى « رسالة الغفران » فى أثناء حديث عن المتنبي .

(٧) « هتات » مهذار كثير الكلام .

(٨) جدف بنعمة الله : كفرها واستقلها . وفى حديث : لا تجدفوا بنعم الله .

(٩) ذكره ابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » وياقوت فى « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وقالا ان وفاته كانت سنة ٤٧٤ ولم يبينا وقت مولده ، وأطرياه كثيراً ، وأوردا قصيدتيه الرائية والهمزية وطائفة من شعره .

بالذى نفتدى نموت ونحيا … أقتل الداء للنفوس الدواء

قبح الله لذة لأذانا … نالها الأمهات والآباء

نحن لولا الوجود لم نألم الفقد (م) فإيجادنا علينا بلاء

ليت شعرى وللبلى كل ذا الخلق (م) بماذا تميز الأنبياء

موت ذا العالم المفضل بالنطق (م) وذا السارح البهيم سواء

لا غوىٌ لفقده تبسم الأرض (م) ولا للتقىّ تبكى السماء

إنما الناس قادم إثر ماض … بدء قوم للآخرين انتهاء

بربك أيها الفلك المدار … أقصد ذا المسير أم اضطرار ؟

مدارك قل لنا فى أى شىء … ففى أفهامنا منك انبهار

وعندك ترفع الأرواح أم هل … مع الأجساد يدركها البوار

ودنيا كلما وضعت جنيناً … غذاه من نوائبها ظؤار

هى العشواء ما خبطت هشيم … هى العجماء ما جرحت جُبار

نعاقَب فى الظهور وما وُلدنا … ويذبح فى حشا الأم الحوار

وننتظر الرزايا والبلايا … وبعد فبالوعيد لنا انتظار

ونخرج كارهين كما دخلنا … خروج الضب أحرجه الوجار

فماذا الامتنان على وجود … لغير الموجَدين به الخيار ؟

وكانت أنعماً لو أن كونا … نُخَيَّر قبله أو نستشار

لقد استأسد ابن الشبل على الحق ، وبالغ فى المغلطة والعلطة[1] ، ولقد عجبنا إذ سمعنا المقترح ، وأطلنا الكركرة والقهقهة . إنّ على مبدعنا أن يستشير تلكم الذريات (أعنى الأناسية) فى الكون أو فى العدم ، ويقول لها : « انت على التخير » أنت بالمختار ، أنت بالخيار . ولها أن تنعم أو تُلالى[2]

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخِيَرة ، سبحان الله وتعالى عما يُشركون »

ذرية الأنس لا تزهوا فإنكم[3] … ذرٌّ يُعدون أو نملا تضاهونا

إنّ الأناسىّ لم يتمثلوا بشراً أو أبشاراً أسوياء إلا من بعد آلاف من الحقب ومن بعد أطوار مختلفات كثيرات لا يعلم عددها إلا الله . ومثل ابن الشبل إنما نشأ ذريرة لا تكاد ترى بالمجهر protiste « ثم أنشأناه خلقاً آخر » درّجته سنة الله إلى حيث انتهى أو ارتقى . وكان لا يحس فى وقت ولا يسمع وما عقل – إن عقل – إلا بالأمس ، ففى أى طور وفى أى حين يُخيّر أو يستشار ؟

(١) المغلطة : تخليط الخبر « المسعفة » الكلام على غير نظام .

(٢) تلالى : تقول : لا . فى « الخصائص » : إن كثيراً من الأفعال مشتق من الحروف نحو قولهم : سألتك حاجة فلو ليت لى أى قلت لى : لولا وسألتك حاجة فلا ليت لى أى قلت لى : لا . واشتقوا أيضا اسم المصدر ، وهو اسم من الحرف فقالوا اللالاة والبولاة

(٣) أبو العلاء

« إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » أو رآه قد احتسى من بحر علم الله حسوة !

***

إنّ قوماً لم يريدوا أن يكونوا ، وما أحبوا أن يكون غيرهم ، ذموا الدنيا ذاك الذم ، وصبغوها للناظرين بأردأ صبغ ، بأبشع صبغ : « غرارة ضرارة ، حائلة زائلة ، نافدة بائدة ، أكالة غوالة[1] » كما يقول قطرى ، إن كان قال هذا . وهجوا قطين الأرض ، أهل الدنيا شر هجاء :

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها … ما فى البرية كلها إنسان[2]

أتمنى على الزمان محالاً … أن ترى مقلتاى طلعة حر[3]

زمان يمر ، وعيش يمر … ودهر يكر بما لا يسر

وحال يذوب ، وهم ينوب … ودنيا تناديك أن ليس حر[4]

وإذا سمعوا المتفائلين الخلص يقولون : (ليس فى الإمكان أبدع مما كان) تحدوهم صائحين: (ليس فى الإمكان أقبح مما كان)

وما النجاة عندهم لمرتجى خلاصه مما يقاسى ويرى إلا فى الانتحار

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً … وحسب المنايا إن يكن أمانيا

ولهم فى قتل الناس نفوسهم وتزيينه أقاويل ، شرحها طويل .

وهؤلاء القوم الذين سماهم المصطلح العربى بالمتشائمين واسمهم بالفرنجى (Pessimistes)[5] بسيمست . إما أن يكونوا إلهيين ، وإما أن يكونوا دهريين .

« وقالوا : ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يُهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إن هم إلا يظنون »

ودان أناس بالجزاء وكونه … وقال رجال : إنما أنتم بقل[6]

ضل الذى قال : البلاد قديمة … بالطبع كانت والأنام كنبتها

وأمامنا يوم تقوم هجوده … من بعد إبلاء العظام ورفتها[7]

(١) من خطبة أوردها الجاحظ فى « البيان والتبيين » وابن عبد ربه فى « العقد » وروى قسما منها ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » وعزاها هؤلاء إلى قطرى بن الفجاءة . ورواها الرضى فى مجموعة « النهج » وقال شارحه ابن أبى الحديد : « قد رأيتها فى كتاب « الموفق » لأبى عبيد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين (عليه السلام) وليس يبعيد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره وقد لقى قطرى أكثرهم » قلت : صائغها عندى مجهول .   (٢) ابن الهبارية .

(٣) الديبهى من شعراء اليتيمة .   (٤) ابن مقلة .

(٥) صاحب هذه المقالة هو شوبنهور Schopenhaur وصاحب مقالة التفاؤل Optimisme هو ليبنز Leibnez والرجلان جرمانيان ، ومقالتاهما متعاندتان . فى المخصص لابن سيده : « تعاندت الآراء إذا لم تتفق ، وهو خلاف تعاضدت ، وأحسبها لفظة فلسفية » .   (٦ و ٧) أبو العلاء

فإن كانوا من الاولين فهل يحق إلا الإيقان كل الإيقان بأن ليس ثمة إلا الحكمة التامة والإتقان

« ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت »

« صنع الله الذى أتقن كل شىء »

« الذى أحسن كل شىء خلقه »

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟ »

والله أعلم من كل عليم وأحكم من كل حكيم

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » ؟

وخلقك من ربنا حكمة لقد جل عن لعب أو عبث[1]

وإن كانت برهمية وبوذية ترياك الكون شراً ، فليست البرهمية والبوذية على شىء ، ولا يحتسب بمثلهما[2] . وإن عدها (أرثر شوبنهور) أكمل الأديان طراً من أجل هذا المعتقد

نعم « ما الدنيا إلا عمرى[3] ولاخلود إلا فى الأخرى[4] » و« والدنيا قنطرة[5] » قنطرة الآخرة؛ لكن هل علينا أن نقعد فى القنطرة نشهق ونزعق ، ونخمش الوجوه ، ونلطم الخدود ، ونلدم الصدور حتى يجىء الأجل ، حتى يجى وقت النقلة ، و (الكتاب) يقول :

« ولا تنس نصيبك من الدنيا »

ونطق (الكتاب) فصل الخطاب

وإن كان القوم المتشائمون من الآخرين فسوف يسألون : هل علمتم كيف كنتم ؟ هل علمتم كيف كانت داركم ؟ إنها كانت داراً تستعمر استعماراً ، ولم تزل بقايا خبايا فى الزوايا تضطرم . فاقرءوا تاريخها ، واقرءوا تاريخكم ، وفتشوا صحائف الأنساب «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً»

وانظروا كيف عادت[6] (محلة)[7] كيف عادت هذه (الغبراء) ، وانظروا كيف عدتم بشراً ، وكيف سدتم أقربين وأبعدين . وإن تأخرمن عترتكم متأخرون إذ تقدم متقدمون ، فتعلموا أن السابقين والمتوقفين المتمكثين لم يبرحوا فى البدء ، لم يبرحوا فى أول الطريق ، لم يبرحوا فى الطور الشمبنزى كما قال توماس أدسن :

أشبه بعض ببعض فما تزال الشمائل قربه[1]

فأجدر بالدهريين الذين ينشدون :

اجتنب ما سخرت جهـ ـلاً له هذى الخليقه

رغبوا فى باطل زور زهد فى الحقيقه

ليس إلا ما تراه أنا أدرى بالطريقه[2]

خذ من الدنيا بحظ قبل أن ترحل عنها

فهى دار لا ترى من بعدها أحسن منها[3]

فلا يرون أن هناك دارين ، وأن هناك معنيين : معنى هذى، ومعنى تلك ، بل يقولون : كل شىء معناه ومنتهاه فيه — أجدر بهؤلاء ألا يكونوا من المتشائمين فى حين . ومقالهم هذا المقال .

* * *

إن الفتى بكونه سعيد ، بكونه حسب ، قد سعد بما وجد — كما يقول الإنكليز — فذروا التشاؤم فى الحياة يا أيها الناس ، وابهجوا أنفسكم ، واجتذلوا لعلكم لا تحزنون . كونوا من المتفائلين ، من أهل الفؤول[4] ، ولا تشاءموا ولا تطيروا وتمثلوا بهذا البيت وقد تمثل به رسول الله كما ذكر الشيخ فى رسالة الغفران :

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما يقال لشىء كان إلا تحققا

وكان (صلى الله عليه وسلم) كما روت أحاديث — يتفاءل ولا يتطير

وكونوا إيثاريين أثريين فى هذا الوجود كيما تقوا أنفسكم ، وكى تصونوا جنسكم ، وتسعدوا وترتقوا . إن الأثرية والإيثارية هما الفضيلتان العظميان متحدتين لا مفترقتين ، وأولى لأثرى كفر بالإيثارية ثم أولى ! وأولى لإيثارى لم يؤمن بالأثرية ثم أولى . إن الأول شرير شيطان من الشريرين ، وإن الثانى — إما كان — لذو جِنة فى المجانين

واستمعوا لما يقول شيخنا أبو العلاء ، فقد أعلنت أقواله الحقيقة وهدت إلى الطريقة ، وعززت شريعة المتفائلين . وفندت مذهب المتشائمين ، وبينت للناس كيف يحيون ، وكيف يقوون ، وكيف يسيرون فى هذا الوجود .

---

(١) أبو العلاء . (٢) لا يحتسب به : لا يعتد به .

(٣) العمرى ما تجعله للرجل طول عمرك أو عمره . قال ثعلب : أن يدفع الرجل إلى أخيه داراً فيقول : هذه لك عمرك أو عمرى ، أينا مات دفعت الدار إلى أهله ، وكذلك كان فعلهم فى الجاهلية « اللسان » .

(٤) الزمخشرى . (٥) من أمثالهم .

(٦) العود بمعنى الصيرورة ، وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لاتكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ، ماعدت أراه ، عاد لايكلمنى ، ما عاد لفلان مال « الكشاف » .

(٧) محلة : الأرض ، وكملة السهلة

---

(١) أبو العلاء .

(٢) لأبى محمد عبد الولى رواها صاحب « نفح الطيب » .

(٣) رواها « النفح » ولم يسم قائلها : وذكر قولا لأبى عمران موسى بن سعيد فيها بعدها قال : وهذا كفر صراح ، وقائله قد تقدس كفراً ، اللهم غفراً ! (٤) الفؤول : جمع الفأل .

علل المجتمع المصرى

للدكتور محمـد صبرى

أحمد بن طولون — أو سمه ما شئت — باشا بن باشا ، له جاه ومال ، درس القانون وحاز الليسانس ثم وثب فى المناصب وأصبح رئيس مجلس شيوخ ثم عضواً فيه ، فاذا كتبت إليه خطابا وقلت « حضرة صاحب السعادة احمد باشا بن طولون عضو مجلس الشيوخ » ثارت ثائرته وصخب بل زأر وبربر وقال « أنا رئيس مجلس شيوخ سابق ووزير سابق فيجب أن تذكر ألقابى » ... حتى فى العنوان الذى لا يقرؤه إلا ساعى البريد وغيره من « سعاة »

وقد بلغ بنا التعلق بالألقاب الجوفاء أن المجمع اللغوى وهو هيئة محترمة اشتهرت بالدقة فى التعبير قد رشحت أخيراً لرئاستها رسمياً سعادة « الدكتور » احمد لطفى السيد باشا ، ولطفى باشا ليس دكتوراً ، ولكنه أستاذ الأساتذة ومربى قادة الفكر الحديث ، وكان يمضى مقالاته فى الجريدة « احمد لطفى السيد » وهذا الاسم فى غنى عن كل لقب وتعريف . وقد يجهل الكثيرون أن احمد لطفى السيد كان الكاتب الأول لرسائل الوفد المصرى إلى مؤتمر السلام إبان الثورة ، وأن مجموعة هذه الرسائل كانت توازى بدقة أسلوبها السياسى وبراعته واتزانه خير ما جادت به القرائح من أمثالها فى الغرب

ولو كانت العبقرية المصرية عبقرية بناء لا عبقرية هدم ، لعرف القاصى والدانى هذه الحقيقة ، ولكان التفاخر بشخصياتنا وآثارهم عاملا من أكبر العوامل التى تساعد على تجديد كياننا وتدعيمه. ولو عرف شبابنا أن هذه الشخصيات المنزوية فى جلالة الصمت وأبهة الشيخوخة — لانها لا تعرف التهريج — لم تتكون إلا بعد جهد مضن وحياة مملوءة بالتضحية والتعلق بالمثل العليا ، لخففوا من غلوائهم وعلموا أن الوظائف والدرجات ليست هى كل غايتنا فى الحياة ، وانه ليس مما يشرفنا أن تقوم من أجلها فى هذا البلد الطيب ثورة اجتماعية أصبح ضجيجها على الأبواب

ولكن شبابنا قد اندفع فى تيار الديماجوجية الصاخبة فأصبح يضرب عن تلقى العلم ويتلمس لذلك أوهى الأسباب ، وأصبحت الوظيفة مطمحه الأسمى فى الحياة . وقد ساعد بعض قادة أمورنا على انتشار هذه الروح لانهم يريدون تأييد السواد الأعظم لهم شقيت البلاد أم سعدت (وبعدى الطوفان ...)

وقد أصبح سلطان الوظيفة عظيما فى مصر حتى أن بعض كبار الموظفين المجردين من كل ثقافة يصيرون أعضاء فى لجاننا العلمية « بحكم الوظيفة » وحدها ، ولو أقصتهم اللجان عنها لحاربوها ..

ومن البينات على سلطان الوظيفة ان بعض الوزراء ووكلاء الوزارات لا يكادون يتركون الحكم حتى تترامى الشركات الأجنبية على أحضانهم وتعرض عليهم المناصب الكبرى الصورية أو غير الصورية فى إدارتها . والواقع أن هناك سياسة عامة متصلة الحلقات متساندة يشد بعضها بعضاً ترمى إلى أغراض واضحة معينة .

وقد كانت الوظائف مستقرة إلى حد قبل الثورة ثم صارت قلقة مقلقلة كأنما أصابها مس من الشيطان ، ولا شك أن الثورة والاضطراب الطبيعى الذى نفثته فى الحياة العامة ، ولا شك أن تكاثر الأحزاب وتعددها ووجود الحياة البرلمانية كان لها أثرها فى « تفاعلات » الوظيفة وتقلب الوجوه عليها من وصوليين ومرائين واللاعبين على الحبل وماسكى العصا من الوسط ..

وقد أخبرنى رئيس حزب كبير فى سويسرا مرة أن مصيبة الأحزاب أنها تفتح ذراعيها لكل من هب ودب من أنصارها (وكل يدعى حباً لليلى . .) فاذا كانت هذه حال الأحزاب فى أوروبا فكيف تكون حالها فى مصر ؟ فى أوروبا يجد الحزب بفضل كثرة « الرجال » نقطة توازن لحياته ، أما فى مصر حيث الرجال قليل ، وإن تكاثر الطغام ، فان حياة معظم أحزابنا الداخلية مسرح تُمثَّل عليه فى مضطرب ضيق ألوان المهازل والمآسى والمطامع التى لا تربطها رابطة بمبادىء الحزب وأغراضه

فالثعابين والذئاب والأفاعى نكاد نجدها تسعى حثيثاً صباح مساء ، وتزحف وتدب ، وتتزاحم ، وتجتمع وتتفرق ، وتنطوى وتنتشر فى كل حزب وفى كل ناحية من نواحى المجتمع ولكن من خلف ستار

محمد صبرى

الصراع بين الاسلام والوثنية

صراع من أجل تقديس المبادئ دون الأشخاص

للدكتور محمد البهى

الوثنية عبادة المحسوس المشخص ، وعبادته تنطوى على تعدد المعبود أيضاً ، لأن المشخص بحكم تشخصه محلى يحدده زمانه ومكانه. والأمكنة مختلفة والأزمنة متتابعة ، ولهذا كانت آلهة الوثنيين متعددة . والجماعات الوثنية وإن اتفقت فى عبادة مافى الطبيعة من أنهر وجبال وكواكب وأفلاك وغير ذلك إلا أن معبوداتها مع ذلك كانت مختلفة . لأن مافى طبيعة إقليم لجماعة يختلف بالشخص عما فى طبيعة جماعة أخرى .

هاجم الإسلام الوثنية ، وهاجم تعدد الآلهة ودعا الإنسان إلى عبادة إله واحد لا يعرف شخصه ولا تحد حقيقته ، لأنه فوق الطبيعة وفوق مافيها من أشخاص وجزئيات محددة . صنع الإسلام ذلك لأنه أراد للانسان هدفاً أسمى مما فى عالمه . أراد أن يكون خضوعه وأن تكون طاعته لغير من يجوز عليه التغير والفناء . والمتغير الفانى ليس إلا أشخاص هذا العالم الذى نعيش فيه . أراد له هذا لأن خضوع الانسان للمتغير الذى يعتوره الفناء معناه التقلب فى الانقياد على نحو يجعل الإنسان مضطربا فى التوجيه فى حياته ، ومضطربا فى الغاية ، وأخيراً مضطربا فى دوافع العمل والسلوك . فضلاً عن أن تشخص المعبود يؤدى إلى تقليل قداسته أو التضييق من تعظيمه . وذلك بتوالى انكشافه وتعرفه . وإذا قلت القداسة وضاق نطاق التعظيم ضعفت الطاعة أيضاً أو تلاشت ، وعندئذ لاتصلح القيادة أو لاتوجد . ولذا كان غير المحدد هو وحده محل تعظيم الانسان ومحل خشيته ، وبالتالى إذا عبد نال من التقديس والطاعة بقدر خفائه وعدم الوقوف عليه من الانسان

الوثنية وتعدد المعبود إذاً متلازمان . والوثنية وتشخيص المعبود أيضاً متلازمان ، وقد تفضى الوثنية مع ذلك ، أى مع تعدد المعبود وتشخصه ، إلى عبادة إله وراء ما اتخذته من آلهة فى الأرض أو السماء غير مشخص وغير محدد وقد تلقبه برب الأرباب أو بخالق السموات والأرض . وهى إن أفضت إلى هذا عدت شركا لأنها أشركت مع الإله الذى يجب أن يعبد وحده ، وهو الإله الطبيعى ، آلهة أخرى تمد فى ملكوته وتصرفاته ؛ أشركت مع الإله الذى لايحد ولا تدرك حقيقته آلهة أخرى محددة مشخصة .

فمهاجمة الإسلام للوثنية ومهاجمته للشرك ، ومهاجمته لأهل الكتاب الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وأشركوا مع الإله الطبيعى إلهين آخرين مشخصين هما عيسى ومريم ؛ مهاجمته هذه كانت لأجل أن يرفع الإنسان من عبادة الشخص المحدد المتغير الفانى إلى ماوراء ذلك مما له الدوام والاستقرار . وإذا كان له الدوام والاستقرار كان حتما له الكمال لأنه يعلو عندئذ الاحداث وتقلباتها ، أو لأنه لايخضع لها كما يخضع المتغير . والخضوع فى ذاته نقص ، والاستقلال والاستغناء فى ذاته كمال .

وإذا كان المعبود كاملاً ، وإذا كان دائم الكمال ، شرف الانسان بالخضوع له ، لأنه أعلى قيمة منه . وبقيت كذلك وجهته فى الحياة ثابتة لاتبدل فيها وهى وجهة الكمال المطلق

وكفاح الإسلام ضد عبادة الأشخاص او الذوات المشخصة قصد به إذاً إشعار الانسان بكرامته وبقيمة ذاتية له لأنه جعل خضوعه لمن تميز عنه وعما فى الكون كله ، كما قصد به توجيهه فى حياته إلى هدف باق هو الكمال الذى لايتغير أو الخير الذى لايتبدل . والصراع إذاً بين الأسلام والوثنية أيضا صراع من أجل تقديس المبادئ دون الاشخاص . إذ ليست المبادئ إلا المعانى العامة ، ولعمومها هى باقية فى كل مكان و زمان لاتخضع للتغير والتقلب .

***

وفى طى مكافحة الإسلام للوثنية مكافحته انقياد الفرد لفرد آخر لذاته دون رعاية لما يحمله من مبادئ أو فكر مثالية . وكان انقياد المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم لا لأنه محمد بن عبد الله ، بل لانه رسول الله ، أى لما يحمله من رسالة ربه وليس لذاته كفرد من الافراد « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . وكذلك كان انقياد المؤمنين حقا لرسلهم . ولهذا لم يكن من

المنطق فى شىء أن يدعو الرسول لعبادة نفسه من دون الله أو مع الله ، لأن الدعاء لعبادة نفسه على العموم يتناقض مع دعوى الرسالة التى تنطوى على أن قيمة الرسول فى صلته بالله . « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »

وما عاب الإسلام على أهل الكتاب من المسيحيين تأليه عيسى وإشراكهم له مع الله فى معنى الألوهية إلا لأن فى تأليه عيسى معنى التبعية للشخص دون المبدإ . والذى دعاهم إليه ليس إلا التجاوز بالعبادة من الشخص إلى ما هو أسمى منه وهو الباقى الذى لا يتغير ولا يفنى . وبهذا إذا استمعوا لدعائه ، التقوا مع المسلمين فى هدف واحد . « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . . » ، « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد ... » .

وما الإستمرار الذى طلبه القرآن من المسلمين فى الدعوى إلى الخير بقوله : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر... » إلا وسيلة المحافظة على فصل الإنسانية بين المبدأ والشخص كما طلب الإسلام ، وإلا خشية من أن يؤول الأمر ، إذا أهمل المسلمون إلهاب شعور الفصل هذا عند الإنسان ، إلى الوثنية فى صورة ما ، وهى الإنقياد للشخص لأمر آخر غير المعانى العامة الثابتة التى مرد جميعها إلى الخير المطلق والكمال الدائم . ومن السهل ، إذا لم تستمر الدعوة لما وضعه الإسلام من هدف ، أن ينجذب الإنسان إلى الإنقياد للشخص لأن الشخص ناحية مادية ، والمادة أرجح كفة مما وراءها فى نظرة الإنسان الأولى .

والأديان السماوية كلها ، وفى مقدمتها الإسلام ، متفقة على توجيه الإنسان نحو المبدإ دون الشخص ، أو متفقة على أن تكون عبادة الإنسان لما هو وراء المادة ، وما وراءها هو غير المتغير . ولعدم تغيره كان وحده إذا قورن بالمادة كاملا . وتعدد الأديان لا يقتضى اختلافها فى هذا التوجيه ، بل لأن الإنسانية لم تحرص فى فترات متفاوتة عليه . ولذا كان لا بد من تجديد ايقاظ هذا التوجيه عندها . والدين اللاحق إذاً هو بمثابة تجديد لدعوة الدين السابق . وإن وجد اختلاف جوهرى بينهما فنشؤه إذاً رجال الدين أنفسهم لأنهم بإصرارهم على أفهامهم فى الدين وقد تكون بعيدة عن هدفه العام وبمرور الزمن على هذا الإصرار يختلط ما أصروا عليه بما للدين فى الأصل إذا نقل عنه . وتحريف الكلم عن مواضعه الذى ينسب إلى رجال أى دين من الأديان منه هذه الأفهام البعيدة التى أصروا على أنها لدين . « إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ... » .

* * *

وليس الإلمام بمعارف الإسلام أو أداء رسومه الظاهرة هو عنوان سيطرة الاسلام على الفرد أو الجماعة أو على نسبة الفرد أو الجماعة إليه ، بل عنوان ذلك وحده هو الفصل على نحو ما ذكرنا بين الانقياد إلى الشخص أو إلى المبدإ . كما أن هذا الفصل نفسه عنوان رقى الفرد أو الجماعة لانه ينطوى على شعور الفرد أو الجماعة بالكرامة أو بالقيمة الذاتية وعلى ما يسمى بالسمو الروحى أو النفسى ، كما أن العكس وهو رواج الانقياد للشخص أكثر من الانقياد للمبدإ دليل على عدم سيطرة الدين وبالتالى على عدم نضوج الفرد أو الجماعة .

ويخطىء إذاً من يفرق بين الدين وضروب الثقافات الإنسانية الأخرى فى توجيه الانسان ، فيجعل الدين منزلة ثانية ، لأن هذه الضروب من الثقافة إن كانت موصلة لرقى الفرد والجماعة ؛ موصلة لتهذيب الإنسان وإشعاره بكرامته وموصلة لتحقيق معنى الصالح العام فى الجماعة التقت مع الدين فى هذا الغرض وامتاز الدين عنها بتجرده المطلق عن التحيز لجماعة إنسانية دون جماعة أخرى . وعلامة الصالح العام فى الجماعة تقدير المبادىء العامة التى لا تخضع للتغير والتى تتسلسل جميعها فى النهاية إلى مبدإ أعلى للوجود كله وهو الله .

ولأن الدين ، وبالأخص الإسلام ، له هذه المنزلة لا تكون

مغالين إذا حكمنا بأن خلو التوجيه منه فى الجماعة نقص فى التوجيه نفسه ، لأن الثقافة الإنسانية التى تستخدم فى التوجيه عندئذ مهما أكدت معنى المبادىء والمثل العليا فإضافتها للانسان توحى تشككا فى أبدية ما فيها من مبادىء ومثل ، أو يؤول أمر نسبتها للانسان إلى تقديس الإنسان دون اعتبار حمله هذه المبادىء .

***

ولا نبعد عن الصواب كثيراً إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الاسلام إذا جعلوا من قوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » ثلاثة أنواع من الطاعة ، لأن الهدف الأخير للاسلام هو طاعة الله وحده ممثلا فى الرسول باعتبار كونه حاملا لرسالته ، وفى أولى الأمر باعتبار كونهم قوامين على تنفيذ ما ورد فى هذه الرسالة فى الجماعة الإنسانية . وفى هذا قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » والحديث الشريف : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصا الله » .

ولا نبعد أيضاً عن الصواب كثيراً إذا ذكرنا أن الوثنية التى حاربها ويحاربها الاسلام ليست هى وثنية العرب التى كانت قائمة على تقديس الاصنام وبعض الكواكب فحسب ، بل هى وثنية الإنسانية على العموم ، وهى تقديس الشخص دون رعاية للمبدأ والمثال . وهى لا تزول من هذا الوجود ما دام للانسان ناحية مادية وأخرى روحية ، وما دام للوجود كله أيضاً جانبان: جانب ظاهرى هو الجانب المادى ، وآخر مستتر وهو الجانب المثالى أو المعنوى ، وما دام انجذاب الإنسان إلى الجانب المادى بحكم ظهوره أكثر من انجذابه إلى الجانب الآخر . ولسهولة انجذابه إلى الجانب المادى كان هو فى حاجة على الدوام فى الكفاح ضد هذه الوثنية أو كانت الإنسانية كلها — إذا ابتغت الرق — فى حاجة أبداً إلى دين سماوى هو الإسلام . لأن الإسلام آخر مظهر للأديان السماوية على طبيعتها صانه الرشد الإنسانى فى التدوين والرواية عن أن يختلط ببعض الأفهام المنحرفة فيه . فكلمه لم يحرف عن مواضعه كما حرفت الديانات السابقة عليه . إذ الإنسانية وقتئذ أى وقت تحريف هذه الديانات لم تملك الشجاعة الكافية فى كتابة التاريخ حراً دون التأثر برأى رجال الدين ودون رعاية لسلطانهم ، فكان الدين المؤرخ هو رأى رجاله وكان رأى رجاله هو التعبير عن الدين .

وإذا كانت الإنسانية منذ القدم فى حاجة إلى معونة الدين فى مكافحة الوثنية ، وكانت حاجتها هذه قائمة على طبع فيها وهو ميلها النفسى إلى الصفحة الظاهرة من الوجود وهى الصفحة المادية ، فالدين إذاً ليس لعهد دون آخر . إنما الذى يخلع عليه البلى أو يجعله للماضى فقط هو فهم رجاله وعمل الدعاة باسمه ، أو هو غرور الإنسان بالإنسان . إذ منذ قيام العهد الإنسانى وهو منذ عصر النهضة الأوربية أخذ الإنسان يؤمن بنفسه ثم بالغ فى هذا الايمان حتى طغى أو حال دون إيمان له نتيجة عملية لشىء آخر فى هذا الكون . ومنذ قيام هذا العهد أيضاً كان عمل رجال الدين بعيداً عن مقصد الدين . وبذا كانت فجوة بين الاتجاه الجديد فى الحياة الإنسانية وبين تمثيل الدين فى رجاله : الاتجاه الجديد فى الحياة الإنسانية يؤمن بالقيمة الذاتية للانسان ، ويؤمن بالمساواة بين الأفراد لا عابد ولا معبود بينها ، ورجال الدين بعملهم يصورون الدين منحرفا عن هذا الاتجاه .

***

ونفع الجماعة الإنسانية الحاضرة إذا بالدين متوقف إلى حد كبير على حاجة رجال الدين أنفسهم إلى الدين فى مكافحة هذا الانحراف ؛ متوقف على أن تكون الدعوة باسم الدين إلى الله وحده لا لإنسان آخر غيره مهما عظم ومهما كان له من سلطان. وهكذا أرباب الدعوة قد يحتاجون أنفسهم إلى الدعوة ، ولكن على يد من لا ينسبون أنفسهم إليها .

محمد البهى

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

بخار البصل يقتل الجراثيم

تقرر الأبحاث العلمية الأخيرة أن البصل والثوم وكل نبات قوى الرائحة من أفتل المواد للجراثيم ، وأ كثرها وقاية للجسم من الأمراض

تجاهل جميع الباحثين أمر البصل مئات السنين رغم أن فلاحى اسكتلندا اعتقدوا أنه يقضى على الزكام والبرد ، ورغم أن الأوربيين والمصريين علقوه على أبواب دورهم ليقيهم شر الحميات . ولفتت الظاهرة نظر الدكتور توكين وأتباعه الروسيين ، فأجروا تجاربهم ووجدوا أن البصل والثوم وغيرهما من النباتات القوية الرائحة تحتوى على زيوت أساسية تقتل البكتريا والجراثيم ، وبويضات بعض الحيوانات الصغيرة . فأطلقوا على هذه المادة القاتلة إسم « فيتونسيد » . ولم يوفقوا بعد إلى معرفة تركيبها الكيماوى ، وإن عرفوا أنها سريعة التبخر ، فإن تعريض عجينة من الثوم أو البصل للهواء من ١٠ إلى ١٥ دقيقة يفقدها كل قدرتها على قتل الجراثيم والبكتريا ، ولهذا كان من الضرورى استعمالها عقب تحضيرها مباشرة

وتختلف الطريقة العلمية لاستعمال عجينة البصل عن طريقة جداتنا اختلافاً يسيرا . فبعد أن يدق البصل لا يوضع على الجرح ، بل يوضع فى وعاء من الزجاج بسعة الجرح ، وعلى فوهته يوضع لوح ليتاقى بخاره لمدة عشر دقائق على فترتين كل منها خمس دقائق . وتستعمل عجينة جديدة فى كل فترة .

بدأ الأطباء الروسيون تجاربهم على ٢٥ مريضاً . ولكن قلة البصل عندهم اضطرتهم إلى قصر التجارب على ١٦ مريضاً فقط . منهم ٧ بترت أذرعتهم ، وواحد ساقه وثلاثة أقدامهم ، واختير المصابون ممن ظهرت فى جروحهم حالات التسمم والصديد؛ وكانت رائحة بعض الجروح منتنة ، وأنسجة الأعضاء متورمة بصرخ أصحابها من الألم .

وعولج المصابون ببخار البصل فترتين متتاليتين كل منهما خمس دقائق . فتوردت كل الجروح بدل أن يطغى عليها اللون الرمادى . وأحس المرضى بآلامهم تزول . وفى المرة الثانية قلت كية الصديد واختفت الرائحة النتنة . ومرت خمسة أيام بدأت فيها الأنسجة نموها الطبيعي . ولم تحدث مضاعفات فى أية حالة ، فاقتنع الأطباء بما فى زيت البصل والثوم (فيتونسيد) من قدرة على التغلب على تسمم الجروح .

واستمر الدكتور توكين ومساعدوه ١٤ سنة يدرسون خواص الفيتونسيد القاتل للميكروبات والجراثيم ، فدرسوا ١٥٠ نباتاً وأثبتوا أن البصل والثوم من أغنى النباتات فى هذه المادة الواقية التى تستطيع قتل جراثيم خطرة مثل جراثيم حمى التيفوس على أنهم وجدوا أن نسبة تركز هذه المادة فى أجزاء النبات مختلفة ، فأكثرها وأقواها فى قلب النبات وجذره ثم تتدرج فى القلة إلى أن تكون على أقلها في الأجزاء الخضراء . ولعل هذا يفسر تعفن البصلة « تصفن » عند فصل الجذر عنها .

ووجدوا أيضاً أن بصل وثوم الخريف والشتاء أوفر فى مادتها القاتلة من مثليهما فى الصيف والربيع . وتقل مادة « الفيتونسيد » فيهما كلما طال بهما التخزين . فإن كانت عملية التخزين رديئة فقدا مادتهما الثمينة وصارا أوساطاً جيدة لنمو الجراثيم مما نشاهده من تعفنهما إن طال بهما الزمن .

وأوصى باحثان باستعمال عصير البصل والثوم كعلاج منزلى عند الإصابة بالبرد . فنصحا بمضغ الطازج من النباتين من ثلاث دقائق إلى ثمان . وربما أنتج مضغهما لمدة دقيقة واحدة . فإنهما وجدا أن هذا المضغ يؤدى إلى القضاء على جراثيم الغشاء الداخلى للوجنتين والفم ، أو إلى توقف إفرازاتها .

وهناك ظاهرة أخرى يلفت إليها العلماء الأنظار من حين إلى آخر ، وهى قدرة عصير البرتقال أو الطماطم أو غيرهما من النباتات الصنوبرية (المخروطية) على شفاء الجروح . وعزوا هذه النتائج فى بعض الحالات إلى احتواء العصير على كميات من الفيتامينات .

على أن العلماء الروسيين يخالفون الآخرين فى اعتقادهم ويعزون قدرة هذه الأنواع من العصـــير على قتل الجراثيم إلى احتوائها على مادة الفيتونسيد التى عرفناها فى البصل والثوم . فهل لعلمائنا وأطبائنا أن يولوا البحث نصيبه ويقولوا كلمتهم فإن وصفاتنا البلدية أكثر من أن يحدها حصر ؟

الغذاء كعلاج لضغط الدم

تمكن أحد الأطباء من تخفيض حالات الإصابة بضغط الدم في ٦٠ ٪ من مرضاه بواسطة التغذية. وضغط الدم من الأمراض الشديدة الوطأة وخصوصاً على كبار السن، ويتعذر شفاؤه في كثير من الأحيان. وقد درس هذا الطبيب حالات المرض والأغذية الملائمة له فوفق إلى تحديد غذاء من الأرز وعصير الفاكهة والسكر والفيتامينات ومواد حديدية. وهي تفيد المصابين بضغط الدم وبالكلى.

ويرى الدكتور كمبر صاحب هذه النظرية أن الكلى تتعطل عن تأدية إحدى وظائفها فتعجز عن تحويل بعض المواد الزلالية إلى بول بسبب قلة الاكسجين مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم. فلجأ إلى الأرز ليخفف كمية الزلاليات عن الكلي، فتقل المواد الضارة التي تسبب ضغط الدم.

ومع أن نجاح هذه التغذية لم يكن كاملا مع جميع المرضى فإنها لم تؤثر عليهم تأثيراً ضاراً، ولهذا يفكر بعض الأطباء في استنباط نظام تغذية له نفس التأثير على مرض السكر

أثر التغذية في الجهد العضلي

لأول مرة في التاريخ البشري يجري أحد أطباء جامعة مانيسوتا تجربة غذائية على الناس، والغرض منها دراسة تحول السكر إلى مواد غذائية، وعلاقته بالفيتامينات ومدى تأثيره على جسم الإنسان في نومه وفي نشاطه. وكانت مثل هذه التجارب تقتصر على الحيوانات لخطورتها. ولكن العمليات الحربية في المحيط المادي دفعت إلى إجراء هذه التجارب على الناس، فعلى ضوئها تصرف وجبات الطعام للجنود.

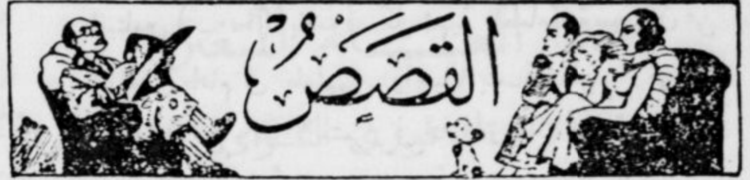
ويعيش المتطوعون في هذه التجربة في عنابر نوم تابعة لمعمل الطبيب، ويتيسر فيها رفع درجات الحرارة والرطوبة إلي أن تصل إلى مثيلاتها في المناطق الحارة، أو خفضها حتى تصبح جزءاً من المناطق القطبية.

وتعطى جميع وجبات الطعام في المعمل، فيوزن كل غذاء يتناوله المتطوع، ويؤخذ جزء مساو له في الوزن ليحلل كيماويا لكي تعرف قيمته الغذائية. ويمنع المتطوعون بتاتاً من تناول أي طعام خارجي. ولوحظ أن من يحرمون من تناول المواد المحتوية لفيتامين (ب ١) يفقدون كل شهية للطعام، ويعجزون عن إبقاء أي طعام في بطونهم. وأحيانا يتعذر عليهم رغم كل ما يبذلون من جهد الاستمرار في تناول وجبات معينة.

ومن المعروف أن النشاط الذهني أو البدني شديد الصلة بالتغذية، ولهذا يقاس مدى نشاط المتطوعين في مختلف الوجبات بأنواعها، كما يفحص تأثير البيئة الباردة أو الحارة أو الرطبة على الحالة الغذائية، وحتى في أوقات الرياضة في الهواء الطلق تؤخذ عينات من دم المتطوعين لتحليلها ودراستها بالنسبة لكمية الهواء.

ويقول الدكتور كايس الذي يشرف على هذه التجربة: إن كثيراً من الأبحاث دار حول تحول المواد السكرية إلى مواد حية في جسم الإنسان، ولكن قليلا منها طبق بمثل هذه الدقة. فإن أضفنا إلى هذه التجارب معلوماتنا المتزايدة عن الفيتامينات فانه يعتقد أنه قد حان الوقت لكشف تفاصيل تحويل المواد النشوية والسكرية إلى أنسجة حية في الجسم، كما أننا سنعرف الظروف التي يجب توفرها للفيتامينات للانتفاع بالسكر كوقود إنساني.

فوزي الشتوي



الجـــارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

تتمـــــة

لقـد انقلبت طفلا ولابستنى حالة جـديدة ليس فى وسعى تصورها . صرت أرعى زوجى الحامل كرعاية الأم رضيعها ، وأحرص على القرش الواحد كما لو كان ديناراً ذهبياً . كنت اصدف عن الصـحاب وازور إذ أتى ضيوفا فى منزلى ، ووددت لو أحتاز خيرات العالم أقدمها هدية لولدى العزيز . قلت لصاحبى فى شىء من المباسطة بغية إقشاع السحب المنتشرة — فوق نفسه ، يخيل إلى أن « العامل الخفى » فى زوجتك هو الذى جملك لجوجا وتابا تقدر الأشياء بمقدار التخيل والتصور . وقد لايؤذيك اذا قلت لك بصراحة الصديق الصادق إن بلوغك « سر المرأة » ابتعث فيك الشهوة عنيفـة حادة . اطرق قليلا وأجاب « الشهوة حيلة ارادة الحياة الكبرى على البقاء » نحن يا صاحبى نخلق الجمال ونعطى المعانى للاشخاص والأشياء . فالمعنى الصحيح لسر المرأة الراحة والطمأنينة . صمت هنيهة ثم أردف « أن رجلامثلى مفطور على العناد — والمغالبة والكبرياء لايرضيه الاسـتسلام والليونة والركون شأن أكثر الأزواج ... ثم تابع قوله كانت زوجتى ... فقاطعت كلامه قائلا : انتقال من الموضوع بارع ثم تقول . كانت زوجتى ، وكانت هذه تدل على فعل ماض ، فأومأ ان أتريث وتابع الكلام ، كانت زوجتى ، أجل كانت زوجتى على شىء عظيم من عزة النفس والكبرياء والمغالبة ، وأنا أنا الذى انميت فيها هـذه الصفات وتعهـدتها بدراية وحكمة ، كان يلذ لى أن تعلو حجتها على حجتى فأرضخ للحق ، ولن يصدم عنادها عنادى فتنتهى الى الرضا . ولم يبلغ كبرياؤنا فى ظرف من الظروف حد الغرور ، بل كنا نخلق الخصومة نورى بها الذهن فنستصبح بومضات الروح منبثقة من ظلمات المجهول ، من هذا التناسق والاتحاد جعلناه مواد بناء حياتنا الزوجية ، وقد استخلصنا من ضروب أنواع الحب فى فوضى الحياة خيطا كان لنا بمثابة « الهارمونى » من نشيد العمر ، يرتفع بفرحة الغابة من الوجود الانسانى الى أسمى مقام ، أما خيط حياتى هذا فقد انقطع ، أنا الذى قطعته بيدى ، أجل يا صاحبى أنا الذى قطعته بيدى . لقد حطمت جرة السـمن فاندلقت أحلامى ، أنا الراعى الغبى ، وانساح أملى فى الرمل ، أنا الحى الضائع ! ! نظرت الى عينيه فاذا بنورهما قد ناص كمصباح نضب زيته ، وأجفانهما تكسرت وجمدت فيهما دمعتان ، وعنـدما أخذ يتابع الكلام توهمت — الصوت آتياً من بعيد قال ، ذهبت وزوجتى ذات عشية الى وادى العرايش ، وما كدنا نأخذ مكاناً قرب النهر حتى توافد الصحاب ، فاتسعت الدائرة ، واتسقت صفوف الاقداح وشعشعت النفوس فانطلقت الألسنة . لم تهـدأ جلبة السكارى الا حين ارتفع صـوت المغنى يشدو « العتابه » برنين شجى وصوت رخيم تشترك مع معانى العتاب فى تطريب النفس — واثارة مافيها من حزن وفرح وقد استفاض صـدرى باحساس مضطرب إذ سمعت المغنى ينشد « غربوا أحبابى » وشعرت كأن أحبابا تناديني ، لقد فاض الدمع من عينى وانهمر ، لا شك انه دمع حنـان النفس التى تضطرب فيها الآلام جميعاً !!! ، فى هذه اللحظة تلاقت نظراتى بنظرات زوجتى ، فاعتلج فى صـدرى شوق مفاجىء يدعونى بالحاح الى العودة الى أميركا حيث أموالى المتروكة فى بلاد الناس ، وعندما عدنا الى البيت سألتنى زوجتى متى نسـافر الى أميركا ؟ فى تلك الساعة عقدت النية على العودة الى الوطن الثانى ، وفى تلك الليلة المشـؤومة انتهى كل شىء ! ! ، أجل ياصاحبى فى تلك الليلة الملعونة انتهى كل شىء فى وجودى وبقيت وحدى كحروف رسالة بليدة جاثمة على قرطاس ، أخذ صوته يرتفع ونبراته تشتد ، وأمسك يدى بقبضة متصلبة وقال أنت تعرف أبنية زحلة متلاصقة ومنازلها متلاحمة لايفصلهما من الجيران فاصل ، قلت أعرف ذلك ، قال : كنت أسكن بيتاً من هذا الطراز القديم لانه أقرب الى احساسى وألصق بذكريات طفولتى ، هـذا البيت الذى كنت إخاله بقعة اقتطعتها الملائـكة من فراديس النعيم قد انقلب بلحظة واحدة الى قبر فى الجحيم تحوطه نيران قلبى وألسنة الناس ، قلت : اكتشاف خيانة ؟ ، نظر إلى نظرة استخفاف خلتها تهز مكمن كبريائى

فجلت ، واستطرد قائلا : فى هدأة الليل حيث كل شىء هادىء الا عيون السماء ، دوى الوادى أو توهمت انه دوى بصوت استغاثة قريب صادر عن قلب هلوع ، الحرامى ، الحرامى ... النجدة . . النجدة ! وتلاه ولولة امرأة مخلوعة اللب وعويل أولاد ... استيقظت بلا وعى أترنح من الذعر أو من الشجاعة ، تناولت مسدسى من تحت الوسادة وهرعت لاقتنص السارق ، لم يكن فى وسعى ترتيب التصورات المتداعية والخيالات التى تراكمت فى ذهنى وازدحمت فيه مبلبلة مشوهة ، توهمت السارق عميداً من عمداء الجبابرة سلطته قوى مجهولة تتربص بى لتنتزع منى زوجتى أم ولدى ، وارث أموالى ومخلد ذكرى . لقد جن جنون أنانيتى وثارت فى فطرة ، فطرة الانسان ، أو غريزة لبوة بكرية اقتحم وحش ضار عرينها فهبت تدافع عن أشبالها ، كنت أروح وأجىء وأتوهم انى أقفز من سطوح الى سطوح ، ادور حول نفسى كاللولب ، أنادى السارق بصوت متهدج أجش ، اختلط صوتى بعجيج أصوات عشرات الشبان الذين خفوا مسلحين للفتك بالسارق ، إن السطو على منزل فى رحلة عروس مدن لبنان انما هو تحد لكرامة أهلها واستهانة بتقاليدهم ونخوتهم، لمحت شخصاً ماثلا قبالتى فتصورته عملاقا من الجن ينقض على ، أحسست بالعملاق الجبار يرفع يديه ليسحقنى ... اطلقت رصاصة أو انطلقت من المسدس رصاصة ردد الوادى صداها . أصابت الهدف فسقط الجسم بدون حراك ، أيقظنى الانتصار من غفوة الذهول ، فتنبهت الى نفسى واذا أرى حولى طائفة من الجيران أقبلت على صوت الطلق النارى ، سمعت صراخاً وعويلا وحسرات فيها كل معانى الألم والحزن والشفقة ... أشعلت الأنوار ، تجمع الناس ، تبينت الوجوه ، فاذا بالعيون — تحدجنى بنظرات أسى وحيرة ملتاعة مضطربة ، دهمنا الجند فاذا بهم يطبقون على القاتل يجردونه من سلاحه وقد دل الجيران عليه . يا للأجناد الاجلاف! يا لرجال التحقيق ما أطيب قلوبكم لقد منوا على — تكرما منهم باطلاق حريتى ريثما أرافق جثمان زوجتى فأواريه التراب ؟!!! ، وبلاه لقد جمد جسمى فى تلك الساعات وتبلد شعورى وزاغت نظراتى ، كنت اعتصر عينى ، استجدى قلبى قطرة من دمه ، ولسانى كلمة واحدة انطق بها ، كنت أرى جثمان « يمنى » مسجّى فى النعش على رأسها أزهار الليمون الذى زانته بها يوم اكايلنا وقد غطى الورد ثوبها الأبيض الفارق بالدم ، وكنت كقمة الجبل الشاهق جموداً وبرودة . وهاأنذا أحس بالوقائع ماثلة أمامى أصورها لك وفق الرؤى والشعور ، أحسست الأرض تدور بى والآلام تنساب فى نفسى تنهب وتنوش أعصابى . أما محدثى فقد اعتدل فى جلسته واشتدت نبرات صوته وقال : من السخرية الاستعانة بالعدل الإلهى واحترام شرائع الناس ؟!! أليس رعونة أن تبرأ ساحة القاتل ويطلق من عقاله ولما يجف دم المقتول بعد ؟ أليس ظلماً أن تماد إلى حريتى أنا القاتل الأثيم ؟ أين القصاص من الحياة ؟ أمن العدل أم من الظلم أن أجوب الأرض ، أتسكع فى الشوارع ، أطوف حول الذكريات ألتمس آثار الحياة وأنا ميت القلب والروح ؟ ؟ اسمع ياصاحبى ليس العدل والشرائع والقوانين والأديان نفسها تستطيع أن تشفى أدواء الناس ، انما الذى يستطيعها هو الضمير . وسأنفذ أحكامه التى أرتضيها لنفسى حاكما محكوماً . استملنا كلانا للصمت : توهمت صاحبى المسكين لايواصل رحلته إلى أميركا بل يترك الباخرة عند أول ميناء يتطوع للحرب حتى الموت ولكن سرعان ما استلمح هذا الخاطر يتوارى فى طيات كلامى حتى قال لى ضاحكا : أتحسب الموت يقضى على الموت ؟ قلت لاأفهم ماذا تعنى . قال : ولا أنا أيضا أفهم كيف أقضى بيدى على حياة ألقيتها في غيابات العدم ، بل أفهم أنى سأبقى فى فراغ يتساوى والعدم ، وسأستمهل الموت حتى التى فى كل ساعة ميتة تكفر عن جنايتى . ، طفرت دمعة كبيرة من عينى المسكين فتلقاها بمنديله ، وعند ماهم — بالنهوض تخاذل وخانته قواه ، تأبطت ذراعه وأسندته على كتفى حتى بلغ غرفته فى الباخرة ، وإذ كنت عائداً لقيت الطلمة من الأميركان وقد تهيبوا سؤالى وانصرفوا يتبع بعضهم بعضاً .

حبيب الزحلاوى

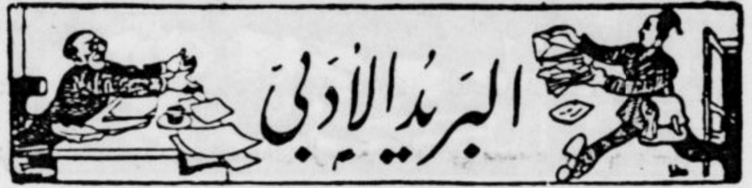
وديعة مدينة سالم

[اقترح صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام في العدد الممتاز من الرسالة على شعراء العربية أن ينظموا ملحمة البطولة من حياة المنصور بن أبي عامر، وهذه محاولة أولى نقتطف منها هذه الأبيات] :

قل للحجيج ، إذا ما ناله التعب   يا أيها الركب : هل أديت ما يجب ؟
وهل إلى « سالم » خبّت ركائبكم   وهل هدا كم إليها المجد والحسب ؟
وهل رأيتم على آثارها « جدنا »
تطوف من حوله الأفلاك والشهب ؟
هذى الحجارة — وهى الآن جامدة —
كم ذا تفجّر منها السلم والحَرَب (١)
استخبروها حديث المجد تخبركم
فربَّ أخرس تعيا دونه الخطب
قولوا لها : يا بنات الصخر ما صنعت
بصفحتيك بنات الدهر ، والنُّوَب ؟!
هيا صلينا بآباء لنا نُجُب   قد أنجبتهم جدود سادة نُجُب
مدُّوا على البحر ظلاًّ من مراكبهم ..
والنصر من فوقهم قد قاد ماركبوا
حتى أتوا شاطئ الأسبان واختلطت
على رباه رماح القوم والقُضُب
فأشعلوا البحر ناراً من سفائنهم   كيلا يكون لهم من خلفهم سبب
وأصبحوا ولواء النصر مُنْعَقِدٌ
من فوقهم ، والمنى من حولهم طُنُب
حتى إذا أرخت النعماء ساعدهم   واستنوقوا ما يشاء اللهو والطرب
ذابت مهابتهم من عين واترهم
كما يذوب بكأس الشارب الحَبَبُ
لولا « محمد » وافاها على عجَلٍ
والريح عانية ، والموج يضطرب
لغيَّر الريح مجراها ، ولارتطمت   ألواحها بصخور شادها العطب
فتى كبير الأماني من حداثته   قد كان يحلم بالعليا ، ويرتقب
خمسون موقعة قاد الجيوش بها
مُظَفَّراً ، فائزاً ، للنصر يصطحب
لم يثنه عن لقا أعدائه مرض
ولم يثبِّطه عن نيل العلا نَصَب
قد يخمد الجسم من كدٍّ ومن تعب
وجمرة الروح تبقى فيه تلتهب
لم يحمل « الزنج » منه غير هيكله
وروحه احتملتها السبعة الشُّهُب
فأنت يا « سالم » للمجد قاعدةٌ
تقوم من فوقها الأعلام والنُّصُب
قد أودعتك العلا أغلى جواهرها
واستأمنتك على تاريخها العرب ؟

(كلية اللغة)   يوسف زاهد

(١) الحرب بالفتح : الهلاك



بيت الكميت

العلامة الدكتور طه حسين تمثل في كلمة له في (المصور) الأغر، عنوانها (عشير الأدباء) ببيت جاء في هذه الصورة

إذا لم يكن إلا الاسنة مركبا فلا رأى للمضطر إلا ركوبها

وقد يخال قارئ البيت أن (كن) هنا ناقصة و (الأسنة) اسمها و (مركبا) خبرها، وإنما هي في هذا الكلام تامة ومركب فاعلها، فالرفع واجب، والأسنة بدل من مركب قدّم فنصب على الإستثناء، ويرفع بعضهم مثله، والبيت للكميت.

أزهري

الحضارة المصرية القديمة وأثرها في الحضارات الشرقية

ألقى الأستاذ ستروف أحد أعضاء الاكاديمية الروسية، خلال شهر ديسمبر الماضي، طائفة من المحاضرات العامة في لنينجراد وموسكو، كشف فيها عن عظمة الحضارة المصرية القديمة. وكانت المناقشات التي تعقب محاضراته تدل على اعتراف المستشرقين الروس بالدور الذي قامت به مصر في تكوين الحضارات الأوروبية والأسيوية

وقد تناول الأستاذ ستروف في إحدى المحاضرات موضوع الأسبقية بين حضارتي مصر وبابل مشيراً إلى وجوب إعادة البحث في هذا الموضوع على ضوء ما ظهر من بيانات أثرية جديدة.

ومما قاله الأستاذ، أنه يؤيد الرأى القائل بان عصر الدولة الوسطى في تاريخ مصر القديمة يعد سابقاً لعصر الأسرة الأولى في بابل. وذلك لا يدع مجالا للشك في أن الثقافة التي ازدهرت بمصر في عصور الدولة الوسطى قد انتقلت إلى فلسطين وسوريا وبدا أثرها في الحياة الاجتماعية بأرض الجزيرة

وكان مدار بحث الأستاذ ستروف في هذه المحاضرة، أثر المدنية المصرية القديمة في ثقافة بلدان حوض البحر المتوسط وآسيا الصغرى، فابان أن مصر كانت ميدانا لأول حركة شعبية ترمى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. ثم قال: ونحن نعلم مدى الأثر الذى خلفه المهندسون والرسامون والمثالون وأرباب الصناعات من المصريين في مختلف الفنون، سواء في سوريا أو بلاد الحثيين، وان هذا الأثر انتقل إلى الأشوريين.

كذلك امتدت حضارة مصر إلى اليونان فكان من نتائج هذا أن تهيأت الأسباب لتطور الفن اليوناني

وأشار بعد ذلك إلى القصص والاساطير التي شاعت في عهد الدولتين الوسطى والحديثة وما كان لها من عظيم الاهمية في حضارة العالم، قائلا: انه لا يسع المرء مثلا عند قراءة قصة «السفينة الغارقة» التي كشفها الأستاذ جولينيشيف العالم الروسي في الآثار المصرية في متحف الرهبان بلنينجراد، إلا أن يذكر بطل قصة الأوديسة الاغريقية أو السندباد البحرى.

ومن الواضح أن مجموعة القصص التي تتضمن ما كان يقوم به السحرة المصريون من الأعاجيب تعد أعرق في القدم من كتاب (ألف ليلة وليلة) ذى الشهرة العالمية

ونوه الاستاذ ستروف بمدنية مصر من الناحية العلمية، فذكر أن الاطباء المصريين كانوا أول من كشف عوامل مسببة للامراض، وأول من سجل في تاريخ الطب البشرى لفظة (المخ) وان هذا الجزء من الجسم إذا اختل أدى إلى خلل أجزاء أخرى

ثم قال المحاضر، إن المصريين قد تمكنوا من قياس مسطحات الاجسام المستديرة، واستطاعوا قياس السطح الكروى، قبل أن يهتدى ارخميدس إلى ذلك بزمن بعيد. كما نوه بفضلهم في وضع التقويم الذى أخذه عنهم يوليوس قيصر، فأصبح بعد ذلك أساساً لحساب الزمن عند الشعوب الاوربية

وانتهى من هذا إلى قوله: ان من واجبنا أن نعترف اليوم بما كان للثقافة المصرية من أثر في حضارتنا الحالية.

إلى الاستاذ حبيب الزحلاوى

[تهنئة بعيد ميلاد ولده نبيل]

أنجبتَ للدنيا نبيلاً أوّلا فالله يحبوك غُلاماً أنبلا
لم نره لكنّنا نعرفه لما رأينا منك فيه مثلا؟

إنا رأينا فيك فضلا واسما — فلا يَضيرُكَ أن يكون أفضلا
نرجو له عمراً مديداً سابغاً — وَغدَه المأمولَ والمستقبلا
ألا ترى فيه الرجاء المرتجى — ألا ترى فيه الضياء المجتلى ؟
يُشعُّ في البيت سناءً وسنى — ويملأ الدنيا لديك أملا
يسألك الشيء فلا تلبثُ أنْ — تجيبَه حالاً إلى ما سألا !
ينال بالدُّموع كلَّ ما ابتغى — وبالصياح كلَّ ما قد أمّلا
خيالُه قد يَسَعُ الدنيا وما — فيها. فلا تكفيه أعراض الفلا
وقد يَرُومُ في السَّماءِ مصعدا — ويبتغي بين النُّجوم منزلا
براءة الأملاكِ فيه اجتمعتْ — والطهرُ في صفاته تمثّلا
لا يحمل الحقدَ ولا يعرف من — دنيا الأنام آفةً أو عِلَلا
ولا يدُوسُ بالنفاقِ حمأً — ولا يخوضُ بالرِّياء وَحَلا !
سبحان من قد صوَّر الطفل على — خير مِثالٍ في الحياة شُكلا
قد صاغه من السلام مَلَكا — مجسَّداً وبشراً ممثّلا ..
لكنه غداً يقود عالَما — إلى القتال أو يسوقُ جحفلا ..
وقد يقيم للدمار مدفعا — وقد يعد للقتال مُنصُلا
وقد يَفُضُّ بالسيوف مُشكلا — ولا يحُلُّ بالكلام مُعضلا
فإن أصاب جعلوه غازيا — ولقّبوه فاتحاً وبَطَلا ...
مَن عَلّمَ الإنسانَ أن ينمو على — طبائع الذئبِ وكان حملا ؟؟

علِّمْهُ بالله الطبايا صعبةً — ولا تعلِّمه الطبايا ذُلُلا
علِّمه أن الحربَ دكّتْ أمما — وزلزلت ممالكاً ودُولا
علِّمه أن الحق لا يُحمى إذا — كان الفتى من السلاح أعزلا
علمه في النقد المرارة التي — ليست تحابي لتكون عسلا !!
علمه في القول الصراحة التي — عرفتها فيك تهز الجبلا
علمه في الحب الحرارة التي — تجعل من قلب المحب شعلا
علِّمه أوْ لا ! فهو شبلٌ ناشئٌ — هل تنجب الأسود إلا أشبلا ؟!

محمد عبد الغني حسن

من كتاب الرسالة أيضاً

كتب الدكتور سيد حنفي في العدد ٦٠٢ من مجلة الرسالة القراء مقالاً تحت عنوان «أثر الرسالة في الأدب المعاصر» ولما طالعته وجدته أغفل ذكر بعض الكتاب الأعلام الذين كانت لهم جولات في ميدان الرسالة وكانوا في مقدمة كتابها الكرام ؛ فالأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني هو أحد الكتاب الأعلام الذين كانوا يحررون مجلة الرسالة ، وكذلك المرحوم عبد العزيز البشري ، وكانت أبحاث الأستاذ محمد عبد الله عنان التاريخية في مقدمة المقالات التي تنشر في الرسالة ، ومن الذين كانوا يكتبون في الرسالة أيضاً الأساتذة : زكي نجيب محمود ، وخليل هنداوي ، ومحمد فريد أبو حديد ، ومحمد عطية الإبراشي ، وحسين شوقي ؛ ومن الشعراء الذين كانوا يخصون الرسالة بما تنتجه قرائحهم الفياضة الأساتذة : علي أحمد با كثير ، وفريد عين شوكة ، وفخري أبو السعود ؛ وكل هؤلاء الكتاب والشعراء لم يتطرق الدكتور إلى ذكرهم في مقاله .

(بغداد — أعظمية) **عبد الباسط يونس رشيد**



في عالم الكتب

الشوامخ (*)

خصائص الشعر الجاهلي وأعلامه

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

خيل إلى وأنا أقرأ هذا الكتاب الطريف الممتع أنني أقرأ لشيخ من شيوخ اللغة والأدب لا لرجل عل من الثقافة الأوربية ونهل ، وغاص في بحار المحفوظات والأضابير والوثائق التاريخية يستخرج منها تاريخاً لأمبراطورية محمد علي الكبير ، أو يكتب بالفرنسية كتاباً عنوانه: La Genèse de l'Esprit National Egyptien أو يؤرخ بالعربية للثورة الفرنسية ونابليون .

ولكن الدكتور محمد صبري يستوى عنده التاريخ والأدب مادام في ذلك رضى لحاسته الفنية الرفيعة ، أو رضى لقوميته المصرية العريقة ، أو رضى للغته العربية وأدبها الفنى السمين .

وعجيب أن هذا الرجل الذي يقرأ في الفرنسية ، ويكتب قادراً بالفرنسية ، ويؤرخ لأحداث العصر الحديث يطوى القرون القهقرى حتى يأتي « امرأ القيس » في أموره وخموره ؛ ويأتي « طرفة » في رحلته وناقته ، ويأتي « زهير بن أبي سلمى » في حكمته ومدائحه وفي المهاة التي شبه بها ناقته . ثم لا يكتفي بذلك فحسب ، بل تراه ضاربا مع الجاهليين في الخيام ، هائما معهم في كل دوّية ؛ يلاحظهم وهم يشدون الأكوار على الرحال ، أو يلعبون الفايلة في الرمال ، أو يطاردون بالكلاب المضرّاة الغيران ؛ أو حين تخرج الأرامل الشُّعثُ يحملن المناقع الى رجل كريم فتح بابه للسؤال ، وتهلل وهو يبث النوال ....

(*) طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في ١٥٢ صفحة — الجزء الثاني

والحق أن في الشعر الجاهلي كثيراً من غريب الألفاظ باعد الزمن بيننا وبينها ، فتغيرت على أذواقنا وتوعرت على أسماعنا . ولكن الدكتور محمد صبري — جزاه الله أحسن الجزاء — قد ألف بيننا وبين هذه الثروة المذخورة من الألفاظ ؛ فقد عرض الشعر الجاهلي عرضا متبوعاً بشرح غريبه ؛ فلا تلبث حتى ترى نفسك أمام شعر خلع التفسير عليه جمال الوضوح ، فبدا رائعاً في شرحه ، رائعا في متنه . وإذا بك ترى هذه الألفاظ المهجورة الموحشة مأنوسة مألوفة ؛ وإذا بك تجد الحسّ بينك وبين العربي مشتركا ، وتجد التجاوب بينكما متبادلاً . فتقف أمام البيت من الأبيات وأنت تكاد تحس فيه قلب الشاعر أو همس الخاطر ...

والمؤلف نفسه متأثر بالأسلوب العربي الرصين ؛ ويخيل إلى أنه عنده حاسة يتخير بها اللفظة الملائمة مهما كانت غريبة ؛ ولعله واثق أن إعادة استعمالها قد يضفى عليها الحياة من جديد . ولعله ناجح فيما هو بسبيله من ذلك . فقد وصف في صفحة ٥٨ مناظر الصيد والطرد بأنها « صرعبلة » ثم عاد في ص ٦٣ فشرحها في بضعة أسطر شرحا يجذبك إلى استعمالها ويحملك على الأخذ بها .

الدكتور صبري محب للشعر الجاهلي ، ولا نغالى إذا قلنا إن حبه إياه قد جرى مجرى الدم في مفاصله . وفي كل صفحة من الكتاب برهان ذلك ومصداقه . ولكنه أعلن ذلك الحب وجاهر به مصرحا في ص ٧١ حيث يقول « وإني أحب الشعر الجاهلي وأحب أسلوب الجاهليين » . ولو أنا وجدنا بيننا من يحب الأسلوب الجاهلي كما أحبه صبري ماشكونا الآن من « ميوعة » بعض الكتاب والشعراء المعاصرين الذين لا يبالون بلفظ ولا يحفلون بأسلوب . ولكن همهم من القول أن يرصوا الكلام رصاً . من غير أن تكون لتلك الألفاظ التي يستعملونها دلالة خاصة — تلك الدلالة التي تحمل الأديب المعرق يؤثر لفظا على لفظ أو أسلوبا على أسلوب .

وفي الشعر الجاهلي لوحات فنية كثيرة لم يغفلها المؤلف ، ولكنه أبرزها في خير أُطرها غير مغفل جمال اللوحة نفسها . وهو هنا ناقد فنى بصير . ولا تفوته من حين إلى حين الموازنة

بين صورة ناطقة لشاعر وصورة صامتة لمصور.. فصورة « طرفة » التي يقول فيها :

وجالت عذارى الحى شتى كأنها توالى صوار والأسنة ترعف

تذكره بصورة لرافائيل الإيطالى كانت موضع نقد من النقادة الفرنسي Muntz ص ١١٠

وقولة حميد الراجز فى صفة القلب عند وشك الفراق تذكره ببيت للشاعر « ڤرلين » ص ١١١ . ولوحات الشعر الجاهلى الحيوانية تذكره بالمثال المصور الحيوانى (بارى) ص ٥٧ .

وإذا كان أبو نواس لم يفطن إلى نعت الإبل وناعتها فأن المؤلف يلومه على هذا الاغفال لحقيقة فطن إليها الجاهلى فى شعره — ص ٧٠ .

وهكذا ترى المؤلف فطنا إلى ما فى دقائق الشعر الجاهلى من تمثيل وتصوير، حتى كاد كتابه يكون قائما كله على هذه الناحية، وهو على ذلك مثن عليه أطيب ثناء . إلا أنه — فى بعض مواطن من الكتاب — قد يعدل عن الرسم الصحيح للشعر . وكان خيرا لو راعى الوزن فى الرسم كما راعى التقصى فى البحث . فى صفحة ٧٢ البيتان السادس والثامن من شعر البحترى لم يرسما على نهج صحيح .

وفى صفحة ٤٨ ذكر البيت المشهور :

تبيتون فى المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خماصا

والصواب (يبتن خمائصا) على وزن فعائل كما ورد فى الأمالى حـ ٢ ص ١٥٨ طبع دار الكتب . وفى صفحة ٤٧ نسب البيت المشهور : —

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

إلى الشاعرة ليلى الأخيلية . وقد نسبه ابن خلكان فى وفيات الأعيان إلى الفارعة أخت الوليد بن طريف وقيل فاطمة وقيل ليلى . ولكنها على كل حال غير ليلى الأخيلية — راجع وفيات الأعيان حـ ٢ ص ٢٣١ الطبعة الأميرية البولاقية

وفى صفحة ٨٧ (قال أبو الهندى ..... يصف أباريقا) . ولعلها أباريق ممنوعة من الصرف . وفى صفحة ٦٩ (ترى المصور أو الشاعر مولع) وهى من أخطاء الطبع . وفى صفحة ٥٤ (إذا نظرت إلى الجمل .... لتبينت) . واللام لاتقع جوابا لاذا الشرطية وإنما تقع جوابا (للو) فى حالة الأثبات غالبا

وفى صفحة ٦٥ (فيمكن للمصور تجريدها) واللام هنا لامحل لها .

وفى صفحة ٧٢ (حاول الأدباء .... تحديد مراتب وطبقات الشعراء) والأولى أن يقال (تحديد مراتب الشعراء وطبقاتهم) . فقد أولوا قول الفرزدق (بين دراعى وجبهة الأسد) على تقدير مضاف اليه محذوف أى بين ذراعى الأسد وجبهته — المفصل للزمخشرى مطبعة الكوكب الشرق ص ٥٠

وفى صفحة ١٢٣ وردت الآية الكريمة هكذا (فما بكت عليهم الأرض والسماء) . وصحة الآية (فما بكت عليهم السماء والأرض) .

تلك مآخذ شكلية لا تمس لباب هذا الكتاب القيم الذى نتوقع له من الرواج ما يتفق وإخلاص المؤلف فى نيته وتحمسه لفكرته وافتخاره بعربيته — حفظ الله به الأدب .

محمد عبد الغنى حسن

العـدد ٦٠٧ — ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 607

Lundi - 19 - 2 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٦٠٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الرباط المقـــدس

للأستاذ عباس محمود العقاد

الرباط المقدس هو اسم رواية جديدة من قلم صديقنا الكاتب الفنى الموهوب الأستاذ توفيق الحكيم.

والرباط المقدس هو رباط الزوجية

والتقديس يقترن فى الذهن بالتحريم ، والتحريم يقترن فى الذهن بالاغراء ، وهذا هو المعنى الذى فصله الأستاذ الحكيم فى هذه الرواية أجمل تفصيل ، وانتقل به خطوة خطوة بل همسة همسة من الوفاء إلى الاباحة فانساق معه القارىء فى رحلة نفسية طبيعية لا فجوة فيها ، لأنه لم يسه فيها عن لمحة واحدة من اللمحات التى تتحول بها النفس من شعور إلى شعور ومن عزم إلى عزم ومن عمل إلى عمل ، فاذا هى بدايات تنتهى إلى غاية بعيدة لمن ينظر إلى الطرفين الأقصيين ، ولكنها لا تلوح للقارىء المتتبع إلا بداية بعد بداية لا يفرقهما قيد شعرة من خطرات الضمير .

وخلاصة الرواية أن فتاة تزوجت رجلا يكبرها ولكنه يناسبها فى عمرها ، وكان الرجل من قراء الكتب وعشاق الثقافة ، فأحب أن تشاركه زوجته فى مسراته الفكرية ، وأحبت هى أن ترضيه فقصدت إلى كاتب معروف — راهب الفكر — لتسترشده فى تربية ذوق القراءة والأدب عندها ، وشعر زوجها بأثر هذه الزيارة — وإن لم يعلم بها — فذهب إلى راهب الفكر أيضاً ليشكر له إقبال زوجته على قراءة كتبه ومشاركته فى متعة فكره ، ثم انقطع ما بين راهب الفكر وبين الزوجين حتى خطر لراهب الفكر يوما أن يعتزل الناس فى بعض الفنادق الخلوية فاذا به يلقى الزوج مع ضابط من أقربائه وهما قلقان مضطربان ، ثم يعلم جلية الأمر فاذا بالزوج قد عثر فى بيته على كراسة حمراء تنطوى على مفكرات خاصة كتبتها زوجه واعترفت فيها بعلاقة غرامية بينها وبين ممثل من ممثلى أدوار الغرام على اللوحة البيضاء . وأشارت فيها إلى غوايات فتاة أخرى هى زوجة ذلك الضابط القريب . فأخذ الضابط القريب يشك فى ذريته من تلك الفتاة ويستعيد حوادثها التى كانت فى أوانها موضع ريبة لا يفهمها . ثم توسط راهب الفكر بين الزوجين فأخفقت الوساطة وأوشك الراهب أن يقع فى الفتنة لولا دقات جرس التليفون ، ثم افترق الزوجان وضاقت الدنيا بالضابط فأطلق النار على نفسه ، وثاب الراهب إلى صومعته كما كان .

هـذا مجمل سريع للقصة لا يغنى شيئاً عن تفصيلها ، لأن هذا التفصيل هو المقصود وليست الحكاية لذاتها ، وفى هـذا التفصيل تتجلى قدرة الكاتب الفنان على تصوير لفتات النفس ووساوس الضمير والانتقال بها من عصمة الوفاء إلى إباحة الخيانة

فى خطوات قصار لايشعر بها المتتبع لها إلا وقد شارفت نهايتها القصوى .

وأقوى مايكون هذا التسلسل فى ضمير بطلة الرواية وفى ضمير راهب الفكر نفسه . ثم فى ضمير الرجلين المتزوجين .

فالزوجة – بطلة الرواية – مثل صادق للفتاة العصرية التى تنعم بدفء الزوجية فلا يستقر لها قرار أو تحترق بالنار ، لأنها تلمح وهج النار حولها فى كل مكان فلا تصبر على النظر إليها والدفء بها دون الوقوع فيها .

وراهب الفكر – ولعله مؤلف الرواية – مثل صادق للرجل الذى يعيش بين الصومعة والحياة فيأخذ من الحياة للصومعة ويأخذ من الصومعة للحياة . ولكنه يجفل من هذه كما حرفته عن تلك ، ولا يرى فى إحداها غنى عن الأخرى .

وأصوب مايقال فى شرح هاتين النفسين أنهما دراسة فنية تحليلية من الطراز الأعلى . ولو لم تكن فى القصة إلا هذه الدراسة لكفى بها مادة حية وزادا شهيا لمن يولع بدراسات الفن والتحليل .

أما وضع القصة فهو مع تشويقه واستطراده تقل فيه الروابط الطبيعية التى تمسك أجزاءها وتحل فى محلها روابط من عمل التأليف تأتى بها المصادفة ولايستلزمها السياق .

مثال ذلك أن الفتاة – بطلة الرواية – تقصد إلى المؤلف لأنها مغلقة النفس من ناحية الأدب والتفكير . قد عيت بطبعها وعى بها زوجها فى رياضتها على القراءة فضلا عن الكتابة .

ولكننا نسمع إلى حوارها مع راهب الفكر فإذا هى تساجله فكرة بفكرة وفطنة بفطنة وبراعة ببراعة . فتقول له مثلا إذا تمنع من رؤيتها فى ملعب التنيس : « ... يجب أن تهبط إلى ملعبى لترتفع بى . هكذا يفعل الأنبياء دائما . يهبطون إلى الناس حتى يستطيعوا بعد ذلك أن يصعدوا بهم إلى السماء . ولم يحدث قط غير ذلك . ولا تنتظر أن أصعد أنا إليك توا بغير أن تهبط أنت إلى وتأخذ بيدى ... »

ثم نقرأ كلامها فى الكراسة الحمراء فإذا هو كلام أديب وصافة لا تفوته خلجة من خلجات الوهم ولا لفتة من لفتات الملاحظة ، ويبدو عليها أنها أستاذة فى هذا الفن وليست بالتلميذة الناشئة التى تتعثر فيما تحس وفيما تقول .

فمناسبة اللقاء هنا بينها وبين راهب الفكر ضعيفة ، وأضعف منها سبب التعارف بينه وبين زوجها ، لأنه ذهب إليه يشكره على اهتمام زوجته بقراءة كتبه ، ولم تكن بينهما رابطة تدعوهما إلى اللقاء غير هذه الرابطة ، ومنها استحكمت الصلة بينهما حتى أطلعه الزوج فجأة على سر بيته وبيوت أقربائه .

وفى الرواية صفحات طوال عن النساء اللواتى يحسبن مثلا فى التاريخ للزوجات الوفيات . وكل مناسبتها فى سلب الرواية أن راهب الفكر كتبها إلى طيف الفتاة بعد لقائها واشتغاله بأمرها وهو ينوى أن يطويها عنها ولا يطلعها عليها . وقليلا مايخطر على البال المشغول بامرأة فى عصمة رجل آخر أن يجعل أحلامه كلها بقديسات الوفاء الزوجى . وهو يكتبها لنفسه ولا يقصد بها عظة الفتاة وتعليمها .

وتشيع فى الرواية مناسبات المواقف ومداخل الشخصيات من هذا القبيل ، ولكنها ملاحظة على الشكل لاتنفذ الى جوهر الموضوع ، ويبقى بعد ذلك أن صفحات الرواية جميعها مادة قراءة فنية تحليلية قليلة النظير فى أدبنا الحديث ، بل فى كل أدب حديث ، وهى مما يعرض للمقارنة بينه وبين ثمرات الأقلام التى تجود بها قرائح الممتازين من أدباء الغربيين فى هذا الجيل .

ويلحق بهذه الملاحظة الشكلية هفوة هنا وهفوة هناك من هفوات اللغة المطروقة كساق فى موضع سوق وسوى فى موضع نشوة وتعدية الأفعال بغير حروفها أو فى غير مواضعها ، وهى جد قليلة فى أكثر من ثلثمائة صفحة من الحرف الدقيق .

ولكن الملاحظة التى تدخل فى جوهر الموضوع هى الملاحظة التى تدور على حدود الوصف « المكشوف » فى الروايات والكتب عامة .

فالاستاذ توفيق الحكيم من أغنى الكتاب القاصين عن اثارة التشويق والتطلع بالافاضة فى تصوير الغرائز التى لا حاجة الى تصويرها ، لأنه يملك زمام التشويق بوصفه لأوزه خواطر الفكر وأرفع سبحات الروح ، فلا حاجة به الى تنبيه الغرائز فى زمن شكواه الكبرى فرط التنبه فى غرائز أهله .

ولهذا وددنا لو خلت الرواية من صفحتين أو ثلاث لايضطرنا السياق إلى إثباتها ، وإن ذلك لخليق بالكاتب المتحرج الذى وصل الى الفتنة فدق للنجاة منها جرس التلفون ... لكيلا يسمح لغريزته أن تنطلق الى مداها .

على أن صديقنا الأستاذ كما أسلفنا متردد بين عتبة الصومعة

أبو العـــلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٤ —

الأمل :

لى أمـــل ، فرقانه محكم   أقرؤه غضـــاً كما أنزلا (١)

أجرى من الخيل آمال أصرفها   لها بحثّى تقريب وإخباب (٢)

لا تقنطن أيها الإنسان ، فإن بلغتك (٣) عند الله الكريم ، والرزق يطلبك وأنت تبصر الأحلام . لو أن للرزق لساناً هتف بمن رقد ، أو يدا لجذب المضطجع باليد ، أو قدماً لوطىء على الجسد ، لا يزال الرزق مرنقا على الهامة ترنيق الطير الظماء (٤) على الماء المطمع (٥) .

(١) فى حديث : الأمل رحمة لأمتى ، لولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ، ولا غرس غارس شجرا . ومن أقوالهم : أعظم المصائب انقطاع الرجاء ، قتل القنوط صاحبه . وللحجاج : أمس أجل ، واليوم عمل ، وغدا أمل .
(٢) التقريب والخبب : ضربان من سير الفرس فى الأصل .
(٣) البلغة : ما يتبلغ به من العيش ولا فضل فيه ، وتبلغ بكذا اكتفى به .
(٤) رنق الطائر خفق بجناحيه فى الهــواء ورفرف ولم يطر . = فى الأساس : هو ظمآن وهي ظمأى وهم وهن ظماء .
(٥) المطمع الذي أطمعها فى النزول عليه (أبو العلاء) .

ثم الهـــلال إذا عاينته قمرا   إن الاهلة عن وشك لأقمار

وقد يخس الإنسان فى صبواته   وينبه من بعد النهى فيسود

أحسبت الخير ليس بمثمر ؟ بلى . إن للخير ثمرة لذت فى المطعم ، وتضوعت لمن تنسم ، وحسنت فى المنظر والمتوسم ، وجوزت الحد فى العظم ، فما ظنك بثمرة هذه صفتها ؟ !

هون عليك :

الأمر أيسر ممـا أنت مضمره   فاطرح أذاك وهون كل ماصعبا

إذا تفكرت فكراً لا يمازجه   فساد عقل صحيح هان ما صعبا

العلم كالقفل ، إن ألفيته عسرا   فخـــلّه ثم عاوده لينفتحا

دع ما ضر وصعب ، إلى ما نفع وهان . واترك المضلة إلى المرشدة فإن طرقات الخير كثير .

لا طيرة :

الأيام كلها لله ، وربما ساءتك عروبة (١) ، وسرك الخميس . وإذا نزل بك نازل فى يوم فلا تمقته لذاك .

بركات الله ورحمة :

يبعث الله فى نهـار وليـل   بركات من رزقه مدروره (٢)

(١) الجمعة ، فى «النهاية» : هو اسم قديم لها وكأنه ليس بعربي ، يقال : يوم عروبة والعروبة ، والأفصح ألا يدخلها الألف واللام .
(٢) «مدرورة» كثيرة . فى الأساس : ومن المجاز : درت الدنيا على أهلها إذا كثر خيرها .

وعتبة الحياة ، ولم يزل مترددا بين العتبتين من الصفحة الأولى الى الصفحة الأخيرة .

فى هذه الصفحة الأخيرة يقول عن راهب الفكر : « أما هو فقد رجع إلى عاداته السابقة ... يفض رسائل قرائه فى الصباح باسم الثغر هادىء الأعصاب . وإذا هو بعد زمن قليل قد وقعت فى يده رسالة بين البريد ارتجف لها : إنها من امرأة تسأله أن يحدد موعداً للقائها لأنها تريد أن تحادثه فى شأن من شئون الأدب والفكر ! . فصاح فى نفسه : لا . لا . كفى ... ألم يعرفهن ؟ .. وضغطت أصابعه على الرسالة يريد أن يمزقها ... »

هكذا كتب الأستاذ توفيق فى الأسطر الأخيرة من الصفحة الأخيرة عدا سطرين اثنين .

ولو ختم الرواية بعد ماتقدم لأحجم الأديبات عن سؤاله وعلمن أن التمزيق العاجل نصيب تلك الرسائل التى يكتبنها اليه ...

وهو يريد ولا يريد .

وهو يتردد بين الصومعة والحياة

ولهذا اتكل على الله وختم الرواية معتصما بالشجاعة فقال ان « الشجاعة ليست فى تجنب مزالق الجسد وتحاشى مواطن الزلل . بل فى مواجهتها بمصباح الحقائق ونور المثل العليا »

ومصباح الحقائق إذن هو الكفيل بانتظام البريد فى مجراه ، وليكتب اذن من يكتب فان راهب الفكر شجاع !

عباس محمود العقاد

غشيت رحمة الله كل الحيوان ، وتكفل بالرزق لكل المتغذيات .

فرح الملأ بالكلأ (١) ، وحق لهم أن يبتهجوا برزق الله الكريم . جاء اللَّبأ (٢) ، وذهب الوَبأ (٣) ، فسبحان الله العظيم ! يا خِصب ، ثِب لتراق الكُثَب (٤) على الكُثُب (٥) وعلى الله رزق العالمين .

السماء تَدِق (٦) ، والبلاد تورق ، والله الموفق ، والرزق بكرمه متدفق .

والشمس تغمر أهل الأرض مصلحة
ربّت جسوماً ، وفيها للعيون سنا

طهت لك الشمس ما يغنى أخادعة
عن أن يكون له فى الأرض طاهونا

الاقدام ، الجسارة :

وإنى رأيت الصعب يركب دائماً
من الناس من لم يركب الغرض الصعبا

والعيش جسر ، نال من هو جاسر
أو كاد فيه وخاب من لم يجسر

ويحمد الصابر الموفى على غرض لا عاجز بعرى التقصير معقود

ينبغى للمسبوق ألا يؤثر بصبوح ولا غبوق (٧) ، فليستحى المتأخر أن يفتخر .

الخيف من رأى السخيف ، فاجر على مَسْطرَتك فى تقوى الله ؛ والخيل بفوارسها متمطرات (٨) .

إنما نحن فى أحلام نائم لا أحلام ذوى العزائم ، وقديرى الراقد نفسه مع الفراقد ، فإذا استيقظ رآها بالجدد (١) .

وكن فى كل نائبة جريئاً
تصب فى الرأى إن خطىء الهدان (٢)

وسائل من تنطس فى التوقى لأية علة مات الجبان (٣)

اشجُع فإن أقدار الله لا تعجل إلى الشجاع .

صُل على الظالم بالمنصل (٤) .

الدنيا ، الحياة :

خُلقتُ من الدنيا وعشت كأهلها
أجد كما جدوا ، وألهو كما لهوا

أمور دنياك سطر خطه قدر وحبها فى السجايا أول السطَر (٥)
ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا شهيد بأن القلب يضمر عشقها
نفسى بها ونفوس القوم ملهَجة (٦) ونحن نخبر أنا لا نباليها
أمرتنى بسلو عن خوادعها فانظر هل أنت مع السالين ساليها
ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها طبعاً ، ولكنه باللفظ قاليها

فترومن هذى الحياة (٥) لكى تموت النفس ريا

الموت ، كرهه :

والنفس آلفة الحياة فدمعها يجرى لذكر فراقها منهلُّه !

ولم أرد المنية باختيارى
ولكن أوشك الفتيان سعى (٧)

ولو خيرت لم أترك محلى فأسكن فى مضيق بعد رحب !

فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالا كلما فنى الشهر !

(١) الكلأ : العشب ج أكلاء .
(٢) اللبأ : اللبن ، أوله .
(٣) بالقصر والمد .
(٤) الكثبة : الطائفة من طعام أو غيره ، القليل من اللبن .
(٥) الكثيب : التل من الرمل .
(٦) تدق : تمطر . وفى الأساس : ودقت السماء والمطر . وفى التاج : الودق : المطر كله شديده وهينه .
(٧) الصبوح كل ما أكل وشرب غدوة وهو خلاف الغبوق : شرب العشى (اللسان) .
(٨) « الخيف : جمع خيفة ، (المطرة) العادة (متمطرات) جمع متمطرة وهى المجتهدة فى العدو » والتفسير للشيخ .

(١) « الجدد » : الأرض .
(٢) « الهدان » الضعيف الجبان الذى لا يهتدى لأموره . « شرح سقط » والهدان الأحمق الثقيل .
(٣) تنطس فى كل شىء إذا أدق فيه النظر « الأساس » .
(٤) « المنصل » — بضم الميم والصاد ، وبضم الميم وفتح الصاد — السيف . فى « التاج » : قال ابن سيده : لا نعرف فى الكلام اسماً على مفعل ومفعل إلا هذا وقولهم منخل ومنخل .
(٥) فى المصباح : وتفتح الطاء فى لغة بنى عجل فيجمع على أسطار ، وبسكن فى لغة الجمهور فيجمع على أسطر وسطور .
(٦) ملهجة : مولعة .
(٧) ألفتيان : الليل والنهار .

أحسن بدنيا القوم لو أن الفتى   لا يُقتضى ، وأديته لا يحلم[١] !

تضاعف همى أن أتتنى منيتى   ولم تقض حاجى بالمطايا الرواقص[٢] !

فواها لأشباح لكم غير أنها   تبدل من أوطانها برموس !

أنبأنا الب بلقيا الردى   فالغوث من صحة ذاك النبأ !!!

موت البطولة :

هناك ضرب من الموت لا يكره ولا يذم بل يحب ويعظم ، وهو موت البطولة في الوغى . وقد حرض الشيخ عليه ، والحرب شرعة العربى :

إذا المــرء لم يغش الكريهة أوشكت   حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا[٣]

والجهاد من دين المسلم :

« كتبَ عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌّ لكم ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » .

« وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده » .

« وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » .

« انفروا خفافا وثقالا[٤] ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وإذا كان الحال كما قال الشيخ .

وما سلُّ المهند للتوقى   كسل المشرفية للتشفى

فالموت يومئذ خير من ألف حياة ، خير من الخلود .

من السعد فى دنياك أن يهلك الفتى   بهيجاء يغشى أهلُها الطعن والضربا

فإن قبيحا بالمسوَّد ضجعة   على فرشه يشكو إلى النفر الكربا

كلٌّ يحاذر حتفا وليس يعدم شربه   ويتقى الصارم العضب أن يباشر غربه

والنزع فوق فراش   أشد من ألف ضربه

لقد ركزوا الأرماح غير حميدة   فبعدا لخيل فى الوغى لم تطارد !

وما يجمع الأشتات إلا مهذب   من القوم يحمى بارداً فوق بارد[١]

لضربة فارس فى يوم حرب   تطير الروح منك مع الفراش[٢]

أخفُّ عليك من سقم طويل   وموت بعد ذاك على الفراش

ألا تنهض للحرب   وتدعو للوغى شوسك[٣] ؟

وقد علمتُ وغيرى عن مشاهدة   أن العلا إلفُ قوم فى الوغى ليس[٤]

وجدتُك أعطيت الشجاعة حقها   غداة لقيت الموت غير هيوب

من السعادة أن تموت القوم كراما

لحديد العلا على سائر الجوهر[٣]   ذلُّ العدى وعزُّ الضيوف

فوارس خيلكم تُعطى مناها   إذا دمّى نواجذَها الشكيم[٥]

وفى بيض السيوف بياض عيش   بذلك — فاعلموا — نطق الحكيم

القوة :

يخضع الظبى الأخضع[٦] . وينتصر الليث المهتصر .

المال ، تثميره :

والمال خِدنُ النفس غيرَ مدافع   والفقر موت جاء بالإهمال

أوَ ما ترى حكم النجوم مُصوراً   بيت الحياة يليه بيت المال

ما اليسر كالعُدم فى الأحكام بل شحطت   حال المياسير عن حال المحاويج

(١) يقتضى : يطالب كأن الحياة دين عنده فإذا جاء الأجل اقتضاه المقتضى .

(٢) رقص البعير يرقص رقصاً — محرك القاف — إذا أسرع في سيره . ولا يقال يرقص إلا للاعب والابل وما سوى ذلك فإنه يقال : يقفز وينقز . «اللسان» .

(٣) الكنحبة العرني فى مفضلية .

(٤) خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو صحاحا ومراضا «الكشاف» المقصد بالآية الحث على النفر على كل حال تصعب أو تسهل «مفردات الراغب» .

(١) «البارد» السيف ، البوارد السيوف القواتل «اللسان». يحمى السيف فوق الدرع أو السيف فوق السيف .

(٢) فراش الرأس : عظام رقاق تلى القحف . والقحف العظم الذي فوق الدماغ .

(٣) الأشوس : الجرىء على القتال الشديد «اللسان» .

(٤) رجل أليس من رجل ليس وهو الذى لا يبالى هولا ، ولا يروعه شىء «الأساس» .

(٥) الشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفاس، وفأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك .

(٦) [illegible] أخضع : راض بالذل «الأساس»

انفق لترزق فالثراء الظفر ، إن يُترك يَنشن ويعود حين يُقلم

ينبغى لمن يرث ، أن يَحترث ، وإلا فنى التراث

جل من سخره لقضاء الحاج

أعتمد على ذى وجهين ، ما عُرف قط بالمَين . لو كان رجلاً لكان ناصح الجيب ... سبّح ربه مذ خُلق ، إذا انطلق به فهو منطلق ، ومتى بُعث فى المآرب قضاها ، والله بلطفه أمضاها . ثم يُحبس ولا ذنب له . سجن فهو طول الدهر مستريح ، لا تلج عليه الشمس ولا الريح . لا يأكل ولا يشرب ... له منزل مادخله الهم ... إذا غاب الحافظ عنه فله الختم . وليس ذلك من القضاء الحتم ... خُص بالعمر الطويل ، وتناسخه جيل بعد جيل ، فظهر فى الأكاليل ، والأسورة والخلاخيل . والكأس الدائرة بشراب الكرم والنخيل . ما شاب ولا هرم . ولا درَم[1] للكبر ولا درِم[2] . ملكه قوم فدفنوه ، فتطاولت فى الأرض سنوه ، ثم ظهر ما نُسى اسمه ، ولا تغير جسمه ... به صفرة من غير الضرب ، ظهر بها فى الشرق والغرب ... تلقاه معلِماً بالتوحيد ، وليس بالعالم ولا البليد ، ولكن الله أنطق بعظمته كل جماد ... جلّ من سخره لقضاء الحاج[3] .

العمل

تروم رزقاً بأن سموك متكلا   وأدين الناس من يسعى ويحترف

لا تقومنّ فى المساجد ترجو بها الزلف
معملاً بسط راحتيك إلى نائل يُلف
ورُم الرزق فى البلاد فإن رمته ازدلف

يعرى الفقير وبالدينار كسوته   وفى صوانك ما إعداده خرف

(١) درم من الدرمان وهو تقارب الخطو.

(٢) درم من الدرم وهو سقوط الأسنان . ومن ذلك قيل : كعب أدرم ، والمعنى أن نقشه لم يزل وخشونته لم تملاس «أبو العلاء» .

(٣) ورد هذا الوصف البارع «فى الفصول والغايات» ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ومن قول الشيخ فى هذا الكتاب ص ٧٧ : « فى الحق من الذهب ثلاث خلال : حسنه ، وتقاه ، وبقاؤه على الأبد بغير تغيير » وكتاب « الفصول والغايات » من أعظم مؤلفات الشيخ وقد أفضل على العربية بنشر الجزء الأول منه ... [illegible] ... الأستاذ الكبير صاحب الرسالة هو الذى هدى الأستاذ زناتى إلى هذا الكنز .

أملك من شداد بن عاد ساعة تفتقر الأملاك رجل اشترى كرّا[1] ، وقصد منابت الشجر محتطباً ، فرجع بالعَضَد[2] متكسباً ، فأحل فى المكسب وأطاب

لا يصبرنّ فقير تحت فاقته

إن السباريت جابها السباريت[3]

من فى اللجة يغبط السائر على المحجة ، والمسافر يغبط المقيم ، والغنيمةُ مع الظاعنين

العمل — وإن قلّ — يستكثر إذا اتصل ودام

من سهر فى الليالى السود فأحر به أن يسود

بُلغ أمل بعمل ، وأهلُ التقصير بلا عون ولا نصير

أجدْ عملك وجِدّ فيه

طِدْ بناءك على أس

الثمر ، النبات

فإذا ملكت الأرض فاحم ترابها   من غرسه شجراً بغير ثمار

إذا رملة لم تجئ بالنبات   فقد جهلت إن سقتها السوانى[4]

(١) الكر : الحبل ج كرور.

(٢) العضد : ما عضد من الشجر ، وعضده قطعه بالمعضد وهو كل ما عضد به الشجر « لسان » .

(٣) السباريت : الفلوات . جابتها : قطعتها . السباريت : المساكين والمحتاجون ، جمع سبروت وسبريت . وفى « نقائض جرير والأخطل » لأبى تمام : صعلك الرجل وسبرت إذا افتقر ، وفى « التاج » سبرت الرجل قنع وتمكن .

(٤) السانية : الساقية ، عنى بالسوانى السحب .

في عيد المعرى (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

ويوم الاثنين ثامن شوال سنة ١٣٦٣ من الهجرة ، اجتمعت وفود البلاد العربية فى جامعة دمشق ، واحتشد الناس ليشهدوا افتتاح المهرجان ، وجلس الوفود على منصة عالية فى صدر المجلس ومعهم رئيس المجمع العلمى العربى وأعضاؤه — وهم الداعون إلى الاحتفال والقائمون عليه — وحانت ساعة الافتتاح فأقبل رئيس الجمهورية وجلس وسط الصف الأول من الوفود ومعه بعض الوزراء وكبراء الدولة .

أمة تمجد شاعراً من شعرائها ، وقد احتفلت لهذا واجتمعت له ، وشهد الاجماع رئيس الدولة . ذلكم أمر أمم ، وخطب يسير لو وقف الفكر عند هذا المظهر المرئى ، وهذا الجمع الحاضر ؛ ولكن وراء هذا المرأى معان ومعان ؛ هذه الأمة العربية المجيدة قد عرفت نفسها ، وتبينت وحدتها ، فبعثت وفودها إلى دمشق لتجتمع على تمجيد شاعر من شعرائها . فالتقت فيها وجوه متعارفة لا تتناكر ، وقلوب متعاونة لا تتنافر ، وتحدثت عن الماضى والحاضر ، وطمحت إلى الآتى بآمال مجتمعة ، وعزائم مجمعة ، وقد اجتمعت فى الساعة نفسها وفودها فى الاسكندرية لتشرع لوحدتها شرعة ، وتخط لها منهاجا ، وتتحالف على الخطوب ، وتعد للحوادث ، وتلقى الزمان برأى جميع ، وأمر جامع . ولم يوافق إجماع دمشق إجماع الاسكندرية إلا إيذانا بيقظة هذه الأمة ، وطلبها المجد والكمال فى كل نواحيها ، وسلوكها كل سبيل إلى مقاصدها . وما رئيس الجمهورية هذا الجالس فى حفل المعرى إلا ربيب الثورات وغذى المحن فما نال مكان الرياسة من الجمهورية السورية إلا بأن العرب الثائرين تولوا أمورهم ، ونالوا مكانهم فى بلادهم ، وأن الثورة ظفرت ، والآمال تحققت ، وبدت بشائر الفجر الصادق للمستقبل الكريم . ولقد كان من مقاصدى يوم أزمعت شهود مهرجان المعرى أن أرى شكرى القوتلى وصحبه يصرفون الأمور فى حاضرة بنى أمية ، وأن أسعد نفسى برؤية ما تمنيت ، وشهود ما أملت . لقد أديل من الضعف للقوة ، ومن الذل للعزة ، ومن الفرقة للاجتماع . ولم يبق إلا أن تعتزم الأمة المجيدة وتقسم لتبلغن غايتها ، ولتنالن مُنيتها . وما أقسمت أمة وعزمت إلا أبرتها الحادثات ، وأمضى يمينها الزمان .

قلت فى نفسى ، والسرور يملؤها : قد احتفلنا من قبل بذكرى أبى الطيب المتنبىء فتجاوبت بلاد العرب بتمجيد الشاعر الكبير ما بين هضبة إيران وبحر الظلمات ، وكتبت مقالات وألفت كتب تناولت سيرته وأدبه . وتبين من يحتاج إلى بيان أن فى هذه الأقطار الواسعة أمة واحدة ، تنطق بلسان واحد ، وتروى عن تاريخ واحد ، وتتأهب لتأليف تاريخ هو على ضخامته واختلاف فصوله ، كتاب واحد .

ثم يدعى إلى الاحتفال بذكرى المعرى والحرب دائرة ، والخطوب محيطة ، والأسباب بين البلاد متقطعة فتصيب الدعوة هوى من أمة نزاعة إلى إحياء مجدها وحفظ تاريخها القديم وتسطير تاريخ جديد أعظم وأروع . وكانت دمشق مكان الجمعين وما أجمل أن يحيا أدب العرب ، ويذكر مجد العرب فى مدينة العرب : دمشق الخالدة .

وقد اجتمعت الوفود على ذكر الشاعر الفيلسوف الحزين المتشائم ، وهى فرحة مستبشرة ، ترى تباشير الصباح فى أعقاب الظلام ، وتكاد ترى أشعة الشمس من وراء الأفق ، ويعرف بعضهم فى وجوه بعض بسمة الأمل ونضرة الرجاء ، وقوة العزم وأهبة الجهاد الذى لا ينتهى دون الظفر .

احتفلنا بذكرى أبى العلاء يومين فى دمشق تلق المحاضرات فى العشى ، وللزيارات والمآدب سائر النهار وزلف من الليل .

ويوم الاربعاء عاشر شوال والساعة تسع ونصف من الصباح فصلت الوفود ومن معها من أدباء الشام وعلمائه تسير صوب الشمال . فتوالت السيارات على الطريق تخترق النوطة الفيحاء

(*) انظر العدد ٦٠٠ من الرسالة .

الغناء . وليست الغوطة إحدى جنات الدنيا ، فى حاجة إلى تعريف أو وصف ، وامتد بنا السير فيها زهاء نصف ساعة . ومررنا بقرية حَرَسْتا من قراها فذكرنا الإمام محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه صاحب الإمام أبى حنيفة . ويقال إنه ولد بهذه القرية . وقال ياقوت فى معجم البلدان فى صفتها : « قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق . على طريق حمص بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ . » وعد ياقوت جماعة من العلماء المنسوبين إليها . ثم قال : « وحَرَسْتا المنطرة من قرى دمشق أيضا بالغوطة فى شرقيها » .

وجُزنا الغوطة إلى أرض واسعة فيها كروم ومررنا بالثنايا . ويقال إن هناك ثنية العُقاب التى ركز عليها خالد بن الوليد رضى الله عنه راية العقاب حينما اجتاز بادية الشام وفجىء الروم من حيث أمنوا . وبعد قليل رأينا طريق بغداد يتفرع من طريقنا . وحسب هذا الطريق يمنا وفخرا أنه يصل بين دمشق وبغداد . وقد سعدت بقطعه عشر مرات فلم توحشنى قفاره ، ولم يعينى طوله ؛ بل أنست فيه بذكريات عظام ، وتحدثت فيه إلى آمال جسام .

وبعد قليل رأينا طريق تدمر ينشعب إلى يمين طريقنا . ثم دخلنا أرضا جبلية يسير الطريق فيها على سفوح الآكام وحفاف الأودية ، ثم انفرجت الجبال واتسع السهل والساعة إحدى عشرة وبلغنا النبك بعد ربع ساعة ، وهى فى سهل واسع خصب . تلوح فى نواحيه قرى قليلة متباعدة وضياع وأشجار . والعمران والخصب ظاهران فى البلدة وحولها . وكذلك كانت فى القرن السابع . قال ياقوت : « قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة باردة فى الصيف صافية طيبة عذبة يقولون مخرجها من يبرود » . ويبرود هذه بين حمص وبعلبك وهى إلى الجنوب الغربى من النبك . والنبك مركز قضاء يسمى باسمها . ويستخرج فى نواحيها عرق السوس . وقد نزلنا على مجرى هذه العين ، فى بستان صغير فيه ناعورة . فاسترحنا واسترَوحنا إلى البستان والماء والناعورة واحتفى بنا موظفو البلدة ونائبها وأعيانها . واستأنفنا السير بعد قليل نؤم حمص فمررنا بدير عطية ورأينا على بعد إلى يسارنا قرية القارة . وهى قرية قديمة معروفة . قال صاحب معجم البلدان : « قرية كبيرة على قارعة الطريق . وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق . وكانت آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق . وهى على رأس قارة وبها عيون جارية يزرعون عليها » والظاهر أن الأرض هناك كثيرة العيون وبهذه العيون تحيا الأرض هناك وتخصب وينبت الزرع والشجر وينشأ العمران . وكان معنا الأستاذ أديب التقى فقال : العامة يقولون : بين القارة والنبك بنات الملوك تبكى ؛ قلت : مم تبكى ؟ قال والعهدة عليه : من شدة البرد .

أخذ السهل يتسع حتى اختفت الجبال التى كانت تلوح بعيدة على يمين الطريق وابتعدت الجبال التى على يساره ، وأشير إلى سواد بعيد يبدو فيه الشجر والخضرة فقيل : انه منبع العاصى ، وشرعنا نرى آثار الخصب والنضرة فى سقى العاصى . والعاصى أكبر أنهار سوريا ينبع شمالى بعلبك ويجرى صوب الشمال حتى يخترق بحيرة حمص ويمر بمدينة حماة . ثم يتجه صوب الشمال والغرب حتى يفيض فى البحر . وكم يفيض مجراه الخصب والبركة وينبت الزرع والجنات . وينضر البساتين والمنتزهات ويدير النواعير الكبيرة الرائعة .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

منخفض القطارة

في صحراء مصر الغربية

للأستاذ ستابلتون ترول

كان قدماء المصريين يظنون أن منخفض القطارة هو الدار الآخرة . وكان قدماء الإغريق يعدونه الموطن الخرافي للغول الوحشي : ميدوس (Medusa) الذى كانوا يعتقدون أنه إذا نظر إلى شيء حوّله حجرا . ولا شك أن السبب فى نشأة هـذا الزعم هو ما كان يروى من القصص العجيبة عن الغابات والنباتات المتحجرة التى تغطى مساحة المنخفض . ولقـد عبر منخفض القطارة جيش بقيـــادة قمبيز بن قورش الأكبر ، حينما زحف إلى مملكة سيوة لفتحها . ويحدثنا هيرودوت أن ذلك الجيش وقـع فريسة لعاصفة رملية اجتاحته فلم يسمع عنه خبر . ولقد اجتاز الاسكندر الأكبر كذلك ذلك الطريق فى عودته من سيوة بعـد أن نادى به قساوسة المعبد السيوى إلهـا . تلك هى طبيعة منخفض القطارة ، حتى إنها ظلت مئات السنين تقذف الرعب الخفى فى القلوب ، فكان الرحالون والقوافل تتجنبها دائما

ومع أن المنخفض قد كشف فى أواخر القرن الثامن عشر وارتاده الرحالة الألمانى رلفس (Rhulfs) سنة ١٧٨٤ ، لم تتجه إليه الأنظار اتجاها قويا إلا فى فجر القرن التاسع عشر

على أن حديثنا هنـا هو عن جماعة الكولونيل باكنولد (Bagnold) الذين اجتازوا المنخفض بالسيارات فى سنة ١٩٢٧ وقد دون باكنولد ماجاء على غير ما كان يتوقـع جمهور الناس ، إذ قال إنه لم يصادف فى رحلته حوادث مثيرة أو خطيرة ، فلم يضلوا الطريق ، ولم تتعطل سياراتهم ، ولم تهاجمهم قبائل معادية . وقد قامت الفرقة برحلتها المنهكة من غير حوادث ولا مصادفات ولـكنها عادت بوصف واضح لتكوين المنخفض . ويقول باكنولد إنه حتى فى أثناء الحرب العظمى الماضية لم تحاول عبور المنخفض دوريات السيارات الخفيفة التى كانت تقوم بعملها فى مصر لحراسة حدودها . ولقد بدأ رحلته من مينا ، باب الصحراء الغربيـة ، واختط طريقه جنوبى حافة المنخفض عابرا إلى قارة ، ومنها قدماً إلى سيوة — فبلغ ما قطعه فى رحلته ٤٠٠ ميل . ولاشك فى أن الرحلة لم تكن نزهة يتفكه بها ، إذ أن المنخفض ليس أرضاً صلبة ، لذلك كانت عجلات السيارات تغوص فى التربة الرملية الملحية .

وكانوا فى بعض الأحيان يقابلون قطعانا من الغزلان ترعى الحشائش المتناثرة التى تنمو بقطرات النـدى ، والتى يحيط بها من كل ناحية سهول ممتدة من الرمل الأصفر ، تتلاشى بالتدرج فى خط الأفق .

ويتـألف المنخفض من سلسلة من الأحواض الضحلة تحتضنها حروف واطئة ملتوية من الحصباء السمراء المحترقة بأشعة الشمس . وتقطع الأكمات على مقربة من منخفض القطارة مجار تشبه الجداول الصغيرة ، غير أن الماء لم يعرف سبيله قط اليها . ومن المشاهد العجيبة فى المنطقة الجنوبية للمنخفض انتظام الأكمات الرملية التى تنفصل كل منها عن الأخرى بما يقرب من مائة ياردة (أى نحو تسعين مترا) ، فى صورة مجموعة متصلة من السلاسل الرملية . ونجد متناثراً هنا وهناك على الأكمات الرملية جذوع أشجار الغابات المتحجرة بما فيها من عقد وفروع ، وبعض تلك الجذوع غائر بحيث لايبدو منها فوق الأرض الناعمة التربة إلا أعلاها بشكل يشبه مخالب عملاق تمتد فى الفضاء . وفى أثنـاء عبور الفرقة للمنخفض عثروا على مواطىء أقدام لا بد أن يكون قد مضى عليها سنوات عدة ، ولـكنها مع ذلك لم تـكد تؤثر فيها العوامل الجوية . وهناك يلف صمت الصحراء الرهيب كل شيء ، كأنه ملاءة شاسعة ، ذلك الصمت الذى يستحوذ على مشاعر الانسان ، فان لم يسيطر العزم الصادق على أعماله حينئذ ، تغلب ذلك الصمت عليه فساقه فى أى اتجاه طلبا للنجاة مما استولى عليه من السأم ، محاولا البحث عن سلوى يلجأ اليها فى ذلك العمق الرهيب لسكون المفازة الشاسعة ، وما يزال كذلك حتى يضل الطريق فلا يعرف أمشرق هو أم مغرب . عند ئذ تلحقه الخيبة والهزيمة فيقع فى سبات — فان لم تسارع اليـه النجدة كان الهلاك مصيره . تلك هى الأراضى التى اجتـازها باكنولد ورفقاؤه .

وتدل الـكتابات الجغرافية عن المنخفض على أن مصلحة المساحة المصرية قامت بتخطيطه على خرائط دائرية منذ سنة

١٩٢٧ ، وبذلك أصبحت مساحته معروفة على سبيل الدقة . وتكتنفه الأجرف الرملية من جانبيه الشمالى والغربى ، على حين أنه فى جانبيه الجنوبى والشرقى مفتوح منبسط بحيث ان قاعه فى معظم هاتين الجهتين يأخذ فى الارتفاع تدريجيا حتى يوازى المستوى العام للصحراء الحقيقية ويتلاشى فيه . وهذا التدرج فى الارتفاع من قاع المنخفض الى سطح الصحراء يجعل من الصعب تخطيط حد فاصل بين نهاية المنخفض وبداية الصحراء . على أننا اذا اعتبرنا المنخفض شاملا لبقعة الأرض الفسيحة التى ينخفض سطحها عن سطح البحر ، كان طوله من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ٢٩٨ كيلو مترا ، مع عرض يبلغ أقصاه ١٤٥ كيلو مترا ، فتكون مساحته ١٩٫٥٠٠ كيلو متر مربع . ويدخل فى حدوده واحة المغارة على جانبه الشرقى ، وواحة قارة — وهى واحة آهلة بالسكان على الدوام — على جانبه الغربى . ويقع الجزء الضيق للمنخفض ، أى الجزء الشرقى الذى به واحة المغارة ، على بعد ٢٠٥ كيلو مترات من القاهرة ، على حين أنه على مسافة لاتزيد على ٥٦ كيلو مترا من البحر المتوسط ؛ أما طرفه الغربى ، بالقرب من واحة قارة ، فانه يمتد الى نقطة تبعد ٨٠ كيلو مترا عن القرية الرئيسية لواحة سيوة ، كما تبعد ١٣٠ كيلو مترا عن حدود مصر الغربية . ويبلغ متوسط عمق المنخفض ٦٠ مترا تحت سطح البحر ، وأعمق نقطة فيه — وهى على مسافة ٣٠ كيلو مترا الى الجنوب الشرقى من قارة — يصل غورها الى ١٣٤ مترا تحت سطح البحر . ومما يسترعى النظر أن من الـ ١٩٫٥٠٠ كيلو متر المربعة التى تؤلف مجموع مساحة المنخفض جزءاً لايقل عن ١٣٫٥٠٠ كيلو متر مربع سطحها تحت مستوى سطح البحر بأكثر من ٥٠ مترا .

وتتغطى مساحة كبيرة من قاع المنخفض بتربة سبخة — وهى خليط من الملح والرمل — فيها على وجه العموم قليل من الماء ، وفى بعض البقاع تنبسط السبخة فوق أرض صلبة لايمكن اجتيازها الا بمشقة ؛ غير أنه فى جزء كبير من قع المنخفض تتحول السبخة الى قشرة صلبة أو رخوة تغطى وحلا متشبعا بالأملاح — وهذا الجزء يستحيل اجتيازه . وتقع الأكثبات الرملية التى أشرنا اليها من قبل فى أقصى الأجزاء الجنوبية للمنخفض ، وهى نتيجة لهبوب الرياح .

ويدل البحث الدقيق فى مساحة المنخفض والمنطقة المحيطة به على أنه لم يكن هنالك ولا شك اتصال مباشر بين البحر والمنخفض فى وقت من الأوقات . بل إن الماء الذى يوجد بالعيون القليلة التى يتز فيها الماء على مقربة من الجانب الشمالى انما سببه تواصل نشع الماء من تحت الأرض الى سطحها ، ذلك الماء الذى ينبع من نجود اندى (Ennedi) فى أقاصى الجنوب الغربى لمنطقة خط الإستواء بأفريقية ، ويسرى فى جوف صحراء ليبيا ، فيمد الآبار الأرتوازية فى الواحات الخارجة ، والداخلة ، وواحة الفرافرة والبحرية ، وسيوة . ويبلغ متوسط المطر الذى يسقط على منخفض القطارة نحو ٢٠ مليمترا فى السنة . ويتكون الجرف الشمالى للمنخفض من هضبة واحدة ممتدة بغير انقطاع ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٢٥٠ مترا . أما سفح تلك الهضبة فيبدو كما لو أن نهراً عظيما كان قد اتخذ مجراه على امتداد حافته ثم جف ماؤه فلم يخلف سوى حوضه المحتفر . وفى هذا الحوض — الذى يمتد ، على أعماق مختلفة ، حتى داخل حدود ليبيا — نجد العيون المائية القليلة فى تلك المنطقة . أما العيون التى تستمد مياهها من الأمطار فلا وجود لها هنا .

ورحلة باكنولد ورفقائه كانت عبر الحدود الجنوبية لتلك المفازة السبخة ، الصامتة ، الرهيبة ، الخالية من الماء ؛ وكانت جمابهم لاتحمل أمتعتهم فحسب ، بل حملوا معهم كذلك كل قطرة من ماء الشرب العزيز الذى كان مقدراً لهم ، لكل منهم قدر معلوم لايتجاوزه فى كل يوم . وبلغ الركب آخر الأمر واحة سيوة ، حيث يبدأ بحر الرمال الذى لاساحل له ، وحيث تتلاشى على الخرائط المعالم الأرضية ، وتحل محل الخطوط التى تحددها النقط التى ترمز للرمال تتلوها الرمال ، وحيث يقرأ المرء على الخريطة تلك الإشارة الغامضة : « حدود الأكثبات الرملية غير معروفة » .

ولقد عبر باكنولد ذلك البحر الرملى الشاسع بعد عبوره منخفض القطارة بسنتين ، وعاد كذلك بمعلومات قيمة .

***

ومن العجب أن بعض الرحلات الاستكشافية قد تبدو ابان القيام بها عديمة الأهمية ، ثم تحل من التاريخ المستقبل محلا رفيعا وتسيطر على بعض حوادثه سيطرة بليغة ، وبخاصة حين يكون مصير الشعوب فى ميزان القدر : فلقد وجد الجيش البريطانى الثامن فى منخفض القطارة ميسرة منيعة له حينما تقهقر من ليبيا واتخذ له

خطا دفاعيا جديداً يمتد من العلمين ، على ساحل البحر المتوسط الى حرف منخفض القطارة — وهى مسافة تبلغ نحو ٧٥ ميلا . ولقد وقف ذلك الحاجز المنيع عقبة كأداء فى وجه روميل وفرقه المدرعة التى كان يعتمد عليها كل الاعتماد . ثم أصبح ذلك الحاجز المركز الذى وثب منه الهجوم البريطانى حينما تجمع فى ذلك الخط ، ذى الخمسة والسبعين ميلا ، كل ما كان للجيش الثامن من عدد وعدة . ثم صب على « الجيش الأفريقى » الألمانى بتلك الصورة المهلكة ، حتى انه فى مدى ٣٨ يوما تفرق شذر مذر مرتدا الى طرابلس ، متقهقراً مسافة تزيد على ١٧٠٠ ميل — وهو أعظم تقهقر عرفه التاريخ الحربى . وفى أثناء تقدم الجيش البريطانى تحت لواء النصر فى أراضى ليبيا ، ألفى كذلك ميسرة طبيعيــة أخرى ، تلك كانت بحر الرمال الشاسع الذى يلتقى بالصعوبات فى سبيل وسائل النقل العديدة « الميكانيكية » . وبذلك كان الجيش على الدوام خلوا من كابوس العدو اذا عن له أن يصد الهجوم بهجوم على الجناح أو المؤخرة ، مما كان يفسد جميع الخطط الدقيقة التى وضعها القائد مونتغمرى . أفلا يصح أن نقول ان منخفض القطارة كان اليد المساعدة التى مدتها الطبيعة الى مصر ، لانقاذها من العصابات النازية المغيرة ؟

***

ترى ، هل يظل منخفض القطارة ذا اهمية لمصر فى مستقبلها ، أم هل يبقى مفازة تتحدى جهود البشر ؟ ألا ان هناك مشروعا نافعا تقدم به الدكتور جون بول (John Ball) فى تقرير له . فقــد اقترح فى سنة ١٩٢٧ ، وأعاد اقتراحه مرة ثانية فى سنة ١٩٣٣ ، بأن من الممكن استخدام منخفض القطارة لتوليد الكهرباء بالقوى المائية . وقد بحث الموضوع بمنتهى الدقة ، وعرض بشىء من التفصيل لطرق تنفيذه . واذا نفذ مثل هذا المشروع فان آلافا من العمال يستخدمون فى بناء الأقنية من البحر المتوسط الى حرف المنخفض ، كما تستخدم المهارة والكفاية الفنية التى تدخرها مصر فى رجال المساحة والهندسة من أبنائها . ذلك الى أنه اذا أمكن العثور على بقعة من الأرض مصمتة لاتتخللها المياه لتكون حوضا للملاحات ، كان من السهل انشاء منجم للملح بمساعدة محطة التوليد الكهربائى ، وبذلك يتيسر انتاج سلعة بثمن زهيد ، وهى الملح الذى لا يستغنى عنه بيت فى البلاد الشرقية .

وبناء على تقدير الدكتور بول يمكن الحصول من محطة الكهرباء على ٢٠٠٫٠٠٠ كيلووط صافية ، وان هــذه القوة الكهربائية تزود المناطق الساحلية على الشواطىء المصرية برفاهية لاشك فى تقديرها ، كما أنها تحول مئات الأميال فى مناطق البرارى والصحارى الى مدن ومجتمعات تنبض بالحياة ؛ فان هذه القـوة الكهربائية هى التى تجلب معها حيث تسير الصناعة والتجارة والعمل لآلاف الناس .

ومن البديهى أن الأمل فى انفاذ ذلك المشروع يتوقف على الحاجة المستقبلة الى القوة الكهربائية ؛ غير أن أهم جزء فى نفقات أى مشروع لاستغلال ذلك المنخفض المهمل هو الأعمـال الانشائية اللازمة لحفر الأقنية لمرور المياه من البحر المتوسط الى المنخفض . على أن العمل لا ينقطع بمجرد انشاء هذه الأقنيـة ، فالحاجة الى أعمال الصيانة لمخازن الكهرباء وما اليها تظل أبدا قائمة ، كما تظل الحاجة الى العمل فى الملاحات .

وأمر آخر ، وهو أن تحويل المنخفض الى بحيرة يسبب زيادة صغيرة فى سقوط الأمطار على السهل الشمالى ، كما يخبرنا بذلك الخبراء فى حسابهم الدقيق . ومن الواضح أن هذه النتيجة تكون من أعظم الأمور نفعا للزراعة فى المناطق الساحلية ، كما أنها ترفع مستوى الماء فى الواحات المختلفة .

ألا إن شبان الأمم جميعها يتطلعون الى المستقبل : وسيكون أمام مصر ، بعد أن تضع هذه الحرب أوزارها ، فرص لا تعد للقيام بأعمال اصلاحية تؤدى بهـا خدمات لنفسها ولغيرها ، وتحتل بذلك محلها بين شعوب العالم الرئيسية ، متمتعة بثمار أعمالها ؛ تلك هى الفرص التى تتيح لأهلها من العلماء ، ومهندسى المساحة ، والأطبـاء ، ورجال الصناعة ، ومهرة الفنيين ، والطلاب ، أن يتقدموا الى الأمام — كل يؤدى نصيبه فى حمل العلم والصناعة مورداً عذبا ينهل منــه جمهور الشعب . ومنخفض القطارة فى مصر ، على حد قول الدكتور بول فى مشروعه المقترح ، لايزيد على أن يكون أحد الأعمال الانشائية اللازمة بعد الحرب ، وهو عمل ينبغى أن ينال تفكيرا جديا من جميع المهندسين المصريين سواء أكانوا من رجال الكهرباء أم من رجال التعدين ، لكى تصبح ثمرة معارفهم ومهارتهم نفعا عميما لأبناء جلدتهم .

ستانلونه نرول

على هامش النقد :

خواطر متساوقة

فى النقد والأدب والأخلاق

١ — صرخة إنسانية ٢ — قفزة نفسية
٣ — تفاؤل مطمئن

للأستاذ سيد قطب

فى عدد « الثقافة » قبل الأسبق قصيدة لشاعر شاب « محمد العلائى » بعث بها إلى أبى العلاء « من القاهرة إلى المعرة » ... هى صرخة إنسان مألوم . قذفت به إرادة الحياة إلى دنيا كدنيا أبى العلاء ؛ ولم تكتف بهذا الشبه فى كيانه وموقفه فسمته « العلائى » أيضاً !

وعلى كثرة ما أقرأ من الشعر فى هذه الأيام منشوراً فى الصحف وغير منشور ، فقد وجدت فى هذه القصيدة طعماً لا أجده فى ذلك الكثير . وجدت طعم الصدق فى هذه الصرخة المباشرة ؛ فتحركت فى ضميرى كل أحاسيس « التعاطف » . ولا أقول كل مشاعر « العطف » كى لا أوذى الشاعر ، الذى ترتفع حساسته المؤذية حتى يقول هذه الأبيات :

شيخ المعرة هل مسَّتك أهوالى ؟
وهل طويتَ زماناً تحت أثقالى ؟

هجرت دنياك لم تشهد مباذلها ... ولم تعرج على صحب ولا آل
ولم تساير مَوَدَّات على ريب ... ولم تصانع أذى عم ولا خال
ولا الوجوه إذا اهتزت ملامحها ... بغمزة السوء من بال إلى بال
ولا العيون إذا رفَّت بخائنة ... ولا نميمة مسلول ومحتال
ولا حبائل مطموس على جدث ... به رميم الخطايا منذ أجيال
ولم تصعِّد أمانيا إلى شجر ... مدَّ الظلال على طين وأوحال
ولم تضاحك غراب البين تحسبه ... غرِّيدَ سانحة من يوم إقبال
ولم تذق خسَّة الدنيا إذا امتزجت ... كأس المقلِّ بأشواق وآمال
ولم تكابد رزاياها إذا جلبت ... شؤم العثار على ضيم وإقلال

ووجدت طعم الصدق كذلك فى هذه الصورة الزرية التى يرسمها للجيل البائس الذى نعيش فيه :

بنو الأوان مسوخ لا كيان لهم ... مرضى القلوب خطيئاتٍ لآباء
مَوتى المشاعر إلا يوم تافهة ... عمى البصائر إلا نحو أقذاء
هدّت كيانى بلواهم وحيرَّنى ... داء التفاهة فى موتى وأحياء
كأن ثرثرة الأفواه فى أذنى ... رشاش سم على قلبى وأحشائى
يقيء سمعىَ أشهى ما يفوه به ... خيارهم يوم سراء وضراء
هم كالذباب فلا خير بأنفسهم ... لأصدقاء ، ولا شر لأعداء
كلٌّ سواء : فلا بَرٌّ يفيء له ... قلبى . ولا فاجر أصليه بغضائى

يا أخى :

تلك — مع الأسف — صورة بنى الأوان . فى قلب كل « إنسان » وهى صورة كريهة شائهة . ولكنها هى الحقيقة الحقيقة . وقد تكون أنت أشد حساسية بها . ولكنك لست مفرداً فيها .

وإننى لأود لو تبلغ كلماتى هذه إلى أذنيك ، ولو تجاوزهما إلى قلبك . ولو تستطيع أن تنقل إليك اهتزاز نفسى ، فتشعر — على البعد — بهذا التجاوب معك فى دنياك !

***

وانتقلت من هذه الصرخة الوجيعة إلى مقال بعدد الرسالة الأسبق للدكتور مندور عن « الرقص الكلاسيكى » وليست النقلة بعيدة — كما يبدو — فقد بدأ المقال هكذا :

« بدا لى أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا منى فى تقويم الأخلاق . وقد يبدو هذا غريباً ؛ فكيف نقوِّم الأخلاق بالحديث عن الرقص ؟ ومع ذلك فهذا حق . فالرقص ونقصد به الإيقاعى والتعبيرى — لا الرقص الشرقى طبعاً — يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة فى الجسم تحرر النفس من آفاتها »

نحن إذن فى مجال الشكوى من قيود النفس ومن ضمور الأخلاق . فى المجال الذى انبعثت فيه صرخة الشاعر الوجيعة ، لم نعده إلى سواه !

وتعجبنى قفزات الدكتور مندور — فى بعض الأحيان — ففيها طابع الحرارة ، وعنصر الإخلاص ؛ وهو مُيسَّر لهذه القفزات ، وإن اختلفنا معه فى التطبيق هنا كما اختلفنا معه فى تطبيق « الشعر المهموس » !

اسمه يقول : « والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح . وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم فى الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك فى أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذى نشكو منه يرجع إلى الحزن الذى ينزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدما . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذى لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور » وكل ما يختص بأحزاننا الهامدة صحيح . ولقد كتبت فى عام ١٩٤٠ مقالا مطولا فى مجلة الشؤون الاجتماعية تحت عنوان : « مباهج الحياة عنصر أصيل فى الإصلاح الاجتماعى » بدأته بهذه الفقرات :

« نحن فى حاجة إلى حظ كبير من الفرح ، لأننا فى حاجة إلى حظ كبير من الحياة ، وإلى حظ كبير من سلامة الفطرة ، وصحة الشعور ، وهما أكبر مقومات الحياة .

« وحظنا نحن المصريين من الحياة ضئيل ، لأن حظنا من الفرح ، ومن المباهج الروحية ضئيل . وإنما يصح هذا القياس لأن الفرح الإنسانى ظاهرة نفسية وعقلية ، تقابل فى الحيوان ظاهرة القفز والوثب ، وفى الطير ظاهرة السقسقة والغناء ، وفى النبات ظاهرة التفتح والازدهار . وهذه الظواهر جميعاً دليل الحيوية والصحة فى الأحياء .

« نحن فى حاجة اذن الى حظ من الفرح الإنسانى الراقى ، لأننا فى حاجة الى حظ من الحياة الصادقة والفطرة السليمة .

« ولكن أهذا كل ما ينقصنا من ألوان الفرح ؟

« الواقع أن حظنا كذلك ضئيل حتى من الفرح الحيوانى الذى يدل على سلامة البنية وصحة الجسد واكتفاء الغريزة . والحرمان من هذا اللون ربما كان أخطر وأوغل فى العلة ، لأننا بهذا الوضع لا نرتقى فى سلم الصحة حتى الى مرتبة الحيوان ! »

« تشخيص » الدكتور مندور للعلة فى الشرق صحيح . ولكن الذى أخشاه هو ألا يكون قد وقع على العلاج الصحيح . وألا يكون رقصه المقترح هو الدواء المفيد .

فلقد ضرب المثل بالإغريق وإقبالهم على الرقص وأثر هذا الرقص فى تربيتهم الخلقية وفى عبادتهم للجمال . الجمال الذى هو قوام العمل الخلق : « وليس من شك كذلك أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا فى نفوسهم معانى البطولة ومثل الأخلاق . ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاق هو جماله المشرق » ...

فالذى أعتقده هو أن الإغريق انما أقبلوا على الرقص الذى « يستمد ايقاعه من الموسيقى الشائعة فى الطبيعة » لأنهم قبل أن يرقصوا فاضت نفوسهم بالحياة الدافقة ، وأحسوا موسيقى الطبيعة الشائعة ، فأفاضوا الحيوية الكامنة فى كيانهم رقصاً ، وبادلوا موسيقى الطبيعة الشائعة ايقاعا . ولم يكن الرقص الا منفذاً للرصيد المذخور .

وليس الذى ينقص الشرقيين هو أن يرقصوا على نغمات الطبيعة ، ولكن الذى ينقصهم هو أن يدركوا هذه النغمات ، وأن يجدوا لها رصيداً يكافئها فى نفوسهم فيجاوبوها بهذا الرصيد .

ان الحيوية الكامنة هى التى تنقصنا — فيما أحسب — فليس لدينا منها ما ننفقه فى الرقص وما ننفقه فى المرح ، وهما منفذان يتسرب منهما النبع الفائض حين يفيض . فمتى يمتلئ الإناء الفارغ ، حتى يتسرب وحتى يفيض ؟

هذه هى المسألة يا عزيزى الدكتور !

* * *

ولا تخيم الصحيفة على هذا التشاؤم ، ففى عدد الرسالة نفسه بصيص من نور فى مقال للدكتور محمد صبرى عن « علل المجتمع المصرى » جاء فيه :

« لكل مجتمع علله وآفاته . ولكننا اذا استعرضنا علل المجتمع الأوربى كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع المشخصات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصرى فهو مجتمع فى طور الانتقال »

« والواقع أن عللنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده . وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص. وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب . وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا ، وان تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات .

« وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم ، ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل فى اصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب — وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو — يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وان مركزها الجغرافى الى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التى تهيمن على البحر الأبيض ، أى قبول الاستعباد فى شكل من أشكاله »

ثم يختم كلمته قائلا :

« وقد اخطأ الفريقان فى نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ الى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصرى باعتباره قد استكمل أداته للكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبروا استقر . وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

« ولو انهما انتبها الى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وان بعض العلل التى نراها ليست من العلل « المزمنة » وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصرى الصحيح ، وانها اذا عولجت انتفت عنه ، وزالت كما يزول كل عرض ... أقول لو أنهما انتبها الى ذلك لفهما أن تشاؤمهما أكبر خطر يتهدد الفكرة الاصلاحية ، بل وكل فكرة تطمح الى المثل العليا والسير بالبلاد الى أبعد الغايات » .

***

هذا التفاؤل مطمئن على كل حال . وفى هذا القول كثير من الصدق . وشاهده قائم فى الحياة المصرية القديمة والحياة المصرية اليوم . وقد كانت لمصر مباهجها الحية يوم كانت حياتها توحى بالمرح والابتهاج ... وحتى الرقص ، الذى يريد الدكتور مندور ليستجلبه لنا من الإغريق . قد حفظت لنا منه الصور الفرعونية والآثار مشاهد جميلة فائضة بالحيوية متسقة بالايقاع ، مشعة بالسرور !

فلنستمع الى صرخة الشاعر الإنسانية . والى قفزة الدكتور النفسية ، والى تفاؤل الدكتور المطمئن ، فكلها دليل حيوية قد أخذت فى الظهور

سيد قطب



رئيس . . . !

عدت إلى منظارى فوضعته على أنفى وقد أزلت عنه ما علق به من الغبار والصدأ ؛ وما زال لهـذا المنظار سحره العجيب . فهو يرينى من دنيا الناس ما لا ترينى العين المجرَّدة ؛ فلولاه مثلا ما استوقف بصرى هذا الذى أحدثك عنه ، والذى أضيف إليه لقب الرياسة العظيم ، وما هو من ذوى الجاه ولا العظمة ، إذ ما زاد على أنه كبير الخدم بالمدرسة التوفيقية الثانوية.

وأنا يا قارئى العزيز رجل بسيط ، فقـد لا أرى شيئاً من العظمة ولا من الرياسة فى بعض من تواضع الناس على أنهم عظماء ورؤساء ، وقد أرى العظمة كل العظمة والرياسة كأحسن ماتكون الرياسة فى رجل كالذى أحدثك عنه . ولست بالضرورة أدعوك إلى أن ترى ما أرى ، فأنت وشأنك ، وإنما أدعوك لأن تقرأ هذا فى غير سخرية منى ...

إن « عم أحمـد حسين » كما يسميه الطلاب « والريس أحمد العهدة » كما يدعوه زملاؤه ، أو على الأصح مرؤوسوه ، هو رجل يرينى منظارى من خلقه وسمته ما يحملنى على أن أرى فيه رئيساً بل ورئيسا محبوبا إن أردت الحق .

أول ما حببه الى وقاره اذا تكلم أو مشى ، ووفرة شعوره بشخصيته . والأنفة ممن كان فى مثل موضعه تحمل على الإعجاب والمحبة ؛ فكم نسى الأنفة كثيرون هم أرفع درجة منه بحكم العمل . وليس فى أنفته شىء مما يرى فى غيره من ذوى الرياسات من صلف أو غرور ، وإنما هى الكرامة تلمحها فى وجه « عم أحمد حسين » حين يأمر فى صلف أو ينهر فى غير موجب ، فتراه عندئذ يرشق آمره أو ناهره بنظرة ثائرة فيها التمرد الصامت ، والعتاب الذى يشبه الازدراء ، وبين يديه ثمانية وثلاثون عاما قضاها بين جدران ذلك المعهد العتيق . فمثله ليس بالشخص الذى يرهب سلطان متسلط وقد درج تحت بصره فى هذا المعهد مئات من رجالات هـذا البلد فما أساء اليه أحد بكلمة .

وحببه الى كذلك حيويته ودأبه واخلاصه فى عمـله وعظيم تأثيره فى مرؤوسيه وقد علت به السن ؛ فما تدور بعينيك فى ركن من أركان الدار الا طالعك منه « عم أحمد » فى جلبابه الجيد النظيف وقد تجعد شعر فوديه الأبيض تحت طربوشه القاتم الطويل يدفعه دائما الى الخلف قليلا بحيث تتدلى خيوطه فوق أذنه اليمنى ، وكأنما يكسبه هـذا الوضع مهابة الى جانب ما يكسبه منها شعره الأبيض وطول أعوام خدمته ، أو هكذا خيـل الى منظارى ...

ويعجبنى منه ذكاؤه وسرعة خاطره وخفة روحه ، فهو سريع الفطنة الى ما يسرك من ألوان الحديث وكيفيه الخطاب ، فيحدثك وهو ينظر بعينيه اللامعتين اذ تسمع ، فإن لمح أثر ارتياحك على محياك استرسل ، وان آنس فيه كدرة أدار الحديث فى لباقة وسرعة حتى يقع على ما تحب .

وأجمل حديثه ما كان عن تاريخ المدرسة وتلاميذها القدماء ، فيسمعك أسماءهم كما كانت تسمع فى فناء الدار ، خالية من ألقاب العزة والسعادة والمعالى وما اليها ، وكأنه يريد أن يلقى فى روع طلاب اليوم أن هؤلاء كانوا بالأمس مثل ما هم عليه الآن ، وهو ايحاء يحبه الطلاب . ومن يدرى فلعل فيهم من يحمل فى غد أكبر الألقاب ، أو من يستغنى بنباهة اسمه عن جميع الألقاب .

على أن أكرم خلال ذلك الرئيس هى وفاؤه لكل من يعمل معهم ، وغيرته على سمعة ذلك المعهد الذى يعمل فيه ، وان جميع من عرفوه ليلمسون فيه هذا الوفاء .

واذا شئت دليلا على وفاء هـذا الرجل ، فاعلم أنه يرسل كل عام فى عيد الميلاد خطابا الى مستر اليوت[1] بانجلترا ؛ ومستر اليوت هـذا كان ناظراً للمدرسة التوفيقية منذ ربع قرن ، وهو لا يملك له اليوم ضراً ولا نفعا . ولذلك فوفاؤه لا تعلق به شائبة من تلك الشوائب التى قلما خلا منها « وفاء » فى هذه الأيام . وقل فى الناس من يوادك الا لعلة .

أرأيت معى أن « عم حسين » خليق بأن يدعى الرئيس ، وبأن رياسته خليقة بأن تحب ؟ ان كنت فى ريب من هذا فأخطر ببالك من تطمئن الى الاعتراف لهم بالرياسة ، وانظر ان كنت تجد فرقا بينه وبينهم ، ومرد الأمر فيما تحكم الى ذمتك ، أما أنا فلست أشك فى أنه أكرم عندى من كثيرين ، واذا كان هـذا الخطاب الذى أشير اليه دليلا على ديمقراطية الناظر القديم ، فان فيه لك شهادة على أن كبير الخدم أحمد حسين جدير بأن يذكر وبأن يحب .

الخفيف

(١) تجد رد مستر إليوت عليه هذا العام معرباً فى البريد الأدبى

من دعاة الحرية

جويو

للأستاذ زكريا ابراهيم

ليس أكثر من دعاة الحرية فى هذا العصر ! وليس أكثر ايغاراً للصدور من دعاة حرية الفكر ! وما أنا بغافل عن تلك الضجة التى أثيرت منذ أمد قريب ، حين عرض أحد الكتاب لقضية الحرية الفكرية ... ومع ذلك فاننى أجد نفسى راضياً بأن أثير هذه المسألة الشائقة الشائكة معاً ، لأجل خاطر «جويو» صاحب هذه الدعوة !

وصديقنا جويو فيلسوف أصيل جمع بين العمق والطرافة والوضوح . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يفهموا الفلسفة على أنها قطعة منتزعة من قلب الوجود ، وليست مجرد أفكار عقيمة لا تمت الى الحياة بأدنى سبب . فالفكرة الجوهرية فى مذهب جويو هى أن « الحياة » جوهر الوجود ، وأن الفكر ماهو الا جانب من جوانب الحياة . وقد استطاع جويو أن يوفق بين النزعة الفردية والنزعة الاجتماعية على أساس هذه الفكرة ، فذهب الى أن المثل الأعلى للحياة الفردية ، انما هو ذلك الذى تتمثل فيه الحياة الحافلة ؛ والحياة الحافلة هى تلك التى لا تكون فيها الذات مغلقة على نفسها ، بل تكون قادرة على أن تسع غيرها من الذوات . ومعنى هذا أن نقطة البدء فى فلسفة جويو هى « الفردية » لأن الحياة الخصبة الحافلة انما هى الحياة الفردية التى لا تكون فيها معارضة بين الفرد والمجموع ، اذ تمتد الذات حتى تشمل المجموع وتضمه تحتها !

وقد نشأت فكرة الحرية عند جويو كنتيجة لهذه النزعة الفردية الخاصة . ونحن ندع جويو يعبر عن هذه الفكرة بعبارته التى تفيض قوة وحماسة ؛ فيقول :

« ... ألا يمكن أن يأتى ذلك اليوم الذى فيه تزول كل العقائد السائدة التى يتمسك بها الناس ، بحيث لا يبقى أى ايمان عام يستأثر بالنفوس أو يتملك العقول ؟ ألا يمكن أن يحين ذلك اليوم الذى فيه يصبح الاعتقاد « فرديا » خالصا ، فلا تعود هناك سنة بل خروج وابتداع ؟ ان الرغبة فى التحكم فى العقول هى أسوأ بكثير من الرغبة فى التحكم فى الجسوم ، فمن واجبنا اذن أن نتحامى أولئك الذين يريدون أن يفرضوا أنفسهم علينا ، أو أن يجعلوا من أنفسهم موجهين لأفكارنا ، أو قادة لضمائرنا ... أجل . يجب علينا أن نتجنب هؤلاء كما نتجنب المصائب والمحن ! فقد آن الأوان لأن نسير بمفردنا ، وأن نفزع من أولئك الوعاظ الخادعين ... علينا أن نصبح نحن قادة لأنفسنا ، فلا نتعمد الوحى والإلهام الا فى نفوسنا . أما المسيح فلم يعد موجوداً ، لأنه ليس ثمة ايمان عام بعد اليوم ! فليكن كل واحد منا اذن مسيحا لنفسه ، وليتصل بربه كما يشاء ، وليعتمد على الهه كما يستطيع ... وليتصور كل منا هذا الكون كما يحلوله ، وليخترأى نظام يروقه . أما أولئك الرجال الذين قد يستطيع المسيح أن يقول لهم : ما أقل إيمانكم ، فطوبى لهم اذا كان معنى هذا أنهم رجال مخلصون لا يريدون أن يخدعوا عقولهم ، أو أن يلغوا ذكاءهم ، أو أن ينتقصوا من كرامتهم ! طوبى لهؤلاء القوم ، لأنهم يملكون روحا علمية حقيقية ، وفكراً فلسفيا صادقا ، ولأنهم لا يؤخذون بالمظاهر ، بل يأخذون الحذر حتى من عيونهم وعقولهم ، ولأنهم يبدأون دائما من جديد ، فاحصين احساساتهم ، وممتحنين استدلالاتهم . ان هؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يظفروا بجانب من الحقيقة الخالدة ، لأنهم لا يظنون فى أنفسهم أن فى وسعهم أن يظفروا بالحقيقة كلها ؛ فلديهم اذن قدر كاف من الإيمان الحقيقى الذى يدفعهم الى أن يبحثوا دائما ، بدلا من أن يركنوا الى الراحة والهدوء ، مكتفين بأن يرسلوا الصرخة العالية قائلين : لقد وجدنا ! لقد وجدنا ! أجل ، إن هؤلاء هم الشجعان الذين يواصلون السير والتقدم ، حين يتوقف غيرهم ويركن الى الدعة والجمود ؛ فالمستقبل لهم وحدهم ، وفى أيديهم يقع مستقبل الإنسانية فى العصور المقبلة ! »

هذه هى الحرية الفكرية كما يفهمها جويو ، فهى فى نظره ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة ، وحاجة من الحاجات الهامة التى يقوم عليها مستقبل الانسانية . وليس أحب الى نفسى من هذه العبارة الخالدة التى يصور فيها جويو موقف الإنسانية اليوم فيقول :

أدب الشام الحديث

للسيدة وداد سكاكيني

منذ القدم اقتسمت بلاد العرب أدبها الأصيل ، فكان لكل قطر شعراؤه وأدباؤه . وكان الشعر فى آثار العرب الثقافية أول ما جاد به دهرهم وأطل من آفاقهم ، فكان فى الجاهلية موزعا بين قبائل وعشائر لكل منها شاعرها الذى يحمى ذمارها ويروى أخبارها ، وكان لنجد شعراؤها كما كان للحجاز أندادهم من أهل القرائح والبيان . بيد أن الأدب الذى انتهى إلينا منهم والشعر الذى أثر عنهم لم يكن بتلك القسمة فى عهود الجاهلية متميزاً بعضه من بعض ، إذ كان نسيج القصائد فى تلك الفترات متشابها ، ولم يستطع دراس الأدب من قدامى ومحدثين أن يكتنهوا الفروق بين أولئك الشعراء ، فالجزالة والفحولة حتى فى شعر النساء كانت شركة بينهم ، وسلامة الطبع والجبلة موهبة فيهم ، والسذاجة والبعد عن التكلف من سجاياهم ، أما الفروق الفنية فقد بدت فى الشعر والنثر بعد الإسلام ، فكان شعراء أمية السياسية فى طبيعة قصائدهم غير شعراء الحجاز الغزل . وقضى الأمر فى قسمة الأدب بين البلاد العربية فى العصور العباسية ، فظهرت الميزات والعلامات بمياسم أكثر انطباعا وأشد وضوحا ، فإذا للعراق أدب فياض شاعت فى مجاليه مطارحة الندامى وأغانى القيان ومجون الشاربين ، وإذا للأندلس طائفة من الشعراء انسرح خيالهم ، ورق شعورهم ، فابتدعوا الموشحات والمقطوعات ، وخلعوا على أدب العرب وشاحا هفهافا ، وفى نسمات الوادى الكبير ، أطلقوا فى ثناياه أعنة الخيال من روح الأدب الغربى الذى رف عليهم ومن صوب الإسبان أو عبر نحوهم من جبال (البيرنيه) .

وكان ثمة شعر مطبوع وأدب بهيج الألوان ، نجما فى آفاق الشام ، وقد نمتهما دارات غسان ورعتهما ضفاف بردى ، ورفت بهما أفانين (جلق) بغوطتها الخضراء كيوم العصابة التى درّ درها ونادمها حسان فى الزمان الأول . فقد عرفت الشام بلون من الشعر سماه المعاصرون من عرب ومستشرقين بالطريقة الشامية ، وهو ضرب من البيان ظهر فى آثار أبى تمام والبحترى وأبى العلاء فيه اللفظ البليغ والصناعات ذوات التحاسين ، حتى بات شعر الشام ، كعصب اليمن ، أفوافه مزركشة ومطارفه منمنمة ، فكأنه نمارق على أرض أو ديباجة على جدار

وإننى إذ أرسم صورة لأدب الشام ، لا أقول بالاقليمية العصبية ولا أغلو فى الرأى والتصوير ، وإنما أقصد إلى تلك المزايا التى اختص الله بها كل بلد من الأرض ، فجعل فيها البيئة ذات خلق وتكوين ، تؤثر فى سكانها وتطبع المرء بمزاجها ، فتجعله حسب أطوارها ومقتضاها

«إننا على ظهر سفينة هائلة كالتنين الضخم ، وقد اقتلعت الأمواج العاتية دفة هذه السفينة ، وحطمت الرياح الثائرة ساريتها . فالسفينة الآن ضالة فى المحيط ، تتخبط ذات اليمين وذات الشمال ، مثلها مثل الأرض السابحة فى الفراغ ! وهى تسير بالمصادفة والاتفاق وتضرب ضرب عشواء ، مدفوعة بالرياح السوافى ، كأنما هى حطام هائل يحمل فوق ظهره الناس ... وقد تصل هذه السفينة إلى هدف مجهول ، أو غاية غير معلومة ، فتبلغ الإنسانية غرضا لم ترم إليه من تلقاء نفسها . ولكن ليس ثمة يد تقودنا ، ولا عين ترعانا ؛ والدفة قد تحطمت منذ زمن بعيد ، بل لعلها لم توجد يوما ما ، فعلينا أن نصنع هذه « الدفة » ؛ وتلك مهمة خطيرة ، ولكنها عملنا ، ومن واجبنا أن نقوم بهذا العمل » .

نحن إذن فى دور اضطراب وصراع ، فلابدّ لنا إذن من أن نفكر بحرية فى الطريقة التى نخلص بها من هذه الفوضى . والحرية التى يدعو إليها جويّ و ليس معناها الفوضى ، وإنما هى حرية تنطلق معها النفوس من نير العبودية ، كما انطلقت الأجسام من نير الرق القديم . العالم — اليوم — يتحرّق شوقا لهذه الحرية ، فقد ظل الفكر أمداً طويلا حبيس الأنفاس ، لا يفكّ إساره إلا بالقدر الذى يهيىء له أن يسير بضع خطوات فى حظيرة الإيمان الضيق ! ولكننا نريد أن ينطلق الفكر كما يشاء ، حرًّا لا تقيده سلطة ، ولا تردّه قوّة ، اللهمّ إلاّ سلطة المنطق ، وقوة المعقول !

(السويس) زكريا ابراهيم

من خطرات هذا الرأى ما صوره الشاعر ألفريد دوموسيه ، فإن له رواية سماها « الكأس والشفاه » وصف فيها رجلا من سكان التيرول يقول الشعر ويروى سيرته ، فيعرضه الشاعر بتعاريض أولئك الأشداء الذين سكنوا في الأرض القاسية ، فعلوا قمم الجبال على صهوات خيولهم ، ولم تتطامن أخلاقهم كأوائك الذين سهلوا إذ سكنوا في السهول

وما ينكر المنصف أن الأدب كالمخلوق الحي ينمو وينضج وتسرى في أعراقه دماء يطلب العارفون فيها الأصالة والنشأة التي تخضع لمنازع ثقافية وأحداث اجتماعية وسياسية

فأدب الشام الحديث هو من هذا القبيل أدب عربي الوجه والروح وقد صقله الفن والتطور وظهرت عليه مغارس الوطن ، ولم يولد هذا الأدب ولادة ارتجال ، وإنما فتحت الشام العيون بعد الحرب الماضية على حركة فكرية جديدة ويقظة ثقافية بلغها شذاها من ضفاف النيل فودت لو أتاح لها العصر منها مثيلا ، وكانت مثل سجين لم يجد أرفه لنفسه وأقرب إلى قلبه من أدب المصريين فتأثرت الشام نهضتهم ومضت على غرارهم في نشأتها الحديثة . وكم راجت فيها سوق الأدب لقصيدة قالها شوقي أو حافظ ، ولكتاب ألفه المنفلوطي أو الرافعي ، وكان في تلك الآونة نفر من الشاميين متنورين لكل نهضة ، بعضهم عرف الغرب وورد مصر ورود النحل على الأزاهير ، ثم صدر عنها فعاد إلى الشام ينشىء المجلات وينشر الصحف ويحاضر في المجامع والندوات داعيا إلى نشر الثقافة والأدب . وأسس المجمع العلمي العربي في دمشق على الفصحى وحفاظ أمجادها وذخائرها فجمع بين لغوى مدقق وعالم فيلسوف ومؤرخ محقق وشاعر أديب ، ورفدت أعماله مجلة ذاعت في أقطار العرب . وكان من السوريين شعراء قد استيقظوا بعد الحرب الغابرة على صيحات البعث والتحرر والتجديد فأخذوا بشيء من القصيد كأنه الينبوع يفيض حينا وينضب حينا ، وفيهم من حذا حذو جرير والأخطل حتى قلدهما في حلية القريض ، ومنهم من أدمن الإلمام بالمتنبي حتى سرى في بيانه روح أبي الطيب وعنجهيته . وكما كان في كل بلد أدب للشيوخ وأدب للشباب فكذلك حدث في أدب الشام ، وليس بين الفريقين تنابذ وجفاء ، فالشيوخ رسخ مجهودهم في اللغة والعلم والبحث ، والكهول والفتيان امتلأت نفوسهم بالأمل والطموح ، واكتسبوا بالتحصيل ما بدأوا به الأوائل ، فقد جمع بعضهم بين الثقافتين العربية والغربية ، فانبعثوا وراء المثل العليا يسترشدون بالهداة ويتأثرون أعلام هذه النهضة التي تنوروها من قريب ومن بعيد

وان في أدب الشام الحديث لألوانا وفنونا ، ففي الكتابة والإنشاء فريق لو أتيح لهم ذيوع النشر وطباعة تفي بآثارهم فتذيعها في الناس ، أو لو كانت صحفهم تجاوز آفاقهم ، لشاع صيتهم ، وفي هذا الملأ مواهب فنية في النقد والقصص . لولا إيثار أصحابها لوظائف الدولة لأثر عنهم كل أثر نفيس

إنه لأدب طريف الألوان أصيل السمات ، ولكنه ضئيل الجرم ، محلي الشيوع ، مقيد الخطوات . وفي مصر أدب جبار قيضت له أسباب الانتشار والازدهار ، والشام سوق لهذا الأدب المصري بأكثر مما هي فيه لأهلها ، فلو سئل المثقف أو المتعلم في ديار الشام عن مصر وأدبائها وكتبها وعلمائها ، لأجاب بما يعجب ويطرب ، إذ أن أدب مصر يعيش في تلك الديار منذ ثلاثين عاما كما يعيش في حمى الأزهر وتحت قبة الجامعة ، وفي ندوات الثقافة المصرية ، غير أن مصر التي يجمل بها عتاب الحبيب لا تعرف من أدب الشام إلا القليل ، وكلتا الشقيقتين على حق فيما ترى بهذا الشأن .

ولعلي أتحدث قريبا عن فنون هذا الأدب مزوداً بذكر أعلامه وكاتبيه وأهل القصة والنقد فيه

وداد سكاكيني

صفحة حزينة ...!

[إلى زوجتى الشابة المثقفة الطيبة الخلق شريكة حياتى ورفيقة دراساتى] .

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

بعد أيام ...

مماتك فى الرَّيعان أصمى مقاتلى
وفقديكِ من عيشى مثيرٌ مشاكلى
وكنتِ الغِنَى من مشكل بعد مشكل
وعقداتِ نفسٍ تستديم قلاقلى
مشاكل شتَّى : حاجةُ النفس للهوى ،
وحاجةُ ذى حسٍّ ، وحاجة عاقل
جمعتِ لى الدنيا — فأغنيتِ معدمى ،
وأمتعتِ محرومى ، وزينتِ عاطلى
أدور بعينى كالشريد بلا هوًى ولا منزلٍ مثلِ الهوى والمنازل
وما منزلى إلا الذى أنتِ ملؤُه وما من هوى إلاكِ بين العقائل
رأيت الغوانى وهى لهوٌ ومظهرٌ وأنتِ مزاجٌ من جميلٍ وكامل
ورقة إحساسٍ ، وعفة لفظةٍ ولحظٍ وتفكيرٍ ، وحفل فضائل
تعزَّيتُ لو أنى كغيرى من الورى
وأنَّكِ أنثى كالنساء الحوامل
ولكننى نفسا وحسًّا مُعَقَّدٌ
وأنكِ طبٌّ للنفوس العلائل
أقول لدهرى فيمَ ، فيمَ حرمتنى ؟
وكل عزائى كان فيها ونائلى
أسائله فى كل يوم وليلة ولن ينتهى مهما حييت تساؤلى
أرانى مع الأيام تزداد لوعتى ، وعهدى بها للنقص فى قول قائل
ويوحشنى ، أنى وحيد وأننى
مع الناس — أبغى الأنسَ فى غير طائل
يزلزلنى همى ، فأخرج هائما أسكِّن فى هذا الفضاء زلازلى
فأذهل أن ألقى السماء وضيئةً تَشيعُ على الآفاق بسمة آمل
وأن تكتسى الأشجار أنضرَ خضرة
ويرقصَ موجُ النيل رقصة جاذل
بنا تسخرُ الأقدار : موتٌ وأدمعٌ
وثمَّةَ أنوارٌ وزهر خمائل ؟!
خيالك فى التابوت أثلج بى دمى ،
وأحرق أعصابى ، وهدَّ مفاصلى
وغيَّض دمعى أن رأيتك جثةً
وجسمك معروق العُلى والأسافل
ووجهك شمعٌ ذو شحوبٍ وصفرة
كرسمٍ عتيق فى التصاوير حائل
وشَعرك غربيبٌ ، وهُدبكِ أسودٌ
كذيل غُدافٍ حالك الريش ذائل
وما أنس لا أنسى جبينَك عاليا
قويا — على قيد الردى — غير ناكل
كأن الردى قد هاب ما فى وطابه
من العلم عصريًّا وعلمَ الأوائل
وأذكر زوجى كيف كانت إلى مدًى
قريب ، وما اختُصِصْتُ به من شمائل
فينهل دمعى هامراً بعد حبسةٍ
تَفَجُّرَ مُزنٍ حافل الضرع هاطل
وأعجبُ من شأن الحياة وسرِّها وأعجب من شأن المنون العاجل
ويبلغ من فعل الزمان تعجُّبى ، فأضحك كالفجوء من فعل هازل
هنا كان إنسانان : شطرٌ وصِنْوُهُ
سعيدان فى فيض من العطف شامل
ففيمَ انصداعُ الشمل ، شطر على الثرى
وآخر من تحت الثرى والجنادل
لقد كان لى فى الحب مَحْيا مضاعفٌ
وحبك — بعد البين — لا شك قاتلى

ذكرى

على الرغم منى أن خلا منكِ معهدُ
وأنَّك ذكرى كالصدى يترددُ

وأنت التي كانت عميقاً شعورُها
وتفكيرُها فهي الوجود الموكّد
طواك الردى ما بين يوم وليلة وأهنأ هذا الناس نحن وأسعد
وجِدُّ الردى هزلٌ، وأحكامه هوًى
ومنطقه فوضى القياسِ مفنّد
قضى أن تموتى حتفَ أنفك غضّة
وما أنت كُبرانا ولا أنتِ أزهد
وأن يتوافَى نحو بيتك صحبُنا فيلقاهم فى البيت أرملُ مُفرد
يصبّرنى أهلى شجاهم تهالكى يقولون هذى أختها تتجلد
وما أختها؟! إنى عَدِمْتُ قرينتى وأختى، ومن أرجو، ومن أتفقد
تسائلنى أمى ضحًى: أين تقصد؟ فأُخْم لا أدرى، فيَدْمَى تشرّد
وأغمض جفنى حين تطرق مضجعى
ليُسكن روعَ الأم أنىَ أرقد
يُهيِّج ما بى أن ألاقى معزّيا
وما بى — وإن طال المدى — ليس يخمد
وجانبتُ من لم يبلغ النَّعْى سمعَه حذارَ سؤالٍ عنك لا يتعمّد
وأعدل عن هذا الطريق لغيره فقد طالما جُزْناه نهوى ونصعد
وخير رفيقٍ أنتِ فى كل رحلة وخير سمير للحديث ينضّد
ونجلس فى حضن الطبيعة، صمتُنا مناجاتها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للاسفار ندرسها معا
كأنْ ليس غير الكُتْب فى العيش مقصد
فلا درس إلا وهو عندك أرشد ولا لهو إلا وهو قربَك أرغد
أمثلك لى خلٌ كريمٌ موافق! أبعدك نعمى فى الحياة وأَسْعُدُ!
وهل متعة إلا عليها موكّلٌ يحرّمها من ذكرياتك مُرصَد
بحسبيَ أيام قلائل عشتُها بواحة روض حولها العمر فدفد
هنيهة أنسٍ، قبلَها العيش صفحةٌ
بياضٌ وعيشى بعدها اليومَ أسود
ووالله لا أدرى أدهرى أذمّه
على قِصَرٍ فيها — ولا شىء مُخلّد؟
أوانٍ على ما خصّنى فأذاقنى
ولو طرفاً من ذلك الخلد أحد؟

برغمىَ أن قد عاود الشعر مِقْوَلى
وأن كان فى مرثاكِ منه التجدد
وقد كان يستعصى علىَّ، فما له
كدمعى معينٌ سيلُه ليس يجمد!
تعجّب أصحابى وطال سؤالهم يقولون لى فى كل يوم تَقَصَّدُ
وما كان أغناهم عن القول لو دروا بأنىَ طول الليل يقظان مُسْهَد
وكنتِ عروسى فى الحياة، فلانَنِى
عروسَ قصيدى تلهمين وأُنشد

عبد الرحمن صدقى

كرسى مجلس النواب
للأستاذ محمد الأسمر

[نظم الشاعر هذه الأبيات للشبان النواب بمناسبة فوز أصدقائه الثلاثة: مصطفى بك أمين، علي أمين، كامل الشناوى فى المعركة الانتخابية].

تهنئاتى: ثم كونوا عندما قلتم قبل دخول (المجلس)
واحذروا (الكرسى) كم مرَّ به معشرٌ غيركم، ثم نسى
لا تكونوا فوقه مثل الذى يحضر (الجلسة) مثل الأخرس
أو كمن يهتف للزور به فإذا الحق بدا لم ينبس
أو كمن تصفيقه ثروته وهى عندى رأس مال المفلس
أو كمن قيل له كن فوقه صنما، جئتَ لهذا فاجلس
أو كمن يشتم قوما ظالما فهو يعوى كعواء الأطلس
أو كرهط فوقه سيماهم عدم الفهم، وهز الأرؤس
أو كمن نام به ليس له من وجود فيه غير النَّفَس
أو كعريان رآه متجراً فهو فيه قاعد كى يكتسى
بئس من أكرمه الله به فأبى إلا حياة التعس
يحمل الكرسى منه جثة أيها الكرسى لا تبتئس
هذه الدنيا حظوظ كلها وكذا حظك، فانظر وائتس

***

يا أزاهير الشباب المرتجى حققوا فيكم رجاء الأنفس
أنتمُ ضوءٌ جديدٌ علّهُ فى غدٍ فجرٌ لهذا الغلس

محمد الأسمر

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

مزار الغيظ والحسرة

فى مدينة نيويورك رجل اسمه توم وعمره ، ٥٧ سنة . عاش منها ٤٨ سنة لم يبتلع طعاما ، ومع ذلك فهو يأكل أى طعام تشتهيه نفسه . سدت قناة الابتلاع (الزور) عنده وهو فى التاسعة من عمره إثر شربه لسائل ملتهب حرق الزور ولم يفد الطب فى علاجه فأغلق إلى الأبد . واضطر الجراح إلى فتح نافذة مستديرة قطرها بوصة وربع فى معدته ليتناول منها غذاءه

واندفعت أغشية المعدة من هذه الفتحة فكونت ثنية قطرها ثلاث بوصات . فان أراد أن يأكل رقد على ظهره وفك الأربطة عن وسطه ، وأزاح وسادة عن فتحة المعدة ، ثم يثبت فيها أنبوبة قصيرة من المطاط . وبعد ما يمضغ طعامه يضعه فى معدته عن طريق الأنبوبة . وبهذه الطريقة تناول مالا يقل عن ٣٠ الف وجبة طعام لم يشعر فيها بأية مضايقة .

مارس هذا الإنسان كثيراً من الألعاب الرياضية وهو غلام واشتغل فى عدة مهن يدوية ، فلم يلحظ زملاؤه شذوذه اذ كان يتمتع بصحة جيدة . إلى أن أكرهته ظروف العمل إلى الإشتغال فى حفر الخنادق فألهبت الحركة المستمرة أغشية المعدة المكشوفة حتى أدمتها واضطر إلى الالتجاء إلى أحد المستشفيات ، وهناك اكتشفه الطبيبان ولف ، فوجدا فيه حقل تجارب لن يسمح الزمان بمثله . فنى هذه المعدة المفتوحة يستطيعان أن يكشفا أسرار أمراض المعدة ، وأسرار التغذية ، وتأثر عملية الهضم بالانفعالات النفسية .

وتمكنا من إغرائه بالوظيفة الثابتة فى معملها ، وبما يؤديه للانسانية من خدمات ، فقبل منذ ست سنوات أن يعمل معها . فاشتغل فى صباحه حقل تجارب ، وبعد الظهر كمحضر فى معمل مستشفى جامعة كورنل الطبية .

وفى مثل هذا الانسان تسهل دراسة الظواهر المعدية بانفاذ آلة مثل منظار الغواصة المزود بالضوء إلى داخل المعدة . ولهذا ظلت حياة هذا الإنسان طوال السنوات الست الماضية ممتزجة بالتجارب الطبية . فانه أغنى الطبيب عن استعمال منظار المعدة الذى لايتيح فحص الإنسان العادى أكثر من عشر دقائق .

ومن أهم الدراسات التى أجريت عليه فحص العلاقة بين الانفعالات النفسية ومرض قرح المعدة . فبينما الطب يتقدم بخطوات واسعة فى دراساته فان عدد الإصابات بهذه القرح يزيد ، ويعتقد عدد كبير من الباحثين انه نتيجة للاجهاد العصبى والقلق فقدمت لهم معدة توم الدليل العلمى بأن القلق المتواصل ، والغضب ، والعداوة تكون إفرازات تؤدى إلى الإصابة بالقرح .

ويتفق أكثر الأطباء على أن هذا المرض نتيجة لزيادة الإفرازات الحمضية ، ويصف الطبيبان ولف تطوراته ، بأن الانفعالات النفسية المتعلقة بالقلق أو الغضب تصحب بزيادة إفرازات الحوامض العادية ومعها فيض من الدم مما يؤدى إلى غمر أغشية المعدة وتمددها . ويصحب هذه الانفعالات أيضا انقباض شديد فى المعدة .

وفى مثل هذه الحالات يسبب الاحتكاك البسيط بمواد الغذاء الصلبة تسلخات دموية رفيعة فى الأغشية يثيرها اتصالها بالسوائل الحمضية ، المعدية الغير العادية فتزداد الإفرازات الحمضية ، ويزداد غمرها بالدم وتمددها ، فتبدأ حلقة إصابة خطيرة فى المعدة ، فتتصل مادة البيسين الهاضمة بأغشية المعدة الأصلية وتأكل جزءا منها فتسبب قرحة .

ولا تهضم المعدة نفسها أو تأكل أجزاءها لأنها مبطنة بغشاء مخاطى قلوى سميك يقى أغشيتها فلا تمسها المواد الهاضمة . فإذا انغمس الإنسان فى الانفعالات النفسية المقلقة فإنها تأكل نفسها بطول المدة مبتدئة بالقرح ، مما شاهده الطبيبان فى معدة توم ، فكانا يعرضانه لمختلف الانفعالات النفسية ، ويراقبان التغير الذى يطرأ على معدته ، ولكنه من الطبيعى أن توم لم يصب بقرح المعدة لأن فترة إقلاقه وانفعاله لم تكن طويلة بل كانت فترات قصيرة .

والأشخاص المعرضون لهذه الإصابات هم ممن يجدون لذة فى الانفعالات وآلامها ، فيصرون على أن تكون رفيقتهم فى حلهم وترحالهم وفى عملهم وراحتهم .

ولم يؤثر تعاطى الكحول ولا التدخين أيا كانت نسبته على معدة توم ، لأن مخاط المعدة القلوى كان يقى أغشيتها من فعل حوامضهما . فإن تعرضت المعدة لحوامض قوية لا تكفى لتعادلها



همس الجنون

الأستاذ نجيب محفوظ

ما الجنون ؟

إنه فيما يبدو حالة غامضة كالحياة وكالموت . تستطيع أن تعرف الشيء الكثير عنها إذا أنت نظرت اليها من الخارج ، أما الباطن . أما الجوهر . فسر مغلق . وصاحبنا يعرف الآن انه نزل ضيفا بعض الوقت بالخانكه ، ويذكر — الآن أيضا — ماضى حياته كما يذكره العقلاء جميعا ، وكما يعرف حاضره . أما تلك الفترة القصيرة — قصيرة كانت والحمدلله — فيقف وعيه حيال ذكرياتها ذاهلا حائراً لا يدرى من أمرها شيئا تطمئن اليه النفس . كانت رحلة إلى عالم اثيرى عجيب ، ملىء بالضباب . تتخايل لعينيه منه وجوه لا تتضح ملامحها ، كلما حاول أن يسلط عليها بصيصا من نور الذاكرة ولت هاربة فابتلعتها الظلمة . وتجىء لأذنيه منه أحيانا ما يشبه الهمهمة ، ما إن يرهف السمع ليميز مواقعها حتى تفر متراجعة تاركة صمتا وحيرة . ضاعت تلك الفترة السحرية بما حفلت من لذة وألم . حتى الذين عاصروا عهدها العجيب قد أسدلوا عليها ستاراً كثيفا من الصمت والتجاهل لحكمة لا تخفى . فاندثرت دون أن يتاح لها مؤرخ أمين يحدث بأعاجيبها . ترى كيف حدثت ؟ ! متى وقعت ؟ ! كيف أدرك الناس أن هذا العقل غدا شيئا غير العقل ؟ ؟ وأن صاحبه أمسى فرداً شاذاً يجب عزله بعيداً عن الناس كأنه الحيوان المفترس ؟ ؟

كان إنسانا هادئا أخص ما يوصف به الهدوء المطلق . ولعل ذلك ما حبب اليه الجمود والكسل . وزهده فى الناس والنشاط . ولذلك عدل عن مرحلة التعلم فى وقت باكر . وأبى أن يعمل عملا مكتفيا بدخل لا بأس به . وكانت لذته الكبرى أن يطمئن إلى مجلس منعزل من طوار القهوة ، فيشبك راحتيه على ركبتيه ، ويلبث ساعات متتابعات جامداً صامتا ، يشاهد الرائحين والغادين بطرف ناعس وجفنين ثقيلين . لا يمل ولا يتعب ولا يجزع . فعلى كرسيه من الطوار كانت حياته ولذته . ولم يكن وراء ذلك المظهر البليد الساكن حرارة أوحركة فى قرارة النفس أو الخيال ، كان هدوؤه شامل الظاهر والباطن . الجسم والعقل ، الحواس والخيال . كان تمثالا من لحم ودم يلوح كأنما يشاهد الناس وهو بمعزل عن الحياة جميعا .

قلويات المخاط ، فإن الأغشية تكون غطاء آخر يحفظها من الحوامض فإذا فشل هذا الغطاء فى تأدية عمله لقوة الحوامض تكونت القرح وبدأت المعدة تأكل نفسها

وهكذا صدق تعبيرنا القائل أنه يأكل نفسه كمداً وحسرة .

يعيشون بدون معدة

أصبحت عملية إزالة المعدة أو جزء منها من المسائل العادية فى الولايات المتحدة كما صرح بذلك الدكتور فرانزا انجلفنجر ، فانخفضت نسبة وفياتها فى الحالات غير السرطانية من ١ إلى ٣ فى المائة ، فان كانت لازالة سرطان المعدة انخفضت إلى ١٠ ٪ وحتى فى حالة إزالة المعدة كلها فان المريض لايتعرض للخطر من العملية بنسبة تعرضه للمرض الذى تزال المعدة من أجله .

وأثبتت الاحصاءات أن ٣٠ ٪ ممن تجرى عليهم هذه العمليات لا يستعيدون وزنهم العادى ومنهم ٣ ٪ يحسون بضعف ودوار وضغط إن أكلوا وجبات كبيرة . ولكن هذا الإحساس يزول بعد سنة من إجراء العملية فيتجنب المريض الوجبات الكبيرة ويستعيض عنها بست وجبات فى اليوم . فإن من العوامل المهمة أن تلائم عمليات الهضم للحالة الجديدة .

ويستطيع المريض بعد استئصال معدته تناول أى طعام وتأدية أى مجهود . ولكنه لوحظ أن النشويات والسكر والزلاليات يسهل امتصاصها ، أما الدهنيات فتحدث بعض الاضطراب . وقد يصاب بعض المرضى بالأنيميا وإن كانت الحادة منها نادرة الحدوث .

فوزى الشتوى

ثم ماذا ؟

حدث فى الماء الآسن حركة بريئة فجائية كأنما ألقى فيه بحجر.

كيف ؟ !

رأى يوما — إذ هو مطمئن إلى كرسيه على الطوار — عمالا يملأون الطريق — يرشون رملا أصفر فاقعا يسر الناظرين بين يدى موكب خطير . ولأول مرة فى حياته يستثير دهشته شىء فيتساءل لماذا يرشون الرمل ... ثم قال لنفسه إنه يثور فيملأ الخياشيم ويؤذى الناس ، وهم أنفسهم يرجعون سراعا فيكنسونه ويلمونه ، فلماذا يرشونه إذا ؟ ! وربما كان الأمر أتفه من أن يوجب التساؤل أو الحيرة ، ولكن تساؤله بدا له كأخطر حقيقة فى حياته وقتذاك . فخال أنه بصدد مسألة من مسائل الكون الكبرى . ووجد عملية الرش أولا والكنس أخيرا والأذى فيما بين هذا وذاك حيرة ، بل أحس ميلا إلى الضحك ، ونادراما كان يفعل . فضحك ضحكا متواصلا حتى دمعت عيناه . ولم يكن ضحكه هذا محض انفعال طارىء . فالواقع أنه كان نذير تغيير شامل ، خرج به من صمته الرهيب إلى حال جديد . ومضى يومه حائراً أو ضاحكا ، يحدث نفسه فيقول كالذاهل . يرشون فيؤذون ثم يكنسون .. ها ها ها .

وفى صباح اليوم الثانى لم يكن أفاق من حيرته بعد . ووقف أمام المرآة يهيىء من شأنه . فوقعت عيناه على ربطة رقبته . وسرعان ماأدركته حيرة جديدة ، فتساءل لماذا يربط رقبته على هذا النحو ؟ مافائدة هذه الربطة ؟ لماذا نشق على أنفسنا فى اختيار لونها وانتقاء مادتها ؟ وما يدرى إلا وهو يضحك كما ضحك بالأمس . وجعل يرنو إلى ربطة الرقبة بحيرة ودهشة . ومضى يقلب عينيه فى أجزاء ملابسه جميعا بانكار وغرابة . ماحكمة تكفين أنفسنا على هذا الحال المضحك ؟ لماذا لانخلع هذه الثياب ونطرحها أرضا ؟ لماذا لانبدو كما سوانا الله ؟ بيد أنه لم يتوقف عن ارتداء ملابسه حتى انتهى منها ، وغادر البيت كعادته ، ولم يعد يذوق هدوءه الكثيف الذى عاش فى اهابه دهرا طويلا قانعا مطمئنا . كيف له بالهدوء والرمل لايزال عالقا باديم الأرض ! كيف له بالهدوء وهذه الثياب الثقيلة تأخذ بخناقه على رغمه ! أجل على رغمه ؛ وقد اجتاحته موجة غضب وهو يحث خطاه . وكبر عليه أن يرضى بقيد على رغمه . أليس الإنسان حرا ؟ !

وتفكر مليا ثم أجاب بحماسة ، بلى أنا حر ، وملأه بغتة الشعور بالحرية . وأضاء نور الحرية جوانب روحه حتى استخفه الطرب . أجل هو حر . نزلت عليه الحرية كالوحى فملأه يقينا لاسبيل إلى الشك فيه . إنه حر يفعل مايشاء كيف شاء حين شاء غير مذعن لقوة أو خاضع لعلة . لسبب خارجى أو باعث باطنى حل مسألة الارادة فى ثانية واحدة . وأنقذها بحماسة فائقة من وطأة العلل . وداخله شعور بالسعادة والتفوق عجيب . فالقى نظرة ازدراء على الخلق الذين يضربون فى جوانب السبل مصفدين لايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا . إذا ساروا لم يملكوا أن يقفوا . وإذا وقفوا لم يملكوا أن يسيروا . أما هو فيسير إذا أراد ، ويقف حين يريد . مزدريا كل قوة أو قانون أو غريزة . وأهاب به شعوره الباهر أن يجرب قوته الخارقة فلم يستطع أن يعرض عن نداء الحرية . توقف مسيره بغتة وهو يقول لنفسه « هأنذا أقف لغير ماسبب» ونظر فيما حوله ثوانى ثم تساءل : أيستطيع أن يدفع يديه إلىرأسه ؟ أجل يستطيع . وها هو ذا يرفع يديه غير مكترث لأحد من الناس . ثم تساءل مرة أخرى هل تواتيه الشجاعة على أن يقف على قدم واحدة ؟

وقال لنفسه نعم أستطيع وما عسى أن يعتاق حريتى ؟ وراح يرفع يسراه كأنه يقوم بحركة رياضية فى أناة وعدم مبالاة كأنه وحده فى الطريق بلارقيب . وغمرت فؤاده طمأنينة سعيدة وملأته ثقة بالنفس لا حد لها . فمضى يتأسف على مافاته — طوال عمره — من فرص كانت حرية بأن تمتعه بحريته وتسعده بحياته. واستأنف مسيره وكأنه يستقبل الحياة من جديد .

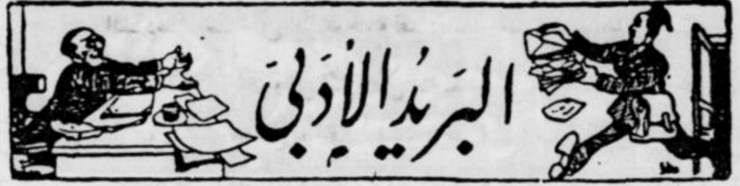
ومر فى طريقه إلى القهوة بمطعم كان يتناول به عشاءه فى بعض الأحايين . فرأى على طواره مائدة ملأى بما لذ وطاب . يجلس إليها رجل وامرأة متقابلين يأكلان مريئا ويشربان هنيئا . وعلى بعد يسير جلس جماعة من غلمان السبيل ، عرايا إلا من أسمال بالية تغشى وجوههم وبشرتهم طبقة غليظة من غبار وقذارة . فلم يرتح لما بين المنظرين من تنافر . وشاركته حريته عدم ارتياحه

فأبت عليه أن يمر بالمطعم مر الكرام . ولكن ماعسى أن يصنع ؟ قال له فؤاده بعزم ويقين « ينبغى أن يأكل النلمان مع الآخرين » . ولكن الآكلين لا يتنازلان عن شىء من هذه الدجاجة التى أمامهما بسلام ؟ هذا حق لاريب فيه . أما إذا رمى بها إلى الأرض فتلوثت بالتراب فما من قوة تستطيع أن تحرمها النلمان . فهل ثمة مانع يمنعه من تحقيق رغبته ؟.. هيهات ربما كان التردد ممكنا فى زمن مضى ، أما الآن ... واقترب من المائدة بهدوء ! ومد يده إلى الطبق فتناول الدجاجة ثم رمى بها عند أقدام العرايا . وتحول عن المائدة وسار إلى حال سبيله كأنما لم يأت أمراً نكرا ، غير عابىء الزئير الذى يلاحقه مفعما بأقذع السباب والشتائم . بل غلبه الضحك على أمره ، فاسترسل ضاحكا حتى دمعت عيناه . وتنهد بارتياح من الأعماق ، وعاوده شعوره العميق بالطمأنينة والثقة والسعادة .

وبلغ القهوة فمضى إلى كرسيه واطمأن إليه كعادته . بيد أنه لم يستطع هذه المرة أن يشبك راحتيه حول ركبته ويستسلم لسكونه المعهود . لم تطاوعه نفسه ، فقد فقدت قدرتها على الجمود . أو برمت من عجزها عن الحركة . فنبا به مجلسه ، حتى هم بالنهوض . إلا أنه رأى — فى تلك اللحظة — شخصا غير غريب عن ناظريه وإن لم تصله به أسباب التعارف . كان من رواد القهوة مثله . وكان جسما ضخما وأوداجا منتفخة ، يسير مرفوع الرأس فى خيلاء ، ملقيا على ما حوله نظرة ترفع وازدراء ، تنطق كل حركة من حركاته ، وكل سكنة من سكناته بالزهو والكبر كأنما يثير الخلق فى نفسه ما تثيره الديدان فى نفس رقيقة مرهفة الحس . وكأنه يراه لأول مرة ، بدا له قبحه وشذوذه عاريا . فغالبته هذه الضحكة الغريبة التى ما انفكت هذين اليومين تعابثه . ولم تفارقه عيناه . وثبتت خاصة على قفاه يبرز من البنيقة عريضا ممتلئا مغريا . وتساءل أيتركه يمر بسلام !.. معاذ الله ، لقد ألف داعى الحرية . وعاهده ألا يخالف له أمرا . وهز منكبيه استهانة . واقترب من الرجل فكاد يلاصقه . ورفع يده وأهوى بكفه على القفا بكل ما أوتى من قوة فرنت الصفعة رنينا عاليا . ولم يتمالك نفسه فأغرب ضاحكا . ولكن لم تنته هذه التجربة بسلام كأختها السابقة . فالتفت الرجل نحوه فى غضب جنونى ، وأمسك بتلابيبه وانهال عليه ضربا وركلا ، حتى خلص بينهما بعض الجلوس . وفارق القهوة لاهثا . ومن عجب أنه لم يستشعر الغضب ولا الندم . وعلى العكس من ذلك ألمت بحواسه لذة عجيبة لا عهد له بها من قبل . وافتر ثغره عن ابتسامة لاتزايله . وفاضت نفسه بحيوية وسرور يغشيان أى ألم ، لم يعد يكترث لشىء غير حريته التى فاز بها فى لحظة سعيدة من الزمان وأبى أن يغيب عنها ثانية واحدة من حياته . ومن ثم ألقى بنفسه فى تيار زاخر من التجارب الخطيرة بإرادة لاتنثنى وقوة لا تقهر . صفع أقفية وبصق فى وجوه وركل بطونا وظهورا . ولم ينج فى كل حال من اللكمات والسباب . فحطمت نظارته ومزق زر طربوشه ، وتهتك قميصه وانفضت ثنيتاه . ولكنه لا ارتدع ولا ازدجر ولا انثنى عن سبيله المحفوف بالمخاطر ، ولا فارق الابتسام شفتيه ولا خمدت نشوة فؤاده الثمل ، ولو اعترض الموت طريقه لاقتحمه غير هياب .

ولما آذنت الشمس بالمغيب عثرت عيناه المتجولتان بحسناء مقبلة متأبطة ذراع رجل أنيق المنظر ترفل فى ثوب رقيق شفاف . تكاد حلمة ثديها تثقب أعلى فستانها الحريرى . وجذب صدرها الناهد عينيه فزادتا اتساعا ودهشة . وهاله المنظر ، وكانت تقترب خطوة فخطوة حتى باتت على قيد ذراع وكان عقله — أوجنونه — يفكر بسرعة خيالية . فخطر له أن يغمز هذه الحلمة الشاردة . إن رجلا ما يفعل ذلك على أية حال فليكن هذا الرجل . واعترض سبيلهما ومد يده بسرعة البرق وقرص . آه . لقد انهالت عليه اللطمات واللكمات . وأحاط به كثيرون ولكنهم فى النهاية تركوه ، لعل ضحكته الجنونية أخافتهم . ولعل نظرة عينيه المحملقتين أفزعتهم ، تركوه على أية حال ، ونجا ولم تكد تزداد حالته سوءاً . وكان لا يزال به طموح إلى مزيد من المغامرات . ولكن لاحت منه نظرة إلى ملابسه فهاله ما يرى من تمزقها وتهتكها . وبدلا من أن يأسى على نفسه راح يذكر ما دار بخلده صباح اليوم أمام المرآة ، فلاحت فى عينيه نظرة غائمة ، وعاد يتساءل : لماذا يدع نفسه سجينا فى هذه اللفائف تشد على صدره وبطنه وساقيه ، وناء بثقلها ، وشعر لوطأتها باختناق . ففلت مراجله ولم يستطع معها صبرا . وأخذت يداه تنزعانها قطعة فقطعة ، بلا تمهل ولا إبطاء ، حتى تخلص منها جميعا ، فبدا عاريا كما خلقه الله . وعابثته ضحكته الغريبة ، فقهقه ضاحكا واندفع فى سبيله ....

نجيب محفوظ



بين صديقين

[اشتد بصديقنا الأديب الفاضل الأستاذ عبد الرحمن صدقي مصابه الأليم بزوجته المهذبة فنظم في رثائها قصيدتين من أبلغ الرثاء، وأرسلهما إلى صديقه الأستاذ الجليل العقاد ومعهما هذان البيتان]:

أخي، منذ أعوام مضين ذكرتني
وهنأت زوجي بالهوى، وهنأتني
لقد ذهبت تلك السنون سريعة
وهذي مراثي زوجتي اليوم، فارثني

فأجابه الأستاذ بهذه الأبيات:

أخي ! ما عزائي أن أهوّن فاجعا
أراه — وإن لم أبله — غير هيّن
ولكنْ عزائي هذه الحرب زلزلت
قلوب بني حواء في كل مأمن
ولكن عزائي هذه الأرض علّمت
بنيها هوان العيش علم التيقّن
قضاء علينا في الحياة فراقنا
لأحبابنا حيث التقينا بموطن
فجيعتنا فيمن نحب بديلُها
فجيعتهم فينا، ومن يبق يفنِ
فلا ترض للأحباب غبنا يؤودهم
وليس الرضا في الحالتين بممكن
ألا هان عيش لا يزال خياره
لمن يرتجيه شاكيا: متْ أو احزن

***

أخي ! هذه الدنيا وهذا عزاؤها،
فصاراه — بعد الجهد — تسليم مذعن
وما أحسب الإيمان إلا حقيقة
فلا صبر فيها لامرئ غير مؤمن

شرح لامية العجم، ما اسمه؟

شرح لامية العجم لصلاح الصفدي، مصنف كبير، مكتنز بالفوائد — أظهرته مطبعة بولاق مسمية إياه هذا الاسم:

(الغيث المسجم في شرح لامية العجم)

وهو مسندي حين ذكرته فيما رويته عن مسماه — أعني شرح اللامية — في (نقل الأديب)، وفي خطابتي أو مقالتي في (أبي العلاء المعري)، وقد أرشدني العلامة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء إلى كتاب اسمه (سحر العيون) من مؤلفات القرن التاسع، وهداني إلى هذه الفائدة الآتية فيه.

« ... عابوا على الشيخ صلاح الدين الصفدي (رحمه الله) في تسميته كتابه بـ (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) وقد مزق جلده الشيخ بدر الدين الدماميني في كتاب عمله عليه وسماه نزول الغيث ... »

فهل بدل الصلاح اسم كتابه من بعد ذلك النقد وتمزيق الجلد ... — وإني لأستبعد ذلك — أم بدله الناسخون والطابعون.

محمد إسعاف النشاشيبي

من ناظر إلى فراش (١)

عزيزي أحمد حسين

لك جزيل شكري على كتابك الذي تسلمته الساعة، وما يبعث كتاب في قلبي من دواعي السرور أكثر مما تبعثه كتبك التي تصلني في نظام أول كل عام. وإنه لعجيب بعد تلك الأعوام الطويلة التي مرت منذ أن تعارفنا وهي الآن خمسة وعشرون أن

(١) أنظر صفحة (من وراء المنظار) في هذا العدد

تظل محتفظا نحوى ونحو أسرتى بذكريات مودة وصداقة ، وأن تتعب نفسك على هذا النحو بالكتابة معبراً عنها . وإنى لشكور حقاً ولا أزال أتلو كتبك مرة ومرة فى سرور بالغ . ولا ينقصنى إلا أن نلتقى كما كنا نفعل فى الأيام الماضية فأصافحك ، ولكن هذا بالضرورة مستحيل فليس لدى إلا أن أصافحك بكتابى وهذا ما أفعله الآن ... وكذلك أصافح ذلك الشيخ الكبير عزيزى الحاج عبد القادر ، وكم تتوق نفسى إلى رؤية ذلك الرجل الطيب العجوز : وأكبر ظنى أنه قد علت به السن جداً الآن كما علت بى . ولكن من دواعى الغبطة الشديدة أنه لا يزال حياً وأنك لا تزال على صلة به ولو أنك لا تراه ؛ وأنك تبلغه رسالاتى التى أبعثها إليه عن طريقك . بلغه أنى كثيراً ما أذكره كلما أذكرك وأذكر جميع الأخيار من الأصدقاء الذين عاشرتهم بالمدرسة التوفيقية فى تلك الأيام الطيبة الخالية . ولقد رغبتْ إلى زوجى أن أقول لك إنها كذلك لا تزال تذكركم جميعاً فى عطف ومودة وأنها جد فرحة بأنك لم تنسها .

وبعد فأنى أسرد عليك شيئا عن حال أسرتى كما طلبت ، وعلى الأخص حال ولدىّ ؛ إنهما والحمد لله بخير ، وإننا فى أيام الحرب هذه لنشكر الله على أنهما لا يزالان كذلك . وإنه ليؤسفنى أنك كنت غائبا حينما زار أصغر الأخوين المدرسة التوفيقية سائلا عنك وكذلك يشعر هو بالأسف ؛ ولم يكن لديه متسع ليعاود الزيارة كما ذكرت أنت مع أنه رغب فى ذلك ؛ كان جيمس أصغرهما هو الذى زار المدرسة لا وليم ؛ وهو الآن « ليفتنانت كيرنل » فى فرقة المدفعية وهو يحارب على رأس رجاله فى جبال إيطاليا . ولقد كان وليم على مقربة من القاهرة حديثا إذ كان يصحب مستر ونستون تشرشل أثناء المؤتمر الذى عقد فى ديسمبر الماضى فى مينا هوس ؛ ولم يكن ليستطيع أن يغيب طرفة عين عن مكانه قرب الأهرام ، وعلى ذلك فلم يتمكن من زيارة المدرسة كما كان يحب أن يفعل . ولقد رقى الآن إلى مرتبة نائب مارشال الطيران وسيذهب لقيادة قوة الطيران الملكية فى جبل طارق وهو عمل شائق يتطلع إليه فى شغف ، وقد يكون ممكنا أن يطير من جبل طارق يوما ما إلى القاهرة ، فإذا تم ذلك فمن المؤكد أنه يحب أن يراك وإنه لذلك سيزور المدرسة ، وآمل أن تكون وقتئذ حاضراً ؛ ولكنى لا أستطيع طبعا أن أذكر متى يفعل ذلك إن كان ثمة ذلك فى طوقه . ولوليم الآن طفلان هما حفيداى الحبيبان ، بنت فى السادسة وصبى فى الرابعة ، ولقد قضيا هنا عندنا أسبوعين ؛ وكان جميلا أن نراهما وعلى الأخص ذلك الصبى فقد ولد فى بدء الحرب ولم نره قبل اليوم أبداً ؛ وهو ولد جميل قوى البنية لن يتعب من اللعب ، ولذلك ترانى أتعب قبل أن يتعب هو إذا مالعبنا معا ولما تنته اللعبة ؛ فأن جسمه الصغير أكبر قوة من جسمى الذى هده الكبر .

ليست زوجى على خير ما أحب لها من العافية ؛ أما أنا فعلى خير ما أرجو إذا ذكرت إنى أدلف إلى الثمانين من عمرى ؛ فلا زلت أستطيع أن أصعد فى تل قريب حيث أطل منه على منظر بهيج ، وإن كنت بالضرورة لا أستطيع أن أفعل ذلك فى مثل ما كنت عليه سالفاً من السرعة ، كما أنى لا أبلغ من التل ما كنت أبلغه من قبل .

أشكرك ثانياً على كتابك الكريم وما جاء فيه من عبارات طيبة ، وأرسل إليك أطيب تمنياتى وتشاركنى فى ذلك زوجتى ؛ كما نرسل حبنا ومودتنا لكل من لا يزال يذكرنا وبخاصة أنت والحاج عبد القادر العزيز .

المخلص

ج . إلبوت

تصويب ! ! !

ورد فى مقال الدكتور البهى فى العدد ٦٠٦ من الرسالة قوله : « ولا نبعد عن الصواب إذا حكمنا على بعض علماء الدين بأنهم لم يفهموا الإسلام إذا جعلوا من قوله تعالى « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » والصواب : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

(كلية اللغة) **عبد الفضيل يوسف رجب**



المنطـــق

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لى صديق من أفاضل العلماء يحب أن يجادلنى على الدوام ، فنلعب بالمعانى والكلام ؛ ومن أساليب جداله قوله «أين المنطق» ؟

ومررت منذ أيام بدار الرسالة فأعطانى الأستاذ الزيات كتابا فى المنطق صدر أخيرا لأكتب عنه . فرحبت بالفكرة ، وقلت فى بالى سأستفيد من هذا الكتاب الحديث فهو آخر ما صدر فى هذه الأعوام ، ومؤلفه من العلماء المعروفين ، وأستطيع بعد ذلك أن أقنع صديقى الفاضل بأسلوب جديد فى المنطق ، وأعرِّفه ما هو ، وأدفعه إلى الاقتناع بالحجة والبرهان .

مؤلف الكتاب الدكتور « جميل صليبا » عضو المجمع العلمى العربى ، وعنوانه : « دروس الفلسفة — الجزء الثانى — المنطق » طبع بمطبعة الترقى بدمشق عام ١٩٤٤ . ويقع فى ٤٤٠ صفحة من القطع الكبير . أما الجزء الأول من دروس الفلسفة فهو علم النفس طبع عام ١٩٤٠ .

وللمؤلف كتب أخرى عن ابن سينا ، وكتاب من أفلاطون إلى ابن سينا ، وكتب فلسفية نشرها وعلق عليها ، مثل : المنقذ من الضلال للغزالى وابن الطفيل .

ولكننى لم أكد أشرع فى قراءة كتاب المنطق حتى تبين لى أنى كنت مسرفا فى الأمل والتفاؤل ، لأننى لم أعثر على جديد معروف ، وعلى العكس صادفتنى أخطاء كثيرة كان ينبغى أن ينجو منها كتاب فى المنطق ، المفروض فيه أنه يعلمنا كيف نأمن الزلل ونتبع سبيل الصواب .

ونعرض لأول . مسألة قررها المؤلف وهى تعريف المنطق . قال : « فيمكننا أن نعرف المنطق بقولنا : هو علم صور العلوم ، أو علم العلوم ، أو العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده ، أو كما قال فلاسفة البور رويال : فن التفكير »[1] .

وليس فى هذه التعاريف المختلفة تعريف واحد صحيح .

التعريف الأول هو علم صور العلوم ، ليس صحيحاً لأن المنطق منه الصورى والمادى ، والمنطق الصورى لا يتصل بالعلوم بل بالفكر نفسه . وأكبر الظن أن المؤلف أخطأ فى ترجمة التعريف المتفق عليه بين العلماء الآن ، وهو أن المنطق علم صور التفكير La Science des formes de la pensée[2] . وقال ليارد فى نفس الصفحة « إن موضوع المنطق تقرير قوانين التفكير فى ذاتها بصرف النظر عن الموضوعات التى تنطبق عليها . ثم بيان الطرق المختلفة لتطبيق هذه القوانين ، وهذا هو الموضوع المزدوج للمنطق » .

ويقول الأستاذ جميل صليبا عند الكلام عن موضوع المنطق إنه : « البحث عن العمليات الفكرية والشرائط النظرية التى يتوقف عليها التفكير الصحيح » . والبحث عن العمليات الفكرية من خصائص علم النفس لا علم المنطق الذى يبحث عن قوانين الفكر الصورية ، لا عن عملية التفكير كيف تقع فى الذهن . ويخيل إلينا أن هذا اللبس ناشىء عن ترجمة المصطلحات عن اللغة الأجنبية ، وسنعرض لهذا الموضوع أى الاصطلاحات التى وردت فى هذا الكتاب فى مقال آخر . والعمليات الفكرية هى Processus أما قوانين الفكر فهى Lois .

والتعريف الثانى علم العلوم ، لا يفيد شيئا ، فهو كقولك الأسد ملك الحيوان . ولماذا يكون المنطق علم العلوم ؟ لماذا لا تكون الرياضة مثلا ؟

والتعريف الثالث « العلم الذى يبحث فى صحيح الفكر أو فاسده » . ولعل صوابها وفاسده بدلا من أو فاسده ، إذ أن المنطق يبحث فى الصحيح والفاسد على السواء لبيان وجه الصواب منهما .

---

١) الكتاب المذكور ص ٩

٢) من كتاب *Liard, Logique*

والبحث فى الصحيح والفاسد فى الفكر ثمرة من ثمار المنطق تأتى بعد تطبيقه ، أو هى غاية من غاياته ، ولا تدخل فى تعريفه أو ماهيته .

ولعل المؤلف قد تأثر بالتعاريف التى أوردها العرب فى كتبهم ولم يعن بمناقشتها . لهذا نذكر بعض تعريفات العرب للمنطق ثم نذكر ملاحظاتنا عنها .

قال صاحب البصائر النصيرية « فاذا انقسمت الاعتقادات الحاصلة للأكثر فى مبدإ الأمر إلى حق وباطل ، وتصرفاتهم فيها إلى صحيح وفاسد ، دعت الحاجة إلى إعداد قانون صناعى عاصم للذهن عن الزلل ، مميز لصواب الرأى عن الخطأ فى العقائد ، بحيث تتوافق العقول السليمة على صحته . وهذا هو المنطق » .

وجاء فى لباب الإشارات لابن سينا شرح الرازى « الفكر ترتيب أمور معلومة ليتأدى منها إلى أن يصير المجهول معلوماً ، وذلك الترتيب قد يكون صوابا وقد لا يكون ، والتمييز بينهما ليس ببديهى ، فلا بد من قانون يفيد ذلك التمييز ، وهو المنطق » .

ويعرف الفارابى المنطق فى كتابه إحصاء العلوم : « فصناعة المنطق تعطى جملة القوانين التى شأنها أن تقوم العقل ، وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ، ونحو الحق فى كل ما يمكن أن يغلط فيه من المنقولات ، والقوانين التى تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط فى المعقولات » .

ونلاحظ على التعاريف أنها تجعل المنطق ميزانا للتمييز بين الصحيح والفاسد من الفكر وتجنب الزلل .

ونلاحظ ثانيا أنها تجعل المنطق آلة لغيره من العلوم .

وكلا الإتجاهين لا يجعل المنطق علما بل فنا .

قال صاحب الرسالة الشمسية « المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر » وعلق القطب الرازى على هذا التعريف بقوله : « والآلية للمنطق ليست له فى نفسه ، بل بالقياس إلى غيره من العلوم الحكمية ، ولأنه تعريف بالغاية ... »

والناطقة فى أوربا فى عصر النهضة وما بعده أخذوا بوجهة نظر العرب وجعلوا المنطق فنا لا علما . والكتاب الصادر عن بور رويال Port Royl [1] عنوانه « المنطق أو فن التفكير » وهذا واضح الدلالة فى التصريح بأن المنطق فن وليس علما .

ولكن الناطقة المحدثين نظروا إلى قوانين الفكر فى ذاتها ، دون نظر إلى فائدتها فى كشف العلوم ، أو قيمتها فى التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ . ولهذا كان المنطق علما ، وألحقوه بالعلوم ، وعرفوه بأنه العلم الذى يبحث فى قوانين الفكر أو صور التفكير .

وهذا يبين فساد التعريف الرابع الذى أورده المؤلف وهو أن المنطق فن التفكير .

دكتور

أحمد فؤاد الأهوانى

(١) بور رويال دير فى فرنسا فى مقاطعة السين ، سكن فيه كثير من العلماء والفلاسفة مثل بسكال وغيره وألفوا كثيرا من الكتب العلمية والفلسفية ، واهتم فلاسفته بالمنطق ، وألفوا فيه الكتاب المذكور ، وهو مشهور ، ويقال أيضا منطق بور رويال .

أساطير الحب والجمال عند الإغريق

بقلم الأستاذ

دريني خشبة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 608

Lundi - 20 - 2 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٠٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المجـــامع اللغوية (*)

لصاحب العزة الأستاذ أنطون الجميّل بك

قالوا إن الإنسان حيوان ناطق ، أى إنه مالك تلك القوة التى تساعده على التعبير عما يجول فى جنانه من الأفكار والمعانى . فكان من البديهى أن يحاول ، منذ نشأته الأولى ، استنباط خير الوسائل إلى أداء ما يريد التعبير عنه على أكمل وجه ، بالاشارة ثم باللسان ، أصواتاً متقطعة فألفاظاً منسقة . وكان من الطبيعى كذلك أن يتواضع مع أمثاله على أساليب للتعبير تكفل اتقان أداة التفاهم ، أى اللغة ، والوصول بها إلى الإعراب عن مختلف المعانى فى أدق مقاصدها .

ومن هنا نشأت على توالى الزمن الأندية والمجامع التى تعنى باستكمال هذه الأداة ، وهى المجامع التى أطلق عليها فيما بعد اسم « اكاديميا » .

وأصل الكلمة ، على ما هو معروف ، مشتق من اسم « اكاديموس » أحد أبطال الأغارقة . وكان « اكاديموس » هذا يملك على بعد فرسخين من أثينا روضة واسعة الأرجاء كان أفلاطون يختلف إليها فيجتمع تحت ظلال أشجارها الباسقة بتلاميذه ومريديه فيشرح لهم مذهبه الفلسفى . وبعد وفاته ظل هؤلاء يعقدون حلقاتهم للبحث والمدارسة فى هذا المكان فعرف باسم « اكاديميا » نسبة إلى صاحبه . وشاعت الكلمة بعد ذلك فى البلاد الغربية ، مع توسع فى مدلولها ، فأطلقت على المجامع والأندية الأدبية والعلمية والفنية ، بل تناولت المعاهد التى يدرس فيها بعض الفنون كأكاديمية التصوير ، أو الغناء ، أو الرقص ، حتى إن الفرنجة اشتقوا منها صفات وموصوفات وأفعالا ، وكثيراً ما استعملت الكلمة فى لغاتنا الشرقية نفسها .

وعلى هذا الأساس نشأت أكاديمية البطالمة فى الاسكندرية ، والاكاديميات العبرية ، وأكاديمية شارلمان ، وأكاديمية الفريد الكبير فى انجلترا .

أما العرب فقد قامت أسواقهم ومجالسهم — وأشهرها سوق عكاظ ونادى قريش ودار الندوة — مقام هذه الاكاديميات . فكانوا فى مجتمعاتهم هذه يتبادلون الأخبار ويتناشدون الأشعار ويبحثون فى شؤونهم العامة . وكان للغة نصيب غير قليل من هذا البحث ، كما تدل على ذلك حكاية النابغة مع الأعشى والخنساء . ثم صار بلاط الخلفاء فى الشام والعراق والأندلس ومصر أشبه شىء بهذه الندوات الأدبية والفنية ، كما هو مفصل فى كتب الأدب .

(*) نص الخطبة التى ألقاها الأستاذ فى حفلة افتتاح المؤتمر لمجمع فؤاد الملكى للغة العربية .

أما انتشار هذه المجامع بمعناها الحديث فقد بدأ فى عهد النهضة أو البعث ، وبخاصة فى ايطاليا ، فقام فى كل مدينة جمعية اكاديمية أو أكثر تضم الصفوة المختارة من المفكرين والباحثين فى مختلف الفنون والعلوم .

ولم تلبث فرنسا أن حذت حذو ايطاليا فنشأت فيها مثل هذه الجمعيات وازدهرت .

وفى غضون ذلك أخذت اللغات الأوربية تتطور وتصقل بتأثير طبيعة كل إقليم وأخلاق ناسه ، وكان لهذه الأكاديميات أثر مذكور فى هذا التطور ، فامتازت لغة كل قوم بطابع خاص عرفت به ، حتى ان كارلوس الخامس المعروف باسم « شارلكان » وهو أول من فاخر بان الشمس لا تغيب عن املاكه — كان يقول :

« إنى إذا خاطبت الله ضارعاً خاطبته بالإسبانية . وإذا خاطبت النساء متحببا خاطبتهن بالإيطالية . وإذا خاطبت جوادى زاجراً خاطبته بالألمانية . وإذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية » .

وهو يشير بقوله هذا إلى ما فى لغة الإسبانيين من الإجلال والتفخيم ، وإلى ما فى لغة الإيطاليين من الرقة والعذوبة ، وإلى ما فى لغة الألمان من العنف والشدة ، وإلى ما فى لغة الفرنسيس من الوضوح وحسن البيان .

وهل نغالى إذا قلنا إن هذا العاهل العظيم لو كان يعرف اللغة العربية لغنى بها عن غيرها فى مواقفه الأربعة ، فقد جمعت فخامة اللفظ وجمال الأسلوب إلى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

قلنا إن الاكاديميات انتشرت فى عصر النهضة وبعده ، وتنوعت أهدافها واختلفت مقاصدها ، ولكننا اكتفينا بالاشارة اليها اشارة عابرة لنقف عند مجامع اللغة ، ونقارن بين مهمتها ومهمة مجمعنا اللغوى ما دام هذا موضوع حديثنا . ومن خلال هذه المقارنة سنرى وجوه الشبه فى الأهداف ، وفى الصعوبات المعترضة ، وكذلك فى ضروب النقد الذى يوجه إلى هذه المجامع .

وأشهر المجامع اللغوية بلا مراء « الاكاديمية الفرنسية » التى قال عنها المؤرخ الإنجليزى هالام (Hallam) إنها أشهر مؤسسة فى تاريخ الأدب ، وهى كذلك أقدم المجامع القائمة إذ يرجع تاريخ إنشائها إلى أكثر من ثلثمائة سنة . ذلك أن الوزير الكبير الكردينال ريشليو نهض يعمل على نشر نفوذ فرنسا فى أوربا ، فأراد أن يدعم عن طريق نشر لغتها وثقافتها ما أحرزته من جاه وسلطان عن طريق انتصارات جيوشها .

وكان فى ذلك العهد لفيف من الأدباء يجتمعون للنظر فى منتجات القرائح وفى الموضوعات الأدبية . فخطر للوزير أن يجعل لهذه الاجتماعات صفة رسمية تعلى شأن الأدب فى الدولة وترفع مكانته فى أوربا ، فاستصدر فى شهر يناير من سنة ١٦٣٥ أمراً ملكيا بانشاء « الاكاديمية الفرنسية » ولكن السياسة عادة لا تحب الأدب ، فخشى البرلمان أن يطغى نفوذ هذه الندوة الأدبية على نفوذه وسلطانه فلم يقر إنشاءها إلا بعد سنتين

أنشأ ريشليو هذا المجمع فكان موضع عنايته . وظل اسمه مقرونا به حتى قيل إن إنشاء الاكاديمية الفرنسية كاف وحده لتخليد اسم هذا الوزير الخطير . وفى سنة ١٦٧٢ أصبح هذا المجمع فى كنف الملك لويس الرابع عشر فشمله برعايته وأغدق عليه من نعمه الشىء الكثير .

ومضت « الاكاديمية » تعمل قرابة قرن ونصف قرن إلى أن قامت الثورة الفرنسية الكبرى تحارب طبقة الأرستقراطيين أو الأشراف ، فألغت فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٣ « الاكاديمية » لأنها كانت تمثل أرستقراطية الفكر . ولكنها ما لبثت أن عادت بعد سنتين فأقرت وجودها . وظل هذا المجمع بين مد وجزر إلى أن أصبح منذ سنة ١٨٣٢ إحدى الهيئات الخمس التى تألف منها المعهد العام (l' institut) وهى الاكاديمية الفرنسية ، واكاديمية الفنون الجميلة ، واكاديمية النقوش والآداب ، واكاديمية العلوم ، واكاديمية العلوم الفلسفية والسياسية .

ولا بد لى من الإشارة هنا إلى أن فى اضابير وزارة المعارف عندنا مشروعا بانشاء مثل هذا المعهد العام فى مصر على أن يؤلف من خمس شعب هى : شعبة العلوم ، وشعبة الطب ، وشعبة الآداب . وشعبة الفنون ، وشعبة العلوم السياسية والإقتصادية ، إلى جانب مجمعنا اللغوى . ولعل زميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، وقد كان له اليد الطولى فى إعداد هذا المشروع ، سيحدثنا عنه الحديث الوافى فى الوقت المناسب

عرضنا فيما تقدم موجزاً لتاريخ الاكاديمية الفرنسية وكان عدد أعضائها ولا يزال اربعين عضواً يسمونهم « الأربعين الخالدين » لا لأن آثار كل منهم كفيلة بتخليده ، بل لأنهم كلما مات منهم

واحد حل محله آخر . ولعل كلمة « الأبدال » العربية تؤدى مثل هذا المعنى . فقد جاء فى لسان العرب : الأبدال قوم من الصالحين (ولنفرض رجال الأدب من أهل الصلاح) أربعون فى الشام وثلاثون فى سائر البلاد لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر . وجاء فى اللسان أيضاً : الأبدال الأولياء والعبّاد ، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر .

أما أهداف الاكاديمية الفرنسية فقد حددتها المواد ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ من الأمر الصادر بإنشائها ، وتلخص فى العمل على تطهير اللغة واستكمالها وتركيز قواعدها . وكان المفروض أن يحقق ذلك بتأليف المعجم لتحديد الألفاظ ، وكتاب النحو لتركيز القواعد ، وعلم العروض لميزان الشعر ، وعلم البلاغة لأحكام الكلام .

وهذه الأغراض تكاد تكون وأغراض مجمعنا واحدة فقد جاء فى المادة الثانية من المرسوم الملكى الصادر بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ما نصه :

« أغراض المجمع هى :

(ا) أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد فى معاجم أو فى تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثاً دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

(ج) أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) أن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة العربية ، مما يعهد اليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية »

على أن المجمع الفرنسى لم يلبث أن قصر همه على إعداد المعجم ، ثم على دراسة المنتجات الأدبية لمنح الجوائز للمتفوقين من الأدباء . ومع ذلك فان تصنيف هذا القاموس سار ببطء ، قد نجد فيه بعض العذر عن التأخير فى إنجاز قاموس مجمعنا . فان الطبعة الأولى منه لم تصدر إلا فى سنة ١٦٩٦ ، أى بعد ستين سنة من إنشاء الأكاديمية . ثم صدرت منه أربع طبعات فى القرن الثامن عشر ، أما الطبعة الثامنة والأخيرة فقد صدرت منذ عشر سنوات ، أى أن الأكاديمية أصدرت ثمانى طبعات من معجمها فى ثلثمائة سنة من حياتها .

وقد رجعت إلى مقدمة هذا المعجم فوجدت وجوه الشبه كثيرة بين عملهم وعملنا ، وبخاصة بين العقبات التى اعترضتهم والتى تعترضنا . فى الطبعة الأولى التى صدرت منذ ٢٥٠ سنة قررت الأكاديمية أن تقصى من قاموسها المصطلحات العلمية والفنية إلا ما كان منها كثير الذيوع شائع الإستعمال . ولكن استعمال هذه المصطلحات ما لبث أن ذاع ذيوعاً كبيراً بازدياد تذوق العلوم والفنون فى القرن الثامن عشر ، فلم ير المجمع مفراً من أن يفسح صفحات قاموسه فى طبعته الرابعة (سنة ١٧٦٢) للمصطلحات الأولية فى العلوم والفنون والمهن مما يحتاج اليه الكاتب ويجده القارىء حتى فى المصنفات التى لا تتناول هذه الموضوعات بالذات . ثم جاء فى تصدير الطبعة السابعة (سنة ١٨٧٧) ان الأكاديمية ارتضت أكثر من ألفى كلمة علمية وفنية لشدة الحاجة إليها .

ولما شرعت تعد الطبعة الأخيرة التى صدرت منذ عشر سنوات كانت الكلمات العلمية والفنية قد طغت على اللغة . فن العلوم القديمة فى عالم البخار والكهرباء والآليات قد تجددت معالمها وتعددت فروعها . وظهرت علوم ومخترعات جديدة . كما حدثت انقلابات كبيرة فى عالم الإقتصاد والسياسة والإجتماع مما دعا إلى استنباط عدد كبير جداً من المصطلحات ذاعت وشاعت وعم استعمالها بين جميع الطبقات بفضل المدرسة والصحافة . ولاحظت الأكاديمية أن من هذه المصطلحات ما هو ابن يومه ومصيره إلى الزوال ، ومنها ما هو مضطرب الإشتقاق ، وليد الارتجال . فلم يكن بد من التمحيص والتروى طويلا قبل إقراره . شكلا وصيغة، لإدماجه فى قاموس المجمع .

وبعد تخير هذه الألفاظ وصقلها وتهذيبها . واجه المجمع صعوبة أخرى ، كالتى نواجهها فى مجمعنا اللغوى ، وهى وضع التعريف الجامع المانع ، للكلمة المختارة . فكانت الأكاديمية كثيراً ما تحتاج فى كل ذلك إلى الاستعانة بالأكاديميات الأخرى — كأكاديمية العلوم وأكاديمية الفنون وأكاديمية الطب أو إلى

الاسترشاد بآراء الاخصائيين والخبراء فى المادة المبحوثة كما نفعل هنا

ولم تقتصر مهمة التحديد والتعريف على المصطلحات الجديدة بل امتدت إلى كثير من الكلمات القديمة التى كان تحديدها ناقصا أو غامضا أو التى تطور مدلولها مع الزمن . وعملت الأكاديمية كذلك على حذف الكلمات الماتة أو المهجورة ، فأزالتها من قاموسها ، وأحالتها إلى معجم اللغة التاريخى ، كما أحالت إلى المعجمات الخاصة أسماء الأعلام والمسميات الجغرافية وما إلى ذلك مما لايتسع له معجم اللغة .

وقد عرضت الأكاديمية الفرنسية كذلك لما نعرض له الآن من تبسيط قواعد النحو وتسهيل القراءة . وانتهى بها الأمر أن أعلنت أنها لاتدعى التشريع فى القواعد ، ولا الوصاية أو القوامة على الإملاء . بل اكتفت بما قام به أحد أعضائها فى الطبعة الرابعة من قاموسها منذ نحو قرنين من إدخال تعديل على كتابة عدد كبير من الكلمات كانت تدخل فى هجائها أحرف لافائدة منها سوى الدلالة على أصلها اللاتينى أو اليونانى . وأبى المجمع فى الطبعات التالية أن يسير إلى أبعد من ذلك ، مكتفيا بصورة الإملاء التى أقرها الاستعمال الطويل والتى طبعت بها ألوف المصنفات المنتشرة فى العالم ، ورأت أن تغيير هذه الصورة فى الكتابة يدخل البلبلة والاضطراب فى الأفكار مقابل فائدة ضئيلة لايؤبه لها .

أما نحن فلم نصل إلى هذه المرحلة التى وصلوا اليها ، وقد نكون فى المرحلة التى كانوا فيها منذ قرنين فنحتاج إلى شىء من التبسيط فى القواعد وإلى بعض التعديل فى كتابة الكلمات . دون مساس بالجوهر .

ومن ينعم النظر فى تنوع الصعوبات عند إعداد القاموس الوافى يجد من التجنى على المجامع اللغوية اتهامها بالبطء فى عملها . وإذا كان المجمع الفرنسى قد سلخ ثلثمائة من السنين للتغلب على جانب من هذه الصعوبات فان مجمعنا ، وهو لايزال فى عهد الطفولة بعد عشر سنوات فقط من إنشائه ، بعض العذر ، بل كل العذر ، فى عدم تحقيق جميع الأغراض التى أنشىء من أجلها ، لاسيما وأن الصعوبات التى واجهت غيرنا تباعا قد واجهتنا مرة واحدة مجتمعة .

أيها السادة : قلنا إن المجمع الفرنسى هو بكر المجامع اللغوية القائمة ، وعلى منواله نسجت المجامع التى أنشئت فيما بعد فى البلاد الأخرى ، لذلك نستطيع بعد أن تبسطنا فى سرد تاريخه وبيان مهمته أن نمر سراعا بسائر المجامع .

ففى سنة ١٧٠٠ أنشأ فردريك الأول مجمع العلوم فى برلين بأيعاز من الفيلسوف ليبنتز ، وقد حول فردريك الثانى الكبير هذا المجمع إلى « الأكاديمية الملكية للعلوم والآداب » وكان رئيسها فى أول أمرها العالم الفرنسى موبرتوى . وظلت تقاريرها تطبع بالفرنسية من سنة ١٧٤٦ إلى سنة ١٨٠٤ . وكان لهذا المجمع فيما بعد أثر كبير فى ازدهار العلم الألمانى .

وأنشئت أكاديمية مدريد فى إسبانيا سنة ١٧١٣ برعاية الملك فيليب الخامس ، فوجهت همها إلى وضع معجم وأجرومية أصبحا مرجعين بل حجتين فى اللغة فى إسبانيا والجمهوريات اللاتينية بامريكا الجنوبية .

وفى سنة ١٧٧٢ أنشئت فى بلجيكا الأكاديمية الملكية وأعيد تنظيمها فى سنة ١٨٤٥ فقسمت ثلاثة أقسام : قسم الآداب ، وقسم الفنون ، وقسم العلوم . وكان معظم أعضائها من الفلاسفة والمؤرخين واللغويين والقانونيين ، وقل فيها الشعراء والأدباء . فرأى القوم حاجتهم إلى إنشاء أكاديمية أخرى فأنشئت الاكاديمية الملكية للغة الفرنسية وأدبها فى سنة ١٩٢٠ .

وإذا كانت الأكاديميات قد نشأت فى ميدن إيطاليا منذ نحو أربعمائة سنة فان الأكاديمية الكبرى لم تنشأ فى روما إلا فى سنة ١٩٢٦ وتم تنظيمها فى سنة ١٩٢٩ واشتملت على أربع شعب : العلوم الطبيعية والرياضية ، والآداب ، والعلوم الفلسفية والتاريخية ، والفنون .

أما الشعوب الانجلو سكسونية من انجليز وأمريكان فلم يعنوا بالمجامع اللغوية عنايتهم بأندية البحوث التاريخية والعلمية والفلسفية ، فالأكاديمية البريطانية والجمعية الملكية أو أكاديمية لندن ليستا بالمجامع اللغوية بالمعنى الذى نقصده ، فان القوم رأوا تبسيط لغتهم مااستطاعوا ليعمموا استعمالها ، حتى اهتدوا أخيراً إلى لغة مبسطة لايزيد عدد كلماتها على ٨٥٠ كلمة من الموصوفات والصفات والأفعال والحروف التى يحتاج اليها الإنسان فى الكلام .

أما فى الشرق . فقد ألف رهط الأدباء فى العواصم العربية

جمعيات أدبية لغوية كثيرة ولكنها لم تكن لتعمر طويلا لأن الحكومات لم تكن تؤيدها ، بل كثيراً ما كانت تناهضها ، إلى أن أنشيء المجمع اللغوى فى دمشق منذ ربع قرن ، وقد أدى للغة خدمات تذكر له بالشكر .

ويسرنا أن نحيى هنا رئيسه الأستاذ محمد كرد على ووكيله الأستاذ عبد القادر المغربى ، زميلينا فى المجمع المصرى .

أيها السادة : وقفت بكم طويلا عند المجمع الفرنسى لأنه أقدم المجامع اللغوية وأشهرها ، فاسمحوا لى أن أقف بكم وقفة اخرى عند المجمع الروسى ، فهو أحدث المجامع واكثرها اختلافا فى تأليفه وأهدافه ، ونحن اقل معرفة به منا بغيره .

كان بطرس الأكبر قد أنشأ فى بطرسبورج سنة ١٧٢٥ أكاديمية للعلوم . ثم تفرعت إلى شعب على غرار شعب الأنستيتو الفرنسى . ولكن نظام هذه الأكاديمية قد قلب رأسا على عقب فى روسيا السوفيتية ، حيث اصبحت الاكاديمية العلمية بمثابة هيئة أركان الحرب فى معسكر العلم الروسى ، وأصبح لها الشأن الأول فى نهضة البلاد . وفى سنة ١٩٤١ قبيل اشتراك روسيا فى الحرب القائمة كان هذا المجمع مؤلفا من ٧٦ معهدا و١١ معملا للاختبارات العلمية ، و٤٢ محطة للتجارب و٦ مراصد و٢٤ متحفا . ويبلغ عدد الأعضاء الآن ١٥٠ عضواً ، وعدد الأعضاء المراسلين ٢٣٠ وهناك ٤٧٠٠ إخصائى يساعدون فى الشؤون العلمية والتطبيقية ، وقد نشر المجمع فى سنة ١٩٤١ من التقارير والنشرات الدورية مايزيد على عشرة آلاف صفحة . وهذه الأكاديمية مؤلفة من ثمانى شعب ، وهى شعبة الطبيعيات والرياضيات ، وعلوم الكيمياء ، وعلم طبقات الأرض والجغرافية ، والعلوم البيولوجية والعلوم التطبيقية ، والتاريخ والفلسفة ، والاقتصاد والقانون ، والأدب واللغات . ويتبع كل شعبة عدد من المعاهد والمعامل والمتاحف .

أما شعبة الأدب واللغات فتشتمل فيما تشتمل عليه على معهد اكتسب أخيراً أهمية خاصة وهو معهد الابحاث الشرقية ورئيسه العلامة ستروف « Struve » من علماء الآثار المصرية . ومن بين أعضائه البارزين المستشرق كراتشكوفسكى (Krachkovski) الذى تخصص بالأدب العربى الحديث ، وهو من أعضاء مجمع دمشق ، وقد ترجم إلى الروسية بضعة مؤلفات لكتابنا المعاصرين منها كتاب « الأيام » لزميلنا المحترم الدكتور طه حسين بك ، كما أشرف على نشر مؤلفات ابن فضلان التى تحتوى على معلومات ثمينة عن أقدم عهود التاريخ الروسى . وفى هذا المعهد أيضا يعمل البحاثة أرنستد (Ernstedt) الإخصائى فى اللغة القبطية . وقد أعد للنشر مخطوطات بهذه اللغة على جانب من الأهمية إذ تبحث فى تطور مصر الإقتصادى فى القرون الوسطى وهى تكاد تكون فريدة فى بابها .

وفى هذا المعهد مجموعة ثمينة من المخطوطات الشرقية من عربية وقبطية وإيرانية وصينية . كما أن فيه مكتبة شرقية ضخمة تعد من أغنى مكتبات العالم . وليست الدروس الشرقية محصورة فى معهد الأدب ، فإن لها كذلك نصيبا من أعمال معهد اللغة والفكر ومعهد الأدب . وتدرس لغات الشعوب الشرقية الداخلة فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية فى معاهد أرمينيا وجورجيا والتركان .

أيها السادة — قد يكون من الطريف ، ونحن نعرض وجوه الشبه بين مجامعهم ومجمعنا ، أن نورد بعض ماوجه إلى هذه المجامع من سهام التهكم والنقد البرىء وغير البرىء .

فهذا الشاعر الفرنسى بيرون Piron لم يتمكن من دخول الأكاديمية فارسل اليها يوصيها بان تكتب على ضريحه : (هنا يرقد بيرون وهو لم يكن شيئا حتى ولا عضوا فى الأكاديمية) وكان يقول عن الأربعين الخالدين : (هم أربعون ولكن عقولهم عقول أربعة) .

وقال فولتير ، فى أسلوبه اللاذع ، يحدد الأكاديمية : (هى هيئة يدخلها أصحاب الألقاب وكبار الموظفين ورجال الدين والقانون والأطباء والمهندسون وأحيانا رجال القلم) . وهو يشير فى قوله هذا إلى بعض أعلام الأدب الذين لم تفتح الأكاديمية لهم أبوابها من أمثال موليير وغيره . ولكن الأكاديمية عوضت موليير تمثالا نصبته بعد وفاته فى قاعة جلساتها وكتبت تحته : (لم ينقص مجده شىء ولكنه هو كان ينقص مجدنا) .

وقال أحد النقاد (هذه المجامع اللغوية إن هى إلا ملاجىء للعجزة من الذين شوهتهم حرفة القلم) .

أبو العلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٥ —

النسل ، الزواج

والنسل أفضل ما فعلت بها ... فإذا سعيت له فمن عقل

—

إذا شئت يوماً أن تقارن حرة ... من الناس فختر قومها وبجارها

—

إذا خطب الحسناء كهل وناشىء ... فإن الصبا فيها شفيع مشفع
ولا يُزهدنها عُدمه ، إن مُده ... لأرث من مال الكبير وأنفع
وما لأخى الستين قدرة سائر ... إليها ولكن عجزه ليس يُدفع
ويُخفض فى كل المواطن ذمه ... وإن كان يُدنى فى المحل ويُرفع

إذا ما ابن ستين ضم الكعاب ... إليه فقد حلت البهله[1]
هو الشيخ لم يرضه أهله ... ولم يُرض فى فعله أهله
فلا يتزوج أخو الأربعين ... إلا مجربة كهله
رأى الشيب فى عارضيه المسن (م) ... فنعم القرين له الشهله[2]

—

وواحدة كفتك فلا تجاوز ... إلى أخرى تجىء بمؤلمات
ولا يتأهلن شيخ مُقل ... بمعصرة من المتنعمات[3]
فإن الفقر عيب ، إن أضيفت ... إليه السن جاء بمؤلمات

—

إذا خطب الزهراء شيخ له غنى ... وناشىء عُدْم آثرت من تعانق

—

إذا كانت لك امرأة عجوز ... فلا تأخذ بها أبداً كعابا
فإن كانت أقل بهاء وجه ... فأجدر أن تكون أقل عابا

(١) البهلة — بالفتح وضم — اللعنة ، ومنه حديث أبى بكر : من ولى من أمر الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله .

(٢) الشهلة : النصف العاقلة ، العجوز ، وذلك اسمها خاصة ، وامرأة شهلة كهلة ، ولا يقال : رجل شهل كهل ولا يوصف بذلك إلا أن ابن دريد حكى : رجل شهل كهل

(٣) المعصر والمعصرة هي التى بلغت عصر شبابها وأدركت .

وقال آخر (هى جمعيات هازلة يحاول اعضاؤها أن يظهروا بمظهر الجد) .

ولكن ، مهما يقولوا ويتهكموا وينتقدوا ، ما فتىء مطمح كل كاتب وكل عالم وكل باحث فى البلاد الراقية الوصول إلى عضوية هذه المجامع التى يعتقد الكثيرون أن الكفاية والعقل يقدمان فيها على الثروة وشرف الأصل . وقد قال الفيلسوف رينان فى ذلك : (إن صوت العلم قد يكون احيانا ضعيفا تجاه الجرأة والدجل ، ولكن هذا الصوت متى خفت ضجيج الشارع يستمر مسموعا ولا يسمع غيره . لذلك ومهما تشتد الحملات على المجامع العلمية ستكون الغلبة دائما فى النهاية لهذه المجامع لأنها الحارس الأمين على الأساليب الصحيحة ، وإذا كانت محترمة فى نظر عدد قليل ، فان هذا العدد القليل هو على حق . ولا يبقى إلا الحق) .

وتعرفون حكاية (بوانكاره) وقد يكون فيها أسطع دليل على مكانة هذه المجامع . وصل هذا الرجل العبقرى إلى رياسة الجمهورية وظل مع ذلك عضوا فى الأكاديمية ، لا تشغله مهام الدولة عن حضور معظم جلسات المجمع ، بل كان يشترك فى التصويت عند انتخاب عضو جديد . وحدث أكثر من مرة أن فاز بالانتخاب من لم يكن قد أعطاه صوته وكان يوقع بصفة كونه رئيسا للدولة مرسوم تعيين الفائز وإن لم يكن مرشحه .

وعندما زار بوانكاره انجلترا فى شهر يونيو سنة ١٩١٣ وقف ملك الانجليز وهو ملك يستطيع أن يقول كما قال شارلكان إن الشمس لاتغيب عن أملاكه — وقف يرحب بضيفه رئيس الجمهورية الحليفة فقال :

« إنى سعيد بأن أرى فى ضيافتى رجلا ممتازا بخدمه الجليلة ، ذا شهرة بعيدة ليس فى عالم السياسة فحسب ، بل ايضا فى تلك الجمعية الأكاديمية التى هى منذ ثلاثة قرون موضع فخر لفرنسا تحسدها عليه اوربا جمعاء » .

أيها السادة — من الأقوال المأثورة عند الفرنجة أن لا شىء ادعى إلى الملل والسأم من الخطب الأكاديمية . وكان نصيبى من هذه الحفلة خطبة أكاديمية فى أكاديمية عن الأكاديميات ، فاذا كنت قد أمللت وأسأمت فأرجو عذرا .

أنطون الجميل

وحسن الشمس فى الأيام باق وإن مَجّت من الكبر اللعابا

ومن جمع الضرات يطلب لذة فقد بات بالإضرار غير سديد

معاملة الصغار

ورفقاً بالأصاغر كى يقولوا غدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الأكابر إن يوقوا يُروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرن صغاراً فى ملاعبهم فجائز أن يُروا سادات أقوام
وأكرموا الطفل عن نكر يقال له
فإن يعش يُدع كهلا بعد أعوام

... وبالوالدين إحساناً

العيش ماض فأكرم والديك به والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع تُدمنه أمران بالفضل نالا كل إنسان

تحمّل عن أبيك الثقل يوماً فإن الشيخ قد ضعفت قواه
أتى بك عن قضاء لم ترده وآثر أن تفوز بما حواه

حفظ الصحة

دارِ نفسك وإن بلغت سن الهرم كما يُدارى الوليد .

إفراط الشبع آفة على كل حيوان :

سنك خير لك من درة زهراء تعشى أعين الناظرين (1)
عجبت للضارب فى ثمرة لم يطع الناهين والآمرين
يكسر باللؤلؤ من جهله
خُشْباً عتت عن أنمل الكاسرين

تجزأ ولا تجعل لحتفك علة بإكثار طعم ، إن ذلك لُوم (2)

لا تُوبلنّ وكن زئبال مأسدة إن الرشاد بنا فى البادن الرَّبلا (3)

الشبيبة

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءنى ولو نُص لى بين النجوم خباء

إن الشبيبة نار ، إن أردت بها أمراً فبادره ، إن الدهر مطفئها

(1) زهراء : بيضاء صافية .

(2) تجزأ بالشيء ، قنع واكتفى به ، اكتف بجزء من أكلك . وفى طبعة اللزوميات تجرأ بالراء ، ولا معنى لها .

(3) الربالة : كثرة اللحم وهو ربيل وربل .

السفر

لو ملكت الرحيل جولت فى الآفاق (م)
حتى يملّنى التجويل

أدب السلوك (1)

الكتاب المختوم يشتمل على سر مكتوم ، فإن فضضته ولم يأذن من أمنك عليه فقد أوضعت (2) فى سبيل الخائنين

لا يبصر القوم فى مغناك غسل يد على الطعام إلى أن يرفع السور (3)
ولا يكن ذاك إلا بعد كفهم أكفهم ، ويسير الفعل ميسور
فإن تقريب خدام الفتى حُرضا
والضيف يأكل رأى منه محسوز (4)

لكل زمان ما يشاكله

عدد لكل زمن ما يشاكله إن البراقع يستدنين بالشُّمُم (5)
فإن ضربت بسيف الهندفى ومَد فسيف إفرنجة المخبوء للشبم (6)

المرء شبيه زمانه

وإن الفتى فيما يرى زمانه لأشبه منه شيمة بأبيه (7)

الناس

والناس بالناس من حضر وبادية
بعض لبعض – وإن لم يشعروا خدم – (8)

(1) قال عبد الله بن المبارك : إذا وصف لى رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته .

(2) مشيت، فى حديث " من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار .

(3) سور يعنى عرس ووليمة « شفاء الغليل » . وفى « النهاية » فى حديث جابر أن رسول الله « ص » قال لأصحابه قوموا فقد صنع جابر سوراً أي طعاما يدعو الناس اليه . واللفظة فارسية .

(4) الحرض : الأشنان تغسل به الثياب والأيدى على أثر الطعام .

(5) الشمامان خيطان فى البرقع تشده المرأة بهما فى قفاه .

(6) ومد : حر . المخبوء المعد المدخر . الشبم : برد .

(7) فى أمالى القالى : هشام بن عروة : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وروى ابن هندو فى كتابه « الكلم الروحية فى الحكم اليونانية » لأفلاطون : لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم

(8) الحضر — بسكون الضاد — أهل الحضر . يقال : قوم حضر وقوم سفر (شرح ديوان زهير لثعلب) .

إن خالفوك ولم يجرر خلافهم
شرا فلا بأس؛ إن الناس أخياف (١)

قال الخليفة العظيم عمر :

« أعقل الناس أعذرهم للناس » .

وقال رشيد بن خليفة : « اشكر المحسن ومن لايسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلمهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص » .

ومن عرف الناس وتأريخهم ووراثتهم القريبة والبعيدة (L' atavisme) ومنشأ ما يسمى (رذائل) وأسبابها عذر ولم يستعجب مما يشاهد . يقول الشيخ :

يلقاك بالماء النمير الفتى وفى ضمير النفس نار تقد
يعطيك لفظا لينا مسه ومثل حد السيف ما يعتقد

وهذان البيتان إن دل ظاهرهما على معايب فى الناس ففيهما ماينبيء بارتقاء لهم عجيب ، فقد أمسى هذا الفتى الذئب الجشع الحاسد المحتقد سافك دم أخيه من أجل ثعلب ظفر به أو يربوع ، ومن أجل مستنقع يرده أو مطيطة (٢) — قد أمسى هذا الفتى وارث تلك الغرائز يلقاك أحسن لقاء ، ويخاطبك خطابا جميلا ، وفى الضمير والمعتقد ما أبان الشيخ . فإذا طال تكلفه مايتكلفه واستمر اعتياده مايعتاده « وعادة المرء تدعى طبعه الثانى (٣) » كما يقول شيخنا حاكى بعد أدهار باطنه ظاهره ، أشبه جوانيه برانيه ، وحسبك منه اليوم ذاك اللقاء وذاك العطاء ، وإن كان فى ضمير النفس نار تقد ، وساء ما يعتقد .

... كذلك سخرناها لكم

قال الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين) : « ... ولما انتهى أبو عيسى الوراق إلى حيث انتهت إليه أرباب المقالات طاش عقله ، ولم يتسع لحكمة إيلام الحيوان وذبحه صنف كتابا سماه (النوح على البهائم) فأقام عليها المآتم ، وناح وباح بالزندقة الصراح » ،

(١) من المجاز : هؤلاء أخياف أى مختلفون

(٢) المطيطة : الماء المختلط بالطين ، الذى يتمطط : أى يتمدد لخثورته (الفائق) .

(٣) فى أمثالهم : العادة طبيعة خامسة . العادة توءم الطبيعة .

وقال العلامة الفيومى فى (المصباح) : « ... ويحرمون — يعنى البراهمة — لحوم الحيوان ، ويستدلون بدليل عقلى فيقولون : حيوان برىء من الذنب والعدوان فإيلامه ظلم ، خارج عن الحكمة . وأجيب بظهور الحكمة ؛ وهو أنه استُسخر للانسان تشريفا له عليه ، وإكراما له كما استُسخر النبات للحيوان تشريفا للحيوان عليه . وأيضا فلو ترك حتى يموت حتف أنفه مع كثرة تناسله أدى إلى إمتلاء الأفنية والرحاب وغالب المواضع ، فيتغير منه الهواء ، ويكثر به الفناء ، فيجوز ذبحه تحصيلا للمصلحة ، وهى تقوية بدن الإنسان ، ودفعا لهذه المفسدة العظيمة . وإذا ظهرت الحكمة انتفى القول بالظلم والعبث » .

وشيخنا المعرى يقول داعيا إلى الارتفاق به :

يا كل أطايب الأعفاء ، من سمح بالرسل فى أيام السفاء (١) ، ويلج الغمار باذل السمار (٢) ، وتثنى الضيفان ، على الجائد بملء الجفان . لا يثنى عليك فصيل بالأصيل . ومن اخضرت شربته (٣) بالواد اكات مربده بالتمر الجلاد (٤) . ومن ركب العامة (٥) فى طلب الصيد كانت بطون عياله قبوراً للحيتان . ومن تتبع بقوسه موارد الوحش كثر فى منزله الوشيق (٦) .

وقال (الوليد) : النبع ليس بمثمر
وأخطأ ، سرب الوحش من ثمر النبع (٧)

(١) (الأعفاء) جمع عفو وهو الجحش . (السفاء) قلة اللبن ، يقال : ناقة سفى وهي ضد الصفى ، والمعنى أن من سقى فرسه اللبن فى أيام قلته طرد عليه الوحش فصادها (أبو العلاء) . العفو : الجحش سمى به لأنه يعفى عن الركوب والاعمال (الفائق) .

(٢) « الغمار » جمع غمرة وهى الشدة (السمار) اللبن المذيق ، والمعنى أن من سقى فرسه سماراً وثق بجريه فولج غمار الحرب (أبو العلاء) .

(٣) اخضرت شربته أى صار عليها طحلب من كثرة الماء وإدمان السقى (أبو العلاء) الشربة مثل الحويض يحفر حول النخلة والشجر ، يملأ ماء يسع ريها فتتروي منه ، والجمع شرب وشربات (التاج) .

(٤) اكات المربد أي صار فيه تمر يوصف بالكمتة ، والعرب تصف التمر بالكميت . والجلاد جمع جلدة ، وهى التمرة الشديدة التي لا تتوسف أى تتقشر (أبو العلاء) .

(٥) « العامة » ضرب من السفن (أبو العلاء) . وفى الأساس : وركبوا العام أى الأرماث الواحد عامة لأنها تعوم فى الماء ، وفيه : وركبوا الرمث فى البحر وهو الطوف : وهو من قرب منفوخ فيها .

(٦) « الوشيق » اللحم المقدد طولا ، والقطعة وشيقة (أبو العلاء) .

(٧) فى « شرح سقط الزند » :

« أراد الوليد بن عبيد البحترى وذلك أنه قال فى شعره : —

جِـلّة ابلك وعشارها (١) . أروت ضيفك غزارها ، وملأت جفانك وذارها (٢) ، لن تبكيك بكارها إذا السنة كثر قطارها ، وذبح فى الروضة فارها (٣) ، واعتم بالروضة بهارها (٤) . سالم إبلك شرارها .

الأثرة L'égoïsme

إن تُرد أن تخص حراً من الناس (م) بخير نخص نفسك قبله (٥)

إذا لم يكن لى بالشقيقة منزل فلاظهرت عزّاؤها والشقائق (٦)

إذا كان إكرامى صديق واجبا
فإكرام نفسى — لا محالة — أوجب

ومن أطال خلاجا فى مودته فهجره لك خير من تلافيه (٧)

إذا ولى صديقك فولِّ عنه ، فإنما يُنزل بالوادى ذى الشجر والروض العميم (٨) ، ويقدح بزند العفار (٩) ما دام وارىَ النار ،

= وعيرتنى خلال العدم آونة والنبع عريان، مافي عوده ثمر

يعني بالنبع الشجر الذى يعمل منه القسى ، قال البحترى : « إن النبع لا ثمر له » وقد أخطأ فى قوله فان قطيع الوحش التى تصاد من الظباء والحمر والبقر الوحشية — من ثمار النبع ، وذلك أن القسى إنما تبرى من النبع ، ويرمى بها الوحش عنها ، وتصاد بها ، فالوحش إذن من ثمر النبع ... » .

و « عريان » مصروف ، وقد ترك البحترى صرفه ضرورة .

(١) الجلة : المسان — الكبار — من الابل يكون واحداً وجمعاً ويقع على المذكر والأنثى « المسان » . عشراء أتى على حملها عشرة أشهر والجمع عشار، ومثله نفساء ونفاس ، ولا ثالث لهما (المصباح) .

(٢) وذارها جمع وذرة وهي القطعة من اللحم (أبو العلاء) .

(٣) ذبح الفار للمسك وهو هاهنا استعارة للروض (أبو العلاء) .

(٤) اعتم النبت إذا طال وكثر (أبو العلاء) . (البهار) : نبت طيب الريح : العرار .

(٥) روى الميدانى فى (مجمع الأمثال) هذا المثل : من لم يحسن إلى نفسه لم يحسن إلى غيره .

(٦) (الشقيقة) علي مثال فعيلة هو يوم (نقا الحسن) وفيه قتل بسطام بن قيس فهو يوم نقا الحسن ويوم الشقيقة . والشقيقة الفرجة بين الجبلين من جبال الرمل ينبت العشب (تعليق فى نسخة مخطوطة من «اللزوميات» فى دار الكتب المصرية عمرها الله !)

(العزاء) المطر الشديد الوابل (الشقائق) سحائب تبعجت بالأمطار المغدقة ، والشقائق هو هذا الزهر الأحمر المعروف .

(٧) (خلاجا) نزاعا ، جذابا .

(٨) كل ما اجتمع وكثر عميم والجمع عمم ، والعميم : الطويل من الرجال والنبات المسان .

(٩) العفار شجر يتخذ منه الزناد ، المرخ والعفار شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر (اللسان) وفى أمثالهم : « فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » وقد رواه الميداني وشرحه .

فإذا خبت ناره بطل اختياره . وإذا السقاء لم يمسك الماء فهو زيادة فى مشقة المسافر ، لا تاو لمفسد (١) تاو (٢) ، فإن الذيب جدير بالتعذيب .

آخ فى الله الأخوان ، ولا تقل لبعيرك : إخٌ فى دار الهوان (٣) .

ادفع الشر إذا جاء بشر وتواضع إنما أنت بشر (٤)

بأى لسان ذامنى متجاهل علىَّ ، وخفق الريح فىَّ ثناء
تكلم بالقول المضلل حاسد وكل كلام الحاسدين هراء

إذا ما قلت نثراً أو نظاما تتبع سارقو الألفاظ لفظى

كأنى إذا طلت الزمان وأهله رجعت وعندى للأنام طوائل (٥)
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم
بإخفاء شمس ضوءها متكامل
وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل
وطال اعترافى بالزمان وصرفه فلست أبالى من تغول الغوائل
فلو بان عضدى ما نأسف منكبى
ولو مات زندى ما بكته الأنامل (٦)

وكم من طالب أمدى سياقى دوين مكانىَ السبع الشدادا
ويطعن فى علاى وإن شسعى ليأنف أن يكون له نجادا
ويظهر لى مودته مقالا ويبغضنى ضميراً واعتقاداً
لى الشرف الذى يطأ الثريا مع الفضل الذى بهر العبادا
وأحسب أن قلبى لو عصانى فعاود ما وجدت له افتقادا

تعاطوا مكانى وقد فتهم فما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحونى وما هجتهم كما ينبح الكلب ضوء القمر

(١) أوى له : رق ورثى له ، وأشفق عليه ، يأوى مأوية ومأواة .

(٢) تاو : هالك توي كرضى يتوى وطيء تقول توى كسمي

(٣) إخ — يقال للبعير إذا زجر ليبرك ولا فعل له ، لا يقال أخخته بل أنخته .

(٤) من أمثالهم : الشر للشر خلق ، قد يدفع الشر بمثله إذا أعياك غيره وأرسطو — كما رووا — يقول : (دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة) والقول ما قال الشيخ ، ونطق المثل

(٥) (طلت) فقت (الطوائل) الترات . الذحول .

(٦) العضد بضم الضاد وسكونها وكسرها . وهو يذكر ويؤنث .

المذاهب الأدبية

للدكتور محمد مندور

فى مصر الآن اتجاه عام نحو التفكير المذهبى . سواء فى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الأدب . وهو اتجاه يبشر بالخير ، أو على الأصح بالرغبة فى الخير . وذلك لأننى لم أستطع بعدُ أن أطمئن إلى اساس هذا الاتجاه . ومصدر عدم الاطمئنان هو أننى لا أكاد بعدُ أتبين وجود تفكير فلسفى يتشعب مذاهب مختلفة ، فتستند إليه مذاهبنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية . ونقصد بالفلسفة وبالتفكير الفلسفى التفكير الإنسانى الذى يتناول ملكات الفرد وآماله وآلامه وكافة روابطه بالحياة والمجتمع ؛ وأما ما وراء الطبيعة والجدليات والمنطقيات ، فذلك ما لن أمل تكرار القول فى جدبه وعدم غنائه ، لأنها لا تعدو أن تكون رياضة عقلية .

لسنا نملك إذن حتى اليوم فلسفات إنسانية متميزة ، وهذا هو السر فى أن تفكيرنا المذهبى فى نواحى النشاط الفكرى المختلفة لا يزال تقليداً للغرب لا يقوم على أصالة نفسية حقة ، وأوضح ما تكون هذه الحقيقة فى فهمنا لمعنى المذاهب الأدبية . فنحن نظنها طرقاً فنية يقصد إليها الكاتبون قصداً . فإذا بأحدهم كلاسيكى والآخر رومانتيكى . وإذا بهذا واقعى وذاك مثالى . عقلى أو عاطفى . اجتماعى أو فنى . وما إلى ذلك من المذاهب والاتجاهات ، وهذا فهم خاطئ : فمذاهب الأدب — كما يشهد التاريخ — قد كانت دائماً حالات نفسية عامة خلقتها الحوادث . وكيفتها الظروف . وإن لم يمنع ذلك الاتجاه العام من أن تتميز بداخله نفوس الشعراء والكتاب بسماتها الخاصة .

وفى تاريخ الأدب العربى ذاته أمثلة لتلك الحقيقة . فالشعر العاطفى ، وبخاصة الغزل ، كما ظهر فى الحجاز فى صدر العصر الأموى ، والشعر العقلى ، وبخاصة الهجاء ، كما ظهر فى العراق فى ذلك العصر أيضا ، والشعر الفنى المصنوع ، وبخاصة المدح ، كما ظهر فى الشام عندئذ ، حيث كان مقر الملك ، ثم تيار الشعر الإباحى ، شعر الخمر والغزل بالمذكر ، والتكالب على اللذات ، كما عرفه العصر العباسى الأول ، والشعر الفلسفى الذى بلغ قمته عند أبى العلاء ، كل هذه الاتجاهات كانت فى حقيقة أمرها حالات نفسية . وما أحب أن أعيد القول فى انصراف أهل الحجاز عن الكفاح فى الحياة والمناضلة عن مجد الإسلام عند ما رأوا القيادة تنتقل إلى غيرهم ، وإذا بهؤلاء الأشراف الذين رقق الإسلام قلوبهم يتغزلون غزلهم الساحر الجميل . وكلنا يذكر روح العصبية القبلية التى لم يستطع الإسلام أن يميتها فى العراق ، وما كان لتلك الحالة النفسية من تأثير فى تأجيج الهجاء بين القبائل والأفراد ، وقد عمرت أشعارهم بملاحاة القيم والأنساب . وأما فى العصر العباسى فتأثير الحضارة الفارسية بلذاتها وأنواع بذخها المختلفة ، أوضح من أن يذكر فى خلق الحالة النفسية التى صدر عنها الشعر الإباحى . وفى فلسفة الهنود واليونان . وفى ظروف الحياة السياسية والاجتماعية فى العصر العلائى وما سبقه بقليل ما يوضح اتجاه الشعر نحو الفلسفة بحثا عن حقائق النفس ومصيرها ، وآلام الحياة وآمالها . وهكذا جاءت نشأة المذاهب الأدبية عند العرب ، أو على الأصح ، الاتجاهات الأدبية فى شعرهم وليدة لحالات نفسية طبيعية لم تصطنع ، ولا قصد إليها ، فهى تقوم على أسس نفسية إنسانية لم يكن منها مفر . ولا إلى غيرها معدل . وإن لم يمنع ذلك — كما قلنا — كل شاعر من أن يتميز من غيره بأصالته الخاصة .

والأمر فى الأدب الغربى مثله فى الأدب العربى ، وإن تكن الحقائق هناك أوضح . لأن الأدب الغربى هو الذى عرف — وبخاصة ابتداء من عصر النهضة — المذاهب الأدبية بمعناها الفلسفى الصحيح . وقد صاحب ظهورها وعى نظرى بها ومناقشة لأصولها ، وتوضيح لمعالمها وقتال دونها : وتلك ظواهر لم تكد تتضح فى تاريخ الأدب العربى . اللهم إلا أن يكون ذلك فى معركة كبيرة واحدة يحدثنا عنها التاريخ الأدبى . وهى تلك التى قامت بين أنصار البحترى وأنصار أبى تمام ، إذ ناضل الأولون عن عمود الشعر والصياغة التقليدية المرسلة ، وكافح الآخرون عن مذهب البديع والتجديد فى الصياغة . ومع ذلك فتلك معركة لم تمس حالات النفس فى شئ ، لأن مدارها كان التباين فى أسلوب التعبير . وأما موضوعاته فقد ظلت تقليدية حتى قال أحد النقاد : إن

التجديد عندئذ لم يعدُ التطريز على ثوب خلق؛ وقال مستشرق: إنه كان رقصا فى السلاسل.

وعلى العكس من ذلك مدلولات المذاهب الأدبية فى الغرب، فهنا نجد الحالات النفسية بأوسع معانى اللفظ. فالكلاسيكية التى ظهرت فى القرن السابع عشر فى فرنسا بنوع خاص ليست إلا نظاما عقلياً خاصاً فى تناول حقائق النفس البشرية وصياغتها. وأساسها العام هو تنحية الكاتب لشخصه عما يكتب، وتسليطه ضوء العقل على ما يريد عرضه. ولهذا كان مظهرها هو الشعر التمثيلى. وأما الشعر الغنائى الشخصى فذلك نوع لم يزدهر إلا فى القرن التاسع عشر تحت جناح الرومانتيكية، والكلاسيكية قسط واعتدال فلا إسراف فى إحساس ولا مبالغة فى عبارة ولا تصنع فى أداء ولا شذوذ فى أسلوب. وهى نتاج عقلى يخضع لأصول مرعية ويسير على مبادئ مقررة، وهى أصول ومبادئ قننها النقاد فقالوا فى المسرح بالوحدات الثلاث ونادوا بفصل الأنواع فلا تجاور الفصولَ المحزنة فصول مضحكة فى المسرحية الواحدة ولا يختلط نوع بنوع.

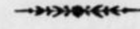
وجاءت الثورة الفرنسية فشتتت أفراداً وبخرت آمالا، وهاجر من هاجر وأقام من أقام وتجددت بفضلها مشاعر البشر. وأمعن الناس فى مصائرهم. وولت الثورة نابليون الذى ملأ الدنيا وشغل الناس، حتى أثار فى نفوس الشبيبة أنواعا لا تحصى من الطموح وقد أصبح مثلهم المحتذى. ومنذ الأزل كان لشهوة المجد سحرها العجيب. وتنكر القضاء لنابليون فانهار مجده وتحطمت بانهياره النفوس، فإذا بمرض اجتماعى ينتشر بين الناشئين هو المعروف «بمرض العصر» وما هو فى الحقيقة إلا إحساس الفرد بعجزه عن الملاءمة بين قدرته وآماله، وبين شخصه ومجتمعه، وبين واقعه ومثله الأعلى، وتلك حالة نفسية تنشأ دائما عند ما تجد أحداث أو تنهار شخصيات تدعو إلى أن يدب اليأس فى الطموح. ولا أدل على صدق هذه الحقيقة من أن نجد الرومانتيكية التى ظهرت عندئذ، عامرة بالشكوى من الحياة، والإحساس إحساسا عميقا بجمال الأطلال ثم بصمت الطبيعة. ولكم يروعك عندئذ أن تستمع إلى شاتوبريان أحد أجداد الرومانتيكية الأوائل يفاضل بين الديانة اليونانية القديمة والديانة المسيحية، ويؤثر الأخيرة لأنها قد طردت من الطبيعة ما ملأها به الإغريق من ربات وحوريات وآلهة، لترد إليها ذلك الصمت الخالد الذى يعثر فيه الإنسان على الله عند ما يعثر على نفسه. وهذه حالة تتطلع إليها النفس عندما تستشعر الحاجة إلى الاستجمام وترتد عن صخب الحياة وحركتها الدائبة وأهدافها المترامية مؤثرة التأمل الباطنى على رقص الحوريات وأعياد الحياة. وعن هذه الحالة النفسية العامة صدرت الرومانتيكية التى تغلب عليها العاطفة والغناء الشخصى بالآلام والآمال غناء لا يخضع لقاعدة ولا يتقيد بأصل وهو أقرب إلى التشاؤم وشكوى الحياة منه إلى الرضى واطمئنان المصير.

وأفاقت النفوس من صدمتها. وتقدمت الأبحاث العلمية ونما الإنتاج المادى وأخذ المفكرون يكشفون عن الحقائق النفسية العميقة فإذا بالأدب يتجه نحو الإمعان فى الواقع. ولما كان ذلك الواقع أمرّ مما يتخيل الشعراء وأميل إلى الدكنة فقد تولدت حالة نفسية جديدة هى الواقعية، التى تسيء الظن بالبشر وترى خلف دوافعه البراقة ظلاما كثيفا. وعلى إضاءة هذا الظلام توفرجهدها، فالكرم قد يكون مباهاة خاوية، والمجد قد يخفى طموحا شخصيا بل والعبقرية ذاتها قد تختلط بالتهريج الرخيص، على نحو ما تجد فى الكثير من روايات بلزاك. ولم يكن هذا الاتجاه قاصراً على الأدب بل امتد إلى النحت والتصوير والموسيقى وغيرها من أنواع النشاط الروحى. لقد كانت الواقعية كما كانت الكلاسيكية والرومانتيكية حالة نفسية سائدة وتلك هى الحقيقة العامة التى أريد أن نتدبرها عند ما نأخذ فى الحديث عن ظهور مذاهب أدبية بيننا؛ فاذا لم نجد الحالة النفسية التى تستند إلى فلسفة إنسانية عميقة كنت فى حل من أن تصف ما ترى بأنه لا يزال فى دور المحاكاة.

محمد مندور

المسألة الأفعوانية !

الأستاذ عبد المنعم خلاف



هلمى يا ذات الخطر والجلالة ! إلى قلمى . . كما يقبل الثعبان العظيم زاحف الرأس إلى ساحر ليحطم نابه ويطهر لعابه !

هلمى يا بوق الشيطان ينفخ فيه على القلوب فتكون كالمخالى والخزائن والجيوب ، تختزن الأجسام ذات الحجم والكثافة والثقل .. وتمتلىء بالحطام وهى مهبط الأسرار ومجلى الأنوار ..!

هلمى يا دين البشرية الوثنية وقبلة قلبها ، وكعبة طوافها وسعيها .! هلمى يا أم الدينار ! ذى الغُرَّة والطُرَّة ، والبريق والرنين ، والثقل الخفيف والروح اللطيف الذى يسرى به الشيطان إلى الأقداس المغلقة فى الضمائر فيفتح به مكان الطهر ويحيله إلى نجس وعهر .!

هلمى يا روح العجل الذهبى الذى يتشكل ويتجسد ويتقمص جسم كل شىء فيتراءى به ويتخايل فى صور شتى تذهل العيون عن الحق والشرف والإيمان !

إلى قلمى أيتها الأفعى ذات الرءوس والقرون والألسنة والذيول التى لا عدد لها لأنها أم العدد والحساب !

هلمى أيتها « المسألة الإقتصادية » ! يا وكر الجرائم الفردية والإجتماعية والسياسية !

الرباطات الثلاثة

إننا نشعر برباطات ثلاثة [illegible] علينا وتربطنا بثلاث غايات عظمى هى : « الحياة وما وراء الحياة » و « المال » فالذى يربطنا « بالحياة » هو « الحب » ونتيجته الاندماج فى « الزواج » والامتداد فى « النسل » تعزية وتعويضاً عن « خلود الذات » وهى الأمل الأكبر الذى لم يتحقق ، والذى يربطنا بما وراء الحياة هو « الدين » ونتيجته التعرف إلى الله بارىء الوجود ومفيض الحياة ..

والذى يربطنا بالمجتمع هو « المال » إرضاء لجملة غرائز حادة وشهوات عنيفة تظهر فى الأنانية والأثرة والخيلاء وحب التسلط والمباهاة والافتراس وحب الاقتناء والحيازة والتملك وحب « إثبات الذات » مقرونة بغيرها فى مجموع .. والرباطان الأول والثانى لكل منهما منطقة تتصل بالجانب الأعلى من الإنسان وتثير فى قلبه أشواقا فيها سمو وفيها رفق ووداعة وحنان ونسيان للذاتية » و « الأنانية » فلذلك تحيا بهما النفس سعيدة مسعدة ، منتفعة نافعة .

أما الرباط الثالث فلا يتصل إلا بمنطقة العواصف والزعازع من النفس ، إذ هى مجال الاحتكاك والمنافسة والسباق والصراع بين ذوات مختلفة متفاوتة القوى والمواهب .. وقد سبق الشر من هذه المنطقة إلى الحياة وأفسدها ، ولذلك كانت محل العناية والتنظيم والتهذيب ، ومحوراً عظيما لشرائع الأرض والسماء ، ومثار الحروب قديمها والحديث .

وبدون تسوية « المسألة الإقتصادية » .، فى العالم وحل « مشكلة العيش » وتوزيع الموارد الإقتصادية فى الأمة الواحدة وفى الأمم المتعددة فى عدالة وإنصاف وتجرد عن الأنانية الشخصية والقومية لا يمكن الإطمئنان إلى مستقبل سعيد للانسانية

وربما كانت كبرى جرائم الحياة هى جرائم الغنى ومفاسد البطر والترف والطغيان نتيجة لغرور المال . نعم إن للفقر جرائم كبرى أيضاً ، ولكنها جرائم ومفاسد هى فى الواقع عقوبة « ورد فعل » على جرائم الغنى وعدم التوازن الإقتصادى فى المجموع .

ولذلك كان من أول الواجب على رجال الروح والفكر أن يجعلوا المسألة الإقتصادية وتنظيمها واعتبار أسسها العادلة محل عنايتهم الفائقة كما يعنون بالمسائل النظرية فى اللاهوت والفلسفات والآداب ، وأن تكون لهم رقابة ساهرة وجهاد دائم فى التدبير والتنظيم الإقتصادى حتى يضمنوا لكل فرد أن ينال حق العيشة بالجسد كما ينال حق الحياة بالروح ، وحتى يكفلوا لمثلهم العليا أن تحيا وتتجسد فى أشخاص بدل أن تظل طول الحياة ميتة مدفونة فى بطون الكتب .

ثم يكون واجبهم الأكبر أن يمنعوا التكالب عليها والتطاغي في رحابها وأن يحملوا المجتمع على السعي إليها في هوادة ورفق وشرف

الحدود في الاقتناء والتوريث

وإن ما تطلبه غرائز التملك وشهوة المال لا يمكن أن يقف عند حد ينتهي إليه . وعلى هذا فواجب أن يدرك الإنسان ذلك ويحد من آماله ومطامعه بما يوافق مصالحه ومصالح الآخرين وإلا انقلب كذلك الثعلب الذي ظل يأكل من فريسة حتى امتلأ وعجز عن النهوض والجرى فاقتنصه الصائد ..

ومع عدم شعور الجد والأب بحب الحفدة والأبناء له بل مع عدم وجودهم في حياته ... نجد الأجداد والآباء يغالون في الاقتناء والإثراء بدون حد للمطامع ، وبدون التفكير في أن ما زاد على الكماليات في متوسط عمر الإنسان إنما هو حمل باهظ للنفس يرهقها ويكأدها

فينبغي أن يحد الثرى ثروته بحيث تكفي ابنه المباشر وحده . أما الحفدة والأسباط فيجب إهمال التفكير في توريثهم وعدم تضحية المجتمع والمروءة مع الناس من أجلهم وهم في عالم الغيب..

الأسرة تتسع

ولماذا يلزم الإنسان أن يعول أهله الأدنين وذريته الضعاف ولا يلزم بإعالة إخوته في الوطن من العجزة المحتاجين وهم أسرته أيضا بالمعنى الواسع ؟ لا بد من إقامة مسائل الاقتصاد والإحسان على هذا المعنى العميق الكريم لا على التبرع والتفضل والإختيار...

خطر العقليات المادية

لقد كثرت العقليات المادية المغالية التي تحاول أن تفسر الحياة دائما تفسيراً ماديا آليا .. مغفلة ذلك المعنى الإنساني العظيم الذي يتصل بالحق ومعاني المروءة والإيثار والنبل، ولا يكون المرء انسانا إلا بسيطرة ذلك المعنى على فكره وروحه .. هذه العقلية أعظم نماذجها هم اليهود . وقد انتقلت فلسفتهم المادية في غلوها إلى جميع الأمم . فهم ليسوا الآن ممثليها وحدهم ..

نعم إن للمادة آثاراً كبرى في الحياة الإنسانية ، ولكنها يجب ألا تكون المحور الوحيد لسياستها العليا كما هي الحال الآن ...

عبد المنعم خلاف

في المحكمة الشرعية

صور جاهلية

الأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

رجل كهل معتم، له لحية وفى يده سبحة، دخل المحكمة ودخل وراءه مريدون له، ذوو عمائم، يتبعونه متخشعين ويلحظونه مكبرين، فوقف موقف المدعى عليه، وجلسوا من خلفه فى مجالس المستمعين، وكان المدعى شيخا هماً ترعش يداه، وتضطرب رجلاه، ويزيغ بصره، ويتلعثم اذا تكلم لسانه ويفيض لعابه، وكانت دعواه أن هذا الكهل ابنه، وأن زوجته وهى أم المدعى عليه قد ماتت منذ شهرين، وهذا الولد قد وضع يده على تركتها كلها، فلا هو يعطيه حقه فيها فعل الرجل الشريف، ولا هو ينفق عليه انفاق الولد البار، فهو يطالب ... فسئل المدعى عليه ذو اللحية والسبحة، فقال: ان المدعى أبى ولكن له مالا فلا تجب علىّ نفقته، وأمى مطلقة منه فلا نصيب له فى ارثها. فلما سمع الشيخ ذلك بكى بكاء محروق الفؤاد، واستنزل على ابنه غضب الله. اذ يعظ الناس ويأمرهم ببر الوالدين، ويسوق فى ذلك الآيات والأخبار والرقائق، ثم يأبى الا أن يجمع على نفسه بين عقوق أبيه حيا، وأمه ميتة، ويضم الى ذلك كذبا وافتراء، ولا يرعى حق الأبوة، ولا يرأف بضعف الشيخوخة، ويصم أمه بوصمة الطلاق، وهى تشينها ان كانت حقا فكيف اذا كانت باطلا، وينسى الدين والمروءة، كل ذلك من أجل شىء من المال ماله [illegible]، وما هو الى مثله فقير، ولكنه الطمع وحب الدنيا التى [illegible] يدعو اليها.

ونصحت المحكمة هذا (الواعظ ...) فما انتصح، وذكرته فما ادكر، ثم كانت النهاية أن خرج فائزاً بدنياه رابحا دعواه، يتبعه مريدوه وتلاميذه مكبرين موقرين، وخلف أباه الشيخ الراعش، يتلمس يداً تسنده ليخرج من المحكمة وفى عينيه الدموع وعلى لسانه اللعنات، وفى قلبه الحسرات ...

— ٢ —

امرأة محجبة مستورة، على صدرها ولد، وفى بطنها ولد، تدعى على رجل أنه زوجها وأبو أولادها وأنه طردها من داره، ولم ينفق عليها، ولم يكلها الى منفق، والرجل من هؤلاء (الزكرت) الذين يسمون فى مصر (الفتوات) حليق الخدين، مفتول الشاربين، عابس باسر، طويل الطربوش أسوده مائله، منتصب القامة، مرفوع الهامة، كأنه مقبل على صراع. فسألته المحكمة عما يقوله فقال، وقد صعر خده، وشمخ بأنفه: لست أعرف هذه المرأة! ... قالت المرأة: لست تعرفنى يا أبا فلان؟ أهذه هى مروءتك وشهامتك؟ تنكر زوجتك، وتجحد ولدك، وأنت ترى طفلى وحملى، وتبيع عرضك وشرفك بعشرين فرنكا فى اليوم تريد أن توفرها على نفسك، فتهدم بيدك بيتك. وتكتب بقلمك صفحة عار أهلك، وفضيحة أولادك.

قال: اسكتى يا امرأة، اننى لا أعرفك، فسألتها المحكمة: ألم يسجل هذا الزواج فى دفاتر المحكمة وسجلات النفوس؟ قالت: لا ياسيدى؛ انه أبى أن يسجله، وتركه مكتوما لكى يضيعنى. وانطلقت تنشج.

وأصر الرجل على الانكار، وأعيت المرأة الوسائل، وكادت المسكينة تغلب على حقها؛ واذا بطفل فى الخامسة يلج قاعة المحكمة فيأخذ بيد أمه المدعية، ثم يرى الرجل، فيقبل عليه، ولكن الرجل يعرض عنه ويتجاهله، فيبكى ويصرخ: « ليش يا بابا، شو عملت لك يا بابا ... »

... ويعترف الخبيث ولولا ذلك ما اعترف!

— ٣ —

امرأة قروية برزة ذات جمال ادعت على زوجها الطلاق. فأنكر فكلفتها المحكمة بيان زمان الطلاق ومكانه — فقالت: إنه وقع فى دار زوجى. قال المدعى عليه: فى دارى؟! قالت: لا، بل فى دار الآخر. وتنبه القاضى والمستمعون، وسألها: ماذا قلت ويحك؟ قالت: زوجى الآخر. قال القاضى. وما الآخر؟ قالت: انه تركنى وأهملنى ورمانى فتزوجت غيره. قال الرجل: لقد كذبت، لم أهملها ولكنها أحبته وهربت اليه. قال القاضى: وماذا صنعت أنت؟ قال: وماذا أصنع، أنه عسكرى وانى أخافه.

القضايا الكبرى في الإسلام

قضية التجسس لقريش

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذه قضية لها قيمتها في أحداثنا الحاضرة ، ولو كنا نرجع في حاضرنا إلى ماضينا ، لكان لنا منه أكبر العظات ، وأعظم العبر ، ولكنا قطعنا صلتنا بماضينا ، وأخذنا نتخبط في حاضرنا ، وننظر فيه إلى من لا صلة بيننا وبينهم ، ولا يتفق أمرنا وأمرهم ، فتقطعت بيننا الأسباب ، واستفحل بيننا الخلاف ، ونكب المسلمون في زعمائهم وقادتهم ، وصاروا ينظرون إلى من يأخذ بيدهم فيرتد الطرف إليهم وهو حسير

في السنة الثامنة من الهجرة نقضت قريش عهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية ، فتجهز النبي للسفر ، ولم يعلن أصحابه بما يريد من غزو قريش إلا أبا بكر رضي الله عنه ، ثم استنفر الأعراب الذين حول المدينة ، وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة . فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ، وقد طوى ما يريد عن الجيش ، لئلا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب ، وهو لا يريد أن يقيم حربا بمكة ، بل يريد أن يباغت أهلها فيضطرهم إلى التسليم من غير حرب ، وقد دعا الله تعالى فقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها . وفي رواية أخرى : اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعون بنا إلا فلتة . ثم أمر بالطرق فحبست ، وأقام جماعة بالأنقاب يراقبون من يمر بها ، وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الأنقاب فيقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه . وكانت الأنقاب مسلمة إلا من سلك إلى مكة ، فإنه يتحفظ منه ويسأل عنه

وقد أمكن حاطب بن أبي بلتعة مع ذلك التكتم الشديد أن يعرف قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لخمي نزل مكة وحالف بني أسد بن عبد العزى ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا

قال : ومن عقد هذا العقد ؟ قال : شيخ البلد وهو هنا .

وأمر القاضي بشيخ البلد فدعى . فحضر شيخ لحيته الى سرته ، له هيبة وشيبة ووقار . فسأله — فقال : نعم أنا زوجت هذه المرأة بفلان العسكري . انها ذهبت اليه وساكنته نخفت عليهما المعصية ! ! فزوجته بها الزواج الشرعي على كتاب الله ، وسنة رسول الله !

قال القاضي وزوجها الأول ؟ قال : نصحناه أن يطلقها فأبى . فهو المسيء الى نفسه . وما أكرهتها بل زوجتها برضائها وموافقة أبيها . ولقد أنجبت منه أولاداً هم زينة البلد ، لا كأولادها من هذا الجاهل الذي لا يقيم الصلاة ...

قال أبوها وقد أحضر وسئل : نعم ، لقد رضيت بما رضي به شيخنا وعالمنا حفظه الله ، وأطال عمره ...

— ٤ —

فتاة (على الطراز الحديث ...) سافرة الوجه، غضة الأهاب ، قصيرة الجلباب ، تحاول كلما تحركت أن تبدي ما خفي من زينتها ومن فتنتها ، وقفت موقف المدعي . وكان المدعى عليه رجلا عليه سيما الصلاح ، وكان أباها ، فلما تكلمت تكلم معها حاجباها وشفتاها ، ورقص في صدرها نهداها ، فأمرها القاضي بالأدب ، لما رأى من تبذلها واستهتارها ، وأن تلق (منديلها) على وجهها ، وأن تجد وتوجز في كلامها ، وتسكن من جوارحها ، وأن تستشعر حرمة المكان ، وجلال المجلس ، وإلا حبسها بذنب (الإخلال باحترام المحكمة) . فأطاعت ما استطاعت

وكانت دعواها أنها ابنة المدعى عليه ، وأنها لا تنكر أن داره رحبة ، والمال فيها وفير ، والعيش هنيء ، وأنه ليس في الدار الا أبوها وأمها ، وأنها لا تشكو شيئاً من جوع أو عري ، ولكنها تشكو عدوان أبيها على حريتها ، فهو من (الطراز القديم) رجعي جامد ، لا يؤمن بالنهضة النسائية ... فهو لا يفتأ يسألها كلما خرجت ، لماذا خرجت ، وإن سهرت ليلة ، قال لها : أين كنت ، وإن سايرت شابا (مهذبا) أو زارته سبها وشتمها . فهي لم تعد تحتمل منه ذلك ، وتطلب فرض نفقة لها عليه لتعيش في غير داره ...

... ولا أريد أن أكمل الصورة فحسب القراء هذا الجانب منها ... وتأويله عند صاحبات (المؤتمر) !

دمشق — علي الطنطاوي

والحديبية ، وكان له بمكة بنون وإخوة ، نخاف عليهم من قريش فى ذلك الغزو ، وأراد أن يتقرب إليهم بإخبارهم بقصد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا يتعرضوا إلى بنيه وإخوته بسوء ، فكتب إليهم كتابا يخبرهم بذلك ، ثم استأجر امرأة بدينار وقيل بعشرة دنانير ، وقال لها : أخفيه ما استطعت ، ولا تمرى على الطريق فان عليه حرساً

والروايات مختلفة فى نص هذا الكتاب ، فقيل إنه كان فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن تكون لى عندكم يد

وقيل إنه كان فيه : أما بعد يا معشر قريش ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فو الله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لأنفسكم ، والسلام

وقيل إنه كان فيه : إن محمداً قد نفر ، فاما إليكم ، وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر

فأطلع الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم على مافعله حاطب ، فقال لعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فان لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها

فانطلق الثلاثة تعادى بهم خيلهم حتى أتوا روضة خاخ ، فاذا هم بالظعينة تسير على بعير لها ، فقالوا لها : أخرجى الكتاب . فقالت : ما معى كتاب . فأناخوها والتمسوا ذلك الكتاب فلم يجدوه ، فقالوا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا لها : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . وفى رواية أن علياً قال لها : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ، لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه قالت : أعرض . فأعرض فحلت قرونها فأخرجته من عقاصها ، وهو الخيط الذى تعتقص به أطراف الذوائب ، أو الشعر المضفور ، أولىُّ الشعر بعضه على بعض على الرأس ، وإدخال أطرافه فى أصوله ، أو السير الذى يجمع به الشعر على الرأس وفى رواية البخارى . فلما رأت الجد أهوت إلى حُجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته . والحجزة معقد الإزار ، والظاهر أن الكتاب كان فى ضفائرها ، وأنها جعلت الضفائر فى حجزتها .

فأخذوا الكتاب منها ورجعوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال له : ياحاطب ماحملك على ماصنعت . فقال : يارسول الله لاتعجل علىَّ ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ، ولم أفعله ارتداداً عن دينى ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ماضى حاطب وجهاده فى إعلاء شأن الإسلام ، وإلى موقفه فى غزوة بدر ، وما كان لها من عظيم الشأن فى إظهار الدين ، وفى قصة الحديبية ومبايعته فيها على الموت تحت شجرة الرضوان ، وقد قال الله تعالى فى شأن من بايعه تحتها فى الآية — ١٨ — من سورة الفتح (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) .

نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك كله من حسنات حاطب ، ثم نظر إلى تلك السيئة التى ارتكبها ، وهى تعدفى عرف الشرائع الوضعية الخيانة العظمى للدولة ، والعقوبة التى تستحقها هذه الخيانة هى عقوبة القتل ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن تنتهى حياة ذلك المجاهد بذلك الشكل القبيح ، ولم يشأ أن يضيع له جهاده الطويل فى الإسلام بفلتة من فلتات النفس ، وغواية من كيد الشيطان ، فرأى أن يستعمل فيها حقه فى العفو ، لأنه الرئيس الأعظم على المسلمين ، فله حق العفو عن مذنبهم إذا كان فيه مصلحة من المصالح ، ولكنه نظر قبل ذلك إلى من كان بالمجلس من أصحابه فقال لهم : إنه قد صدقكم ، ولا تقولوا له إلا خيراً . فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل

بدر يوم بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم .

وقد عفا النبي صلى الله عليه وسلم بهذا عن حاطب رضى الله عنه ، بعد أن بين به أن عقوبة الجاسوس القتل ، لأنه أرشد إلى أن علة تركه أمر عمر بقتله هي شهوده بدرا ، فدل على أن من فعل فعله ولم يكن بدريا يستحق القتل ، ثم نزل بعدهذا فيما فعله حاطب قوله تعالى فى الآيات الأولى من سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ، قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلاقول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) إلى آخر القصة .

وفى هذه الآيات معاتبات رقيقة لذلك المجاهد الكريم بعد ذلك الصفح الجميل ، وعظات كريمة أطلقت إطلاقاً ، ولم توجه إليه بخصوصه ، حتى لايكون فى ذلك ما يشم منه رائحة تشنيع ، ولا يكون فيه تصريح بتلك الخيانة ، ولا يشوب جهاده منها شائبة تشوبه ، ويمضى العفو عن ذنبه خالصاً يمحو كل أثر للذنب ، ولا يبقى أية حفيظة عليه فى نفوس المجنى عليهم .

ولم يكن كل هذا إلا لأن حاطبا كان من المجاهدين الأولين فى الإسلام ، وللمجاهدين الأولين فى كل دعوة شأنهم فى نفوس من يأتى بعدهم ، فاذا روعى لهم جهادهم إلى آخر حياتهم ، وأحيطوا بجانب من القداسة يعلى شأن جهادهم ، وينسى معه بعض مايحصل من زلاتهم بحسن قصد ، ومن غير تنكر للدعوة التى جاهدوا فى سبيلها — إذا روعى لهم كل هذا كان مدعاة لأخذ الخلف بسنة السلف فى الجهاد ، حتى ينالوا مثل قداستهم فى نظر من يأتى بعدهم ، ودعا أيضا إلى تكوين القدوة الصالحة اللازمة فى تاريخ كل أمة من الأمم ، وهى الماضى المجيد الذى يقوم على أساسه بناء المستقبل ، وهذه هى الحكمة الجليلة فى ذلك

القول الذى ورد عن أهل بدر — اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفى بعض الروايات فانى غافر لكم ، وهذا يدل على أن المراد بقوله غفرت فى الرواية الأولى أنه سيغفر لهم فى المستقبل مايقع منهم ، وقد عبر عنه بالماضى مبالغة فى تحققه ، ولو كان المراد منه الماضى حقيقة لما صح أن يخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه ، لأنه ينكر به عليه ماقاله فى أمر حاطب ، ولا يكون فيه إنكار عليه إلا إذا كان الغفران لما يكون من ذنوبهم بعد بدر ، على أنه لايراد من هذا إباحة فعل الذنوب لهم ، وإنما هو خطاب تكريم وتشريف ، ولا يراد منه إلا أنهم حصلت لهم بتلك الغزوة حالة من القداسة ، غفر معها ماسلف من ذنوبهم ، وتأهلوا لأن يغفر لهم مايحصل من الذنوب اللاحقة إن وقعت منهم وقد خصهم الله تعالى بذلك تكريما لجهادهم ، وإعلانا عن عظيم حبه لهم ، وما أحسن ماقيل فى هذا الشأن :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

وموضع العظة لنا من هذه القضية أنه كان لنا جهاد سابق جمع كلمة الأمة ، وأيقظها من رقدتها ، وسار بها فى طريق الإصلاح والنهوض ، فجنت من ثمار الجهاد ماجنت ، وقطعت شوطا بعيداً فى طريق الإصلاح ثم تنكرنا لذلك الجهاد ، وأخذنا نجرح الذين قاموا به ، ونرميهم بكل قبيح ، ونكيل لهم التهم جزافا وتنكر أولئك المجاهدون بعضهم لبعض ، فضعفت ثقة الأمة فيهم ، وضاعت القدوة الصالحة التى تكون محل الثقة والقداسة ، وعاد كل شخص إلى سيرته الأولى قبل ذلك الجهاد ، لا يهمه إلا أمر نفسه ، ولا يسعى إلا فى سبيل مصلحته .

فهل لنا أن نعود إلى ماضينا فنتعظ بموضع العظة منه ، وننظر إلى المجاهدين فينا كما كان ينظر سلفنا إلى المجاهدين فيهم ، ولا نتنكر لجهادهم كما نتنكر الآن ، فنحاسبهم على الهفوة بأشد مايكون من القسوة ، ونسلك فى حسابهم سبيل التشنيع والتشهير ، وهم لم يصلوا فى هفوتهم إلى تلك الخيانة العظمى التى ارتكبت فى تلك القضية .

وهل لأولئك المجاهدين أن يعودوا إلى سيرتهم الأولى ، فيمد بعضهم يده إلى الآخر ، ويعرف له فضل جهاده الأول ، ذلك الجهاد الذى كان فينا مثل جهاد أهل بدر ؟

عبد المتعال الصعيدي



الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

تمهيد المترجم

فى شهر مارس من عام ١٩٢٥ أسعدنى الحظ بالوقوف بباريس مدينة الفن والجمال والنور لأيام قلائل جعلت همى خلالها ارتياد المتاحف والدور والمعارض التى تزخر بأشتات الفنون ، التالد منها والطريف . وكنت أنتهب بعينى وقلبى تلك الروائع الفريدة ، وأحاول جهدى استيعابها واستذكار ما دق من محاسنها ومفاتنها ولكن هيهات !

وكان من بين ما راعنى وملك على لبى ومشاعرى أعمال المثال العظيم رودان(١)، ثم غادرت مهد الفن والجمال آسفاً ، ولم أنقع صدى نفسى الهيمانة من نمير ذلك المنهل الصافى العذب . غادرته وبالحلق غصة ، وبالقلب لوعة ، إلى بلاد الثروة والمال والجاه — إلى أمريكا العظيمة . واستقر بى المقام بولاية كاليفورنيا ، قبالة مدينة سان فرنسسكو — عروس المحيط الهادى ، حيث انصرفت إلى الدرس والتحصيل — تحصيل العلم والفن . غير أن شواغل الدرس لم تكن لتصرفنى عن التحليق بروحى من آن لآخر فى سماء باريس وفى ردهات متاحف باريس لعلى ألم ببعض ما افتتنت به من روائع القدامى والمحدثين ، وبما أحببت من أعمال رودان . ولم ألبث طويلا حتى رأيت المال الأمريكى يستنسخ نسخاً عديدة من أعمال هذا العبقرى العظيم ويحشدها بأحد متاحف مدينة سان فرنسسكو ، فكنت أخف لزيارتها من حين لآخر دارسا لها ، مستمتعا بها .

وفى ليلة الميلاد من عام ١٩٢٨ ، أهدى إلى كتاب عنوانه : « الفن » وضعه الكاتب الشهير بول جيزيل فى أسلوب محاورة جرت بينه وبين رودان ، يعرض الكاتب مسألة فنية فيندفع الفنان فى شرحها وتحليلها وإبداء رأيه فيها . وقد حاول الكاتب والفنان معا أن يجلوا كثيراً من نواحى الفن وأن يقربا فهمه إلى أذهان الكثيرين ممن لا يستطيعون فهمه على حقيقته ، وأن يثقفا به عقول الكثيرين ممن يعنون بقراءة الكتاب ويقدمون لهم غذاء روحيا شهيا لا تنفد لذته ، وعندى أنهما بلغا فى ذلك تمام القصد بفضل طلاوة الموضوع الذى يعالجونه من ناحية ، وبفضل الوضوح والنضوج اللذين امتاز بهما الفنان ، والبساطة والرشاقة اللتين خص بهما الكاتب من ناحية أخرى ، وإن كتابا يشترك فى إخراجه فنان عبقرى رقيق ، وكاتب بارع رشيق ، لخليق بأن يأتى من الإنسانية المتمدينة أكبر اهتمام ، وأن يخلد بما فيه على مر الأيام .

وكان من الطبيعى أن يخطر ببالى نقل هذا الكتاب الممتع إلى قراء العربية فأقدم إليهم بذلك نوعا طريفا من التأليف ، وثقافة فنية يحتاجها الفنان وغير الفنان على السواء . قمت بهذا العمل الشاق من زمن طويل ، ثم طرحته جانبا متردداً مرتقبا لظروف غير الظروف إلى أن وقعت عليه عين أستاذى وصديقى الزيات فأرادنى على نشر بعض فصوله فنزلت على إرادته .

تقدمة المؤلف

تقع على نهر السين ، قريبا من بلدة ميدون التى لا تبعد كثيراً عن باريس ، قرية ذات اسم جميل هو « ڤال فليرى » . تكلل هامة التل الصغير المشرف عليها بضعة أبنية تسترعى الأنظار بجمالها وغرابتها . وربما جال فى خاطر من رآها أنها ملك لفنان . وحقيقة الأمر أنها ملك « أوجست رودان » الذى اتخذها مقراً له .

وإذا ما قاربها المرء وجدها مؤلفة من ثلاثة أبنية رئيسية منعزلة . أما الأول فنزل صغير ذو سقف عال مائل ، مبنى بالآجر والأحجار على طراز لويس الثالث عشر ، وقد اتخذه مسكنا له . وأما الثانى فبناء مستدير يقوم إلى جانب المنزل ، له رحبة فسيحة يدخل إليه بسقيفة ذات عمد هى نفس السقيفة التى أظلت معروضاته التى عرضها عام ١٩٠٠ فى معرض خاص أقيم بزاوية من « شارع بونت دى لالما » Pont de l'alma بباريس . وكان من دواعى سروره أن تقام هذه السقيفة مرة أخرى فى صدر هذا البناء الذى اتخذه مرسما وقريبا من هذا وعلى حافة التل المنحدر يقع قصر

---

(١) أوجست رودان مثال فرنسى عبقرى معاصر . له فى النحت على المذهب الواقعى روائع أطارت صيته وخلدت ذكره ولد بباريس سنة ١٨٤٠ وتوفى بميبون سنة ١٩١٧ .

أو بالحرى واجهة قصر من قصور القرن الثامن عشر بها مدخل ظريف يعلوه إفريز مثلث الشكل يظهر بمثابة إطار لباب من الحديد اللين الزهر. وسيأتى ذكر هذا القصر فيما بعد.

تقع تلك المجموعة المتباينة الصفات . وسط بستان وادع بناحية هى ولا ريب من أجمل وأسحر النواحى التى بأرباض باريس، جادت عليها الطبيعة بكثير من جمالها، وزاد من جمالها ذلك المثال الذى نزل بها وسكنها، فنمقها بكل ما يمكن أن يوحى به ذوقه السليم.

وبينما كنت أسير مع أوجست رودان تحت الأشجار التى تظلل رابيته الفاتنة فى أصيل يوم من أيام مايو من السنة الماضية أفضيت إليه برغبتى فى الكتابة عن آرائه فى الفن وعلى أن يكون ذلك من إملائه فقال لى: « يا لك من إنسان عجيب. لا زلت مهتما بالفن إلى الآن! ان الاهتمام به لا يتفق والعصر الحاضر. فالفنانون اليوم، وأولئك الذين يحبون الفنانين أشبه شىء بالحفريات القديمة. تخيل ناشدتك الله مخلوقا من تلك المخلوقات البائدة يدب فى شوارع باريس، وعند ذلك يستبين لك الأثر الذى ستحدثه بمعاصرينا عندما تكتب عن الفن أو تتكلم فيه. ان عصرنا عصر مهندسين ورجال صناعة، وليس عصر فنانين. فغاية السعى فى حياتنا الحديثة هى المنفعة، وينصب جهدنا على تحسين بقائنا المادى. يطالعنا العلم كل يوم بمبتكرات جديدة خاصة بالمأكل والملبس وبوسائل التنقل ويخرج إلينا بسلع رخيصة وضيعة كيما يوفر لجمهرة الناس ما يصبون إليه من كماليات زائفة. ولو أنه مع ذلك أدخل تحسينا عظيما على كل ما يتصل بحاجاتنا اليومية ويمت إليها بصلة. ولكن لم تعد المسألة مسألة روح أو فكرة أو أحلام. لقد مات الفن.

الفن هو التأمل. هو لذة العقل الذى يبحث فى أغوار الطبيعة والذى يقدس فيها الروح التى تسود الطبيعة نفسها. هو متاع الذهن الذى يستشف الكون والذى يعيد خلقه بنظرة فاحصة صادقة. الفن هو أسمى رسالة للانسان لأنه يعبر عن الفكر الذى يبحث ليهتدى إلى تفهم العالم وليجعل العالم جليا مفهوما.

يعتقد الإنسان اليوم أنه يستطيع الحياة بدون فن. انه يأبى أن يتأمل أو يتيه فى مهامه الفكر أو يسبح فى عالم الخيال. يريد أن يستمتع استمتاعا ماديا، انه يقنع بإشباع شهواته الجسمانية، أما سمو الحقيقة وأغوارها فلا يعبأ بها أو يعيرها اهتماما. فإنسان اليوم حيوانى الميول لم يخلق من الطينة التى خلق منها الفنانون.

وفضلا عن ذلك فالفن هو الذوق. هو ما ينعكس من قلب الفنان على كل ما يبتدعه من الأشياء. هو ابتسامة الروح الإنسانية للمنزل والأثاث. وهو جمال الفكرة والشعور مجسما فى كل ما ينفع الإنسان. ولكن كم من معاصرينا يشعر بضرورة شيوع الذوق فى المنزل والأثاث، كان الفن منتشرا بكل مكان فى فرنسا فى أيامها الخوالى. فكان أوساط الناس، حتى الفلاحون منهم لا يستعملون من الأشياء إلا ما يفرح العين ويسرها. كانت مقاعدهم وموائدهم وقدورهم وقواريرهم جميلة. أما اليوم فقد اختفى الفن من الحياة اليومية، حتى ليقول بعض الناس ان الجمال لا يشترط توفره فيما هو مفيد من الأشياء ... كل شىء قبيح خال من الرشاقة، تصنعه آلات غبية فى سرعة وعجلة. أما الفنان فينظر إليه كما لو كان خصما مناهضا. آه يا عزيزى جيزيل، أتريد أن تبسط آراء الفنان وأن تبرز أفكاره؟ ماذا بك؟ دعنى أتفحصك! إنك وايم الحق لإنسان عجيب ».

فقلت: « إنى لأعلم أن الفن هو أقل ما نعنى به فى عصرنا هذا، ولكنى آمل أن يكون هذا الكتاب بمثابة احتجاج على الآراء السائدة الآن، كما آمل أن يوقظ صوتك معاصرينا وأن يساعدهم على إدراك الجرم الذى يجرمون بفقدهم أجل شطر من تراثنا القومى الا وهو الشغف الشديد بالفن والجمال ». فأجاب رودان « عسى الله أن يسمع منك »

***

كنا نسير الهوينا بمحاذاة البناء المستدير الذى اتخذه مرسما. فشاهدت كثيراً من التماثيل القديمة الفاتنة فى حمى السقيفة. فهذا تمثال صغير لعذراء مقنعة بعض الشىء، تواجه خطيبا رزينا مشتملا بعباءته. وقريبا من هذين يوجد تمثال لكيوبيد (Cupid) [1] ممتطيا ظهر وحش من وحوش البحر، ويقوم وسط تلك التماثيل عمودان رشيقان كورنتيان [2] من الرخام الوردى اللون. ويدل احتشاد تلك القطع الثمينة فى ذلك المكان على ولع مضنيّ بالفنين الإغريقى والرومانى.

---

(١) هو إله الحب عند الرومان.

(٢) نسبة إلى كورنث من بلاد الاغريق.

وثمت بجعتان(١) ناعستان على حافة بركة . فما إن مررنا بهما حتى مطتا رقبتيهما الطويلتين القوستين وأرسلتا فحيحاً مغضبا . ولقد دفعتني وحشيتهما إلى الجهر بأن هذا الطير ينقصه الذكاء . ولكن رودان أجابني ضاحكا : « حسبه ما به من جمال الخطوط ، وفي ذلك الكفاية » .

وبينما كنا نمشي الهوينا بدت هنا وهناك محاريب صغيرة اسطوانية الشكل من الرخام حفرت بها أضافير الأزهار . ويوجد تحت عريشة بديعة يعلوها نبات متسلق نضير الخضرة وتمثال صغير لمثرا(٢) (mithra) بدون رأس وهو يتقرب بثور مقدس . ويوجد عند مفرق طريق معشوشب تمثال إيروس(٣) (Eros) نائما على فروة أسد ، وقد غلب النوم ذلك الذي يروض الوحوش ويغلبها على أمرها . وعند ذلك سألني رودان قائلا : « ألا ترى أن الخضرة هي أنسب شيء توضع بينه التماثيل القديمة ؟ ألا تستطيع ان تقول عن أروس هذا الصغير الناعس بأنه إله الحديقة ؟ أن لحمه ذا الغينات لشبيه بتلك الأوراق الخضراء في نضارتها وصفائها . لقد أحب فنانو الاغريق الطبيعة حبا جما حتى أن تماثيلهم لتزهو فيها كما تزهو في عناصرها التي قدت منها» .

ولنبحث الآن هذه الفكرة : انا نضع التماثيل في حديقة ، كيما نجمل بها تلك الحديقة . ولكن رودان يضعها بها كيما تكتسب تلك التماثيل جمالا منها . وعنده أن الطبيعة هي أبدا صاحبة الكلمة العليا والكمال الذي لا يحد .

وتقوم عند أصل شجرة من أشجار الاسفندان جرة اغريقية من فخار وردي اللون يغلب على الظن أنها كانت منطرحة بقاع البحر قرونا عدة وقد درست وتشبثت بمسامها بعض الطحالب وغيرها من عرماض البحار الجميلة ، فيخيل لمن يراها أنها أغفلت هناك عن قصد ، ومع ذلك فما كان يمكن أن تعرض لأعيننا بأجمل مما كانت عليه ، لأن ما كان طبيعيا هو غاية الذوق ومنتهاه .

ثم شاهدنا بعد ذلك بدنا لفينوس من غير ما رأس أو أوصال قد أخفى ثدياه بمنديل عقد وراء الظهر فيتبادر إلى ذهن الرائي أن أحداً من متكلفي الحياة بحدوه حياء مصنع — قد آلى على نفسه أن يستر تلك المفاتن .

ولكن من المحقق أن مضيفي لم يشاطر موليير (Moliere) رأيه في هذا الحياء المصنع . لأنه أفصح لي عن سر ذلك قائلا « أنا الذي أخفيت ثدي هذا التمثال لأنه أقل جمالا من بقية أجزاء البدن » وعند ذلك أدار مزلاج باب أدخلني منه إلى شرفة أقام عليها واجهة ذلك القصر الذي ذكرته منذ هنيهة والذي يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر . تبدو هذه القطعة النبيلة رائعة حقا إذا ما شوهدت عن كثب . انها مدخل على رأس سلم من ثماني درجات ، حفرت على الافريز الذي يعلوه والذي يقوم على عمد تمثال تيميس (Themis) تحيط بها ملائكة الحب .وهناك قال مضيفي : «قديما قام هذا القصر الجميل على منحدر تل مجاور بأيساي (Issy) . وكنت كلما مررت به أبديت إعجابي بجماله ، ولكن سرعان ما اشتراه السماسرة وقوضوا بناءه ..» وعند ذلك لاح بعينيه وميض الغضب وقال : « لا تستطيع أن تدرك مقدار الفزع الذي تملكني عند ما شاهدت هذه الجريمة ترتكب . آه يا للفظاعة ! أيهدمون هذا البناء الجميل ؟ لقد أثر ذلك في نفسي كثيراً كما لو كانوا يمثلون بجسم عذراء جميلة على مشهد مني » .

لفظ رودان هذه الكلمات بصوت ملؤه الخشوع العميق . ولاريب أن في ذلك ما يشعرك بأن جسم الفتاة الأبيض البض هو أسمى وأروع المخلوقات في نظره . بل هو أعجوبة الأعاجيب ! ثم وصل حديثه قائلا : « سألت أولئك الأوغاد الأنذال أن لا يبددوا الأنقاض وأن يبيعونيها فرضوا . ثم أمرت بالأحجار فأحضرت إلى هنا وشددت بعضها إلى بعض على أحسن ما استطعت.ولسوء الحظ لم أرفع إلا حائطا واحداً إلى الآن كما ترى » .

ولتعجله وشدة تلهفه على الاستمتاع بذلك الأثر الفني البديع لم يتبع رودان الطريقة المثلى التي تقضي بأن تقوم حوائط البناء جميعها في وقت معا . وللآن لم يبن إلا جانبا واحداً من القصر . وإذا ما قاربت بابه الحديدي ونظرت من خلاله رأيت أرضا مخطوطة مشقوقة بها قطع من الأحجار تدلك على تصميم البناء المنتظر . حقا إنه قصر أحلام بل وقصر فنان ! ثم غمغم مضيفي قائلا : « حقا لقد كان بناؤونا القدماء رجالا عظاء لا سيما عندما نقارنهم

(١) أوزتان — معجم أسماء الحيوان اسكندر معلوف

(٢) هو إله الشمس عند الفرس .

(٣) هو إله الحب عند الاغريق بل هو أجمل الهم الذي لا يقاوم ومثل بغلام جهزت جميل له جناحان .

الحرب والعلم

للأستاذ محمود عماد

أصلح المذياع نسمع ما يذاع   أفلا ننعم حتى بالسماعْ
إن تلك الحربَ أودتْ بالمتاعْ   فى مناحى اللمسِ منا والبصرْ

ذكروا الصُّلح فقلتُ استعجلوا
أفلم يبقَ لديهم مَنزلُ
يُبتلى أو يبقَ حى يُقتل ؟   إنما الشر بخبرٍ والضررْ !

إنْ سِتًّا من سنين داميات   لفناء الأرضِ ليست كافياتِ
لم تزل فيها بقايا من نباتِ   وبقايا حيوان وبشرْ

لم تزل فى الأرض نيرانٌ مواحقْ
فى البراكين استقرتْ والصواعقْ
وبأضلاعٍ وأكباد حوانقْ   مثل سقطِ الزند ترمى بالشررْ

إن يكنْ أعياهمو هَدْمُ الفرائسْ
لحديدٍ لم يوفوا للمهارسْ
فلديهم بعدُ صلبانُ الكنائسْ   ومن الأجراسِ شىء مدخرْ

صار ماقد حرَّموا للحرب حِلاًّ   لو أرادتْ ضربوا الليلَ فولى
أو رموا بالصبح عنه فتدلىْ   ثم قدُّوا الشمس أوهدوا القمرْ

كيف ننسى أمنهما جِدّ بطانِ   من مدار الجدى تأتى فى أوانِ
فيلقاها مدارُ السرطانِ   من ترى يحملها طول السفرْ ؟

هو جِنّىٌ له فى الجنةِ اسمُ   واسمه العِلم فهلْ عندك عِلمُ ؟
أينَ منه قُمقمٌ صُلبٌ وخَتمُ   لسليمانَ كما تروى السِيرْ ؟

لا يجيدُ العِلمُ أن يُحييَ ميتا   بينما يبدعُ فى الأحياءِ موتا
فهو مجنونٌ وإن خلناه ثبتا   وجنونُ العلم مرهوبُ الأثرْ

هو دجالٌ يرينا الضرَّ نفعا   وإذا أحسنَ وتروا ساء شفعا
فاحذروا ياقوم من قدحاء يسعى   ها هو الدجَّالُ فى الدنيا ظهرْ

إن يقل انى سخَّرتُ الحديدا   أو يقل انى أدنيت البعيدا
أو يقل طرتُ وجاوزت الحدودا   فلويلٍ وثبور وخطر !

يُتعبُ الجاهل قتلُ اثنين غدْراً   بينما العالم يُفنى الألف فوراً
أى هذين إذن أكثرُ شراً ؟   لا تقولوا الشِّعرُ بالعِلم كفر

لستُ رجعيا إذا كنتُ أصيح   ارجعوا للغابِ فالغاب مريحْ
ان يكن فى الغاب زأر أو فحيح   يُنجنا منه قليلٌ من حذرْ

ليس يؤذينا لدَى جارٍ شجارُ   بينما اليومَ اذا لاحَ شرارْ
عند قطبٍ غالتْ الآخرَ نارُ   كم لقطب عند قطب من وطر !

بخلفائهم من بناتى اليوم الذين لا يستأهلون شيئا . » قال ذلك ثم قادنى إلى طرف من أطراف الشرفة حيث يظهر له جمال الوجهة بأجلى مظهر وصاح قائلا : « انظر كيف يعترض طيفه السماء الفضية بانسجام عظيم ، وكيف يشرف على الوادى الذى يمتد من تحتنا . » ثم ذهل برهة وانتظم بصرُه المشنوف أثناءها ذلك الأثر القديم وما يترامى حوله من المناظر .

وترامت أبصارنا من المرتفع الذى كنا عليه إلى آفاق بعيدة ، فهناك نهر السين تنعكس على صفحته البلورية سطور طويلة من ظلال أشجار الحور ، يتخذ شكل عروة عظيمة من الفضة عند ما يتدافع إلى القنطرة عند سفر Sèvres وتلى ذلك منارة سانت كلو Saint Cloud البيضاء الصاعدة فى الجو أمام تل أخضر . وأما مرتفعات سورسن الزرقاء وجبل فاليريان mt. Valerian فكانت تبدو كأنها ذُرت بهباء من الأحلام . وإلى اليمين من ذلك ترى باريس — باريس الهائلة — تمد مهادها إلى الأفق البعيد وقد نضد بمنازل عديدة تبدو صغيرة على البعد حتى ليخيل للرائى أن فى استطاعته أن يستجمعها بكفه ، باريس التى تبدو لأول وهلة عظيمة سامية كأنها بوتقة هائلة تفور وتجيش بذلك المزيج العجيب من اللذات والآلام ، وبالقوى الزاخرة وبالمثل العليا الموموقة .

محمد بهجت

لا نحبُّ الجهل بل ننشد أمنا ان أتى العلم به بالعلم دِنّا
واذا اعتدّ بسكينٍ هتفنا امنعوا الجزار عن وادى البقر

ما بحسبى أننى ان رُمت أمراً نلتُه فوراً اذا حركتُ زرّا
فبهذا الزرّ قد أُضْهِرُ صَبراً ليتَ مَنْ أخلص يوما ما غدرْ !

اننا عن كلّ نفع فى غَناء ان يكن من نوع نفع الكهرباء
فالذى يكمنُ فيها من بلاء بعد هذا لجديرٌ بالنظر

ان حرب العلم أوحت دون علم أن حرب الجهل كانت شبه سَلْم
والذى اليوم رمى أولَ سهم شرُّ سهمٍ هو فى قوس القدَر

عصّبوا الحرب وغطّوا مقلتيها فمضت فى الأرض ترعى جانبيها
ليت شعرى ما الذى أبقت عليها أبردُ الجوع عنهم ان حضر ؟

انهم قالوا خشينا الموت جوعا فشَبَبْنا الحرب كى نحيا جميعا
أفلم يلْقَوا بها موتا شنيعا ؟ لم يشبوها لجوع بل بَطَرْ !

بل همو جاعوا بها لم يشبعوا والذى قد أشبعوه المدفع
ونسورٌ فى الصحارى جوّع. حَمِدَ الضيف قراهم وشكرْ

اسألوا (الفُوهْرَرَ) كمْ (دنزيجَ) أُوتى
واسألوا (الدُّتْشى) أتاه كمْ (جُبوتى)
كم (روما) من كراس وبيوت دكّها (كرسى القناة) المنتظر ؟

أين يا (دتشى) حصان أبيض فوقه جئت (لمصر) تركض
ما له من بعد جهد يرفض عبر (مصر) وبك البحر عبر ؟

رمت تبنى ما بنى (اسكندر) فتولى ما بناه (قيصر)
ما الملايين التى تستنفر ؟ ألملايين الثمانون صور

قلت : ان قلتُ لجيشى هات (مصرا)
نال (مصرا) ثم نال (الهندَ) قهرا
ألهذا فت (روما) ثم فرّا و(طرابلس) و(تانا) و(هرر) ؟

كم على دبابة قد قمتَ تهزى وبهرُ السلم فينا أىَّ هزّ
فاخط اليوم على دودة قزّ وارقب الهزّ بأوراق شجر !

اهبطْ القيعان من بعد الروابى
واصحب (الفوهرر) يا خير الصحاب
واخطبا الناس بسلم مستطاب بعد حرب . فمن القاع الدرر !

اخطبا اليوم بآيات كريمه واذكرا الرحمة من بعد الهزيمه
أين كانت هذه النفس الرحيمة عندما شارفتما (بحر الخزر) ؟

يا شرار الأرض ليس العيش شرا
انّ خيراً أن يكون العيش خيرا
ليست الدنيا لكم الا ممراً كيف يرجى فى ممر مستقر ؟

ان نور الشمس حقٌّ للجميع فبم اختصّ فريقٌ بالشموع
ليتهم يقضون فيه بالشيوع عندما يُحْصونه فى (المؤتمر)

محمود عماد

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

سكر وكحول من النشارة

كم من نشارة الخشب والمواد النباتية نلقى كل يوم ؟ إننا نحاول استغلالها فى إشعال الأفران . فهل نحصل على أكل فائدة منها ؟

نتخلص كل يوم من أطنان من المواد النباتية . وينظر الكيماوى إلى هذه المواد أسفاً لأنه لم يتوصل إلى طريقة يستطيع بها إعادة ترتيب عناصرها الأولية فيخرج منها مواد ضرورية للحياة . فهو يعرف أنها تتكون من كربون وإيدروجين وأكسوجين . وبعضها العناصر الأساسية فى السكر والكحول والبترول .

والعقبة الكبرى هي إعادة هذا التكوين بطريقة تجارية تقلل نفقات صنعها حتى تصلح للاستهلاك العادى . وقد تمكن ١٢ عالما أمريكيا فى صيف السنة الماضية من تذليل هذه الصعوبة فحولوا نشارة الخشب إلى كحول وسكر . فمن ٥٠٠ رطل من النشارة العادية حصلوا على ٢٥٠ رطلا من السكر فى ٨ ساعات وحولته الأخيرة بدورها إلى ١٢ جالونا ونصفا من الكحول فى ٢٤ ساعة

ومعنى هذا أن الطن من النشارة يتحول إلى نصف طن من السكر أو ٥٠ جالونا من أثيل الكحول . وهو غير المادة الكحولية المعروفة باسم ميثل وهى سامة وتستخرج من الخشب أيضا .

ومن المعروف أن استخراج الكحول من الخشب عملية قديمة . على أن النجاح الذى أحرزه العلماء أخيراً كان استخراجه بنفقات زهيدة ، فلم يتجاوز إنتاج الجالون ٥٠ مليما ، وفى زمن قصير ، إذ تيسر إنتاجه فى ثلث المدة السابقة

وكان هذا الكشف العلمى عاملا قويا ساعد على سد الحاجات العسكرية والمدنية فى الولايات المتحدة التى قدر استهلاكها فى السنة بـ ٦٤٠ مليون جالون ينفذ منها فى صناعة المطاط الصناعى ٣٣٠ مليونا ويوزع الباقى على صناعات المفرقعات والنسيج وغيرها ، ولا تنتج هذه البلاد فى الواقع إلا ٥٩٠ مليونا فأتاح لها هذا الاكتشاف تعويض النقص

وتقدر نشارة الخشب التى تتخلص منها المصانع بالحريق بـ ٣٠ مليون طن يكفى أقل من نصفها لإنتاج كل حاجة الولايات المتحدة العسكرية والمدنية

ووضع الفنيون تصميمات مصانع إنتاج الكحول من نشارة الخشب فقدرت نفقات واحد منها ينتج ١٥٠ مليون جالون فى السنة بمبلغ ١٨ مليون جنيه . وقدروا إنه باستهلاك مخلفات النشارة كوقود يخفضون تكاليف الإنتاج بنسبة ٢٠ الى ٢٥ ٪

فترة النقه وأسبابها

من أعقد المسائل التى يواجهها الطبيب ومريضه فترة النقاهة فمن جميع أسباب العلة تزول ، ومع ذلك يظل المريض فترة قد تصل الى أسابيع يشعر أثناءها بارتخاء فى أعصابه وعدم قابلية للعمل أو الحركة . فلماذا ينتاب الإنسان هذا الإحساس ؟

لم يستطع أحد حتى الآن تفسير هذه الظاهرة وإن كانت تعلل بأسباب مختلفة لم يقتنع بها الطب . ولهذا عكف بعض الأطباء على دراسة هذه الظاهرة دراسة عمية حتى يوفروا على المرضى كثيراً من سأم دور النقه

ويشرح الدكتور ريتشاردز الحالة بأنه عندما يصاب الإنسان بجرح أو مرض فان الضرر لا يؤثر فى العضو المصاب وحده بل يشمل كل أعضاء الجسم . فيقل تركيز الدم . ويتأثر الجهاز العصبى ، وتختل نظم التغذية لمدة طويلة لا يعتبر فيها المريض معافى الا ان عادت الى حالتها الطبيعية .

ويبحث الأطباء الآن فى العلاقة بين هذه الظواهر ليتوصلوا الى تقرير ما يجب عمله فى أدوار النقه لمرضى

القهوة وقرح المعدة

أعلن ثلاثة من الاطباء فى اجتماع الجمعية الطبية الاميركية أنه من الميسور معرفة الاشخاص المعرضين للاصابة بقرح المعدة بواسطة شرب القهوة . فقد وجدوا أن شراب القهوة يؤثر تأثيراً

ضاراً على شخص من كل عشرة أشخاص من المصابين بالقرح أو المعرضين للاصابة بها .

فإن المعدة تتأثر بشراب القهوة وتفرز حامضاً قوياً غنياً بالبيسين، وهذا التأثير سريع الزوال فى الأشخاص العاديين بينما يطول أمده فى الأشخاص المصابين بقرح المعدة أو المعرضين للاصابة بها ، ومن ثم يستطيع الطبيب أن يدرك استعداد الإنسان للاصابة بهذا المرض .

وجرب مفعول مخدر القهوة على مجموعة من القطط بحقنه فى عضلاتها فأصيب منها ٤٠ إلى ٥٠ فى المائة بقرح المعدة .

ويعتبر الأطباء من يتناول أربع أو خمس فناجين قهوة فى اليوم من المدمنين . ومن السهل تخفيف أضرارها بإضافة السكر أو الكريمة إليها ، أو بتناولها مع الطعام فان هذه المواد تخفف حدة تأثيرها إلى ٦٠ فى المائة . فاذا اعتبرنا تأثير القهوة التركية السوداء ١٠٠٪ فان تأثير القهوة الفرنساوى يكون ٩٠٪ والشاى ٦٠٪

ويقول أحد الأطباء إن فى القهوة عاملين يؤثران على الإنسان: أحدهما يؤثر على المخ والجهاز العصبى وهو الذى يؤدى إلى حالة الصحو، والآخر يؤثر على خلايا المعدة مباشرة وهو الذى يؤدى إلى حالة قرح المعدة أو يبين استعداد الإنسان للاصابة بها .

أنف بدل المفقود

تقدمت جراحة التجميل خلال هذه الحرب خطوات واسعة فتيسر بها إعادة كثير من الوجوه إلى حالتها الطبيعية . والفضل الأكبر فى هذا التقدم يرجع إلى اكتشاف الأطباء لكثير من المعلومات الهامة عن المخدرات وفن « التبنيج » مما أتاح لهم حرية العمل فى عملية واحدة لمدة أربع سنوات متواصلة مما كان يبدو مستحيلا منذ ٢٥ سنة .

ويتعرض الإنسان فى هذه العمليات إلى عدة مضاعفات مثل فقد الدم وتسمم الجروح وتيسر تعويض دم المصاب بنقله إليه من الخارج ، كما منع اكتشاف البنسلين حوادث التسمم .

وليس معنى هذا أن الطب يستطيع تعديل تقاطيع الوجه كما يعدل المثال فى قطعة من طين ، فلم يوفق جراحو التجميل إلى تركيب أنف أو فك أحسن من الأنف أو الفك الأصليين ، حقيقة إن وفرة المصابين فى القتال أتاحت لهم إجراء عدة عمليات لم تكن معقولة فأعادوا لبعض الجنود أنوفاً غير التى فقدوها فى الميدان ولكنها لم تكن فى اتقان الطبيعية

وتستطيع جراحة التجميل بما تستعمل من حيل إعادة الجلد المحروق والمتسلخ إلى طبيعته ، فإن كان كثيراً فإنها لا تضمن أن تترك فيه أثر المشرط لعدة أسباب ، منها أن شرائح الجلد المأخوذة من أجزاء أخرى من الجسم تختلف فى لونها وسمكها وبنائها عن جلد بشرة الوجه ، فان كان الحرق أو التسلخ عميقاً حتى يتلف أنسجة الأعصاب فمن الصعب إصلاحه

واستطاع أحد العلماء ابتكار آلة دقيقة تقطع شرائح اللحم بأى سمك يطلب منها حتى تتفق مع المكان الذى ستوضع فيه فلا تكون سميكة ولا رفيعة

مواد التلوين والصناعة

المواد الكيماوية المستعملة فى تلوين الأحذية والكتب من المسائل الهامة الآن لحفظها أطول مدة ممكنة ، فكلما احتفظ الجلد بكمية وافرة من الحوامض كلما عاش مدة أطول ، ولكن العكس مطلوب فى صناعة ورق الكتب الثمينة ، إذ يجب أن يحتوى على كمية من القلويات فان الحوامض المبيضة تتلف الورق .

وتتناول الأبحاث الأخيرة فى التلوين عدة صناعات وزراعات من الألبان المحفوظة إلى الزهور . فقد وجد أحد الكيميائيين أن الورد الأحمر وزهر القمح الأزرق يتلون فى الطبيعة بنفس المواد . ومع ذلك فلوناهما مختلفان . ويرجع ذلك إلى أن خلايا الورد تغلب عليها المركبات الحمضية ، بينما خلايا زهور القمح تغلب عليها المركبات القلوية . وبتفاعل المادة الملونة مع أحماض الوردة ينتج اللون الأحمر. أما تفاعل نفس المادة مع قلويات الزهرة فينتج اللون الأزرق .

واستنبطت من هذه النظرية عدة قواعد هامة فى تلوين المنسوجات ، ومنع مواسير المياه من الصدأ ، وفى صناعة حفظ الأغذية فى الأوعية المعدنية .

ونال البسكويت نصيبه من الأبحاث الجديدة ، فوجد أن لونه يسمر إن كانت القلويات كثيرة فى الدقيق ، ويبيض ويصير هشا إن زادت كمية الاحماض فى العجينة

فوزى الشتوى



المجنـــونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب إبراهيم عبد الرحمن خليل

كان السيد ماتيودانذولان والسيد روبرت دي بونير يتجاذبان الأحاديث عند ما وجه داندولان نظر صديقه الى طيور برية قائلا: تذكرني هذه الطيور ياصديقي بحادث مؤلم من حوادث الحرب ... أنت تعرف أملاكي في ضاحية «كورمي» التي أقيم فيها منذ احتلها البروسيون ، وكانت جارتي «جادي» قد اعتراها نوع من الجنون بسبب حوادث مفجعة تتابعت عليها فأثرت فيها تأثيراً عنيفاً ، فقد فقدت المسكينة في شهر واحد أباها وزوجها وابنها الصغير ، وكان حديث الولادة ، وهكذا عند ما يزور الموت منزلا أول مرة ، يعود اليه ثانية كأنه يعرف الطريق ... صرعها الحزن فلزمت الشابة البائسة فراشها وهي تهذي ستة أسابيع كاملة وتوالت عليها أزمات حادة ظلت بعدها خامدة عديمة الحركة ، لا تكاد تتناول شيئاً من الطعام إلا بالجهد الشديد ، لا يتحرك فيها إلا عيناها ، وفي كل مرة حاولوا تغيير موضعها كانت تصرخ بشدة كأنما يراد قتلها ، فتركت نائمة كما شاءت وتوفرت على خدمتها سيدة عجوز طيبة القلب كانت تقدم لها الماء من وقت الى آخر مع قطعة من اللحم البارد تلوكها بين أسنانها ... ما الذي كان يدور بخلدها المشتت ؟ أكانت تحلم بالذين ماتوا ؟ لم يعرف ذلك أبداً ، لأنها لم تتكلم أبداً ، ولأن فكرها المضمحل ، ظل عديم الحركة كالماء الراكد .

ومرت خمسة عشر عاما وهي على تلك الحال ؛ مغلقة النفس ، خامدة الحركة ... جاءت الحرب ، وفي الأيام الأولى من ديسمبر ، تغلغل البروسيون في كورمي .

وكان الجو باردا والثلج يتساقط ، إني أذكر هذا اليوم كأنه الأمس القريب ، وكنت ممدداً على كرسي مستطيل بجوار نافذتي مريضاً بداء المفاصل ، أسمع وقع أقدامهم الثقيلة وخطواتهم الرتيبة ، وأراهم من النافذة صفوفا لا نهاية لها يبدون في حركاتهم المنتظمة كأنهم دمى تتحرك بخيوط مشدودة ، وقد أمر القائد بتوزيع الرجال على سكان القرية فكان نصيبي منهم سبعة عشر رجلا ونصيب جارتي البائسة اثنا عشر رجلا ، بينهم القائد وهو رجل عسكري قديم ، حاد الطبع ، غليظ الخلق . قيل له أثناء إقامته بالمنزل إن ربة الدار سيدة مريضة لم تفارق فراشها منذ خمسة عشر عاما متأثرة بحزن شديد أصابها ولكنه لم يقتنع بهذا ، من غير شك ، فقد توهم أن الذي منعها من استقبالهم إنما هو كبرياؤها واشمئزازها أن ترى البروسيين أو تحادثهم ، فطلب مقابلتها وأدخل إلى غرفتها ، فما إن رآها حتى خاطبها بصوت جاف خشن وبلهجة ركيكة فيها كثير من التحريف ... أرجوك ياسيدتي أن تنهضي من فراشك وأن تنزلي لكي يراك الجميع .... ولكن المرأة المسكينة أدارت نحوه عيونا مبهمة فارغة ولم تجب . فاعاد بلهجته الغريبة مرة ثانية .. إذا لم تنهضي بارادتك فسنجد وسيلة لأرغامك على نزهة فريدة .. ولكن المسكينة لم تأت بأي إشارة ، كانت دائماً عديمة الحركة كأنها لا تراه ، فتملكه الغضب ، وظن أن السكوت منها علامة احتقار بالغ له ، فأضاف مهدداً — إذا لم تنزلي ياسيدتي غدا ... ثم أدار وجهه وانصرف .

وفي اليوم التالي ، أرادت خادمتها العجوز الطيبة أن تلبسها ملابسها قبل أن يحضر الضابط ولكن المجنونة صرخت بأعلى صوتها في هياج شديد ، ولم تجد أي محاولة معها . وفي هذه اللحظة صعد الضابط مسرعاً ليرى تنفيذ أوامره ، نخرت الخادم على أقدامه مستعطفة صارخة ، إنها لا تريد ياسيدي ، انها لا تريد ، اصفح عنها ، انها بائسة تعسة .

ظل الجندي القديم ، مشبكا ذراعيه كاظما غيظه ، وفجأة انطلقت منه ضحكة عالية ، وأعطى بالألمانية أمراً إلى رجاله ، ورأى الرجال يحملون المريضة بفراشها كما يحملون جريحاً في الميدان ، وري في المؤخرة رجل يحمل حزمة ملابس نسائية .

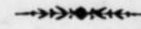
المجنونة ساكنة هادئة لا تقاوم ، ولا تبالي بالعواقب ،



في عالم الكتب

محمد عبده

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



« محمد عبده » يدخل في سلسلة « أعلام الإسلام » نصاً وروحا . ولقد أحسنت اللجنة التعجيل باخراجه في أول السلسلة ، كما أحسن الدكتور عثمان أمين في اختيار الشخصية التي يقدمها من أعلام الاسلام .

ومن أولى المسلمين بأن يترجم له في الأعلام مثل الأستاذ الإمام ؟ لقدعبنا على اللجنة إقرارها ترجمة « بشار » و« أبي نواس » ولكننا اليوم نذكرها بالثناء لهذا الانتقاء .

والدكتور عثمان أمين عالم بالشيخ محمد عبده من طول ما قرأ له وقرأ عنه . حتى لقد شغل به نفسه في رسالته التي ظفر بها بأجازة « الدكتوراه » . ولايزال الشيخ شغلا لصديقنا المؤلف في الصحف تارة وفي الندوات الأدبية تارات . حتى ليصح القول إن عثمان أمين ظل لروح الامام لو كان للأرواح ظلال .

لعل هذا الكتاب موجز لرسالة المؤلف التي قدمها إلى الجامعة ؛ ولعله أوجزفيه — مراعاة لاعتبار الطبع والنشر — كل ما يمكن أن يعرف عن محمد عبده

وإيجاز الرسائل الجامعية عمل لا بأس به لمن يريدون أن يجعلوا العلم سهلا تناوله قريباً مأخذه .

ولعل ذلك كان هدف المؤلف حين قصد إلى إخراج كتابه في هذه السلسلة المألوفة المنتشرة .

وليس كتاب « محمد عبده » عملا أدبياً يضع صاحبه في

كأنها نائمة نومتها الهادئة في منزلها العتيق . ففرك الضابط يديه سروراً قائلا : ستري جيداً اذا كنت تستطيعين أن تلبسي وحدك ، وأن تقومي بنزهة صغيرة . . الموكب يسير مبتعداً متجهاً الى غابة ايموف . . . وقد مضت ساعتان عاد الجند بعدهما منفردين . . . ولم تعد المجنونة ثانية ... ماذا صنعوا بها ؟ والى أي مكان حملوها ؟ لم يعرف أحد ذلك مطلقاً . الثلج يتساقط ليلا ونهاراً ، وبدا الوادي في نعومة المخمل ، أما الغابة فقد كفنها الجليد بثوب من الزبد المثلج ، والذئاب تعوي حتى أبواب المنازل . وذكرى هذه المرأة المفقودة لا يفارقني .

قمت بجولات متعددة قريباً من مناطق البروسيين مؤملا الحصول على معلومات عنها ولكنني لم أفز بطائل ، فظننت أنهم ربما قتلوها رمياً بالرصاص .

عاد الربيع . وابتعد الجيش عن القرية ومنزل جارتي المسكينة ظل مغلقاً تنبت الحشائش في أبهائه ، والخادم العجوز في أثناء الشتاء ، ولم يعد أحد يشغل نفسه بهذه الحادثة ، ولكنني — أنا نفسي كنت أحلم بها بلا انقطاع .

ما ذا صنعت هذه المرأة ؟ أهربت مخترقة الغابة ؟ أم عثر عليها بعض المارة فأدخلها مستشفى قبل أن يستطيعوا الحصول على معلومات عنها ؟

لم أجد ما يخفف حدة الشك في نفسي . ولكن الزمن خفف هذا الألم شيئاً فشيئاً . وجاء الخريف . وتتابعت أسراب الطيور البرية ، واسترحت من مرضي قليلا فاندفعت نحو الغابة للصيد ، وأصبت خمساً أو ستاً من ذوات المنقار الطويل ، وكنت أبحث عن واحدة وقعت في حفرة صغيرة وسط فروع الأشجار . واضطررت إلى النزول في الحفرة لالتقاطها ، ولكنني سقطت على رأس ميتة . وفي الحال ترددت في صدري ذكرى المرأة المجنونة كأنها لكمة قوية . لقد كنت متأكداً أني سأقابل هذه البائسة يوماً ما ، وفجأة فهمت ، وفرضت كل شيء ، لقد حملها البروسيون إلى هذه الغابة الباردة وأهملوها ، وتركت المسكينة نفسها الخاوية تموت تحت وطأة البرد ، وزغب الثلج المساقط ، لا تحرك يداً ولا رجلا ، ثم جاءت الذئاب الجائعة فافترستها . والطيور بنت أعشاشها من صوف فرائها الممزق .

حفظت هذا الحطام الحزين . وأقمت له النذور ودعوت الله ألا يرى أولادي الحرب أبداً .

إبراهيم عبد الرحمن خليل

مرتبة الأدباء . وأظن المؤلف لم يقصد إلى هذا من وراء كتابه ولا عناه . ولكنه عمل عالم مشتغل بالفلسفة أراد أن يرسم للقراء صفحة واضحة من حياة رجل اشتغل بالحياة الفكرية الفلسفية الاسلامية فكان علماً من أعلامها .

ومن هنا أخطأ الذين لاموا عثمان أمين على طريقته فى كتابه ؛ ووجه الخطأ فى قولهم إن « عثمان أمين » استعرض تاريخ رجل كما كان لا كما يريده المؤلف أن يكون . فهو يعرض الحوادث ويسوقها فى تسلسل وحسن ربط وصحة عبارة وسلامة أسلوب . وهذا قصارى المؤلف فى تاريخ الرجال . وما دام المؤلف قد بلغ بذلك العرض قصده من التعريف بحياة المترجم له فلا يعنينا بعد ذلك أن نبحث عن « مفاتيح الشخصية » التى يتحدث عنها بعض النقاد فى هذه الأيام ؟

وما حاجة المؤلف الواضح أن يصطنع « المفاتيح » ويتكلف البحث عنها ويدعى لنفسه فضل العثور عليها ما دامت الشخصية التى يتحدث عنها سهلة التناول واضحة للقارىء لا يجد فيها عناء ولا نصباً ؟؟

الحق أن فكرة « مفاتيح الشخصية » هذه فكرة يلجأ إليها بعضهم حين يريد التجنى على الكتاب لخدمة بعض الكتاب. وإلا فقد قرأنا « محمد عبده » لعثمان أمين ففهمنا حياة الشيخ من غير حاجة إلى « مفتاح » . وكان المؤلف أفطن من أن يعنينا « بالمفاتيح » التى يقولون عنها فى هذه الأيام !!

ولقد قرأت فى الفرنسية كتاب Napoléon Intime لمؤلفه Arthur Lévy وهو من الكتب التى قرظها « François Coppée » فلم أجد فيه « مفاتيح » بل وجدت الكتاب كله مفتوحاً أمامى.. وقرأت فى العربية كتاب « روزفلت » لفؤاد صروف وكتبت عنه فى الرسالة الغراء فلم أجد الباب فيه إلى حياة روزفلت موصداً ! وكذلك كان شأنى حينما قرأت « محمد عبده »

إلا أن عثمان أمين لم يشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهد بهم ، فقد ذكر أقوالا لأحمد بك أمين ولفضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ولم يشر إلى مأخذها — « ص ٢٢ » وذكر كلاما لجورجى زيدان ولم يشر إلى مصدره صفحة ٢٤ ، وروى للشيخ عبد الوهاب النجار كلاما ولم يذكر مصدره — صفحة ١٠٥

وذكر المراجع والمصادر والمآخذ فى خلال الاستشهاد يسهل على مريد البحث المطول أن يرجع إليه فى مصدره ، وخاصة أن الدكتور عثمان لم يثبت فى ذيل الكتاب مسرداً بأسماء مراجعه

وقد جره ذلك الأغفال إلى إغفال أعداد الصحف والمجلات التى نشرت فيها مقالات للشيخ خصها المؤلف بالذكر لأهميتها ، فذكر العناوين فقط ولم يذكر أعداد الصحف التى شوقنا إلى الاطلاع عليها وعنانا بالبحث عنها .

وفى الكتاب أعلام ذكرت الحروف الأولى منها ولم تذكر كاملة مثل « ع . ا . باشا » ناظر المعارف — ص ٤٢ ؛ و (ل . بيك . س) الأستاذ بالمدرسة الحربية — ص ٦٢ .

ووجه الحكمة فى إخفاء هذه الأعلام واضح فى عصر محمد عبده حتى لا يتعرض الكاتب لأذى حاكم أو سخط رئيس . ولكنى لم أفهم وجه الحكمة فى أن يُخفى علينا الدكتور عثمان أمين حقيقة هذه الأعلام بعد أن أصبحت فى ذمة التاريخ ..

ولقد كان للشيخ محمد عبده رأى فى الأصلاح الوئيد الثابت عن طريق التربية والتعليم لا عن طريق الطفرة والتطرف السياسى فكان كلام الدكتور فى هذا منقطع الوشائج : ذكره مواجزاً فى صفحة ٦٢ ، ثم عاد اليه مقتضباً فى صفحة ١٣٠ حين تكلم عن جهود الإمام فى الجمعية الخيرية الاسلامية . ولو عقد فصلا مستقلا فى طريقة الاصلاح عند الامام لوجد الكلام واسعاً موصولا . كما صنع أحمد أمين بك فى الفصول الطيبة التى كتبها عن جمال الدين الأفغانى (راجع الثقافة — الأعداد من ٢٦٤ إلى ٢٦٩) .

عيب الكتب التى تخرج دورية من شهر إلى شهر، أن كتابها يكتبون وهم مقيدون بقدر من الصفحات لا يتعدون حدوده ! ولا يرضى مُصْدرو هذه السلاسل أن يتسع الكتاب أو يضيق تبعاً لموضوعه . ومن هنا يقع الكاتب فى غلٍّ قد تأباه سليقته ولكن تحتمه عليه المناسبة « والظروف » .

ومن هنا نجد كتب هذه السلاسل تنبسط هواديها وتنكمش أعجازها... تنبسط حين يبتدىء الكاتب فى غير قيد ، وتنكمش حين يحتم عليه تحديد الصفحات أن يقف فى غير موقف ! وأن يختتم فى غير مختتم ! فترى آخر الكتاب ضيق الأنفاس على الضد من أوله .

هذه الشجرة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

لم يكد الفكر يثب لإخضاع كل شيء من مظاهر الوجود للدرس ؛ والتحليل ؛ والتجلية ؛ حتى اصطدم بأسوار الشخصية الانسانية ؛ فلقد لبث حيالها طويلا لاقتحام مجاهلها ؛ واضاءة جوانبها وكشف سراديبها ، متخذا شواردها وظواهرها وما بند عنها وينبعث منها في سكونها واضطرابها ؛ في تألقها ، وانطفائها ؛ في إقبالها وإدبارها ؛ وسيلة إلى النفوذ إلى أعماقها ؛ ومع أنه استطاع بفضل تسجيل هذه الظواهر ؛ واستقراء هذه الأطوار أن يقدم إلى حد كبير معلومات قيمة عن هذا العالم ؛ وكنه تلك الشخصية المحجبة ؛ وإن كان الكثير منها لا يزال رهنا بما يدعم قوته في المستقبل أو يهدمه ؛ ومع أن هذه الدراسات قد شارفت الاستواء العلمي في الغرب ، فهي لا تزال محاولات أولية في اللغة العربية ؛ تقوم على الترجمة حينا و — الاختلاس — حينا آخر . فاذا ظفرت اللغة العربية بهذا البحث عن شخصية المرأة ومحاولة تحليل هذه الشخصية ؛ وحل الكثير من عقدها ؛ والغوص إلى مصدر تجاوبها الروحي والنفسي ، واتصال ذلك بنظرتها في الحياة ودخله في تكييف نفسيتها وتكوين خلقها وإبانة مواضع سلوكها وما يتصل بعواطفها وأحاسيسها ؛ فقد كان فوزاً عظيما للغة والأخلاق ؛ أما اللغة فقد اكتسبت ثروة في ناحية لا تزال يعوزها الكثير منها ؛ فلقد كان يطامن من شخصيتنا العلمية خواء المكتبة العربية من هذا اللون من الدراسات على كثرتها وعمقها في المكتبة الغربية ؛ وأما الأخلاق فلا تخدم إلا بأمثال هذه الأبحاث ؛ لأن المصلح الأخلاقي إذا أخطأه الوقوف على حقيقة الدوافع النفسية ومصادر هبوبها ؛ والعوامل التي تعمل فيها حتى يتهيأ له قيادها حيث يجب القيادة ، ويطب حيث يكمن داؤها ؛ فشلت إلى حد كبير رسالته ؛ لا أقول إن هذا البحث قد قال الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع ، أو أن كل مافيه مبرأ من المآخذ التي يمكن أن تكون موضع جدل بين أساطين هذه الدراسات ؛ بل نرجع قيمته إلى أنه أول بحث في اللغة العربية على ما أعلم — من نوعه ؛ وأنه قد جمعت له من وسائل الفوز مالا يظفر كثير بمثلها ؛ فلقد تناوله ذهن منطقي بسليقته وطبعه ؛ وقد نهل طويلا من أصفى مناهل المنطق ؛ وعكوفه على هذه الدراسات العميقة الدقيقة ؛ في هذا الجانب النفسي ؛ وما يتصل به عكوفا متواصلا ؛ وليس أدل على ذلك من هذا الثبت في آخر الكتاب يرشدك إلى أن هذا الموضوع ليس وليد المصادفات الغريبة ؛ بل هو كمين في ذهن الكاتب من فجر حياته الفكرية ؛ ووقوفه التام على ما تجود به الأقلام في هذه الناحية ؛ ثم صياغته صياغة محكمة طلية ؛ كل هذا يضع هذا البحث من القلوب موضع الاكبار والحب ؛ لأنه الباكورة الأولى التي نرجو مخلصين أن تتابع ؛ وقيمة الكتاب يجب ألا تقاس فقط بكثرة مايحمل من نظريات لا يحوم حولها النقد ؛ بل يجب أن تقاس أيضا بما يثير من آراء ؛ ويبعث من أفكار ؛ وينير من جوانب ؛ ولعل هذا النوع يكون أطول بقاء وأقوى على النفع بما يتولد عنه ويتجاوب معه ؛ وحسبي ذلك في تقديم هذه الشجرة ، فليقبل عليها القارىء ليجني ثمرها ؛ ويهدأ في ظلها .

محمد عبد الحليم أبو زيد

وكذلك كان الحال في « كتاب محمد عبده » فان محمد عبده المفتى لم يعرض كما عرض محمد عبده الطالب بالجامع الأحمدى في بضع الصفحات الأولى من الكتاب . ومحمد عبده المدافع عن الاسلام ص ١٢٦ لم يطل الكلام فيه كما طال مع الشيخ عليش صفحات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠

إلا أن عثمان أمين يمتاز بالنصوع حتى على إيجازه ، والحق أنني أحببته محدثا في ندوتنا الأدبية : ندوة الأحرار . وأحببته باحثاً في الفلسفة وكاتباً عن « محمد عبده » . وأحببته فوق ذلك مثالا رفيعاً لتواضع العلماء .

محمد عبد الغني حسن

محكمة شبين القناطر الأهلية

اعلان بيع عقار فى القضية المدنية رقم ١١٧٩ سنة ٩٤٣

انه فى يوم الاثنين ١٩ مارس سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ افرنكى صباحا بحجرة المزايدات بسراى المحكمة سيباع بالمزاد العلني العقار الآتى بيانه بعد طلب أمين حسين حسين دياب الشلح جزار بعزبة الزيتون بشارع المتوكل على الله قسم مصر الجديدة وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ٩٤٤ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية فى ٢٦–٤–٩٤٤ تحت رقم ٣٤٢ سنة ٩٤٤ وفاء لمبلغ ١٤٠٢ قرش صاغ بخلاف ما استجد من المصاريف وبثمن أساسى قدره ٤٠ جنيه مصرى بعد تنقيص الخمس بجلسة ٢٨–٩–٩٤٤

وهذا البيع كطلب الست مائشة غانم حسين الشلح من عرب الصوالحة مركز شبين القناطر ومحلها المختار مكتب الأستاذ عمر افندى التلمسانى المحامى بشبين القناطر .

بيان العقار

٣ ط بزمام نزلة عرب جهة مركز شبين القناطر بحوض الشيخ يوسف رقم ٧ قطعة ٣٤ من بحرى القطعة ٣٤ عبد النبى متولى محمد وورثة عامر محمد قنديل وورثة أخوانة محمد محمد ومحمود محمد قنديل وآخرين والشرقى ترعة الشقيقة عمومية بجسر بها نوع ثالث والقبلى فاصل زمامين حدود ناحية كفر الشوبكة والغربى باقى القطعة باسم السيد حسين حسين دياب الشلح رقم ٣٦ .

٨ ط و ١١ س بزمام نزلة عرب جهة مركز شبين القناطر بحوض الشيخ يوسف ٧ قطعة رقم ٣٦ ومحدوده البحرى رقم ٣٤ عبد النبى متولى محمد وآخرين والشرقى القطعة المحددة قبلى رقم ٣٥ والقبلى فاصل زمامين والغربى قطعة رقم ٧٩ أمين حسين حسين دياب الشلح .

١١ ط ١١ س فقط أحد عشر قيراطا وأحد عشر سهما لا غير .

وشروط البيع مع باقى الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه للمزايده ، ومن يرسي عليه العطاء يدفع الثمن فورا وإلا يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق .

كاتب البيوع

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٥

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول مايو سنة ١٩٤٥

وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فأن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات

فاغتنمو الفرصة وسارعو من الآن إلى حجز ماروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الاقبال على الاعلان فيها شديد

ولزيادة الاستعلام اتصلو

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة ـ بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٠٩ — الاثنين ٥ مارس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

… الاثنين ٥ مارس ١٩٤٥ …

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 609

Lundi - 5 - 3 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٠٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٥ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المدارس الأدبية

للأستاذ عباس محمود العقاد

من الحكايات الانجليزية المروية أن بنتاً من بنات الفلاحين وصلت إلى العاصمة فرأت جنوداً مصطفة وزحاما من الناس على جانبي الطريق وشرطا يذهبون ويجيئون وخيلا تعدو بفرسانها كوكبة بعد كوكبة، فعجبت لهذه الحركة التي لم تعهدها في قريتها وسألت ما الخبر؟ فقيل لها إنه الملك يعود إلى قصره من هذه الطريق. فوقفت تنظر مع الناظرين حتى عبر بها الملك في مركبته فنظرت اليه وهي لا تصدق ماتراه، وصاحت بمن حولها: عجبا! انه إنسان مثلنا، فلماذا يجتمع الناس لينظروا إليه.

هذه البنت الريفية توجد في كل بلد وفي كل زمن، لأن الدنيا لن تخلو يوما من أولئك الذين يغلو بهم وهم السماع فلا يعرفون الواقع حين يرونه، ويحسبون أن الأمور التي يتحدث بها الناس ينبغي أن تبدو للانظار والأسماع على غير مانألف ونعتاد.

وليس هذا بعجيب في أخلاق الجهلاء، ولكنه عجيب ولاشك حين يتصف به أناس يحكمون في الأدب والفكر ويقيمون الحدود بين الكتاب والشعراء ويزعمون أنهم يعرفون ويملون المعرفة على الذين لايعرفون!

ومن هؤلاء كاتب في صحيفة سورية تناول ما كتبته «الرسالة» عن بعض المدارس الأدبية فقال كما قالت تلك البنية الساذجة: عجبا! ان هؤلاء إلاأناساً كسائر الناس، فكيف يكونون أصحاب مدارس في الكتابة أو الشعر كأولئك الذين نسمع عنهم من وراء البحار؟

وأظهر شيء تدل عليه تلك الدهشة أن « البنية الريفية » التي كتبت في تلك الصحيفة السورية لاتعرف مدرسة واحدة من مدارس الأدب في الغرب ولا في اللغة العربية، وإنما تعرف تلك المدارس على الوهم الذي يخيله اليها السماع ولا يتمثل لها لحظة في صورة الفهم الصحيح.

ولو لم تكن تلك « البنيّة الريفية » كذلك لأدركت أن الأدب الغربي — منذ أربعة أجيال على الأقل — لم تنشأ فيه مدرسة واحدة صنعت في أدب قومها بعض الذي صنعه أدباء العربية في الجيل الحاضر والجيل الذي سبقه، لأن الآداب الأوربية تجري منذ ألف سنة في طريق واحدة يتقدم فيها السالكون خطوة بعد خطوة ومرحلة في إثر مرحلة، ولا ينتقلون فيها إذا انتقلوا فترة بعد فترة إلا من مقدمة محضرة إلا نتيجة منتظرة، تمشياً مع الحركة المطردة من عصر اليونان إلى عصر النهضة التي جددت بعض مدارس اليونان، إلى عصر الإصلاح والثورة بلا انقطاع ولا انحراف، إلا في أيام الركود والجمود.

فقصارى ما تصنعه المدرسة الأدبية بين الغربيين أنها تزيد فى المجاز أو تزيد فى التعبير عن الواقع ، وانها تميل إلى الأسلوب المأثور أو تدخل عليه بعض التصرف والتعديل ، وأنها تجمع إليها رهطا من الزملاء بينهم تشابه فى المزاج وتقارب فى الموضوعات أو تقارب فى موضع الإقامة وفى المناظر التى يلتفتون اليها ويعنون بوصفها ، ثم يرجع الناقد إلى أدب قومهم قبل ظهورهم وبعد ذهابهم فاذا هو متقارب متتابع لا وثبة فيه ولا جنوح عن الجادة التى مهدت من قديم الزمان .

ولا يستطيع أحد من أولئك السماعيين أن يترجم شعر خمسين سنة متوالية إلا بدا له أنه كالحلقة بعد الحلقة فى سلسلة واحدة قلما تتباعد فى أوساطها وإن تباعدت فى أطرافها ، وانه على الإجمال نوع واحد من الأدب فى الصميم .

أما أدباء العربية فى الجيل الحاضر والجيل الذى سبقه فقد صنعوا فى تغيير مقاييس الأدب مالم تصنعه مدرسة واحدة أوربية فى الأجيال الأخيرة .

لأن اختلاف المقاييس هنا هو اختلاف بين لغة ولغة ، وبين طبيعة وطبيعة . وبين اقليم واقليم . وبين زمن وزمن ، وبين موضوعات وموضوعات .

كانت مقاييس الأدب عندنا هى المقاييس التى يقال فيها هذا أغزل بيت قالته العرب . وهذا أهجى بيت قاله الانس والجن ، وهذا معنى لو تقدم صاحبه فى الجاهلية يوما واحداً لـكان أشعر الشعراء .

وكان الأديب العظيم معصوماً من النقد والملاحظة ، فاذا نقد أو لوحظ عليه فانما يجترئون عليه لأنه متأخر لا يستشهد بكلامه فى العربية ، ولا يكون اجتراؤهم عليه لحرية فكر أو صدق نظر الى القول والموضوع .

وكان البيت وحدة القصيدة ، وكانت القصيدة شتيتاً لا يشبه البنية الحية ولا يقبل الاسم والعنوان ، إلا أن يذكر فى صدرها أنها نظمت فى تهنئة زيد أو رثاء فلان .

وكانت الدواوين كراسات مملوءة بالقصائد من حرف الهمزة الى حرف الياء بغير تفرقة فى معارض الكلام ومعانيه الا ماتعودوه فى التفرقة بين باب المديح وباب الهجاء وباب الوصف وما شاكل ذلك من الأبواب .

وندع المنظوم والمنثور وننظر الى الشعراء والكتاب أنفسهم فاذا هم قد كانوا فى عرف العلية والسفلة متسولين أو ندماء يغشون المجالس للتسلية والترفيه ، ولا تعرف لهم رسالة مرعية فى عالم الفكر أو فى عالم الروح .

كل أولئك قد تغير فى جيلين ، أو تغير معظمه فى جيل واحد ، ثم لا يقال عن الذين غيروه إنهم جاءوا بمدرسة من مدارس الأدب أو بدلوا حالا بعد حال ، ولا يزال كثيراً عليهم أن يشبهوا أولئك الأدباء الأوربيين الذين تنسب إليهم المدارس لأنهم كانوا يقيمون عند بحيرات الجبال ولا يقيمون فى الحواضر والعواصم ، أو كانوا يفصلون فى مسائل الجنس والغرام ولا يجملون ، أو كانوا من أهل التصريح فى العبارة ولم يكونوا من أهل الـكناية والايماء .

جاء أولئك الأدباء الذين تستكثر « بنيّات الريف » أن تنسب المدارس اليهم فاستطاعوا فى مدى قصير أن يغيروا النظرة إلى الأدب وأن يغيروا النظرة إلى الأدباء .

فليس أدباء العرب اليوم مسترفدين ولا ندماء أسمار ، ولـكنهم أصحاب صناعة مكرمة يضارعون فى الـكرامة أولئك الذين كانوا يمدحونهم ويتزلفون إليهم ويقفون على أبوابهم فى انتظار جوائزهم قبل جيلين أو ثلاثة أجيال ، وإذا استطيع فى الغرب تعظيم شأن الأدباء على هذا النحو فليس فى ذلك من عجب وليس فيه كبير فضل للأديب ولا لأحد من أفراد الناس ، لأن استغناء الـكاتب أو الشاعر بأعماله بين أمم محيت منها الأمية وتعودت مطابعها أن تخرج من الـكتاب الواحد عشرات الألوف من كل طبعة أمر غير عسير .

أما المعجزة حقاً فهى تعظيم شأن الأدباء فى بلاد لا يزيد قراؤها على عشر أهلها ، ولا تملك مطابعها أن تعمم نشر الـكتب بين القراء القليلين وهم موزعون هنا وهناك بين شتى الأقطار .

وهذه المعجزة صنعها أولئك الأدباء الذين يكثر عليهم أن تنسب المدارس إليهم !! ولم يصنعها الأدباء الذين تسمع بهم « بنيّات الريف » ولا يعقلون عنهم شيئا وراء السماع .

صنعوا هذا وصنعوا معه أنهم غيروا النظرة إلى الأدب كما أسلفنا فانتقلوا به من عصر إلى عصر ومن موضوع إلى موضوع ومن مقياس إلى مقياس . ولم يكن هذا الأمر ليتيسر فى البلاد الشرقية كما تيسر نشأة المدارس فى البلاد الأوربية . لأن تحرير المقاييس

أبو العلاء المعرى

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٦ —

الإيثارية L'altruisme

وافعل بغيرك ما تهواه يفعله   وأسمع الناس ما تختار مسمعه

هذا البيت يشمل الأثرة والإيثارية معاً .

وللحكماء الإغريق قبل التأريخ الميلادى بخمس مئة سنة وفى الإنجيل وللحكيم الصينى ما يشبه قول الشيخ . وروى البخارى فى جامعه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وروى ابن سعد فى (الطبقات) : « قال رسول الله ليزيد بن أسد : يا يزيدَ بنَ أسد ، أحبَّ للناس الذى تحب لنفسك » والأثر الكريم — كما ترى — هو أثرى وإيثارى . وروى البحترى فى حماسته لعبد الله بن معاوية الجعفرى :

ارض للناس مارضيت من الناس (م) وإلا فقد ظلمت وجرتا

ولأبى العتاهية :

ولا خير فيمن ظل يبنى لنفسه   من الخير ما لا يبتنى لأخيه

وقال عبد الله ابن المقفع : « أعدل السير أن تقيس الناس بنفسك فلا تأتى إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك » .

وروى السبكى فى (طبقات الشافعية) لأبى سليمان الخطابى :

ارض للناس جميعاً   مثل ما ترضى لنفسك
إنما الناس جميعاً   كلهم أبناء جنسك
فلهم نفس كنفسك   ولهم حس كحسك

وفى (كامل) المبرِّد هذا القول : « خير الناس للناس خيرهم لنفسه » ، قال أبو العباس : « وذلك أنه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ، ومن القتل لئلا يقاد . فسلم الناس منه باتقائه على نفسه » .

ولما دعا الإمام الأستاذ أرنست هيكل إلى تلك النحلة الطبيعية الوَحدية la religion moniste اتخذ تلك الحكمة دعامة آدابها .

ولو أنى حُبيت الخلد فردا   لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت علىّ ولا بأرضى   سحائب ليس تنتظم البلادا

———

فيك وطنى ، إن فاتنى بك سابق   من الدهر فلينعم لساكنك البال (١)

(١) من أجل ما قيل فى الإيثارية الكريمة هذا الشعر : =

الحديثة هنا نقلة بعيدة من القديم إلى الحديث مع اختلاف اللغة والمزاج والفكرة ونماذج التفكير والتعبير ، وما كان هنالك إلا حلقة صغيرة فى سلسلة متشابكة الحلقات .

وسبيل المقابلة بين جهود الأدباء فى الشرق وجهود نظرائهم فى الغرب قريب جداً لمن يسمع ويعقل وإن كان بعيداً جداً عمن يسمعون ولا يعقلون ... أو يعقلون وقصارى عقلهم أن يصيحوا كما صاحت بنيّة الريف : يا عجبا ! إنه لأنسان كسائر الناس .

سبيل المقابلة أن تختار خمسون سنة من تاريخ الأدبين ، ثم يرى الناقد من ذلك مبلغ التفاوت بين البداية والنهاية فى كل من الفترتين ، ومبلغ الجهد الذى كان لازما لاغنى عنه فى أحوال الأمتين

وإلى جانب هذا يختار كاتب أو شاعر من أصحاب المدارس هنالك ثم تعرض له صفوة أعماله التى تتخذ للموازنة والمقابلة وتبنى عليها المناقشة والمفاضلة ، فلعل الكفة التى ترجح فى هذا الميزان غير الكفة التى ترجح فى ميزان السماع ، ولعل السالك فى الطريق المعبد لا يبلغ شأن نظيره الذى يعلو ويهبط بين النجاد والوهاد ، ويفتح طريقه قدما قدما وهو مدلج فيه منقطع عن الرفيق .

تلك هى الحقيقة السهلة لمن يبصر الحقيقة إذا وقعت عينه عليها . ولاينتظرها كما ينتظر شيئاً يسمع به أبداً ولا يراه أو يدرى كيف يراه .

فاذا خفيت هذه الحقيقة البينة على من تصدمهم ولايدركونها — فليس الخطأ فى ذلك خطأ الكتاب والأدباء ، ولكنه خطأ الحظ الذى رزقهم من القراء من يشبه تلك البنية الريفية البلهاء ، وما أكثرهم فى الشرق على قلة القراء !

عباس محمود العقاد

وما سرني أني أصبت معاشراً   بظلم وأني في النعيم مخلد

فانفع أخاك على ضعف تحس به   إن النسيم بنفع الروح هباب

كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

انجد أخاك على خيريهم به   فالمؤمنون لدى الخيرات أنجاد

نجد بعرف ولو بالنزر محتسباً   إن القناطير تحوي بالقراريط

فدار خصمك إن حق أنار له   ولا تنازع بتمويه وإجلاب

إذا ما تبينا الأمور تكشفت   لنا وأمير القوم للقوم خادم

لا يتركن قليل الخير يفعله   من نال في الأرض تأييدا وتمكينا

أضيء بالمعروف وأتلق ، وأطلق يمناك فغدا تنطلق .

انظر بين يديك ، واجعل الشر تحت قدميك ، وإذا دعا السائل فقل لبيك ، وإذا ألجأ عدوك الدهر إليك فانس حقودك الغَبِرات[1] .

أطعم سائلك أطيب طعاميك ، واكس العاري أجد ثوبيك ، وامسح دموع الباكية بأرفق كفيك .

الرجل كل الرجل من آتى الزكاة ، ورحم المسكين ، وتبرع بما لا يجب عليه ، وكره الحنث ، وكفر عن اليمين .

لتكن سماؤك ثرة[2] ، وثرى[3] أرضك قريبا ، فنعم الشيء الثراء لمن كسا العاري وأطعم السغبان .

ذُرَّت[4] البركة في طعام أكل منه الضعيف ، ونزعت البركة من طعام خص به الغني دون الفقير ، والله مطعم المطعمين . وزر

= علي أنني أطرى الحسام إذا مضى   وإن كان يوم الروع غيري حامله
وآسى على جيحان إن غاض ماؤه   وإن كان ذودا غير ذودي ناهله

(١) الغبرات : القديمات ، ومنه غبر الجرح إذا انتقض لفساد فيه قديم (أبو العلاء) .

(٢) عين ثرة : غزيرة الماء ، وكذلك السحابة ومطر ثر : واسع القطر (اللسان) .

(٣) الثرى : التراب الندى ، والثرى الندى (اللسان) وفي الأساس : وبلغت ثرى فلان إذا أدركت ما تطلب منه .

(٤) (ذرت) نشرت ، بذرت .

حرام يوقع المحقة في قميص انتسج من حل ، وقطرة الدم تقع في المزادة[1] فلا يحل منها الطهور .

أرّ نارك لطارقك[2] ، ولا تؤرها لإحراق الجار ، والله جار[3] من لا جار له من المستضعفين . وبرّ في قلبك خير من بُرة في يدك[4] فاتق الله ، وكن مع الأبرار الطاهرين .

قُد نفسك إلى الواجب ولو بجرير ، وكِد معاديك بأن تجتنب أفعال الكائدين ، ودل السائل لتكون نعم الدليل ، ودم على ما قربك من الأبرار الطيبين ، ودِن من فعل خيراً معك فإنك مدين .

يا بغاة الآثام ، وولاة أمور الأنام ، مرتع الجور وخيم ، وغبه ليس بحميد ، والتواضع أحسن رداء ، والكبر ذريعة المقت ، والمفاخرة شر كلام . كلنا عبيد لله .

من بخل بطعام فقد بخل بقليل الأنعام .

بعدت رائحة قُتار ، تظهر تارة بعد تار[5] ، ثم لا ينال خيرها الفقير .

النفاق يلبسك ثوب الإشفاق ، والافتئات يذهب الأحقاد ، والأشر يهلك البشر ، لا كتبنا الله مع الأشرين !

ما ريا قُطُر[6] ورائحة حبيب عطر بأطيب من ثناء مستطر[7] يثني به بَرّ على مُبِر[8] .

* * *

تلكم طائفة من أقوال الشيخ ، وفيها التفاؤل كله في الحياة ،

(١) (المزادة) ظرف من جلد يحمل فيه الماء .

(٢) أرى ناره تأرية : أشعلها ورفعها .

(٣) جاره : مجيره وللبحتري :
شط من ساكن الغوير مزاره   وطوته البلاد فالله جاره !

(٤) البرة : حلقة من سوار وقرط ، وخلخال من فضة أو ذهب .

(٥) في (الصحاح) : وربما قالوه بحذف الهاء ، قال الراجز : بالويل تاراً والثبور تاراً .

(٦) القطر — بضم الطاء وسكونها — العود الذي يتبخر به ، وقد قطر ثوبه ، وتقطرت المرأة ، والعود في المقاطر : المجامر .

(٧) مكتوب .

(٨) ابر الأمور : طلب بها البر والاحسان إلى الناس والتقرب إلى الله تعالى .

وفيها الأثرية — كما أن فيها الإيثارية — وكان شيخنا « يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الجد والهزل » كما روى الصفدى فى (نكت الهميان)

وكان خفيف الروح يَدْعب ويُفاكه ، ومن فكاهته فى إحدى رسائله إلى أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى وقد غير هذا اسمه ، وقصر كنيته ـ هذه النبذة :

« ... وأهل البصرة[1] (سلمهم الله) ينسبون إلى قلة الحنين ، أليس قدمرت به هذه الحكاية وهي أنه وُجد على حجر مكتوب :

ما من غريب وإن أبدى تجلّده   إلا سيذكر عند العلة الوطنا

فكتب تحته إلا أهل البصرة . فاذا كانت تلك سجيتهم مع أهلهم وأوطانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من إخوانهم ؟ والدليل على ما قلت أنه ـ أدام الله عزه ـ لم يُثبت[2] اسمى ، جعلنى محمداً واسمى أحمد ... وله أن يقول إنه تشبث بالكنية فاستغنى بها عن الاسم . فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ، ولم أنس أيامه ولا مذاكرته ، وقد جعلت جواب كتابه نائبا مناب الاجتماع معه ...

وما عبت على أهل البصرة قلة التفاتهم إلى الاوطان وإنما وصفتهم بقوة القلوب والأكباد لأن العرب تصف نفوسها بذلك ، أليس قد بلغه قول قتادة بن مسلمة الحنفى :

يبكى علينا ولا نبكى على أحد   لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه ؟ أما السمة فغيرها ، وأما الكنية فقصرها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! هذا أمر من الله ، ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب والاتفاق الردىء لمن سُمى وذكر . . . وإنما تغوثت من ذلك لأنى قصير الهمة ، قصير اليد ، مقصور النظر ، أى مكفوف ، مقصور فى البيت أى لازم له ، فكأنى محبوس فيه . فما كفانى ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الاسم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . لو كنت أطول من ظل الرمح لصرت أقصر من سالفة[1] الذباب ، قد كنت أمصح فى الأرض كما تمصح الظلال[2] ... وقد مدحنى بما ليس فىَّ ، ولكنه فى ذلك على مذهب الخطباء والشعراء ، وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة ، ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ... »

(١) البصرة : مثلثة والفتح والسكون اللغة العالية والنسبة إليها بكسر الباء وفتحها .

(٢) أثبت الشيء : عرفه حق المعرفة . وفى الأساس : أثبت الشيء معرفة إذا قتله علماً

وما (رسالة الغفران) العبقرية إلا كتاب أماليح وأفاكيه وأهاكيم[3]

وكان الشيخ كلفاً بالحمد والمجد « والثناء على الرجل أحسن الملبوسات[4] » « وغير ملوم من عشق الثناء لأنه أحسن حبيب مزور وأبقى منفِس مذخور[5] » وقد أعلن ذلك ابن القارح فى رسالته المشهورة إلى أبى العلاء :

« ... ويعلم الله الكريم (تقدست أسماؤه) أنى لو حننت إليه (أدام الله تأييده) حنين الواله إلى بكرها ، أو الحمامة إلى إلفها ، أو الغزالة إلى خشفها ـ لكان ذلك مما تغيره الليالى والأيام والعصور والأعوام ، لكنه حنين الظمآن إلى الماء ، والخائف إلى الأمن ، والسليم[6] إلى السلامة ، والغريق إلى النجاة ، والقلق إلى السكون ، بل حنين نفسه النفيسة إلى الحمد والمجد ، فانى رأيت نزاعها إليهما نزاع الاسطقسات[7] إلى عناصرها ، والأركان إلى جواهرها ... »

***

(١) السالفة : جانب العنق .

(٢) مصح الظل : ذهب .

(٣) جمع أهكومة والأهكومة كالأعجوبة من التعجب

(٤) أبو العلاء فى (الفصول والغايات) .

(٥) أبو العلاء فى رسالة إلى بعض أولياء السلطان يشفع فى صديق له كان عاملا يعرف بالحسين بن عتبة . ومنفس كالنفيس ، نفس نفاسة وأنفس إنفاساً .

(٦) السليم : اللديغ ، وإنما سمي اللديغ سليما لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للحبشى أبو البيضاء ، وكما قالوا للفلاة مفازة تفاءلوا بالفوز وهى مهلكة (اللسان) .

(٧) العناصر الأربعة فى مذهب القدماء وهى الماء والسماء والأرض والهواء .

وإذا أقام أبو العلاء في عرينه مضرباً فيه[١] ، فقد كان مطلا على الدنيا – وإن خيل أنه تخلى منها – وما كان أخا زهد[٢] فيب . لا فكر له في شيء . وكانت شؤون أمته تعنيه أيما عناية . والمتشائم لا تهمه حالة ، ولا يبالي بأمر بالة . كتب إلى أبي الحسن ابن سنان ، وقد أوذم على نفسه الحج[٣] ، والعدو يزأر في الثغور:

« ... وسفر مولاي إلى الحج في هذه السنة حرام بسُل... وهل سمع في أخبار الصحابة (رحمهم الله) أو التابعين أن رجلا خرج من مُصافة العدو[٤] يريد بيت الله الحرام . . . وهو (أدام الله تمكينه) أمين من أمناء المسلمين ، يُرهف الشوكة[٥] . ويستجيد اللأمة[٦] ، ويحصن ما وهي من سور ... البيت العتيق منذ عهد آدم يزار ويحج ، ما خيف عليه انتقال ولا تحول ، ولا غيره عن العهد مغير ... أما يعلم أن لأهل البلد أُنساً برؤية شخصه واستماع قوله . وماينبغي أن يكون كما قيل في المثل « جَ ّ نخج »[٧] ولو قال وليد لوليد في ليل داج وهو محادث محاج : من يؤجره في مقامه في الديار أضعاف أجره في حج واعتمار ؟ فقال الوليد الآخر: (محمد بن سعيد) لوقع سهمه غير بعيد . وحماية الذمار أولى من حج واعتمار ... » .

ولما صبأ الفتى طارق (خلده الله في جهنم)

وفرق دين الوالدين بزائل ولولا ضلال بالفتى لم يفارق[١]

أرسلها (لزومية) صاعقة مجلجله أحرقت ذاك المضلل . وهذه اللزومية – وهي واحد وعشرون بيتاً[٢] – توضح فرط عنايته بأمته واستمساكه بنحلته ، وتنبي بأنه كان بداخل القوم في أحوالهم وإن كان جليس نفسه[٣]

***

اقرأ كلامي إذا ضم الثرى جسدي فإنه لك ممن قاله خلف[٤]

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) اضرب في بيته : لم يبرح .

(٢) كل من نسب إلى شيء فهو أخوه كقولهم أخو سفر وأخو عزمات وأخو قفار وأخو خمر وأخو لذة (المخصص) .

(٣) أوذم على نفسه حجا أوجبه وعم به أبو عبيد ، وأوذم على نفسه سفراً أوجبه (المخصص) .

(٤) صافه فهو مصاف إذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدو . والمصاف — بفتح الميم وتشديد الفاء — جمع مصف وهو موضع الحرب الذي تكون فيه الصفوف (اللسان)

(٥) الشوكة : السلاح . رهف السيف وأرهفه رقق حده شحذه

(٦) اللأمة : الدرع المحكمة الملتئمة .

(٧) قال الميداني في شرح المثل : معناه أن رجلا خرج يطوف في البلاد فاتفق حصوله بمكة فحج من غير رغبة منه ، فقيل : ج في الطوف حتى حج ، قال أبو عبيد : يضرب للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شيء ليس من شأنه ، قال : وهذا من أمثالهم في صعوبة الخلق واللجاجة

(١) أبو العلاء .

(٢) ذكر الشيخ طارقاً هذا في لزومية أخرى وفيها التوبيخ الشديد والذم البليغ .

(٣) فلان جليس نفسه إذا كان من أهل عزلة .

(٤) أبو العلاء .

في معرة أبي العـــلاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٣ —

وشارفنا حمص والساعة واحدة إلا دقائق، وطالعتنا بعمرانها وسط زروعها وجناتها. ثم دفعت بنا السيارات إليها واخترقتها غير معرّجة، وودّنا أن نعرج عليها قليلا. وعزّانا عما فاتنا من منى العين والقلب أنا عائدون إليها بعد أيام فنازلون بها. وجاوزنا حمص إلى سهل واسع محمر التربة تكسو الخضرة آكامه وجباله. وما زلنا نضرب في الأرض صوب الشمال حتى عبرنا العاصي عند قرية عليه ورأينا أولى نواعيره والساعة واحدة وخمس وعشرون دقيقة.

وأشرفنا على حماة والساعة اثنتان، فقضينا بدخولها وطراً قديماً، فقد مررت بها ثلاث مرات ولم يتيسر دخـــولها. فأنشدت قول امرىء القيس:

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

فاليوم أسعد برؤية حماة بين بساتينها ونواعيرها وهي أكبر نواعير الشام. ولا سيما هـذه الناعورة العالية الرائعة التي لا يقل قطرها عن عشرين متراً فيما حزرت. ويقال إنها كانت في مكانها من حماة أيام المأمون العباسي.

نزلنا في المدينة فاستقبلنا حكامها وأعيانها ورجال التعليم فيها في «دار العلم والتربية» وهي بناء قديم جميل فيـه من فن العمارة والنقش روائع. دخلنا ساحة فيها حوض كبير في وسطه صورة سبع يتدفق الماء من فمه، وفي جانبه شجرة كبيرة جميلة ترى خضرتها ونضرتها في صفحة الماء. وصعدنا إلى طبقة فيها باحة يتوسطها حوض آخر وعليها عقود جميلة وراءها قاعة من آثار الفن العربي الإسلامي. يستقبل داخلها خرير الماء في حوض صغير توسوس فوقه نافورة جميـلة رخامية فيها أنابيب كثيرة تقذف الماء فتخرجه أغصاناً متشابكة من البلور، وعلى سقف القاعة وجدرها من النقش والألوان ما يشغل النظر والفكر، وكتب عليها آيات وأحاديث وأبيات من الشعر. ومن المرائي العظيمة الجميلة المصورة على جدرها صورة مدينة حلب وقلعتها، وصـورة القرن الذهبي في استانبول.

بنى هذه القاعة أسعد باشا العظم عام ١١٥٣ هـ، وجدد نقشها نصوح باشا العظم عام ١١٩٤ هـ.

وصارت مدرسة منذ خمسة وعشرين عاما وهي اليوم دار العلم والتربية. لبثنا بهذه القاعة الجميلة ريثما سمعنا ترحيب المدينة وتحدثنا إلى إخواننا في فرح الأمل وبسمة الظافر. ثم خرجنا إلى فندق البلدية حيث أعد الغـداء. وأهل المدينة في الطريق والشرفات يصفقون ويحيون بلاد العرب.

وقد رحب بنا رئيس البلدية هناك.

ولم يسعني الصمت في حماة وفي هذه الذكرى بين هذا الجمع، فألقيت كلمة أذكر منها هذه الفقرات:

أرجو أن يعذرني إخواني إن تكلمت وفي صوتي أثر المرض، كأن دمشق الحبيبة، دمشق التي أحببناها وأخلصنا في حبها، فعل بنا هواؤها ما فعل، «وقد يؤذى من المقـة الحبيب». وإني أقول مغيراً قول كثير:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لحلقي من أجسادنا ما استحلت

أيها الإخوان: إن الأمم لا تستيقظ في جانب وتنام في جانب، ولا تنهض في ناحية وتقعـد في أخرى. إذا استيقظت استيقظ كل شيء فيها، وإذا نهضت نهضت كلها. فليس محض اتفاق أن اجتمعت وفود البلاد العربية على ذكرى أبي العلاء المعري في الشام حين اجتمعت وفودها في الأسكندرية لتخط للجامعة العربية خطتها. إن الأمم إذا عزمت وأجمعت أمرها لم يقفها شيء دون الغاية. ثم ذكرت اغتباطي بدخول حماة بعـد طول اشتياق إلى دخولها. وحييت أهل حماة وأهل الشام جميعا، وقلت: إني أعني الشام الذي عرّفني إياه التاريخ. لا أعرف هذه الأسماء الجديدة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وكان بجانبي الأستاذ الصديق عارف النكدي. فطال تصفيقه لهذه الفقرة.

فصلنا من حماة والساعة ثلاث ونصف نؤم المعرة.

أشرفنا على المعرة أصيل اليوم بعد مسير نصف ساعة من حماة

فرأينا سهلا خصباً كثير الزروع والأشجار تخفق القلوب لذكرى شاعرنا الفيلسوف ، وابتسمت الشفاه لمعاودة مدينة أبى العلاء ، وكنا زرناها قبل خمسة عشر عاماً ، واستقبلنا فى مدخل البلد شارع فسيح طويل لم نره فى زيارتنا الأولى . وعرفنا أنه فتح فى السنين الأخيرة ، ودعينا إلى الاستراحة فى دار حديثة جميلة من دور آل الحراكى ، ثم خرجنا نؤم مقصدنا ، ضريح رهن المحبسين

ولست أنسى مسيرنا بين صفوف متراصة من أهل البلد ، ودور ازدحمت منافذها وشرفاتها بالمشرفين على مهرجان أبى العلاء ، وقد مال بالشمس الأصيل فنضَّت أشعتها من أبصارنا كأنما يغض منها جلال الشيخ الفيلسوف

ذكرت حينئذ مكانة الشيخ من أهل بلده ، إذ كان حدباً عليهم براً بهم ، إذ كانوا يفزعون إليه فى الشدائد ، وتمثلت صالح بن مرداس ينزل بساحتهم يريد الإيقاع بهم ، فيفزعون إلى شيخهم وقد لزم محبسه وقطع بينه وبين الناس العلائق لو استطاع ، ويستنجدونه ليدفع عنهم بأس الأمير الكلابى ، ويستشفعون به ليطلق صالح رجالهم ، وكان قد اعتقل من أعيانهم سبعين ، وأبو العلاء برم بالفتن المحيطة ، آنس بخلوته ، أو قلق بها ، يصف الناس ، إثمهم ورياءهم وخداعهم ، وجنايتهم على أنفسهم وعلى الحيوان يبغى الأمن فى داره الصغيرة ، ولا يأمن أن تلج عليه آثام الناس ، وقد اعتزلهم جهده ، وود لو ينقذه الموت من صحبتهم وجوارهم . ولكن أبا العلاء الرحيم لا يملك أن يرد اللاجئين إليه ، أو يقعد عن إغاثتهم وهو قادر ، فيخرج أبو العلاء كارهاً إلى الأمير صالح فيقول :

الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع قاظ هجيره وطاب برداه ، والسيف القاطع لان مسه وخشن حداه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فيقول صالح وقد أخذه مرأى الشيخ الذى سمع بمكانته ، وعرف له قدره ، قد وهبتهم لك أيها الشيخ . ورجع الشيخ إلى داره وهو فرح بما يسر الله على يده من الفرج ، مغموم لما اضطره إلى الخروج من معتزله والمثول بين يدى أمير . قال :

تغيبت فى منزلى برهـة ستير العيوب فقيد الحسد

فلما مضى العمر إلا الأقل وحُمّ لروحى فراق الجسد

بعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأى فسد

فيسمع منى سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد

فلا يعجبنّى هـذا النفاق فكم نفّقت محنة ما كسد

ويقول :

نجّى المعاشر من براثن صالح رب يفرّج كل أمر معضل

ما كان لى فيها جناح بعوضة والله ألبسهم جناح تفضل

وقد ذكر صالحاً فى مواضع أخرى من لزومياته ، وقال :

ما لمت فى أفعاله صالحاً بل خلته أحسن منى ضميره

وما زال أهل المعرة يعظمون شيخهم بعد وفاته ويسمّونه « سيدنا أبا العلاء » فهم اليوم يعتزون ببلدهم ويفخرون بشيخهم وقد جاءت وفود الأقطار القريبة والبعيدة تذكره وتعظمه .

سارت الوفود بين الجموع الحاشدة ومعهم أعيان البلد ، وزعيمها حكمت بك الحراكى . وقد رأيته ـ وقد ضغط الناسَ الزحامُ إلى طريق الوفود ـ يُسرع مشفقاً على ضيوفه يرد الناس بأمره وذراعيه . مبالغة فى الاحتياط لضيوفه . ونحن فى جذل وفى هيبة مما نرى ونسمع . أبصارنا تتخلل هذا الزحام ، وتستشرف إلى الضريح المقصود وقلوبنا بين ذكرى الشيخ ، وبين حفاوة أهل المعرة به وبوفوده . اقترب منى حينئذ الأستاذ الأديب خليل مردم بك وقد أعجبه احتشاد المعرّيين ، وفرح الولدان ومرحهم ، وراءه هذا الموكب السائر لتحية الفيلسوف الحزين فقال : هذا مهرجان المعرى » قلت : صدقت ، إن هذا لهو مهرجان المعرى ..

وانتهينا إلى بناء جديد ولجنا أحد أبوابه إلى ساحة فيها زرع وزهر . فلنا ذات اليمين والجنوب إلى القبر الرهيب ، يجثم عليه هذا الجندل العتيق ، وكنا رأيناه من قبل وقرأنا عليه اسم المقبور بخط كوفىّ ، وقال أحد أصحابى حينذاك : إن له هيبة الأسد الرابض . وفوق القبر عقد من الحجر لا تكلف فيه ولا تأنق ، فهو يساير زهد أبى العلاء لو رضى زهدُه أن يشاد على قبره بناء . ألم يقل فى لزومياته :

فدّى لنفسك نفسى آونى جدثا

من الحفـيّات لا قـصرا ولا فَدَنا

قد تمنى الرجل ألا يزار قبره ولا يعرف :

أسرار الشــــعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لن تجد صاحب شغف بتسقط أسرار الأدباء ، ولا طُلَعَةً يتحسس أخبار القراء مثلى . ولا أعرف منهلاً أحلى رَشفاً ، وأكثر رِيّاً ، وأبلغ عظة من هذه الأسرار ، فهى إن لم تهذب وتحذّر تلذ وتهز . وقد تجد فيها ما ترومه . وقد تلتبس عليك الأمور فلا تجد شيئاً . لأن بعض الأدباء يخفون عمداً أسرارهم الصحاح ، ويوهمون الناس أسراراً أخرى مزيفات ، أو يلوذون بالصمت ، فيلصق الناس بهم أشاوى لا عهد لهم بها ، ولكنهم يرضون عنها ، فالمهم أن يكونوا أحدوثة القوم وسمر المجالس . وما عليهم بعد ذلك إن صح ما ينسبون إليهم ، أو بطل ، ولكن ما رأيك إذا عثرت على طائفة من رسائل نفر من الأدباء ؛ رسائل الأصدقاء إلى الأصدقاء ، التى يفضى بها الإنسان بدخيلة أمره ومكنون سره ومضنون شكواه ؟ إنها اعترافات لا يشوبها زيف ولا يعتريها بطلان ، فلنقرأ أنموذجات منها ولننظر ماذا تأتى فيها .

***

ديموندفلاور "Desmond Flower" أديب انكليزى معاصر ؛ شغف بتتبع أسرار الأدباء . فانتخب نهاد المائة رسالة ، من رسائل الأدباء من أيام شكسبير حتى أيام لورانس ، أعنى منذ منتصف القرن السادس عشر ، إلى هذه الأيام . فأخرجها فى كتاب فخم طريف سماه « فى اقتفاء أثر الشعر » "The Pursuit of Poetry" نقلوه إلى الفرنسية فى فجر هذه الحرب وسموه "The Poursuité de la Poésie" . وهو كتاب يغنيك عن ألف كتاب ، وسفر لا يحوجك ، لكى تفهم ما فيه ، إلى كثير من العناء . يصور لك من خلال الرسائل أولئك القراء فترف حولك أطيافهم ، وتتمثل فى خاطرك أحاديثهم ، وتراهم بقلبك ، فتحسب أنك معهم ثم تشعر بعد هذا أنك صديق لهم ، تحبهم ويحبونك ، وتؤثرهم ويؤثرونك ، فيفضون إليك بدخائلهم وأسرارهم ، ويطلعونك على آرائهم وأفكارهم ، بل قد تعلم هجسات قلوبهم ونجويات خواطرهم . وقد تجد فيهم لطفاً وعطفاً ، وقد تأتى قسوة وخشونة . ثم إن شئت بعد ذلك أن تعرف شعرهم وطبعهم عليه ، وترهم وبراعتهم فيه فذلك طوع يديك .

يقول فلاور فى مقدمة الكتاب : لا تخدع نفسك أبداً ، ولا تجهد كثيراً ، ليس لديك وسيلة لمعرفة جوهر الشعر ، والنفوذ إليه ، والوقوف عليه ، سوى القراءة . ينبغى أن تقرأ شعر الشاعر مرة ومرة ، ثم تعيد قراءته مثلها ، وقد تصل فى النهاية إلى ما تريد . ولكن إذا تواردت عليك هذه الأسئلة : كيف ينظم الشاعر ؟ أى نوع من الناس هو الشاعر ؟ كيف يبدع ، وكيف يخفق ؟ فليس لديك شىء أكثر جدوى من الرجوع إلى سيرة حياته ورسائله الخاصات إلى صحبه وأصدقائه .

اقرأ هذه الرسائل ، تعرف الشاعر حق المعرفة ، وتعلم أن عمل الشاعر شاق صعب ، طويل مجهد ، يبعث الملل ويفضى إلى التعب . وتقف على المشقة التى يلاقيها الكتاب ، لبحث عن لفظة أو صوغ جملة يؤدى بهما المعنى الواسع العميق الذى يزخر

ولى منزل فى الثرى ما يُزار ولو رامه زائر ما عرف

فهل يرضيه أن يكون قبره معروفا مَزورا تحج إليه الوفود ؟

وقد ود أن يكون جدثه فى معزل عن أجداث الناس كما بعد هو فى حياته عنهم :

يا جدثى حسبك من رتبة أنك من أجداثهم معزلا

وقد دفن فى معزل من الناس إلا بعض قرابة ؛ ولكنى أحسبه لا يكفيه هذا الاعتزال وهو فى المدينة بين الدور . كان بوده أن يدفن فى مهمه بعيداً عن الأحياء والموتى :

وددت وفاتى فى مهمه به لامع ليس بالمُعلَم(١)
أموت به واحداً مفرداً وأدفن فى الأرض لم تظلم(٢)
وأبعد عن قائل : لا سلمت وآخر قال : ألا يا اسلم
أحاذر أن تجعلوا مضجعى إلى كافر حان أو مسلم(٣)
إذا قال ضايقتنى فى المحل قلت : أساءوا ولم أعلم

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

---

(١) اللامع السراب .
(٢) لم تظلم لم يعهد فيها الحفر من قبل .
(٣) فى النسخة المطبوعة : خان وأحسبها حان ، من الحين .

به صدره . إن من المعاني ما يكون عظيماً واسعاً ، ولكن الثوب ضيق . ولابد من البحث والتنقيب ، ليكون الثوب قدر المعنى ، فيُظهر محاسنه ولا يخفيها ، ويستر عيوبه فلا يبديها ، ويؤثر في نفس السامع ويحييها .

الحق أن الأديب يجهد ويتعب . ولكنه لا يشكو ولا يتأفف . وقد يبدو ذلك من فلتات لسانه أو قلمه ، وقد يدعى أن لا أسهل عنده سهولة ولا أشد تملكاً من أن ينظم لك أو يكتب ما تشاء ، وفي أي وقت تشاء . على حين يكون قد قطع الليالى في البحث عن حرف أو في نظم بيت .

إن هذه الرسائل مجمع حي للقراء الإنكليز وكتابهم . هذا دريدن Dryden ، وهذا وردثورث Wordsworth وذلك كيتز Keats وذاك شلي Shelly ، وهنا تينسون Tennyson وهناك هاردي T. Hardy ، وبينهما بيرون Byron فكلهم أمامي أقرأ رسائلهم فأتمثل وأفكر .

هذا دريدن يكتب إلى ناشر أحد كتبه بلهجة فيها عتب وتهديد :

« إنك لن تستطيع أن تعني كثيراً بطبع كتابي طبعة جديدة مع التصحيحات التي أشرت إليها . إن أقل خطأ يسوؤني إلى الأبد » .

وإذا كانت غلطة واحدة تسوء دريدن إلى الأبد ، فإن وردثورث كان أشد قسوة من دريدن وأقد بناشر كتبه رحمة فقد كتب إليه مرة : « لقد وجدت غلطة في مقدمة مؤلفي الجديد قد طبعوا Lucretia بدلا من Lucretius . فينبغي أن تصحح هذه الكلمة في كل نسخة طبعت » .

فماذا يقول الناشرون اليوم لو أتاهم وردثورث يطلب إليهم بالقلم ذلك وكان المطبوع آلافاً من الكتاب ؟

ثم حول وجهك نحو ولتر سكوت W. Scott القصصي البارع . الذي يقول عنه هوغو « إنه يهزني ويتلاعب بي كما تهز الريح الورق في الخريف » . تحول إليه واسمعه يتحدث عن الإيجاز في الكتابة ويدعو إليه . ويشمئز من النعوت التي يحشو بها الكتاب السطور لا لمعنى فيها ولا لسحر بها . ولكن للاطناب عند الكتاب ، ولاستقامة وزن الشعر عند الشعراء . هذه الاستقامة التي يقتضيها علم العروض . حتى إنك لتراه في بعض الأحايين مبشراً بالشعر المرسل الحر محاربا الحشو والتطويل أي حرب . معيباً على بوب Pope أنه ملأ ترجمته الألياذة حشواً .

وعلى نحو من هذا ، تجد الشاعر الأميركي وتمان Whitman فإنه يعجب بالإيجاز ويأنف من التطويل . ويكتب عند ما أخرج مجموعته الشعرية المسماة Rou le ments de Tom Cour :

« إنني سعيد ، لأنني استطعت أن أنزه شعري من كل حشو . وإنني لأنتشي عند ما أشعر أن كل كلمة في القصيدة لا غنى عنها ، سواء أكان ذلك لوزن الشعر الذي راعيت حفظه ، أم للمعنى الذي أردت إظهاره » .

ولندع سكوت ينادي بالإيجاز ، ولننظر شارل لامب ، الدعبوبة المرح . يكتب إلى وردثورث رسالة طريفة . يتهزأ فيها من الكتاب الذين ينبهون قراءهم أو ينصحون لهم : « قد تعلمون وقد لا تعلمون » . « ولا يحسبن القارىء أبدا » . « وتخيلوا إذا استطعتم » وغير ذلك من شبيهات هذه التعبيرات التي يعلو الكاتب فيها ويحسب القارىء طفلاً أمامه يلقنه ويعلمه أو يشك بعلمه .

فماذا يقول لامب لو قرأ ما يسوقه الدكتور طه حسين في ثنايا كتاباته من هذه التعبيرات ؟

ولامب إلى ذلك يعيب على شعراء عصره أنهم يشطون في وصف المناظر الطبيعية بأوصاف مبتذلة « السماء الزرقاء والشمس الذهبية المتلألئة ... » فما ذا يقول لو سمع اليوم شعراءنا وكتابنا ما يزالون يقولون « النسيم العليل والماء النمير والهواء الرقيق ؟ »

استمع إليه يكتب إلى صديقه وردثورث ، وقد دعاه ليقضي أياماً في الجبال . هذه الرسالة التي تثير دهشتك وشغفك :

« لايسوؤني كثيراً أني لم أر الجبل قط في حياتي ، فلقد عشت دائماً في لندن . وكنت أشعر دائماً بميل شديد إليها لا يقل عن ميل أصحاب الجبال إلى الطبيعة الجميلة . إن الدكاكين المصفوفة والمصانع التي لا عهد لهـا والتجارة والزبائن والسيارات الكبيرات والصغيرات والمسارح والمقاهي . وهذا الفوران حول « كوفنت غاردن » وهؤلاء النساء المتسدنيات وحراس الليل والسكارى والضجيج . وتلك الحركة الدائمة التي لاتنقطع في أية ساعة استيقظت

على هامش النقد

سلســـلة جديدة

سارق النار ... خليل هنداوى

للأستاذ سيد قطب

فى العالم العربى نهضة لا شك فيها ، أخص خصائصها عندى الإقبال على القراءة ؛ فالرغبــة فى المعرفة هى الرغبة فى الحياة ، وما يغلق إنسان على نفسه أبواب المعرفة إلا وقد خمدت فيها جذوة الحياة ، فلم تعد فى حاجة إلى « الأوكسجين » الذى يجدد اشتعالها

وآية الإقبال على القراءة هى الإقبال على النشر الذى نلحظه فى هذه الأيام فى جميع البلاد العربية . والإقبال على النشر يدعو إلى الإقبال على التأليف . فما ينشط المؤلف أكثر من أن يحس أن هناك ناشراً يترقب ما تخرجه يداه ، وأن من وراء الناشر قارئاً يتلقف ما تخرجه المطبعة !

وأياً كانت الأسباب التى بعثت هذه الحركة ، فهى بشير خير على كل حال . وحين نجرد الحركة من الأسباب الطارئة مع الحرب فاننا نجد وراءها سبباً أصيلا هاماً ، هو يقظة الشعوب العربية وتطلعها إلى مستقبل خير من الحاضر ، مستقبل تتهيأ له بالمعرفة ، ويشوقها ما فيه من حيوية وازدهار

أقول هذا بمناسبة ظهور سلسلة أدبية جديدة فى « بيروت » تضطلع بها دار « الأديب » ، وظهور سلسلة من قبلها فى « دمشق » تخرجها « دار اليقظة العربية » اتباعاً للسلاسل التى تصدرها مصر : سلسلة إقرأ . وسلسلة أعلام الإسلام . وسلسلة النشر للجامعيين . وسلسلة كتب الشهر لدار إحياء الكتب العربية ... وكل هذا بجانب الكتب الفردية للمؤلفين الكثيرين

هذا بشير نهضة نرجو أن تظل فى اندفاعها البعيد !

***

« وسارق النار » هى الحلقة الثانيــة من سلسلة « الأديب » ببيروت . ويهمنى أن أكتب عنها ! فاخواننا الشرقيون دائمو العتب علينا لأننا – كما يقولون – لا نحفل مؤلفاتهم ، ولا نلتفت إلى نهضتهم . وذلك فى الوقت الذى يعيينا أن نحصل على هـذه المؤلفات ، أو أن نقف على أسباب النهضة لأنها لا تصل إلينا إلا فى الحين بعد الحين ، وبعد مشقة وعسر ، حين نحصل عليهـا فى مكامنها المخبوءة . وقد لا نعثر عليها أصلا لأنها لا تباع !

اعرضوا هذه الكتب فى سوقنا ، واعلنوا عنها فى صحافتنا ثم اعتبوا بعد ذلك ما تشاءون !

والأستاذ خليل هنداوى صاحب هذه الحلقة معروف لنا من « الرسالة » ثم من « الأديب » ومن « المقتطف » فى بعض الأحيان ، فلعل إخواننا الشرقيين يعلمون من هـذا أننا نتتبع كتّابهم ، ونعرف خطواتهم . ولسنا عن هذا بغافلين !

***

« وسارق النار » مجموعة من المسرحيات مستمدة من الأساطير الإغريقية – إلا واحدة منها فن قصص الحب العربى – وليست « سارق النار » إلا واحدة من هذه الأساطير سميت بها المجموعة كلها . وقد ضمت سواها : فتنة جزيرة بلارجل . ميلاد . المثال التائه . اللحن الكئيب

و « سارق النار » هو « بروميثيوس » الذى تقول الأساطير

فيها من الليل والجموع الغفيرة فى كل مكان . حتى الأوساخ والوحول . ثم تلك الشمس المضيئة الرفافة فوق البيوت ؛ وبائعى الصور المحفورة والأبخرة الفواحة التى تصاعد من مطابخ المطاعم . كل أولئك يملك على أمرى ويستولى على مشاعرى ؛ ويغذينى دائماً ، دون أشعر بملل قط . إن جمال هذه المناظر يدفعنى أحايين كثيرة إلى التنقل ليلاً فى الشوارع الملأى بالناس . وإننى لأذرف الدموع فى بعض الأحايين من الفرح . ولا بد أن تبدو هـــذه المشاعر غريبة عنك ، كما تبدو غريبة عنى مشاعرك نحو الطبيعة والجمال ... »

فهذا وصف ما فيه ترتيب ولا حسن نسق ، وهو مضطرب مشوش ولكنه بارع . لقد تعمد الكاتب هذه الصورة المضطربة تعمداً ، ليصور لك لندن المضطربة أيضاً . فبراعتها فى اضطرابها وحسنها فى قبحها .

صلاح الدين المنجد

الإغريقية إنه سرق النار المقدسة بمساعدة هليوس ، فاستطاع أن يخلق بها كما تخلق الآلهة ، فغضبت هذه عليه وانتقمت منه .

والأستاذ خليل هنداوى يمثل فى هذه المسرحية طريقة السرقة والحوافز النفسية التى زجت به فى هذه الوعورات وغضب الآلهة وحوارها بشأنه ، ثم انتقامها بما أرسلت إليه من الرذائل تشق طريقها إلى قلبه ، والأمراض تتنقل على فراشه ، والشقاء ينقض ظهره ، والأشواك تملأ دربه ، والموت يطفئ حياته ... ومع هذه الآلام جميعاً ... الأمل صديق الإنسان الوحيد فى الحياة . الأمل الذى كان إله الأرض هو الشفيع فى إرساله للانسان مع هذه الآلام !

وكذلك عالج فى « فتنة » عاطفة الغيرة . غيرة الجمال بين الربات الثلاث : أفروديت إلهة الجمال ، وأثينا إلهة الحرب ، وهيرا زوج كبير الآلهة . حينما غفل الآلهة عن دعوة « ايريس » خصيمة إفروديت إلى عرس إلهى . فقذفت بين المجتمعين بتفاحة كتب عليها إلى « أجمل فتاة » فانطلقت الفتنة فى لحظتها ... من الربات هى « أجمل » . إن حكم الآلهة لايرضى فليحكم الإنسان ! ليحكم أول رجل يصادفنه . إنه باريس راعى القطيع . وإنه ليحتار ويذهل ، وإنه ليتاقى الإغراء والوعيد . . . ثم يحكم . يحكم لأفروديت إلهة الجمال التى لا تملك إلا الجمال . ثم ليتلق انتقام الإلهتين . لقد اختار الجمال . « وإن من يختار الجمال يختار معه الموت » . وباريس لم يتلق الموت ولـكنه تاق الشرود الدائم فى الفيافى والسهوب يرسل الألحان من شبابته فى حنين دائم إلى ربة الجمال !

وعلى هذا النسق يسير المؤلف فى الاستمداد من الأساطير ، وصياغة مايستمده مسرحيات تقصر أو تطول .

* * *

يجب أن نرتد هنا إلى التسلسل التاريخى فى عالم الفن العربى فمرد هذا الفصل من فصوله — فصل الانتفاع بالأساطير المختلفة فى عالم المسرحيات — إلى « الفنان الأول » الذى نقله إلى المكتبة العربية ... هذا الفنان هو توفيق الحكيم :

أهل الكهف . شهر زاد . نهر الجنون . بيجماليون . سليمان الحكيم : هذه عنوانات لاتنسى ، وقد فتح بها هذا الفصل فى المكتبة العربية واستقر . واطمأن على وجوده بكل تأكيد .

بقى أن نتطلع إلى « الفنان الثانى » الذى يخطو خطوة وراء توفيق الحكيم . خطوة أصيلة كخطوته . لاتقف عند تقليده . ولا تقف عند مداه . بل تمتح من نبعها ، وترتقى آفاقا وراء الآفاق الأولى .

فهل استطاع الأستاذ « هنداوى » أن يخطو هذه الخطوة ؟ يجب ألا نجد فى أنفسنا حرجا من الجواب ... لا !

ولا يعنى هذا أن الأستاذ لم يوفق . فهذا شىء آخر . إنما الذى أعنيه هو أن الخطوة الأولى فى هذا الفصل لاتزال متفردة ولا تزال سابقة ، وهذا كل ماأريد أن أقول .

وفى مسرحية « المثال التائه » مجال للموازنة بين « بيجماليون » توفيق الحكيم و « بيجماليون » خليل هنداوى وأحب هنا أن أبرىء الأستاذ « هنداوى » من النقل . فحينما ظهرت « بيجماليون » توفيق كتب الأستاذ هنداوى فى المقتطف أن له مسرحية من فصل واحد عن « بجماليون » نشرها فى المقتطف فى وقت لايتسع البتة للنقل والمحاكاة .

ثم إنه عالج الموضوع بطريقة أخرى غير طريقة الحكيم وبين الطريقتين وبين الطاقتين تصح الموازنة ويصح القياس .

فأما بيجماليون عند توفيق الحكيم فهو الفنان المضطرب المتأرجح بين الحيوية الحاضرة والنموذج الفنى الخالد . والذى يفتن بما أبدعت يداه ثم يحطمه لأن فى نفسه أبدا طموحا إلى ماهو أعلى . إلى المثل الفنى الذى يخايل له أبدا ويدعوه إلى الخلق من جديد .

وأما بيجماليون عند خليل هنداوى فهو الفنان الذى يفتن بعمله الفنى فيحس فيه الحياة ويستغنى به عن النموذج الحى الذى استوحاه .

وكلتاهما وجهة نظر وطريقة اتجاه . أما التقدير الفنى لهما فيقوم على مقدار مااستطاع المؤلف أن يبثه من فن ومدى توفيقه فى فى معالجة موضوعه على النحو الذى أراد .

لاتزال الريشة فى يد الأستاذ هنداوى ترتجف ، ولا تزال تنقصها الجرأة الحاسمة ، والحركة المتمكنة . وفى مثل هذه المسرحيات يكون للومضات الذهنية والتحليقات الفكرية

والإشراقات الوجدانية كل القيمة فى معالجة الموضوع . وهذا كله فى مجموعة « سارق النار » محدود بقدر ، حين يقاس إلى مثله عند توفيق .

وفى اعتقادى أن مسرحية « سارق النار » هى خير ماف المجموعة بالقياس إلى توافر هذه العناصر ، وبالقياس إلى لمسات الحوار الموحية ؛ وإلى رائحة النضج التى تشم فى هذا الحوار .

ثم تليها مسرحية « فتنة » فمسرحية « جزيرة بلا رجل » فمسرحية « المثال التائه » فمسرحية « اللحن الكئيب » . .

أما مسرحية « ميلاء » فالفشل واضح فيها . وأخشى أن يكون منشأ هذا تخلى روعة الأساطير الإغريقية ووحيها عن « المؤلف » فميلاء عربية فى جوها وشخصياتها . وقد بقيت عارية من اللحم والدم والفن . ولهذا دلالة خطيرة ! لا أحب أن آخذ بها فى هذه المجموعة بل أوثر أن أنتظر تجربة أخرى جديدة !

* * *

بقيت كلمة حق :

إننا إذا استثنينا توفيق الحكيم . ورحنا نبحث فى الشرق العربى عما أخرجته المطبعة فى هذا الفصل — فصل المسرحيات الأسطورية . نجد مجموعة « سارق النار » هى الأولى فى جميع المحاولات . ولعل المستقبل يضمر لمؤلفها من النضوج والتمكن مايقفز به إلى الصف الأول . ولكن بعد جهد طويل .

سيد قطب

الأميرة علية بنت المهدى

١٦٠ — ٢١٠

للأستاذ سعيد الديوه جى

عاشت علية بنت المهدى فى أوج الدولة العباسية ، ولدت فى خلافة المنصور ، وتقلبت فى نعيم أبيها المهدى وشاهدت بغداد وهى أعظم مدينة فى العالم : دار السلام ، وعاصمة الإسلام . مقر الخلافة وكعبة الأدب ، ودار العلم والحكمة ، جنة الأرض ، وغرة البلاد ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومدينة الظرائف واللطائف ، فهى حاضرة الدنيا وما عداها بادية ، وقد سأل الإمام الشافعى رجلاً : هل رأيت بغداد قال : لا . قال . مارأيت الدنيا ولا الناس هذه هى بغداد التى كانت عاصمة الرشيد والتى مثل فى قصورها وحدائقها وملاعبها حوادث ألف ليلة وليلة ، التى كانت وما زالت مضرب الأمثال فى العظمة والسعة والنظام ، وفى سبيلها سفكت دماء ، وثلت عروش ، وانقرضت دول إثر دول . وهى صامدة تقاوم حدثان الدهر ، وتضحك من فتنة آدم بها ؛ فهى بحق « زوراء » بوجه كل عدو .

أما أمها : فهى مكنونة : من جوارى المدينة المشهورات بالحسن والجمال والغناء والدلال والشعر والأدب ولها صوت رخيم ، فاجتمع فيها جمال الخلق وجمال الصنعة وافتتن بها الناس ، وبلغ أمرها المهدى ، وكان يرغب بها ولكنه يخشى غضب أبيه المنصور المعروف بجده ، فاشتراها سراً بمائة ألف درهم ؛ ولما دخلت القصر غلبته على أمره وملكت قلبه ، فمال اليها دون بقية جواريه وفضلها حتى على « الخيزران » فكانت الخيزران تقول : « والله ما ملك امرأة أغلظ على منها » .

تولت أمها تربيتها بنفسها فحببت اليها الجمال منذ صغرها ؛ فنشأت مطبوعة على حب الفنون الجميلة ؛ أمرت بتعليمها الكتابة فأتقنتها ؛ واختارت لها الكتب الأدبية فدرستها ؛ وسلمتها إلى المؤدبين فأحسنوا تأديبها ؛ وأحضرت لها الفقهاء والعلماء فأخذت عنهم ، وكانت تريضها على قول الشعر منذ نعومة أظفارها فصارت من الشاعرات اللاتى يضرب المثل بشعرهن . كما كانت تطلعها على ألحان العرب وأصواتهم وتدربها على آلات الطرب . فكانت بلبل بنى العباس وهزارهم .

ولما كمل شبابها تطلع أمراء البيت المالك اليها وكل منهم يتمنى أن يحظى بالفن والعلم والجمال، ولكن أباها آثر بها « موسى ابن عيسى الهاشمى » وهو أحد أبطال بنى العباس شجاعة وأدبا ودهاء . وتولى امارات الولايات المهمة . كمصر ؛ والعراق ؛ والشام ؛ واليمن .

وورثت علية من هذا الأمير أموالاً طائلة وعقارات فى الولايات التى تقلدها فاتخذت لها قصراً فخماً يضاهى قصور الخلفاء فى السعة والجمال ، يقع هذا القصر على ضفة دجلة بالقرب من قصر زبيدة « دار القرار » وقصر الرشيد « دار الخلد » ولقصرها شرف مطلة على دجلة ؛ وقد زينت شاطئه بما تحويه من النقوش المتقنة

والتصاوير الجيلة ؛ والألوان الزاهية ؛ كما كان لقصرها شرف أخرى تطل على الميدان — ميدان دار الخلافة — والقصر يضم آلاف الجوارى والخدم والحراس ؛ وبلغ من أمر القصر أن اتخذه الخليفة المعتصم داراً له بعد وفاتها .

فى الشرفات المطلة على النهر كانت تجلس علية ؛ تصعد أمامها الشُّمَيريات والحرَّاقات والزَّبازِب إلى دار القرار أو تنحدر إلى دار الخلد مقر عاهل الإسلام أمير المؤمنين الرشيد أعظم خليفة عرفه الشرق والغرب . فيها القواد والأمراء والعلماء وأهل الفن بل تمر أمامها أهل بغداد على اختلاف طبقاتهم . وترى وفود الملوك والعواهل يتقدمون بذلة وخضوع حاملين هداياهم معرضين ولاءهم لأمير المؤمنين .

علية والرشيد :

كان الرشيد مشغوفاً بأخته وقلما يصبر عنها ، وإذا زارته فإنه كان يجلسها معه على سرير الخلافة . وذلك لما يراه من عقلها وأدبها وظرفها ؛ ورقة شعرها ، وجمال غنائها ؛ وحسن توقيعها ؛ وكثيراً ما كان يزورها فى قصرها ويطلب منها أن تقيم له الحفلات الغنائية ويقضى ليله عندها يصغى إلى أصوات الحور العين ؛ تردد فى جو قصرها ما أبدعته قريحة علية من الشعر وما صاغته من الألحان

وفى إحدى ليالى الربيع وقد نشر البدر أشعته الفضية على بغداد وجنانها وساد المدينة الهدوء وأطفئت أنوار دار الخلافة وأمير المؤمنين على فراشه يتململ تململ السليم . يطلب النوم فلا يجده ؛ وتوالت عليه الهواجس والأفكار فضاق صدره؛ بل ضاق به دار الخلد ؛ فخرج إلى حدائقه الغناء يتنقل من محل إلى آخر لينفس غمه ويزيل همه . ولكن السرور لم يجد إلى قلبه سبيلاً ؛ كأنه لم يشعر بما حوله من الأزهار والرياحين ؛ وما يحف به من الحور العين ؛ ترك القصر واتجه إلى قصر أخته « علية » هرع الخدم إلى الأميرة يعلمونها بقدوم أمير المؤمنين ؛ فأسرعت الأخت إلى أخيها ؛ وهى تعلم أن مجيئه فى مثل هذه الساعة ؛ ومن غير ميعاد ؛ لم يكن إلا لأمر أصابه أو هم أقلقه . وعلية أدرى الناس بمعالجة أخيها — كيف لا ؟ وهى أميرة الشعر والطرب .

جلس الرشيد فى الشرفة المطلة على دجلة . وأمرت علية جواريها أن يلبسن أنواع الثياب المزركشة ؛ ورصعت رؤوسهن بالعصائب الحريرية المكللة بالدرر والجواهر ؛ وأخذن معازفهن وجلسن قريباً من أمير المؤمنين واندفعت تغنى أبياتاً من نظمها وتلحينها والجوارى يرددن الغناء :

فرِّجوا كربى قليلاً فلقد صرت نحيلاً
افعلوا فى أمر مشغو ف بكم فعلاً جميلاً

فالشعر من نظمها ؛ واللحن من وضعها ؛ والصوت من قلبها وما خرج من القلب حل فى القلب ؛ فتغلغلت النغمات فى أعماق قلب الرشيد ودافعت الهموم ، فسر بذلك وابتسم فابتسمت الدنيا لعلية ؛ إذ أنها فرجت عن أخيها ؛ واستزادها فغنت من نظمها :

أوقعت قلبى فى الهوى ونجوت منه سالمه
وبدأتنى بالوصل ثم قطعت وصلى ظالمه
توبى فانك عالمه أولا فانك آثمه

فطرب الرشيد طربا شديداً . ثم استدناها منه وأخذ يتحدث معها عما كان به من الهم : وأمرت علية إحدى جواريها فغنت من أصوات سيدتها :

قل لذى الطرة والأصداغ والوجه المليح
ولمن أشعل نار الحب فى قلب قريح
ما صحيح عملت عيناك فيه بصحيح

وغنت جارية ثانية :

ألبس الماء المداما واسقنى حتى أناما
وافض جودك فى النا س تكن فيهم إماما
لعن الله أخا البخل وإن صلى وصاما

وبقى الرشيد عند أخته يستزيدها من الأصوات فتغنيه هى وجواريها حتى أذن المؤذن يدعو الناس إلى ذكر الله وإلى الصلاة فلبى الرشيد داعى الله ونهضت أخته تودعه يحف بها الجوارى والبشر طافح على وجه الخليفة والسرور قد ملأ قلبه .

وكانت علية كثيراً ما تباغت أمير المؤمنين فى الأزياء المبتكرة والألحان التى تضعها أو الشعر الذى تجود به قريحتها — وفى أحد الأيام كتبت إليه تستزيره كعادتها — وما كاد يتوسط حديقة القصر حتى رأى أخته تستقبله هى وجواريها بأزياء جديدة مبتكرة وهن يرددن صوتاً من نظم أميرتهم وتلحينها :

تفديك أختك قد حبيت بنعمة لسنا نعد لها الزمان عديلا

إلا الخلود وذاك قربك سيدى لا زال قربك والبقاء طويلا
وحمدت ربى فى إجابة دعوتى ورأيت حمدى عند ذاك قليلا

وكان كثيراً مايستصحبها معه فى سفراته ومنتزهاته، لتشاركه فى أفراحه وتخفف عنه عناء السفر فى أنغامها وأشعارها. خرج مرة إلى الرقة البلدة الجميلة التى كان الرشيد كثيراً ما يرتادها لجمالها وطيب هوائها وكثرة أزهارها وأثمارها، فأحب أن تشاركه أخته بهذا الجمال الفتان فكتب إلى خال المهدى يأمره أن يصحبها معه إليه. وفى طريقها استيقظت صباح يوم على أصوات النواعير. فصغت إلى أنينها يتردد فى ذلك الفضاء الواسع يشارك كل مفؤود ويسلى كل محزون ويخفف أتعاب البائس، ويحرك أشجان الهائم ويذكر الألف بألفه والحبيب بحبيبه، والغريب بوطنه، ويشكو إلى الله ظلم البشر — ولم تكن علية قد سمعت هذا الصوت السحرى الجميل فحرك أشجانها وهيج قلبها، وذكرها ببغداد وما فيها، ففاض الشعر من قلبها واندفعت تغنى على هذا التوقيع الطبيعى:

اشرب وغن على صوت النواعير
ما كنت أعرفها لولا ابن منصور
لولا الرجاء لمن أملت رؤيتــه
ما جزت بغداد فى خوف وتقدير

وصلت الرقة بسلامة وشاركت أخاها الأنس والطرب ثم رجعت إلى دار السلام. ولما سافر الرشيد إلى الرى أمر علية أن ترافقه فوافقته كرهاً، ولم يطب لها الخروج من قصرها جنة الدنيا ونعيمها إلى بلاد لا تعرفها وأناس لا تألفهم، ولما وصل الموكب المرج جلست علية مع الرشيد وكان قلبها معلقاً ببغداد فأظهرت لأخيها شوقها فى شعرها فأنشدته:

ومغترب بالمــرج يبكى لشجوه
وقد غاب عنه المسعدون عن الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه
تنشق يستشفى برائحة الركب

فأمرها الرشيد أن تعود إلى دار أنسها ومرحها.

وكان الناس يتقدمون إليها لتساعدهم فى قضاء حوائجهم عند الرشيد، شفاعتها عنده مقبولة، وكتبها لا ترد، وقاصدها لا يخيب، وكيف يردها وهى تخاطبه بلسان الشوق وتعبر له بأعذب الألحان.

أما تعلق «زبيدة» زوج الرشيد بالأميرة علية فكان لا يقل عن تعلق الرشيد بها. تشكو لها كل هم يصيبها وتطلعها على سرها وتستشيرها وتسترشد برأيها الصائب — كما كانت تبث لها شكواها إذا ما رأت جفوة أو إعراضاً من أمير المؤمنين وتستعين بها عليه.

أهدى للرشيد جارية فى غاية الحسن والجمال وعلى جانب من العلم والأدب فأعجب بها الرشيد وقدمها على جواريه. ثم تعدى الأمر إلى أعظم من هذا حيث قدمها على زبيدة، شق الأمر على زبيدة، فقد أفلت «هرون» من يدها، وظهر لها ضرة نافستها وتقدمت عليها — وداء الضرائر معروف وجد مع تعدد الزوجات فلايغيظ المرأة أحد بقدر ضرتها «فالضرة مرة ولو كانت جرة» ولكن ما العمل والجارية قد احتلت مكان زبيدة وملأ حبها قلب هرون.

كتبت زبيدة إلى بنت عمها تستزيرها، ولما حضرت عندها عرضت عليها أمرها وشكت ما تقاسيه من مرارة العيش منذ وجدت هذه الضرة وطلبت معونتها فقالت علية: «لا يهولنك هذا الأمر والله لأردنه إليك».

نظمت عُلية أبياتاً. وصاغت فيها لحناً وجمعت جواريها وجوارى زبيدة عندها وأمرتهن أن يلبسن أفخر ثيابهن ويأخذن أجمل حلاهن، وكللت رؤوسهن بالأزهار والرياحين. وعطرتهن بالطيب والغالية، وطرحت عليهن اللحن حتى أتقنه. انتشر الجوارى بين أشجار جنائن الخلد وأزهارها، ولما كان وقت العصر خرج الرشيد للصلاة فى مسجد قصر الخلافة، وما كاد يتوسط القصر حتى باغته الجوارى وكأنهن حوريات أفلتن من الجنة، بأيديهن المعازف يتقدمهن عُلية وزبيدة، وهن يرددن بصوت واحد:

منفصل عنى وما قلبى عنــه منفصل
ياقاطعى قل لى: لمن نويت غيرى أن تصل؟

فطرب الرشيد غاية الطرب وتقدم إلى زبيدة وأخذ بيدها واعتذر منها ، ونادى يامسرور لا تبقين فى بيت المال درهما إلا نثرته على الجوارى . فيقال إنه نثر عليهن ستة ملايين درهم ولم يشاهد الرشيد فى يوم مسروراً كسروره فى هذا اليوم . عادت المياه إلى مجاريها وكفى الله زبيدة داء الضرائر بفضل علية . فسبحان محول القلوب !!.

قلما تصفو الدنيا الغدارة لأحد فهى لا تلبث أن تبدل الصفو بالكدر ، والسرور بالقهر ، والفرح بالحزن ، والهناء بالعزاء ، تضحك اليوم وتبكى غداً ، وتعطى هذا وتحرم ذاك .

وبينما علية فى شرف قصرها ، تطل على القاصدين لدار الخلافة ترقب عودة أخيها الرشيد من « طوس » رأت حركة منكرة فى دار الخلد ، واضطرابا فى القصر بل فى بغداد أجمع ، فقد اجتمع الأمراء والولاة والقضاة وأرباب الحكم على اختلاف طبقاتهم بثياب العزاء فتفرست بهم فإذا بوجوههم عانية ، وقلوبهم خافقة ، وعيونهم دامعة ، وألسنتهم خرس . لا تقدر أن تعبر عن هول المصيبة التى حلت بأمير المؤمنين ، والرزء الذى أصاب العرب والمسلمين :— ان أمير المؤمنين الرشيد قد قضى نحبه فى طوس — اسودت الدنيا بعين علية وضاق بها القصر الواسع فقد فجعت بأخيها أمير المؤمنين الرشيد أعظم خليفة أظهر للعالم عظمة العرب والاسلام ، وأنفق فى سبيل العلم والعمران مايعجز عنه غيره — وكانت عاقبة هذا الداهل الذى خضعت له ملوك الأرض ، ودانت له الأمم ، وانقادت إليه الشعوب صاغرة ، أن أدلى فى لحده وأهيل عليه التراب بعيداً عن عاصمة ملكه . فقد ضن عليه الزمن أن يدفن فى دار السلام ، المدينة التى جعلها كعبة العلم والأدب والفن ، بل عز على بغداد أن ترى الرشيد ميتاً يغيب فى لحودها بعد أن زانها حياً وجعلها سيدة البلاد .

رفعت المعازف . وبحت الحناجر وساد الهدوء والخشوع فى قصر علية فلا يسمع إلا صوت المؤذن وقراءة القرآن ، ولا ترى علية إلا فى محرابها تصلى ، أو بكتابها تقرأ ، أو تندب أخاها ، أو تنتقل فى خمائل قصرها تطلب العزلة لتخفف عنها أحزانها .

عز على الأمين أن يرى أميرة الشعر والطرب وهزار بنى العباس على هذه الحالة المؤلمة فكان يتردد إلى زيارتها كثيراً ويدعوها إلى قصره . والحزن لا يجد قراراً فى قلب شب على الشعر والأدب والعزف والطرب فلم تلبث أن وافقت الأمين فى لهوه ومرحه .

علية اليوم قد ذهب نور شبابها ، واشتعل الشيب فى رأسها ، وتغيرت نبرات صوتها ، ولكن نفسها لم تشب ، بل بقيت نفساً طاهرة ، تحب الجمال ، وتسمع الصوت الجميل ، وتعشق كل جميل ، ومازالت هذه الزهرة تذبل حتى ذوت وفارقت الدنيا سنة ٢١٠ هـ وقد مضى عليها خمسون ربيعاً .

وفى صبيحة يوم رأى أهل بغداد أمير المؤمنين المأمون يسير خاشعاً أمام نعش مهيب يحف به الأمراء والوزراء والعلماء ، تحف به أهل بغداد ، وقف النعش على مقابر قريش وصلى عليه الخليفة ، وأدليت جثة علية ودفنت درة بنى العباس فى هذا التراب .

للحديث بقية

سعيد الديوه جى

النابغون فى أوطانهم

للأستاذ محمود عزت عرفه

كما تتوارى هذه الشمس فى النهار المدجن خلف كسف من السحاب مركوم فلايفتأ ينم عليها ساطع من سناها ، يوشى أطراف السحابة بلألائه ، ويكاد ينبثق على جنباتها انبثاقا .. كذلك تستكن العبقريات النواشىء فى زوايا بعض النفوس غير منفكة عن إرسال أقباسها الدالة عليها ، فى سدفة هذا الظلام المكتنف صاحبها ، من فقر أو ضعف ، أو اتضاع شأن أو بكورة سن ، أو غير ذلك من سائر هذه المعوقات التى تؤخر تجلى المواهب ، وتعلأ السبيل إلى المجد بالشوك والصخور . .

ولهذه النباهة التى تهبط على الخاملين فجأة دلائل وإرهاصات قل من يدركها فى حينها ؛ لكن قل أيضاً من لايعجب لنفسه كيف فاته أن يدركها فى ذلك الحين ! ومن هنا كان المرتقى أمام العصاميين شاقا طويل المدى ، لايكاد يوفى على غايته منهم إلا كل صافى الجوهر فى العبقرية ، قوى المنة على مواجهة مصاعب الحياة ومقارعة أحداثها . .

والعصامى محروم — أول أمره — مما يستند إليه الناس عادة من سالف الحرمة أو سابقة الفضل ؛ وهو ماقى بالكيد منكوب بالمعارضة ، موزع جهده بين التقدم تارة ودفع التعويق تارات ، مقسومة قواه بين البناء من جانب وتوقى الانهيار من آخر ...

وأغرى الناس بمنابذته وأشدهم بأساً فى مضارته ، هم أدناهم إليه مكانا ، وألصقهم به وشيجة ونسباً .. من أهل بلده وذوى قرباه ، ومن رصفائه وأنداده الذين يشركونه فى سن أو عمل ، أو نزعة واتجاه .

وكأنما يعجب هؤلاء لفرد من أوساطهم ، أو من أدانيهم ، يسمو إلى منزلة لم يروه من قبل لها أهلا ، ويبلغ من جاه الحياة أو من تراثها حظا لم يقدروا له أن يبلغه . وما أشد تقتير الناس فى تقديرهم .

فلا غرو — وهذا هو الوضع — أن يكون لأكثر العصاميين ثارات قديمة عند أوطانهم الأولى حيث مرابع طفولتهم ومراتع صباهم .. تلك التى شهدت من بواكير ضرهم وبأسائهم ما لم يشهد سواها ؛ ثم عند مواطنيهم الأقربين فيها ، وهم من ذاقوا على أيديهم أول ماذاقوا من كؤوس الحرمان والأذى ، وتجرعوا أول ماتجرعوا من مرارة التثبيط والجحود . وإنها لثارات وذحول تأبى على أصحابها إلا ترقب العودة إلى هذه الأوطان فى مواكب النصر بعد أن فصلوا عنها فى ركاب الذل والصغار ...

وليس من محض المصادفة أن نرى شكسبير يأوى فى أخريات أيامه إلى قريته ستافورد أون آفون ، مخلفاً وراءه لندن مبسوطة اليدين نحوه بمزيد من ثروتها وجاهها . ولا مراء فى أن صورة عجيبة المنظر كان يلتمع مرآها فى ذهن الشاعر الكبير وهو يقف على باب قريته كهلا فى سن الخمسين .. صورة لشاب فويق العشرين يتسلل لواذاً من أبواب هذه القرية قبل ثلاثين عاما ، وقد جلله عار السرق وحز فى بدنه وثاق السجن ؛ هو وليم شكسبير نفسه الذى أبى أن يمحو عار ذلك الهرب فى سواد الليل البهيم بغير هذا العود المظفر الكريم فى وضح نهار مشرق سنى ..

وكذلك كان شأن تشارلز دكنز الكاتب الروائى الخالد . فقد أنفق فى قرية شاتهام ستة أعوام من طفولته البائسة جابه خلالها الفقر فى أقبح صوره ، وتجرعه فى أمر طعومه . وكان أعظم مايبهره يوم ذاك قصر « جادز هل » القائم على ربوة فى الطريق بين شاتهام وجرافسند ؛ ولقد طالما داعب أبوه مشاعره بامكان استحواذه على هذا القصر إذا هو جد واجتهد ، وأصبح رجلا ذا شهرة ومجد . ولسنا نعجب لهذه الأمنية وإينالها فى الطموح قدر مانعجب لتشارلز دكنز وهو يعود بعد أربعين حولا فيحققها فى جملتها وفى تفصيلها ؛ بأن يمتلك القصر الجميل

بما فيه ، ويقضى فى رحابه ختام أيام حياته وأطيبها . ولقد طوف دكنز فى مدائن إنجلترا وقراها ماطوف ، وحظى بطيب المقام ولذاذة التكريم فى سويسرا وأمريكا وسواهما من البلدان . . فلم تكن بقعة واحدة فى جنبات هذا العالم الفسيح لتستهوى نفسه بمثل ما استهواها ذلك المكان الذى شهد مذلته وضيمه ، فأبت عليه نفسه إلا أن يشهده - بعد حين - مجده وعزته ونماءه .

على أن لورد بيرون لم يحظ بما حظى به صاحباه من هذا الشعور الجميل .. شعور التغلب على مصاعب الحياة ، والانتصار على الزمن وأهله فى نفس المكان الذى تسجلت به الهزيمة السابقة [١] ، فقد غلب الموت هذا الشاعر على أعز أمانيه ، وراح يجود بآخر أنفاسه فى ميسولونجى من أرض يونان وهو يتمتم فى مرارة بكلمته الباقية : لست أخاف الموت ... ولكنى أتساءل لماذا لم أذهب إلى إنجلترا قبل مقدمى إلى هذا البلد ! !

* * *

ونحن إذ ننتقل فنتصفح سجل الأدب العربى نرى الأصمعى - راوية البصرة - أحد من دُهُوا بعنت الأقربين ، ومنوا بكيد الأكفاء . فقد نشأ بالبصرة مقلاً رقيق الحال إلا من ذكاء مفرط ونفس وثابة طموح .

وكان مايلقاه من شيخه عطاء بن مصعب - وقد تفتحت على يديه أزاهير عبقريته - أمراً رائعا عظيما . بلغه يوماً أن الأصمعى اتخذ حلقة ، واجتمعت إليه فيها جماعة ، فغاظه ذلك . ولما فرغ من حلقته استتبع أصحابه فقال : مروا بنا إلى ظاهر البصرة ! . . قال راوى الحديث [٢] : فخرجنا حتى مررنا بشيخ معه أعنز يرعاهن وعليه جبة صوف : فقال له : يا قريب . فقال : لبيك ! قل : مافعل ابنك الأصمعى ؟ فقال : هو عندكم بالبصرة فقال : هذا أبو الأصمعى لئلا تقول غداً إنه من بنى هاشم ! !

ويذكر القاضى التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) قصة الأصمعى مع أحد البقالين على باب بيته بالبصرة ، وما كان يعيره به من الفقر ، وينعيه عليه من انصرافه عن طلب المجدى من شئون العيش ، حتى قال له مرة : يا هذا اقبل وصيتى . أنت شاب فلا تضيع نفسك ، واطلب معاشاً يعود عليك نفعه ، وأعطنى جميع ما عندك من الكتب أطرحها فى هذا الدن وأصب عليه من الماء للعشرة أربعة ، وأنبذه ، وانظر مايكون منه .

على أن ضائقة الأصمعى تفرجت بعد حين ؛ وأقبلت الدنيا عليه حتى أوطأته بساط الرشيد ، فاستفاضت هنالك شهرته ، وأثرى من مال ومن جاه . وكان من أكبر همه يوم ذاك أن يلم بموطن صباه ، فترفق فى استئذان الرشيد حتى أذن له ، وكتب إلى والى البصرة باكرامه والتحفى به . . قال الأصمعى [١] : فلما كان فى اليوم الثالث تأملت أصاغر من جاءنى ، فاذا البقال وعليه عمامة وسخة ، فقال : كيف أنت ياعبد الملك ؟ فاستضحكت من حماقته وخطابه لى بما كان يخاطبنى به الرشيد . فقلت : بخير ، وقد قبلت وصيتك وجمعت ماعندى من كتب العلم ، وطرحتها فى الدن فخرج ماترى ...

* * *

على أن هـذه الذكريات « الشقية » التى تربط الإنسان بموطنه الأول ليست مما يطيف بحياة كل نابتة قلقت فى البلاد ركابه بل ربما كانوا يتخذون الرحلة عن الوطن الأثير الكريم - باباً إلى التقدم فى الحياة ، ووسيلة إلى تحقيق كرائم الغايات فيها : من إحراز مال وجاه ، أو جمع معارف وعلوم ، أو تقويم طبائع مستخذية وشحذ همم كليلة . وقد كان من مواطن العجب عند القوم - ولا يزال - أن يروج أمر من لاينفك حلس بيته ، وأن يحرز معالى الأمور من لم تنهض به همته إلى التغرب فى طلابها [٢] . فليس كل مغترب إذن طريد وطنه أو ضحية ظلم

(١) من طرائف ماقرأت أن الألمان وقعوا الهدنة التى فرضوها على الفرنسيين عام ١٩٤٠ م فى نفس المكان من غابة كومبيات ، بل وفى مركبة القطار ذاتها ، التى وقعوا بها شروط الهدنة المفروضة عليهم فى عام ١٩١٨ (! !)

(٢) انظر ترجمة عطاء بن مصعب فى معجم الأدباء لياقوت

(١) الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى : الفصل السابع : فيمن استنقذ من كرب وضيق خناق ، باحدى حالتى عمد أو اتفاق .

(٢) قال ابن خلكان فى تاريخه ، عند الترجمة لشرف الدين أحمد ابن كمال الدين الأربلى : كان اشتغال شرف الدين المذكور على أبيه بالموصل ، ولم يتغرب لأجل الاشتغال ، وكان الفقهاء يقولون : نعجب منه كيف اشتغل فى وطنه وبين أهله ، وفى عزه واشتغاله بالدنيا ، وخرج منه ماخرج ؟ انتهى .

مواطنيه ، وإنما قد يفارق وطنه وأهله من لايزال يحن إلى سالف سعادته هنالك حنين النيب إلى أعطانها ، وقد يبلغ إلحاح هـذه الذكريات السعيدة على النفس حداً تفوق به شقى الذكريات وما تدفع إليه من رغبة التشفى وتذوق حلاوة الانتصار ، مما ضربنا له الأمثال آنفا .

وكان طاهر بن الحسين الخزاعى ، قائد الخليفة المأمون والملقب بذى اليمينين ، أحد من أضناهم هـذا الشعور الأخير .. شعور الحنين إلى الوطن وتعلق النفس بذكريات سعيدة فيه — حتى لتنغص عليه من سروره الحاضر وسعادته المستأنفة .

قال له بعض جلسائه يوما وقد بلغ من الجاه فى دولة المأمون ما بلغ : ليهنك ما أدركته من هذه المنزلة التى لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان . فأجاب طاهر : ليس يهنيني ذلك ، لأنى لا أرى عجائز « بوشنج » يتطلعن إلىّ من أعالى سطوحهن ..

وإنما يقول ذلك لأنه ولد ببوشنج وبهـا نشأ ، وكان جده عليها حاكما . وممن اجتمع لهم شقى الذكريات وسعيدها ، فحدا بهم إلى أوطانهم حاديان ، وتمهد أمامهم نحوها سبيلان مهيعان — نبينا محمـد عليه أفضل الصلوات .. ففى مكة نشأ وتربى ملحوظا بعناية من ربه ، كريماً على نفسه وعلى قومه ، يظله من قبيلته أرفع لواء ويكنه فيها أشرف بيت ؛ وفى مكة أيضاً لقى الإعراضَ والأذى من قريش صنوفا . فيها لقب الصادق الأمين حقا وإنصافا ، ثم وسم بالشاعر والكذاب بغياً وإسرافا .

فليس عجيباً بعد هذا أن يكون حنينه إلى مكة قويا بليغاً يؤرثه شوق غلاب إلى عهود هنالك كريمة ومشاهد محببة أثيرة ، وأن ينضاف إلى هذا الحنين شعور آخر قوى بالرغبة فى مجابهة هؤلاء القوم الذين أخرجوه من داره مجابهةً يزلزل بها عقائدهم الملتوية ، ويزيل بها تلك الغشاوة التى رانت على أعينهم ، فيعرفوا قدر دينهم فى الأديان ، ومنزلة رسولهم بين رسل الله المكرمين : «قيل ادخل الجنة ، قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين» .

ومن علائم الشعور الأول ما كان من شأنه صلى الله عليه وسلم يوم قدم عليه أصيل الخزاعى من مكة فقال له : يا أصيل ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أجحش ثمامها وأمشر سلمها وأعذق إذخرها . فجاش صدره الطاهر بأرق الحنين وأحر الاشتياق ، ثم غمغم يقول : دع القلوب تقر ![1]

☆ ☆ ☆

ألا لله ما أحلى العز والكرامة فى أرض الوطن ! فلمثلهما يتجرع العقلاء كؤوس الذل والمهانة مغتربين . يقتحمون مشاق التطواف طلباً لدعة المقام ، ويقتعدون ظهور المعاطب التماساً لمواطئ النجاة ومهابط الأمن والسلامة :

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ... ولم تدر أنى للمقام أطوّف
رب خفض تحت السرى، وغناء ... من عناء، ونضرة من شحوب!

وليس يحس قدر هذه النعمة إلا كبار النفوس ممن يغالبون الأيام فيقتلون أو يُقتلون ، ويشربون كؤوس الحياة من أرى وشرى حتى الثمالة ... ولعل فى رأس القائمة من هؤلاء كافى الكفاة الصاحب بن عباد — وزير آل بويه — قال القاضى الجرجانى فى بعض حديث له عنه : إن الصاحب يقسم لى من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بى وتواضعه لى فقال :

أكرمْ أخاك بأرضِ مولده ... وأمدَّه من فعلك الحسن
فالعـز مطلوب وملتمسٌ ... وأعزّه ما نِيلَ فى الوطن

ثم قال : لقد فرغتَ من هـذا المعنى فى العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولى :

وشيدتُ مجدى بين قومى فلم أقلْ ... ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : ياليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين .

للكلام بقية

محمود عزت عرفه

المدرس بقوص الأميرية

---

(١) وفى أمالى القالى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع بلالا ينشد هذا البيت :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى إذخر وجليل

فقال : حننت يا ابن السوداء !

امرأة وشيطان

للأستاذ علي محمود طه

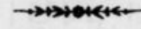
[من إحدى قصائد ديوان
الشوق العائد الذي يصدر قريباً]

ودنا الليل ورنَّت صدحةٌ نبَّهته حين لا يبغى انتباها
وإذا مقصورةٌ من حوله خالها تنبضُ بالروح دماها
وقفتْ غانيةٌ في بابها
قد تعرَّتْ غيرَ فضلٍ من حُلاها
ثم نادت : يا « أحبايَ انهضوا
واغنموا الليلة حتى منتهاها »
وتلاشى الصوتُ لا رجعَ صدًى
لا ولا ثمَّ مجيبٌ لنداها
فعرتها رِعدةٌ ، فالتفتتْ ، فرأته ، فتلقاها وِجاها
أبصرتْ وجهاً كوجه المسخ لم
يتقنَّع ، شاه هذا الوجهُ شاها
ورأتْ كفَّيه يندى منهما أرجُ الزهرْ فأجَّت نظرتاها
عرفتْ ما اجترحته يدُهُ أو لا يعرفُ من داسَ حماها ؟
يالهذا المسخ ! دوَّتْ ومشتْ صيحةٌ يُنذر بالويل صداها
فانثنى الشيطانُ عنها صارخاً أتُراها تتحدى ؟ مَن تُراها ؟
فبدتْ في شفتيها آيةٌ
من مُبينِ السِّحر ، أوما فمحاها
فدنتْ ترمقه فاختلجتْ عينهُ ، حين أشارت بعصاها
بُدِّلتْ تلك العصا جمجمةً زِيعَ لمَّا شرعتْها فاتقاها
هي من مَلْكة جنٍّ من نُصبٍ يخترمْه بالمنايا محجراها
فتنحَّى غاضباً مبتئساً وتنحَّتْ والأسى يُلجِمُ فاها
وسجَى بينهما الصمتُ الذى يتغشَّى الأرض إن خان رداها
والتقتْ عيناهما مستروحاً راحةً من قبلها ما عرفاها
عرفتْ من هو فاستخذتْ له ورأى من هيَ فاستحيا قُواها
قال : أختاه اغفرى لى نظرةً أشبهتْ كلَّ جمالٍ واشتهاها
واغفرى لى شِرَّةً عارمةً في دمي . لو أنا أبي ما أباها
يا لهذا الدمِ ! ما عنصرُهُ ؟ كلُّ ما في النار من وقد لظاها !
فأجابتْ : زهراتي ردُّها إنْ تقلْ حقاً ولا تبغِ أذاها
قال : لا أذكرُ إلا حُلُماً لحظة ضلَّ بها عقلى وتاها
أأنا من تتخطَّى قدمي مسبحَ الشمس فيربدُّ ضحاها
أأنا من يطفئُ النجمَ فمي وأردُّ الأرضَ غرقى في دُجاها
وتمسُّ القممَ الشمَّ يدى فيُرى منحدراً لى مرتقاها
وأجيءُ الأرضَ من محورها فإذا بي يتدانى قُطُباها
أأراني عاجزاً عن دركِ ما تتمنَّى امرأةٌ ؟! عزَّتْ مناها !
آهِ ما أضعفَ سلطاني وما كنتُ إلا بغروري أتباهى !!
قالتِ : الآن سلاماً زائرى
ورضى عنى إن رُمتَ رضاها
أيها الشيطانُ ما أعظمَ ما
قلتَهُ . ما قلتَ لغواً أو سفاها
زهراتى تلك . ما كانت سوى
شهواتِ جسمي الطاغى نماها
قهرتني واستذلتني بها غيرةٌ ينهش قلبي عقرباها
وأنانيةُ أنثى لم تُطِقْ فتنةً تملكه أنثى سواها
قد صنعتَ الحقَّ قد عاقبتَني فارحم المرأةَ في ذُلِّ هواها
فدنا منها فألفتْ وجهَهُ
غيرَ ما كانَ . لقد ألفتْ أخاها !
قرَّبتْ بينهما روحُ الأسى فاجتبتْهُ بعد حقدٍ واجتباها
واستهلَّتْ دمعةٌ من عينها دمعةٌ رفَّتْ وشفَّتْ قطرتاها
ضُمِّنتْ كلَّ عذابٍ وضنًى كلُّ ما في النفس من بثٍّ أساها
ورآها فتندَّتْ عينه رحمةً ، فاحتال يُخفى من بكاها
وبكى الشيطانُ ! يا لامرأةٍ
أبكتِ الشيطانَ لمَّا أنْ رآها ! !

علي محمود طه

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر



يجد الناشىء في مصر اليوم أبواباً مختلفة للدخول إلى الحياة التعليمية . فالوالد يرى أمام عينيه لابنه أنواعاً من المدارس متعددة : المدرسة الإلزامية ، والمدرسة الأولية ، والمدرسة الابتدائية ، ومدرسة تحفيظ القرآن الكريم ، وأخيراً المدرسة الريفية التي ظهرت حديثاً . فإلى أيها يتجه الولد وفي أيها يستمر ؟

وبجانب هذه الحيرة من الوالد تجد السرور من المواطن الذي لم ينظر إلا نظرة سطحية إلى هذه الأنواع الكثيرة من المدارس فسره تعددها معتقداً أن ذلك يفسح المجال أمام الناشىء للسير قدماً في حياته التعليمية وأن التعليم الشعبي في بلادنا قد تدرج في مدارج الرقي وتقدم تقدماً سريعاً في تطوره وتنوعه في سبيل إنشاء جيل جديد مغامر مجاهد في نواحي الحياة المختلفة ، غير أن نظرة أعمق من تلك النظرة السطحية كفيلة بأن توحي إليه بشعور آخر خصوصاً إذا درس تاريخ تلك الأنواع . فهذه المدارس البدائية في التعليم ، لم تنشأ نتيجة تجارب وأبحاث علمية كما هو الحال في غير هذه البلاد ، ولكنها نشأت كما نشأ غيرها أحياناً في مراحل التعليم الأخرى نتيجة أفكار وآراء ارتجالية بحتة من أشخاص واتاهم النفوذ والسلطان ردحاً من الزمن تبين لهم في خلاله شيء من العيب أو النقص في نوع ما من أنواع التعليم ، فلم يفكروا جدياً في إصلاحه وتركوه جانباً يتخبط في عيوبه حيث هو واتجهوا إلى خلق نوع جديد خال كما ظنوا من ذلك العيب أو النقص الذي تبينوه ، وأطلقوا على مولودهم اسماً جديداً ليتميز عن قديم غيرهم . كما حدث أخيراً في المدارس الريفية التي تكاد تطغى الآن على المدارس الإلزامية والأولية . وفي المدارس الثانوية الزراعية ، والتجارية ، والصناعية التي حلت محل المدارس الفنية المتوسطة . وكما حدث قديماً في قيام معهد التربية العالي والابتدائي على أنقاض مدرسة المعلمين العليا والمتوسطة وفي قيام كليات في الأزهر الشريف تناهض دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي ، وكليات الجامعة تتبعها معاهد دينية ثانوية على غرار المدارس الثانوية المدنية تؤهل للكليات الأزهرية ومعاهد ابتدائية دينية على غرار المدارس الابتدائية تؤهل للمعاهد الدينية الثانوية الخ .

وكانت نتيجة وجود هذه التشكيلات المختلفة التي نشأت في دور التعليم أن خرجت جماعات من أبناء البلاد الواحدة مختلفة الثقافات متعددة الشهادات تعمل في مهنة واحدة مما حدا بوزارة المالية أن تكدح شهوراً طوالا في تقدير درجات تلك الوريقات وتقديم ما يستحقه حاملها من مرتبات وعلاوات في مختلف الوظائف الحكومية ، وقامت بين تلك الطوائف المختلفة المشاحنات على ما تستحقه هذه الطائفة أو تلك من مرتبات ودرجات . وياليت الأمر اقتصر على ذلك فانا نجد أن كل وحدة من وحدات الطائفة الواحدة أو كل فئة من فئاتها تتعصب في نفسها لمدرستها وثقافتها عاملة على رفع شأن نفسها على أنقاض الفئة الأخرى مجدة في تأليف النقابات لمناهضة غيرها والفوز عليها مقدمة ذلك كله على الصالح العام المشترك .

خذ لذلك مثلا طائفة رجال التعليم والمعلمين وهي تلك الطائفة الكبيرة التي بلغ عددها آلافا مؤلفة والتي كان يجب أن تحمل لواء النهضة في البلاد لمركزها العلمي من جهة ولتغلغلها في القرى والمدن من جهة أخرى إذ تجد منها العشرات في القرية الواحدة موزعين على المدارس الإلزامية والأولية والريفية كما تجد منها المئات في المدينة الواحدة بين جدران المدارس الإبتدائية والثانوية والصناعية والزراعية والتجارية ، هل ترى بين رجالها شيئاً من التآلف والتعاون على الصالح العام في سبيل النهوض بأبناء البلاد ورجال مستقبلها ! وهل تجد تلك الوحدات من رجال التعليم في اقليم ما يجتمعون اجتماعاً جدياً للبحث في حالة التعليم في إقليمهم ؟ انهم مع الأسف لا يجتمعون إلا لتكريم زيد أو بكر الذي سيساعدهم في الحصول على الدرجات والعلاوات .

والأدهى والأمر من ذلك ما تجده في المدرسة الواحدة من تنافر بين الوحدات المختلفة الثقافة المتباينة التفكير ! فقد تجد في المدرسة الواحدة الابتدائية أو الثانوية واحداً أو أكثر من رجال البعثات ، وآخر من خريجي جامعة فؤاد ، وثالثاً من خريجي المعلمين العليا ، ورابعاً من خريجي دار العلوم ، وخامساً من خريجي الجامعة الأزهرية ، وسادساً من خريجي المعلمين الثانوية ، وسابعاً من خريجي الفنون الجميلة العليا ، وثامناً من خريجي الفنون والصنائع ، وتاسعاً من خريجي المعلمين المتوسطة ، وعاشراً من خريجي الفنون التطبيقية ، وغيرهم وغيرهم

من خريجي معهد التربية العليا ، ومعهد التربية الابتدائي ، وحملة البكالوريا وغيرهم ؛ وإني أذكر أنه قد اجتمع لدي لما كنت ناظر لإحدى المدارس الابتدائية تسعة أنواع من هؤلاء ، فكان لا يمر يوم واحد بدون مشاحنة بين بعضهم البعض ، فكيف يظن متفائل أن عدداً من هؤلاء إذا اجتمعوا في مدرسة يمكن لهم أن يتفقوا ويتفاهموا في سبيل صالحها ! فما بالك بما ينشده كل معهد علمي من التضافر والتعاون في سبيل النهوض به وبأبنائه ! إن التعاون في مثل هذه المدرسة مستحيل لأن كل ضعيف من هؤلاء يفكر في الدفاع عن نفسه أو هاجمه غيره وأظهر استهانه لثقافته ، ولأن كل قوى منهم يحاول أن يهاجم غيره ويقلل من أهميته ، ومصلحة التعليم ضائعة بين الكر والفر والهجوم والدفاع ! لا يفكر فيها مفكر وليس الأمر في هذا التنافر قصراً على التعليم وحده ، ولكنه يتعداه إلى غيره من مرافق البلاد الحيوية خصوصاً تلك التي تسيطر عليها عناصر مختلفة الدراسات والثقافات . فهذه الحال نجدها بين رجال القضاء الأهلي والشرعي في المجالس الحسبية خاصة . كما نجدها بين رجال القضاء الشرعي فيما بينهم من طائفتي خريجي الجامعة الأزهرية ، وخريجي مدرسة القضاء الشرعي !

وهذه الحال نجدها بين طوائف المهندسين من خريجي كلية الهندسة وخريجي المدرسة التطبيقية وخريجي الفنون الجميلة العليا وخريجي الفنون والصنائع على النظام القديم والحديث ! ثم إن هذه الحال نفسها نجدها مع الأسف في قادة الرأي والزعماء المشرفين على مصالح البلاد العامة كلها ! فيا له من انقسام وانحلال يكاد يهوي بنا ! وكان للتشعب والتنوع في التعليم الواحد أثره الفعال فيه ! لقد نبهنا من سنين عدة إلى ضرورة رسم سياسة تعليمية عليا توجه التعليم في البلاد توجيهاً صالحاً في سبيل التوحيد والتعاون ولكنا مع الأسف لم نجد سميعاً ! فكان ما نراه من تخاصم وتنافر وتناحر!

وإذا كان اليوم قد تولى أمور التعليم رجل عالم واسع الفكر فإنا نهيب به أن يعمل جاهداً في سبيل الوحدة بوضع التعليم والثقافة في هذا البلد على أسس قويمة تكفل الوحدة وتدفع إلى التعاون والتآزر بدلا من التخاصم والتنافر . إن ثمرة ذلك لا تأتي إلا بعد زمن طويل ولكن الفخر للوزير العامل الذي سيضع إن شاء الله بذور ثقافة موحدة تنمو وتزدهر في مستقبل الأيام وتستمر على مدى الأيام حاملة اسمه في سجل العاملين الخالدين .

عبد الحميد فهمي مطر

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الفأر يختار لنا طعامنا ؟

هل فقدنا وراء جرينا وراء الحقيقة حواس وغرائز زودنا بها الله ؟

يصرح العلم بأننا أضعفنا كثيراً من غرائزنا أو على الأقل سيطرنا عليها فأصبحت لنا قوانين وتقاليد تحكم تصرفاتنا . ويرى خواص الحيوانات مميزات ليست فى الإنسان . وعلى هدى هذه الغرائز يعيش الحيوان فيختار ما يفيده ويرفض ما يضره . ويتصرف بما يقى نوعه .

ومن التجارب التى أجريت أخيراً ما وفق إليه البروفسور رشتار فى أبحاث أجراها على الفيران لاختبار قدرتها الغريزية على اختيار الغذاء المفيد لها فى الحالات المختلفة . فعمد إلى مجموعة من الفيران الكبيرة السن فأطلقها لتشرب كما تشاء من ماء نسبة الملح فيه ٣ ./. ثم أزال غددها التى تعلو الكلى فكانت النتيجة عجيبة إذ شربت الفيران كمية كبيرة من الماء المالح .

وأزال الغدد التى فى العنق فازدادت شهية الفيران إلى المواد الجيرية وغيرها من المواد المعدنية . ثم قسم البروفيسور رشتات وجبات الطعام إلى أكوام نقية من النشويات والزلاليات والدهنيات والفيتامينات ، وزن كل منها محدود . وأعد أيضاً أوعية بسوائل تحتوى الأملاح المختلفة والفيتامينات وزيت كبد الحوت وكل مادة أخرى يراد اختبارها ، فاختارت الفيران وجبات الغذاء اللازمة لها كأن إخصائياً فى التغذية أوصاها بتناولها .

وتناولها مبعضه مرة أخرى فأزال البنكرياس من كل منها فأصبحت معرضة للاصابة بمرض السكر ، فامتنعت الفيران عن تناول أى غذاء فيه سكر أو نشاء ، واستهلكت كميات كبيرة من الدهن تماماً كما يوصى الطبيب مريضه .

وهكذا كلما استأصل منها الطبيب عضواً عوضت الجرذان عمله باختيار الطعام الملائم لها أو امتنعت عن الأغذية التى تضرها .

وكانت فى كل مرة تقدم للبروفيسور رشتار قائمة بالأغذية التى يجوز تناولها والتى لا يجوز .

فهل جرد الإنسان من مثل هذه الغريزة التى ترشده إلى الغذاء الصالح له ؟ لقد عاش الإنسان ملايين السنين معتمداً على حاسة الذوق وحدها فلم يرشده طبيب ولا إخصائى عما يجوز تناوله من الأغذية وما لا يجوز .

إن تقدم العلم وحده حول من وسائلنا وطرقنا فى الحياة فمنع وأجاز بناء على اختبارات ثابتة . ولكنه لم يقل كل كلمته ، ولم يكشف عن كل أسراره . فمنذ مئات السنين عرف الإنسان أن التغذية ليست خبزا وإداما ، بل هى ما فى هذا الخبز والإدام من وحدات حرارية تحرك أجهزة الجسم فرأينا أنفسنا كغلايات وقودها الطعام .

واكتشفت الفيتامينات فعرفنا سراً آخر، وأدركنا أن الأجهزة الإنسانية لا تعمل بالوحدات الحرارية فحسب، بل إن نشاطها ومرضها يعتمدان إلى حد كبير على حيوية هذه المواد التى أطلقنا عليها الحروف الهجائية ، فالاعتماد على اللحم وحده مع وفرة كمياته الحرارية لا يمنع الجسم من الانحلال إن لم تعضده مجموعات الفيتامينات .

فنقص الفيتامينات فى الجسم يؤدى إلى عدة أمراض تبدأ من الالتهابات الجلدية فإن استمر نقصها أوصلت الإنسان إلى الموت ، ولا عبرة فى هذا بوفرة الوحدات الحرارية التى يحتويها غذاء الإنسان فى وجباته . على أنه من الثابت أيضاً أن كمية الوحدات الحرارية التى تنتجها المواد الغذائية ذات أثر كبير فى نشاط الإنسان . فالعامل الذى يشتغل بعضلاته يحتاج إلى كميات طعام أكثر من الموظف الذى يؤدى الأعمال الكتابية .

وتقودنا أبحاث البروفسور رشتار إلى نتيجتين: أولاهما أن يؤدى التوسع فى أبحاثه إلى معرفة دقيقة لأنواع الأغذية الملائمة للأمراض المختلفة مما يساعد الطبيب والمريض على سهولة الشفاء أو توقى المرض .

والثانية هى حاسة التذوق ، فإذا كانت الجرذان بفضل هذه الحاسة تجيد اختيار طعامها فكيف نصقلها فى الإنسان ، وما هو على التدقيق ، فقد ثبت من هذه التجارب أن الجرذان تفضل الغذاء الطبيعى الغنى بالوحدات الحرارية وبالفيتامينات وغيرها من المواد



إيزرهادن

للكاتب الروسى تولستوى

للأستاذ زكى شنوده

انقض إيزرهادن ملك الأشوريين انقضاض الوحش على دولة الملك ليلى، فعذب فيها الناس، وخرب منها المدن، وأطلق فى أطلالها ألسنة النار تأكل ما تبقى من معالمها وأخذ كل من فيها أسرى، وهنالك ذبحهم وأتى بملكهم فى غيابة السجن.

وبينما هو مستلق ذات ليلة فى فراشه يفكر فى أفظع الوسائل لقتل الملك الأسير إذ سمع حفيفاً خفيفاً يقترب منه فرفع عينيه فرأى أمامه شبح رجل طويل القامة أبيض اللحية فى عينيه وداعة وسلام يقترب منه ويهمس فى مسمعه هل حقا تريد أن تقتل ليلى؟

فقال الملك: هذا ما أريد فخبرنى بربك كيف السبيل؟

فقال الكهل: ولكنه أنت!!

قال — أنا من؟

— ليلى

— ويحك هل جننت؟ إن ليلى هو ليلى وأما أنا فهو أنا!

— وهمت ياصاحبى فأنت وليلى كل لايتجزأ.

— ولكن لا أفهم: فها أنذا مستلق على فراش وثير، وحولى الجوارى والغلمان، وغداً سوف أجلس مع صحابى على سماط نأكل حوله الآكال ونشرب الأشربة ونتسارُ ونتسامر كما فعلنا اليوم وكما فعلنا بالأمس. بينما ليلى هنالك ماقى فى سجنه كطائر فى قفص، وغداً يخوزق، ويعلق من لسانه فيظل يتخبط حتى يأخذ روحه الشيطان.

قال الشيخ: ولكنك لن تسلبه الحياة!!

الضرورية للحياة. وهى بهذه الحاسة تدرك من مطالبها أكثر مما يدرك الإنسان.

لماذا لا تحترق الشمس؟

لو كانت الشمس مجموعة عادية من الغازات المحترقة لزالت من عالم الوجود. ولو كانت كية من الفحم المحترق لاستهلكت كيته من قرون مضت. ويعلل العلماء بقاء الشمس إلى الآن بأنها تتكون من غازات مرتفعة الحرارة إلى درجة تمنعها من الإحتراق.

فالاحتراق نوع من التأكسد ونظن عادة أنه يحدث بالحرارة، ومن المحتمل أنه إذا كانت الحرارة شديدة جداً فان التأكسد يمتنع وهذا ماحدث للشمس فعلا. فدرجة حرارة غازاتها مرتفعة جداً إلى حد يمتنع فيه التأكسد والاحتراق.

ويعرف العلماء الذين يدرسون الشمس أن درجات الحرارة المرتفعة تحلل المركبات الكيميائية وتقسمها لعناصرها الأولية المختلفة، ولهذا فان الغازات المكونة للشمس هى خليط آلى من العناصر الأولية. ولا يوجد فيها مركبات كيميائية بتاتاً فان الخلط آلى وليس كيميائياً.

ونحن نعرف أن الشمس تفقد حرارتها التى نستفيد منها، على أن هذه الحرارة تفقد ببطء ينتظر معه أن تعيش عدة بلايين من السنين.

تربية الأسماك

عندما هددت الغواصات الألمانية الشعب الإنجليزى بالجوع كلف معهد الصناعات الكيميائية الامبراطورى السير جون جراهم كر والبروفيسور جروس باجراء التجارب لزيادة المحصول القومى من الأسماك. وأفردت للعالمين بحيرة يجريان فيها تجاربهما فى إحدى خلجان اسكتلندا.

وبعد عدة محاولات نجحا فى تحقيق المطلوب منهما إذ تمكنا من زيادة اخصاب البحيرة بالنترات والفوسفات التى كان يتغذى بها السمك الصغير، وهو الغذاء الطبيعى للأسماك الكبيرة.

وبهذه الطريقة نمت الأسماك بسرعة غريبة فان حجمها ووزنها زاد فى شهر أو شهرين زيادة كبيرة كانت تستلزم ثلاث سنين بطرق التغذية العادية. وكانت النتيجة أن شباك الصيد وجدت فى الأسماك كية وافرة فبلغ وزن بعض الأسماك ٢٠ ضعفاً لوزن مثيلاتها فى العمر.

فوزى الشتوى

— إذن ما رأيك ياشيخي العزيز في الأربعة عشر ألفا من الجنود الذين اقتلعت من حلوقهم الأرواح وصنعت بأجسادهم رابية كجبل الهند . فأين هم الآن ؟ لقد قتلتهم وليس ثمة لهم وجود وها أنذا من أحادثك وتحدثني بترهاتك يا شيخ المخرفين .

— ومن يدريك أن لاوجود لهم ؟

— يدريني أنني لاأراهم الآن وقد أكلتهم بالأمس جوارح الطير أمام عيني .

— وفي هذا كذلك أنت واهم فما فعلت إلا أن قتلت نفسك .

— ربك ألا تدعني أفهم هذا الذي تهذي به ؟

— أو تريد أن تفهم ؟

— نعم .

— إذن تعال . .

وأشار الشيخ إلى طست فيه ماء وقال للملك اجلس فيه ، فنهض الملك من سريره ، وجلس في الطست : وأمسك الشيخ بقارورة تشف عن سائل ، وقال للملك أحن رأسك فأحناه ، فسكب عليه من ذلك السائل فانتفض ثم شعر بأنه إنسان آخر : ورأى نفسه فجأة متكئا على سرير وثير إلى جانب امرأة كاللؤلؤة ما رآها من قبل بل عرف ساعتئذ أنها زوجته . ونهضت المرأة قائلة له أي ليلى زوجي العزيز ، لقد رأيت أعمالك بالأمس متعددة متعقدة ، أنهكت قواك فرحت مع النوم أكثر من كل يوم ، فضع على منكبك الرداء ، وهب يامولاي إلى البهو الأعظم حيث الأمراء والحكماء ينتظرون .

فقام إيزرهادن وقد وقر في نفسه أنه ليلى ، وعجب كيف لم يعرف نفسه من قبل ؟ ! ثم تزيا وتمنطق وتهادى في جلالة الملك إلى البهو الأعظم حيث يسوس مع أعوانه شؤون الناس .

حيا الأمراء ملكهم ليلى وقد عنت منهم الوجوه ، ثم جلسوا بأمره واستهل كبير الوزراء الكلام فقال إنه من المستحيل أن تتغاضى المملكة عن تلك الإهانات الوقحة التي مايفتأ يوجهها إليها الملك المفتون الأحمق إيزرهادن ملك الأشوريين وإن لم يكن ثمة مد من القتال فإنها الحرب

ولكن ليلى انتفض ورفض ، وقال إن الأمور تصرف بالسلام لا بالصدام . وأصدر أوامره بأن يبعث من لدنه رسلا يفاوضون الملك الأهوج إيزرهادن وزود الرسل بما يقولون ويفعلون ، ثم بعث بهم على بركة الله .

وبعد أن نظر الملك ماعليه — في شؤون الملك من عمل خرج يقتنص من لفائف الغاب طرائد الوحوش . فتلك هي صبابته ولذة نفسه منذ كان في أكناف أبيه يافعا ، وما كان أسعده في هذا اليوم إذ صرع بسهمه المراش عجلين من أخل عجول الأحراج . نظر كذلك إلى هذه اللبؤة العرفاء التي جاءت نحوه تتهادى في دلال الإناث وإقبال الأسد ، وعاد الملك بالقنائص طروبا ، وقضى الليل مع ندمائه في قصف ورقص .

وهكذا عاش الملك مقسما بين ضرورات الحكم ومسرات القلب أياما وأسابيع في انتظار عودة الرسل الذين بعث بهم إلى الملك إيزرهادن ، وعاد الرسل بعد شهر ولم تعد معهم أنوفهم ولا آذانهم ، إذ أن الملك ايزرهادن قد أخذها رهينة على أن يقولوا لمليكهم ليلى إن ما حل بهم سيحدث له كذلك إن هو لم يحمل على ظهور المطايا أوساقا من الفضة والذهب والأخشاب الثمينة ويقدمها للملك ايزرهادن ومن خلفها يذهب الملك ليلى بنفسه ويقدم للملك العظيم فروض الولاء

وجمع ليلى أمراءه فتشاوروا ودبروا وقدروا ، وقرروا أن الملك قد أهين ، وبالإجماع أعلنوها حربا على ملك الأشوريين . وعلى رأس جيش يتقد حمية وحماسة كان الملك ليلى يزحف الى عدوه وقضى سبعة أيام يكابد هو وجيشه مشقة السفر ووعثاء الطريق .

وفي اليوم الثامن تقابل الجيشان في بطن واد مكشوف . ويا أكثر ما روع الملك الباسل ليلى إذ رأى جيش غريمه ينهمر كالسيل من أعلى الجبل ويكتسح الوادي بآلاف مؤلفة فدافع ليلى ببضع مئاته دفاع الأبطال .

ولكنه سرعان ما جرح وحمل أسيراً وذهب جيشه من قتيل وأسير وسيق به وبهم إلى نينوى حيث ألقى الملك في كهف مسوج بالقضبان .

ولم يعان الملك ليللى فى هذا الأسر من آلام الجوع وإيلام الجروح كما عانى من آلام الروح : فها هو ذا ملطخا بالخزى والعار لا حول له ولا قوة ، يكابد عذابه وأوصا به شجاعا صابراً لا شاكيا ولا متذمراً .

اثنتا عشر يوما ينتظر الملك الموت وهو يرى فى كل لحظة خلصاءه وندماءه يساقون إلى الذبح كالخراف ولكنه تجمَّل وتحمل وكتم : رأى زوجته التى يحبها كل الحب مغلولة اليدين يسوقها عبدان إلى حيث تلتقى مع جوارى إيزرهادن فسكن وسكت .

وأخيراً صرصرت السلاسل وفتح باب السجن ، ودخل جنديان ، فأنهضا الملك وكبلاه بالحديد وساقاه إلى ساحة الإعدام ، وخلعوا أثواب الملك وزجروه وزجوه إلى حيث الموت ، وحينئذ صاح الملك : إنه الأجل . لا أستطيع . وفقد الملك شجاعته وبكى ، ووقع الملك على أقدام الجلادين يبكى ويسترحم ، ولكن لا سامع ولا مجيب . وشهروا السيف وأرادوا أن يُهووا به على عنقه .

وهنا صاح الملك : هذا لا يمكن . إنه حلم ، ونفض الملك رأسه فعاد كما كان : إيزرهادن .

وقال إيزرهادن : يا إلهى كم قسيت من العذاب . وكم طال هذا الكابوس .

فأجاب الشيخ ذو اللحية : كم طال هذا الكابوس ! ؟ إنه لحظة يا صاحبى دونها غفوة العين ... فهل فهمت الآن ؟

فنظر الملك فى رعب ولم يجب .

فقال الشيخ أرأيت أن ليللى هو أنت ، وأن الجنود الذين عذبتهم وقتلتهم ليسوا أحداً غيرك ؟ إنك تظن أيها الملك أن الحياة تجرى فى عروقك وحدك ، ولكننى أريتك أنك بعمل الشر للآخرين إنما عملته لنفسك لأن الآخرين وأنت شىء واحد ، فالحياة واحدة فى الجميع وإنما حياتك جزء من هذه الحياة العامة وصورة منها مصغرة : وإلا فخبرنى هل يمكنك أن تجعل الحياة أسوأ مما هى أو أحسن مما هى ؟ هل يمكنك أن تمدها حتى تطول ، أو تقبضها حتى تقصر؟ ... كلا فما فى استطاعتك أن تحقق الحياة إلا فى نفسك وذلك بأن تحطم الحواجز بين حياة الآخرين وحياتك ، وبأن تنظر إلى الآخرين النظرة التى تنظرها إلى نفسك وتحبهم كما لو كانوا منك . بهذا تزيد نصيبك فى الحياة ، إنك تنظر إلى حياتك كأنها الحياة الوحيدة فى الكون وتريد أن تزيدها بما تأخذ من حياة الآخرين ، وأنا أقول لك إنه نفس هذا العمل إنما تخطىء فى حق نفسك لأنه مستحيل وفوق قدرتك أن تسلب الحياة التى توجد فى الآخرين . وخطأ أن تظن أن حياة الذين قتلتهم قد اختفت لأنك لا تراها فهى اختفت عن ناظريك فحسب ولكنها لم تختف فى الواقع أبداً ، فالحياة لا تعرف الزمان ولا المكان . حياة لحظة وحياة ألف عام وحياتك أنت وحياة كل الكائنات الكثيرة والمتنوعة فى الوجود ، كل هذا سواء ، وواحد لا يختلف . مستحيل أن تسلب الحياة أو تهبها لأحد . الحياة هى الشىء الوحيد الذى يوجد إلى الأبد ؛ وكل شىء عداها نتخيل أنه موجود وهو وهم باطل .

قال الشيخ هذا واختفى .

وفى الصباح أصدر الملك إيزرهادن أمره باطلاق سراح الملك ليللى وإلغاء كل أحكام الإعدام . وفى الثالث استدعى إليه ابنه آشور بانى بال وتنازل له عن الملك بكل قوته وسطوته .

وأما الملك إيزرهادن فقد خرج إلى الغابات يتأمل فى كل ما عرفه وطاف فى المدن والعساكر يبشر الناس بأن الحياة واحدة خالدة ، وأن الناس إذ يسيئون للغير لأنفسهم لأن غيرهم وأنفسهم واحد خالد .

زكي شنوده
المحامى

الكتب

ضجعة العروس

قصة مصرية

١١٧ صفحة — مطبعة التوكل

الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كنا جماعة فى ندوتنا الأدبية الحرة ؛ وكانت هذه القصة فى يدى ولا أدرى لماذا حملتها وطوفت بها الآفاق . فلفت غلافها نظر صديقنا الدكتور ع . فلم يعجبه العنوان من ناحية تناسب الحروف . لأن الحروف فيه متنافرة ثقيلة ؛ والدكتور رجل دقيق الحس فيما يخص الذوق والجمال .

أما أستاذنا المحامى الكبير « ا . ق » فكان اعتراضه على العنوان من ناحية أخرى ... « ضجعة العروس » ؟؟! ما هذا ؟ إنه عنوان لا يليق .

ولعل العنوان الذى اختاره الدكتور . ع . «رقدة العروس» كان أكثر مناسبة وأقل معترضاً . ولولا أن القضاء سبق فطبع العنوان ولم يبق إلا مجال الاعتراض لا مجال الاختيار والاقتراح .

هذه القصة قصة غرام حطمه الزمان . فأخرجها الأستاذ ابراهيم عز الدين فى ثوب يريك أثر جراحات الزمان وندوبه . وللمؤلف هنا قوة فى التعبير تصور لك المأساة فى أروع صورها حتى ليكاد وصفه كله يقطر بالدماء المتقطرة على مذبح الحياة . لولا ومضات من الفكاهة هنا وهناك تجيء عفواً أحياناً ؛ ويعتملها المؤلف أحياناً ليروح عن قرائه مكدود أثقال الحوادث .

وما أبرع المؤلف وهو يصور لنا — خلال مشاهد الأسى — مشهد المقابر وقد زحمتها جيوش المتسولين والفقهاء الذين يرتلون على قبور الموتى آيات من الذكر الحكيم لا يتبينها السامع لطول ما يلوون بها أشداقهم .

وما أبرعه أيضاً وهو يصور لنا « مأذون الناحية » فى أسلوب يسيل فكاهة ومرحاً . حتى لتكاد تنسى فى تضاعيف الفكاهة المتلاحقة فى هذا الشيخ « سعاد » المسكينة المطوية بعد التمرد فى صفائح القبور .

والقصة مملوءة بالجانب « الحكائى » . وبطل القصة يروى لنا بنفسه ما تعاقب عليه من أحداث الليالى فى أحضان النساء . إلا أن البطلة « سعاد » ظهرت مقتضبة فى القصة فلا تفتح عينك حتى تراها صريعة الجحود والنكران ..

وفى خلال القصص ترى للمؤلف حكم الحياة مبثوثة فى تضاعيف السطور وهى حكم غير مقحمة ولا مجتلبة . ولكنها تصيب الموضع فتجمل وتصيب فى الأذن والقلب مكاناً . وما أصدق المؤلف وهو يقول فى صفحة ٧٤ (إن مركب الحياة تسير وتمخر فى عبابها ... ولن يثنيها عن طريقها صريع مدرج فى كفن أو وليد مدلل فى مهد) .

وعلى الرغم من أسلوب القصة القوى فان فى الكتاب استهتاراً كبيراً باللغة . وما قيمة الأسلوب والعبارة إذا خالفا اللغة ونحوها ؟ أليس من حق اللغة على شباب الكتاب أن يهتموا بها اهتمامهم باختيار العبارات .

ففى صفحة ٧٨ « الكف الندى » والصواب الكف الندية لأن الكف مؤنثه كما ورد :

فلو كفى اليمين بغتك خونا   لأفردت اليمين على الشمال

وفى صفحة ٧٩ « وهم على وشك أن يفجعونه » والصواب يفجعوه بحذف النون .

وفى صفحة ٨٩ « كان الشيخ والمرأة فرسا رهان » والصواب فرسى رهان لأن المثنى ينصب بالياء والنون وهو هنا خبر كان .

وفى صفحة ٩١ « إلى العمل فى رابعة النهار » وليس للنهار ثالثة ولا رابعة . . وانما هى رائعة النهار بالهمزة .

وفى صفحة ٢٩ « كلما أمعن هذا الرجل تحليلا كلما تعقد » . وكلما لا تتكرر فى الجواب بل تحذف. قال تعالى فى سورة الأعراف

آية ٣٧ (كلما دخلت أمة لعنت أختها) . وقال الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثت إلى عريفها يتوسم

وفى صفحة ١٥ « ويفرحن لشقوانا » وليس فى اللغة شقوى بمعنى شقاء والمذكور فى المعاجم الشقاوة والشقوة .

وإنى على ثقة أن الأستاذ الكاتب القوى إبراهيم عز الدين لحاول أن يكمل أسلوبه الفاتن ولوحاته الصادقة « برتوش » النحو واللغة فذلك خير لأدبه وقلمه — والسلام .

محمد عبد الغنى حسن

محمود تيمور

رائد القصة العربية

المعجبون بفن محمود تيمور من الشباب السورى كثير . من هؤلاء الأستاذ نزيه الحكيم مؤلف هـذه الدراسة الأدبية عن القاص المصرى الكبير التى بدأها بعرض تاريخى عن الأسرة التيمورية ومنشئها وولوع بيتها بالعلم والأدب حتى كان أحمد تيمور باشا وكان ابنه الأستاذ محمود يدرج فى أحضان بيت كريم . فإذا شب بدت عليه مخايل النجابة فهو منذ السن المبكرة يؤلف القصص حتى يجود بهذا الفن المدار الذى عرف به فى الشرق وكانت له اليد السابقة عليه فى نهضة القصة العربية الحديثة .

وفى الفصل الثانى من هـذه الدراسة حلل المؤلف الأديب طبع تيمور وسجاياه من حب للخير وهدوء وإنسانية محوضة ظهرت آثارها فى وصفه لطباع الأبطال فى روايتـه وسجاياهم الهادئة وتصوير إنسانيتهم الخيرة الشفافة . ثم تحرّى وجهات فنه وطريقته فى القصة وإيراد الحوادث مما لم ينسحب فيه على آثار غيره ، وإنما جعله طابعاً لفنه معروفاً لا تجثم عليه الواقعية الباهتة ولا تُغربُ حوادثه الأوهام . ثم مضى المؤلف فى تبيان الألوان الفنية التى امتاز بهـا قصص تيمور والمراحل التى تحول فيها أثره من الفن الواقعى إلى التحليل النفسى ومن البيئة الخاصة المحدودة إلى الآفاق المنطلقة البعيدة . كل ذلك أتى عليه الأستاذ نزيه الحكيم بطريقة علمية ونقد تحليلى قويم تـكاد كل كلمة فيه تنزل فى مكانها من المعنى الذى لا يؤدى بغيرها لدقة التعبير الفنى . ثم أتبع هذه المراحل بخروج تيمور من القصة المقروءة إلى القصة التمثيلية وهو أفق أطلق تيمور فيـه جناحى طائر يجيد التدويم . وحين وصل المؤلف إلى أسلوب تيمور بين التحول فيه أيضاً مما كان يعتريه فى سوابق قصصه من لين فى التعبير وانحراف عن مصح اللغة إلى هـذه الحلية الحديثة فى آثاره الأخيرة التى استقامت لغتها وأسلس تعبيرها .

المرأة ومركزها الاجتماعى فى الدولة :

هذا كتاب طريف وظريف . أما طرائفه فلأنه يُعنى بتقديم المرأة عامة والمصرية خاصة بما يسدى اليها من نصح وإرشاد ، ومايختط لها من خطط فى إنهاضها وإصلاحها . وأما ظرفه فلأنه حوار بين فيلسوف وتلميذه الفتى . فالفتى يجنح إلى عداوة المرأة والتنقير فى عيوبها ، والفيلسوف رحيم القلب رحيب الصدر يتخذ للمرأة ألين السبل لتسديد خطاها وإعلاء شأنها ودفع التلوام عنها .

فهذا الـكتاب دعوة مصلح لم يلجأ إلى التنديد والوعيد ورفع العقيرة بالصراخ ، ولاجعل الوسيلة إلى بلوغ غايته من طريق الغيرة الدينية والتزمت ؛ وإنما هو دعوة مطمئنة هادئة تتسرب إلى النفوس بقبول . فـكأن فيها الإيحاء على نحو مايسميه علماء النفس . تقرأ الـكتاب كله أوفصلا منه وتخرج بنفس رضيت عما قرأت ولمست وجه الخير فيه . وقد زانه مؤلفه الأستاذ محمد البندارى بـلُمَع من تاريخ العرب والأمم . وحين كتب فصل المرأة المعاصرة ونهضتها أوفى على الغاية وتناول البحث من جذوره إلى ثماره مؤرخا نهوض المرأة المصرية وأخواتها المجاورات . وجعل آخر كل فصل من فصول كتابه أبياتاً فى معنى الموضوع بعضها جاء سليم النظم واضح المعنى وبعضها بدا ظالع المبنى فهيه المعنى . وكيف اتفق الأمر ففى الـكتاب أدب وحكمة؟ فهل كان اسم صاحبه منتزعا من اسم بندار الشاعر الحكيم القديم .

زكي المحاسني

(طبعت بمطبعة الرســالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٠ — الاثنين ١٢ مارس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 610

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 12 - 3 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المجـــاهد الشهيد !

كنت في الريف ليلة نعي الناعي الزعيم الشهيد أحمد ماهر باشا. وكان من امتحان القدَر لصبري أن يروِّعني هـذا النبأ الفاجع الفاجئ وأنا في وحدة من الناس ووحشة من الطبيعة ، لا أرى ولا أسمع ولا أحس غير وكيف السحاب وزفيف الريح وشفيف البرد ، فأقبع في الغرفة قبوع القنفذ ، وأنشر فكري في معاني هذا الرزء الوطني الفادح ، أسبر غوره ، وأتقصى أطرافه ، فأشعر بثقله كله يبهظ نفسي ويصدع قواي ، فأستكين للجزع وأستسلم للشجون !

ويتمثل لعيني منظر الصريع المسجَّى على فراشه الدامي ، وحوله ابنته وزوجته وإخوته هلعين مشدوهين لا يكادون يصدقون أن هذا الجسد الهامد هو رجلهم الذي تركهم منذ هنيهة وقدرته فوق الأحداث ، وهيبته طي القلوب ، وذكره ملء الأسماع ، وعمله حديث الألسنة ، وأمله سعة الدنيا ، فينفر عني النوم ، ويطول عليَّ الليل ، وتهون في نفسي الحياة !

وفي الصباح الباكر من يوم الأحد كان القرويون يتناقلون النبأ العظيم ، وعلى كل وجه سهوم الحزن ، وفي كل قلب لهيب الحسرة ؛ كأنما وشجت بهم جميعاً قرابة الفقيد ، فمصابهم فيه واحد ، وحزنهم عليه مشترك . وتلك ظاهرة اجتماعية لم يسجلها مرصد التاريخ من قبل أحمد ماهر إلا لسعد زغلول . وتعليل هذه الظاهرة أبين من أن يُبين ؛ فقد كان ماهر كما كان سعد زعيماً شعبياً تألق اسمه في سطور تاريخنا الحديث تألق النجم الهادي ، وتردد ذكره في حوادثه الجُلَّى تردد النشيد الحماسي على أفواه الجند ؛ وكان له ولرفيقه في الجهاد وخليفته في الحكم — أطال الله عمره — من فضل التدبير والتنظيم والفعل ، ما كان لرئيسهما الخالد من فضل التنبيه والتوجيه والقول . ثم كان ظهور سعد للزعامة حين أبطرت الحرب الماضية نفوس الغالبين ، فسطت قوة الغالب على حق الوطن ، وسيطرت إرادة المحتل على رغبة الأمة ، وتطامنت الرءوس فلا ترتفع ، وانعقدت الألسن فلا تنطق ، فتميز واشتهر بشجاعته وكفايته وبلاغته وقدرته . وكان ظهور ماهر للزعامة حين أضلت الحرب الحاضرة عقول الحاكمين والمحكومين ، ففسدت الأخلاق ، وماتت الضمائر ، وتحكمت الشهوات ، وانتهكت الحرمات ، وخست المطامع ، فتميز واشتهر برجولته وصراحته ونزاهته وحزيته .

كلا الزعيمين كان رجل الساعة في وقته ، وحديث الأماني لقومه ؛ ذلك لدعوة الإيقاظ والثورة احتجاجاً على صلح كفر بالعدالة ، وهذا لدعوة الإصلاح والوحدة استعداداً لصلح يؤمن — كما يقولون — بالحق ؛ ومن ثم كان الحزن عليهما حزناً شعبياً أحسه القريب والبعيد ، وأخلص فيه الخصيم والولي .

والحق أن الحزن على الفقيد الشهيد قد غزا القلوب الغُلف

والأكباد السود ، فما ظنك بمن يعرفونه عن كثب ، أو يمتون إليه بسبب ، أو يقرون له بفضل ؟ والإقرار بفضل أحمد ماهر قد بلغ حد الإجماع ، إن لم يكن من جهة كفايته فمن جهة خلقه . والخلق فى الرجل السياسى هو المزية التى تجزى عما عداها ، والثروة التى لا يبلغ العلم والمال والسلطان مداها . وأخلاق أحمد ماهر كانت أخلاق الرجل الذى يعده القدر ليرفع أمته إلى الفوق ويدفعها إلى الأمام . كان أكرم الله مثواه وبرد بالرحمة ثراه ، مؤمناً بما يدعو ، مخلصاً فيما يعمل ، صريحاً فيما يقول ، جريئاً على ما يقدم ، عفيفاً عما لا يحل . وتاريخه كله مصداق لأصالة هذه الصفات النادرة فيه . جاهد فى استقلال بلاده حق جهاده ، ففكر وقدر ، ثم جهز ودبر ، وترصدته العيون ، وانفجرت من حوله المخاطر ، وأشفى به الإقدام على هوة الموت ، فما نكص ولا وهن ولا استكان ، ولم يكن يومئذ للمجاهدين أمل فى منصب ، ولا رجاء فى حكم .

ورأس مجلس النواب فى حكومة الوفد فتجلت خلال الديمقراطية فيه : كان الوفد عنده أصغر الأحزاب حين ينتصف لغيره منه ؛ وكان رئيس الحكومة عنده أضعف النواب حين يطبق (اللائحة) عليه ؛ وكان الدستور قسطاسه المستقيم لا يصدر إلا عنه ولا يرجع إلا إليه .

وتولى المعارضة حيناً من الدهر ، فكان عف اللسان عن الهُجر ، عف الضمير عن الفُجر ، عف الفكر عن المغالطة ، عف النفس عن الخديعة ؛ يعالن بالمخالفة ويعتمد فى إعلانها على الصدق والجد ، ويصارح بالتهمة ويستعين على إثباتها بالحق والمنطق ، وينفرد بالرأى ويجعل له من قوة إيمانه وثبات جنانه السندَ الذى لا يهى والدليل الذى لا يدفع . ومواقفه فى (المجلس) و (القصر) لا تزال عطر الأفواه والأندية ، فلا حاجة إلى ذكرها .

ثم رأس الحكومة ، والخصومة الحزبية على أقبح ما تكون عنفاً وحدَّة ، والأخلاق الاجتماعية على أسوأ ما تكون اعتلالاً وردَّة ، والسياسة الدولية تتمخض عن أحداث جسام ستغير أوضاع الأرض وتبدل أنظمة الحياة ، فساسها بالصراحة والسماحة والحرية والعدل ، فمكّن لكل ذى رأى أن يرى ، ولكل صاحب قلم أن يكتب ؛ ومهد لائتلاف القلوب واتحاد الكلمة بالمسامحة لاستلال ما فى النفوس من سخيمة ، وبالمشاورة لتهوين ما فى المعارضة من خلاف ، وأوشك أن يقول لنفسه : «عدلت فأمنت فنمت يا عمر» ، لولا أن الخوارج لا يزالون أحياء ، وأن أبا لؤلؤة لا يزال له فى مصر أبناء ! وهكذا تجرى تصاريف القدر بما غُيب عن ابن آدم علمه ، فذهب أحمد كما ذهب عمر صريع جنون أو فتنة . ولو كان أحمد أو عمر أو سائر الأسماء العظمى علما على رجل لهان فيه الخطب وتيسر عنه العزاء ، ففى كل ساعة من ساعات الليل والنهار تبتلع القبور ألوفاً من الأنفس فلا يُعقبون فراغاً ولا دهشة ؛ إنما هو عَلم على ثروة ضخمة من الخلق والعلم والمواهب والتجارب عمل فى تكوينها مع الطبيعة الحرة والزمان الطويل عوامل جمة وأحوال مختلفة ، حتى أصبحت قوة فى طاقة الإنسانية وقطعة من ثروة العالم . ففقدها يحدث فى سير الحياة من الخلل ما يحدثه فقد الضرس الصغير فى الدولاب الكبير . ذلك الخلل هو الفراغ الذى يحسه الناس بموت العظيم . وعلى مقدار العظمة يكون اتساع الفراغ . وإن الفراغ الذى أحدثه فى صف القادة مصرع أحمد ماهر فراغ واسع عميق . وكم من فراغ مثله فى نواحى الحياة المصرية أودى الزمن بشاغليه ، ولم يستطع شَغله بأمثالهم ، فاضطرب المسير وأبطأ التقدم .

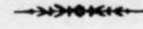
نحن فقراء إلى الرجال ذوى الخلق والكفاية ، وليس لنا وا أسفاه فى توفيرهم حيلة ، لأنهم من صنع الله لا من صنع المدرسة ، ومن أثر الأسرة لا من أثر البيئة . وأمثال الأسرة الماهرية فى الشرق قليلة ؛ أنجبت رجالا تميزوا على نظرائهم بأخلاق الرجولة . شق كل واحد منهم طريقه إلى المجد بنفسه ، ثم ساروا إلى غاياتهم فى طرق متوازية لا تتلاقى . وعهدنا بالأسر الكبيرة إذا سما فرع من فروعها وغلظ تساقه الآخرون كما يتسلق المبلاب جذع النخلة . هم يعملون للمجد أكثر مما يعملون للعيش ، ويبذلون للناس أضعاف ما يبذلون للنفس ؛ فهم فى العظماء لا فى الأغنياء ، وفى معنى السماء لا فى حقيقة الأرض ! فما أجدر هذه الأسرة أن تُدرس لتكون لأسرنا قدوة ! وما أخلق الشباب أن يتخذوا لهم من رجالها أسوة ! وما أحق مصر أن تجزع جزع الثكلى على من يعز الصبر عليه ويستحيل العوض منه !

احمد حسن الزيات

يوحنا الدمشــــقى

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد على



عجيب أمر أولئك المسلمين ! كانت صدورهم والله رحبة أرحب من صدور أهل القرن العشرين . هذا يوحنا الدمشقى "John. of Damascus" أحد آباء الكنيسة اليونانية وأحد كبار القديسين يطعن فى عقيدة المسلمين ويؤلف الكتب فى الرد عليهم ويجادل علماءهم فى صحة دعوى النبى العظيم ، وهو مع ذلك موظف من كبار موظفى بلاط أمير المؤمنين ، ورجل من ذوى الحل والعقد فى دمشق عاصمة خليفة رسول رب العالمين .

عاصر يوحنا الدمشقى أو منصور بن سرجيوس "Sergius" المعروف « بينبوع الذهب » الخلفاء الأمويين وجالسهم وعمل لهم فى دولتهم وكانت له دالة عليهم[١]، كما كانت لوالده «سرجيوس» حرمة فى نفوس العرب ومنزلة انتقلت إلى ابنه من بعده . كان سرجيوس هذا من الموظفين المشهورين فى العهد البيزنطى ومستشاراً مالياً معروفاً ، شهد الفتح الإسلامى لسورية وظل محافظاً على منصبه هذا حتى فى الإسلام[٢] . ولعله كان موظفاً فى عهد عبد الملك بن مروان[٣] .

أما ولده يوحنا فلقد كان من المقربين إلى الخليفة يزيد بن معاوية والأثيرين عنده . ولما توفى والده خلفه فى منصبه المالى الكبير وظل فى هذه الوظيفة حتى خلافة هشام (٧٢٤ — ٧٤٣) إذ ترك الدنيا والمركز الحكومى معا لينصرف إلى إعداد مايلزم

(١) راجع The Encyclopaedia Britannica 14. ‹d val. 13 p. 102. كذلك كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعى بيروت ١٩٢٤ ص ٢١٧ .

(٢) راجع Hitti., History of the Arabs p, 246 . ولكنه يقول كان جده منصور بن سرجيوس والصحيح أن منصورهو اسم يوحنا العربى وأن سرجيوس هو اسم والده . راجع دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٤ ج ١٣ ص ١٠٢ وما بعدها .

(٣) Becker. Islam Studies val g p 434 .

لحياته الثانية ، الحياة الآخرة فى دير من أديرة فلسطين[١] .

ولم تصرف الوظيفة وجلالها يوحنا عن العلم والكنيسة التى كوّنته وصقلت عقله . بل على العكس من ذلك اتخذ الوظيفة وسيلة للكنيسة والدين . وسيلة يتقرب بوساطتها إلى الرؤساء والزعماء ليخفف من شدة حدتهم إن كانت هنالك حدة ضد المسيحيين عامة وضد الأرثوذكس وضد البيزنطيين على الأخص ، ولذلك كان رسولا سياسيا ودينيا فى بلاط الخليفة فى نفس الوقت[٢] . وقد عرف البيزنطيون ما حصل عليه قديسهم هذا من منزلة فى بلاط « ملك العرب » المسلمين « Saracens » ولا سيما رجال الدين منهم وساسة الحكومة فكلفوه بمهمات صعاب مختلفة ووسطوه لحل مشاكل دولية معقدة . حتى تصوروا أن مركزه فى سورية كان يضاهى مركز الخليفة بدليل إغداقهم عليه الألقاب التى كانوا يلقبون بها عادة خلفاء المسلمين ، ونعتهم إياه بالنعوت التى كانوا ينعتون بها عادة آل أمية ملوك الشام[٣] .

ونال يوحنا من تقدير رجال الدين والكنيسة ما ناله من تقدير الدولة البيزنطية وجماعة الحكومة . نال لقباً عظيما هو لقب « قديس » ولقب بلقب آخر جميل اللفظ والمعنى هو لقب « يوحنا ينبوع الذهب »[٤] وخصصت له الكنيسة الأغريقية يوم ٤ دسمبر ويوم ٦ مايو ليكونا عيدين خاصين بهذا القديس[٥] . الذى برع فى علم المنطق والفلسفة وفى الثقافة اليونانية ، والذى اتخذ من المنطق سلاحا يدافع به عن الكنيسة ، والذى فلسف الكنيسة الشرقية وأخضع المعارف الأغريقية الوثنية لحكم سلطان الدين المسيحى[٦] .

ووهب الله صاحبنا بصراً فى العلوم الزمانية فاق بصره فى العلوم الدينية . برع فى علوم زمانه وتقدم على أقرانه وخلانه . وألف كتابه الشهير المعروف باسم « ينبوع الحكمة » اقتصر فى القسم الأول منه على محاورات أرسطو . وقد جمع العلامة لوكيان

(١) Hitti. p, 246

(٢) Islam Studies vol 1 p, 434 M. 94 449.

(٣) راجع Islam Studies. vol 1 p. 434 وكذلك مباى M. 94 449

(٤) The Encycl Brit. vol 13 p, 102 Harnacks, History of Dogmatroversy, IV p, 322

(٥) دائرة المعارف البريطانية ج ١٣ ص ١٠٢

(٦) Textbook of the History of Philosophy. p. 227

تآليفه اليونانية ونشرها فى « مجموعة الآباء اليونان »[١]. والعلامة الفرنسى « لوكون » Le Quien[٢].

وهو بجملته وتفصيله مرآة صافية للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية فى معلوماتها ومعارفها فى ذلك العهد . وبحكم مقامه فى الخط الأول من خطوط القتال بين الإسلام والنصرانية اضطر إلى دراسة الأسلحة التى شهرها المسلمون على المسيحيين وعلى التنقيب فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول وفى سيرة النبى وأصحابه من الأنصار والمهاجرين لعله يجد نقصاً أو ضعفاً يتخذه هدفاً يهاجمه أو ركناً يبنى عليه خطة هجومه على المسلمين بدون شفقة أو رحمة وهوادة .

بهذه الروح اعتكف يدرس القرآن الكريم والحديث النبوى وهو فى عصر كان فيه أصحاب رسول الله أحياء يرزقون ، حتى إذا ما حفظ القرآن وما شاء من أحاديث انطلق كالأسد يزأر فاتحاً فكيه يريد موضعاً سهلا يغرس فيه أنيابه من جسم المسلمين .

بتلك الروح صار يفلى آيات القرآن الكريم وينبش فى ثنايا أحاديث الرسول وأخبار أصحابه من المهاجرين والأنصار لعله يعثر على ذلك الموضع السهل الذى يهجم منه على الإسلام ، أو يمكن الطعن فيه بسلاح المنطق اليونانى الذى لم يتمرن العرب عليه ولم يكن لهم به خبرة أو إلمام ، والذى صوبه الوثنيون إلى النصارى فمضى مدة فى جسم الكنيسة حتى إذا ماتعلمه رجال الدين استخدموه لمحاربة خصوم الدين . وفى الفصل ١٠١ من رسائله وفصوله (بالآرامية، ميامى) ، وهو الفصل الذى عنونه بهذا العنوان (De Hearesibus) ، وفى مناظراته الكثيرة معلومات غزيرة تدل على اطلاع واسع على تاريخ المسلمين[٣] .

استشهد مثلا فى الفصول التى كتبها دفاعاً عن المسيحية التى كانت تحتضر فى سورية ومصر وفلسطين وفى المناطق العربية الأخرى بآيات من القرآن الكريم وبكثير من الأحاديث لإثبات وجهة نظره ولمناقشة المسلمين بتلك المصادر فى صحة دعواهم على

(١) دائرة المعارف البريطانية جـ ١٣ ص ١٠٢ كذلك الأب لويس شيخو ص ٢١٧ أيضا Migne, Patrol Greac XCIV (424—489)

(٢) Le Quien 2 vol, fal, Paris I 712.

(٣) راجع ميامى o 1335 ff 96 1585 ff 94 M كذلك Islam Studies p, 434 f vol I

طريقة استخدام الكليات والجزئيات والمقدمات والنتائج والحوار والمناظرة .

وبالنظر إلى جهل أبناء دينه بأسباب الجدال الدينى وبالبراهين العلمية المنطقية فإنه وضع لهم كتابا فى المناظرة على طريقة السؤال والجواب على هذا النسق : « إذا سألك العربى كذا فأجبه بكذا وليس بكذا »[١] ، وشدد على إخوانه بوجوب حفظ هذه المحاورة واتباعها حرفيا وشدد فى تحريم مبادرة العربى بالسؤال خوفا من الزلل والوقوع فى مهاوى الضلالة ، ومن الارتباك الذى قد يؤدى إلى تغلب العربى على المسيحى فى النهاية .

وهذه الرسالة حوار (Dialogue) بين عربى مسلم وبين مسيحى جمع فيها أكثر ما كان يدور فى خلده وفى خلد الجدليين من أسئلة ومن أجوبة ومن فروق بين الديانتين . خذ مثلا لذلك ما جاء فى طبيعة المسيح . قال : « إذا سألك العربى ما تقول فى المسيح ؟ فقل له إنه كلمة الله . ثم ليسأل النصرانى المسلم : بم سمى المسيح فى القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشىء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه »[٢]. فإذا أجاب بذلك فاسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة أوغير مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذن كان ولم تكن له كلمة ولاروح، فإن قلت ذلك فسيفحم العربى ، لأن من يرى هذا الرأى زنديق فى نظر المسلمين»[٣].

وفى موضع من مواضع الرسالة يجيب على اعتراض المسلمين على المسيحيين فى قضية عبادة الصليب وتقديسه بقوله : « أنتم تنكرون علينا تقديس الصليب وهو من خشب ، فى حين أنكم تقدسون حجراً أسود هو رأس« أفروديت » «Aphrodite»[٤] . ثم يستمر فيقول : « وتدعون بأنكم إنما تقدسون هذا الحجر الأسود لأن ابراهيم الخليل على زعمكم كان قد اضطجع عليه أو

(١) Islam Studies vol, 1, p, 435 دائرة المعارف البريطانية جـ ١٣ ص ١٠٢ J. Hell, The Arabic Cnlture, p, 75

(٢) سورة النساء آية ١٧٠

(٣) الترجمة نقلا عن كتاب تراث الاسلام جـ ١ ص ٢٤٧ . راجع « أيضاً ميامى ٥ » وكذلك Islam Studies, vol , 1, p, 437

(٤) كان اليونان يزعمون أن العرب كانوا يعبدون إلهين هما « افروديت » و « باخوس » وظن صاحبنا أن الحجر الأسود هو رأس أحدهما وهو افروديت . راجع تاريخ هيرو دوتس M, 94, 769

لأنه ربط به الناقة حينما هم بذبح اسحاق . وتسخرون منا لأننا نقدس الصليب الذى صلب عليه سيدنا عيسى المسيح»[١]، وقوله هذا ظاهر البطلان لم يأت فى القرآن الكريم ولا فى الحديث الشريف[٢]

جاء فى القرآن الكريم : «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا[٣]» وهذا معناه عدم اتفاق وجهة نظر المسلمين مع المسيحيين فى دعوى صلب المسيح . وذهب صاحبنا مذهب المغالطة والجدل الصورى فعمد إلى التفسير وإلى الآية التالية مدعيا بأن فى «ولكن شبه لهم» غموضا تفسره الآية التى بعدها «بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما»[٤] وفى هذه الآية على زعمه من الاعتراف بصحة الصلب والصليب ما لا يخفى .

ثم يقول : «وتدّعون أيضا بأن الذبح ، أى ذبح ابراهيم لإسحاق ، إنما كان فى مكة ، ومكة بلد غير ذى زرع ، وهذا موضع لا ينطبق عليه ما جاء فى التوراة ، وهو كتاب الله ، إذاً فمكة ليست بذلك المكان»[٥]. ومن الأبحاث الأخرى التى تعرض لها هذا القديس مبحث تعدد الزوجات ، وبعد أن ذكر نص الآية التى حددت عدد الزوجات[٦] ، وبعد أن ترجمها ترجمة حرفية[٧] بحث فى الطلاق ، وانتقل إلى زواج النبى بزينب وتطليق زيد لها[٨] ، ثم تحدث عن «التجحيش» بعد الطلاق الثالث[٩] وعن قوله تعالى «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين»[١٠].

وبحث فى قضية عويصة ، هى قضية حرية الإرادة والجبر والاختيار «مشكلة القدر» ، وكانت قضية القدر من أهم المشاكل

(١) Islam Studies, vol 1, p, 437, M. 94, 769
(٢) Islam Studies, p, 437 راجع المصادر الاسلامية
(٣) سورة النساء آية ١٥٦ .
(٤) سورة النساء آية ١٥٧ .
(٥) Islam Studies, vol, 1, p, 437
(٦) راجع سورة النساء آية ٣ .
(٧) راجع وسط مبنى M, 94. 769,
(٨) سورة الأحزاب آية ٣٧ .
(٩) سورة البقرة آية ٢٢٩ .
(١٠) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

التى تعرض لها العصر الأموى لما كان لها من ارتباط بالوضع العام والسياسة فضلا عن الدين .

قسّم يوحنا العالم إلى فريقين : فريق دان بعقيدة «الجبر» والضرورة وهو فريق المسلمين ، وفريق دان بحرية الإرادة أو بالقول «بالاستطاعة» وهو فريق المسيحيين . وبعد أن ذكر أن المسلمين قاطبة كانوا يدينون بعقيدة «القدر خيره وشره من الله» . وذلك على عكس مدلول الكلمة والمعنى الذى خصصت به فيما بعد . قال : «إنهم إذاً بقولهم هذا ينسبون الشر والقبيح إلى الله» . ولماذا ؟. يجيب على هذا الإعتراض بهذه الصورة . «هل يمكن أن يكون الله هو العلة والسبب والفاعل لكل شىء حتى المكروه ؟ يقول المسيحيون لا ، لأن الله لا يمكن أن يكون خالقاً للقبيح أو الشر — إذ يكون حينئذ ظالماً ومن المحال أن ينسب الظلم إلى الله . إن الله جل جلاله يجازى الظالمين والآثمين فكيف يجوز أن يجازى الله شخصاً أمره أن يقوم بعمل فقام به ، أو يكون العقاب فى الدنيا فضلا عن ذلك عقاباً موجهاً ضد إرادة الله تعالى ، فالله أراد أن يكون ذلك الرجل شريراً فأصبح شريراً ومن الحيف إنزال العقاب بشخص لم يكن له فى العمل أى استطاعة أو اختيار»[١].

يقول يوحنا بعد ذلك «وسيتعجب العربى من هذا القول ، وسيقول لك ولكنك أشركت من حيث لا تدرى، وعلى المسيحى أن يجيبه فوراً ولكنك نسبت الظلم إلى الله من حيث لا تدرى . ثم ليباغت المسيحى المسلم بهذا السؤال : من خلق نطفة ولد الزنا فى بطن أمه ؟ سيقول المسلم : الله . وعلى المسيحى أن يرد عليه بقوله : إن الزنا عمل قبيح وهو فى حد ذاته شر ، فالله على قولكم إذاً ساعد على هذا الشر ، وهو أمر لا يليق بالله تعالى»[٢].

ويجيب يوحنا على لسان المسيحى بهذا الجواب «إننا معاشر النصارى نعتقد بأن الله لم يخلق شيئاً بعد أسبوع الخلق الأول . وإنما أمر الله عبيده بعد ذلك بالاستمرار على التكاثر والإنتاج . فجعل فى صلب آدم أبى البشر قدرة الإنتاج وأصبح الإنسان منذ ذلك الحين منتجاً»[٣].

(١) Islam Studies, vol, 1, p, 440
(٢) M, 94, 1590 ff, Journal Asiatige, 57, 397
(٣) M, 94, 1593.

أسرار الشعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ولنقرأ الآن صفحة أشد متعة ، تتعلق بأمر ذى شأن عند الأديب ؛ ذلك هو النقد ، نقد آثاره بنفسه ، ونقد الناس آثاره . والأدباء فى هذا الأمر مختلفون متباينون . فهذا تهيجه الكلمة الواحدة فيثور لأخف نقد ولا يرضى عنه ، وذاك لا يثور ولا يحفل بما قيل . وهؤلاء أناس يستقبلون أروع الآثار بنقد لا نقد فيه . وأولئك يستقبلون أهون الكتب بمدح وتقريظ . وكلٌّ يكتب عن هوى فى نفسه أو غرض لديه فيسف ولا يعلو . ويتجنى ولا يقدِّر ، كل ذلك لغرضه وحاجته ، وقديماً قال الصوفيون « المرض فى الغرض » .

اسمع النقد الذى استقبلت به قصيدة كيتز المساة « آنديميون » Endymion أروع قصيدة لهذا الشاعر ، التى يقولون إنها تحوى أبياتا فرائد من الشعر الانكليزى .

لقد كتب ناقد مجلة Quarterly Revieu يقول : لقد سرق هذا الشاعر أفكار السيد هنت hunt (وهو صحافى وشاعر معروف) وادّعاها لنفسه . ولكنه كان أشد غموضاً منه ، وهو جامد الطبع ينحت من صخر ... »

فما ذا أبقى هذا الشاعر لكيتز ؟ سرّاق أفكار ، وجامد الطبع ينحت من صخر ! لم يبق له شيئا إذ ذاك . ولكن الناقد يمضى ويمضى معه غرضه الذى دفعه إلى هذا النقد الغث ، وتبقى القصيدة وحدها خالدة لروعتها وعظمتها .

وحين أصدر الشاعر الأميركى « ويتمن » ديوانه الخالد « أوراق العشب » قال النقدة عنه إنه مشابه كلام العوام ، مفعم بالحماقات ؛ وتطاول آخرون فقالوا ماليس يُقال .

على أن هذه النّقدات ما أثرت فى الشاعر ولا أبِهَ لها . وظلَّ يعمل حتى أدرك الثالثة والسبعين من عمره . أما كيتز المسكين ، فقد مات فى السادسة والعشرين . وكان من سبب موته يأسه الشديد حين قرأ ذلك النقد السخيف .

شتان بين هذين الشاعرين ! لقد أعرض ويتمن عما قالوه لأنه ليس من النقد فى شىء ، ولأن النقد غير السباب والتعريض . لقد كان عقله ذا سلطان على نفسه . أما كيتز فقد كانت نفسه الرقيقة أعظم من عقله ، فتغلب عليه اليأس ، وأضناه ماسمعه من سباب . وهكذا يكون النقد سبباً للاحياء ويكون أيضاً سبيلا للموت .

هذا النقد الذى قضى على كيتز ، وكاد يقضى على « اندرسن » هو الذى دفع إلى المجد كوبّه ، ولوئيس ، وكلودفارير ، وماترلنك.

ولنعد إلى شاعرنا كيتز . لقد ثار على النقاد جميعاً ، ولا شىء يؤلم حقاً كقراءة هذه الرسالة التى كتبها شلّى بهذا الشأن إلى مدير مجلة « كوريترلى روفيو » يخبره فيها « إن كيتز المسكين قد أُلجىء إلى حالة لا تطاق من جراء تعسف الناقد وسوء تأتيه . لقد سبب له مرضاً أحسب أن الأمل ضعيف فى شفائه منه . ولقد كتبوا إلى أن أولى علامات المرض تحاكى الجنون ، وأنهم جهدوا كثيراً حتى استطاعوا أن يمنعوه من الانتحار . وإلى ذلك فإن آلامه النفسية سببت انفجار وريد دموى فى الرئة . وبدت دلائل السل المعوى لديه » .

فأى نفس ، هذه النفس الرقيقة ؟

والنقّاد فى بعض الأحيان لا يفهمون ولا يقدّرون ، وقد يهرفون بما لايعرفون . ولكنهم ، على كل حال ، يكتبون وينقدون . ربما رفعوا قصيدة لبيت ، وربما خفضوا كتاباً لمقطع ... لقد اتهم النقادُ هاردى طول حياته بأنه كان متشائما . ولكنه لم يحفل بما قالوا ولم يحاول أن يدفع عنه ما نسبوه ولكنه ثار يوماً ، وقد بلغ الرابعة والثمانين من عمره ، عند مانقده ناقد ، فكتب يقول:

وظن يوحنا بأنه قد تغلب على المسلمين بهذا الجواب . وقد ردّد تلميذه ثيودور أبو قرّه الذى عاصر الخلفاء العباسيين هذه النغمة فى الفصول « اليامى بالارامية » التى ألفها فى الرد على اليهود والمسلمين . وكأنك تقرأ فى هذه اليامى النزاع الذى كان بين القدرية والجبرية أو بين المعتزلة والأشاعرة . تقرأ فى الرسالة الأدلة والبراهين التى استعملها المعتزلة فى خصامهم مع الأشاعرة والفرق الأخرى تماماً .

(البقية فى العدد القادم) **جواد على**

الأميرة علية بنت المهدى

١٦٠ – ٢١٠

للأستاذ سعيد الديوه جى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

غناؤها

ورثت هذا الفن الجميل عن أمها مكنونة التى غرست فى نفسها الطرب منذ نعومة أظفارها فشبت مطبوعة على التلحين والغناء والعزف ، ولم تكن علية من المقلدات لغيرها فى هذه الصنعة ، بل إن أشهر المغنين كانوا يسعون إليها ويأخذون عنها . وقد وضعت ثلاثة وسبعين صوتاً ، فكانت من أجمل الأصوات التى يتغنى بها فى العصر العباسى . ذلك لأن الأبيات التى غنتها كانت صادرة عن روحها الشاعرة ، وهى أعلم الناس بمعناها ، فكانت أبدع الناس فى مغناها . ولها بعض الأصوات كان يتغنى بها الكبير والصغير ، والسوقة والأمير ، والعالم والجاهل ؛ وانتشرت بين جميع طبقات الشعب ومنها الصوت التالى وهو من نظم (وضاح اليمن) فى محبوبته (أم البنين) .

حتام نكتم حزننا وإلاما ؟ وعلام نستبقى الدموع علاما؟
إن الذى بى قد تفاقم واعتلى ونما وزاد وأورث الأسقاما
قد أصبحت أم البنين مريضة أخشى بما نقلوا على حماما .

وإن شهرة أخيها إبراهيم فى الغناء كانت مستمدة منها ، لأنها كانت كلما وضعت صوتاً استدعت إبراهيم وألقته عليه حتى يتقنه . ثم تأمره أن يعلم جواريه وجواريها هذه الألحان ، فكان إبراهيم يتولى تعليم الجوارى . وأحدثت علية ميلا كبيراً إلى الفنون الجميلة بين أعضاء الأسرة المالكة ، كانت هى زعيمة الحركة وأخذعنها أخوها إبراهيم وفاق كثيراً من أهل عصره حتى قالوا : « إنه لم يرَ فى جاهلية ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدى وأخته علية وكانت تقدم عليه » كما كان أخوها يعقوب زامراً مشهوراً وأختاها تضربان على العود ضرباً فائقاً .

وقصرها كان أشبه بمدرسة فنون جميلة يتردد فى جوه

« إنى لأدهش من أنه ينبغى أن أذكر الناقد الأديب أمراً هو أول قواعد النقد ، أمراً كان عليه أن يعرفه كما أعرفه . إن أثر المؤلف ينقد ويحكم عليه بالجملة لا بمقاطع مأخوذة عرضاً ربما تعارضت وتباينت ... »

ويتناول تينسون Tennyson مسألة السرقة الأدبية ، فيقول : « وربما صادفوا معنى واحداً عند شاعرين ، فيقولون هذا سارق وذاك مسروق منه ، مع أن العين البشرية تتأمل الأشياء نفسها فى العالم كله ، فمن الطبيعى أن يتلاقى الشعراء ... » ويذكر أن أديباً صينياً كتب إليه ذات يوم يخبره أن بيتين فى شعره وجدهما بألفاظهما ومعانيهما فى قصيدة لشاعر صينى لم تترجم ولم تنقل إلى لغة من اللغات .

ويدلل تينسون على عجز النقاد عن الفهم بقوله :

عرفت عجوزاً ، زوج صياد ، فقدت ولديها فى البحر . فرأيتها فى يوم عاصف تشير بقبضة يدها إلى البحر الهائج وتصيح :

« آه ! تستطيع أن تزأر وتغضب الآن ! فلشد ما أبغض مرآك مظهراً أسنانك البيض .. »

قال : فلو أنى ذكرت ذلك فى قصيدة من قصائدى لنصح لى النقاد أن أصور مجازى تصويراً طبيعياً لا خيالياً » .

ويضرب تينسون مثلا آخر فيقول :

« قمت برحلة إلى ألبيرنه ، وأنا فى العشرين من عمرى . فأعجبت بشلال عظيم يساقط من علو ألف قدم . فكتبت فى كناشتى إنه يتساقط على رود ، كأنه شرع من القماش الناعم الرقيق . »

فلما أخرجت ذلك للناس ، أعلمنى ناقد ، أن هذا القماش الذى شبهت الشرع به هو نسيج يستعملونه فى المسارح ، ليقلدوا الشلال المتساقط ، ثم أضاف « وإن السيد تينسون ليحسن صنعاً إن استوحى الطبيعة ولم يستوح المسارح » .

وبلغ تينسون الذروة من المجد ، وقد يعجب القارئ إذا علم أن أول مجموعة شعرية صدرت له بيع منها خلال سنة كاملة نسختان فقط بعد جهد وإغراء .

* * *

وبعد ، فهذى طرف من الأسرار .. فهل ترى أعذب من الأسرار؟

دمشق صلاح الدين المنجد

ما أبدعته قريحة علية من الشعر ، وما وضعته من الألحان يزينها عزف إبراهيم وأختيه ، ومزمار يعقوب وترديد الجوارى ، كما أنها كانت فى أوقات فراغها تستدعى أخاها تطارحه الألحان أو تأمر الجوارى أن يعرضن أمامها ما أخذنه عنه . وكان الرشيد إذا نظم أبياتاً يبعث بها إلى بلبل بنى العباس فتصوغ لها لحناً وتغنيه بها . أرسل إليها مرة هذين البيتين من نظمه :

يا ربة المنزل بالفرك وربة السلطان والملك
تحرجى بالله من قتلنا لسنا من الديلم والترك

فصاغت فيهما لحناً جميلا . ولما حضر عندها الرشيد أخذت تغنيه هى وإبراهيم أخوها يضرب بالعود ويعقوب يزمر والجوارى يرددن

علمت علية يوماً أن الرشيد قد غضب عليها بوشاية حاسد وهى من أعلم الناس بمعالجته . فنظمت ثلاثة أبيات وعملت لحناً فيها وألقتها على جوارى الرشيد وأمرتهن أن يغنين بها فى أول مجلس يجلسه فغنين :

لو كان يمنع حسن العقل صاحبه من أن يكون له ذنب إلى أحد
كانت علية أبرى الناس كلهم من أن تكافا بسوء آخر الأبد
ما أعجب الشىء ترجوه فتحرمه
قد كنت أحسب أنى قد ملأت يدى

فطرب الرشيد طرباً شديداً ، وسأل الجوارى عن القصة فأخبرنه بها ، فبعث إليها فحضرت فقبل رأسها وسألها أن تغنيه هى ، فأعادته عليه فبكى وقال لها « لا جرم أنى لا أغضب أبداً عليك ما عشت » ، وبلغها يوماً أن الرشيد وأخاه منصور يتحدثان فى جنة دار الخلد ، فاستدعت جاريتها « خلوب » المغنية ، وأمرتها أن تذهب إلى الرشيد وتغنيه هذا الصوت ، وأن يضرب على غنائها بعود :

حيا كما الله خليلىّ إن ميتاً كنت وإن حيا
إن قلتما خيراً ، نخير لكم أو قلتما غيا ، فلا غيا

أما تأثير غنائها فكان عظيما ، ذلك أنها كانت تمتاز برخامة صوتها ، وحسن توقيعها ، وتفننها وإبداعها فى كل ما تضع من الأصوات . دخل يوماً « إسماعيل بن الهادى » على « المأمون » فسمع غناء أذهله ، فقال له المأمون : مالك ؟ قال : قد سمعت ما أذهلنى ، وكنت أكذب أن أرغن الروم يقتل طرباً ، وقد صدقت الآن بذلك . فقال له المأمون : ألا تدرى ما هذا ؟ قال : لا والله . قال : « هذه عمتك علية تلقى على عمك إبرهيم صوتاً » .

شعرها

نشأت علية منذ نعومة أظفارها مطبوعة على قول الشعر ، فشبت متفننة فى قرضه ، وكانت آية فى الفصاحة والبلاغة . وقد ذكر « ابن النديم » أن لها ديوان شعر قد رآه . ولكن أين هذا الديوان ؟ لا شك أن أيدى البلى أبلته كما أودت بصاحبته . يقول الصولى « إنى لا أعرف لخلفاء بنى العباس بنتاً مثلها ، على أن لها شعرا حسناً جدا ، وصنعة فى الغناء حسنة كثيرة » وما وصلنا من أشعارها يدل على أنها صادرة عن قلب شاعر ونفس صافية وقريحة فياضة وروح نشأت على حب الفنون الجميلة ، فكان كل ما صدر عنها جميلا ، ولهذا كان شعرها مما يغنى به فى صدر الدولة العباسية لرقته وانسجامه ووقعه فى النفس . ومما يدل على انطباعها على قول الشعر أنها كانت تعبر فى شعرها عن الكثير من أغراضها حتى المراسلات الخصوصية .

كانت علية جميلة فى صورتها ، جميلة فى نفسها ، جميلة فى صوتها ، تحب الجمال وتألف الجميل ، ففاض هذا الجمال فى شعرها ، فكان لؤلؤا منضودا تزين به تيجان الخلفاء ، ولشعرها وقع فى النفس وروعة فى القلب ، لأنه صادر عن قلب شاعر فياض .

وعلية تقول الشعر لنفسها تعبر به عما يخالجها من الأهواء والنزعات وما يجيش بصدرها من حب وإجلال لأهلها ، وما توحيه الطبيعة من مناظرها الخلابة ، أوما تحدثه فيها الحضارة من التنسيق والترتيب . وهى أصدق شاعرة عبرت فى شعرها عما كانت تعانيه المرأة فى ذلك الوقت من التضييق والإرهاق ، وما كانت تقاسيه من لواعج الشوق والهيام فى سجنها الضيق وأغلالها النادية ، وما كانت تولده هذه من انفجار عظيم تردد صداه بغداد . فالكثيرات هن البائسات اللاتى أجسادهن مكبلة فى القصور وأرواحهن كانت تتمنى القبور :

بتُّ قبل الصباح إن بت إلا فى إزار على فراش حرير
أو يحلْ دون ذاك غلق قصور كم قتيل من الهوى فى القصور ؟

ونجد فى شعرها ما كان يدور بين ربات الخدور من لغات العيون والرموز والإشارات تعبر عما تكنه الصدور من الحب والشوق ولا تقدر الألسن أن تبوح به :

تكاتبنا برمز فى الحضور وإيماء يلوح بلا ستور
سوى مقل تخبر ما عناها بكف النيب فى ورق السطور

أما أشعارها الكثيرة فهى فى العشق والهوى والحب وأسبابه

ووصف حال المحب ودلال المحبوب وظلمه وهجره . وقد أجادت في هذا الباب وأتت بما لم يتهيأ لغيرها من الشاعرات ، بل إن الشعراء أخذوا يقتفون أثرها ويسلكون سبيلها في تعليلاتهم فهي تقول :

ليس خطب الهوى بخطب يسير لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس خطب الهوى يدبر بالرأ ي ولا بالقياس والتدبير
إنما الحب والهوى خطرات محدثات الأمور بعد الأمور

ولعلية غزل رقيق يستهوى القلوب ، وأشعارها في هذا الباب كثيرة منها قولها :

أتانى عنك سبك بى فسبى أليس جرى بفيك اسمى فحسبى
وقولى ما بدا لك أن تقولى فما هذا كله إلا لحبى
فما زال المحب ينال سبا وهجراً ناعماً ومليح عتب
فصارك الرجوع إلى مرادى فما ترجين من تعذيب قلبى
تشاهدت الظنون عليك عندى وعلم الغيب فيها عند ربى

وعلية إذا مدحت فانها تمدح أخاها الرشيد وابنه الأمين ،وهى بهذا تجزل اللفظ وتحكم المعنى وتوفى الممدوح حقه — كيف لا ؟ وهى ما تمدح إلا نفسها فتعبر عما يكنه صدرها لأخيها من الحب والاحترام وما يملأ قلبها من الفخر بآبائها وأجدادها العظام، وإذا زارها الرشيد استقبلته بقولها :

قل للامام ابن الإما م مقال ذى النصح المصيب
لولا قدومك ما انجلى عنا الجليل من الخطوب

ثم تنثنى فتفخر بالأمين سليل بنى العباس ابن زبيدة والرشيد فتقول :

يابن الخلائف والجحاجحة العلى والأكرمين مناسباً وأصولا
والأعظمين إذا العظام تنافسوا بالمكرمات وحصلوا تحصيلا
والقائدين إلى العزيز بأرضه حتى يذل عساكرا وخيولا

وإذا علمت أن الرشيد قد استزار أختها ولم يكتب لها كتبت إليه تعاتبه :

مالى نسيت وقد نودى بأصحابى ؟
وكنت والذكر عندى رائح غادى
أنا الذى لا أطيق الدهر فرقتكم
فرق لى بأبى من طول إبعادى

وإذا ودعت أخاها الرشيد فانها تودعه بشعرهاوقلبها فتقول:

لاحزن إلا دون حزن نالنى يوم الفراق وقدغدوت مودعاً

فاذا الأحبة قد تولت عيرهم وبقيت فردا والهاً متوجعاً

وإذا طالت عليها أيام رمضان وهى مشغولة بصيامها وقيامها تذكرت أيام لهوها ومرحها وحفلاتها التى كانت تقيمها فى قصرها وحنت إلى ذلك بشعرها :

طالت علىّ ليالى الصوم واتصلت
حتى لقد خلتها زادت على العدد
شوقا إلى مجلس يزهو بساكنه أعيذه بجلال الواحد الصمد

وإذا ما رأت تقصيراً من « طغيان » خادمتها أو خيانة من وكيلها « سباع » فانها كانت تهجوهما هجواً لاذعاً مقذعاً لا يخلو من الفحش . ومن أهاجيها الجيلة أنها حضرت حفلة زفاف ورأت مخنثاً قد تزيا بزى النساء وخضب يديه وكحل عينيه ، وحمر شفتيه ، وهو ينقر بالدف ويغنى ويرقص والنساء قد حففن به يصفقن له ويضحكن عليه وهو مسرور بعمله هذا :

ومخنث شهد الزفاف وقبله غنى الجوارى حاسراً ومنقبا
لبس الدلال وقام ينقر دفه نقراً أقر به العيون وأطربا
إن النساء رأينه فعشقنه فشكون شدة مابهن فأ كذبا

وإذا كتبت إلى صديقتها ولم يأتها الجواب كتبت إليها تعاتبها :

ياخلتى وصفيتى وعذابى مالى كتبت فلم يرد جوابى ؟
خنت المواثق؟أم تميت حواسداً يهوين هجرى ؟أم ملات عتابى؟

وإذا جلست فى حفلاتها ولم تجد من تحب وتهوى شعرت بألم الفراق ولوعة الاشتياق زفرت من قلبها :

ياموري الزند قد أعيت قوادحه اقبس إذا شئت من قلبى بمقباس
ماأقبح الناس فى عينى وأسمجهم إذا نظرت ولم أبصرك فى الناس

وإذا طال غياب الرشيد عن عاصمته بغداد وخلت حفلات علية منه شعرت بفراغ واسع ونقص فى سرورها فلا يكمل إلا به كتبت تعاتبه :

هرون ياسؤلى وقيت الردى قلبى بعتب منك مشغول
مازلت منذ خلفتنى فى عمى كأننى فى الناس مخبول

ولعلية قلب ضعيف لايحتمل القهر والهجر ، فكانت تستعين بدموعها فى تخفيف أحزانها وأشجانها وتروح بها عن نفسها وتنفس كربتها :

بليت بقلب ضعيف القوى وعين تضر ولا تنفع
إذا ماذكرت الهوى والتى تحدر من جفنها أربع

وكنت تراها تتنقل فى حدائق قصرها الواسعة ، تمتع نظرها

بأزهارها وأشجارها وتصغي إلى ترديد أطيارها وخرير مياهها وحفيف أشجارها ، فينعكس هذا في نفسها فتردده شعراً ، تقف على الزهرة فتشمها وتناجيها ، وعلى الساقية تردد معها الألحان ، وأمام الحمام تشاركه السجع ، ومع الهزار تشاركه التغريد . ومن أوصافها الجميلة أنها رأت ريحانة تميل مع الريح فمال قلبها إليها فاقتطفتها وقالت :

كأنها من طيبها في يدي … تشم في المحضر أو في المغيب
ريحانة طينتهـــا عنبر … تسقى مع الراح بماء مشوب
عروقها من ذا ، وتسقى بذا ، … ممزوجة بالراح طيباً بطيب
تلك التي هام فؤادي بها … ما إن لدائي غيرها من طبيب

هذا هو الشعر الحقيقي الصادر عن شعور خالص لا أثر فيه للتكلف ولا للمبالغة والتهويل . ولها أبيات معانيها مبتكرة ، وتجري مجرى الأمثال يتناقلها الناس عصراً بعد عصر منها :

رأيت الناس من التي … عليهم نفسه هانا
فزر غباً تزد حبـــاً … وإن جرعت أحزانا

وقولها :

ماينظر الناس إلى المبتلى … وإنما الناس مع العافيه

وقولها :

الحب أول مايكون جهالة … فاذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

عفافها

كانت علية مثالا صالحاً ، وقدوة حسنة للمرأة المسلمة التي تعبد ربها حق عبادته ولا تنسى نصيبها من الدنيا ، ذات صيانة وأدب ، شاركت الشعب في لهوه ومرحه وأناشيده ، وترفعت من مفاسده ورذائله . قال أبو الفرج الأصفهاني : « كانت علية حسنة الدين ، وكانت لاتغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة ، فاذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تلتذ بشيء غير قول الشعر » فعلية كانت ترفه عن نفسها بطرق وأساليب تبتكرها هي ، تدفع بها سأم البطالة والعزلة . فتمرح وتلهو وتلعب دون أن تفقد شيئاً من كرامتها أو أن تتعدى حدود ربها وهي تقول : « ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل عوضاً منه ، فبأي شيء يحتج عاصيه والمنتهك لحرماته » فهي ترى أن أسباب اللهو المباح كثيرة ، ولكن المرأة الضيقة الصدر القليلة العقل ، تتبع كل ناعق ، وتجيب كل داع ، فتقع في شرك التهتك والعصيان . ومما يدل على ثقتها بنفسها واعتدادها بشرفها وطهارة أخلاقها أنها كانت كثيراً ماتقول « اللهم لاتغفر لي حراما أتيته ، ولا عزماً على حرام إن كنت عزمته . وما استغرقني لهو قط ، إلا ذكرت سببي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصرت عنه ، وإن الله ليعلم أني ما كذبت قط ، ولا وعدت وعداً فأخلفته » هـذه هي أخلاق درة بني العباس الفريدة التي أرضت ربها بعبادتها ، وخففت عن نفسها بمرحها العفيف الطاهر.

وهذا ما يجب أن تكون عليه المرأة الصالحة التي تتبع كتاب الله وسنة رسوله « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » « إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، فاعط كل ذي حق حقه »

الموصل — **سعيد الديوه جي**

النابغون فى أوطانهم

حديث عن البحترى

للأستاذ محمود عزت عرفه

[تتمة مانشر فى العدد الماضى]

... وللبحترى فى هذا الشأن حديث عجيب .

فقد كان أحد الذين ارتفعوا بشعرهم من حضيض الجهالة والخمول إلى ذروة النباهة والمجد . ولسنا نجد فى ديوانه على ضخامته مايشير به إلى حياته الأولى فى موطنه « مَنْبِج » (١) سوى ماينص عليه من عداوة بعض أهله له ، برغم مايعود به عليهم — وعلى سواهم — من فضل المال والجاه ، والشفاعة لدى الخلفاء ، ورفد العفاة وفك العانين .. وذلك حيث يقول فى قصيدة له :

.. ومن الأقارب من يُسر بميتتى سفهاً ، وعزُّ حياتهم بحياتى
إن أبقَ أو أهلكْ فقد نلت التى ملأت صدور أقاربى وعداتى
وغَنيتُ نُدمانَ الخلائفِ نابهاً ذكرى ، وناعمة بهم نشواتى
وشفعت فى الأمر الجليل إليهمو بعد الجليل ، فأنجحوا طَـلِباتى
وصنعت فى العرب الصنائع عندهم من رِفْدِ طلاَّبٍ وفك عُناةِ

وحظى البحترى عند المتوكل بأرفع المراتب وأسنى الدرجات فكان شاعره المقرب الأثير لاتندُّ عنه فى الحياة رغبة أو تبعد دونه أمنية .. ولكن شاء القدر مع ذلك ألا تزال نفسه تهفو إلى عَرَض ما ، فكان ينتابه القلق ويساوره الحنين إلى الإلمام بوطنه منبج ، ولا ينفك يهتف بالمتوكل مستحثاً إياه على قصد هذه البلاد كما قصد دونها إقليماً أو غشى موضعاً :

لو كنت أحسد أو أنافس معشراً لحسدت أو نافست أهل الموصل
غشى الربيع ديارهم وغشيتها وكلاكما ذو عارض متهلل
فأضاء منها كل فج مظلم بكما ، وأخصب كل واد ممحل
فتى تخيم بالشآم فيكتسى بلدى نباتاً من نداك المسبل؟!

وكأنما شاء القدر — مرة أخرى — أن يلوح للبحترى بتحقيق أمنيته . فاضطرب حبل الأمور على المتوكل فى سامراء بسبب اتساع نفوذ الأتراك واستفحال خطرهم ؛ ولم يكن ليخضد من شوكتهم فى شىء قتله إيتاخ عام ٢٣٥ هـ ، وكان المدبر لفتنتهم والمتولى كبر هذا الأمر فيهم . فصح عزم المتوكل على تغيير عاصمة خلافته والانحياز إلى دمشق ليكون بنجاة من كيدهم وتطاولهم .. وغدا عليه البحترى — مستحسناً محبذاً — يقول :

.. إن دمشقاً أصبحت جنةً مخضرَّة الروض عَذاة البراق
هواؤها الفضفاض غض الندى وماؤها السلسال عذب المذاق
والدهر طلق بين أكنافها والعيش فيها ذو حواش رقاق
ناظرة نحوك مشتاقةٌ منك إلى القرب ووشك التلاق
وكيف لاتؤثرها بالهوى وصيفها مثل شتاء العراق ؟!

وأنفذ المتوكل عزمه فى عام ٢٤٣ هـ ، فشخص إلى دمشق ونقل إليها دواوين الخلافة ، ووطن نفسه على المقام بها . فلم يكن عجيباً حينذاك أن نسمع البحترى يقول فى قصيدة له ، وكأنما هو يتنفس الصعداء بعد طول اللهفة وفرط الانتظار :

قد رحلنا عن العرا قِ وعن قطبها النكدْ
حبذا العيش فى دمشـ ـقَ إذا ليلها برد !
حيث يُستقبَل الزما نُ ويستحسن البلد
سفرةٌ جدَّدتْ لنا الـ ـلهوَ أيامُه الجدد
عزم الله للخليـ ـفةِ فيه على الرَشدْ

ويقول فى موضع آخر وهو يحاول تحسين الشام فى عين المتوكل ، وحضه على موالاة المقام بدمشق :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا

— ولعله يقصد نفسه بهذا المطرى الوافى بما وعد —

إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن ، وزمان يشبه البلدا
يمسى السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلاوا كفاً خضلا أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا
كأنما القيظ ولىَّ بعد جيئته أو الربيع دنا من بعدما بعدا

.. وذلك ضمن قصيدة فاخرة مطلعها :

العيش فى ليل (داريّا) إذا بردا
والراح نمزجها بالماء من (بردَى)

على أن السياسة ليست شيئاً يخضع لأهواء الشعراء ؛ فما

---

(١) بلدة من أعمال الشام إلى الشمال الشرقى من حلب

تلبث المتوكل بعد استقراره بدمشق إلا ريثما يعد عدته للرجوع إلى سر من را ، بعد أن شغب عليه الأتراك فيها وتحركوا فى طلب أرزاقهم ، وكانوا قد أوجسوا خيفة من انحيازه إلى الشام ، وتوقعوا أن يستعين عليهم بسلطان العرب هناك . . .

عاد المتوكل يزعم أنه استوبأ دمشق ، وفى صدره مما جرى غصة [1] ؛ وانهارت آمال أبى عبادة حتى ليبدو من المفارقات الغريبة أن نراه يهنئ المتوكل بهذا العود ، ويستحسن ماتم من إنفاذه فيقول :

لعمرى لقد آب الخليفةُ جعفرٌ   وفى كل نفس حاجة من قفوله
دعاه الهوى فى سرَّ من رَاء فانكفا   إليها انكفاء الليث تلقاء غيله
على أنها قد كان بُدِّل طيبُها   ورحّل عنها أنسُها برحيله
وإفراطُها فى القبح عند خروجه   كإفراطها فى الحسن عند دخوله
وقد لبست بغدادُ أحسن زيّها   لإقباله ، واستشرفت لعُدُوله
ويثنيه عنها شوقه ونزاعه   إلى عرض صحن الجعفرى وطوله [2]

وقد أصبح قصارى أمل البحترى بعد هذا الحادث أن يلم بموطنه فى زيارات قصيرة خاطفة ، يواكبه فيها من ألطاف الخليفة ومبراته مايرضى غروره ، ويظهر لقومه منزلتــه وجاهه . وإنه ليخاطب المعتز [3] فى ذلك ، وكان من أحظى النـاس عنده ، فيقول :

هل أطلعنَّ على الشآم مبجَّلاً   فى عز دولتك الجديد المونقِ ؟
فأرمَّ خلة ضيعةٍ تصف اسمها   وألمَّ ثمَّ بصبية لى دردق ؟
شهران إن يسرت إذنىَ فيهما   كفلا بألفة شملىَ المتفرق

وإن المعتز ليعرف هذا الشعور من نفس البحترى فيبره ويكرمه ، ويحمله على الجرد العتاق إلى موطنه منبج ، حيث يلقى هنالك أهله ، ويتعرف حال ضيعته (الضائعة) كما يقول. والخليفة يُصحِبه الطرف والهدايا تحملها عشرة من خيل البريد وفيها بدر المال وخلع الديباج ، وجوادان أصيلان : كميت وأبلق وسيف صقيل فى إهدائه تشريف وتنويه . . وفى ذلك يقول أبو عبادة :

تجانف بى نهجَ الشآم وطاعَ لى   عنانٌ إلى أكناف منبج مطلقُ
أسرُّ صديقا أو أسوء ملاحياً   وأنشر آلاء بطولك تنطق
حملتَ على عشرٍ من البرْدِ مركبى   عجالاً عليهن الشكيم المحلق
وأكثرت زادى من بدورٍ تتابعت   لجُودك فيهن اللجيْنُ المطرق
ومنتسبانِ للوجيه ولاحقٍ   كميتٌ يسر الناظرين وأبلق
ومن خلع فازتْ بلبسك فاغتدى   لها أرج من طيب عَرفك يعبق
عليها رداءٌ من حمائل مرهفٍ   صقيل يزلُّ الطرفُ عنه فيزلق

وبوفاة أبى عبد الله المعتز عام ٢٥٥ هـ أفل نجم البحترى من سماء الخلافة فى سر من رأى . إذ لم يكن موضعه لدى المهتدى أو المعتمد — وقد خلفا المعتز على التتابع — بالموضع الذى يرضى طموحه ، أو يكافىء سابق منزلته لدى المتوكل وابنه . وكان الذى جرى من الأحداث على عهد المتوكل والمنتصر ثم المستعين والمعتز قد خلف فى نفس الشاعر أثراً من اليأس عميقا ، وجعله قليـل الثقة بالناس وبالحياة .. يقول الشعر فى مناسباته لأن من واجبه أن يقوله لا لأنه متأثر بما يدور حوله ، وبدت عليـه فى أخريات أيامه نزعة قوية إلى الانزواء فى بلدته يراقب منها تيار الحوادث فى صمت واعتبار. استمع إليه يخاطب أبا الصقر إسماعيل ابن بلبل — الذى وزر للمعتمد بين عامى ٢٧٢ و٢٧٨ هـ — فيقول:

بقيت ، فكائن جئت بادىء نعمة   يقلُّ السحاب أن يجىء برسيلها
وأعطيتَ طلاَّب النوافل سُؤْلهم   فمن أين لاتعطى القصائد سولها ؟

(١) يقول المرحوم الخضرى بك فى محاضراته : بعد أن أقام المتوكل بدمشق أياما أظهر أنه استوبأ البلد ، لأن الهواء بارد ندى والماء ثقيل ، والريح فيها تهب مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامة الليل . وغلت فيها الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة فبارحها عائدا إلى سامراء . ويظهر أن الأتراك هم الذين حملوه على العودة .

(٢) من قصور سر من رأى ، أنشأه المتوكل عام ٢٤٥ هـ

(٣) المعتز « أبو عبد الله » ابن المتوكل ، يفصله عن أبيه الخليفتان المنتصر والمستعين . ولم يكن للبحترى معهما كبير شأن .

صور فلسفية :

الفيلسوف المتوحد كيركجورد

(١٨١٣ – ١٨٥٥)

للأستاذ زكريا إبراهيم

كيركجورد فيلسوف دنمركى متصوف ، نشأت فلسفته فى حضن الدين ، وتكونت بفضل تجربته الروحية الخاصة وعزلته النفسية العميقة . وهو واحد من أولئك الفلاسفة القليلين الذين استطاعوا أن يحيوا حياة العزلة والتفرد وأن يحتملوا ما يجيء مع هذه الحياة من قلق وجزع ولهفة . ولم يكن كيركجورد فيلسوفا يتخذ من الفلسفة صناعة له ، أو عالماً لاهوتياً كل همه أن يشتغل باللاهوت ، وإنما كان أولا وبالذات ، إنساناً مشتعل الوجدان ، مشبوب العاطفة ، تشيع فى نفسه سورة القلق ، وتضطرم فى باطنه جذوة الألم ؛ يجتذبه العالم من ناحية ، وتؤرقه الرغبة فى القداسة "désir de la sainteté" من ناحية أخرى . وهو إلى هذا وذاك ، إنسان غنى فى مواهبه ، ثرى فى إيمانه ، عميق فى نظراته الصوفية . هو رجل متوحد انطوى على نفسه ، وعاش حياة أقرب ماتكون إلى حياة الأنبياء ، فاستطاع أن يتوصل إلى فلسفة مخالفة لكل الفلسفات التى كانت موجودة فى عصره ؛ فلسفة تعتبر وجود الذات هو وحده الوجود الحقيقى ، وترى فى عزلة الذات ، الحقيقة الوحيدة الثابتة . أما النزعات الفلسفية التى كانت موجودة فى عصر كيركجورد فقد نظر إليها فيلسوفنا نظرة معادية ، واعتبر فيها « سقوطاً » Chute للذات ، ومن ثم فقد هاجم الفيلسوف الألمانى هيجل مهاجمة عنيفة وحارب فكرته عن الروح المطلقة ، وحاول أن يفتقد الإيمان الضائع بالتحول عن عالم الفلسفة إلى عالم الدين

وقد اتخذ كيركجورد كل ضروب التخفى والتستر ، حتى يستطيع أن يأمن عدوان خصومه ، فكان يطبع مؤلفاته موسومة

ووليت عمال السواد ، فولنى قرارة بيتى مدة لن أطيلها !

.. وهكذا لايتشهى البحترى من جاه الولايات الذى يسبغه الوزير على خلصائه ؛ إلا أن يدعه يلوذ بقرارة بيته ، متجانفاً بنفسه عن مزالق السياسة وفتنها بعد أن طال فى ذلك خبه وإيضاعه . وإنه فى موضع آخر ليطلب إلى الوزير أن يعتق (رقبته) بصرفه إلى بلده .

وقد شمل امتنانك كل حى فهل مَنْ يُفكُّ به أسيرُ ؟
وأعتقت الرقاب فر بعتق إلى بلدى ، وأنت به جدير !

وما كان اعتزال البحترى فى منبج إلا شراً أجاءه إليه ماهو شر منه . ذلك أنه كان ودع أرغد عيشه وأطيب أيام حياته بتوديع عهد المتوكل الذى شهد بعينيه مصرعه الرهيب . .

وكانت فترة (المعتز) فى حياة البحترى أشبه شيء بخفقة المصباح الأخيرة حين يصارع الظلمات ولما تخمد منه الأنفاس .

ولعل أشد الأشياء على نفسه ماكان يعالجه من جفاف الحياة فى منبج بعد أن نعم بالمقام الطيب سنين متطاولة فى بغداد وسر من رأى ؛ ثم جلوسه إلى حاكمها مجلس (الرعية) من الراعى ، بعد أن كان لايرى إلا جليس خليفة أو وزير أو أمير خطير ...

وكانت أيام المتوكل ونجيه الفتح — وأمثالها ممن بسطوا على البحترى ظلال نعمائهم — تبدو له كأحلام سعيدة تمتع بها حينا ، ثم انقشعت عن حسرة فى نفسه وشجى . وإنه ليعبر عن شعوره بذلك أصدق التعبير حين يقول ضمن قصيدة بعث بها إلى أبى الصقر —

مضى جعفر والفتح بين مرمَّل وبين صبيغ بالدماء مضرَّج
أأطلب أنصاراً على الدهر بعدما ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى؟
أولئك ساداتى الذين برأيهم حلبت أفاويق الربيع الثجج
مضوا أمماً قصداً وخلفت بعدهم أخاطب بالتأمير والى (منبج)

وتوفى البحترى فى منبج ، بداء السكتة ، عام ٢٨٤ هـ . وكان قد أربى من عمره على الثمانين .

(تونس) محمود عزت عرفة

بأسماء مصطنعة مثل اسم « قنسطنطين قنسطنطيوس Constantin Conestantius أو إسم « جوهانس كليما كوس » Gohannes Climacus ... ولعل السبب فى ذلك أن الوجدان الجائش الذى كان يعمر نفسه والذى كان هو يريد أن ينقله إلى الناس لم يكن من السهل أن يصل إلى عالم شاعت فيه الأفكار الهيجلية . فلذلك اضطر صاحبه إلى أن يصطنع أساليب التخفى التى تجنبه الخصومة والعداء . ومع ذلك فإن هذا الوجدان intuition لم يستطع أن يستحيل إلى تصورات عقلية تكون مذهباً ، فتمثل فى محاولات رمزية وصور مجازية متباينة .

وإذا نظرنا إلى بعض الصفحات التى كتبها كير كجورد عن « الظلمات الروحية » les ténébres spirituelles للنفس التى تبحث عن الله فإننا نجد فيها نبرة صادقة قوية تشهد بتجربة صوفية عميقة . والواقع أن المشكلة التى واجهت كير كجورد باعتبارها المشكلة الوحيدة الهامة إنما هى مشكلة الإيمان ، فقد بدا لكير كجورد أنه لا سبيل إلى إثبات حقيقة الإيمان إلا بإنكار عالم العقل والمنطق (وهو العالم الذى يعرف له كير كجورد قيمته ، وإن كان فى نظره متجسداً فى هيجل) . ومن ناحية أخرى فإن إيمان كير كجورد لم يكن مقترنا بمجموعة من المبادىء العامة أو الحقائق المطلقة (كما هو الحال عند أصحاب المذهب البروتستنتى الذين لا يرتبطون بكنيسة قوية تجمع بينهم فى وحدة قوية شاملة) ولذلك فقد كان بطبيعته إيماناً منطلقاً سهل التحول ، لا يتوفر فيه أى عنصر من عناصر اليقين أو الطمأنينة . ومثل هذا الإيمان لا يعسر أن يرتبط بالقلق والجزع والتمزق الداخلى déchirement intérieur فى نفس صاحبه ؛ بل إنه ليصبح حقيقياً بقدر ما يقترن به من هذه العوامل النفسية .

وهنا لعبت التجربة الروحية التى عاناها كير كجورد دورها الأساسى الهام : فإن كير كجورد كان قد خطب فتاة أحبها وأحبته فاستقر رأيه على أن ينقض هذه الخطبة ، واعتبر تضحيته هذه من قبيل تضحية إبراهيم الخليل وظن أنه إذا كان لديه إيمان حقيقى كما كان لدى إبراهيم ، فإن المعجزة لا بد أيضاً أن تحدث ، وبالتالى فإن خطيبته لا بد أن تعود إليه كما عاد إسحق إلى أبيه . بيد أن خطيبته لم تعد إليه ، فأدت به هذه التجربة إلى اعتبار الإيمان سراً عميقاً لا سبيل إلى اكتناهه ؛ وانضافت إلى هذه التجربة نزعته اللاعقلية irrationalisme فذهب كير كجورد إلى القول بأن المؤمن (أو رجل الإيمان) يعيش بالضرورة فى شك مرير قاتل من جهة الإيمان نفسه : فأنت إذا اعتقدت أن لديك إيماناً فكأنك بذلك تجدف على الإيمان .

ولكن كير كجورد لا يدعنا فى هذه الحالة من التمزق الداخلى ، بل سرعان ما ينقذ الإنسان من السقوط الكامل ، فيثبت — فى لمحة سريعة باهرة — عالم المعجزة ، وعالم الحرية الإنسانية والصلة الفائقة للعقل بين الله والإنسان . ولكنه إثبات يعتمد على الذوق الصوفى واللمع الروحية ، مما لا سبيل إلى العثور عليه عند فيلسوف آخر غير كير كجورد الصوفى المتوحد !

« مصر الجديدة » زكريا ابراهيم

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٢٤ — مقالة أبي ذر جندب

في (تاريخ الطبري) : أتى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله — يا أباذر — ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره . قال : فلا تقله . قال : فاني لا أقول : ليس لله ، ولكن سأقول : مال المسلمين. وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء مايلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر قد أعضل بي ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه : جهز أبا ذر إلي ، وابعث معه دليلا ، وزوده وارفق به . فلما قدم المدينة ودخل على عثمان قال : يا أبا ذر ، مالأهل الشام يشكون ذرَبك ؟ فأخبره أنه لاينبغي أن يقال مال الله ، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا . فقال : يا أبا ذر ، عليّ أن أقضي ما عليّ ، وآخذ ما على الرعية ، ولا أجبرهم على الزهد ، وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد . ودخل أبو ذر على عثمان وعنده كعب الأحبار ، فقال لعثمان : لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف . وقد ينبغي للمؤدي الزكاة ألا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات . فقال كعب : من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه ، فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه ...

٦٢٥ — هؤلاء ممالكنا ... !

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : بلغ نوسيوس (الشاعر اليوناني) أن عدواً له اغتابه فقال هذا الشعر (على طريقة يونان) : بلغنا أن كلباً وقرداً اجتازا بمقبرة سباع ، فقال القرد للكلب : اصمد بنا لنترحم على هؤلاء الموتى . فقال الكلب : ومن أين هذه المعرفة بينكما ؟ قال القرد : سبحان الله ! أما تعلم أن هؤلاء ممالیكنا ؟ قال الكلب : والله ما أعلم شيئا من هذا ولكني كنت أحب أن يكون أحدهم حاضراً وتقول هذا .

٦٢٦ — ليس للشيطان ذنب

(تاريخ بغداد) : قال مالك بن أنس : لهؤلاء الشطار[1] ملاحة ، كان أحدهم يصلي خلف إنسان فقرأ الإنسان : الحمدُ لله رب العالمين حتى فرغ منها ثم أرْتِجَ[2] عليه ، فجعل يقول : أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ، وجعل يردد ذلك فقال الشاطر : ليس للشيطان ذنب إلا أنك لا تحسن القراءة.

٦٢٧ — نحب فيها المال والجاها

الشميس الأندلسي :

لله في الدنيا وفي أهلها	معمّياتٌ قد فككناها
منْ بَشرٍ نحن ، فمن طَبْعِنا .	نحب فيها المال والجاها
دعني من الناس ومن قولهم	فإنما الناسُ أخلاّها
لم تُقبل الدنيا على ناسكٍ	إلا وبالرحب تلقّاها
وإنما يعرضُ عن وصلها	من صُرِفَتْ عنهُ محيّاها

٦٢٨ — فسماهم الزوار ستراً عليهم

قال العباس بن خالد البرمكي : كان الزوار يسمون في قديم الدهر إلى أيام خالد بن برمك — السؤّال ، فقال خالد : هذا اسم

(١) فلان شاطر : خليع (الأساس) الشاطر : من أعيا أهله ومؤدبه خبثاً ومكراً ، وهو مأخوذ من شطر عنهم إذا نزح مراغما وقد قيل إنه مولد .

(٢) من المجاز : ارتج عليه إذا استغلق عليه الكلام

أستقله لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسمى به أمثال هؤلاء المؤملين ، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكنا نسميهم (الزوّار) وفى ذلك يقول بشار :

وكان ذوو الآمال يُدعون قبله
بلفظ ، على الإعدام فيه دليل [1]
فسماهم الزوار ستراً عليهم
فأستاره فى المجتدين سدول [2]

٦٢٩ — بين امامين ...

فى كتاب (سحر العيون) :

من بديع الاتفاق أن قاضى القضاة شيخ الإسلام بدر الدين محمود (العينى) الحنفى لما ولى مشيخة المدرسة المؤيدية التى بباب زويلة مالت منارتها فبلغ ذلك قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن (حجر) العسقلانى وكان بينهما ما يكون ما بين المعاصرين فأنشد بديهة :

لجامع مولانا المؤيد رونق
منارته تزهو على الفخر والزين
تقول وقد مالت عليه تمهلوا
فليس على حسنى أضر من(العين) ى،

فلما بلغ ذلك العينى أجابه بهذين البيتين ، والمشهور أنهما من نظم الشيخ شمس الدين النواجى على لسان العينى :

منارة كعروس الحسن إذجليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا خطأ
ما أوجب الهدم إلا خسة (الحجر)

(١) أعدم : افتقر ، وأعدمه غيره ، والعديم الذى لا شىء عنده وجمعه عدماء .

(٢) السدول : جمع السدل وهو الستر والسدول : ما جلل به الهودج من الثياب ، وسدل الثوب والستر والشعر : أرخاه وأرسله ، وأسدله

٦٣٠ — افتح عينك

قال صاحب كتاب (سحر العيون) :

كنت حاضراً فى مجلس بين يدى شيخنا المرحوم برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن الملاح — وقد سأله بعض أبناء الأتراك أن يقرأ عليه فى العروض ، فكسر العين من العروض ، فقال له الشيخ : افتح عينك .

٦٣١ — فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء

فى كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى : حكى أبو القاسم البلخى أن رجلا من السوفسطائية [1] كان يختلف إلى بعض المتكلمين ، فأتاه مرة فناظره ، فأمر المتكلم بأخذ دابته ، فلما خرج لم يرها ، فرجع إليه فقال : سرقت دابتى . فقال : ويحك ! لعلك لم تأت راكبا ، قال : بلى ، قال : فكر ، قال : هذا أمر أتيقنه فجعل يقول تذكر . فقال : ويحك ، ويحك ! ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أننى جئت راكباً . قال : فكيف تدعى أنه لا حقيقة لشىء وأن حال اليقظان كحال النائم ، فوجم السوفسطائى .

* * *

فى (العقد) لابن عبد ربه : دخل رجل على المأمون فقال لثمامة بن الأشرس : كلمه : فقال له ما تقول ؟ وما مذهبك ؟ قال : أقول : إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان ، وإنما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ، ولا شىء فى الحقيقة . فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه . فقال : (يا أمير المؤمنين) يفعل بى مثل هذا فى مجلسك ؟ قال ثمامة : ولعلى إنما دهنتك بالبان ، ثم أنشأ يقول :

ولعل آدم أمنا والأب حوا فى الحساب
ولعل ما أبصرت من بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قمـ ـت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زنبق وعسى البهار هو السذاب [2]

(١) زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده (ابن الجوزى) .

(٢) البهار والسذاب : نباتان طيبا الرائحة .

همس الساعة

للدكتور عزيز فهمي

تَعُدُّ الثوانىَ همساً ونقضا
وتزحف زحفاً وتنبض نبضاً (١)
وتدنى البعيدَ وتقصى القريبَ
وتجمع شملا وتُبعد أرضا
تَوارثها الناسُ جيلا فجيلا
وشكَّلها مَن توالى وقضَّا (٢)
تصوَّرَها البعضُ فى عين هِرٍّ
إذا الهِرُّ ثَنَّتْ جفنا وغضَّا
ولولا الأهِلَّةُ لم تَعْدُ عنها
مواقيتُ للناسِ والحجُّ تُقضَى
إذا الشمسُ خلفَ الغيومِ توارَتْ
هداكَ سناها ولم تسألُ حضَّا
تُوحِّدُ بينَ اللغاتِ وتُفضِى
إلى أهلهِنَّ بما هُوَ أفضَى
تُبَشِّر صبًّا بوصْلِ الحبيب
فَتُحيى الشبابَ الذى كان غضَّا
ومن عجبٍ أن يُبينَ الجمادُ
وينطق جهراً ويُمعن خفضا
تُبين وتُفصِحُ فى صَمتِها
فتوجِبُ فرْضاً وتُسقِطُ فرضا
وتهمِس : ما فاتَ ودَّعته
فشيَّعْتَ حيناً وفارقْتَ بعضا !
وهيهاتَ يَرجعُ ما قد مضى
وهيهاتَ يَقبَلُ حُكمِى نقضا
أتعرِضُ عنّى لتسمعَ لغواً
وتلقى من الناسِ نوكَى (٣) ومرضَى؟

ومعظمهم لو علمت دَعِىٌّ
يريكَ الودادَ ويُضمِرُ بُغضا
سِوَاىَ يُرائيكَ فى محضرٍ
ويفريكَ ـ إن غِبتَ ـ غمزاً وعضّا
وغيرى يبثُّكَ ما تشتهى
ويهزأُ منكَ إذا هُوَ أغضَى
أنا الوقتُ أُملى (١) على عادتى
وفتكى من فتكةِ السيفِ أمضَى
فإن شئتَ بادِرْ إلى عزمةٍ
فعزمى يكادُ يُسَلُّ وينضَى
وخلِّ القَدادِرَ تجرى المدى
ودَعْ ما يريبك ما دامَ غمضا
تنبَّه ! تنبه ... ولا ترجِئنَّ
إلى الغدِ وانهض لأمركَ نهضا
غدٌ موعدُ العاجزين ووهمٌ
تمنّيك إن رُمتَ للريحِ قبضا
غدٌ ـ لو علمتَ ـ غيوبٌ فعجِّلْ
وبادِرْ لعلّكَ فى الغدِ ترضَى
ستندمُ بعدَ فواتِ الأوانِ
وتجنى الأمانىَ صاباً وغضّا
حذارِ ، حذارِ ولا تلحنى
فكمْ قد بذلتُ لكَ النُّصحَ محضا
وأنذرتُ حتى مللتَ النذيرَ
ولولا ملالُكَ ما عادَ مضَّا
ولو قد أصخت لقيت الحتوف
بدرعٍ بصدٍّ فيزداد ومضا
تَبِض بفلسٍ ضنينَ الشحيحِ
وتُسرف فى العمرِ جهلاً وفوضَى
فيا للضلالِ ! تبِضُّ بدونٍ ...
وترخص كنزاً وجاهاً وعرضا !

عزيز فهمى

---

(١) النفض : الحركة والاضطراب .
(٢) نسقها وتقبها .
(٣) حمقى .

(١) أمهل .

صدى الفاجعة

للأستاذ سيد قطب

[لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم . ثم هأنذا أعانى من الفجيعة فيه كأنها فجيعتى الخاصة ... فياويح لأولئك الذين عاشروه ، فأحبوه . ووارحمتا لهم كيف يعيشون ...؟]

جف الرثاء بخاطرى المفجوع ... وصمتُّ لا أقضى بغير دموعى
إنى ذهلتُ عن المصاب بوقعه ... حيناً ، ذهول الواهم المخدوع
فظللت أُنصت للرجاء ، وأتّقى ... صوت اليقين الفاجع المسموع
أيموتُ ؟ كلا ! لا يموت وهذه ... مصر تُرجّى نجمه لسطوع
أيموت والأحداث تهتف باسمه؟ ... أتكون تلك هُتافةَ التوديع؟
قُل أيها الناعى سواه ، فما أرى ... أنى ـ وإن جاهدتنى ـ بسميع!

واويلتاه ! أنها لحقيقةٌ ... جلّتْ عن الإيجاف والترويع؟
صمتَ الذى قد كان ألحن حجةً ... وتحدثت طعناته بنجيع
متفجرات بالدماء كأنها ... كلماته فى قوة ونصوع
كلماته اللائى نبضن بقلبه ... ودماؤه من ذلك الينبوع

يا واهب الوادى مَريع حياته ... ما بال عمرك لم يكن بمريع ؟
يا مانع الوادى العزيز بنفسه ... ما بال عمرك لم يكن بمنيع ؟
خطفتك عادية المنون وخلفت ... وطناً يعالج سكرة المصروع
خلا مكانك ليس يملأ رحبه ... إلا الأسى وتفجعُ المفجوع
خلا مكانك والبلاد تهيأت ... تخطو إلى أفق رحيبَ وسيع
وتلفتت تصغى لصوتك هادياً ... فى المدلهمّ ورأيك المسموع
فصمتَّ ـ ياللهول ـ صمتة واجم ... ماضٍ لغير تأوُّب ورجوع
واهاً لمصر ويا لفجيعة أهلها ... فى الرائد المتفرّدِ المتبوع !

طريقى

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

طريقى إلى بيتى؟ نعِمْتَ ، طريق ... إلى خير محبوبٍ وخير رفيق
طريق إلى دنيا غرامٍ ونشوة ... وفردوس أرضٍ ناضر وأنيق
وهيكل تفكيرى ، وقدس عبادتى ... وآية توفيقى ، وكنز حقوقى
تقلبتَ فى عينى كريهاً معبّساً ... وكنتَ تلقانى بوجهٍ طليق
شجيراتك اللفاء تُقعى كأنها ... أفاعٍ على أذنابها بعضين
نهارك مغبرٌّ ، وشمسك سمجة ... كأن شروقاً فيك غير شروق
وجوك خنّاق أبيتُ لثقله ... بأنفاس مضغوط الضلوع خنيق
كذا أنت مذ جازت سراتك فى الضحى ... جنازة زوجى ، زوجتى وصديقى
تسير وئيداً للتراب ، وخلفها ... أنا الأرمل الباكى أجرُّ سوقى
طريقى! لقد جازتك أيامَ أنسنا ... بخطوٍ لها حلوِ الأناة رشيق
فمالك ، قد مرّتْ عليك حميلةً ... ولم ترتجف زلزالَ غير مطيق
طريقى ! ومازلتَ الطريق ، وإنما ... إلى وحدتى من بعدها وحريقى
إلى البيت مبناه ، وأما صميمه ... فكالقبر مكشوفاً وغير سحيق
طريقى ، طريقى ! كل دُورك ظلمةٌ ... بغير بريقٍ — وهى ذات بريق
إذا سرتُ فيك اليومَ سِرْتُ كأننى ... جنازتها — نحو الحمام طروق
قطعتَ ، فأوْصِلْ شائقاً بمشوق ... وإلا ، فتَعْساً لى ، وتعْس طريق

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

مستقبل الطيران

يتنبأ أحد مصممى الطائرات أن الترف والراحة فيها سينافسان الترف والراحة فى عابرات المحيط الكبيرة . فيستطيع المسافر أن يطوف حول العالم فى ١٤ يوماً تشمل زيارات فرعية لمناطق متعددة تستعمل فيها الطائرات التى تهبط عمودياً فتهبط فى أماكن لم يفكر أحد فى زيارتها لوعورة مسالكها .

وتزود طائرات مابعد الحرب بغرف طعام خاصة وغرف للملابس ولأنواع التسلية والتلفزيون والراديو، كما تجهز بمقاعد مريحة خاصة بنحاف الأجسام أو ضخامها . أما متاع الأشخاص فينتظر أن يفرد له ظهر الطائرة لتوفير داخلها وستوالى هذه الطائرات رحلاتها فى مواعيد منتظمة ، وقد صنعت طائرات تسع الواحدة منها ٤٨ مسافراً وتكفى لنوم ٢٤ مسافرا .

عمر الفرد ١٣٠ سنة

يقولون إن ابنك أو ابن ابنك سيعيش ١٣٠سنة فى أتم صحة ، لأن هذا العمر سيكون متوسط عمر الإنسان بعد جيل أو جيلين، فقد لوحظ أن متوسط عمر الحيوان يساوى خمسة أضعاف أو ستة أضعاف عمر بلوغه ، وعلى هذا الأساس يكون المتوسط العادى لعمر الإنسان بين ١٢٥ ، ١٥٠ . ويميل العلماء إلى ربط طول عمر الإنسان بتغذيته ، فيوصون بالألعاب الرياضية ، والهواء الطلق ، والشمس والفيتامينات ، والنوم ٨ ساعات والحمامات الباردة .

ويعللون سهولة الوصول إلى هذا المستوى من العمر بالتقدم الطبى واتجاه الأبحاث إلى الناحية الإنشائية فى جسم الإنسان .

الموسيقى والأمراض العصبية

أجرى المجلس الاستشارى الأهلى للموسيقى فى الولايات المتحدة حصاء لدراسة مدى استعمال الموسيقى فى المستشفيات للأمراض العصبية ونتيجة استعمالها فى شفاء الأمراض ، فأجابه على استفتائه ٢٠٩ مستشفيات يتراوح عدد أسرة الواحد منها بين ٣٣ و ٨٠٠٠ سرير . ويستعمل الموسيقى منها ١٩٢ مستشفى . ولم تستطع المستشفيات الأخرى الحصول على أدواتها بسبب صعوبات الحرب ونقص الأيدى العاملة وغيرها .

ويدير الحفلات الموسيقية فى ١٦٠ من هذه المستشفيات موسيقيون محترفون أو مرضى موهوبون أو أندية سمر خاصة . وتستعمل الاسطوانات الموسيقية فى ١٥٢من المستشفيات ، وهناك إجماع على أن المرضى يحبون الموسيقى ولكن ٢٣ مستشفى أجابت بأنها تستعمل الموسيقى كأداة علاجية فى حالات بعض الأمراض العصبية ، وأجابت ١٣٤ بأنها تستعملها لغرضى العلاج والترفيه .

ويرى أكثر مديرى المستشفيات أن الترفيه نوع من العلاج . على أنهم يعتبرون الاشتراك فى توقيع القطع الموسيقية فى جماعة أكثر تأثيراً فى المرضى من مجرد الإصغاء إليها ، فإن روح الاشتراك مع الجماعة يكسب المرضى حب التعاون والصداقة ويساعدهم على تذليل صعوبات الكبت عندهم .

وقال المشرفون على علاج المرضى فى أحد المستشفيات إن ضوضاء الطبول وأصواتها ذات تأثير مقلق لجميع حالات المرضى، بينما الموسيقى والأغانى الشعبية الهادئة ذات تأثير ملطف . وهناك شبه إجماع على أن الموسيقى لا تصلح كعلاج فعلى بل إنها قد تكون خطرة على بعض المرضى إذا اختير نوع غير ملائم لهم مما قد يؤدى إلى زيادة ارتباكاتهم العقلية ويقوى أفكارهم المشوهة .

عينات دم من الأعضاء الداخلية

صرح الدكتور جيمس ليرى فى اجتماع الجمعية الطبية للأبحاث أنه صار من السهل الحصول على عينات دم من القلب أو الكبد أو الكلى مباشرة ، وذلك بامرار أنبوبة رفيعة طويلة ومرنة من الكوع . وترجع أهمية هذه العينات إلى خلوها من تأثيرات الدم فى الأوعية الدموية الأخرى مما يساعد الطبيب على تشخيص المرض بدقة .

وليست العملية معقدة كما قد تبدو، وإن كانت رحلتها طويلة . فان الأنبوبة تمر داخل أحد شرايين الكوع ويلاحظ سيرها

بجهاز خاص فتشاهد وهى تسير إلى الجزء الأيسر للقلب ومنه إلى الشريان المؤدى إلى الكبد أو الكلى أو غيرها من الأوعية .

وأجريت هذه العملية فى السنتين الأخيرتين فى ٣٠٠٠ حالة بدون أن يصحبها أو يعقبها أى رد فعل أو ضرر .

من البيض لقاح ينقذ الحياة

هى قصة فتح جديد فى عالم الطب ، هى قصة الصراع بين الصحة والمرض وبين الموت والحياة ، أعلنت على الناس ثمراتها الأولى فى سنة ١٩٣١ فجنوا نضجها فى إبان الحرب . هى قصة مربية الفيرس (Viruse) ذلك الحى الدقيق المسئول عن كثير من الأمراض المستعصية مثل التيفوس والحمى الصفراء والانفلونزا والحصبة وشلل الأطفال .

ولولا هذا الكشف لانتشرت الأوبئة الفتاكة بين الجنود والمدنيين كما حدث فى ١٩١٨ - ١٩١٩ حينما أزهق وباء الانفلونزا عشرين مليوناً من الأنفس . ولكن نجاح الدكتور جودباستور ومساعدته الدكتورة اليس وودرف أنقذ العالم من الأوبئة ، كما وضع الأحجار الأساسية لوقاية الناس من أمراض عدة تسببها عائلة الفيرس .

وهذا الميكروب دقيق لا تراه الميكروسكوبات العادية ، ويخالف سواه فى وسائل تغذيته وحياته ، فبينما الميكروبات الأخرى تعيش فى أوساط مختلفة مثل الآجاراجار واللحم ، فانه لا يعيش إلا على أنسجة حية إن ماتت قضى معها . وكان الأطباء يربونه لعمل اللقاح فى القردة والطيور ، ولكنهم لم يحصلوا منه على المقادير اللازمة لكفاية عدد من الناس فضلا عن أمة كبيرة . فاللقاح الواقى هو ميكروب المرض ، ميتاً أو ضعيفاً ، يلقح أو يحقن به الجسم فيكتسب مناعة ضد المرض نفسه .

بدأ الدكتور جودباستور أبحاثه لتربية الفيرس فى الدجاج ، وفى مرض جدرى الطيور . وهداه البحث إلى الاستعانة بالبيض المخصب فهو يحتوى على أنسجة حية . فكان يفتح قطعة صغيرة من قشرتها ليمرر الفيرس ، ثم يغلقها ثانية بغشاء شفاف يرى من خلاله مايحدث داخل البيضة . وبعد أربعة أيام صارت أغشية البيضة سميكة وملتهبة فعرف أن مجموعات الفيرس تنمو وتتغذى على جنين البيضة .

وأعلن نتيجة بحثه فى سنة ١٩٣١ ، فلم يجد من الأطباء أذناً صاغية . وأهملوا قيمة أبحاثه كما أهملوا فى سنة ١٩٢٩ نبأ اكتشاف الدكتور فلمنج للبنسلين ، ولكنه انتقل إلى المرحلة الثانية . فأى أنواع الفيرس ينمو فى البيض وأيها لاينمو ؟ فجرب فيرس الجدرى البشرى فحصل من البيضة الواحدة على كميات لقاح تكفى ١٠٠٠ فرد فأى هدية ثمينة رخيصة يقدم للعالم .

وانتشرت أنباء نجاح الدكتور جودباستور ، فصنع الألمان كل لقاح الجدرى من البيض . ونجح الدكتور بيرنت فى استراليا وربى فيرس الانفلونزا فى البيض . وأدركت الهيئات المختلفة أهمية الكشف الجديد فجربه معهد روكفلر لتربية فيرس الحمى الصفراء ، فكان النجاح باهراً .

وما زالت المعاهد الطبية تقدم إلى العالم كل يوم لقاحاً جديداً ، فقد أعلن الدكتور هرالد كوكس أن عدد أنواع الفيرس التى تنمو فى البيض ٢٥ نوعا ، منها التيفوس ومرض نوم الخيل الذى قتل فى سنتين ٨٠ ألف حصان . وفيرسه خطره على الناس أيضاً ، فانه فتاك بسبعين فى المائة ممن أصيبوا به ومن نجوا من الموت أصيبوا بانهيار فى أعصابهم أو جنوا .

وهناك أمراض لم ينجح الباحثون بعد فى كشف سر تربية فيرسها ، ومثال ذلك مرض شلل الأطفال . ولكن العلماء يعتقدون أن التوفيق اليه قريب بفضل تقدم فن تربية الفيرس فى البيضة ، وما توصلوا إليه من تحسينات فى أدوات حقن جنينها بالميكروب فى أنحاء جسمه المختلفة . فمرة يحقن الفيرس فى المخ ، وأخرى فى النخاع الشوكى ، وثالثة فى الجلد ، ورابعة فى العضلات ، إلى غير ذلك من الأجزاء وهم يرجون أن تظهر أعراض المرض فى أحد هذه الأعضاء فيتاح لهم صنع لقاحه ويكشفون سره .

وكانت القوات المحاربة الأمريكية من أسرع الهيئات التى استعانت بأبحاث الدكتور جودباستور ، فوفرت على جنودها شر الإصابة بالأوبئة الفتاكة التى تعتبر من لوازم الحرب فى المناطق الحارة فى المحيط الهادى ، وبالتالى تيسر لهم النصر فى معارك القتال المختلفة . ولولا هذا الاكتشاف وما أضفاه على الجنود من صحة وطمأنينة لانقلب ميزان هذه المعارك ، فالجندى المريض عبء على الجيش تخسر وحدته جهده ، كما تزيد جهد الأقسام الطبية مما قد يؤجل النصر إن لم يمنعه .

فوزى الشتوى



الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

- ٢ -

الواقعية في الفن Realism in art

في نهاية شارع الجامعة الطويل، وقريباً من الشان دى مارس Champ de mars يوجد «مخزن الرخام» في ركن منعزل مهجور يشعرك بأنك في الريف. في فناء هذا المخزن الذي تكسوه الأعشاب ترقد قطع رخامية غبراء ثقيلة مبعثرة، تبدو في مواضع منها كسور حديثة العهد تنم عن بياض ناصع. تلك هي أحجار الرخام التي احتفظت بها الدولة للمثالين الذين تشرفهم بعمل تماثيل لها.

ويقوم إلى جانب من هذا الفناء عدة مراسم خصصتها الدولة لمختلف المثالين، تبدو كأنها مساكن للطلبة من طراز جديد، وهي بمثابة مدينة صغيرة للفنانين، يجللها هدوء عجيب. يشغل رودان مرسمين من تلك المراسم، يعمل في واحد منها ويضع في الآخر سبائك الجص لقطعته المعروفة «باب جهنم»، تلك القطعة التي تسبي العقول برغم أنها لم تكتمل بعد.

ولقد اعتدت أن أزوره هنا أكثر من مرة في آخر النهار، عند ما يوشك أن ينفض يده من عمله اليومي. فكنت أجلس على كرسي وأرقبه وهو يعمل، وأرتقب تلك اللحظة التي يرغمه فيها الظلام على الكف عن العمل، ولكن كان حرصه على الإنتفاع بآخر شعاع من أشعة النهار يلهب أعصابه ويصيره كالمحموم.

وهأنذا أراه يسوي ويشكل تماثيله الصغيرة من الطين بسرعة خاطفة. وهو يجد في ذلك ضربا من التلهي والتسلي يجنح اليه في الفترات التي تتخلل عمله الوئيد الذي يبذله في صنع التماثيل الكبيرة.

ثم انه يجد في تلك الدراسات العجلى التي تؤدى للتو واللحظة متاعا ولذة لأنها تعينه على امتساك حركة رشيقة أو إيماءة جميلة عابرة، قد لا يتاح لصدقها الآبق أن يُدرس دراسة عميقة طويلة.

أما طريقته في العمل فنريدة في بابها. فترى في مرسمه كثيراً من المثل الآدمية العارية تمشي الهوينا أو تستريح، يؤجرهم رودان لكي يرى فيهم الجسم العاري يتحرك بكل ما في الحياة من حرية، فهو يلاحظهم في غير انقطاع؛ وبذلك أمكنه أن يلم برؤية العضلات في حركاتها وسكناتها. إن الجسد العاري الذي نعتبره نحن المحدثين علانية شاذة، والذي لا يرى فيه المثالون إلا طيفاً لا يدوم لأكثر من جلسة أصبح منظراً مألوفا لدى رودان.

وإن الدراية المستمرة بالجسم الإنساني، تلك الدراية التي اكتسبها قدماء الإغريق من ملاحظة الألعاب الرياضية كالمصارعة ورماية القرص والملاكمة وغيرها من صنوف الألعاب الرياضية، والتي أباحت لفنانيهم أن يتكلموا بحرية عن الجسد العاري اكتسبها صانع «المفكر» أو رودان بجعل الآدميين العرايا يذهبون ويجيئون أمام عينيه باستمرار. وبذلك استطاع أن يستكنه المشاعر التي تعبر عنها كل هنة من هنات الجسد. ويعتبر الوجه عادة المرآة الوحيدة التي نرى فيها النفس، كما يبدو لنا أن تحرك أعضاء الوجه هو المظهر الخارجي الوحيد للروح. وفي حقيقة الأمر الواقع أنه لا توجد عضلة من عضلات الجسم لا تعبر عن التغيرات التي تطرأ على الشعور الداخلي، كلها تعبر عن فرح أو حزن، عن يأس أو أمل، عن تعقل أو جنون. إن الذراع المنبسطة أو الجسم المسترخي ليبسم في رقة وحلاوة مثلما تبسم الشفاه أو العيون، ولكي يصبح المرء قادراً على تفسير كل خلجة من خلجات اللحم وجب عليه أن يوطن نفسه على قراءة ذلك الكتاب البديع — وهذا ما فعله أساطين الفن الأقدمون، وساعدتهم عليه ظروف مدنيتهم. أما رودان فقد توصل إليه في عصرنا هذا بقوة إرادته الخاصة. إنه يتبع مثله بنظراته الفاحصة النهمة ويتنسم في هدوء روح الحياة التي تختلج فيهم، ويعجب بطرواة هذه الفتاة التي تنحني لتلتقط إزميلا[1]، أو بجمال أخرى ترفع ذراعيها لتصفف شعرها الذهبي فوق رأسها، أو بخطران شاب يمشي عبر الغرفة، وعندما يأتي هذا أو ذاك بحركة أو وضع يروقه يطلب منه تواً أن يستبق ذلك

(١) شفرة الحذاء.

الوضع ثم يهوى إلى طينه ويعمل بسرعة فلا يلبث أن يخرج تمثالا صغيراً إلى الوجود ، ثم ينتقل بنفس السرعة إلى غيره يشكله ويسويه بالطريقة ذاتها .

وفى إحدى الأمسيات ، عند ما أخذ الليل يرخى سدوله الكثيفة على مرسمه جرى لى حديث مع المعلم عن طريقته بدأته بقولى :

« إن ما يدهشنى منك أنك لا تشتغل على وتيرة أقرانك . إنى لأعرف الكثير منهم وقد رأيتهم يعملون ، فهم يجعلون المثال يعتلى خشبة تسمى العرش ويأمرونه بأن يتخذ كذا أو كذا من الأوضاع ، وفى العادة يثنون أو يبسطون ذراعيه ورجليه حسبما يروق لهم ، ويحنون رأسه أو يعددون جسمه كما لو كان بنتا من بنات[1] الأطفال؛ ثم يشرعون بعد ذلك فى العمل . أما أنت فعلى النقيض من ذلك ، تنتظر حتى يأخذ مثالك وضعاً من الأوضاع التى تروقك فتقوم بانتساخه حتى لكأنك أنت الذى تأتمر بأمرهم ولبسوا هم الذين ينزلون على أمرك » .

وكان رودان متشاغلا بلف نماذجه الصغيرة بلفائف مبللة فأجابنى فى هدوء .

« أنا لست رهين أمرهم وإنما أنصاع لأوامر الطبيعة ، أما زملائى فلهم ولا ريب أسبابهم التى تدعوهم إلى الاشتغال على النحو الذى ذكرت ، ولكن اعتسافهم الطبيعة على هذا النحو ومعاملتهم الإنسان معاملة الدمى تجعلهم يخاطرون بإنتاج تماثيل متكلفة لا تنبض بالحياة ، أما أنا الذى ينشد الحقيقة ويدرس الحياة كما ترى فسوف أحرص على ألا أنهج نهجهم . إنى أستخرج الحركات التى ألاحظها من الحياة ولكننى لا أفرضها ولا أصطنعها، حتى إذا ألجأنى الأمر وأنا أشتغل بموضوع ما أن أطلب من المثال أن يتخذ وضعاً معينا ثابتاً فانى أشير اليه بأن يأخذ ذلك الوضع متحاشيا جهدى أن أمسه لأضعه فى الوضع المطلوب ، لأنى لا أنقل إلا ما تقدمه لى الحقيقة على الأثر . إنى أطيع الطبيعة فى كل شىء ، ولا أحاول قط أن أسيطر عليها ، وكل ما تصبو اليه النفس هو أن أكون عبدها الوفى الأمين » ، فأجبته فى شىء من الخبث والمداورة « ومع ذلك فأنت لا تبرز الطبيعة فى أعمالك بنصها وفصها » فتوقف قليلا وهو ممسك باللفائف المبللة ثم أجابنى وهو مقطب الأسارير .

(١) البنات لعب الأطفال (العرايس)

— نعم إنى أبرزها بنصها وفصها

— ولكنك تضطر إلى تغيير ...

— لا أغير منها فتيلا

— ولكن البرهان على أنك تغيرمنها هوأن السبيكة لا تعطى من التأثير مثلما يعطيه عمل يدك بحال من الأحوال .

ففكر لحظة ثم قال :

هذا حق ! لأن السبيكة أقل صدقا مما تطبعه يدى فى الطين أو تحفره فى الحجر . يكاد يكون مستحيلا على أى مثال أن يحتفظ بوضع حى طيلة الوقت الذى يلزم لعمل سبيكة منه

ولكنى أحتفظ بجملة الوضع بمخيلتى وأصر على أن يتطابق المثال على ما وعته مخيلتى من ذلك الوضع . وأكثر من ذلك أن السبيكة لا تظهر إلا المظهر الخارجى ، ولكنى أظهر بجانب ذلك الروح التى هى بلا ريب جزء من الطبيعة أيضاً . إنى أرى الحقيقة كاملة ولا أقصر نفسى على رؤية المظهر الخارجى . إنى أبالغ فى إظهار الخطوط التى تعبر أحسن تعبير عن الحالة النفسية التى أتولى تفسيرها »

وكان يرينى وهو يتكلم تمثالا من أروع تماثيله قائماً على منصة قريبة ، هو تمثال لشاب راكع رافع ذراعيه المتوسلتين إلى السماء كأنما تنهش كيانه حيات الألم ، جسمه مائل إلى الوراء ، وصدره ناهد وحلقه متوتر من اليأس ، أماىداه فممدودتان إلى مخلوق وهمى تتوقان إلى إمساكه ؛ ثم قال لى :

« انظر ، لقد أوضحت انتفاخ العضلات التى تفصح عن الألم ، فهنا وهنا وهناك قد غاليت فى توتير أربطة العضلات التى تدل على تدفق الصلاة وحرارتها » وبعد ذلك أشار إلى أقوى وأبرز ما بالتمثال من أجزاء ، وهنا صحت به متهكماً :

« لقد أصبت منك مغمزا يا أستاذى . تقول بنفسك إنك تفصح ، وتزيد ، وتبالغ . فترى من ذلك إذن أنك غيرت من الطبيعة » فأخذ يضحك من عنادى ويقول :

« أبداً ، أنا لم أغير منها شيئاً ، وعلى فرض أنى فعلت ذلك فانى لم أكن أتوقعه وتتذاك ، فالاحساس الذى سيطر على مشاعرى وتتئذ أرانى الطبيعة كما نقلتها . فاذا ما أردت تنقيح ما رأيت وجعله أكثر جمالا لما أنتجت شيئا طيبا » وبعد برهة عاود حديثه قائلا :

« إنى أوافقك على أن الفنان لا يرى الطبيعة كما يراها السوقى



عالمية الاسكندر

فى هذه الأيام التى يتفاوض فيها أقطاب العالم لوضع نظام عالمى أو قريب من العالمى ، يضمنون به الإشراف على القوميات المختلفة ، ووضعها فى نظام منسجم متناسق ، قد يكون من الطريف أن نشير إلى محاولة لتطبيق فكرة العالمية قام بها صاحبها منذ اثنين وعشرين قرناً أو ما يقرب من ذلك ، تلك هى محاولة الاسكندر المقدونى التى أراد بها أن ينفذ هذه الفكرة فى النصف الثانى من القرن الرابع قبل المسيح .

لم يكن العالم الهلّينى فى ذلك الوقت قد اتسع أفقه بعد ليشمل نطاقاً أوسع من نطاق « المدينة الحرة » الذى نادى به أرسطو فى « سياسته » والذى عبر به خير تعبير عن النظام السياسى الوحيد الذى كان يدركه العالم الهلينى حينذاك .

وإذا كانت بعض المدن الإغريقية قد حاولت أن ترتفع قليلا عن هذا الأفق لتضع نظاماً أوسع ، كأثينا التى حاولت أن توجد نظاماً إمبراطورياً تكون هى سيدته ، فمع ذلك نجد أنها لم تستطع أن تمتد بنظامها هذا الجديد لتشمل به شعوباً أخرى غير شعوب العالم الهلينى .

فلما ظهر الاسكندر ، نظر نظرة أخرى جديدة ، وقام بمحاولة بعيدة عن إدراك الإغريق ، أراد أن يوجد «دولة» تكون حدودها هى حدود العالم المعروف إذ ذاك ، فكيف عمل على تحقيق هذه العالمية ، وكيف دبر النظام الذى يستطيع به أن يضمن تناسق أجزائها ، وما مدى تأثير الظروف التى أحاطت بالعالم إذ ذاك فى هذا النظام ، وأخيراً ما مقدار نجاحه فى تحقيق فكرته ؟

نظر الاسكندر حوله فوجد بين يديه فتوة وقوة يستطيع بها أن يناضل وأن يتغلب ، ووجد العقبة الوحيدة التى قد تعترض طريقه ، وهى الإمبراطورية الفارسية ، قد تفككت وأصبحت على شفا الانهيار ، وإذن فليحقق عالمية عن طريق إمبراطورية يكسبها بسيفه ، وليجمع بين الشرق والغرب فى نظام يكون هو على رأسه ، وهكذا يسيطر الاسكندر على آسيا الصغرى وسوريا وفينقيا ومصر ، ثم يتوغل فى آسيا حتى يصل إلى شواطئ المحيط ، ويود الوصول إلى الشواطئ المقابلة لولا أن تعاجله منيته .

عمل الاسكندر إذن على أن يوجد « المادة » التى سيطبق فيها نظامه العالمى ، ثم انتقل إلى دور آخر ، هو تطبيق النظام نفسه ، وهنا تقابله المشكلة ، فلكى يضمن تحقيق فكرته لابد أن يسيطر بنفسه على إمبراطوريته ، ولكن إذا كانت هذه السيطرة الإمبراطورية مما يتفق ونظم الشرق ، الذى جرب قبل ذلك نظام الإمبراطورية تحت سيطرة الفراعنة والفرس ، فهى مما يتناقض تناقضاً تاماً مع نظام المدينة الذى درج عليه الهلينيون والذى قامت على أساسه الحضارة الهلينية .

وإذن فالاسكندر أمام مشكلة ، إن وضع نظامه على أساس المدينة الحرة فقد ضاعت سيطرته ، وضاعت بالتالى فكرته الأولى التى يرمى إليها من وراء هذه السيطرة ، وهى العالمية . وإن قضى ، فى سبيل سيطرته ، على نظام المدينة الحرة ، فقد قضى على الحضارة الهلينية التى قامت على هذا النظام ، والتى كان يرمى قبل كل شىء إلى أن تسود « عالمه » الجديد .

محمد بهجت

لأن عواطفه تكشف له عن الحقائق المخبوءة تحت ستر المظهر الخارجى ، وعلى كل حال فالقاعدة الوحيدة فى الفن هى أن تنسخ من الطبيعة ما تراه . ويرى المشتغلون بمجال الفنون أن أية قاعدة مغايرة لهذه يكون مآلها إلى البوار ، فليس ثمت من طريقة لتحسين الطبيعة ، والأمر الوحيد هو أن ترى . آه ، حقيقة أنه ليس فى مقدور رجل من أوساط الناس ممن ينسخون الطبيعة أن يأتى بعمل فنى لأنه فى الواقع ينظر ولا يرى ، ولو أنه استطاع أن يتتبع كل دقائقها بانعام لجاءت النتيجة تافهة لا خطر لها ، ولكن لم تخلق مهنة الفنان لأوساط الناس الذين لا يمكن أن يكتسبوا مواهب حتى من أجل النصائح والإرشادات .

فالفنان — على نقيض ذلك — يرى بمعنى أن عينه المركبة على قلبه تقرأ عميقاً فى أغوار الطبيعة ، وهذا يفسر السبب الذى يجعل الفنان لا يعتمد إلا على عينيه فقط » .

(للكلام صلة)

فليفكر الاسكندر إذن فى طريقة يسيطر بها على إمبراطوريته دون أن يقضى على الأساس الأول للحضارة الهلينية ، طريقة يجمع بها بين «ملكية» الشرق و«مدينة» الغرب .

وهنا يلجأ الاسكندر إلى خير طريق يربط بين النظم والأفكار على اختلافها وتباينها ، ذلك هو الطريق الديني . ليسبغ الاسكندر على نفسه سمة دينية مقدسة ، يجمع بها بين سيطرة الشرق والغرب ، الذى تشغل الأفكار الدينية فيه إذ ذاك المقام الأول ...

وهكذا يسعى الاسكندر إلى أن تكتسب سيطرته شكل الحق الإلهى ، بل أكثر من ذلك أن يصبح هو نفسه إلهاً .

وهكذا نراه يحج فى مصر إلى معبد آمون حيث يحصل على اعتراف من الكهنة بأنه ابن الإله «آمون» ، ولآمون إذ ذاك مكانته سواء فى مصر أو فى العالم الاغريقى ، الذى أخذ فى ذلك الوقت يضمه فى مصاف آلهته الكبار .

ثم نراه مرة أخرى فى فارس يحيط نفسه بهالة كثيفة من الطقوس الدينية ، والمراسيم التى تقدم إلى النار القريبة من عرشه ، والتى تمثل فكرة الحق الإلهى للملك .

هذه محاولة للعالمية قامت فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد قضت بقضاء صاحبها ، فهل تنجح محاولات العالمية فى القرن العشرين ؟

لطفى عبد الوهاب

تساؤل واستفهام ؟

قرأت معجم الأدباء لياقوت الحموى وهو المعجم الذى قامت بطبعه دار المأمون . وبعد البحث والاستقصاء لفت نظرى خلوه من كثير من الشخصيات ، إذ قد وجدت أن نخبة صالحة من الرجال البارزين لم تذكر فى هذا المعجم . فإما أن تكون قد ضاعت من الأصل — وهو احتمال ضعيف — وإما أن يكون ياقوت قد أغفلها ، وهذا هو موضوع التساؤل .

لقد كان فى جملة من أغفل ذكرهم من الشعراء والأدباء شخصيات مختارة أمثال حسان بن ثابت والحطيئة والأخطل والكميت وجرير وبشار والبحترى وأبى تمام والمتنبى وابن زيدون وعمر بن أبى ربيعة وابن الرومى وابن المعتز وأبى فراس ومسلم بن الوليد (وقد ذكر ترجمة ولده سليمان) ، ومن الأدباء والرواة والفلاسفة أمثال الحسن البصرى والرئيس ابن سينا وابن سيرين والامام أحمد والامام أبى حنيفة والامام مالك والبخارى ومسلم وعبد الحميد الكاتب والغزالى والفارابى والرازى والأصمعى وأبى بكر الخوارزمى وابن الزيات وعلى بن الفرات وعمرو بن مسعدة وابن خفاجة والفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والحسن بن سهل واسماعيل بن صبيح والحسن بن وهيب وبنى موسى بن شاكر وأبى الحسن الأشعرى والوزير محمد بن على بن مقلة (أشار ياقوت فى ترجمته لأخى الوزير الحسن بأنه سيذكره فى بابه ولكنى لم أعثر على ترجمة له) وعبد الله ابن قتيبة (ذكر ياقوت ترجمة لولده أحمد) وابن المقفع ويعقوب بن اسحاق الصباح الكندى ومالك بن دينار والقاضى الفاضل وغيرهم ممن يصعب حصرهم فى هذه العجالة . فى حين أنه ترجم لشعراء كثيرين منهم الفرزدق وصريع الغوانى وأبو دلامة وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم ممن هم دون من أغفلهم شهرة ومنزلة ، وهنا موضع التساؤل ؟

إذا فرض أن ياقوت قد أغفل ذكر هؤلاء أو قسما منهم فما هو يا ترى السبب الذى حمله على إغفال أمثال هذه الصفوة المختارة ؟ وما هو السر فى ذلك ؟ وهل من الجائز أن يقال إنه تعمد عدم الترجمة لهم أو لقسم منهم لأسباب ودواع تمت إلى سياسة حكام عصره ومسايرة ميولهم ؟ تلك الميول التى ربما كانت لا تحبذ الترجمة لأحد من أولئك ؟ وإذا كان كذلك فما هى تلك الميول ، وهل كانت ظاهرة أو مستترة ؟ وما هى الدوافع لها ؟ وإذا قال قائل إنه اقتصر فى معجمه على شخصيات الأدباء فقط ، فأقول إنه ذكر كثيرين ممن اشتهروا بالشعر دون غيره كما مر آنفاً . وقد ترجم للامام الشافعى كما ترجم لأناس اشتهروا بالعلوم الفقهية والنحوية ، أو فى اللغة والقراءة . فهل لا يرى رجال الأدب اليوم أن إغفال ياقوت — إذا صح — لمثل تلك الشخصيات يعتبر نقصاً كبيراً فى قيمة معجمه الأدبية ، أو على الأقل إهمالا من ياقوت وغمطاً لحقوق أولئك

الرجال ؟ وهو ما لا يجب أن يتصف به كاتب أخذ على عاتقه تدوين حياة النـاس . وإذا كان ياقوت قد قال إنه جعل معجمه قاصراً على من اشتهروا بالأدب ؛ فما هو المقياس الذى يقيس به ياقوت الرجل ليكون أديباً فى نظره ؟ وما هو معنى الأدب عند ياقوت ؟ وعلى أى شىء يشتمل ؟ وهل إن الوراقين أو بعضهم – وقد حشرهم ياقوت فى زمرة الأدباء – يعتبرون من الأدباء فى العصر الحاضر ؟

هذا بحث مقتضب جاء على عجل ، إلا أنه لا يخلو من حقائق كما أنه لا يخلو من غوامض تريد من يزيح الستار عنها . فإلى أدباء العصر ولا سيما من عرفوا ببحوثهم القيمة واشتهروا بتحقيقاتهم العلمية والأدبية الثمينة أوجه قولى هذا راجياً أن يتفضلوا بكشف النقاب عما خفى واستغلق ولهم على ذلك شكر التاريخ وثناء الأدب والله الموفق .

(الزبير – البصرة) **احمد حمد آل صالح**

شرح لامية العجم ، سحر العيون ، نزول الغيث

تعليقاً على ما نشره العلامة المحقق الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فى صفحة ١٨١ من « البريد الأدبى » للرسالة الغراء بعددها ٦٠٧ بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٤٥ تحت عنوان شرح لامية العجم – لم أقف على لمصنف المذكور لصلاح الصفدى مطبوعاً فى بولاق والذى أعرفه من طبعاته المتداولة طبعة معوض فريد (المطبعة الوطنية) بالاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ وأخرى طبع المطبعة الازهرية بمصر سنة ١٣٠٥ هـ[(١)]

أما كتاب « سحر العيون » المنسوب لأحد تلامذة شهاب الدين أحمد الحجازى الشاعر المصرى أحد علماء القرن التاسع فمطبوع طبعة حجر بمصر سنة ١٢٧٦ هـ

ومن بواعث الأسف أن « نزول الغيث » لابن الدمامينى لا يزال مخطوطا وتوجد منه أكثر من نسخة بدار الكتب المصرية

فلعل هذا التعليق يهم المتتبعين لحركة النشر من قراء الرسالة الغراء ، ومن الخير أن يدوّن للحقيقة والتاريخ .

يوسف كركور

(١) ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية

شكر وتعليق

قرأت فى « الرسالة » الغراء مقالاً للناقد الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن عن كتابى « محمد عبده » الذى ظهر منذ شهور فى سلسلة « أعلام الإسلام » فوددت أن أوجه إلى الناقد الفاضل أحسن التحية للروح الجميلة التى أملت عليه مقاله الكريم الذى خصنى فيه بكلمات طيبات ، مما شاء له أدبه الجم وفضله الموفور . ووددت أن أنوه أيضاً بسماحته وإنصافه ، وهما خصلتان شريفتان من بين خصال أخرى محمودة تجلت فى نقده لكتابى .

والواقع أن ما أورده صديقنا الأستاذ من ملاحظات على كتابى هو الحق الصريح البرىء من الشبهات ؛ وليس يسعنى هنا إلا أن أهنئه على ما حباه الله من حدس صائب وذوق سليم .

غير أن لى تعليقاً على ملاحظتين وردتا فى ثنايا المقال ، وأرجو من هذا التعليق أن أبين الحقيقة فيما يتصل برسالة لى عن الأستاذ الإمام كتبتها أثناء بعثتى بأوربا ، وقدمتها إلى السربون لنيل الدكتوراه فى الفلسفة من تلك الجامعة ، وتقوم وزارة المعارف المصرية بطبع تلك الرسالة وستظهر قريباً باللغة الفرنسية . وقد ظن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن كما ظن غيره أن كتابى عن « محمد عبده » فى سلسلة أعلام الاسلام موجز لرسالة الدكتوراه ، والواقع غير ذلك : فإن عنايتى فى رسالتى الفرنسية كانت موجهة كلها إلى « آراء محمد عبده الفلسفية والدينية » ، وبعبارة أخرى إلى فلسفة الأستاذ الإمام ومذهبه فى الدين والأخلاق والاجتماع .

ولم يظهر من هذا البحث بالعربية إلا فصول مختصرة قلائل نشرت فى « الرسالة » و « الثقافة » و « مجلة الأزهر » و « مجلة العلوم » أما « محمد عبده » فى « أعلام الإسلام » فقد كتب خصيصاً لهذه السلسلة ، ولم أقصد منه إلا إلى التعريف بسيرة الرجل كما كان ، لا كما يريده بعض الناس أن يكون . وهذا ما أدركه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، وكشف عنه بإشارات ألمعية وبيان نفاذ . وما أحسبنى إلا قد انتهجت لهذه الغاية طريقا سويا مفتوحا لا عوج فيه ولا يحوجنا إلى بدعة « المفاتيح » هذه التى يجرى وراءها بعض « المحدثين » فى هذه الأيام .

أما ما استدركه الأستاذ الناقد من أننى لم أشر إلى المراجع التى وردت فيها أقوال من استشهدت بهم ، فاستدراك ينصب لا على كتابى وحده ، بل على أكثر الكتب التى ظهرت الى الآن فى سلسلة « أعلام الإسلام » : لأن المجال أمام المؤلفين ضيق محدود ، وهم كما رأى الأستاذ نفسه ، « مقيدون بقدر الصفحات لا يتعدون حدوده » . وأنا أؤكد لصديقى عبد الغنى حسن أن هذا القيد الذى أشار اليه كان أثقل على نفسى من أى شىء سواه .

أما ما لاحظه الأستاذ عبد الغنى من ورود بعض الأعلام بالحروف الأول دون ذكرها كاملة فمرجعه إلى أن تلك الأسماء إنما أوردتها كما هى فى نصوص من كلام محمد عبده نفسه ، ولم يكن يسعنى أن أغير فيها ما دمت أنقلها اقتباسا (وقد وضعتها بين أقواس صغيرة إشارة إلى هذا) ، ولم يكن ثمة حاجة ملحة للكشف عنها لأنها أسماء أشخاص مغمورين ممن لا خطر لهم وإن كانوا من أصحاب المناصب الكبيرة . وعندى أنه كان من الميسور إغفال أسمائهم بالمرة ، دون أن يؤثر ذلك فى سياق الكلام أو يقلل من مغزى الرواية .

وأود أخيراً أن أوجه خالص الشكر إلى صاحب « الرسالة » الذى هيأ لنا هذه الفرصة الممتعة للوقوف على مثال طيب من النقد النزيه الصادر عن خلوص النية وسداد النظرة وصدق الشعور .

عثمان أمين

الحومانى فى فلسطين

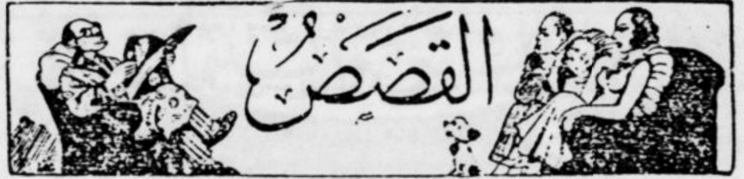
هبط فلسطين منذ أيام الأستاذ محمد الحومانى صاحب مجلة (العروبة) فى بيروت ، وناظم ديوان (حواء) ، وناقل رسالة الأدب العربى إلى أمريكا . وقد احتفل به جماعة الأدباء فى يافا ، وألقى مختارات من شعره فى قاعة المعهد البريطانى هناك . وأقامت له اللجنة الثقافية فى جمعية الشبان المسيحية فى القدس حفلة دعى اليها جمهور غفير من المثقفين ، وأنشدهم فى نهايتها كثيراً من قصائده العصماء .

حول كتاب « الفاروق عمر »

لا نريد أن نعرض هنا لتقريظ كتاب « الفاروق عمر » لسعادة الدكتور هيكل باشا ، ولا لنقده ، فذلك أمر لم يحن حينه ، وإنما نحب أن ننبه إلى وهم لغوى وقع فى عنوان الكتاب ، ذلك أن أصحاب اللغة من بصريين وكوفيين ، نصوا على أن الاسم يتقدم على اللقب فى جميع الأحوال ، فيقال : « عمر الفاروق » ولا يقال « الفاروق عمر » .

ويبدو أن الكاتب الكبير قاس اسم مؤلفه الجديد على اسم الكتاب السابق له المعنونَ « الصديق أبو بكر » ولا قياس فى هذا ، حيث لم تنص كتب اللغة على الترتيب بين اللقب والكنية كما نصت على الترتيب بين الاسم واللقب . ولعل سعادة الدكتور هيكل باشا يتدارك هذا الأمر فى الطبعة الثانية من الكتاب ، وفقه الله .

(الرمل) **منصور جاب الله**



التعـــس...!

أقصوصة روسية

الأستاذ عبد اللطيف النشار

لست أعرف لماذا يعتقد كثير من الناس أن المقادير تعنى بحظوظ الملوك والأبطال لا بالرجال العاديين، وأن الرجال العاديين لاشأن للأقدار بهم كأنها لا تلحظهم

لم يكن بطل هذه القصة من الملوك ولا الأبطال، ولكن الأقدار لم تكن فى عناده أقل حرصاً على الانتصار منها فى عناد « أوديب » الملك، حتى لقد يظن المرء أنها تركت كل مشاغلها وتفرغت « لايجور شيمو دانوف » مدة الثلاثين عاما التى قضاها فى حرب معه.

ولد « إيجور » لأبوين غير معروفين لأنه لقيط. وكان مولده فى قرية من قرى سيبريا. وترك عند باب تاجر من أغنياء التجار اسمه « إيجور » ومن ثم أطلق عليه هذا الاسم، وكان فى الأعوام الأولى من حياته سعيداً تهيأ له من أسباب الرفاهية مالا يتهيأ أوفر منه لابن أمير.

وكان التاجر الغنى وزوجه يقصران عنايتهما عليه حتى استثارا بذلك حقد الأقارب وحسدهم، فألبساه الحرائر وأطعماه الشهى وناديا بأحب الأسماء، وامتلأ الطفل والتف عوده، ولكن بقيت فيه نعسة بسبب الزيادة فى الطعام. وهكذا ظل طول عمره ممتزج اليقظة بشىء من النعاس

وكان شعره أصفر ناعماً وقوامه ممتلئاً قصيراً. ولكن سمنته مازالت تقل كلما كبر حتى صار هزاله محزناً فى أخريات أيامه

لما بلغ السابعة من العمر مات اللذان تبنياه موتاً شنيعاً إذ تحطمت بهما عربة القطار، ولم يشك أحد فى أنه ابنهما وكانت هذه النكبة أول حلقة فى سلسلة أحزانه

وكان أول ما فعله ورثة التاجر أن جردوا « إيجور » من ثيابه الحريرية وطردوه من المنزل. ولقد كان الموت مقدوراً عليه فى الطريق لولا أن رحماء آخرين أخذوه من الطريق فأرسلوه إلى الإصلاحية.

ولم يكن الطفل مذنباً ولكنه لم يكن هناك مكان يؤويه غير هذا المكان، وهكذا كان أمر المقادير. ولقد قبل الطفل هذا الانتقال من السعادة الكاملة إلى الشقاء الكامل بنفس وطنها على الذلة، وهناك عرف الضرب كما عرف الجوع، وحتى لصا فلم يغضب لشىء من ذلك ولم يتمرد، بل بدأ يستشعر الحب لهذا المكان ويخلص بقلبه لأولى الأمر فيه. ونسى سعادته الماضية كل النسيان فلم يعد يتألم من حالته الجديدة حتى ولا فى معرض الذكرى

ولعل المقادير رأت فى هذا السلوان شيئاً من السعادة فأنكرته عليه. وذلك أن النار شبت فى الاصلاحية ذات ليلة من ليالى الشتاء فاحترقت المديرة وأبناؤها الثلاثة ونجا « إيجور » بعد أن تعرض للموت. وكان حاضراً فى وقت إطفاء الحريق رجل من رعاة الغنم فأصر على يأخذه معه لأن البناء أصبح غير صالح للسكنى

وقال إيجور لراعى الغنم وهو ذاهب معه: « لعلهم سيجددون بناء « الإصلاحية؟ » وكان يقول ذلك وهو يبكى فأجابه الراعى لاتخف فان بناءها سيعاد »

وأخذه إلى مدينة « سمارا » ولم يلحظ الدافع الذى حدا بالطفل إلى القاء هذا السؤال. ولقد كان الدافع فى الحقيقة هو عزمه على العودة بعد تجديد البناء. وهذا عمل لم يعمله انسان من قبل، بل المعهود ان كثيرين قد فروا من الإصلاحية ولم يتطوع أحد بالذهاب إليها. ولكن هذا العزم يدل على مزاجه الخاص الذى ساعده على احتمال ما أصابه من الحوادث. ولقد كان الطفل بغريزته عدواً للتمرد فأنكر على نفسه الفرار من الراعى ليذهب إلى سجن الأطفال، ولكنه راجع نفسه فى ذلك بأن ذهابه إلى السجن كان بدافع آخر هو الاستسلام للقدر الذى قضى عليه بأن يعيش فى السجن

وفر الطفل من سمارا ثلاث مرات عاد فيها إلى سيبريا. ولكنه ضبط مرتين وضرب ضربا مبرحا، ونجا فى المرة الثالثة، ولكنه ضل الطريق فى مجاهل سيبريا. وعلى الرغم من ذلك فان الأخطار والمتاعب لم تضل عنه فقد كان الدب يطارده فى الغابة، وقطاع الطرق يهاجمونه فى الطريق، والأشرار يعتدون عليه فى

المدن . وكان إيجور يجوع أحيانا ليشترى « ياقة » ويخشى على ثيابه أن تمزق ولهذا كان يفر من طريق الأشرار . وكان شريفاً على الرغم من إقدامه على سرقة الثياب مادام فى حاجة اليها ولا يملك ثمنها ، ولم يكن يعد هذا ذنباً .

ولما اعتاد هذه الحالة انطفأت نار شوقه إلى الاصلاحية وظل ينتقل من مدينة إلى مدينة حتى إذا بلغ السابعة عشرة وجدناه فى تفليس عاملا فى مصلحة التلغراف وكان مغتبطاً بهذه الوظيفة التى أهله لها حسن ملبسه وظل نظيف الثياب فى الأعوام الثلاثة التى كان فيها مثالا لحسن الخلق والمعاملة . وشعر فيها بالسعادة التامة الماضية حتى كأنه قد نسيها

ولما بلغ الحادية والعشرين صار من دأبه التغنى بأنشودة غرامية فسمعته فتاة ووهبته قلبها . ومن هذا العهد ظهر سوء الحظ مرة أخرى وكأنه كان مختفياً ليظهر فجأة بشر مرعب ، فلقد ماتت هذه الفتاة بالجدرى . وعلى الرغم من أن إيجور كان مطمئنا لكل هذه الحوادث فقد بدا أثر الحادث الأخير على وجهه فأفقده رواءه وارتسم عليه الهم والألم . وفى خلال هذا العام التحق بالجندية وكان يكره البحر وأسفاره ولكنه عين فى فرقة البحريين فى الأسطول واضطر إلى السفر فى البلطيق فأصيب بمرض من أمراض البحر ، وبدلا من أن يعطف عليه الجنود لمرضه صاروا يضحكون منه . وانقضى عامان كانت السفينة فى خلالها راسية على بعض شواطئ أفريقيا ، وكان أهل هذه الجهة من السودانيين الذين لا يعرف إيجور شيئا من لغتهم ، ولم يكن معه مال ليعيش معهم ولكن هكذا شاء القدر أن يهرب من السفينة ويشرد فى تلك المجاهل

ولم يزل يمشى حتى وصل بعد ثمانية عشر شهراً إلى القاهرة فتجددت له السعادة ، لأن القاهرة خير مكان يستطيع أن يعيش هادئاً فيه . وتزوج واشتغل صانعاً فى أحد المعامل ، ولما كان قنوعا فقد اقتصد جزءاً من المال وعزم فى النهاية على فتح حانوت لصنع الأحذية ولكن قبل أن ينفذ هذا العزم اعتقل صاحب المصنع وصودرت أمواله بسبب إفلاسه . وكان إيجور قد حفظ أمواله عنده فصودرت أيضاً .

فى ذلك اليوم هرب إيجور من القاهرة ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد ومن صناعة إلى أخرى كاليهودى التائه ، وركب البحر ثلاث مرات فغرقت السفن ونجا . وعلى الرغم من ذلك فقد ظل مطمئنا كأن الذى أصابه ليس إلا حوادث عادية يتعرض لمثلها كل إنسان .

وأخيراً وصل إلى نابولى فأخذ يبيع بها السلع متجولا . ومن هناك سافر إلى سويسرا وكانت لغته قد أصبحت مزيجاً من الروسية والعربية والإيطالية . وألف هذا النوع من الحياة وأمهله القدر فصار لا يتعرض لأخطار جديدة وأيسر وبدا اليسار عليه .

ولكنه لم يكن قد تعود هذه الحالة فتاقت نفسه إلى المخاطر ليتعرض لصدمات الأقدار ، فبدا فى نفسه نزوع وحنين إلى ماضيه المستهدف ، وان شئت فقل إنه أصبح فى حالة عقلية قلقة بسبب الراحة التى لم يعتدها . وبالرغم من مقاومته نفسه فقد عجز عن كبح عزمه على العودة إلى مجاهل افريقيا حيث تلفحه الشمس المحرقة ويتعرض لأذى الزنوج والحيوانات المفترسة

وسافر من مرسيليا على ظهر سفينة الى الجزائر فغرقت السفينة على مسافة قليلة من الشاطئ الفرنسى فأعيد الى باريس . ولكن ما الذى يفعله الباريسيون بمخلوق تعس كهذا ...؟

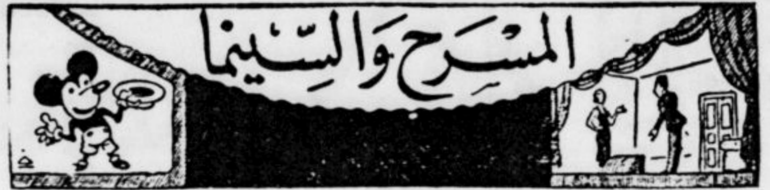
وضعوه فى معرض وكتبوا على قفصه «مخلوق تعس» وصار الأغنياء والأطباء والمفكرون يذهبون ليسمعوا منه قصته ويروا شكل جمجمته الصغيرة وعينيه الضيقتين ليصلوا إلى تعليل لتعاسته . ولكن كان ذلك على غير طائل

واستفاد إيجور من هذا العرض مالا كثيراً فعزم على استئناف العمل وعاد يعمل ويقتات . ولكن القدر أبى عليه أن يستريح فتشبثت بذهنه فكرة لم يستطع إلا تحقيقها وهى أن يعود الى سيبريا فيبحث عن أمه المجهولة ، فعاد ، ولما وصل إلى روسيا كانت الثورة قد نشبت فجردته من أمواله عصابات اللصوص وألقته فى خندق . وأبى عليه حظه أن يموت فيستريح ومن أجل ذلك نجا بأعجوبة واستأنف تجواله ، ولما وصل الى القوزاق اشتغل كاتباً وكادت الراحة تعرف طريقها اليه ولكن التفكير فى أمه لم يتركه . ولذلك سافر إلى سيبريا

ولما وصل إلى البلدة التى ولد فيها كان قد بلغ الثلاثين من العمر ، وفى يوم وصوله وكان جواز السفر الذى ابتاعه من موسكو قد باعه إياه رجل اتضح انه مجرم سياسى محكوم عليه بالاعدام — فى يوم وصوله وقع هذا الجواز فى يد الحكومة فأعدمت «إيجور» بغير تحقيق ... اعتقاداً منها بأنه ذلك المجرم السياسى

وهكذا شنق إيجور فلم يبكه صديق أو قريب ولم يذكره ذاكر، وهل يذكر الناس من ضحايا الأقدار غير الأبطال والملوك ؟

عبد اللطيف النشار



فيـــلم «أحب البلدى»

تأليف وإخراج حسين فوزى

إنتاج شركة أفلام الشباب

القصة

قامت فكرة القصة — إن كانت لهـا فكرة — على أساس الاشادة بطبقة (أولاد البلد) والتنديد بالطبقة (الراقية) تنديدا أحسب أنه لا يتفق مع الواقع فى كثير ولا فى قليل. ولست أدرى لماذا يعتمد أكثر المخرجين عندنا على عرض هذه الفكرة بالذات فى أكثر أفلامهم ؟! وإن كنت أدرى أن الفن أكبر من أن يستغل فى هذا التملق الرخيص المبتـذل، وليس بمعقول أن حياة الطبقة الراقيـة أو الطبقة الغنية عنـدنا تنحصر فى (الرجس والخمر والميسر) وحياة (أولاد البلد) كلها (شهامة ورجولة وكرم)، وإنما المعقول أن لكل طبقة — على وجه الأرض — مزاياها وعيوبها، وأعتقد أنه من الخير لأهل الفن فى مصر أن يدعوا هذا التهريج الأجوف ويعملوا للفن وللفن وحده حتى يمكن أن يوجد عندنا نهضة فنية صحيحة.

الإخراج

حفل الاخراج بفجوات متعددة فى أغلب المشاهد. مثال ذلك: أقام (عادل) حفلة خيرية لجمع التبرعات لمساعدة (الأسطى ابراهيم)، ولم يحضر هذه الحفلة إلا نفر قليل من أبناء البلد. فكيف تسنى له أن يحصل على ثمن (جوز خيل) مع أن أى تبرع لم يزد عن خمسين قرشاً، وكيف هربت (شربات) من المنزل وأين كان أبوها وأين كانت أمها ؟! وكيف غادر عادل منزل أبيه مطرودا ولم يتدخل جده فى هذه المسألة ؟! وكيف يشفى مريض قرر الطبيب أن مرضه خطير بكلمة (بابا وماما) ؟! وكيف تذهب نازك إلى منزل لم تعرفه من قبل ولم تسأل أحداً عن مكانه، وكيف تركها والدها تذهب إلى ذلك المنزل فى منتصف الليل بدون مبرر؟! وما هو الداعى للمشاجرة التى حدثت فى (الصالة) وكان من الممكن عدم حدوثها بكلمة، وما هو عمل مختار فى (الصالة) وبأى حق يضرب (زبون) ولا يتدخل أحد ؟! وكيف عرف (الأسطى ابراهيم) نبأ اشتغال ابنته بالرقص ولماذا لم يمنعها من ذلك إذا كان لا يوافق على اشتغالها بالرقص ؟! وهناك أخطاء متعددة لا يتسع المجال لسردها فنكتفى بهذا القدر.

التمثيل

قامت تحية كاريوكا بتمثيل دور (شربات) فنجحت فيه، والذى لوحظ عليها أنها عندما كانت تبكى فى بعض المواقف تبدو وكأنها تبتسم، وقام الأستاذ أنور وجدى بتمثيل دور (عادل) فعرف كيف يقوم به على أكمل وجه. وقام الأستاذ محمود المليجى بتمثيل دور (شوكت بك) فوفق على الرغم من أن الدور لا يناسبه. وكذلك وفقت سامية عبد العزيز على الرغم من أنها أصغر من أن تكون «أم عادل» وكذلك نجح الأساتذة: حسن فايق — مختار حسين — كامل الصاوى — أما شكوكو فننصح إليه أن يخفف من (تهريجه) وأما شافية فقد نجحت كمطربة فقط.

الأغانى

أحسب أنهم لم يأتوا فيها بجديد تأليفاً وتلحيناً.

التصوير والديكور والصوت

بدت أكثر المناظر رديئة، ولم يكن الديكور متقنا، ولم يكن الصوت واضحا.

كلمة أخيرة

أعتقد أن الوقت قد حان ليراجع أصحاب الشركات السينمائية أنفسهم من حيث الطريقة التى ألفوا إخراج أفلامهم بها (أو) عليها، فالهدنة قد قربت، والأفلام العالمية سوف تغرق سوقنا (ناطقة بلغتنا) مقدمة لنا خير الموضوعات لأخلد المؤلفين فما بالنا نحن لا نزال نعتمد على إقحام (الغناء والرقص والتهريج) فى كل فيلم غير مبالين أن يجىء موضوعه تافها، وسياقه مفككا ... مع أن شيئاً من العناية بالقصة والقاص يوفق بين المزاج الشعبى الذى يريده أصحاب الشركات والنجاح الفنى الذى يقاوم — إلى حد — طغيان الفيلم الأجنبى ... لكم أتمنى أن يراجع «تجار السينما» فى مصر أنفسهم !!

عبد الفتاح متولى غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦١١ — الاثنين ١٦ مارس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 611

Lundi - 19 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦١١ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ١٩ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

سؤالان وجوابان

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأديب « على الشوكاني » في البصرة يقول :

« كنت أقرأ المقدمة الممتعة التي صدر بها المستر هـ . ج ولز كتاب المستر فرانك سوترتن فوقفت أمام قوله : إنه باعتباره كاتباً ينتمي إلى مدرسة ، وباعتباره قارئاً ينتمي إلى مدرسة أخرى ، كما يتفق أن يشتغل الإنسان بالآلات البصرية ثم يعنى بجمع الآنية الصينية القديمة ... وهو قول يحتمل التأييد والتفنيد على السواء ، ولا ينحصر الاعتراف به في الكاتب الإنجليزي الأشهر وحده بل يتعداه إلى أدباء كثيرين . ولكن هل تختلف عند الكاتب الواحد بوجه عام أهداف الكتابة وأهداف القراءة ؟ وهل يصح مثلا أن يحيا عقله في دنيا تخالف كل المخالفة أو بعضها تلك التي يحيا فيها بقلمه ؟ وهل ثمة تعليل مقبول لهذا التباين الواضح بين دنيا العقل ودنيا القلم ؟...

هذا ما أرجو أن تتفضلوا بشرحه على صفحات الرسالة الغراء أحد ميادين الأدب الخالد ، وإني الشاكر الحامد ... »

***

والذي نعتقده أن هذه الحالة معقولة لا غرابة فيها ، وليس من وجه لاستغرابها إلا أن ترى أن الإنسان لن يقرأ إلا ليكتب ولن يشتغل بموضوع إلا الذي يشتغل به قراؤه ، وكلاهما مخالف للواقع المشاهد في كل مطلب وكل بيئة .

فمن الناس كثيرون يقرأون ولا يكتبون ، وليس الكاتب بدعا بين القراء في مطالعاته . فيجوز إذن أن يقرأ في موضوعات لا ينوي الكتابة فيها ولا يهمه أن يعقد التفاهم عليها بينه وبين قرائه .

كذلك يصح أن يشتغل الكاتب بشؤون كثيرة لا يشتغل بها قراؤه ومريدوه . فربما كان من هؤلاء القراء من يتلقى عنه تجاربه الخاصة التي يشرح فيها ما جرى له ولا يشرح فيها مطالعاته ومعارض درسه ، وربما كان منهم من يقرأه لأنه حلقة بينه وبين جيل مضى من المؤلفين والكتاب ، فيكون الكاتب حينئذ كالقنطرة الثقافية بين شاطئ وشاطئ مفترقين .

ومن المعهود بيننا أن الشاعر لا يقرأ الشعر دون غيره ، وأن الفيلسوف لا يقرأ الفلسفة دون غيرها ، وأن المصور قد يقرأ الروايات والروائي قد يجمع الصور ويدرس التصوير .

ومن تجاربي التي أعلمها في الكتابة والقراءة أنني أقرأ كثيراً في موضوعات لا أطرقها ولا أنوي أن أطرقها إذا كتبت للتأليف أو للصحافة . ومن هذه الموضوعات طبائع الأحياء وعجائب النبات ورحلات الأقدمين والمحدثين ، وما من خليقة إنسانية أعرفها إلا أحببت أن أقابل بينها وبين نظائرها في عالم الحيوان أو عالم النبات ، ولكني لا أفعل ذلك تمهيداً للكتابة

عنها وإن جاءت الكتابة عرضاً فى بعض المناسبات .

وما زالت المطالعة ملجأ نفسياً للمطالع يأوى إليه ويجب أن يخرج إليه من شواغل دنياه . فالرجل المشغول بالمسائل الطبية أو الاجتماعية أو السياسية يروقه أن يخلو ساعة من الساعات بالشعر أو بالقصة أو بكتاب من كتب الإيمان والعقيدة ، وهو إذا قرأ فى كتب الايمان والعقيدة لا ينوى من ثم أن يبشر بالدين أو يؤم الناس فى الصلاة ، ولكنه يستريح من حال إلى حال ، ويدع الدنيا هنيهة لينفرد بضميره أو بتفكيره فى مناجاة لا علاقة بينها وبين الناس .

فالاختلاف بين العالم الخاص والعالم العام فى كثير من الأوقات معقول لا غرابة فيه ، ومن قبيل هذا الاختلاف أن يختلف ما نقرأ وما نكتب ، وأن يختلف ما يعنينا وما يعنى قراءنا ، فهم يقرأوننا نحن ونحن لا نقرأ أنفسنا ، بل نقرأ غيرنا ولا يلزم أن يكونوا معنا طرازاً واحداً لا تنوع فيه .

لكن ينبغى أن نفرق بين هذا وبين القول بأن الكاتب يعيش فى عالم غير الذى يقرأه ضرورة لا محيص عنها .

فاذا وجد من يقرأ أبا العلاء ويكتب فى القانون فلا مانع ولا شذوذ ، ولكنه لا يحرم عليه أن يقرأ أبا العلاء ويكتب فى الزهد والأخلاق أو العقائد والديانات .

***

ومن البصرة أيضاً جاءتنى رسالة ختمها كاتبها الأديب « الفريد سمعان » من طلبة المدرسة الثانوية بسؤال يقول فيه :

« ... هل يكتفى الأديب أو الذى يريد أن يصبح أديباً بمطالعة الكتب التى تصدر فى العصر الحاضر دون الرجوع إلى الكتب القديمة والإعتماد على المخطوطات السالفة ؟ »

وهذا سؤال مفيد .

وجوابه المفيد أن الاكتفاء بأدب العصر الحاضر مستطاع ولكنه ليس بأفضل الحالات .

وتقاس حاجات النفس على حاجات الجسد بغير اختلاف يذكر فى هذا المقام .

فالرجل الذى يكتفى بمحصول أرض واحدة يعيش ويأخذ بنصيبه من الحياة ، ولكنه ليس بأوفى نصيب وليست عيشته الجسدية كعيشة الرجل الذى يغتذى بمحصولات البلاد على تنوعها ويأخذ من كل محصول خير ما يعطيه .

وقد يوجد فى الادباء من يكتب أو ينظم وليس له اطلاع واسع على أدب عصره ولا على آداب العصور الأخرى .

وكذلك يوجد فى أقوياء الأجسام من يأكل الطعام الغث ويستفيد منه لجودة هضمه وانتظام وظائف جسده .

ولكننا عند ما نضع قواعد الصحة وأصول التغذية لا نقول للناس كلوا الطعام الغث واعتمدوا عليه فى تقوية الأبدان وتنظيم وظائف الأعضاء .

وعلى هذا القياس نفسه لا نقول للناس عندما نضع قواعد القراءة وأصول التثقيف والتهذيب إن الاطلاع وترك الاطلاع يستويان .

فالانتفاع بالطعام الغث شذوذ لا يقاس عليه . ومثله فى الشذوذ أولئك الذين ينظمون أو يكتبون ما يحسن أن يقرأه القارىء دون أن يرجعوا إلى أدب العصر أو آداب العصور .

ومما لا مراء فيه أن الرجل الذى ينتفع بالطعام الغث يزداد انتفاعه بالطعام الجزل كلما وصل إليه ، وأن الرجل الذى ينظم أو يكتب بغير اطلاع يترقى فى منازل الأدب كلما استوفى حظه من المطالعة والدرس والمراجعة .

فالاكتفاء بالقليل من الأدب جائز كالاكتفاء بالقليل من كل شىء ، ولكنه القليل فى الحالتين ولن يكون شأنه كشأن الكثير .

ومن الحسن جداً فى هذا الباب أن نذكر أن الأدب قيمة حيوية أو قيمة انسانية قبل أن يكون قيمة لغوية أو قيمة فنية أو تاريخية.

ويغنينا تذكر هذه الحقيقة عن الجدل أو عن اللبس فى كثير من الأمور .

فالذين يقولون إن الطبيعة هى وحى الشاعر الأول الذى لا يحتاج بعده إلى وحى الصناعة :

أو الذين يقولون إن البلبل يوحى إلى الشاعر بتغريده . وإن الوردة توحى إليه بنضرتها ، وإن الشفق يوحى إليه بألوانه وظلاله وخفقات الهواء فيه ...

كل أولئك خلقاء أن يذكروا أن القريحة التى تستفيد من

تعبير عصفورة أو تعبير زهرة تستفيد ولا شك أضعاف تلك الفائدة من تعبير أبى الطيب وهوميروس وابن الرومى وبيرون وعمر الخيام ، لأن قصائد هؤلاء تعبير عن الطبيعة الحية وليس قصاراها أنها لفظ يقال أو أنها فن يصاغ .

فالاطلاع على ثمرات القرائح اطلاع على ثمرات الحياة ، وكلما اتسع النطاق اتسع التعبير وتنوعت الثمرات ، لأنك لا تعرف الحياة الإنسانية بالإطلاع على أبناء زمانك الذين يشبهونك ويتلقون معك الشعور من مصدر واحد ، ولكنك تعرف الحياة الإنسانية حق عرفانها إذا عرفت الصلة التى بين العصور المختلفة والأقطار المتباعدة ، وعرفت الواشجة التى تجمع بينها على تعدد المصادر وتفاوت المؤثرات .

وليس هذا بميسور لشعراء العصر الواحد ، وكيفما كان نصيب هؤلاء فهو ولا جدال دون النصيب الذى يظفر به قراء جميع العصور .

عباس محمود العقاد

من مئذنة القصبة

لأمير الأمراء السيد حسن حسنى عبد الوهاب

وزير القلم بتونس

من كوة هذه المئذنة الحفصية العتيقة — مئذنة جامع القصبة القائم فى قلب مدينة تونس — يرسل المتأمل بصره فتتجلى له « الخضراء » كأنها برنس أبيض مفروش على شاطىء .

وأول ما يشخص أمام بصره هذه المآذن السامقة الضاربة فى الجو التى تزين أفق تونس ، وتقوم أدلة شاهدة على هذه العهود التى مضت ، عهود الأغالبة والفواطم والحفصيين والأتراك الذين كانوا يفتنون افتناناً فى إقامة هذه المآذن الرائعة يدعو عليها الداعى إلى عبادة الله ، فى مختلف مواقيت الصلاة .

ويالله ما أجمل هذه القباب البيض الناصعة البياض ، والخضراء الشديدة الخضرة ، والصفراء الفاقعة الصفرة ! كم تبعث فى النفوس البهجة والغبطة ! وكم توحى إلى النفس معانى من الجلال والتقديس ! وكم تمتع العين بمجال من الجمال الرائق ، هذا الجمال الذى يزيده شعاع الشمس روعة وفتنة .

إن هذه المآذن والقباب لرائعة فى إشراق الشمس وبزوغ القمر . إنها لسحر فى الليل والنهار . إنها آية من الفن تمتع الناظر بمختلف المعارض والمناظر .

من كوة هذه المئذنة يشرف المطالع على تونس اشرافاً محيطاً فلا ينفلت من العين معلم من معالمها ، ولا يندّ عنها مظهر من مظاهرها . يرى تونس العربية فى شكلها الشرقى البديع ، ويتبع النظر فتبدو له المدينة الأوربية الحديثة بعماراتها الشاهقة وقصورها العالية .

ها هى ذى سطوح الدور العربية بيضاء مشرقة . وها هى ذى سقوف الأسواق المقوسة تبدو كأنها مسايل من ماء منسابة . وها هى ذى القصبة تظهر عامرة بهذه الدواوين الحكومية التى أقيمت على أشكال بعضها شرقى والآخر غربى . وها هى ذى بحيرة تونس تلوح من بعيد وقد انعكست عليها أشعة الشمس وأرست فيها البواخر ، وطار فى جوها هذا الطائر الرائع النُّحام «البشروش» ذو الأجنحة الوردية والطيران النشوان . وها هو ذا خليج تونس يشق الأرض شقاً والرتل الكهربى يبدو كأنه أرقم جدّ فى هربه ، ينساب فى هذا البرزخ الممدود بين العاصمة والمصطاف التونسى البديع « حلق الوادى » الفضى الأسحار ، الذهبى الأصائل .

وها هو ذا جبل (الزلاّج) المترامى الأطراف تتوج هامته تلك القبة الخضراء القائمة فى ذروته كأنها قلعة حربية ، وما هى فى الحقيقة إلا زاوية الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين عيذاب من صحراء مصر .

ومنه تنتقل العين إلى ذلك الجبل الأشم الشامخ المرهوب جبل (أبى قرنين) المطل على مربع (حمّام الأنف) وعلى قمة هذا الجبل كان القرطاجنيون أقاموا معبداً لبعل ذى القرنين كبير آلهة الفينيقيين وما يزال التونسيون إلى اليوم يسمونه بجبل أبى القرنين .

وما تزال العين تقع من هذا الموقع الكاشف على بدائع الخضراء حتى يبدو لها من بعيد ذلك الجبل الآخر السامق الذراء « جبل زغوان » مسبح الصلحاء وخلوة العباد والزهاد ، ومنبع العين الدفاقة التى تفيض بخيرات مائها النمير على العاصمة التونسية وضواحيها .

حقاً ، إن تونس من هذا المكان تخلب اللب وتأسر الفؤاد . وإنك لتود ألا تبارح هذه المناظر الصباح والمباهج اللطاف ، وهذا المزاج من الجلال والجمال والماضي والحاضر ، والذوق الشرقي والغربي الذي عمل في تكوين تونس ، في هندامها الأنيق ، وتخطيطها الدقيق ، وحسن موقعها ، وإحاطة الجبال والهضاب بها إحاطة الهلال ؛ اللهم إلا ما يصل بين البر والبحر .

إن موقع تونس الجغرافي لبديع غاية الإبداع ، هي بحرية كأنها جزيرة ، وهي برية كأنها صحراء . فهي تجمع بين الضب والنون كما يقول الجاحظ في مدينة البصرة .

أما ترى البحر كيف يهاجم بأمواجه هذا المرفأ ، فهي تصطفق وتموج وتصخب ، حتى إذا ما اصطدمت بهذه الحواجز القائمة على الساحل انثنت مبددة متناثرة ، وما هي إلا لمحة حتى تتجمع موجة أخرى هاجمة تريد أن تشفي صدرها من صدمة هذه الحواجز ، ولكنها تنهزم مع صاحبتها الأخرى ، فلا الموج يكف عن الهجوم ولا الساحل يلقي سلاح المقاومة ...

أما ترى هذه الهضاب المحدقة بتونس ، كأنها جيوش جرارة نصبت لحراسة الخضراء ، أعلامها أشجارها ، وعدتها صخورها ، وهيبتها شموخها ، وخيلاؤها ارتفاع رأسها في الجو .

بحر إن شئت حدثك عن الأساطيل القرطاجنية ، والأغلبية والفاطمية ، وكيف شقت صفحته هذه الأساطيل الغازية لتونس ، الحارسة لسواحل البحر الأبيض المتوسط . فكأنها أسود البحر ، لكنها تدفع الشر وتجلب الخير .

وجبال إن شئت نبأتك عن مدنية قرطاجنة وعن حضارة الأغالبة والفواطم والحفصيين والأتراك . وحدثتك أحاديث القرون الغابرة ، والأجيال العابرة ، التي مرت بهذا القطر على سواحل البحر الأبيض المتوسط وضفاف أودية الصحاري الأفريقية ، جبال تصور لك الشمس وهي مائلة إلى الغروب ، مرسلة شعاعها العسجدي العليل على مآذن تونس ، والمؤذن ينتظر ليدعو الناس إلى الشكر والحمد . وتريك ضوء الفجر ينشر في الآفاق رواءه والمؤذن أيضاً يجهر بدعائه : الصلاة خير من النوم !

حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي

على قبر المعري

للدكتور عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب

— ٤ —



ما أجدر هذه الأبيات أن تنقش عند ضريح الشاعر (١) ، وأى كلام أولى بقبر ابى العلاء من أبياته فى صفة قبره ؟ طال وقوفنا وتأملنا واعتبارنا ناظرين إلى هذا الجدث ، قرئين فيه فلسفة أبى العلاء القائل .

لو نُخِل الناس لما حصّلت شيئاً سوى الموت يد الناخل

والفكر يحلق فى أرجاء العالم ، ويعبر صحف الحياة ثم يقف على هذا القبر كما يقع الطائر بعد طول تحليق وتدويم .

فيالك قبراً على قربه نظل المقول به فى سفر
ويالك قبراً كعين البصير يحوى العوالم فيها صِغَر

وتكلم على القبر الدكتور طه حسين والدكتور مهدى البصير وأنشدت قصيدة معروف الرصافى ، ولكن كان سكون هذا الجندل أبلغ . كان هذا السكوت أغلب على السمع والقلب من كل قول . ان هذا السطر المسمّى الضريح بيتُ المقطع من شعر الفيلسوف الحزين . إن هذه الصفيحة الجاثمة على قبره وقد ألحّ عليه البلى ألف عام لكلمة فى فلسفة المعرى جامعة . لا أدرى أأقول إنها عنوان وراءه كل ما قال الشاعر فى الحياة والموت ، أم أقول إنها توقيع الزمان مصدّقاً كل ما أنشد الشاعر فى البلى والفناء والزوال .

(١) تقدمت الأبيات فى المقال السابق .

ثم دخلنا إلى الحجرات التى شيدت وراء القبر لتتخذ خزائن لمكتبة المعرى . وانصرف الزائرون يسلكون الشارع الكبير إلى دار مضيّفنا . وسلكت فى صحبة سعادة الأستاذ كرد على دربا عتيقا ضيقا إلى هذه الدار ، الدار التى أكرمت وفادتنا قبل أربعة عشر عاما ، دار حكمت بك الحراكى . وهى من دور الشام القديمة ظاهرها قلعة وباطنها روضة . وكانت الدور الكبيرة فى تاريخنا تبنى ليسكن إليها أهلها وينعموا فيها ويستكنوا ، وكانت حرما لأهلها ، ومنتدى للصَّحب والجيرة . فلما قُلبت معيشتنا ، قلبت الدور فصار باطنها ظاهرَها ، وزالت حُرمتها وحصانتها وهجرها أهلها إلى النوادى العامة .

اجتمع الضيوف فى قاعات الدار وفى حديقتها حول الأحواض والنافورات وقد صفت قلوبهم ونضرت وجوههم ، وتحدثوا فى ماضيهم وحاضرهم . ثم اجتمعوا على المائدة فكهين فرحين يذكرون المعرى ويذكرون الأدب العربى والأمة العربية كلها . ورب الدار وأولاده وأقاربه قائمون يتنافسون فى خدمة الضيفان مبالغة فى الاحتفاء والإكرام .

وقدّمت الفواكه فيها تين المعرة وهو أخضر كبير حلو . قلنا لهذا رغب أبو العلاء فى التين وجعله حلاوته قال :

يُقنعنى بُلسُن يمارس لى فأن تكن حلاوة فبَلَس

والبلس التين .

وقال ياقوت فى معجم البلدان عن أهل المعرة : « ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين » .

* * *

خرجنا بعد هزيع من الليل والقمر يترقرق نوره على بلدة أبى العلاء الحبيبة — كانت — إليه ، وفيها يقول وهو ببغداد :

فيا برق ليس الكرخ دارى وإنما رمانى إليه الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسال

فياوطنى إن فاتنى بك سابق من العيش فلينعم لساكنك البال
فان أستطع فى الحشر آتك زائراً وهيهات ـ لى يوم القيامة أشغال

وضربنا صوب الشمال نقصد حلب .

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت السبيل

والسيارات تجدّ فى سكون الليل لا يُسمع إلادويها ولا يرى معها إلا ظلالها . ورحم الله أبا العلاء كأنه عناها حين قال :

ولما لم يسابقهن شيء من الحيوان سابقن الظلالا

وكان حديثنا أفانين في تاريخنا وحاضرنا وذكرى أبي العلاء وبعض الشعراء لاسيما أبو الطيب المتنبي، وتأبى مكانة أبي الطيب إلا أن تصله بكل حديث عن الأدب أو جدال فيه. وصدق الأستاذ النشاشيبي حين يقول: ما تكلم اثنان في الأدب إلا دخل معهما المتنبي خصما ثالثاً. وكم أنشدنا من شعر أبي الطيب في مسيرنا هذا وردّدنا الحديث بينه وبين المعري المعجَب به. وكيف لا نذكر المتنبي ونحن على مقربة من حلب التي ما برحت تدوّي بشعره منذ أنشده فيها.

طاب لنا أن نقيس فلسفة الشاعر الحزين اليائس رهن المحبسين بفلسفة الشاعر الساخط المتكبر الآمل الرّحال الجوّال، صفحتان في الأدب خالدتان، وسيرتان في الحياة مختلفتان، وهما في الحق متقاربتان، على عكس ما قال أبو الطيب:

وقد يتقارب الوصفان جدا وموصوفهما متباعدان

وأقبلت حلب بذكرها، وأشرفنا عليها في حشد من التاريخ نكاد نسمع البحتري والمتنبي والصنوبري، ونبصر ازدحام الوفود على أبواب سيف الدولة، والجيوش ذاهبة لحرب الروم وآيبة والخطوب في مدها وجزرها، والزمان في نعيمه وبؤسه.

ودخلنا المدينة وكاد الليل ينتصف، والقمر يجلو محاسنها، ويجمل ذكرياتها وعلى ألسنتنا قول الصنوبري:

حلب بدر دجى أنجمها الزهر قراها
أي حسن ما حوته حلب أو ما حواها
حلب أكرم مأوى وكريمٌ من أواها
بسط الغيث عليها بُسط نَور ما طواها
وكساها حُللا أبدع فيها إذ كساها

ولم ننس أبيات كشاجم، وكيف ينسى زائر حلب هذا الشاعر المبدع.

أرتك يدا الغيث آثارها وأخرجت الأرض أزهارها
وما أمتعت جارها بلدة كما أمتعت حلب جارها
هي الخلدُ يجمع ما يُشتهى فزُرها فطوبى لمن زارها

وأوينا إلى فندق بارون حيث لقينا وجوها معروفة تبالغ في الحفاوة بنا، من حكام حلب وعلمائها وأدبائها، وبينهم شباب نجباء كانوا تلاميذ لنا في جامعة القاهرة.

وأصبحنا نجول في أرجاء المدينة نشهد آثارها وما شاده العمران الحديث فيها، ونمشي في أسواقها المعمورة التي عرفتها العصور القديمة والحديثة. رأيت القلعة العجيبة وكنت دخلتها مرات من قبل وذكرتها في رحلاتي فلا أعود إلى وصفها ولكن أكتفي بكلمة لياقوت لم أنقلها في الرحلات:

« وأما قلعتها فبها يضرب المثل في الحسن والحصانة. لأن مدينة حلب في وطاء من الأرض. وفي وسط ذلك الوطاء جبل عال مدوّر صحيح التدوير مهندَم بتراب صح به تدويره. والقلعة مبنية في رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره إلى الماء، وفي وسط هذه القلعة مصانع تصل إلى الماء المعين، وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة »

وقد أخبرت أن آثاراً لسيف الدولة عثر عليها في القلعة أخيراً، إلى ما رأينا فيها من آثار الأيوبيين والمماليك وغيرهم.

وكانت جولتنا في الأسواق قصيرة ممتعة جامعة. سرّنا ما رأينا من عظم الأسواق والخانات، وأعجبتنا بدائع الصناعات الحلبية. وحلب منذ العصور القديمة معروفة بتجارتها وصناعتها ولأهلها بصر بالتجارة وعناية بها، وأسفار في سبيلها.

وقد حدثني أحد تجار حلب بهذه الفكاهة:

قال رجل لآخر: لا يخلو قطر في الأرض من حلبي. فما راه الرجل في هذا وقال: إني ذاهب إلى الهند وما أحسبني أجد فيها حلبياً، وسأنظر. فلما جال الرجل في أرجاء الهند وجد قبرا كتب عليه: « هذا قبر فلان الحلبي الأعرج »

وقال ياقوت:

« وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه أدباء وشعراء ولأهلها عناية بإصلاح أنفسهم وتثمير أموالهم، فقل أن ترى من نشئها من لم يتقيل أخلاق آبائه في مثل ذلك. فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة، يتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان ».

وأنا أرجو أن يدوم أهل حلب على هذه السيرة الطيبة النافعة إن شاء الله.

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

سهام ماضية

للدكتور محمد مندور

هناك ثلاث رذائل كبيرة تنخر فى أخلاق الكثير من المصريين على نحو لم أر له شبيها فى بلد من بلاد العالم على كثرة ما رأيت من بلاد وقابلت من بشر، ولا بد من أن نفضحها لعلها تخفى عن نواظرنا شبحها المرذول فقد سئمت لقياها فى كل سبيل وبمنحنى كل نفس.

أما أولاها فهى محاولة كل إنسان أن يوهمك أنه أكبر وأفضل وأعلم مما هو. ولقد كان من عادتى الصبر فكنت أتلقى هذه الدعاوى بصدر رحب. ولكننى لم أكن ألبث أن أحس بنوع من اختلاس الثقة يحاوله من يتخطى حدود نفسه. وليس أمر على النفس ولا أهيج للحفيظة من خيبة الأمل. وإنه لمن اليسير على من أوتى شيئاً من الفراسة وسداد الرأى أن يحكم على الناس وينزلهم منازلهم الحقة؛ وإنه لمن الخير لنا جميعاً أن نحاول دائما احتلال المكان الذى نستحقه فى النفوس دون تطاول أو انحطاط، وأما الإقحام فما نظنه يعقب أثراً باقيا حتى ولا بنفوس البله. ولست فى الحق بواثق من أن أمثال هؤلاء الناس الذين نشكو منهم الآن مر الشكوى يعون ما يفعلون، أم هم فى غفلة الغرور. ولكننى لاحظت فى الغالب الأعم أنهم مشربون بحقارتهم، وأنهم يبذلون مجهوداً إراديا لتغطية تلك الحقارة بالإيهام. وذلك لما نلاحظه من هياج فى الحركات وضغط على مخارج الحروف وتصنع للانفعال وارتفاع فى الصوت وهلهلة فى ملامح الوجه وتنطع فى السكون والحركة.

وثانيتها غيرة مسرفة وحقد عجيب. ولكم ساءلت نفسى لماذا يشغل الناس أنفسهم بغيرهم إلى هذا الحد المدمر، وتلك مشاعر خليقة بأن تنزل بالنفس الخراب. والذى عهدته فى النفوس القوية هو نزوعها المستمر إلى التسامى بذواتها. فهى تسمى لأن تكون فى يومها خيرا من أمسها، وأن تعمل فى غدها ما يبذ عملها فى حاضرها. فاذا عز التسامى كان الاستجمام فى ثقة وتوثب. وأما أن يفنى المرء بياض يومه وسواد لياليه فى التفكير فيما وصل إليه هذا الشخص أو ذاك، أو الخوف من أن يسبقك زيد أو بكر فهذا شعور صغير لا تعرفه إلا نفس صغيرة، وهو دليل عدم الثقة بالنفس كما هو دليل على انهيار الشخصية، وإن كان هناك شعور قبيح من مشاعر البشر فأجدر به أن يكون هذا الشعور.

وثالثها فساد عميق فى تربية الناس الاجتماعية. فقد تلاقى صنوفا من الأفراد بعضهم صغير وبعضهم كبير، ولقد تتلطف مع الصغير بدافع إنسانى برىء ظانا أنك بعملك هذا تدخل السرور على نفس بشرية، فاذا بك وقد سقطت هيبتك من قلبه، وإذا به يتطاول إلى الناس بك فى غير ذوق ولا حياء. ولقد تفسح فى صدرك، ثم يأتى يوم يتحرك دمك فاذا بك ترد فى عنف، وإذا بالمسكين يصحو بعد غفلة، وإذا به يشكو دون أن يفهم شيئاً أو يدرك له محنة. وإذا كان كبيرا ولكنه صغير النفس وعاملته فى رفق وتأدب ظن معاملتك ضعفا، أو خيل إليه وهمه ذلك، فاذا جاء يوم وصفعته صفع الأقوياء لأنك رجل عزيز النفس حامى الدماء أسقط فى يده وأخذه إما عناد الحمقى وإما انهيار الأذلاء. ولست أدرى لذلك من سبب غير فساد التربية الاجتماعية، فسادها فى المنزل وفى المدرسة وفى الوظيفة وفى الشارع وفى الدكان وفى المصرف وفى كل مكان، حتى لكأنك تسير فى بلد كله أرقاء، سيان فى ذلك سيدهم ومسودهم، رئيسهم ومرؤوسهم، بلاد منكودة وأخلاق مسفة! أى عذاب نفسى فى أن تراك مضطرا إلى تقدير كل لفظ تقول وكل حركة أو ابتسامة أو تقطيب جبين! أناس لا فهم لهم ولا تقدير، لا يعرفون حداً يبدأون منه ولا حداً ينتهون إليه أنعام سائمة! ترى أباستطاعتك أن تخلق لنفسك عقلية جديدة وذوقا جديدا وتربية جديدة تماشى بها الناس، أم تأخذك العزة فتثبت كما أنت محاولا أن تنقل العقول وتحول الأذواق وتسدد التربية لتستطيع أن تتفاهم مع الناس أو أن تقبلهم أو تطيق عليهم صبرا. هذه أسئلة لا يستطيع الإجابة عليها غير الله فاليه نفوض الأمر.

محمد مندور

يوحنا الدمشقي

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد علي

— ٢ —

ذكرنا أن يوحنا جادل المسلمين في طبيعة المسيح ، وأنه وضع خطة للمسيحيين وجادة ثابتة للبحث والمناظرة استهلها بهذه الكلمة : « إذا سألك العربي ما تقول في المسيح ؟ فقل له إنه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المسلم بعد ذلك بم سُمي المسيح في القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم فإنه سيضطر إلى أن يقول : « كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه »[1] . فإن أجاب بذلك ، فسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة أو غير مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله إذاً كان ولم تكن له كلمة ولا روح . فإن قلت ذلك فسيفحم العربي ، لأن من يرى هذا الرأى زنديق في نظر المسلمين »[2] .

قال المستشرقون : أثار يوحنا بهذا السؤال وبأمثاله مشاكل خطيرة في الإسلام كمشكلة « خلق الأفعال » ومشكلة « خلق القرآن » ومشكلة « صفات الله » وأضرابها . لأنه استدرجهم على رأيهم بهذه الأسئلة والأجوبة إلى أمور لم يكن المسلمون يخوضون فيها . وهو رأى لا يسمح لنا الموقف بالتعرض له لأننا في موضع ترجمة شخص لا في موضع مناقشة آراء .

على أن في كتب الأخبار والفرق والتواريخ ما يتعارض مع كثير من عقائد مذهب المستشرقين . وما بالنا نذهب بعيداً وفي عبارة يوحنا نفسها مايفند هذا الرأى ويدحض هذا الزعم؟ جاء على لسانه : « فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأى زنديق في نظر المسلمين » ، ومعنى هذا أن جماعة من المسلمين كانت تتباحث في

(١) سورة النساء آية ١٧٠ .

(٢) عن تراث الاسلام ج ١ ص ٢٤٨ . راجع ميمى رقم M. 94, ff 1585 . جاء في ملحوظة (١) من تراث الاسلام ج ١ ص ٢٤٨ روى ابن خلكان في أخبار الحكماء . وهذا خطأ إذ أن مؤلف أخبار الحكماء هو.

صفات الله أهي قديمة أزلية أم حادثة ومن جملة ذلك كلام الله[1] . والمعروف أن جعد بن درهم الذي ذبحه خالد بن عبد الله القسري في عيد الأضحية ، والذي كان أستاذ مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية كان من القائلين بخلق القرآن[2] .

وأما « القدر » والقدرية فقد وردت في القرآن الكريم آيات تدل على أن الإنسان مخير قادر على أفعاله . كما وردت آيات تدل على عكس ذلك ، وقد ورد مثل ذلك في الحديث . ويستشهد « المعتزلة » ومن يذهب مذهبهم على صحة دعواهم بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث من أقوال الرسول[3] . وقد ورد على لسان الصحابة ما يدل على أن بعض أصحاب رسول الله كانوا يذهبون هذا المذهب . خذ ما جاء في كتاب « نهج البلاغة » لما سئل الإمام علي بن أبي طالب « أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر »[4] ، وقد أجاب الإمام « بكلام طويل هذا مُختاره » .

« ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً . ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد . إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً . ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يطع مُكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »[5] .

وروى عن عليّ كل ما يخالف هذا الكلام ، يرويه أصحاب نظرية « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه »[6] . وروى عن نافع أن رجلا جاء إلى ابن عمر ، فقال : إن فلاناً يقرأ

(١) راجع Islam Studies, Part 1 p, 434

(٢) وكان من زملاء غيلان الدمشقي ومعبد الجهني ، راجع كتاب التبصير في الدين لأبي المظفر الاسفرايني ١٩٤٠ ، وكان له رأى في القدر ص١٣ أيضاً مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، اختصار عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني طبعة فيليب حتى . مطبعة الهلال سنة ١٩٢٤ ص ١٢ .

(٣) راجع كتب المعتزلة كالكشاف للزمخشري وكتب علم الكلام أيضاً كتاب الكافي للكليني في الحديث وهو يشرح وجهة نظر أئمة الشيعة

(٤) راجع نهج البلاغة في « باب المختار من حكم أمير المؤمنين » . راجع شرح ابن أبي الحديد .

(٥) نهج البلاغة شرح الامام محمد عبده ج٣ ص١٥٣ وهناك رأى الامام

(٦) شرح العقائد النسفية ، كذلك ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٤٥ .

عليك السلام . فقال ابن عمر : أنه بلغنى أنه قد أحدث التكذيب بالقدر ، فإن كان قد أحدث فلا تقرأ منى عليه السلام »[1].

وذكر ابن العبرى أن معاوية بن يزيد الأول كان قدرياً (من المؤمنين بالاستطاعة) ، وأن عمراً المقصوص كان قد علمه ذلك فدان به وتحققه ، ولم يزل به حتى أفسد رأيه فلم يقبل بالخلافة ، فوثب بنوأمية على عمرو المقصوص وقالوا أنت أفسدته وعلمته ، فطمروه ودفنوه حياً[2].

إلى آخر ما هنالك من أخبار تدل على أن « القدرية » أو « قدرة الإنسان على خلق أفعاله » كانت قد انتشرت لدى المسلمين قبل أن ينشأ يوحنا بل وقبل جداله مع المسلمين . وأن هذه الفكرة كانت قد اتخذت شكلا اجتماعياً سياسياً خطيراً . روى « أن رجلا قال لابن عمر : ظهر فى زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التى حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون : كان ذلك فى علم الله . فغضب ابن عمر وقال : سبحان الله ، كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه يحملهم على المعاصى »[3].

وكان بنو أمية باستثناء نفر منهم[4] يكرهون القدرية ومن كان يقول بها ، وقد نكلوا بالقدريين كل التنكيل ، ولذلك لم يكن المعتزلة وهم خلفاء القدريين يعطفون على الأمويين[5].

« وبنو أمية كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة ، لا ديناً فقط ، ولكن سياسياً كذلك ، لأن الجبر يخدم سياستهم . فالنتيجة للجبر أن الله الذى يسير الأمور قد فرض على الناس بنى أمية كما فرض كل شىء ، ودولتهم بقضاء الله وقدره . فيجب الخضوع للقضاء والقدر »[6].

كذلك أتى عطاء بن يسار ومعبد الجهنى الحسن البصرى وقالا: يا أباسعيد ، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قدر الله تعالى[7].

(1) ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٤٥ .
(2) ابن العبري تاريخ مختصر الدول بيروت ١٨٩ص ١٩٠ وما بعد
(3) راجع كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم للمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده طبعة أولى مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر اباد دكن ج ٢ ص ٣٢
(4) مثل ما ذكرناه عن معاوية وعن يزيد بن الوليد ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨٢ ومروان الجعدى .
(5) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨١ .
(6) نفس المصدر .
(7) مفتاح السعادة ج ٢ ص ٣٢ .

فالأحداث السياسية التى حدثت بعد وفاة الرسول ، والأوضاع الاجتماعية هى التى أثارت تلك المشكلة التى وردت فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول مع غيرها من المشاكل التى كان الصحابة يحجمون عن الخوض فيها وأعنى بها مشكلة المتشابهات .

روى العلماء أنه « فى عهد الفاروق رضى الله عنه ، أخذ رجل يقال له صبيغ بن عسل يسأل عن المتشابه ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتناً بين العامة ، فطلبه عمر وقال له : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، وقال عمر : أنا عبد الله عمر . فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمى رأسه . فقال صبيغ : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله[1] .

وعلى كل فقد حدثت هذه المشكلة ، مشكلة القدر والاستطاعة قبل أن يخلق يوحنا بزمن ، فلا يصح إذاً أن يقال بأن يوحنا كان هو مثير هذه المشكلة فى الإسلام ، وأن نظرية « القدر » دخلت عن طريق النصرانية وحدها إلى الإسلام بدليل ظهور هذه المشكلة فى الشام ، والشام ملتقى النصرانية فى الجزيرة العربية ، وبظهور هذه المشكلة فى العراق على يد نصرانى يقال له سوسن ، كان نصرانياً فأسلم ، وكان أول من نطق فى القدر ، وعنه أخذ معبد الجهنى ، وعن معبد هذا أخذ غيلان الدمشقى[2]. فقد رأينا على أن القول بالقدر كان قديماً ، وعلى أنها لم تقتصر على الشام والعراق ، بل ظهرت فى الحجاز كذلك بنفس الوقت الذى ظهرت فيه الفتن السياسية ، إن لم يكن قبل ذلك . وفى رواية ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وأنس بن مالك ما فيه الكفاية والتسليم[3] . ولا عبرة أيضاً بإسناد كتب الفرق هذه الفكرة إلى نصرانى معين أو مجهول فقد عودتنا هذه الكتب نسبة الفرق المخالفة إلى اليهودية أو المجوسية أو الثنوية والديصانية ، وهى عادة كانت متبعة لدى جميع أهل الأديان[4] .

(يتبع)

جواد على

(1) التبصير فى الدين لأبى المظفر الأسفرايني مطبعة الأنوار سنة ١٩٤٠ ص ٢
(2) راجع التبصير فى الدين ص ٤٠ أيضاً اللالكائى فى شرح السنة . كذلك الملل والنحل للشهرستانى وكتب الفرق الأخرى
(3) راجع التبصير فى الدين ص ١٠ مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٢١
(4) راجع كتب تاريخ الأديان .

على هامش النقد :

التناسق الفنى في تصوير القرآن

للأستاذ سيد قطب

قلنا : إن القرآن يرسم صوراً ويعرض مشاهد[1] ، فينبغى أن نقول : إن هـذه المشاهد وتلك الصور ، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفنى فى ماء الصورة ، وجو المشهد ، وتقسيم الأجزاء ، وتوزيعها فى الرقعة المعروضة .

والذى نعنيه هو :

أولا : ما يسمى « بوحدة الرسم » . وحتى المبتدئون فى القواعد يعرفون شيئاً عن هذه الوحدة ، فلسنا فى حاجة إلى شرحها . ويكفى أن نقول إن القواعـد الأولية للرسم تحتم أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة ، فلا تتنافر جزئياتها .

وثانياً : توزيع أجزاء الصورة — بعد تناسبها — على الرقعة بنسب معينة حتى لا يزحم بعضها بعضا ، ولا تفقـد تناسقها فى مجموعها .

وثالثاً : اللون الذى ترسم به ، والتدرج فى الظلال ، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع .

والتصوير بالألوان يلاحظ هذا الانسجام ، ويقع شىء منه فى بعض المشاهد المسرحية والسينمائية المبدعة . والتصوير فى القرآن يلاحظ هذا كله ، وإن كانت وسيلته الوحيدة هى الألفاظ. وبذلك يسمو الإعجاز فيه على تلك المحاولات .

١ — خذ سورة من السور الصغيرة التى ربما يحسب البعض أنها شبيهة بسجع الكهان أو حكمة السجاع . خذ سورة « الفلق » .

فما الجو المراد إطلاقه فيها ، إنه جو التعويذة ، بما فيـه من خفاء وهينمة وغموض وإبهام ، فاسمع :

« قُلْ : أعوذُ بربِّ الفَلَق . من شرِّ ما خَلَق . ومن شرِّ غاسِقٍ إذا وَقَب . ومن شرِّ النفَّاثات فى العُقَد . ومن شر حاسد إذا حسد » .

فما الفلق الذى يستعيذ بربه ؟ نختار من معانيه الكثيرة معنى الفجر ؛ لأنه أنسب فى الاستعاذة به من ظلام ما سيأتى : مما خلق ومن الغاسق ، ومن النفاثات ، ومن الحاسد ، ولأن فيه إبهاما خاصاً سنعلم حكمته بعد قليل .

يعوذ برب الفجر « من شر ما خلق » هكذا بالتنكير وبما الموصولة الشاملة . وفى هـذا التنكير والشمول يتحقق الغموض والظلام المعنوى فى العموم . « ومن شر غاسق إذا وقب » الليل حين يدخل ظلامه إلى كل شىء ، ويمسى مرهوباً مخوفاً . « ومن شر النفاثات فى العقد » وجو النفث فى العقد من الساحرات والكواهن كله رهبة وخفاء وظلام ، بل هن لا ينفثن غالباً إلا فى الظلام . « ومن شر حاسد إذا حسد » والحسد انفعال باطنى مطمور فى ظلام النفس ، غامض مرهوب كذلك .

الجو كله ظلام ورهبة ، وخفاء وغموض . وهو يستعيذ من هـذا الظلام بالله ، والله رب كل شىء . فلم خصصه هنا « برب الفلق » ؟ . . . لينسجم مع جو الصورة كلها ، ويشترك فيه . ولقد كان المتبادر إلى الذهن أن يعوذ من الظلام برب النور ، ولكن الذهن هنا ليس المحكم ، إنما المحكم هنا هو حاسة التصوير الدقيقة ، فالنور يكشف الغموض المرهوب ، ولا يتسق مع جو الغسق والنفث فى العقد ، ولا مع جو الحسد … و « الفلق » يؤدى معنى النور من الوجهة الذهنية ثم يتسق مع الجو العام من الوجهة التصويرية ، وهو مرحلة قبل سطوع النور تجمع بين النور والظلمة ، ولها جوها الغامض المسحور .

ثم ما هى أجزاء الصورة هنا أو محتويات المشهد ؟

هى من ناحية : « الفلق ، والغاسق » مشهدان من مشاهد الطبيعة ومن ناحية « النفاثات فى العقد ، وحاسد إذا حسد » مخلوقان آدميان .

وهى من ناحية : « الفلق » و « الغاسق » مشهدان متقابلان فى الزمان . ومن ناحية : « النفاثات » و « الحاسد » جنسان متقابلان فى الإنسان .

(١) يراجع عدد الهجرة من الرسالة هذا العام .

وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعاً متناسقاً . متقابلة فى اللوحة ذلك التقابل الدقيق . وكلها ذات لون واحد ، فهى أشياء غامضة مرهوبة ، يلفها الغموض والظلام . والجو العام قائم على أساس هذه الوحدة فى الأجزاء والألوان .

ليس فى هذا البيان شىء من التمحل ، وليست هذه الدقة كلها بلا هدف . وليس هذا الهدف حلية عابرة . فالمسألة ليست مسألة ألفاظ أو تقابلات ذهنية . إنما هى مسألة لوحة وجو وتنسيق وتقابلات تصويرية تعد فناً رفيعاً فى التصوير ، يلفت النظر إذا أداه مجرد التعبير .

٢ — عبر القرآن عن الأرض قبل نزول المطر ، وقبـــل تفتحها بالنبات ، مرة بأنها « هامدة » ومرة بأنها « خاشعة » وقد يفهم البعض أن هذا مجرد تنويع فى التعبير . فلننظر كيف وردت هاتان الصورتان :

لقد وردتا فى سياقين مختلفين على هذا النحو :

(ا) وردت « هامدة » فى هذا السياق « يأيها الناس : إن كنتم فى ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مُضْغة مُخلّقة وغير مخلقة ؛ لنبيّن لكم ، ونُقِرُّ فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العُمر ، لكى لا يعلمَ مِنْ بعد علمٍ شيئاً ، وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج » .

(ب) ووردت « خاشعة » فى هذا السياق : « ومن آياته الليلُ والنهار والشمس والقمر ، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ، إن كنتم إياه تعبدون ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت »

وعند التأمل السريع فى هذين السياقين ، يتبين وجه التناسق فى « هامدة » و « خاشعة » . إن الجو فى السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج ؛ فما يتسق معه تصوير الأرض بأنها « هامدة » ثم تهتز وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج .

وإن الجو فى السياق الثانى هو جو عبادة وخشوع وسجود ، فما يتسق معه تصوير الأرض بأنها « خاشعة » فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت .

ثم لايزيد على الاهتزاز والإرباء هنا ، الإنبات والإخراج كما زاد هناك ، لأنه لامحل لهما فى جو العبادة والسجود . ولم تجىء « اهتزت وربت » هنا للغرض الذى جاءتا من أجله هناك . إنهما هنا تخيّلان حركة للأرض بعد خشوعها ، وهـذه الحركة هى المقصودة هنا ، لأن كل مافى المشهد يتحرك حركة العبادة ، فلم يكن من المناسب أن تبقى الأرض وحدها خاشعة ساكنة . فاهتزت لتشارك العابدين المتحركين فى المشهد حركتهم ، ولكى لايبقى جزء من أجزاء المشهد ساكنا وكل الأجزاء تتحرك من حوله . وهذا لون من الدقة فى تناسق الحركة المتخيلة ، يسمو على كل تقدير .

ويحسن أن نلاحظ أن الهمود والخشوع يتحدان فى المعنى العام ، ويستدل بهما فى الآيتين على قدرة الخالق على البعث ، فما هما إلا سكون أو خمود ، تعقبه الحركة والحياة ، فلو كان المقصود هو مجرد أداء المعنى الذهنى، لما كانت هناك ضرورة لهذا التنويع. ولكن التعبير القرآنى لايرمى إلى مجرد أداء المعنى الذهنى ، إنما يريد الصورة كذلك ، والصورة تقتضى هـــذا التنويع ، ليتم التناسق مع الأجزاء الأخرى فى اللوحة ، أو فى المشهد المعروض

ودلالة هذا التنويع حاسمة فى أن « التصوير » مقصود قصدا فى أسلوب القرآن ؛ وأن التعبير لايقصد إلى أداء المعنى الذهنى مجردا ، إنما يعمد إلى رسم صور للمعانى ، تختلف هذه الاختلافات الدقيقة اللطيفة حسب اختلاف الأجزاء والألوان

ثم لننظر الآن إلى « وحدة الرسم » فى كل من الصورتين ، وفى أجزاء الصورة كذلك .

وحدة الصورة الأولى هى : مخلوقات حية تخرج من الموت أو مشاهد حياة ، والأجزاء هى : نطفة تدرج فى مراحلها المعروفة ونبتة تصير زوجا بهيجاً . وهى تراب ميت تخرج منه هـذه النطفة ، وأرض هامدة تخرج منها هذه النبتة . والجو العـام هو جو الإحياء المرتسم من هذه الأجزاء

ووحدة الصورة الثانية هى : مخلوقات طبيعية عابدة ، أو مشاهد طبيعة . والأجزاء هى : الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والأرض

خاشعة لله . تموج فيها وتتصل بها جماعتان من الأحياء مختلفتا النوع متحدتا المظهر : جماعة من الناس تستكبر على العبادة ، وجماعة من الملائكة تعبد بالليل والنهار . والجو العام هو جو العبادة المرتسم من هذه الأجزاء .

وهكذا تتناسق الجزئيات مع الجو العام ، وتتحد جزئيات الصورة الواحدة تحقيقاً لوحدة الرسم وتوزع الأجزاء في الرقعة بهذا النظام العجيب .

٣ — عرض القرآن في مواضع مختلفة كثيراً من صور النعمة التي أفاءها الله على الإنسان . وفي كل موضع كان يعرض مجموعة من النعم ، متسقة « الوحدة » على هذا النحو الذي نعرضه في موضعين للتمثيل :

(ا) « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعا إلى حين » .

« والله جعل لكم مما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكناناً ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم . كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

(ب) « وإن لكم في الأنعام لعبرة نسيقكم مما في بطونها — من بين فرث ودم — لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

« ومن ثمرات النخيل والأعناب ، تتخذون منه سكراً وورزقاً حسنا . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

« وأوحى ربك إلى النحل : أن اتخذى من الجبال بيوتاً ، ومن الشجر ، ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون »

يلاحظ في هذين السياقين أن الأنعام مذكورة فيهما على السواء ، فلننظر من أي الجوانب عرضت في كل سياق ، ولماذا عرض هذا الجانب هنا ، وذلك الجانب هناك .

(ا) السياق الأول يرسم صورة أو مشهداً للبيوت ، والأكنان والظلال ، والسرابيل ، وكلها مما يلاذ به ، أو يستتر ، أو يستظل أو يحتمى . ولأن هذا هو « وحدة الرسم » عرض من « الأنعام » الجانب الذي يتفق مع هذه الوحدة . عرض الجلود التي تتخذ بيوتاً تستخف يوم الظعن ، والأصواف والأوبار والأشعار التي تتخذ أردية وأثاثاً .

(ب) والسياق الثاني يرسم صورة أو مشهداً لاستخراج الأشربة : السكر الذي يستخرج من الثمار ، والعسل الذي يخرج من النحل . ولأن هذه هي « وحدة الصورة » عرض من الأنعام الجانب الذي يناسب الأشربة . عرض اللبن السائغ للشاربين .

ولم تقف دقة التنسيق عند وحدة المنظر العامة ، بل تمشت إلى دقائق الجزئيات : فهذا السكر يستخلص من الثمرات المخالفة في هيئتها وطبيعتها للعسل ، وهذا اللبن يستخرج من بين فرث[1] ودم المخالفين في هيئتهما وطبيعتهما للبن ؛ فهي كلها تستحيل من أشياء أخرى . ثم المنظر كله منظر زراعي حيواني .

ألا إنه الإبداع هنا في دقة التصوير ، وفي تناسق الإخراج . ومثل هذه اللمسات الدقيقة التي تستوعب دقائق الجزئيات كثير في القرآن ، نكتفي منه بهذه الأمثلة ، ونضيف إليها المثال التالي لماله من دلالة خاصة !

٤ — « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما » .

فالصورة صورة مبايعة بالأيدى ، ولتنسيق الجو كله ، جعل « يد الله فوق أيديهم » واستخدم هذا التجسيم في موضع التجريد المطلق ، والتنزيه الخالص .

وعلماء البلاغة يسمون مثل هذا : « مراعاة النظير » ويعنون منه الجانب اللفظي ، لأنهم لم يحاولوا أن يلحظوا جانب التصوير ، ونحن نأخذ تعبيرهم نفسه « مراعاة النظير » ونعني به جانب التناسق الفني في الصورة ، للمحافظة على « وحدة الرسم » وعلى جو المشهد وعلى الانسجام العام .

***

ولكن القرآن لا يستخدم في التصوير هذه « اللمسات الدقيقة » وحدها ؛ إنما يستخدم كذلك « اللمسات العريضة » (ونحن نعبر بلغة التصوير لأننا في الواقع أمام تصوير قبل التعبير) هذه اللمسات العريضة قد تجمع بين السماء والأرض في نظام ، وبين مشاهد الطبيعة ومشاهد الحياة في سياق . حيث تتسع رقعة

---

(١) الغذاء المهضوم في الأمعاء .

الصورة لهذا كله على أساس من « الوحدة الكبيرة » بدل « الوحدة الصغيرة » .

١ — من ذلك : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ؟ » .

فهذه ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال ، في مشهد واحد ، حدوده تلك الآفاق الوسيعة من الحياة والطبيعة ، والملحوظ هنا هو « الضخامة » وما تلقيه في الحس من استهوال . والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة ، والإبل الصاعدة السنام . وهذه دقة تأخذها عين المصور الدقيقة في الأشكال والأحجام .

ومما يلاحظ هنا بعين المصور كذلك أن لوحة طبيعية تشمل السماء والأرض والجبال ، لايبرز فيها من الأحياء إلا الجمال ، أو ماهو في حجم الجمال ! والجمل هو الحيوان المناسب . لأنه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال !

٢ — ومن هذا النحو — مع تغيير في مواضع اللمسات : « ولقد جعلنا في السماء بروجاً ، وزيناها للناظرين ، وحفظناها من كل شيطان رجيم ، إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين . والأرض مددناها ، وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ، وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين » .

ففي السماء بروج ضخمة ، وشهب تنقض على المردة . وفي الأرض الممدودة رواس راسخة ، ونبت « موزون » (لا « بهيج » لطيف !) وفي الأرض كذلك « معايش » بهذا الجمع والتكثير ، وفيها من لايرزقه الناس بهذا التهويل والتنكير ... وهذه مشاهد وخدتها الضخامة الحسية والمعنوية .

٣ — وقد تتسع الرقعة ويتطاول المدى وتعرض اللمسات ، ولكنها تدق في النهاية حتى تتناول الجزئيات :

مثال ذلك : « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت . إن الله عليم خبير » .

فهذه رقعة فسيحة في الزمان والمكان ، وفي الحاضر الواقع ، والمستقبل المنظور ، والغيب السحيق ، وفي خواطر النفس ووثبات الخيال ، مابين الساعة البعيدة المدى ، والغيث البعيد المصدر ، وما في الأرحام الخافي بلفظه وحقيقته عن العيان ، والرزق في الغد وهو قريب في الزمان مغيب في المجهول ، وموضع الدفن وهو مبعد في الظنون .

إنها رقعة فسيحة الآماد والأرجاء ، ولكن اللمسات العريضة بعد أن تتناولها من أقطارها ، تدق في أطرافها ، وتجمع هذه الأطراف كلها عند نقطة الغيب المجهول ، وتقف بها جميعاً أمام كوة صغيرة مغلقة ، لو انفتح منها سم الخياط لاستوى القريب خلفها بالبعيد ولانكشف القاصي منها والدان .

***

ذلك أفق واحد من آفاق التناسق الفني في تصوير القرآن ووراءه آفاق أخرى وآفاق !

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٣٢ — فافطن لأمرك . . .

قال أبو حيان التوحيدي : جرى بيني وبين أبي على مسكويه شيء : قال لي مرة : أما ترى إلى خطأ صاحبنا — وهو يعني ابن العميد — في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة : لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق .

فقلت — بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف — : أيها الشيخ ! أسألك عن شيء واحد فاصدق فانه لامدبّ للكذب بيني وبينك ، لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تتخيله في نفسك مخطئا ومبذراً ومفسداً أوجاهلاً بحق المال ، أو كنت تقول : ما أحسن مافعل ، وياليته أربى عليه . فان كان الذي نسمع على حقيقته فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعى الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف ، وتختار المختار ؛ فافطن لأمرك .

٦٣٣ — وأكره أن يكون علي دين

خطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق[1] ؟ وارتفع السّجف[2] فرأى شيئاً كرهه ؛ فقال والله ماعندي نقد ، وإني لأكره أن يكون عليّ دين .

٦٣٤ — نحن إلى إمام فعال أحوج منا إلى إمام قوال

في (محاضرات الراغب) :

كان أبو بكر بن قريعة[1] (قاضي السندية[2] وغيرها من أعمال بغداد) من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالأجوبة عن جميع ما يسأل عنه في أفصح لفظ ، وأملح سجع . وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء يداعبونه ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتبُ الأجوبة من غير توقف ولا يكتب إلا مطابقاً لما سألوه . فمن ذلك ما كتب به بعض الفضلاء : ما يقول القاضي (أيده الله تعالى) في رجل سمّى ولده مداماً ، وكنّاه أبا الندامى ، وسمى ابنته الراح ، وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده الشراب ، وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة ، وكناها أم النشوة ، أينهى عن بطالته ، أم يؤدب على خلاعته ؟

فكتب تحت السؤال : لو نُعت هذا لأبي حنيفة ، لأقعده خليفة[3] ، وعقد له رايه ، وقاتل تحتها من خالف رايه . ولو علمنا مكانه ، لقبلنا أركانه . فان أتبع هذه الأسماء أفعالا ، وهذه الكنى استعمالا ، علمنا أنه أحيا دولة المجون . وأقم لواء ابنة الزرجون[4] ، فبايعناه وشايعناه . وإن تكن أسماء سماها منه بها من سلطان خلعنا طاعته ، وفرقنا جماعته ؛ فنحن إلى إمام فعال ، أحوج منا إلى إمام قوال .

٦٣٥ — يمشي في جنازته

في (معجم البلدان) لياقوت :

مسعر بن مهلهل في رحلته : بلغنا أن نصر بن أحمد السعيد الساماني (صاحب خراسان وماوراء النهر) عمل قبره قبل وفاته بعشرين سنة ؛ وذلك أنه حدّ له في يوم مولده مبلغ عمره ، وأن موته يكون بالسل ، وعرف اليوم الذي يموت فيه ، فخرج يوم موته إلى خارج بخارا ، وقد أعلم الناس أنه ميت في يومه ذلك ، وأمرهم أن يتجهزوا له بجهاز التعزية والمصيبة ، فسار بين يديه ألوف من الغلمان وقد

---

(١) الصداق : — بفتح الصاد وكسرها مشددة — مهر المرأة والجمع أصدقة وصدق — بضم الصاد والدال — (اللسان)

(٢) السجف : الستر .

---

(١) اسمه محمد بن عبد الرحمن ، وفاته سنة (٣٦٧) وعمره (٥٠) سنة

(٢) السندية : قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار والنسبة إليها سندوانى للفرق بينها وبين بلاد السند (ابن خلكان)

(٣) الزمخشرى : كلمات السجع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ولا يتم ذلك إلا بالوقف وإلا ذهبت أيادي سبا .

(٤) الزرجون : الخمر

ظاهروا اللباس بالسواد ، ثم تبعهم نحو ألف جارية ، ثم جاء عامة الجيش والأولياء حاثين التراب على رؤوسهم ، واتصلت بهم الرعية والتجار فى بكاء شديد . وشهر هو نفسه بضرب من اللباس ، ثم جاء أولاده يمشون بين يديه حفاة وبين أيديهم وجوه كتابه وخدمه وقواده ، ثم أقبل القضاة والعلماء يسايرونه فى غم وكآبة ، وأحضر سجلا كبيراً ملفوفاً فأمر القضاة والكتاب بختمه ، وأمر نوحاً ابنه أن يعمل بما فيه . واستدعى شيئاً من حساء فى زبدية من الصينى ثم تناول منه شيئاً ثم تغرغرت عيناه بالدموع وتشهد ، وقال : هذا آخر زاد نصر من دنياكم ، وسار إلى قبره ودخله وقرأ عشراً فيه ، واستقر به مجلسه ، ومات . . . ! ! !

٦٣٦ — يحب البلاء لماسه كريم

أبو سعيد المخزومى :

إذا كنت فى بلدة نازلا ... وحل الشتاء حلول المقيم
فلا تبرزن إلى أن ترى ... من الصحو يوماً صحيح الأديم
فكم زلقة فى حواشى الطريق ... ترد الثياب بخزى عظيم
وكم من لئيم غدا راكباً ... يحب البلاء لماش كريم

٦٣٧ — لولا المشقة

قال ابن خلكان : بلغنى أن ابن مطروح كتب — قبل ارتفاع درجته — رقعة تتضمن شفاعة فى قضاء شغل لبعض أصحابه أرسلها إلى أحد الرؤساء ، فكتب إليه ذلك الرئيس فى جوابه : هذا الأمر على فيه مشقة .

فكتب ابن مطروح جوابه ثانياً : « لولا المشقة »

فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده وهو قول المتنبى :

لولا المشقةُ سادالناسُ كلُّهمُ ... الجودُ يفقرُ، والإقدامُ قتّالُ

٦٣٨ — لا جرم انه أثر الحسد فيك . . .

قال إسحق الموصلى : أنشدت الأصمعى شعراً لى ، على أنه لشاعر قديم :

هل إلى نظرة إليك سبيلُ ... يروَ منها الصدى ويشف الغليل [1]

(١) يرو : مجزوم بان مضمرة لوقوعه جوابا لاستفهام و (يشف) معطوف عليه .

إن ما قل منك يكثر عندى ... وكثير من الحبيب القليل

قال لى : هذا — والله — الديباج [1] الخسروانى [2] .

فقلت له : إنه ابن ليلته ، فقال : لا جرم أن أثر التوليد فيه .

فقلت له : لا جرم أن أثر الحسد فيك . . .

٦٣٩ — أشم نسيم قرطبة

قال ابن بشكوال : دخل الشيخ أبو بكر بن سعادة مدينة طليطلة مع أخيه على الشيخ الأستاذ أبى بكر المخزومى فسألنا : من أين ؟

فقلنا : من قرطبة !

فقال : متى عهدكما بها ؟

فقلنا : الآن وصلنا منها !

فقال : اقربا إلى أشم نسيم قرطبة . فقربنا منه فشم رأسى وقبله وقال لى اكتب :

أقرطبة الغراء هل لى أوبة ... إليك وهل يدنولنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربى منك غمامة ... وقعقع فى ساحات روضتك الرعد
لياليك أسحار وأرضك روضة ... وتربك فى استنشاقها عنبر ورد

٦٤٠ — سكارى . . .

السرى الرفاء :

وفتية زهر الآداب بينهم ... أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشىَ الرُّخ وانصرفوا ... والراح تمشى بهم مشى الفرازين [3]
غدوا اليها كأمثال السهام مضت ... عن القسىّ وراحوا كالعراجين [4]
وكان شربهم فى صدر مجلسهم ... شرب الملوك وناموا كالمساكين

(١) الديباج : الثياب المتخذة من الأبريسم (النهاية) الأبريسم الحرير . وفى (شفاء الغليل) : ديباج معرب ديوباف أى نساجة الجن .

(٢) ثوب خسروانى وخسروى منسوب إلى خسرو شاه من الأكاسرة (الأساس)

(٣) الرخ من أدوات الشطرنج معرب وضعوه تشبيها بالرخ الذى هو الطائر ، طائر كبير يحمل الكركدن ...ج رخخة (التاج) فرزان الشطرنج معرب فرزين وهو بمنزلة الوزير للسلطان وتفرزن البيدق صار فرزانا (التاج)

(٤) العرجون عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف . (الكشاف) العرجون العذق إذا يبس واعوج (اللسان)

فى الأدب العـــــربى

للأستاذ عبد اللطيف محمد ثابت

فى عدد مضى من الثقافة كلمة للأستاذ الكبير أحمد بك أمين يعيب فيها على كثير من الأدباء ميلهم إلى قصر الأدب على الشعر والنثر الفنى المصنوع ، ويحثنا أن نعيد النظر فى هذا الوضع من ناحية الأدب القديم والحديث : فمن ناحية القديم يجب أن نتوسع فى فهم معنى الأدب ، فندخل فيه الشعر الصوفى والنثر الصوفى ، والأساليب المتبعة فى شرح النظريات الاجتماعية والاقتصادية إذا كانت أدبية ، وكذلك الأساليب المتبعة فى كتب التاريخ والرحلات والفلسفة والقصص من نوع ألف ليلة وليلة . ومن ناحية الحديث يجب أن يتجه أدباؤنا إلى الموضوع أكثر من الشكل ، وحمد الله إذ رأى هذا الاتجاه واضحاً جلياً من أدباء العصر الحديث ، وضرب لذلك الأمثلة ، ثم قال : « ففهمنا للأدب على أنه شعر أو نثر يشبه الشعر أو قصة بديعة ، أو نحو ذلك ، فهم قاصر ، والأدب أوسع من ذلك وأشمل » ، وقال : « وأرى أن هذه الفكرة عن الأدب غير صحيحة ، وأنها ضارة بالناشئين والمتعلمين ؛ إذ تجعلهم يتصورون الأدب على أنه حلية لفظية شكلية ، فإذا عمق الكاتب وفكر تفكيراً دقيقاً ، خرج عن الأدب ولم يسم أديباً ، وضرر هـذا واضح ، وهو اتجاه الأدب العربى إلى السطحية ، والعناية فيـه بالشكل أكثر من الموضوع »

هذا مجمل ما قاله أستاذنا الكبير ، ولا أدرى إلى أى شىء يرمى . إنه عاب على الأدباء قصـ ـم الأدب على الشعر والنثر المشبه الشعر والقصة البديعة ونحو [illegible] لأنه أوسع من ذلك وأشمل ، فماذا بقى بعد هذا مما يصح أن يكون فى متناول أوسع وأشمل ؛ حتى ندخله فى الأدب ؟

إن الشعر هو الكلام ذو الوزن والقافية المشتمل على التصوير البديع المؤثر لأنواع الإحساس ، سواء أكان إحساساً صوفياً أم فلسفياً أم خيالاً من واد آخر غيرهما . والنثر المشبه للشعر هو ذلك النثر الفنى المصنوع ، ويراد بالصنعة ما يرتفع بالنثر إلى ما يحقق معنى الفصاحة والبلاغة على ما اتفق عليه الأقدمون ، ولم يعارض فيه المحدثون ، سواء أتناول النثر شرحاً لنظريات اجتماعيـة أم اقتصادية ، أم تناول التاريخ والرحلات ، أم تناول الفلسفة ، أم كان قصصاً ، بل يمكن أن يدخل فى متناول النثر الفنى المصنوع بهذا المراد من الفن والصنعة طوائف العلوم الأخرى ، فكلها نثر فيه فن وفيه صنعة بحسبه ، فماذا بقى بعد ذلك حتى يكون فهمنا للأدب على أنه الشعر أو النثر المشبه للشعر أو القصة البديعة أو نحو ذلك فهماً قاصراً ؟

لم يبق يا سيدى البك إلا الكلام الذى انفنع ولم تتحقق فيه شروط الفصاحة والبلاغة ، فصار بحكم ما فقد من شروط الأدب غير أدب ، وصار الكاتب له غير أديب .

فهل تريد أن يدخل مثل هذا على أنه أمثلة تحتذى فى مباحث الأدب ؟ فماذا يكون الأدب إذن ؟

إن الأدب فن رفيع كالموسيقى وما يشبهها ؛ فلنتصور أننا توسعنا فى متناول الموسيقى حتى جعلناها تشمل كل ما يمكن أن يكون صوتاً ، فهل يكون ذلك مقبولا ؟

كذلك الأدب لا يمكن أن يكون أدباً إذا توسعنا فيه فجعلناه يشمل كل ما يمكن أن يقال أو يكتب ، فإن ذلك تضييع لقيمة المثل العليا من الكلام ، وتضييع للمبرزين من الكتاب من القدماء والمحدثين ، مع ملاحظة أنه لا يعقل أن يكون كلام مكتوب لا موضوع له إلا ما يصدر من المجانين ؛ فأولئك الكتاب الذين يجلسون بجانب كل محكمة ، ويسمون بالكتاب العموميين ، لهم موضوعاتهم التى يتناولونها فيما يكتبون ، وليس من المعقول أن تكون رسائلهم من مباحث الأدب . ولست أعلم أن أحداً من المتقدمين منع أن يكون الشعر الصوفى والنثر الصوفى ، والكتب التى تشرح النظريات الاجتماعية والاقتصادية والتى تتناول التاريخ والرحلات والقصص من نوع ألف ليلة وليلة والفلسفة — منع أن تكون هذه مما يتضمنه معنى الأدب حتى ينبهنا الأستاذ الكبير إلى أن نعيد النظر فى هذا الوضع من ناحية الأدب القديم فندخل فيه هذه الموضوعات .

ويقول الأستاذ إن هذه الفكرة عن الأدب أنه مقصور على الشعر والنثر الفنى المصنوع ضارة بالناشئين والمتعلمين ، ويقصد من غير شك الناشئين والمتعلمين فى هذا العصر ، فهو يخشى عليهم أن



٣ - الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

يرى الفنان كل ما في الطبيعة جميلا

يوجد بمرسم رودان الكبير بمَيْدُون تمثال صغير على جانب كبير من الدمامة المروعة ، استقى مثالنا العظيم موضوعه من قصيدة ڤيلون المسماة La Belle Heaulmiere . كانت الحظية تشع يوما ما شبابا وجمالا ، أما الآن فهى عجوز شمطاء منهدمة تنبو عنها العيون . كانت مختالة فخورة بحسنها وروائها فاذا بها اليوم تُغص بالخجل من بشاعتها .

وهذه ترجمة بعض الأبيات التي ساقها ڤيلون على لسان الحظية البائسة .

« آه أيها الهرم المتعاظم الخوّان ، لم أذللتنى هكذا سريعاً ، ولم أمسكتنى هكذا حتى لا أستطيع أن أضرب ، فكنت أقضى بضربة واحدة على آلامى » .

هنا تبع المثال الشاعرَ خطوة فخطوة . فتلك العجوز الشمطاء التي تكرش جلدها حتى صار أكثر تكرشا من المومياء تحزن على بلى جسدها . تراها جالسة مقوسة تنظر في يأس وألم إلى ثدييها اللذين ضمرا ضموراً يثير الشجن ، وإلى جسدها الذى تجعد وتقبض تقبضا بشعاً ، وإلى ذراعيها وساقيها التي أصبحت عقداء كأصول الكرم أو هى أعقد . وثمت بضعة أبيات أخرى ساقها الشاعر على لسان الحظية أيضاً .

« عند ما أفكر بذهن كليل فيما كنت عليه بالأمس ، وفيما أنا عليه اليوم ، عندما أرى كيف استحلت هكذا : مسكينة بائسة مقددة نحيفة ، يتملكنى الأسى . أين جبينى الناصع وشعرى الذهبي وكتفاى الجميلتان — وكل ما كان فيَّ وقد خلق للحب ؟ هذه هى نهاية الجمال الانسانى ! وتلكما الذراعان النحيلتان ، واليدان المعروقتان ، تلكما الكتفان الحدباوان ، ذلكما الثديان والعجزان وتلكما الساقان ، خفتا وأصبحتا منقوطتين كأنها المصير المحشو » .

وهنا لانرى المثال يقل إدراكا للواقعية عن الشاعر ، بل نرى

يتجهوا فى أدبهم إلى السطحية والعناية فيه بالشكل أكثر من عنايتهم بالموضوع ، ثم يحمد الله أن يرى أدباءنا يتجهون اتجاهاً واضحاً إلى الموضوع أكثر من الشكل .

فهل كان أدباؤنا من غير الناشئين المتعلمين فى هذا العصر ؟ فمن الذى أرشدهم ألا يتجهوا فى أدبهم إلى السطحية وأخذ يحثهم على العناية بالموضوع دون الشكل ، وهم إنما درسوا الأدب قاصراً على الشعر والنثر الفنى المصنوع ، وهو الذى يعيبه الأستاذ احمد أمين على الأدباء .

إننى لا أنكر أنه قد أتى على الأدب حين من الدهر مال فيه الكتاب إلى العناية بالأسلوب أكثر من عنايتهم بالموضوع ، بل أسرفوا فى ذلك حتى عيب عليهم ، ولكن هذا النوع من الكتاب أقلية إذا قيسوا بغيرهم من أدباء اللغة العربية ، وقد أخذ عليهم إسرافهم فى العناية بالألفاظ وتنميقها أكثر من عنايتهم بالأفكار وتوليدها والموضوع ودراسته ؛ فلم يكن لما عيب عليهم أثر إلا بمقدار ما تظهر بدعة غير مستحسنة فى عصر من العصور ، ثم لا تلبث أن تهمل لما يشق فيها على الناس ، على أنه كان لأدب هؤلاء موضوعه الذى يحله محله من مباحث الأدب العام .

ولم يحل وجود هؤلاء الكتاب الشكليين فى عصور الأدب أن نفهم الأدب على حقيقته فى الشعر والنثر المشبه الشعر فى عصورنا هذه فيظهر فينا الكتاب الذين يعتمدون على الموضوع فى أسلوب ، لا على الأسلوب له صورة موضوع .

عبد اللطيف محمد ثابت

على النقيض من ذلك أن البشاعة التى يثيرها بهذا التمثال أوقع فى النفس من أبيات ڤيلون الجافية . نرى ثنى جلدها يتدلى على الهيكل العظمى فى ضعف واسترخاء ، والأضالع تبرز من تحت الصفاق أو الرّق الذى يغطيها ، ويبدو الجسم كله كأنه يرتعد أو ينكمش ويتضاءل . ومع ذلك نرى ألما عميقاً ينبعث من ذلك الجسد البالى المشوه المؤلم . وذلك لأن ما نشاهد منه هو الألم البالغ لنفس شغفها حب الشباب والجمال الخالد فأصبحت تنظر بيأس إلى الوعاء القبيح الدميم الذى يحتويها . انه التناقض البين بين الكائن الروحى الذى يتطلب اللذة الخالدة وبين الجسد الذى يبلى وينحل ويؤول إلى الفناء . تهلك المادة ويموت اللحم ، أما الأحلام والآمال فخالدة . وهذا ما أراد رودان أن نفهمه . هذا وإنى لأعتقد أن فنانا آخر صور لنا الهرم بمثل هذه الفظاعة الفجة ، اللهم إلا واحداً . فانك لترى على مذبح كنيسة بفلورنسا تمثالا عجيبا من صنع دونا تللو . ترى عجوزا عارية أو هى متشحة بشعرها الطويل الرفيع الذى يتشبث بجسدها المتهدم الفانى . إنها القديسة مجدولين فى الصحراء وقد قوست السنون ظهرها ، تنذر إلى الله الرهبوت الصارم الذى ستأخذ به جسدها جزاء وفاقا لما أسبغته عليه من رعاية فى الماضى . ولقد بلغت الصراحة الفطرية بهذا الفنان الفلورنتى مبلغا عظيما بحيث لا يتسنى لأحد أن يدانيه فيها ، حتى ولا رودان نفسه . ولكنا نرى إلى جانب ذلك أن الشعور فى العملين يختلف كل الاختلاف ، فبينا نرى القديسة مجدولين تبدو فى توبتها أكثر إشراقا كلما أحست أنها تزداد دمامة ، نرى من الناحية الأخرى الخطية الشمطاء تهلع عند ما ترى نفسها أشبه شىء بالجثة الهامدة . وعلى ذلك فالنحت الحديث أعظم وقعاً وأنجع فى تأثيره من النحت القديم .

وفى أحد الأيام درست تمثال رودان هذا لحظة ثم قلت له فى هدوء:

« أيها المعلم ! لا أظن أحداً يعجب بهذا التمثال المدهش إعجابى به . ولكن أرجو ألا يتملكك الامتعاض إذا ما أطلعتك على الأثر الذى تحدثه مشاهدته فى زائرى متحف اللوكسمبورج ، وفى السيدات خاصة » .

« أكون شاكراً لو تفعل ذلك » .

«حسن . إن النظارة لتفرمنه قائلة : آه ، ما أبشعه ! وكثيراً ما شاهدت بعض السيدات يتقينه بأيديهن حتى لا يرونه » فضحك رودان ملء شدقيه وقال :

« لابد أن يكون عملى من الوضوح والصراحة بحيث يحدث مثل هذا الأثر البين . ولا ريب أن هؤلاء الناس ممن يرهبون الحقائق الفلسفية المرة . غير أن كل ما يعنينى من الأمر ويهمنى هو أن أقف على آراء أولئك الذين وهبوا الذوق الحسن . ولقد سرنى أن أظفر بمدحهم لخطيئتى العجوز . ان مثلى كمثل ذلك المغنى الرومانى الذى أجاب على صخب الجماهير : إنى أغنى للنبلاء فقط ، أو بمعنى آخر للهواة الذين يفهمون ويتذوقون » .

يتبادر إلى ذهن السوقة أن ما يرونه قبيحاً فى الحياة لا يليق أن يكون موضوعا للفنان . يودون لو يمنعوننا من إظهار ما يسوؤهم من الطبيعة أو يقذى أعينهم ؛ وهذه غلطة شنيعة يغلطونها . إن ما قد يسمى عادة قبيحاً فى الطبيعة يمكن أن يكون لدى الفن عامرا بالجمال . وفى الواقع نسمى قبيحاً كل ما كان مشوها أو مريضا أو يشعر بعرض ، أو ما كان ضعيفاً أو مبتلى ، أو ما كان منافيا للمألوف الذى هو إمارة وشرط من شروط الصحة والقوة . فالأحدب قبيح ، والأعرج قبيح ، والفقر فى الأسمال البالية قبيح . وقبيح أيضاً روح الرجل الفاجر وسلوكه ، والرجل الخبيث المجرم ، والرجل الشاذ الذى يكون بلية على المجتمع ، وقبيح أيضاً روح الذى يفتك بوالديه ، وروح الخائن ، وروح كل دنىء المطامع . ومن الصواب تسمية الناس أو الأشياء التى لا نتوقع منها سوى الشر بتلك المسميات الكريهة . ولكن دع فنانا مبرزا أو كاتباً نابها يتولى بفنه قبحا واحداً أو أكثر مما ذكر فسرعان ما يتحول فى يديه ؛ إذ ينقلب بلمسة من عصاه السحرية إلى جمال رائع . إن هذا إلا كيمياء ، إنه السحر المبين !!

دع ڤيلا سكويز يصور سيباستيان ، Sebastian قزم فيليب الرابع ، ملك إسبانيا ، تراه يحبوه بتلك النظرة المؤثرة التى نقرأ فيها على الفور ما تنطوى عليه نفس هذا المخلوق التعس من الأسرار

المؤلمة ، ذلك المخلوق الذى ألجأته حاجته للعيش إلى أن ينزل عن كرامته الإنسانية فيصبح ألعوبة أو سخرة من المساخر الحية . وكلما زادت لذعة الألم فى نفس ذلك المخلوق البائس زاد جمال عمل الفنان .

وليصور فرنسوا ميليه فلاحاً يتـكىء على فعال[1] فأسه ليستريح لحظة ، رجلا بائساً أضناه التعب ولفحته الشمس ، غبياً كالحيوان الأعجم الذى أذهلته الضربات فيلدم . وما هو إلا أن يظهر فى تعبير هذا الشقى البائس ذلك الاستسلام السامى للألم الذى فرضه علينا القدر حتى يجعلنا نرى فيـه الرمز العظيم للانسانية كلها .

ثم ليصف لنا بودلير Beaudelaire جثة مقرّحة ، قذرة متلزجة ينخر فيها الدود ، ثم دعه يتخيل خليلته المحبوبة فى هذه الحالة المخيفة الممضة ؛ فلا يمكن والله أن يدانى شىء فى الروعة والفخامة صورته التى يضع فيها جنباً إلى جنب هذا الجمال الذى نرجو له الخلود ، وذاك الفناء المروع الذى ينتظره . وهاك أشعار بودلير

« ومع ذلك فستصبحين مثل هذا يوماً ما ، مثل هذه الوخامة التى تتقزز منها النفس ، أنت يانجم عينى ، أنت ياشمس طبيعتى . آه يا ملاكى ويا غرامى !

« نعم ياملـكة الحسن ، ستكونين هكذا بعد القداس ، عندما تلحدين تحت الحشائش والأزهار حيث تبلين بين العظام . وعندئذ يا حبيبتى خبرى الديدان التى تلتهمك بالقبل أننى — على الرغم منها ومن كل شىء — قد احتفظت بهيكل حى المقدس وروحه الذى فنى وباد » .

ومثل هذا ما كان من شكسبير عند ما وصف ياجو Iago أو رتشارد الثالث . وعندما صور راسين Racine نيرو ونرجس Nero and Narcissus ، كذلك يمكن أن ينقلب القبح الخاق موضوعا رائع الجمال إذا ما فسرته عقول صافية راجحة نفاذة .

وفى الواقع نرى أن الجميل فى الفن هو ماله شخصية . فالشخصية هى العنصر الضرورى لكل شىء طبيعى ، جميلا كان أو قبيحاً ، أو هى الحقيقة المزدوجة كما يجب أن نسميها . هى الحقيقة الداخلية تفصح عنها الحقيقة الخارجية ، هى الروح والشعور والأفكار تعبر عنها قسمات وجه أو أفعال الإنسان وإشاراته أو ألوان السماء أو خطوط الأفق ...

يرى الفنان العظيم أن لكل شىء فى الطبيعة شخصية لأن نظرته الفاحصة الصائبة تستجلى ما غَمض وخفى من معانى الأشياء جميعها . ولربما كان لنا نحسبه بشعا دميما من الشخصية أكثر من ذلك الذى نراه بسيما وسيما . وذلك لأن الحقيقة الداخلية قد تسطع فى أسارير سحنة مريضة ، أو فى نواحى وجه خبيث ، أو فى كل ما هو مشوه أو عفن ، سطوعا جلياً أكثر مما فى القسمات الصحيحة العادية .

وطالما كانت قوة الشخصية وحدها هى التى تظهر الجمال فى الفن ، فكثيراً مايحدث أنه كلما قبح الشىء فى الطبيعة زاد جماله فى الفن . فلا يوجد فى الفن قبيح اللهم إلا ما خلا من الشخصية ، أى ذلك الذى تجدد من الحقيقة الداخلية أو الخارجية .

والقبيح فى الفن هو كل زائف غير طبيعى ، كل ما عنى بحسن المظهر دون التعبير ، كل ما كان هوائياً متقلباً ومتصنعاً ، كل ما ابتسم من غير باعث على الابتسام ، أو تثنى من غير ما سبب ، كل ما كان بغير روح أو حقيقة . أو كل ما كان مظهراً للحسن والجمال فقط ، وبالجملة هو كل ما كان كاذباً .

وعند ما يحاول الفنان أن يحسن الطبيعة فيضيف اللون الأخضر إلى الربيع . والوردى إلى شروق الشمس ، والقرمزى إلى الشفاه الصغيرة ، يخلق بعمله هذا القبح لأنه يكذب ، وكذلك عندما يخفف من حدة الألم أو يلطف من تهدم الشيخوخة أو من بشاعة التحريف أو التصحيف ، وعندما يحاول تنسيق الطبيعة فيقنعها وينكرها ويلطفها كيما تسر السوقة الجهلة ، فهو يخلق القبح لأنه يخشى الحق .

كل ما فى الطبيعة جميل فى عينى أى فنان خليق بهذا الاسم ، لأن عينيه اللتين تقبلان الحقائق الخارجية فى شجاعة ، تقرآن الحقائق الداخلية كما لو كانتا تقرآن فى كتاب مفتوح . وما عليه إلا أن ينظر فى وجه إنسان ما فيقرأ أغوار نفسه بحيث لا يمكن أن تخدعه قسمة من قسماته . والإخلاص كالتصنع كلاهما شفاف لا يستر ما تحته ، نخط فى الجبين ، أو رفعة خفيفة من الحاجب ، أولمحة من العين ، كل هذه تكشف له عن كل أسرار القلوب وتطلعه على خفاياها

(١) فعال الفأس هراوته

كذلك يستطيع الفنان أن يدرس ذهنية الحيوان الخبيثة، ويقرأ في عينيه وحركاته وسكناته مزيجاً من الشعور والأفكار والذكاء الأبكم والأحاسيس البدائية.

وهو فضلا عن ذلك صفي الطبيعة وأمينها؛ فتكلمه الأشجار والنباتات كما لو كان صديقها، وتحدثه أشجار البلوط القديمة العقداء عن حدبها على الإنسان الذي تظله تحت أفرعها الوارفة الظلال. وتخاطبه الأزهار باهتزاز سوقها الرشيقة، وبغناء ألوانها الشجي. إن كل زهرة وسط الخضرة لكلمة طيبة تخاطبه الطبيعة بها.

والحياة عنده متاع مقيم، وسرور مستديم، ونشوة جنونية. ولكنه لا يرى كل شيء في الحياة مستطابا، لأن الآلام التي تنتابه وتعتور أصدقاءه تتعارض مع تفاؤله وأمانيه تعارضاً مؤلماً، ومع ذلك فكل شيء عنده جميل لأنه يمشي دائماً في ضوء الحق النفساني.

نعم! إن الفنان العظيم، وأقصد به الشاعر والمصور والمثال ليجد، حتى في الآلام وموت الأحباب، وفي خيانة الأصدقاء بعض ما يغمره بفيض عجيب من السرور ولو شابته مرارة بشعة.

وقد تمر به فترات يكون قلبه أثناءها فريسة للآلام ومع ذلك ترى اللذة المريرة التي يكابدها من تفهم وتفسير تلك الآلام أقوى من الآلام نفسها وأرجح. وهو يقدس أغراض القضاء في كل كائن حي، ويلقي على آلامه وجراحه الدامية نظرة ملؤها التقدير والاهتمام، نظرة الرجل الذي قرأ أحكام القدر. حتى إذا ماخانه حبيب ترنح تحت الضربة، ولكنه سرعان مايثبت على قدميه ويستقر، ثم يرى ذلك الخائن مثلا طيباً للوضاعة والحقارة، ثم إنه يرحب بالعقوق لأنه يجد فيه مايصقل نفسه.

وكثيراً ما يكون وجده وهيامه جامحاً مخيفاً، ولكن في ذلك السعادة على كل حال، لأن فيه التقدير العميق الثابت للحق والصدق.

فعند ما يشاهد الناس يقتل بعضهم بعضاً في كل مكان، وعند ما يرى الشباب الغض يذبل ويذوي، وكل القوى العاملة تضمحل، وكل النبوغ يخبو، وعندما يواجه الإرادة العليا التي على تلك القوانين الصارمة وتفرضها على الكائنات، تراه أكثر ما يكون اغتباطا بمعرفته، سعيداً أيما سعادة إذ يستولي عليه حبه للصدق من جديد.

محمد بهجت

في طريق الحياة..

للأستاذ عبد القادر القط

في طريقٍ مِن لَقى الأنضاء والصرعى صُواهْ (١)
وفضاء لم تعانق أرضَه يوماً سَماه.
مُفرَغاً ترجع الأبصارُ حسرى عن مَداه.
أضربُ الأرضَ طليحاً تحت أعباء الحياه
وشبابٍ لم يمتّع بالشباب.

***

أغتدي في زحمة الأطماع مشدوه الرَّجاء.
وأرودُ الودَّ في دنيا من الود خلاء.
مفردَ القلب وللقلب حنينٌ واشتهاء.
ظامئ الروح وللنبع بأسماعي غناء.
من وراء الغيب من خلف الحجاب.

***

أغتدي في مهمه الدنيا ومالي من رفيق.
غيرَ روحٍ سادر النجوى وقلبٍ لا يفيق
كلما أوغلتُ في القفر تراءت لي بروق.
وامضاتٌ بأمانيَّ كأطياف الشروق.
بعد ليلٍ مدلهمٍّ وضباب.

***

طالما أدركتُ أن البرق خلّابٌ جَهام
ورأيتُ القطرَ محبوساً بأطباق الغمام.
غير أني كلما راودَ أجفاني المنام.
قذفت بي ظامئاتٌ من رغابي للأمام.
ولقد ينجي من اليأس السراب.

***

(١) اللقى الشيء المطروح. والصوى أعلام الطريق

أتخطَّى الصخر لا عزماً ولكنى أسير .
وعلى السائر أن يمضى وإن شقَّ العبور .
لم أعد أسأل ما الجدوى ولا أين المصير .
ما سؤالى ؟ وفؤادُ القفر مسلوبُ الضمير .
ليس يصغى لسؤلٍ أو جواب .

* * *

فى طريقى كم تراءت لى جنانٌ وادعات .
مثقَلاتُ الدَّوح بالأثمار شتى ناضجات .
يرفُلِ الظلُّ بها فى مسرحٍ جمٍّ الشيات .
ويميس النهرُ فى أعطافها رحبَ الجهات .
بين أفوافٍ وألفافٍ وغاب .

* * *

كم رأت عينى وكم قد حَنَّ للروضات قلبى .
فتركتُ الدربَ مهجوراً وخلتُ الروضَ دربى .
وهفتْ للعشب أقدامى وقال الجهدُ : حَسْبى .
ورفعتُ الكفَّ لله أقضّى حقَّ ربى .
من ثناء وصلاة ومتاب .

* * *

وإذا بالروض قد حفّتْ به جندٌ عُتاه .
لم يبالوا حرمة الحمد ولا قدسَ الصلاه .
صاح منهم صائحٌ : رُدّوا عن الروض الجناه .
أغريبٌ بِملكُنا المحبوبُ من بعض مُناه ؟ !
أشهروا البيض وهزّوا للحراب !

* * *

فهوتْ من حضرةِ الربِّ إلى الأرض يداىْ
وتلاشى حمْدِىَ المبتورُ وانجابتْ رُؤاى .
قلتُ : هذى الحربُ يا قوم أعدَّتْ لسواى .
أنا منكم . طال فى البيد ثوائى وسُراى .
كيف تلقون أخاكم كالذئاب !

* * *

قد صحبت الليلَ والليلُ على البيد رهيب .
ونهاراً للحصى من قيظه الغاتى وجيب .
منحتنى البيدُ بلْواها وأخفتْ ما يطيب .
من رُواء الفجر فى الشرق ومن سحر الغروب .
لم أنلْ منها سوى قبض التراب .

* * *

يا صحابى روضُكم ريانُ ممتدُّ الظلال .
لن تضيقَ اليومَ بى سرحاتُه الفيحُ الطوال .
فدعونى يلتئمْ جرحى ولى بَعْدُ ارتحال .
لن أقيم الدهرَ فيه ويجنبىٌ ملال .
يخزُ القلبَ إلى هذى الشعاب .

* * *

يا صحابى ! أيها الواغل لسنا من صحابك .
اسْعَ فى قفرك ما شئتَ وهومْ فى شعابك .
نحن من أصلاب مجدٍ ، امض لسنا من ترابك .
وإذا ما مسَّك الضرُّ فكفكِفْ من رغابك .
واترك الدنيا لأرباب الرغاب .

* * *

قلتُ يا أقدامىَ الحسرَى إلى دَربك عودى .
وتأسّىْ يا لهاتى من خيالى بالوعود .
واصبرى للظمأ القاتل يغتال نشيدى .
فغداً فى روضتى العذراء يحلو لى ورودى .
وأروِّيكِ من الشُّهد المذاب .

* * *

روضتى العذراء فى الربوة لم يُطمَثْ ثراها .
خلف هذى القفرة الجرداء قد طاب جَناها .
ضلَّ عنها الناسُ واستخفى عن الناس شذاها .
قلبى العامرُ بالإيمان يوماً سيراها .
وسيلقاها وإن طالَ الغيابْ

عبد القادر القط

هيفـاء الحفل

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

بات بعد السلو صبا معنى   خافقاً قلبه ، وكان اطمأنا
شاعر هام بالجمال قديماً   ثم عاداه ، ثم عاد فجنا
لا تلوموه إن ترنم عشقاً   بلبل أبصر الرياض فغنى
كان عوداً معطلاً ثم مرت   فوق أوتاره اليدان فرنا
من تكون الهيفاء تخطر غصناً   لو رآها غصن الربى ما تثنى
تتهادى فى الحفل أشبه بالطا   ووس يمشى من الدلال الهوينى
هى فيه كمثل زنبقة الرو   ض استطالت على الأزاهير حسنا
حبذا القامة التى شغلتنا   عن سواها ، ونعم ما شغلتنا
أى قد ، بل أى رمح عجيب   ما نظرنا إليه حتى طعنّا
من تكون الهيفاء ، أبدع ما أب   صر راء عيناً وجيداً ومتنا
ذكرتنا بما مضى يوم كنا   فى صبانا ، أيام كنا ، وكنا
وأعادت شرخ الشباب إلينا   بعد ما صوح الشباب وشبنا
عربى لسانها أعجمى   نغمات تشدوبها بين بينا
لست أدرى لمصر أم لسواها   ما علينا من أرضها ، ما علينا
حسبها أنها عشية لاحت   أصبحت دارها الجوانح منا

يا حبيباً لكل قلب وعين   أنت نعمى بها الزمان يهنا
أنت والله يا جميل منانا   أنت والله فوق ما نتمنى
يا رشيق القوام يا مفرد الحسن   تعطف واجعل مع الحسن حسنى
نظرة منك نحونا تكفينا   كم نظرنا شوقاً لها وانتظرنا
ما حباك الجمال ربى إلا   راضياً عنك ! فارض بالله عنا

أشتاق للمجهول !

للأديب عبد الحليم عيسى

أحيا على الدنيا بقاب زاخر   بالهول والآلام والأشجان !
حيران . . لا أدرى لأية غاية   أمشى على الأيام نهب هوانى
البجو يزبد والعواصف لا تنى   والريح معولة بكل مكان
والمرفأ المجهول لا أدرى متى   يبدو لعين المجهد الحيران
حجبته أردية الضباب فما أرى   غير الدجى والهول والحرمان !
النار فى قلبى وبين جوانحى   تمتص أفراحى بألف لسان !
أنا فى الحياة شكاية مفجوعة   لا تنتهى أبداً مدى الأزمان !

أشتاق للمجهول إنى ظامئ   لأعيش فى المجهول والنسيان
أشدو بموسيقى الحياة وأرتوى   من سحرها المترقرق الفتان
مستقبلاً هتافها ونداءها   مستوحيا من نورها ألحانى
وأطل من فوق الذرا متأملاً   فى فسحة الآفاق والأكوان
وأعانق الكون الكبير كأن بى   روح الحقيقة مشرقاً بكيانى
أصغى لأحلامى وهمس مشاعرى   ورسيس قلب دائم الخفقان
وأذيب روحى فى غنائى والهاً   كالبلبل المتفجر الولهان
أنا ذلك الوتر المجرح شدوه   طالت عليه مرارة الأحزان
ضيعت عمرى فى الحياة خرافة   وحييت كالطلل الشجى العانى
ضاقت بى الدنيا فهمت بغيرها   بعدت ... فلم تحلم بها عينان
دنيا من النور المصفى كلها   فرح وأحلام وعذب أغانى

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

خطوات العلم في سنة ١٩٤٤

لخص وطسن دافيس مدير معهد الخدمات العلمية الخطوات العشر الموفقة التي خطاها العلم في سنة ١٩٤٤ .

١ — تطبيق عملية الدفع الغازى على الطائرات . وهذه العملية عبارة عن اندفاع غازات مضغوطة من مؤخرة الصواريخ تؤدى إلى دفعها إلى الأمام .

٢ — استعمال القنابل الآلية والصواريخ الذاتية الاندفاع بنطاق واسع فى هذه الحرب .

٣ — نجاح استعمال المركب الكيماوى المعروف باسم DOT وانتشاره كقاتل للميكروبات وخصوصاً لمقاومة ناقلات حمى الملاريا والتيفوس .

٤ — استعمال العفن الكيماوى مثل البنسلين كعلاج ناجع لمجموعة كبيرة من الأمراض المختلفة .

٥ — صقل الأخشاب وتحويلها إلى أخشاب أفضل بالوسائل الكيماوية .

٦ — استعمال السليكون بأنواعه فى عزل المواد المختلفة وكمادة لا ينفذ منها الماء .

٧ — تقسيم الدم الإنسانى إلى سبعة أجزاء واستعمالها فى كثير من الأغراض الطبية .

٨ — صنع آلة ضخمة لتيسير العمليات الحسابية المطلوبة لشئون الحرب والأبحاث العلمية .

٩ — استعمال الأشعة فوق البنفسجية وغيرها لتقليل انتشار المكروبات فى الهواء .

١٠ — استعمال القلاع الطائرة المعروفة باسم ب-٢٩ فى الحرب

بماذا نستعيض عن اللحم ؟

هل اللحم مادة ضرورية لتغذية الإنسان ؟ وهل نقص كميانه يسبب للانسان ضرراً ؟

يقول العلم نعم . فالأغذية الحيوانية سواء من اللحوم أو البيض أو اللبن ضرورية للانسان لأنها تحتوى على مواد زلالية ذات قيمة حيوية كبيرة لاحتوائها على أنواع من الأحماض الأمينية التى لا يستطيع الجسم بناءها . فان قلت هذه الأحماض فى جسم الإنسان سببت له أمراضاً مختلفة

وتقل نسب هذه الأحماض فى المواد النباتية ، ولا يستطيع الجسم تعويض نقصها إلا بتناول مقادير كبيرة من الأغذية النباتية ان اقتصر غذاؤه عليها .

ولعله من حسن حظ الفقير وطفله أن يجدا فى بلادنا مادة نباتية رخيصة الثمن سهلة التناول تعوض عليه نقص المو دالحيوانية وهى الفول السودانى . وهما يتناولانها دون أن يشعرا أنهما يأكلان مادة ضرورية لنمو جسميهما ، فهما يأكلانها لمجرد التسلية فتعطيهما ما حرمهما منه المال وارتفاع مستوى المعيشة .

وقد اتجه نظر العلماء فى العصر الحاضر إلى دراسة المواد الزلالية النباتية التى تستطيع أن تحل محل المواد الحيوانية فى الطعام، فجرب جماعة من العلماء الأمريكيين الفول السودانى وبذرة القطن وفول الصويا على الحيوانات . وقارنوا نتيجة تغذية الحيوانات بهذه المواد بمثيلتها من دقيق القمح أو اللبن فكانت النتيجة كما يبين الجدول الآتى : —

الغــذاء	الزيادة فى الوزن
دقيق قمح صافى	١٩ جرام
« قمح وردته	٣٦ «
« فول سودانى	٧٥ «
« بذرة القطن	٨٥ «
« فول الصويا	٨٧ «
مخلوط سودانى وقطن وصويا	٨٤ «
اللبن	١٠٠ «

والإنسان لا يعيش على نوع واحد من الأطعمة بل يتناول ألواناً مختلفة ، فجربوا خلط هذه المواد ٥ ٪ و١٠ ٪ و١٥ ٪ إلى دقيق القمح ، فكانت النتيجة باهرة النجاح إذ عوض خلط دقيق

القمح بـ ١٥ ٪ من دقيق الفول السوداني ما يتيحه لنا خلطه باللبن المجفف بنسبة ٥ ٪، وهو ما يعز على كثير من الناس فى العصر الحالى. ويبين الجدول التالى نسب الخلط والزيادة فى الوزن بالجرام تحت كل من المواد المكملة لباقى النسبة لتكون ١٠٠ ٪

قمح	سودانى	قطن	صويا	لبن
٩٥ ٪	٢٩	٢٩	٣٩	٤٩
٩٠ ٪	٤٤	٤١	٧٥	٧٧
٨٥ ٪	٤٨	٤٥	٩٣	٨٥

ومن هذا الجدول يتبين أن أكثر المواد نفعاً لجسم الإنسان هو فول الصويا الذى تتجاوز فائدة الجسم منه مثيلها من المواد الحيوانية مثل اللبن، فعند خلط كل منها بنسبة ١٥ ٪ إلى القمح زاد وزن الحيوان فى الأول ٩٣ جراماً ولم يزد إلا ٨٥ جراماً مع اللبن. ويليهما فى المرتبة الفول السودانى.

على أن هذه النتيجة حلت معضلة الأمريكيين لكثرة فول الصويا عندهم ومن ثم أقبلوا على استعماله بكثرة.

ولم تفت هذه النتيجة الهامة علماءنا المصريين وهم يعرفون أن الشعب المصرى يتخذ الرغيف غذاءه الأساسى فأجروا عدداً من التجارب نرجو أن نطلع عليها القارىء فيما بعد

الطيور تكره الحبوب المصبوغة

تجرى مصلحة الأسماك والحيوانات المشردة أبحاثاً عن استجابة الطيور والحيوانات للألوان. وقد وجدت أن بعض الطيور لا تقرب حبوب القمح إذا صبغت باللون الأصفر الفاقع أو البرتقالى أو الأخضر كما أظهرت بعضها عداء للون الأحمر.

والمعروف أن الطيور شديدة الحساسية للألوان وتشك فى الغريبة منها. وربما أدى هذا الإحساس إلى نجاح الفلاحين فى مقاومة جرذان الحقول والكلاب الضالة وغيرها من الحيوانات الضارة وذلك بصبغ أغذية مسممة بألوان تعافها الطيور المنزلية وتقبلها هذه الحيوانات التى لا تتأثر بالألوان فتصاب بالتسمم وتموت

سلاح سرى باللاسلكى

عثر الحلفاء أثناء زحف قواتهم على أحد الأسلحة الألمانية السرية. وهو عبارة عن طائرة من قاذفات القنابل الضخمة من طراز جنكرز ٨٨. وهى تملأ بالديناميت، وتمتطيها طائرة أخرى صغيرة يقودها طيار وتحلق الطائرتان معاً، فان اقتربتا من الهدف انفصلت الطائرة الكبيرة عن الصغيرة ووجهتها الأخيرة باللاسلكى إلى منطقة الهدف.

زميل للبنسلين من الثوم

توصل بعض الكيماويين من عزل عقار من نبات الثوم اسمه اليسين وهو يشابه البنسلين فى كثير من خواصه. وهذا العقار سام عندما يحقن فى الجسم وأقل أثراً من البنسلين فى مقاومة بعض ميكروبات لا يهاجمها البنسلين.

وقد صنع أحد الصيادلة منه حبوباً تطهر مياه الشرب من الأحياء التى تسبب الدوزنتاريا وغيرها من الأمراض.

تحليق الطائرات بالصواريخ

تزود بعض الطائرات الضخمة بالصواريخ لتساعدها على التحليق فى الجو من بقعة أرض ضيقة المساحة. ويسهل على الطائرات التخلص من هذه الصواريخ بعد تحليقها فى الجو. وكانت عقبة استعمال الصواريخ فى تعذر السيطرة عليها من جهة، وفى إيجاد مادة تتحمل الحرارة الشديدة التى يولدها اندفاع الغاز الأبيض من جهة أخرى وقد تيسر تذليل الصعوبتين.

منفاخ للطيران العالى

كان الحد الاقصى الذى يستطيع الطيارون الارتفاع إليه ٤٢ ألف قدم. ولا يستطيعون المكث فى هذا الارتفاع أكثر من دقائق، وقد أتيح اختراع منفاخ ينفخ الرئتين مثل البالون فيستطيع الطيار بواسطته الارتفاع إلى ٥٠ ألف قدم لدقائق قليلة بينما يستطيع الطيران على ارتفاع ٤٥ ألف قدم لمدة نصف ساعة.

فوزى الشتوى



الأستاذ النشاشيبي

كادت القاهرة فى هذا الشتاء أن تكون حاضرة العالم كله . وفد إليها الملوك والرؤساء والوزراء وأقطاب السياسة وأعيان الأدب وأعلام الصحافة ، فأشرقت بهم إشراق الفجر المسفر عن صبح يوم سعيد ، ثم غادروها بعد أن وضعوا فى تاريخ الشرق العربى عنوان فصل جديد . وكان آخر من تركها إمام العربية وخاتمة محققيها الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى رائد الوحدة العربية بما حاضر وخطب ، ورسول الجامعة الإسلامية بما ألف وكتب . والأستاذ النشاشيبى شخصية قوية تميزت بجملة من الفضائل والمواهب قلما تجتمع لأحد . وقف نفسه ووقته وجهده على دراسة الإسلام الصحيح فى مصادره الأولى ، وتحصيل اللغة وعلومها وآدابها من منابعها الصافية ، وأعانه على ذلك قريحة سمحة وبصيرة نيرة وذاكرة قوية وذوق سليم ، فكان آية من آيات الله فى سعة الاطلاع وكثرة الحفظ وتقصى الأطراف وتمحيص الحقائق . ومن يقرأ ما ألف من الكتب ، ويتتبع ما نشر من المقالات ، يجد الدليل الناهض على كل ذلك .

كان مجلسه فى (الكنتنتال) ندوة علم وأدب وفكاهة ؛ لا تُذكر مسألة إلا كان له عنها جواب ، ولا تثار مشكلة إلا أشرق له فيها رأى ، ولا تروى حادثة إلا أورد له عليها مثل ، ولا يحضر ندوته أديب مطلع إلا جلس فيها جلسة المستفيد . حفظ الله الأستاذ الكبير فى حله وترحاله ، وحفظ العربية والعروبة بنبوغ أمثاله .

الدكتور عبد الوهاب عزام

أقيل الدكتور حسن ابراهيم حسن من عمادة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول . وفى يوم الأربعاء الماضى اجتمع مجلس الكلية لانتخاب العميد الجديد ، فانتخب صديقنا الدكتور عبدالوهاب عزام بما يشبه الإجماع . وفى هذا الانتخاب الموفق رفع لهذا المنصب إلى المستوى الذى كان له حين شغله الأستاذان الجليلان طه حسين وأحمد أمين ؛ فإن للدكتور عزام من سعة العلم وسمو الخلق ورفيع المكانة ما يرد إلى عمادة الآداب اعتبارها ، ويحقق للكلية ما ترجوه من حسن الثقة وسداد التوجيه واطراد التقدم .

ذكرى الأستاذ أمين الريحاني

فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم السبت الماضى احتفلت بيروت بذكرى الكاتب الفيلسوف الأستاذ أمين الريحانى بمناسبة قرار الحكومة اللبنانية (رفع رسمه فى دار الكتب الكبرى ، وإطلاق اسمه على أحد الشوارع المعروفة) ، فافتتح الحفلة وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ، وخطب صاحب الدولة رئيس الوزارة السورية ، فمندوب المملكة السعودية ، ثم أنشدت قصيدة للأستاذ خليل مطران بك عن مصر ؛ ثم تتابع على المنبر الأساتذة : خليل تقى الدين ، وخليل السكاكينى ، وسامى الكيالى ، وعمر الفاخورى ، وفؤاد باشا الخطيب ، فوفوا صاحب الذكرى حقه من الإشادة بفضله والاعتراف بجميله .

ومصر الأدبية تشاطر المحتفلين الأفاضل هذه العاطفة الكريمة وتسأل الله أن يتغمد فقيد العربية بالرضوان والرحمة .

محمد رمزى بك مؤرخ البلدان المصرية

يلاحظ الذين يقرأون فى كتاب « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى تعليقات ثمينة على الأماكن الأثرية والمدن والقرى المصرية .

وتكاد هوامش هذا الكتاب القيم تزدحم بهذه التحقيقات التى تدل على بسطة فى العلم وسعة فى الاطلاع ؛ حتى ليخيل إلى القارىء أن صاحبها لم يدع أثراً من آثار مصر ولاخطة من خططها إلا تعرف اليه معرفة الخبير .

ذلك العالم الذى فجع العلم بوفاته فى الأسبوع الماضى هو المرحوم محمد رمزى المفتش بالمالية سابقاً ومؤرخ المواقع المصرية ومحقق تاريخ الآثار والديار وصفتها وتحديد أماكنها القديمة اذا كانت ضاعت معالمها

كان محمد بك رمزى دليلا حافلا من دلائل الآثار المصرية وخاصة الإسلامى منها . وقد عرفت له الهيئات العلمية والدوائر الرسمية هذا الفضل فكانت تأنس إلى رأيه وتطمئن إلى تحقيقه

ولطالما تهافتت عليه هذه الهيئات وألحت عليه فصرفته عن التأليف المستقل إلى الكتابة هنا وهناك وهوفى ذلك لا يشفق على سنه العالية ؛ كأنه كان يزيد على الهرم مضاء وفتاء .

ويشهد بهذا الفتاء الجزء التاسع من « النجوم الزاهرة » الذى خرج إلى سوق الأدب من عهد غير بعيد فإذا به يفيض بتحقيقات عجيبة لا يتسع لها صدر رجل جاوز السبعين . فهو يحقق فى هامش صفحة ٩٦ موضع « جامع بين السورين » ويناقش المقريزى مناقشة العالم .

ويعلق فى ص ١٤٤ على « خانقـــاه سرياقوس » وتاريخ إنشائها فيصوب ما ذكره المقريزى ويخطئ رواية ابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة » .

وهكذا نجد للرجل — فى هامش كل صفحة تقريبا — تعليقاً وتحقيقاً وتصويباً وتخطيئاً . وهو فى ذلك كله الحجة الثبت.

وهو الذى عرف الدكتور عزيز سوريال عطية الأستاذ بجامعة فاروق الأول إلى المغفور له الأمير عمر طوسون فكلفه إخراج كتاب « قوانين الدواوين »(١) لابن مماتى إخراجا علمياً . فقام الدكتور بالعمل ؛ وراجع محمد رمزى بك الباب الثالث من الكتاب وهو الخص بتقويم البلدان ، وأقام ما فيه من تحريف وتصحيف فاستحق بذلك شكر الأمير وتقديره فى مقدمته للكتاب

ولقد عرفت الفقيد معرفة عين وحديث من ثلاثة أعوام . قدمنى إليه محمود نصير بك فرأيت منه فضل التشجيع وحسن التقدير ؛ ورأيت منه فوق ذلك تواضعاً أكبره فى عينى ؛ ورأيت تحت إبطه خريطة منتفخة لا يحمل فيها مالا ولا ذهباً ؛ ولكن يحمل علماً وأدباً . . .

وحدثته بعد ذلك فى « المسرة » حديثاً علمياً تاريخياً . وكان ذلك منذ عام . وما كنت أدرى أنه حديث لغير لقاء . أجزل الله للعلم فيه العزاء .

محمد عبد الغنى حسن

تصويب اسم كتاب

ذكر الأستاذ الفاضل منصور جاب الله فى العدد (٦١٠) من مجلة الرسالة الغراء أن اسم كتاب صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا (الفاروق عمر) خطأ لأن علماء النحو من بصريين و كوفيين نصوا على أن الاسم يتقدم على اللقب فى جميع الأحوال ، فيقال : « عمر الفاروق » ولا يقال « الفاروق عمر »

وقد فات الأستاذ أولا أن اللقب إنما يجب تأخيره عن الاسم إذا لم يكن اجتماعهما على سبيل إسناد أحدهما إلى الآخر ، فإذا كان اجتماعهما على هذا السبيل أخرمنهما ما قصد المتكلم الحكم به . ويمكن أن يكون اسم هذا الكتاب «الفاروق عمر» على سبيل الإسناد . فهو جملة اسمية مركبة من مبتدإ وخبر . وقد ورد عن العرب العلم المركب من جملة فعلية مثل تأبط شرا ، وشاب قرناها ، ولم يرد عن العرب المركب من مبتدإ وخبر ، ولكنه جائز بمقتضى القياس كما ذكره الأشمونى .

وفاته ثانياً أن تقديم اللقب على الاسم فى غير الإسناد جاء نادراً فى مثل قول أخت عمرو ذى الكلب :

أبلغ هُـذَيلاً وأبلغ من يُبلّغها
عنى حديثاً وبعض القول تكذيبُ

بأن ذا الكلب عَمْـرًا خيرهم حسباً
ببطن شِريانَ يَعوى حوله الذِّيبُ

وكذلك ورد فى قول أوس بن الصامت :

أنا ابن مُزَيْـقِيَا عمرو وجَـدّى
أبوه منـذرٌ ماء السماء

ولاشك أن ورود هذا ، وإن كان نادراً ، مما يكفى فى تصويب اسم هذا الكتاب « الفاروق عمر » ، والحكم بأنه خطأ مع هذا تعنت لا يقبل فى عصرنا .

عبد المتعال الصعيدى

وقد زاد الأديب أحمد ابراهيم الغرباوى على ذلك قوله :

وقد نقل العلامة « يس » فى حاشيته على كتاب التصريح قول الزرقانى : « قد نص ابن الأنبارى على أن اللقب إذا كان أشهر من الاسم يبدأ به قبل الاسم ، كما فى قوله تعالى : إنما المسيح عيسى بن مريم ، فإن المسيح لا يقع على غيره بخلاف عيسى فإنه يقع على عدد كثير . ولذلك تقدم ألقاب الخلفاء لأنها أشهر من أسمائهم » .

قال السيوطى : « ففى هذا تخصيص لإطلاق وجوب تأخير اللقب » .

(١) قوانين الدواوين لابن مماتى من مطبوعات الجمعية الزراعية الملكية مطبعة مصر سنة ١٩٤٣ فى ٦٩٤ صفحة من القطع الكبير .



١ – فصول في الأدب والنقد

للدكتور طه حسين بك

٢ – الفاروق عمر

للدكتور هيكل باشا

– ١ –

لعل فى الكشف عن بيان الفرق بين الأدب النقدى ؛ والنقد الأدبى تصويراً لمذهب الدكتور فيما يعرض له من الدراسات الأدبية والنقد الفنى ؛ فالأدب النقدى نستطيع تعريفه بأن قوامه الفن الأدبى ثم يتخلص الحين بعد الحين ليوجه النظر إلى مايستثير الإعجاب أو ينبه فى رفق ولين إلى مالا يجمل أن يكون ؛ فالقارىء فى صحبته مستغرق فيما يفيضه الأدب من صور جذابة وإن استوقفه كلما اطرد بهما السير ليمعنا الفكر فيما تنطوى عليه تلك الآيات .

أما النقد الأدبى فلا تعدو دائرة الصواب إذا قلت إن عماده الدرس والتحليل والتشريح ؛ وإن كان أريج الفن ينشر شذاه ملطفا هذا الجو الذى هو أقرب مايكون إلى الجو العلمى الثقيل الصارم ؛ ولكنك مع الدكتور أبعد ما تكون عن هذا الجو الذى يبث السأم فى النفس ؛ ويسلط العناء على الذهن ؛ ويجعلك تتشوق دائما إلى الخلاص من هذا الجهد المضنى الذى يثقل عليك إذا طال بك النهد فى جواره فهو يجيد كيف يسرى عن القارىء ؛ ويذود عنه أشباح الملل ؛ ويذهله عن نفسه بما يسوق بين يديه من الصور الهادئة الطبيعية الجميلة ؛ فأنت معه — فى الأدب الجاهلى — لست فى صحراء موحشة ماتكاد تلم بها حتى تتلفت متطلعاً إلى الفرار منها : ولست محتاجا إلى تسليط إرادتك على عواطفك حتى يتسنى لك قطعها ؛ وإطراح أثقالها وأنت متبرم بها ساخط عليها ، بل أنت معها فى مكان موفق أشبه مايكون بأحد الملاعب ؛ أو دور الصور المتحركة تجلس هادئاً مستريحا جذلانا ؛ ثم تأخذ الصور تتهادى أمام ناظرك وكلها متعة ؛ وكلها ترويح ؛ فكل ماتصبو اليه أن تطول هذه الأوقات لتأخذ من هذا المتاع الروحى بحظ وافر ؛ فلا تكاد تتقدم معه فى القراءة حتى تشعر بالحاجة إلى المعاودة لاستبقاء اللذة واطراد المتاع ؛ لأنه تمكن من النجاح فى الاستئثار بالحواس وتقديم النظريات العلمية مغلفة وموشاة بأزاهير البيان فلا ينفر منها الحس ، ولا تنبوا عنها المشاعر ، بل تنساب فى هذه النواحى سهلة لينة ، هذا هو سر الكلف بأدب الدكتور وتعلق القلوب به ، حتى ذهب بعض النقاد إلى القول بأن أبحاث الدكتور الأدبية ستخلد ببيانها وعرضها وأسلوبها كما تخلد بنظرياتها وأنت فى حل من أن تمارى فيما يضم هذا الكتاب أو ذاك من آراء لا تطمئن اليها أو تذهب إزاءها مذهبا آخر ؛ ولكن الذى ليس فيه مراء أنك مع هذه الابحاث فى جو فنى بديع ؛ على هذا الأسلوب يتناول الدكتور أبحاثه ودراساته الأدبية ، فقد يذهب بك إلى « المتنبى » أو « أبى العلاء » أو « الأدباء المعاصرين » فتجد خيرمن يؤنس ويقدم ويدير الحديث ؛ ويرفع الحجب بينك وبينهم ؛ ويضع يدك فى لباقة على مواضع ضعفهم ؛ وجوانب مآخذهم ؛ ولم يلبث أن يصوب اتجاهك إلى مبعث خلودهم ؛ ومصادر عبقرياتهم ؛ كل ذلك بهذه الطلاوة وهذا الجمال وهذه الأريحية ؛ وكل هذه الخصائص نجدها بارزة واضحة فى هذه الفصول التى نشرها الدكتور حديثا فى الأدب والنقد ؛ وهى إن امتازت بشىء فهى تمتاز بأنها لم تقدم لنا شخصيات من العصر الجاهلى ؛ أو الأموى ؛ أو العباسى ؛ مما يفصل بيننا وبينهم كثير من العادات والأذواق والنظرة إلى الحياة ، بل تقدم إلى الشباب الذى يأخذ نفسه بالدراسات الأدبية شيوخه فى الأدب ؛ ومن هم فى الطليعة ومن يحملون المشاعل لهدايته. ومن ذا الذى لايحتاج من الشباب إلى أن يكون علمه عن شيوخه أتم وبصره بمذاهب تفكيرهم وشيات اتجاههم أوفى ؛ حتى يستطيع أن يتمثل كل مايصدر عنهم تمثيلا صحيحاً لأنه يتركز على دعائم من الدراسة التى تبرز طبائع كل منهم؛ ففى هذه الفصول تستطيع أن تقف على كثير مما كان يستتر عن فهمك مما يتعلق بهؤلاء الشيوخ . فأنت ستعرف كثيرا عن أمثال الاستاذ — أحمد أمين بك — وأدبه فى رأى الدكتور ، وستعرف عن الاستاذ — العقاد — والأستاذ — أبى حديد — وغيرهم ممن يكيفون النهضة الأدبية فى الشرق ؛ وتقف على اتجاهاتهم الفكرية وخصائص أقلامهم ، كل هذا تظفر به من غير أن يشعرك الدكتور أنه سيمرض عليك شيئاً من هذا بل هو يجعل من — فيض

الخاطر — مثلا — لأحمد أمين بك — سبباً للكتابة يعرج بك من هذا الجانب مرة ؛ وذاك أخرى ؛ ويرسم لك هذه الصورة ويدع لك هذا اللون وإذا بشخصية صديقه لايند منها شىء ولا يخفى عليك منها خافية ؛ ويسير على هذا النهج مع كل من عرض لهم فى هذه الأحاديث ؛ والكتاب ممتع فى أسلوبه ؛ شيق فى عرضه ؛ خليق بالقراءة والدرس لأنه يقرب بعد الشقة التى تفصل شباب الأدب وشيوخه وتعطى لك صورةعن مذاهبهم الفنية ؛ وإن حمدنا شيئاً فانا نحمد رجوع الدكتور إلى ميدانه بعد أن طالت غيبته ؛ وتشوفت القلوب إلى طلعته .

— ٢ —

العصور الإسلامية أحوج ما تكون إلى البعث والصقل والربط بين أجزائها وترتيب المقدمات الصحيحة التى أفضت إلى هذه النتائج ؛ لأن هذه العصور لا تزال مطموسة المعالم ؛ حائلة الصورة ؛ مفككة الأجزاء ؛ ينقصها رفع الأغشية عن اطرادها المنطقى لسير حوادثها ؛ وحركات تطورها ؛ فتاريخنا لم ينل من العناية والدقة مايحفظ عليه ملامحه ؛ ويحدد كينونته ؛ وتأخذه العين كائناً ؛ حياً ؛ له خصائصه وشياته ؛ بل تجده أجزاء متفرقة ؛ لا ينظمها تسلسل منطقى ؛ ولا تربطها وحدة ؛ وما أشبه تاريخنا بجمومة وغى ؛ انكشف تلاحمها عن أشلاء قد كدس واختلط بعضها ببعض . فعلى من يريد أن يرد إلى كل جسم بقاياه ؛ أن يعمد إلى متناثره من هنا وهناك ؛ حتى يستطيع أن يسوى منه مخلوقا ؛ هكذا انتثرت مهايا العصور الإسلامية ومهايا رجالها فى هذا الحشد المزدحم من هذه الأخبار المتضاربة أحياناً التى ينقصها فى كثير من المواضع طابع الاتزان ؛ نجد فى هذا المكان لمحة عن هذه الشخصية أو العصر ربما أتت عرضاً ؛ وفى ذاك صورة يمكن بعد نفض الغبار عنها أن تكون مادة قوية فى رسم لوحة من لوحات هذا العصر أو ذاك ؛ فرسالة المؤرخ لهذه الحقب أن [illegible] مع استعانته بكل ما من شأنه أن يعينه على جمع الأشباه إلى الأشباه ؛ والنظائر إلى النظائر ؛ وإقامة حياة من ذلك الشتيت المتناثر ؛ ثم يعمد إلى سد الفجوات فى هذا البناء ؛ وتنسيق الحوادث تنسيقاً منطقياً ؛ حتى يبدو عليه وقار الحياة ؛ وجلال الدرس القيم ؛ ثم يلقى الأضواء دائماً على الجوانب التى يكتنفها شىء من الظلام ؛ ويجلو الآفاق التى يخيم على تألقها الضباب ؛ هنا يصبح التاريخ وهو قطعة حية من صميم الحياة المطردة والوجود المتماسك ؛ والدكتور هيكل باشا أول من حاول هذه المحاولة فى كتابة التاريخ الإسلامى على هذا الأسلوب العلمى الدقيق ؛ فقد كان صاحب اليد فى تجلية العصر النبوى ؛ وإماطة اللثام عن كثير من جوانبه ؛ وتوجيه الأنظار إلى مشرق النور ؛ ومصدر السمو البشرى ؛ ومنزل الوحى ؛ وتقديمها لأول مرة فى هذا الثوب الجديد ؛ وقد استطاع أن يعطينا صورة من هذه الفترة التى لونت حياة العالم الإنسانى إلى حد كبير بلونها المتألق الجميـل ؛ أقرب ما تكون إلى الدقة العلمية فى البحث والتحليل ؛ والجمال الفنى فى العرض ؛ والتصوير ؛ وها هو ذا اليوم يهدى إلى الأدب ؛ والعلم ؛ والتاريخ ؛ شخصية من أضخم الشخصيات العالمية ؛ وهى شخصية — الفاروق عمر — والعالم كله يجتاز هذه المرحلة وهو أشد ما يكون احتياجا إلى الأخلاق ؛ والشجاعة ؛ والعدل ؛ والعطف ؛ والمساواة ؛ والأخذ على يدى الطاغى مهما كانت مظاهر سطوته ؛ التى سنها عمر فى سياسته وضربها مثلا فى معاملته ؛ وهذا الكتاب الجديد يحمل طابع المؤلف فى كتابيه السابقين — حياة محمد — والصديق أبو بكر — من حيث الدأب فى الحصول على كل ما يتعلق بهذه الفترة ؛ وتلك الشخصية فى كل ما تفرق من المصادر العربية ؛ وما يتصل بها من البحوث الغربية التى قام بها المستشرقون — وإعمال الفكر ؛ ودراستها دراسة تحليلية ؛ ومناقشة كل ما يستحق المناقشة على الطريقة العلمية ؛ ثم يترك قلمه يصوغها صياغة فنية خلابة ؛ فكتابة الدكتور — هيكل باشا — تحمل دقة المنطق ؛ وطلاوة الأدب ؛ ومن هنا كانت قيمتها لأنها تشوق القارىء إلى اقتحام فيافى التاريخ الشاقة ؛ وتعين الباحث المختص على تقديم مادة قوية فى هذا المجال ويرسم النهج الذى يجب أن يحتذيه من ينهض بعبء هذه الرسالة ، ولا ريب أننا تعوزنا هذه الأبحاث ؛ وهذه الدراسات فى تاريخنا الإسلامى وتقديمه للشباب فى هذه الأساليب العلمية والهالات الفنية ؛ حتى يتهيأ لنا أن نوقد الرغبة فى قلوب الشباب ونثير الشوق إلى هـذا التاريخ حتى يتسنى له أن يأخذ حظه من العناية والدرس بين الحضارات الأخرى ؛ ومن هنا كان أهمية هذا المؤلف القيم عن هذه العبقرية الخالدة . . .

والذى نأمله ألا يلبث القارىء طويلا حتى يظفر بين يديه بشخصية جديدة من شخصيات هذا التاريخ .

محمد عبد الحليم ابو زيد

العدد ٦١٢ — الاثنين ٢٦ مارس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

فلم عبد الوهاب يقدم :

رجـــــاء ـ جلال حرب

في الفلم الغنائي الكبير

الحب الأول

بالاشتراك مع

بشارة واكيم ـ علوية جميل ـ سامية جمال ـ محمود المليجي

تأليف : أحمد شكري

إخراج : جمال مدكور

ابتداء من اليوم بسينما الكورسال بالقاهرة

٤ حفلات يومياً . س . ت ٢٣٨٠٤

13 me Année No. 612

Lundi - 26 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٦١٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٢٦ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشر

معروف الرصـــافى

١٨٧٥ – ١٩٤٥



(الرصافي وهو فى الخمسين من عمره)

نعى العراق أول هذا الأسبوع شاعره الباقى ، فوجمت لمنعاه ألسن ، وجزعت لفقده نفوس ! ثم قرأنا أن بغداد قد غسلت شاعرها الراحل بالدموع وشيعته بالحسرات ، وكنا قرأنا من قبل أن الرصافى فى أعقاب عمره كان يطلب الغذاء الـكفِيّ فلا يجده ، ويلتمس الدواء الضرورى فلا يناله !

لفظ معروف الرصافى أنفاسه الأخيرة فى حجرة مظلمة مقرورة لا يلطف جهومتها نور ولا نار ، ولا يخفف وحشتها خليط ولا جار ؛ ولم تقع عينه الشاخصة وهو فى نزاع الروح إلا على ورقة هنا وكتاب هناك ، أو على خادمه الأمين يتماسك لحظة ويتهالك أخرى ، والدنيا التى صحبها الشاعر سبعين عاماً يدل على جمالها العيون ، ويغرى بمتاعها الأفئدة ، لم تجُد عليه ساعة الوداع بيد رفيقة تغمض عينيه ، ولا بعين حبيبة تذرف دمعة عليه !

كان الرصافى ـ أحسن الله إليه ـ لسان العراق الصادق ، ينقل عن شعوره ، ويترجم عن أمانيه ، ويحدو لركبه المجاهد فى سبيل استقلاله وعزته بالحداء الحماسى المطرب ، ويصور خلجات نفسه ووساوس أحلامه بالشعر الصريح المعجب ؛ وظل هو والزهاوى وشوقى وحافظ ومطران حقبة من الدهر يؤلفون الأوتار الخمسة لقيثارة الشعر العربى الخالص . ولكل وتر درجته فى الرنين والجهارة والأثر .

والرصافى أشبه بحافظ من الزهاوى بشوقى . وإن شئت فقل كانا الوترين الرابع والخامس فى القيثارة : صوت عريض ضخم ، وذبذبة ضيقة محدودة .

كان هذان الشاعران يتشابهان فى أسلوب العيش وأسلوب الفكر . كانا صدًى لهتاف الجمهور فى السياسة والاجتماع ، ورجْعاً لأنين البائسين فى الألم والشكوى . وكانا يتقاربان فى جوانب من ضيق الثقافة وقلة الاطلاع وبوهيمية الحياة . ولكن الرصافى كان متميزاً على نظرائه جميعاً بالصراحة الجريئة والاستهتار البالغ . كان يعيش ليومه وينطلق على هواه ويستجيب لغريزته ، فيفعل

ما يشاء ، ويقول ما يعتقد ، ويطلب ما يشتهى ، ثم لا يبالى أين يقع ذلك كله من رأى غيره . ولا مراء فى أن لهذه الحرية المطلقة أصلاً فى مولده ونشأته . كان أبوه من بدو الكرد وأمه من بدو العرب . وكانا فقيرين فولداه ببغداد فى مهد بدوى خشن . ثم نشّآه على أخلاق البادية الأصيلة . ثم أرخيا له الحبل وتركاه يغدو ويروح على مقتضى فطرته . ثم تبناه بالروح عالم العراق الأستاذ محمود شكرى الألوسى فلقنه فى اثنى عشر عاماً أصول المعقول والمنقول من علوم الدين واللغة والأدب . ثم حاول أن يقبسه أشعة من نور سلفيته وتقواه ؛ ولقبه بالرصافى رجاة أن يخلف معروفاً الكرخى فى صوفيته وزهده . ولكن غرائز معروف كانت أقوى ، ومطامحه كانت أبعد ، فخرج من هذه الرياضة الطويلة مسلم اللسان جاهلى القلب .

ووجد الرصافى العراق على فترة من الشعراء ينتظر أبا نواسه المبعوث ، فصدح على ضفاف الرافدين صدحاته المعروفة فأصغت إليه الأسماع واهتزت له القلوب . ورأى الناس فى أمثال قصائده : (المطلقة) و (أم اليتيم) و (اليتيم فى العيد) أسلوباً من الشعر لم يعرفوه فأكبروه . وحاول أن ينفض عن نفسه غبار التربة فزاول التعليم فى مدارس بغداد . ثم كان من الذين صارعوا استبداد عبد الحميد بقوافيه المسمومة ؛ فلما خر الطاغية وأعلن الدستور تعاظمه النصر وازدهته الشهرة ، فاعتقد كما كان يعتقد الشعراء أن له أن يقول وعلى الناس أن يفعلوا ، وأن له أن ينفق وعليهم أن يبذلوا . فذهب إلى الأستانة يطلب المجد بوساطة شعره ، فكان قصارى أمره أن يكون خوجة فى مدرسة أو محرراً فى صحيفة . ثم سما به الحظ درجة فانتخب نائباً فى مجلس (المبعوثان) عن لواء المنتفق ؛ وظل فى عاصمة الخلافة مدة الحرب الماضية حتى أعلنت الهدنة . وكانت ثورة العرب على الترك يومئذ قد انجلت عن عرش أمية فى دمشق يجلس عليه فيصل الأول ، ومن حوله سيوف الثورة وألسنتها من أمثال ياسين ونورى وجعفر ورستم وساطع . وجاء الشاعر الطماح يبحث عن مكانه فى الدولة العربية الجديدة فلم يجد . فانقلب بعد طول الصبر وإدمان السعى إلى فلسطين خائب الأمل كاسف البال يبتغى العيش فيها من طريق التعليم . فلما انتقل العرش الهاشمى من الشام إلى العراق سنة ١٩٢١ ، عاد الرصافى إلى وطنه ورجا أن ينال فى بغداد ما لم ينله فى دمشق . وتهيأ خليفة النواسى لينادم خليفة الأمين ، وإذا الأمل الفسيح والطموح البعيد يسفران عن وظيفة متواضعة فى وزارة المعارف ! حينئذ تفجر غيظه المكتوم على السلطان ورجاله فأعلنها شعواء بالهجاء المقذع والتهكم الفاحش . ووسمه (معاوية بنى هاشم) بحلمه ، وتعمد إساءته بإحسانه ، ففتح له الطريق إلى مجلس النواب ثم عاد فأغلقه دونه .

ونال الخذلان والحرمان من نفس معروف ومن جسده ففتر نشاطه وتراجع شعره ، ورضى من دهره بالمهلكات الثلاثة : شرب العرق ولعب الورق واستباحة الجمال !

وعلى هذه الحال المضنية أدركه الفقر والمرض والموت دون أن يجد آسياً من إيمانه ، ولا مواسياً من إخوانه !

***

قلت لصاحبى ذات ليلة من ليالىّ فى بغداد : أريد أن أزور الرصافى فقد زارنى مراراً ولم أزره . فقال : أتشجع على أن تدخل حى البغايا ؟ فقلت له : وما صلة هذا بذاك ؟ فقال إنه يسكن بينهن ، وقد تزوره واحدة أو أكثر منهن . فقلت له : هلم ، فما يسع زواره من العذر يسعنا . ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف ، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة . وكلمة الشاعر هنا بدل الأديب تدلك على أن ليس بالمنزل مكتب ولا مكتبة ؛ فقد كان الرجل لا يقرأ ، وإنما كان يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه ، ويكتفى بما حصل فى شبابه من أدبه وعلمه . كان فى الردهة قوم يأكلون ويشربون ، وفى حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون ، وكان الرصافى يتصدر هؤلاء ، فى يمناه كأس ، وفى يسراه ورق . فلما رآنى فض اللعب وأقبل بأنسه على . ثم أخذ يشرب ويتحدث باللغة العارية عن الحقائق العارية فى غير اكتراث ولا تحفظ . ويظلم الرصافى من يقيد عليه فى مثل هذه الحال . ولكن ندماه يروون شعره أو يذيعون حديثه فيبلغ صاحب المُلك فيغضب ، أو صاحب الحكم فيعجب ، أو صاحب الدين فيصخب ، أو صاحب الخلق فيثور . وكل أولئك يعادون الرصافى ، ولكنهم يهابونه لشخصيته ، ويحترمونه لعبقريته ، ويتربصون به سوء المصير

هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم ، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس ، وأما شاعريته فالحكم عليها للناقد لا للمؤرخ . وقد يكون لنا إليها عودة . . .

احمد حسن الزيات

الرقص...

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

نشر أحد الكتاب مقالة صالحة فى (البلاغ) الغراء ذكر فيها الرقص وبيّن محاسنه، وحض الناس عليه. والرقص شيء حسن لا يجادل فى فضائله وحسناته مؤمن

(الرقص) شيء حسن ليس به من حرج
أقل ما فيـه ذهاب (م) الهم عن قلب الشجى [١]

وقد كان الآباء المتقدمون يتعلمون الرقص ويرقصون. ولإسحاق الموصلى (كتاب فى الرقص والزفن [٢]) ذكره ياقوت فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)

وفى (السيرة الحلبية): « عن أبى بشير أن النبى ولما بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون فلم ينكر عليهم، وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث [٣] خلا من التكسر »

وقال ابن عساكر فى تاريخه الشهير:

« كان العباس بن الوليد بن عبد الملك فارساً سخياً، وكان يقال له فارس بنى مروان، وافتتح مدناً وحصوناً من بلاد الروم. وكان الوليد يجد [٤] بالعباس ابنه وجداً شديداً، وكان له من قلبه أحسن موقع، فأدبه بجميع الآداب حتى علمه الرقص وضرب الطبل »

وفى كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب):

« كان المنصور بن أبى عامر (سلطان الأندلس) قد عزم فى يوم على الانفراد. فأمر بإحضار من جرى رسمه من الأدباء والندماء، وأحضر الوزير (أحمد بن شهيد) فى محفة [١] لنقرس [٢] كان يعتاده، وأخذوا فى شأنهم. فمر لهم يوم لم يشهدوا مثله: وطما الطرب، وسما بهم حتى تهايج القوم ورقصوا، وجعلوا يرقصون بالنوبة حتى انتهى الدور إلى ابن شهيد. فأقامه الوزير أبو عبد الله ابن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه، ويرتجل، ويومئ إلى المنصور وقد غلبه السكر:

هاك شيخاً قاده عذر لكا قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتاً فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفرداً نقرس أخنى عليه، فاتكا
من وزير فيهم رقاصة قام للسكر يناغى ملكا
أنا لو كنت كما تعرفنى قمت إجلالاً على رأسى لكا
قهقه الإبريق منى ضاحكاً ورأى رعشة رجلى فبكى

وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الأخير واسطتها. وكان حضرهم ذلك اليوم رجل بغدادى حسن النادرة سريعها، وكان ابن شهيد استحضره إلى المنصور فاستطبعه [٣]. فلما رأى ابن شهيد يرقص قائماً مع ألم المرض الذى يمنعه من الحركة قال: لله درك يا وزير! ترقص بالقائمة وتصلى بالقاعدة... فضحك المنصور. وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللبغدادى »

وفى (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار): « قال محمد بن المؤمل: كنت مع أبى العتاهية فى سميرية [٤] ونحن سائرون

(١) ابن رشيق صاحب العمدة

(٢) فى اللسان: الزفن شبيه بالرقص وأصله اللعب والدفع وفى حديث عائشة: قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون أي يرقصون

(٣) حيث (للتعليل) مولدة. وفى فاتحة المفصل: « ولعل الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه فى عجم خلقه ولكن فى عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج » ومثل هذا الاستعمال فى (كشافه) كثير

(٤) وجد به، وتوجد به: أحبه

(١) (المحفة) مركب كالهودج إلا أن الهودج يقبب والمحفة لا تقبب. قال ابن دريد سميت بها لأن الخشب يحف بالقاعد فيها أى يحيط به من جميع جوانبه

(٢) (النقرس) ورم ووجع فى مفاصل الكعبين، وأصابع الرجلين (القاموس المحيط) ومن معانيه الهلاك والداهية العظيمة

(٣) (استطبعه) يريد استملحه: وجده أديباً مطبوعاً، وكلام وشعر مطبوع نشأ من الطبع والسليقة، واستطبع مولدة. وفى (شفاء الغليل) المطبوع ما نشأ عليه الطبع ثم توسعوا فيه لكل ما يستملح

(٤) (السميرية) ضرب من السفن

إلى (أشمونى)(١) فسمع غناء من بعض تلك النواحي فاستحسنه وطرب وقال لى : أتحسن أن ترقص ؟ فقلت : نعم .

فقال : قم بنا نرقص .

فقلت : فى سميرية ؟ أخاف أن نغرق .

قال : إن غرقنا أليس(٢) نكون شهداء الطرب ؟...»

وفى (كتاب الأغانى) لأبى الفرج الأصبهانى : «قال عبدالله ابن جعفر : يا غلام ، مر فلانة أن تخرج ، فخرجت معها عود ، فقال عبد الله : إن هذا الشيخ (يعنى صديقاً له) يكره السماع . فقالت : ويحه ! لو كره الطعام والشراب ، كان أقرب له إلى الصواب . فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟

فقالت : ربما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله : غنى

لمن ربع بذات الجيش (م) أمسى دارساً خَلَقا(٣)

فغنت ، فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

هذا أوان الشد فاشتدى زِيَم(٤) ويحرك رأسه ، ويدور حتى وقع مغشياً عليه ... »

وذكر القوصى فى الوحيد أنه كان للشيخ ابن الفارض جوار بالبهنسا يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد وللشيخ برهان الدين القيراطى :

حبذا مجلس أنس ضمنا بعد شتات

مجلس يرقص فيه طرباً قاضى القضاة

(١) (دير أشمونى) وأشمونى امرأة بنى الدير باسمها ودفنت فيه وهو بقطر بل (مسالك الأبصار)

(٢) فى شرح الكافية : إذا كان جواب الشرط مصدراً بهمزة الاستفهام سواء كانت الجملة فعلية أو إسمية لم تدخل الفاء قال الله تعالى : (أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم) ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة . قال الله تعالى (قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك ، الآية) وقال تعالى (قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله) ويجوز دخول الفاء فيها لعدم عراقتها فى الاستفهام قال الله تعالى (قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى) وتقول ان أكرمتك فهل تكرمنى

(٣) (ذات الجيش) موضع

(٤) (الشد) العدو ، الركض (زيم) اسم فرس

وفى (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبى : كان القاضى التنوخى فى جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ، ويجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على التبسط فى القصف(١) ، وهم ابن قريعة وابن معروف والقاضى التنوخى وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان الوزير المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم كل مأخذ — وهبوا ثوب الوقار للعقار ، ويرقصون أجمعهم . وإياهم عنى السرى بقوله : « مجالس ترقص القضاة بها »فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم فى التوقر والتحفظ بأبهة القضاة ، وحشمة المشايخ والكبراء .

هذا قليل من كثير من أخبار الرقص والراقصين من السلف الصالح ، فكبيرة أن نحرم ما حللوه ، وأن نستهجن عملا قد استحسنوه ، وهم الناس عندنا ، وهم لنا قدوة . بيد أنا نقول : ألا يرى الكاتب الفاضل والعقلاء من أهل الرجولية والحزم أنا (معشر العرب) أحوج فى هذا الوقت إلى إتقان فن (الإنقاذ) منا إلى تعلم فن (الرقص) ؟ و« اليوم أمر وغداً خمر» وأنا حقيقون أن نتمثل بما تمثل به البطل الأموى (عبد الملك بن مروان) حين أقبلت عليه تلك الحوراء الباهرة وهو فى محاربة (ابن الأشعث) :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار(٢)

حتى إذا نجونا مما نحن فيه أجبنا داعى الطرب ، ورقصنا الرقص العجب ؟

(١) (القصف) اللهو واللعب ويقال انها مولدة ، والقصف الجلبة والاعلان باللهو (اللسان)

(٢) البيت للأخطل فى يزيد بن معاوية

الواحـــد !...

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

« البحيرة الكبيرة من المنبع الصغير . هذه الحرب من قلب واحد . صمامات التيارات العظمى . الفرد المنشود عالم معقد . التبادل بين الفرد الواحد والانسانية الجامعة . توزيع الدنيا على الأفراد والأفراد على الدنيا . من جذور الشجرة الانسانية إلى ثمارها . لا بد لحياة الشجرة من اعتراف كل جزء فيها بكل جزء »

تظهر بوضوح قيمة الفرد البشرى الواحد ، ومبلغ آثار تصرفه ، فى تدبير تشرشل أو هتلر أو روزفلت أو إينونو أو ابن سعود أو ستالين أو أيزنهاور أو أمثالهم . فإن تصرف أحدهم يجر على أمته إما الحسنى والفخار ، وإما السوء والدمار .

فى أمثال هؤلاء يتبين كيف يجر فرد واحد العالم ، أو شعبه وراءه فيخفضه أو يرفعه . ومعنى هذا أن الفرد البشرى ذو قيمة كبرى فى حياة الاجتماع ، وأن وضعه هذا يحتم عليه وعلى الدولة أن يحترسا دائماً من سوء تصرفاته ، وما يجلبه على الاجتماع من الضر .

فتصرف الفرد فى الحياة الاجتماعية أشبه بتصرف ماء مستبحر من ثلج رخو ، على أرض منخفضة ، يبدأ ضعيفاً ، ثم لا يلبث أن يتحول سيلاً حدوراً لا يستطاع رده .

ومهما قيل فى حكم الديمقراطية المطلقة ، والشورى الفضفاضة ، فروح الانتقال والبطولة ، وفتح آفاق جديدة تتركز غالباً فى فرد واحد . وخصوصاً عند الأزمات الخطيرة ، ويكون هذا الفرد حينئذ كموضع نبع الماء فى البحيرة التى يكونها ، ويكون آثاره وعظمته بها . فوضع النبع صغير ، ولكنه هو البحيرة الكبيرة فى الواقع !

وكيف انبثق هذا الدمار فى هذه الحرب على العالم ؟ لقد انبثق من قلب رجل واحد ملء قلبه بالحقد والضغينة على الذين رآهم لم ينصفوا أمته . وتجمع الحقد والضغن فى قلبه ، كما يتجمع القيح والصديد والرحض فى رأس خراج ، فيصيب جسم أمته بالحمى والرعدة ، ولا يمكن سده إلا بعد التصفية النهائية .

فهل بعد هذا يحتقر بعض الأمم شئون الفرد الواحد ويتركونه مهملاً ، زاعمين أنه لا وزن له إزاء الأمة أو العالم ؟ !

وهل قام الخير ، أو قام الشر إلا بواحد ؟ الواحد هو أساس العدد اللانهائى .

وهكذا إذا أراد الله أن يتصل بالناس جميعاً اتصال تغيير فى نظمهم المعاشية والسياسية والدينية ، وضع بذره فى قلب واحد ، وسلط منه تياراً خفياً على الجميع . فاذا كان يريد خيراً بالعالم أطلق تيار الخير من قلب رجل خير ، وإذا كان يريد نقمة وقصاصاً أطلق تيار الصعق والحرق السريع أو البطىء من قلب رجل شر .

فلنجتهد أن نجعل قلوب الأفراد مواضع ليد الله حين يريد الخير .

***

والعناية والمشيئة الإلهية التى تخرج وجوه الناس ونفوسهم وعقولهم صوراً شتى متمايزة مهما كثرت الأعداد ، بحيث لا يتشابه وجهان ، ولا يتماثل عقلان فى كل شىء حتى ولو كانا لتوأمين ، ترشدنا إلى أن نرى فى كل فرد جانباً متميزاً من الإنسانية ، وأنه موضع عناية وقصد من مخرجه .

ولو فهمت الدولة قيمة القصد فى الفرد الواحد وخطره فى الحياة فى حالتى صلاحه وفساده ، إذن ما كانت تسمح لنفسها أن تترك فرداً دون أن تمر عليه بمنظار مكبر يكشف عن أدوائه ومنافعه .

فالفرد إما بؤرة ظلام نجس وفساد متنقلة تحمل الجراثيم الفتاكة معها حيث حلت ... وإما بؤرة صلاح وطهارة وإشعاع تحمل وتعكس عوامل الحياة والجمال معها حيث حلت . وشتان ما بينهما ! فكيف تهمله الدولة هذا الإهمال الشنيع وهو ما هو فى جسمها ؟ !

لو أفلت فرد شرير شيطانى من قيادتها وحراستها إذاً لعاث فساداً فى حرثها ونسلها وعمرانها . ولو ضاع فرد ملكى من رعايتها وتعهدها وتشجيعها ، إذاً لضاع عامل عظيم من عوامل نموها وارتقائها وسعادتها . ولعل فيه ما يرفع النوع كله .

ويظن أكثر الناس أنه يكفى لإنشاء « الفرد الإنسانى » أن تطرح بذرة منوية فى رحم من الأرحام ، تولد بعد مدة ، فتنمو حتى تكون ذلك الجسم المعهود الذى يملأ أسواق الحياة ، ونسوا أنهم فى إنشاء شجرهم وغراسهم وحيوانهم يسلطون يقظتهم وعملهم وتعهدهم الدائم ، حتى يحصلوا على ما يريدون من الأصناف المطلوبة

٢١ — ٢٤

المرغوبة . وأنهم يستهترون ويحاربون الآفات التى تدنو من حرثهم وحيوانهم .

ألا إن الإنسان المنشود عالم معقد ليس الجسم الظاهر إلا وعاءه وقالبه ! أما سره ومعناه ولبابه كما يريد رب الحياة من « النوع » فأمور لا تظهر إلى عالم الاجتماع إلا إذا اجتمعت لها عوامل الحياة الصالحة بنسب موزونة .

وإن الروح التى عنها يتحدثون هى نتيجة تفاعل الحياة الحيوانية فى الجسم مع نتائج التربية والبيئة والتعليم وجميع المؤثرات . إنها كائن ينفصل عن الجسم كنتيجة وجود هذه العوامل الأرضية المختلفة . وإن من أدواتها ذلك اللوح الخفى السريع التأثر الذى ينطبع فيه ما يقع عليه ، أو يتخايل أمامه من المؤثرات .

فالذين يلقون بذور الإنسان فى الأرحام ولا يتقوتها قبل إلقائها . ولا يهيئون لها الجو الصالح وهى فى مستودعها ، ولا البيئة الصالحة وهى فى نشأتها ، ويتركونها هكذا تتداولها العوامل الطبيعية مصادفة ؛ هؤلاء ينبغى ألا ينتظروا من الحياة أن تعطيهم تلك الوحدات الإنسانية المنشودة القريبة من الكمال فى صفات نوعها .

* * *

والإنسانية ملك الفرد ، والفرد ملك الإنسانية . وما كان من المستطاع أن يحصل الفرد الإنسانى ما يحصله الآن من الأفكار والمعلومات والتجارب والأرزاق والمتاع لو أنه عاش فريداً متأبداً ، أو لو أنه اعتزل حياة الاجتماع .

فنحن جميعاً بإزاء بحار المعانى يأخذ كل فرد منا غرفة منها يلونها فى إنائه بلونه الخاص ، ثم يقدمها إلى غيره من الناس . وكلما أضيف فرد إلى المجموع زاد أفق من آفاق الحياة فى الأرض . ولن يمكن أن يحل فرد محل آخر ، فإن كل ثمرة إنسانية لها سر خاص لا يرى فى سواها . وإنى ما أجلس مجلساً مع فرد ما إلا أرى فيه صورة للدنيا لست أراها فى مجلس مع غيره .

ومن العجيب أن كل فكر يريد أن يطبع الإنسانية على غراره ويحملها على حياة تصدق منطقه ، مع أن التوزيع والتمايز بين الوحدات الإنسانية قانون مطرد .

وينطوى فكر كل فرد على صورة للدنيا غير الصور التى فى أفكار الآخرين ، فكل فرد يرى الدنيا من خلال نفسه ، والأكوان عدد العقول .

وما أعجب أن تنظر إلى وجوه الناس ورءوسهم ! إنها صفحات يبدو للناظر العجلان أنها سطحية ضحلة . ولكنها للناظر المتملى المتفرس تقذف به إلى لا نهائية ذات أعماق . والعيون هى مسالك تلك الأعماق !

وكذلك يثير وجه كل فرد وعقله صورة من صور الدنيا . وكل فرد كأنه الحياة كلها مستقلة . حتى ليخيل إليك أن الدنيا الإنسانية تنقص بموت فرد واحد ، وأن مكانه لا يملؤه غيره سواء علا أم سفل ، علم أم جهل . فتوزيع الدنيا على الأشخاص ، وتوزيع الأشخاص على الدنيا يعطى صورة فنية أو حبكة مسرحية يحشد فيها الفن الرفيع والإخراج البديع .

ولذلك قالت التوراة والقرآن : « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ... »

ومن هنا جاءت قداسة الحياة الفردية فى الشرائع ، واستنكر الاعتداء عليها استنكاراً إجماعياً . وقد أعطت الإنسانية الفرد حرية تخيلها لنفسها واستوحتها من إحساسها العام وضميرها المشترك .

* * *

والإنسانية كجسم شجرة واحدة ؛ فيها جذور لا بد أن تعيش فى الطين والظلام والعفونة لتحلل غذاءها وتأخذه عناصر بسيطة تركب منه ما تشاء من اللباب والقشور والأزهار والثمار والعطور إلى آخر ما فى عالم الأشجار .

وفيها سيقان لا بد منها لتحمل غيرها وترفعه إلى عالم الجو والضوء والنسمات .

وفيها أوراق تبلغ من الكثرة حداً كبيراً يرتفع إلى مستوى الزينة ويشترك فى صميم العمل الضرورى لحياة الشجرة ، لأنها رئات يتنفس بها الشجر .

وفيها أزهار وهبها واهب الحياة العطر والجمال ، وأخرج فيها روحاً خاصاً يخيل للناس أنها ليست من عالم الطين والعفونة والتحلل والظلام .

وفيها ثمرات هى صناديق أسرار الشجرة ومستودع حياتها المقبلة . وهى روح الشجرة تحمل سر نوعها من الماضى للمستقبل .

ولا مفر من اعتراف كل جزء من الشجرة بكل جزء آخر لتحيا جميعها . ولا بد أن يعلم كل جزء أنه وضع فى موضعه الرفيع

اقتحم العرب المحيط

قبل أن يقتحمه كلمبس

للآنسة دولت حسن الصغير

نشر فى مقتطف فبراير الماضى نص خطبة ألقاها الأب الفاضل أنستاس الكرملى ، بين فيها أن أبناء يعرب القدامى اختلفوا إلى جزر القصدير ببحر المانش ، وعرفوا تيار الخليج Golf Stream واتخذوه لهم ناقلا إلى تلك الربوع المعروفة الآن باسم المكسيك . واستدل على ذلك من الأسماء العربية للحيوان والطير التى تعرف بها إلى اليوم فى تلك البقاع .

وكنت أحسب قبل مطالعة كلمته الرائعة ، أنه سيورد من المراجع العربية ما يثبت أن من أبناء قحطان من اقتحم البحر المحيط ليرى ما به من الأخبار والعجائب ويقف على نهايته . غير أن الأب — أبقاه الله ذخراً للعروبة — اعتمد فى كل ما قرره على مصنفات الأغراب فحسب ، إلا ما وجده نبها بنفسه .

وليس لى أن أفند ما جاء به العلامة من تحقيقات لغوية ، فما إلى هذا رميت فى هذا المقال — ولكننى سأعنى بالتحدث عمن ركب من العرب البحر المحيط قبل أن يركبه كلمبس ، معتمدة على ما جاء بالمصادر العربية

ثبت قطعاً أن خرستوف كلمبس ليس أول من حط رحاله بالدنيا الجديدة ، ولكن رحلته إليها هى التى فتحت أعين الناس على هذا العالم الجديد ، فبدئ من بعده الظعن إليه والاستعمار .

حدثنا الأب أنستاس بنبأ رحلة الراهب برندان إلى جزيرة إيسلنده (المعروفة عند العرب باسم ثولى) ، وجزائر الكنارى (الخالدات) ، ثم نزوله على الساحل الأمريكى فى النصف الثانى من القرن السادس ، كما حدثنا بخبر بعض الرهبان الأرندليين — الذين كانوا يدهشون لركوب العرب تيار الخليج القادم من المكسيك — ونزولهم فى القرن الثامن الميلادى إلى سواحل أمريكا الشرقية . غير أن التاريخ غمط حقوق بعض الرواد المغامرين من يعرب ، الذين ركبوا الأهوال محاولين اختراق الخضم المحيط المعروف فى ذلك الحين باسم بحر الظلمات

الكرة الأرضية والبحر المحيط عند العرب :

نقل العرب كتاب المجسطى لبطليموس القلوذى فى مطلع العصر العباسى ، وقالوا فى أزياجهم وكتبهم الجغرافية إن الأرض

أو الوضيع ليخدم نفسه ويخدم الجميع . والسفالة فى الوضع أو العلو فيه ، والعلانية أو الخفاء كلها نظرات اعتبارية فى الظاهر ، والحقيقة أن نصيب العمل واحد ، والنتيجة واحدة : هى حياة الشجرة بحياة أجزائها ، وحياة الأجزاء بحياة الأم .

وينبغى ألا ينظر جزء من الشجرة لآخر ، وإنما ينظر لليد التى وضعته فى كل ليؤدى دوره وخدمته ،ويكفى عزاء لما سفل واختفى أن حياته كثيراً ما تكون أثبت وأدوم مما علا .

ويكفى عزاء لما علا وارتفع عن سرعة فنائه أنه أجمل وأشهر . وكلا المعنيين جدير أن يحار بينه وبين قسيمه الاختيار .

ألا إننا ممثلون نؤدى أدواراً يرسمها ويحملنا عليها مؤلف رواية الحياة ومخرجها ، بديع السموات والأرض ! فينبغى أن نعرف مواضعنا الحقيقية من الكون ، وأدوارنا فيه نؤديها على أكمل وجه ، ثم نختفى وراء « الكواليس » إلى يوم إصدار الرواية الأخرى التى سنؤديها فى المسرح الأكبر ، فى الكون الواسع !

* * *

فقط اضمنوا لكل عامل بارع مهما كانت مواد عمله خسيسة أو كريمة مكافأة وتكريماً وتعظيماً لمواهبه . ولا تقصروا اهتمامكم وتمجيدكم على الأجزاء الرفيعة الملونة المزوقة من شجرة الإنسانية : والساسة والحكام والأثرياء ، ومن إليهم من الذين خصهم المجتمع الجاهلى بالاحترام ، بل امنحوا وقدموا ذلك الاهتمام والتمجيد لكل عامل بارع فى عمل من أعمال الحياة الإنسانية ، تتفتح لكم أبواب من سعادة الحياة ما كنتم تتصورون أن وراءها شيئاً ذا قيمة وتأثير فى حياتكم يعادل تأثير السياسة والحكم وما إليهما .

اقضوا على تخصيص الحكام وذوى السلطان والثراء بتعظيمكم وخشيتكم ، وانظروا لغيرهم كذلك من العمال والكناسين وغيرهم وكرموهم كرامتهم ، فإن لهم فى الدولة أثراً لا بد منه كآثار « أصحاب الدولة » ! .

عبد المنعم محمد خلاف

كروية . جاء فى مروج الذهب[1] للمسعودى : « ذكروا أن الأرض مستديرة ، ومركزها فى وسط الفلك ، والهواء محيط بها من كل الجهات ، وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات فى بحر أقيانوس إلى أقصى عمران الصين » و « علموا أن الشمس إذا غابت فى أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر إقيانوس . وإذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى أقصى الصين . وذلك نصف دائرة الأرض ، وهو طول العمران الذى ذكروا أنهم وقفوا عليه » . ولعمرى إن هذا تحديد دقيق لما يعرف اليوم جغرافيا باسم نصف الكرة الشرقى .

وقال المسعودي أيضاً : « إن أقصى العمران فى المشرق إلى حدود بلاد الصين والسيلى إلى أن ينتهى إلى بحر أقيانوس المظلم المحيط . وأقصى عمران المغرب ينتهى إلى بحر أقيانوس المحيط أيضاً »[2] .

فكأن الأقيانوس المحيط كان — بحسب ما عرفوه — متصلا من أقصى العمران فى المشرق إلى أقصى العمران فى المغرب . وهو مايعرف اليوم جغرافيا باسم نصف الكرة الغربى .

وتواترت الأخبار قديما بأن بحر الظلمات هذا لا تدرك غايته . ولا يعلم منتهاه . وأنه بحر لا تجرى فيه جارية ولا عمارة . جاء فى كتاب الشريف الإدريسى[3] — نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق — . « ولا يعلم أحد ما خلف هذا البحر المظلم ، ولا وقف بشر فيه على خبر صحيح ، لصعوبة عبوره ، وظلام أنواره ، وتعاظم موجه ، وكثرة أهواله ، وتسلط دوابه ، وهيجان رياحه . وبه جزائر كثيرة منها معمورة وغير معمورة » .

وكان يعزز ما تواتر عليه الناس عنه ، أسطورة مأثورة عن قدامى اليونان تقول بأن هرقل بنى أعمدة من النحاس والحجارة . حداً بين بحر الروم والأقيانوس . وعلى أعلاها كتابه وتماثيل مشيرة بأيديها أن لا طريق ورائى لجميع الداخلين إلى ذلك البحر المحيط . وأشار المسعودى إلى هذه النصب بما نصه[1] . « وعلى هذا البحر المحيط مما يلى الأندلس ، جزيرة تعرف بقادس Cadix مقابلة لمدينة شذونة .. وفى هذه الجزيرة منارة عظيمة عجيبة البنيان ، على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس يرى من شذونة وورائها لعِظَمه وارتفاعه . ووراءه فى هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل أخرى فى جزائر يرى بعضها مع بعض ، وهى التماثيل التى تدعى الهرقلية ، بناها فى سالف الزمان هرقل الجبار ، تنذر من رآها أن لا طريق وراءها ولا مذهب ، بخطوط على صدورها بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة ، وضروب من الإشارات بأيدى هذه التماثيل تنوب عن تلك الخطوط لمن لا يحسن قراءتها . صلاحا للعباد ، ومنفعاً لهم من التغرير بأنفسهم فى ذلك البحر » .

وكان الحكماء والجغرافيون من العرب ، يعرفون أن هذا البحر موصل إلى الهند . فقد جاء فى كتاب السماء والعالم[2] لأرسطو فى الدليل على صغر الأرض أن الموضع الذى يدعى أصنام هرقل ، يختلط بأول حد من حدود الهند . ولذلك قالوا إن البحر واحد »[3] .

رواد المحيط من العرب

واقتحام أبناء قحطان بحر الظلمات ، وركوبهم أهواله أمر لا مرية فيه ، وقد بسط الأب أنستاس الدليل على ذلك نقلا عن هيرودوتس وعن استرابون . ونحن بدورنا نبسط الدليل نقلا عن المصادر العربية .

جاء فى مروج الذهب صفحة ٧١ فى ذكر الكلام عن البحر المحيط « وله أخبار عجيبة ، وقد أتينا على ذكرها فى كتابنا (أخبار الزمان)[4] فى أخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ، ومن نجا

---

(١) ص ٥١ .

(٢) وجاء فى كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى فى ذكر بحر أوقيانوس ص٥٩ « وأكثر نهاياته مجهولة عند بطليموس (القلوذى صاحب المجسطى) وغيره . فانه يبتدىء من نهاية العمارة فى الشمال إلى أن يصير إلى المغرب . وينتهى إلى نهاية العمارة فى الجنوب وليس له فى غربيه ولا شماليه نهاية محدودة . وفى هذا البحر الجزائر المسماة برطانية وهي اثنتا عشرة جزيرة . ويتصل ببحر الصين مما يلى الزابج وجزائر المهراج وشلاهط وهرلج . الخ» .

(٣) ألف الشريف الادريسى لروجر الثانى ملك صقلية كتابه فى الجغرافية سنة ٥٤٨ هـ وقد نشر فى أوربا بعض قطع منه .

(١) التنبيه والاشراف ص ٦٠

(٢) نقل هذا الكتاب ابن البطريق ، ولثامسطوس شرح الكتاب كله ، نقله وأصلحه يحيي بن عدى — أخبار الحكماء للقفطى ص ٣٠ .

(٣) التنبيه والاشراف ص ٦١ .

(٤) كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة » هو أكبر وأهم كتاب للمؤلف الجغرافي الكبير أبى الحسن على بن الحسين المسعودى ، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ . تعب كثيرمن الباحثين فى التنقيب عنه . ولاريب أن فقده خسارة كبيرة للعلم والبحث والتأرخ . ولا توجد منه — فيما نعرف — إلا نسخة واحدة خطية ببلاد شنقيط بالصحراء الافريقية . والشنقيطيون يضنون بها على العلم والحقيقة والتارخ . ترى متى يسمح الزمان بنشرها .

منهم ومن نلف ، وما شاهدوا منه وما رأوا » .

وإذا لم يحفظ لنا التاريخ قول المسعودى فى أخبار من ركب هذا البحر ، فقد ذكر لنا الإدريسى فى كتابه الجغرافى النفيس قصة الإخوة المغرورين أو المغررين الذين خرجوا من لشبونة ، وضربوا فى عرض المحيط ، ثم عادوا يقصون على الناس مشاهداتهم. ولعلهم حاولوا عبثاً إقناع القوم بوجود دنيا جديدة وآفاق حديثة ، وراء لجج المحيط ، فرماهم البعض بالغرور والبعض بالتغرير . قصتهم ولا ريب ، كانت معروفة قبل المسعودى — والأرجح أنها وقعت فى القرن الثالث الهجرى — التاسع المسيحى — وتناقلها الناس بعد ذلك فلحقها شىء من التحوير والتبديل ، شأن جميع الروايات التى تجرى على الألسن وتدخل فى عداد الأساطير . لذلك سنورد القصة كما استقاها الإدريسى من الأفواه فى منتصف القرن السادس الهجرى — الثانى عشر الميلادى .

قال فى كتاب — نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق — .

« من مدينة لشبونة ، كان خروج المغررين فى ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه كما تقدم ذكرهم . ولهم بمدينة لشبونة بموضع من قرب الحمه ، درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين ، إلى آخر الأبد . وذلك أنه اجتمع ثمانية رجال كلهم أبناء عم ، فأنشأوا مركباً حمالا . وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر . ثم دخلوا البحر فى أول طاروس (كذا) الريح الشرقية . فجروا بها نحوا من ١٢ يوماً ، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الروائح ، كثير القروش ، قليل الضوء ، فأيقنوا بالتلف . ثم فردوا قلاعهم فى اليد الاخرى ، وجروا فى البحر فى ناحية الجنوب ١٢ يوماً ، فخرجوا إلى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل . وهى سارحة لا راعى لها ، ولا ناظر إليها . فقصدوا الجزيرة . فنزلوا بها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى . فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها . فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب ١٢ يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث . فقصدوا إليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم فى زوارق هناك . فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فأنزلوا بها فى دار . فرأوا رجالا شقراً زعراً شعور رؤوسهم سبطة ، وهم طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب .

فاعتقلوا فيها فى بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم فى اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربى ؛ فسألهم عن حالهم وفيما جاءوا ، وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم . فوعدهم خيراً ، وأعلمهم أنه ترجمان الملك .

فلما كان فى اليوم الثانى من ذلك اليوم أحضروا بين يدى الملك . فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ، ويقفوا على نهايته . فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان : خبر القوم أن أبى أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا فى عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا فى غير حاجة ولا فائدة تجدى .

ثم أمر الملك الترجمان أن يعدهم خيراً ، وأن يحسن ظنهم بالملك ففعل . ثم صرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جرى الريح الغربية ، فعمر بهم زورق ، وعصبت أعينهم ، وجرى بهم فى البحر برهة من الدهر ؛ قال القوم : قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جىء بنا إلى البر فأخرجنا ، وكتفنا إلى خلف ، وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ، ونحن فى ضنك وسوء حال من شد الأكتاف ؛ حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بأجمعنا ، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة ، فحلونا من وثاقنا ، وسألونا ، فأخبرناهم بخبرنا . وكانوا برابرة . فقال لنا أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ؟ فقلنا لا ، فقال : إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين . فقال زعيم القوم : واأسفى . فسمى المكان إلى اليوم أسفى ، وهو المرسى فى أقصى المغرب »

والذى نستخلصه من رواية الإدريسى ، أن الإخوة الذين نعتوا ظلما باسم المغررين أو المغرورين ، ركبوا البحر المحيط من لشبونه عاصمة البرتغال الحالية ، فضربوا فى عرضه غربا ، ثم انعطفوا نحو الجنوب ، فوطئوا أرض جزيرة بها غنم وتين برى ، بعد مسيرة أربعة وعشرين يوما (؟) . ونحن نستبعد أن تكون جزيرة الغنم هذه إحدى جزر اللازورد (أزوره) لأنها تقع غرب

لشبونة لا إلى جنوبها الغربى ؛ ولأنها جزر مسكونة من قديم الزمان عرفها القرطاجنيون والنورمانديون والعرب ، كما جاء فى دائرة المعارف الفرنسية . وقد هاجر إليها فريق من عرب أسبانيا بعد طردهم من الأندلس .

والذى نظنه ، هو أن هؤلاء الإخوة حطوا رحالهم فى إحدى جزر برمودة أو جزر الانطيل ، إن لم يظعنوا إلى أحد أنحاء المكسيك ، بلاد التين البرى « وفصائل الصبير » ، والتى كانت تزخر بقطعان الماشية المعروفة عند الغربيين باسم البافالو . (بالفرنسية Bison) أوقطعان اللاما Lama إحدى فصائل الأغنام الأمريكية. والذى استوقفنا فيما تواتر على ألسنة الناس فى هذه القصة هو ذكر الغنم والتين البرى . أما الغنم فكانت الدنيا الجديدة عامرة بقطعان البافالو واللاما — وكاد النوع الأول ينقرض الآن لأن المستعمرين الأوربيين أكثروا من صيده للانتفاع بجلده — وأما التين البرى فنحسب أنه تعبير وصفى لفصائل العائلة الصبارية التى تنبت فى أمريكا الوسطى عامة وسواحل المكسيك خاصة ، وهى مشهورة بها كشهرة مصر بنيلها وأهرامها . أفيحق لنا أن نظن أن ما هبط إليه الإخوة « المغامرون » كان أحد أنحاء المكسيك التى منها يخرج تيار الخليج ويعرج فيها :

هذا رأى لا يحمل إلا على محمل الظن .. والله أعلم .

وهناك قصة لمغامر آخر اقتحم البحر المحيط ، ولا يعرف إلا الله مصيره ومن تبعه . فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى (أوائل القرن الرابع عشر الميلادى) يحدثنا ابن فضل الله العمرى فى كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار عن الملك موسى بن أبى بكر أحد ملوك « مالى » فى السودان الغربى ، وكان معاصرا لصاحب مسالك الأمصار فى أيام الملك الناصر بن قلاوون . قال « قال ابن أمير حاجب والى مصر ، عن الملك موسى ابن أبى بكر : سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذى قبلى كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك . فجهز مئين من السفن ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته ، أو تنفذ أزوادهم . فغابوا مدة طويلة ، ثم عاد منها سفينة واحدة ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم فقال : سارت السفن زمنا طويلا حتى عرض لها فى البحر فى وسط اللجة واد له جرية عظيمة . فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتى . فلم يصدقه .. فجهز ألفى سفينة ، ألفاً للأولاد ، وألفاً للأزواد . واستخلفنى ، وسار بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . وكان هذا آخر العهد به وبمن معه » . فهل وصل هذا الملك المغامر بقافلته العريضة المزودة إلى بر السلامة أم ابتلعته ومن معه لجج المحيط ؟ لانحسب أن إقدام هذا الملك الجسور على اقتحام البحر كان من قبيل الظن بأن للمحيط غاية تدرك ، فلربما كان لديه من الأنباء والوقائع ما دعاه أن يكذب مقدم السفينة العائدة ، ويركب أهوال البحر بألفى سفينة ليصل إلى غايته .

ومما يغلب على الظن أن كلمبس وقف على خبر الإخوة المغرورين ، وعرف أنهم هبطوا إحدى الجزر فيما وراء المحيط — ولعله كان على علم بنبأ رحلة برندان — ولا جدال فى أنه اطلع على ترجمات الكتب الجغرافية العربية التى تقول بكروية الأرض ، وبأن البحر المحيط موصل إلى الهند . ثم استطاع أن يقنع الملكة إيزابلة ، وسار بسفنه الشراعية الثلاث فى ٣ أغسطس سنة ١٤٩٢ متخذا سبيله فى المحيط غربا ، ثم جنوبا بغرب ، حتى وصل فى ١٢ أكتوبر إلى جزيرة غوانى هانى (التى عرفت فيما بعد باسم سان سلفادور) وكأن معاصريه لم يجدوا فيما أتى به بدعا ، ولم يروا فيه أول مقتحم لبحر الظلمات . فضرب لهم مثل البيضة المعروف ، ومات فى بلد الوليد عام ١٥٠٦ آسفا محسورا .

وبعد فهذه حقائق مستقاة من المصادر العربية ، تثبت أن أبناء يعرب جابوا بحر الظلمات قديما . على أن أخبار مقتحميه منهم وما شاهدوا منه وما رأوا لم تلق من الناس والمؤرخين الأقدمين اهتماماً كبيرا . وهناك ولا ريب كثير من رواد المحيط الناطقين بالضاد ركبوا فى قوافل بحرية كبيرة مثل ملك «مالى» ، بيد أنهم لم يجدوا من يؤرخ لهم . ولا ريب أن بعضهم حط رحاله فى ربوع أمريكا الوسطى وجزائرها . لذا لا نعجب أن رأينا فيها كثيراً من الأسماء العربية العائدة إلى الحيوان والطير .

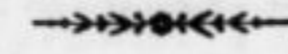
(الاسكندرية) دولت حسن الصغير

يوحنا الدمشقى

JOHANNES DAMASCENUS

للدكتور جواد على

تتمة



ومن آراء هذا القديس أن النبي الكريم كان قد تلقى تعاليمه من أحد أتباع «آريانوس» "Arius" "Arianers" (المتوفى سنة ٣٣٦ للميلاد) والذى كان قد أنكر ألوهية المسيح فحرمه مجمع نيقيا "Nikäa" الذى انعقد فى عام ٣٢٥ للميلاد، ثم أكد هذا التحريم المجمع (Synod) الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية . وكان من أشد خصومه (أثناسيوس) Athansius رئيس أساقفة الاسكندرية القائل على العكس بألوهية المسيح [1].

وهو قول ردد صداه المستشرقون فيما بعد . وقد فاتهم بأن البدعة «الأريوسية» أو «الآريانية» لم تكن معروفة فى البلاد العربية، فلا يمكن أن يكون الرسول قد تعرف إلى أحد من أتباع هذه الشيعة . وقد فاتهم أيضاً بأن النسبة إلى «الأريوسية» كانت شائعة بين الفرق النصرانية، فكانت كل شيعة من الشيع النصرانية تنسب الشيعة المعارضة لها إلى هذا الإسكندرى الذى حرمته مجامع المسيحيين . وقد سلك يوحنا فى مواضع من ميامره مع «المنوفيسيتين» والمعارضين الآخرين نفس هذا السلوك، ونسبة دراسة النبي على أحد «الأريانيين» — وهو قول واه لا تؤيده الشواهد التاريخية — هو من هذا القبيل [2].

وخلاصة ما يمكن أن يقال، هو أن يوحنا كان قد خاف على دينه من الزوال، وهو رجل دين وصاحب عقيدة، وأنه وهو فى بلاط خليفة دينه يخالف دينه عرضة للمناقشة فى الدين وهدف للجدال كما كان يحدث ذلك دوماً لكل ذمى يتولى مركزاً سامياً فى قصور أمراء المسلمين . وقد ساءه ما رآه من دخول أبناء دينه أفواجا أفواجا فى الإسلام، فأراد أن يضع لهم منهجاً ثابتاً فى الكلام وطريقاً واضحاً لإخوانه من أبناء دينه كما يفهم ذلك من ميامره ومن كتابه الذى ألفه فى الرد على المسلمين .

وغريب أمر أولئك الذين يتصورون بأن المسلمين الأولين كانوا كالحجارة الصم لا يحسنون سؤالا ولا يدرون جواباً . وفى القرآن الكريم والحديث الشريف والسير والمغازى والأخبار أسئلة وأجوبة مختلفة فى مسائل الكون والعالم والبعث ويوم الدين والأفعال والأعمال والخطير من الدنيا والحقير، وهم إن شكوا فى كل شيء فلن يستطيعوا الشك فى صحة القرآن وفى صحة روايته كما كان ينطق به الرسول . والقرآن وحده كفيل وخير شاهد على صحة ما نقوله .

ولا عبرة يبعض ما ورد فى بعض الكتب مثل ما جاء فى «كنز العمال» من أن القدريين سموا بهذا الإسم لأنهم «اشتقوا قولهم من النصارى» أوعبارة «اشتقوا قولهم من قول النصارى» [1] إذ ورد فى الأخبار «القدرية مجوس هذه الأمة» [2].

ولو ذهبنا مذهب بعض المستشرقين .ومذهب أهل الرأى والقياس لوجب علينا أن نقول بأن القدرية أخذت قولها هذا من المجوس، وهو قول يناقض المعروف ؛ إذ المعروف بأن المجوس كانوا يقولون بالجبر لا بالاستطاعة والاختيار .

الحق أن ما ذكره يوحنا وما بنى عليه بعض المستشرقين هو من قبيل «الأفكار العامة» التى تخطر على كل بال، من قبيل تلك الأفكار التى ترددت على عقول البشرية منذ أول يوم هبوطها على سطح الأرض حتى اليوم . إنها من قبيل الأفكار العامة التى عالجتها أدمغة الوثنيين كما عالجتها أدمغة أصحاب الأديان بل وحتى الشعوب الابتدائية والقبائل البدوية، وما كان ظهور مثل هذه الأفكار فى الإسلام بحادث غريب وقد عالج الإسلام أموراً أعقد من المواضيع التى نتحدث الآن فيها بكثير .

ولنعد الآن إلى الموضوع . ظهرت فى الإمبراطورية البيزنطية المسيحية وفى ردهات المسيحية فكرة غريبة هى فكرة «تحريم الصور» (Ikonoklasten) وقد انتشرت هذه الفكرة بسرعة كبيرة فى سوريا وفى مصر وفلسطين . فتحطمت الصلبان وأحرقت

---

(١) راجع عنه O'Leary, Arabic Thought and its Place in History p, 27. London 1939.

(٢) Islam Studies. Part. 1, pp, 433, M, 94, 765

(١) راجع كنز العمال ج ١ ص ٣٦ نمرة ٦٦٨ و٦٥٢، كذلك Islam Studies. Part, 1, p, 441.

(٢) راجع مختصر كتاب الفرق بين الفرق وهو حديث ص ١٦

التصاوير ، ونادى الناس حتى فى الإمبراطورية البيزنطيــة بأن الصور والصلبان والزخرفة رجس من عمل الوثنية والشيطان[١].

وشاعت أسطورة ذكرها ثيوفانس (Theophanes) خلاصتها أن أحد اليهود ، وكان يكره النصارى ، تمكن من إقناع الخليفة يزيد الثانى بضرورة تحطيم الصلبان وتمزيق التصاوير كى يطول عمر الخليفة[٢]. فأصدر الخليفة أمره فى الحال بوجوب تحطيم كل ما هو موجود من صلبان النصارى . ويذكرون أيضاً بأن إمبراطور القسطنطينية ، وهو الإمبراطور « ليو » تأثر بعد ذلك بأفكار أحد السريان ، وكان قد وقع فى أسر المسلمين . فاعتنق الإسلام وسمى نفسه « بشراً » « بسر » Beser وغدا من أعداء الصلبان والتصاوير ، وكان ذلك فى عام (٧٢٦) للميلاد[٣] .

عندئذ أصدر الإمبراطور أمره فى عام ٧٢٦ للميلاد بتحريم الصلبان والتصاوير . وقد نفذ الأمر الامبراطورى الرسمى فى كافة أنحاء الامبراطورية البيزنطية ، وتبرم صاحبنا يوحنا من هذا الأمر الملكى الرسمى واعترض عليه بست رسائل ألفها تفنيداً لهذا الأمر ولمن قال بهذه البدعة من أتباع الملوك .

وفى هذا التحريم أصل إسلامى ملموس وإجابة لدعوة النبى الكريم، تلك الدعوة التى حققها يوم أمر بتحطيم أصنام الكعبة وأصنام الطائف وكل صنم آخر قائم . ذلك ما قاله نفر من المستشرقين[٤] . على أن هنالك جماعة أخرى رأت غير هذا الرأى ؛ رأت أن هذا التحريم مصدره تلك الفكرة اليهودية التى كانت قد حرمت تصوير المخلوقات الحيّة وقاومت التصوير مقاومة عنيفة . وقد انتقلت هذه الفكرة إلى المسلمين وانتقلت على زعمهم من المسلمين إلى المسيحيين[٥].

وتطرف هؤلاء فقالوا بأن الأحاديث التى رويت عن لسان الرسول ، والتى حرمت التصوير ، إنما ظهرت فى هذا العهد الذى أعلنت الحكومة البيزنطية فيه أمرها بتحطيم الصلبان .

ورد فى الحديث : من صوّر صورة فى الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ »[٦]. واستعمل بعض المحدثين

(١) راجع هذه المادة فى دائرة المعارف البريطانيــة وفى دائرة المعارف الفلسفية

(٢) راجع Theophanes Edition de Boor 401 29.

(٣) راجع Michel le Syries, Livre, XI p, 503

(٤) Islam Studies part 1 p, 446.

(٥) Levetts, History of the Patriachs of the Coptic 3, 72

(٦) كنز العمال جـ ٢ ص ٢٠٠ القسطلانى ٨ ص ٤٨١ الزرقانى على الموطأ ٤٠ ، ٢٠٤ .

لفظة « تصاليب » بدلا من « تصاوير » ، قال القسطلانى : « تصاليب أى تصاوير كصليب النصارى »[١]. وهـذا ما يجعل للمشكلة صلة بالمشكلة التى أثارها «الامبراطورليو» فى الامبراطورية البيزنطية . ويلاحظ أيضاً بأن يوحنا لم يتحامل فى رسائله التى ألفها للدفاع عن الصليب والتصوير على المسلمين كتحامله على اليهود . على عكس ثيودور أبوقرة أحد تلاميذه الذين احتذوا حذوه ونهجوا منهجه ، فلقد تحامل هذا على المسلمين تحاملا شديداً وعنفهم تعنيفاً مرّاً لأنهم كانوا سبب هذا التحريم[٢]. لم تنفع هذه الحملة الصليبية التى أثارها هذا الموظف المسيحى فى بلاط أمير المؤمنين فى الشام شيئاً . قد يكون يوحنا نجح بعض الشيء فى إثارة جذوة نار تلك المشاكل الكلامية التى ظهرت قبله بزمن وفى صبها فى جداله مع المسلمين بقالب منطق يونانى أثر على أسلوب الكلام عند المسلمين، ولكنه فشل فى الحيلولة بين المسيحيين السوريين وبين الاسلام

وآثر يوحنا وهو فى أواخر حياته الاعتزال فى دير من أديرة الدنيا النائيــة ليوجه تفكيره نحو خالقه ، فاختار دير « القديس سابا » (St Sabas) قرب القدس ليكون محله المختار[٣]. وقد ظل فى هذا الدير إلى أن جاءه أجله المحتوم بين عامى ٧٤٨ و٧٥١ للميلاد على أكثر الروايات[٤] .

جواد على

(١) القسطلانى جـ ٨ صـ ٤٨١ .

(٢) ثيودور أبو قرة " Theodore Abucara " أو ثاودروس أبو قرة (ويروى أيضاً أبو قارة) . أسقف حران (٧٤٠ — ٨٢٠ للميلاد) من أعظم الكتبة الكنسيين وأبرعهم فى المصنفات الجدلية والأبحاث الدينية. وعمر أبو قرة فى عهد المأمون راجع عنه كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية للأب لويس شيخو اليسوعى بيروت ١٩٠٤ ، أيضاً المشرق سنة ١٩٠٣ صـ ٦٣٣ ، كذلك ميامره وقد طبعها الخورى قسطنطين الباشا أحد رهبان دير المخلص . مطبعة الفوائد لصاحبها خليل البدوى فى بيروت . أيضاً المتحف البريطانى رقم Or. 4240 كذلك R. A. Nicholson Aliterary History of the Arabs p, 221 Cambtidge, 1931

وجاء فى ضحى الاسلام جـ ١ صـ ٣٤٤ طبعة أولى « أبوكارا » كما جاء فى الأحرف اللاتينية والصواب « أبو قرة » أو « ابو قارة » . كما جاء ذلك فى ميامره نفسها . راجع كتاب ميامر ثاودروس أبو قرة .

(٣) راجع Hitti, History of the Arabs, p, 246 3, Edition 1943.

(٤) يقول Qailhe إنه توفى فى ٤ دسمبر من عام ٧٤٩ للميلاد . أما كتاب فيليب حتى فحوالى عام ٧٤٨ وأما كراف Graf الذى كتب عنه وأخرج مصنفاته فيرى أن حياته كانت بين عامي ٧٤٠ — ٨٢٠ للميلاد ، أى بين عامى (١٢٣ و٢٠٥ للهجرة) راجع Islam Studies 1, p, 434 Migne Patrobog Graec وجاء فى حاشية صـ ٢٤٨ من الجزء الأول من تراث الاسلام الترجمة العربية (١٩٢٦) وكان (أى يحيى أو يوحنا) مولى المأمون وهو خطأ لا أدرى من أين جاء به معرب الكتاب . فأغلب الظن أنه لم يدرك ما قبل عهد خلافة المأمون .

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

— ٢ —

لم يقتصر أمر التعدد فى معاهد المرحلة الواحدة من التعليم مع ما يصحبه ذلك التعدد من اختلاف ثقافات المدرسين على تعليم البنين ، بل سرى نفس الداء إلى معاهد البنات كذلك . خصوصاً فى المرحلة الثانية منها حيث وجدت مدارس الفنون الطرزية ومدارس الثقافة النسوية والمدارس الثانوية والأوليات الراقية والتربية النسوية ومدارس المعلمات الأولية وغيرها ، وحيث وجدت فى هذه المدارس طوائف مختلفة الثقافات من المعلمين والمعلمات اللواتى تخرجن فى مدارس التدبير بأنواعها والتعليم العام الاضافى ومدرسة المعلمات والسنية ومعهد التربية والفنون إلى غير ذلك مما أدى إلى تفكك تعليم الفتاة بسبب تعدد المعاهد وعدم انسجامها وقلة توافقها وترابطها ، فخلقنا جواً ملائماً كل الملاءمة لتفاوت الطبقات فى معاهد البنات كما سبق أن خلقناه فى معاهد البنين مع أن الوظيفة الأساسية للمرأة فى الحياة تكاد تكون محدودة معروفة وهى طبعاً الزوجية والأمومة . وكان لهذا كله أثره القوى الفعال فى خلق التنافر والقضاء على التعاون بين الأفراد المثقفين من أبناء الأمة الواحدة وبناتها ذلك التعاون الذى هو أساس بناء وحدتها وعماد نهضتها فى كل أعمالها ومشاريعها التى تنهض بها الجماعات والطوائف المختلفة .

ولقد بدأ الاضطراب فى سياسة إعداد المعلمين والمعلمات للتعليم العام فى هذا البلد منذ ألغيت المدرسة السنية للمعلمات ومدرسة المعلمين العليا التى خرجت فى نحو ربع قرن من الزمان عدداً كبيراً من رجال التعليم اضطلعوا ولا زالوا يضطلعون بأكبر قسط فى تثقيف الناشئين فى مختلف المدارس والمعاهد . ولم تستطع مصر مع الأسف أن تحصل على ما يسد فراغ هاتين المدرستين ؛ فمعهد التربية العالى بشقيه الذى قام على أنقاضهما ليعد معلمين ومعلمات للتعليم العام لا يلتحق به إلا طالب منته من الدراسة فى إحدى كليتى الآداب أوالعلوم بالجامعة . وأنى لطالب منته فى احدى هاتين الكليتين راغب فى ولوج معترك الحياة العامة بعد الدراسة الطويلة أن يفكر فى اعداد نفسه من جديد ليكون معلماً ! أنى له ذلك وحظ المعلمين من متع الحياة ومتع الوظيفة ضئيل لا يُقدم عليه إلا من أكرهته الظروف للالتجاء اليه ! لهذا كان الانصراف عن المعهد خصوصاً من خريجى كلية العلوم الذين تتخاطفهم الشركات . ولهذا بقى هذا المعهد سنين طويلة وعدد خريجيه من قسم الرياضة والعلوم لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة . ولهذا وجدت فى مصر أزمة شديدة فى الحصول على هذا النوع من المعلمين . ثم أنا لم نواجه الأزمة مع الأسف بما تستحقه من عناية فوقفنا ازاءها مكتوفى الأيدى ننتظر كل عام ما يجود به المعهد من خريجين قليلين حتى اصطدمنا بالحقيقة الراهنة المؤلمة الخاصة بعدم وجود المعلمين الضروريين للمعاهد التى تنشأ ولملء الوظائف التى تخلو ، واضطررنا إلى حل تلك الأزمة بحلول سريعة غير موفقة كالاستعانة بغير الفنيين من حملة البكالوريا وغيرهم . وزادت بذلك هوة الخلافات فى ثقافات القائمين على أمر اعداد النشء وتثقيفهم كما هوى مستوى التعليم نفسه هويا كبيراً . ولما أحسسنا بذلك أخذنا نعالجه بعلاجات وقتية ضئيلة الأثر كالدروس الصيفية لغير الفنيين وما إلى ذلك . ثم جاء تقرير مجانية الابتدائى وما تبعه من إقبال أبنائنا على هذا التعليم ضغثاً على أبالة ، إذ اضطررنا إلى التوسع فيه دون أن نعمل أى ترتيب لايجاد المعلمين الضروريين . وأصبح المدرس يواجه أمامه عدداً كبيراً من التلاميذ لم يسبق له مثيل فى الفصل الواحد حتى أصبح عسيراً على المدرس الفنى أن يسوس هذا الجم الغفير أو أن يفيدهم ، فما بالك بالمدرس غير الفنى أو المدرس الضعيف أو المدرس المبتدىء قليل الخبرة ! انها لحالة تستدعى الاهتمام وتستدعى العلاج . إن مسألة المعلم الكفء ذى الضمير الحى هى أول ما يجب أن تفكر فيه الدولة الرشيدة الحريصة على مستقبل أبنائها وتربيتهم وثقافتهم قبل أن تخطو خطوات واسعة فى نشر تعليم مشكوك عند الكثيرين فى صلاحيته من حيث نوعه ونظامه وانتاجه . وإن التفكك والانحلال القائم فى كثير من المعاهد بسبب وجود عناصر متعددة من المعلمين ذوى الثقافات المختلفة والآراء المتنافرة التى لا يمكن أن توحى بالانسجام والتعاون لكفيل بأن يبقى حالة المدرسة المصرية بعيدة كل البعد عن الأخذ بأساليب التربية الحديثة مهما

دعونا اليها ومهما نبهنا إلى ضرورتها ومهما حاضرنا فيها . ذلك لأن عناصر المعلمين المتعددة المتنافرة لا يمكن أن تجد من تنافرها الوقت ولا أن تتملكها روح التوفر على البحث والعمل للصالح العام ، فكل منها لاه بنفسه وبمستقبله الخاص وبالتعصب لثقافته وبالظهور على غيره . وهى أمور كلها تزيد فى هوة الخلاف المؤدى إلى التفكك والانحلال ؛ وسيمتد ذلك التفكك والانحلال دائما وبطبيعة ما للمدرسة من أثر فى التكوين ، إلى طبقات الأمة المختلفة خصوصاً منها أولئك الذين يتولون أعمالا موحدة ومرافق ذات غايات واحدة . ولن يمكن القضاء على تلك الخلافات وتوحيد الاتجاهات إلا بتوحيد الثقافات . ولن يتم لنا ذلك إلا بايجاد المدرسة الموحدة التى تعد المعلمين الذين يقومون بتدريس مختلف العلوم فى مدارسنا . أما وقد قُضى على مدرسة المعلمين العليا من زمن بعيد فلاشك فى أن المصلحة تقضى بادماج دار العلوم ومعهد التربية بعد تعديل شروط الالتحاق بهما وجعلها معهداً واحداً لاعداد معلمى المواد المختلفة . وإنا نسوق هذا الاقتراح للرجال المسئولين خصوصاً بعد تلك البحوث القيمة التى أجراها مؤتمر أساليب التربية الحديثة والتى تبين منها « أن الأمر يتطلب معلماً يفهم روح التربية وأهدافها فهما واضحا ويؤمن بها ايماناً قوياً يدفعه الى الجهاد فى سبيل تحقيقها » كما جاء فى القرار الثانى من قرارات المؤتمر . ولا شك أن هذا المعلم النموذجى لن يندفع إلى ذلك الجهاد إلا إذا تعاون معه زملاؤه وأمن كيد عناصر أخرى تؤذيه فى جهاده وقد تحاربه وقد لا تقدره . والمعلم الموحد الثقافة هو المعلم الوحيد الكفيل بالاضطلاع بهذا الجهاد فى سبيل تحقيق الهدف المطلوب . يقول أحد قادة التربية الغربيين « أعطنى المعلم الكفء واتركه بغير برامج يخرج لك من النشء رجالا . أما البرامج التى لا يقوم على تنفيذها المعلم الكفء مهما حسنت فانها لا تخرج إلا أطفالا كبار [illegible] وما هم برجال » فمسألة المعلم الكفء الذى يفهم مهمته ويفهم روح التربية وأهدافها والذى يتعاون مع زميله على قدم المساواة لما بينهما من تجانس فى التعليم والثقافة ، وتوافق فى الاتجاه والاحساس بالمسئولية هى مسألة المسائل ومشكلة المشاكل فى مصر . وقد أعارها المؤتمرون جل اهتمامهم لأنها لا يصح أن تتجاهلها أية هيئة تعليمية

إن أمامنا مثلا رائعاً نحسه ونلمسه بين أيدينا اليوم يوضح لنا أثر الثقافة الموحدة فى بناء كيان وحدات الأمة وتدعيمها وتقويتها . ذلك المثل هو جامعة فؤاد الأول بمختلف كلياتها . فقد ظن البعض فى مبدأ تكوينها أن لا فائدة ترجى من الجمع بين عدة مدارس عالية وجعلها كليات فى جامعة واحدة . فإن مايدرس فى كلية الهندسة اليوم مثلاهوما كان يدرس فى مدرسة المهندسخانة قديما مضافا اليه التطور الذى أوجده الزمن فى فنون الهندسة الحديثة . وكان من الممكن البقاء على مدرسة المهندسخانة القديمة مع ادخال ما استدعاه التطور الحديث فيها .

نعم كان ذلك ممكنا وتبقى كليه الهندسة مستقلة كل الاستقلال بل بعيدة كل البعد عن كلية الحقوق وعن غيرها من الكليات الأخرى . كل ذلك صحيح ، ولكن أنى يكون لنا عندئذ بفكرة الوحدة الهائلة العظيمة التى تضم عدداً كبيراً من الكليات تحت لوائها فى إدارة واحدة يشرف عليها جميعاً مدير واحد يضم شتاتها ويوحد صفوفها لتسير فى اتجاهات متوازية إلى غرض واحد ؟ أنى يكون لنا عندئذ بتلك الوحدة الجامعية التى تضم الآلاف المؤلفة من شبابنا تحت لواء واحد يعملون جميعاً فى تلك الصفوف المتوازية المتقاربة المتعاونة سائرة فى اتجاه واحد لايصطدم بعضها ببعض ولايتعارض بعضها مع بعض الى هدف واحد تهفو اليه مصر كلها وتنزله المنزلة الأولى من نفسها وتضعه فى السماك الأعلى من آمالها ؟ فلا شك اذن أن فكرة الوحدة الجامعية فكرة رائعة توحى إلى الشباب بالوحدة والقوة وتقضى على كثير من تلك الخلافات السخيفة التى يؤدى اليها اختلاف الثقافات . فهى مكسب هائل وربح عظيم ربحته مصر فدفعها نجاحها فى الحصول على هذا الكسب أن خلقت فى العاصمة الثانية أختا للأولى تشاركها فى مسئولياتها وتسير فى نفس اتجاهاتها مما سيؤدى ان شاء الله الى خلق غيرها وغيرها بفضل توفر البحث وتضافر الجهود .

نسأل الله أن يسدد خطى العاملين لرفع شأن الثقافة وتوحيد اتجاه التعليم ومقاصده للنهوض بالناشئين أبناء الجيل الحاضر نهوضاً يتناسب مع مركز مصر بين أمم الأرض عامة وبين أمم الشرق والعروبة خاصة فى ظل جلالة الفاروق المفدى .

عبد الحميد فهمى مطر

محمد بن عبد الملك الزيات

للأستاذ عبد اللطيف ثابت

جلس عبد الملك بن أبان بن أبى حمزة إلى ولده محمد يحدثه عن تجارة الزيت، ويروى له من تجاربه، ويصف له مشاهده الممتعة فى رحلاته التى كانت تنتهى بذكائه وصبره وجرأته إلى التوفيق، إذ كان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، فيثرى من وراء ذلك ثراء عظيما، ويعد لما جمعه من المال فى تجارة الزيت من مياسير الكرخ، وينصحه فى لهجة العاطف الحانى أن يحذو حذوه، ويسلك مسلكه، فيتعلق بالتجارة ويتشاغل بها؛ ولكن الفتى وقد سمت به همته، وطمح إلى ما لا يطمح إليه السوقى الذى تشغله التجارة وملازمتها عن قصد المعالى — يأبى أن يصغى إلى حديث أبيه إلا بمقدار أن يسمعه، فيجيب عنه بإباء يؤكده أنه لا يشتغل إلا بالأدب وإلا بما هو من وسائل الأدب، لأنه يحس من نفسه بدوافع تدفعه إلى ما لا يرمقه إلا كل ذى همة وثابة، ونفس تطمح إلى العلا.

وها هم أولاء لداته يشهدون له بكفايته فى العلم والأدب، ويثنون على ذكائه وقوة إدراكه وسرعة بديهته، ومقدرته على حل ما يشكل عليهم من مسائل العلوم لا فى النحو واللغة فحسب، بل فيهما وفى غيرهما من سائر العلوم. وهذا أبو عثمان المازنى وقد عرفه لما قدم بغداد فى أيام المعتصم يقول لأصحابه وجلسائه، إذا خاضوا بين يديه فى علم النحو فاختلفوا فيما يقع فيه الشك — ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب، يعنى محمد بن عبد الملك الزيات، فاسألوه واعرفوا جوابه فيفعلون، ويصدر جوابه بالذى يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه. فهذه الثقة من أترابه وغيرهم من أبناء عصره، تدفعه فى قوة أن يخالف أباه عبد الملك ويراغمه، فيلازم الأدب ويطلبه ويخاطب الكتاب، ويلازم الدواوين، ويجيب أباه فى قوة الواثق المطمئن — وقد قال له ذات يوم: والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك، وليضرنك، لأنك تدع عاجل المنفعة، وما أنت فيه مكفى، ولك ولأبيك فيه مال وجاه، وتطلب الآجل الذى لا تدرى كيف تكون فيه. فيجيبه: والله لتعلمن أينا ينتفع بما هو فيه أأنا أم أنت؟ ثم يشخص بعد قليل إلى الحسن بن سهل وزير المأمون، فيمدحه بقصيدة أولها:

كأنها حين تدنى خطوها أخنس موشى الشوى يرعى القلل

فيعطيه الحسن عشرة آلاف درهم، فيعود إلى أبيه فئزاً منتصراً، فيبتسم أبوه فى رضا، لأنه تاجر يسره أن يرى الدراهم والدنانير، ثم يقول له لا ألومك على ما أنت فيه. ولكن محمد بن عبد الملك لا يقنعه أن يصله الحسن بعشرة آلاف درهم، إذ ليس ذلك قصارى غايته مما تطمح إليه نفسه، بل يطلب أن يمثل بين يدى الوزير فيؤذن له، فينشده:

لم أمتدحك رجاء المال أطلبه لكن لتلبسنى التحجيل والغررا
وليس ذلك إلا أننى رجل لا أطلب الورد حتى أعرف الصدَرا

فيقدره الحسن قدره، ويعترف له لأنه شاعر مجيد لا يقاس به أحد من الكتاب إلا ابراهيم بن العباس الصولى. على أن الصولى مقل وصاحب قصار ومقطعات، ومحمد بن عبد الملك شاعر يطيل فيجيد ويأتى بالقصار فيجيد.

ويأبى إلا أن يصل إلى الغاية فى أن يأخذ الحجة على أبيه بصدق نظره وصحة رأيه فيما هو يرى إليه من الاشتغال بالأدب، فينتهز فرصة واتته بادر إلى افتراصها، فرد بها حقاً لأبيه كاد يضيع: ذلك أن ابراهيم بن المهدى وثب على الخليفة المأمون، ولما لم يكن لديه من المال مايعينه على أمره، اقترض من مياسير التجار ما هو فى حاجة إليه من المال، وأخذ من عبد الملك بن أبان فيمن أخذ عشرة آلاف درهم، وقال له: أنا أردها إذا جاءنى مال، ولم يتم أمر ابراهيم، فاستخفى حيناً ثم ظهر، ورضى عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم فقال: إنما أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من الفىء لو تم لى الأمر، والأمر الآن إلى غيرى.

وعلم محمد بن عبد الملك بقصة القرض ، فعمل قصيدة يخاطب فيها المأمون بما يوقظ موجدته على ابراهيم بن المهدى ، واطلع ابن المهدى عليها ، وقال له : لئن لم تعطنى المال الذى اقترضته من أبى لأبعثن بهذه القصيدة إلى المأمون ، فخاف ابن المهدى أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به ، فقال له : خذ منى بعض المال ونجم على بعضه ، ففعل بعد أن حلفه ابراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة فى حياة المأمون ؛ فوفى له بذلك ، ووفى ابراهيم برد المال كله . ويسر أبوه بهذا كله ويعجب ، ومن هذه القصيدة ما يأتى :

فو الله ما من توبة نزعت به ... إليك ولا ميل إليك ولا ود
ولكن إخلاص الضمير مقرب ... إلى الله زلنى لاتخيب ولا تكدى
أتاك بها طوعاً إليك بأنفه ... على رغمه واستأثر الله بالحمد
فلا تتركن للناس موضع شبهة ... فإنك مجزى بحسب الذى تسدى
فقد غلطوا للناس فى نصب مثله ... ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدى
فكيف بمن قد بايع الناس والتقت ... ببيعته الركبان غوراً إلى نجد
ومن سك تسليم الخلافة سمعه ... ينادى به بين السماطين من بعد
وأى امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب فى اللحد

ومنها :

فان قلت قد رام الخلافة غيره ... فلم يؤت فيما كان حاول من جد
فلم أجزه إذ خيب الله سعيه ... على خطأ إذ كان منه على عمد
ولم أرض بعد العفو حتى رفعته ... وللعم أولى بالتغمد والرفد
فليس سواء خارجى رمى به ... إليك سفاه الرأى والرأى قد يردى
ومن هو فى بيت الخلافة تلتقى ... به وبك الآباء فى ذروة المجد
فمولاك مولاه وجندك جنده ... وهل يجمع القين الحسامين فى غمد

ويظهر لما اشتهر به من العلم والفضل والبراعة فى الأدب أثره ، فينتظم فى سلك الكتاب بديوان الوزارة ، ويظل يعمل لا يزيد على غيره من الكتاب شيئاً ، ولا يمتاز عنهم بشىء إلا بما وهبه الله من علم وأدب .

ويتولى الوزارة للمعتصم أحمد بن عمار بن شاذى البصرى ، ويرد على الخليفة من بعض عماله كتاب يقرؤه الوزير عليه ، وكان فى الكتاب ذكر الكلأ ، فيسأله المعتصم : ما الكلأ ؟ فيقول : لا أعلم ، وكان قليل المعرفة بالأدب ، فيقول له المعتصم : خليفة أمى ، ووزير عامى ! وكان المعتصم ضعيف الكتابة ، ثم يأمر أن يبصروا من بالباب من الكتاب ، وتشاء الأقدار التى تيسر كل إنسان لما خلق له ، أن يكون بالباب محمد بن عبد الملك الزيات ، ويدخلونه إلى الخليفة فيسأله : ما الكلأ ؟ فيجيب : الكلأ العشب على الإطلاق ، فان كان رطباً فهو الخلا ، فإذا يبس فهو الحشيش ، ثم يشرع فى تقسيم أنواع النبات فيعلم المعتصم فضله فيستوزره ويحكمه ويبسط يده .

ويبلغ الفتى بالوزارة الذروة مما كان يطمح إليه ، فيعلو شأنه وتنفذ كلمته ، ويدل بما عرف عنه من العلم والفضل فيشترط إذ يتولى الوزارة ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها السيف بحمائل فيجاب إلى ذلك فيمتاز بهذا أيضاً عما سبقه من الوزراء .

ويبدو فى وزارته شديد البأس ، عظيم المنة ، قوى الإرادة قاسى القلب ، لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا بل هو يرى الرحمة خوراً فى الطبيعة وضعفا فى المنة ويقول عن نفسه مارحمت شيئا قط . ولا يقف فى حقده دون نكبة من يحقد عليه ، غير مبال بصروف الزمان وتقلب الدهر . اتخذ فى أيام وزارته تنورا من حديد فى داخله مسامير محدودة قائمة كرؤوس المسال يعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال فكيف انقلب أحدهم أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه فيجد لذلك أشد الألم ، حتى إذا جأر إليه المعاقب يطلب الرحمة أجابه بكلمته السابقة إن الرحمة خور فى الطبيعة :

ومن يتصف بمثل صفاته هذه ويكون فى مثل شأنه هذا يكثر حساده ويشتد عليه أعداؤه .

ومن هم حساده وأعداؤه ؟ إنهم عظماء الرجال فى عهده : كالقاضى أحمد بن أبى دؤاد ، ويحيى بن خاقان ، وابرهيم

ابن العباس بن محمد بن صول، وعلى بن جبلة، وأبى دلف القاسم ابن عيسى:

كتب إليه على بن جبلة يقول، وكان قد قصد أبا دلف فى بعض أمره:

يابائع الزيت عرج غير مرموق لتشغلن عن الأرطال والسوق
من رام شتمك لم ينزع إلى كذب فى منتماك وأبداه بتحقيق
إن أنت عددت أصلا لا تسب به يوما فأمك متى ذات تطليق
ولن تطيق بحول أن تزيل شجا أثبته منك فى مستنزل الريق
الله أنشاك من نوك ومن كذب لا تعطفن إلى لؤم لمخلوق
ما ذا يقول امرؤ غناك مدحته إلا ابن زانية أو فرخ زنديق

فاجابه محمد بن عبد الملك

اشمخ. بأنفك ياذا السيء الأدب ماشئت واضرب حذاك الأرض بالذنب
ما أنت إلا امرؤ أعطى بلاغته فضل العذار ولم يربع على أدب
فاجمح لعلك يوما أن تعض على لجم دلاصية تثنيك عن كثب
إنى اعتذرت فما أحسنت تسمع من عذرى ومن قبل ما أحسنت فى الطلب
صبراً أبا دلف فى كل قافية كالقدر وقفا على الجارات بالعقب
يارب إن كان ما أنشأت من عرب شروى أبى دلف فاسخط على العرب
إن التعصب أبدى منك داهية كانت تحجب دون الوهم بالحجب

ثم اتصلت المهاجاة بينهما زمنا بسبب تعصب على بن جبلة لأبى دلف وليس غريبا ولا فضولا أن يتعرض على بن جبلة لهجو محمد بن عبد الملك لايحمله على ذلك إلا انتصاره لأبى دلف وإخلاصه له وتفانيه فى حبه، فقد تعرض ابن أبى جبلة لغضب المأمون وناله مانال منه بسبب أبى دلف إذ قال فيه:

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
وإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وقال:

أنت الذى تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
ومامددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال

فأحفظه عليه، فليس يعقل أن يخشى سلطان محمد بن عبد الملك وهو لم يخش سلطان الخليفة وإن كان محمد بن عبد الملك قد بلغ من السلطان مبلغا جعل الناس يتملقونه، فيرضون عمن يرضى ويغضبون على من يغضب.

وهذا ابرهيم بن العباس الشاعر تنقلب صداقته لمحمد بن عبد الملك عداوة شديدة، وشحناء عظيمة ولا سبب لذلك فيما يغلب على الظن إلا أن ابن عبد الملك حسد ابرهيم حظه من الوجهة الأدبية فهو كاتب حاذق بليغ، فصيح منشىء، وهو إلى هذا شاعر مجيد يقول عنه أحد شعراء عصره لو تكسب ابرهيم بالشعر لتركنا فى غير شىء. وحسده كذلك نباهة شأنه، وعلو قدره، حتى لقد تنقل فى الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن تولى ديوان الضياع والنفقات بسرمن رأى — وكأنما كان يخشى منه ابن الزيات على نباهته أن يخملها، وسلطانه أن يذهب به، فهو يحمل عليه وينال من دينه وشرفه، ويرسل إليه أبا الجهم أحمد بن سيف ويكلفه أن يبحث بدقة فى شئونه عسى أن يكشف عن أخطائه ويظهر من أغلاطه ما يأخذه به فى غير حذر من لوم، فيكتب إليه ابراهيم.

وإنى لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يرجى أخ ووزير
ولكن محمداً يقيم على أمره وأبا الجهم يلج فى تحامله. فيكتب إبراهيم أيضاً إلى ابن الزيات شاكيا أبا الجهم نائلا منه، واصفاً إياه بالكفر، إذ هو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

تركت عبيد بنى طاهر وقدملأوا الأرض عرضا وطولا
وأقبلت تسعى إلى واحدى ضرارا كأن قد قتلت الرسولا
فسوف أدين بترك الصلاة وأصطبح الخمر صرفا شمولا

فينسب محمد لشدة عصبيته على ابراهيم هذا الشعر له ويرميه بالكفر دون أبى الجهم، ويأبى أن يصغى لتوسلاته اليه شعراً أو

نثراً ولا ينقذه منه إلا الخليفة الواثق فهو الذى يرفع عنه ، ويأمره أن يقبل منه ما رفعه من المال برغم ما ثبت عليه من عجز فى إدارته فى ديوان الضياع بما كشفه أحمد بن المدبر ، حين جمع المتوكل بينه وبين ابراهيم فأخذ يروى من عجزه أمثلة لا تفتقر — وقد اعترف ابراهيم نفسه بعجزه وقال : إنى لم أدفع أحمد بحجة ولا كذب على فى شىء مما ذكر . وننظر فإذا الناس يتحامون ابراهيم أن يلقوه ، وقد انحرف عنه محمد بن عبد الملك ، حتى الحارث بن بشتخير الزويم المغنى ، وكان صديقاً مصافياً لإبراهيم يهجره فيمن هجره من الإخوان . فيكتب إليه إبراهيم :

تغير فيمن تغير حارث ... وكم من أخ قد غيرته الحوادث
أحارث إن شوركت فيك فطالما ... غنينا وما بينى وبينك ثالث

ويحس إبراهيم أن ابن الزيات رُدَّ عنه ، فيبسط لسانه فيه ويهجوه كثيراً ، ويقول له :

أبا جعفر خفِّض بعد رفعة ... وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
فإن كنت قد أوتيت عزا ورفعة ... فإن رجائى فى غد كرجائكا

ثم يبلغه أنه مات فيقول :

لما أتانى خبر الزيات ... وأنه قد صار فى الأموات
أيقنت أن موته حياتى

ويعاديه أحمد بن دؤاد فيهجوه ابن الزيات كثيراً ويجمع أحمد الشعراء ويحرضهم على هجاء ابن الزيات ، ثم يقول فيه وقد بلغه أن أحد الشعراء هجاه بقصيدة عدتها سبعون بيتاً

أحسن من سبعين بيتاً هجا ... جمعك معناهن فى بيت
ما أحوج الملك إلى مطرة ... تغسل عنه وضر الزيت

يعير ابن الزيات بتجارة الزيت ، فلما بلغ البيتان ابن الزيات كتب إلى القاضى أحمد يعيره ببيع القار وكان أبوه يبيعه

ياذا الذى يطمع فى هجونا ... عرضت بى نفسك للموت
الزيت لا يزرى بأحسابنا ... أحسابنا معروفة البيت
قيرتم الملك فلم ننقه ... حتى غسلنا القار بالزيت

وينشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدة يقول فى مطلعها « لهان علينا أن نقول وتفعلا » فيثيبه عليها ثم يوقع له

رأيتك سهل البيع سمحا وإنما ... يغالى إذا ما ضن بالشىء بائعه
فأما الذى هانت بضائع بيعه ... فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إن أجممته طاب ورده ... ويفسد منه أن تباح شرائعه

فيجيبه أبو تمام منكرا عليه هذا التوقيع

أبا جعفر إن كنت أصبحتُ شاعراً ... أسامح فى بيعى له من أبايعه
فقد كنت قبلى شاعراً تاجراً به ... تساهل من عادت عليك منافعه
فصرت وزيراً والوزارة مكرع ... يغص به بعد اللذاذة كارعه
وكم من وزير قد رأينا مسلطا ... فعاد وقد سدت عليه مطالعه
ولله قوس لا تطيش سهامها ... ولله سيف لا تفل مقاطعه

وقد حمل أبا تمام بقسوة ملاحظته أن يرد عليه رداً ثقيلا فيه هجاء وفيه تذكير بما قد يؤول اليه أمره مما يتمناه له حساده وأعداؤه وقد صار أبو تمام بهذا أحدهم .

« للحديث بقية » **عبد اللطيف ثابت**

الشيخ عبد العزيز البشري

لمناسبة انطواء عامين على وفاته *

للأستاذ منصور جاب الله

طويت صفحة المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى فى غمار الأحداث فلم تفه الأقلام حقه بحسبانه من أدباء العربية المعاصرين الذين خدموا لغة الضاد وتميزوا بجزالة الأسلوب ورصانة العبارة ووثاقة المعنى .

والحق أن المرحوم البشرى كان من حواريى تلك المدرسة الأدبية المحافظة التى نشأت فى أعقاب الثورة العرابية ، ولقد شرح بنفسه مدى تأثره بأسلوب المويلحيين فى الجزء الأول من كتاب «المختار» . ولو قد رجعنا إلى أساليب الكتاب قبل هاتيك الثورة لهالنا مقدار تهافتها وركاكتها وبعدها عن أوضاع اللغة الصحيحة ونحوها وصرفها ، ومن ثم كان لنا أن نزعم أن الثورة العرابية خدمت — عن طريق غير مباشر — اللغة العربية بما أذكت من الكتاب والخطباء .

ولقد نشأ الشيخ البشرى فى بيت علم ونعمة وحفاظ ، فكان أبوه شيخاً للأزهر حقبة ليست بالقصيرة وكان من الأساتذة المتبحرين فى الفقه على المذهب المالكى ، فلم يشأ أن يخالف عن تقاليد أسرته فانخرط فى سلك طلاب الجامع العتيق ، بيد أن النهضة الحديثة كانت أضواؤها تأتلق فى جنبات الأزهر بين طائفة قليلة من الطلاب وطائفة أقل من الأشياخ . وكان أن أصدر المرحوم ابراهيم بك المويلحى صحيفته الأسبوعية «مصباح الشرق» وفيها نقد للشخصيات المصرية فى القرن التاسع عشر وفيها « حديث عيسى بن هشام » لمحمد بك المويلحى بأسلوبه النبكى الجزل ، وهكذا فتن « البشرى الصغير » بالأدب والأدباء وعزف عن حلقات الدرس فى الأزهر ودأب على مراسلة الصحف الأدبية القائمة حينذاك ، وما كاد يظفر باجازة العالمية حتى طلبته وزارة المعارف ليكون محرراً فنياً بها .

(*) توفى رحمه الله فى صباح الخميس ٢٥ مارس عام ١٩٤٣

حدثنا رحمه الله فيما حدثنا أنه كان مغرما بالفن من صباه ، وأنه وقد أدرك من المطربين عبده الحمولى ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى وعبد الحى حلمى وغيرهم ، كان لايفوته مجلس من مجالسهم المونقة ، وإذ كان صغيراً والناس ما يبرحون على الحفاظ والإحتشام ، كان ماينفذ من الخدم والأحراس إلا بالرشوة فى أيديهم أو بالزوغان من أعينهم ، وكان يمضى الليل ساهراً جله ما تغمض عيناه غير سويعات قلائل مع مطلع الفجر .

وكان الشيخ البشرى يوافى الصحف بمقالاته التى تشيع فى جوانبها الجزالة والترف اللفظى ، غير أنه كان يطالع كل مقالة على ملأ من إخوانه قبل نشرها ، وأخبرنا رحمه الله أنه كان ينهج فى رسائل « فى المرآة » نهج المويلحى الكبير فى تحليله الشخصيات دون خدش للأعراض أو إسفاف فى الأداء . وذكر أن أحداً من الزعماء إذا عرف أن نوبته قد أقبلت فى « مرآة السياسة الأسبوعية » طوى ليله ساهراً لايغمض له جفن حتى يطالع ما كتبه عنه البشرى !

***

لقيته — رحمه الله — أول مالقيت صيف عام ١٩٢٨ ، وكان يصطاف فى ضاحية « شوتس » الجميلة فى رمل الاسكندرية ، فتعارفنا من يومها وتوثقت بيننا الصداقة فكان لايهبط الاسكندرية حتى يعلمنى بتقدمه فلا نكاد نفترق طوال مقامه بالثغر البسيم . ولما أراد أن يسوّى من مقالاته المبثوثة فى الصحف كتاباً ، عهد إلىّ فأذكيت جماعة من الناسخين فى مكتبة بلدية الاسكندرية ونقلت بيدى طائفة منها مما كنت أحتفظ به من صحف ومجلات . وقد أحجم عليه رحمة الله طويلا عن جمع مقالاته فى كتاب ثم أجاب طلبة أصدقائه على تكره واستثقال ، وأشار إلى ذلك فى مقدمة الجزء الأول من كتاب المختار فقال : « وكثيراً ما استحثنى صُدقائى على أن أُسوّى من تلك الرسائل مجموعات أطبعها وأنشرها للناس ، فإذا اعتلوا على عذرى بأن هذا الذى أصنع مما لا أراه يرتقى إلى هذا المكان ، رحت أجاريهم بظاهر من القول ، وفى التعليق على مشيئة الله تعالى من الكذب منتدح »

وكان أسلوب البشرى وسطاً بين الترسل والسجع ، وكانت فواصله بعيدة المدى ، وتتقاصر حينما يمزح أو يداعب ، ونستميح

القارىء فى أن نعرض عليه مثلا من الازدواجات « البشرية » الرائعة . قال رحمه الله على لسان مغرم صب « إننى مارأيت دُرّةً قط إلاّ حسبت أنها انتزعت من ثغرها ، ولا أبصرت مرآة قط إلا ظننت أنها استعيرت من صدرها ، ولا طالعت وردة ناضرة إلا خلتُ أنها قطفت من خدّها ، ولا تمثّل لى غصن من البان إلا أحضرنى صورة قدها ، ولا سطع لى عبير إلا شعرت أنه من شذاها ، ولا فصحنى نور إلا قدّرت أنه من إشراق محياها ، ولا سمعت شدْو القُمرى إلا سمعتها تتكلم وتلغو ، ولا طاف بى النسيم إلا تمثلتها تلعب وتلهو ، ولا طلعت الشمس إلا رأيتها فيها ، ولا استتم البدر إلا خلتها تعلو على الدنيا كبراً وتيها . وإنى لأرفع بصرى إلى السماء فأرى لهاهودجاً فى موكب السحاب ، وأخرج إلى الفلاة فإذا هى يترقرق بها السراب ، فهى سعدى وهى نحسى ، وهى نعيمى وهى بؤسى ، وهى لذتى وألمى ، وهى صحتى وسقمى ، وهى نعمتى وبلائى ، وهى حياتى وفنائى » (١)

وقال البشرى الشعر فى صباه ، وكان يرسله فى جريدة « الظاهر » هجواً فى المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد تشيّعاً منه للمرحومين مصطفى كامل ومحمد المويلحى ، ثم أجبل زمانا ، فلما توفى صديقه المرحوم الدكتور حمى المنشاوى فى ريق الشباب ومشرق الفتوة جرى لسانه بالشعر مرة أخرى ونشرت له « الرسالة » قصيدة باكية فى ربيع عام ١٩٣٤ ، وكانت آخر قصيدة له فيما أعلم ؛ فلم يقل بعدها شعراً .

والشيخ البشرى . كما عرفه أصحابه ، حسن العشرة ، بارع الحديث ، سريع الخاطر ، يجيد الفكاهة ، ويستضحك بنوادره الباكى الحزين . ومن ثم اتخذه كثير من عظماء المصريين صاحباً وخدينا ، وقبلوا وساطاته وشفاعاته فى الناس ، ولكنه كان إلى ذلك عصبى المزاج يثور لأقل بادرة ، وفى سبيل ذلك يهدر الصداقة القديمة ، ومن أجل هذا المغمز كان كثير من أصدقائه يتقونه ويتحاشونه ، ويخافون سقطات لسانه .

زرته فى مطالع عام ١٩٣٤ ، وكان يسكن بضاحية الزيتون ، فأخذ بيدى وأدخلنى قاعة الاستقبال وأشار بيده إلى صور معلقة إلى الجدار قائلا « هؤلاء الثلاثة هم الذين أجلّهم وأحترمهم من بين المصريين جميعاً » وتفرست فى الصور فاذا هى لعظماء ثلاثة : المرحوم أحمد شوقى بك ، والدكتور على ابراهيم باشا ، والدكتور عبد الحميد بدوى باشا . وقد رجعت الآن إلى كتابه « المختار » فألفيته يهديه إلى صديقه المرحوم محمد راغب عطية بك الوزير السابق بهذه العبارة « أهدى عصارة ذهنى مدة الحياة ، إلى من أهدت مودته إلى أحلى ذكريات الحياة » .

***

كان الشيخ عبدالعزيز البشرى أديبا ملء إهابه ، ولو قد قصر عمله على الأدب والكتابة لجاء فيهما بالعجب العجاب ، ولكن أريد له أن يكون موظفا ، وأريد له أن يكون رئيساً إداريا ، وليس ينتقص من قدر الأديب الصحيح سوى الوظائف التى لاتوائم طبائعه ، ولا تتفق مع سليقته ، ومن ثم بدأ عجز أديبنا العظيم واضحاً حين جىء به وكيلا لإدارة المطبوعات ، ثم مراقباً إداريا لمجمع اللغة العربية ، وقد توفى وهو يشغل المنصب الأخير ، وكان لابد مما ليس منه بد ، وترك رحمه الله الحبل للغارب لبعض صغار الموظفين ، فأحفظ ذلك سائرهم ، وكان فيهم أدباء معروفون، وكان فيهم أصدقاء قدماء له . فقام ذلك دليلا على أن الأديب الممتاز ينبغى ألا يشغل عن الأدب بما هو دون الأدب .

***

وبعد ، فلقد غدا عبد العزيز البشرى فى المنسيين ، لا بل لقد أصبح وأمسى فى المذكورين . وبين أيدينا الساعة كتاب « المرآة » وهو أول كتاب من نوعه فى الأدب العربى ، يجد فيه ويمزح ، ثم لايقول إلا حقا ، وبين أيدينا جزءان من كتاب « المختار » وقد جمع فيه أروع وأجمل ماأرسله فى الصحف الدائرة ، ثم هو قد ألف كتاب « التربية الوطنية » لتلاميذ المدارس وشارك فى وضع « المجمل فى الأدب العربى » لطلبة المدارس الثانوية . ومثل هذه الآثار مجتمعة ومتفرقة لاينسى صاحبها ، ولسوف تمضى سنون وسنون وهذا البلد وبلدان العروبة قفر من بيان البشرى الساحر وملحه الطريفة ، وشخصيته الفذة . تداركه الله برحمته ، وجزاه عن لغة الضاد أحسن الجزاء .

(الرمل) منصور جاب الله

(١) المختار ج ١ ص ١٥٩ و ١٦٠



المنســوجات

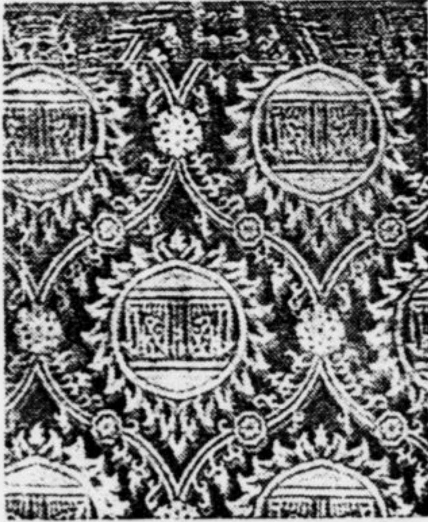
في الخلافة الاسلامية

للدكتور ر . ب . سارجنت

لقد طغت صناعات الغرب على جميع أنحاء العالم فى أثناء القرون الثلاثة الماضية ، حتى أوشكنا أن ننسى أن صناعات الشرق ، ولا سيما الشرق الإسلامى وبيزنطة ، كانت تتهافت عليها البلاد الأوربية تهافتاً عظيما . ويحدثنا رحالة البلاد الغربية فى القرن السادس الهجرى أن الإسكندرية كانت تموج بحركة الملاحة وسفن النقل البحرى من جميع ممالك أوربا حتى أقصى حدودها الشمالية فى البلطيق وإسكندناوة ؛ بله العديد من التجار الذين كانوا من جهات أبعد فى الشرق كالهنود وغيرهم . وليس ثمة شك فى أن تلك السفن حملت معها « الإسكندرانى » الثمين وهو نسيج من التيل المطرز بالحرير . وأغنية رولان ، التى كتبت فى القرن الحادى عشر ، والتى كانت تصف حوادث عصر سابق بمدة طويلة لتاريخ كتابتها ، تذكر جثة مكفنة بقطعة من نسيج الإسكندرانى. وكما انتقلت تجارة المنسوجات إلى الغرب عن الطريق البحرى ، كذلك انتقلت إليه عن الطريق البرى على الساحل الشمالى الافريقى ، كما أنها انتقلت إلى أوربا الشرقية كما يستدل على ذلك من العملة الإسلامية التى ترجع إلى ذلك التاريخ والتى عثر عليها فى الطريق الرئيسية لأوربا الشرقية والسهول الشاسعة لبلاد الروسيا ، مما وصل إلى بعض البلاد التى فى أقصى الحدود الشمالية لبلاد الروسيا . ويحدثنا ابن فضلان أن الروس كانوا يتجرون مع البلاد الإسلامية فى فراء القندر والسمور والسنجاب ، إذ كانوا يجلبونها من الشمال بطريق الماء على نهر الفولجا ، ويأخذون بدلها المنتجات المصنوعة فى العالم الإسلامى المتمدين .

وكانت فرنسا ، وإيطاليا ، والدويلات الألمانية ، وأسبانيا ، وغيرها من بلاد أوربا تستورد المنسوجات من الشرق الأوسط لاستعمالها فى القصور الملكية والأغراض الدينية فى المعاهد الكنسية الغنية ، حيث معظم النماذج المعروفة لتلك المنسوجات لا تزال باقية حتى اليوم ، ولا سيما ما هو باق منها فى الأقطار البلطيقية . وعلى مقتضى ما نقرؤه فى دفاتر الحسابات الملكية الإنكليزية التى ترجع إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، كان ملك انكلترة قد اشترى منسوجات إسلامية ليضعها فى كنيسة وستمنستر . ولقد اطلعت فى سجلات النفقات البيتية لملوك اسكتلاندة فى سنة ١٣٣١ ميلادية ، على أصناف تشتمل على قطع من الحرير الرقيق من أنطاكية وطرسوس وطرابلس الشام .

وفى عهد الخلفاء العباسين — بل فى عهد الخلفاء الأمويين كذلك — كان بلاط الخليفة يستورد منسوجاته الثمينة من مجموعة عظيمة من المصانع التى تملكها الدولة لصناعة تلك المواد الثمينة وكانت تعرف تلك المصانع باسم مصانع الطراز . ويقول رحالة العرب إنه كانت توجد مصانع للطراز فى كثير من بلاد فارس ، ومصر ، وأفريقية الشمالية ، وأسبانيا ، كما يذكرون أنه كانت هناك مصانع للطراز فى صقلية ، وسوريا ، والعراق ، واليمن . ومن المرجح أن المنسوجات كانت تحمل من هذه المصانع إلى قصور دمشق ثم بعد ذلك إلى قصور بغداد ، حيث كان يلبسها رجال البلاط أو ينعم بها هدايا قيمة وتكريما للمنعم عليه بتلك الخلع ، من رجال الدولة ، حتى الشعراء والمغنيين كما تحدثنا بذلك القصص الطريفة التى تملأ كتاب الأغانى . على أنه ليس


(شكل ١) زخرف من اللوتس وبه كتابة كوفية

شك فى أن هذه المصانع لم تكن من اختراع العرب الذين غادروا الصحراء وورثوا نظم الحكم وطرائق العيش عن البيزنطيين والفرس . ويشير الجهشيارى إلى أن ديوان الخراج كان يستعمل اللغة اليونانية فى الغرب واللغة الفارسية فى الشرق ، حتى حدث التعديل بنقل لغة الديوان إلى العربية . وهو يذكر ثبتا بالمنتجات الخاصة بكل إقليم ، والتى حملت إلى بغداد بصفتها جزءا من الخراج وكثير منها كان من المنسوجات . فمن المرجح إذن أن ديوان الخراج كان على اتصال وثيق بادارة مصانع الطراز . ويختلف المؤرخون فى أصل نشأة الطراز ، أكانت فى مصر أم فى العراق ؛ ولكن المرجح أن الطراز كان فى كل من القطرين منذ زمن لا تعيه الذاكرة ، بقية من نظام الضريبة النوعية التى كانت تدفع



(شكل ٢) نسيج مصرى مشجر يرجع إلى حوالى سنة ١٣٠٠

ولقد كان الطراز من الأهمية فى عصر العباسيين بحيث عين له رئيس خاص بادارته ، ولم يقنع هارون الرشيد بشخص أقل من جعفر البرمكى ؛ نفسه لادارة ديوان البريد ، ودار ضرب النقود ، ودار الطراز — وهى وظائف لا بد أنها كانت تدر الخير . وبانحلال الخلافة العباسية انحلالا تدريجيا شرعت الإمارات الصغيرة تستولى على دور الطراز السلطانية أو تنشىء دوراً جديدة ، وعلى الخصوص فى الأندلس وأفريقية الشمالية . ولإمام اليمن مصنع ملكى للطراز فى صنعاء من المرجح أنه منحدر انحداراً مباشراً عن مصنع الطراز الذى كان للخلفاء .

وفى تاريخ غير معروف أنشىء مصنع ملكى للطراز على الضفة الشمالية لنهر دجلة بالقرب من الرصافة ، ولا بد أنه كان يضم مساحة كبيرة من الأرض . وكانت بغداد كما هو المنتظر من دخلها الضخم وبلاطها المترف وسكانها الذين يقدرهم بعض من يحتج بهم بمليونين من الأنفس — أعظم مركز لصناعة المنسوجات فى العالم الإسلامى . وكانت حلل ولاية العرش تصنع فى دار الطراز حتى فى العصور الأخيرة للخلفاء العباسيين المغلوبين على أمرهم والذين كادوا لا يملكون من سلطان الحكم أكثر من اعتمادهم لأولئك الذين كانوا يغتصبون السلطة فى أيديهم . فقد كانوا مثلا يرسلون بمجموعة من الحلل الملكية لأمير مثل محمود الغزنوى ، محتوية على منسوجات بغداد الخاصة . وقد عثر علماء الآثار القديمة على نماذج موشاة بالكتابة من صنع دار الطراز ببغداد فى أجزاء أخرى من الإمبراطورية الإسلامية .

وكان من الطبيعى أن أنواعا شتى من المنسوجات كانت تصنع أو تباع فى العاصمة الإسلامية . فاليعقوبى يحدثنا عن تجار المنسوجات الخراسانية بالقرب من ناحية الكرخ وكانت بعض أجزاء مدينة بغداد تسمى بأسماء النسيج الذى تصنعه أو تبيعه . فالنسيج الذى من صنف التستر كان يشترى من حى التسترية . وتستر مدينة من مدن خوزستان على رأس خليج العجم . ومن الشائق أن نذكر أنه كان فى تلك الولاية كثير من مصانع الطراز ترجع نشأتها إلى عهد الدولة الساسانية التى كان ملوكها قد نقلوا الصناع من حدود رومية ليؤسسوا صناعاتهم فى جنوبى بلاد العجم وفى العراق . وربما كانت الثياب الديبقية تصنع فى حى الديبقية على نهر عيسى ، وهو طبعا نسيج أصله مصرى ، كما أنه قد يكون أكثر الأنسجة تردداً على الألسنة وأعلاها قدراً فى ذلك العصر . ويصف لنا الغرناطى نسيج العتابى بأنه مقلم كجلد حمار الوحش ، وهو حيوان يقول عنه إنه من فصيلة الحمير ، وقد رآه فى القاهرة وعند ما مات ذلك الحيوان حفظ جلده وحشى قطنا لعرضه فى أيام المواسم .

ولقد رأت الحكومة فى تلك الصناعة الرائجة ، صناعة الأنسجة ، مصدرا لجلب الضرائب ، فحاولت فى القرن الرابع الهجرى أن تفرض ضريبة على جميع المنسوجات المصنوعة من الإبريسم أو القطن فى المدينة ، مقدرة أن تجلب تلك الضريبة ألف ألف درهم للخزانة العامة . ولكن الضريبة كانت مكروهة : وسببت اضطرابات عنيفة ، فقررت الحكومة فيما بعد ترضية الشعب بفرض ضريبة على المصنوعات الحريرية فقط . وأنشىء مكتب بجوار بركة زلزل ، وكانت جميع البضائع التى تدفع عليها ضريبة تختم هناك بخاتم الحكومة ، وهو نظام يثير العجب لانطباقه على الأساليب الحديثة الآن .

(البقية فى العدد القادم)

عن مجلة الأدب والفن الإنكليزية

في البيت...

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

أيا غرفةً مرموقةً لِصْقَ غرفتي
مطفَّأة الأنوار رَهْناً بظلمةِ
أرى بابَك المطروقَ أمسى موصَّداً
ومخدعُ زوجي أنتِ ، بل أنت جنّتي
فأدعو بزوجي وهي جِدُّ سميعةٍ
لأمري ، ولكن الصدى رَجْعُ دعوتي
لقد كنتِ يازوجي لدى الصبح موقظي
وكنتِ حسيبي في خروجي وأوبتي
فما ليَ لا ألقاكِ يومي وليلتي
وبابُك من بابي على قيد خطوة
أرى من خلال السجف نوراً مُشَعْشَعاً
من الشمس ، لكن لا أرى شمس مهجتي
وأسمع للأطيار تزقو كما زَقَتْ
وللوُرْق تزجي سجعةً بعد سجعة
فأين فتاتُ الخبز تُلقينه لها
فينقُرْن منها حبَّةً إثر حبّة
عرفن أوانَ الأكل فهي كعهدها
تراءى صفوفاً فوق سورٍ وأيكة
تألّفتِها يا إلفَ قلبي وأنسه
فما ليَ في هذا الحِمى نَهْبَ وحشة!
ألا تسأليني كيف أصبحتُ ؟ في الضحى
وترجين لي طيبَ الكرى في العشية
عهدتُك لا ألقاكِ حتى تزيّني
ألم تفرغي لي من حُلِيٍّ وزينة
شريكةَ عيشي ، أسفر الصبحُ فاطلبي
أعِدّي فطوري وانتقي ليَ حُلّتي
مكانك خالٍ في الخوان فأقبلي
فيهنأنا طعامي من حديث وطلعة
وإني لغادٍ للخروج كعادتي
فأين وَداعي بالوصيد وقُبلتي
أغضْبَى بلا ذنب وفي غير مَغضبٍ
وأنت الرضى والصفح عن كل زلة
وكنتُ أعزَّ الناس عندك برهةً
أهُنْتُ عليك اليومَ من بعد عزة ؟
معاذ الهوى ! ما إن صمدتِ لجفوةٍ
ولكنه حكمُ القضاء المشتّت
نأى بك عني للمنية غائلٌ
ولولا المنايا ما سكنتِ لفرقتي
فأعدمني بيتي وعيشي وجنتي
وكانت هنا في غرفة لِصق غرفتي
أمرُّ فأزوي الطرفَ عنها تألماً
وكان إليها ما مررت تلفُّتي
ويفجؤني أن يفتحَ الباب فاتحٌ
كأنْ كشف اللحّادُ عن جوف حفرة
أطامن صوتي — إن همست — محاذراً
وأحبس أنفاسي وأخلس مشيتي
وما بي حذارٌ أن أنبّه هاجعاً
ويا ليت يصحو الميْتُ من بعد هجعة
ولكن مزيجٌ تارةً من تهيب
وخوف ، وطوراً من خشوع وحرمة
ووالله لا أدري أتفكير عاقلٍ
أفكر ؟ أم هذي تماديرُ جِنّة

الخطيئة الأولى

للشاعر إدوار حنا سعد

فتحتْ بابها وقالت تقدمْ ... سكتَ الليلُ والغرام تكلمْ
ما لكفيك ترجفان وكفى ... فيهما مستكينة تستسلم
ذاك ميعادنا وهذا هوانا ... فلماذا تهمُّ حيناً وتُحجم
ليلة كالخلود بعد اشتياق ... تتدنَّى بها الليالى وتُنعم

هتف المخدع الأنيق الوردى : ... ألغرام العنيف واللهو عندى
والتهاويل والستائر قالت ... إن تقواك ها هنا ليس تُجدى
فدخلنا إليه كفاً بكف ... من فتون الهوى ... وخداً لخد
وسبانى إغراؤها وهى تخفى ... نار أشواقها دلالاً وتُبدى

أسكرتنى العطور والأنوارُ ... فاترات وأحرقتنى النار
فاذا الغرفةُ الصغيرة تغدو ... عالَماً لا تحدُّه الأبصار
وغيوماً مُورَّدات الحواشى ... وسماء تحفها الأسرار
ورياضاً إعصارهن نسيم ... وبحاراً نسيمها إعصار

لم يعد للوجود سرٌّ يباح ... كلُّ ما فيه غامضٌ أشباحُ
ويدٌ عانقت وأخرى تراختْ ... وأسًى يبتدى ونعمى تتاح
أجريح شفته كأس التدانى ... أم برىء قد أثخنته الجراح ؟
لا جديدٌ ولا قديمٌ ولكنْ ... حلم وانتباهة وصباح

ضحك الفجر ساخراً وبكانى ... حين غادرت معبد الشيطان
هارباً كالذئاب تحت ظلال ... من أسًى فائر ومن أشجان
حاقداً تملأ السموم كيانى ... وخجولاً من كل وجه يرانى
آه يا رب بعد طول تسام ... لحقت بى حقارة الإنسان

أترانى أخطأت أم ذاك ضعف ... كامن فى دمائنا لا يكفُّ ؟
سنه آدمٌ وأورثنيه ... أم جديدٌ على شبابى يرف ؟
والخطايا كريهةٌ غير أنى ... قد وجدت الأجساد ليست تعف
تهت فى حيرتى فوجهت عينى ... للرحيم الذى يقيل ويعفو

أنت أنقذت من شراك الغوانى ... يوسفاً بالهدى وبالبرهان
فلماذا تركتنى يا إلٰهى ... فى معاذير جوُّها الفتان
كلما قلت قربتنى صلاتى ... زعم القلب أنه غير دان
لا على الشك يستريح فؤادى ... يا إلٰهى ولا على الإيمان

أنا يا رب تائه وغريقُ ... بعُد الشط والتوت بى الطريق
فاتحاً قلبىَ الشجى لنجوا ... ك فأين السنا وأين الرحيق ؟
ابعث النور فى حياتى وهدهد ... نزواتى لعلنى أستفيق
وابعث النار فى هشيم شكوكى ... علَّ شكى تقضى عليه الحريق

جيفة*

لشارل بودلير

بقلم الأستاذ عثمان على عسل

أتذكرين يا حبيبتى ما رأيناه صباح هذا اليوم المشرق من أيام الصيف الجميلة ؟ أتذكرين هذه الجثة البشعة وهى راقدة على فراش قد تناثر عليه الحصى . وقد رفعت ساقيها فى الهواء كفاجرة تلهبها الشهوات ، ينضح منها العرق سماً . وكشفت عن بطنها المفعم بروائح منتنة بفتور واستهتار . كانت الشمس تسلط أشعتها على هذه الجيفة كأنما تريد أن تصليها وتسويها فترد إلى الطبيعة ما وسقته ، مبعثراً فى ذرات لا تحصى . وكانت السماء تنظر إلى هذه الجثة الرائعة كأنها زهرة تتفتح ، وكانت رائحة العفن الشديدة حتى كدت تسقطين على الأعشاب مغشياً عليك . وكان الذباب يطن حول هذه الأحشاء المجفرة التى تنبعث منها حشرات صافات سود تنحدر كأنها سائل ثقيل على هذه الأسمال الحية ، وهى تعلو وتهبط كالأمواج ، وتندفع فى صخب ، فيخيل إلى المرء أن الجسد وهو ينتفخ بأنفاس خفية يستمر فى الحياة بتكاثر أجزائه . كان هذا الحشد يردد أنغاماً غريبة ، كأنه ماء جار ، أو ريح عاصفة ، أو وسوسة حبوب تُذَرَّى بمنسفة فى الهواء بحركات متسقة . غابت معالم هذا الجسد عن الأنظار ، فلم تعد تبدو للعين إلا كحلم أو رسم أولى لصورة سيرسمها الفنان من ذاكرته بعد حين على لوحته المهجورة . وكان ثمة كلب قلق قابعاً وراء الصخور ، ينظر إلينا شزراً ، مترقباً لحظة ذهابنا ليعود فيلتهم العظمة التى تركها من هذا الحطام . على أنك واحسرتاه ! ستصيرين يوماً كهذه القمامة المدنسة ، كهذا النتن المخيف ، انت يا نور عينى ، يا شمس حياتى ، انت يا ملاكى ، يا هيامى . بلى ! إلى مثل هذا المصير سينتهى بك المطاف ، يا ملكة الجمال ، بعد أن تتلى على روحك الصلوات الأخيرة ، فترقدين تحت الأعشاب والأزهار ، ويبلى جمالك بين الرمم . وحينئذ خبرى يا حبيبتى الفاتنة ، خبرى الدود الذى سيلتهمك بقبلاته ، إننى سأحتفظ بصورة غرامى الزائل وروحه المقدسة .

(*) فى الفصل الذى كتبه الدكتور محمد بهجت تحت عنوان « يرى الفنان كل ما فى الطبيعة جميلا » من سلسلة مقالات القيمة التى ينشرها عن الفن لبول جيزيل إشارة إلى هذه القصيدة التى ننشرها كاملة ليتأملها القارئ



الأستاذ ساطع الحصري بك

ورد القاهرة في الأسبوع الماضي على الرحب والسعة المربي الكبير الأستاذ ساطع الحصري بك ، زعيم النهضة العلمية في العراق ، والمستشار الفني لوزارة المعارف في سورية ، وأحد أقطاب الفكر في الشرق ، ومؤلف الكتاب القيم « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ؛ ورد القاهرة يستجم قليلا بعد أن قضى سنة في العمل المتصل ، متنقلاً من مدن الشام إلى قراه ، يزور المدارس ، ويدرس المناهج ، ويبحث النظم ، حتى استطاع أن يضع للتعليم في سورية دستوراً على أحدث الطرق التربوية الحديثة يلائم نهضتها ووطنيتها وعقيدتها ووحدتها ، ثم أخذ يدعو إليه ويدافع عنه حتى نُفِّذ . وقد نزل الأستاذ في فندق شبرد ، فأقبل عليه المشوقون إليه والمعجبون به يرحبون بمقدمه وينعمون بلقائه .

معرض سيدات القاهرة

المعرض الذي أقيم في نادي سيدات القاهرة خلال هذا الشهر[1] ، لا يقل في مستواه عن أي معرض شاهدناه . والرسوم المعروضة كلها من رسم سيدات وآنسات ، والبعض منهن لسن مصريات ، ولكنهن عشن في مصر واستوحين تربتها السمراء وسماءها الصافية ومشاهدها المختلفة .

وأحسن صور هذا المعرض من عمل الآنسات مرجريت زبك وجان كوهين ومنيرفا فرح وكلو بادارو ، ولكل طابعها وشخصيتها المميزة .

فرسوم الآنسة زبك متممة بالعاطفة الشابة ، وفي صورها شيء من الشاعرية ، وهي ترسم وكأنها تصلي أو تغني وتبذل كل حرارة قلبها في الصلاة أو الغناء .

وللآنسة جان كوهين صورة شخصية لرجل Portrait (دكتورهيكمان) ، والآنسة جان رسامة بارعة ناضجة ، قد وفقت فيما رسمت توفيقاً كبيراً ، فأعطتنا خلاصة شخصية الرجل الذي رسمته ، ويبدو أنه رجل ممتاز ، فالصورة تنطق بالعمق والعزم ويقظة الحيوية النفسية .

أما لوحات الآنسة منيرفا فرح — وهذه أول مرة أسعد فيها برؤية صورها — فهي خير برهان على أن الآنسة الفنانة تجد جديداً يهز مشاعرها في الأشياء التي تصادفنا كل يوم ولا نحفل بها . وهي حين تعرض علينا صورها تشركنا في عواطفها المتجددة ، وتفتح عيوننا على ألوان من الجمال كثيراً ما نغفل عنها . وتلك هي رسالة الفن .

والآنسة عطيات فرج توفق أحياناً فتبلغ مستوى زميلتها وصديقتها « جان » وتقصر أحياناً ، وهي غالباً ما تحمل لوحاتها أكثر مما تطيق هذه اللوحات احتماله من الأشكال والألوان ، فتضيع « الوحدة الفنية » ويتوزع اهتمام الناظر المتأمل . ويبدو أنها تبذل في عملها مجهوداً كبيراً ، ولكن كل هذا الإجهاد لا يصل بها دائماً إلى غايتها ، ولألوانها طابع قاتم ، وليس لنا اعتراض عليه ما دام وحي شخصيتها وإحساساتها ، ولا شك أنها في طريقها إلى النجاح الكامل .

وقد وفقت الآنسة أنايت شمليان في منظر من مناظر الطبيعة الصامتة ، ولكنها لم تبلغ المستوى نفسه في لوحتيها « العارية » و « زهور » .

وهناك فنانات ما زلن في منتصف الطريق : ففي صور « ماريان بيرسن » ، نجد أن الإحساس أقوى من الأداء ، ومع ذلك فهو إحساس لم يتركز بعد ، كما أن الألوان غير ناضجة ، وفي صورة « عم رضوان » للآنسة قدرية علوبة نجد المظهر الخارجي للشيخ المسن ، ولكنها لم تنجح في نقل صورته النفسية .

ونعتقد أن المستقبل والاجتهاد ، كفيل بأن يصل ببعض هؤلاء الفنانات إلى مستوى أرقى ، واللواتي أعنيهن بهذه الجملة الأخيرة ، هن الآنسات : قدرية علوبة ، ومفيدة شعبان ، وكوكب يوسف . والمعرض في مجموعه مجهود لا بأس به

نصري عطا الله سوس

(١) معرض الفن الثامن بنادي سيدات القاهرة ميدان مصطفى كامل

نقص إرشاد الأريب

إجابة عن تساؤل الأستاذ احمد احمد آل صالح المذكور في عدد (الرسالة ١٦٠) أقول: إننا لا نستطيع أن نتهم ياقوتا الحموى بإغفال بعض الفحول، غير أن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً، كما ذكر ذلك العرباني مرجليوث في مقدمة الطبعة الأولى. وأمر آخر هو أن أحد الوراقين كان لفق جزءاً وباعه للعرباني مرجليوث على أنه من «إرشاد الأريب»، فطبعه وألحقه بطبعته، وراج ذلك على الدكتور الرفاعي فنشره في طبعته الأخيرة. ونفس ياقوت لا يخفى على الحاذق.

وفي دار الكتب المصرية، مختصر لإرشاد الأريب، لعله يتيسر لنا الاطلاع عليه قريباً، فنستبين منه بعض ما خفى علينا من أصله.

محمد غسان

فلسفة الإسكندرية القديمة

حاضرنا الأستاذ يوسف كرم، المدرس بكلية الآداب، بجامعة فاروق الأول، بقاعة المحاضرات لجمعية الشبان المسيحيين، عن فلسفة الإسكندرية القديمة، وهي الحلقة الأولى من سلسلة محاضرات تقيمها الجمعية عن مدينتنا الخالدة، الإسكندرية، في شتى العصور.

على أن ظاهرةً لفتت نظرى في محاضرة الأستاذ كرم، عن أصل الفلسفة! هل الفلسفة أصيلة في اليونان؟ لقد أكد لنا الأستاذ كرم، كما فعل كل مؤرخ للفلسفة من كتابنا المعاصرين، — ما عدا الدكتور غلاب فيما أذكر — أصالة الفلسفة اليونانية، وقال الدكتور كرم، متابعاً في ذلك أرسطو وأشياعه، إن طاليس الملطى هو أبو الفلسفة بلا منازع! فما قول الأستاذ كرم في أننا ننازع طاليس هذه الأبوة، ونزعم أن الشرق هو أبو الفلسفة.

على أن الأستاذ كرم أمتعنا كل الإمتاع باستعراضه التلخيصي لتاريخ الفلسفة منذ أن وضع لبنتها طاليس — فيما يرى أستاذنا الفاضل — إلى آخر عهد الإفلاطونية الحديثة بالإسكندرية، وإن أبناء الثغر من روّاد الحضارة الجديدة ليتطلعون إلى بعث جديد، يحسّون اليوم إرهاصاً بوشك حدوثه، وإنّ غداً لناظره قريب.

(الأسكندرية) على حسن حموده

حول اسم كتاب

اطلعت على ما كتبه الأستاذ منصور جاب الله فيما يتصل بتخطئة عنوان كتاب «الفاروق عمر»، ثم رد الأستاذ عبد المتعال الصعيدى والأديب احمد ابراهيم الغرباوى عليه، وكان من المصادفة أنى كنت أقرأ ساعتها نص ابن الأنبارى «على أن اللقب إذا كان أشهر من الإسم يُبدأ به قبل الإسم» فوجدت الأستاذ منصوراً محقاً في قوله لأن اسم سيدنا عمر أشهر من لقبه، والعامة عندنا لا يكادون يعرفون لقب ثانى الخلفاء الراشدين، على حين أنهم يحفظون اسمه حفظاً.

وأما ما ذكره الزرقانى من أن ألقاب الخلفاء تقدم على أسمائهم فهذا نادر لا يقاس عليه، وبحسب القارئ أن يسأل نفسه: هل يقول هارون الرشيد أو الرشيد هارون، وهل يقول عبد الله المأمون أو المأمون عبد الله ... ليجد عند نفسه الجواب الصحيح. وقد أشار السيوطى إلى هذه المسألة اللغوية، وقال إنها (تخصيص لإطلاق وجوب تأخير اللقب)

وكان حرياً بسعادة الدكتور هيكل باشا أن يجرى على المشهور من أقوال أئمة اللغة ويدع التخصيص الذى أورده السيوطى وغيره.

ومن هنا لا ترانا نميل إلى قول الأستاذ الصعيدى من أن الأستاذ منصور جاب الله كان متعنتاً في تخطئة اسم كتاب مؤلفنا الكبير، وإنما كان رجلا يسعى وراء الحق، ولو كان متعنتاً حقيقة لما أقدم على تخطئة رجل له من المكانة في وطنه وفي بلدان العروبة ما له.

(الأسكندرية) عبد العزيز جادو



فيلسوف العرب والمعلم الثانى

لمعالي الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

هذا الكتاب من تأليف معالى مصطفى عبد الرازق باشا الرئيس الفخرى للجمعية الفلسفية المصرية . وهو أول كتاب فى سلسلة بحوث الجمعية التى تعمل على « إشاعة التفكير الفلسفى فى أوسع نطاق بنشر طائفة من المؤلفات فى تاريخ الفلسفة ، وما بعد الطبيعة ، والاجتماع ، وعلم النفس ، على أن تعالج حقائق هذه العلوم من أسهل الطرق وأقربها مأخذاً » على حد ماجاء فى التصدير.

وكتاب فيلسوف العرب والمعلم الثانى يحقق هذه الأغراض كل التحقيق ، فقد عرض معالى مصطفى باشا للموضوعات بما هو معروف عنه من التحقيق العلمى ، مع نفاذ الفكر ، وعمق النظر ورقة الأسلوب ، وبراعة الاستهلال ، ولطف الانتقال .

وموضوعات الكتاب أوسع من عنوانه ، فإلى جانب فيلسوف العرب وهو الكندى ، والمعلم الثانى وهو الفارابى ، نجد الشاعر الحكيم المتنبى ، وبطليموس العرب ابن الهيثم ، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

وإذ كان المقصود هو التعريف بشخصية هؤلاء الأعلام ، على الأخص وأن حجم الكتاب لا يتسع للاحاطة بتفصيل مذاهبهم ، فقد اكتفى معالى الوزير بتحقيق حياة بعضهم ، وعرض الجانب الفلسفى عند البعض الآخر ، وهى جوانب كلها طرافة . أنظر إلى ما كتبه عن ابن تيمية ، تجد قطعة من الأدب الرفيع استهلها بقوله « فى أواخر سنة ٧٢٨ هـ . كان فى قلعة دمشق إمام من أئمة المسلمين ، شيخ جاوز السابعة والستين من عمره ، يعانى ألم الإعتقال والسجن ، وحيداً ، ليس معه إلا أخ له يقوم بخدمته . وكان الشيخ يقاسى فوق ألم السجن ألماً آخر ، هو على نفسه أشد وقعاً : فقد منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا له دواة ولا قلماً ولا ورقاً . وكتب عقيب ذلك بفحم يقول : إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النقم » ... أليس هذا عرضاً للفلسفة بأسلوب الأدب .

(***)

وا إسلاماه !

للأستاذ على أحمد باكثير

بقلم الأستاذ لبيب السعيد

بعد أن ردت مصر الصليبيين فى المنصورة المجيدة لم ينالوا من الإسلام خيراً ، خرجت إلى « عين جالوت » ترد التتار هم الآخرين ؛ ووقف سلطان مصر المظفر قطز على رأس جيشه يثخن بيده فى أعدائه الطغاة ، بيد أن هؤلاء مكروا مكراً كاد يرديه لولا أن برز فارس مسلم ملثم رد عليهم مكرهم وتلقى المكروه من دون السلطان ثم هتف وهو يعانى الموت : « صن نفسك يا سلطان المسلمين ، ها قد سبقتك إلى الجنة » .

لم يكن هذا الفارس سوى جلنار : زوجة السلطان وحبيبته. وقد جعل السلطان يقبلها ويقول لها فى ذهول وجزع : « وازوجاه ! واحبيبتاه ! » فنادته وهى تجود بروحها : « لا تقل واحبيبتاه قل : واإسلاماه ! » .

وانطلق السلطان إلى المعمعة يصرخ : « وا إسلاماه ! » . ورجاله معه يرددونها فيلقون فى قلوب الذين كفروا الرعب ، ولا يزالون يجاهدونهم ويغلظون عليهم حتى يجيئهم النصر ويشفى الله صدور المؤمنين .

تلك هى القولة التاريخية التى اتخذها صديقنا الأستاذ على باكثير عنواناً لروايته الجيدة .

***

كانت جلنار وقطز رفيقين فى جملة الرقيق أيام آل أيوب ، ولكن لهما قصة حافلة بالعبر ، فهما سلالة بيت بعيد النسب فى المجد ، فأما هى فابنة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه ، وأما هو فابن عمها . وقد نزلت أفجع الأحداث بآلهما فبادوا جميعاً فى ظروف تموج بالهول ، وسلم هذان من الموت ليباعا فى الأسواق ليذوقا ضروبا من الهوان . وفرق الدهر المشت بينهما أمداً ثم جمعتهما الأقدار أخيراً ليكونا سلطانى المسلمين وليكتبا فى تاريخ الإسلام صفحة جد نضيرة :

***

تجلو الرواية أياما مجيدة لسلف المسلمين . وفصولها جميعا تنطوى على رسالات سامية ، فهنا معرض خلق وبطولة باهرين ، وهناك حديث وطنة وتضحية مثاليتين ، وهنا دعوة قوية إلى

الاستمساك بالحق والحماسة له ، وثم حوافز للمجد وزراية على الضعف والضعفاء . ولكنك على كثرة ما تواجهك هذه المعانى لا تحس أن الكاتب تكلفها ، بل تدرك أنها — مع علو نمطها — ليست الشيء الذى وضعت له الرواية وتلك لا ريب من خصائص القصة الفنية الناجحة .

* * *

ولقد عرض المؤلف أشخاصاً يتعذر على القارىء نسيانهم لوفرة ما لذوا شعوره وناجوا ضميره . فكيف ينسى مثلا «ممدود» أبو قطز وصهر جلال الدين ووليه الحميم ومستشاره الحصين الأمين ؟ وكيف ينسى «سلامة الهندى» الخادم الوفى الذى حمل الطفلين : قطزا وجلنارا — وكان اسماها فى طفولتهما محمودا وجهادا — إلى الهند يوم أغرق نساء بيت «خوارزم شاه» فى اليم تفادياً من ذل الإسار ، والذى قاسى ما قاسى ابتغاء الوفاء ، والذى مات هماً بالغلامين إذ بيعا فى أسواق النخاسة وجزعاً عليهما من تفرق الشمل ؟ وكيف يُنسى «غانم المقدسى» السرى الصالح وزوجته البارة ؟ و «الحاج على الفراش» الخادم الخير الذى لا تمنعه ضآلة منزلته من إسداء الجميل ؟ و «ابن الزعيم» المحسن البار والوطنى المسلم المجاهد ؟

فأما «الشيخ عز الدين بن عبد السلام» العالم الذى لا يشترى بدينه ثمنا قليلا ، والسياسى الخالص العقيدة ، والمجاهد الصادق البأس ، والزعيم الذى يجد الناس فى زعامته أنوارا وآمالا ، فما ألطف وما أجل وما أنفع ما جرى به عنه قلم المؤلف فى روايته . إن القارىء كلما حكى المؤلف عن عز الدين شيئاً لتحويه موجات روحية ، وإن نفسه لتسمو وتسمو .

وفى الرواية صفحات أخرى كثيرة كأنها لعذوبتها فيوض من الشعر كتبها المؤلف بأسلوب مسيطر ينتزع للرواية منزلة طيبة بين الآثار الأدبية الطيبة .

فطفولة «جهاد» الحلوة ومعابثة أبيها إياها وطموح «محمود» وبطولته وغرامه بتدمير التتار وهو بعد فى طفولته يجتاز الحياة على جسور من الأوهام والأحلام ، والحب الأكيد بين الطفلين ، ومناجاة جلال الدين لأبيه حين أخطأ جلال وقسا على بلد إسلامى .. هذه كلها فيها جمال مؤثر ورقة تلفت القلوب ، وفيها دقة وحذق تساوقان علم النفس مساوقة ملحوظة .

والحب الذى كان بين قطز وجلنار ، الحب المعظم الذى كأن السماء كانت ترعاه ، والذى نما به وشقيا ، هو فى كل مراحله من أمتع ما فى الرواية وأكثره استهواء للب وهزاً للعواطف .

حدث المؤلف عن الحبيبين فى فترة من أيامهما قال :

«وحليت الدنيا فى عينيهما فصارت رياضاً وأنهاراً وورودا وأزهاراً وطيوفا من ضياء الشفق البهيج ، وروحات من نسيم الفجر العليل يتقلبان منها فى أيام كلها أصيل وليال كلها سحر .»

ومن مثل هذا النسق العالى كانت كتابة «باكثير» عن ذلك الحب الفائق ، ومن مثله كان وصفه للطبيعة فى بعض جنبات روايته .

* * *

بقى أن نعتب على مؤلفنا الموهوب ما حشد به روايته من أسماء كثيرة لأناس فى العهد الأيوبى لم تكن الرواية — فى رأينا — بحاجة إلى ذكرهم .

ونحن نستميح صديقنا المؤلف فى أن نسأله : ما هذه الحيدة عن الطابع الأدبى الخالص فى بعض أنحاء الرواية حين يسوق أحداث التاريخ غير مدبجة ببراع الأديب فلا هى خفيفة ولا هى محبوبة بل هى مجهدة للقارىء مزعجة إياه . لقد قال مثلا فى أحد المواضع : «فلما كان يوم السبت لست بقين من ذى القعدة سنة ٦٥٧ حصل كيت وكيت» فانظر كيف يثقل هذا على من يقرأ قصة أدبية محضاً . إن اللمحات بله العبارات الأدبة — وخاصة إذا كانت من أديب تمرس بالقصة وتوفر عليها مثل مؤلفنا البارع — كانت كفيلة جداً بأن تشق لنا مسالك التاريخ فى الحدود التى تناسب روايته بوصفها أثراً أدبياً لا كتاباً تاريخياً . إن القصة الفنية كاللوحة — كما هو معلوم — والرسام يرسم الصورة للشيء القديم فيجعلنا بفنه ندرك تاريخ هذا الشيء ، دون أن يضع عليه اسم يوم أو شهر أو سنة . ألا وإن الفطرة الفنية الذواقة على نقيض العقلية العلمية لا تحفل كثيراً بالتواريخ ولا تعنى بالأسماء إلا بقدر . وأظن أن الأستاذ المؤلف إذا عنى بتقديم روايته لمسابقة وزارة المعارف فى الموعد الذى ضرب للمتسابقين أعجل عن بث مواهبه الفنية فى تلك الأجزاء . ولو فعل لكانت روايته يقيناً من أرفع الآثار الفنية لدينا .

* * *

وبعد فلا بدّ أن نقرر أن المؤلف كان فى جل روايته نافذ القوة ، وأنه — فيما خلا المواضع المشحونة بالتاريخ لغير داع فنى — بلغ فيما عرضه أقصى ما يبلغه مؤلف فى نفس قارئه من الانفعال والتأثر القوى .

بيب السعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٣ — الاثنين ٢ مارس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة

والرواية

الفهرس

الرسالة والرواية

الفهرس

إدارة البلديات العامة

مجارى

يطرح مجلس الفيوم البلدى فى المزاد بيع ٧٠٠ متراً مكعباً من السماد الناتج من مزرعة المجارى مقسمة على أجزاء كل منها ٥٠ متراً مكعباً ويمكن للمزايد مشترى جزء أو عدة أجزاء حسب حاجته وقد تحدد يوم ١٤ إبريل سنة ١٩٤٥ للمزايدة بديوان البلديه

٣٣٣٢

محكمه الأزبكيه الجزئيه الأهليه

إعلان بيع عقار فى القضيه رقم ٣٥٧٧ سنه ١٩٤٤

مدنى الأزبكيه

نشره أولى

إنه فى يوم الاثنين ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٥ الساعه ٨ أفرنكي صباحا بسراى محكمه الأزبكية الجزئيه الأهليه الكائن مركزها بشارع جزيرة بدران قسم روض الفرج سيباع بطريق المزاد العلني العقار الآتي بيانه بعد المملوك إلى ١ الست رفقه يوسف المقيمه بشارع نوح باشا رقم ١٢ بالزيتون قسم مصر الجديده ٢ — الست سوسانه يوسف المقيمة بشارع باستور نمرة ٢ بمصر الجديده وضد اليوم كطلب ورثة الست شفيقه يوسف وهم أحمد أفندى وجرجس أفندى حنا أفندى والآنستين أولجا وأجيا عياد حنا المقيمين بشارع الجد رقم ٢٨ بالفجاله قسم باب الشعرية ومحلهم المختار مكتب حضرة الأستاذ شاكر سماك المحامى بشارع جزيرة بدران ن ٦ بشبرا

نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمه بتاريخ ١٢ — ٢ سنة ١٩٤٥ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر فى ١٥ — ٢ سنة ١٩٤٥ وفاء لمبلغ ١٦١ مليم و ٩٠ جنيه بخلاف ما استجد ويستجد من المصاريف ورسوم الشهادات بثمن أساسى قدره ٦٠ جنيه بخلاف المصاريف

بيان العقار

١٧٣ متر مربع تعدل ٩ س ١٠ ط شيوعا فى أربعة وعشرين قيراط فى قطعة الأرض الفضاء رقم ٤٣ على شارع شركات البترول بحوض الشيخ صالح نمره ٦ بزمام الزاوية الحمراء مركز ضواحى مصر مديرية القليوبية تبع شياخة الشرابية قسم شبرا محافظة مصر وجملة مسطحها ٣٠ ر ٢٤ متراً مربعاً وحدودها . بحرى شارع شركات البترول بطول ٢٤ ر ٣٠ متر والشرقى حارة فضول بطول ٨٧ ر ١٩ متر والقبلى جار بطول ١٨ ر ٢٠ متر والغربى جار بطول ٨٤ ر ٦٩ متر

وجميع الأوراق والمستندات الخاصة بالبيع مودعة بملف الدعوى لمن يرغب الاطلاع عليها فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه للمزايده

كاتب البيوع

13 me Année No. 613 — Lundi - 2 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٢ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المذاهب تتقارب

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

من أهم الأنباء التى نقلها إلينا البرق فى الشهر الماضى ذلك النبأ الذى يلخص نظام التوريث والوصية فى البلاد الروسية ، وفحواه أن القوانين الجديدة تبيح لمن يشاء أن يترك ميراثه لمن يشاء ، بعد أن كانت التركات من حق الدولة وحدها إن لم يكن للمتوفى ورثة أو أقارب .

سئلت منذ تقدمت الجيوش الروسية فى الأرض الأوربية : ماذا يكون مصير أوربا أمام الدعوة الشيوعية واحتلال الروس للأقطار التى يحتلونها الآن وقد يحتلونها إلى ما بعد انقضاء الحرب بسنوات ؟ فقلت : إن الروسيا لن تكون شيوعية ماركسية فى ذلك الحين ، لأنها ستقترب من النظم الاشتراكية المعتدلة ، ثم تقترب من النظم الديمقراطية ، وسيكون للديمقراطية حظ السبق إلى التطور السريع فى مسائل الثروة والتأمين الاجتماعى ، فتحل المشكلات التى عجزت الماركسية عن حلها بعد ربع قرن من التجارب والمحاولات ، فإن لم توفق الديمقراطية إلى الحل الحاسم فى جميع هذه المشكلات فهى موفقة لا محالة فى الابتداء الذى يكفل لها حسن الانتهاء أو حسن التقدم والاطراد فى الطريق .

وقد يقتضى الأمر بضع سنوات قبل أن تصطبغ الماركسية بالصبغة الأخيرة التى تقربها من الديمقراطية ، فلا نقول إن الماركسية اليوم قد تغيرت كل التغيّر ولا أنها قد رجعت فى مسألة الطبقات عن القواعد التى قام عليها المذهب منذ أعلنه دعاته فى القرن الماضى ، ولكنا نقول إنها شرعت فى النقلة التى لا رجوع فيها ، وإن المسألة بعد ذلك مسألة الوقت والمناسبات .

والذى تغير حتى الساعة من أصول الدعوة الماركسية غير قليل فأول عوارض التغير هو العدول عن نشر الدعوة فى العالم والاكتفاء بالتجارب الميسورة فى البلاد الروسية وما جاورها ، وقد كان هذا مبعث الاختلاف الشديد بين الزعيمين الكبيرين تروتسكى وستالين .

وجاءت بعد ذلك عوارض أخرى لم تكن تدور للنين ـ فضلاً عن كارل ماركس ـ فى حساب . فاعترفت الحكومة السوفيتية بالكنيسة وبعض النظم الدينية ، ثم اعترفت بالوطنية التى كانت تعتبر فى حرف كارل ماركس وأصحابه بقية من بقايا

رأس المال ، ولجأ الزعماء إلى إثارة النخوة فى صدور الشعب بتسمية الحرب الحاضرة « حرباً وطنية » وإحياء التراث الوطنى فى الأغانى والمواكب والمسرحيات .

وعمد ديوان التعليم إلى التفرقة بين الجنسين فى المدارس الابتدائية والثانوية ، مع حرص الماركسيين على إعلان المماثلة التامة بين الرجال والنساء فى جميع الأعمال وجميع الكفاءات .

وقد سلم ولاة الأمر الروسيون فى الملكية الصغيرة وسلموا فى تفاوت الدرجات وتفاوت الأنصبة على حسب اختلاف الأعمال ، وسلموا فى معاملة الصناعات الفردية بغير النظام الذى يعامل به الأجراء فى المصانع الكبيرة ، ونشأت عندهم طبقات ممتازة فى المعيشة تبعاً لامتيازها فى الوظائف المدنية أو العسكرية .

وكل هذا والروسيا بمعزل عن العالم يتخيل أبناؤها أن الإصلاح فى ظل الديمقراطية مستحيل، وأن إنصاف العمال مع قيام رأس المال ضرب من الأساطير ، فإذا ارتفعت الحواجز غداً وأبيح للروسيين السفر إلى أنحاء العالم وأبيح للأجانب السفر إلى روسيا فلا بد من تبدل الأحوال فى أمد قصير ، ولا بد من تغير النظر إلى حقائق الأمور . فإن الشيوعى الذى يعلم يومئذ أن الأمور تنصلح فى ظل الحكم الديمقراطى ، وأن العمال ينالون من خيرات الدنيا فى البلاد الأخرى فوق ما ينالونه فى الجمهوريات التى تسمى بجمهوريات العمال لن يثبتوا على توجسهم من الديمقراطية ولا يأسهم من صلاح الأمور على يديها ، ولن يثبتوا على تعصبهم للشيوعية ، ولا حصر الخير كل الخير فى دعوتها ؛ ولا سيما بعد التوسع فى تطبيق مذاهب التأمين الاجتماعى وإنصاف العاطلين والعجزة والشيوخ ، وشعور الروسيين حكومة وشعباً بضرورة التعاون بينهم وبين سائر الحكومات والشعوب .

والأرجح عندنا أن سياسة العزلة الروسية لن تدوم بعد الحرب زمن طويل ، ونعنى بسياسة العزلة تصعيب السفر على الروسيين وتصعيب الدخول إلى الأرض الروسية على الأجانب ، فإن قيام هذه العزلة لا يتاح لمن يريده بعد تشابك المصالح وتواتر الأخبار والعلاقات من هنا وهناك ، وبعد احتياج الساسة الروس إلى بسط قضاياهم السياسية ، وتحصيل المواد الصناعية والسلع التجارية التى لا يستغنون عن توريدها والمبادلة عليها وعقد الصفقات الطويلة أو القصيرة بشأنها ، وربما أحس هؤلاء الساسة قبل غيرهم بضرورة التيسير فى مسألة السفر من بلادهم والسفر إليها ، لأنهم يأمنون بذلك معارضة المنكرين لكل تغيير فى الأساليب الماركسية إذا وجب أن يغيروها ويقتربوا بعض الاقتراب من النظم الديمقراطية ، فإنما يصعب الخروج على قواعد كارل ماركس لمن يجهل أعمال الإصلاح وأحوال العمال فى البلاد الديمقراطية ويمتنع عليه أن يعقد المقارنة بينها وبين أعمال الإصلاح وأحوال العمال فى الجمهوريات السوفيتية ، فإذا تيسرت هذه المقارنة للمتعصبين المتعنتين لم تقم الحوائل الحاسمة دون التغيير درجة بعد درجة ، ومرحلة بعد مرحلة حتى يتم التقارب والتوفيق بين أطراف المذهبين ، أو بين أطراف المذاهب التى تتناول مسائل الإصلاح ومشكلات الاجتماع .

وقد كان من قوانين العدل المفروغ منها عند الماركسيين أن تحرم الوراثة كما تحرم الملكية . ولكن تحريم الوراثة فيما نرى أدنى إلى الظلم والمفارقة من تحريم الملكية حيث كانت فى المال أو العقار ، لأن الحكومات والقوانين لن تمنع الإنسان أن يرث عن أبيه أمراضه وعيوبه وسوء العلاقة بينه وبين غيره ، فليس من حقها أن تمنعه ميراث الخير الذى يصل إليه أو تقطع الصلة بينه وبين مساعى أبيه ، وإذا كان للمجتمع حق فى ميراث الفرد الغنى فليس للمجتمع أن يجهل حق بنيه وبناته وأقرب الناس إليه .

فاليوم يرجع الشيوعيون إلى الاعتراف بالميراث والتوصية بعد الاعتراف بالملكية الصغيرة مدى الحياة ، وإذا كانت الأملاك المنتجة للثروة لا تزال فى الجمهوريات السوفيتية مستثناة من حيازة الأفراد فالديمقراطية نفسها لا تمنع استيلاء الدولة على هذه الأملاك ، ولا تمنع مشاركة المجتمع فى التركات الكبيرة بحصة تربى على حصص الأبناء والأقربين .

ثم إن الملكية الصغيرة فى الجمهوريات السوفيتية تخالف

المسكية الصغيرة فى الأمم الديمقراطية ، لأنها هناك أشبه بالحكر الذى يستغل بإشراف الدولة ولا يجوز لمن يستغله أن يتصرف فيه بالبيع أو الهبة أو التأجير ، ولكنه - كائناً ما كان - أقرب إلى الديمقراطية منه إلى الماركسية فى أساسها . فهو قد تجاوز منتصف الطريق فى اتجاه الديمقراطية ، ولا سيما بعد تسويغ التوصية والميراث .

وليست الشيوعية وحدها بالمذهب الذى يقترب فى إبان الحرب - وبعد الحرب - من المذاهب الاجتماعية على اختلافها .

فإن الديمقراطية مثلها تقترب من ناحية إلى الاشتراكية كما تقترب من ناحية أخرى إلى النازية أو الدكتاتورية . وإنها لمضطرة لا محالة إلى العدول عن خطة الهوادة والإغضاء فى معاملة الخارجين على مبادئ الحرية الفردية والحرية القومية ، ومضطرة لا محالة إلى العدول عن خطة الحيدة التامة - من قبل الحكومة - فى الرقابة على شؤون الثروة ومسائل الأرزاق ، ومضطرة لا محالة إلى اختصار « الإجراءات » الشكلية التى كانت تعوق حركة العمل فى الحكومات البرلمانية ، وهى اليوم بما تفرض من الضرائب على التركات وعلى الأرباح المفرطة والمرافق العامة أصح اشتراكية من مذاهب الاشتراكيين ، لأنها تشارك الأفراد فى أملاكهم الخاصة وغلات تلك الأملاك وتنقلها إلى المفتقرين إليها ، على سنة الدعاة الشيوعيين الذى جعلوا شعارهم : « من كل حسب ما يستطيع، ولكل حسب ما يحتاج إليه » .

إلا أن الفرق بين الديمقراطية والشيوعية فى هذه الحالة أن الديمقراطية تدع الفرد مستطيعاً لجمع الثروة حتى يؤخذ منه العون الاجتماعى على حسب ما يستطيع ، أما الشيوعية فقد سلبت الفرد نخوة المنافسة وحمية الطموح إلى التفوق ، وتركت له شيئاً واحداً وهو أن ينتظر المدد من المجتمع على حسب الحاجة إليه .

ومن ثم لا يبقى بعد الحرب مذهب اجتماعى واحد كما كان قبلها أو كما أراد دعاته أن يبقى ، وإنما تتقارب مع الزمن حتى يخلص منها مذهب واحد جامع لمحاسنها معتبر بمساوئها ، والديمقراطية هى المذهب الغالب عليها فى النهاية لأنها هى المذهب الذى لا يصطدم فى أساسه بموانع التطور والاقتباس ، فالشيوعية التى تبيح الملكية وتبيح الميراث تناقض أساس المذهب الذى قامت عليه ؛ والدكتاتورية التى تنكر على الزعيم قداسته تناقض أساسها وتنتزع حجتها فى محاربة الديمقراطية ، ولكن الديمقراطية التى تحد الملكية على سنة المساواة ، أو تزيد فى سلطان الوزير المقيد برقابة النواب والناخبين لا تزال ديمقراطية فى الصميم ولا تنقض مبدأ من المبادئ التى تقوم عليها الحرية الفردية ، وتعاون الأمة ذلك التعاون الذى يشمل الطوائف والأفراد .

ما من حركة إنسانية هى شر محض من مبتدئها إلى منتهاها ، حتى الحرب العالمية وما أشنعها وأقساها .

فلعل هذا التصالح بين المذاهب التى تسعى إلى خدمة الإنسان هى ثمرة الخصومة التى تسفك فيها دماء بنى الإنسان ، ولن يزال الارتقاء غنيمة غالية الثمن فى تاريخ أبناء آدم وحواء .

عباس محمود العقاد

علم العرب الأقدمين بالجراد

للدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة

عرفت شعوب الشرق الأوسط من حاميين وساميين الجراد وأحواله وأطوار نموه وتحركه من أقدم العصور. يدل على ذلك ماورد في كتب العهدين القديم والجديد، وما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما لدينا من أمثال العرب القدماء وأشعارهم. فوصف سفر الخروج (١٢ — ١٣) غاراته على مصر أبلغ وصف: «ثم قال الرب لموسى مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض وكل ما تركه البرد. فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد فصعد الجراد على كل أرض مصر وحل في جميع تخوم مصر شيء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك، وغطى كل وجه الأرض وأكل جميع شجر الثمر الذي تركه البرد حتى لم يبق شيء أخضر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر».

ووصف سيدنا سليمان أسراب الجراد في أمثاله بقوله: «الجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كله فرقاً فرقاً».

وجاء في القرآن الكريم «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين».

وورد أن النبي الكريم كان يصلي ظهراً والجنادب تنقز من الرمضاء. وفي حديث عمر رضي الله عنه أنّ رجلا قال أصبت دباة وأنا محرم، قال اذبح شويهة. وفي حديث ابن عباس أنه دخل مكة رجْل من الجراد فجعل غلمان مكة يأخذون منه فقال: «أما إنهم لو علموا لم يأخذوه» يعني بذلك أنّ صيد الجراد مكروه في الحرم وفي الحديث الشريف «كأن نبلهم رجْل جراد». وذكر الجراد في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليت عندنا منه قفعة أو قفعتين. قال ذلك لأنه غذاء محبوب عند العرب. وسئل النبي كيف الناس بعد ذلك؟ قال دباً يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن مريم جاعت فجاءها طبق من جراد فصادت منه — أي قطيع من الجراد. وورد أن عائشة رضي الله عنها أرسلت إلى النبي جراداً محموساً أي سوى على النار. وفي حديث غزوة حنين «أرى كتيبة حرشف» أي فرقة من الرجالة شبهوا بالحرشف أي الجراد لكثرتهم.

وقد ورد الجراد بأسمائه المختلفة في أمثال العرب وحكمهم وأشعارهم فقالوا (إذا أجدب الناس أتى الهاوي والعاوي) والهاوي هو الجراد والعاوي هو الذئب. وسمي الجراد بذلك لأن له هويا أو دويا يعني صوتاً. وقد سمى بعض العرب خيلهم بالجرادة والخيفانة، تشبيها لها به في خفته وسرعته، فسمى عبد الله بن شرحبيل فرسه بالجرادة. وجرادة العيار اسم فرس في الجاهلية لأعرابي اسمه العيار صاد جراداً وهو جائع ودسها في النار وصار يخرجها واحدة واحدة ويأكلها حية وهو لا يدري من شدة الجوع فطارت منها جرادة فقال: «والله إن كنت لأنضجهن» فضرب ذلك مثلا لكل من أفلت من كرب. وقيل كان العيار رجلا أعْلَم أخذ جرادة ليأكلها فأفلتت من عَلَم شفته، ويصف العرب الفرس والناقة السريعة بأنها خيفانة لسرعة عدوها وخفتها وطمورها كالجراد قال عنترة:

فغدوت تحمل شكتي خيفانة ... مرط الجراء لها نميم أتلع

وقال امرؤ القيس:

وأركب في الروع خيفانة ... لها ذنب خلفها مسبطر

وقال مشبها الخيل بالحرشف:

كأنهم حرشف مبثوث ... بالجو إذ تبرق النعال

والحرشف ضرب من الجراد قال الراجز:

يا أيها الحرشف ذا الأكل الكُدَم — يعني الشديد الأكل.

ويقول العرب في أمثالهم «صر الجندب» وهو مثل يضرب للأمر يشتد حتى يقلق صاحبه. والأصل في هذا المثل أن الجندب وهو الجراد إذا أرمض من شدة الحر لا يستقر على الأرض بل يطير فيسمع لرجليه صرير. وقد وصف ذلك أحد شعرائهم بقوله:

قطعت إذا سمع السامعون ... من الجندب الجون فيها صريرا

والجندب من أسماء الاساءة في لغة العرب فتراهم يكنون به الظلم والغدر والداهية فيقولون (وقع القوم في أم جندب) إذا ظلموا. قال الشاعر:

قتلنا به القوم الذين اصطلوا به جهاراً ولم نظلم به أم حندب

أى نقتل به غير القاتل .

وكان من عادة العرب أن يسموا الأشخاص بأسماء الجراد ، فورد أن جرادة اسم امرأة فى الجاهلية غنت للرجال الذين أوفدهم عاد إلى البيت الحرام بمكة يستسقون لتلهيهم عن السقاية . وفى ذلك يقول ابن مقبل :

سحراً كما سحرت جرادة شربها بغرور أيام ولهـو ليـال

ويقال إنه كان بمكة فى الجاهلية مغنيتان يقال لهما الجرادتان مشهورتان بحسن الصوت والغناء ، وقيل إنهما مغنيتان للنعمان . وجندب اسم رجل .

وعادة أكل الجراد قديمة عند شعوب الشرق الأوسط فقد أحله الله لبنى إسرائيل على لسان كليمه موسى « هذا منه تأكلون الجراد على أجناسه ، والدبا على أجناسه ، والحرجوان على أجناسه والجندب على أجناسه » . وكان يحيى بن زكريا عليهما السلام يقتات بالجراد والعسل وهو يتعبد فى البرية .

وقد أحل أكله للمسلمين على لسان النبى الكريم « أحلت لكم ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » . وورد فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الجراد فى غزواته ، فقد ذكر ابن أوفى « غزونا مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد » ، ولذلك كان العرب يصطادونه ويكتسبون لعيالهم منه كما قال المبرد :

إذا أكل الجراد حروث قوم فحرثى همه أكل الجراد

وللعرب فى أكله طرق فكانوا يقشرونه أى ينتزعون رؤوسه وقوائمه ويسمونه الجُلف ومفرده جليف كما ذكر قيس ابن الحطيم فى وصف امرأة :

كأن لباتها تبـددها هزلى جراد أجوافه جلف

وكانوا يجففونه ويسحقونه ويضيفونه إلى الدقيق لصنع الخبز ويطبخونه فى المرجل ويسمونه الهميشة لأنه يغلى بعضه فى بعض فيسمع له حركة . ويشوونه على النار ويسمونه المحسوس ، وكان العرب يأكلون بيض الجراد وبيض الضب ويسمونه المكن قال أبو الهندى عبد المؤمن بن عبد القدوس :

وما فى البيوض كبيض الدجاج وبيض الجراد شفاء القرم

ومكن الضباب طعام العريب لا تشتهيه نفوس العجم

ولم يعتبر العرب الجراد حشرة بل كان فى عرفهم من صغار الطير لذلك سموه طيفورا أو طويئراً .

والجراد من صميم حشرات بلاد العرب لكثرة ما ورد من أسمائه فى العربية . وقد سمى جراداً لأنه يجرد الأرض أى يدبشها أو ينمشها أو يحتنكها أى يلتهم كلأها فيتركها جرداء من جرد الشىء قشره وجرد الجلد نزع عنه الشعر . ومنه الرجل الأجرد . والجرد من الأرض الفضاء الذى لا نبت فيه . قال الشاعر يصف حمار وحشى يأتى الماء ليلا ليشرب .

يقضى لبانته بالليل ثم إذا أضحى تيمم حزما حوله جرد

والجردة أرض مستوية متجردة . ومكان جَرِد وأجرد وجَرَد لا نبات فيه . وفضاء جرد وأرض جرداء جردها الجراد أو القحط تجريداً . وفى الحديث (كانت فيها أجارد) أى مواضع متجردة من النبات . والسنة الجارود هى المقحطة الشديدة المحل . ويقول العرب جردت الأرض فهى مجرودة إذا أكلها الجراد .

والجراد اسم للجنس يطلق على الذكر والأنثى على السواء ، ويسمى العرب ذكر الجراد بالعنظب أو العصفور أو الجندب . وقيل الجندب والقمل هو الصغير من الجراد قال الشاعر :

يغالين فيه الجزء لولا هواجر جنادبها صرعى لهن فصيص

أى صوت . ويسمون الأنثى من الجراد العنظوانة نسبة إلى العَنظ وهو الكرب لأنها تحدث الكرب والشدة قال جرير :

ولقد رأيت فوارسا من رهطنا عَنظُوك عَنظ جرادة العيار

(أى لازموك وغموك) وتسمى الأنثى أيضاً السرعوفة أو العيساء أو العزادة أو الدباساة . ومن أسماء الجراد الحسبان المذكور فى القرآن الكريم « فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا » . ومنها الحاسة لأنه لا يدع فى الأرض شيئاً الا حسه أى لم يترك منه شيئاً . ومنها أيضاً السرواح لأنه يسرح . ومن أسماء الجراد أيضاً الجائح لأنه يجتاح كل شىء أى يستأصله ، ومنها الجادى لأنه يجدى أى يأكل كل شىء . قال عبد مناف الهذلى :

صابوا بستة أبيات وواحدة حتى كأن عليها جادياً لبدا

واللبد هو الكثير .

والدَّيجَان هو الكبير من الجراد .

والجُنْدُعُ أو الخُنْدُع أو الحَنْدَع جندب أسود له قرنان طويلان وهو أضخم الجنادب .

وكان العرب على علم بأطوار نمو الجراد وتطوره وتزاوجه فقالوا غرزت الجرادة أو رزت أو متحت أى أثبتت ذنبها فى الأرض لتسرؤ أى تدفن بيضها فى الأرض فهى غارزة ، والمنرز هو موضع بيضها ، والجرادة السرؤ هى التى أسرأت أو سرأت أى ألقت السرء أى المكن وهو البيض . ويطلق العرب المكن على بيض الضب كذلك كما سبق القول .

ويقول العرب مكنت الجرادة فهى مكون إذا كانت حبلى أى جمعت البيض فى جوفها وحفظته فيه فإذا ألقته فهى السلقة . فإذا لم يكن فى جوفها بيض فهى جرادة صفراء .

وإذا انقف الجراد بيضه أى القاه فإنه يتنفس عن السروة وهى صهباء إلى البياض وهذه تصبح دبا عند ما تأخذ فى الحركة قبل أن تنبت أجنحته أى قبل أن يطير فتكون الأرض لوجوده مدبوءة أو مدبية وواحدته دباة . والدبى اسم مكان بالدهناء يألفه الجراد فيبيض فيه . والدبا يكون فى أول أمره قمصاً كالعث صغراً (الطور الحورى الأول) ثم يصبح كالقمل سوادا ويسمى الحبشان (الطور الحورى الثانى) فإذا سلخت الحبشان صارت برقاناً فيها جدة سوداء وجدة صفراء (الطور الحورى الثالث) وجميع هذه الأطوار يسميها العرب خرشفاً وهى أشره ما يكون ، ويسلخ البرقان المعين أو الخيفان وتظهر فيه خطوط مختلفة من بياض وصفرة (الطور الحورى الرابع) ثم يصبح مرجلا أو كتفاناً لظهور أوائل أجنحته ولأنه إذا تحرك لا يطير بل يقفز فى الأرض مثل المكتوف الذى لايستعين بيديه إذا مشى ، ويسمى كذلك عتاباً لأنه يعتب أى يقفز (الطور الحورى الخامس) ثم يصبح غوغاء حين يخف للطيران (الطور الحورى السادس) . وقد سمى العرب السفلة المتسرعين إلى الشر من الناس بالغوغاء لكثرة لغطهم وجلبتهم . ثم يصبح عند ما يطير جراداً (الطور البالغ) . والمسيح هو الجراد إذا صار فيه خطوط سود وصفر وبيض وتسبيح الجراد هو ما يخرج منه من ألوان شتى حين يزحف .

وقدعرف العرب الكثير عن أعضاء الجراد ، فقالوا إن للجرادة تأشيرة وهى التى تعض بها mandibles والتأشير أيضاً شوك ساقيه leg spines . أما الإشرتان أو الاثناء أو الأطواء Ovipositor Sheath فالعقدة التى فى رأس الذنب كالمخلبين وبها يرز الجراد أى يدفن بيضه فى الأرض ، ويقال للمخلبين اللذين تحت الساقين المنشاران . والنخاع hypopharynx هو الخيط الذى فى حلق الجرادة كاللسان . والبخنق جلباب الجراد على أصل عنقه Pronotum والمنكبان هما رؤوس الأجنحة Wing—bases والأجنحة أربعة : اثنان أعليان غليظان هما الظهران Forewings واثنان سفليان رقيقان هما القشران Hindwings والجؤشوش أو الجوش أوالجوشن Thorax هوصدر الجراد وله ست أيد وهى فى الجوشن . وسرم الجراد هوماخلف الجوشن وهوذنبها Abdomen .

وكان العرب على علم بتجمع الجراد وهجرته وتفرقه فقالوا حوم الجراد فى السماء أى حلق . وسام الجراد سوما إذا دخل بعضه فى بعض . وهمش إذا تحرك ليثور . وارتهش إذا ركب بعضه بعضاً حتى لا يرى معه تراب . وقالوا الشفترة تفرق الجراد . والجراد المشفتر هو المتفرق قال الشاعر :

فترى المرو إذا ما هجرت ... عن يديها كالجراد المشفتر

وعيران الجراد هى أوائله المتطرفة القليلة — وأرجال الجراد أى جماعته أو طوائفه تسمى القفعة . فإذا كانت غير كثيرة فهى الشيتان. أما إذا كانت كثيرة فهى الطبق أو الثوالة لتثولها وتراكبها. ورجل الجراد هى قطعة أو خيط منه يملأ مكاناً بقدر ميل فإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف . فإذا سد الأفق من كثرته فهو السد أو العارض أو العرض ؛ فإذا كان أقل من ذلك فهو الحذقة . وصرير الجراد وفصيصه هوصوته ، وحنشزته هى صوت أكله .

وقد وصف شعراؤهم ثوران الجراد وتحركه وأضراره أبلغ وصف . فقال ساعدة :

رأى عارضاً يهوى إلى مشمخرة ... قد احجم عنها كل شىء يرومها

والعارض كما قلنا هو السرب العظيم من الجراد يرى كالسحاب فى ناحية من السماء كأنه يسد الأفق . ومنه قول العرب أتانا جراد عرض أى كثير .

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

العنـــاية الالهية

للكاتب الفرنسى « لامنيه »

للأستاذ زكريا إبراهيم

« ... إلى الآنسة المهذبة (١ . م) : يا فتاتى : إن العناية الالهية ترعانا ، فدعينى أضع بين يديك هـذه القطعة الجميلة الرائعة التى تعبر — فى بساطة مقدسة — عن تلك العناية الالهية الفائقة ... »

ز . إ

كانا جارين ، يعيش كل منهما مع زوجه وأبنائه الصغار ، ولا همّ له سوى توفير أسباب الحياة لأسرته .

وذات يوم ، طافت برأس أحدهما خواطر مزعجة ، فقلقت نفسه ، واضطرب باله ، وأخذ يفكر فى نفسه قائلا : « ماذا يكون من أمر زوجى وأبنائى ، لو عـدا علىّ عادى الموت أو المرض ؟ » .

وألحّت عليه هذه الفكرة ، فلم يجد للخلاص منها سبيلا . وهكذا أخذت الخواطر المزعجة تأكل قلبه ، كما تأكل الدودةُ الثمرةَ التى تختبىء فيها .

أما الآخر ، فقد طافت بذهنه هذه الفكرة نفسها ، ولـكنه لم يتوقف عندها ، ولم يعِرها أدنى اهتمام ، بل قال فى نفسه : « إن الله يعرف كل خلائقه ، وهو يعتنى بها جميعاً ، فلابدّ أنه سيعتنى بى ، أنا وزوجى وأبنائى » .

وهكذا عاش مطمئناً هانئاً ؛ بينما رفيقه فى حيرة وقلق واضطراب ، ولم يستطع — لحظة واحدة — أن يستمتع بالراحة والهدوء .

وذات يوم ، كان صاحبنا يعمل فى حقله ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الحزن والـكآبة ، من فرْط ما به من قلق وهَمّ ، فرأى بعض العصافير ، وهى تدخل إلى إحدى الشجيرات ، ثم تخرج منها ، ثم لا تلبث بعد قليل أن تعود إليها .

وحينما اقترب من تلك الشجيرة ، رأى عشّين متجاورين ، فى كل منهما عصافير صغيرة ، لم ينبت لها الريش بعد !

وعاد الرجل بعد ذلك إلى عمله ، ولـكنه رفع بصره من وقت إلى آخر ، وينظر إلى تلك العصافير التى تروح وتجىء حاملة القوت إلى صغارها :

وذات مرّة ، كانت إحدى الامهات عائدة إلى عشها ومعها القوت الذى جلبته لصغارها ، فانقض عليها نسر كاسر ، ومضى بها ، وهى تتلوّى فى قبضته ، وترسل الصرخات الأليمة المدوية !

وحينما وقعت عينا الرجل على هذا المنظر ، جثت عليه خواطر السوء أكثر من ذى قبل ، فزاد قلقه واضطرابه ، وأخذ يفكر فى نفسه قائلا : « إن فى موت الأم موتاً للأبناء ، فماذا عسى أن يفعل أبنائى ، لو قُدِّر لى أن أموت ، وما لهم من معين سواى ؟ » .

وظل الرجل طوال اليوم حزيناً كاسف البال ، وبات طيلة ليلته ساهداً لم تكتحل عيناه بنوم .

وفى اليوم التالى ، حينما عاد إلى عمله فى الحقل ، فكّر فى نفسه قائلاً : « تُرَى ما الذى صار من أمر الصغار الذين خلّفتهم تلك الأمّ المسكينة ، لابدّ أن يكون عدد كبير منهم قد مات جوعاً » ومضى الرجل إلى الشجيرة ، لـكى يرى بعينيه ما حدث

وألقى الرجل نظرة على الشجيرة ، فراعه أن الصغار جميعاً فى أحسن حال ، ليس بينهم من يبدو ضعيفاً أو خائراً أو موشكا على الموت »

ولما كانت الدهشة قد بلغت به كل مبلغ ، فقد اختبأ لرى بنفسه ما الذى سيحدث .

وبعد لحظات ، سمع الرجل صرخة خفيفة ، ولمح صاحبة العش الآخر ، وقـد أسرعت تحمل القوت لصغارها ، وصغار رفيقتها التى اقتنصها النسر . ورأى صاحبنا هـذه الأمّ الرحيمة وهى توزع القوت على الصغار جميعا بلا تفرقة ولا تمييز ، فيصبب كل منهم طعامه ، ولا يُترك واحدٌ منهم يتيماً لا عائل له !

وفى المساء ، مضى الرجل إلى جاره المؤمن ، يروى له ما رآه بعينى رأسه .

وعند ذلك قال له رفيقه : « فِيمَ القلق والاضطراب إذن ؟ إنّ الله لا يتخلّى عن عباده أبداً ؛ وهذه محبّته لها أسرارٌ لا سبيل لنا إلى معرفتها . فحسبنا أن نؤمن ، ونأمل ، ونحبّ ، ولنواصل السير فى طمأنينة وسلام .

« وإذا قدّر لى أن أموت قبلك ، فانك تصير أباً لأبنائى ، وإذا قدّر لك أن تموت قبلى ، فاننى أصير أباً لأبنائك .

« أما إذا قُدّر لنا نحن الاثنين أن نموت قبـل أن يصبح أبناؤنا رجالاً ، فسيكون أبوهم ؛ عندئذ ذلك الأب الذى فى السماء ! »

زكريا إبراهيم
مدرس بمدرسة السويس الثانوية

على هامش النقد :

هذه الشجرة ... للعقاد

للأستاذ سيد قطب

هذا كتاب يجىء فى إبانه لتصحيح مقاييس كثيرة فى عالم التفكير والشعور ، وفى عالم الأخلاق والاجتماع ، تجاه مسألة من أكبر مسائل الحياة ، بل تجاه مسألة الحياة : مسألة الجنسين ، وعلى أي أساس تقوم بينهما العلاقات .

هو كتاب يجىء فى إبانه لأنه يرتفع بهـذه المسألة فوق السفسطات الذهنية ، وفوق تقاليد « الصالونات » وفوق الفتنة التافهة أو المغرضة بالمرأة « المسترجلة » التى كادت تصبح زيًا من أزياء « المودة » يفتن بعض الرجال « المتأنثين » فتنة الأزياء الجديدة للمرأة فى كل زمان !

يرتفع بها فوق هذا كله ليردها إلى منطق الحياة ، وإرادة الطبيعة . ثم إلى وظائف المجتمع وقوانين الأخلاق ، المستمدة من منطق الحياة ومن إرادة الطبيعة . وقد آن لنا أن نرد كثيراً من الأوضاع إلى هـذا المنطق الأصيل ، إذا شئنا أن نرجع إلى سواء الفطرة الخالدة ، التى قد تفسد فى بعض الأجيال للابسات خاصة ؛ ولـكنها تعود إلى الصلاح حتماً ، لأن الحياة لا تستقيم طويلاً فى عزلة عن هذه الفطرة الأصيلة .

والمسألة حين ترتفع إلى هذا المستوى ، لا يعود الحديث فيها هو الحديث عن حقوق المرأة وحقوق الرجل ؛ ولـكن عن حقوق الحياة من وراء المرأة ووراء الرجل ، ولا يعود المرجع فيها إلى إرادة هذا الجنس أو ذاك ؛ ولـكن إلى إرادة الطبيعة التى صاغت الجنسين ، لتصل بهما جميعاً إلى تحقيق أغراضها وأغراض الحياة .

ومن هنا نصل إلى المنطق الفاصل ، الذى يعود كل منطق سواه عبثاً وسفسطة ، وتظرفاً يصلح « للصالونات » والمحتمعات ؛ ولا يصلح لبناء الحياة وإقامة المجتمعات !

* * *

والعقاد هنا فى ميدانه الأصيل : ميدان التحليل والتعليل ، للبواعث النفسية والـكوامن الفطرية ، والسمات الشخصية . وهو الميدان الذى يقف فيه متفرداً فى الشرق العربى الحديث .

ويجب أن نقف هنا وقفة قصيرة لتوضيح ما نعنيه بالتحليل والتعليل . فليس أكذب على العقاد من شبهة شائعة عنه عند من لا يفرقون بين ألوان المنطق الإنسانى فى الحياة والفنون .

تقوم هذه الشبهة على أساس أن المنطق الفـكرى هو الذى يغلب على كتابات العقاد ... وهذا فى الواقع هو مفرق الطريق فى اعتقادى ـ بين من يفهمون ومن لا يفهمون . بل بين من يشعرون ومن لا يشعرون ، حين يتذوقون الفنون !

إن للعقاد منطقاً قوياً جارفاً ... هذا صحيح ... ولـكن أى منطق ؟ إنه « المنطق الحيوى » كما عبرت عنه فى مقالة سابقة فى الرسالة منذ أكثر من عام . وذلك حيث أقول :

« مدرسة العقاد هى مدرسة المنطق الحيوى . والنسبة هنا إلى « الحياة » وإلى « الحيوية » جميعاً ... إلى « الحياة » لأن مرد الحـكم على كل قول وكل عمل هو ما تقوله الحياة وما تصنعه ، ومنطقها هو المنطق المطاع فى جميع الأحوال .

كلُّ ما تَصنعُ الحياةُ يُرجَّى ... من بنيها قبولُه واغتفارُه
فإذا أنـكروا قبيحاً فنى القبـــح من الموت لونُه أو شعاره

« وإلى « الحيوية » لأن مرد الحـكم على كل قول وكل عمل هو باعثه ، ومدى الحيوية فى هذا الباعث . وقد تتشابه مظاهر الأعمال والأقوال ، ولـكنها تتفق فى « الرصيد » المـكنون لها من الباعث الحيوى ، فيتوحد الحـكم عليها . وقد تتفق مظاهرها ، ولـكنها تختلف فى الرصيد ، فيكون ذلك مناط الاختلاف » .

إلى أن جاء فى ذلك المقال نفسه :

« ولقد كان العقاد ـ بما فيه من يقظة الحس وقوة الحواس ـ وشيكا أن يبذل إعجابه كله للحياة المحسوسة الظاهرة ، وللحيوية المتدفقة فى الحس والغريزة ، لولا قسط من « الصوفية » ـ ولا يعجب أحد لهذه الـكلمة ـ فنى العقاد إيمان عميق بقوة مجهولة تصرف الحياة والناس ، وتسيطر على أقدار الفرد والنوع (والصوفية فى أساسها البسيط هى هذا الإيمان بالمجهول) . ولـكن هـذه القوة المجهولة التى يؤمن بها العقاد إنما تصرف الحياة والناس ، وتسيطر

على أقدار الفرد والنوع لمصلحة هذه الحياة نفسها ، وللرقي بالإنسانية في معارج الكمال ، لا لغرض آخر من الأغراض التائهة المجهولة . وهذا القسط من الصوفية ـ بهذا المعنى ـ يمتزج بالحيوية الحسية ، فيخرج منهما مزاج جديد ، فيه من هذه وفيه من تلك ، على غير تحيز بينهما ولا انفصال .

« ولقد كان العقاد كذلك — بما فيه من صحو الذهن ويقظة الوعي — وشيكا أن يبذل قواه كلها للفكر والمنطق ، لولا فيض من حيوية الطبع ، يجرف قوى الذهن والوعي ، فتستحيل جنوداً لهذا الطبع الحي ، تضرب بسلاحه ، وتستمد منه القوة ، وله عليها السيطرة في النهاية ! »

* * *

في هذا الذي اقتبسناه إيضاح لطبيعة المنطق عند العقاد ، ولأسس التحليل والتعليل التي نعنيها . وفيه كذلك تفسير لكل آراء العقاد في الكون والحياة ، وفي الأدب والفن ، على السواء . وما لهذا أو ذلك وحده سقنا هذا الاقتباس . ولكن لأنه يصلح كذلك أساساً للحديث عن « هذه الشجرة » !

إنه يتحدث عن أسلحة المرأة وأسلحة الرجل في الحياة ، فيردها إلى أهداف الحياة وإلى مصلحة النوع ، وإلى إرادة الطبيعة . فسلاح المرأة هو الإغراء ، وسلاح الرجل هو الإرادة . وتعليل ذلك فيما يلي :

« وليس للمرأة أن تريد غير هذا النوع من الإرادة ، لأسباب عميقة في أصول التركيب والتكوين .

« وموقف الجنسين من الاستجابة لمطالب النوع يهدينا إلى حكمة هذا الفارق من طريق قريب .

فالذكور من جميع الحيوانات قد أعطيت القدرة — بتركيبها الجسدي — على إكراه الإناث لاستجابة مطالب النوع طائعات أو مقسورات . ولا يتأتى ذلك للاناث على حال من الحالات الجسدية ، فغاية ما عندهن من وسيلة أن يهجن الرغبة في الذكور وأن يجعلنهم يريدون ، ولا يستطيعون الامتناع عن الإرادة .

« فهذا الفارق ملحوظ في أعمق أعماق التركيب الجسدي من كلا الجنسين ، منذ نشأ الفارق بين ذكر وأنثى في عالم الحيوان . وحكمته ظاهرة كل الظهور ، لأنها هي الحكمة التي توافق بقاء النوع ، وارتقاء الأفراد جيلا بعد جيل .

« فالإغواء كاف للأنثى ، ولا حاجة بها إلى الإرادة القاسرة . بل من العبث تزويدها بالإرادة التي تغلب بها الذكر عنوة ؛ لأنها متى حملت كانت هذه الإرادة مضيَّعة طوال مدة الحمل بغير جدوى . على حين أن الذكور قادرون إذا أدوا مطلب النوع مرة ، أن يؤدوه مرات بلا عائق من التركيب والتكوين ، وليس هذا في حالة الأنثى بميسور على وجه من الوجوه .

« وإكراه الأنثى على تلبية إرادة الذكر لا يضير النوع ولا يؤذي النسل الذي ينشأ من ذكر قادر على الإكراه وأنثى مزودة بفتنة الإغواء ؛ فهنا تتم للزوجين أحسن الصفات الصالحة لإنجاز النسل : من قوة الأبوة ، وجمال الأمومة ، ويتم للنوع مقصد الطبيعة من غلبة الأقوياء الأصحاء القادرين على ضمان نسلهم في ميدان التنافس والبقاء ...

« وعلى نقيض ذلك لو أعطيت الأنثى القدرة على الإرادة والإكراه لكان من جراء ذلك أن يضمحل النوع ويضار النسل ؛ لأنه قد ينشأ في هذه الحالة من أضعف الذكور الذين ينهزمون للاناث ...!

« وكيفما نظرنا إلى مصلحة النوع وجدنا من الخير له أبداً أن يتكفل الذكور بالإرادة والقوة ، وأن تتكفل الإناث بالإغواء والتلبية ، بل وجدنا أن فوارق البنية قد جعلت السرور في كل من الجنسين قائماً على هذا الأساس العميق في الطباع . فلا سرور للرجل في إكراهه على مطلب النوع ، بل هو منغص له ، مضعف من لذة حسه . أما المرأة فقد يكون استسلامها لغلبة الرجل عليها باعثاً من أكبر بواعث سرورها ، ولعله أن يكون مطلوباً لذاته كأنه غرض مقصود . بل هو في الواقع غرض مقصود لما فيه من الدلالة على توفق الأنثى إلى إغواء أقوى الذكور . ومن البداهات الفطرية أن تتظاهر المرأة بالألم والانكسار في استجابتها للنوع ، لأنها تفطن ببداهتها الأنثوية إلى هذا الفارق الأصيل في خصائص الجنسين »

* * *

بمثل هذا المنطق المستلهم مباشرة من الحياة يسير العقاد في « هذه الشجرة » . فيتحدث عن : « غواية المرأة ، وجمال المرأة ، وتفاوت الجنسين ، وتناقض المرأة ، وحب المرأة ، وأخلاق المرأة ،

وحقوق المرأة ، والجنس ، والحب ، ومعاملة المرأة » وهى الفصول التى تضمنها كتابه ، ثم يختمها « بمقتطفات عن المرأة من كتب المؤلف» تتساوق مع آرائه التى أبداها فى الكتاب، وتدل على عمق هذه الآراء فى نفسه ، وأصالتها فى طبيعته ، وأنها ليست وليدة الاطلاع وحده ، ولا وليدة التجربة وحدها ، ولكنها قبل هذا وذلك وليدة الطبع المستقيم ، والفطرة السليمة ، التى تستمد عناصر شعورها وتفكيرها من صميم الحياة والطبيعة .

* * *

ولولا أننا معجلون — لضيق الفراغ — لاقتبست هنا كثيراً من الفقرات الدالة على هذا كله فى ذلك الكتاب ، الذى أعده من أعظم ما كتب العقاد

ولكن هنا ملاحظة جديرة بالتسجيل . ذلك أن العقاد فى كتابه هذا إنما يتحدث عن « الأنثى الخالدة » وراء أوضاع المجتمع ، ووراء أزياء الحضارة ، الأنثى التى طعمت من الشجرة المحرمة — لأنها ممنوعة — وأغوت رجلها فأكل ، والتى لن تزال تطعم من كل شجرة محرمة — لأنها ممنوعة — وتغوى رجلها فيأكل ! وتأويل هذه الفتنة بالممنوع ، وتأويل قدرتها كذلك على الإغواء هو الذى تكفل به بعض فصول الكتاب !

والعقاد مهيأ بطبيعته ، لأن تتكشف له « الأنثى الخالدة » من وراء المرأة المتجملة ، والأوضاع الطارئة . وهو القائل فى كتابه « شاعر الغزل » عن طبيعة عمر بن أبى ربيعة :

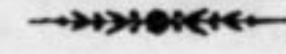
« إنما تأتى خبرة ظرفاء المجالس من تقارب الإحساس بين المرأة وبين هذه الطائفة من اللاهين والمتغزلين ، فهم يحسون كما تحس ، أو على نحو قريب مما تحس ، وهم يشبهونها بعض الشبه فيصدقون فى الحكاية عنها ، والتحدث بخوالج نفسها . وفرق بعيد بين هذا وبين الرجل الذى يعلم طبع المرأة وهو يخالفها فى طبعها ، ويستجيش ضمائرها ، لأن هذه الضمائر تجاوبه مجاوبة الأنثى للذكر ، فيعرف من مجاوبتها كيف تضطرب نفسها ، وتتقلب هواجسها وخواطرها »

الرجل الأول هو عمر بن ربيعة ، والرجل الثانى هو العقاد . وإن هذه الاستجاشة وتلك الخبرة الناشئة عنها لواضحتان كل الوضوح فى هذا الكتاب !

سيد قطب

التكتم في البحث العلمي

للأستاذ خليـــل السالم



لايصيخ العلماء اليوم لصرخة الضمير الحي ، الذي يهيب بهم أن يخففوا من غلواء انتاجهم المهلك واستكشافهم المدمر ؛ فالاسلحة السرية تثب من مكامنها ، وتعبث بحياة البشر آنا بعد آن ، وتهدم من معالم الحضارة عمراناً بعد عمران . ولا يذهبن الخاطر إلى أن الفتك والتدمير مقصوران على الأسلحة السرية وحدها ، ولـكن هذه أكثر ازعاجا وأفعل في بث الرعب والفزع لأنها كالعدو المفاجيء يخرج من الظلام في حين لم يحسب له الإنسان حساباً ولم يوطن نفسه عليه

والأمم التي تؤمن بالعلم ، وتؤمن بفعاليته القوية في ابتكار أساليب الهجوم والدفاع الناجعـة ، هذه الأمم تفتح المختبرات وتجهزها بالمعدات والآلات ، وتغدق عليهـــا وافر الأموال والميزانيات ، وتجند العلماء للعمل فيها . وطبيعي بعد ئذ أن تحيط ابحاثهم بسياج حصين من الـكتمان الشديد وتحرم النشر وتقتل حرية البحث .

وقد يرضى بعض العلماء بهذا الوضع الشاذ البعيد عن روح العلم الانسانية ، فما أسهل أن تكسب الحـكومات في الأزمات والظروف الحرجة عطف العلماء وتعاونهم وتآزرهم ؛ فهم يرضون ظنا منهم بأنهم يخدمون مصلحة الأمة ويقودون الجيوش إلى غاية النصر ، ويؤكدون الذات في المعترك الدولي . ونجد نفراً آخر غير قليل يجد نفسه مجبراً على هذه الخدمة القهرية الوحشية تحت ضغط النظام القاسي الذي يحيا فيه ، ليؤمن أسباب الحياة التي ما كان ليبلغها لولا انسجامه مع روح العمل وتفانيه فيه . فالسلطة لاتستخدم عالماً حراً يفشي أسرار بحثه ، ويبشر بصراحة العلم المثالية ؛ وإنما تلاحقه بصنوف الاضطهاد والضغط ، وتسوقه للقيام بأعباء عمل آخر لاترتاح له نفسه ولا يتسق مع طبعه .

ولذلك قد نجد في أيام الحرب مبرراً لهـذا الجو البغيض الـكريه الذي يحيا فيـه البحث العلمي المنتج . ولـكننا لانجد مبرراً شرعياً يسوغ للنظام القاسي أن لايمتع العلماء بالجو الفسيح الطلق في أيام السلم أيضاً .

فقد درجت مؤسسات الصناعة أن تعـد المختبرات اجهزة تجهيزاً فنياً حديثاً ، وتعين للاشراف عليها العلماء الذين لمعت أسماؤهم في الحقل الفني الذي تعمـل فيه ، وترصد المخصصات الطائلة لابتكار وسائل التحسين والسرعة في الانتاج . وتوفير المواد الخام واقتصاد الطاقة المستنفدة ، وإن لم يـكن لها مختبرها الخاص بها . تكلف علماء الجامعات القريبة بحل المشكلة الراهنة أو إجراء التجارب الضرورية . . وهي في كل هذا تقيد الباحث وتشترط حفظ البحث سرياً . فيحرم على الباحث أن يتصـل بغيره من أنداده ويتبادل معهم الرأي والنقاش ، وتمنعه أن يستعير كتابا من مكتبة ما خشية أن يشتم من مادة الـكتاب رائحة البحث ، تعقـل لسانه فلا يصرح أو يقول . وتتمادى بعض الصناعات في هذا التكتم والتستر ، فترفض أن تجيب أي سؤال يتعلق بماهية البحث ، أو عدد الباحثين في مختبراتها ، أو مقدار المبالغ المكرسة للبحث ، ولا تبوح بأسماء مديري المختبر فيها . ولا تعلن أخبار التحسين والـكشف أبداً .. والصناعة التي تحيا في جو التزاحم والتنافس ترى أن هذا الـكتمان حق مشروع لها ، فهي لا تمول العلم إلا لتستغل نتائجه في التجارة والإحتكار ، فلا قيمة لأي كشف تستطيع الصناعات المنافسة أن تقلده وتستفيد منه .

ولـكن هذا التكتم خطر على العلم والمجتمع ، يعبث بمقدرات الأول ، ويمنع المجتمع من النفع والـكسب ويحصرهما في فئة جشعة محدودة : خطر على تقدم العلم لأن انقطاع العلماء عن المراسلة المتبادلة والتفاهم الحر يضاعف الجهود المضاعة لاكتشاف حقيقة واحدة في منشآت متعددة ، فتماثل الجهود وتتجه وجهة واحدة وتثمر ثمراً واحداً ، بينما كان من الممكن التوزيع وانطلاق الجهود في اتجاهات متعددة والاتيان بثمر كثير . ويقطع التكتم عن العالم معين الخبرة والإيحاء الخارجيين اللذين كانا في ظروف ليست قليلة سبب الاكتشافات والاختراعات .

والابحاث الآمنة جانب النقد والنقاش تخرج مبتورة ناقصة تضرب في طياتها الفوضى والترجيح ، وخصوصاً عندما يكون

مدير الشركة شخصاً لا يمت إلى العلم بصلة ، كما هي الحال في أغلب الأعيان ، يشيع التدجيل في البحث ، ومع ذلك يحظى بالتأييد الرسمي الجاهل . أضف إلى ذلك أخطار الخلق السيء المتولد في نفس العالم ، كالتنافس الدنيء على حقوق التسجيل وابتكار ما يساعد يد الشر ومعاول الهدم أن تعيث وتفسد وتدمر .

والخطر الأكبر يحيق بالمجتمع ، فالصناعة تكره العالم على الصمت حتى تحتكر السوق وترفع الأسعار وتجني الأرباح . قد ظهر هذا الخطر أوضح ما يكون في عمليات التسجيل وصناعة العقاقير والأدوية . فهذه تصنع من مواد موفورة رخيصة ، ولكن أسرار صناعتها الغامضة تجعل في إمكان الصناعات أن ترفع أثمانها ارتفاعاً فاحشاً بحيث تسمح للمرض أن يزهق أرواحاً لا تعد ولا تحصى لأنها لا تجد لمسيها ثمن الدواء .

وتتصرف الصناعة بالمكتشفات السرية كما يروق لها ، فمنها ما يقتل في المهد ، ومنها ما يوضع على الرف ، ومنها ما يطبق في وقت متأخر مهما تكن حاجة المجتمع لها ماسة بالغة . وفي كثير من الأحيان ترفض الصناعة مبدأ التحسين قطعاً لتلاعموت الصناعة فلا يسمح مثلاً بتحسين مصابيح الكهرباء أو صمامات الراديو أو شفرات الحلاقة الاضمن نطاق مخصوص . لأن التحسين يقلل الاستهلاك والتلف فتقل تبعاً لذلك الأرباح . ولاهم للصناعة إلا أن تغمر الأسواق بالبضائع الرائجة سواء طالت خدمتها أو قصرت .

وكذلك يسيء هذا التحكم للصناعة أن تهمل التفكير بخدمة المجتمع ، وتطيع قوانين المباراة التجارية قبل كل شيء آخر . وعند ما تأمن ضغط المباراة التجارية كأن تعقد الشركات العاملة في حقل واحد الاتفاقات بينها على تبادل البحوث واتحاد الآراء وتوحيد الأسعار ، وإدخال التحسين في المصانع على نسق واحد وفي وقت واحد . وبذلك يكون هذا التحكم استغلالا بشعاً لطاقة العلماء الذهنية ومال الجمهور المستهلك

لذلك قرر مجلس جامعة كمبردج في فرصة ماضية أن تعلم العمدة بكل كشف جديد ، فإن رأت أن تطبيقه يزيد في رضاء المجتمع وسعادة الأفراد . سمحت للصناعة باستغلاله واستثماره . وإن رأت غير ذلك استعملت سلطتها القانونية في كبته وقتله قبل أن تشتريه الصناعة وتفيد به . ويؤسفنا أن نقول إن النظام الرأسمالي السائد لم يسمح لهذا القانون أن يتنسم روح الحياة .

وإليك ما رد به العلامة روموز على الذين لاموه على كشفه النقاب عن أسرار صناعة الفولاذ وفضحه هذه الأسرار بعد أن مكثت سراً مكتوماً على طول الأجيال السابقة قال « لقد وجهت إلى انتقادات متضاربة بعد اجتماع الأكاديمية ، وإنني لا أجد في نفسي نزوعاً قويا للرد عليها . استغرب المنتقدون أن أفشي أسراراً كان يجب أن تبقى مكتومة محصورة في الشركات التي تستثمرها لمصلحتها أولا ومصلحة الوطن ثانياً ... ولكن ألا يتبرأ هذا الشعور من النبل ويناقض روح العدل الطبيعي ..؟ ومن أين لنا أن تكون مكتشفاتنا ملكا خاصاً لنا بحيث لا يكون للمجتمع أي نصيب فيها ؟ ! إن واجبنا الأول المهم أن نساعد المجتمع ونسعى للمصلحة العامة ... والشخص الذي يكون بمقدوره أن يفعل خصوصاً عند ما لا يكلف أكثر من أن ينطق ويقول شخص مقصر في واجب نبيل ، والظروف التي تبرر له ذلك ظروف حقيرة مستهجنة . قد يكون حق في تذمر البعض من المجتمع لا يكيل المديح للمكتشفين ولا يفيهم حقهم من التقدير والاكبار ، وانما ينظر بعين التقديس والاعجاب لابحاثهم ما دامت سراً مستغلقاً حتى إذا ما أعلنت صرخ بملء فيه « أهذا كل ما هنالك ؟ » ... ولكن أيكفي هذا لنمسك عن المجتمع ماهو بأمس الحاجة اليه ، وما يحتمل أن يجني منه المغانم الوافرة ؟ أيحق للطبيب أن يرفض تقديم الاسعاف والمساعدة لمريض مخطر حينما لا يتأكد من تقدير المريض له واعترافه بالجميل ؟ ... إن نفسي لا تقر النظام الكريه الذي تبناه جيراننا في كتم الأسرار .. إن هنالك ما هو أهم وأسمى من هذا كله ... هو واجبنا نحو الانسانية بأسرها . فالعلماء العاملون في حقل العلم لترقيته وتقدمه يجب أن يكونوا اخوة ورفاقا ومواطنين في عالم واحد ... »

إننا لننظر إلى المستقبل القريب بعين الرجاء والأمل : الرجاء بأن تزول من العالم هذه العلل المستعصية الفتاكة ، والأمل بأن تنكشف هذه الأزمة عن انتشار مبادىء الحق والحرية والعدل والمساواة في كل الشعوب .

« السلط — شرق الأردن » **خليل السالم**

(ب . ع . من الدرجة الأولى في الرياضيات

السيد جمال الدين الأفغاني

أستاذ الوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

تمهيد تاريخي

كان السيد جمال الدين الأفغاني أستاذ « الوحدة الإسلامية » ، الذي أقامها مذهبـاً ، وأوضحها منهجاً ، وخلفها في العقول وفي القلوب عقيدة اجتماعية وفكرة سياسية لها أشياع وأتباع ، فتردد صداها في كل مصر من أمصار العربية ، وظهر أثرها في كل قطر من الأقطار الإسلامية ، حتى أصبح اسم ذلك المصلح العظيم لا يذكر إلا مقروناً بالدعوة لتلك الوحدة ، مميزاً بالجهاد في ميدان هذه الفكرة .

كان جمال الدين الأفغاني أستاذ « الوحدة الإسلامية » الذي رفع لواءها ، على أنه لم يكن أول من فكر فيها أو اقترح الرأي بها ، فهم يقولون إن صلاح الدين الأيوبي قد دعا هذه الدعوة ، وأراد أن يجمع عليها دول الإسلام وولاياته عندما رأى دول الصليب قد تجمعت واحتشدت لتتخطف مجد الهلال من كل جانب ، وعلى أي حال فقد طويت دعوة صلاح الدين بظروفها وملابساتها ، وانتهت حملة الصليب على الهلال إلى غمرة شاملة ، قضاها الشرق العربي مخدور الأعصاب ، مجزوز الأسباب ، مهدوم الكيان والبنيان ، بعد أن خذلته أمراض الفرقة ، وفرقته أغراض الطمع ، وقتله الجمود والخمود ، فكان له ماض وكأنه لا يمت إليه ، وكان له حاضر ولكنه لا ينتفع به ، وكان أمامه مستقبل ولكنه ليس له .

هذه حقيقة لم يختلف في تقريرها أحد من الباحثين الذين عنوا بشؤون الشرق واهتموا بتشخيص دائه المزمن سواء أكانوا من الغربيين أم من الشرقيين ، وإن اختلفوا في التعليل لهذه الحقيقة والتماس الأسباب التي أدت إليها ، على أن هناك إلى جانب هذه الحقيقة حقيقة أخرى لا بد أن نذكرها في المقام ، وهي التي تشهد بها البحاثة الاجتماعي المعروف الدكتور جوستاف لوبون إذ يقول في هذا الصدد : « ولئن كانت دولة العرب لم تعد ترى إلا في كتب التاريخ فإن المعنى الديني الذي هو أساس تلك الدولة قد ظل حياً دائماً ، وبقي ظل محمد « صلى الله عليه وسلم » من أعماق قبره يسود تلك الملايين العديدة الساكنة أفريقية وآسيا المترامية بين مراكش والصين والمنثورة بين البحر الأبيض وخط الاستواء .. » .

غير أن هذا المعنى الذي يشير إليه جوستاف لوبون ، والذي بقي حياً في قلوب أمم الشرق ، وظل يربط نفوسهم برباط الوحدة ، استحال آخر الأمر في قلوبهم وفي نفوسهم وفي تفكيرهم إلى وضع معكوس مقلوب عما كان عليه آباؤهم من قبل ، وليس لباساً ملفقاً من الأوهام والأضاليل والترهات ، أجل ! فقد كان الدين في قلوب الآباء قوة تتدفق بالحياة والحركة فأصبح في قلوب الأبناء إشارة ضعف وجمود ، وكان في نفوس السابقين مظهر عزة وفخار ، فصار في نفوس أولئك اللاحقين دلالة ذلة وانكسار ، وكان في تفكير السلف صلة تصلهم بما في الدنيا من أرقى معاني الحرية والاستقلال فانعكس في تفكير ذلك الخلف إلى بلادة تفيض بالخضوع والاستسلام ، حتى كنت لا تمس في ذلك الجسم الطويل الممدود في أفريقية وآسيا من معاني الدين إلا الحسرة على مجد كان لهم ، والبكاء على سلطان ضاع من أيديهم ، وإنهم لفي يأس من رجعة ذلك إليهم ، كأن ما ذهب قد ذهبت الأيام بحقيقته ، فكان هذا مما فتح الباب لبعض المستشرقين في اتهام الدين الإسلامي في طبيعته وتعاليمه ، فقرروا أنه هو الذي أفضى بالشعوب الإسلامية في الشرق إلى ما هم فيه من الانحطاط ، وأن عقيدة القضاء والقدر هي التي أدت بهم إلى البلادة والخمول والاستسلام ، ومن العجيب أن هذه التهمة الباطلة المغرضة قد راجت في الغرب ، وجازت على بعض أبناء الشرق ، على الرغم من أنها ظاهرة البطلان ، واضحة البهتان ...

كانت تركيا تحمل لواء الخلافة الإسلامية ، وتبسط جناح السيادة على أقطار الشرق العربي فيما تحكم من الأقطار والأمارات ، ولكن تركيا كانت تعنى بأملاكها في أوربا أكثر مما تعنى بشؤون الشرق العربي وشؤون أقطاره ، ولم تكن لها صلات صحيحة تقوم على المودة بين أبناء العروبة ، ولم تكن ترعى حقوق الرابطة الإسلامية كما يجب أن تكون الرعاية ، بل لقد صارت سياستها في الشرق آخر الأمر مثلا شروداً في الظلم وخنق روح القومية

بين أبناء الأقطار العربية ، والاستبداد فى القضاء على كل مظهر من مظاهر الاستقلال والتعاون بينهم ، وعند ما تنمر الاستعمار الأوربى وأخذ يتطلع لافتراس ممتلكات تركيا أو الشيخ المريض كما كانوا يقولون ، لم تبادر تلك الإمبراطورية المتداعية إلى تدارك هذا الأمر برأب الصدع وإقامة جبهة إسلامية قوية فى الشرق لمواجهة هذا الخطر ، ولقد أراد السلطان عبد الحميد أن يحقق هذه الغاية استجابة لدعوة السيد جمال الدين ، كما سنشرح ذلك فيما بعد ، ولكنه أخفق ، لأنه أراد أن يقيم هذه الوحدة لا من حول تركيا ولا من حول الفكرة الإسلامية ، بل من حول شخصه هو ، فالتاث عليه الأمر ، وجرت الأحوال فى طريقها المحتوم ، وانطلقت الدولة فى سياسة الأقطار العربية على أساليبها الفاسدة ، وخططها الجامدة ، فكان ذلك مما عجّل بتقلص ظلها عن الشرق ، فاحتل الفرنسيون تونس فى سنة ١٨٨١ ، واحتل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ ، ثم أغارت إيطاليا على طرابلس فى سنة ١٩١١ ، ثم وثبت فرنسا مرة أخرى فاستولت على المغرب فى سنة ١٩١٢ ، ثم قامت الحرب الماضية فكانت نهايتها نهاية تركيا فى حكم الشرق العربى جميعه ...

الهزة الأولى ...

ولعل حملة نابليون على مصر كانت أول هزة هزت أقطار الشرق العربى ، وحركت من وجدانات أبنائه ، فإن تلك الحملة كانت كما يقول « كلوت بك » أشبه شيء بصاعقة هوت من السماء على الشرق ، فأيقظته منزعجاً من سباته الطويل العميق ، إذ كانت الأساليب العتيقة فيه قد بقيت إلى ذلك العهد على حالها لم يتناولها تغيير ولا تبديل ، وكانت الدولة العثمانية قائمة بحروب طويلة ضد الروسيا والنمسا ، ففازت بالنصر تارة وباءت بالخذلان أخرى ، لكن هذه الحروب لم تغير شيئاً من أفكارها العتيقة ، وكانت الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية تعتقد أنها بعيدة المنال على من يرومها بفتح أو قهر ، وأنه لا يمكن أن يوجد على سطح الأرض دولة تبلغ مبلغها عزاً ومنعة لأن ذكرى الفتوحات القديمة كانت لا تزال عالقة بأذهانهم .. »

لهذا كله كانت تلك الحملة هزة هزت أعطاف الشرق العربى ، واتجهت به وجهة جديدة مغايرة ، ولم تكن تلك الحملة بما يكتنفها من الظروف والملابسات موجهة إلى مصر فحسب ، ولكنها كانت تريد أن تتخذ من ذلك باباً إلى أقطار الشرق جميعها ، وإذا كانت تلك الحملة قد فشلت من الناحية الحربية والسياسية ، فإنها لا شك قد نجحت من الناحية العلمية والفكرية ، وكانت الاتجاهات التى اتجه إليها نابليون فى إنشاء المجالس النيابية والوطنية ، مما فتح الأعين وهز النفوس بالتشوق إلى وضع جديد من أوضاع الحكم يقوم على الشورى والرأى ، وأكثر من ذلك فقد وقف أبناء الشرق بواسطة هذه الحملة على ما دعت إليه الثورة الفرنسية من مبادئ سياسية وغايات اجتماعية فى تحقيق العدالة والإخاء والمساواة ، فكان لهذا كله أثر فى الأفكار والميول ظهر فيما بعد ..

محمد على والوحدة ..

وتم الأمر لمحمد على باشا فى حكم مصر والاستقلال بها عن الدولة العثمانية ، وقد كانت لذلك العاهل العظيم مطامع وآمال كبار فى إقامة إمبراطورية عربية شرقية تقوم على أطلال الإمبراطورية العثمانية المتداعية ، أو على الأقل تقوم تجاهها فى الشرق حفظاً للتوازن الذى يجب أن يقوم أمام الغرب الطامع ؛ والتى كانت الحملة الفرنسية نية من نياته المتحفزة المتنمرة ، وكان محمد على يرى أن تحقيق آماله هذه منوط بشيئين أساسيين : سطوة السيف ، وقوة العلم ، ومن ثم فقد أرسل بجيوشه الفتية تحت قيادة ابنه ابراهيم تحقق هذه الغاية فى ميادين الحرب ، كما أرسل بالبعوث العلمية إلى أوربا لتكون سنادة لهذه الغاية ، وتدعيما لسلطان السيف فيما يطويه من الممالك والأمصار ، ولقد سئل إبراهيم باشا عند ما شدد الحصار على عكا وأوشك حصنها أن ينهار أمام قواته : إلى أى مدى ستقف فى فتوحك إذا ما تم لك الاستيلاء على عكا ؟ فقال : إلى مدى ما يتكلم الناس وأتفاهم وإياهم باللسان العربى ، ومما يؤثر عنه أنه كان يقول : أنا لست تركياً فإنى جئت مصر صبياً ، ومنذ ذلك الحين قد مصرتنى شمسها وعبرت من دمى وجملته دماً عربياً ..

إذن كان محمد على يقصد إلى إقامة إمبراطورية تقف حدودها

عند ما يتكلم الناس ويتفاهمون باللسان العربى . وإذن كان ذلك الرجل العظيم يرمى إلى هدف معلوم مفهوم ، وهو إقامة وحدة بين الأقطار العربية بحد السيف وسلطان القوة ، على نحو الإمبراطورية العظيمة التى أقامها الفتح الإسلامى ، والإمبراطورية الممتدة التى أقامها الفتح العثمانى ، فهو لم يتنكب الوضع التاريخى السابق الذى اتخذه مثالا وقدوة فى تحقيق مطامعه ، وقد كاد الأمر يتم له ، لولا يقظة الدول الأوربية وتألبها عليه ، إذ تبينت حقيقة مطامعه وخطر قيام هذه الإمبراطورية العربية على أطماعها فى الشرق ، فتآمرت على تحطيم أسطوله فى معركة « نافارين » ووقفت إلى جانب تركيا تتحداه فى مطامعه ، وتحتم عليه أن يعود أدراجه ، فاستطاعت بذلك أن تغير وجه التاريخ ، وأن تقلب أطماع محمد على رأساً على عقب ، وأن تقضى على آمال ذلك البطل العظيم فى إقامة وحدة عربية أو على التحقيق فى تأسيس إمبراطورية عربية إسلامية . .

وأنت فى الواقع لا تستطيع أن تجد فرقاً يذكر فى تقدير محمد على بين العربية والإسلامية ، فإن الرجل كان يتكلم بقوة السيف ، والذى يتكلم بقوة السيف لا يعنيه غالباً البحث فى الألفاظ والاهتمام بوضع الاصطلاحات والتدقيق فى تحديد الفرق بينها ، كما يصنع الذين يجلسون على المكاتب فيرسمون الخطط ، ويحسبون الخطوات ، ويهتمون فى حسابهم بالأصفار والفروق بين الأصفار ، ويقدرون أن إنشاء الأمم وحياة الشعوب نظرية هندسية يقدر قيامها بالدرجة وأجزاء الدرجة ، إنما كان قصد محمد على كما قلنا إلى تأسيس إمبراطورية تقوم الوحدة بين أجزائها وعناصرها على الوضع السابق فى قيام الإمبراطورية العربية والإمبراطورية العثمانية ، وأنت حر فى نعتها بالعربية أو بالإسلامية أو بالعلوية ، فهذه كلها ألفاظ مترادفة تؤدى إلى مدلول واحد ، وغاية ما كان ينظر إليه محمد على هو وحدة اللسان العربى ، وكأنه كان يريد بهذا إشعار الأقطار التى تدخل حوزته بأنه عربى لأنه يتكلم هذا اللسان ، حتى لا يشعروا بأن حكمه عليهم صورة أخرى من الحكم العثمانى ، وأنه فرع من تلك الشجرة فيؤثروا أن يستمروا على العيش فى ظلال الأصل بدل الفرع ما دام الوضع هو هو لم يتغير . .

اسماعيل والوحدة الافريقية

ودالت دولة محمد على ، أو قل دالت أطماعه فى إقامة الإمبراطورية التى كان يريدها ، فلما كانت أيام اسماعيل باشا ، كانت فى نفس ذلك الخديوى نزعة طموح من نزعات محمد على ، وكانت تتخلله رغبة فى الفتح ، ولكنه كان يقف فى هذه الرغبة عند إقامة وحدة أفريقية تشمل حوض نهر النيل من المنبع إلى المصب ، وما يتصل بذلك من الأقطار القريبة والأمصار التى لا بد منها ، وقد أرسل بعض الحملات الحربية فى سبيل تحقيق هذه الرغبة ، وقد استطاع اسماعيل أن يشغل الأذهان بعض الوقت بمسألة « الوحدة الإفريقية » ، وأعاد سيرة محمد على فى بعث البعوث العلمية ، واندفع فى الأخذ بمظاهر المدنية الأوربية حتى يكون لمصر الصدارة فى ذلك بين الأقطار المجاورة ، ولكن شتان ما بين محمد على واسماعيل ، فقد كان محمد على يجند جميع مرافق البلاد لخدمة جيوشه والإنفاق عليها ، وكانت هذه الجيوش تجلب له ما تجلب من المغانم والأسلاب . ولكن إسماعيل كان يستدين وينفق على حملاته ، وكانت هذه الحملات تأخذ دائماً ولا تعطى شيئاً ، وجرت الأمور معكوسة . وأثقلت الديون كاهل إسماعيل ، وذهبت فكرة « الوحدة الإفريقية » كما يذهب أمس من اليوم ، ومضت وكأنها لم تكن . . .

فآمال محمد على ، وآمال اسماعيل من بعده إنما كانت هزات سياسية ، ونزعات إلى التآلف والوحدة فى ظل القوة والفتح والاستعمار ، فانتهت بانتهاء الظروف التى لابستها ، ولم يكن لها أثر إيجابى فى النفوس ، ولم تنحدر إلى العقول والقلوب عقيدة لها أشياع وأتباع ، ولكنها خلفت وراءها أثرين متقابلين ، وتيارين متضادين ، أحدهما فى الشرق ، وهو تنبه الأذهان ، وتفتح الأفهام ، والطموح إلى حياة المجد والاستقلال ، والتميز الشخصى بين ممالك الإمبراطورية العثمانية ، وثانيهما فى الغرب ، وهو تنبه المطامع ويقظة المآرب فى نفوس الدول الغربية المتحفزة لوضع يدها على تركة الشيخ المريض ، والقيام مقام الدولة العثمانية المتداعية على أقطارها فى الشرق . . .

« للكلام بقية » **محمد فهمى عبد اللطيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٤١ — جعلته عجوزاً في محرابها

في تاريخ الطبري : ذكر عن عمارة بن عقيل أنه قال : قال لي عبد الله بن أبي السمط . علمت أن المأمون لا يبصر الشعر ؟ قلت : ومن ذا يكون أعلم به منه ؟ فوالله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره . قال : إني أنشدته بيتاً فلم أره تحرك له . قلت : وما الذي أنشدته ؟ قال : أنشدته :

أضحى أمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين ، والناس بالدنيا مشاغيل

فقلت له : إنك والله ما صنعت شيئاً . وهل زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها ، في يدها سبحتها ؟ فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها . هلا قلت فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال : الآن علمت أني قد أخطأت .

٦٤٢ — شهود طبقات

في (محاضرات الأدباء) : قال سهل بن دارم : كان في البصرة شيوخ يشهدون بالزور ، وشرط بعضهم درهم ، وآخرون يشهدون وشرطهم أربعة ، وآخرون شرطهم عشرون درهماً . فسألت عن ذلك فقالوا : أصحاب الدرهم يشهدون ولا يحلفون ، وأصحاب الأربعة يشهدون ويحلفون ، وأما أصحاب العشرين فيشهدون ويحلفون ويباهتون[1] .

٦٤٣ — خذها فاشتر بها زيتاً

كان ابن الدقق الأندلسي الشاعر المشهور يسهر في الليل ، ويشتغل بالأدب ، وكان أبوه فقيراً جداً ، فلامه وقال له : نحن فقراء ، ولا طاقة لنا بالزيت الذي تسهر عليه . فاتفق أن برع في الأدب والعلم ونظم الشعر فقال في أبي بكر عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة منها :

ناشدتُكَ الله نسيمَ الصَّبا أنَّى استقرت بعدنا زينب ؟
لم تسرِ إلاَّ بشذا عَرفها أولاً ، فماذا النَّفَسُ الطيب[1]
إيه وإن عذبني حُبُّها فمن عذاب النفس ما يعذب[2]

فأطلق له ثلاث مئة دينار فجاء بها إلى أبيه وهو جالس في حانوته مُكبّ على صنعته فوضعها في حَجْره[3] وقال : خذها فاشتر بها زيتاً ...

٦٤٤ — أستعين بالله عليكما !

وقف أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون بين يدي المأمون ، وخرج يحيى بن أكثم من بعض الأماكن فوقف ، فقال له المأمون : اصعد ، فصعد وجلس على طرف السرير معه . فقال أحمد : يا أمير المؤمنين ، إن القاضي يحيى صديقي ، وممن أثق به في جميع أموري ، وقد تغير عما عهدته منه .

فقال المأمون : يا يحيى إن فساد أمر الملوك بفساد خاصتهم ، وما يعد لكما عندي أحد ، فما هذه الوحشة بينكما ؟ !

فقال له يحيى يا أمير المؤمنين ، والله إنه ليعلم أني له على أكثر مما وصف ، ولكنه لما رأى منزلتي منك هذه المنزلة خشي أن أتغير له يوماً فأقدح فيه عندك ، فأحب أن يقول لك هذا ليأمن مني ، وإنه والله لو بلغ نهاية مساءتي ما ذكرته بسوء عندك أبداً .

فقال المأمون : أكذلك هو يا أحمد !

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : أستعين بالله عليكما فما رأيت أتم دهاء ولا أعظم فتنة منكما .

---

(١) باهته : حيره بما يفترى عليه من الباطل ، وقد تكون المباهتة في ذلك الزمان مثل مناقشة (المحامين) في هذا الوقت . . .

(١) الشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة

(٢) إيه : كلمة يراد بها الأستزادة وهي مبنية على الكسر فاذا وصلت نونت فقلت إيه حدثنا (النهاية) قال ابن السرى : إذا قلت إيه يارجل (غير منون) فانما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما ، وإن قلت إيه بالتنوين فكأنك قلت هات حديثاً ما (التاج) قال ابن سيدة : هذه الأصوات إذا عنيت بها المعرفة لم تنون وإذا عنيت بها النكرة نونت (اللسان)

(٣) الحجر — بالفتح والكسر — حضن الانسان (التاج) وفي (المصباح) بالفتح وقد يكسر

٦٤٥ — شهيد . . .

فى (الأغانى) : قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه : ما أخرك عنا ؟ قال : موت أخى . قال : بأى علة ؟ قال : عضت أصبعه فارة فضربته الحمرة .

فقال محمد : ما يرد القيامة شهيد أخس سبباً ، ولا آنزل قاتلاً ، ولا أضيع ميتة ، ولا أظرف قتلة من أخيك ...

٦٤٦ — فشكرت رضواناً ورأفة مالك

قال أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فى أبى القاسم هبة الله بن الحسين الأهوازى الحكيم وقد أضافه وأدخله بستانه وداره وحمّامه :

وافيت ساحته فلم أر خادماً إلا تلقانى بوجـه ضاحك
ودخلت جنته ، وزرت جحيمه فشكرت رضواناً ورأفة مالك
والبشر فى وجه الغلام أمارة لمقدمات حياء وجـه المالك

٦٤٧ — ... وأنا آكل عيونهم

فى (نفح الطيب) : حضر القاضى أبو الوليد هشام الوقشى يوماً مجلس ابن ذى النون[١] فقدّم نوع من الحلوى يعرف (بآذان القاضى) فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التندر عليه[٢] ، وجعلوا يكثرون من أكلها . وكان فيما قدم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى (عيون البقر) فقال له المأمون : يا قاض[٣] ، أرى هؤلاء يأكلون أذنيك !

فقال : وأنا أيضاً آكل عيونهم ، وكشف عن الطبق ، وجعل يأكل منه . وكان هذا من الاتفاق العجيب .

٦٤٨ — فاشدد يديك بها . . .

اشترى رجل من أصحاب يعقوب الكندى الفيلسوف جارية فاغتاظت عليه ، فشكاها إلى يعقوب ، فقال جئنى بها لأعظها ، فجاء بها اليه فقال : يا لعوبة ، ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات ؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات ، على طالبى المودات ، الباذلين الكرائم المصونات ؛ من الموبقات المؤذنات بعدم المعقولات .

فقالت الجارية : أما علمت أن هذه المثنونات ، المنتشرات على صدور أهل الركاكات ، محتاجات إلى المواسى الحالقات ؟

فقال يعقوب : لله درها ! فلقد قسمت الكلام تقسيما فلسفيا فاشدد يديك بها ...

٦٤٩ — سبل الغواية والهدى أقسام

كان عبد الرحمن بن أبى عمار من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، ثم شغف بقينة من مولدات المدينة اسمها سلامة ، وافتتن بها وغلب عليها لقبه ، فقيل لها (سلامة القس) ومن قوله فى فتنة عشقه :

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها
فاعجب لمـا تأتى به الأيـام
فاليوم أعذرهم وأعـلم أنما سبل الغواية والهدى أقسام

٦٥٠ — كلانا على طول الجفاء ملوم

قال ابراهيم بن العباس : ما رأيت كلاما محدثا أجزل فى رقة ، ولا أصعب فى سهولة ، ولا أبلغ فى إيجاز ، من قول العباس ابن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهـد بيننا
كلانا على طـول الجفاء ملوم[١]

(١) لسعيد بن حميد :
تعالى نجدد عهد الرضى ونصفح فى الحب عما مضى

(١) ملك طليطلة وصاحب الأعذار (الختان) المشهور الذى يقال له الأعذار الذنونى وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق وبنوذي النون من أعظم ملوك الطوائف فى الأندلس

(٢) تندر وتنادر عليه من المولد والتندر الفاكهة والمداعبة

(٣) يوقف على المنقوص فى الرفع والجر بحذف آخره أو بقائه وقرىء : وما لهم من دونه من وال ، وقد يوقف على المعرف بحذف آخره . وقرىء : وهو الكبير المتعال

هـــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الراديو المصور فى بيتك

قفز العالم خطوات واسعة عقب الحرب الماضية فى ميادين العلم والاختراع ، فتناولت أيدى الناس أدوات كانوا يعتبرون الوصول إليها حلماً عسير التحقيق . ويبنى عهد مابعد الحرب الحالية بخطوات أوسع ؛ فالتقدم العلمى عدة المتحاربين وسلاحهم الخطير فى مفاجأة خصومهم ، حتى قال أحد كبار الساسة إنها حرب علمية ، وحرب مخترعات واكتشافات .

ومن الخطوات الحاسمة التى خطتها هـذه الحرب التحكم فى موجات الأثير ، فأدخلت كثيراً من التحسينات على أجهزة اللاسلكى مما سمعنا عنه فى توجيه القنابل الطائرة والصواريخ . ومنها أيضاً حديث الراديو المصور (التليفيزيون)

فتصور أنك جالس فى دارك ، وبضغطة خفيفة من أصبعك على زر صغير تعرض أمامك على شاشة صغيرة ما يمثل من المسرحيات فى دار الأبرا الملكية ، فتسمع أصوات الممثلين والممثلات ، وترى حركاتهم ومناظرهم بالألوان الطبيعية ، كما لو كنت جالساً فى قاعة الأوبرا .

لم يعد هذا حلماً ، بل هو حقيقة واقعة تستعد شركات اللاسلكى لتقديم أجهزته إلى الناس بعـد الحرب . تمت الكثير من أبحاثه ولكنها لا تزال من الأسرار العسكرية التى لا تباح إذاعتها . ولا تختلف نظرية نقل الصور عن زميلتها نقل الأصوات كثيراً ، فى كلتا العمليتين تتحول الإشارات الصوتية أو الضوئية إلى إشارات كهربائية تتنقل فى الأثير .

فإذا تجاوزنا عملية نقل الأصوات بحكم وجود آلات الإذاعة بيننا فإننا نلخص عملية نقل الصور فى ثلاث مراحل :

١ — تحويل الإشارات الضوئية إلى إشارات كهربائية .

٢ — نقل الإشارات الكهربائية إلى مسافات بعيدة .

٣ — إعادة الإشارات الكهربائية إلى إشارات ضوئية .

ولم تكن هذه المسائل الثلاث من الأمور الهينة ، فقد كان من السهل تحويل الإشارات الصوتية إلى إشارات كهربائية ، لما بين الإشارتين من صلة وثيقة عرفها الإنسان من زمان بعيد واستعملها فى التلغرافات والتليفونات بمساعدة المغناطيس .

ومن المعروف أن كل جسم يشع ضوءا يختلف باختلاف لونه ، فكمية الضوء المشعة من جسم أسود تخالف مثيلتها من جسم أبيض . وعلى هذا الأساس تحول الإشارات الضوئية بانعكاسها على أجهزة حساسة للضوء يسمونها الخلايا الضوئية ، تصنع موادها من مركبات معدنية شديدة الحساسية .

وهذه الأجسام تتأثر بكمية الضوء المنعكسة عليها وتقلبها إلى إشارات ضوئية تنشر فى الأثير بأجهزة خاصة حتى إذا تلقاها جهاز استقبال عكس الإشارات الكهربائية بنفس الخلايا الضوئية إلى ألوان تراها العين المجردة .

وعملية إرسال الصور الملونة أكثر تعقيداً من عملية إرسال الأبيض والأسود ، ففى الحالة الثانية ترسل الصورة مرة واحدة . أما فى الصور الملونة فترسل الصور ثلاث مرات كما قال جون بيرد مكتشف الراديو المصور .

فقد وجد بالدرس أن أكثر الألوان أساسها ثلاثة : الأحمر والأزرق والأخضر . فترسل فى أول الأمر الانعكاسات الحمراء وحدها ، ثم الزرقاء فالخضراء ، ولأن سرعة إرسالها شديدة جداً فإن العين لا تدرك اختلاف أوقات إرسالها بل تندمج الألوان الثلاثة فى بعضها البعض مكونة الانعكاسات المطلوبة

مطاط من اللبن

يستعمل حامض اللبن كعنصر أساسى فى إنتاج المطاط الصناعى ، فبإضافته إلى مواد أخرى ينتج عجائن (باغة) مختلفة وهذه تحول إلى مطاط .

وحامض اللبن هو المادة التى تسبب حموضة اللبن ويمكن الحصول عليه بكثرة من مصانع منتجات اللبن من جبن وزبد وغيرها

رطل جبن يكفى ٢٥ شخصاً

من المشاكل التى تواجهها السفن ضيق المساحة اللازمة لشحن البضائع والمعدات المطلوبة . وقد صـنع أحد مصانع اللبن آلة كلفتها ٥٠٠٠ جنيه لتضغط الجبن وتخلصه من المياه التى يتشبع بها فيكفى الرطل منها ٢٥ شخصاً ، وتنتج هذه الآلة ١٨٠ قرصاً فى الدقيقة الواحدة

المربع بدل المستدير

استبدلت شركات اللبن بالزجاج المستدير آخر مربعا . فقد وجدت أن الزجاج المستدير يحتاج لمساحة واسعة ، فالثلاجة التى تتسع لخمس وعشرين زجاجة مستديرة تتسع لـ ٣٦ مربعة . ووزن الزجاجة المستديرة ١٨ أوقية بينما وزن المستديرة ٢٢ أوقية

أضخم رافعة «ونش» في العالم

شيد فى وادى تنيس بالولايات المتحدة أضخم آلة رافعة مزدوجة لرفع الأثقال وارتفاعها عن قاعدتها ٠٠٠ قدم . ويستطيع كل من ذراعيها حمل ثقل وزنه ٢٣ ألف رطل ونقله إلى أية مسافة على بعد ١٥٠ قدماً من المركز . وهى مجهزة بأدوات كهربائية تساعد على سرعة تحميلها ، وتتحرك بحمولة كاملة بسرعة ٣٧٥ قدماً فى الدقيقة فإن كانت فارغة تحركت بسرعة ٧٥٠ قدماً فى الدقيقة .

لإصلاح الإطارات

تستعمل القوات العسكرية آلة كهربائية تصلح إطارات السيارات الخارجية وتقوى مطاطها بالتسخين الداخلى . وهذه العملية لا تؤثر على الجزء الداخلى للأطار ، وتضيف هذه العملية إلى عمر الإطار ١٠٠ر٠٠٠ ميل ، ووزن الآلة ٥٠٠ رطل فقط .

المقاعد تحول إلى أسرة

أضيفت بعض الأجهزة التى تساعد الطائرات فى الهبوط إلى الأرض إلى أسرة المرضى فى المستشفيات . فيتيسر للمريض بضغطة صغيرة من أصبعه على زر خاص أن يحول السرير إلى مقعد مريح جداً دون أن يتحرك من مكانه

ويقترح بعضهم إضافة هـذا الجهاز إلى مقاعد الطائرات وعربات السكك الحديدية فيتاح للركاب فى الأسفار الطويلة تحويل مقاعدهم إلى أسرة ينامون عليها إن أتعبهم الجلوس .

ويقترحون أيضاً استعمال ستائر نوافذ العربات على نظام متحرك فإن أراد المسافر أو المسافرة الاختفاء عن عيون بقية الركاب حرك الستائر التى خلف مقعده والتى أمامها فتكون لمقعده غرفة صغيرة .

دبابة الأعماق

صنعت دبابة تستطيع السير فى قاع المحيط تحت طبقة من الماء عمقها ٢٠٠٠ قدم . والغرض منها إخراج كنوز البحار . وتسع هذه الدبابة رجلين لقيادتها ولالتقاط مايصادفها ، فلها أيد خارجها تتحرك بآلات من الداخل ، ويستطيع قائداها البقاء داخلها من ١٠ إلى ١٢ ساعة على أن يستعملوا أوعية أكسوجين ، وبذلك يستغنون عن أنابيبه المتصلة بسطح الماء . ويسهل إنزال هذه الدبابات ورفعها من سفن الإنقاذ .

تعب المعادن

اخترعت آلة لطرق سطوح المعادن بسرعة كبيرة فتمنعها من الكسر . فكثيراً ما تتعرض معادن بعض الأدوات لضغط أكثر من احتمالها « فيتعب » الحديد حتى إذا عرض للضغط مرة أخرى كسر . ولكن طرقه المتوالى بهذه الآلة يجعل سطح المعدن يتداخل فى بعضه . وتمتلئ الفراغات التى قد تحدث من ثنيه فيتحمل العمل أضعاف المدة المقررة له .

صلب ينافس الخشب

تمكن المخترعون من الحصول على نوع جديد من الصلب الخفيف الذى ينتظر أن ينافس الخشب ويفوقه فى بناء منازل ما بعد الحرب ، فمن مميزات هذا الصلب أنه غير قابل للاحتراق ، وأكثر مقاومة من الخشب ، وأقل ثمنا ، كما أنه يساعد على سرعة البناء . وقد صنعت منه عدة منازل ، وصدرت إلى أنحاء العالم المختلفة حيث تشيد هناك فان أريد نقلها إلى مكان آخر فكت ونقلت .

الصور الملونة بالبرق

سجلت إحدى الشركات اختراعا ينقل الصور الملونة بالأجهزة السلكية أو اللاسلكية إلى أية بقعة من أنحاء الأرض . وترسل هذه الصور بالطريقة العادية لنقل الصور ذات اللون الواحد ولكن فى ثلاثة ألوان مختلفة . وهى الألوان المستعملة فى الأفلام الملونة . وبهذه الطريقة نستطيع الصحف إعدادها للطبع بمجرد تسلمها

دراجة رخيصة

صنع أحد الأمريكيين دراجة تسير بسرعة ٣٠ ميلا فى الساعة ويتكلف سيرها ساعة كاملة أربعة قروش . وهذه الدراجة ذات ثلاث عجلات يسهل تسييرها بالبدالات كما يسهل تسييرها بالكهرباء وقوة محركها ربع حصان ، ويمكن تشغيله فى أقسى درجات البرودة . وقد كلفه صنعها بأكملها تسعة جنيهات ونصف ولها فى مؤخرتها سلة توضع فيها الأشياء التى يراد حملها ولو كانت طفلا .

لتفريغ شحنة الطائرات

استنبط أحد المخترعين سيارة لشحن حمولة الطائرات أو لتفريغها فى دقائق . فلهذه السيارة سطح مرتفع يعلو ويهبط تبعا لارتفاع باب الطائرة . وبنفس هذا السطح حصير يدور إلى أعلى أو إلى أدنى بأجهزة آلية ، فاذا أريد تفريغ الطائرة أدير إلى أسفل وإذا أريد شحنها أدير إلى أعلى فتوضع الأمتعة أو البريد على الحصير فيرفعها أو يهبط بها .

علاج الجنون بالكهرباء

وفق الدكتور جورج تومبسون إلى علاج بعض حالات الجنون المعروفة بالشيزوفرانيا (انقسام الشخصية) بواسطة الصدمات الكهربائية فى المخ . فبعد أن يسلط على المريض التيار الكهربائى يستغرق فى النوم لمدة سبع دقائق يفيق بعدها وهو أحسن حالاً .

وكانت حالات الجنون تعالج من قبل بواسطة صدمات الأنسولين ولكنها كانت فى بعض الأحيان تقتل المرضى . ويقول الدكتور تومبسون إن ٧٦٪ من الحالات التى عالجها شفى أصحابها ولم يمت من الألف حالة التى أجرى عليها تجاربه مريض واحد . كما أنها لم تؤد إلى زيادة حالة المرض أو إلى تعقيدات أخرى

عشرون مليونا بدون مأوى

يقدر عدد الأشخاص الذين يحتاجون إلى مأوى عقب هذه الحرب بعشرين مليوناً من الأنفس ، ويقدر من يشتغلون فى تشييد منازلهم بمليون ونصف مليون من العمال يربحون مالا يقل عن ٢٠٠ مليون من الجنيهات .



المنسوجات

فى عهد الخلافة الاسلامية

للدكتور ر . ب . سارجنت

[بقية ما نشر في العدد الماضى]

. وكما كانت بغداد مركز الصناعة ، كانت كذلك مركز الأناقة فى الزى . وفى كتب الأدب العربى كتب وفصول تبحث فى آداب البلاط الملكى وأزياء أهله ، نجد ذلك مثلا فى كتاب اللطائف والمعارف للثعالبى ، كما نجد خير نموذج له فى كتاب الموشى لمؤلفه الوشاء ، وهو يحتوى على قسم خاص بثياب المتأنقين والحلل التى يرتديها ذوو المناصب . فني صفحة ١٢٤ (من الطبعة التى حررها برونوف) يقول : « واعلم أن ثياب ذوى الفضل ، والشجاعة ، وأهل العلم ، تتألف من القمصان الرقيقة والقمصان الغليظة المصنوعة من أنواع فاخرة من الكتان الناعم الصافى الألوان كالدبيقى والجنابى ... ويعد من سوء الرأى ارتداء ثياب ذات ألوان قبيحة مصبوغة بالطيب والزعفران كالملحم الأصفر والدبيقى المضرج بالعنبر ، لأن ذلك لباس النساء ولباس الراقصات والخادمات » . ويصف الوشاء كذلك ماينبغى للنساء فى آداب الثياب ، ولعل أفضل ما يوضح لنا كيف أن بغداد كانت عاصمة عالية فى حياتها هو تلك القوائم التى يذكرها للمنسوجات ، والتى تحتوى على قمصان دارا بجرد فى بلاد فارس ، ومطارف سوس ، وجباب فرس ، والمنسوجات الاسكندرانية والخراسانية ، وعباءات عدن ، والنسج الأرمنى المشهور ، والأحذية الزنجية ، أو اليمنية أو الهندية الواردة من كامباى . وكثيراً ما كانت الثياب تطرز بأنواع شتى من الكتابة العربية . فدراعة هارون الرشيد مثلا كانت محلاة فى أحد جانبيها بكلمة « حاج » ، وفى الجانب الآخر بكلمة « غاز » . على أن هذه العبارات التى كانت تحلى بها الثياب كثيراً ما كانت أبياتاً من الشعر الناطق بالظرف والدعابة كالبيتين التاليين اللذين كانت تحلى بهما عصابتها إحدى الجوارى على ما يرويه صاحب كتاب العقد الفريد :

تمت ، وتم الحسن فى وجهها . فكل شىء ماسواها محال :
للناس فى الشهر هلال . ولى من وجهها فى كل يوم هلال .

ويمكننا أن نتصور فخامة الأثاث فى بلاط بنى العباس من الثبت الذى ذكره ابن الخطيب للسجوف والطنافس التى شاهدها فى حفل استقبال الخليفة المقتدر لسفير بيزنطة سنة ٣٠٥ هجرية فقد اشتمل ذلك الثبت على مطرزات ذهبية فيها صور جمات ، وفيلة ، وخيول . وجمال وحيوانات برية ، وطيور ، إلى غير ذلك ، وهو لون من الفن توارثه فنانو العرب واستعملوه فى العهود المختلفة بنجاح عظيم ، وكان يمتزج بهذه الأصناف كلها المنسوجات الصادرة من الصين والهند ورومية . وهى منسوجات كانت مشهورة عند أهل الشرق الأوسط .



(شكل ٣) قطعة من زخرفة حريرية ترجع إلى العصر الفاطمى حوالى ١٠٠٠ م

ومع أنه ليس من الممكن أن نتناول هنا بالتفصيل ذكر سائر بلاد الخلافة فإن مصر وفارس خليقتان بذكر خاص . فى مصر تنيس ، ودمياط ، ودبيق ، وعدد آخر لا يحصى من البلاد الصغيرة بمنطقة دمياط والأبوانية . تصنع وتصدر كميات من التيل ؛ بل إن كسوة الكعبة تصنع عادة هناك منذ أيام الخليفة

عمر بن الخطاب ؛ وأنا أعتقد أن القباطي التي كانت تستعمل في الكسوة كانت في الحقيقة مصنوعة في هذه المدن . وكذلك كانت الفيوم مركزاً لنشاط صناعي عظيم ، وكانت تحتوي على عدة مصانع للطراز . وكانت مصر تستورد منسوجات من الخارج. ويمكننا أن نقتبس بهذا الصدد شعر بهاء الدين زهير في التاجر البغدادي في القاهرة :

دخلت مصر غنياً — وليس حلى بخافى —
عشرون حمل حرير ، ومثل ذاك نصافى ،
وجملة من لآل وجوهر شفاف .


(شكل ٤) قطعة من الحرير المخطط عليها كتابة عربية .

وكان من النطرون والشب اللذين كان يستعملها الصباغون كان يوجد في مصر وكان يصدران إلى أقطار أخرى . ويروى لنا ابن مماتي أنه كان هناك طلب كثير للشب في بيزنطة . . وهو يصف لنا إدارة الإحتكار الحكومي لهذه المادة في القرن السادس الهجري . وكانت مناجم الشب في صحراء الصعيد ، وكانت هذه المادة تحمل في النيل إلى الوجه البحري ومنه إلى الاسكندرية . وكان النطرون يستخرج طبعاً من وادي النطرون . كما كان الأمر على عهد قدماء المصريين ؛ وكان النطرون احتكاراً حكومياً كذلك ، ونجد أنه كان يباع في مدن دمياط وتنيس وأمثالها . وما زال النطرون يستخرج حتى اليوم في مصر . وتستغله شركة أسست في آخر القرن الماضي .

وكانت بلاد فارس شهيرة بمصنوعاتها النسيجية في عهد الخلافة ، سواء في ذلك ما كان منها تحت إدارة الحكومة وما كان تحت إدارة الأفراد ، غير أنه بينما ظلت التقاليد الفنية متواصلة بدون انقطاع في مصر ، كان لفتح المغول لبلاد فارس أثر في إدخال عدة عوامل جديدة على تلك الصناعة . فلم يكن عمل المغول مقتصراً على تخريبهم عدة مدن قديمة وبعثرتهم للنساجين في آسيا الوسطى حتى بلاد الصين ، بل إنهم بنوا أو أعادوا إنشاء مدن جديدة هامة جلبوا لها صناعا من سائر أنحاء آسيا والعاهلية الصينية . كذلك نقلوا الصناع الفنيين من مكان إلى آخر في داخلية البلاد الاسلامية . وهناك رسالة من رشيد الدين ، الوزير المشهور للسلطان غازان خان ، يطلب فيها إرسال نساجين من أنطاكية ، وسوس ، وطرسوس . إلى تبريز إحدى حواضر المغول . ويبدو لي أن التقاليد الفنية الفارسية أصبحت ، منذ تلك الحقبة ، تزداد تميزاً واختلافاً عن نظيرتها في القسم الغربي للثقافة الإسلامية

ولا يتسع لي المقام هنا أن أعرض لمصنوعات مدن البلاد التي تسمى الآن بتونس ، ولا للمنسوجات الأندلسية التي خلفت آثاراً كبيرة في المنسوجات الأوربية ، ولا لمصنع الطراز في بلرمو الذي عادت إليه الحيلة فيما بعد على يد النورمان الفاتحين . ولعل هذه النظرات في الصناعة وتقاليد الزى في العاهلية الاسلامية في أثناء ستة القرون الأولى من حياتها ، تنقل إلى القارىء صورة ما عن تلك الحضارة الثرية المبتكرة التي مازال تراثها في أوربا باقيا حتى اليوم .


(شكل ٥) قطعة من حرير قبطي يمثل الفروسية يرجع إلى القرن الثامن م .

(عن مجلة الأدب والفن الانكليزية) ر . ب . سارجنت

الوحدة الكبرى

للأديب محمد سليم الرشدان

أمة العرب : يا ابنة المجد عودى — وانشرى لللأنام عهد الجدود
فى ثنايا ردائك السابغ المعـ — ـطار . فخرُ العَلاء والتخليد
والأزاهيرُ ناديات على ها — مك ِ نعلوه شارة التمجيد
أنت أغرودة الزمان وفى ذكـ — ـرك يحلو لديه عذب النشيد
أنت قيثارة الخلود ومن فيـ — ـك تعالى فى الدهر صوت الخلود
لن تهونى وفى بنيك الميامـ — ـن دماء ، وأنت بيت القصيد
نحن أبناؤك الألى ندفع الضيـ — ـم ونمشى على شفار الحديد
نبذل النفس طائعين لإسعا — دك يا أمة الفخار التليد
لتعيدى مجداً بناه الغطاريـ — ـف أباة من الكماة الصيد
فانهض يا ربيبة العزّ والرّفـ — ـعة : عودى إلى المفاخر ، عودى!
وانفضى عن جفونك الحُلم المفـ — ـزع من بعد رقدة وهجود
وانظرى مسرح الأشاوس فى اليرـ — ـموك ، مثوى فيالق ابن الوليد
يقذف الروم بالكتائب والأقـ — ـران من كل فارس صنديد
فإذا هم قد صيروا ساحة الحر — ب هشيماً من القنا المخضود
وأعادوا الرومان ما بين مصرو — ع ، وعانٍ يجرُّ فَضلَ القيود
أمة العرب لا تنام على ضيـ — ـم ولو كان فى جنان الخلود
وانظرى : هل ترين فى الأفق النا — ئى قتاماً من الوغى المعقود ؟ !
ذاك سعد تشبّ الحروب على كسـ — ـرى ، ووافى بجحفل وعديد ..
يدمغ الباطل المهين فيُزجيـ — ـه ويُنحى عليه بالتهديد
ويثل العرش المكين . وهل كا — ن يفلُّ الحديد غير الحديد ؟
سرحى الطرف بعد ذلك واجتا — زى خراسان ثمَّ فى التصعيد
وابلغى إن أردت مزدحم الأفيـ — ـيال ، وأتى هناك أرضَ الهنود
أو ما تبصرين فى حومة الحر — ب غلاماً ينقضُّ كالجلمود ؟ !
لا يغرّنك أنه الأسدُ الورْ — د بسربال يافعٍ أملود
يهتف الجند باسمه حيث ترتجّ (م) — لأصواتهم أعالى النجود
إن ذيالك الهمام هو ابن الـ — ـقاسم الفذ فى العراك الشديد
يطأ الهندَ بعد ما وطأ السنـ — ـد ويغزو فى كل قطر بعيد
يبتنى بالشبقَ مع قتيبة من أو — ـل فى الصين كل قرم عنيد
هكذا تنجبين يا أمة العر — ب ، وذا كم من نسلك المحمود
ليت شعرى . هل تسمعين من الغر — ب صدًى من صواعق ورعود ؟ !
ذاك لو تعلمين عقبة ! إذ أقـ — ـدم إقدامَ ضيغمٍ مفؤود
والذى تسمعين حمحمة الخيـ — ـل وزحفُ الجنود إثر الجنود
وازدحامُ الخميس فى جانب الأطـ — ـلس من بين سيفه والصعيد
والأهازيج داويات من الأبـ — ـطال إثر الغناء والترديد
واندحار العدوّ أرهبه المو — ت فألوى ينساحُ عرض البيد
هكذا شيّد الأباة ومن كال — ـعرب يبنون صرح مجد عتيد؟!
أمة العرب : يا سليلة أمجا — دٍ توالت فى مشرقات العهود
أو ما حدثوك عن يوم لذريـ — ـق وأعظم بيومه المشهود ؟!
أو لم تسمعى عن البطل الفا — تك مذكى السفين خلف البنود ؟!
هاتفاً فى الرجال : دونكم البحـ — ـر !! وإلا فانحوا طريق الخلود !
فإذاهم يستبسلون لدى المو — ت ! وطوبى لكل حرّ شهيد
كبّروا فاستحال فى أذن الجو — زاء تكبيرهم زئير أسود
وانتضوا خلف طارق فإذا بالـ — ـقوط ما بين هالك وشريد
وإذا بالإسلام ينشرُ جنحيـ — ـه بظل الخليفة الممدود
وإذا بالإسبان تستقبل البشـ — ـرى بصوت المؤذن الغرّيد
هكذا سوف نبتنى الوحدة الكبـ — ـرى ونمشى على غرار الجدود
هكذا يُطلَب الفخارُ ! فلا ما — ت على الذل مقلة الرعديد ...

(القدس)

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الأدب والساميات



بين شاعرين

(عرف القراء بفجيعة الأستاذ عزيز بك أباظه في زوجته من مجموعة أشعاره «أنات حائرة»، وقد عرفوا أخيراً فجيعة الأستاذ عبد الرحمن صدقى من أشعاره التي يوالي نشرها هنا وفي الثقافة. وفيما يلي كلمة أرسلها إلى زميله، وهي عامرة بروح التقدير الكريم والمشاركة في الألم الوجيع)

عزيزى الأستاذ عبد الرحمن:

تتبعتُ قصائدك التى تنشر فى الرسالة والثقافة. وما أظنها قصائد بالمعنى المفهوم، ولكنها دموع العين والقلب معاً تقطر فى أصدق تعبير وأشرفه — ولكنها الحشاشة الذائبة والنفس المنصهرة تترقرق فى أنصع الشعر وأسماه.

وما من شك أن هذه اللوعة التى تحترق بها أنت، قد اهتز لها فى آفاقه الشعر الباكى، وابتهج بها فى محيطه الأدب الحزين. فلقد أضفت إلى صحفها التى طهرتها الآلام صحفاً أخرى تفىء بأنبل الألم وفى الألم لذة مشرقة تستشعرها النفس وهى تكتوى بناره، وتراح لها الروح وهى تنزى فوق أواره.

أما أنا، فلى شأنٌ مع دموعك، شأن غيرشأن الناس. فلقد رثيت لها أكثر مما رثى الناس. ذلك أننى فهمتها أكثر مما فهمها الناس. ثم إذا دموعك أو قصائدك قد امتزجت بأحناء نفسى وأعراقها حتى لأوشك أن يتسرب بعضها فى بعض.

ثم زدتُ فأوشكتُ أن أدعى لنفسى منها هذه المقطوعة الدامية أو ذلك البيت الأثيم ... ولِمَ لا أفعل، إذا كنت أجد فيها صدى نفسى، وأسمع فيها همسها وزفيرها، وأستاف منها رائحة الكبد المحترقة. ولقد عرفتُ ومازلت أعرف رائحة الكبد المحترقة.

هل تظننى قائلا لك: «تماسك واصبر»؟

لن أفعل ذلك فأسىء إلى وفائك وحبك

ولن أفعل ذلك فأحرم الأدب من نفحاتك ولفحاتك

كان الله لك، ورضى الله عنها وعنك

المخلص

عزيز اباظه

أسيوط

الجامعة العربية

أصبحت الجامعة العربية أمراً واقعاً، وحقيقة ثابتة. وقد خلصت الجمعيات التى قامت لأجلها، والكتاب الذين دعوا إليها من التخبط فى تعريف غاياتها وتحديد أغراضها. وكذلك اطمأنت نفوس من كانوا يتوجسون من تأليفها، لزعم باطل أو وهم مدخول، بأنها ستكون جامعة إسلامية تناوئ أو تقضى على كل ما هوغير إسلامى. أما الآن فقد وضح أمرها فصار فى وسع كل إنسان أن يقول:

«إن الغرض من الجامعه العربية توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها، وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها»

«وكذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الاقتصادية والمالية، والاجتماعية والصحية، والمواصلات والثقافة، والجمارك والجنسية»

وإذا سأل سائل، الرجال الذين وقعوا وثيقة هذه الجامعة عن رأيهم فيها سمعنا دولة النقراشى باشا يقول باسم حكومة مصر:

«إنها ضرورة تدعو إليها الظروف الدولية فى هذا الوقت. لقد أردتم وأردنا أن تكون هذه الجامعة جامعة سلام ووفاق وهى هذه الصورة التى سوف تراها الدول وتستقبل بها عهداً جديداً للبلاد العربية، أساسه التضامن وحسن التفاهم»

ويقول دولة السيد فارس الخورى باسم حكومة سورية:

«نحن مطمئنون إلى أن هذه البداءة المتواضعة ستأخذ مجراها فى طريق النمو إلى أن تبلغ الهدف الأسمى الذى تتوق إليه نفس كل عربى حريص على وصل مستقبل أمته العتيد بماضيها المجيد»

ويقول دولة سمير الرفاعى عن شرق الأردن:

«إنها الحجر الأساسى للكيان القومى»

ويقول السيد أرشد العمرى عن العراق:

«إن هذا الميثاق لهو الطلقة الثانية للعرب، ولكنها طلقة سليمة هذه المرة، بيد أن الطلقة الأولى لفكرة الجامعة العربية كانت للملك حسين بن على»

ويقول السيد يوسف يس عن الحكومة السعودية :

« إن ميثاقنا سيلقاه الناس بسيطا فى مبناه ولكنه سام فى أهدافه وغاياته ، وأهم ما تستند إليه جامعة دولنا العربية هو حسن ظن بعضنا ببعض »

ويقول السيد كرامى عن لبنان :

« نعلم حق العلم أن هذه الجامعة ليست هى غاية ما يصبو إليه العرب فى مختلف أقطارهم ، ولكنها خطوة مباركة ، بل خطوة كبيرة جبارة نحو تلك الغاية السامية ، أى اتفاق على تأسيس جامعة لدولنا تكون أداة دائمة للتعاون الأخوى الوثيق بيننا »

ويقول عبد الرحمن عزام بك :

« الحقيقة هى أن الجامعة وميثاقها ليست إلا عنواناً لميثاق غير مكتوب ، أخذه علينا آباؤنا ورسلنا من قبل وأخذناه على أنفسنا اليوم »

لقد سجلنا على رجال حكوماتنا أقوالهم لنشهد عليهم ونستشهد بها قريباً .

حبيب الزحلاوى

الإسكندرية فى العصور الوسطى

الدكتور عزيز سوريال عطية ، خير من يجلو لأبناء الاسكندرية ما غمض من تاريخ مدينتهم فى العصور الوسطى ، فقد عرض لمستمعى الحلقة الثانية من سلسلة المحاضرات الإسكندرية ، التى تقيمها وتشرف على الدعاوة لها جمعية الشبان المسيحيين . أقول عرض الدكتور سوريال كيف كانت الإسكندرية فى تلك الآونة كعبة الدنيا ، وعروس الزمان .

ومن أهمّ ما حدّثنا عنه الدكتور المحاضر مسألة الامتيازات الأجنبية ، فقال : إنّ لهذه الامتيازات التى تخلصنا من ربقتها أخيراً ، أصلا فى تاريخ الإسكندرية الوسيطة ، وهو أنّ قد كان ما يعرف فى تلك الآونة ، بالفنادق ، وقصة هذه الفنادق ، تصور لنا كيف كانت تنشأ بأموال النزلاء الأجانب ، على أن تعود ملكيتها إلى السلطان ، وللسلطان بعد ذلك أن يصدر أمره إلى كلّ فئة أن يُقيم كلّ منها فى فندق يشرفون منه على مصالح بلادهم الاقتصادية ، على ألا يعترف لهم بأكثر من صفة الضيافة ! !

فهل يرى الدكتور سوريال أوجه شبه بين هذه الفنادق ، وبين مايعرف اليوم بنظام السفارات ؟

أما تخطيطات الإسكندرية فى العصور الوسطى ، فقد شرحها لنا الدكتور المحاضر شرحاً وافياً ، مستعينا بخرائط كان يُعنى بلفت الأنظار إلى ملاحظتها عند كل نقطة من نقاط بحثه ، فكانت فرصة طيبة ليتابع المستمعون قصة مدينتهم فى إحاطة وعمق ، وكانت آيةً على حرص الدكتور سوريال ، على أن يحيط متتبعو محاضرته بعناصر الموضوع المختلفة من شتى الجهات ، ولقد كان الدكتور سوريال دقيقاً أجلّ الدقة ، فى تحفظه حين كان يحدث عن رأى لم يقل العلم بَعْـدُ كلمته الفاصلة فيه .

ومن أمتع ماحدثنا عنه الدكتورسوريال ، حضارة الإسكندرية الوسيطة ، تلك الحضارة التى تتجلى فى أروع ظواهرها حين نستعرض مراحل الديانات المختلفة ، وآثارها المتباينة ، فيحدثنا الدكتور عن مسجد النبى دانيال حديثاً طلياً عذباً ، متتبعاً تاريخه منذ كان معبداً فى العهد القديم ، إلى أن أصبح مقبرة للاسكندر — فيما يقال — ثم يحدثنا عنه فى صورته الحديثة ، حديث الأستاذ المحاضر الذى ألمّ بأطراف موضوعه .

— وإنى اعتقد أن فى هذا النشاط الفكرى الذى نلمسه فى الإسكندرية الآن ، ظاهرة حيوية جديدة ، توحى بأن ليس من البعيد أن يعيد التاريخ نفسه ، فتصبح الإسكندرية كما كانت ، مشعل الحضارة الجديدة ، حينما تستقر النفوس ، وحين يتطلع الناس إلى مثل عليا جديدة .

الاسكندرية **على حسن حموده**

أكاديمية مصرية للعلوم

تألفت فى القاهرة أكاديمية مصرية للعلوم ، على نظام الأكاديميات العلمية فى أوربا وأمريكا ، وقد جعل مقرها « دار الحكمة » وتشمل بحوثها الآن العلوم الرياضية والطبيعية وعلوم الاحياء .

ويبلغ عدد أعضائها الحاليين تسعة ، روعى أن يكون كل منهم ممثلا لفرع خاص وحاصلا على درجة الدكتوراه فى اختصاصه ، وممن لهم أبحاث علمية مبتكرة معترف بها فى العالم .

وهؤلاء الأعضاء هم — بحسب ترتيب الحروف الأبجدية — الدكاترة : ابراهيم فهمى رجب ، وأحمد زكى بك ، وحسن صادق باشا ، وسعد الله مدور ، وعلى مصطفى مشرفه بك ، وكامل منصور ، ومحمد خليل عبد الخالق بك ، ومحمد رضا مدور ، ويونس صالح ثابت .

وستعقد الأكاديمية أولى جلساتها العلمية فى ٣ ابريل القادم ، ويستطيع من تعنيه المحاضرات التى ستاقى فيها أن يحضرها ، بوصفه زائرا .

وقد وافق معالى وزير المعارف على نشر البحوث التى ستلقى فى الأكاديمية على نفقة الوزارة



ناظر المدرسة

للقصصي الروسي أنطون تشيكوف

ترجمة الأستاذ محمد قطب

كان فيودور لوكيتش سيسوييف — ناظر المدرسة التابعة للمصنع الذي يديره كوليكين — كان يعد نفسه لحفلة الغداء السنوية . ففي كل عام بعد انتهاء الامتحانات كان المدير يقيم حفلا يدعى إليه مفتش المدارس الأولية والممتحنون ويحضره كذلك مديرو المصنع .

وعلى الرغم من الصبغة الرسمية التي كانت لهذه الحفلات فإنها كانت دائماً حافلة بالحياة والمرح ، وكان المدعوون يقضون فيها وقتاً طيباً ناسين ما بينهم من فروق . وكانوا يأكلون حتى يمتلئوا ويشربون ويتحدثون حتى تبح أصواتهم ، ثم يتفرقون في المساء المتأخر وقد انطلقت حناجرهم بغناء صاخب تغطى حدته على ضجيج آلات المصنع !

وقد حضر سيسوييف من أمثال هذه الحفلات ثلاثة عشر إذ كانت قد مضت عليه ثلاث عشرة سنة في نظارة تلك المدرسة .

والآن — وهو يعد نفسه للرابع عشر — كان يحاول أن يبدو عليه البشر وأن تبدو حركاته مضبوطة بقدر الإمكان . وقد مرت عليه ساعة كاملة وهو ينظف بالفرشاة بذلته الجديدة السوداء وقضى ساعة أخرى أمام المرآة وهو يرتدي قميصاً على آخر طراز . ولكن دبوس الرقبة لم يشأ أن يدخل في عروته بسهولة فثار الرجل وصخب وراح يوجه أعنف اللوم إلى زوجته ويهددها بعظائم الأمور .

وكانت زوجته المسكينة قد أنهكت قواها وهي تدور حوله لتقضي له حوائجه وتساعده على إعداد نفسه . والحق أنه هو نفسه قد خارت قواه آخر الأمر حتى إنه — حين أحضر له حذاؤه اللامع من المطبخ — لم يستطع أن يلبسه واضطر أن يضطجع حيناً من الوقت ويشرب كوباً من الماء فتنهدت زوجته آسفة وقالت له « لقد غدوت ضعيفاً جداً ، وكان الأجدر بك ألا تذهب إلى هذا الغداء أبداً »

فقاطعها غضباً « لا أريد نصائح من فضلك ! »

وقد كان ثائراً جداً ... وكانت نتيجة الامتحانات الأخيرة تثيره أكثر من كل شيء . ومع أن الامتحان قد انتهى بصورة باهرة وحصل تلاميذ الفرقة الأخيرة على شهادات وجوائز أيضاً ، وسر لهذه النتيجة رجال المصنع ورجال الحكومة سواء ، إلا أن ذلك كله لم يكن كافياً لحضرة الناظر ... فقد آذاه أن التلميذ بابكين الذي لم يكن يخطيء في الإملاء أبداً قد أخطأ ثلاث مرات ، وأن سرجييف كان شديد الاضطراب فلم يعرف حاصل ضرب ١٧ × ١٣ ، وأن المفتش وهو شاب غير مجرب — قد اختار للاملاء قطعة صعبة ، وأن ليابونوف — وهو ناظر مدرسة مجاورة — لم يسلك مسلك الزملاء حين اختاره المفتش لإملاء القطعة بل جعل يبتلع الحروف ابتلاعاً ولم ينطق الكلمات كما هي مكتوبة !

وبعد أن ارتدى الرجل حذاءه بمساعدة زوجته ونظر إلى نفسه في المرآة مرة أخرى ، أمسك بعصاه المحبوبة وذهب إلى الحفل .

وما إن وصل إلى منزل مدير المصنع حتى حدث له حادث بسيط فقد انتابته نوبة سعال عنيفة فجعل يهتز حتى طارت قبعته من فوق رأسه ووقعت عصاه من يده . وما إن سمع المفتش والمدرسون سعاله حتى هرعوا إليه فوجدوه جالساً على أسفل السلم سابحاً في بحر من العرق ؛ فقال المفتش مستغرباً « أهذا أنت يا فيودور لوكيتش ؟ هل ... أتيت ؟ »

ولماذا لا أحضر ؟ »

« كان يجب أن تكون في المنزل يا صديقي العزيز فلست اليوم على ما يرام »

« إنني اليوم كما كنت بالأمس ... وإذا كان وجودي يضايقكم فأستطيع أن أرجع »

« أوه يا فيودور . لا تتحدث بهذه اللهجة ! تفضل بالدخول . إنك أنت الذى تشرف هذا الحفل لا نحن . وإننا لمسرورون برؤيتك ... مسرورون جداً ! »

وكان كل شيء فى الداخل قد أعد للحفل . وكانت فى حجرة المائدة المزينة بزهور (الجيرانيوم) مائدتان إحداهما — الكبيرة — للطعام ، والأخرى قد وضعت عليها طائفة من المشهيات . وكان ضوء النهار الحار يدخل بقدر من خلال الستائر المدلاة على النوافذ . وكانت مناظر الطبيعة المنقوشة على الستائر وأزهار الجيرانيوم وشرائح اللحم المرتبة فى الصحاف ... تعطى كلها جوا فطريا عاطفياً يلائم طبيعة صاحب المنزل وهو رجل ألمانى طيب القلب صغير الجرم تلمع عيناه بالبشر والمحبة يدعى « أدولف أندريتش برُونى » وكان يدور حول المائدة الصغيرة نشيطاً متحمساً يملأ الأكواب بالشراب ، ويملأ الصحاف بالطعام محاولا بكل طريقة أن يعبر عن صداقته وأن ينشر البشر على الجميع .

ولما أن رأى سيسوييف صاح « من ذا الذى أرى ؟ فيودور لوكيتش ! إن هذا بديع ! لقد أتيت برغم مرضك . أيها السادة دعونى أهنئكم بحضور فيودور لوكيتش ! »

وكان المدرسون فى ذلك الوقت قد اجتمعوا حول المائدة يأكلون المشهيات ، فقطب فيودور غاضباً لأن زملاءه قد بدأوا الطعام والشراب من غير أن ينتظروه . ولاحظ من بينهم ليابونوف الذى أملى الإملاء فى الامتحان فاتجه نحوه قائلا :

« لم يكن سلوكك مما يجدر بالزملاء ! أبداً ! فإن السادة الكرام لا يعملون هكذا ! »

فقال ليابونوف مقطباً « يالله ! أمازلت تفكر فى هذا الموضوع؟ أما سئمت الأخذ والرد فيه ؟ »

« بلى . مازلت أفكر فيه ! إن بابكين لم يكن يخطىء أبداً ! وأنا أعرف لماذا أمليت هكذا . لقد أردت أن تطوح بتلاميذى حتى تبدو مدرستك خيراً من مدرستى . إنى أعرف كل شيء ! ... »

فصاح ليابونوف محتداً « لماذا تحاول أن تقيم معركة ؟ وأى شيء حدا بك إلى إغضابى ؟ »

فتدخل المفتش قائلا : « مهلا أيها السادة . هل يجوز أن تحتدوا على شيء بسيط كهذا ؟ ثلاثة أخطاء ... بدلا من واحد هل هذا يهم ؟ »

« نعم ؟ يهم . إن بابكين لم يكن يخطىء أبداً » .

فصاح ليابونوف « إنه لن يترك هذا الحديث أبدا . وهو يستغل ضعفه ومرضه فيسبب لنا المتاعب جميعاً . إننى يا سيدى لن أعاملك كرجل مريض »

فاحتد سيسوييف قائلا : « دع مرضى جانباً . فليس لك به شأن . إنهم جميعاً يرددون فى وجهى المرض ... المرض ... المرض ، كأننى محتاج إلى عطفك ! ثم خبرنى من أين جاءتك فكرة مرضى ؟ لقد كنت مريضاً قبل الامتحان . هذا صحيح ولكنى شفيت تماما ولم يبق من أثر المرض إلا شيء من الضعف »

وهنا قال مدرس الديانة الأب نيكولاى « لقد استعدت صحتك فاشكر ربك . وعليك أن تسر بهذا ولكنك سريع الغضب »

فقاطعه سيسوييف قائلا : « وأنت أيضاً ... ما كان أحسن صنيعك ! الأسئلة يجب أن تكون مستقيمة وواضحة ولكنك ظللت تسأل ألغازاً . ليس هذا ما يجب صنعه ! »

... وأخيراً أفلحوا فى تهدئته وأخذوه إلى المائدة . فظل يتردد فيما يشرب حتى قرر أن يشرب زجاجة كاملة من النبيذ ثم جذب إليه قطعة من فطير اللحم واستخرج ما حشيت به وقضم منه قضمة تخيل إليه أنها خالية من الملح فرش عليها الملح رشا وما لبث أن دفعها بعيداً إذ أصبحت الفطيرة غارقة فى الملح ...

وفى أثناء الغداء كان سيسوييف يجلس بين المفتش وبرونى .

وبدأ شرب الانخاب حسب العادات المتبعة . فبدأ المفتش بقوله : « إننى أعتبر من واجبى أن اقترح عليكم شكر اللذين أخذا هذه المدرسة تحت كنفهما وإن كانا لم يحضرا هذا الاجتماع وأعنى بهما دانيال بتروفيتش و ... و ... و ... » فقال برونى يلقنه « وايفان بتروفتش »

« وايفان بتروفتش كوليكين اللذين لا يألوان جهداً فى سبيل المدرسة وأقترح أن نشرب نخبهما ... »

فنهض برونى واقفاً كالملدوغ وقال « أنا من جانبى أقترح أن نشرب نخب مفتش المدارس الأولية بافل جينادييفتش ناداروف ! »

فنهض المدعوون وأزاحوا كراسيهم وبدأوا يقرعون الأكواب

وكان النخب الثالث دائما من نصيب سيسوييف . وبهذه المناسبة نهض واقفاً ثم أخذ يلقى كلمته بعد أن اتخذ سيماء الجد وتنحنح ... وقد بدأ كلمته بقوله إن الله لم يمن عليه بموهبة البلاغة وإنه لم يكن مستعداً للخطابة . ثم قال إنه فى خلال الأربعة عشر

عاماً التى قضاها ناظراً للمدرسة كانت هناك دسائس تحاك وأياد تلعب فى الخفاء . بل وصل الأمر إلى حد كتابة تقارير سرية إلى السلطات التى بيدها الأمر . وقال إنه يعرف أعداءه الذين أدلوا بمعلوماتهم ضده ولكنه لن يذكر أسماءهم « حتى لا يفسد شهية أحد » وإنه برغم هـذه الدسائس فإن مدرسة كوليكين كانت الأولى فى المنطقة كلها « ليس من الناحية الخلقية فحسب بل من الناحية المادية أيضاً » .

ثم قال « فى كل مكان آخر يتناول النظار رواتب تتراوح بين مائتى روبل وثلثمائة بينما أتناول أنا خمسمائة روبل ، وعلاوة على هذا فقد أعيد نقش منزلى وأثث على حساب المصنع وفى هذا العام غطيت الجدران بالورق ... »

وأخذ الناظر بعد ذلك يتحدث عن كرم المصنع فى تزويد التلاميذ بأدوات الكتابة بالنسبة لمدارس الحكومة . وقال إن المدرسة مدينة فى كل هذا لا إلى رؤساء المصنع الذين يقيمون على بعد ولايزورونها إلا نادراً ، وإنما إلى الرجل الذى برغم كونه ألمانى العنصر وعلى عقيدة لوثرن فإنه روسى فى دخيلة نفسه .

وتكلم سيسوييف طويلا .. وكان يقف بين الحين والحين ليلتقط نفسه ، وكان يتصنع البلاغة وحسن التأثير حتى أصبح كلامه مملا ممجوجا . وظل يردد الإشارة إلى أعدائه ويكرر نفسه ويسهل ويمد أصابعه فى الفضاء باشارات غير مناسبة ، وأخيراً أنهكت قواه وتصبب العرق من كل بدنه وانخفض صوته حتى لكأنه يحدث نفسه وختم كلامه بجمل غير مترابطة « وعلى هذا فأنا أقترح شرب نخب برونى أعنى أدولف أندرييتش ، للذى هو بيننا ... وبصفة عامة ... تفهمون ما أقول .... »

وحينما انتهى من حديثه تنفس الجميع الصعداء كأنما رش أحدهم ماء باردا فصفا الجو .. ولم يكن قد بقى فيهم أحد على مرحه إلا برونى الذى شد على يد سيسوييف مصافحا وعاد وجهه ينضح بالبشر قائلا :

« أشكرك . وأشعر بسعادة عظيمـة لأنك فهمتنى ! إنى أرجو من كل قلبى أن يكون كل شىء حسناً ولـكن يجب أن ألاحظ أنك تضخم من أهميتى كثيراً . وإن نجاح المدرسة يرجع فى الحقيقة إليك أنت ياصديق . فلولاك أنت لما امتازت من أى مدرسة أخرى . وقد تظن أننى أجاملك ، ولـكنى لا أجامل أحداً . وإذا كنا ندفع لك خمسمائة روبل فى السنة فلأننا نقدرك .

أليس كذلك أيها السادة ؟ إن ما أقول صحيح . أليس كذلك ؟ إننا لم نـكن لندفع لغيره مثل هذا الأجر . والواقع أن المدرسة الطيبة السمعة هى شرف للمصنع ! »

فقال المفتش « لايسعنى إلا أن أقول إن مدرستكم ممتازة . ولا تظنوا هـذا رياء ، فإنى لم أصادف مدرسة أخرى كهذه فى حياتى . وبينما كنت أجلس لامتحان التلاميذ كان يغمرنى الإعجاب .. تلاميذ مدهشون ! إن معلوماتهم جيدة وإنهم يجيبون إجابات مشرفة وفى الوقت ذاته فإنهم — على نحو ما — ممتازون . ثم هم صادقون فى عواطفهم ، ويستطيع الإنسان أن يجزم بأنهم يحبونك يافيودور لوكيتش . إنك ناظر مدرسة لحما ودما . ولا بد أنك ولدت مدرساً . فإن فيك جميع المواهب ، من ميل فطرى وتجريب طويل وحب لعملك . وإنه — بالاختصار — يدهشنا — بالنظر إلى ضعف صحتك — أن نرى فيك كل هـذا النشاط والفهم والمواظبة والثقة بنفسك . لقد وصفك أحدهم فى اجتماع مدرسى بانك شاعر فى عملك . أجل إنك لشاعر ! »

وهب الحاضرون على الطعام كرجل واحد يتحدثون عن مواهب سيسوييف وكأنما فتح خزان فسال طوفان من الـكلمات الحماسية الصادقة . ونسى الجميع خطبة سيسوييف وحالته العصبية المنكرة ووجهه المعبر عن الحقد والـكراهية . وجعلوا يتحدثون بحرية حتى أولئك المدرسون الجدد المستحون الذين كانوا لايتحدثون إلى المفتشين إلا بقولهم « سعادتـكم » . وكان من الجلى أن سيسوييف — فى محيطه — رجل ذو حيثية .

ولما كان قد تعود النجاح وسماع المديح مدة الأربعة عشر عاما التى قضاها ناظر مدرسة فإنه كان يستمع بغـير اهتمام إلى حماسة المعجبين ..

وكان برونى هو الذى شرب نخب هذا المديح بدلا من سيسوييف ، فقد انتبه لـكل كلمة تقال وكان يصفق ويهلل وينحنى متواضعاً كأنما كان كل هذا المديح خاصاً به هو لابناظر المدرسة . وكان يصيح قائلا : « مرحى .. مرحى ! هذا حق ! لقد عرفتم ما أقصد !.. بديع !! »

وكان ينظر إلى ناظر المدرسة كأنما يريد أن يشاركه فرحه . وأخيراً لم يطق صـبراً ، فقفز واقفاً وغطى بصوته جميع أصواتهم وهو يصيح : « أيها السادة ! اسمحوا لى أن أتكلم ! هس ! أمام كل الذى تقولونه ليس لى إلا جواب واحـد : وهو أن إدارة



فيلم سفير جهنم

تأليف وإخراج وتمثيل يوسف بك وهبي

القصة

تدور حول مدرس يحيا مع زوجه وأبنائه حياة شقية كلها فاقة وعوز، قاده الشيطان بوسائله إلى حياة لم يألفها من قبل، وغدا ذلك المدرس من هؤلاء المترفين بفضل الشيطان الذي عرف كيف يسيطر عليه ويوجهه كيفما يريد ... ثم تنتهي حياته بفقده زوجه، وجنون ابنته، وسجن ابنه، وأخيراً يستيقظ المدرس من نومه فيحمد الله على أنه كان في حلم، وينادي أبناءه وزوجه ليقص عليهم رؤياه، فإذا بهم كانوا مستغرقين في نفس الحلم

هـذا هو ملخص لقصة (سفير جهنم). ويظهر أن الشيطان لعب دوراً خطيراً حتى استطاع أن يخدع يوسف بك ويجعله يخرج قصة مفككة كهذه ليس لها فكرة تهدف إليها. ولا وحدة تسير عليها لتكون فيلماً!

الإخراج

اعتمد الأستاذ يوسف بك في إخراجه على تهاويل ومفارقات. تحشد المناظر حشداً، وجمع الصور جمعاً في فوضى عجيبة تشهد أن الشيطان وحده هو الذي أوحى إليه هذه التهاويل والمفارقات.

لست أدري كيف أخرج يوسف بك قصة فيلمه على أنها حلم مع أن المدرس نفى ذلك أكثر من مرة وفي مواقف متعددة، ولا أدري أي شيطان هذا الذي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، يعرف الغيب، ويعيد إلى عجوز شمطاء صباها، ثم يعيد إلى كهل شبابه، ثم هو بعد ذلك أو قبل ذلك يعظ الناس في مكارم الأخلاق، ويتحدث بالفرنسية حيناً وبغير الفرنسية حيناً آخر ...

المصنع لن تنسى ما أداه فيودور لوكيتش من الخدمات!...»

وساد الصمت. ورفع سيسوبيف بصره إلى وجه الألماني المتورد الذي عاد يقول: «إننا نعرف كيف نقدر مجهوداته. والجواب على كلماتكم هو أن أخبركم أن مبلغاً من المال قد وضع في المصرف في الشهر الماضي من أجل عائلة فيودور لوكيتش».

فنظر سيسوبيف متفهماً إلى الألماني وإلى زملائه كأنه غير قادر أن يفهم لماذا وضع المبلغ لعائلته وليس له هو. وفي لحظة واحدة استطاع أن يرى جميع الوجوه المنحدرة إليه، وفي العيون المثبتة نحوه، لا إحساس العطف ولا الشفقة التي لم يكن يحتملها، بل شيئاً آخر عطوفاً رقيقاً، ولكنه في الوقت ذاته مشئوم مخيف كأنه حقيقة واقعة. شيء سرى كالقشعريرة في جسده وملأ قلبه بيأس دفين، فقام فجأة بوجه ممتقع وضرب رأسه بيديه، وظل هكذا ربع دقيقة وهو يحدق في نقطة أمامه، كأنه يرى الموت الذي تحدث عنه بروني ... ثم جلس ثانية والدموع تنهمر من عينيه. وسمع من حوله أصواتاً فزعة تقول: «ماذا؟ ماذا؟ ماء. اشرب شيئاً من الماء!»

ومرت لحظة قصيرة هدأ خلالها الرجل، ولكن المجتمعين لم يعودوا إلى مزاحهم الأول. وانتهى الغداء في صمت كئيب، وفي وقت أسرع من كل المرات السابقة.

وحين عاد سيسوبيف إلى المنزل ذهب تواً إلى المرآة ثم قال في نفسه وهو ينظر إلى خديه المترهلين وعينيه اللتين تحيط بهما هالة سوداء «حقاً. لم يكن بايدعونى أن أبكي كل هذا البكاء! إن وجهي اليوم خير منه بالأمس. وإن ما أعانيه هو الانيميا والزكام الناشيء من المعدة. وسعالى ناشيء من المعدة». وخلع ملابسه وقد عاد إليه اطمئنانه وقضى وقتاً طويلا ينظف بالفرشاة بذلته الجديدة السوداء ثم طبقها بعناية ووضعها في مكانها. ثم ذهب إلى المكتب حيث تراكمت كراسات التلاميذ فأخرج من بينها كراسة بابكين وجعل يتأمل في جمال خطه ...

وفي الوقت ذاته — بينما كان هو يفحص كراسات التلاميذ — كان طبيب المنطقة يجلس في الغرفة المجاورة ويهمس في أذن زوجته أنه لم يكن يجوز أن تبيح الذهاب إلى حفلة غداء لرجل لا يحتمل أن يعيش أكثر من أسبوع.

محمد قطب

التمثيل

قام الأستاذ يوسف وهبي بتمثيل دور (الشيطان) ، فعرف كيف يكون خير سفير لجهنم وعلى أحدث طراز ، على الرغم من مغالاته في التكلف في كثير من المواقف . وقام الأستاذ فؤاد شفيق بدور (المدرس) فوفق فيه . وكذلك وفق الأستاذ محمد كمال المصري (شرفنطح) الذي قام بدور (ناظر المدرسة) ، ووفقت فردوس محمد التي قامت بدور (زوجة المدرس) أما الأستاذ عبدالغني السيد فقد نجح كممثل وكمطرب . ونجح الأساتذة محمود المليجي وفاخر فاخر ، وأيضاً أمينة شريف وليلى فوزي وهاجر حمدي

أما الأغاني ، فقد نجحت أغنية «أنا روميو» تأليفاً وتلحيناً وغناء

وبعد ، فالأستاذ يوسف بك وهبي فنان موهوب له أدواره التمثيلية الخالدة التي تضعه في مصاف الممثلين العالميين ، ولكنه يأبى على نفسه إلا أن يرهقها ، فيرغمها إرغاماً على الانخراط في سلك القصاصين والمخرجين ، فلا تجاوبه بما يريد ، لأنها — وأعني نفسه — ليس عندها استعداد للقيام بمثل هذه المهام ، فماذا عليه لو ترك نفسه على سجيتها وركز مجهوده في التمثيل !!

أعتقد أنه من الخير للفنان يوسف بك أن يدع مسألة التأليف والإخراج ويتفرغ للتمثيل ليستطيع أن يؤدي رسالته كممثل على أكمل وجه .

عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٤ — الاثنين ٩ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة بولاق الجزئية الأهلية

إعلان بيع

إنه فى يوم السبت خمسة مايو سنة ١٩٤٥ من الساعة ثمانية أفرنكى صباحا وما بعدها والأيام التالية له إذا لزم الحال بشارع قطب الدين موسى أمام رقم ١٤ ببولاق .

سيباع بالمزاد العلنى الأشياء المحجوز عليها تحفظيا والمبينة الوصف والمعالم بمحضرى الحجز التحفظيين الموقعين عليها بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ و٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ تعلق رحين أفندى بيزاوى ومدام راشيل بيزاوى ونفاذاً للحكمين الصادرين من محكمة القاهرة التجارية الجزئية الأهلية الصادر أولهما بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ فى القضية رقم ٤٢٦ سنة ١٩٤٥ وثانيهما بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٥ فى القضية رقم ٤٧٧ سنة ١٩٤٥ ووفاء لمبلغ ٢٠ مليم . ر ١٨٦ جنيه مائة ستة وثمانين جنيها مصريا وعشرين مليما بخلاف رسم التنفيذ وتعليه وأجرة النشر .

وهذا البيع بناء على طلب محمد أفندى أحمد البدوى التاجر بالسويس ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ حسن الجداوى المحامى بشارع الاسكندرية رقم ٢٩ بمصر فعلى من يرغب الشترى الحضور فى الزمان والمكان المحددين بعاليه ومن يرسو عليه آخر عطاء يدفع الثمن فوراً ليد المحضر المعين للبيع وإن تأخر يعاد المزاد على ذمته ويلزم بالفرق أن نقص الثمن وإن زاد يضاف على الأصل . ؟

باشمحضر

13 me Année No. 614

Lundi - 9 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٤ — ٩ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الرصـــافى وأغا خان

أو

الزعيم الأدبي والزعيم الديني

لك الله يا ابن آدم ، ما أغمض سر الطبيعة فيك ! تزعم أن فيك عقلا وأنت تتبع هواك ، وأن لك ديناً وأنت تعبد دنياك ، وأن عندك علماً وأنت تجهل نفسك !

ما هذا الذى نرى من خذلان المنطق لك ، وإسراف الرأى عليك ؟ تعرف الله وتفسق عن طاعته ، وتخلق الصنم وتخلص فى عبادته ، ثم تقدس الجرائم باسم العدل ، وتعتقد الأباطيل باسم العقل ، وتفسد قوانين السماء وتقول إنه الشيطان ، وما الشيطان إلا نفســك ؛ وتزيف طبائع الأشياء وتقول إنه الحظ ، وما الحظ إلا عماك !

إن من عماك لا من عبث الحظ أن يكون فى بيتك الكلب يتقلد الذهب ، ويتوسد الحرير ، ويتهنأ اللحم ، وفى جوارك الإنسان يفضح جسده العُرْى ، ويلحس كبدَه الجوع ، ويقض مضجعه الهم

وإن من هواك لا من نزغ الشيطان أن تلح على أخيك بالأثرة والحرمان ثم ترثى لحالته ؛ وإذا كان من عمل الشيطان أن تقتل القتيل فليس من عمله أن تمشى فى جنازته ؟

فى الأسبوع الذى كان الرصافى شاعر العربية يعالج فيه آلام المرض ، ويكابد غصص الموت ، على الفراش القلق ، فى المضجع الموحش ، وكل ما يملكه من حياته الطويلة العريضــة أسماله البدوية وأشعاره المخطوطة ، فى ذلك الأسبوع نفسه كان أغا خان زعيم الاسماعيلية يقعد فى كفة الميزان المأثور المشهور كما ترى ، وبإزائه فى الكفة الأخرى مائة



أغا خان فى الميزان

كيلو من سبائك الذهب المصفى ، هى مثقال الزعيم العظيم فى هذا العام ، خرج له عنها أتباعه فى الهند وفى غير الهند ، ونفوسهم راضية ، وقلوبهم مطمئنة !

إى والله ! مائة كيلو من الإبريز الخالص ، هى ضريبة العقيدة يقدمها المؤمنون المخبتون كل سنة إلى أميرهم المقدس ، ورقابهم من الجلالة خواضع ، وعيونهم من المهابة نواكس ، فيتعطف صاحب السمو بأخذها ، ليطهرهم بها ، ويزكيهم لأجلها ، فى حلبات السباق ، وخلوات العشاق ، ومعابد الحب ، على البحيرات الناسمة بالنعيم ، والجبال الباسمة بالجمال ، والشواطئ المائجة بالفتنة

الحياة الروحية بسببه . فما بالهم تركوه يكتب في وصيته الأخيرة هذه الفِقر التي تستدر الشؤون وترمض الجوانح :

« كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية ، وإنما قصدت به خدمة المجتمع الذي عشت فيه ، والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم ، لذلك لم أوفق إلى شيء في حياتي يسمى بالرفاهية والسعادة في الحياة ... لا أملك شيئاً سوى فراشي الذي أنام فيه ، وثيابي التي ألبسها ؛ وكل ما عدا ذلك من الأثاث الذي في مسكني ليس لي . بل هو مال أهله الذين يساكنونني ... »(١)

أين كان ذوو النفوس الشاعرة القادرة من أتباع الرصافي حين أفرط عليه إباؤه وكبرياؤه ، فانطوى على نفسه يهدهد آماله بالصبر ، ويخدر آلامه بالشراب . وروحه الوثاب يشتق اشتقاق النور ، وأمله الطماح يتقلص تقلص الظل ؟ لو شاء الرصافي أن يهاوى السلطان ، ويمالق الحكومة ، وينافق الشعب ، لعاش أرغد العيش وبلغ أرق المناصب ؛ ولكنه آثر الحرية على الرق ، واستحب الصراحة على الرياء ، فذهب شهيد كرامته وعفته .

ستقول إن الزعيم أغا خان كذلك صريح حر ، وإن صراحته السافرة وحريته الطليقة لم تبغيا عليه في قومه ، ولم تجرا إلى الكلام في صلاته وصومه . والجواب أن أتباع الزعيم الديني يصورونه في نفوسهم بصورة العقيدة التي يدينون بها ، ويجعلون هيكله المادي رمزاً لهذه الصورة . ولهذا الرمز ظاهر يراه الأوزاع ، وباطن يستأثر بعلمه الأتباع ؛ فهم يسددون ما يبصرون من زيغه ، ويؤولون ما يسمعون من باطله ، ويُسبلون على عمله المريب ما يُسبله الصوفيون من القداسة على الطبل والدف والناى والصنج ، فتصبح هذه الآلات في أيديهم غيرها في أيدي القيان والمُجّان ، وهي في نظر الناس لا تختلف في شيء عنها . قل إنها الجهالة أو السذاجة أو البلاهة ، فلن يقدح ما تقول في الحقيقة ، ولن يغير من الواقع .

أما أتباع الزعيم الأدبي فإنهم يتخذون صورته من فنه وروحه ؛ فلصورته في كل ذهن شكل مختلف ، وفي كل قلب أثر خاص . وطبيعة هذه الصورة أو تلك الصور مشتقة من طبيعة الفن : تتضح تارة وتبهم تارة ، وتختفي حيناً وتلوح حيناً ، على حسب استعداد النفوس لتقبل الجمال الفني حالا على حال ، ووقتاً بعد وقت . لذلك كانت عقيدة هؤلاء الأتباع في زعيمهم كالعَرَض المنفك : تزول ثم تؤول . فإذا زالت نسوه كما ينسون السرور والحزن واللذة والألم ؛ وإذا آلت سمعوه كما يسمعون البلبل على فنن الدوحة ، يطربون لشدوه ويُعجبون بريشه ، ثم لا يعنيهم بعد ذلك أيجد الحَب والعش ، أم يجد الفخ والقفص .

وكذلك شأن أصحاب السلطان وأرباب الحكم مع رجال الأدب ، يقتبسون من عقولهم النور إذا أظلمت الخطوب ، ويستمدون من نفوسهم اللهب إذا خمدت العزائم ، حتى إذا استوثق لهم الأمر ، وتنازعوا الغار ، وتقاسموا الفيء ، أنكروا ما بذل الأدباء ، وقالوا بلهجة الساخر البطر : وماذا صنع هؤلاء ؟ لقد قالوا وإن الكلام طبع ، وكتبوا وإن المداد رخيص ! ذلك إلى أن أكثر عشاق الأدب مفاليك لا يملكون لأربابه إلا الدعاء في الحياة ، وإلا الرثاء في الموت ! وإذا كان لدى بعضهم فضل من القوت لم يجد في نفسه من سلطان العقيدة ما يحمله على مواساته ؛ وذلك هو الفرق بين العقيدة الأدبية والعقيدة الدينية . فالعقيدة الدينية سلبية لا تتجاوز الإعجاب بالكلام والإنفاق من الكلام ؛ فإذا وجدت من يبذل في سبيلها المال كان ذلك قطعاً للسان الهاجي ، أو شراء لضمير المادح ، أو تزييفاً لصورة الحق ، وليس في مثل هذا البذل كسب للأدب ولا نفع للأديب . ولكن العقيدة الدينية إيجابية تقوم على إعلان الفكر بالشعيرة ، وتمثيل المعنى بالرمز ، وتحقيق النية بالعمل . والسلطان الروحي فيها قاهر ، والأثر المادي عليها ظاهر . وحسبك منها الزكوات والصدقات والأضاحي والنذور ؛ ففي بعض أولئك للزعيم الديني ذهب وميزان ، ومدد وسلطان ، وقصور ورَ آسة ، ثم ضريح وقداسة !

* * *

حظك يا معروف هو حظ الأديب منذ كان في الناس أدباء وفي الأرض أدب! يموت أمثالك شرَقاً بالبؤس ، كما يموت أمثال أغا خان غرقاً في النعمة ! فلو أن ربك حقق لك ما كان يرجوه شيخك الألوسي من رسوخ قدمك في الدين ، وعلو منزلتك في التصوف ، إذن لخلفته في الزعامة الدينية ، وبلغت من (طريقتك) ما بلغ أغا خان في الدنيا ، ونلت من (صوفيتك) ما نال معروف الكرخي في الآخرة .

احمد حسن الزيات

(١) إقرأ نص الوصية كاملة في البريد الأدبي .

أقوال فى الزكاة مهمة ، لأئمة

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

أراجع من أجل الطبعة الثانية لكتابى (الإسلام الصحيح) مؤلفات القوم ، فأجد فى (إعلام الموقعين عن رب العالمين ، وفى مفاتيح الغيب ، وفى المُحلَّى) هذه الأقوال العظيمة المهمة فى الزكاة والمعونة . وهى أقوال لاتسأل راويها تفسيراً ولا تفصيلاً ؛ إنها تشرح نفسها ، وتعلن أمرها ، وتذكر وتنذر ، بل تكاد تنطق بالحق مصوتة مثل الأناس الناطقة . وقد رأيت أن أتعجل نشرها فى (رسالتنا) الإسلامية . والسبق من دأب (الرسالة) ومن دأبها تعجيل الخير .

— ١ —

قال الإمام أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيّم الجوزية فى (إعلام الموقعين عن رب العالمين) :

إن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أسقط القطع عن السارق فى عام المجاعة . قال السعدى : حدثنا هارون بن اسماعيل الخراز : حدثنا على بن المبارك حدثنا يحيى بن أبى كثير : حدثنى حسان بن زاهر أن ابن حدير حدثه عن عمر قال : لا تقطع اليد فى عذق ولا عام سنة . قال السعدى : سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث ، فقال : العذق النخلة ، وعام سنة المجاعة . فقلت لأحمد : تقول به ؟ فقال : إى لعمرى .

قلت : إن سرق فى مجاعة لا تقطعه ؟

فقال : لا . إذا حملته الحاجة على ذلك ، والناس فى مجاعة وشدة .

وقد وافق أحمدَ على سقوط القطع فى المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ومقتضى قواعد الشرع ؛ فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك إما بالثمن أو مجاناً على الخلاف فى ذلك . والصحيح وجوب بذله مجاناً لوجوب المساواة ، وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج .

قلت : قد درئ الحد عن السارق فى غير المجاعة وفى غير السنة ، ففى (سيرة عمر بن عبد العزيز) للإمام أبى الفرج عبدالرحمن ابن الجوزى :

« ... حدثنا زياد بن أنعم الألهانى عن عمر بن عبد العزيز أنه أُتى إليه بسارق ، فشكا إليه الحاجة ، فعذره وأمر له بنحو عشرة دراهم(١) »

والمثل يقول : « الخلة تدعو إلى السلة » والخلة الفقر ، والسلة السرقة . قال العلامة الميدانى : ويجوز أن يراد بالسلة سل السيوف ... !

— ٢ —

قال الإمام محمد فخر الدين الرازى المعروف بخطيب الرى فى (مفاتيح الغيب) وهو تفسيره الكبير الشهير :

١ — إن النفس الناطقة لها قوتان : نظرية وعملية ، فالقوة النظرية كما لها فى التعظيم لأمر الله ، والقوة العملية كما لها فى الشفقة على خلق الله ، فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق ساعياً فى إيصال الخيرات إليهم دافعاً للآفات عنهم .

٢ — إن الخلق إذا علموا فى الإنسان كونه ساعيا فى إيصال الخيرات إليهم وفى دفع الآفات عنهم — أحبوه بالطبع ، ومالت نفوسهم إليه — لا محالة — على ما قال عليه الصلاة والسلام : (جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) فالفقراء إذا علموا أن الرجل الغنى يصرف إليهم طائفة من ماله ، وأنه كلما كان ماله أكثر كان الذى يصرفه إليهم من المال أكثر — أمدوه بالدعاء والهمة . وللقلوب آثار ، وللأرواح حرارة ، فصارت تلك الدعوات سبباً لبقاء ذلك الإنسان فى الخير والخصب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وأما ما ينفع الناس

---

(١) فى ليلة من ليالى الدهر — كما يسميها العالم الأديب الكبير محمد عبد الغنى حسن — فى القاهرة « أدام الله عمرانها بالمسلمين » — كما يقول ابن خلدون وهو قوت ودعاؤنا فى كل حين — فى منزل العلامة الأستاذ الكبير إسماعيل مظهر صاحب مجلة العصور والمؤلفات المشهورة ومحرر المقتطف اليوم — رويت هذا الخبر و « الحديث شجون » فسر به الأستاذ وصحبه من فضلاء الحاضرين . وسئلت عن مظنته، فقلت : نقلته فى أوراق ، ولا أتذكره فى هذا الوقت . والخبر فى الكتاب المذكور فى المتن فى الصفحة (٧٩) . مطبعة المنار .

فيمكث فى الأرض) وبقوله عليه الصلاة والسلام : (حصنوا أموالكم بالزكاة[1])

٣ — إن المال سمى مالاً لكثرة ميل كل أحد إليه فهو غاد ورائح ، وهو سريع الزوال مشرف على التفرق ، فما دام يبقَ فى يده كان كالمشرف على الهلاك والتفرق ، فإذا أنفقه الإنسان فى وجوه البر والخير والمصالح بقى بقاء لا يمكن زواله ، فإنه يوجب المدح الدائم فى الدنيا والثواب الدائم فى الآخرة . وسمعت واحداً يقول : الإنسان لا يقدر أن يذهب بذهبه إلى القبر . فقلت : بل يمكنه ذلك إذا أنفقه فى طلب الرضوان الأكبر فقد ذهب به إلى القبر ، وإلى القيامة .

٤ — إن إيجاب الزكاة يوجب حصول الإلف بين المسلمين وزوال الحقد والحسد عنهم ، وكل ذلك من المهمات .

٥ — إن الأغنياء لو لم يقوموا بإصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة والمسكنة على الالتحاق بأعداء المسلمين ، وعلى الإقدام على الأفعال المنكرة كالسرقة وغيرها .

— ٣ —

قال الإمام ابن حزم فى المحلى :

فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة .

(١) فى مجموعة (النهج) هذا القول : سوسوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا مواج البلاء بالدعاء .

وفيه هذا القول : استنزلوا الرزق بالصدقة .

وفى شرحه لابن أبى الحديد : جاء فى الحديث المرفوع ، وقيل إنه موقوف على عثمان : (تاجروا الله بالصدقة تربحوا) وكان يقال : الصدقة صداق الجنة . وفي الحديث المرفوع : ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على مخلفيه . وعنه (ص) : ما من مسلم يكسو مسلماً ثوباً إلا كان فى حفظ الله ما دام منه رقعة . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه .

(قلت) : حسب هذه الأقوال المنسوبة إلى النبي وإلى على أن تقولها إسلامية ، وأن يؤيد معانيها (الكتاب) .

قال عمر بن الخطاب (ض) لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين .

وعن ابن عمر أنه قال : فى مالك حق سوى الزكاة .

وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس كلهم يقول : فى المال حق سوى الزكاة .

... ويقولون : من عطش فخاف الموت ففرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده وأن يقاتل عليه .

فأى فرق بين ما أباحوا له من القتال على ما يدفع به عن نفسه الموت من العطش وبين ما منعوه منه من القتال عن نفسه فيما يدفع به عنها الموت من الجوع والعرى ، وهذا خلاف للإجماع وللقرآن وللسنن وللقياس .

ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو ذمى ، لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإن كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير ، وله أن يقاتل عن ذلك ، فإن قُتل فعلى قاتله القود ، وإن قُتِل المانعُ فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً . وهو طائفة باغية . قال تعالى : (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق مانع الزكاة .

* * *

تلكم أقوال الاسلامية عربية بينة . وأقول فى هذا المقام وفى الختام : إنه من لم يجب داعى الله وهَدْى (الكتاب) وشرعة سيد الأنبياء والمرسلين — وفى الوقت فسحة — فليرتقب طلعة التنين[1] ، وقدمه لينين ... ! !

محمد إسعاف النشاشيبى

(١) التنين فى الأصل — كما سطروا — ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها ، فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح ، وهو كالنخلة السحوق ، أحمر العينين مثل الدم ، واسع الفم والجوف ، براق العينين ، يخافه حيوان البر والبحر ، إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته . روى عن بعضهم أنه رأى تنيناً طوله نحو من فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، ورأسه كرأس الانسان لكنه كالتل العظيم ، وأذناه طويلتان . وعيناه مدورتان كبيرتان جداً ...!

علم العرب الأقدمين بالجراد

مع نبذ عن غاراته الحديثة

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

وكيل قسم النباتات بوزارة الزراعة

بقية مانشر فى العدد الماضى

وقال جندل بن المثنى يصف غارة الجراد :

يثور من مشافر الخنادج ومن ثنايا القف ذى الفوائج
من ثائر وناقر ودارج ومستقل فوق ذاك مائج
يفرك حب السنبل الكنافج بالقاع فرك القطن بالمحالج

(والكنافج هو السمين الممتلىء . والخنادج هى الابل الضخام شبهت بالرمال) .

ومن الطريف أن كتاب العرب الأقدمين كانوا على علم بأطوار الجراد ، فقد وصفها صاحب المسالك ابن فضل الله العمرى الدمشقى المتوفى ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ ميلادية) إذ قال إن الجراد صنفان أحدهما يقال له الفارس (Migratory) وهو الذى يطير فى الهواء عالياً . والصنف الآخر يقال له الراجل وهو الذى ينزوى Solitary فإذا فرغت أيام الربيع طلبت أرضاً طيبة رخوة فتنزل هناك وتحفر بأذنابها حفراً وتطرح فيها بيضها وتدفنه وتطير فتفنيها الطيور والحر والنور فإذا تم الحول جاءت أيام الربيع تفقأ ذلك البيض المدفون وظهر مثل الدبيب الصغار على وجه الأرض، وقالوا كل جرادة تبيض شيئاً كثيراً فإذا خرج ذلك من البيض أكل ما وجد من الزرع والشجر وغيرها حتى يقوى ويقدر على الطيران فينهض ويذهب إلى أرض أخرى فيفعل ذلك أبداً دائما تقدير العزيز العليم .

وينطبق ما قاله ذلك العالم العربى على النظرية الحديثة لأطوار الجراد Theory of Phases التى وضعها العالم العالمى الأستاذ يوڤاروف الاختصاصى الشهير فى الجراد وبذلك يكون علماء العرب قدسبقوا علماء الغرب فى القول بنظرية أطوار الجراد بنحو ستمائة سنة.

وقد نصح كتاب العرب لمقاومة الجراد وإبادته بالتدخين ، ورش النباتات بمواد طاردة ، وإحراق الجراد ومطاردة فراخه إلى أخاديد محفورة يحرق فيها ، وقد شرح ذلك صاحب كتاب الدر الملتقط فى علم فلاحتى الروم والنبط فقال . أما الجراد والجندب فيدخن مع جرى الهواء بقصب القنة والقنب والكبريت وعظام الهداهد والسلاحف والتبن ، ويرش على الشجر ما قثاء الحمار والترمس والملح بعد طبخه . أو يطبخ قشر الطلع بالماء حتى يخرج قوته ويرش الشجر والزرع به . ثم قال ويدق الشونيز أى الحبة السوداء nigella sativum ويربب ببول الجمال على نار هادئة كذلك سبعة أيام ثم يرش ماؤه على الزرع والشجر فإنه يهلك الجراد والزنابير والزراريح وغيرها. ثم قال : وإن كان الجراد فرخاً فلتحفر له الأخاديد ثم يساق إليها ويحرق فيها أو إلى حفائر عميقة أو أبيار معطلة أو تنصب قدور كبار فيها ماء حار يلقى فيها أولاً بأول ليلاً ونهاراً .

غارات الجراد الحديثة

هذا ما أمكننى العثور عليه فى مخلفات العرب عن الجراد ومقاومته . أما عن غارات الجراد فى العصور الحديثة فى الشرق الأوسط فأقول إن من الذين تكلموا عنها بمصر من الحديثين هو الرحالة بورخهاردت وهو سويسرى كريم المحتد أرسلته إحدى الجمعيات الانجليزية فى رحلة علمية لبلاد الشرق الأوسط فى عهد محمد على فمكث بالشام عامين جاء بعدها إلى القاهرة عن طريق سينا ثم توجه صعدا إلى أسوان فوادى أم جات المتفرع من وادى العلاق حيث شاهد أسرابا من الجراد الشره يلتهم أوراق أشجار السيال وفروعه الغضة ثم سار فى وادى الطرفاوى وبه الكثير من أشجار الدوم والطرفا ونبات السنامكى ورأى أسراب الجراد تجردها من أوراقها وفروعها الغضة . ومنهم كذلك المسيو بوفيه وهو فرنسى استقدمه المرحوم الحاج ابراهيم باشا نجل محمد على الكبير ليكون مديراً لمزارعه وحدائقه وقد أرسله فى بعثة زراعية إلى بلاد اليمن وسينا وفلسطين، فلما توجه إلى سينا وصل إلى دير سانت كاترينا فى أول يونية سنة ١٨٣٢ فرأى قرب جبل سينا سحابة عظيمة من الجراد من نوع قال عنه إنه قريب من ايدوبودا ميجراتوريا Aedopoda migratoria فالتهمت ما فى طريقها من عشب الأرض وأشجارها فلم تبق ولم تذر .

ولم تتعد أخبار الجراد ما يقوله المسافرون والرحل عنه . فلم تعن الحكومات بأمره إلا من عهد قريب . وبلادنا بلا فخر من أسبق الممالك فى دراسة أحواله والمبادرة إلى مكافحته ولعل أول

مجهود حكومى فى ذلك هو ما فعلته حكومتنا فى غارة سنة ١٨٩١ وإليك ما قاله عنها المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فى الجزء الرابع من كتابه « الكافى » : —

ووردت أخبار من بعض مديرى الاقليمين القبلى والبحرى على ديوان الخديوى وديوان الداخلية بظهور الجراد فى جهات الصالحية والزنكلون وتل حوين من بلاد الشرقية . وأهوى وبارود وآها من بلاد مركزى النجيلة والدلنجات واليهودية وقبور الأمراء بالبحيرة وطود ودماريس والبرجين والاخصاص وغيرها بمديرية المنيا وأكثر بلاد القليوبية والمنوفية . وكسا أراضى الجزيرة بالبر الغربى من القاهرة ، وكان ظهوره فى أخريات رمضان نخاف الناس شره واهتمت الحكومة بأمره اهتماما عظيما وأرسلت إلى سائر المديرين والمحافظين بالتشديد على قطع شأفته فجدوا فى تأثره ، وكانت الاخبار ترد تباعا بتكاثره وانتشاره شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وفتكه بكل ذى خضرة من النبات والشجر والنخيل ، وظل الحال على ذلك أياما والناس فى دهشة وحيرة حتى أذن الله سبحانه بأن هبت ريح فى أخريات شوال سنة ١٣٠٠ هـ ورياح مختلفة بعضها من الشرق وبعضها من الغرب ولبست على اشتدادها أياما فاكتسحته وحملت بعضه إلى الحوف الشرقى وبعضه إلى الجبل الغربى ولم تترك منه إلا القليل فى البلاد والقرى التى نزل عليها فأباده أهلها بضرب العصى وسعف النخيل وجدوا فى جمع بيضه وفرضت الحكومة قرشين لمن يأتى بأقة من بيضه ، فتسابق النـاس إلى البحث عن مواطنه وإخراجه منها فكان أكثره فى مركز النجيلة بالبحيرة وفى الجبل الغربى وسواحل البحر وفى الفشن بمديرية المنيا .

ومن غريب ما نقل عنه أن سحابة منه نزلت على مزرعة قطن باحدى بلاد المنوفية فأكلتها وما أتت على آخرها حتى ماتت جميعها فجاءت أخرى إلى مزرعة فى جوار المزرعة الأولى فلما رأت ما أصاب الأولى نفرت من النزول على شجر القطن وتحول ضرره إلى الأشجار والنباتات الأخرى . وأخبر جماعة من تجار المنوفية مديرها وحلفوا له الأيمان المغلظة بأنهم شاهدوا فى بلاد مركز أشمون جريس طيراً كثيراً جداً أقرب شبها بأبى قردان ولكنه أطول منقارا وقد ترك الجبل أسراباً أسرابا وأخذ يتتبع الجراد أينما وجده ويكبس عليه ويزدرد منه المئين والألوف ثم يتقيأه ميتا وهكذا فلا يرحل عن البلد أو المزرعة إلا وقد أفنى ما فيها من الجراد وأباده ، وأن بعض الجهلاء من الفلاحين كانوا يخافون من ذلك الطير فيرجمونه بالأحجار وهو لا يلتفت إلى ذلك ولم يثن له عزما .

قلت وقد شاهدت شيئاً كثيراً من ذلك الطير نازلا على طول الطريق من نفيشة إلى السويس وهو على هيئة صفوف الجند بعضها خلف بعض ساكن القلب لا يزعجه مزعج ولا يحركه محرك ، وقد أخبرنى بعض أهالى نفيشة بأنه قد نزل عليهم منذ أيام وهو يترصد الجراد الزاحف من بلاد الشرقية إلى الحوف الشرقى حتى إذا مر قام من فوره وسد عليه الطريق وجعل يضربه بأجنحته ومنقاره ويبتلع منه الألف فلا يستقر فى جوفه لحظة حتى يتقيأها فاذا أفلت منه شىء تعقبه وقتله ثم يعود إلى مكانه متربصا . قيل وبقى على هذه الحال أياما حتى قمت تلك الريح واكتسحت ما بقى من الجراد ، فسبحان مدبر الأكوان ومسلط الأبدان على الأبدان إنه خلاق عظيم سبحانه جل شأنه » .

وأغار الجراد بعد ذلك على الديار المصرية فى سنة ١٩٠٤ فورد أول بلاغ عن ظهوره من منطقة العريش فى ٢١ مارس سنة ١٩٠٤ ثم تلته بلاغات أخرى طول شهر إبريل عن ظهوره فى الوجه البحرى وشمال القاهرة . وكانت أرجاله قد جاءت من صحراء العرب وشبه جزيرة سينا ، فأغارت على مديريات الدقهلية والشرقية والقليوبية وكل بلاد مصر الوسطى ومديرية المنيا حتى سمالوط . وصار يضع بيضه أينما حل . واستمرت غاراته طول شهر مايو والنصف الأول من شهر يونيه فلم يترك بلداً من بلاد مصر إلا ونزل بها . وكانت وزارة الداخلية المنوطة بمقاومته وتخليص البلاد من شره فأصدرت إلى رجالها فى الأقاليم المنشورات ليحثوا الأهالى على مكافحته .

وأغار الجراد على مصر بعد ذلك عدة إغارات صغيرة فى سنة ١٩١٤ شوهدت أرجاله خلالها فى أسوان وكوم امبو وأدفو والمعادى وفرسكور وسيدى برانى . ثم تلت هذه الغارات غارة كبرى فى سنة ١٩١٥ فظهرت أسرابه أول الأمر فى الواحة البحرية فى شهر يناير ولكنه لم يبلغ عنه إلا فى ٣ فبراير . وقد شوهدت أرجال الجراد فى وادى الريان والواسطى والصف والعياط وشبين القناطر ونوى وفى أسوان ، ولم ينتصف شهر فبراير إلا وأطبقت جحافله على الوجه البحرى ومديريات الجيزة والفيوم

وبنى سويف والمنيا وأسيوط وجرجا وقنا وشبه جزيرة سينا ، واستمرت غاراته حتى أوائل يونيه فلم تسلم منه بلد فى القطر المصرى حتى واحة الفرافرة . ووقع حمل مقاومته فى هذه الغارة الكبرى على عاتق وزارة الزراعة فلم تأل جهداً على حداثة سنها (ولدت سنة ١٩١٣) فى مكافحته مستعينة فى ذلك بأحدث ماوصل اليه العلم من وسائل الكفاح مما تجده مفصلا فى تقريرها عن « غارة الجراد الكبرى على مصر سنة ١٩١٥ » فكان مما فعلته أن قررت مكافأة قدرها جنيه واحد لمن يدل على موضع بيض جديد فى الصحراء، فكشفت بذلك مغارز عديدة لبيضه فبلغ ماجمع من البيض فى هذه الغارة ثلثمائة وأربعين الف أقة تحوى ثمانية وعشرين بليون بيضه . وبلغ مقدار ماجمع من الجراد نفسه عشرة ملايين أقة أى نحو ثمانية بلايين جرادة سوى النطاط

واستعانت وزارة الزراعة فى هذه الغارة بعدة مصالح حكومية كالمالية والمساحة وخفر السواحل وعينت دوريات من الهجانة للبحث عن الجراد فى الصحارى وقد بلغت نفقات هذه الحملة سبعة عشر الفا من الجنيهات .

وأغار الجراد بعد ذلك على مصر فى أواخر سنة ١٩٢٩ وأوائل سنة ١٩٣٠ غارته الكبرى التى كلفت البلاد فى مقاومته ربع مليون من الجنيهات .

ومن ثم أخذت وزارة الزراعة فى دراسة أحوال الجراد وغاراته دراسة علمية منظمة، فأنشأت فرعا لأبحاثه ومكتبا لمقاومته ، وأخذت ترسل حملات الاستكشاف فى صحارى مصر وبلاد العرب لتتبع حركاته ومقاومته فى مواطنه قبل أن يستفحل أمره وتصعب مقاومته ، وعقدت المؤتمرات مع الدول المهددة بغاراته للتعاون وتبادل الرأى فى مكافحته . وقد سجل الاخصائيون المصريون بوزارة الزراعة صفحة عالية مجيدة فى أبحاث الجراد وطرق مقاومته . وقد وضعت وزارة الزراعة نظاماً دقيقاً لمقاومة الجراد كفل للبلاد الوقاية التامة من شره وأذاه .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

وقفة على طلـــل !

للأستاذ على الطنطاوى

[فى حمى المسجد الأموى ، وفى ظلال سوره العالى ، بين مثوى البطل الأجل الملك الناصر صلاح الدين والمدرسة الكلاسية الأثرية ، وبين المدرستين القديمتين السميساطية والاخنائية ، تقوم المدرسة الجقمقية الخالية المائلة — التى بناها سنجر الهلالى — وجددها الملك الناصر سنة ٧٦١هـ ثم احترقت فجددها الأمير سيف الدين جقمق فنسبت اليه] .

ما مررت بهذه المدرسة الخربة المعطلة ، وذكرت ما أودعتها من عواطفى ، وما تركت فيها من حياتى ، إلا تلفت القلب ، وصبى الفؤاد ، واعتلجت فى النفس خواطر ، وانبثقت للعين صور ، أقر بالعجز عن صوغها ألفاظاً مقروءة وجملاً ، ووضعها فى هذه القوالب الجامدة الضيقة وهى أشد انطلاقا من النور وأوسع من الزمان ... ولا أجد إذا أردت وصفها إلا هذا الحديث المعاد ، وهذا القول المكرر المعار الذى لا يفتأ الشعراء من عهد امرئ القيس الذى وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، يعيدونه ويرددونه ، وهو ما يزال ومعناه جديد فى كل قلب ، سريع إلى كل لسان — فأسائل هذه الجدران المائلة ، وأخاطب ... هذه الغرف الخالية ... وآه ! لو تصف هــذه الجدارن ما رأت وتنطق الأبواب ، وآه ! لو تعى المغانى وتحدث المبانى ! وأنَّى ؟ ! وما وعت قلوب الناس ولا وفت حتى يفى الجماد !

هذه نفسى أسائلها : هل تعرف النفوس الوفاء ، وهى تدور مع الدهر الدوار كيفما دار ، تلبس لكل حالة لبوسها ، وتتخذ لكل يوم ميزانه . فيهون عندها اليوم ما عزّ بالأمس ، ويرخص ما غلا ويغلو ما رخص ، نرى الشخص فلا نباليه ، وقبلا كان مناط حبنا ، وكنا نقنع إن كان وصله حظنا من دنيانا ، أو كان موضع إكبارنا وكان رضاه نهاية متمنانا ، ونمر بالمكان لا نلتفت اليه وفيه ذقنا حلو العيش ومره ، وفيه أثر من أنفسنا ، وفيــه بقايا من أعمارنا !

لقد عشت دهراً لو قيل لى فيه ، إنه سيأتى عليك يوم تجوز فيه بهذه المــدرسة فلا تقف عليها إلا وقفة التذكر والحنين ، ثم تمضى لطيتك وتنساها بعد خطوات ، لما صدقت ! فكيف هان علىّ هذا الهوان ، وقد كانت بالأمس نصف دنياى . وهل دنيا التلميذ إلا داره ومدرسته والطريق بينهما ؟ وقد كانت أبداً فى فكرى وحسّى : فى الصباح حين أتوجه اليها ، وفى النهار حين أكون فيها . وفى المساء حين أعود منها ، قد تجمعت فيها أفراحى كلها وأتراحى ، وأصدقائى جميعاً وأعدائى ، وكأنت بضعة منى . بل كيف أنكرت ذلك الطفل الذى كان فى سنة ١٩١٨ تلميذاً فيها يحمل اسمى وملامح وجهى ؟ كيف جوزت لنفسى أن أطرح آراءه ، وأهزأ بأفكاره . وأحتقر ما كان يعظمه ؟ لقد ذهب المسكين ولا أدرى أين ذهب ، وجئت من بعده . ولكنى لم أنس حوادثه. فهل الذاكرة هى الشىء الفرد الذى يبقى ثابتاً فى الإنسان ، على حين تبدل العقول والأجسام ؟

سلوا الفلاسفة إن كان عندهم علم ، فما أنا بحمد الله من أهل الفلسفة !

* * *

سلوا الفلاسفة ودعونى أسترجع على باب هذه المدرسة أيامى التى ولّت . ولئن عاد أقوام إلى ماضيهم ليستريحوا اليه ، ويتسلوا بادّكار أحداثه ، فإنما أعود إلى الماضى لأحيا فيه ، وأفرّ اليه من حاضر أمقته وأجتويه . وأنا رجل كلما تقدمت به السنّ ازداد إيغالا فى عزلته ، وهرباً من جماعته ، فكأنه يقطع كل يوم خيطاً من هذا الحبل الذى يربط زورقه بآلاف الزوارق الصغيرة التى تمخر عباب الحياة مجتمعة ، كما كانت تجتمع السفن إذ تجوز بحر الظلمات ، فلا تخوض فيه ماء بل نارا ، نارا من تحتها لا تعلم متى تتفجر فتزلزل أرض البحر وتشعل جبال الموج ، وأخرى من فوقها تحط عليها السماء رجوما ، وتفتح عليها من جهنم أبواباً ، وإن عباب الحياة لأشد من ذلك شدة وأعظم هولاً

... حتى غدوت وقد رثّ حبلى وتصرم الاخيوطا ، طائفة من الأصحاب لا يبلغون عد أصابع اليدين ، وأماكن هى أقل من ذلك ، لا ألقى سواهم ولا أرتاد غيرها . ولم يبق لى فى لياليّ الطوال مؤنس أو سمير ، إلا هذه الكتب التى مللتها وملتنى ، وصارت مودتنا تكلفاً وحديثنا مملولاً . وهذا الماضى ازداد كل يوم تعلقا به وحنيناً إليه ، أما المستقبل فأخافه حقاً ولا أجرؤ على التفكير فيه

لذلك ترانى إن لقيت رفيقاً من رفاق الصبا استوقفته وشممته علىّ أجد فى ثيابه عبقاً من أزاهير الماضى الحلو الذى سَرّ بنا جميعا يحملنا مرح الطفولة وعبثها اللذ ، فجسنا خلال رياضه ، وأوغلنا فى دروبه المعشبة ، ومسالكه التى فتح على جانبيها الأقحوان وضحكت الشقائق . أحاول أن أستطلع من وراء هذا الشباب الذى نالت منه الليالى حتى أشرف على الكهولة ، وهدّته مطالب العيش وأخذت منه رواءه وبهاءه ، فبدا كالشجرة المنفردة القائمة على شفير الوادى ، عاجلها الخريف الظالم ببرده وعواصفه ... أحاول أن أرى من ورائه طلعة (ذلك) الصبىّ الفرح أبداً ، الضاحك اللاهى، الذى كان رفيقى يوماً والذى أحببته وقاسمته مرحه ولهوه . فإذا لم أرها أُبْتُ أجرّ رجل خائب فجع فى أعزّ آماله ، وفقد أحب أمانيه إلى قلبه ، وإن وقفت على معهد من معاهد الصغر ، أوملعب من ملاعب الطفولة . فتشت فى زواياه وأركانه ، وتحسست الحجارة من جدرانه . علىّ أجد بينها ذكرى حلوة قد خبأتها يوماً ونسيتها .

ولذلك وقفت اليوم على (الجقمقية) ولكنى لم أجد فيها ما أريد . لقد عدا سارقان على أحلى ذكرياتى فسرقاه فى غلس الليل ، كما يسرق النباشون الذهب من قبور الفراعنة ، ولم يدعا لى إلا كل تافه حقير ، فماذا أتحف القراء بعد الذى صنعه معى هذان اللصان : الزمان والنسيان ؟ !

***

هذه هى المدرسة التى أودعتها عهد الطفولة وذكرياته العذاب ، لا تزال قائمة جدرانها ، ماثلاً بنيانها ؛ وهذه هى الطرقات التى كنت أسلكها غادياً إليها من دارى ورائحاً منها إليها ؛ وهذا هو (الأموى) العظيم الذى كنا نعرّج عليه كل يوم بكرة وظهراً وعشية ، ومابيننا وبينه إلا أن نخرج من باب المدرسة فندخل من بابه ، نغافل (الحسكى) ونقفز ، فيلحقنا بعصاه ونحن نتضاحك ونروغ منه نعدو فى صحن الجامع الواسع النظيف ، حتى يكل المسكين ويتعب فيدعنا مكتفياً بما تسعده به قريحته من روائع فن الهجاء ، فإذا انصرف عنا ، وذهب الحافز لنا على اللعب ، عقلنا ودخلنا نستمع إلى أصحاب الحلقات فيه . هذا هو (الأمويّ) لا تزال على عظمته وجلاله ، لا يدانيه فى سعته وفخامته مسجد فى دنيا الإسلام ، غير أن صورته فى ناظرى قد تبدلت وامحت روعتها وبطل سحرها . وماذا تصنع الجدران والسقوف إذا ذهبت الوجوه ، ومضى الساكنون ، وتغيرت الروح ؟ لقد أضحى الأموى غير الأموى ، فلا دروسه تلك الدروس ، ولا علماؤه أولئك العلماء . ولا جوّه ذلك الجو . إن المدن كالأشخاص تخلق كل يوم خلقاً جديداً . وقد ماتت دمشق التى نشأنا فيها ، دمشق الإسلامية المرحة الفاضلة التى لم يكن فيها ماخور مشهور ولا ميسر ظاهر ولا عورات باديات ، ولا حانات ولا ملهيات . وكانت فيها المرأة لبيتها ، والرجل لأهله ، والعلماء عاملون بعلمهم ، مطاعون فى أممهم ، والحى كالبيت الواحد فى تعاون أهله وتعاطفهم، والمساجد عامرة والرجولة بادية ، وأهل الدين لا يأكلون به الدنيا ، ولا يتخذونه تجارة . فيا أسفى على دمشق التى ماتت ! ويارحمة الله على تلك الأيام : أيام لم نكن نعرف من الدنيا إلا المتع الفاضلة ، والفضائل المتعة ، نلهو ونلعب ولا كلهو فتية اليوم ولا كلعبهم . كان أقصى ما نأتيه أن نركض فى الأموى ، أو ننقسم عند المساء قسمين ، فنقيم بيننا سوق حرب سلاحها القالع والعصى ، وقد نجرح أو نكسر ، ولكننا نتعلم الرجولة والقوة ثم نرجع متفقين ، وأن نتلهى عن الدرس بقراءة قصة عنتر وحمزة البهلوان، نتلقى منهما ما ينقصنا من علم الكر والفر والمبارزة والقتال ، وأن نمكر بالمدرسين ، وإن أممنا لهواً وأردناه ، فشهود خيال الظل (كراكوز) وهو سينما تلك الأيام . ولا يراه منا إلا مقدوح فى خلقه . أما التأنق والتجمل والترقق فلم نكن ندرى منه شيئاً . وكان من العيب فى أيامنا لبس البذلات لما تصور من أعضاء الجسم ، فكنا نجىء إلى المدرسة بالقنابيز (الجلابيب) ، وكنا نتعجل الشباب فنتخذ دواء (كان معروفاً) يطول به الشارب وينمو به قبل الأوان .

فأين أيامنا فى هذه المدرسة ، وهل تعود هذه الأيام ؟ أين ذلك الشيخ الحبيب الى كل نفس ، الجليل فى كل عين ، شيخ الشام ومعلمها ستين عاماً ؛ ستين عاما وهو دائب على عمله العظيم يأخذ من هذه الأمة أطفالا صغارا ، فيردهم إليها شباباً متعلمين ، يصب من عقله الذى يزيد على البذل فى أدمغتهم ، ومن ايمان فى صدورهم ، فتعلم منه الولد وأبوه وجده . أى والله وهذه سجلات

مدرســـة فسلوها تنبئكم ، ذلك هو الامام الشيخ عيد السفرجلانى .

***

هذه هى المدرسة ! هذا البنيان فأين السكان ؟ أين رفاقى فيها ؟ أين من كان يجمعهم مقعد واحد ، وكانوا سواء فى كل شىء لا يعز أحد منهم على أحد إلا بمقدار ما ينجح فى درس ، أو ينال ثناء من أستاذ . وكان فلان الفقير عريف الصف والمقدّم فى التلاميذ . وكان الشيخ يتخذ منه مثلا مضروبا لأبناء الأغنياء ، ويبشره بالمجد والمال والرتب ، وبأنه سيمشى على الورد المفروش حين يمشى أولئك على الشوك .

رحمك الله يا شيخنا فلقد أصبت فى كل ما كنت تقول إلا فى هذا . تعال انظر تر الدهر قد ضرب بيننا ، ففرق الإخوان ، وشتت الخلان ، فتفرقوا فى آفاق الأرض ، وانتثروا على سلم الحياة علاء وخفضاً ، وسار الأكثرون على الأشواك فدميت أقدامهم الحافية ، ومشى قوم على الورد والفل والياسمين ، وحازوا المال والمجد والرتب ، ولن أسمى لك أحداً كيلا أفجعك بآرائك وفضائلك !

لا . لا أحب أن أعود إلى هـذا الحاضر، فدعونى أستمتع بادكار ماضىّ كما يستمتع المنقطع فى البادية بما بقى فى سفرته من زاد المدينة التى خرج منها وأضاع طريق العودة إليها . إنى أبصر كل ما حولى قد تغير فأنكره وأحس كأنى صرت غريباً فى وطنى ، ولقد كنت أنا وأخى أنور العطار لا نزال نحن إلى الوطن ونراه فى صفحة البدر عند المطار . وفى صفحة دجلة على الجسر . فتسيل قلوبنا رقة وشوقا ، ونحن فى بغداد بلدنا وبلد إخوة لنا أعزة كرام . وطريق الشام مفتوح ، فكيف بمن صار يحس أن وطنه قد طواه الزمان ، واختبأ وراء السنين ولم يبق إليه من سبيل ؟

فيا أيتها المدرسة — خبرينا لماذا لا نستطيع أن نعود أدراجنا فى طريق الزمان — كما نملك أن نرجع فى طرق الأرض ؟ لماذا لا نقدر أن نقف فى الفترة السعيدة من أعمارنا ، كما يقف المسافر فى البقعة الجميلة إذا جاز بها ؟

إذن لعدت أدراجى فلصرت العمر كله تلميذاً فيك ، أستمتع بجوار ذلك الشيخ النورانى ، وأعيش فى جو أنيس من نصائحه ومواعظه وقصصه ، وأبقى أبداً ذلك الطفل الذى لا يدرى ما الشر ، هذا ما تمنيت أن أكونه وهيهات أن تتحقق الأمانى الكواذب !

***

إنى كلما رأيت هـذه المدرسة خالية خاوية خربة لا يحفل بها أحد ، ولا يذكر شيخها إنسان ، أيقنت أن الجحود سجية فى هؤلاء الناس . أتنسى دمشق شيخها ومعلمها الذى أحسن إليها ؟ إن هـذا الشيخ إن لم يكن عالما مؤلفا ، ولا سياسيا حاكما ، ولا فيلسوفا مفكرا ، فلقد بنى فى نهضة دمشق ركنا لم يبن أضخم منه عالم ولا حاكم ولا فيلسوف . لقـد كان معلم أولاد ولكن أولاده صاروا قادة هـذا البلد . لقد أنشأ مدرسة منظمة يوم لم يكن فى دمشق إلا الكتاتيب . لقد كان مربياً بالفطرة لم يقرأ بستالوسى، ولا تعلم أصول التدريس ولكنه كان أحسن مربٍ رأيته ...

... فيا أيها القراء لا تقولوا ، ومن الشيخ عيد السفرجلانى ، وماله يملأ صفحات الرسالة بأخبار نكرة فى الرجال ... فكم فى ظلام النسيان من عظماء حقا ، وكم فى ضياء الشهرة من أصنام قائمة نظنها ناساً ، وهى مبنية من جامد الصخر ، أو بارد النحاس !

دمشق (المحكمة الشرعية) **على الطنطاوى**

رحلة أســـوان

للسيدة وداد سكاكيني

جئت مصر من الشام في يوم وبعض يوم ، تخب بنا مراكب الحديد ، وأين منها مطايا البيد ! حتى بلغنا القاهرة فطالعتنا مواكب النخيل على لمحات النيل ، وقد غمرت الآفاق شمس حمراء مازالت منثورة الغرر ، وهاجة الضياء ، حتى ألقى بنا القطار على محطة باب الحديد .

دخلت مصر يتنازعني الوجوم للغربة ، والشوق لبلدة طالما هفا الخيال إليها ، واستقرت بها نواى وقرّت بها عيني ، فتغمرت من النيل ، واستذريت بظل المقطم كما قال الشاعر ، وقد طوفت بحدائق مصر ومغانيها ، وما فاتتني مفاتن الجزيرة ومباهج الطبيعة فيها ، ثم وددت أن أملأ العين من ريفها ، وأستمتع بنيلها الذي يفيض على جنباتها ، فمضيت في رحلة فنية إلى أسوان ، أنشأها المعهد العالي لمعلمات الفنون ، وهو بنية مجد للمرأة العربية ، وجامعة ثقافة للمصريات ، أضفت عليه عميدته الفضلى السيدة عائشة إقبال راشد من اسمها ونفسها رشداً وإقبالا .

غادرنا القاهرة مع بضع عشرة فتاة من قسم الفنون الجميلة بالمعهد ، تحدوهن صديقتاى الأستاذتان إنعام سعيد وعزيزة يوسف ، وهما في طليعة من أنجبت مصر من بناتها اللاتي ضممن في الجوانح حب الوطن إلى ثقافة الغرب الذي نزلن معاهده سنين للقانة الفن ونباهة الفكر ، ثم عدن إلى الكنانة يطبعن الفتيات المتعلمات بمياسم التجديد ، ويكشفن عن مواهبهن بالتوجيه والتسديد .

فهذه محطة باب الحديد تلقاني مرة ثانية ، تحت عشية غير مبتئسة ولا واجمة ، منيرة بمصابيح تكسف الشمس بسطوعها ، فأين نفسى الفرحة في هذه الأمسية من قلبي المحزون حين بلغت مصر منذ عام والوحدة مهيمنة علينا ؟

الآن أدرك عظمة المكان ، وأحسبني لولا العمائم البيض تلوح بها الهامات ، والجلابيب الضافية تخفق فيها القامات ، لكأني أبرح عاصمة في ديار الغرب ، فقطار يؤج ويعج ، وناس يغلى بهم الزمن يخفون إلى الركوب أو ينزلون من التوديع .

ودق ناقوس الرحيل فوجف القطار ثم سار تحت جنح الليل ، وباتت مصر خفية في طي الدجى عنا ، وتغورت المصابيح كلما ابتعدنا ، حتى عطفت بنا الدروب وهدهدنا في مجاثمنا دوى القطار وهدير آلاته ، وكاد النعاس يأخذ بمعاقد جفوننا لولا أنس الرفيقات . ولولا مرح الطالبات واستفاضة النكتة على أطراف ألسنتهن ، لغطنا في سبات عميق كما يغط الطفل حين يترجج به السرير .

وكنا نتلفت بين الفينة والفينة ، فنطل من النافذ ، والركب يسرى كسهم نزعه العلم عن قوس الحضارة ، فنمسك رؤوسنا عن صفقة الريح ، ونحبس شعرنا عن التشعيث ، وهاج فينا الحنين لمرأى النيل حين سكب القمر عليه شعاعه ، فانسحب كسيف من فضة مسلول على أرض مصر ليدفع عنها عاديات المحن .

وأسفر الصبح على رؤوس النخيل يلتمع الندى على أوراقه الخضر ، وتستدير سعفه فتبدو من بعيد كالقباب الصغيرة ، ومن قريب كالمراوح المنشورة أو المظلات المرفوعة ، وصاغت لنا ذكاء وجه النيل بالذهب فتألقت تلاميعه وتلوّت على حواشيه ، ولاح كمرآة مجلوة تتمرى بها الطبيعة على نشيد طيبة الذي كان رقراق الماء يردده لحناً مكروراً منذ الأزل باقياً على الأبد .

وأخذ يشارفنا الريف بصوره المتشابهة وألوانه الكابية ، وقد انطبعت بيوته بطوابع الروح المصرى القديم ، فلاحوه سمر الوجوه عراض المناكب ، سكبوا على الأرض عرق الجبين ، وعركوها بكدح الأيدى ، وطفحت شفاههم بالباسم لصباح وضاح لايسأم القروى الفرحة بلقائه ، ولو لقى هذا الفلاح من سيده بسمة الشاكر ورحمة المالك وكان أبيّ الخنوع ، مطبوع الميل للنظافة متقبلاً للاصلاح ، لعُدّ أعز أمثاله في الدنيا ، لأن ضفاف مصر الخيرة أجود أرض للزرع والإنبات

أما نساء الريف فوديعات الوجوه منتصبات القامات ، يستقبلن وجه النهار غاديات بالجرار على رؤوسهن ثم رائحات من مسارب النيل ، وهن يشاركن الرجل فى خدمة الأرض والأنعام ، وكلما وقف بنا القطار على ديار ذكرنى بأرض بلادى ، فمن مشارف الشام إلى مرابع بيروت يقف أولاد القرى تلقاء القطار فى المحطات ، بأيديهم سلال أو قصاع ممتلئة بالفواكه ، ينادون على بيعها ، وصنوف الباعة طوّافون بخبز وإدام على سفر بغير زاد ، ولم أجد مثل هذا فى مسيرى على درب أسوان .

وجزنا أرضاً فى جوارها الأقصر الحافلة بالآثار ، فأمعنت التحديق فى تلك الجنبات التى عاشت فى تضاعيفها وجوفها خيالات الأقدمين وأطيافهم ، وبقيت روعة الأطلال والآثار تدل عليهم ، وقد برزت من بعيد تلك العمد الفرعونية ولاحت من بين أعمدة النخيل فقلت : يا لله كأنى الساعة أمضى بقطار حلب فأمر ببعلبك ، وأرى عمد هيكلها الرومانى تتراءى من بعيد من بين أشجار الجوز والمشمش . ورحت أذكر أرضاً على وجه الشرق تعاورت عليها الأمم من رومان وإغريق وفراعنة وفينيق . حتى بسط عليها الإسلام جناح الأمن والرحمة ووهبت لها العروبة لغة القرآن ، فكان عليها خير أمة أخرجت للناس ، وما نقلنى من تهاويل هذا الخيال سوى بشرى الرفيقات باقتراب الوصول إلى أسوان .

وأسوان بلدة دون سعة صيداء ـ لبنان . تساير ضفاف النيل فى مبانيها وحدائقها ، وإنها لشعرية الطبيعة ، هادئة المقامة ، هفهافة النسيم .

على رؤوس رجالها عمائم بيض لا توهم كلهم اهسود ، ونساؤها ملتفات بالسواد ضاربات على وجوههن بخُمُر مصرية . سجنت الخدين وأطلقت العينين .

هنالك دعينا إلى متنزهات على النيل ، فبدا ثمة نهر مصر كما يسميه أهلوها بحراً رحيب الصفحة مترامى الساحة . وحملنا ذات صباح مركب بشراع مال بنا مترنحاً على خطرات الريح ،فذكرت تحت شراعه وصف شوقى « النيل نجاشى ولفتت حمامة بيضاء بجناح واحد » وسألت نفسى كيف يزهد شعراء مصر وهم غنية الأدب بوصف هذه المباهج والمغانى كما زهد شعراؤنا بالشام فى وصف طبيعتها ومفاتنها ، وما مصر سوى النيل الذى وهب لها البركة والحياة وكتب لها المجد والخلود ، فلو أحصى ما قال الفرنسيون عن نهر السين وحده لجاء أكثر من ديوان ، وما نظم القدامى والمحدثون من أم الحضارة والثقافة فى وصف بلادهم تضيق به الأسفار الضخام.

ذلك دأبنا نحن الشرقيين ، فننا فى جيوبنا دفين ، وشعورنا فى جمال أرضنا وسمائنا مكبوت أو كمين . ذكرت هذا فى السفينة الشراعية التى نقلتنا إلى جزيرة الملك بأسوان ، التى اشتملت على حديقة واسعة فينانة ، ذات أدواح باسقة عتيقة، وأشجار لفاء مثمرة حديثة الزرع إفريقية المنشأ ، وقد التفت غصونها وتكاثفت أوراقها، وحشدت فى الحديقة أفواف الزهر ونسقت مغارسها يد صنّاع ، وفى هذه الجزيرة الغناء تناثرت طالبات الفنون على حفافى النيل وفوق مجاثم الصخور بأيديهن الألواح والتلاوين ، وطفقن يستوحين الطبيعة المصرية الخالبة ويتنافسن فى رسم صورها الرائعة مرضاةً لمواهبهن المتفتحة واكتساباً لتشجيع رئيستهن الفنية النابغة السيدة زينب عبده .

ولاحت لنا من على عدوة أسوان قبة الهواء تتناوح فيها الريح فوق جبل أسندت فيه رشيقات الأجسام ممن احتملن نقل الأقدام على الرمال حتى أشرفن على النيل وطوفن بمقابر الأمراء ثم صَعّدْن فى الروابى والشرفات .

وزين لنا الإلمام بالقبائل التى اعتزلت فى ضاحية من أسوان كأنها الصحراء ، فرأينا فيها رقص بناتها وترنح شيخاتها ، وإنها لزمر تسكن المدر وتعيش على الفطرة نائية عن الحضارة ، وفى ضاحية ثانية تقام كل خميس سوق عامة كسوق الجمعة فى صالحية دمشق ، يبسط فيها للبيع كل أوعية ومتاع ، ويتنافس الباعة من نسوة ورجال فى عرض بضاعتهم المزجاة ، ويزدحم المساومون حولها.

ثم كان يومنا الأخير فى أعز ما عند أسوان وهو الخزان ، فركبنا سفينة تجرى بالبخار ، حملتنا فى مؤنس الضحى على متن

بعــــد الرصافي...

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

الآن ختم جيل الشعر فى العراق ، وانطوت صفحة أخيرة من كتابه . بعد أن فاضت روح معروف الرصافى . فقد توفى صباح يوم الجمعة الماضى . المصادف ١٦ آذار سنة ١٩٤٥ فى الأعظمية ببغداد .

وبموت الرصافى تبدأ صفحة جديدة فى عالم الشعر العراقى ، وتنتهى سلسلة الشعراء الكبار الذين امتدت حياتهم بين القرنين التاسع عشر والعشرين . والذين كان آخرهم فى العراق – قبل الرصافى – جميل صدقى الزهاوى .

وحياة الرصافى تختلف عن حياة كل من عاصره من الشعراء من عدة وجوه . وليس المجال متسعاً للافاضة فى تاريخ حياته ، لأن ذلك لا يتسع له مجال محدود . بل الأجدر أن تقوم فئة بتدوين حياته تدويناً علمياً ، ولكن نقطة الاختلاف التى أشرت إليها تنحصر فى عقدة نفسية كانت بارزة فيه . هى شدة حبه المطلق للحرية بجميع معانيها . حتى لقد كان هذا الحب الجارف أشبه بالقيد الذى قيد حياته ، وأثر فى نفسه تأثيراً عظيماً . فهو من قبيل القيد النفسى الذى تقيد به العبيد والمتصوفون . ومن مظاهر هذا القيد الخفى فى نظرى . حياته الأخيرة البائسة قبيل وفاته ، حيث انزوى وانقطع عن العالم ، وأصبح يعيش مهملا .

ومن المآسى النفسية أنه كان فى وضعه ذاك يأنف أن يشار إلى حالته بغير ما لا يأتلف وكرامته الجريحة . فقد أذاع بياناً على الناس قبيل وفاته رفض فيه النغمة التى كانت ترددها بعض الصحف عن بؤس حالته وقال إنه يتبع فلسفة أبى العتاهية الذى يقول :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

وهذه حركة تدل على أنفته وكبريائه الجريحين اللتين خفف من حدتهما السن والمرض .

ولقد أدى الإهمال وسوء الحال بصحة الرصافى إلى التردى يوماً بعد يوم مع أنه يملك جسما يكاد يكون عملاقاً . ومن مميزاته الشكلية وضوح النظرة ، وجهارة الصوت ، وقوة العارضة .

***

عرف الناس الرصافى الشاعر الذى لاحدود لصراحته ولارقيب على لسانه غير ما يعتقد . منذ زمن بعيد . كما عرف بكرمه الزائد وعدم انصياعه للضرورة مهما كان شكلها . وهاتان الخلتان تكفيان لأشقاء فرد فى العراق لا مال له ولا سلطان ، ولا يعتمد اعتماد القرابة أو النسب على ذوى المال والسلطان . ولذلك كانت حياته سلسلة من تشرد ضيق الحدود . فيه فوق صفة التشرد التزام الحشمة التى ينبغى على رجل كالرصافى أن يؤدى جزيتها .

فمن غريب المفارقات أن الرصافى كان يستخدم اسمه وشهرته وحب الناس له فى قضاء حوائج غيره ممن لا يرتدعون عن اللجوء إليه فى طلب الشفاعات ، ولعله كان أجدرهم بطلب الشفاعة لو أنه كان يأبه للضروريات . ولو أن نفسه تقبل التوسيط والرجاء .

ولقد نبذ الزى المدنى منذ زمن والتزم زى البدو من العشائر ، وسكن قبل مدة فى الفلوجة إحدى القرى القريبة من بغداد .

النيل إلى مجمع الخزان ، فإذا هو متحبس ماء جبار رابض فى قاع من جلمد الصخر ، شيدته معجزة العلم الحديث بين ضفتين شاسعتين ومرتفعات راسخة ، حصرت الماء الذى رأيناه منبثقاً من خلال الخزان ، وكأنه أسنان مشط برجل ضفائر عروس النيل ، فكان الزبد يعلو ثم يهوى فيتفجر دقيق الرؤوس ضخم الأجسام ثم تتناثر منه الأقدام برذاذ كأنه ضباب أو دخان .

وتولّع بنا صبية عوّامون فى النيل حول الخزان ، وما راعنا إلا صغير منهم أسود الأديم قفز من ارتفاع عشرين متراً فهوى إلى الماء جنبنا وكأنه باشق حالك ، ولما غاص فى الماء ثم عام أخذ يتقلب وكأنه سمكة سوداء .

وكذلك عدنا من أسوان ، بمسيرة يوم وبعض يوم ، معنا لذكراها أوعية من القش موشاة بالألوان ومراوح منسوجة ذوات طرر ، وقلائد من العاج سآخذها معى إلى الشام لأذكر بها أسوان كما ذكرتها من قبل إذ قرأت كتب العقاد .

(القاهرة) وداد سكاكينى

الأفغانى والوحدة الاسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

— ٢ —

بين غسق القرن الغابر ، وغلس القرن الحاضر ، اشتد إمعان تركيا فى الضغط على الشرق والاستبداد بأبناء العروبة حتى فيما يمس دينهم وينال اختصاصهم . ومن ناحيـة أخرى أخذ طمع الاستعمار الأوربى يفتح فاه على الشرق يريد التهامه ويطمع فى ابتلاعه ، وقد ابتدأ يتخطف أجزاءه ، ويتحيف جوانبه . مرة بالحيلة ، وأخرى بالوقيعة ، وثالثة بالسطوة والقوة ، وكان من هذه « الرزايا التى حلت بأهم مواقع الشرق أن جددت الروابط ، وقاربت بين الأقطار المتباعدة بحـدودها ، المتصلة بجامعـة الاعتقاد بين ساكنيها ، فأيقظت أفـكار العقلاء ، وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم ، فتقاربوا فى النظر ، وتواصلوا فى طلب الحق ، وعمدوا إلى معالجة علل الضعف ، مؤملين أن يسترجعوا ما فقدوا من القوة ، راجين أن تمهد لهم الحوادث سبيلا حسناً يسلكونه لوقاية الدين والشرف ،.. وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه ، ويوحدون كلمة الحق فى كل صقع ، لاينون فى السعى ، ولايقصرون فى الجهد[1] » ، وكان رأس هؤلاء المصلحين الداعين السيد جمال الدين الأفغانى رضوان الله عليه .

هال الأفغانى أن يرى الشرق بين أنياب الاستعمار الأوربى تنوشه من كل جانب وتدميه فى الصميم من قلبه ووجدانه ، ومع هذا فهو يغط فى سبات عميق ، وأهله فى فرقة كلها التخاذل والتنافر ، والدولة التى تحمل لواء الخلافة ليست لها صلات صحيحة — كما يقول — بأم الشرق وأقطار العربيـة ، وقد كان الرجل يعجب أشد العجب إذ « يرى للمسلمين شدة فى دينهم ، وقوة فى

(١) افتتاحية العدد الأول من العروة الوثقى التى كان يصـدرها جمال الدين ومحمد عبده .

وعاش عيشة المتزهدين المتصوفين ، ثم انتقل إلى الأعظمية قرب بغداد حيث ختمت بها أيامه .

وهذا التغير هو الآخر يدل على حبه للحرية ، فإنه لم يرض أن يتقيد بالزى «الأفندى» وقبل أن يلتزم قيد اللباس العربى البدوى . ولعله لم يشعر بالنقالة شعور الذى يتفرج عليها ، بل لعـله لم يشعر بها مطلقاً .

***

لا أظن قلباً إنسانياً ينبض بحب الإنسانية لا تحركه هذه الـكلمات البسيطة من وصية الرصافى التى كتبها قبل أن يموت .

« لا أملك شيئاً سوى فراشى الذى أنام فيه ، وثيابى التى ألبسها ، وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذى فى مسكنى ليس لى ، بل هو مال أهله الذين يساكنوننى . كل من اعتدى علىّ فى حياتى فهو فى حل منى . وإن كان هناك من اعتديت أنا عليه فهو بالخيار ، إن شاء عفا عنى ، وإلا قضى بينى وبينه الله الذى هو أحكم الحاكمين » .

فى هـذه الـكلمات أتخيل الرصافى كالأسد الجريح . الأسد الذى هدت من حياته تصورات الموت وسخف الحياة الماضية . إن هذه النغمة ليست نغمة المستكين الضعيف ، ولـكنها نغمة القوى الذى وضح لعينه سخف القوة والأقوياء .

لقد كانت فى حياة الرصافى عدة دروس جديرة بالاعتبار . ومما لا شك فيه أن ستقوم هنا وهناك حفلات التأبين ، وسنسمع أصوات أولئك الذين يمجدونه ويلهجون بحمده وحمد شعره وآثاره . ولـكن لن يكون لـكل هذا من جواب من الرصافى نفسه ، لو أنه يطلع عليهم من وراء الحجب ، غير ضحكة الاستهزاء والسخرية . فما كان أكثر تعريضه بهذه الأساليب التكريمية وقلة جدواها

هل سنتعظ من درس الرصافى هذا ؟

أشك فى ذلك .

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

إيمانهم ويقينهم ، يباهون بها من عداهم ، حتى ليشفقون على أحدهم أن يمرق من دينه أشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء » ومع هـذا يراهم « فى شقاق مقيم ، وتنافر أليم ، وغفلة عما ينتظرهم ، ويلم ببعضهم »..

أقول هال السيد الأفغانى ما رأى وما كان يتوقع من مقدمات الحوادث ، وأفزعه ذلك الشتات فى الجامعة الإسلامية ، وتحقق له أن الفرقة علة الشرق المتوطنة ، وداؤه المتمكن ، فنهض يصيح « بأرباب الغيرة من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحجة والحق ألا يتوانوا فيما يوحـد جمعهم ، ويجمع شتيتهم ، وأن يتعاونوا على صون الوحدة عن كل ما يثلمها ، فيكونوا بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة ، وطلبوا سعادة ، والرمق باق ، والآمال مقبـلة » ، ولقد كان ذلك المصلح العظيم يرى أن قيام هذه الوحدة للمسلمين « مما تقضى به الضرورة ، وتحكم به العادة ، حتى يقيموا بذلك سداً يحول عنهم تدفق السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب ، ومن ثم ظل طول حياته ينهض بهذه الدعوة ، وينادى بضرورتها فى كل مناسبة سانحة ، وفى كل مكان تنزل به قدمه ، ثم أراد أن ينظم سبيل الدعوة ، وأن يقوى من صوتها وأغراضها ، فأنشأ جمعية « أم القرى » وهو فى مكة لتدعو إلى الجامعة الإسلامية تحت لواء خليفة واحد يسيطر على العالم الإسلامى أجمع ، ثم ألف جماعة « العروة الوثقى » وهو فى باريس من مسلمى الهند ومصر وشمال أفريقيا وسوريا ، وأصـدر بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » لساناً لحالها وتعبيراً عن أغراضها ، وكان هدفها وحدة المسلمين وإيقاظهم من سباتهم ، وتنبيههم إلى المخاطر التى كانت تهددهم ، وإرشادهم إلى سبل مواجهتها والتغلب عليها[1] .

كانت دعوة جمال الدين تتلخص فى أن الوحدة بين المسلمين ضرورة تقضى بها الطبيعة والعادة ، ويؤيدها العقل والنقل ، وتقرها شواهد التاريخ للجماعات البشرية ، وعوامل الاجتماع والألفة بين الأمم والشعوب ، وكان يضرب لذلك الأمثال والسوابق فى تاريخ الوحدة الإسلامية فى الصدر الأول ، والوحدة الجرمانية فى العصر الحديث ، أما المبررات والدعائم التى تقوم عليها هذه الوحدة ، فقد أشار إليها إشارة عابرة فى إحدى مقالاته إذ يقول : « إن من أدرنه إلى بيشاور دولاً إسلامية متصلة الأراضى متحدة العقيدة لاينقص عددهم عن خمسين مليوناً[1] ، وهم ممتازون بين أجيال الناس بالشجاعة والبسالة ، فلو اتفقوا فليس ذلك ببدع بينهم.. » ، ومعنى هذا أنه يرى أن الدعائم لتحقيق الوحدة ترجع ، أولا : إلى اتصال الأراضى وتجانس الوضع الجغرافى بين الأقطار الإسلامية ، وثانياً : إلى اتحاد العقيدة التى تربط القلوب وتؤلف النفوس وتوحد بين الأحساس والاتجاه ، وثالثاً : كثرة العدد ، وهذا مما يجعل الوحدة قوة يحسب حسابها ويخشى بأسها ، ورابعاً : ما يتجلى فيهم من صفات الشجاعة الموروثة ومآثر الرجولة الكامنة ، وهذا مايقوى الأمل فى قدرة الوحدة على مواجهة الخطوب والتغلب على الصعاب التى تحيط بها ، وحطم الأنياب المسنونة لانتهاشها .

ثم يشرح الأفغانى غاية ما يرجو فى قيـام الوحدة ، ومدى ما يطمع فيه من الوضع الذى تتحقق به فيقول : « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً ، فإن هذا ربما كان عسيراً ، ولـكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملـكه يسـعى جهده لحفظ الآخر ما استطاع ، ويعتقد أن حياته بحياته ، وأن بقاءه ببقائه ، على أن تـكون أول صيحة تبعث على الوحدة وتوقظ من الرقدة ، صادرة من أعلاهم مرتبة ، وأقواهم شوكة .. » ، وهنا يبدو الرجل فى الواقع حكيما فطناً ، وسياسياً عالماً ببواطن النفوس ، فلم يركب الشطط فى الطلب ، ولم يسرف على نفسه وعلى الناس فى الخيال ، فيرجو وحدة يكون مالك الأمر فيها شخصاً واحداً ، لأنه كان يعرف أن الأنانية المتسلطة على نفوس أهل السلطان لا تؤهلهم إلى إنـكار ذاتهم ونسيان أنفسهم ، ولا تسمح لهم بفناء أشخاصهم فى شخص واحد من أجل مصلحة المسلمين ووحدتهم العامة ، ولهذا

(١) راجع ما كتبه الشيخ رشيد فى الجزء الأول من تاريخ الامام .

(١) كان هذا العدد فى تلك الأيام

وقف فى رجائه عندما يسمح به الواقع ، وتجود به الطبائع ، ويكفى فى تحقيق الغرض ، ولعل الأفغانى لم يقتصد فى وجه من وجوه الدعوة كما اقتصد فى هذا الموضع الدقيق الذى كان يتعاظمه الناظرون فى مسألة الوحدة ، ويرونه عقدة المشكلة وعقبة الطريق ، فتغلب عليها الرجل بالتغاضى عن مظاهر السلطان الشكلية ، وإن كان أحكم الرباط المعنوى فى القصد والغاية ، والشعور والاتجاه ، حتى يكون الجميع يداً واحدة ، ووجهة متفقة ، وقوة دفاعية لصد التيار الجارف ، وهذا غاية ما تطلع إليه الآخذون بخطة الأفغانى من بعده ، وهو الوضع الذى قام عليه « بروتوكول » الجامعة العربية وميثاقها فى هذه الأيام .

وتحدث الأفغانى عن الأداة التى تهيئ للوحدة ، وتجمع حولها العواطف والميول ، وتغرسها عقيدة فى النفوس وفى القلوب ، وحاول أن يجد هذه الأداة فى الصحافة التى كانت قائمة فى أيامه ، ولكنه لم يكن على ثقة بها ، يراها قليلة الغناء والفائدة ، وضرب المثل بما كان من سوء تأثيرها ودعوتها إلى التفرق والانقسام وتبديد بقايا الالتئام ، وجعلها النوافذ والخصاص فى بنيان الأمة أبواباً ليدخل منها الأجنبى ، وكان هذا رأيه فى ناشئة المدارس المدنية فى مصر وتركيا لأنهم أضعفوا الأمة بدلا من أن تنال بهم القوة والمنعة ، وكل بضاعتهم التفيهق بألفاظ الحرية والوطنية والمدنيـة ، وهم لا يدركون مغزاها ومرماها ، ولا يقدرون تكاليفها ، وغاية ما لهم هو الإسراف فى تقليد الأجانب والانسلاخ من قوميتهم ، فكان أن تجاوز الرجل الأمل فى هذين العاملين ، وانتهى فى اختيـار الأداة إلى العلماء العاملين ، وجعلهم مناط التكاليف للقيام بهـذه المهمة وطلب منهم أن يكون لهم اليد الطولى فى هذا العمل الشريف ، وقد وضع لهم فى ذلك برنامجاً منظماً محكماً إذ يقول : « ومن الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع ، أن ينهضوا إلى إحياء الرابطة الدينية ، ويتـداركوا الاختـلاف الذى وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذى يدعو إليه الدين ، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق فى مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسـة مهبطاً لروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها حلقة فى سلسـلة واحدة ، إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة والوعاظ فى جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض ، ويجعلون لهم مراكز فى أقطار مختلفة يرجعون إليها فى شؤون وحدتهم ، ويأخذون بأيدى العامة إلى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الأثر ، ويجمعون أطراف الوشائج إلى معقل واحـد يكون مركزه فى الأقطار المقدسـة وأشرفها فى معهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الأمة إذا عرض حادث الخلل ، وتطرق الأجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ، ويكون ذلك أدعى لنشر العلوم وتنوير الأفهام وصيانة الدين من البدع .. »

هذه هى الأداة التى وقع عليها اختيار الأفغانى ، وهـذا هو البرنامج الذى وضعه لدعاة الوحدة وألسنتها ، والظاهر أن الرجل فى هذا الاختيار وهذا الإيثار قد تمثل أمامه ما كان لهذه الأداة من القوة والسلطة فى الصدر الأول ، وما كان للعلماء والأئمة والوعاظ يومذاك من صـلة محكمة بشئون الدين والدنيا ، وأمور السياسة والملك ، وأحوال الناس والعباد ، ثم ما كان فى نفوسهم وفى قلوبهم من إباء فى الحق ، وغيرة على الصدق ، وعزة ترتفع بهم عن منازل الخضوع والخنوع ، ولـكن أين هم أولئك العلماء وأين هم أولئك الوعاظ والخطباء والأئمة حتى يعلق بهم السيد الأفغانى كل الأمل فى رأب الصـدع ، وجمع الشمل ، وبناء المجد . لقد وقع الرجل بحسن ظنه بعيداً عن الحقيقة ، واهماً فى الأمل ، ولو أنه تكشف بواطن الأمور فى هـذه المسألة لتبين أنه اختار للأمر أداة بطل عملها ، وتفككـت أوصالها ، وفقدت قوتها ، حتى أصبحت فى نفسها وفى وضعها جزءاً من العلة ، وأصـلا من أصول الداء ، وعجيب أن يكون هذا أمل الأفغانى فى العلماء والوعاظ والأئمة ، وهو الذى اصطلى نارهم ، وحرق بسعيرهم ، وقضى حياته يشـكو المناهضة منهم ، والمضايقة من جمودهم وجحودهم للدين والحق تملقاً لأهل السلطان والسياسة ، وهكذا عاش تلميذه الأستاذ الإمام من بعده . ولو أن العمر امتد بالأفغانى إلى تلك الأيام ، ورأى ما كان من تطور الحوادث والأحداث ، وعلم الزعماء والرجال الذين جاهدوا لمجد الشرق العربى ، ومدافعة الاستعمار الأجنبى ، وليس فيهم رأس من أولئك العلماء والأئمة والخطباء ، إذن لتنكر لرأيه ، ولبارك رجالا أساء الظن بهم ، فـكان القادة منهم ، والطلائع من بين صفوفهم.

وأخيراً ينتهى الأفغانى فى الرأى إلى أن يكون لهذه الوحدة الدينية قبلة ، هى قبلة الدين ، ووجهة المسلمين فى مشارق الأرض

فلاسفة المجتمع

الصراصير . . . !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

قال لى صاحبى ليعلم ما بى . . . مالك كأن أمراً ذا بال استقل بك عن دنيا الناس . قلت : صدقت فراستك ياصاحبى على ندرة ما تصدق ؛ فقد انفرجت الهوة بينى وبين دنيا الناس ، وأصبحت مشغولا بتوافه المخلوقات فى دنيا الصراصير ... وهذه الطائفة من هوام الأرض هينة ضئيلة الخطر ؛ لأنها تألف بأملاء طبعها عليها ، ودفع تكوينها لها ، « الجدار » المتداعى من « بيتك » الذى يريد أن ينقض وتريد أنت أن تقيمه ، فلا تريد له هذه الصراصير بقاء أو سلامة ، هى جادة فى عبثها وأنت جاد فى حذرك منها والهزيمة على البائس منكما . . .

ومن فلسفة الحياة أحيانا ، أن تقذف بالسوس فى لفائف العود الباكر فاما أن يتقصف أو يستطيل على الريح ! !

ومن فلسفتها كذلك أن تحترم عزمة الكاسر الضارى وتشد وثاقه وتطلق عليه « الفيران » تلتطم بجبهته وتتساقط حواليها ولن تظفر بعد ذلك منه بغير تثاؤب طويل .

أعود بك ياصاحبى لقصة الصراصير ... فهى فى فلسفتها ليست بأقل شأنا من فلسفة السوس مع العود الباكر ، أو جماعة الفيران مع الضارى الكاسر ، وما إخالك تستريح للاسترسال فى اكتناه أسرار هذا الفريق الآخر من فلاسفة المجتمع .

أعود فأقول لك : إنك إن يئست من اتقاء شر هذه الحشرات فأنت مقدم بذلك كافة جدران بيتك هدية لفتكها وعملها الخبيث .

هى مولعة أن تأكل اللبنات الطيبة ، فان لم تجد جدارا تقوى عليه ، انقلبت يعدو بعضها على بعض ، فتتآكل وتفنى ، والموقف منها ذو حيلتين : إما أن تقيم معها على الضيم الرخيص وفى ذلك اعتراف بها ، وتقويم لوجودها . . . ثم فيه أخيرا تشجيع لها لتمضى على سنتها التى درجت عليها ، من الاختلاف إلى كل جدار ؛ تتكاثر فى قاعدته ، ثم تتسرب جماعاتها فى تجاليدها المظلمة ، تكد وتجهد ، حتى يتطامن الجدار ويصبح كله قاعدة . فاذا البيت لا يصلح إلا لهذه الصراصير ... وحيلتك الثانية معها أن تزحزح وتتركها فى الزوايا المظلمة ؛ تعبث وتلهو ، وتجنب نفسك بذلك فضل احساسها بشعورك بها . . .

... فانتفض صاحبى قائلا : أو ترضى يا أخى أن تهزم وتنتصر الصراصير !

قلت : هى على كلتا الحالين منتصرة ، تعوز رب البيت وسائل التطهير .

ثم أنسيت أنت قول الرجل العربى « خير لنا أن تغلبنا قضاعة من أن نغلب قضاعة » . . . قال : وما قصة قضاعة هذه ؟ فقلت : هى قصة تلخص فلسفة مجتمع مضى كان صريحا واضحا . ترّبى فى كنف فلاسفة الرجال ولم يتلق تعاليمه ونظمه الاجتماعية من فلاسفة الصراصير ؛ تلك الطائفة الحائرة المحيرة . . . فاطمأن صاحبى فى جلسته ، وأخذ يفرك جبهته بأنامله قائلا : بدأت أفهم يا أخى فقلت : وأنا بدأت أفكر فى ادخارك لحديث آخر يكون كله مفهوماً ، أعرض لك فيه صورا ناصعة ، لطراز آخر من فلاسفة المجتمع الحديث .

أحمد عبد المجيد الغزالى

ومغاربها ، فاختار مكة المكرمة لأنها كما يقول : « مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام فى كل عام ، يجتمع إليه الشرقى والغربى ، ويتآخى فى مواقفها الطاهرة الجليل والحقير ، والغنى والفقير ، فكانت أفضل مدينة تتوارد إليها الأفطار ، ثم تنبث إلى سائر الجهات ... وما هى إلا كلمة تقال بينهم من ذى مكانة فى نفوسهم حتى تهتز لها أرجاء الأرض ، وتضطرب لها سوا كن القلوب[1] .. » ، ومن ثم كان السيد الأفغانى يطمع فى أن يكون موسم الحج مؤتمراً عاماً يتلاقى فيه المسلمون بآمالهم ، ويتعهدون فيه شؤونهم ومصالحهم ، ويؤكدون به غاياتهم وروابطهم ، وإنها لفكرة قوية جليلة لو استطاع القائمون بأمر الإسلام والقوامون على المسلمين الانتفاع بها ، لكانت للأمم الإسلامية قوة روحية لا تنفد ، وعدة تعينهم على مواجهة الشدائد والصعاب ، وذخراً يملأ نفوسهم بالسمو والطموح إلى آفاق المجد والارتباط المتين لاستقبال الغد .

للكلام صلة — محمد فهمى عبد اللطيف

(١) نقلنا هذه الفقرات وما قبلها من مقالات العروة الوثقى التى كان الأفغانى صاحب الرأى فيها



٤ – الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

التمثيـــل(*)

كنت أتحادث مع رودان بمرسمه فى أصيل يوم من الأيام ، وقد أخذ الظلام يرخى سدوله فسألني فجأة :

« هل سبق لك أن عاينت تمثالاً قديماً على ضوء مصباح ؟ »

فأجبته فى شيء من التعجب : « كلا ، أبداً » .

« حسن . سأدهشك . فلربما بدا لك أن معاينة التماثيل فى غير ضوء النهار أمر غير مألوف . صحيح أنك تستطيع أن تستجليها على أكمل وجه فى وضح النهار ولكن تمهل قليلاً فسأطلعك على تجربة تخرج منها بفائدة محققة » .

وعند ذلك أشعل مصباحاً أخذه بيده ثم قادنى إلى تمثال من رخام قائم على منصة فى ركن من أركان المرسم . كان نسخة جميلة مصغرة من تمثال زهرة مديسى Venus di Medici وقد احتفظ به رودان هناك كيما تستعر به نار وحيه وإلهامه عند ما يعمل .

« اقترب منى » قال ذلك ثم رفع المصباح إلى جانب التمثال وقربه منه حتى كاد يلمسه ، وسلط الضوء كله على الجسم ، ثم سألنى عما عساى أن ألاحظه . ولأول لمحة أخذت أخذاً عجيباً بما بدا لى فجأة إذ أظهر الضوء وهو من ذلك الوضع نتوءات وانخفاضات هينة عديدة منتشرة على سطح الرخام مما لم أكن أتوقع مشاهدته . وهـذا ما أجبت به رودان على سؤاله فصاح موافقاً : « حسناً ، انتبه جيداً » . وعند ذلك أدار المنصة التى يقوم عليها التمثال . وكنت لا أزال أبصر فى جسم التمثال وهو يدور عدداً عديداً من تلك الفحصات التى تكاد تدق على الأعين . وبدا لى ما كان بسيطاً فى أول الأمر غير بسيط ، وإذ ذاك رفع رودان رأسه وصاح مبتسماً : « أليس ذلك عجيباً ؟ اعترف بأنك ما كنت تتوقع اكتشاف الـكثير من تلك التفاصيل . انظر إلى تلك التموجات العديدة على الجزء الذى يصل الفخذ ببقية الجسم . لاحظ كل انحناءات الورك الشيقة ، ثم هنا ، تلك الفحصات[1] المليحة الفاتنة التى على طول الأرداف » .

قال ذلك فى صوت خفيض به حرارة التعبد ونبرات الخشوع وقد انحنى فوق التمثال كأنما شغف به حباً وقال : « حقاً إنه من لحم » . ثم لمعت عيناه وقال : « يخيل إليك أنه قد من العناق والقبل لا من الحجر الصلد » . وبعد أن وضع يده على الدمية قال فجأة : « عند ما تلمس هذا التمثال تحس كأن الحرارة تسرى فيه » وبعد لحظات قليلة عاد فقال :

« حسن . وما قولك الآن فى تلك الفكرة السائدة عن الفن الإغريقى ؟ يقولون . وأخص بالذكر أصحاب المدرسة القديمة الذين نشروا هذه الفكرة ، إن القدماء فى عبادتهم للمثل الأعلى احتقروا الجسد أيما احتقار وأرخصوا من شأنه وأبوا أن يظهروا فى أعمالهم دقائق الحقائق المادية العديدة . يدعون أن القدماء أرادوا أن يجاروا الطبيعة فى خلق جمال متخيل مبسط يروق للذهن فقط ولا يستثير الحواس . ويضربون لذلك الأمثال التى يتوهمون أنهم وقعوا عليها فى الفن القديم ، ويتخذون من ذلك حجة على تهذيب الطبيعة وتخنيثها وقصرها على حدود ضيقة جافة فاترة عقيمة لا تمت إلى الحقيقة بصلة .

ومما لا مشاحة فيه أن الإغريق بالغوا فى إظهار ما يجب إظهاره بما أوتوا من عقول منطقية جبارة . لقد أفصحوا عن أهم المميزات البارزة فى النوع الإنسانى ، ومع ذلك فإنهم لم يطمسوا شيئاً من التفاصيل الدقيقة الحية . إنهم كانوا يقنعون بمزجها وإدماجها فى المجموع . وبينما تراهم مولعين بالحركات المنسجمة المتزنة الهادئة تراهم يخضعون أو يضعفون فى غير ما تعمد كل ما شأنه أن يؤثر فى جمال أو رواء حركة من الحركات . ولكنهم تحاشوا أن يمحوها كل المحو .

إنهم لم يبتدعوا قط طريقة أو أسلوباً من المهايات والأضاليل ، كان ديدنهم أن يظهروا الطبيعة كما رونها ، يحدوهم فى ذلك حبهم

(*) رأيت أن أضع هذه اللفظة لـكلمة الانجليزية Modelling مشتقاً إياها من كلمة مثال Model

(١) جمع فحصة وهى من فحصة الصبي : نقرة ذقنه ، استعملت هذه اللفظة للدلالة على النقر التى فى الجسم .

واحترامهم لها . ولقد أثبتوا إثباتاً قاطعاً فى كل المناسبات شغفهم الشديد بالجسد. وإنه لمن البله أو الخبل أن نعتقد أنهم كانوا يحتقرونه ، إذ لم يثر جمال الجسم الإنسانى شعوراً أرق وأعمق مما أثاره فى نفوس الأغريق ، حتى لتبدو تماثيلهم التى نحتوها كأنما يطيف بها طائف من النشوة والوله . وعلى هذا الأساس يُفسر الفارق العظيم الذى لا يتصور بين المثل الأعلى الزائف عند المدرسة القديمة وبين الفن الأغريقى . فبينما نرى فى أعمال القدماء أن تعميم الخطوط ما هو إلا مجموع أو « كل » يتكون من التفاصيل والدقائق ، نرى التبسيط المدرسى خوراً وضعفاً ، نراه خاوياً كالطبل الأجوف . وبينما نرى الحياة تهيمن على عضلات التماثيل الأغريقية النابضة وتبعث فيها الحرارة والدفء نرى دُمى الفن المدرسى كأنما أثلجها الموت » .

وهنا صمت رودان هنيهة عاود بعدها حديثه قائلا :

سأطلعك على سر عظيم . أتدرى كيف أمكن أن نحس دبيب الحياة فى تمثال ڤينوس الذى نحن بصدده ؟ بواسطة علم التمثيل . ولربما بدت لك هذه الكلمات تافهة عادية ولكن صبراً فستسبر غور أهميتها بعد حين .

أخذت علم التمثيل عن معلم يسمى كنستانت كان يعمل فى المرسم الذى ظهرت فيه أول مرة كمثال محترف . فبينما كان يراقبنى يوما وأنا أعمل فى رأس يكلله أكليل من الغار إذ صاح بى قائلا : يا رودان ! إنك لا تسير بهذا فى الطريق السوى . فكل أوراقك منسطحة ولهذا فهى لاتبدو طبيعية . اجعل أطارف بعضها متجهة نحوك حتى يشعر من يراها أن لها أبعادا وأغوارا. عملت بمشورته ؛ ولشد ما دهشت من النتيجة التى حصلت عليها .

ثم عاود كنستانت نصيحته قائلا : فلتذكر دائما ما سأقوله لك الآن . عند ما تطبع فى الطين أو تحفر لا تنظر إلى الجسم فى طوله ولكن فى ثخانته ، ولا تعتبر سطحاً من السطوح إلا كحد أو نهاية لحجم ما ، أو كالطرف الذى يوجهه إليك ذلك السطح . إنك ان تمارس ذلك تحصل على علم التمثيل ؟ ولقد وجدت هذه القاعدة مفيدة أيما فائدة . ومن ثم طبقتها على صنع التماثيل . فبدلا من أن أتصور أجزاء الجسم مسطحات كثيرة الانبساط أو قليلة أبرزتها كنتوءات ذات أحجام داخلية . وقد حاولت جهدى أن يدل كل نتوء فى الصدر أو الأعضاء على عضلة أو عظمة تحت الجلد ، وهكذا يبدو صدق تماثيلى منبعثاً من الداخل كالحياة نفسها لا سطحياً تافها .

ولقد تبين لى الآن أن الأقدمين مارسوا هذا الضرب من التمثيل بحذافيره . ومما لا ريب فيه أن ما نراه من نضارة وطراوة أعمالهم التى تنبض بالحياة انما يرجع إلى اتباعهم هذه الطريقة فى أشغالهم .

وهنا تأمل رودان تمثال الزهرة من جديد ثم سألنى فجأة :

« ما رأيك يا جيزيل ؟ هل اللون صفة من صفات التصوير أو النحت ؟ »

فأجبته : « من صفات التصوير طبعا » .

فقال : « حسن . انظر إلى هذا التمثال » . قال ذلك ثم رفع يده بالمصباح إلى أعلى ما يستطيع لكى يلقى بكل الضوء على صدر الدمية ثم قال :

« انظر إلى الأضواء القوية التى على الثديين ، وإلى الظلال الثقيلة التى فى ثنايا اللحم ، ثم إلى هذه الصفرة الباهتة ، ثم إلى تلك الألوان الأثيرية التى تخفق على أدق أجزاء هذا الجسم المقدس ، ثم إلى تلك الأجزاء المظللة بظلال خفيفة حتى لتبدو كأنها تذوب فى الهواء وتندمج فيه . ماذا تقول فى كل ذلك ؟ ألايخيل إليك أنها قطعة موسيقية مؤلفة من الأبيض والأسود أو من الأضواء والظلال ؟ »

« وربمــا بدا لك فى قولى بعض التناقض الظاهرى إذا ما قررت بأن المثال العظيم لا يقل مهارة فى فن الألوان عن أكبر المصورين ، بل عن أكبر الحفارين engravers ، وذلك لأنه يتفنن بكل حذق فى كل ضروب التمثيل البارز وصنوفه ، ويمزج حدة الضوء بهدوء الظل فتجىء قطعه سارة ممتعة كأجل الرسوم المنقولة عن ألواح النحاس (etchiny) .

والآن — وقد أزدت أن أصل بحوارى إلى هذه النتيجة — أقول إن اللون هو زهرة التمثيل الجميل ، وإن اللون والتمثيل صنوان لايفترقان، وهما اللذان يسبغان على كل قطعة خالدة من أعمال النحت ذلك المظهر الوضىء للجسم الحى » .

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين



بين الأرقام والأحلام

كنت أذهب مساء كل يوم إلى حديقة نادى الموظفين فى عاصمة من عواصم مصر العليا فأجلس فى ركن هادىء من أركان تلك الحديقة الفسيحة ساعة أشاهد قرص الشمس وهو يغيب خلف التل فى إحدى عدوتى الوادى .

وكان لا يدنو منى هناك إلا رجل إنجليزى حاسر الرأس سريع الخطى أراه كل يوم وفى إحدى يديه ساجور كلبه وفى الأخرى عصا غليظة يدخل من باب النادى فى ساعة معينة لا يتقدم عنها ولا يتأخر ، حتى لقد كنت أضبط ساعتى على مرآه كما أضبطها إذا انتبهت إلى صوت المدفع . وكان الرجل متى بلغ النادى يجرى فى حديقته ساعة يلاعب كلبه كما يفعل صبى فى العاشرة ، ثم يدع الكلب ويجلس غير بعيد منى على كرسى . ويمد رجليه على آخر . ويفتح كتاباً يخرجه من جيبه فيقرأ بعض الوقت ثم يبرح وكلبه النادى عند ساعة لا يتقدم عنها كذلك ولا يتأخر .

وتعارفنا أنا ومستر « للى » وهذا اسمه إلىّ وأنس « چوى » وهذا اسم كلبه . وأحسست من الرجل ما يشبه طبيعة المصرى فى سرعة الألفة ، وذكرت له ذلك فضحك وامتدح فى كياسة هذه الطبيعة المصرية قائلا وقد لمح على محياى ما داخلنى من سرور : « هذا بعض ما أحببت من شمائل شعبكم الطيب ؛ وقد عرفت الكثير منها من مخالطتى عملائى هنا فى بنك بركليز » .

— « هالو ! مستر خفيف ! سعيدة » ... ... التفت ذات مساء على تحية مستر للى هذه يلقيها إلىّ بالعربية ضاحكا ، ثم تقدم إلىّ وصافحنى كما نفعل نحن المصريين كلما التقينا ، ولو وقع ذلك فى اليوم مائة مرة .

— « چوى ! چوى ! إلعب وحدك اليوم فلن أشاركك مرحك ... ... إن فى توثبك دعوة إلى ولكنى لن ألبيها ؛ إنى متعب من زحمة الأرقام فى رأسى طول اليوم » .

وكان الرجل يخاطب كلبه بلغته الإنجليزية كما لو كان يخاطب ابنا له . ثم التفت إلىّ قائلا : « لينصرف كل منا إلى كتابه فبنفسى ميل إلى القراءة » وبعد مدة ألقى كل منا كتابه ودنا منى ذلك الإنجليزى باسما وهو يقول : « والآن فلنتحدث » .

وتبادلنا الحديث وانتقلنا من موضوع إلى موضوع حسبما اتفق ؛ وكثيراً ما عدنا إلى الحرب ومآسيها وأنبائها . ثم تحدث مستر للى عن وحدته وكيف يعيش هو وكلبه . ثم استدرك قائلا: « هذا إذا لم نعتبر الكتب وما فى بطونها من ناس ، فهؤلاء تغص بهم الكتب أو يزدحم بهم البيت ! » .

وسألته عن كتابه الذى ألقاه الساعة من يده ، فأجاب متهللا : « هذا مختارات من شعر تنيسون ... لشد ما تعجبنى موسيقاه ومعانيه! أجل لشد ما يبهج نفسى ويؤنس وحدتى تنيسون العظيم ! ... إنى لأقدمه على الشعراء ما عدا شكسبير وملتن ... آه لهذا الساحر ! » .

وكان الرجل فى كلامه عن الشعر والشعراء فياض المعانى بادى التحمس . وقد بدا وجهه الوسيم المتورد كوجه غلام فى أول الشباب ، وظللت أنصت إليه متعجباً من هذا الذى يقضى نهاره بين الأرقام فى المصرف ثم يختتمه باللعب وقراءة الشعر . وزادنى إعجابا به أنه يقضى وقتاً طويلا من ليله يقرأ ويستمع للموسيقى إلى جانب المذياع .

ولشد ما أبهج الرجل أن رآنى أحب ذلك الشاعر كما يحب ؛ وأنصت إلى فرحا وأنا أطرى بعض قصائده ثم قال : « لا بد من الشعر فى هذه الدنيا . لاشىء يسمو بالنفس الأنسانية كما يسمو بها الشعر . لا تصاحب من لا يجد فى نفسه شعراً ... اننى طول نهارى بين الأرقام فما كان أشقانى لولا الشعر والموسيقى . ثم هذه الحرب ما كان أتعسنى بويلاتها لولا هذا الروح العلوى ... حقا إن القراءة أعظم متعة »

وكانت الشمس قد مالت لتغيب خلف التل فى العدوة القريبة ، وانعكست خطوط من التل على قبة السماء ، وطرزت حواشى الأفق حمرة الشفق ، ثم زحفت ظلال الطفل تتشرب هذه الحمرة ، وتراءت القلاع البيض على صفحة النهر الأزلى يزيد بياضها خضرة الزرع على جانبيه ! والتفت صديقى الإنجليزى قائلا : « مد عينيك ! هذه قصيدة رائعة ، فلنصلِّ لحظة » .

وصلينا خاشعين لحظة طويلة ، ونهض صاحبى وهو يقول : « إن هذا التل وهذا النهر ليملآن نفسى بخيال الماضى ، فضلا عما يريانى من صور الجمال » ونادى الرجل كلبه ثم قال وهو يشير إليه « إنى أحب هذا الكلب لأنه شديد الإحساس بالحياة ، ولذلك سميته چوى ... آه كم أحب أن ألعب مثله فأشعر أنى صبى وأنسى أنى فى الرابعة والخمسين ! »

ووضع الرجل عصاه على ذراعه والساجور فى عنق چوى وانصرف قائلا : « هذا برنامج كل يوم ؛ ألست تحب ذلك ؟

ولكم أحببت ذلك وأحببت هذا الشاعر وأغرمت بخياله الذى حبب إليه الحياة أو هونها على نفسه .

الخفيف

رضـــا الفاروق

[إلى صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا]

للأستاذ محمد الأسمر

[الأبيات الآتية نظمها الشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر بمناسبة إبلال صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي من مرضه الذي فجأه وهو يشيع جنازة اللورد موين ، منتدباً من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، وقد كتبها لرفعته الخطاط المبدع الشيخ محمد عبد الرحمن ، وأحاطها بزخرف من فنه الجميل ، فجاءت إحدى طرائف القلم ، ونحن ننشرها بمناسبة إبلال رفعته من مرضه الأخير] .

تماثلَ للشفاء عظيمُ قومٍ إذا مصرُ اشتكت كان الدواء
عرفناهُ الشجاعَ ، فكم دعته شجاعتُه ، وكم لبَّى الدعاء
سلوا عنه الأمورَ إذا ادلهمَّتْ سلوا عنه (الرمال) أو (الهواء)
كفاهُ أنه — تفديه نفسى — يُقدمُ نفسهُ أبداً فداء
مشى بالأمس ليس يكاد يمشى يغالبُ عزمُه الداء العياء
يتابعُ خطوهُ ، والموتُ فيه ، كذا شاءتْ رجولتهُ وشاء
أرونى غيرهُ لمح المنايا تخف له فما رجع الوراء
مضى قُدُماً يؤدى ما عليهِ لواجبهِ ؛ فما أسمى الأداء
يُجشّم نفسه أشياء ينسى لديها الصارمُ الماضى المضاء
نجا من فتكِ (غادرةٍ) تمشَّتْ لصدرٍ ما حوى إلا الوفاء
ولو عرفتهُ ما عرفتهُ يوماً وصدَّتْ عن جوانحه حياء
فلولا الله لاقت مصر منها ولاقى كلُّ مصرىٍ عناء

***

تساءل معشرٌ عما شفاهُ ؟ ! رضا (الفاروق) كان له الشفاء
رعاه الله من ملكٍ كريمٍ يرفُّ على رعيتهِ لواء

٢٦ - ٢٤ محمد الأسمر

خواطر فى الظلام !

[من ديوان « فوق الحياة » الذى يصدر قريباً]

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

— ١ —

أيُّهذا الغريقُ فى الهمِّ يا قلـبى سُدًى ترتجى نسيم الهناء
ليسَ للحزنِ يا فؤادى قرارٌ أنتَ فيه تغوص دون انتهاء
مزّقَ الصخرُ فى الشواطىء جنبيـ
ـكَ ، إذا أنتَ رُمْتَ بعضَ النجاء
اجتنبْ هذه الصخورَ حراباً لك مسنونةً ذوات مضاء !!
فعسيرٌ أراكَ تَدمى مَزيقاً إنما فيكَ يا ثمينُ ... بقائى
وعسيرٌ أراكَ تنشَقُّ يا قلـبى أمامى فتستفيض دمائى !
فدَعِ الصخرَ والشواطىءَ ، واهبطْ
ما يشاء المقدورُ فى البُرَحاء
إنَّ تلك المهاوىَ السودَ حتمٌ أن تعانى بها صنوفَ البلاء
ولئن كنتَ يا فؤادىَ تشتا قُ إلى العيشِ فوقَ سطحِ الماء
فترقبْ موجةً من القاعِ تسمو بكَ نحو السنى ونحو الهواء
إنما البحرُ قلبٌ يا فؤادى شأنُ هذى الحياةِ والأحياء
بينما قاعه على السطحِ أموا جٌ عوالٍ تنال ثوب السماء
فإذا الموجُ بعد حينٍ قرارٌ وإذا القائمُ المقرَّب ... ناء

— ٢ —

يدُ مَنْ هذه التى دفعتْ بى وبقلبى إلى خضمِّ الشقاء ؟
يدُها ؟ بينما أكِبُّ عليها طابعاً قبلةً تبثُّ وفائى !
يدُها أم يدُ الزمانِ ... أبادتْ نشوانى لبُعدِها وهنائى
يدُها أم يدُ الزمانِ ؟! أطاحتْ بقلاعى التى بنيتُ وراءى
كنتُ شيَّدتُ من ظنونى قصوراً
حَـرَماً للحبيبةِ السمراء
شاهقات يصفقُ الحبُّ فيها بجناحين مِنْ مُنًى وصفاء
كنتُ أعليتُ من أمانىَّ حتى
شارفتْ بى مسابحَ الجوزاء

كنتُ ... أوّاهُ ما الذى هدم السا
مقَ فاندكَّ فى التراب رجائى ؟!
ذلك المعْوَلُ الرهيبُ ... أراهُ
وهو يَهْوِى على رفيعِ بنائى
هو فى قبضةِ القادرِ سيّا   نِ لديه تَبَسُّمى وبكائى
والليالى وراءه زاحفاتٌ   ساخراتٌ تضج فى استهزاء

— ٣ —

ذلك الليلُ ... وهو عندى مكانٌ
ألتقى فيه بالطيوفِ الوِضاء
كنتُ أحيا به ، كأنى منه   قطعةٌ فى رحابه السوداء
وأبثُّ الرياحَ أوهامَ نفسى   فتغنّى بها على الظلماء !!
وأناجى الأشباحَ والفكرَ والأحلامَ   حتى تطلَّ عينُ الضياء
ذلك الليلُ .. كم تنقّلتُ فيه   يقظاً فرطَ نشوةٍ برجائى
كنتُ أودعته مطامعَ روحى   وهو يُصغى ويستجيشُ غنائى
والنجومُ التى تلألأُ يا ليلُ   شهودٌ أمامَ حكمِ القضاء
أين واريتَ ما سمعتَ من الآ   مالِ يا هاتكاً عهودَ الإخاء
كيف راحتْ مطامعى وهى فى قلبكَ   سرٌّ تلفه بالخفاء ؟!
هى زادى على الحياةِ ومائى   كيف تأبى علىَّ زادى ومائى ؟!
أعِدِ الآنَ للشقىِّ أمانيه   وإن كُنَّ كالسرابِ النائى
أيها الكاهنُ الجليلُ الذى اهتزَّ (م)
لشدوى وحارَ فى أهوائى
أنت يا مَنْ نسجتُ خلدَ قصيدى
بين أحضانِهِ وصغتُ غنائى
أيها الشيخُ ... يا ظلامُ ... أعِدْ لى
أمَلى فى شقيقتى الحسناء
أوْحَدَتْنى على دياجيكَ نفسٌ   لم تفارقْ ترفُّعى وإبائى ...
رضيتْ قسمةً لها بانفرادى   دون عيشى كسائر الدهماء
حقرتْ ذلك القطيعَ من النا   س ولاذتْ بوحشةٍ خرساء
لم تعانقْ سوى العواطفِ والفكرِ   ولم تَتَّشِحْ بغير النقاء
غربتى ... غربةُ المحبةِ عن قو   مٍ أضاعوا الحياةَ فى البغضاء
والذى يمتطى المصاعبَ فى الدنيا   حرامٌ عليه طعمُ الهناء
كلما طهّرَ الصباحُ جبينى   بسناه ، علوتُ فى استحياء
أبتغى النورَ فى الذُّرى ، وأمنّى   باكتناهِ المُحجَّباتِ علائى
وتُصَلِّى خواطرى وهى تسمو   بى إلى عالمِ المعانى الوِضاء
بى طموحٌ من الحنينِ لمجهو   لٍ بعيدٍ ... مُلفَّعٍ بالخفاء
واشتياقٌ إلى عوالمَ خلفَ الـ
عين ، قامتْ هناكَ ... بعد السماء !!
ومَطارى من الحقائقِ يمتدُّ (م) رفيعاً ، ويستحثُّ ارتقائى

— ٤ —

قدْ بلوتُ الأنامَ فانكشفَ الستـ
رُ وساءَ الكمينُ تحتَ الطلاء
لى نفاذٌ يكادُ يخترقُ الأنـ   فسَ حتى زهدتُ فى الأحياء
أنا يا ليلُ قمةٌ ... ومحالٌ   أن تطولَ الربى إلى عليائى
كم تطلّعتُ .. لم أفُزْ بضريبٍ
يتسامى على حياةِ الرياء
كم تطلّعتُ ... ثم آبتْ عيونى
بدموعٍ سخينةٍ بكماء ...
كم تطلّعتُ ... فاخترقتُ فضاءً
شارداً ، يرتمى وراءَ فضاء ...
غمرتْ هذه الثلوجُ ، ثلوجُ الـ
يأسِ قلبى فجمّدتْ أحنائى
لم يكن لى سوى شقيقة روحى   مُنْيَةٌ بين عزلتى وخلائى
أيهذا الظلامُ أرْجِعْ لنفسى   أمَلى فى حبيبتى السمراء
إننى قمةٌ تعالى بها الحقُّ (م) غريباً عن سائرِ الأهواء
وحرامٌ يباعدُ الغيمُ فى الأفـ
قِ ارتفاعى ولا يزينُ علائى
وحرامٌ أطلُّ حولى فلا ألـ   قى سوى اليأسِ مُنْذِراً بفنائى
إنما تسأمُ الحياة .. إذا لم   تشدُ من حولها طيور الرجاء

(القاهرة)   **عبد الرحمن الخميسى**



وصية الرصافي قبيل وفاته

إلى أصدقائي الأحرار الكرام :

أراهم يهيجون على الدوام باسم الدين ، وما أظنهم يتركونني حتى بعد موتي . وليس لي من ألتجئ إليه سوى الله . وكفى بالله حافظاً وحسيباً . ليس لي من الأقارب من أعهد إليهم بوصيتي سوى معارفي من الأصدقاء الأحرار من أهل البلاد ، فلذا أكتب إليهم عسى أن يقوموا بتنفيذها ولهم من الله الأجر .

كل ما كتبته من نظم ونثر لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصية ، وإنما قصدت به منفعة المجتمع الذي عشت فيه ، والقوم الذين أنا منهم ونشأت بينهم ، لذلك لم أوفق إلى شيء في حياتي يسمى بالرفهية والسعادة في الحياة . لا أملك شيئاً سوى فراشي الذي أنام فيه ، وثيابي التي ألبسها ، وكل ما عدا ذلك من الأثاث الحقير الذي في مسكني ليس لي، بل هو مال أهله الذين يساكنونني .

كل من اعتدى عليّ في حياتي فهو في حل مني . وإن كان هناك من اعتديت أنا عليه ، فهو بالخيار، إن شاء عفا عني وإلا قضى بيني وبينه الله الذي هو أحكم الحاكمين .

أنا ولله الحمد مسلم مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله إيماناً صادقاً لا أرائي فيه ولا أداجي ، إلا أنني أخالف المسلمين فيما أراهم عليه من أمور يرونها من الدين ، وليست هي منه إلا بمنزلة القشور من اللباب . ولا يهمني من الدين إلا جوهره الخالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول إلى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الأخروية ، ما أمكن الوصول إليه من ذلك بترك الشرور وبعمل الصالحات ، وكل ما عدا ذلك من أمور الدين فهو وسيلة إليه وواسطة له ليس إلا .

بما أن عبد بن صالح الذي هو معاوني على العيش في مسكني كنت أنا السبب في زواجه ، وقد ولد له بنات صغار ، وليس له من أسباب المعيشة والكسب ما يجعله قادراً على إعاشتهن ، أرجو من أهل الخير في الدنيا ومن أصدقائي الكرام الأحرار أن يسعوا في إيجاد شغل له يكسب به ما يقوم بإعاشتهن ، وإن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين .

كل ما عندي من الكتب المخطوطة التي كتبتها أنا ، تباع لمن يرغب في شرائها على أن يكون له حق الطبع والنشر ولا يكون لي فيها سوى الاسم . ويدفع المال الحاصل من بيعها إلى بنات عبد .

أريد أن أدفن في أي مقبرة كانت على أن يكون قبري في طرف منها وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلا ...

إن كانت الحياة نعمة سابغة من الله على عباده فإن الموت رحمة واسعة منه عليهم . فالموت هو رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام .

المؤمن بالله وحده لا شريك له

معروف الرصافي

جمعية مصرية تعرب الموسيقى العالمية

لا يزال هواة الموسيقى العالمية يذكرون تلك الحفلة التي أقيمت بكلية العلوم في اليوم التاسع عشر من شهر مارس سنة ١٩٤٢ . ويعتبرونها فاتحة عهد جديد في تاريخ هذا الفن



السادة الذين أقاموا الحفلة ، ومن بينهم الدكتور علي مصطفى مشرفه بك والأستاذ كامل كيلاني ناظم الأغاني ، وحسن بك رشيد، فالأستاذ أبو بكر خيرت

الرفيع . ذلك أن برنامجها اشتمل يومئذ على عشر أغان اختيرت لعباقرة الموسيقى ، ونقلها نظماً إلى اللغة العربية الأستاذ كامل كيلاني فسجل بذلك فوزاً مبيناً للعربية في ميدان هذا الفن ، وأثبت بالفعل للذين يتهجمون عليها بالقول أنها تستطيع بشعرها العالي

وعروضها الدقيق أن تترجم أغانى شوبرت وموتسارت ومندلسون وأضرابهم بمعانيها وأوزانها وألحانها دون أن يفقد شىء من جمال المعنى ولا من سلامة الإيقاع . وقد لقيت هذه الحفلة يومئذ من النجاح العظيم والتقدير الحسن ما حفز القائمين بها إلى مواصلة الجهد فى هذا السبيل ، فألفوا (الجمعية المصرية لهواة الموسيقى) رئيسها الدكتور على مصطفى مشرفة عميد كلية العلوم ، وأبرز أعضائها الأساتذة محمد زكى على وإسماعيل راتب وكامل كيلانى وعلى بدوى . وكان أول ما عنيت به أن طبعت هذه الأغانى العشر وقدمتها إلى الجمهور بكلمة لطيفة جاء فيها : « ... فنحن نستمع إلى الأغنية أو الأوبرا فى كل بلد بلغة أهله . نستمع إليها فى روما بالإيطالية ، وفى برلين بالألمانية ، وفى لندن بالانجليزية ؛ فإذا استمعنا إليها فى القاهرة سمعناها بكل لغة من لغات العالم المتحضر ما عدا اللغة العربية ! فكيف نقبل هذه المعرة القومية ، ونرضى بهذا الهوان الفكري ؟ »

ثم قالت فى موضع آخر : « وقد كان علينا أن نحل مشكلة رئيسة فى التدوين الموسيقى كادت تستعصى على الحل ، فإن الموسيقى تكتب من اليسار إلى اليمين ، على العكس من الألفاظ التى تكتب من اليسار . وقد وقفنا طويلا أمام هذه المشكلة ثم انتهينا إلى حل يجمع بين الحرص على أصول الفن الموسيقى ، والوفاء للغة العربية والمحافظة على تقاليدها ، فجعلنا الكلمة وحدة ظاهرة ، ولم نكتف بذلك فعمدنا إلى كتابة مقاطع كل كلمة سالكين فى إثباتها الطريقة العروضية ، فزال بذلك كل إبهام فى القابلة بين المقاطع اللفظية والمقاطع الموسيقية وبقيت الألفاظ سهلة القراءة بادية للعيان » .

وعما قريب تصدر هذه الأغانى المختارة فتسدى إلى اللغة العربية والموسيقى المصرية معروفا يخلد الشكر عليه بخلوده .

بين شاعرين

سيدى الأستاذ الكبير عزيز بك أباظه .

لا أكتب إليك للشكر على التعزية أو على التقدير . فاننا نحيا — إن سميت هذه حياة — فى جو واحد ، وننطوى على فجيعة واحدة . وهذه المشاركة تغنى بيننا عن كل عبارة .

وما يزال لدىّ الكثير من الأشعار . ولعل صفحات الرسالة والثقافة تتسع لنشرها . وهذه القصائد مانشر منها وما لم ينشر نظمت جميعها تقريباً فى شهر فبراير على أثر الوفاة . فهى الحصاد المشئوم لشهر وبعض شهر . وإنى لا أدرى كيف نظمت ، وكيف كان النظم على هذه السرعة وأنا لست من أهلها . ولكن الذى أدريه أننى ليس لى فيها شىء ، وأنها « هى » صاحبتها . « فهى » التى حفزتنى منذ حين إلى التوفر على إخراج ما أخرجت من كتب ؛ و « هى » الآن التى تملى علىّ ما أنظم من قصيد بعد أن انقطعت عن قوله سنوات وسنوات . ولقد كنت ماضيا على هذا الانقطاع على الرغم من حث كرام الأصدقاء والزملاء لى على مراجعته . وأخيراً ... أخيراً يكتب لى أن أعود إليه . وأن يكون العود غير أحمد .

أيا مُذكرى يوماً بأنى شاعرٌ إليك التى فاضت بهن المشاعرُ
مَراثٍ . ومَن أرثى ؟ شريكة عيشتى
وَدُرْمى ، طوتها فى التراب المقابر
ولو كنتَ تدرى ما ازدهيتَ قريحتى
فلا الشعرُ مذكورٌ ولا أنت ذاكر
ويارب ، لا كانت إلى الشعر رجعة
فأنى — ولو كان الخلودَ — لخاسر

كان الله فى عونك وعونى .

عبد الرحمن صدقى

الأطياف الأربعة

[أصدرت « لجنة النشر للجامعيين » هذا الكتاب الذى اشترك فيه أقلام « الاخوة الأربعة » . وقد كتب أحدهم : الأستاذ سيد قطب . هذا « التعريف » للمؤلفين وللكتاب وهو يعطى لمحة عن شخصياتهم ، وعن طريقتهم كذلك] .

صبية وفتاة ، وفتى وشاب ... أولئك هم الأطياف الأربعة ! إخوة فى الدم ، إخوة فى الشعور . كلهم أصدقاء ، وذلك هو الرباط الأقوى . إنهم يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف . هم أنفسهم كل ما يملكون فى الكون العريض ! كل ما يربطهم بالكون أن يتطلعوا إليه هنيهة ، ليردوه صوراً فى عالمهم المسحور . إنهم أبدا يحلمون . وقد يتفزعون فى الحلم ، ولكنهم إليه يعودون !

* * *

أحد هذه الأطياف تلك الصبية الناشئة . إنها موفوزة الحس أبداً ، متفزعة من شبح مجهول . إنها تعبد الحياة وتخشاها . إنها تتلفت فى ذعر كلما تفرست فى المجهول

* * *

وأحد هذه الأطياف تلك الفتاة الهادئة . إنها سارية فى الماضى لا تكاد منه تعود ! إنها شاعرة ، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها فى التعبير . إنها مستغرقة فى حلم : بالمستقبل الذى لا تملك ، وبالماضى الذى لن يعود .

* * *

وأحد هذه الأطياف ذلك الفتى الحائر . إنه دائم التجوال فى دروب نفسه ومنحنياتها يفتش فيها ويتأملها ، ولا يسأم التأمل والتفتيش . إنه يحلم فى اليقظة ، ويستيقظ فى الأحلام !

* * *

وأحد هذه الأطياف ذلك الشاب الشارد . إنه عاشق المحال . إنه يطلب ما لا يجد ، ويسأم كل ما ينال . وإنه — بعد ذلك كله — للوالد والأخ والصديق لأولئك الأطياف .

* * *

أولئك هم الأطياف الأربعة . وهذه خطراتهم فى كتاب . إنها عصارة من نفوسهم وظلال من حياتهم . إنها أطياف الأطياف!

سيد قطب

الإصلاح الدينى ومذهب ابن حنبل

كان مساء يوم الثلاثاء الماضى موعد المحاضرة التى ألقاها فى مسرح الأزبكية العالم الكبير الأستاذ شاكر الحنبلى بك وزير العدل السابق فى الحكومة السورية فأقبل على شهودها جمهرة كبيرة مختارة من رجال العلم والأدب والسياسة ولبثوا ساعة يستمعون إلى المحاضر المعظم وهو يتدفق بالبيان الرائع فى صوت متزن ولهجة فصيحة فأبان عن شخصية الإمام — أحمد بن حنبل — وجلاها مبرأة مما رميت به من الضيق ، ثم أفاض فى الكلام عن — ابن تيمية — ونفاذ عبقريته ؛وما رمى به من مروق وزندقة ؛ وما أصابه فى سبيل دعوته من سجن ومطاردة ؛ وتناول الإمام ابن القيم — تلميذ ابن تيمية . وعمق تفكيره ، ومرونة ذهنه ، وحسن فهمه لروح الدين وما تكبده كذلك فى سبيل آرائه. ثم ختم المحاضر الفاضل محاضرته ببيان أن روح الإسلام لا تقف ما يحفز المدنية إلى التقدم ،ولا تقعد مايسمو بالانسانية إلى الكمال .

م . ع . ١٠

الفلسفة والدين ، فى جامعة الإسكندرية

لم تنس جامعة فاروق الأول أنها وريثة جامعة الاسكندرية القديمة ، فقد حاضرنا مساء الأربعاء ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥ بقاعة المحاضرات الجامعية أستاذ أعتقد أن الكثيرين من رواد الفلسفة الحديثة يعرفونه ، كما أعتقد أن هؤلاء الكثيرين من الرواد يتطلبون منه الكثير من محاضراته ودراساته .

حاضرنا الأستاذ توفيق الطويل المدرس بكلية الآداب عن النزاع بين الفلسفة والدين فى القرن السابع عشر .

وقد أمضينا ساعة ونصف ساعة مع الأستاذ توفيق الطويل ، فى رحلة فكرية شائقة ، حاول خلالها أن يبرهن على أن لا تنافر بين الفلسفة والدين حتى فى عصر محاكم التفتيش ، وابتدأ بأن فرّق بين الدين فى ذاته ، وبين رجال الكنيسة الذين جعلوا من أنفسهم حرّاساً على نصوص هذا الدين ، حرّاساً جامدين على ظواهر هذه النصوص .

واختار الأستاذ الطويل للتدليل على وجهة نظره ثلاث دول ، كانت حركة النضال فيها بين الفكر الحرّ وبين اللاهوتيين الجامدين على أشدّ ماتكون عنفاً وحدّة ، وهى فرنسا ، وهولنده ، وإيطاليا .

واختار من كل بلد من البلدان الثلاثة فيلسوفاً واحداً ، لضيق الوقت ، فمن فرنسا تخيّر — ديكارت — وعرض موجزاً من فلسفته التى بدأت بالشكّ ، وانتقلت إلى إثبات الذات التى تشكّ ! والتى ابتدأت بأن أخضعت حقائق الوجود إلى العقل ، ثم استثنى الحقائق التى وصلتنا عن طريق الوحى ، واعتبرها غير خاضعة للاختبارات العقلية ، فكان ديكارت — وإن لم يوضح لنا الأستاذ المحاضر — متأرجحاً بين الفلسفة والدين ، بين عقله وقلبه ، ولعلّ فى خوفه من سلطة الكنيسة ، أو رجال الكنيسة بمعنى

أدق ، تعليلا لذلك التأرجح الذى تعرّض له الأستاذ المحاضر فى سرعة وخفة نلتمس له فيهما عذراً لضيق الوقت ، وانفساح مجال الموضوع الذى اختاره لمحاضرته القيمة .

ومن هولاندا ، تحدث الأستاذ الفاضل ، عن — سبينوزا — ذلك الفيلسوف الذى نادى بمذهبه فى وحدة الوجود . فأثار على نفسه ثائرة رجال الأكليروس ، وأقام قيامة أولئك الذين فى يدهم مقاليد الأمور فأجمعوا على تكفيره . وحرمانه . واضطروه أن يعيش منبوذاً من الناس ، وأن يكدح لينال بلغة من العيش تقيم أوده ، بعد أن هاجر من البلد الذى أصدر قرار حرمانه ، وغيّر اسمه . وكان ينشر مؤلفاته بأسماء مستعارة . درءاً لأخطار المصادرات . وما وراء المصادرات . مما كانت تحفل به عهود محاكم التفتيش .

أما فى إيطاليا . فقد كان جاليليو قصة — أو مأساة كما سمّاها الأستاذ المحاضر — تبعث على كثير من الأسى ، فقد اضطهد هذا الرجل من أجل عقيدته أقسى الاضطهاد . وحوكم مرتين أمام محكمة التفتيش وسجّلت مؤلفاته فى القائمة السوداء — أو الفهرست !! — كما كان يطلق عليه ،وقد حرص الأستاذ الطويل على أن يذكرنا أنه اختار جاليليو ، وتحدث عنه كفيلسوف — على الرغم من أنه كان عالم فلك ولم يكن فيلسوفاً ، لأن الفلسفة فى القرن السابع عشر كانت تعتبر عالم الفلك فيلسوفاً ، ولم تكن العلوم قد تحررت بعد من حظيرة الفلسفة .

والطريف . فيما عرضه الأستاذ المحاضر ، من رأى جاليليو عن دوران الأرض وعن النظام الكوبرنيكى الذى قال به . أقول الطريف فى ذلك أن الاسكندرية كما حرص الأستاذ الطويل على أن يذكرنا بذلك . كانت سباقة فى هذا المجال الخطير . فقد قال بنفس هذا الرأى من قبل كوبرنيكوس . ومن جاليليو . فيلسوف عاش فى الإسكندرية . وهو أرسطو خوس !!

فقصص هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ، فى بلدانهم الثلاثة ، صادقة الدلالة على أن الاضطهادات التى حدثت ، والتى كان ضحيتها هؤلاء الفلاسفة العظام ، لم تكن من الدين ، ولا من كل رجال الدين ، وإنما كانت من تلك الفئة الجامدة التى لم يخل منها عصر من العصور ولا دين من الأديان .

ولا صحة لما يقال ، من أن ازدهار الفكر لا يكون إلا حيث يتخلص من قيود الدين ، فالتاريخ يحدثنا عن فلاسفة كثيرين حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة ، ولعل أشهرهم من فلاسفتنا الإسلاميين هو ابن رشد الفيلسوف الأندلسى المعروف .

هذه خطوط سريعة لمحاضرة مرتجلة . جعلنا الأستاذ الطويل خلال حديث شائق فى صددها ، نعيش فى عالم فكرى بعيد عن ماديات هذه الحياة الصاخبة .

على حسن حموده

جماعة الفكر

تألفت فى القاهرة جماعة فكرية ثقافية باسم « جماعة الفكر » قوامها لفيف من أدباء الشباب ، وستنشر مكتبة كاملة فى شتى نواحى المعرفة .

فندعو لها بالتوفيق فى إتمام هذا العمل الجليل .



١ – ابن رشد الفيلسوف للأستاذ محمد يوسف موسى

٢ – بعد الموت للأستاذ السعيد يوسف موسى

— ١ —

هذا الكتاب من تأليف الأستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين ، وهو من سلسلة أعلام الإسلام التى تصدرها لجنة دائرة المعارف الإسلامية . ويقع الكتاب فى ١١٧ صفحة من الحجم الصغير ، ولكنه على صغر حجمه جيد فى بابه ، ولا غرو فالمؤلف مشتغل بهذا الفيلسوف من زمن ، وينوى أن يضع فيه رسالة كبيرة ، فهو ليس غريباً عن الموضوع . عرض أولا لعصر ابن رشد وأسرته ، ثم إلى نشأته ، ثم عمله فى التوفيق بين الحكمة والشريعة ، ثم عمله فى نظرية المعرفة ، ثم ابن رشد والغزالى ، ثم انتهى إلى خاتمة المطاف ، وإلى ابن رشد وأثره من بعده ، وهل نجح فى رسالته .

وأنت ترى أن صفحات الكتاب أضيق من هذه الموضوعات المتعددة . وقد كان المؤلف بارعاً فى الإيجاز حتى يسوق جميع ما يريد أن يقول فى هذا الثوب الضيق . غير أنه اضطر إلى التلميح عن بعض النظريات دون إشباع حسب ما يقتضيه المقام .

وفى الكتاب عرض جيد لحياة ابن رشد وعصره وتفصيل لمحنته ومناقشة أسبابها . وطريقة المؤلف فى اقتباس النصوص وحبكها فى مجرى الكلام ، تدل فضلا عن الاطلاع الغزير . على امتلاك ناصية الموضوع .

وقد وفى الفصل الخاص بالتوفيق بين الحكمة والشريعة حقه إذ يستغرق ٢٧ صفحة ، بينما نظرية المعرفة تناولها فى خمس صفحات ونصف . وكنا نرغب الإطالة فى هذا الموضوع الذى لم تسبق الكتابة فيه ، ولا يزال غامضاً . وأخالف الأستاذ محمد يوسف موسى فيما يذهب إليه من أن ابن رشد يرى فى الاتصال أنه « وصول العقل الإنسانى إلى الدرجة العليا من الكمال ، نعنى إلى الاتحاد ، أو الاتصال بالعقل الفعال أو الله تعالى ذاته » ص ٦٣ ، ٦٤ ثم قال :

« ولا بد من توفر ثلاثة أمور فيمن يسعد بهذه النعمة أى نعمة الوصول : قوة العقل الأصلية ، وكمال العقل بالفكر ، وعون وإلهام غير طبيعى من الله » .

وأكبر الظن أنه يريد أن يقول « إلهام طبيعى » لا غير طبيعى . وتصوير الاتصال بالعقل الفعال أو الله ذاته على النحو المذكور يجعل من ابن رشد صوفياً ، خصوصاً وأنه اشترط فيما بعد العون الإلهى . وبهذا لا تستقيم النتيجة التى أوردها بعد ذلك ، وهى أن ابن رشد « ابتعد عن مجاهدات الصوفية ... فهو لهذا أقل الفلاسفة الأندلسيين بل المسلمين تصوفاً » ص ٦٤ .

فهل كان ابن رشد متصوفاً ، أو عنده نزعة صوفية كالفارابى مثلا؟

— ٢ —

وهذه قصة ألفها الأستاذ السعيد يوسف موسى ، تقع فى ٢٨٦ صفحة من الحجم المتوسط .

أعرف المؤلف معرفة شخصية ، وأستطيع أن أؤكد لك أن هذه القصة صورة من نفس المؤلف ، أودعها أحاسيسه وعواطفه وآراءه . وهذا الصدق فى التعبير هو السر فى قوة هذه القصة . وأكبر الظن أن المؤلف لن يستطيع أن يخرج لنا مثيلا لها إلا بعد مضى سنوات طويلة ، تزدحم فيها نفسه بتجارب جديدة وصور أخرى يودعها قصته الجديدة ، فإن أراد أن يبين فساد حكمى فليقدم على إخراج قصة أخرى ...

نحن فى حاجة إلى القصة الطويلة فى اللغة العربية : فالقصة القصيرة يكتب فيها كثيرون على رأسهم الأستاذ محمود تيمور ، فهو بطل هذا الميدان . وقصة « بعد الموت » قصة مصرية صميمة ، لم يتأثر صاحبها بالمؤلفات الأجنبية ، فهى بذلك تسد باباً كنا نحس فيه بالنقص . وهذه خلاصة الموضوع فى إيجاز .

طالبان من الريف ، ذهبا إلى مدرسة داخلية بالاسكندرية ، فاتصلا فى المدرسة وارتبطا بصداقة وثيقة العرى . أحدهما جلال ، والآخر هو الذى يقص القصة ... رأيهما « نجوان » صاحبة بار بالاسكندرية ، فأحبت جلال الذى كان متعاهداً على الزواج من هند ابنة عمه . وهنا يحدث صراع بين الوفاء للوعد ، وبين الحب الجديد الذى يستغرق فيه جلال ، وصاحبه معه ، إلى أن يطردا من المدرسة . وتعرف هند وأم جلال ، فتحضران إلى الاسكندرية وتطلبان إلى نجوان التخلى عن جلال ، ولا تستطيع نجوان فتقتل نفسها وشهد جلال مصرعها وتظل ذكراها عالقة بذهنه فلا يشفى من داء حبها حتى « بعد الموت »

إنى آسف لهذا الاختصار المخل ، فهو لايغنى عن قراءة القصة وتذوق ما فيها من حلاوة الحوار بين هذه الشخصيات المختلفة ، التى يحاول صاحب القصة أن يجعلها تنطق بحقيقة المشاعر الإنسانية .

يريد المؤلف أن يقول إن الروح تبقى بعد الموت ، وأنها تؤثر فى سلوك الأحياء . بدليل أن موت نجوان لم يبطل حب جلال لها ، ولم يصرفه إلى العودة إلى خطيبته الأولى هند وكان يراها فى المنام فيفزع .

ولكن علماء النفس المحدثين يذهبون إلى خلاف ما يذهب إليه المؤلف ، ويفسرون أمثال هذه الظواهر بأنها حالات مرضية يمكن شفاؤها بالتحليل النفسانى . ونأخذ على المؤلف هجومه العنيف على المعمين وعلى المدرسة وكنا نحب أن يسمو عن هذا .

الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من إنتاج الأدب السودانى

١ — مهدى الله للأستاذ توفيق أحمد البكرى

٢ — الطريق إلى البرلمان للأستاذ إسماعيل الأزهرى

— ١ —

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ توفيق أحمد البكرى شاب سودانى ذو ثقافة عالية وذوق أدبى أصيل — ولا عجب فهو خريج كلية الآداب ومعهد الصحافة من جامعة فؤاد الأول — وإذ تصدى للكتابة عن الإمام الكبير محمد أحمد المهدى فقد تصدى بعد دراسة عميقة مزمنة ورغبة ملحة صادقة . ولعل المستر ونستن تشرشل يعنيه حينما قال فى كتابه حرب النهر « إن المؤرخ السودانى الذى سيكتب تاريخ بلاده يوما ما يجب ألا ينسى أن يضع « محمد أحمد » فى طليعة أبطاله ، « فأن هذا الشاب النابه قد خدم بلاده خدمة محققة بنشره هذا الكتاب فى سيرة ذلك الرجل ، الذى لانعلم أن أحداً استطاع من قبل أن يصور له صورة إنسانية خالية من التحامل » كما يقول الأستاذ الكبير أبو حديد .

وسيرة الإمام المهدى سيرة فيها من هدى الدين وقوة الإيمان ماذللت أمامهما الصعاب ورضخت لمشيئتهما القوة المنظمة الحاكمة ! فأن رجلا نشأ بين أبوين شريفين رقيق الحال فشب عن الطوق وثقافته دينية بحتة ، وحياته تأملات صوفية عميقة ، وروحه نقية زاهدة ، فلا تريد من متاع الدنيا مالا ولا جاها ولا ملكا . وإنما يدعو العباد إلى صلاحهم وإلى مايقربهم من ربهم لتمتلىء الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما — وبهذه الدعوة الطاهرة المليئة ايمانا تمكناً كما عليه المؤمنون جماعات ووحدانا يرتلون قوله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

استطاع ، وهو الأعزل ، أن يفتح ذاك الفتح المكلل بالظفر وأن يقيم دولة إسلامية دستورها الكتاب والسنة ست عشرة حجة طوالا

وإننا بصدد الأشارة إلى هذا الكتاب النفيس لايفوتنا أن نزجى عاطر الثناء إلى لجنة دائرة المعارف الإسلامية لنشرها هذا الكتاب من سلسلتها التاريخية «أعلام الإسلام» كما نرجو أخانا الأستاذ توفيق البكرى أن يتم مابدأه فيفصل ما أوجز ويسهب فيما اقتضب ، لتوفى هذه الشخصية الكبيرة حقها دراسة وتحليلا .

— ٢ —

«الطريق إلى البرلمان» : مؤلفه الأستاذ اسماعيل الأزهرى خريج الجامعة الأمريكية ببيروت ورئيس مؤتمر الخريجين العام فى السودان لهذه الدورة ودورات ماضية — والأستاذ معروف بأنه البرلمانى الأول فى السودان ، فلا غرو أن يؤلف كتابا قيما بعنوان « الطريق إلى البرلمان » فى أكثر من ثلثمائة صفحة — والعنوان كما ترى جذاب أخاذ يدل على أن هذا الكتاب يأخذ بيدى القارىء ويدخله البرلمان بسهولة ويسر ! ويتضخم هذا الدلول حينما تعلم أن الأستاذ زعيم معروف ! بينا أن الكتاب يتحدث عن نظم الجمعيات ، كالأندية والشركات واللجان والأحزاب وغير ذلك ، مرتباً كيفية تكوينها وتنظيمها وإدارتها حتى يتدرب النشء والكبار على النظم البرلمانية وأساليبها فتنشأ الأجيال المقبلة عريقة فيها مجبولة على تقديس القوانين مفطورة على حب النظام .

ولم يفت الأستاذ أن يشير إلى استخدام هذا الإسم « الطريق إلى البرلمان » كعنوان ، لأن الغرض من وضع هذا الكتاب كما قال : « نشر النظام البرلمانى ليصبح بفضل التدريب والمران عادة مألوفة وتقاليد متأصلة عند الصغار والكبار فى « الطريق إلى البرلمان » حتى إذا دخلوه استطاعوا أن يستفيدوا من نظمه فى النهوض بأممهم إلى أعلى مراتب التقدم والكمال »

والكتاب يحتاج إليه رجل الاجتماع بقدر حاجة الطالب الماسة ، ويا حبذا لو قررته مصلحة المعارف السودانية فى مدارسها الثانوية ليساعد على إخراج رجل الاجتماع المنشود .

الفاتح النور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦١٥ — الاثنين ١٦ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة الفشن الأهلية

إعلان بيع عقار

نشر أولى فى القضية رقم ١١٩٣ سنة ١٩٤٤

انه فى يوم الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ أفرنكى صباحا باودة المزايدات بسراى المحكمة

سيباع العقار الآتى بيانه بعد السكائن ببندر الفشن ملك عبد الفتاح خليفة مرزوق من بندر الفشن وبيانه

المسطح	إسم الشارع	نمرة للمالك
دبسى متر		
٨١ و١٣٤	الشونة - ٩	١٢ عوايد

الحدود

البحرى فضاء ملك محمد أفندى أبو النيل ١٣ متر والشرقى منزل محمود أفندي أبو النيل بطول ١٠ متر و٤٥ سنتى و قبلى شارع الشونة - ٩ وبه الباب بطول ١٣ متر و١٥ س والغربى منزل محمد الشرقاوى بطول ١٠ متر و٢٠ س

١٨٤ متر و٨١ دبسى فقط الجملة مايه وأربعة وثلاثون متر وواحد وثمانون دبسمتر عبارة عن منزل بما فيه من المبانى والمشتملات

وهذا البيع كطلب حضرة الأستاذ فهيم ك باخوم ابن المرحوم حنا بك باخوم بمصر الوكيل عن حضرة الأستاذ أحمد أفندى زغلول المحامي بالفشن

وبناء علي حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٤٥ فى القضيه نمرة ١١٩٣ سنة ١٩٤٥ الفشن ومسجل بمحكمة بنى سويف الأهليه فى ٢٣ - ١ سنة ١٩٤٥ نمرة ١١١ سنة ١٩٤٥ . وسيكون البيع قسما واحدا بثمن أساسى قدره ٥٦٣ مليم ، ٣١ جنيه مصرى وفاء لمبلغ ٥٧٠ مليم ، ٥٢ جنيه مصرى بعد تنقيص الخمس بجلسة ٢٨ - ٣ سنة ١٩٤٥ وبخلاف رسوم التنفيذ والشهادات وما يستجد من المصاريف والأوراق وشروط البيع مودعه بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور للزيادة

تحريراً فى ١٢ - ٤ سنة ١٩٤٥ .

كاتب البيوع

إعلان بيع

إنه فى يوم الأحد الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ صباحا وما بعدها بناحية البلابيش بحرى مركز البلينا.

سيباع بالمزاد العلنى محصول ٩ ط ٣٠ فدانا أذره صيفى واحال بوص ينتج من الفدان ٨ أرادب و ٨ حمول بوص مملوكة إلى العبد أفندى جورجى من ناحية الكشح سابق الحجز عليها تحفظيا بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٩٤٠ وحكم بتثبيت الحجز فى القضيه رقم ٩٠٩ سنة ١٩٤٤ كلى محكمة إسكندرية الأهليه وفا لمبلغ ٣٨٢ مليم ١٦٦ جنيه بخلاف رسم هذا وما يستجد

وهذا البيع بناء على طلب حضرة صاحب السعاده على أمين يحيى باشا بصفته ناظراً لوقف المرحومة السيدة خديجة بهيه هانم برهان بالاسكندريه بشارع النبى دانيال رقم ١ ومحله المختار مكتب الأستاذين سليم أعوان ويوسف خليل المحامين بميدان محمد على رقم ١٠ بالاسكندريه

فعلى راغب الشراء الحضور للزيادة ؟

الباشمحضر

محكمة العياط الأهليه

إعلان بيع عقار

نشره أولى

فى القضية المدنيه رقم ١١١٨ سنة ١٩٤٤

انه فى يوم الأحد ٢٠ مايو سنة ١٩٤٥ بسراى المحكمه

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك إبراهيم مصطفى الجمل من ناحية الطرفايه مركز العياط جيزه

بيان العقار

٣٠ سنتى ، ٦٠ متر بإسم الحوض ونمرته الباجة نمرة ٤ نمرة القطعه ٤٥ س بإسم الناحيه الطرفايه

الحدود

الحد البحرى شارع وبه الباب والحد الشرقي محمد سالم ورد وآخرين والحد القبلي منزل حنفى سالم يحيي ومدبولى حسانين أبوداود والحد الغربي منزل حسن قاسم الجمل

٣٠ ، ٦٠ الجمله فقط ستون متراً وثلاثين سنتى متراً مقام عليها سكن

وهذا البيع بناء على طلب محمود محمد حاد من الطرفايه مركز العياط ومحله المختار مكتب حضرة الأستاذ نجيب أفندى فرج المحامى بالعياط وفاء لمبلغ ١٤٥ م ، ٧٨ ج ثمانيه وسبعين جنيها مصريا ومايه خمسة وأربعين مليما بخلاف ما يستجد لسداد

بثمن أساس قدره ٦٠ ج ستون جنيها مصريا وذلك بناء على حكم نزع للملكيه الصادر بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية بتاريخ ٢٨ - ٣ سنة ١٩٤٥ نمرة ٢١٠ سنة ١٩٤٥

فعلى راغب الشراء الحضور للزيادة وأوراق القضية مودعه بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب المحكمة

شيكوريل

نشر بالعدد ٦١٤ الصادر فى ٩ أبريل ضمن إعلان شيكوريل — تيل نى ألوان جميلة سادة للفساتين عرض متر سعر المتر ١٠ قروش والصواب سعر المتر ٧٠ قرشاً

13 me Année No. 615

Lundi - 16 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ١٦ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المدرســـة الرمزية

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... استرعى نظرى نوع من الأدب أسموه بالرمزية ، ولاأعلم حتى الآن تعريف هذا النوع ، وقد نبهنى إليه تلك الانذارات التى وجهها الأدباء إلى الشباب المحدثين بالآداب أن يكفوا عن تلك الطريقة الرمزية فانها عقيمة النتاج لا تجدى نفعاً . فما هى الرمزية فى الأدب ؟ وهل هى تقتصر على الآداب العربية فقط عدا الآداب العالمية ؟ وما هى نتائجها المضرة ؟ ... »

(بغداد — الكاظمية) جعفر آل ياسين

***

والرمزية التى يسأل عنها الأديب البغدادى قديمة فى العالم ، لأن الناس عرفوا الكتابة بالرموز قبل أن يعرفوا الكتابة بالحروف ، ولأن الكهانات الأولى كانت تستأثر بأسرار الدين وتضن بها أن تذاع للعامة على حقيقتها الصراح ، فكانت تعمد إلى الرموز أحياناً للتعبير عن تلك الأسرار .

ثم ارتفع حجر الكهانات عن أسرار الدين فتكلم الناس فيها وأفصحوا عما يعتقدونه من خفاياها ، ولكن الولع بالأسرار والبحث عن الغوامض والغيوب طبيعة فى بعض النفوس لا تخرجهم منها صراحة القول ولا إباحة التفكير المطلق لمن يشاء ، فظهر هؤلاء بين المسلمين كما ظهروا بين الأمم المسيحية والإسرائيلية ، وقسموا عندنا العلم إلى علم شريعة وعلم حقيقة ، وأرادوا بعلم الشريعة ما يبدو على ظواهر الأشياء ، وبعلم الحقيقة ما ينفذ إلى بواطن الأسباب المغيبة عن العقل المكشوفة للبصيرة ، وقابلهم عند الأمم الأخرى جماعة المتعمقين الموكلين بالنوامض والأسرار وهم المعروفون باسم الخفيين أو الـ Mystics ولا يزال لهم مريدون ودعاة فى كل عصر من عصور الآداب .

لكن المقصود بالرمزية فى الأدب الحديث هو تلك المدرسة التى راجت فى أوائل القرن الحاضر وظهرت فى فرنسا على أعقاب مدرسة « البرناسيين » أصحاب القول بجمال القالب وأناقة النفس والعكوف على المحاسن الظاهرة فى أساليب الشعر والنثر وصياغة العبارات ، وعندهم أن الصقل المحسوس هو آية الجمال والبلاغة فى جميع الفنون .

فلما راج مذهب البرناسيين هذا فى أواخر القرن الماضى ظهر الرمزيون يعارضونه ويغلون فى إنكاره ويذكرونهم بما نسوه من أسرار المعانى التى لاتبرز على وجوه الكلمات ، وينبهونهم إلى جمال الوحى والإيحاء الذى أهملوه فى سبيل الصقل المحسوس والرونق البارز على صفحات الأساليب .

وقد كان الرمزيون على حق لولا الغلو الذى يندفع إليه أصحاب كل مدرسة جديدة حين يتصدون لحرب المدارس الأخرى فيذهبون من أقصى النقيض إلى أقصى النقيض .

فالأدب لايستغنى عن الوحى والاشارة ، وأبلغ الفن ما يجمع الكثير فى القليل ويطلق الذهن من وراء الظواهر القريبة إلى المعانى البعيدة التى تومئ إليها الألفاظ ولا تحتويها بجملتها إلا على سبيل التنبيه والتقريب .

ولكن هذه المدرسة غلت وتمادت فى الغلو حتى قام من دعاتها من يجعل الغموض والتعمية غرضاً مقصوداً لذاته ولو لم يكن من ورائه طائل ، وخيل إليهم أنهم مطالبون بالتعبير عن أنفسهم بالرموز وإن أغنتهم الحروف الواضحة والكلمات المفهومة ، فلم تعمر مدرستهم طويلا وسقطت فى الأدب الفرنسى كما سقطت فى آداب الأمم التى انتقلت إليها .

وقد أملى لأتباع هذه المدرسة فى الغلو أنها قامت للدعوة فى العصر الذى ظهر فيه « فرويد » وبشر بمذهبه القيم عن الأحلام ودلالتها على الوعى الباطن وما يستكن فيه من الأسرار المكتومة والنوازع المكبوتة .

وخلاصة هذا المذهب فيما يرجع إلى « الرمزية » أن الأحلام هى لغة الرمز التى يعبر بها «الوعى الباطن» عن شعوره المكبوت ؛ فالرجل المبتلى بالخوف من عدو منتقم أو من وهم مسلط عليه يرى فى نومه وحشاً ينقض عليه وينهشه بأنيابه ؛ والرجل الطامح إلى المجد يرى أنه سابح فى السماء على رؤوس الناس ، أو يرى أن الناس بالقياس إليه كالنمال فى جانب الفيلة الضخام . وهكذا تتمثل معانى « الوعى الباطن » رموزاً جسدية ، لأن الإنسان لا يتمثل المعانى فى أحلامه وأمانيه بل يتمثل فيها ما يرى بالعين ويلمس باليد ويسمع بالأذن ويترجم من لغة الفكر إلى لغة الحواس على أسلوب الخيال المعروف .

فما هو إلا أن راجت كلمة « الوعى الباطن » ورموزه فى الإصلاح وخيالات الفنون حتى تلقفها أذناب المدرسة الرمزية كما تلقف الببغاوات صيحات الآدميين بغير فهم ولا روية ، وخيل إليهم أن « الوعى الباطن » خلق جديد أنبته « فرويد » فى بيئة الإنسان بعد أن كان معدوماً فى الأجيال الماضية ، وفاتهم أنه أقدم من الوعى الظاهر وأنه لم يزل يعمل عمله فى الآداب والفنون وفى المعيشة اليومية منذ عرف الناس الشعور والتفكير ، ولن يزال كذلك خفياً فى مكانه القديم ما دام الإنسان هو الإنسان ، وكل ما صنعه فرويد أنه نبه الأذهان إلى وجوده لا أنه أوجده من العدم فى الزمن الحديث .

وبعد أن كان الرمزيون لا يتجاوزون فى دعوتهم التذكير بوجود الأسرار والمعانى التى توحى إليها أصبح أولئك الببغاوات ينكرون الحس الظاهر وينكرون الحواس وعملها ولا يدينون بشىء غير ما يسمونه رموز الوعى الباطن وأحاجيه .

فبطل الوضوح عندهم كأنه نقيصة أو كأنه خروج على الحقيقة ، وتقررت التعمية عندهم كأنها هى البيان دون كل بيان ، وكأنما « الوعى الباطن » قد كشف فى الزمن الأخير ليلغى العيون والآذان ويغرق الناس فى ظلمات لا تدركهم فيها أنوار النهار .

ومن آفات فرنسا الولع بالأزياء والمدارس التى كأنها أزياء تخلع بين كل صيف وشتاء ، فما هو إلا أن يسمع فيها باسم الدعوة الجديدة حتى تقفوها مدرسة هنا ومدرسة هناك ، وحتى تتقاسمها الفنون المختلفة فيبشر بها المصورون والنحاتون كما يبشر بها الشعراء والكتاب ، وينتقل الأمر من حيز التفكير إلى حيز الصفقات والمساومات . فيأخذ المتجرون بالصور فى جمع اللوحات التى يبيعها إياهم فقراء الفنانين بدريهمات معدودات ، ويحتفظون بها حتى يحين الأوان لإبرازها والمتاجرة بها ، فإذا بجلة من المجلات التى يملكها أولئك التجار أو يستأجرونها قد نشرت فصلا مطولا عن «المدرسة الجديدة» المزعومة وتلتها مجلة أخرى تناقضها وتنحى عليها ، وإذا بالمدرسة الجديدة بعد هنيهة قد أصبحت فى دوائر الفن أحدوثة الفضوليين والأصلاء ، ومحور الهجوم والدفاع ، ويحضر إلى باريس فى هذه الآونة أناس من أصحاب الثروات الأمريكية أو أصحاب الألقاب الروسية العريقة ممن يصطنعون الوجاهة ويفاخرون باقتناء التحف النادرة ، ويودون أن يرجعوا إلى بلادهم وفى جعابهم أحدث ما يتحدث به أصحاب الأذواق وأدعياء التنظر فى الثقافة والآداب الفنية ، فإذا بهم قد وقعوا فى الفخ المنصوب واستبضعوا اللوحات والتماثيل من تلفيقات تلك المدرسة الجديدة بألوف الجنيهات ، وهى كلها لا تساوى مئات الدراهم عند بائعها الماكرين .

وهكذا تخرج إلى الدنيا « مدرسة جديدة » ، وتبقى فيها ما بقيت صالحة لتلك الصفقات الخادعة ، ثم تنطوى وتخلفها

دواليك مدرسة أخرى على هذه الوتيرة ، ولا تعقب بعدها أثراً من الآثار الباقية فى عالم البلاغة والجمال .

وقد راجت الرمزية فى الكتابة والشعر، كما راجت فى النحت والتصوير ، وشوهدت صور لبعض الناس لا يعرفها أصحابها ، ولا يتفق اثنان من المصورين أنفسهم على عرفان ملامحها أو تفسير الغرض منها . وسئل واحد من هؤلاء المصورين عما يعنيه بهذا الخلط الذريع ، فقال بلهجة هؤلاء المخرفين التى هى مزيج من لغة الدجالين والببغاوات : إن الكتاب الإنجليزى يقع فى يد الرجل الذى لا يفهم الإنجليزية فلا يبصر فيه إلا خليطاً مشوشاً من الخطوط والنقاط... فهل يفهم من ذلك أنه كذلك ، وأنه لا يشتمل على معنى من المعانى التى يدركها الإنجليزى ، أو من يفقهون اللغة الانجليزية ؟

وهذا كلام دجالين وببغاوات لا يفهمون ما يقولون ، لأن الناس لا يختلفون فى رؤية الشمس كما يختلفون فى فهم مئات الكلمات التى تدل عليها باللغات الإنسانية ، ولأنهم لا يختلفون بالعيون والآذان والأفواه كما يختلفون بالألسنة والعبارات ، وليس بين الرجل وبين مشابهة الإنجليزى فى قراءة كتابة إلا أن يدرس الإنجليزية فينفذ إلى ماوراء الخطوط والنقاط من الألفاظ ومعانيها، فما هى الأداة التى يستعين بها الإنسان على فهم الصور التى لا تشبه أصحابها ؟ أهى أداة الوعى الباطن ، وهو لا يتماثل فى رجلين اثنين على نحو واحد ؟ أيصبح كل إنسان « فنا » وحده لأنه وحده صاحب الوعى الباطن الذى توارثه من آبائه وأجداده وأضاف إليه ما أضاف من مذكوراته ومنسياته ؟

وكل مدرسة من هذا القبيل فهى مدرسة بكماء لا تستطيع أن تشرح مذهبها للناس إلا بمزيج من كلام الببغاوات وكلام الدجالين .

لكن الوعى الباطن حقيقة لا شك فيها ، وهو كذلك حقيقة لا شك فيها ، ولكنه كان حقيقة لا شك فيها من أقدم عهود الثالين والمصورين والشعراء فى التاريخ ، وقد عمل فى شعر هوميروس عمله البديهى ، كما عمله فى شعر المتنبى والشريف وبيرون ولامرتين ، وإنما كان يعمل عمله دون أن يلغى العيون والآذان ، ودون أن يلغى الأذواق والأذهان ، وعلى هذا ينبغى أن تمضى فى عمله سواء ظهر فرويد أو لم يظهر فى عالم الوجود ، لأن فرويد لم يخلقه فى طبائع الناس حتى يخلفه خلق جديد لم يكن معلوماً قبل مئات السنين ، فقصارى ما فى الأمر أنه سماه وفسر معناه ، وترك العيون تنظر كما كانت تنظر ، والآذان تسمع كما كانت تسمع ، والأجسام البشرية تغدو وتروح كما كانت تغدو وتروح .

فالرمزية سليمة فى حدودها الأولى ، وهى حدود الاعتراف بالخفايا والأسرار ، ولكنها دعوة مريضة عوجاء حين تنكر الوضوح لأنه وضوح وكفى ، وتشيد بالتعمية لأنها تعمية وكفى .

وميزان الصدق فى هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها . فأنت تفصح حتى يعييك الافصاح فتعمد إلى الرمز والإيحاء لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب . والأصل فى الإبانة عن الذهن أو النفس أن يحاول المبين جهده توضيح معناه حتى تعييه العبارة فيلجأ إلى الإشارة ، فلا يكتب بالهيرغليفية ما يقدر على كتابته بالحروف الأبجدية ، ولا يؤثر الكناية وهو قادر على التصريح .

أما من يقول بنقيض ذلك فليس عنده فى الحقيقة ما يقول ، وإنما هو مزيج من الببغاوات والدجالين يلفظ بالكلام ولا يفقه معناه ، ويخلط الحق بالباطل على النحو الذى قدمناه .

عباس محمود العقاد

في عيـــد المعري

من حلب إلى دمشق

للدكتور عبد الوهاب عزام

عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

كان أعظم ما رأيت من آثار حلب ذلك اليومَ مقبرة الفردوس وكنت سمعت بها ، وحرصت على رؤيتها فى زورتى لحلب قبل ثمانى سنين فأُعجِلت عنها آنفاً .

وهى مقبرة نادرة بنيت على هندسة المساجد ، أو مسجد اتخذت أروقته للقبور . يدخل داخلها إلى صحن شرقيّه وغربيّه رواقان فى مستوى الصحن وفى جهة القبلة منه مسجد ، وفى الجهة الشمالية عقد كبير فوق رواق مرتفع . والرواقان اللذان على جانبى الصحن بهما قبور أكثرها قديم وبعضها حديث . ويرى الداخل إلى المسجد ثلاث قباب : الوسطى وهى الكبرى تقوم فوق مصلى ، وعلى جانبى هذه القبة قبتان أخريان تحت كل منهما حجرة كبيرة فيها قبور : فالبناء فى جملته مقبرة مشيدة على هيئة مسجد ... وما رأيت فيما رأيت من الآثار الإسلامية مقبرة أخرى على هذه الشاكلة . وشمالىّ هـذا البناء حديقة ذابلة يشرف عليها رواق كبير خارجى وراء الرواق الداخلى الذى فى شمالى الصحن . وعلى جوانب الصحن والمسجد كتابة كثيرة أعجلنى ضيق الوقت عن قراءتها كلها . وهى آيات من القرآن وأبيات ، وكلمات مأثورة .

وكان فى عشية ذلك اليوم ، يوم الخميس ١١ شوال ، احتفال حلب بذكرى المعرى ، فاحتشد جمع عظيم فى فناء المدرسة الثانوية وقد أخذت زينتها من الأعلام والمصابيح ، وتكلم هناك من أدباء العربية : السيد طه الراوى ، والدكتور طه حسين ، والأستاذ عبد القادر المازنى ؛ وأدباء وشعراء آخرون وكان يوماً مشهوداً .

وأصبحنا نتأهب للمسير إلى اللاذقيّة وودّنا أن نفسح الوقت للتلبيث فى حلب . وفصلنا من مدينة سيف الدولة ضحوة الجمعة فضربنا صوب الغرب والجنوب فى سهول خصبة فيها آثار الكدح والدأب حتى لاحت إدلِب بيضاء بين أشجارها . وأكثرها أشجار الزيتون ، وكانت سيّارتنا متقدمة فوقفت فى ظاهر البلد ليلحق بنا الركب . ثم دخلنا المدينة فإذا حَشد منظّم من رجال الحكومة والمدرسين والطلبة يسرّ العين والقلب ، والموسيقى تدوّى فتبث ألحانها فى هذا الجمال فإذا هو كله موسيقى مؤتلفة ، واستقبلتنا طالبات صغيرات ينشدن أناشيد للبلاد العربية كلها ، ويقدّمن الأزهار إلى ضيوفهن . هنالكم اجتمعت ذِكَر الماضى وصُوَر الحاضر وأمانىّ المستقبل ، فى أصوات هؤلاء الناشئات العربيات . فكان هذا ثقلا على القلب فزع منه إلى العيون يستنجد دمعها فذكرت قول البحترى :

وقفة بالعقيق نطرح ثقلاً ... من دموع بوقفة فى العقيق

ورأيت أحد الأصدقاء من أدباء دمشق يغالب دمعه . وقد لقينى من بَعد فقال : تبيّن لى أنا لم نكن وحيدَين فى الشجى ، وأن غيرنا غلبته عبراته فى هذا المقام . وما كانت هذه العَبرات إلا أمشاجاً من الفرح والحزن ، والألم والأمل ، والحماس والعطف . وما لا يُستطاع الإعراب عنه من أشجان غامضة ، وعواطف مبهمة يجمعها كلها اضطراب النفس بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، واغتباطها وطربها بما ترى وتسمع وتتخيل .

ومررنا بين الجموع لنستأنف السير فقال لى أحد الشبان : أهذه رحلة أخرى يا أستاذ ؟ . قلت ، وعيناى أفصح من لسانى : أجل ! رحلة جميلة جليلة أُلحقها برحلاتى الماضية .

إدلب مركز قضاء[1] سكانها زهاء عشرة آلاف . وهى معروفة بالزيتون والقطن والبطيخ . ولكثرة الزيت بها عرفت بصناعة الصابون حتى سميت إدلب الصابون . كذلك أخبرنى بعض الرفقاء من الشام .

وبعد مسيرنا عن إدلب علونا أرضاً جبليّة فسرنا فى حَدور وصَعود حتى جئنا جسر الشُّغور . وهو قرية كبيرة عبرنا عندها جسراً على مجرى ماء ، وشرعنا نصعد بعدها جبالاً عالية مخضرّة ، وما زلنا صاعدين وهابطين حتى وقفنا عند أشجار باسقة ظليلة عندها مسيل ماء قليل ينصب فى حوض ، ويسمى قَسطَل العجوز . وكانت الساعة إذ ذاك اثنتى عشرة وربعاً . ويقول ياقوت : القسطل

(١) القضاء فى التقسيم الادارى فى الشام والعراق وتركيا كالمركز فى تقسيم مصر . يتولى أموره قائمقام . هو كالمأمور فى مصر

بلغة أهل الشام الموضع الذى تغترف منه المياه ، وهناك استقبلنا وفد من الصحفيين قدم من اللاذقية . وكثرت على طريقنا أشجار الصنوبر . وما زالت الطريق تتمعج بنا على سفوح الجبال وفى الأودية . وكلما جزنا جبلاً لقينا أعلى منه وأروع ، حتى استقبلنا طريق صعود على سفح جبل شاهق ، وشفا واد هائل ، فلما شارفنا القمة وقفت السيارات بغتة ولما تبلغ مأمنها من القمة . قلنا ما الخطب ؟ فإذا سيارة تشتعل فيها النار ليست من سيارات الركب . فزع بعضنا لهذه الوقفة فى هذا المكان المخوف ، ولهذا الحريق المفاجىء فنزلوا من السيارات مسرعين إلى جانب الطريق . وبينما الأستاذ المازنى يتجنب هذا الخطر بعد أن نال منه الاعياء فى هذا السير الشاق تقدم إليه سائل يسأله عن مطلع قصيدة لأحد الشعراء ، فنال القصائد والشعراء ما نالهم من غضبة المازنى .

وبعد الكلال والملال وطول السؤال بلغنا مقصدنا حرش بايِر . وهو حرج على قمة عالية مشرف على البحر يطلع السائر فيه على مناظر جليلة جميلة رائعة على السفح الغربى المفضى إلى الساحل ، وكان هناك موعدنا للغداء فى ضيافة الأديب العالم الأمير مصطفى الشهابى متصرف اللاذقية (أو متصرف جبل العلويين ، واللاذقية عاصمة الجبل) وقد نعمنا بالراحة بعد التعب ، والطعام بعد الجوع ، وأنسنا بجماعة من التركمان يزمرون ويطبلون ، وكانت جلسة فرحة مكافئة لما سبقها من تعب ، وما لحقها من مسير طويل .

ومشينا بعد الغداء قليلا نطل على جمال السفوح الغربية وجلالها وروعتها ويتمنى الشعر والخيال التلبث بها . ثم ركبنا فهبطنا حتى أفضينا إلى سهل خصب يكثر فيه شجر الزيتون . ولما انتهينا إلى الساحل سايرناه شطر الجنوب حتى بلغنا بشق الأنفس المدينة التى نؤمها ، وقد رددنا اسمها على الطريق فى شعر المتنبى وغيره . كقول أبى الطيب ، غفر الله غلوه .

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى ... وغيرى بغير اللاذقية لاحق
هى الغرض الأقصى ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

وبلغنا المدينة قبيل الغروب فأسرع بنا النقيب إلى الفندق الذى أعد لنزولنا ولحفلة المعرى فندق الكازينو ، وهو مشرف على البحر ، متصل بأمواجه .

وكانت حفلة أبى العلاء فى فناء الفندق بعد الغروب فغص المكان بالمستمعين ، وتكلم فى أبى العلاء أساتذة من مصر والشام ، وأنشدت قصائد تشيد بشاعر العرب الفيلسوف . ثم كان العشاء والسمر فى الحديقة من دار الأمير الشهابى فنسى الضيوف هناك ما لقوا من نصب النهار . وفاتتنى هذه المأدبة الا أخبارها ، إذ قعدنى الاعياء عن الخروج إليها ورحم الله ابن حمديس .

فإن أك أخرجت من جنة ... فإنى أحدث أخبارها

وأصبحنا نسير فى اللاذقية — وهى مدينة جميلة نظيفة يرجى لها فى مستقبل البلاد العربية شأن عظيم — إلى الشارع الذى سمى شارع أبى العلاء وهو شارع فى وسط المدينة ينتهى بعقد قديم من آثار الرومان فيما يُظن . سرنا إلى المكان فى موكب عظيم والموسيقى تدوى والهتاف بالبلاد العربية يعلو . وتقدم محافظ الاقليم الأمير مصطفى الشهابى فافتتح الشارع فسار الموكب فيه . واللاذقية ، على نجد مشرف على البحر فيها كثير من أشجار الزيتون والتين والتوت وفيها بساتين كثيرة يسقيها النهر الكبير ولها مكانة فى التجارة وسكانها أكثر من عشرين ألفا .

وبرحنا اللاذقية والساعة عشر وعشر دقائق نسير صوب الجنوب مع ساحل البحر . وجاوزنا نهراً صغيراً يسمى نهر أبى على أخبرنى الرفقاء أنه ينحدر من جبل الأقرع ويسير إلى البحر ، وضربنا فى سهل واسع خصب يمتد بين الساحل وجبال العلويين . ورأينا جبلة على يسارنا فى شرقيها جامع ظاهر . وهى مركز قضاء جبلة وحولها بساتين وسكانها زهاء ستة آلاف .

ولجبلة ذكر فى الخطوب العظيمة التى انتابت بلاد الشام بأيدى الروم ثم الصليبيين . وكانت حين الفتح الإسلامى حصنا للروم فلما جلوا عنه بنى معاوية حصناً آخر وبلدة ، وينسب إلى جبلة جماعة من العلماء .

وقاربنا الجبال فسايرناها زمناً بعيدين من الساحل ، ثم عاج بنا الطريق إلى البحر فمررنا ببلدة بانياس وقلعة المرقب ، وما زلنا فى طريقنا بين البحر والجبل نمر بقرى قليلة ونعبر جسوراً على مجارى مياه سائلة من الجبال إلى الساحل ، ونمر بأشجار من الزيتون فى الحين بعد الحين حتى بلغنا طرطوس والساعة إحدى عشرة

ونصف . فنزلنا إلى حديقة هناك صغيرة بجانب بناء كنيسة عتيقة سماها بعض الكتاب الأوربيين نوتردام دى طرطوس تشبيها لها بكنيسة نوتردام دى باريس . دخلنا البناء وهو معطل يحتاج إلى الترميم . وكان قد اتخذ مسجدا ووضع له منبر . ولا ريب أن أيدى المسلمين والصليبيين تداولته إبان الحروب الصليبية . وبعد زيارة هذا المسجد جلسنا إلى حوض فى الحديقة قليلاً ثم ركبنا بعد نصف ساعة من نزولنا .

ومررنا على مقربة من طرطوس بخرائب عمريت . وكانت من مدن الفينيقيين الكبيرة ، وبجزيرة أرواد المعروفة فى التاريخ .

ثم تركنا البحر وطريق الساحل المؤدى نحو طرابلس بين جبال لبنان والماء ، وعطفنا ذات الشمال ، فضربنا فى إقليم جبلى حتى لاح لنا عن يسارنا بعيداً حصن الأكراد منيفاً على الجبل ، يتميز عن القمم ببياضه وارتفاعه . وهو حصن كبير قديم ، شارك فى خطوب الحروب الصليبية زمناً طويلاً . ويقول ياقوت :

« هو حصن منيع حصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب » . وقال : « وملكه الفرنج وهو لا يزال فى أيديهم إلى هـذه الغاية ، وبينه وبين حمص يوم . ولا يستطيع صاحبها انتزاعه من أيديهم . »

ثم سايرنا النهر الكبير الذى يسير حيناً مع حدود لبنان . وسألنا هناك كم بيننا وبين حمص ، فقيل : أربعون كيلا . وجاوزنا بعد قليل تل كلخ ، وهى قرية صغيرة على سكة الحديد بين حمص وطرابلس .

والآن نطوى الطريق قراه ومزارعه لنستقبل جنات العاصى الناضرة تحيى القادم إلى حمص وتبشره بدخولها .

ودخلنا حمص نضرها الله والساعة اثنتان من المساء .

فبدأنا بزيارة الزعيم الكبير السيد هاشم الأتاسى ، رئيس الجمهورية قبلاً . وكانت رؤيته بلوغ أمل قديم . فنعمنا بالحديث معه فى داره على قدر ما وسع الوقت الضيق . ثم خرجنا إلى الروضة ، إحدى حدائق حمص العامة ، وكان فى ظلال الشجر أخذنا بأطراف الحديث ، ثم اجتماعنا على المائدة .

وتكلم هناك الأستاذ عارف النكدى ، وتلوته بكلمة . وكان لا بد لى أن أتكلم فى حمص إعراباً عما جاش فى نفسى من ذكر الماضى والحاضر حين دخلتها ، ومما قلت :

« علا نفسى إعجاباً وروعة وفخاراً ، أن أقف على مقربة من أعظم تمثال للبطولة المجاهدة المخلصة المطيعة ، ضريح خالد بن الوليد رضى الله عنه ...

يا قومنا ، إن الفرصة قد سنحت ، والزمان ضنين بفرصه ، والفرص سريع مرورها ، فاحذروا أن تناموا والخطوب يقظى ، أو تبطئوا والزمان يسرع ، أو تقفوا والفلك يدور ، أو تهزلوا والزمان يجد . ألا إن تكاليف المجد شاقة ، ومطالبه صعبة ، وغاياته بعيدة ، ولكن فى ضمان العزائم المجتمعة ، وفى كفالة النفوس الأبية تذليل الشاق ، وتيسير الصعب ، وتقريب البعيد . فأجمعوا أمركم ، واجمعوا كلمتكم . وتقدموا إلى العمل بقلوب ملؤها الرجاء والأمل ، ورؤوس ملؤها الحكمة والروية ، وأيد ملؤها النشاط والقوة ... الخ الخ

وفصلنا من حمص والساعة أربع وثلث راجعين أدراجنا إلى دمشق الحبيبة .

وكان فى دمشق ختام عيد أبى العلاء يوم الأحد رابع عشر شوال من سنة أربع وستين وثلثمائة وألف (أول تشرين الأول سنة ١٩٤٤)

عبد الوهاب عزام

محمد بن عبد الملك الزيات

للأستاذ عبد اللطيف ثابت

(تتمة ما نشر فى العدد ٦١٢)

وكما يسرف محمد بن عبد الملك فى الظلم والقسوة ، فلا يكاد يقع تحت يده مأخوذ بجريرة حتى يعاقبه أشد العقاب ، وينتقم منه أقسى الانتقام ، ناسياً أن الله بالمرصاد لكل ظالم قاس ، وأن الزمن يومان يوم له ويوم عليه — يسرف كذلك فى انتقاد الشعراء والكتاب ، يدفعه إلى هذا غلوه فى اعتزازه بنفسه ، وثقته بعلمه وأدبه ، ناسياً أن له عيوباً ومثالب شأن كل إنسان ، فإذا لم يرفق بمن ينتقدهم فليس يرفق به منقدوه .

كتب عبد الله بن الحسن الأصبهانى وهو على ديوان الرسائل إلى خالد بن يزيد « ان المعتصم ينفخ منك فى غير فحم ، ويخاطب امرأ غير ذى فهم » فلما وقف عليه محمد بن عبد الملك قال : « هذا كلام ساقط سخيف ، جعل أمير المؤمنين ينفخ بالزق كأنه حداد » .

ثم كان أن كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر يقول : « وأنت تجرى أمرك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لا تسمى بنقصان ، ولا تميل برجحان » . فقال عبد الله الأصبهانى : « الحمد لله قد أظهر من سخافة اللفظ مادل على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكره ربح السلع ورجحان الميزان ونقصان الكيل والخسران من رأس المال » . فلم يلبث الأصفهانى أن انتصف منه ، وقد حقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه .

وذكر يحيى بن خاقان فانتقصه ، وقال عنه : هو مهزول الألفاظ ، عليل المعانى ، سخيف العقل ، ضعيف العقدة ، واهى العزم ، مأفون الرأى . وهذا نقد ، ولكنه ليس على الصورة التى ينبغى أن يكون عليها النقد . وهو ناقد ولكنه فى الواقع لاينقد ، وإنما يسخر سخرية من يرى الناس دونه ، ويتهكم تهكماً لاذعاً لا نرتاب فى أن باعثه الحقد على من يرى لهم فى سماء المجد الأدبى سطوعاً ، كما يحقد على من تعلو درجاتهم فى الحياة فيماثلونه فى دولته أو يقاربونه . ولم يكن على رغم سلطانه وقوته بنجوة من التهكم به كما يتهكم ، أو السخرية كما يسخر ، ولعل أشد من تهكموا به وسخروا منه فى جرأة المغيظ المحنق ابراهيم الصولى الذى يقول له :

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة ... وقصر قليلا عن مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوماً حويته ... فإن رجائى فى غد كرجائكا

ويقول فيه :

قلت لها حين أكثرت عذلى ... ويحك أزرت بنا المروءات
قالت فأين السراة قلت لها ... لا تسألى عنهمو فقد ماتوا
قالت ولم ذاك قلت لهـا ... هـذا وزير الإمام زيات

ويقول له :

فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة
فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الإثراء منك خلائقا
من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ويقول فيه :

من يشترى منى إخاء محمد ... أم من يريد إخاءه مجانا
أم من يخلص من إخاء محمد ... وله مناه كائنا ما كانا

ونظن أن محمد بن عبد الملك الذى يقول : « الرحمة خور فى الطبيعة وضعف فى المنة » ويقول : « ما رحمت شيئا قط » والذى يكثر أعداؤه وحساده ، حتى يضيق بهم ويضيقوا به ، وينال منهم وينالوا منه — تظن أن هذا الرجل لا يعرف قلبه الرفق ولا اللين ولا تحس نفسه شيئا من الأحاسيس التى تحمل على الرقة وتدفع إلى العطف ، وتلفت العقل إلى ما لا يهنأ العيش به ، ولا تجمل الحياة إلا بطلبه ، ولعلك تستبعد أن يكون منه ما يكون من ذوى القلوب الرقيقة فيواد أو يتعشق أو يتنادر ، فلا تنس أنه شاعر فهو فى الواقع يجمع بين جفاء الحاكم القاسى القلب ، ورقة الشاعر الذى يحس بما فى الحياة من لذة وألم ، وعرف ونكر .

اعتل الحسن بن وهب كاتبه ، فتأخر عنه أياماً كثيرة لا يأتيه رسوله ولا يتعرف خبره ، فكتب إليه الحسن :

أيهذا الوزير أيدك الله ... ـه وأبقاك لى بقاء طويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا ... س لكيما أراه أيضا جميلا
إننى قد أقمت عشرا عليلا ... ما ترى مرسلا إلى رسولا

إلى آخر أبيات رقيقة تضمنت عتبا رقيقا فأجابه محمد :

دفع الله عنك نائبة الدهـ ـر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا ك من العذر جائزا مقبولا
إننى أرتجى وإن لم يكن ما كان مما نقمت إلا جليلا
أن أكون الذى إذا أضمر الإخـ ـلاص لم يلتمس عليه كفيلا
فاجعلن لى حظ التعلق بالقد ر سبيلا إن لم أجد لى سبيلا
فقديما ما جاد بالصفح والعفـ ـو وما سامح الخليل الخليلا

واستقى منه الحسن نبيذاً وهو مع المعتصم ببلاد الروم فسقاه وكتب إليه :

لم تلق مثـلى صاحبا أندى يداً وأعم جـودا
يسقى النـديم بقفرة لم يسق فيها الماء عودا
صفراء صافيـة كأ ن بكأسها دراً نضيدا
وأجود حين أجود لا حصراً بذاك ولا بليدا
وإذا استقل بشكرها أوجبت بالشكر المزيدا

وكتب إليه راشد الكاتب وقد عاد من الحج

لاتنس عهدى ولا مودتيه واشتق إلى طلعتى ورؤيتيه
فان تجاوزت ما أقول إلى العصب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد :

يا بأبى أنت ما نسيتك فى يوم دعائى ولا هديتيـه
ناجيت بالذكر والدعاء لك اللـه لك الله رافعاً يديه
حتى إذا ما ظننت بالملك الـ قادر أن قد أجاب دعوتيـه
قمت إلى موضع النعال وقد أقت عشرين صاحبا معيه
وقلت لى صاحب أريد له نعلا ولو من جلود راحتيـه
ثم تخيرت بعـد ذاك من الـ ـعصب اليمانى بفضل خبرتيه
موشـية لم أزل ببائعهـا أرغب حتى زها على بيـه

وعشق جارية من جوارى القيان ، فكان منه ما يكون من العشاق ذوى القلوب الرقيقة ثم بيعت الجارية لرجل من أهل خراسان وخرج بها ، فذهل عقل ابن الزيات حتى غشى عليـه ، وفيها يقول :

ياطول ساعات ليـل العاشق الدنف
وطول رعيته للنجم فى السـدف
ماذا توارى ثيابى من أخى حرق كأنما الجسم منـه دقة الألف
ما قال يا أسفا يعقوب من كمد إلا لطول الذى لاقى من الأسف
من سره أن يرى ميت الهوى دنفاً
فليسـتدل على الزيات وليقف

ويتمادى بدافع من التظرف فى التشبه بشعراء المجون من أبناء عصره فيظهر الوله بغلام رآه على فرس ، ويتغزل فيـه على سنتهم ولا يأنف أن يذكر به ، بل هو يتمنى أن لو كان فارس ذا الفارس

وتؤثر عنه أمثلة من التنادر ، تصور ما طبعت عليه نفسه من رقة وظرف فى بديهة حاضرة وخاطر سريع وإن ظهر فى بعضها متهكما ساخراً ، وهو يقدر ما يجابه به أو يكتب إليـه من ظريف التنادر فيطرب ويضحك ، ويوقع فى جو الطرب والضحك بما يريد المتنادر ، بل قد يقربه إليه ويصطنعه .

فمن ذلك أنه جلس يوما للمظالم ، فلما انتهى المجلس ، رأى رجلا جالساً فسأله ألك حاجة ؟ قال نعم ، أدننى إليك فإننى مظلوم وقد أعوزنى الإنصاف . قال ومن ظلمك ؟ قال أنت ، ولست أصل اليك فأذكر لك حاجتى . قال ومن يحجبك عنى ؟ قال يحجبنى عنك هيبتى لك ، وطول لسانك ، وفصاحة قولك ، واطراد حجتك . قال ففيم ظلمتك ؟ قال أخذ وكيلك ضيعتى الفلانية غصباً ، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمى لئلا يثبت لك ملكها ، فوكيلك يأخذ الغلة وأنا أؤدى الخراج ، فهل سمعت بمثـل هذا فى الظلم ؟ فقال محمد قولك هذا تحتاج عليه إلى بينة وشهود وأشياء ، فقال له الرجل أيؤمننى الوزير حتى أجيب ؟ قال نعم أنت آمن . قال البينة هم الشهود ، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شىء ، فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء ؟ إيش هذه الأشياء إلا العى والتغطرش ! فضحك وقال صدقت ، والبلاء موكل بالمنطق ، وإنى لأرى فيك مصطنعا ، ثم وقع له برد ضيعته .

ومن ذلك أن أبا دهمان المغنى سرق منه منديلا ديبقيا ، وأخفاه تحت عمامته ، وبلغه فقال .

ونديم سارق خاتلـنى وهو عندى غير مذموم الخلق
ضاعف الكور على هامته وطوى منديلنا طى الخرق
يا أبا دهمان لو جاملتنا لكفيناك مؤونات السرق

على هامش النقد

المدينتان

١ — دمشق : للأستاذ محمد كرد على
٢ — بغداد : للأستاذ طه الراوى

للأستاذ سيد قطب

أحببت أن أجمع بين هذين الكتابين فى مقال ؛ لأن جميع الأسباب توحى بهذا الجمع . فكلتا المدينتين حاضرة خلافة إسلامية فى القديم ودولة عربية فى الحديث . وكلتاهما كانت مقر نهضة ثقافية ومهبط حضارة إسلامية فى التاريخ ، كما أن كلتيهما اليوم تتطلعان إلى فجر جديد . ثم اتفق أن يكون الكتابان حلقتين فى سلسلة « اقرأ » وأن يكتبها كاتبان عربيان متعاصران ، وأن يسلكا فيهما نهجا واحداً فى التأليف على وجه التقريب !

وقبل أن أحكم على هذا النهج ، أحب أن أطلع القارىء عليه كى يشترك معى فى الحكم الأخير :

من عنوانات الكتابين المتتالية يتضح هذا النهج بعض الوضوح . فهذا كتاب دمشق يبدأ هكذا ويسير :

« دمشق وطبيعتها » ثم « تاريخ دمشق السياسى : تاريخ دمشق القديم . دمشق قبل الفتح العربى . دمشق فى الإسلام . دمشق فى عهد العباسيين . دمشق فى عهد ملوك الطوائف . دمشق فى عهد السلجوقيين . دمشق على عهد الدولتين النورية والصلاحية . دمشق على عهد المماليك . دمشق فى عهد الدولة العثمانية . دمشق فى العهد الأخير » . .

فإذا انتهى التاريخ السياسى على هذا النحو بدأ « التاريخ العمرانى » على النحو نفسه متتابعاً من التاريخ القديم إلى الحديث. حتى إذا انتهى من تاريخ عمارتها ابتدأ « وصف القدماء والمحدثين لدمشق » . فإذا انتهى هذا الوصف بالترتيب الزمنى تحدث عن « سكان دمشق وخصائصهم » . حتى إذا انتهى هذا الفصل تحدث عن « الحياة الأدبية والفنية والصناعية » فى تدرجها حتى العهد الأخير مع تقسيم هذه « الحياة » إلى أقسام كل منها له بدء

ومن ذلك أن آفة لحقت غلات أهل البت من جراد وعطش فكلمه جماعة منهم ، فوجه ببعض أصحابه ناظراً فى أمرهم ، وكان فى بصره ضعف ، فكتب إليه محمد بن على البتى .

أتيت أمراً يا أبا جعفر لم يأته بر ولا فاجر
أغثت أهل البت إذ أهلكوا بنــاظر ليس له ناظر

فبلغه فضحك ورد الناظر ووقع لهم بما سألوا بغير نظر . ولم يكن محمد بن عبد الملك مع هذا مؤثرا موادة منافسيه ولا محسنا مصانعتهم ، اعتمادا على أنه أعظم معاصريه شأنا وأخبرهم بتدبير الأمر فلا يسهل على الخلفاء أن يجدوا عنه عوضا ، ولكن أعداءه وهم كثيرون وعلى رأسهم القاضى أحمد بن أبى دؤاد أخذوا يكيدون له ، ويوغرون عليه صدر الخليفة الواثق هرون الذى كان عليه ساخطا فى أيام والده المعتصم ، حتى لقد حلف يمينا مغلظة أنه ينكبه إذا صار الأمر إليه ثم يتولى الخلافة الواثق . فيستقبله ابن الزيات ببيتين هما من قوله فى رثاء المعتصم .

قد قلت إذ غيبوك وانصرفوا فى خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقــدت مثلك إلا بمثل هرون

ويأمر الواثق الكتاب أن يكتبوا مايتعلق بأمر البيعة ، فلا يأتى على ما فى نفس الواثق فى هذا الأمر إلا ابن الزيات فيرضى عنه ، ويقره على ما كان فى أيام المعتصم ، ويكفر عن يمينه . ثم يتولى المتوكل الخلافة متسخطا على ابن الزيات ، لأنه كان يتجهمه حين يدخل عليه فى أيام الواثق ، ويغلظ له القول يتقرب بذلك إلى قلب الواثق ، ولأنه أشار بتولية ولد الواثق دون المتوكل ، ويجد القاضى أحمد بن دؤاد فى إغرائه به ، فيجد لذلك عنده موقعاً . ويجيبه بعد أربعين يوماً من توليه الخلافة فيقبض عليه ، ويقيده بما زنته خمسة عشر رطلا من الحديد ، ويأمر بإدخاله فى التنور الذى كثر ماعذب فيه معاقبيه فى غير رحمة ، ثم يراجع المتوكل الرأى فيه ، ويرق له فيأمر بإخراجه ، ويبادرون إليه فيجدونه قد مات .

عبد اللطيف ثابت

ونهاية حسب التدرج التاريخي « فالعلم والأدب لهما فصل منفرد و « الفنون الجميلة » لها فصل كذلك ومثلها : «صناعات دمشق » و « تجارة دمشق » ، ثم يفرد المؤلف فصلا عن « غوطة دمشق » لأن لهذه « الغرطة » شأنا خاصاً وفى هتافات الشعراء بنوع خاص .

أما كتاب بغداد فتسير عنواناته على النحو التالى :

« بغداد » ويشمل بحثا عن معنى الكلمة وتاريخها . « خبر بنائها . سبب الإختيار . البدء بالبناء » ثم « شذرات من سجايا البغداديين وشمائلهم » ثم « شذور من أقوال أهل الفضل فيها نظما ونثرا » . ثم « خلاصة التاريخ السياسي لبغداد » مقسما إلى ثلاثة أبواب لكل باب فصول تتمشى مع تمشى الزمن إلى اليوم . ثم تاريخ عمارة بغداد ويسميه المؤلف « الخطط والآثار » فإذا انتهى من تعدادها وبيان أما كنها تحدث عن « الحياة العقلية » مقسمة إلى « العلوم الشرعية » و « العلوم الكونية » و « العلوم اللسانية » مع فصل كل منها عن الأخرى وتتبع خطواته . ثم إذا انتهى تحدث عن « الشعر والشعراء » فى عجلة واختصار .

***

هو نهج واحد سار عليه المؤلفان ، الاختلاف فيه هو اختلاف الأداء واختلاف المستوى . ولكنه ليس اختلاف النهج ولا اختلاف الطريق .

وهو نهج لا نوافق عليه فى الكتابة عن « المدن » فى هذا الزمان . وإن لم ننكر ما يفيد منه القارىء العجلان من بعض « المعلومات » .

أقول « المعلومات » وهى كل مايضطلع هذا النهج بتقديمه للقارىء . ولكنها معلومات مبعثرة بعثرة هذه العنوانات التى أسلفتها . مسوقة بطريقة بدائية فى التأليف إذا قبلناها من مثل صاحب « تاريخ بغداد » و « خطط المقريزى » و « تاريخ ابن الأثير » وسواهم فى الزمن القديم ، فلسنا نقبلها من مؤلف عربى فى القرن العشرين ؛ نتطلب منه أن يخطو خطوة وراء « المعلومات » المتناثرة . خطوة التنسيق الفنى . وخطوة « التشخيص » والإحياء .

أقول « التشخيص » وهو أفضل مناهج الكتابة عن « المدن » فى هذا الأوان ...

فالمدينة يجب أن يكتب عنها كما يكتب عن « الشخص » الحى ، والشخص الحى وحدة تنمو كاملة بمرور الأيام ، ولا تنمو أجزاء وتفاريق . لاينمو جسم « الشخص » الحى وحده ، وينمو عقله وحده ، وتنمو نفسه وحدها . وإذا تحدثنا عنه فلسنا نبدأ بنموه الجسمى فنتحدث عنه من مولده إلى وفاته . ثم نكر راجعين إلى عقله من البدء للنهاية . ثم نكر للمرة الثالثة إلى نفسه على التوالى . إنما نحن نتناول مراحل حياته فنسجل مظاهر النمو فى كل قواه التى لاتنفصل ولا تتجزأ ؛ والتى يموت الكائن الحى فيه إذا نحن فصلناها وجزأناها !

وتاريخ حياة « المدن » كتاريخ حياة « الأشخاص » لا ينفصل فيه النمو السياسى عن النمو العمرانى عن النمو العقلى عن النمو الفنى . إنما يسير هذا كله وحدة لاتتجزأ فى المرحلة الواحدة ، وتسير المراحل المتتالية متواصلة كالأمشاج ، متفاعلة كالعناصر المختلفة فى المزاج .

يجب أن تطالعنى « دمشق » أو تطالعنى « بغداد » بنية حية ؛ تبدأ صغيرة ، ثم تنمو وتنمو ، ثم تتعاقب عليها الأحداث فتترك آثارها فى هذه البنية الحية ، التى لاتنفصل ذراتها لأنها لاتزال على قيد الحياة .

يجب أن يجتهد المؤلف فى « إحياء » هذه المدينة ، حتى تبرز لى شخصية متماسكة حية تعاطفنى ؛ وأعاطفها ؛ وحتى أساير خطاها فى الزمان بقلب جياش يطلع منها على ضمير منفعل ، وحركة مثيرة ؛ أو على حسن خامد وغفوة هامدة ، أو على صراع مع الأحداث والأيام ، تواجهه بقلب الكائن الحى ، الذى يضطرب وينبض للأحداث والأيام .

فأين هذا كله من كتابى « دمشق » و « بغداد » ؟

***

تبقى الموازنة بين الكتابين فى دائرتهما المتواضعة ! وكثيرون من الناس يشفقون من الموازنة بين الأحياء ؛ وينصحون لى بالكف عن هذه الموازنات التى تثير الغيرة والخصومات !

وأنا لا أومن بهذه النصائح التى تنشأ من « تقاليد الصالونات » تلك التقاليد الناعمة الرقيقة ، التى لا يمكن أن تبرأ من الجبن والنفاق . فى الوقت الذى تبرأ من أعظم عناصر الحيوية ، الحسم والحماسة !

كتاب « دمشق » أوسم وأتمن من كتاب « بغداد » والتماسك بين مباحثه المتفرقة أدق وأعمق . و نَفَس المؤلف فيه أقوى وأطول . وقد عرف المؤلف حدود المجال الذى يضطرب فيه فلم يزج بنفسه فى مباحث « كبيرة » لم يتهيأ لها فى هذه الحدود .

مثال ذلك ما زجّ بنفسه فيه مؤلف كتاب « بغداد » من الحديث عن خصائص الشعر البغدادى . ذلك الموضوع الخطر الذى يحتاج الحديث عنه إلى فطرة موهوبة ، وإلى بحث كذلك عميق . فلم يزد فيه على الملخصات المدرسية المعروفة . من ذلك قوله :

« والناقد البصير مضطر إلى الاعتراف بما لشعراء بغداد النابتين فيها والطارئين عليها من الفضل على الشعر فى تنويع أغراضه ، وابتكار البارع من معانيه وأخيلته ، ونشر الآراء الحرة والمذاهب الجديدة ، والبراعة فى رسم الصور المبتكرة فى الأوصاف وغيرها . كأنه عليهم تقع تبعة إذاعة الزندقة والتشكيك فى العقائد ، والاسترسال وراء الأهواء . وهم أول من فتح باب الغزل فى المذكر ، أو — على الأقل — هم أول من وسع هذا الباب ، وأغرقوا فيه أيما إغراق . كما أنهم أول من وسع باب المجون وغالوا فيه غلواً تستنكره الطباع السليمة والنفوس المستقيمة ، ولم يكترثوا لما يتقيد به المؤمنون من كرائم الخلال ، ومحامد الخصال وأكثر المندفعين فى هذه المسالك من الموالى الذين لم يملأ الإيمان صدورهم ، ولا ارتاحت إلى الدين عقولهم من أمثال بشار بن برد وحماد عجرد وحسين بن الضحاك وأبى دلامة ... الخ »

ثم يجمل ماجدّ من الشعر ببغداد فى نقط كالنقط المدرسية فى مذكرات التلاميذ :

« أ — الركون إلى الأنيس من الألفاظ وهجر الغريب الحوشى .

٢ — الإكثار من الألفاظ الدخيلة ولاسيما الدالة على أنواع الخمور وضروب الأزهار وأصناف الأطعمة .

٣ — استعمال مصطلحات العلوم التى كثرت فى هذا العصر .

٤ — الاهتمام بالمحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية كالجناس والتورية ورد العجز على الصدر والطباق . وأكثر الشعراء ولعاً بهذه المحسنات مسلم بن الوليد وأبو تمام وعبد الله بن المعتز

٥ — الميل إلى سلامة التراكيب وانسجامها مع الاحتفاظ بجزالة الأسلوب وظهور المعنى » .

وعلى النسق نفسه يسرد ماجدّ فى « معانى الشعر وأخيلته » وماجد فى « أغراضه وفنونه » .

وأعتقد أن الكتابة على هذا النحو لا تصلح لغير التلاميذ .

***

وبعد ففى الكتابين كما قلت « معلومات » مفيدة فى اختصار ينفع المتزود العجلان . ولكن هذه المعلومات كان يمكن أن تستحيل لبنات متماسكة فى بناء الكتابين لو سار المؤلفان الفاضلان على منهج « التشخيص » والإحياء الذى أسلفنا بيان خصائصه .

وإذا كان للنقد وظيفة فليست وظيفته هى تغيير طبائع المؤلفين المخلوقة ، ولا زيادة طاقاتهم المحدودة ؛ ولكن وظيفته أن يوجه الأنظار إلى المنهاج الأقوم ليسلكه من يملك الطبيعة ، ومن يطيق السلوك فيه .

سيد قطب

١٣ـ القضايا الكبرى فى الاسلام

قتل مالك بن نويرة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

كان مالك بن نُوَيْرَةَ التميمى اليربوعى شاعراً شريفاً ، معدوداً فى فرسان بنى يربوع فى الجاهلية وأشرافهم ، وبلغ من أمره أنه كان يُضرب به المثل فيقال : مَرْعًى ولا كالسَّعْدَانِ ، وماء ولا كَصَدَّاء ، وفتى ولا كمالك . وبلغ من شرفه أنه كان ردف الملوك ، وللردافة موضعان : أحدهما أن يردفه الملك على دابته فى صيد أو غيره من مواضع الأنس . والموضع الثانى أنبل ، وهو أن يخلف الملك إذا قام عن مجلس الحكم ، فينظر بين الناس بعده . ولكنه كان فيه خُيَلَاء ، لما كان يرى من نبله وجماله .

وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فيمن وفد عليه من العرب ، فاستعمله على صدقات قومه بنى يربوع ، وقد مات صلى الله عليه وسلم وهو عامل على تلك الصدقات ، فلما بلغه موته اضطرب فيها فلم يحمد أمره ، وفرق ما فى يده من إبل الصدقة ، فكلمه الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد فقالا له : إن لهذا الأمر قائماً وطالباً ، فلا تعجل بتفرقة ما فى يدك . فقال :

أرانى الله بالنعم المندى . ببرقة رحرحان وقد أرانى
تمشّى يا ابن عوذة فى تميم وصاحبك الأقيرع تلحيانى

يعنى أم القعقاع ، وهى معاذة بنت ضرار بن عمرو .

وقال أيضاً :

وقلت خذوا أموالكم غير خائفٍ
ولا ناظر فيما يجىء من الغدِ
فإن قام بالأمر المُخوّف قائم
منعنا وقلنا الدِّينُ دينُ محمدِ

يعنى أنهم لا يدينون إلا له ، فإذا مات لا يدينون بعده لانتفاء أمر النبوة .

فلما فعل مالك ذلك فى كثير من العرب الذين ارتدوا ومنعوا الزكاة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، أرسل أبو بكر إليهم خالد بن الوليد وغيره فى جيوش من المهاجرين والأنصار ، وكان فيما أوصاهم : إذا نزلتم فأذِّنوا وأقيموا ، فإن أذَّنَ القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شىء إلا الغارة ، ثم اقتلوا كل قتلة الحرق فما سواه ، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم ، وإلا فلا شىء إلا الغارة ولا كلمة .

وقد قصد خالد بن الوليد مالكاً بعد أن فرغ من أسد وغطفان وغَنِيٍّ ، فلما علم مالك بقصده ندم وتحير فى أمره ، ففرق قومه فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فلما وصل خالد إلى مكانهم لم يجد فيه أحداً ، فبعث السرايا وأمرهم برعاية وصية أبى بكر رضى الله عنه ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع وغيرهم ، وقد اختلفت السرية فيهم ، وكان أبو قتادة رضى الله عنه فيمن شهد أنهم قد أذَّنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا فيهم أمر خالد بحبسهم ، وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شىء ، وجعلت تزداد برداً ، فأمر خالد منادياً فنادى : أدفئوا أسراكم . وكان فى لغة كنانة إذا قالوا : أدفأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه ، وفى لغة غيرهم : أدفئوه من الدفء . فظن القوم أنه يريد القتل ، فقتلوهم على هذا الظن ، وكان ضرار بن الأزور هو الذى قتل مالكا ، فخرج خالد وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . وقد وقع خلاف بين القوم فى قتلهم ، وقال أبو قتادة لخالد : هذا عملك . وقد عاهد الله ألاَّ يشهد حرباً بعدها أبداً .

وهناك رواية أخرى أراها أقرب من هذه الرواية ، وهى أن خالداً راجع مالكا فيما فعله ، فقال له مالك : إنى آتى بالصلاة دون الزكاة . فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً ، لا تقبل واحدة دون أخرى . فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك . ففهم خالد أنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : وما تراه لك صاحباً ، والله لقد هممت أن أضرب عنقك . ثم تجاولا بالكلام طويلا ، فقال له خالد : إنى قاتلك . فقال له مالك : أوبذلك أمرك صاحبك ؟ فقال له خالد : وهذه بعد تلك ،

والله لأقتلنك . ثم قدمه فضرب عنقه وعنق أصحابه ، وقد اختلفوا أيضاً فى قتلهم على هذه الرواية ، ومن يؤاخذ خالداً يرى أن هذا ليس بصريح فى الكفر ، لأن مثل هذا يمكن أن يعد من جفوة الأعراب ، ويجوز أن يكون قد عنى بصاحبه أبا بكر

وكان لمالك امرأة فائقة فى الجمال ، تسمى أم تميم بنت المنهال ، فلما قتله خالد تزوج امرأته قبل أن يستبرئها ، ثم تركها حتى ينقضى طهرها ، فأكثر فى ذلك القالة على نفسه ، حتى اتهمه أناس بأنه إنما قتله لأجل أن يخلفه عليها .

فلما قتل مالك قصد أخوه متمم بن نويرة أبا بكر ينشده دم أخيه ، ويطلب إليه فى سبيهم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، فلما وصل المدينة صلى مع أبى بكر الصبح ، ثم أنشد :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحتْ تحت الإزار قتلتَ يا ابن الأزْوَرِ
أدعوته بالله ثم قتلتَـــهُ لَوْ هُو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته . فقال :

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائلُه عفيف المِئْزَرِ
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المُتَنَوِّر

ثم بكى حتى سالت عينه ، ثم انحط على سِيَةِ قوسه مغشياً عليه ، ولما أفاق طلب من أبى بكر دم أخيه ، وأخذ يدافع عن قضيته بالشعر والنثر أحسن دفاع ، ومضى يطرى أخاه ويذكر محاسنه ويرثيه حتى لفت أهل المدينة إليه ، وصار شعره حديث أنديتهم ومجالسهم ، ومن ذلك قصيدته المشهورة فى الرثاء ، وهى معدودة من عيون المراثى :

لَعَمْرى وما دهرى بتـــأبين مالكٍ
ولا جَـزِعٌ مما أصـــاب فأوجعَا
لقد كَـفَّنَ المنهال تحت ردائه[1]
فتى غير مِبْطَان العَشِيّات أرْوَعَا

وقد صلى يوماً الصبح مع عمر بن الخطاب ، فلما انفتل من صلاته سأل عنه فقيل إنه متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله فى أخيه ، فأنشده هذه القصيدة حتى بلغ إلى قوله :

وكنا كندمانى جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نَبِت ليلة معَا

فقال عمر : هذا والله التأبين ، ولوددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيدا بمثل مارثيت به أخاك .

وكان عمر رضى الله عنه من الذين رأوا مؤاخذة خالد بقتل مالك وتزوجه امرأته قبل استبرائها ، فذهب إلى أبى بكر وقال له : إن فى سيف خالد رهقا ، وحق عليه أن يقيده . وأكثر عليه من ذلك .

فلما رأى أبو بكر ذلك كتب إلى خالد أن يقدم عليه ، فأقبل قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء ، وعليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة قد غرز فيها أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع السهم من رأسه فحطمها ، ثم قال : أقتلت امرءاً مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك . فلم يكلمه خالد ، وظن أن رأى أبى بكر على رأى عمر فيه .

فلما دخل على أبى بكر سأله عما فعل ، فأخبره بما كان منه وذكر عذره فيه ، ثم شهد قوم من السَرِيَّةِ أن مالكا وقومه أذنوا وأقاموا وصلوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء فقتلوا .

فرأى أبو بكر أن خالداً لا يعدو أمره أنه تأول فأخطأ ، وأن الشهود مع هذا مختلفون فى شهادتهم ، والجناية فى الشرائع الحديثة يكفى مثل هذا فى سقوطها فى حال السلم ، فما ظنك بحال الحرب ، فلا يصح أن يؤخذ خالد بالقود مع هذا وهو ذلك البطل الذى أبلى فى حروب الردة أحسن البلاء ، حتى قضى على تلك الفتنة التى كادت تقضى على الإسلام فى مهده ، وتعيد بلاد العرب إلى ما كانت عليه من وثنية مظلمة ، وفوضى هادمة مخربة ، وما كان مالك إلا ممن أغواهم الشيطان فأوقدوا نار تلك الفتنة فى بلاد العرب ، فذهبت فيها نفوس كثيرة من المسلمين كانت دماؤهم أذكى من دم مالك ، وكانوا أكرم على الله منه ، وإذا صح أنه عاد إلى الإسلام فقد عاد إليـه والسيف مصلت على

(١) المنهال : رجل من بنى يربوع ، مر على أشلاء مالك لما قتله خالد ، فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه .

كلمة لا بد منها

للأستاذ على الطنطاوى

ولقد كنت أود أن أجد من نشرها بدأ — غير أن ما تنشره صحف مصر ومجلاتها فى موضوع الأدب الشامى والتعريف بأهله لمن نعرف ومن ننكر من الكتاب أوجب نشرها — وأنا أعرف قولهم (العبرة بما قيل لا بمن قال) ولكن ذلك فى الحقائق التى يستقل العقل بتمحيصها ووزنها ، والحكم عليها بالصحة أو بالفساد ، أما الأخبار الممكنة التى تحتمل الصدق والكذب ، كقولنا : إن لفلان أسلوباً بارعاً ، وفلان بليغ ، وله كذا من الكتب ، لمن لم يسمع بفلان هذا ولم يقرأ له ، فلا يمكن الحكم عليها بالتصديق أو بالتكذيب ، وبالقبول أو بالرد ، إلا بعد معرفة حال راويها ومخبرها ، ومبلغه من الاطمئنان إلى خبره وحكمه ، فإن كان عدلاً ضابطاً ، والضبط فى الأدب هو التمرس به والذوق فيه وفهمه ، والعدالة ألا يميل به حب ولا بغض ، وأن يحكم على الرجل بأثره ، فلا تمنعه عداوته بجوداً من الثناء عليه ، ولا صداقته مسيئاً من نقده .. فإن كان كذلك قبل خبره وإلا ردّه ، وأنا أقول آسفاً إن مجلات مصر لما فتحت صدرها لمن يعرف قراءها بالمجهول من أدب الشاميين ، جاءتها مقالات من أشخاص هم أكثرهم وكبير مطلبه أن يرى اسمه منشوراً فى هذه المجلات ، ومنهم من لم يكد يضع من قبل سواداً فى بياض ، فنشرت لهم كل الذى جاءها منهم وحكمتهم فى رقاب الأدباء ، وجعلتهم من أهل الترجيح فى الأدب ، فكتبوا أشياء لا يفهم منها الجاهل بأدبنا شيئاً ، ويضحك منها العارف به أو يشنعوا على صاحبها ، ومنها مايخرج فى جملته وتفصيله عن أن يكون دعاية لمن كتبه ولأصحاب الكاتب وأصدقائه ، وحشراً لهم بين مشايخ الأدب والمقدمين فيه ، ثم كانت الطامة التى لا أقول إنها الكبرى لأنى لا أدرى ماذا يجىء من بعدها ، فنشرت مجلة محترمة مقالة فى ذنبها اسم لم نسمع به ، خلط فيها صاحبها وخبط ، وانتهى به الخلط والخبط أن نحل رياسة الأدب فى الشام رجلاً ليس منه فى العير ولا النفير ، وليس منه فى فرس ولا بعير . وأشهد لقد ضحكنا منها فى مجالسنا كأشد ضحك ضحكناه

رأسه ، فهو إسلام محوط بالشك ، لايصح أن يؤخذ فيه إسلام لم يجد الشك إليه سبيلا ، ولم تزعزعه الفتن كما زعزعته .

فلما نظر أبو بكر إلى ذلك كله حكم بعذر خالد فيما فعل ، وتجاوز له عما كان فى تلك الحرب ، ولكنه عنفه على مبادرته بتزوج امرأة مالك قبل أن تمضى مدة استبرائها ، ثم قضى لمتمم ابن نويرة بدية أخيه من بيت المال ، وحكم له برد السبى .

فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر وعمر لايزال جالسا بالمسجد ، فقال له خالد : هَلُمَّ إلىَّ يا ابن أم شملة . فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه ودخل بيته .

وقد أصر عمر على رأيه فى خالد حتى صارت إليه الخلافة ، فكان من أول مابدأ به أن عزل خالداً من قيادة جيش الشام ، وولى مكانه أبا عبيدة بن الجرّاح ، ولا شك أن أبا بكر كان أدق نظراً فى هذا من عمر ، وقد قال لعمر لما ألح عليه أن يعزله ، وقل له إن فى سيفه لرهقا : لا ياعمر ، لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين .

فرحمك الله يا أبا بكر ، لقد عرفت أن مثل خالد من أبطال التاريخ إنما يحيا لأمته ، فلا يضيره أن يعزل من قيادة أو نحوها ، وإنما يضير ذلك أمته التى تحرم من حسن جهاده ، وتتعرض جيوشها للهلاك حين تفقد قائدها المدرب ، وبطلها الذى يقودها من نصر إلى نصر ، وما الأمة إلا بزعمائها ، وما الجيوش إلا بقادتها ، فلا يليق أبداً أن نغمط جهادهم بهنة من الهنات ، ولا يصح أن ننسى ماضيهم المجيد لزلة من الزلات ، فهم بشر مثلنا يصيبون ويخطئون ، فيجب أن يعذروا فى خطئهم ، لأنه لايقع منهم عن عمد ، والعصمة لله وحده .

عبد المتعال الصعيدى

قط . ولكن القراء لم يضحكوا لأنهم لا يعرفون من الأمر إلا أنه (كفّ عدس ...) ، ولأنهم يثقون بأن هذه المجلات لا تقدم لهم إلا حقاً ، ولا تنشر إلا لأديب أريب .

***

وأنا لا أنكر منافع (التشجيع) ولقد كتبت فيه وأثنيت على أهله[1] ، ولكن هذا التشجيع إذا بلغ هذا المبلغ صار أذى لمن يشجع ، وضرراً على الأدب وأهله ، لأن من يشجع على الادعاء والغرور والعدوان يؤذى ولا يبقى فيه مصطلح ، ويصدق أنه صار زبيباً وإن كان في ذاته حصرماً حامضاً يلذع اللسان ويجرح الحلق ، ويكون عند نفسه أستاذاً جليلاً ، وعلماً مشهوراً وهو عند الناس تلميذ صغير ... ولأن الأدب إذا كثر الأدعياء فيه والواغلون عليه ، وتصدر الجهلة مجالسه وامتهن العلماء الأبيناء هان الأدب وسقط . وهل في الهوان أهون من أن يكتب (زيد) من الأدباء مائة مقالة ، يبذل فيها الغالي من عمره ومن قوته ، ومن دم قلبه وضياء عينيه ، بعد أن استعد لها بالدرس والتحصيل وسهر الليالي في مدارسة كتب العلم ومطالعة أسفار الأدب ، وصرم في ذلك الدهر الأطول فيأتي (عمرو) فيختصر الطريق ، ويقفز من فوق الجدران فلا يقرأ شيئاً ولا يكتبه ، ولكن يكتب مقالة يقول فيها عن نفسه : إن له مائة مقالة أو يسخر صديقاً له ليقول عنه إنه أحسن من (زيد) ذاك ، وأرسخ منه في الأدب قدماً ، وأضخم منكباً ، وأعلى هامة ، ويصدق ذلك القراء ويستوى عندهم الرجلان . أو هو يسب العاملين بدلاً من أن يعمل ، وينقص أقدار الرجال ليزيد بما ينقص منهم ، ويعلو بما يظن أنه يحط من منازلهم ...

... خبروني بالله ان كنتم تعلمون ، كيف يكون التدجيل إن لم يكن هذا تدجيلاً ؟ !

* * *

أما إنني لا أدعو إلى احتكار الأدب وما في سوق الأدب احتكار ، ولكن أدعو المجلات المصرية المحترمة أن تتريث في نشر ما يحمله إليها البريد من مقالات النقد والتقريظ والكلام في الأدب وأهله حتى تعرف الكاتب ، ومبلغ الثقة بخبره وحكمه ، ومكانته في بلده ، وألا تدع أسماء الكبار من أدباء الأقطار العربية مضغة في فم كل محب للشهرة ، يشتهي أن يكون كاتباً ولم يعدّ للأمر عدته

وأنا لا ألوم الشباب أن يستمرئوا التدجيل ويستسهلوا طريقه ، ويستصعبوا الجد والدأب ودخول البيوت من أبوابها . فهذا هو شأن الشباب ، وكلنا كان كذلك أو كان قريباً منه ، ولكنا لم نجد مجلات تعيننا عليه ووجدوها ، وها أنذا قد دانيت الأربعين ، وأظن أني كتبت من الصحائف المنشورة ما يزن أرطالاً ، وإني والله ما أبعث اليوم بمقالة إلى مجلة إلا مستحيياً منها ألاّ تكون للنشر صالحة ، وخائف أن تصير لقىً ، أفلا يحق لنا أن نعجب من صفاقة أقوام من هؤلاء الكاتبين وأن نعتب على هذه المجلات المحترمة ، إذ تضع الشيء في غير موضعه فتجود في غير مجاد ، وما لكل ناشىء اليوم لا يرضى بأقل من الرسالة والثقافة فلا ينشر فيها غذ رمته ... فقد كنا نتمنى جريدة يومية تنشرلنا فما كنا نصل ، ونحن يومئذ أقل من أكثرهم اليوم جهلاً !

ولقد كنا سألنا مجلات مصر أن تنشر لأدبائنا وتعرّف بأدبنا وعتبنا عليها أنها لا تفعل ؛ ولكنا لم نرد إلا الأدباء حقاً[1] لا أن تنشر لكل من يسود صحيفة ويضعها في ظرف ويبعث بها إلى المجلة ... ثم تحملُ ذلك علينا وتنسبه إلينا وتمثل به على أدبنا ، وتقبل حكم صاحبه علينا يرفع منا من يشاء ويخفض من يريد .

والسبيل لا سبيل سواها هي تكليف أحد أدبائنا المعروفين ممن لا يطعن على شخصه وإن خولف في رأيه البحث في أدب الشاميين بحثاً علمياً منظماً خالياً من أثر الحب والبغض ، مؤيداً بالدليل مستنداً إلى التحليل فينظم أدوار هذا الأدب وطبقات أهله من جهة السن ، ومن جهة الأسلوب والبلاغة ، إذ رب شاب هو أبلغ بلاغة ، وأصفى ديباجة ، وأعلى أدباً ، من شيخ يحمل أمجاد نصف قرن ، أي أنه يؤرخ أدبنا على نحو ما نؤرخ الأدب القديم الذي تقطعت بيننا وبين أهله أسباب الميل والنفار والحب والكراهية . أما هذا الطريق الذي سارت عليه مجلات مصر إلى الآن فحسبنا ما لقينا من وعره ووحشته والتوائه .

القاهرة — **علي الطنطاوي**

---

(١) الرسالة العدد (١٠٦) — في ١٥ تموز سنة ١٩٣٥

(١) ومن هؤلاء السيدة وداد السكاكيني : ونرجو أن تتم هذه الفصول التي بدأتها في الرسالة ، والصديق الأستاذ صلاح الدين المنجد .

صوت من العالم الآخر

[مهداة إلى روح أبي العلاء، مؤلف رسالة الغفران]

للأستاذ نجيب محفوظ

— ١ —

مقدمة

[سودت هـذه الصحائف يد ميت . كتبها بعد أن فارق الحياة واطمأن إلى مضجعه الأخير . ويبدو هـذا — أول وهلة - غريبا لا يصدق ؛ ولـكنه يغدو لا غرابة فيـه إذا تذكرنا حكمة قدماء المصريين التى أملت عليهم أن يودعوا قبر الميت آثاره وما كان يحبه أو ينتفع به فى دنياه ، كي تتمتع روحه — إذا زارت القبر وعاودت الجسد ليلة بعد أخرى — بما كانت تتمتع به في دنياها من مسرات الحياة . فان كان الميت كاتبا أو دعوا قبره — بطبيعة الحال — كتبه وأوراقه ، وربما تسلت روحـه بالكتابة كما كانت تفعل فى الدنيا . وهـذا ما يبدو أنه كان الواقع فى الحال التي نحن بصددها . فقد اكتشفت في العهد الأخير مقبرة لكاتب اسمه توتى من كتاب الأسرة التاسعة عشرة، عثر بها على مخطوط من البردى تدل القرائن على أن صاحب المقبرة —أو روحه على الأصح - كتبه على أثر الدفن مباشرة . وهو يحـوى حقائق غريبة لا يدرى الحي عن أكثرها شيئا ولا تكين أن توضع موضع الاختبار والتجربة . وقد أثارت من الدهشة ما هز الافئدة جميعاً . ويقتصر عملى على ترجمة هذا المخطوط العجيب دون تعرض للتفسيرات التى أثيرت حوله ، ولا للجدل الذى اكتنف هذه التفسيرات . وللقارىء أن يري فيما جاء به رأيه ، بيد أنه ينبغى أن نذكر دائما أنها خطرات ميت . وإليك ترجمة هذ المخطوط] .

ترجمة المخطوط الهيرغليفى

يا إلهى ! ماذا يعوز هـذا القبر من طيبات الحياة الفانية ؟ ! إنه قطعة من صميم الحياة حافلة بما لذّ وطاب . لقد حليت جدرانه بصور الجوارى والخدم ، وفرش بأنفر الأثاث ، وأجمل الرياش . وبه ما أشاء من أدوات الزينة والعطور والحلى ؛ وفيه مخزن مفعم بالحبوب والبقول والفاكهة . وها هى ذى مكتبتى حملت إليه بمجلداتها الحكمية ، وما يحتاجه الكاتب من الأوراق والأقلام . هى الدنيا كما عهدتها . ولـكن هل ثمة طعم للدنيا فى حواسى الآن ؟! أبى حاجة إلى متعة من متعها ؟ ! جهد ضائع ذلك الذى بذله الذين هيأوا هذه المقبرة . بيد أنى لا أستطيع أن أنكر أمراً غريباً هو أنه ما فتئت نفسى تنازعنى إلى القلم . يا عجبا ! ما لهـذه الأوراق تناديني بسحرها المحبوب ؟ ! ألا يزال بى موضع لم يمح منه الموت منازع الضعف والهوى ؟ أقضىَ علينا — معشر الكتاب — أن تشقى بضاعتنا فى الحياتين ؟ ! على أية حال لا يزال أمامى فترة انتظار أبدأ بعدها رحلتى الأبدية . فلأشغل هـذا الفراغ بالقلم . فلطالما دان القلم الفراغ بالجميل .

رباه ! ألا زلت أذكر ذلك اليوم الذى فصل بين الحياة والموت من عمرى ؟! بلى . فى ذلك اليوم غادرت قصر الأمير قبيل الغروب ، بعد عمل شاق ، تعنانى فيه الجهد ، حتى قال لى الأمير « توتى ... كف عن العمل . ولا تشق على نفسك » . وكانت الشمس قد مالت نحو الأفق الغربى فى سياحتها الأبدية إلى عالم الظلام ، ولآلىء من أشعتها المودعة تنتفض انتفاضة الاحتضار على صفحة النيـل المعبود . فأخذت فى طريقى المعهود متسمتا شجرة الجميز فى طرف القرية الجنوبى حيث يقوم بيتى الجميل .

يا آمون المعبود . ما هذا الألم فى العظام والمفاصل ؟ ليس ما بى أثر من جهد العمل فلطالما واصلت العمل بلا انقطاع . ولطالما ثابرت وصبرت فغلبت الأعياء بالقوة والعزم . أما هذا الألم المضنى ، أما هذه الرعشة المزلزلة ، فطارىء جديد ، امتلأت منه رعباً . أيكون ذاك الخبيث الذى لا ينزل بجسم حتى يورده التهلكة ؟ انطويا طريق القرية بحسنك فما فى جوارحى قوة تقبس من جمالك . واغرب ياطير السماء فما فى صدر توتى المسكين حنان يناديك ، وأخذت فى الطريق قلقاً متأوها . وعند عتبة البيت طالعنى وجه زوجى رفيقـة شبابى وأم أبنائى . فهتفت بى « توتى أيها المسكين . مالك تنتفض . ما لعينيك مظلمتين ... ؟ ! » فقلت لها محزوناً مكتئباً « يا أختاه .. وقع المحظور ... وحل الخبيث بجسم زوجك . هيئى الفراش ودثرينى . ونادى الحكيم والأبناء والأحباب : قولى لهم إن توتى على فراشه يضرع إلى ربه . فاضرعوا معه . واسألوا له الشفاء ! » وحملتنى التى تهوانى على صدرها . وجاء الحكيم فجرعنى الدواء

وأشار بأصبعه إلى السماء وقال لى : « توتى ... أيها الكاتب الكبير ! يا خادم الأمير الجليل ! أنت فى حاجة لرحمة الرب . فادعه من أعماق قلبك » . ورقدت لا حول لى ولا قوة . يا آمون المعبود جلت حكمتك ! ألم أصحب سيدى الأمير إلى الشمال فى جيوش فرعون ؟ ألم أشهد القتال فى صحارى زاهى ؟ ألم أحضر قادش مع الغزاة البواسل ؟ بلى أيها الرب . ونجوت من الرماة والعجلات والمعارك . فكيف يتهددنى الموت فى قريتى المحبوبة الآمنة بين أحضان زوجى وأمى وأبنائى ؟ ! وغرقت فى أبخرة الحمى . واشتد الدوار برأسى ، وسال بلسانى الهذيان ، وشعرت بيد الموت ترتاد قلبى . ما أقساك أيها الموت ! أراك تتقدم إلى هدفك بقدمين ثابتتين وقلب صخرى ، لا تتعب ولا تسأم ولا ترحم ، لا تهزك الدموع ، ولا تستعطفك الآمال . تدوس حبات القلوب ، وتتخطى الأمانى والأحلام . ثم لا تبدل سنتك ولو كان الفريسة فى ربيع العمر الزاهر. توتى فى السادسة والعشرين ذو بنين وبنات ، ألا تسمع ؟ ماذا يضيرك لو تركت أنفاسى تتردد فى صدري ؟ دعنى ريثما أشبع من هذه الحياة الجميلة المحبوبة . إنها لم تسؤنى قط ولم أزهد فيها أبداً . أحببتها من أعماق الفؤاد ولا أزال على العهد . كانت الصحة طيبة والمال موفورا والآمال كبارا . ألم تحط بكل أولئك خبراً ؟ ومن حولى قلوب محبة ونفوس والهة ، أفلا تنظر إلى الأعين الدامعة ؟ كأنى لم أعش ساعة واحدة فى هذه الحياة الجميلة المحبوبة . ماذا رأيت من مشاهدها ؟ ما ذا سمعت من أصواتها ؟ ما ذا أدركت من معارفها ؟ ماذا ذقت من فنونها ؟ ماذا جربت من ألوانها ؟ أى فرص ستضيع غداً ؟ أى نشوات ستخمد ! أى عواطف ستهمد ! أى مسرات ستبيد ! ذكرت ذلك جميعه . ودارت بخلدى أشياء أخرى لا حصر لها ولا حد ، ما بين مفاتن الماضى وسحر الحاضر وأمانى المستقبل . وجرت أمام حواسى الورود والحقول والمياه والسحاب والمآكل والمشارب والألحان والأفكار والحب والأبناء وقصر الأمير وحفلات فرعون والرتب والنياشين والألقاب والفخر والجاه وتساءلت : أيمضى كل هذا إلى الفناء ؟ وانقبض صدرى أيما انقباض. وامتلأت حزناً وكمداً ، وهتفت كل جارحة لى « لا أريد أن أموت » . وتتابعت جحافل الليل . فغلب النوم الصغار . ولبثت زوجى عند رأسى وأمى عند قدمى ، وانتصف الليل ونحن على حالنا . ثم استدار وأوغل فى الرحيل ، ثم بهتت ذوائبه بزرقة الفجر . هنالك داخلنى شعور غريب بالرهبة وتولانى إحساس بالخوف . وأطبق السكون وأنذر بشىء خطير . ثم شعرت بيد أمى تدلك قدمى وتقول بصوت متهدج « بنى ... بنى ! » وهتفت زوجى المحبوبة « توتى ... ماذا تجد ؟ » ولكننى لم أستطع جوابا . لاشك أن أمراً استثار جزعها . ترى ماذا يكون ؟ هل لاح فى وجهى النذير؟ وتحولت عيناى على غير إرادة منى نحو مدخل الحجرة . كان الباب مغلقاً بيد أن الرسول دخل ، دخل دون حاجة إلى فتح الباب . فعرفته دون سابق معرفة فهو رسول الفناء دون سواه . واقترب منى فى خطى غير مسموعة : كان مهيباً صامتاً مبتسما ذا جمال لايقاوم سحره فلم تتحول عنه عيناى . ولم أعد أرى من شىء سواه . وأردت أن أضرع اليه ولكن لم يطاوعنى اللسان . وكأنى به قد أدرك نيتى الخفية . فازدادت ابتسامته اتساعا . فآنست منه رفقاً . ولم أعد أبالى شيئاً . انجابت عنى وساوس الليل وأحزانه وحسراته . وغفلت عن دموع من حولى . ووجدت نفسى فى حال من الاستهانة والطمأنينة لم أعهدها من قبل . سلمت فى محبة لا نهائية وتركت جسمى فى المعركة وحيداً ! رأيت — دون مبالاة ألبتة — دمى يقاوم فى عروق ، وقلبى يدق ما وسعه الجهد ، وعضلاتى تنقبض وتنبسط ، وأنفاسى تتردد من الأعماق ، وصدرى يعلو وينخفض . وشعرت بالأيدى الحنون تسند ظهرى وتحيط بى . رأيت ظاهرى وباطنى رؤية العين بغير مبالاة ولا اكتراث . وقد تحول الرسول عنى إلى جسمى وأخذ فى مباشرة مهمته فى ثقة وطمأنينة والابتسامة لا تفارق شفتيه الجميلتين . وشاهدت نسمة الحياة المقدسة تذعن لمشيئته فتفارق القدمين والساقين والفخذين والبطن والصدر ، والدم من ورائها يجمد والأعضاء تهمد والقلب يسكت ، حتى غادرت الفم المفغور فى زفرة عميقة . سكن جسمى وصمت إلى الأبد . وذهب الرسول كما جاء دون أن يشعر به أحد . وغمرنى شعور عجيب بأنى فارقت الحياة . وأنى لم أعد من أهل الدنيا ...

للكلام بقية

نجيب محفوظ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٥١ — والشيب يغمزها بألا تفعلى !

فى (كتاب الأذكياء) لابن الجوزى : قال العتبى : رأيت امرأة أعجبتنى صورتها فقلت لها : ألك بعل ؟ قالت : لا . قلت : أفترغبين فى التزويج ؟ قالت : نعم ، ولكن لى خصلة أظنك لا ترضاها . قلت : وما هى ؟ قالت : بياض برأسى . قال : فثنيت عنان فرسى ، وسرت قليلاً . فنادتنى أقسمت عليك لتقفن ، ثم أتت إلى موضع خال فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السود . فقالت : والله ما بلغت العشرين ولكن عرّفتك أنا نكره منك ما نكره منا .

قال : فخجلت وسرت وأنا أقول :

فجعلت أطلب وصلها بتملق والشيب يغمزها بألا تفعلى

***

فى (الأغانى) : قلت امرأة لبشار : أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ! قال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك فحسن فى السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ... ؟ فكان بشار يقول : ما أفحمنى قط غير هذه المرأة .

٦٥٢ — فانا لله وإنا إليه راجعون !

قال الجاحظ فى (الحيوان) : بينا داود بن المعتمر الصبيرى جالس معى إذ مرت به امرأة جميلة ، لها قوام وحسن وعينان عجيبتان ، وعليها ثياب بيض ، فنهض داود ، فلم أشك أنه قام ليتبعها ، فبعثت غلامى ليعرف ذلك . فلما رجع (داود) قلت له : قد علمت أنما قمت لتكلمها فليس ينفعك إلا الصدق ، ولا ينجيك منى الجحود ، وإنما غايتى أن أعرف كيف ابتدأت القول ، وأى شىء قلت لها ، وعلمت أنه سيأتى — بآبدة[1] — وكان مليا[2] بالأوابد — قال : ابتدأت القول بان قلت : لولا ما عليك من سيمياء الخير لم أتبعك . فضحكت حتى استندت إلى الحائط ، ثم قالت : إنما يمنع مثلك من اتباع مثلى والطمع فيه ما يُرى من سيمياء الخير ، فأما إذ قد صار سيمياء الخير هو الذى يطمع فى النساء ، فانا لله وإنا إليه راجعون ... !

٦٥٣ — لعن الله شر الثلاثة

اطلع مروان بن عبد الحكم على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيئاً فقال لوكيله : ويحك إنى لأظنك تخوننى

قال : أتظن ذلك ولا تستيقنه ؟

قال : وتفعل ؟

قال : نعم (والله) إنى لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله . فلعن الله شر الثلاثة .

٦٥٤ — أردت أن أقول بعد يوم

قال الحمدونى : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة السماء فيها مغيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مغطاة وقد وافت مجاب المغنية فأكلنا جميعاً وجلسنا على شرابنا . فما راعنا إلا داق يدق الباب فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان . فقال : هو فتى من آل المهلب ظريف نظيف . فقلت : ما نريد غير ما نحن فيه . فأذن له فجاء يتبختر وقدامى قدح شراب فكسره فاذا رجل آدم ضخم ، وتكلم فاذا هو أعيا الناس، فجلس بينى وبين مجاب ، فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد بن حرب :

كدر الله عيش من كدر العيـ ش فقد كان صافياً مستطابا
جاءنا والسماء تهطـل بالغيـ ث وقد طابق السماع الشرابا
كسر الكأس وهى كالكوكب الدرى ضمت من المدام رضابا
قلت لما رميت منه بما أكره والدهر ما أفاد أصابا
عجل الله نقمة لابن حرب تدع الدار بعد شهر خرابا

ودفعت الرقعة له فقال : ألا نفست فقلت بعد حول ؟ فقلت : أردت أن أقول بعد يوم فخفت أن يصيبنى مضرة ذلك . وفطن الثقيل فنهض . فقال : آذيته ، فقلت : هو آذانى .

(١) من المجاز جاء بآبدة : بامر عظيم تنفر منه وتستوحش . والآبدة الكلمة أو الفعلة الغريبة والداهية يبقى ذكرها أبدا (التاج) .

(٢) هو ملىء بكذا : مضطلع به (الأساس)

٦٥٥ — فما أخذت بترك الحج من ثمن

قال ابن جريج : ماظننتُ أن الله ينفع أحداً بشعر عمر بن أبى ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشداً يُنشد قوله :

بالله قولا له فى غير معتبة :

ما ذا أردت بطول المكث فى اليمن ؟

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرتَ بها

فما أخذت بترك الحج من ثمن

فحركنى ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة فخرجتُ فحجَجْتُ .

٦٥٦ — لا يتيه وزير فى وزارته

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى ولايته الوزارة . فلما صرف رهبنى . فلقينى فسلم على فأحفى . فقلت لغلامى: من هذا ؟ قال : أبو موسى . فدنوت منه وقلت . أعزك الله ، والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك ، وبلحظك دون لفظك . فالحمدلله على ما آلت اليه حالك . فلئن كانت أخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك . ولله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ؛ فقد والله أسأت حمل النعم ، وما شكرت حق المنعم .

فقيل له : يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب ، فما كان الذنب ؟ فقال : سألته حاجة أقل من قيمته ، فردنى عنها بأقبح من خلقته

٦٥٧ — سارت مشرقة وسرت مغربا

ذكر بعض الأكابر أن بعض أهل الظاهر فى عصر الحافظ ابن حجر كتب على تائية ابن الفارض وأرسل إلى بعض العظماء من صوفية الوقت ليقرظه ، فأقام عنده مدة ثم كتب عليه عند إرساله إليه :

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فقيل له فى ذلك ، فقال : مولانا الشارح اعتنى بارجاع الضمائر والمبتدأ والخبر والجناس والاستعارة وما هنالك من اللغة والبديع ، ومراد الناظم وراء ذلك كله .

٦٥٨ — رقعة . . .

فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) : قال على بن عدلان النحوى الموصلى : حضرت بدمشق عند محمد بن نصر بن عُنين الشاعر وزير المعظم ، فجاءته رقعة طويلة عريضة خالية من معنى، فارغة من فائدة ؛ فألقاها إلى قائلا : هل رأيت قط أسقط من هذه مع طول وعرض ، فتناولتها فوجدتها كما قال ، وشرعت أخاطبه ، فأومأ إلى بالسكوت وهو مفكر ، ثم أنشدنى لنفسه :

وردت منك رقعة أسأمتنى وثنت صدرى الحمول ملولا

كنهار المصيف ثقلا وكربا وليالى الشتاء بردا وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة، وعجبوا من حسن المعنى .

٦٥٩ — كتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحونا

فى (تاريخ بغداد) للخطيب :

كتب (المهدى) إلى عبيد الله بن الحسن العنبرى — وهو قاضى البصرة — كتابا فقرأه عبيد الله فرده ، فحمل عبيد الله إلى المهدى فعاتبه ، فكان فيما عاتبه به أن قال له : رددت كتابى ! فقال عبيد الله[1] : يا أمير المؤمنين ، إنى لم أردَّ كتابك ، ولكنه كان ملحوناً ، وكتاب أمير المؤمنين لا يكون ملحوناً . فصدق المهدى مقالته وأجازه ورده إلى عمله .

٦٦٠ — وألقيت عليك محبة منى

فى (رسالة الصداقة والصديق) لأبى حيان التوحيدى :

ابن سمعون الصوفى : ما يقف البشر على بعد غَوْر قوله تعالى : « وألقيتُ عَلَيْكَ محبةً منىّ ، ولِتُصنَعَ على عَيْنى » فإنّ فى هاتين الكلمتين ما لا يُبلغ كُنْهه . ولو أنّ أرقّ الناس لسانا وألطفهم بيانا أراد أن يتوسَّطَ حقيقة هذا القول لم يستطعْ ، ونكصَ مَبْهورا. ثمّ قال : اللهمَّ ، حَبِّبْ بعضنا إلى بعض ، واجمعْ شَمْلَنا إلى رضاك عنّا مع إحسانك إلينا ؛ إنّك أهلُ ذلك والجوادُ به .

---

(١) من أقوال عبيد الله هذا : لأن أكون ذنباً فى الحق أحب إلى من أن أكون رأساً فى الباطل . ولله هذا القول .

هـــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

خلجات الأصابع تدل على تفكيرك

خلجات أصابع يدك تبين محتويات عقلك . فعند ما تجرى عملية ضرب ويدك مرفوعة فى الهواء ، فإن اهتزازات أصابعها تكون أقل من اهتزازاتها وأنت تستجم . ويزيد هذا الاهتزاز قبلما تنطق بالجواب بصوت مرتفع .

وقد ذكر هذه الحقيقة الدكتور جون فرنش فى نشرة الأبحاث السيكولوجية فقال : إن كمية الاختلاج تزيد بسرعة على أثر صوت مرتفع ، أو عقب مؤثر يستدعى استجابة ، فإذا طلب إليك أن ترفع يدك فى الهواء وتقبض بيدك الأخرى على جهاز معين فان فترة خمود قصيرة تحدث قبل أن يصبح اهتزاز أصابعك كاملاً .

ويقصد الدكتور فرنش بكمية الاختلاج المسافة الكلية التى يهتزها طرف الأصبع بعامل الاختلاج فى ثانية واحدة ، وهذه الحركة تختلف باختلاف الظروف المحيطة بالانسان وهى فى اعتباره ظاهرة عضوية (فسيولوجية) توصل دراستها إلى معرفة اتجاهات العقل وتفكيره .

وتوصل الدكتور إلى هذه المعلومات بتجارب أجراها على خمسة أفراد وباستخدام جهاز خاص بذلك فكان يلبس الأصبع السبابة كستباناً متصلاً بعصا طويلة مرتفعة إلى أعلى وتنعكس العصا والأصبع على مرآة محدبة بحيث تتضخم اهتزازات العصا إلى عشرة أمثال الواقع . ثم صور هذه الانعكاسات لحصل على اختلاجات الأصبع مضاعفة عشر مرات .

معدن جديد يستغل

يعد معدن الليثيوم من أخف المعادن إذ يبلغ وزنه النوعى ٢٠ ٪ من وزن الألومينيوم . وهو معدن فضى اللون تفوق الكمية الموجودة منه فى كوكبنا الأرضى مثيلاتها من معادن الرصاص أو القصدير

وقد كان معروفاً من زمن بعيد ، ولكن الصناعة لم تستطع استغلاله إلا فى السنوات الأخيرة ؛ فإن الإخصائيين فى المعادن تمكنوا من تركيب عدة أخلاط معدنية منه بإضافته إلى المعادن الأخرى . وكانت هذه الأخلاط ثمينة من الناحية الصناعية حتى حرم تصديره

وأزيلت عنه أخيراً قيود التصدير وأبيح استخدامه فى الصناعات العامة مما ينبئ له بمستقبل كبير ؛ فإن خفة وزنه وشدة مقاومته أتاحتا الفرصة فى صناعة أدوات النقل وغيرها إلى توفير كميات الوقود أولا وزيادة السرعة ثانياً فضلا عن رخص الأسعار

لقاح ضد البرد

تدعى بعض شركات العقاقير الطبية أنها تمكنت من تحضير مصل يقى الإنسان الإصابة بالزكام وما يتبعه من أنواع البرد . وقد حذرت الجمعية الأميركية الناس من تصديق مثل هذه الأقوال كما طلبت إلى الأطباء اعتبار جميع هذه الأمصال فى مرحلة التجارب

وبنت الجمعية بيانها على دراسات قام بها لفيف من الأطباء . وتضمنت هذه الدراسات عدداً كبيراً من أنواع اللقاح مما يتناوله الأفراد عن طريق الفم أو الحقن أو الرش داخل تجاويف الأنف ، وكانت نتيجة هذه الدراسات أن أنواع اللقاح كانت سلبية النتيجة ، إما لأنها استخدمت مع أفراد قلائل وإما لأنها استخدمت لمدة قصيرة

وقالت الجمعية فى تقريرها إنه يجب على الأطباء ألا يشجعوا استخدام هذه العقاقير . فإن أراد الأطباء اختبارها فيجب أن تخضع لقيود خاصة تكشف عن فوائدها أو مضارها حتى لا يتكرر وصفها أو تحضيرها

ويلجأ بعض الأطباء إلى أخذ مواد اللقاح من المريض نفسه ، وقد يكون هذا أكثر نفعاً للمرضى أو المعرضين للاصابة بالبرد ولكن الثابت أن أمراض البرد ما زالت تحتفظ بغموضها .

بقايا الدم لقاح

تجمع بعض الهيئات الأميركية الطبية كميات الدم من المتطوعين لتقدمه إلى الجرحى من الجنود لتعوض به ما يفقدون من

دماء حتى يستعيدوا صحتهم ، ولكن هذه الهيئات لا تستخدم كل مواد الدم بل تنقص بعضه لانقاذ الجنود ، وتستغنى عن المواد الأخرى

وأدت الأبحاث التى أجريت أخيراً إلى أن هذه البقايا الدموية جليلة النفع فهى تستخدم كمادة لقاح ضد كثير من الأمراض ومنها مرض الحصبة كما قال لفيف من أطباء مصلحة الصحة هناك فى بيان نشروه أخيراً فى مجلة الجمعية الطبية الأمير كية

ويؤخذ من هذا البيان أن التجارب أجريت على ٨١٤ طفلا أعمارهم بين ستة شهور وست سنوات لقحوا بمستحضرات هذه البقايا وعرضوا للعدوى بوضعهم مع أطفال آخرين مصابين بها

وكانت النتيجة أن نجا من العدوى ٦٥٤ طفلا وأصيب ١٦٠ بحصبة خفيفة و ١٣ طفلا أصيبوا بالعدوى العادية . وبدون هذا اللقاح كان من المؤكد إصابة ٨٠ فى المائة منهم بالإصابات العادية

بكتريا لصنع الفيتامينات من الانسان

يتاح للانسان أن يحصل على أنواع من الفيتامينات التى يحتاج اليها فى غذائه اليومى من نفس جسمه كما قال البروفيسور الفيجم الأستاذ بجامعة وسكونسين

ففى الجسم مصانع للفيتامين . وتدير هذه المصانع أنواع من البكتريا التى تسكن الأمعاء . وقد عرف العلماء هذه الحقيقة منذ جيل من الزمن حينما رجحوا وجود علاقة بين البكتريا التى تسكن الأمعاء وبين طول حياة الانسان

وتبين الأبحاث الأخيرة تقدماً ملموساً فى دراسة هذه الأنواع من البكتريا وافرازاتها مما يرجى معه إطالة الحياة البشرية وتحسين الصحة العامة

وآخر هذه الأبحاث يدل على أن أنواع البكتريا المنتجة لأنواع الفيتامينات تختلف باختلاف الأحياء . فهى فى الكلاب أو القطط تخالف مثيلتها فى الدجاج أو القردة أو الانسان . وتختلف فى كل من هذه الأنواع باختلاف ألوان الطعام التى يتناولها ، فبكتريا الحيوانات من أكلة اللحوم تخالف مثيلتها عند أكلة النباتات . ويدخل فى هذا النطاق نصيب كل منها من الفيتامينات فى طعامها .

لافتات للطيارين

وضعت مصلحة الطيران المدنى فى أميركا نظاما لارشاد الطيارين الى مواقعهم . وذلك بانشاء ١٠٠٫٠٠٠ لافتة (يافطة) فى أميركا . وتقرر أن يكون سمك الحروف التى تكتب بها اللافتات من ٩ . إلى ٢٠ قدما حتى يراها الطيارون من ارتفاعاتهم الشاهقة . وهى تكتب على الحوائط أو السطوح المرتفعة حتى يسهل على الطيارين رؤيتها كما أنها ستكتب بمواد مشعة تضىء بالليل .

ويذكر فى هذه اللافتات خط طول المكان وعرضه واسم المدينة كما يرسم سهم يبين الاتجاه الشمالى إلى غير ذلك من المعلومات التى يحتاج اليها الطيار أثناء رحلته وترشده هذه اللافتات أيضاً إلى أقرب مطار يستطيع الهبوط فيه .

فوزى الشتوى

حـــيرة . . . !

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

أأهرب من ذكراكِ ، أم لست أهربُ ؟
وهل مِن وفاءٍ أن يُجنَّ المعذَّبُ ؟
أأترك هذا البيت قد كان عشَّنا
وكُنَّا به الإلفين والأرض مَعْشَب ؟
تناغينني بالحب والكتب وحدنا ويا حبذا مغناك مغنىً ومكتب
أأتركه تركَ الطريد ، كآدم ؟ ويا ليت أنى ذلك الزوج والأب
طريدٌ ولا حوّاء تبدل جنتى
بأخرى ، فحوّائى قضت قبل تنجب
أوابقِ أوفّى ذكرياتك حقَّهـا
أُحَيِّي الصبا والعلمَ فيك وأندب ؟
هنا عالم الأنثى ، ثيابٌ وزينةٌ
يُكظ بها تختٌ وزدان مِشْجب
أرى المعطفَ الشاتى تريكاً ، وطالما
أفاض عليه الحسنَ عِطْفٌ ومنكب
ويا رُبَّ ، هذا الثوبُ حُلّةُ سهرةٍ
وكان عليه العزمُ لولا التغيُّب
والمح مرآةَ الجميلة عندها
تفانينُ حَلْىٍ : بهرجٌ ومُذهَّب
وثمَّ قواريرٌ تضوَّع عَرْفُها قوارير كانت لى بها تتطيَّب
هنا الطيبُ والأبراد والحَلْىُ كلُّهُ
فأين التى كانت بهـا تتحبب
إلى أين أمضى عنكِ ، يا طيف زوجتى
أليس إلى السلوى مجازٌ ومهرب !!
وأمضى أسرّى من خيالى ، وإننى
لأشفق من هـذا الخيال وأعجب
إلى شرفتى هذى — ويا حسنَ شرفتى
على النيل تبراً تحتها يتسبسب
كأنْ قد خلَتْ من مجلسٍ ضمَّ شملنا ،
وما إن خلا منكِ المكان المحبَّب
أأنسى التناجى فى الأصائل عندها وبالأفْق الغربىّ نارٌ تلهَّب
نتابع ماء النهر ينساب حالماً ونحن مع الأحلام نطفو ونرسب
مناظر قد كانت ، فباخ ضياؤها وغام عليها دمىً المتصبّب
فلا حسنَ ، كلُّ الحسن كان بمهجتى ،
وقد كان منك الفيضُ ، فالآن ينضب
إلى أين أمضى عنك — رُحماكِ — زوجتى
أمنـكِ إلى ذكراكِ أمضى وأذهب
وأفزع للأسفار فى جوف مكتبى تجاورَ فيها أعجمىٌّ ومُعْرِب
إلىَّ جميعاً — بالتعازيم والرُّقى ! فبى طعنةٌ مسمومة لا تُطبَّب
أفيكنَّ من جرح الحياة مخدِّرٌ أفيكن أفيون ، أفيكن قِنَّب؟
فما حاجتى علمٌ وشعرٌ وحكمةٌ ، وكيف ، ويومى مستطار عصبصب
وكيف ، وهذا الشعر كان نشيدنا وذى صفحةٌ للفن كُنَّا نقلِّب
وهذى تواريخٌ ، وتلك مشاهدٌ مهرناها سيّان شرقٌ ومغرب
وتمتد كفّى نحو سِفْر أريده فترجع كالملدوغ مسَّته عقرب
فهذا كتابى ، ربَّ إهذا كتابها قرأناه نستقصى معاً ونُنقِّب
مجاميع أبحاثٍ ، متون تفلسفٍ بهن حواشٍ ، وهى ذاك المعقِّب
أيا زوجتى ، قد كنت حافظ مكتبى ،
وقارئه قبـلى ، ونِعْمَ المرتّب
لمن أستجدَّ الكتب فى كل مطلب
وقد كنتِ لا يعدو اهتمامَك مطلب
فكم من علومٍ كنتِ من نَهَم الحجى
جُهَيْنَتَها ، تَرْوِيْن منها وأنهب
تفوَّقتِ تحصيلا وحسن إفادةٍ ولم تكتبى يوماً وقد كنتُ أكتب
وكنتِ ترجِّين الحياةَ لتقرئى إلى جانبى ، والصِّنو للصنو يطرب
وحيدان نستوحى الدفاترَ علمَها صموتان لا نلغو ولا نتغضّب
خلونا — وفى هذا التفرُّد أُنسنا وفى صمتنا نجوى الهوى والتحبب
ويا زوجتى ، كنتِ المدبِّر عيشتى فعيشىَ أهنا العيش طرّاً وأطيب
حرصتِ على مالى ، وصُنْتِ مغيَّبى
وأخلصتِ لى فى الحبّ والحبّ قُلَّب
تقومين فى شأنى — وثمة خادمى ،
وحُبٌّ من الزوج العَروب التعرُّب
ومالىَ فى الأهلين بعدك عائضٌ ولو قام منهم فى ركابىَ موكب

أصـــــداء . . .

للأستاذ أنور العطار

ما كان أفدحَ أحزانى وأعظمَها
لو كنت أحمِلُ مِنْ ماضىَّ أحزانا
خلَّفتُها صارخاتٍ مِنْ كآبتِها
وعُدْتُ أضحكُ خَلْقِ الله أجفانا
يا بُؤسَ قلبى لو عاشتْ بساحتِه
لمادَ مِنْ عِبْئها وانهدَّ أركانا
وأنت يا بهجتى عُودى ويا فرحى
أمْلاْ فؤادى ترنيما وسُلوانا
وطُف بروحى فى الآفاق حاليةً والنجمِ مُتَّلها والبدر وسنانا
وهاتِ من نَغَم الأملاك قافية وهاتِ من فلك الأفلاك ألحانا
لعلَّنى من أعاليلى وأخيلتى أبيتُ فى رغد الأحلام نشوانا
خُذِ الفؤادَ صديئاً مِنْ كآبتِه
وهاتِ قلباً من الآمالِ ريَّانا
جمَّ الوُلوع كثيرَ الشَّوْق لاهبَهُ
يطوى الليالى مفتونا وهيمانا
إذا ألمَّت بهِ الأوجاع هدهدها
حتَّى تزايلَهُ بُرءاً ونسيانا
أطُوفُ بالغابرِ النَّائى فيُرمضُنى
أنى ملأتُ رباعَ الأمسِ أشجانا
وأنْ طويتُ على غمٍّ صحائفَهُ
وأن مَرَرْتُ بحُلوِ العُمْر أسوانا
وأن شقيتُ وكان السَّعدُ يكلؤُنى
وأن ضجرتُ فذُقتُ المرَّ ألوانا
فليتَ أحلامَهُ دامتْ مناعِمُها
وليتَ طُول التَّشكِّى منه ما كانا
كأنَّ أصداءه قد خامرتْ كبدى
ففجَّرتنِى أشواقاً وتحنانا

***

يا فرحة العمر عودى غير آيسة وأطمِعينى فى لقياك أحيانا
لعلَّ قلبى وقد هاج الحنين به يعيش فى غمرة التذكار سكرانا
كأن أعرافه قد ضمخت خلدى وأوسعتنى أطياباً وريحانا

معادُ الربيع !

[قطعة من ديوان « أصداء بعيدة »
الذى تقدمه جماعة الفكر بعد أيام ...]

للأستاذ العوضى الوكيل

عُدْتَ يا صاحبى الربيعَ ، وعُدْنا
فامضِ فى الكونِ كيف شئتَ! وشِئْنا...
قد روينا عنكَ القصائدَ زُهراً
فاروِ هذى القصائدَ الزُّهر عنا !
ورسمنا ما راقنا من مرائيـ ـك ،وهل فيك منظر لم يرقنا !؟
قد عمرْتَ الحياةَ رُكناً فركناً
وغمرْتَ القصيدَ وزناً فوزناً !
لكَ مسرًى أخفى من الرُّوح فى الجسـ
ـم تهادى فى خاطرى واطمأنا !
قد سلكتَ الحياة فى سببٍ منـ
ـكَ فزِدْت الحياة سِحراً وفنا !
أنتَ فى الغصن حينما يتثنى أنت فى الطير حينما يتغنى !
ربَّ لحن سرى إلى النفس روضاً
ورياض سرين فى النفس لحناً !
ضمَّ عودُ الربيع بلبلة الأكـ
ـوانِ طرًّا فانسقن فى النَّفس كوناً...

وتلتاع نفسى إن تعهَّد ملبسى سواكِ ووفَّانى الذى أتطلَّب
أأشعر أنى عن تعهد زوجتى غنيتُ، لقد آثرتُ أنى المتربَّب
وما بىَ من سُخْفٍ وما بى جِنَّةٌ
ولكنه الحب الشديد المؤرَّب
خيالك يا زوجى كظلِّى إن أسِر، وإن أبقَ تمثالٌ أمامى منصَّب
خيالك لا أقوى عليه ، فإنه
– وقد صار جزءا من حياتى – مُغلَّب
إلى أين أمضى عنك – لا أين – زوجتى
وما لىَ غير الموت بعدك مذهب



أريحية كريمة

تأثر كريم عظيم لم يرد أن نذكر اسمه ، حين قرأ وصية الرصافي المنشورة في العدد الماضي من (الرسالة) فتبرع بجنيهين مصريين لخادمه عبد ، وقد أرسلناهما بالبريد المسجل إلى صديقنا الأستاذ طه الراوي ببغداد ليؤديهما إلى هذا الخادم المسكين .

جواب عن تساؤل واستفهام :

قرأت في العدد ٦١٠ من الرسالة الغراء في البريد الأدبي (ص ٢٠٤) كلمة للسيد أحمد حمد آل صالح تحت عنوان « تساؤل واستفهام » ، فأكبرت له إحفاءه في التساؤل ، ودقة ملاحظاته في النواحي التاريخية ، وأحببت أن أجيبه إلى بعض ماسأل عنه :

١ — من أنعم النظر في معجم الأدباء الذي قام بطبعه المستشرق مارجليوث طبعتين ، ثم حذت حذوه دار المأمون في طبعتها المشكولة — علم أن كل هذه الطبعات كانت عن نسخة واحدة لا ثانية لها ، وإذا كانت هناك نسخ أخرى فانما هي ناقصة مخرومة . ومن هنا يجد المتصفح للكتاب المذكور أن بعض الأعلام لم يرد منها في الكتاب إلا النزر اليسير ، فإن المسمين — من الأدباء — بعمرو كثيرو العدد جداً ، مع أنه لم يرد منهم في هذا المعجم إلا أربعة ، وكذلك المسمون بعبد الله لم يرد منهم إلا عشرة ، والمسمون بعمر لم يرد منهم إلا بضعة عشر ، مما يدل بوضوح على أن قسماً كبيراً من هذا الكتاب لا يزال في طيات الخفاء . يعرف ذلك كل من تصفح هذا الكتاب من أهل المعرفة بكتب الطبقات ومعاجم الأعلام .

٢ — هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن لياقوت معجمين اثنين واحدا منهما للشعراء والآخر للأدباء . والظاهر أن الأمر قد اختلط على بعض الوراقين فنقلوا من معجم الشعراء ترجمات وضموها إلى معجم الأدباء مثل ترجمة الفرزدق وصريع الغواني وأبي دلامة ومن اليهم .

٣ — على أننا نرى أن نترك كلمة الفصل في الجواب لياقوت نفسه إذ قال في مقدمة كتابه هـذا ما نصه :

« وجمعت في هذا الكتاب ما وقع إليَّ من أخبار النحويين ، واللغويين ، والنسابين ، والقراء المشهورين ، والإخباريين ، والمؤرخين ، والوراقين المعروفين ، والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، وأرباب الخطوط المنسوبة والمعيَّنة ، وكلِّ من صنَّف في الأدب تصنيفاً ، أو جمع في فنِّه تأليفاً ، مع إيثار الاختصار والإعجاز ، في نهاية الايجاز » .

ثم قال : « وكنت قد شرعت عند شروعي في هذا الكتاب أو قبله في جمع كتاب في أخبار الشعراء المتأخرين والقدماء ، ونسجتها على هذا المنوال ، وسبكتها على هذا المثال في الترتيب ، والوضع والتبويب ، فرأيت أكثر أهل العلم المتأدبين ، والكبراء المتصدرين ، لا تخلو قرائحهم من نظم شعر ، وسبك نثر ، فأودعت ذلك الكتاب كل من غلب عليه الشعر ، فدوَّن ديوانه ، وشاع بذلك ذكره وشانُه ، ولم يشتهر برواية الكتب وتأليفها ، والآداب وتصنيفها ، وأما من عرف بالتصنيف ، واشتهر بالتأليف ، وصحت روايته ، وشاعت درايته ، وقل شعره ، وكثر نثره ، فهذا الكتاب عشه ووكرُهُ ... وأجتزئ به عن التكرار هناك ، إلا النفر اليسير الذي دعت الضرورة اليهم ، ودلتنا عنايتهم بالصناعتين عليهم ، ففي هذين الكتابين أكثر أخبار الأدباء ، من العلماء والشعراء ، وقصدت بترك التكرار ، خفةَ محمْله في الأسفار ... »

ومن هذا يعلم القارئ الكريم السبب في إغفال ياقوت في معجمه هذا ذكر حسان بن ثابت والحطيئة والأخطل ... الخ لأنه ذكرهم في معجمه الثاني . وأن من جاء ذكره من الشعراء في هذا المعجم ممن لم يشتهر بالتأليف مثل الفرزدق ، فانما هو من عمل الوراقين ليس غير .

ونحن لا نشك في أنه إذا تيسر العثور على معجم الشعراء يتبين التمايز بين هذين المعجمين .

٤ — أما الأئمة العظام الذين لم يشتهروا بقول الشعر أو النثر الفني كالإمام أبي حنيفة والامام أحمد فلا معنى لإثباتهم في هذا المعجم . أما الإمام الشافعي ، فله شعر معروف ، ونثر موصوف ، لا يزالان خالدين إلى يوم الناس هذا . والمعروف أن الإمام الشافعي

طلب الأدب قبل أن يطلب الفقه . وقد روى الرواة أن عبد الملك ابن قُريب الأصمعى قال : قرأت شعر الهزليين على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس (يعنى الشافعى) .

ملحوظة : ذكر الكاتب الفاضل اسم البحترى بين الشعراء الذين أغفلهم ياقوت فى معجمه هـذا . مع أن ترجمته وردت مبسوطة فى الجزء التاسع عشر من (ص ٢٤٨ إلى ص ٢٥٨) ويظهر لنا أن السبب فى ذكره بين الأدباء يرجع إلى كونه معدوداً فى زمرة المؤلفين ، فإن له ديوان الحماسة الذى عارض به حماسة أبى تمام ، وقد طبع بمصر فى المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٩ فاستحق بهذا أن يُعد بين الأدباء ، كما هو معدود فى الطليعة من فحول الشعراء .

[بغداد — كلية الحقوق] **هاشم الراوي**

فى الأدب الحديث

أعتقد أن الذين قرأوا شعر الدكتور إبراهيم ناجى يلذ لهم كثيراً أن يتعرفوا رأيه فى الأدب الحديث ، واتجاهه فى الشعر الحديث ، فلا عجب إذا ما احتفت كلية الآداب ، بجامعة فاروق الأول بالدكتور ناجى محاضراً فى الأدب الحديث .

وقد تجلى احتفاء كلية الآداب السكندرية بالدكتور ناجى فى كلمة موجزة شاء الأستاذ العميد عبد الحميد العبادى أن يقدمه إلى الحاضرين بها ، فتحدث فى إيجاز عن العلم والأدب ، وشرح فى دقة وعمق كيف تنزر بالعلم مادةُ الأدب ، وكيف ينبغى أن يكون الشعر بعد أن مازجت الثقافة الحديثة بينه وبين العلم ، ثم حدثنا الأستاذ العبادى عن أوجه الشبه بين العالم الأديب — الجاحظ — وبين الطبيب الشاعر — ناجى — وبين الفيلسوف المجرّب ، فرنسيس بيكون ، ذلك الرجل الذى نُحِلَ مسرحيات شيكسبير لما كان من شهرته فى الأدب ، تلك الشهرة التى طغت عليها شهرته كعالم وفيلسوف مجرب

وبعد أن غادر الأستاذ العبادى منصّة الخطابة وقف الدكتور ناجى وابتدأ حديثه عن الأدب ، منكراً على الكثيرين من المشتغلين بالأدب فهمهم لمصطلحات الكلاسيكية ، والرومانتيكية ، والرمزية ، سارداً بعض كلمات الرمزيين من الأدباء ، وهى كلمات لامدلول لها ، وكنا نحب أن يذكر لنا الدكتور ناجى أسماء أولئك الأدباء حتى نكون على بينة من الأمر أولا ، وحتى نستطيع دراسة هؤلاء الرمزيين بأنفسنا على ضوء من دراساته التى عرض لنا لوناً منها

ومهما يكن من شىء ، فقد ضرب لنا الدكتور ناجى مثلاً أوجه الخلافات بين المذاهب الثلاثة ، فقال : إن الكلاسيكية تصنع تمثالا من المرمر دقيق الصنع ، معبّراً عن أرستوقراطية الفن ، وترفعه عن الأحاسيس الشعبية ، فتأتى الرومانتيكية فتضع أحمر فى شفتى التمثال . ولا ندرى ، أتصنع الرومانتيكية ذلك تظرّفا أم نزولا إلى منطقة المحسات الشعبية ؟ أما الرمزية فتسدل على التمثال رداء من الحرير المتموّج

والدكتور ناجى حريص أشد الحرص على أن يحتفظ المجددون من الشعراء والأدباء بالتراث الأدبى القديم ، وأن يتمسك الأولون بعمود الشعر ، أو على حد تعبيره أن يضعوا الخمر الجديد فى الزجاجات القديمة . فلا جديد فى الشعر يمكن أن نزعم أنه مَنبتٌ عن القديم . وليس من شاعر معاصر إلا وهو متتبع خطوات من سلف . وقد ضرب الدكتور ناجى مثلا بشوقى . فقال إنه كان من أعرف الشعراء بدقائق الشعر القديم .

ولقد كان نصيب الأدب الإنجليزى — القديم والحديث — من عناية الدكتور المحاضر نصيب الأسد كما يقولون ! فقد طاب له أن يسرد لنا نماذج عدة من ذلك الشعر على سبيل الاستشهاد

على أن إحجامى عن إثبات ما استشهد به الدكتور ناجى من شعر مترجم لا يمنعنى من أن أعتب عليه ، وهو الداعى فى غضون محاضرته إلى شعر القوة ، قراءته ذلك الشعر - العريان - على حد تعبيره فى حشد من طالبات الجامعة ، وكان بحسبه أن يشير إلى من شاء بأن يقرأ شعر « لورَنْس — إن يُرِدْ أن يطلع على لون من الأدب المكشوف

الاسكندرية **على حسن حموده**

وحدة الروح والهوى :

أربعة من الشباب جمعت بين قلوبهم آمالٌ حلوة ، وعقدت بين أرواحهم أواصرَ القربى آلامٌ مرةٌ ، ولمّ شملهم صلاتٌ من الفكر واتفاق النظرة إلى الحياة ، ونزعات من خلجات الفؤاد .

كنا — ولا نزال — نلتقى كلَّ ليلةٍ عند صديق لننفس عن نفوسنا بما نمى من أحاديث ، وبما نتداول من آراء ، وبما نتطارحه

من أخبار الشعر والأدب : فنتعرض للحرب ، وننقد الأوضاع ، ونقرظ الحسن ، ونسخر مما يدعو إلى السخر .

ففى ليلة من ليالينا اللاهية الجادة ، أقبل علينا صديق ، وبيده الأعداد الأخيرة من مجلة «الرسالة» الغراء . فقلت : هاتها ، هاتها ، هات مصر مثقفة ، هات الينبوع السلسال ! فقال : كلا ولكن انصت؛ فصمت وصمت الآخرون ، وراح صديقنا يقرأ: « لاحت[1] فى جوانب العام المنصرم تباشير السلم كما تلوح فى هوادى الليل تباشير الفجر الكاذب ، فانبعثت روافد الأمانى هنا ، وتحلبت أشداق المطامع هناك ، وابتهل العالم العربى إلى الله أن يوقيه ويلات السلم ، كما وقاه ويلات الحرب ، فأُوحى إليه أن يتحد ... »

وهنا هتف صديقنا الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : إنها والله زبانية يا رفاق ، فقلت : لعلك تعنى هذه الفقرة من المقال ، فقال : أى والله ، أمعن فى قوله « فأُوحى إليه أن يتحد » فصمتنا جميعاً نتصور مبلغ ما أوتيت هذه العبارة من جمال

ومضى صاحبنا يقرأ حتى بلغ: « ذلك وحى الضرورة نزل على قلوب الساسة فصدعوا به ، وعملوا له ؛ وهنالك وحى الطبيعة أوحته القرابة الواشجة ، واللغة الواحدة ، والوطن المشاع ، والتاريخ المشترك » فصمت صاحبنا وقد غرقت عيناه بالدموع وكان مؤثراً فى قراءته ، فالتفت إلى صديقى الأنصارى وقلت : ماذا ؟ فقال : حسب الزيات أن يبكى من جراء قلمه الأدباء! ثم وضع جبهته على كفه وراح يفكر، وللأنصارى فى عوالم الفكر سبحات

يا لروعة البيان ! سطور ثلاثة تجمع كل روابط العرب فى بيانٍ ضاحكٍ باكٍ ، هذه الروابط التى يبعث ماضيها فى النفس سروراً وبهجة ، ويسكب حاضرها الكبير فى القلب لوعةً وشقاء ! ! !

سطورٌ ثلاثةٌ طوت التاريخ منذ خلق الله البشرية إلى اليوم الذى نعيش فيه ، «فالوطن المشاع» ما هو غير هذه البلاد العربية ؛ مصرها وشامها ، ونجدها وعراقها وحجازها ويمنها وحضرموتها .

ما هو الوطن المشاع غير هذه المقاطعات المقسمة المحددة المبعثرة المفرقة « واللغة الواحدة » ما هى غير لغة القرآن ؟ ما هى غير لغة الخلود ، لغة الضاد أمنا الرءوم وعزنا القوى ، ورجاؤنا الكريم ؟

ما هى « هذه اللغة الواحدة » غير ما قلت وغير ما ثار عليه صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا ؟ عفى الله عنه .

« والتاريخ المشترك » ماهو غير هذه الصفحات الوضاء بأسطار المجد وآيات النضال ؟ ما هو غير هذه السطور الشماء بالعظمة والخلود

ما هو هذا التاريخ المشترك غير ما نقول ، ويقولون ، وغير ما يقرره الشرق ، فيعترف به الغرب ، ما هو غير هذا وأ كثر من هذا ؟

وهذه « القرابة الواشجة » أليست مستقاة من الدين واللغة والرحم والوطن .

فما نحن وهذه الروابط ؛ أليست داعيا قويا إلى أن نتحد ثقافةً ولغةً ووطناً ؛ فنقوى بعد ضعف ، ونعرف بعد جهل ، ويقام لنا ويقعد ، بعد أن كنا غفلا من كل عناية لا يؤبه لنا ، ولا يقام لنا وزن !

لهذا فلنتحد . وقد أوحى الله إلينا بالاتحاد لننجو من حرب ما بعد الحرب .

ورضى الله عنك أبا رجاء وأرضاك .

(مكة) **عبد الله الفاطى**

---

(١) الرسالة العدد ٦٠٠

الكتب

أربعة كتب

١ — القومية والعروبة
٢ — المنتخب المدرسي من الأدب التونسي
٣ — إلى الأبد
٤ — عطر ودخان

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

١ — القومية والعروبة

هذا الكتاب على صغر حجمه يعد من أمتع ما كتب في موضوعه. سار فيه مؤلفه الأستاذ نقولا زيادة، من حياة القبيلة أو العشيرة، إلى حياة المدينة فالدولة، وذكر فيه فكرة نمو القومية والوطنية أولا، ثم وقوفها أجيالا طويلة، ثم عودتها ثانية للظهور بعد عصر النهضة الأوربية المعروفة بالرينسانس. وذكر أثر تلك النهضة في التحرر الفكري والتعبيري الذي كان من نتائجه محاولة التعبير عن النفس باللغة الوطنية: وتلك هي الخطوة لنشأة الشعور الوطني والقومي.

وللعروبة في هذا الكتاب فصل يعد، على إيجازه الكثير، تلخيصاً جيداً لتاريخ الأمة العربية، والموجات التي انساحت منها. ولو أن المؤلف أطال في هذا الفصل لاستطاع أن يلائم بين فصول الكتاب من حيث معالجة الموضوع. وذلك ما نعيبه على صديقنا المؤلف؛ فإنه لم يكتف بنصيب العروبة الضئيل في مكانها العالي الآن، حتى جعل نصيبها في كتابه ضئيلا.

والأستاذ نقولا منصف للإسلام ومتعصب لعربيته. وهو يدعو غير المسلمين – وهو منهم – إلى إتقان اللغة العربية، وفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً. وفي ذلك أجران: أجر المسلم عند ربه، وأجر غير المسلم عند نفسه وعند عروبته، وعند أبنائه الذين ينشأون على منهج عربي صحيح.

وهذا كلام فيه من الجمال، والسماحة، واتساع الأفق، وصدق الوطنية، وقوة الروح العربية، ما لا يصدر إلا عن فتى عربي مثل أخي المسيحي نقولا زيادة، الأستاذ بالكلية العربية بالقدس، وخريج جامعة لندن، والذي أهدى كتابه «إلى كل من علمني درساً في الوطنية».

٢ — المنتخب المدرسي من الأدب التونسي

العروبة كلها وطن واحد مهما تباعدت بها الأصقاع.

ألم يكن المتنبي ينشد الشعر في حلب فترده الدنيا في كل بلدة عربية من العراق، إلى مصر، إلى اليمن. واللغة العربية رباط يصل بين العرب والمستعربين. وقد وصل في القديم بين العرب وغير العرب ممن أظلتهم الراية الإسلامية.

وما أحوجنا نحن العرب، في هذه الأزمان، التي تلعب فيها الأحداث السياسية أدواراً جساماً، إلى أن نصل بين تراثنا الفكري، ونصل منه ما قطعت الأيام.

في تونس أدباء، وفي تونس شعراء. ومن ثرى تونس الخضراء نبت علماء، نبتت لهم في الفكر العربي شئون، مثل ابن خلدون.

وإذا أتاحت ظروف النبوغ لرجل مثل ابن خلدون أن يشتهر في العالم العربي، وغير العربي، فإن مئات غير ابن خلدون لا تزال نحتاج إلى التعرف إليهم، والقراءة لهم.

وهذا ما فعله الأمير حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي، حين أخرج كتابه «المنتخب المدرسي من الأدب التونسي». وقد أحسنت وزارة المعارف المصرية في طبع هذا الكتاب، الذي يعرف أبناء العروبة بإخوانهم في العروبة والإسلام أهل تونس من أهل الشعر والأدب والعلم. كما أحسن سعادة حسن حسني عبد الوهاب في تأليف هذا الكتاب وإهدائه إلى كل تلميذ عربي نجيب.

والواقع أن أستاذنا المؤلف الفاضل كان متواضعاً في إهداء كتابه إلى «التلميذ»، فهو كتاب يُهدى إلى المعلم والمتعلم على السواء. ولكن في الرجل تواضعاً يبعد به عن الادعاء.

لقد أمتعني هذا الأمير التونسي المتواضع العالم بهديته النفيسة التي عرفتني إلى فضيلة أرضه وفضل قومه. وهم إخواننا وجيراننا. والحق أن هديته هذه باقة تونسية مختلفة الثمر، ناضرة الزهر. ولو أنها وصلت إلى أدباء القرن الرابع عشر الهجري، لعرفتنا بتونس الحديثة التي يهم كل عربي أن يعرف كثيراً عن أدبائها وشعرائها وعلمائها. ولكننا نطمع منه في دراسة أخرى تصل حاضر تونس بماضيها، ولعله فاعل إن شاء الله.

٣ — إلى الأبد

هذه ملحمة شعرية جديدة للأستاذ إلياس أبي شبكة، الأديب الشاعر اللبناني المعروف. أخرجتها دار المكشوف ببيروت. وهي دار لصنيعها في النهضة الأدبية الحديثة أطواق في أعناقنا.

ولقد حاولت أن أدرس شعر هذه الملحمة الفاتنة على وجه واسع إلا أن « الرسالة » الغراء قيدتنى فى هذا المكان الضيق وقالت لى اكتب! كما يقيد الرجل الطير فى قفص ويقول له غرِّد!

ولست بمستطيع ذلك على سبيل يرضى عنه النقد والذوق. فآثرت أن أنقل إلى القراء بعض أبيات من هذه الملحمة تعرّفهم بنفسها وتدلهم على جمالها. قال:

جنت الدنيا كما نهوى فجنى إنما الدنيا هوى منك ومنى
نزلت عيناك فى صحرائها من سماء الحب سلواى ومَنّى

وقال:

أحبك ... لا أدرى لماذا أحبها كفانى إيمانى بأنى أشعر
وأهوى الذى تهوين حتى كأننى بقلبك أستهدى وعينيك أنظر

وقال:

أحبك لا أرجو نعيماً يصيبنى وأبذل من قلبى ولا أبتغى جدوى
وقد كنت أهوى فيك حسناً أناله

فأصبحت أهوى فيك فوق الذى أهوى

وقال:

كنتِ فى الناس كالنساء فلما جئت قلبى ظهرت شعراً ولحنا
وزرعت الآمال فىَّ نجوماً أى كنز أحب منها وأغنى؟
نحن يا ليلَ أسعد الناس فلنغـــفر لهم كل ما يقولون عنا!

ولقد كنتُ وأنا أمضى فى قراءة هذا الديوان — أو هذه القصيدة الفريدة — أخط بقلمى على كل موضع فيه منها جمال. فما كثرت الخطوط خرجت من هذه المهمة بأن القصيدة كلها نشيد عذب من الجمال. فأهنئ الأخ الشاعر « الياس أبو شبكه » على تحفته، وأشكره على هديته. والقصيدة كلها — على اختلاف أوزانها وقوافيها — تجرى على نغم حلو الرنين مستقيم الوزن

ولقد وقفت وأنا أقرأ هذه القصيدة عند بيت أعجبنى وهو:

سوف نغدو فى الورى أسطورة ينقل الناس الهوى عنك وعنى

أترى فى أى ديوان قرأت مثل هذا البيت؟ ولأى شاعر ينسب هذا المعنى؟ ألم يقل شوقى فى مصرع كليوباترة:

غننا فى الشوق أو غنى بنا نحن فى الحب حديث بعدنا

نعم قال شوقى ذلك. ولكن الياس أبو شبكة زاد عليه قوله « ينقل الناس الهوى عنك وعنى » وتلك زيادة شرح وبيان زاد بها المعنى حلاوة وليست من فضول الكلام.

٤ — عطر ودخاں

اشتهر الأستاذ محمود تيمور بالقصة وله فيها مكان مشهور أما أدب المقالة فلم يطالعنا منه إلا هذا الكتاب الجديد « عطر ودخان ». فهو محاولة أولى من قلم تيمور؛ ولكنها محاولة ناجحة، فإن أفكار تيمور التى كان يبثها فى خلال قصصه ومسرحياته نراه اليوم يبثها فى خلال طائفة من المقالات الممتعة.

ولكن أليس لنا أن نتساءل لماذا عدل تيمور عن فن القصة فى معالجة المشكلات إلى فن المقالات؟ هل وجد فى المقالة متسعاً للعلاج لم يجده فى القصص والمسرحيات؟ جواب هذا السؤال عند تيمور نفسه. ولكننا نستطيع أن نؤكد له أن هذه المقالات فيها من المتعة الفنية الكثير. وأن فيها من روح القصصى الكثير. وأن فيها نفوذاً إلى دقائق الحياة عالجها تيمور فى هدوئه ورفقه أكثر مما يعالج الكتاب الاجتماعيون المشكلات بالأرقام والمستندات ...

وأول شىء فى هذا الكتاب فصل عن الرجعية الحميدة وكونها من دعائم النهضة الحديثة. فالأستاذ تيمور فى هذا الفصل العميق ينادى بأن نأخذ من الجديد ما يُبقى على شخصيتنا ويجعلها قوية نامية. وينادى بأنه ليس من المستطاع قطع الصلة بالماضى قطعاً باتا مهما يكن من أمره ومهما تكن المصلحة فى هذا القطع. فما يدعو إليه غلاة التجديد من نفض اليدين من تراث الماضى مضاد للطبيعة القاهرة التى جعلتنا زبدة ذلك الماضى. وهذا كلام جميل وخاصة من رجل كمحمود تيمور عرف ثقافة العرب وثقافة الغرب. ولعل هذه الصرخة الكريمة من تيمور مضافة إلى صرخات المعتدلين تحمل المغالين فى تحقير القديم على أن يخففوا من غلوائهم.

وهذا الفصل الأول جعله تيمور جداً كله، ولهذا صدَّر به كتابه الجديد، إلا أن فى الفصول التالية جمعاً بين الجد والدعابة. ودعابة تيمور كالجد لأنه يرسلها فى جو من الحياء والاستحياء والوقار فيختلط على قارئه الأمر ولا يدرى أجاداً كان أم مداعباً ...

ومحمود تيمور بارع فى الصور الوصفية للرجال، ولاشك أن لوحاته الثلاث لشقيقه اسماعيل باشا تيمور ولصديقيه زكى طليمات وبشر فارس هى مما يحملنا على أن نستزيده من مثلها لأخواننا الأدباء ...

محمد عبد الغنى حسن



نقد فيلم « القلب له واحد »

تأليف وإخراج بركات . إنتاج آسيا

القصة :

تصور طبقتين مختلفتين ، الطبقة الأولى تعقدت نفوس أصحابها بحب المظاهر وهذه يمثلها ملك هانم وابنتها منى . والطبقة الثانية صفت نفوس أصحابها فساروا فى الحياة سيراً طبيعياً لا يعتوره مغالاة ولا تكلف ، وهذه تمثلها سعاد . والجميع فى بيت واحد هو بيت شوكت بك ، فملك زوجته تحوط ابنتها منى برعايتها وحنانها . وسعاد - ابنته من زوجته الراحلة - منطوية على نفسها ترسل تغاريدها شجية فيستمع لها الخدم ويمسحون دموعها فتتعزى بعطفهم وتنسى ما ألمّ بها من حرمان . وهنا شاء المؤلف أن يكون هناك صراع بين الفتاتين حول رؤوف فأيهما ستفوز ؟ هذه منى بجمالها المتكلف تلاحق رؤوف فى كل مكان وتحاول - بمعاونة أمها - أن تطويه ، وتلك سعاد لا تملك من السلاح إلا البساطة والسذاجة وعلى الرغم من ذلك فلا يتردد رؤوس فى اختيار سعاد فأنساها بذلك ما لقيته فى الحياة من شقاء . فغنت سعاد ولكن غناءها فى هذه المرة يختلف عما اعتادت أن تغنى به فكان ذلك خير ختام للقصة .

هذا هو ملخص لقصة الفيلم وقد وفق المؤلف فى إبراز فكرته فى بساطة محببة وأسلوب لطيف خال من الافتعال الذى نلمسه فى أكثر الأفلام .

التمثيل :

صباح - قامت بدور (سعاد) فنجحت كممثلة أولا لأن المخرج لم يرهقها بتعاليمه وإنما تركها على سجيتها فاستطاعت أن تكون ممثلة وممثلة عظيمة ، أما كمطربة فقد تعاون زكريا والقصبجى ورياض على تكييف صوتها ، واستطاعت هى أن تأسر الجمهور بصوتها وهى تغنى (أروح والا ما أروحش - وانا مالى كده مِتْخده - وبشويش على عقلك بشويش - وحيرانه يا رنى)

أنور وجدى : قام بدور (رؤوف) وكان من الممكن أن يكون هذا الدور درة أدوار أنور العاطفية . ولكن المخرج كان يعلم أن أنور ليس بالممثل العاطفى ، فجعل كل مواقف النجوى بينه وبين صباح أقرب إلى الفكاهة وحسناً فعل ، فقد نجحت تلك المواقف وخاصة عند لقائهما على شاطئ النيل وفى البيت حين ظنته سارقاً . والحقيقة أن أنور يجيد تمثيل دور العاشق العابث ، أما العاشق الجدّى الذى كان جديراً أن يسند إليه هذا الدور فلم تعثر عليه السينما المصرية بعد .

سليمان بك نجيب — قام بدور — (شوكت بك) وكان عليه أن يكون ضعيفاً مستسلما فى أول الفيلم فكان الضعيف المستسلم ثم كان عليه أن يثور فى آخر الفيلم فثار وهنا . وهنا فقط ظهرت موهبته . ميمى شكيب — قامت بدور (ملك هانم) وهو دورها الذى تجيد تمثيله من غير شك . فردوس محمد — قامت بدور (الداده) فأدته على أكمل وجه ، أما محمد كامل واسماعيل يس وعبد الحميد زكى وعبد النبى محمد (فريق الخدم) فكانوا موفقين كل التوفيق . يحيى مراد — نجم جديد ظهر فى بعض الأفلام ولكنه فى هذا الفيلم أثبت موهبته على الرغم من قصر دوره . الضوء ، والصوت ، والمناظر . لابأس ..

الإخراج : لم يخل الإخراج من بعض الهنات كان من الممكن تلافيها مثال ذلك : مهاجمة العصابة للسيارة من غير أن يحاولوا الاستخفاء حتى على النظارة . والمغالاة فى معاملة ملك ومنى لسعاد (والعريس) الذى جاء لخطبة سعاد على صورة مشبعة بالإفتعال وموقف سعاد وهى تنتظر والدادة . وإجادة سعاد للرقص مع أنها ترقص لأول مرة ، وموقف سعاد من رؤوف فى نهاية الفيلم ، وليس بمعقول أن تخدع فتاة — مهما كانت سذاجتها بشاب أنيق مثل رؤوف بأنه (غلبان ومسكين ومش لاقى ياكل) . وعلى الرغم من هذه الملاحظات فقد قفز بركات بفن الإخراج قفزة موفقة نهنئه عليها .

أما بعد ، فإذا كانت السينما فى مصر لم تزل موسوعة يحوى الفيلم الواحد مواقف متعددة . درامية وكوميدية ورقصاً واستعراضا وغير ذلك فإن مخرج هذا الفيلم قد نجح فى المزج بين هذه الأشياء ، وفى نفس الوقت عالج مشاكل اجتماعية لها خطرها فى أسلوب رائق متجدد خال من الافتعال والتكلف والحشو ، ولا يسعنى إزاء هذا المجهود إلا أن أهنئ آسيا وأتمنى لبركات ولجميع من اشتركوا فى الفيلم اطراد التقدم .

عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦١٦ – الاثنين ٢٣ ابريل ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦١٦ — الاثنين ٢٣ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

صدر حديثاً :

القومية والعروبة

تأليف

نقولا زيادة

خريج جامعة لندن ، والأستاذ بالكلية العربية

الناشر

مكتبة الطاهر أخوان

يافا — فلسطين

ويطلب من المكاتب الشهيرة فى العالم العربى

مكتب

الأستاذ راغب حنا المحامى

« إعلان بيع عقار »

إنه فى يوم الثلاثاء الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ أفرنكى صباحاً بسراى محكمة امبابه الجزئية الأهليه

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى نصيف أفندى سيدهم حنا المقيم بشارع المطاره رقم ٤ بناحية تاج الدول بامبابه مركز إمبابه جيزه

وهذ البيع بناء على طلب الست أصاف سيدهم حنا عن نفسها وبصفتها احدى ورثة المرحومة الست دره جرجس الامبابى وسليمان أفندى داود مقرر الزيادة ومقيمين بشارع رفعت نمرة ٩ بمنشية الصدر قسم الوايلى ومحلها المختار مكتب حضرة الأستاذ راغب حنا المحامى لدى محكمة النقض بشارع الملكه نازلى رقم ١٤٧ بمصر .

نفاذاً لحكم نزع الملكية رقم ١٠٥٧ سنة ١٩٤٤ الصادر من محكمة امبابه الجزئية الأهلية بتاريخ ٤ — ٩ سنة ١٩٤١ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر الأهلية بتاريخ ١٠ — ٩ سنة ١٩٤٤ تحت نمرة ٦٢٣ سنة ١٩٤٤ وفاء لمبلغ ٧٠٠ مليم ، ١٢ جنيه قيمة المحكوم به بالحكم رقم ٢٢٥١ سنة ١٩٣٧ مدنى امبابه بخلاف رسم التنفيذ وأجرة النشر وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ١٠٠ مليم ، ٢٣ جنيه

فعلى راغب الشراء الحضور .

« بيان العقار »

٨ س ٥ ط من ٢٤ ط شائعا فى المنزل الكائن بتاج الدول وكفر الشيخ اسماعيل مركز امبابه مديرية الجيزه قطعه رقم ٣ عوائد بحارة الحكارى بحوض الخيل والعماره نمرة ٨ البحري ورثة سيدهم ميخائيل أفندى ابراهيم والشرق ورثة ميخائيل زكى والقبلى حارة وبها الباب والغربى ٨ و ٥ من ٢٤ عشم الله فرج .

الجمله فقط خمسة قراريط وثمانية أسهم من أربعة وعشرين قيراطا فى كامل أرض وبناء المنزل ومسطح المنزل المذكور ٦٠ و ٥٨ متر مربع

كاتب البيوع

محكمة الخليفة الأهليه

إعلان بيع

نشره أولى بيع عقار فى القضية المدنية نمرة ٨٠٠ سنة ١٩٤٥

إنه فى يوم السبت ١٦ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ أفرنكى صباحاً أمام حضرة قاضى البيوع بمحكمة الخليفة الأهليه

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى محمد أحمد أبو السعود المقيم بالمنزل نمرة ٤٢ الكائن بدرب الصهريج قسم الخليفه محافظة مصر وهذا البيع بناء على طلب الست نجيه محمد خليل مليحه ومقيم بالمنزل نمرة ٤٤ بدرب الصهريج قسم الخليفه محافظة مصر وذلك البيع وفاء لمبلغ ١٧٠ مليم ، ٤٤ ج بخلاف رسم التنفيذ ورسم الشهادات تنفيذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة فى القضية المدنيه نمرة ٨٠٠ سنة ١٩٤٥ بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٤٥ ومسجل بقلم كتاب محكمة مصر الأهليه بتاريخ ٢٥ مارس سنة ١٩٤٥ تحت نمرة ٢٠٣ سنة ١٩٤٥ بثمن أساسى قدره ٥٠ جنيه خمسون جنيها مصريا الموضحين بعاليه

فعلى راغب الشراء عليه الحضور فى الزمان والمكان وجميع المستندات والأوراق مودعه بدوسيه القضيه بمحكمة الخليفه الأهليه للاطلاع عليها .

بيان العقار

حصه قدرها ١٢ قيراط إثنى عشر قيراطاً شائعه فى كامل أرض وبناء المنزل نمرة ٤٢ عوائد بدرب الصهريج شياخة الحطابه قسم الخليفه محافظة مصر والمحدود بحدود أربع

الحد البحرى الملك نمرة ٤٢ على درب الصهريج ومكونه منه مستقمين وبه الواجهة والباب ومكونه منه ثلاث مستقيمات تبتدىء منه شرق لغرب بطول ٧ متر ويبحر ٢٠ سنتى ويغرب ٤٥ سنتى ، ١ متر

والحد الشرقى شارع درب الصهريج ومكونه منه مستقمين تبتدىء منه بحرى لقبلى بطول ٤٠ سنتى ، ٦ متر وينحنى إلى قبلى بطول ١٠ سنتى ، ١ متر

والحد القبلى درب الصهريج بطول ٧٦ سنتى ، ٧ متر

والحد الغربى ملك محمد خليل مليحه بطول ٤٠ سنتى ، ٧ متراً بجوار المنزل نمرة ٤٠ بدرب الصهريج ومسطح المنزل جميعه ٣٥ سنتى ، ٦٠ متر ستين متراً وخمسة وثلاثون سنتمر

وعلى قلم الكتاب إجراء النشور والتعليق حسب القانون .

كاتب البيوع

13 me Année No. 616 — Lundi - 23 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

إلى صاحب المعالي عبد الرزاق السنهوري بك

رأى واقـــتراح

إن من المحال أن تنقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن تنقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة

يا صاحب المعالي ، إن أخص ما يميزك على نظرائك في العلم والحُكم أنك تقدس الحقيقة وتطلب الحق . وإن سبيلك إلى ذلك عقل راجح واضح يتعمق ويتبسط ، ويحيط ويستوعب ، ويدقق ويحقق ، ويستقرئ ويستنبط ؛ فإذا رأيت الحق في جانبك أقنعت ومنطقك سديد وحجتك مُلزمة ؛ وإن رأيته في الجانب الآخر اقتنعت وعقلك راض ونفسك مسلّمة . وقد أجمع الذين عرفوك أن في مناقشتك الرأى أو في مطارحتك الحديث متعةً للعقل والذهن ؛ لأنك توضح الخطة وتحدد الرسوم وتعين الغاية ، ثم تعرض الرأى عالماً بما تقول ، وتسمع الرأى فاهماً لما يقال ، ثم تعارض القول بالقول ، وتوازن الدليل بالدليل ، ثم تحكم الحكم المسبَّب لك أو عليك فلا تدع للمكابرة والمماراة سبيلاً إلى استئناف أو نقض !

لذلك أحببت أن أتقدم إلى معاليك برأى يتصل بالثقافة العامة ؛ ويقيني أنك إذا اقتنعت به أمضيتَه ؛ وإذا أمضيته كان حرياً أن يضيف عصر الفاروق إلى عصور بركليس وأغسطس والمأمون ولويس الرابع عشر ، وهي كما تعلم العصور الذهبية التي حددت المراحل المتعاقبة للانسان المتمدن في طريقه إلى المعرفة .

تعلم معاليك أن أدبنا الجديد لا يزال ناقصاً في نوعه قاصراً في بيانه . ناقص في نوعه لأنه أنكر قديمه وجهل جديد الناس، فلم يُغذه ماض ولم ينمه حاضر، فظل مُخدجَ الخلق لا هو حى ولا هو ميت . ولقد كان أدبنا القديم في حدود مراميه اللسانَ العام لخوالج النفس الإنسانية في أكثر بقاع الأرض ، فلم تكن هنالك فكرة تجول في ذهن كاتب ، ولا صورة تتمثل في خاطر شاعر ، إلا وجدتْ في هذا الخضم المحيط صَدفة تستقر فيها. فلما تحولت عن مذاهبه الأنهار، وجفَّت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل حيناً بعد حين . فالقارئُ العربي الحديث لا يجد فيما أثر منه ولا في أكثر ما استجد فيه غذاء عقله ولا رضا شعوره ؛ لأن المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد منه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية . والغريب المخجل أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم في أى لغة من لغات التمدن إلا في اللغة العربية ! فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ في لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ؛ ولكن العربى لا يجد في لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه !

فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع في حاضره كما اتسع في ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب

الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالمياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب .

والأدب العربى قاصر فى بيانه ، لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر ، فلا يستطيع أقدر كتابنا أن يتحدث عما يستعمل من ماعون وأثاث ، ولا أن يصف ما يركب من باخرة أو طائرة . ومجمعنا اللغوى على ما نرى من نشاطه لن يقدم إلى الناس معجمه المنتظر إلا بعد جيل أو جيلين ، حين يكون كل شىء فى العالم قد تغير أو تطور ، فيصبح معجمه فى الجدة يومئذ كمعجم (لسان العرب) اليوم ! والزمان يا معالى الوزير يسرع ، والعالم كله يجد ، والسارى على مركب العجز لا يلحق ، والبيان القاصر نصف الخرس ، واللغة الناقصة ثلاثة أرباع الجهل .

وما قلناه فى اللغة والأدب نقوله فى العلم والفن : فإن ما فى العربية منهما لا يعدو فى الغالب أن يكون ملخصات مجهولة النسب ، أو مقتبسات قليلة الغناء ، إذا نفعت أحداً فإنما تنفع طلاب المدارس . أما الشعب الظامئ إلى المعرفة فلا يجد بين يديه من أمهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه . وما دام الأمر كذلك فسيظل اللسان العربى والعقل العربى محصورين فى حدود القرون الوسطى لا يواكبان ركب الحياة ، ولا يسايران تقدم الفكر .

إن العلوم اليوم أوربية وأمريكية ما فى ذلك شك . وإن الفروق التى باعدت بين الشرق والغرب فى مدلول الإنسانية الراقية إنما يجمعها كلها لفظ العلم . وهذا العلم الذى يسخر السموات والأرض للانسان الضعيف ، ويذلل القطعان الملايين للراعى الفرد . سيبقى غريباً عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب ، ونعممه فى شعبنا بالنشر ؛ ولا تمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة .

فالترجمة إذن يا معالى الوزير هى الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة ، وسد النقص فى الأدب ، وكشف الظلام عن الأمة . ويحسبنا أن ننقل معجماً من المعاجم العلمية الأوربية لتصبح لغتنا كاملة وثقافتنا شاملة ؛ فإنا مضطرون فى أثناء الترجمة أن نضع المصطلحات الحديثة لكل علم وفن ، فلا يتم المعجم حتى تتم اللغة . وإذا نقلنا إلى العربية نتاج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الانجليز والأمريكان ، والفرنسيين والألمان ، والروسيين والطليان ، أصبح هؤلاء العالميون جزءاً من كياننا الأدبى . وركناً فى بنائنا العلمى ، نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه ، كما فعل آباؤنا الأقدمون بما نقلوه من علوم الإغريق والهنود واليهود والسريان والفرس .

لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ؛ فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ؛ أو قل إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى تمدهم بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلا كاملا صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية .

هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر . قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد . فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ؛ وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية . على أن ما ينفق فى سبيل هذا العمل العظيم يقل مهما كثر فى جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة ، وتطعيم الأدب ، وتعريب العلم ، وتعميم الثقافة ، وتدعيم النهضة ، وتيسير القراءة ، وتشجيع القارئ ، وفى تحقيق منفعة واحدة من هؤلاء تخليد لذكر من قام بهذا العمل أو شارك فيه أو أعان عليه ؛ فما بالك إذا حقق هذه المنافع جمعاء ؟

ذلك جوهر الفكرة يا معالى الوزير عرضته عليك ، أما النظر فى تأثيلها وتفصيلها فأتركه إليك .

احمد حسن الزيات

النيف في العدد

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

فى مقالة (أبو العلاء المعرى) فى الرسالة الغراء ٦٠٤ فى الحاشية رويت هذا الخبر فى (الموشح) :

« نظر يعقوب الكندى فى شعر أبى تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه ، لأنه حمل على كيانه بالفكر . ويقال : إن أبا تمام مات لنيف وثلاثين سنة »

فقال لى فى القاهرة عالم كبير : (لثلاثين سنة ونيف) .

فقلت : هذا ما جاء فى (لسان العرب) — عنيت المعجم — ولكن المبرد فى (الكامل) فى مواضع كثيرة قدم هذا المؤخر . ومثله غيره من الأدباء وكتاب السير والمؤرخين والعلماء . والذى ورد فى (الموشح) هو كلام الإمام المرزبانى لاريب فيه . ولا تبديل وقد بعثنى تنبيه ذلك العالم على إملاء هذه الأحرف .

لم تجيء (النيف) مع العدد — حسب ظنى — فى كلام جاهلى أو إسلامى متقدم ، فهى فى هذا الاستعمال إسلامية متأخرة أو مولدة متقدمة . وإذا صاحبت قولاً جاهلياً أو إسلامياً متقدماً فقل : إنه مصوغ أو مبدل أوهو من عند راويه المحدَث . ذكر المسعودى فى (المروج) هذه الجمل من خطبة منسوبة إلى على (رضى الله عنه) :

« وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب . تربت أيديهم ! وهل فيهم أشد مراساً لها منى ، لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين ، وها أناذا قدأربيت على نيف وستين »

ورواية الرضى فى (المجموعة النهجية) « وها أنا ذا قد ذرّفت على الستين » ، ورواية المبرد فى (الكامل) : « ولقد نيّفت اليوم على الستين »

فإن قال الإمام ما قال فليس هناك إلا (ذرفت أو نيفت على الستين) فاعرف ذلك ولا تثق بما روى المسعودى[1]

لم يقل ابن دريد فى كتابه (جمهرة اللغة) — وهو أقدم معجم بعد العين — فى النيف إلا هذا : « النيف الزيادة من قولهم نيفت على السبعين أى زدت عليها » ولم يزد ...

ولم يحدث سيبويه فى (الكتاب) ولا ابن سيده فى (المخصص) عن تلكم اللفظة فى باب العدد بشىء .

يقول الجوهرى فى صحاحه : « النيف الزيادة ، يخفف ويشدد ، وأصله من الواو ، يقال : عشرة ونيف ومئة ونيف » .

وقال اللسان : « الأزهرى : يقال : هذه مئة ونيف ـ بتشديد الياء ـ أى زيادة ، وعوام الناس يخففون فيقولون ونيف ، وهو لحن عند الفصحاء . الأصمعى : النيّف والنيْف كميت وميت . قال اللحيانى : يقال : عشرون ونيف ومئة ونيف وألف ونيف ، ولا يقال إلا بعد عقد .

وفى (المصباح) : قال أبو العباس : الذى حصلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد إلى ثلاث ، والبضع من أربع إلى تسع ، ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومئة ونيف وألف ونيف .

وفى (همع الهوامع) : هما — يعنى البضع والبضعة — من ثلاث إلى تسع ، وبذلك فارقه النيف فإنه من واحد وفارقه أيضاً فى أنه يكون للمذكر والمؤنث بغير هاء .

فالنيف كما يستدل مما أورده الجوهرى والأزهرى واللحيانى والفيومى — تتأخر ولا تتقدم ، تعطف على العدد ، ولا يعطف عليها . وقد قدم المبرد فقال فى كامله (رغبة الآمل ج ٣ ص ١٨١ : ... فقال الحسن ونحن إذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح .

ومثل ذلك فى ج ٤ ص ١٩٧ وج ٧ ص ٢٤٤ وفى ج ٨ ص ٩٥ وأنا أروى هذا الخبر بكماله إكراماً لبطولة المهلب وبنيه ورجاله وبطولة قوم شجعان يقول شاعرهم وقائدهم :

ألا أيها الباغى البراز تقربن أساقك بالموت الزعاف المقشبا
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة على شاربيه فاسقنى منه واشربا

قال أبو العباس :

وجّه الحجاج إلى المهلب رجلين أحدهما من كلب ، والآخر من سُليم يستحثانه بالقتال ، فقال المهلب متمثلا :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال ليزيد : حركهم ، فحركهم فتهايجوا وذلك فى قرية من قرى إصْطَخْر ، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج ، فقال المهلب للسلمى والكلبى : كيف نقاتل قوماً هذا طعنهم ! وحمل يزيد عليهم ، وقد جاء الرُّقاد ، وهو

---

(١) مما هو عريق فى المين والتلفيق خبر مروان بن الحكم حين عزله معاوية (رضى الله عنه) عن المدينة ـ رواه العباسى فى معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٩٥ ـ وقد جاء فيه : « فرويداً رويدا قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وإنما هي أيام قلائل حتي يكملوا أربعين ... » وأقول يومى إلى حديث مصنوع .

ومثل هذا الاستعمال فى مروج الذهب ج٢ ص ١٩٥ و ج ٣ ص ٥٨ .

وفى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ٢١٢ .

ومثله فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج ١ ص ٢١٦ و ج ٢ ص ١٤١ و ج ٤ ص ٢١٠ و ج ١٦ ص ٢١٩ و ج ١٧ ص ٢٣١ و ج ١٨ ص ٨١ .

ومثله فى (معاهد التنصيص) ج١ص١٠٢ وج٢ص١١٦و١٨٢ وفى (كليات أبى البقاء) ص ٣٦٠ .

* * *

ذلكم ما جاء فى مصنفات القوم ، وقد نزل النيف فى أقوالهم حيث نزل . وإنا لنستبعد تبديل ناسخين فيها . فما الذى حملهم على تقديم الزيادة على المزيد عليه ؟

هل قاسوا النيف على البضع فى بعض حالاته فقالوه ، أو استخفوا هذا التركيب فشوه . وهل عليهم فيما أتوه من حرج ؟ وهل نؤخر نحن معشر العرب فى هذا الزمان أو نقدم ... ؟

محمد إسعاف النشاشيبى

من فرسان المهلب على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حمل يزيد ولّى الجمع ، وحماهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخُشَنى : من لهذين ؟ قال : أنا . فحمل عليهما ، فعطف عليه أحدهما ، فطعنه قيس الخشنى فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقه ، فسقطا جميعاً إلى الأرض ، فصاح قيس الخشنى : اقتلونا جميعاً . فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما ، فإذا معانقه امرأة ، فقام قيس مستحيياً ، فقال له يزيد : أمّا أنت فبارزتها على أنها رجل ، فقالت : أرأيت لو قتلت ، أما كان يقال قتلته امرأة .

ولم يناقش العلامة المرصفى فى (رغبة الآمل) صاحب (الكامل) فى موضع من المواضع الأربعة فى حين أنه نبه على أشياء غير قليلة فى كتابه .

والحريرى الذى اعتاد تخطئة الصواب فى (درته) لم يغلط إلا من خفف النيف .

وقال أبو بكر الخوارزمى فى إحدى رسائله (ص ١٣٢ مطبعة الجوائب) : فى نيف وسبعين من جماعة شيعة .

لماذا تفلسف الإنسان ؟

للدكتور محمد البهى

يعتبر مؤرخو الفلسفة القرن السادس قبل الميلاد بداية التفلسف الإنسانى . والفلسفة إذا قيل فى شأنها إنها محبة الحكمة ، والتفلسف إذا عبر عنه بأنه البحث عن الحكمة ، فمن غير شك أيضا أن الفلسفة فى أول عهدها مجموع المعارف التى حرزها الإنسان أو استخلصها من المعارف السابقة على عهدها ، وأن التفلسف فى بداية عهده أيضا نظر الإنسان فى هذه المعارف السابقة لاختيار مايصلح منها فى رأيه للبقاء . فالفلسفة هى معارف مختارة ، والتفلسف هو إعمال الروية فى تصفية المعارف التى كانت متداولة فى الجماعة الإنسانية إلى حين التفلسف فى القرن السادس قبل الميلاد .

والتفلسف إذا كان تصفية واختيارا يفرض طبعاً وجود مجموعة من المعارف متداولة يضعها محلا للتصفية والاختيار . وقبل عهد التفلسف كانت هناك معارف متداولة فى الجماعة الإنسانية ، ولكنها كانت كلها معارف إلهية ، أى كانت منسوبة إلى الآلهة ، وكانت طائفة بالذات هى طائفة رجال الدين أو من تسمى بالكهنة تقوم بشأنها وتتعهدها بالحفظ والتناقل والشرح . وما عدا هذه الطائفة من طوائف أخرى كانت تقف من هذه المعارف موقف القابل المطيع الذى لا يسمح له بمعارضة أى نوع منها ولو معارضة نفسية داخلية ، فضلا عن معارضتها بالتفنيد عن طريق الحجة أمام آخرين : فهذه المعارف لها قداستها من الجميع ، وقداستها تمنع نقدها وتحتم قبولها .

والإنسانية فى جماعات مختلفة وفى أجيال متعددة قبلت المعارف الدينية ، وقبولها يتضمن تقديسها وعدم نقدها ، وتقديسها وعدم نقدها ينسحب إلى تقديس من يقوم بأمرها وعدم معارضته . وما عرف للانسان من عمل فيها كان عبارة عن شرحها شرحاً عقليا يساعد على رواجها لدى أصحاب القلق النفسى من التابعين للدين . وبهذا كان عقل الإنسان فى خدمة التعاليم الدينية ولتأييد قداستها وقداسة القائمين بأمرها . وقد نسترسل فندعى أن خدمة الإنسان لهذه التعاليم عن طريق عمله العقلى لم يكن لعهد وجودها

ونشأتها فحسب ، بل استمرت أيضا فى مراحل تطورها. والإنسان بعقله كما أيدها فى صفائها أيدها أيضا وقد دخلتها صنعة الدين . وربما كان تعظيم طائفة الكهنة وتميزها عن بقية الطوائف فى الأمم الشرقية القديمة من عمل الإنسان المؤيد أو من نتائج تأييده لتلك التعاليم عن طريق عمله العقلى ، ولم يكن بوحى أصل من أصول أديان تلك الأمم .

وقبل التفلسف الإنسانى أو قبل التفلسف الإغريقى فى القرن السادس قبل الميلاد كانت تسيطر إذاً على معارف الجماعة الإنسانية عدة مظاهر :

١ — كانت المعارف الدينية وحدها هى التى تقود الإنسان .

٢ — وكانت طاعة الإنسان لهذه المعارف ناشئة عن تقديسه لها واعتقاده بعصمتها .

٣ — وكان القائم بأمر هذه المعارف ، سواء بتعليمها وتلقينها أو بشرحها وتحديد مدلولات عباراتها ، طائفة معينة هى طائفة الكهنة .

٤ — وعمل الإنسان العقلى كان مرتبطا بأصول هذه التعاليم وفى خدمتها ولغاية تمكينها من النفوس الحائرة .

* * *

وإذا كان القائم بأمر التوجيه فى الجماعة الأنسانية طائفة معينة ، وإذا كانت فى توجيهها تصدر عن إرادة الله ومن تعاليم وسيط فى الكون وهو الرسول ، وإذا كان غيرها من الطوائف فى الجماعة عليه أن يخضع ويطيع فحسب ، فليس هناك من ضمان فى أن يبقى توجيه الطائفة المعينة فى دائرة التعاليم الأولى للدين . وليس هناك من ضمان أيضاً فى أن يكون شرحها لهذه التعاليم فى حدود الغاية التى يبغيها صاحب الرسالة ، بل يجوز أن تجعل هى من الدين سرا تختص بعلمه دون بقية التابعين وهو غير ماعرض على هؤلاء التابعين ، ويجوز أن تشرح ماعرف لهؤلاء باسم الدين بما تراه هى لابما يهدف إليه الدين نفسه . وإذا جعلت من الدين سراً خاصابها فليست هناك لأحد استطاعة فى أن يراقبها فيه ، وإذا فسرت ماعرفه الناس من تعاليم الدين بما تراه هى فاسناد التوجيه إليها خاصة وقيامها وحدها دون سواها بأمر هذه التعاليم يحميها من التجريح ومن رميها باتباع الهوى والغرض فى التفسير . ثم نسبتها إلى مقدس هو الدين يزيد فى حمايتها وفى إبعاد الأغراض الخاصة عنها .

وفى طبع الأنسان إذا شعر بالتميز أن يطمع فى أن تتسع دائرته حتى ليود أن يصبح طبيعة أخرى مغايرة لطبيعة الانسان ولكنها أرقى منها . ورجال الدين أو طائفة الكهنة كانت متميزة لأنها اختصت بمعرفة الدين وشرحه والقيام عليه ، وطمعت أيضا فى أن يزداد تميزها . وقد زاد حتى عدت فى بعض العهود أبناء للآلهة أو من سلالتها كما اعتبرت بعض الطبقات الأخرى عبيدا لها . وانقسمت الجماعة الانسانية عندئذ إلى قسمين متقابلين : قسم شريف هو طائفة الكهنة ، وقسم آخر خسيس هو العمال والاكرة

وإذا تميز الإنسان أو ادعى تميزه إلى حد أن يعتبر طبيعته مغايرة لطبيعة من دونه ، وفى الوقت نفسه يتولى هو أمر هذا الذى دونه ، فتوليه للأمر يصدر فيه عن الشعور بالمفارقة . والكهنة كذلك جعلوا الناس مختلفين ، ووضعوهم أمام آلهتهم مواضع مختلفة وجعلوا تكاليفهم ورسومهم فى العبادة مختلفة أيضاً .

وهكذا آل الدين الذى شأنه أن يسوى بين الناس فى الطبيعة ويجعل تفاوتهم فى بعدهم أو قربهم من مثله الأعلى ، إلى أن يكون عاملا فى التفريق بين طبائعهم . وهكذا آل أمر رجال الدين إلى أن يكونوا طبقة متميزة ، وآل توجيههم إلى أن يكون إملاءً للمحافظة على تميزهم أو للمحافظة على بقاء دولتهم . وبالتالى أصبح الدين صناعة محتكرة ، وأصبحت المعرفة المسيطرة على الجماعة الإنسانية لا لإرشاد الإنسان إلى سعادته ، بل لإسعاد طائفة معينة.

* * *

هذا المصير الذى صارت إليه المعرفة الدينية ، وصار إليه رجال الدين فيما قبل القرن السادس قبل الميلاد ، وصارت إليه الجماعة الإنسانية ، حمل بعض الناس على أن يثور ، وعلى أن يسلك طريق الفكر فى ثورته للرد والإقناع . ولم تكن ثورته الفكرية حباً فى معالجة الجدل ، بل لوضع حد لامتهان الإنســـان ، ورد اعتبار الإنسان ، وتخليص الإنسان من الإنسان ، وإسعاد كل فرد من الإنسان لا طائفة معينة بالذات . وتوجه هذا البعض إلى تعاليم

الكهنة لا ليقرها ويقبلها كما كان الشأن بالنسبة إليها بل لينقدها. ومعيار نقده ليس السماع والرواية ، وليس الإذعان للعصمة والقداسة ، بل عقله ومنطقه .

وأطلق على هذه الثورة الفكرية تفلسفاً . والنفر الذى رفع علم هذه الثورة كان من الإغريق . والشرق إذا كان فكر قبل هذا ، وأنتج فى محصول الفكر البشرى ، فقد كان على نحو ماينا فى دائرة الدين ولخدمة المعارف الدينية . والإصلاحات التى قامت فى الشرق لرفع مستوى الإنسان ورد اعتباره وإزالة الفوارق الطائفية كانت إصلاحات دينية كالزرادشتية والبوذية . فالأولى كانت تعديلا دينياً أو إصلاحاً دينياً للديانة الشعبية الآرية التى قامت على عبادة النار والطبيعة المحسوسة . والثانية كانت تعديلا للبراهمية التى حولت الجماعة الهندية إلى طبقات متفاوتة فى الطبيعة .

وبنشأة التفلسف تكونت الفلسفة ، وأصبح فى الجماعة الإنسانية نوعان من المعرفة : المعرفة الدينية ، والمعرفة الفلسفية أو الإنسانية . وإذا كانت الأولى يدعى فيها العصمة . فالثانية للإنسان أن يصوِّب أو يخطئ فيها . وإذا كانت مبادئ الأولى محدودة لأنها وقف على الوحى . فالثانية قابلة للزيادة والنماء لأنها فى متناول كل الأجيال الإنسانية . وإذا كان رجال الدين هم المحافظون فى كل أمة بحكم موقفهم من عدم التصرف فى معارف الدين ، فالفلاسفة هم رجال الثورة الفكرية وأصحاب التطور فى توجيه الإنسان . وإذا كان رجال الدين يضعفون من قيمة الإنسان واعتباره ، وقد يلغون أثره فى الحياة ، ويردون كل أثر فيها إلى الله ، لتتضاعف بذلك عظمة الإله ، فالفلاسفة يشيدون بالإنسان وينسبون إليه أثراً ويسندون إليه فعلا فى تغيير الحياة نفسها .

والفيلسوف وإن كان رجل ثورة على التعاليم الدينية ، فثورته فى الواقع على التعاليم التى كونها الإنسان باسم الدين ، والتى ربما قلب بها أوضاع الدين وحرف بها هدفه . والفيلسوف وإن رمى بالإلحاد فرميه به عادة من رجال الدين ، وليس بلازم أن يكون منكراً للدين وإن أنكر تعاليم رجاله . ولكنه مع عدم إنكاره الدين لا يبلغ مبلغ رجل الدين فى إلغاء وجود الإنسان بغية إظهار عظمة الله .

ولأن التفلسف فى بدايته كان خروجاً على تعاليم رجال الدين وعلى المألوف من المعارف المسيطرة على الجماعة الإنسانية عدّ الفيلسوف مناوئاً لرجل الدين وعدت الفلسفة عدوة للدين . وبمقدار ما فى القضية الأولى من صدق بمقدار ما فى الثانية من مبالغة . إذ الأديان فى طبيعتها تنظر إلى أفراد الإنسان نظرة مساواة وتهدف إلى إسعادهم جميعاً ، وكذلك الشأن فى الفلسفة ، وفقط طريق أحدهما قد يختلف عن طريق الآخر .

وكما لم تستطع الفلسفة أن تلغى الأديان كذلك هذه لم تستطع إلغاء الفلسفة ، بل الفلسفة إن لم تنته إلى ماينتهى إليه الدين، تعترف بحيز له لا تستطيع السير فيه إذا اقتحمته ، والدين فى وضعه الأصلى إذا لم يشجع التفكير الإنسانى فى دائرة ما يرسمه له يدع له مجالا خاصاً به ، لا يبدى — إذا أبدى — رأياً فى ناحية من نواحيه إلا عن طريق الإجمال .

وما بين الفلاسفة ورجال الدين ، فلأجل توجيه الإنسان . فالفلاسفة يرون أن رجال الدين لما لتعاليم الدين الذى ينسبون إليه من قداسة ، ولما لهم هم أنفسهم من طبيعة إنسانية تميل إلى الجاه والسلطان ، قد يكون لهم خطر على الإنسان فى قيادتهم له إن احتكروا الدين وجعلوا فهمه وقفاً عليهم وحدهم . فلكى لا يقع هذا الخطر يذكر الفلاسفة بتفلسفهم الإنسان بقيمته واعتبار وجوده ، حتى لا يكون انجذابه إلى تعاليم رجال الدين عن غير روية واختيار . ورجال الدين لأنهم يرون فى الفلاسفة منكرين لأفهامهم الدينية ومفرقين بين الدين وتعاليمهم ، ومحرضين الإنسان على عدم الانقياد لهم فى يسر وسهولة يقررون بعد الفلاسفة عن التوجيه الصحيح للانسان ويصورونهم منحرفين عن الدين .

وإذا كانت الفلسفة فى بدايتها تكونت من المعارف الدينية ، فالفلاسفة فى العصور المختلفة إلى عصرنا الحاضر نشئوا تنشئة دينية وكانوا من رجال الدين قبل أن يصيروا من رجال الفكر ، وإن اختلفت بدايتهم عما صاروا إليه ، فليس لأنهم أنكروا الدين ، بل لأنهم خالفوا رجال الدين فى تصويرهم للدين وعرضهم له .

وإذا كان تفلسف الإنسان فى أول الأمر لرفع طغيان الإنسان باسم الدين ، فلم تزل حرية التفكير التى هى أساس التفلسف وسيلة الإنسان السلمية لكبح اعتداء الإنسان باسم أى شىء آخر .

محمد البهى

صلوات فكر

فى محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

مع العالم الأكبر

لنا نحن الآدميين عالمٌ صغير ، هو الأرض . شُغِلنا به وبصَغاراته عن العالم الأكبر وغاياته ، بل إن لأكثرنا عالماً لا يعدو أن يكون بيتَه أو حجرته أو حقله أو وظيفته أو ديناره أو كأسه أو بطنه ، إلى آخر هذه التفاهات .

وقد مضينا نقطع العمر هكذا دائرين على هذه الصغارات كما يدور الذباب على القاذورات والعُفونات ... وكأنه لا يعنينا من شأن هذا العالم الأكبر الذى نرى معالمه العظيمة فى السماء تضىء لنا ، وتنادى عيوننا بنورها إلى النور الأكبر الذى يضىء ذلك العالم ، ما نراه ولا ما لا نراه ، لنتجه إليه بآمالنا وأفكارنا ومساعينا ، ولتتسع سماحة نفوسنا باتساع عالمنا الذى يشغل بالنا ؛ فإن الذى يتجه إلى الكثير ويُعنَى بالعظيم ، قليلا ما يخاصم على القليل والحقير . وإن السر فى سماحة النفس التى شغلتها السماء فلم تُخلِد إلى الأرض ، هو هذا الاتجاه إلى مفاتح الرحمة وكنوز الثراء وخزائن النور الأعلى !

لهم عذرُهم أولئك الذين مضوْا قبل التاريخ ، وقبل معرفة جدود الأرض وضآلتها ومركزها الصغير فى الكون ، أن تشغلهم أنفسهم أو ديارهم الضيقة ، أو جزرهم المنثورة فى محيطٍ مائِيّ ، أو واحتُهم الضالة فى بيداء ، وأن يحسبوا أن العالم ضيق لضيق ما يعرفون ...

ولكن ، لا عذر لأبناء هذا الزمان الذين يتلقى صِغارهم وَناشئوهم كثيراً من حقائق الكون وأوضاع الأرض وأخبار الأمم مما لم يُيسَّر عُشر معشاره لفلاسفة تلك الأزمنة التى خلَت وبادت !

***

كما كان يشير الرُّوَّاد الأولون بأيديهم صَوْبَ الدروب والبقاع المجهولة التى كشفوها وارادوها ، ينبغى أن يشير الآن رواد الحياة والعلوم للناس إلى الطريق الذى يجب أن يسيروا فيه وحده إلى حقائق الوجود الحالى وعلومه ومعارفه ... ينبغى أن يشير المعلمون والآباء للأطفال إلى ذلك الطريق ... ويفتحوا مداركهم على فجاج الحياة ومناجع الأسرار ، وأن يُشعروهم رهبة الرحلة فى هذا الكون !

ينبغى أن يقول الوالد الجسدى أو الروحى لولده عند ما تتفتح مداركه ويستطيع التمييز : يا بنى إنى جئت إلى الحياة مثلك . وقبلى جاء أبى وأبو أبى ، فى حبل نَسْلٍ طويل يتصل بآدم أبى البشر ... لنرى هنا ما تراه أنت اليوم بعيونك الجديدة . وقد أصاب عينى الكَلالُ من كثرة التحديق إلى مشاعل النور التى تراها فوق ... ولم يشغلنى عنها شاغل من ظلمات الأرض . وحسبُك نظرةٌ بالليل الرهيب لترى أن عينيك غريبتان فى هذه الظلمات ! لأنها لم تُصنع لهـا غُربةَ روحك . فى كثافة جسمك التى لم تخلق لها ...

يا بنى إن عينيك مخلوقتان لنور الشمس والنجوم التى تعرفها فى السماء ... وكذلك روحك مخلوقة لنور الكون وروحه . ولا تستطيع حياةَ الظلام الأرضى ... فارفع عينيك إلى منابع نورها ، وارفع روحك إلى منبع نورها ... يا بنى إننا أُلقِينا فى ظلمات هذه الأرض لغرض عظيم خفىٍّ من أغراض واهب الحياة . ثم لا نلبث أن نُرفع ونعود إلى ذلك العالم الذى ألقينا منه .

يا بنى فكر دائماً فى أن تتخذ سُلَّماً تعرج عليه روحك إلى هذا العالم ، ولا تُخلِدْ إلى الأرض إخلاد حشراتها وحيواناتها الدنيئة . ولا تُدِم النظر إلى تفاهاتها وحقاراتها وضيقها ، لئلا

يضيق نظرك وخلقك وفكرك ، وتعشى عيناك من رؤية النور ، وهو ما يجب أن تبصر به ... شتان بين عقلين أحدهما يحدّق في النور والثانى يأبى أن يرفع عينه إليه .

الأول أوسع وأعلم وأروح ... والثانى أضيق وأجهل وأكثف ... لأنه مُطارَد ملهوف خائف من فوات فرصة حياة الظلام التى لم يرغبها إلى غير رجعه ، فهو يملأ منها كل أوعيته ، وكلما امتلأ غاص حتى لا يبقى منه على سطحها إلا ما يبقى من فقّاعة على سطح وحل وحمأ مسنون !

على عتبة من عتبات الملكوت!

إنما مثل الله ، جل جلاله ، مع أحدنا حين أخرجه من العدم إلى الوجود ، وأدخله هذه الأرض ليريه من عجائب ملكوته ما يثير به شهوته وتطلُّعه للخلود ، وحبّه للمتاع بملكوته وعجائب صنعه ، كمثل غنيٍّ أخذ بفقير جائع عارٍ إلى قصره الفاخر ، وأوقفه على عتبته وفتح له الباب ، فرأى من موقفه هذا ما أثار شهوته للطعام والمتاع والسكنى فى هذا البيت ... ولاشك أنه سيسأل هذا الغنى ويتمنى عليه أن يمنحه دخول هذا القصر والخلود فيه والمتاعَ بما به من بهجة وتعاجيبَ وثراء ... ولا شك أن موقفه الصحيح ينبغى ألا يكون شغل النفس بعتبة المنزل ، ورؤية واجهته وحدها بدون تطلع إلى ما وراءها ...

كذلك هذه الأرض إنما هى عتبة من عتبات ملكوت الله الذى لا نرى إلا جزءاً ضئيلا من سطحه فى السماء ... ينبغى لنا ألا نخلدَ إليها وننسى ما وراءها . بل ينبغى أن نسأل الله مالك هذا الملكوت الأعظم ، ونُلِحَّ فى السؤال أن يدخلنا إلى واسع ملكوته ورحب رحمته وسُبحات جماله وأفانين صنعه ...

ذلك هو الموقف المعقول إن كنا ذوى طبع سليم وعقل غير مصروف ومزاج غير مؤوف !

دود !

رأيت دوداً حقيراً شنيعاً يرعى فى جيفة كلب بشراهة ، فتذكرت مصيرى وفزعت ..

ثم رأيت فكرى يقول فى رنة أسف وألم وتحد : أنت يا هذا الدود تأكلنى وتمزق أوصالى وتغيبنى فى جوفك ... ثم تفنى أنت أيضاً . !

لى الله ! لك الله ياجسدى وأعضائى التى تجمعت لأكون ! لكما الله يا قلبى ويامخى ! ياموضعى الأسرار الرهيبة منى ! والله لما اخترتماه من معانى الحق والجمال والحب والخير والإيمان إن كان مصيرها كمصيركما !

هبوا أحشائى السفلى ومواضع القذر فى جسمى تفنى هذا الفناء وتصير إلى هذا المصير الرهيب ؛ ولكن مابال رأسى وقلبى يفنيان مع هذه الأنجاس والأقذار . ! مابال الرأس يساوى القدم واللسان يساوى الظفر ! !

أنا أفنى هذا الفناء مع الكلاب ! !

كلا ! لستُ هذه الأوصال ... ولكنها دوابٌّ وآلاتى أركبها وأعمل بها ، تفنى وتتجدد فى حياتى وتتهدم وتتخرب بعد مماتى .. أناالساكن المستخفى فى جسمى ولا أراه ! والذى يحدثنى الآن ويحاكمنى ويدير هذه الآلات ويوجهها .. ذلك كائن آخر له شأن آخر ...

إنه هو الذى يتخلى عن تلك الأوصال . وسواء بعده رأس وقدم ، وعين وظفر ؛ فإنها آلاته ترساً أو مسماراً ، وجهاً أوقفا ، لابد له منها ليعلم بها ماهنا ويستكمل شئونه .

إنه هو الذى ينظر مصير أوصالى فى جوف الأرض ويتعجب من شأنها معه الآن ، وشأنها بعد أن يتخلى عنها ...

إنه هو الذى يذكرها الآن بمصيرها لِتَجِدَّ وتعمل وتأخذ نصيبها من الاحساس والشعور والفكر والعلم والقوة والنزوع قبل ألا تستطيع .

إنه راصد يقظ دائماً وراء الحس والفكر ، يقول هذا حسن وهذا قبيح ، وهذا حق وهذا باطل ...

إنه من عالم الصَّحْو المُطْلق ، والإدراك الكُلّي ، والخلود السَّرْمَدي ، والانطلاق الحر ، والجمال الدائم . لا يفزع من ذلك المصير الحقير لتَشْغله البالية التي بها يسير في أوعار الأرض وأشواكها ومجهولاتها ومهولاتها ، بعد أن يقضي منها أوطاره ...!

إن هـذه الأوصال طين مُزَوَّق ، لبسته روح الحياة فمنعت عفونته وظلمته ، وقللت كثافته ... ثم لا يلبث إذا فارقته أسرار الحياة أن يختمر ويتعفن ويتحلل ، شأنه شأن كل نوع من طين الأرض ، يوقد عليه في حرارة الحياة ... فلا بأس أن يذهب روح الحياة ويتركه يرتد إلى ما كان ...

ومن الطين وروح الحيوان تولد كائن آخر هو الإنسان الذى يستعلي على ذلك المصير الفاني ، ويتعلق بالفكر العالي ، والجمال السَّني ، والكمال السَّرِيّ ... هو الذى فزع حين رأى جيفة الكلب ، وأبى حكمه ويقينه أن يكون مصيرُه مصير روح هذا الكلب ، وإن سلَّم لقميصه المادي أن يُجَيَّف كما جُيِّفت جثة الكلب ...

عطر الخلود وريّاه :

خَبَرتُ الحب ، فلم أره من أشياء هذا العالم الفاني ... وإنما هو من الخالد ... هو عطر الخلود وريّاه ، يهُبُّ حين يتماسّ قلب بقلب فلا يشعر به غيرهما ...

وإذا صح أن الحب في أكثر حالاته البشرية هو عاطفة ممهدة للزواج والشعور بالجنس ، أو أنه خدعة لتحقيق مآرب من امتداد النوع ... وإذا صح أن ثمرة الغريزة هي الولد ، والنسل هو امتداد الشخصية الأبوية ، وأنه صورة من صور الخلود الذى تتعلق به وتتمناه كل ذات لنفسها ... إذاً فقد صح قولي ، إن الحب هو صبوة النفس إلى عالم الخلد ...

ويحس الفرد حين يصرعه الحب ، ويغدو قلبه في يد هذا الطفل العابث الدائم الطفولة ، أنه يتهافت على موارد الحياة ، ويَهفُو قلبه إلى جميع مصادر الأُنس والبهجة والتفتُّح والخفة والطيش إلى ما تَعزِف النفس عنه حين لا تكون في قبضة ذلك الطفل . وهذا يؤيد عندي أن الحب هو مفتاح الشعور العميق بالحياة ، وأكبر دافع إلى خوض غمارها وخُبر شعابها .

وليس يكون تصوير الحب أصحَّ وأوفق من تصوير قدماء اليونان إياه ، حين صوروه طفلا . فالشعور بالطفولة وارتداد النفس إليها بين المحبين ، هو أخص صفاته وسماته ؛ إذ هو يَرُدُّ الشيخ والكهل إلى حب الحياة والتجمل والتزين لها ، كحب الأطفال وتجملهم ...

ولا غرابة مع هذا أن يكون الحب مستشاراً سيء الرأي ... لأن طفولته تمنعه من سداد الأحكام !

عبد المنعم خلاف

مقالات فى كلمـــات

للأستاذ على الطنطاوى

مقدمة

كان عنـدنا مدرس (فاضل) ، يعلمنا الإنشاء ولا ينشىء ، ويريد أن يجعلنا كتاباً وما كان قط كاتباً ولا صاحب قلم ، وكان مما لقننا من مسائل هذا (الفن ...) ولم نستفد منه لأننا لم نعمل به ، أن القطعة الأدبية يجب وجوباً لا جوازاً أن تجىء فى أحد عشر سطراً ، فى كل سطر إحدى عشرة كلمة ، فإن زادت على ذلك فهو الإسهاب المملّ الذى وصفه أهل البلاغة ، وإن نقصت فهو الإيجاز المخل ، وأن الموضوع إن انتشر على الكاتب واتسع كان عليه أن يأخذ من أطرافه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ولو بتر فى سبيل هذا النظام (الأحد عشرى) عضواً منـه أوهدّ ركناً ، حتى يعود إلى حدّه ، ويدخل فى أحد عشر سطراً لا تزيد ، وإن ضاق عن ذلك وكان فى أقل منه مجزأة ودلالة على القصد ووفاء بالمرام ، كان على الكاتب أن ينفخ الموضوع حتى يكبر ، أو يركب له فوق أعضائه أعضاء أخر ، ولا بأس أن يخرج مخلوقاً مشوهاً عجيباً ...

لقد مرّ على هذا المدرس دهر طويل ، وأكبر الظن أنه قد ذهب إلى رحمة الله ، ولـكننى كلما عرضت لى فكرة لا تبلغ أن يكتب فيها مقال ذكرته ، فأنا أضيع صوراً وخواطر كثيرة لأنها تجىء فى الجملتين أو الثلاث ولا تؤلف مقالا ، ومن حقها علىّ وحق القراء ألا أضيعها ، وأن أدونها كما هى ...

لذلك فتحت هذا الباب (مقالات فى كلمات) أطرقه كلما تجمع لدىّ من هذه الكلمات ما يصلح للنشر :

ردوا علينا فننا

كنت أجوز أمس سوقاً فى حىّ بلدى من أحياء القاهرة ، أسرع الخطو لأنجو من هذا البلاء الذى يأخذ بالعين والأنف والأذن ، قذارة ورائحة مزعجة وضجة مدوّية ، وفى بعض هذا ما يهرب منه ، وإذا بى أسمع صوتاً تيقظت له روحى وتنبهت أعصابى ، صوتاً منبعثاً من قهوة هناك ذكرنى أيامى الخوالى وبلدى ومجالس لى فيه . واشوقاه إلى هذه المجالس ! صوتاً أبصرته يطفو على وجه هذه الأمواج العاتية من ضجة السوق وصراخ الباعة ، يرقص نورانيا ، ثم يذهب فى جوانب السوق القذرة فيغسلها ، ويطهرها ويحيلها جنة شممت عبيرها ، ورأيت وردها ، وسمعت تغريد بلابلها ، ذلك الصوت هو (دور) قديم للصفتى طالما سمعته فلم أملّه ، ولم تبل فى أذنى جدّته ، هو دور (يا الله اصلح الحال) الذى يقول فيه ، يصرخ صرخة متألم محروق (أنا على نار فى انتظار مطلوبى) و (يا اللى عليك العين تبكى أشوفك فين) يرددها وما أحلى ذلك الترداد إذ يقلب فيه الأنغام والقلوب ، وهذا هو سرّ فننا ، وفيه براعة المغنى من مغنينا ، أما الغافلون فيحسبونه ترداداً عطياً ، وقولا معاداً ، وهو السحر ، وهو الفتنة ... لقد نسيت منه السوق ، ونسيت يومى ، وعشت مع هذا العاشق الذى تبكى عينـه على حبيب لا يدرى أين مقره ومثواه . وأبصرت مأساته ، ولمست جرحه الدامى ، وأحسست دمه الآنى .

يا ناس ، افهموا عنا ، وسلوا قلوبكم ، ودعوا التقليد ، فلئن كان العلم عالمياً لا جنس له ولا وطن ، فالفن لعمرالفن ما كان عالمياً ولن يكون . حاولوا أن تطربوا الإفرنج بغنائكم . إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لغنائهم ، ولـكن منا من يستشعر قوتهم وضعفنا ، فيخادع نفسه رياء وتقليداً . يا ناس ، هذه أغانينا ، لا ما تنقلونه الينا من هناك . إنها لنا وحدنا . إنها ألفت من خفقات قلوبنا ، وأشواق محبّينا ، وزفرات عشاقنا ، ودموع آلامنا ، ودماء أكبادنا . ألا ترون المغنى ينطلق بها صوته حراً ممتداً ، على حين نرى أصحاب هذا الفن (الجديد) ، يغنون ملوية أشداقهم ، يعتصرون الحناجر اعتصاراً ، فيخيل إلىّ وأنا أسمع منهم (آه ...) وهم يرجعون ألفها ، أنى أمام نفساء تصرخ من آلام الوضع !

أليس حراما عليكم يا أيها الموسيقيون ، أن تحرمونا هذه المتعة بفننا الذى هو لنا ، وأن تأتونا بكل غريب عنا ! ألم تدركوا أن أذواق الناس لا تنشرح إلا للشرق الأصيل ؟ أنسيتم كيف هتف السامعون فى كل قطر عربى لصوت (على بلد المحبوب وديني) لأنه لحننا ، ومعانيه معانينا التى نحس بها ؟ ما لنا وللجندول

وأهل الجندول؟ ما لنا ولأنغام الإفرنج التى لاطعم لها فى حلوقنا ؟ ! إن كان لا بد من تجديد . فهاتوا مثل تجديد سيد درويش !

أما إننى قد أعجب بعبد الوهاب ، ولكنى أطرب لدور الصفتى أما الطرب الحق الذى يهز نفسى ويبلغ قرارتها ، فللعتابا الشامية ، والأبوذية البغدادية ، وهذه الأغانى البلدية المصرية !

أى والله وقولوا عنى ما شئتم !

لذة الخمول

إن من دأبى كلما هبطت بلداً لا أعرف فيه ، أن أجوب طرقه وأضرب فى سككه على غير هدى ، أمشى حيث يدعونى بصرى وتحملنى رجلاى ، وكلما رأيت مشهداً استوقفنى وقفت عليه ، أستمتع بالجديد أتقاه ، ولا يلقاه الناس جديداً لطول ألفتهم إياه ، وأعجب من الأمر لا يعجبون منه … لذائذ خصصت بها من بينهم وحدى !

وأختزن هذه الصور فى موضع الذكريات من نفسى إلى يوم الحاجة إليها ، كما يدخر مصور السينما ما يصور من المشاهد ليضعه فى مكانه من (الفلم) .

وسر المتعة فى هذا التطواف أنى أرى الناس ولا يرونى ، لأن جهلهم بى يصرفهم عن الانتباه إلىّ ، فأكون كمن يلبس (طاقية الإخفاء) فيحس الحرية والانطلاق وأنه هو وحده مكافئ لهؤلاء الناس كلهم ، وتلك هى لذة الخمول والنكارة ، وإنها لأكبر من لذة الشهرة . ولأن أمر فى الطريق لا يعرفنى فيه أحد أحب إلىّ من أن يشير بإصبعه إلىّ كل واحد ، وإذا كان الرجل المعروف يزهى وينتفخ فإنه يتقيد ويتضايق إذ يحس أنه مراقب ، تعد عليه أنفاسه ، وتحصى حركاته وسكناته ، وإن المجهول المغمور أهدأ منه بالا ، وأسعد حالا … فلا تحسدوا أهل الشهرة على شهرتهم ، بل اغبطوا أهل الخمول على خمولهم …

مجلة أوتوماتيكية :

من أعجب ما رأيت فى مصر ، وما أكثر عجائب مصر ، مجلة لا يدرى صاحبها من أمرها إلا أن يرسل الورق إلى المطبعة وأن يدفع الحساب ، أما الكتابة فيها وإعداد مقالاتها فيقوم به صاحب المطبعة بالمقص ، فهو يقطع من الجرائد والمجلات والرسائل ما يراه يصلح لها ، والمنضد يصف حروفه ، والطابع يطبعه ، ثم ترسل المجلة إلى المشتركين والباعة ، وأعجب من هذا كله أن صاحبها المكتوب اسمه فى رأسها بالقلم الجلى لا أثث ، لا يقرؤها ولا يطلع عليها أبداً ، ولا يحاول أن يعلم ما الذى نشر فيها …

… والناس يسمونه صحفياً ، وأديباً ، وكاتباً ، ووزارة المعارف — فيما سمعت — تشترى من مجلته أكثر مما تشترى من مجلة الرسالة مثلا … ويقال بأن هذا العصر عصر الحقائق ، لا عصر التدجيل !

التطبيع :

التطبيع : هو الخطأ المطبعى كما سماه الأديب الضليع واللغوى المحقق ، الذى لم يسم عضواً فى المجمع اللغوى فى مصر ، النشاشيبى .

وإن فى قلبى من التطبيع لحزات وغصصاً ، أكتب المقالة وأبعث بها إلى المجلة ، فتجيئنى وقد حرفت فيها الكلمات وصحفت ، وبدلت وغيرت ، وزلزلت عن مواضعها وزحزحت . وأتى بما لا يخطر لى على بال ونسب إلىّ ووضع عليه اسمى ، ولو عرفت العامل الذى صنع بى ذلك لأخذت بخناقه ، ثم لم يشف غيظى منه إلا أن أنزل عليه ركلا ولكما . ولكنى لا أعرفه ولا أناله ، فليعلم ذلك القراء ، حتى إذا استشكلوا شيئاً أو وجدوا خطأ قدروا الضمير المستتر فيه إلى العامل قبل إعادة الضمير فيه إلىّ ، أو سألونى عنه قبل أن يأخذونى به .

القاهرة
على الطنطاوى

تصويب

وقع تطبيع فى مقالة (كلمة لا بد منها) فى العدد ٦١٥ من الرسالة وهو :

الخطأ	العمود	السطر	الصفحة	الصواب
ردّه	٢	٣	٣٩٢	ردّ
يشنعوا	٢	٩	٣٩٢	يشفق
يخرج	٢	٩	٣٩٢	لا يخرج
فلا ينشر	٢	١٢	٣٩٣	ينشر
نصل	٢	١٣	٣٩٣	نصل إليها

العلم الحديث والعمران

للأستاذ نقولا الحداد

يقوم عمران البلاد على نتاج العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية ، ودماره يقوم على هذه أيضاً .

المدنية الغربية الحديثة هي مجموعة الاختراعات المادية العملية العجيبة التي أثمرها هذا العقل الإنساني القدير في القرن الماضي ونصف الحاضر مستندة إلى العلوم الرياضية والطبيعية ومقترنة بتوسع الشئون الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وصحية .

وأسوأ مساوئ هذه الاختراعات التي تعاظم شأنها مع تقدم العلم أنها كانت أفعل العوامل في تقويض العمران وإطفاء نور المدنية . فما ابتكرته هذه المدنية الحديثة من علم واختراع كان مقوضاً لأركانها وهادماً لبنيانها . وقد يكون في المستقبل العامل الوحيد لفنائها « كدودة القز ما تبنيه يهدمها » .

سطعت هذه المدنية الغربية حتى غلف ضياؤها سطح الكرة الأرضية ، وكادت تغمر النوع الإنساني بلوامع السعادة والهناءة ، لولا ما اعتورها من غياهب النزعات السياسية والاقتصادية ، فكانت هذه النزعات تثير ثورات الشعوب والأقوام بعضها على بعض فتطفئ تلك اللوامع بألوف منتجات الكيمياء والبخار والكهرباء التي تمتع بها العالمان القديم والجديد مما يعلمه كل إنسان وبألوف تلك المنتجات وما أضافته عقول الحرب إليها يتدمر الآن عمران العالم كله . لذلك يقول بعض قصار النظر : « لا كان العلم والاختراع ولا كان هذا الدمار » .

وقد خفي على هؤلاء أن الذنب ليس ذنب العلم والاختراع ، وإنما هو ذنب هذا العقل الإنساني العجيب الذي ابتدع هذا العلم الأرضي الباهر ، ولم يبتدع إلى جنبه خلقاً سماوياً ساطعاً .

لهذا أمكن جيش الشياطين والأبالسة أن يغزو ملكوت الإنسان ويفتحه ويستتب فيه ويملكه . فليس الذنب ذنب العلم ، بل هو ذنب النفس الأمارة بالسوء ، أصلح النفس وطهرها فيطهر العلم من عوامل الشر ويعمل للخير وحده . ما ذا كان نصيب الشرق من هذه المعمعة التي التحم فيها العقل المبدع والنفس الأمارة بالسوء .

كان أن الشرق سرق من فردوس الغرب بعض ثمار علمه وشاركه بالتمتع بها ولكنه لم يشاركه في فلاحة ذلك الفردوس وزراعته . على أنه لما جاء دور التدمير أصاب الشرق ما أصاب الغرب من ويلات التدمير . وأقل ما مني به الشرق أنه ازداد عبودية للغرب في السياسة والاقتصاد وغيرهما ، وبالتالي أصبحت سعادته الحيوية متوقفة على الفضلة الفاضلة من سعادة الغرب . وهذا الفقر في السعادة جزاء ذلك الفقر في العلم . وكيف يمكن أن نغتني بالسعادة ونحن لم نشترك مع الغرب في تحصيلها بل نسرق فضلاتها منه ؟

لا يمكن أن نرفع عن رقابنا نير العبودية للغرب إذ لم نباره في العلم العملي والاختراع والاصطناع . لو كان لنا علم وقوة اختراع وأمكننا أن نخترع الطيارة واللاسلكي والبارجة والغواصة ، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الاختراعات لاستحال على الغرب أن يستعبدنا وأن يبتز ثروتنا وأن يزعزع كياننا وأن ينغص عيشنا .

أخذنا العلم الحديث عن الغرب فلا حرج ، ولا عيب أن نقتبس العلم منه . الغرب اقتبس قبلنا من الشرق . ولكن أية فائدة عمرانية استفدنا من هذا العلم ؟ هل استفدنا منه أن نخلص من الاتكال على الغرب ؟ هل استطعنا أن نستقل عمرانيًّا أو اقتصادياً على الأقل؟

منذ بني خزان أسوان إلى اليوم ونحن نتحدث عن توليد الكهرباء منه . واصطناع السماد بواسطتها فلماذا لم نولدها ؟ — ليس ذلك لأنه لا يوجد عندنا رأس المال اللازم لهذا العمل العظيم ، ولا لأن الحكومة عاجزة عن تقديم المال ، ولكن ليس عندنا مهندسون كهربائيون يجرؤون أن يقدموا على هذا العمل أو يوثق بكفايتهم . وليس عندنا الآلات والأدوات اللازمة لهذا العمل ولا مصانع لها عندنا . ولذلك نعرض الشروع على المهندسين الأجانب مضطرين . فإذا لم يتفق الأجانب معنا على هذا المشروع لا يتكهرب خزان أسوان . وقس عليه كثيرا من المشروعات الاقتصادية العمرانية الكبيرة التي نحن محرومون منها لقصور فينا . إذاً فما ذا استفدنا من العلم الذي اقتبسناه ؟ ما استفدنا إلا أن شبابنا حصلوا على بعض الثقافات الفنية العملية التي تمكنهم من الارتزاق

فقط . ولكن بعد الحصول على وسائل الاسترزاق لم يستمر المتثقفون فى طلب المزيد من العلم بعد الحصول على الدبلوم التى توصل إلى حرف الارتزاق . فلما نرى متثقفاً يستمر فى الدراسة بنية الاستزادة من المعرفة ، ولا نرى متثقفاً قصد البحث فى العلم بنية اكتشاف نظرية علمية أو استخراج حقيقة جديدة . والأرجح أن معظم الذين تخرجوا وغنموا الشهادات التى تخولهم حق العمل لم يعودوا يفتحون كتاباً لترويض عقولهم وتوسيع معارفهم لكى تحفز أذهانهم للبحث والتفكير والاستنباط .

أ كسلا كان هـذا الإهمال أم عجزاً أم ضعفاً عقليا ام قلة ثقة بالنفس وتمادياً فى الاتكال على الغرب ؟

فلقلة اكتراث المتثقفين بالمطالعة لا نرى فى مطبوعاتنا اليومية إلا النزر اليسير من المؤلفات العلمية المفيدة التى تحتوى على كل ما استجد من الحقائق العلمية ، وكل يوم تظهر معلومات جديدة فى العلم . ولكن الذين كانوا فى معاهد العلم قبل ظهورها لم يقفوا عليها لأنهم لم يجدوها فى مطبوعاتنا الجديدة . وإذن فكأنهم لم يثقفوا الثقافة التامة .

لا نرى من المطبوعات الجديدة عندنا واحداً فى المائة حتى ولا واحدا فى الخمسائة من المؤلفات العلمية التى تلم بكل جديد من العلم . لا نرى إلا مئات المؤلفات فى الأدب والقصص واللغة والتاريخ الخ . ولكن بكل أسف لا تقوم المدنية على الأدب . ولولا ما نقتبسه من علم الغرب لكنا بلا مدنية عصرية نجارى بها العالم .

الأدب ليس قوام المدنية وإنما هو حلية لها . فاذا كانت المدنية مزينة بأجمل الحلىّ وأثمن الجواهر ولكن على بدنها أطمار الجهل العلمى فهل نقول إنها حسناء رائعة الجمال ؟

وكيف تحيا وتترعرع وهى بدن سقيم وجسم ضعيف . وكيف يبدو جمالها وهى لاقلب ولاروح . ليس بالقصائد والقصص وروائع الأدب اخترعت الطيارة والسيارة واللاسلكى والسينما والمطبعة إلى غير ذلك من ألوف الاختراعات التى يتمتع بها البشر الآن . الأدب وحده لا يبنى مدنية أو عمراناً بل هو ثانوى فى بناء العمران وإنشاء المدنية .

بكل أسف نقول إن الأدب طغى عندنا على العلم حتى كاد يختنق هذا وراء الغيوم ، ولم يعد المتثقف وقليل الثقافة يرى فى سوق الطباعة إلاَّ قليلاً من الأدب الجيل وكثيراً من الأدب السخيف . فكيف يمكن أن تكون لنا مدنية ذاتية خاصة بنا وغير مستعارة وغير مزيفة ؟

لسنا فقراء فى رجال العلم . ولكننا فقراء فى قراء العلم حتى من المتثقفين ، وأغنياء بقراء الأدب الفكاهى وبقليل من الأدب الراقى الصافى . ولذلك قلَّ الذين يؤلفون فى العلم ويقدمون لنا ثمرات العلم الحديث .

لولا بعض المجلات التى تعنى قليلاً بطرائف العلم الحديث ، ولولا بعض المؤلفين الذين أغرموا بالمطالعة والتأليف والنشر لكان عندنا قحط علمى يُعنون مدنية زائفة .

حبذا لو أمكن إحصاء اقبال القراء على المؤلفات العلمية ذات القيمة لكى نعلم هل نحن جادون فى التقدم العلمى ، وأن هذا التقدم يبشرنا بأننا مقبلون على مساهمة الغربيين فى الانتاج العلمى والاختراع والاكتشاف لكى نستبشر بالاستقلال العمرانى الحقيقى وعدم الاضطرار إلى الاتكال على الغرب فى بنيان مدنيتنا .

إذا عرفنا أن للمؤلفات العلمية ونحوها إقبالاً من القراء كبيراً عرفنا أننا نبنى عمراننا وليس الغربيون يشيدونه . هل يا ترى من وسيلة لهذا الاحصاء لكى نعلم فى أية درجة نحن من التقدم العلمى ؟

نقولا الحداد

الأفغاني والوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

— ٣ —

ماذا كان يرجو السيد الأفغاني من وراء الوحدة ؟ وماذا كان يعلق عليها من الآمال والأغراض ؟ ويحدد لها من الأهداف والغايات ؟

لقد كان الرجل يقف من ذلك بادىء الأمر عند مسألة المسائل ، فكان كل مايرجو أن تكون الوحدة قوة دفاعية تقف في وجه الأستعمار ، وتقوم « سداً يحول عن المسلمين السيول المتدفقة عليهم من كل جانب » ، ومعنى هذا أنه كان يرجو من الوحدة أن تكون وقاية وحماية ، هدفها الوقوف في وجه الخطر وكفى ، ولكنا نراه بعد ذلك يتوسع في الأمل ، ويتفسح في الغاية ، إذ يقرن « بالميل إلى وحدة تجمع ، الكلف بسيادة لاتوضع !! » ، ويطمع أن يرى المسلمين « تتلاقى هممهم ، وتتلاحق عزائمهم في سبيل الطلب ، فيندفعون للتغلب على الذين يلونهم ، كما تندفع السيول على الوهاد ، وألا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه ..!!

وكأن الرجل قد رأى نفسه في القمة من الرأى والقوم لايزالون يدرجون عند السفح ، وكأنه أدرك أنه بلغ في التوسع بالأمل مبلغاً تتعاظمه النفوس ، وتستهوله العزائم ، فأخذ يتلمس كل وجه من وجوه التدليل على مايجب من الحماسة لهذه الغاية الضرورية ، وراح يبذل كل ما في وسعه من اللباقة والزلاقة ليصل بهذا الرأى إلى أطواء القلوب ومكامن العقيدة ، فنراه يقرر أن الوحدة والسيادة « أمران خطيران ، تحمل عليهما الضرورة تارة ، ويهدى إليهما الدين تارة أخرى ، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه ، بل يستلزمه » ، وبعد أن يتمشى الأفغاني في شرح هذا الاستلزام من الناحية النظرية ، يجنح في الاستدلال إلى مايدل عليه « تصفح تاريخ الأجناس ، واستقراء أحوال الشعوب في وجودها وفنائها ، وما درجت عليه سنة الله في الجمعيات البشرية ، من جعل حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها في الغلب ..!! » ، ثم ينتهي في أسلوبه هذا إلى الوتر الحساس ، وتر الدين المشدود بالقلوب ، فيقرر « أن الوفاق والغلب ركنان شديدان من أركان الديانة الإسلامية ، وفرضان محتومان على من يستمسك بهما ، فمن خالف أمر الله فيما فرض منهما عوقب من مقته بالخزى في الدنيا والعذاب في الآخرة ..!! » ، ولكنه لايخلص من هذه النتيجة إلا بعد أن يدعمها بكثير من آيات التنزيل ومأثور السنة ومواقف الإسلام..

فما هذا ؟ أهي أحلام المجد ، ونعرات مثالية كانت تملأ رأس الرجل وتفعم وجدانه ؟ أم هي دعوة إلى الممكن يؤدى إليها الامكان ويحتملها الجهد ؟! يبدو لنا أن الأفغاني وضع أمامه صورة الأمبراطورية الإسلامية في عصرها الزاهر ، وسلطانها الغالب ، وأخذ يرسم للمسلمين صورة مماثلة لها ويضعها أمامهم الغاية الرشيدة التي يجب عليهم بلوغها والأخذ بأسبابها ، فكان صنيعه هذا كصنيع الحكماء فيما تصوروه في قيام « المدينة الفاضلة » ، كل ماعندهم أن يصح الرأى في أذهانهم ولا شأن لهم إذا لم يصح في عالم الواقع الذى عليه الناس ، وهكذا راح الرجل يموج في أمل طويل عريض ، ويقف بالرأى عند غاية تحتاج في إدراكها إلى رجال وحبال كما يقولون ، وفاته أنه كان يهز جسماً فقد حيويته ، وينادى على عالم ضاعت معالمه ، فليس هذا مما يكفي في إيقاظه ، ولكنه كان يحتاج إلى بعث جديد ، وخلق من طراز آخر .

فالأفغاني لم يكن في أمله هذا بالرجل السياسي الذى يرسم طريق الخلاص على ماتسمح به الظروف والملابسات ، وما يمكن أن يكون في عالم الواقع الماثل بما يصح أن تبلغه الجهود ويؤدى إليه الاستعداد ، ولكنه كان ينزع نزعة مثالية يضع بها الأمل فوق العزم ، وينتهي فيها إلى غاية أكبر من الجهد ، وهل كان من الممكن أو من المعقول أن ينهض العالم الإسلامي الذى فرقه الاستعمار ، وقتله الجمود ، وفقد كل عدة مادية ، وقوة معنوية ، فيقف بين عشية وضحاها جبهة مدافعة ، وقوة متسلطة ، أمام الغرب الطاغي ، والاستعمار الزاحف بما لامثيل له في التاريخ من أساليب السياسة والفكر ، وأفانين العدة والذخر . فياليت شعرى ، ألم ير الأفغاني ، وهو الذى طوف بكثير من أنحاء الدنيا

كيف كان الغرب يسير بالبخار وبالكهرباء على حين كان الشرق فى ذلك الوقت لايزال يركب الجمل ؟ ! .

إنها فى الواقع حقيقة لم تغب عن فطنة الأفغانى ، ولم تغرب عن إدراكه النافذ ، فعلى الرغم من أنه كان يثق ثقة كبيرة بالقيمة العددية واحتشاد الجموع ، فإنه لم يقف بأمله عند تحقق الوحدة وجمع الكلمة ، بل أخذ يدعو إلى الإستعداد النادى « واكتناه أسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته » ، وإنه ليضرب للمسلمين المثل فى ذلك بأمة الروس ، وهى كما كانت « أمة متأخرة فى الفنون والصنائع عن سائر أمم أوروبا ، وليس فى فى ممالكها ينابيع للثروة ، ولكن كانت ، فليس هناك مايستفيضها من الأعمال الصناعية ، فهى مصابة بالحاجة والفاقة والعوز ، غير أن تنبيه أفكار آحادها لما به يكون الدفاع عن أمتهم ، واتفاقهم على النهوض به ، وارتباط قلوبهم صير لها دولة تميد لسطواتها رواسى أوروبا . لم يكن لروسيا مصانع لمعظم الآلات الحربية ولكن لم يمنعها ذلك عن اقتنائها ، ولم يرتق فيها الفن العسكرى إلى ما عليه جيرانها ، إلا أن هذا لم يقعد بها عن جلب ضباط من الأمم الأخرى لتعليم عساكرها حتى صار لجيشها صولة تخيف ، وحملة تخشاها دول أوروبا .. »

وهذا صحيح ، صحيح فى عالم المعقول ، وفى عالم الإمكان . وهنا يسير الأفغانى بأمله فى الوحدة إلى طريق عملى ، ويهدى إلى أسلوب واقعى ، كان من الضرورى أن يكون فى إدراك الغاية . وبلوغ الهدف ، وهو الذى كان فعلا فيما أخذت به الأمم الإسلامية فى نهوضها وفى توثبها إلى حياة العزة والحرية ، وما من شك فى أن الأفغانى كان يعلم أن هذا الطريق يستغرق فى اجتيازه مسافة من السنين والأعوام ، وأنه لايؤدى إلى نتيجة عاجلة يستطيع العالم الإسلامى بلوغها فى أيام ، ولكنه على الرغم من ذلك كان ينادى ويهيب ويتعجل الغاية ويطمع أن يرى القوم عندها بين طرفة عين وانتباهتها ، وهنا يبدو الأفغانى مرة أخرى مسرفاً فى الأمل ، مغرقاً فى الرجاء .

إن بناء الأمم والشعوب يتمشى مع الزمن وتطور الأيام . ولن تستطيع دعوة من دعوات الإصلاح أن تؤتى ثمرها وأن تحقق النتيجة من ورائها إلا إذا نضجت واستوت وأشربتها النفوس والقلوب عقيدة راسخة ثابتة ، فالمبادىء التى نادت بها الثورة الفرنسية لم تستطع القوة أن تحققها طفرة ، ولم تقدر المقصلة أن تفرضها رغباً ورهبة ، ذلك لأن الزمن لم يكن قد أنضج تلك المبادىء بعد ، فشبت الثورة واستطار لهيبها فى أرجاء العالم ، ثم همدت وماتت وقد خلفت من ورائها تلك المبادىء يحققها الزمن بما فى قدرته على الإنضاج والتسوية ، ولا يزال الزمن يجد فى تحقيقها إلى اليوم . وكذلك كانت الثورة العرابية ، تلك الثورة التى قامت كما نعلم تروم خطة واسعة وغاية كبيرة كانت لا تزال نجوى فى المجال الفكرى والعقلى عند القادة ، ولم تكن قد انحدرت بعد إلى قلب الشعب فى مكان العقيدة ، ولهذا فشلت الثورة بها فجأة كما قامت فجأة ، وانتهت على أهون مايكون كما ابتدأت بأهون مايكون . ولو أن الشعب كان يضم جوانحه على ماتنادى به الثورة من المبادىء والأغراض ، وما تهدف إليه من المطامح والغايات ، لما أفلحت الدسيسة فى خذلانه ، ولا وجدت الخيانة مكانا بين صفوفه ، ولما سلم فى الجولة الأولى وجعلها بداية النهاية .

فما نحسب أن الأفغانى كان يخفى عليه إدراك هذه الحقيقة ، ولكنه كان ينظر إلى طغيان الاستعمار على الشرق وإلى المطامع التى أنشبت أظفارها بعنقه ، فكان يفزع لسوء المغبة ، ويجزع من التراخى أمام الكارثة ، ويصرخ بدعوته إلى رأب الصدع وحشد الجهود وفى الأمل بقية . وإن من الظلم للتاريخ وللرجل أن نتهمه بالفشل وأن نصف مسعاه بالخيبة ، فحسبه نجاحا أنه رسم الطريق ، وهيأ الأذهان ، وأقام فكرته عقيدة كان لها أكبر الأثر فى توجيه الشرق الإسلامى إلى مجالى النهوض والتجمع ، وإن ماوصلنا إليه من وضع فى الوحدة ثمرة من ثمرات ذلك الرجل العظيم .

لقد أيقظت دعوة الأفغانى الشرق ، كما أفزعت الغرب ، وعلى الرغم من أن الرجل كان يبذر آراءه فى تربة غير صالحة من طول ما تراكم عليها من صدأ الجهل واستبداد الظلم وبؤس الخنوع ، فقد استطاع لصدق غيرته وشدة نخوته وقوة شخصيته أن يصل بها إلى قرارة النفوس والقلوب ، وأن يحشد لها جهود الغيورين ، وأن يقيم لها دعامة قوية من التلاميذ والمريدين ، وبهذا أصبحت تياراً

فكريا مضاداً لأطماع الاستعمار الأوروبى من جهة ولمفاسد الاستبداد العثمانى من جهة اخرى ، ولم يكن الاستعمار الأوروبى الطامع بجهل خطر هذه الدعوة عليه إذا ما نجحت ، ولم تكن تركيا دولة الخلافة والرئاسة تنظر إليها إلا بعين الشك والريبة ، بل كانت تراها فكرة هدامة ، ودعوة إلى التمرد على « الاسلامية » التى تمثلها الخلافة ، فكان من الطبيعى أن يكون الأفغانى ومريدوه والمتشيعون له هدفاً للمناهضة والتنديد والاتهام . وكان أول تهمة ألقيت على الأفغانى وأتباعه فى دعوتهم أنهم دعاة عصبية وتعصب . وقيل يومذاك إنهم يريدون النهوض بالمسلمين على حساب الطوائف الأخرى التى تقطن البلاد الإسلامية ، وارتفعت صيحات كثيرة تندد بالتعصب وبالمسلمين « الجامدين » الذين يدعون إلى العصبية . ارتفعت هذه الصيحات من جانب الغرب وفى وسط الشرق الاسلامى نفسه ، وكان لها أثر ملموس فى مناهضة الوحدة على الوضع الذى كان يريده الأفغانى ، وإنها لتهمة مغرضة ينكرها الرجل كما ينكر دعاتها ، ولهذا اضطر الرجل أن يرسل هذه الصيحة للتحذير والتنبيه فى العدد الثامن من مجلة العروة الوثقى إذ يقول : « لا يظنن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحياناً ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم ، ويتفق معهم فى مصالح بلادهم ، ويشاركهم المنافع من أجيال طويلة ، فليس هذا من شأننا ولا مما نميل إليه ، ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا ، ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم ، والأفساد فى بلادهم ، وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب فى الأقطار التى غدر بها الأجانب ، واستأثروا بخيراتها ، وأذلوا أهلها أجمعين ... »

فالأفغانى لم يكن داعية تعصب دينى بالمعنى المفهوم فى الغرب ، ولم يكن داعية تعصب جنسى يقف عند صلات الدم ، ولكنه كان ينادى فى ذلك بروح الإسلام السمحة ، وقد لبث هو وتلاميذه يصولون فى مجالس الدعوة بهذه الروح وفى هذا الاتجاه ، وإذا كانوا فى كتاباتهم قد دعوا إلى العصبية ، فانما هى العصبية للنهوض والأخذ بأسباب التقدم ، ولو أننا رجعنا إلى كتاباتهم لرأيناهم يستعملون العربية والشرقية مرادفة للاسلامية ، وإنما دعا الأفغانى وأتباعه إلى الوحدة باسم الإسلام لتكون أعم وأشمل ، وليدخل فى حسابها أمم إسلامية لا تمت إلى العربية ولكن لابد من ضمها إلى الوحدة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن « الإسلامية » كانت كما يقول بعض الكتاب : « رمزاً لروح خاص ، وعقلية خاصة ، وحضارة خاصة أيضاً » ، وقد كانت الرباط المتين الذى ربط أجزاء الأمبراطورية العربية على طولها وامتدادها فى أفريقية وآسيا وأوروبا ، وقد كانت تركيا نفسها تحكم هذه الشعوب وتبسط سلطانها على جميع الطوائف فى الشرق باسم الاسلام وحمل لواء الخلافة الاسلامية .

والواقع أن الأفغانى لم يكن واهماً فى اختيار العامل الدينى للوحدة وجمع الكلمة ، فقد ظل هذا العامل يكيف التفكير الاجتماعى والاتجاه العمرانى فى الشرق آمادا طويلة وقرونا متعاقبة ، ولم يكن لعامل من العوامل فى تحريك الوجدانات والعواطف وسحر العقول والقلوب مثل ما كان لذلك العامل العريق الذى صنعه الزمن وقواه التاريخ وأرسخته المشاعر المستغرقة ، فكان اختيار الأفغانى اختيارا طبيعياً ضرورياً لا غبار عليه ولامناص منه ، لأنه أمسك برابطة قوية متينة لا تقوى عليها إلا رابطة راسخة تسندها قوة دافعة ، ولو أن الرجل تنكب هذا الطريق ونظر إلى الاعتبار السياسى بعيدا عن هذه الرابطة لما صنع شيئاً ، ولضاعت صرخته فى واد .

(للكلام صلة) **محمد فهمى عبد اللطيف**

صوت من العالم الآخر

للأستاذ نجيب محفوظ

— ٢ —

غمرني شعور عجيب بأني فارقت الحياة ، وأني لم أعد من أهل الدنيا ، ماذا حدث ؟ ! وما الذي تغير فيّ ؟ ! مازلت في الحجرة . والحجرة كما كانت ، فأمي وزوجي تحنوان على جسمي ، ولكن حدث شيء بلاريب ، بل أخطر الأشياء جميعاً . لم أوخذ على غرة . ولو كان بي قدرة على الكلام لأجبت زوجي — حين سألتني « توتي ... ماذا تجد ؟ » بأني أموت . ولكني فقدت قدرتي على الكلام وغيره . فلم أوخذ على غرة كما قلت ، وشعرت بزورة الموت كما يشعر المضطجع بدبيب الكرى وتخدير النعاس . ثم رأيته جهرة . والذي لاشك فيه أن الموت ليس مؤلما ولا مفزعا كما يتوهم البشر ، ولو عرف حقيقته الحيّ لنشده كما ينشد نشوة الخمر المعتقة ، وفضلا عن هذا وذاك فلا يخامر المحتضر أسف ولا حزن بل الحياة تبدو شيئاً تافها حقيراً إذا ما تخايل في الأفق ذاك النور الآلهي البهيج . كنت مكبلا بالاغلال فانفكت أغلالي . كنت حبيساً في قمقم فانطلق سراحي . كنت ثقيلا مشدوداً إلى الأرض نخلصت من ثقلي وأرسلت وثاق . كنت محدوداً فصرت بغير حدود . كنت حواسّ قصيرة المدى فانقلبت حسا شاملا كله بصر وكله سمع وكله عقل ، فاستطعت أن أدرك في وقت واحد ما فوق وما تحتي وما يحيط بي ، كأنما هجرت الجسم الراقد أمامي لأتخذ من الكون جميعاً جسماجديداً . حدث هذا التغيير الشامل الذي يجل عن الوصف في لحظة من الزمان ، بيد أني ما برحت أشعر بأنيَ لم أغادر الحجرة التي شهدت أسعد أيام حياتي السابقة . كأن العناية وكلتني بجسمي القديم حتى ينتهي إلى مستقره الأخير ، فجعلت أتأمل ما حولي في سكون وعدم اكتراث . وقد غشي جو الحجرة حزن وكآبة ، وأخذت أمي وزوجي تتعاونان على إنامة جسمي على الفراش ، ثم قبلت زوجي جبيني . ولثمت أمي قدمي ، ونادتا أبنائي والخدم . وراحوا جميعاً يعولون وينتحبون ، رأيت جسمي — صاحبي القديم — بملامحه المعهودة راقداً لاحراك به ، وقد ابيض لونه وشابته زرقة وتراخت أعضاؤه وأطبق جفناه ، ومضى الحاضرون يسكبون عليه الدمع الغزير يكادون يهلكون كمداً وحزناً وغما . ومضيت أنظر اليهم بعدم اكتراث غريب كأنه لم تربطني بهم يوما آصرة قربى ! ما هذا الجسم الميت! لماذا تصرخ هذه المخلوقات ؟ ما هذا الأسى الذي جعل من سحنهم دمامة شوهاء ! كلا لم أعد من أهل هذه الدنيا ، ولم يردني إليها صراخ أو بكاء ، ووددت لو تنقطع أسبابي بها لألحق في عالمي الجديد . ولكن وا أسفاه ، إن بقية من حريتي لم تزل عزيزة عليّ ، أسيرة إلى حين . فلآخذ نفسي بالصبر وإن شق عليّ . وجاءت أمي بملاءة وسجت الجثة ، ثم أخرجت العيال والخدم ، وأخذت زوجي من يدها ، وغادرتا الحجرة ، وأغلقتا الباب . لم يغيبا عن ناظري لأن الجدران لم تعد حائلا يحجب شيئاً عن بصري . فرأيتهما وهما تغيران ملابسهما وترتديان السواد ، ثم اتجهتا نحو فناء الدار وهما تحلان من ضفائرهما وتحثوان التراب على رأسيهما ، وخلعتا النعال وهرعتا إلى باب الدار ، وانطلقتا تصوتان وتلدمان ، ومضت أمي تصرخ « وا إبناه » فتصرخ زوجي « وا زوجاه » ثم تهتفان معا « يا رحمتا لك يا توتي المسكين ! خطفك الموت ولم يرحم شبابك » وتركتا الدار على تلك الحال من العويل والنواح ، وأخذتا في طريقهما ، حتى إذا مرتا بأول دار تليهما برزت لهما ربة الدار في ارتياع وصاحت بهما : « ما لكما يا أختاي ! » فأجابت المرأتان « خربت الدار ، وتيتم الصغار ، وثكلت الأم ، وترملت الزوج ، يا رحمة لك يا توتي ! » فصوتت المرأة من أعماق صدرها وصاحت « واحر قلباه ... يا خسارة الشباب ... يا ضيعة الآمال ... » وتبعت المرأتين وهي تحثو التراب على رأسها وتلطم خديها ، وكلما مررن بدار برزت ربتها وانضمت إليهن ، حتى انتظم الحشد نساء القرية جميعاً ، وتقدمتهن امرأة دربة بالنياحة ، فجعلت تردد اسمي وتعدد فضائلي ، وذهبن يقطعن طرقات القرية باعثات الحزن والأسى في كل مكان . هذا اسمي تردده النائحات ، ما له لا يحركني ؟ !

أجل ، لقد صار الاسم غريباً غرابة هذه الجثة المسجاة ، وبت أتساءل : متى ينتهي هذا كله ؟ متى ينتهي هذا كله ؟ ! وعند ما

أتى المساء جاء الرجال وحملوا الجثة إلى بيت التحنيط والصراخ يطبق علينا ، ووضعوها على السرير بالحجرة المقدسة . كانت الحجرة مستطيلة ذات اتساع كبير ، وليس بها من نافذة إلا كوة تتوسط السقف ، وفي الصدر قام السرير ، وعلى الجانبين رفعت رفوف رصت عليها أدوات الكيمياء ، وفي الوسط — تحت الكوة — حوض كبير مليء بالسائل العجيب ، وخرج الرجال فلم يبق إلا رجلان . وكان الرجلان حكيمين من المشهود لهما في فنهما ، فأخذا في عملهما دون إبطاء ، وقد جاء أحدهما بطست ، ووضعه على كثب من السرير ، ثم تعاونا معاً على تجريد الجثة من ملابسها حتى بدت عارية لا يحجبها شيء . فعلا ذلك في هدوء وعدم اكتراث ، ثم قال الذي جاء بالطست وهو يغمز عضلات صدري وذراعي : « كان رجلا قوياً ... انظر ! » ؛ فقال الآخر : « كان توتى من رجال الأمير ، يؤاكله ويشاربه ، وفضلا عن ذلك ، فقد خاض غمار الحروب ! » ؛ فقال الذي جاء بالطست متحسراً : « لو أن الأجسام تعار ! » ؛ فأجابه الآخر ضاحكا : « أيها العجوز ، ما جدوى جسد ميت ؟ ! » ؛ فقال وهو يهز رأسه : « كان قوياً حقاً ! » ؛ فقال الآخر ضاحكا وهو يتناول خنجراً طويلا حاداً من أحد الرفوف : « فلنختبر قوته ! » وطعن الجانب الأيسر فيما يلي الصدر بخنجره ، حتى غاب نصله ، وشقه حتى أعلى الفخذ ، وأعمل في الداخل يده بمهارة ودربة ، ثم استخرج الأمعاء والمعدة ، وأودعها الطست ، وقفاها بالكبد والقلب ، فسرعان ما رأيت باطني جميعاً ، ولم يستغرق ذلك إلا دقائق معدودة ، فالرجل من مهرة المحنطين الذين أتقنوا عملهم أيما إتقان ، ورحت أنظر إلى باطني بعناية ، وبخاصة إلى معدتي التي عرفت بقوتها ونشاطها ، ولم يحل غلافها دون رؤية ما بداخلها بفضل تلك القوة السحرية التي اكتسبها بصري ، فرأيت فيها مضغ الأوزة والتين وبقايا النبيذ التي تناولتها على مائدة الأمير مساء الأمس ، وذكرت قوله حين عزم عليّ بالطعام « كل يا توتى واشرب ، وتمتع بالحياة أيها الرجل الأمين ! » ... رأيت وذكرت دون أن يعروني أي تأثر أو انفعال ، ودون أن يزايلني عدم الاكتراث العجيب ؛ ثم حولت بصري إلى قلبي فرأيت عالما حافلا بالعجائب . رأيت بشغافه آثار الحب والحزن والسرور والغضب ، وصور الأحبة والرفاق والأعداء ، وقد ترك الهيام بالمجد به فجوة عمقها ما خضت من معارك في بلاد زاهي والنوبة . ولاحت على رقعته مشاهد مروعة لميادين القتال ، وأجزاء ملتهبة دامية من أثر ذلك الطمع العنيف الذي بعثني للكفاح بلا رحمة حتى ضممت إلى أرض أسرتي قطعة أرض تجاورها نازعني عليها جار بضع سنين . رأيت فيه جل حياتي وما عانيت من الاهواء . أما الرجل فمضى في عمله يحدوه الهدوء والمران ، فأتى بكلاب دقيق وأولجه في أنفي باحتراس حتى تمكن من هدفه ، ثم وجهه بدراية وعنف وجذبه بسرعة ، فسال مخي الكبير من منخري مادة رخوة تذرو في الهواء ما تجمع فيها من لوامع الفكر ولآلىء الآمال ودخان الأحلام . هذه أفكاري منقوشة أمام عيني ، فإذا قارنتها بنور الحق الذي يتخايل لروحي بدت تافهة مشوهة ، لقد قتلها المثوى الذي آوت إليه : رأسي ومخي ، ها أنذا أقرأ القصيدة التي صغتها في وصف قادش ! وهاهي ذي الخطب التي ألقيتها بين يدي الأمير في المناسبات المختلفة ، وهذه آرائي في آداب السلوك . وهذه الحكم التي حفظتها عن حقائق النجوم كما جاءت في كتب قاتمنا ! كل أولئك أزاحه الرجل مع فتات المخ فاستقر بين الأمعاء والمعدة في الطست الدامي ، غير ما تناثر على الأرض فداسته الأقدام . قال الحكيم وهو يعيد الكلاب إلى موضعه « الآن صارت الجثة نظيفة ! » فقال صاحبه ضاحكا « ليتك تجد بعد موتك يداً ماهرة كيدك ! » وحمل الحكيمان ما تبقى من جسمي إلى الحوض الكبير ، وألقياه فيه ، فامتلأ بالسائل الساحر وغرق فيه ، ثم غسلا أيديهما وغادرا المكان ، وقد أدركت أن الحجرة لن يعاد فتحها قبل مرور سبعين يوماً — مدة التحنيط — فمسني الجزع ، ووقع في نفسي خاطر أن أنطلق بروحي إلى العالم لألقي عليه نظرة الوداع ...

(للقصة بقية)

نجيب محفوظ

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

— ٣ —

تم والحمد لله ميثاق الجامعة العربية العتيد بعد أن وافقت عليه المجالس النيابية فى البلاد الدستورية والحكومات فى البلاد الأخرى، فعمَّ الابتهاج وشمل السرور بذلك نفوس أبناء العرب جميعاً

ولقد اقترح بعض المتحمسين جعل يوم توقيع هذا الميثاق وإعلانه عيداً قومياً عربياً تحتفل به هذه الدول فى كل عام تقديراً لهذه الوحدة وتذكيراً . وحق لهم أن يقترحوا ذلك وأن يدعوا اليه وإنا لنشاركهم فى هذه الدعوة . فهو عيد وأى عيد . قال عنه عزيز مصر ومليكها المفدى إنه أسعد يوم فى حياته . وكيف لا نسعد به جميعاً وهو اليوم الذى وُضع فيه الحجر الأساسى فى إعادة بناء مجد الأمة العربية التليد ، لجعل وحدتها فى تعاونها وتناصرها أمراً واقعاً وسياسة عملية محققة تضم شتاتها وتجمع وحدتها وتؤلف بين قلوبها وتقوى أواصر المودة والأخاء بين أبنائها . وقد أصبح من آمالها القريبة المنال إن شاء الله توحيد تشريعاتها وقوانينها بحيث تستق جميعاً من منبع واحد وتنهل من معين واحد وترجع كلها إلى أصل واحد وتدور حول محور واحد هو ملتقى آمالها وجامع عناصر قوتها ووحدتها فتصبح بذلك أمة موحدة إسما ومعنى ، تسير بمختلف فروعها إلى غايات نبيلة واحدة وأهداف سامية واحدة مشتركة . وإن أهم ما يحقق تلك الوحدة ويجمع فلولها ويقوى أواصرها لهو توحيد الثقافة فيها ووضع البناء الذى بدأ يتكون من لبنات صغيرة مفككة على أساس من الرابطة القوية المتماسكة حتى لا يشذ طفل فى رجولته المستقبلة ، ولا تضل جماعة بعد ذلك اتجاهها نحو الغايات السامية والأهداف العظيمة الموحدة .

من أجل ذلك تشخص أبصارنا وأبصار رجال التربية والتعليم والثقافة فى مختلف دول الجامعة إلى وزارة المعارف المصرية التى بدأت تنظم نفسها على أسس جديدة فتية ، آملين أن تتجه فى سياستها الحديثة إلى جمع أشتات بنى العروبة فى تثقيفهم وتعليمهم وتربيتهم ، وأن تعمل جهدها على تقريب المسافات وتقليل الفروق بين مختلف الثقافات وتوحيد الاتجاهات فى الأخذ بأساليب التربية الحديثة فى مختلف معاهد العلم والتعليم فى دول هذه الجامعة الفتية .

وإن خير ما تعمله فى هذا السبيل أن تبدأ بالدعوة إلى مؤتمر جامع من رجال التربية والتعليم فى مختلف دول العروبة يعقد فى مصر لتبحث فيه الأسس التى تراعى فى وضع سياسة تعليمية عامة موحدة على أساس من التفاهم والتناصر والتعاون والاتصال المستمر الدائم وتبادل المنافع والآراء العلمية بين معاهد هذه الدول الناطقة بالضاد فعسى أن يكون ذلك الخير قريباً .

لقد أحسنت هذه الوزارة فى تنظيم نفسها وفروعها على أساس ثابت من اللامركزية بعد أن طال تأرجح هذه الفكرة فيها تأرجحاً كاد يودى بها . وإن خير ما فى هذه الفكرة لهو إعطاء سلطة واسعة لنظار المدارس حتى تكون المدرسة كخلية مستقلة تنظم نفسها حسب ظروفها وبيئتها المحيطة بها وتوجه أبناءها إلى دراسة وافية لتنتفع بهم وينتفعوا بها وإلى تعرف مركز بيئتهم وأحوالها وكل ما يتصل بها وتعرف علاقاتهم باخوانهم فى الوطنية المصرية وأبناء عمومتهم فى مختلف دول الجامعة العربية ، وإلى ما تستلزمه تلك العلاقات الحديثة والقديمة من ضرورة التفاهم والتآزر والتعاون والتناصر فى سبيل العمل للخير الخاص والخير العام (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

فإذا كانت المدرسة المصرية إلى اليوم ، لا تزال مع الأسف نواة لأخراج شُعَب مشتت الإتجاه متباين التفكير غير موحد الثقافة بسبب تفرع التعليم فى مدارسنا منذ البداية ، وبسبب تشتته فى المرحلتين الأوليين منه اللتين هما عماد الثقافة العامة وأساسها ، وبسبب تنوع طوائف المعلمين فى المعهد الواحد وتنكر بعضهم لبعض وتنافر بعضهم مع بعض وعدم تعاون بعضهم مع بعض كما أسلفنا ، فقد أصبح لزاما وقد تزعمت مصر دول العروبة أن نعمل جهدنا لوضع أساس المدرسة الموحدة فى المرحلة الأولى من التعليم خاصة وفى المرحلة الثانية منه عامة ، وأن نبذل كل ما فى وسعنا لإيجاد المعلم الموحد الثقافة المستقل التفكير الحى الضمير ، ليكون دعامة قوية للأمم العربية جمعاء وعونا لها على توحيد ثقافتها وتكاتف أبنائها والسير بهم قدما فى صفوف متوازية إلى أهداف الجامعة وأغراض الوحدة .

نعم أصبح لزاما أن تكون المعلم تكوينا جديداً ينفق مع هذا الوضع الجديد ومقتضيات أحواله ، وأن نبصره بانبثاق هذا الفجر الجديد الذى غمرنا بضيائه ، وأن نوجهه التوجيه الملائم ليكون خير قدوة لأبنائه وخير حافز لهم على متابعة النهوض بالبناء الجديد . وإن خير ما نفعل فى هذا السبيل أن نوحد معاهد تخريج معلمى التعليم العام توحيداً يضمن لأبناء الجيل المقبل فى دول الجامعة تفاهما وتناصراً وتعاوناً . وأن نبنى ضمير المعلم من جديد لا على أساس المادية الجشعة التى تتابعنا فى كل مكان فتحطم نفوسنا وتقوى سلطان الهوى فينا وتفرق جموعنا وتفكك وحدتنا وتفصم عرى محبتنا ، بل على أساس من السمو الإنسانى والتكوين الروحى الذى يقوى ضمير المعلم ويرفع من نفسيته ويحببه فى جهاده ويسعده فى شقوته . فيقبل على التضحيات المطلوبة منه عن طيب خاطر ونفس طيبة تدفعه إلى العمل فى بناء لبناته بهمة لا تعرف الكلل وقوة لا يتطرق إليها ضعف ولا ملل . ثم ينفث تلك الروح القوية العالية فى أبنائه فتشب أجسامهم تملؤها أرواح طيبة وضمائر قوية تتضافر على العمل للخير العام فى بناء صرح السلام العام .

إن العالم العربى يحق له أن يصبو إلى كل ذلك ، ويحق له أن يصبو إلى الاشتراك الفعلى مع الموكب العالمى فى بناء صرح السلام العام . وقد كان أسلافه أول المنادين « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » فتجاوبت أصداء ذلك النداء الحار فى مشارق الأرض ومغاربها . فكان العرب خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . لقد تخبط قدة الأمم فى هذه الأيام المريرة فى تنكب طرق السلام لما أصاب نفوسهم من الجشع المادى والشغف بالسيادة وحب الاستعمار . وإن الصوت الخافت الذى يرفعه العرب اليوم ضد ذلك لابد له من أن يستمر ، ولا بد له من أن يقوى . ولا بد له من أن يعلو حتى يسمع الآذان الصم ! ولن ينهض بهذا العبء الثقيل الدائم ولن يضع أساسه حقا إلا المعلمون الصادقون المخلصون المتعاونون المتضامنون المتآزرون ، فاعملوا على تكوينهم ، واعملوا على الاكثار منهم ، فهم أصحاب الأثر القوى الفعال الذين لا يضل سعيهم والذين قيل فيهم قول لا يفهمه الفكر المادى الحديث إنهم ورثة الأنبياء .

عبد الحميد فهمى مطر

أحاديث عابرة :

التجديد في الشعر

كما يراه شاعر القطرين خليل بك مطران

في جلسة شاعرة مع شاعر القطرين خليل بك مطران — أحد الأوتار الخمسة في قيثارة الشعر العربي الحديث — كما يقول أستاذنا الزيات ، تشقق بنا القول . وتنقل بنا الحديث في شجون من الأدب . فأدى بنا ذلك إلى الحديث عن قديم الشعر وجديده . وإلى الكلام عن الشعراء المجددين والمقلدين ... وكانت فرصة طيبة أن أسأل الأستاذ الجليل عن علة عدم تقدم الشعر الحديث . وقصوره عن مجاراة الشعر العالمي في باقي اللغات . فأخذ — حفظه الله — يتحدث في بيانه الرائع عن محاولته الأولى وإخوانه من متقدمي شعراء هذا الجيل في هذه السبيل . قال :

ظل الشعر العربي منذ فجر حياته محدود الأغراض ، مقيد الأفق ، لم تنفسح له ميادين الخيال . ولا مجالات التجديد ، بسبب طبيعة البيئة التي نشأ فيها ، والأرض التي درج عليها . والغايات التي كان يهدف لها ...

وكان المبرزون من شعراء العرب ينسجون على منوال من تقدمهم من الجاهليين ، ويترسمون خطاهم ، ويسيرون على هديهم . فلا يجتاز خيالهم وصف البيئة التي يعيشون فيها ، ولا يمتد إلى ماوراء ذلك من آفاق واسعة وأحاسيس إنسانية ، اللهم ما كانت تسبق إليه طبيعة الشاعر الفنية بين الحين والحين — على غير قصد وفي غير تعمد — في سياق قصيده ، إذ تجد البيت أو البيتين كأنما ساقهما محض المصادفة ، وإلهام الفطرة ! وكان أن حدد علماؤهم للقصيد شروطاً لا يتعداها الشاعر ولا يتخطاها ... فإن هو جاوزها عد مقصراً ، وأخذ ذلك عليه . ومن أهم هذه الشروط وحدة القافية ، وقد كان ذلك — فيما أرى — أهم عوائق نهضة الشعر ، وبخاصة في عصرنا الحديث الذي تنوعت فيه ألوان الحضارة ، وتغيرت فيه أهداف الشعر ومقاصده ؛ وأضحت له أغراض غير التي كانت له بالأمس ؛ فلم يعد لشعر المناسبات تلك الأهمية التي كانت له ، ولا لوصف البيئة التي يعيش فيها الشاعر ولا راحلته ولا دياره ما كان لها من روعة وبهاء .

وقد دفعني ذلك كله منذ بدأت أحاول الشعر إلى أن أنهج به منهجاً آخر يجاري ما نحن فيه من حياة ، ويتمشى وتلك الحضارة التي يدفع بها إلينا الغرب ونتلقاها نحن عنه ، سواء في الثقافة وتنوع أغراضها ، أو الاجتماع وتعدد مراميه ؛ وكان أن أخذت أنقل إلى العربية آثار كبار شعراء الغرب وأدبائه من أمثال شكسبير وكورني وراسين وفيكتور هوجو . وألفريد دي موسيه وغيرهم من الانجليز والفرنسيين ، متوخياً أن تكون نماذج أدبية سواء في روعة أخيلتها ، أو تعدد مقاصدها ، أو سعة أفقها ، أو ما تحمله في طواياها من جدة المعنى وروعة اللفظ وبراعة الأداء .

ثم حولت أن أقحم في الشعر العربي نظم «الملحمة» وما كان له أن يدخل في هذا الفن إلا إذا تحلل من وحدة الروي ، ولكنني أردت بتجربة منظومة أن أبين نهاية ما يستطاع بالروي الواحد . فأنشأت على سبيل المثال قصيدة « نيرون » في نحو من أربعمائة بيت من بحر واحد وروي واحد . تخيرت لها حرف الراء حتى أبرز للقراء أقصى ما تصل إليه طاقة الناظم بالقافية الواحدة . على أن اللغة العربية تعطي في الروي الواحد ما لا تعطيه لغة أخرى بإطلاق . ولكن التزامه فيها من أسباب ضعف التبسط إذا أريد القصص الطويل ، أو الوصف الدقيق بالتحليل والتفصيل ، فلهذا عمدت بما قدمته من المثال إلى أن أصور للأذهان أين موضع العجز عندنا عن مجاراة الشعر القصصي والوصفي والتحليلي عند الأمم التي لم تلتزم وحدة القافية .

وقد انتفع بمحاولاتي ومحاولات أخر من شعراء عهدي ، نفر غير قليل من شعراء هذا الجيل ، وتمسك آخرون بما ورثناه عن شعرائنا الأقدمين ؛ وما زلت أومن بصدق نظرتي في أن التزام القافية الواحدة هو الذي يقعد بالشعر العربي عن مجاراة نظيره في آداب الأمم الأخرى التي لا تلتزم قافية واحدة كما يقعد بالشاعر عن التحليق فيما يريد من آفاق بعيدة المدى ... ولن يعيب القدماء ما آثروا للشعر من النهج ، ولن ينقص من جمال ما أبوابه من الروائع . ولكن ما لاريب فيه هو أن طبيعة الحياة قد تغيرت عما كانت عليه من قبل . إذ تعددت مناحيها ، وتشعبت مراميها ، وتباعدت أطرافها . وما كان لنا في ظروف حياتنا وما تزودنا به حضارة العلم الحديث من وسائل شتى للعيش ، وضروب مختلفة

للترفيه، أن نظل كآبائنا فى نطاق محدود من الخيال ووسائل الفن. ولن يتأتى لنا – فيما أرى – أن نجارى ما يتحفنا به أدباء الغرب من روائع، إلا إذا تحللنا من ذلك القيد الذى ظل الشعر العربى يرسف فيه منذ قرون طوال. ولا شك فى أن ذلك – مع المحافظة على ما امتاز به الشعر العربى من مقاطع وأوزان – يفسح لنا ميادين التفكير ويؤدى بنا إلى أن نستطيع الإنتاج بأنفسنا، وتزويد الثروة الأدبية العالمية بثمرات جديدة من وحى بلادنا، وفيض عواطفنا وأحاسيسنا، ويومئذ نكون قد عرضنا للعالم ما تمتاز به لغتنا من جزالة وسعة، وما يوحى به شرقنا – مهبط الأديان ومنزل الوحى – من حكمة، وما تفيض به قلوب أبنائه من سمو فى العاطفة وعلو فى التفكير.

هذا رأى اقتبسناه من حديث للشاعر الكبير نعرضه لشعراء الشباب، والرأى لهم الآن.

س. العنانى

رثـــاء البشرى

بمناسبة مرور عام على وفاته

لشاعر القطرين خليل مطران بك

وا رحمتا لىَ من صروف زمانى ... أنى رمت رَأت السهامُ مكانى
إنى لأسأل وارفاق تحملوا ... أترى يطيل عذابىَ السلوان
مَن مبلغ السلوان مقروحَ الحشا ... سدت عليه مسالك السلوان
منعاك يا عبد العزيز أمضّنى ... وأضاف أشجاناً إلى أشجانى
فاجأتنى بالنأى قبل أوانه ... هل حرقة كالنأى قبل أوان
أتسوء إخواناً ملكت قلوبهم ... ظرفاً وكنتَ مسرّةَ الأخوان
ربَّ البيان وأنت بالغ شأوه ... أعجزت بالسبق البديع بيانى
أدب يخال مطالعو آياته ... أن الكلام مثالث ومثانى
فقت الذين أخذت عنهم يافعاً ... وبززت من جلوا من الأقران
هـــذا بإجماع فماذا عارضت ... دعوى دعى من سَنى البرهان
لا خير فى زمن إذا ما طاولت ... فيه الصِّعادُ عوالىَ المُرّانِ
أحدثتَ أسلوباً وكنت إمامهُ ... وبقيت فذّاً فيه مالك ثان
جمع السهولة والجزالة لفظه ... تتخالفان حِلًى وتأتلفان
ديباجة عربيـــة مصرية ... نقشت برائعة من الألوان
مَن للنوادر تجتنى منها النهى ... ما تشتهى من طيبات مجان
مَن للبوادر لا يجود بمثلها ... قبل الروية أحضرُ الأذهان
مَن للدعابة وهى قد قُرِنَت إلى ... حلم الشيوخ فراهةَ الشبان
إن ثقّفت لطفت وفى ضحكاتها ... إيماضُ برق لا انقضاضُ سنان
تهللٌ تساقاها القلوب فتشتفى ... غِلَلٌ وتُقضى للقلوب أمان
بدوات السبق كاتب ومحدث ... صافى البداهة بارع التبيان
فى جِدِّه ومزاحه متصرفٌ ... ببراعة خــلابة ولسان
أخلا من البشرى عصر لم يكن ... فيه على ذاك المثال اثنان
شخص قليل ظِلُّه طاوى الحشى ... يمشى فلا تتوازنُ الكتفان
طلقُ المحيا إذ تراه وربما ... نمّت بكامن دائه العينان
خُبِّئت ملامحه بمسحةِ أُدْمَةٍ ... هى من «مِنّا» إن شئت أو «عدنان»
وبعارضيه الهابطين وَلِمّة ... شعثاء لم تُلْمَمْ من الثوران
وَمَضنّةٌ يطوى عليها صدرَه ... وكأنه أبداً عليها حان
من ذلك التمثال لاحت للورى ... آيات أىّ حجًى وأىّ جَنان
حُسْنُ المنارة فى سطوع ضيائها ... لا فى زخارفها ولا البنيان
أما خلائقه فقل ما شئتَ فى ... جمّ المروءة راسخ الإيمان
ماضاق صدراً وهو أصدق مسلم ... بتخالف الآراء والأديان
نعم الفتى فى غيبة أو مشهد ... نعم الفتى فى السر والإعلان
بالعدل يقضى فى الحقوق وبالندى ... يقضى حقوقَ الأهل والجيران
يسعى كأدأب من سعى لمُهمه ... مهما يجشّم دونه ويعانى
متشمراً بغـــدوه ورواحه ... عجِلَ الخطى مسترسل الأردان
لو كان ما فى جِدِّه فى جَدِّه ... لعلت مكانته إلى كيوان
لكنه لم يُلْفَ يوماً عاتباً ... أو طالباً ما ليس فى الإمكان
ورعى حقيقة نفسه وأجلّها ... عن أن تبدل عزة بهوان
مامنصب فوق المناصب أو غنى ... فوق المطالب غاية الفنان
مهما يزاول فالكرامة عنده ... هى فى إجادته وفى الإتقان
ماذا يكون سليل بيت صالح ... عالى المنارة باذخ الأركان
الوالد الشيخ الرئيس وَوُلْدُه ... شَرْواه فى أدب وفى عرفان
صبراً جميلا يا أخاه وأنت مَن ... بحجاه يدرك حكمة الرحمن
كم فى القضاء تلوح للفطن الذى ... وَلِىَ القضاء سرائرٌ ومعان
وعزاءكم يا آلهُ أن الذى ... تبكونه فى نعمة وجِنان
وعزاءكم يا معجبين بفضله ... فيما دنا ونأى من الأوطان

انتهينــــــــا . . . !

للأستاذ سيد قطب

انتهينا . قد مضى الماضي جميعاً ومضينا
انتهينا . لم نعدْ نسأل أيَّانَ وأينا
أو نمدَّ اليوم للأحلام والأوهام عينا
انطوى الحلم الذى لاح زماناً وانطوينا
ويد الدهر تمشَّت تسبل الستر علينا

اضربى فى زحمة الأرض على غير طريق
فكرةً ضلت وحلماً يتوارى عن مفيق
ولقّى يقذفه الموج إلى الشط السحيق
وهوًى يخسره الفن ، على عين الصديق
وسنى يطمسه الليل إلى غير شروق

وأنا المكدود فليلقِ إلى الأرض عصاه
آنَ للمجهد أن تسكن فى الأرض خطاه
آنَ أنْ يصمت لا تهتف شوقاً شفتاه
آن أن يغمض لا توقظه وَهْناً رؤاه
جاوز الجهدُ قواه ، فتهاوت قدماه

طال هذا الحلم حتى صار فى النفس عيانا
ومضينا فى طريق الوهم تنساب خطانا
تهدم الأيام ما نبنى فتبنيه رؤانا !
ونخوض الشوك يُدمينا فتمضى قدمانا
تتبع الوهم الذى صاغ من الشوك جنانا

يا لهذا الحلم والأيام تمضى والليالى
عابثات بالأمانى وهو يمضى لا يبالى
يغلب الواقع فى الأرض بتحليق الخيال
ويرى خلف الروابى والصحارى طيف آل
فيرود الأفق ظمآن مشوقاً للظلال

نشيد عسكرى

عاش الملك*

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

هيَّا بنا إلى الأمامْ هيَّا بنا ، هيَّا بنا
المجدُ فى الدنيا زِحامْ فزاحموا نحوَ المُنى
واسعَوْا إلى خير الوطنْ
عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

نحن الحياةُ للبلادْ ونحنُ أنصارُ العَلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ كُنَّا بها أُسْدَ الأَجَمْ
نذودُ عن أرضِ الوطنْ
عاش الملكْ ، عاش الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاش الوطنْ

يامصرُ يا كَنْزَ الوجودْ نحنُ على الكنزِ أُسودْ
ونحنُ أمثالُ الجدودْ نفنى ونعطيكِ الخلودْ
يا مصرُ يا خيرَ وطنْ
عاش الملكْ ، عاش الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

هيّا بنــا ، هيّا بنا نبنى الخلودَ والبقاء
نبنى ونرفعُ البِنــا
المجدُ فى الدنيا لنــا لمّا بنى اللهُ السماء
بنى لنا مجدَ الوطنْ
عاش الملكْ ، عاش الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاش الوطنْ

(*) غير مسموح بتلحين وغناء هذا النشيد أو بعضه إلا بإذن كتابى من المؤلف .

قد مضى ، والعمر يمضى والأمانى والزمانْ
وانتهينا وصحا بعد الأوان الخافقانْ
عجباً ! قد كان حلمٌ ! ليت شعرى كيف كان ؟ !
العيان اليوم كالحلم وحلمى كالعيان
صمت الدهر عياء ومضى يعطو الزمان



الزار ظاهرة اجتماعية أفريقية

حاضرنا الأستاذ على أحمد عيسى ، فى مدرّج كلية العلوم ، بجامعة فاروق الأول ، عن الزّار كظاهرة اجتماعية أفريقية .

فابتدأ بأن قال : إن هذا الموضوع الجديد على الباحثين الاجتماعيين فى مصر لا يعتمد على الكتب ، أو المراجع ، بقدر ما يعتمد على المشاهدة عن كثب . كان أول عهد اهتمام الأستاذ المحاضر بهذا الموضوع الخطير حين وجّهه إلى دراسته البروفيسور «هوجارت» الأستاذ بجامعة فؤاد الأول — وكان أستاذاً لمحاضرنا الفاضل فى سنة ١٩٣٥

وقد أخبرنا الأستاذ عيسى ، أنه عثر على كتاب فى — طب الرُّكة ! — يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر ، أورد فيه مؤلفه حديثاً عن الزّار ، لأول مرة فى مصر ، واستدل الأستاذ المحاضر بذلك ، على أن تلك الظاهرة الاجتماعية لم تكن معروفة فى مصر قبل ذلك القرن ، ثم حدّثنا عن سيدتين كتبتا عن هذا الموضوع أيضاً وفصّلتا بعض طقوسه هما : زينب فواز ، وحواء غرزوزى ، وكانتا من سيدات القرن التاسع عشر

أما المصادر الأوروبية ، فقد ذكر الأستاذ الفاضل أن البروفيسور « تشيروللى » تحدث عن الزار فى دائرة المعارف الاسلامية

وخلاصة رأى العلماء فى صدد هذا الموضوع أن الحبشة هى المنبت الأول لهذه الخرافة ، وقصة الزار فى الحبشة تبتدىء منذ اعتناق الأحباش للديانة المسيحية — وقد كانوا من قبل يعبدون إلهاً يسمى ظارو ! أو دارو ! أو زارو ! على حسب الروايات — فلما استجابوا للدين الجديد ظلت آثار الديانة القديمة راسبة فيما وراء اللاشعور ، وابتدأوا يتوجسون فى أعماق نفوسهم خيفة من مظنة انتقام الإله المندحر ، زارو ! وأنشأوا ضروباً من الطقوس والشعائر البدائية يترضونه بها ، وصاروا يجتمعون فيرقصون رقصات تشبه كثيراً من المشابهة رقصاتهم الدينية القديمة تقرباً وتزلفاً للاله القديم ...

فظاهرة الزار إذن ، ظاهرة دينية ، لا تسود فى غير الشعوب البدائية ، تلك الشعوب التى تختلف أداة تفكيرها عن أداة التفكير لدى الشعوب المتحضرة ، والتى تتفشى أمثال هذه الخرافة فى بيئاتها تفشياً يبعث على كثير من التأمل .

وإذا نحن علمنا أن رجل الشعب البدائى ، يجمع بين الأشياء التى نفصل بينها ، وأن لا فرق لديه بين شخصه وبين ظله ! ولا بين شخصه وبين اسمه ! وأن الرجل الصينى حريص على أن يباعد بين ظله وبين نعش الميت وقت تسميره ، مخافة أن يموت فى الحال إذا ما قدر لهذا الظل أن يلتصق وقتذاك بالنعش . إذا علمنا ذلك ، أدركنا إلى أى مدى تتحكم الخرافات فى أمثال هذه البيئات .

وليس من شك فى أن هذه المعتقدات تجعل معتقدها مهدداً فى كل آن بغارات خفية من عالم الأرواح ، فهو فى فزع دائم لا ينقطع ، وهو محاط بغيوم من الروع جاثمة لا تنقشع . ولا عجب إذا ما اندفع إلى استرحام تلك الأرواح التى تهدده كل وقت باحتلال جسمه ، مقدماً إليها القرابين المختلفة ، ممارساً لأجلها شتى الطقوس والشعائر ، استجلاباً لعطفها واستدراراً لرحمتها ورفقها .

وقد تلقت مصر أيام العثمانيين هذه الخرافة عن الرقيق الذين توافدوا إليها أثناء حملات محمد على باشا وغزواته للحبشة والسودان ، وساعد على انتشارها فى البيئات المصرية أنها كانت فى حال من الانحلال النفسىّ تبرّر تقبّلها لكل دخيل من أمثال هذه الفِكر .

فمصر ، كما اهتم الأستاذ المحاضر أن يؤكد لنا ، ليست عريقة فى اعتناق ديانة زارو ، بل هى حديثة العهد بها جداً ، إذ لم تعرفها قبل الربع الأول من القرن التاسع عشر .

ولا يسعنى إلا أن أقول فى إيجاز : إن الأستاذ المحاضر قد أعطانا صوراً دقيقة من مراسيم الزار ، وأكّد لنا أن كلمة — زار — هى بلا شكّ تحريفٌ لإسم الإله الحبشىّ القديم زارو ! ! كما برهن على أن الطقوس التى تؤدى فى هذا الصدد ليست طقوساً مصرية أصيلة ، ولكنها طقوسٌ دخيلةٌ محدثةٌ

(الاسكندرية) **على حسن حموده**

إلى ابنتي عفاف

فى الربيع النضر ، حين سرى الماء فى العود اليابس ، ونبضت الحياة فى البراعم النابتة ، وتألق الجمال بألوانه الزاهية فى الزهور المتفتحة ؛ فى الربيع النضر يا ابنتى ،حين أشرق كل شىء بالبهجة ، ورقص كل حى من المرح ، ونعم كل ألف بإلفه ؛ وسكن كل طير إلى عشه ، تذبلين أنت يا زهرتى النضة ، وربيع شبابك لا يزال فى إبانه ، ويذوى غصنك الرطيب فى غير أوانه ، ويخلو عشك الناعم من بسمتك الحلوة ونظرتك الأنيسة وصوتك الغَـرِد !

وفى الربيع الماضى ، وفى مثل هذا الشهر ، ذوت أختك الجميلة أمام عينيك وبين يديك ، فعلمت كيف يَرُوع البَين، ويتصدع الشمل،ويُوحش الأليف ،ويرمض الحزن ، فهلا رثيت لأبيك أواله فلا تجعلى بذبولكِ فى هذا الربيع روضه من غير زهر ، وقلبه من غير أمل ، وبيته من غير أنس !

ثلاثون يوماً يا عفاف رقدتِها على جنب واحد تتبخرين كما تتبخر دمعة الحب ، وتذوبين كما تذوب شمعة العرس ، وبسمات الرضا لا تغيب عن ثغرك ، وومضات الأمل لا تخبو فى صدرك ، وداء السل الوبيل يخادعنا ويخادعك ، فيتورد خدك ، ويرهف إحساسك ، ويرق حديثك، ويتسع رجاؤك ، فتنذرين النذور للشفاء، وترسمين الخطط لتغيير الهواء ، فنصدّق الظواهر ونـكذب الأطباء ونتعلق بأهداب الأمل !

ماذا دهاك يا عفاف وقد تركتك فى المساء وأنت على حالة مُطَمئنة ،ونفس راضية مؤمنة ، وقلت لك مساء الخير فقلت أنت مساء الخير والسعادة . أين الخير وأين السعادة ؟

والهفتـاه حين أصمنى صوت الناعيـات الروع وأذهلنى عن نفسى ، وأخرجنى عن حسى ،فلم أعد أعلم مما جرى شيئاً .

أختك ياعفاف طال عليها الـكرى ، وهاهى ذى فى جوارك ،فلى دثارك ، ودعى أزاهيرك البيض والحمر تتناثر على جسدها البالى برفق ، ثم إرقدى مطمئنة يا عفاف فليس وراءك فى هذه الحياة ما يقلقك فى قبرك ، فابنتك الصغيرة قد ماتت منذ أشهر ، وأمك منذ ثمانى حجج فى جوار الله ، فحيها تحية صامتة كدموع أبيك ، ولاتقصى عليها ما كان من أمر « عواطف » وهى تندبك وتبكيك !

نامى طويلاً كيف شئت يا عفاف فقد طال بك السهاد ونال منك التعب ، وقد قلت لى ليلة عدت من حلوان :

أنا بخير ! لا أحب البكاء ! أريد أن أستريح ! فاستريحى يا ابنتى المحبوبة ، واسمحى لى يا زهرتى الأولى أن أقدم إليك هذه العبرات الجافة الصامتة ، وإن كنت تـكرهينها ؛فإن فيها تفريجاً عن قلب أبيك الثاكل ، وما أملك لك يا أعز الناس عندى غير الذكريات الطيبة طول حياتى ، والدعوات الطاهرة فى خلواتى وصلواتى . وإلى اللقاء .

والدك الحزين

حسن عبد العزيز الدالى

أرض مصر : معرض صور جان هيكمان (١)

معرض صور جان هيكمان من المعارض القليلة الجديرة بعناية كل مشتغل بالفن محب له . ولا أذكر أنى زرت معرضاً حافلا بالمعانى والدروس مثل هـذا المعرض ، وصاحبته ولدت فى وادينا وعاشت بين ظهرانينا ، وهى إن لم تكن مصرية بالدم ، فهى مصرية صميمة بالقلب والروح ، ومعرضها دليل بليغ على صحة هذا الـكلام .

ومن المفرح حقاً أن توفق هذه الفنانة الـكبيرة إلى إنتاج هذا الفن المصرى الصميم الذى يجمع بين الطابع المحلى البحت والروح الإنسانية الشاملة التى يتميز بها كل فن ناضج فى أى بيئة .

ويجب أن نتحدث أولا عن القيمة الفنية الذاتية لرسوم السيدة جان . وهذه الفنانة تجمع بين الإحساس الفنى الصحيح وهو الشـعور بالقيم اللدنية للأشكال والأوضاع ، ورقة العاطفة وحيويتها ، وقوة الخيال واكتماله . ومتى توفرت هذه الملكات لفنان استطاع دون عناء أن يعثر فيما حوله من أشكال على الصور التى يتخذ منها أداة للتعبير عن ذاته ، ومع ذلك قد يظل مثل هذا الفنان بعيداً عن روح البيئة التى أنتجته فينتج إنتاجاً خالصاً للفن ينظر إليه المصرى بنفس العين التى ينظر بها إليه الصينى مثـلا . ولـكن هذه الفنانة ، مع احتفاظها بطابعها الشخصى الخالص ، استطاعت أن تعبر عن روح بيئتنا تعبيراً وفياً فذاً .

وصورها كلها تمثل مظاهر الحيـــاة المصرية الصميمة التى نشاهدها كل يوم: الفلاحون بملابسهم وأوانيهم ، السحنة المصرية تشرق من أساريرها الروح المصرية الصميمة ، آلاتنا الموسيقية المحلية الساذجة ، الغيط والساقيـة والقوارب النيلية ، والعامل المصرى بأعبائه الثقيلة ومسكنه المتواضع .

وصورها لا تمثل « مظاهر الحياة » فقط ، بل جوهر الحياة

(١) ٢٦ شارع قصر النيل

الكتب

كتاب التصوير الفني في القرآن

تأليف الأستاذ سيد قطب

للأستاذ نجيب محفوظ

قرأت كتابك « التصوير الفنى فى القرآن » بعناية وشغف ، فوجدت فيه فائدتين كبيرتين :

أولاهما للقارىء : خصوصاً القارىء الذى لم يسعده الحظ بالتفقه فى علوم القرآن ، والغوص إلى أسرار بلاغته . بل حتى هذا القارىء المتاز لاشك واجد فى كتابك نوراً جديداً ولذة طريفة ، ذلك أن كتاباً خالداً كالقرآن لا يعطى كل أسراره الجمالية لجيل من الأجيال مهما كان حظه من الذوق وقدره فى البيان ، فللجيل الحاضر عمله فى هذا الشان ، كما سيكون للاجيال القادمة عملها . والمهم أنك وفقت لأن تكون لسان جيلنا الحاضر فى أداء هذا الواجب الجليل الجيل معاً ، مستعيناً بهذه المقاييس الفنية التى يألفها المعاصرون ويحبونها ويَنْشرون فى وادى الفن على هداها ونورها . إن عصرنا — من الناحية الجمالية — عصر الموسيقى والتصوير والقصة . وهأنت ذا تبين لنا بقوة وإلهام أن كتابنا المحبوب هو الموسيقى والتصوير والقصة فى أسمى ما ترقى إليه من الوحى والإبداع . ألم نقرأ القرآن؟ بلى . وحفظنا — فى زمن سعيد مضى — ما تيسر من سوره وآياته ، وكان — وما زال — له فى قلوبنا عقيدة وفى وجداننا سحر . بيد أنه كان ذلك السحر الغامض المغلق ، تحسه الحواس ، ويهتز له الضمير ، دون أن يدركه العقل أو يبلغه التذوق ، كان كالنغمة المطربة التى لا يدرى السامع لماذا ولا كيف أطربته . فجاء كتابك كمرشد للقارىء والمستمع العربى من أبناء جيلنا ، يدله على مواطن الحسن ومطاوى الجمال ، ويجلى له أسرار السحر ومفاتن الإبداع . كان القرآن فى القلب فصار ملء القلب والعين والأذن والعقل جميعاً .

ولقد قلتَ بعد نظر طويل وتدبر « التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية . وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور . وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية . ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة ؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ... » ومضيت تستشهد لكل حالة بالأمثال مفسراً شارحاً موضحاً ، ولم تقتنع بذلك فتوثبت للبحث عن القواعد التى يقوم عليها هذا التصوير المعجز من التخييل الحسى والتجسيم فى فيض

المصرية وروحها . فصورة « الأمومة » تمثل المرأة المصرية الوادعة المستسلمة المستغرقة فى شؤون العيش ، يفعم قلبها السلام والإيمان ما دامت تجد الكفاف ، وتمثل صورة « عزبة فى إمبابة » منزلا يكاد يحدثك عن الحياة التى تنطوى عليها جدرانه . وفى صورة « أرض النيل : الفلاح » تحقق روح القرية ، بل تكاد وأنت واقف تتأملها تشم رائحة التربة المصرية وتشعر بقلبها النابض ، والنسيم المتجاوب فى أنحائها ، وتلمس شقاء الفلاح وبؤسه وصبره وأمله وإيمانه وتعاونه مع زوجه .

ومن مزايا هذه الفنانة شدة الإحساس بالضوء المصرى الصافى وما يضفيه على الألوان من حيوية وقوة ، ويتجلى هذا جيداً فى المناظر الطبيعية التى رسمتها ، وهى نماذج صادقة من الجمال العبقرى وأناقة الطبيعة المصرية ، كما أنها مفعمة بالإحساس الشاعرى الرقيق — وبينما تطالعك لوحة الفلاحين مثلا بفلظة الحياة الواقعية وقسوتها ، كأنها جلاد لا يرحم ، تطالعك صورة « المحمودية » بجمال الطبيعة ورقتها وحدبها علينا ، كأنها أم رؤوم .

ولا شك أن الفنانة التى تستطيع أن تستوعب كل هذه الاحساسات وتعبر عنها تعبيرا موفقا فنانة كبيرة — ولا شك أن الفن الذى يجمع بين : (١) الشىء فى حد ذاته ، أى الشكل ذو الدلالة المعنوية و (٢) التعبير عن رؤيا فنية شخصية و (٣) الاحساس البيئى الاجتماعى الذى يصور الآلام والآمال المشتركة ، فن جدير بالذكر والتنويه والدرس والاعتبار . وإنى لأزف إلى صديقتى جان أخلص تهنئة على توفيقها التام فى رسومها التى تفتح أعيننا على صور الجمال التى تفيض بها « أرض مصر » .

نصرى عطا الله سوس

من الأمثال والشواهد . ثم لم تقنع بما فتح الله عليك من سحر هذا الفيض الإلهى فقلتَ « حينما نقول إن التصوير هو القاعدة الأساسية فى تعبير القرآن وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان فى هذا التصوير لا نكون قد بلغنا المدى فى بيان الخصائص القرآنية عامة ولا خصائص التصوير القرآنى خاصة ... هنالك التناسق الذى يبلغ الذروة فى تصوير القرآن . » فكان هذا الفصل الذى بلغت به أنت أيضا الذروة فى النقد والذوق والفهم . كنت أود لو أستشهد ببعض ما جاء فى كتابك من النقد التطبيقى للآيات الكريمة ، ولكن تضيق عن ذلك كلمتى الموجزة ويأباه ذوق الذى يأبى المفاضلة بين آى الذكر على أى وجه من الوجوه . ومهما يكن من أمر فينبغى أن أقرر هنا أنه فى فصلى « التناسق الفنى » و« القصة فى القرآن » قد بارك القرآن مجهودك فرفعك إلى مرتقى يتعذر أن يبلغه ناقد بغير بركة القرآن..!

أما أخرى الفائدتين : فهى لك أنت ! لأن الكتاب فى جملته إعلان عن مواهبك كناقد . إنك تستطيع أن تعبر أجمل التعبير عن أثر النص فى نفسك ، ولا تقف عند هذا فتجاوزه إلى بيان مواضع الجمال فى النص نفسه ومايحفل به من موسيقى وتصوير وحياة ، ثم تستنطق الموسيقى أنغامها وضروبها ، وتستخبر الصورة عن ألوانها وظلالها ، وتستأدى الحياة حرارتها وحركتها . ولا تقنع بهذا كله ! فيقرن ذهنك بين النص والنص ، حتى تظفر وراء الظواهر بوحدة ، وخلف الآيات بطريقة عامة ، تجعل من الكتاب شخصاً حيا ذا غاية واضحة ، وسياسة بارعة ، وخطة موضوعة ، تهدف جميعاً إلى الإعجاز الفنى فتناله عن جدارة . فهذا ذوق جميل ، وتذوق عسير وفكر ذو نفحة فلسفية ...

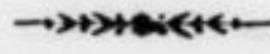
والآن اسمح لى أن أوجه إليك سؤالا ، وأن أسوق ملاحظة :

أما السؤال : فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أى شىء آخر ، أفلم يخطرلك أن تحددنوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟ وأما الملاحظة فمن الفصل الذى خصصته للنماذج الإنسانية ، فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنسانى بمعناه العلمى شىء أشمل من هذا ، وهو قد يحوى الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوى غيرها ، والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسى . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة — على اختلاف تقسيم علماء النفس لها — أما الطبائع فلا حصر لها ، فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج .

حمارى قال لى ...

توفيق الحكيم ... مطبعة المعارف ١٤٧ ص

للأستاذ كامل عجلان



حمار الحكيم ، لين الطبع هادئ التأمل ، يمر خفيفاً على هامات التاريخ ، يقتطف شيئاً من الدقائق القصصية مثل مشاهده فى حادثة الطوفان ... ويأبى الحكيم إلا أن يكون صادقاً فى تأملاته .

فإذا نشط الحمار وتطاول إلى الاشتراك فى « الدعاية » وتعرض (لهتلر ثم موسيلينى) وانغمس فى جحيم الحرب ، والخواطر التى تدور مع رحاها الطحون ، انفلت الحمار وصاحبه إلى الأساطير الشرقية ، فأرسل بشهر زاد إلى الغرب تتهادى هنالك . ولا لوم على الحكيم الذى أبى إلا أن يحلم عن الحروب ، وإلا أن يعيش فى أحلامه المفتنة وآرائه عن المرأة وأفكاره فى السياسة التى تجد وتجمل فى عين السياسى ورجل الاجتماع مثل (حمارى ومؤتمر الصلح) .

ومع خفة الآراء وطرافة موضوعها تطالعك شخصية الحكيم ص ٤٨ فى حزب الحمار ...

« الحمار : ألست معى ؟

الحكيم : أبداً أبداً ... ما الذى صنعناه إذن ؟

الحمار : ماذا كنت تريد أن تصنع أكثر من ذلك ؟

الحكيم : أشخاص ومكان وناد ، إنى ياسيدى — كما تعلم — لا أعرف لعب الطاولة ولا الشطرنج . ولست ساحر الحديث ، ولا ظريف المجلس ، ولا أحب أن أكون من ذوى الجاه ، كل ما عندى قلم لا أرضى أن أسخره فى هدم الأشخاص لمجرد الهدم ولا أن أستخدمه فى بناء أشخاص طمعاً فى الغنم ... الخ)

هذه هى أنفاس الحكيم ، وتلك آراؤه الهادئة العابرة ، التى لا يريد صاحبها أن يأخذ فيها بخناق أحد ، ولا يرقب شيئاً إلا الإخلاص لفنه والصداقة لحماره الذى غلب كما غُلب هو على أمره أيضاً .

وقد أرانا توفيق صوراً من ظلال العاطفة المحرومة الخائفة من المرأة فى أحلامه وآرائه (حمارى والطالبة) وأبدع وتخابث وأسرف فى الصدق حين صور (العقاد) فى خوف وحذر من براثنه العملاقة ، ومن فرط حذر الحكيم كان فى فصل (حمارى

مشكلة اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

هو كتاب عالج أصعب مشكلة تواجه المعلمين والمتعلمين فى بلاد الشرق، وهى مشكلة اللغة العربية.

لقد عالج الكتاب هذه المشكلة فأبان أن سر هـذا الإخفاق يرجع إلى سببين، أولهما طريقة تعليم اللغة، وثانيهما قواعدها، أما طريقة تعليم اللغة التى تجرى عليها مدارس الشرق ومعاهده فقد ذكر أنها غير طبيعية فى تعليم اللغات، وأقام الأدلة القاطعة على ذلك ثم بين الطريقة الطبيعية التى يجب أن تسلكها معاهد الشرق فى تعليم اللغة العربية وسائر اللغات، وقد أفاض فى هذا القسم ولم يدع زيادة لمستزيد، ولم يبق إلا أن يقتنع أولو الأمر فى بلاد الشرق فيأخذوا بها فإذا اللغـة العربية طيعة مذللة، وإذا الإخفـاق الذى منيت به مدارس الشرق انقلب إلى نجاح عظيم وأما القسم الثانى — قواعد اللغة — فقد بحث الكتاب لماذا هى مبغضة إلى التلاميذ؟ ولـماذا تند عن أذهانهم فوصل إلى الحق فى ذلك، وقد بين أن القواعد منها ما حرف وبدل، ومنها ما هو صحيح ولكنه جرد من علله الصحيحة وألقى إلى التلاميذ جافا خاليا من التعليل.

وقد ناقش بعض القواعد مناقشة علمية هادئة فأرانا رأى العين إننا كنا ندرس باطلا وقواعد محرفة لا تصبر على النقد، وأرانا الجديد الذى أحله محلها فإذا هو أحظى بنصرة العقل وتأييد الدليل.

وقد كنا نود أن يطيل المؤلف فى هذا القسم ولكنه وعد أن يصدر ذلك فى كتاب مستقل.

وإذا كان لنا رجاء من المؤلف فهو أن يسرع فى إخراج هذا الكتاب إذا كان على سنن ما يبينه فى كتاب مشكلة اللغة العربية فأن ذلك يكون فتحاً جديداً فى اللغة.

ولا يسعنا إلا أن نشكر المؤلف على ما بذل من جهد أو ما تحمل من نصب، فجزاه الله خيرا عن أبناء الشرق الذين يحدب عليهم ويرعاهم، ويريد أن يوفر عليهم جهودهم وأعمارهم فينالوا فى الزمن الوجيز من اللغة ما ينفقون أعمارهم سعياً وراءه ثم لا يظفرون منه إلا بالنذر اليسير.

م

وعداوة المرأة) يشرح فكرة العقاد عين الأنوثة التى يراها دائماً كما هى فاكهة فيها الدود يتشبثها ويأخذها كما أراد لها القدر لا كما أراد الحكيم وأمثال حماره من الناس.

ولذلك يقيد رأى العقاد بعد ذلك بأبيات منها:

انت الملوم إذا أردت لهـا ... ما لم يرده قضـاء باريها

ثم يجلس الحكيم وهو آس على نصيبه من المرأة وحظه منها وهو لا يفعل وإنما يتكلم، ويعجب للمرأة التى تثور للكلام ولا تتمرد وتصرخ للفعال.

وهذا ضرب من التأملات الصادقة التى توحى بسمو العقلية النابغة.

ولا ألوم الأستاذ (توفيق) فى شىء إلا أنه كثيراً ما ينسى نفسه وينسى حماره وينسى أن لغة الكتاب من وحى حماره، وهو هنا له العذر لأن ميزة الحكيم فى (سهواته) وجماله فى (شطحاته) التى تغيب به عن الجالس وعن الناس وعن الحياة الصاخبة التى تحيط به. وبعد فالحكيم هنا موفق كل التوفيق وقد استطاع أن يمزج أفكاره العميقة بتأملاته فى الحياة والناس والمرأة والحرب وحرب الأحزاب وحجيم الأدباء وجناتهم.

محكمة الجيزة الأهلية

اعلان بيع عقار

نشره أولى فى القضية المدنية رقم ١٨٥١ سنة ١٩٤٥

انه فى يوم الأحد ٢٠ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ افرنكى صباحا بسراى المحكمة بشارع الناصر بالجيزه

سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك ورثة المرحوم شافعى على على الفقى وهم خليل وجمعه ولدى شافعى على وفاطمه على نصار فارس عن نفسها وبصفتها وصية على أولادها على الشهير بنصر الله ويونس ولدى شافعى على على وعوض ابراهيم أحمد أبو شنب من ناحية أبو النمرس مركز الجيزه لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية رقم ١٩١ سنة ١٩٤٥ فى ٢١ — ٣ — ١٩٤٥

وهذا البيع كطلب الست زنوبه محمود ابراهيم الفقى من ناحية أبو النمرس مركز الجيزه

وفاء لمبلغ ٩٢٥ مليم ، ٧٧ جنيه سبعه وسبعين جنيه وتسعمائة خمسة وعشرين مليم بخلاف ما استجد ويستجد من الفوائد والمصاريف

بيان العقار

٤ س ٢٢ ط اثنين وعشرين قيراط وأربعة أسهم أرض زراعيه بزمام أبو النمرس مركز ومديرية الجيزه شائعة فى ٤ س . ٦ ط . ١ فدان بحوض الملك — ١٢ قطعه بـ ١٥ حدها البحرى قطعه — ٤٥ بحوض ملك محمد على على الفقى وآخرين والشرقى مصرف المنوات عمومى

بحريه (نوع ثالث) والقبلى القطعه — ١٦ بحوض ملك ورثة حسن وعبد المجيد على على الفقى مناصفة والغربى فاصل حوضين والثمن الأساسى مبلغ ١٠٠ ج مائة جنيه تبنى عليه المزايده وجميع المستندات والأوراق مودعه بدوسيه الدعوى لمن يرغب الاطلاع عليها .

كاتب البيوع

انه فى يوم الثلاثاء ١٥ مايو سنة ١٩٤٥ من الساعه ٨ أفرنكى صباحا بجرن عبد الرحيم تبع ناحية ماجونه مركز سوهاج

سيباع علنا عدد ١ ماكينه قوة ٨٤ حصان وعدد ٢ جمل أبيض وعدد ٢ جحش أبيض ركوبه وعدد ٢ دكه خشب وعدد ٥٠ اردب أذره صيفى وعدد ٢ عجل بقر أحمر وعدد ٤ كنبه خشب المبينه بمحضر الحجز الرقيم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤١ ملك الشافعى محمد حسن من نجع عبد الرحيم تبع ناحية ماجونه مركز سوهاج المحجوز عليهم نفاذاً للحكم المدنى رقم ٥٣٧٥ سنة ١٩٤١ طهطا وفاء لمبلغ ٢٣٠ مليم ، ٥٧١ جنيه بخلاف رسم هذا وكان محدد للبيع يوم ٥ مارس سنة ١٩٤٥ ولم يتم لعدم اعلان اللصق كطلب وكيل الدائن

وهذا البيع بناء على طلب السيد مصطفى سالم بك عمرو وعبد المنعم بك محمود أفندى سالم مديرى شركة المرحوم السيد أحمد مصطفى عمرو باشا بمصر

فعلى من يرغب الشراء الحضور للمزايدة .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦١٧ — الاثنين ٣٠ ابريل ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 617

Lundi - 30 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦١٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الأسرة والمجتمع

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتاب جديد من الكتب القيمة التى تدرس فيها مسائل الإجتماع على الطريقة العصرية الحديثة ، وتتقرر فيها الآراء بسند من الإحصاء والاستقصاء والوصف والمقابلة والتحليل

ألفه الاستاذ على عبد الواحد وافى أستاذ علم الإجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وأداره على موضوع الأسرة والمجتمع ، فلخص فيه مشاهدات العلماء الثقات فى مسائل علم الأجناس وعلم وصف الإنسان ، ولم يلتزم فيه وجهة نظر واحدة من وجهات النظر الكثيرة التى يذهب إليها أولئك العلماء ، ولكنه أجملها ووازن بينها ورجح بعضها فى موضع وبعضها الآخر فى غيره على ما تبين له من وجوه الصواب .

ويظهر أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر ، فتكررت فيه العبارات بمعنى واحد ، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة ، ولكنه على هذا مطرد السياق متتابع الفصول ، يتمم اللاحق منه ما سبقه من الأجزاء ، وينتقل فيه القارىء من تمهيد إلى مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع

وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعى لا طبيعى كما جاء فى الفصل الثالث حيث قال : « قد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن نظام الأسرة الإنسانية قائم على دوافع الغريزة وصلات الدم ومقتضيات الطبيعة ، وانه لايكاد يختلف فى دعائمه عن نظائره فى الفصائل الحيوانية الأخرى . فيظن هؤلاء أن العلاقة بين الزوج وزوجه ، والرابطة بين الأولاد وآبائهم ، وشفقة كبار الأسرة على صغارها وحرصهم على تربيتهم وما يقوم به كل من الأب والأم من وظائف فى الحياة العائلية ... يظنون أن كل أولئك وما إليه من الأمور التى يتألف منها نظام الأسرة الإنسانية يسير وفق ما تمليه الغرائز الفطرية ، وتوحى به الميول الطبيعية شأنه فى ذلك شأن أشباهه فى عالم الحيوان . ولكن نظرة يسيرة إلى الحقائق التى ذكرناها فى الفصلين السابقين تدلنا على فساد هذا الرأى . فمن هذه الحقائق يتبين لنا فى أوضح صورة أن نظم الأسرة تقوم على مجرد مصطلحات يرتضيها العقل الجمعى ، وقواعد تختارها المجتمعات ، وأنها لا تكاد تدين بشىء لدوافع الغريزة ؛ بل إن معظمها يرمى إلى محاربة الغرائز أو توجيهها إلى طريق غير طريقها الطبيعى . فقد ظهر لنا مما سبق أن النظم العائلية تختلف فى جميع مظاهرها باختلاف الأمم والبيئات وتختلف فى الأمة الواحدة باختلاف العصور » .

تلك هى خلاصة الكتاب ، وهى خلاصة توافق رأى الكثيرين من علماء الإجتماع ، وليس فيهم من يخالف الواقع فيما يثبته من

التجارب والمشاهدات ، ولكن النتيجة مع هذا لا تتحقق على وجه الحتم واللزوم فى جميع تلك المشاهدات .

لأن اختلاف النظم العائلية بين الأمم أو اختلافها فى الأمة الواحدة بين العصور لا يقطع الصلة بينها وبين الغريزة ولا يجعلها عملاً مستقلاً عنها غير متأثر بدواعيها

وإلا لوجب القول بأن الغرائز الإنسانية قد بطلت وبطلت آثارها فى جميع الأحوال التى تلابس الحياة الإجتماعية ، لأن الحياة الإجتماعية تنظم تلك الغرائز على ضروب شتى من النظم لا تزال مختلفات فى جميع الأمم وجميع العصور . فغريزة حفظ البقاء معدومة إذن لأن الناس يتقون الخطر ويجلبون الأمن ويستشفون من الأمراض بما لا يحصى من أساليب السكن واللباس والطعام والطب والدواء والسلاح ، ولا يزالون على اختلاف فى هذه الأشياء بين الأمم والأجيال .

والقوانين التى تروض الجشع والعدوات أو تروض الشر بضروبه لا تتفق بين الناس على اختلاف الأمم والأجيال ، فهى إذن تقول لنا باختلافها وتطورها إنها شىء منعزل عن الغرائز الإنسانية لا يتأثر بدواعيها ولا باعث لها إلا تلك المصطلحات التى يرتضيها العقل الجمعى والقواعد التى تختارها المجتمعات .

وكل أولئك لا يقال ولا يعقل إذا قيل ، فلماذا يقال إن الغريزة بمعزل عن الأسرة ، لأن نظام الأسرة متعدد متجدد من قديم الزمان ؟

إن أمرين اثنين تختلف النظم العائلية ما تختلف بين الشعوب والأجيال وهما ماثلان فى كل أسرة وفى كل شعب وفى كل جيل ، وهما حضانة الطفل والألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء ، وكلا هذين الأمرين قائم على الغريزة الفطرية دون سواها على نحو متشابه فى جميع الأجناس وجميع العصور .

فمن الخصائص الفطرية فى الإنسان أنه طويل الحضانة لأطفاله ، ضرورة لازمة لا دخل فيها للمجتمعات ولا لقوانين الاجتماع ، ومن هذه الخصائص أنه يحتاج إلى الألفة الحميمة بينه وبين فرد آخر أو أكثر من الأفراد ، أيا كانت حالة الاجتماع من القبيلة البدائية إلى جامعة اللغات والعناصر والأديان .

وكل أسرة وجدت بين الناس فهى محاولة مستمرة لتحقيق هذين الغرضين الغريزيين ، ولولاهما لما كان هذا الإصرار على خلق الأسرة ومحاولة تحسينها وتنظيمها فى كل مكان .

وما هو الأثر الذى يترتب على إلغاء الأسرة بأنواعها المعروفة بين الأجيال البشرية ؟

إن أول الآثار التى تشاهد فى هـذه الحالة أن الناس يخلقون الأسرة بما يشبهها وينوب عنها ، فلا يكفيهم مجرد الاجتماع فى مكان واحد ولا يغنيهم أنهم يشتركون فى المأكل والمشرب مئات وألوفا كما يحدث فى الجيوش والأديرة والمدارس الداخلية ، ولكنهم يخلقون حنان الأسرة ورعاية الأبوة والأمومة خلقا يعلمون أنه اصطناع ولا يستغنون عنـه مع علمهم أنه اصطناع . فتظهر أسماء التحبيب والتصغير فى الجنود ، ويتسمون بأسماء « تومى وجونى » كأنهم أطفال صغار ، وتظهر الحيوانات الداجنة التى يعطف عليها المعسكر كما يعطف على أبنـاء البيت ، وتظهر أمومة الكنيسة وأحضان المدرسة وأخوة الدير وأشباه هذه القرابات ، وهى شىء غير ألفة الاجتماع بين الناس بمعزل عن هذه القرابات « العائلية » التى يخلقها المجتمعون معها حتى لو وجدت لكل فرد منهم علاقته العائلية بذويه .

وإذا فقد الإنسان هـذا الشعور الحميم لم يكن قصارى الأمر عنده أنه يعانى « النقص الاجتماعى » فى أخلاقه القومية أو أخلاقه الإنسانية ، بل كان من جراء ذلك أنه يعانى نقصا « بيولوجيا » يؤثر فى الغريزة والعقل ويدل على أن المسألة فى أصولها مسألة الحياة لا مسألة الأوضاع والأنظمة والقوانين .

ومن الصفات المشتركة بين جميع الأسر فى جميع الشعوب والأجيال أنها قيد للعلاقات الجنسية ملحوظ فيه مصير النسل على نحو من الأنحاء . فكل أسرة هى ضابط للنسل وليست وحدة من وحدات البنية الاجتماعية الكبيرة وكفى ، ولا عجب فى

اختلاف الضوابط والقيود ، بل المجب كل العجب أن تتفق كل الاتفاق من المحاولة الأولى إلى المحاولة الأخيرة ، فإن ذلك هو المستحيل الذى لا يخطر على البال فضلا عن انتظاره وتعليق الاعتراف بالغريزة فى تكوين الأسرة عليه .

ولا نقول إن هذا الضابط مقصود لغاية من الغايات أو غير مقصود ؛ ولكننا نقرر المشاهد حين نقول إن منع الزواج من المحارم قد أفضى بالنوع الإنسانى إلى ثروة شعورية لم يكن ليطمع فيها بغير هذه الوسيلة ، فكأنما يتجه النوع الإنسانى من قديم الزمن إلى « تخليص » الشعور وتنويعه فى العلاقة بين الأقربين والبعداء ، فلا يشعر الرجل بالمرأة الأخت أو الأم ، كما يشعر بالمرأة الزوج أو المرشحة للزواج ، ولا تزال هناك ضروب من العطف بين الأقربين لا تقتصر على ضرب واحد ولا تتشابه فيها الأواصر والصلات . ومعنى ذلك أن الإنسان يحرص على أنواع كثيرة من القرابة العائلية ولا يريد أن يخلطها بعلاقات المجتمع الذى لا قرابة فيه.

إن أواصر القرابة تختلف بين الأمم والأجيال فتشمل فى أمة ما تستثنيه فى أمة أخرى ، وتنكر فى هذا الجيل ما تعترف به فى ذاك . ولكن هل يقع هذا الاختلاف لو لم يكن فى طبيعة الإنسان استعداد للشعور بالقرابة أيا كان عنوان القريب ؟ وهل أنكر الإنسان قط قرابة من القرابات إلا ليعترف بقرابة تعدلها أو تنوب عنها ؟ وهل أنكر ما أنكره طويلا دون أن يعود إليه ؟

فالغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى جميع هذه الأحوال ، والفطرة الإنسانية أحوج فطرة بين الأحياء إلى النشأة فى أسرة والاتصال بقرابة عائلية . ويغلو فى القول من يرجع بكل ظاهرة من ظواهر الأسرة إلى الاجتماع لأن الناس يعيشون جماعات جماعات . فإن انتساب الفرد إلى أمة لا يغنيه عن النشأة العائلية بحال من الأحوال ، ولو جاء الوقت الذى تهدم فيه الأسرة وتلغى فيه الأمومة والأبوة لتحل فى محلها « تربية المجتمع » لكان ذلك تبديلا فى الخلق ولم يكن تبديلا فى النشأة الاجتماعية وكفى ، لأن الفطرة قد عودت الأحياء أن يخدم الفرد نوعه ، وهو يشعر بأنه يخدم نفسه لفرط ما يخالجه من اللذة والسرور بإنجاب الذرية . فماذا لو قيل غداً إن اللذة الجنسية ليست أصلا فى دوام النوع ، وإن الحمل قد يتم بغير هذه اللذة التى يشعر بها الآباء والأمهات ؟

إن من يقول بذلك لن يكون فى مقاله أغرب ممن يزعم أن المجتمع ينشئ الأطفال بغير حضانة الأمهات والآباء ، وأن الفطرة تستقيم على هذه التنشئة لأنها وضع من أوضاع الاجتماع

ولقد أحسن صاحب الكتاب فى تسجيل المشاهدات وتقرير وجهات النظر بين العلماء ، وكتابه من هذه الناحية أوفى كتاب ظهر بالعربية فى هذا الموضوع ، ولكنه تجاوز حد المشاهدات التى أثبتها حين بنى عليها الفصل بين الغريزة ونشأة الأسرة أو تطورها . فإن تلك المشاهدات لن تبلغ بنا ذلك الحد الذى ذهب إليه ، ولن تثبت لنا إلا أمراً واحداً لا نتعداه هو عمل المجتمع فى الأسرة ، وهو عمل من البداهة بمكان ؛ ولن يلجئنا توكيده إلى الفصل بينه وبين الغرائز الفطرية ، فهى لن تنفصل عن وضع من الأوضاع المتواترة بين الناس .

عباس محمود العقاد

تأييد لاقتراح « الرسالة »

للأستاذ على الطنطاوى

ما تفتأ الأفكار تحمل وتلد ، وما تنى المطابع تتلقى الولائد وتلفها بالثياب ، وتخرجها للناس كتباً ، فلا يدرى القارئ من كثرتها ماذا يقرأ ، ويحار المرء من تعددها ماذا يختار . ولكن العبقرى فى الكتب كالعبقرىّ فى الناس ، لا تراه الدنيا إلا مرة واحدة فى الدهر الطويل ، ولا يكون إلا واحداً فى ملايين . أحْصِ السابقين من العباقرة فى الأمم كلها تجدهم قد جمعهم لقلتهم سجل واحد ، وضمت أسماءهم صحيفة ، ثم اذكر كم من ملايين البشر عاشوا معهم ، وتنفسوا الهواء الذى كانوا يتنفسونه ، وأكلوا من الطعام الذى كانوا يأكلونه ، ثم طوتهم الأيام ، ونسيهم الناس ، فكأنهم ماولدوا ولا عاشوا ، بل ربما كان فى هؤلاء المنسيين بحق ، المجهولين من كانت له دنيا أعرض من دنيا أولئك العبقريين ، وكانوا يتمنون الأقل منها فلا يصلون إليه ، وكانت لهم منزلة وكأن لهم سلطان ، ولكن الزمان محّص الحقائق ، وماز الأباطيل ، فإذا ذلك السلطان زَبد يذهب جفاء ، وإذا العبقرية تمكث فى الأرض لأنها تنفع الناس . وكذلك الكتب ، فربّ كتاب يطبّل له ويزمر ، ويقام له ويقعد ، وآخر لا يدرى به أحد ، يبطل الزمان الأول ، ويبقى الثانى خالداً . ولقد قرأت فى بعض ما قرأت من شعر الإفرنج كلة أحسبها لتيوفيل غوتييه يقول فيها مخاطباً الملك العظيم لويس الرابع عشر : « لقد نسى التاريخ اللآلئ التى كانت فى تاجك أيها الملك ، ولكنه لا يزال يذكر الرقع التى كانت فى حذاء كورنيى » . كما نسى التاريخ ألوف الأمراء والملوك إلا ما خلده شاعر حين أمر اسمه على لسانه فى قصيدة من قصائده .

هؤلاء الرجال العبقريون ، وهذه الكتب العبقريات ، التى لا تقوى حدود البلدان ، ولا فوارق اللسان ، على إبطال فتنتها ، وإذهاب روعتها ، هذه الكتب (قدر مشترك) بين أبناء الشعوب المتمدنة كلها ، ليست لشعب ولا لجيل ، لأنها حديث القلوب فهى لكل ذى قلب ، ولغة القلوب واحدة وإن اختلفت الألسنة وتعددت البلدان ، فما يليق بأمة لها شعور وكرامة وعقل ، أن تجهل هذه الكتب ولا هؤلاء الرجال .

« • »

أكتب هذا تعليقاً على مقالة الأستاذ الزيات فى العدد الماضى من الرسالة . وإذا كتب الأستاذ فى موضوع لم يدع فيه ركناً يعرض له بالوصف مثلى ، لأنه يوفى فيه على الغاية ، ويبلغ فى الإجادة فيه النهاية ، وما علقت مستدركا بل مؤيداً ومردداً ، وليكون لى فى هذه الدعوة المباركة نصيب .

ولقد عادت بى مقالة الأستاذ إلى أيامى الخوالى حين قرأت قصة (رفائيل) أول مرة ، بإذن من أستاذنا شيخ أدباء الشام سليم الجندى ، وكان يحرم علينا أن نلمّ بشىء من الأدب الحديث أو ننظر فى جريدة من الجرائد ، قبل أن نتمكن من الأدب القديم ، ونألف الصياغة العربية ، وتستقيم ملكاتنا على طريق البلاغة السوىّ خشية أن تدخل جراثيم العجمة إلى أسلوبنا ، وأن يفشو الضعف فى بياننا ، فلما سألته عن قصة رفائيل غداة صدورها هل أقرؤها ؟ نظر فيها ثم أذن لى بقراءتها لأنه رآها بليغة الأسلوب ، صافية الديباجة ، سليمة اللغة ، سامية البيان ، فكانت أول ما قرأت من الأدب الحديث بعد (النظرات) ولا والله لا أستطيع أن أصف أثرها فى نفسى ولا فى خيالى ولا فى قلمى ، ولا أملك حتى الإلمام بذلك إلماماً ، لأنه شىء فوق الوصف وإنما أعترف أنها أحد المصنفات القلائل التى كانت غذاء أدبى من الكتب الجديدة ، بعد أن غذيته بأمهات كتب الأدب القديم . وقرأت (آلام فرتر) فكان لها مثل ذلك الأثر ؛ ثم افتقدت هذا اللون من الأدب فلم أجده ؛ ثم وجدت شبهه فى مثل (عطيل) مطران و (مرجريت) زكى و (فاوست) عوض وإن كانت هذه من قماش وتلك من قماش ، وإن اختلف النسج وتغيرت الديباجة ، وأمثال (تأبين فولتير) التى نقلها (المنفلوطى) إلى العربية بقلم أحسب لو أن (هوغو) كان عربياً ما كتبها بأبلغ منه ؛ كما أن لامارتين لم يكن ليكتب قصته ولا جوت كتابه ، خيراً مما كتبهما

الزيات ولو خلقا عربيين من أبين العرب وإنى حين أقرأ اليوم هذه الروائع من أدب الغرب مترجمات فى (روايات الجيب) مثلا أكاد أخرج من ثيابى غيظاً وغضباً لهذه المعانى الكريمات تجىء فى هذه الكلمات، وأسفاً على هذه العرائس الفاتنات تخرج فى هذه الثياب الأخلاق البااليات. وأفكر لو أن الله قيض لقصة (ذهب مع الريح) مثلا أو (الفندق الكبير) أو (الأم) وأمثالها الكثيرات من عبقريات القصص العالمية التى ترجمها كتاب روايات الجيب، ونشكرهم على كل حال على حسن اختيارها، وبذل الجهد فيها، إذ لم يدخروا فى التجويد وسعاً؛ لكن البلاغة درجات، والكتاب طبقات؛ لو أن الله قيض لها قلماً لدناً قوياً، لا يضعف فينكسر ولا يقوى فيؤذى، فترجمت بأسلوب عذب بليغ، لا يصح من غير جمال فيجف ويجمد، ولا يجمل من غير صحة فيميع ويسيل، لكان منها لهذا النشء مدرسة، الله وحده يعلم كم كانت تخرج لهذه الأمة من كتاب. وليست العبرة فى الترجمة بنقل المعنى المجمل للقصة بل بنقل التفاصيل الفنية الدقيقة والصناعة الناعمة، وطريقة عرض الفكرة، وأسلوب تصوير المشهد.

ولو أن المعنى المجمل هو المقصود للخصت قصة يوسف مثلا فى كلمات وضاع إعجاز السورة وجمالها الإلهى، ولكانت كل قصص الحب فى الأدب متشابهة لا تخرج عن أن رجلا أحب امرأة حباً عاطفياً أو جسمياً، فوصل إليها أو حيل بينه وبينها؛ فهذه أنواع أربعة للقصص الغرامية ينشأ منها أربع قصص فقط ويكون الباقى كله لغوا. مع أن فى كل قصة جواً خاصاً بها ودنيا لها وحدها، لا تغنى فى المتعة الروحية بها قصة منها عن قصة، وما ذاك إلا لاختلاف الدقائق والتفاصيل، ولا يظهر هذه الدقائق والتفاصيل إلا قلمُ بليغٍ، بصير بمواقع الكلام، عارف بأوجه الدلالة فى الألفاظ، له الحاسة الخفية التى يفاضل فيها بين الكلمات ويحسن انتقاءها، إذ ربّ كلمتين بمعنى، وبين إحداهما والأخرى مثل ما بين البلاغة والعىّ. ورب كلمة فى لسان لها جوّ ولها مدلول، وتحيطها ذكريات عند أهل ذلك اللسان، لا يمكن أن تجىء بها مرادفتها فى اللسان الآخر، ومن هنا علت بعض النصوص كالقرآن مثلا عن الترجمة واستحال أن تنقل إلى غير لغتها.

***

ونحن اليوم فى أشبه العصور بعصر المنصور والمأمون، أمة كانت معتزلة منطوية على نفسها، ثم اتصلت بأمم غيرها لها مدنيات ولها علوم، فإذا استمرت على عزلتها علت عليها تلك الأمم بعلمها وقويت، وإن تعلمت ألسنتها لتفهم علومها، أضاعت لسانها وعصبيتها. فلم يبق إلا أن تنقل كتب تلك الأمم إلى لسانها، فتزداد به غنى فى الأفكار وفى طرق التعبير، ثم تفهمها وتسيغها وتهضمها كما يقولون ثم تنشئ مثلها إنشاء.

ونحن فى الواقع لا نستغنى عن الترجمة ولا نقلّ منها، ولكننا نسىء الاختيار فندع الكتاب العبقرىّ الفذّ الذى يعد واحداً من مائة كتاب هى خلاصة آداب الأمم كلها ونترجم الكتاب لا فائدة فيه. ثم نسىء التعبير فلا ننقل هذه الكتب إلى العربية وإنما نضع فى مكان ألفاظها الأعجمية ألفاظاً عربية، ولا يقدر على الترجمة الصحيحة إلا متمكن من اللغتين، بليغ فى اللسانين، يقرأ الفقرة ثم يفهمها ثم يدعها تخالط روحه وتصير كأنها له، ثم يعبّر عنها بلسانه، ويزيّنها بجمال بيانه.

***

والأستاذ الزيات يوجه كلامه إلى معالى الأستاذ السنهورى بك الذى عرفناه فى بغداد ودمشق عالماً قبل أن نعرفه وزيرا. ونحن نعلم وجه الصواب فى الأمر ولا نملك تحقيقه، والوزراء على الغالب يملكون ولا يعلمون. فلما جاء الوزير العالم الذى يعرف الحق ويقدر عليه، كان موضع الأمل، ومحل الرجاء، فإذا ألهمه الله أن يفعل فقد أراد الخير لهذه الأمة على يديه.

بقيت كلمة للأستاذ الزيات، هى أنه ترجم فكان أبرع المترجمين، فلماذا لا يكمل ما بدأ به، ويترجم لنا قصة (غرازيلا) ثم (جوسلان)؟ وينتقل بعد ذلك إلى غير لامارتين من أمراء البيان، وأئمة الأدب فى كل لسان؟ وما فيمن سيجمعهم معالى الوزير السنهورى فيما أظن من هو أقدر على ذلك من الزيات وأولى به.

الجواب عندك يا أستاذنا!

(القاهرة) على الطنطاوى

***

على هامش النقد

التعاون الثقـــافي
بين الأقطار العربية

تأليف الأستاذ عبد الله مشنوق

للأستاذ سيد قطب

هذا كتاب جيد فى موضوعه ... وليس هو كتاباً أدبياً ولا فنياً ، ومع هذا نفسح له مكاناً « على هامش النقد » لأنه الكتاب الأول فى هذا الموضوع ، ولأنه يعالجه معالجة دقيقة واضحة ، ويترجم « التعاون الثقافى بين الأقطار العربية » إلى حقائق واقعة ، واقتراحات عملية ، فى أسلوب تقريرى بسيط ، يعجبنى فى أمثال هذه الموضوعات ، وأفضله ألف مرة على الأساليب البيانية والاستعارات اللولبية ، والتفاصح الذى يغيظ !

والموضوعات التى تناولها المؤلف الفاضل فى كتابه حين تستعرض استعراضاً سريعاً تكفى لبيان اتجاهاته ، وقد جاءت فى الكتاب بهذا الترتيب :

« بين التعاون والتوحيد . الطغيان الثقافى . ليس التعاون بدعة . التعاون أداة تقدم . الشعوب العربية المتعاونة وموقف التعاون من الغرب . ميادين التعاون الثقافى . المناهج : الأهداف والاتجاهات العامة ، أقسام الدراسة وأنواعها ومراحلها وشهاداتها ، مواد الدراسة فى مختلف المراحل والسنوات . تحضير المعلمين . الكتاب ، مجلة للصغار ، وسائل الإيضاح . تنظيم المعادلات بين الشهادات : المعادلات مع الخارج ، البكالوريا العربية . البعثات العلمية : تبادل البعثات بين الأقطار العربية . تبادل الأساتذة : الأساتذة الزائرون ، الخبراء الفنيون . المجامع اللغوية والعلمية : المحسنون المخلدون ، المعجم الجديد ، المصطلحات العلمية ، تنويع روائع العلم ، إصلاح الحروف العربية ، الموسوعة العربية . المدارس والجامعات . المكتبات العامة . التأليف والترجمة والنشر » .

***

عالج المؤلف الفاضل هذه الموضوعات كلها بروح عملية ، لاتنشط فى الخيال ، ولا تقف مكتوفة اليدين أمام العقبات . ومن هنا قيمة الكتاب . فلقد استحال هذا التعاون المنشود حقيقة عملية فى حيز الإمكان . وأحسب أن الشرق العربى سيتلفت ليجد أمامه الوسائل ميسرة لتحقيق هذا التعاون ؛ وسيجد منها الكثير بين يديه حاضراً مهيئاً ، والبقية ليست عنه ببعيدة . والمهم أن كلمة « التعاون » لا تبقى بعد هذا البيان أملاً غامضاً مبهماً . بل تصبح حقائق ووقائع فى متناول التفكير والتنفيذ .

وأمر آخر يقرره هذا الكتاب فى نفوس القراء .

إنه يُطلع الشرق العربى على دخيلة نفسه وحقيقة حاله ! فحاجاته الثقافية ، والوسائل التى يملكها لسد هذه الحاجات ، يضعها المؤلف بمهارة وبساطة تحت عين هذا الشرق العربى . وكأنما يرفع فى وجهه المرآة ليراه !

والذين يستطيعون أن يرفعوا المرآة فى وجه الشعوب ببساطة فائقة ومهارة كبيرة قليلون جداً بين الباحثين والكتاب . والذين يستطيعون أن يرفعوا هذه المرآة فى اللحظة المناسبة هم أقل من القليل . ومن هؤلاء الأخيرين الأستاذ عبد الله مشنوق الأديب اللبنانى صاحب هذا الكتاب !

وهو يرفع المرآة فى وجه الشرق العربى ليقول له : إنه فى حقيقته وحدة متعاونة ، وأجزاء متكاملة . وهو لايعتمد فى تقرير هذه الحقيقة على الأساليب الحماسية ، بل يبدو أن هذه الحقيقة جزء طبيعى من إحساسه العادى بالمسألة . فحين يتحدث عن بعثات أمم الجامعية العربية إلى البلاد الأوربية ينظر إليها كأنها بعثات بلد واحد ، لتلبية حاجة البلد الواحد ، ويصوغ رأيه فيها بهذه البساطة العميقة :

« أما التعاون بين العرب فى البعثات إلى الخارج ، فأمر يحتاج إلى تنسيق حتى تكون الجهود منسجمة ، فلا يحدث تضخم

فى ناحية من نواحى الاختصاص ، وقحط فى النواحى الأخرى ؛ فليس من الضرورى أن يتخصص رجال كل قطر فى وقت واحد فى الجامعات الغربية فى علم الآثار والعاديات والقانون والآداب والفلسفة واللغات القديمة وفن القتال والهندسة وعلم المعادن والزراعة والميكانيك ومختلف الصناعات ، وما إليها من أنواع التخصص ، لأن أمثال هذه البعثات تكلف موازنات الدول مبالغ قد لا تتحملها . ولذلك يحسن أن توزع هذه النواحى بين الحكومات العربية وفقاً لمقدرتها ودرجة احتياجها ، على أن تتعاون هذه الدول فيما بينها بتبادل الخبراء والأساتذة لسد النقص الناشىء عن هذا التوزيع ... » .

وبنفس هذه الروح يعالج مسألة « تبادل البعثات بين الأقطار العربية » فيسميها « كوتا العلم » ويشبهها بالترخيصات التى يمنحها مركز التموين فى الشرق الأوسط للاستيراد حسب الحاجة الضرورية ! ثم يقول :

« ولعلى لست مخطئاً فى التشبيه عند ما أقول فى معرض حديثى عن البعثات أن ثمة « كوتا » علمية بين الأقطار العربية المتعاونة ، وأن على المكتب الثقافى الدائم فى القاهرة توزيعها بالعدل والقسطاس بين البلدان الشقيقة ، مراعياً فى ذلك الإمكانيات والحاجات الثقافية فى كل بلد متعاون ، فلا يكون تبادل البعثات العلمية مظهراً من مظاهر الفوضى ، بل يخضع لخطة مرسومة مبنية على دراسة علمية صحيحة للحالة الثقافية الراهنة فى مختلف الأقطار العربية . ولن يتم توزيع « كوتا » العلم ما لم تعد كل حكومة عربية تقريراً ضافياً يحتوى على الحد الأقصى لما تستطيع قبوله فى معاهدها العليا والثانوية من طلاب الأقطار الأخرى من جهة ، ويحتوى على ما تشعر بأنها فى حاجة ملحة إلى إيفاده من بعثات إلى الأقطار الشقيقة من جهة ثانية . ومتى تم وضع هذه التقارير وزعت مقاعد الدراسة على ضوئه ، فإذا كانت مصر مثلا قادرة على قبول ١٠٠ طالب فى معهد التربية لإعداد المعلمين ، فإن مهمة المكتب الثقافى الدائم تنحصر فى توزيع هذا « الكوتا » بالعدل بين حكومات الأقطار المتعاونة مراعية فى ذلك المستوى الثقافى فى كل إقليم ، مفضلة الحاجات الملحة السريعة على سواها »

ومن هذه المقتطفات تبدو الروح العامة التى عالج بها المؤلف حقيقة العلاقات بين أمم الجامعة العربية كما تتبين طريقته العملية فى معالجة وسائل التعاون ، وإحالتها إلى حقائق ملموسة ممكنة التنفيذ فى نظام دقيق .

وتمثل هذه الروح عالج جميع الأسس التى يقوم عليها التعاون . ولكن هذا لم يكن كل محتويات الكتاب ، فقد تطرق من أسس التعاون الى موضوعات فى صميم التربية والتعليم ، كمكتبة الطفل ، ومجلة الطفل ، ووسائل الإيضاح ، والأهداف الوطنية والثقافية والروحية من المناهج وكان موفقاً فى هذا كله ، لأنه آثر أن يعالج موضوعاته فى بساطة وعمق وأن يصوغ تعبيره فى قالب دقيق

***

وثمة أمر آخر ساعد المؤلف على النجاح فى دراسته لموضوعه ... ذلك هو الإخلاص فى مواجهة الحقائق بروح الإنصاف . فقد نبه إلى مواطن النقص فى وسائل الثقافة عند كل شعب ، وإلى مواطن الكمال أو التفوق حيثما وجدها بلا تحيز إقليمى لا معنى له .

فهو يقول مثلا عند الموازنة بين هـذه الوسائل فى مصر وشقيقاتها : « لقد زرت عدداً كبيراً من المدارس — على اختلاف أنواعها — فى مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ؛ وأستطيع أن أصرح دونما تحيز أو مواربة ، بأن المعاهد المصرية الرسمية تأتى فى الطليعة من حيث أخذها بالأساليب الحديثة فى التربية والتعليم وسخاء الحكومة فى الإنفاق عليها لتتوفر فيها الشروط الفنية ؛ ويشمل قولى هذا المعاهد الابتدائية والثانوية والعليا ، العامة منها والفنية المهنية . لذلك أدعو الأقطار العربية أن تتعرف تماما إلى هـذه المعاهد المصرية قبل البدء بإنشاء مدارس جديدة أو القيام بإصلاح عام فى مدارسها القديمة ... »

ويقول فى صدد المعاهد التى تخرج المعلمين فى جميع بلاد الجامعة العربية : « وبوسعى أن أقول جازماً : إنه يتعذر الآن على أية

حكومة عربية إنشاء معهد كدار العلوم العليا لتحضير أساتذة اللغة العربية ، هذا المعهد الذى يتهمه البعض بالرجعية ويود إلحاقه بالجامعة ؛ ولكنه على الرغم من ذلك مفخرة من مفاخر مصر ، ومعقل من معاقل العروبة ، وإليه يعود الفضل الأكبر فيما أنجبته مصر من أساتذة متمكنين من فقه اللغة وفلسفتها وقواعدها ، متعمقين فى فهم روح البلاغة وأسرارها ، مختصين فى أساليب تدريسها. فلماذا لا تفتح أبواب هذا المعهد على مصاريعها فى وجه الأقطار العربية ، فيخرج لها نخبة صالحة لتدريس اللغة العربية فى الأقسام الثانوية ؟ وقد أسلم جدلا بأن منهاج دار العلوم مثقل بالمواد القديمة الصعبة المرهقة والجافة أحياناً ؛ ولكن فهمنا للغة فهماً صحيحاً يخولنا تدريسها بكفاءة ، لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة عميقة لهذه العلوم على النحو المتبع فى دار العلوم .

« وتستطيع كلية اللغة العربية فى الجامعة الأزهرية أن تقبل الراغبين فى التخصص باللغة العربية إلى جانب العلوم الدينية . وهذه قد لا تشترك فيها جميع الأقطار العربية »

وبمثل هذا الإخلاص فى مواجهة الحقائق بروح الإنصاف سار فى بقية فصول الكتاب ، فلم يقصر كذلك فى نقد مواضع النقص حيثما وجدت . وحينما ساقه الحديث مثلا عن « مكتبة الأطفال » كشف عن نقصها وفقرها فى جميع بلاد الجامعة العربية ومصر من جملتها وكان محقاً كما كان منصفاً .

***

هذا الإخلاص فى مواجهة الحقائق يجعلنا نوجه الحديث بصراحة إلى الأستاذ المؤلف ، وإلى جميع الراغبين رغبة نفسية أكيدة فى توثيق عرا التعاون بين أمم الشرق العربى .

إن لمصر ما تشكو منه من بعض شقيقاتها العربيات ، أو ما تعتب عليه بتعبير أصح ... ويجب أن نكون صرحاء فيما بيننا ليقوم البناء على أساس سليم ... ومصر لا تشك فى إخلاص الشقيقات لها وتطلعهم إليها واهتمامهم بها . ولكن هنالك مع هذا أشياء !

فأنا أعتقد أن الأستاذ المؤلف يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أن تلبى حاجة الشقيقات إلى المعلمين ... وإنما هو واجب عليها تؤديه . فما بال جماعة من الناس فى بعض هذه الشقيقات ينظر إلى المسألة نظرة أخرى ، فيرى فى هؤلاء الأساتذة مرتزقة ، أو بلغتهم « عَيّاشة » يزاحمونهم الرزق ويطلبون العيش ؟ إن كثيراً من هؤلاء الأساتذة يعودون شاكين لا لما يعانونه من معالجة شئون الحياة بعيداً عن أهلهم وصوالحهم ، ولكن لأنهم ينبزون بلقب « العيّاشة » ! مع أنهم منتزعون من ضرورات المدارس المصرية

وأعتقد أن الأستاذ يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أنها كانت سابقة فى الأدب والثقافة . فما بال جماعة من الناس فى بعض هذه الشقيقات يعدون هذا استعماراً ثقافياً ، ويحملون فى بعض الصحف على الأدباء المصريين وعلى الثقافة المصرية ، حتى يصدر أحد رؤساء الحكومات أمراً بالكف عن هذه الملاحاة ؟

وأعتقد أن الأستاذ يسلم معى بأنه ليس ذنباً لمصر أنها فتحت أبواب معاهدها للطلاب من كل الشقيقات . فما بال بعض هؤلاء الطلاب الذين تقوم لهم مصر بواجبها فى الضيافة الكاملة والثقافة والرعاية يحلو لهم أن يملئوا أفواههم بنقد المصريين حتى ليصل هذا النقد إلى درجة التجريح فى وجه المصريين ؟ !

هذه كلمات لا تنقصها الصراحة ، وهى كلمات واجبة ، وهى عتب الشقيق على الشقيق ، مبعثه الود الصريح ، والإخاء العميق والإخلاص الوثيق .

سيد قطب

التطور الاجتماعى بعد الحرب

للأستاذ عبد القادر المغربى

إن اهتمام المفكرين فى نتائج هذه الحرب وما تتركه وراءها من أثر فى شؤون البشر قد تجاوز كل حد ، وأصبح لا يقل عن اهتمامهم بأخبار وقائعها وأهوال ملاحمها ولهم الحق فى ذلك : لأن الحرب مهما طالت ظل متقلص ، وسحاب متقشع ، أما نتائجها وما تتركه وراءها فهو على ما يظهر حكم مبرم باق إلى ما شاء الله .

وقد انتشر من جراء ذلك الذعر فى قلوب قادة الأمم وكبار زعمائها ، وأوجس كل منهم خيفة على مستقبل بلده وأوضاع وطنه .

وليس الشأن فى هذا ، وإنما الشأن فى التطورات الاجتماعية التى سوف تقلب عادات الأمم وأخلاقها وقوانين حياتها رأساً على عقب ، حتى زعموا أن التطور الاجتماعى سيشمل كل ما تقع عليه العين من مادة أو تحس به النفس من معنى — فالعالم بعد الحرب عالم آخر ينبغى أن يسمى منذ الآن (عالم ما بعد الحرب) — وحتى خشى الحريصون على أديانهم وتقاليدهم وآخرون على قومياتهم ولغاتهم ، أن يعمل ناموس التطور عمله فى تلك الأديان وهذه اللغات فيأخذ بهما ذات اليمين أو ذات الشمال .

نعم إن العقلية السياسية الديمقراطية التى تسيطر على البشر بعد هذه الحرب ستضمن للبشر سلماً دائماً يغمرهم ، وأنظمة دولية ثابتة تصون استقلالهم وتحمى حدودهم وتنتزع العدوان الديكتاتورى من بينهم .

أجل قد يكون هذا كله ، ولكنّ السلم الدائم المضمون شيء والتطور الاجتماعى المتوثب شيء آخر .

التطور الاجتماعىّ لا تقف فى وجهه حدود ولا تصده حرس ولا أغلاق ، هل سمعتم بالمظليات الجوية قط ؟ وهكذا هبوط التطورات الاجتماعية .

العقلية السياسية المسيطرة تقدر على وقاية الإنسانية من كل شيء إلا شيئاً واحداً : هو سلطان التطور الاجتماعى وما يحمله على كفه من المبادئ الاشتراكية والنزعات المتطرفة .

التطور الاجتماعى ناموس طبيعى قوى الشكيمة ماضى العزيمة ، ولم يكفه هذا حتى تقوم (الحريات الأربع) تحميه من ورائه وتنهض الدعاية بسحر دسائسها تمهد له من أمامه .

ونحن معشر المسلمين والعرب خاصة لا يمنعنا مانع أن نؤمن بكل ما يتكهن به المتكهنون عن نتائج هذه الحرب وتطور شؤون البشر بعدها ، إذ أن التطور من قَدَر الله سبحانه له فيه حكمة ومصلحة لعباده ، كما أن السلم الدائم من صنع أقطاب السياسة المسيطرة : لهم ولنا وللأمم كافة فيه الأمن والصلاح والإسعاد .

ولكن هل ننام معشر المسلمين والعرب على هذه الفكرة البراقة ، ونتعلل بها مطمئنين مستسلمين ؟

إذا لم يمكنا درء التطور غير الملائم لنا ، أفلا يمكننا تلطيفه وتحويل مجراه إلى ما فيه صلاحنا وسلامة إسلاميتنا ولغتنا ؟

فكر ملوكنا وكبار زعمائنا بأمر الوحدة العربية ، وتسييجنا بها ، فنعمّا فعلوا ، وإن فعلهم هذا من نوع تلطيف القضاء وتخفيف وقعه وتوجيهه إلى توفير مصلحة العرب السياسية والقومية

أفلا يفكر غيرهم من العاملين المسئولين فيلطفوا التطور المتوقع حصوله فى الدين واللغة ، ويوجّهوا إبرة بوصلته إلى ما فيه حفظ لدينهم وسلامة للغتهم ؟

والتطور الفكرى فى الدين وإصلاحه أمر خَطِر وخَطِير فى آن واحد ، ولا يمكن التعرض له فى موقفنا هذا بأكثر من قولنا : إن فى المتطرفين من المثقفين المسلمين من يرى ضرورة تقضى بفصل الدين عن الدنيا ، وآخرون منهم لا يرون هذا الرأى وإنما هم حريصون على العمل بالاجتهاد فى الدين كما كان يجتهد الأولون من السلف عند ما تتوفر فيهم شروط الاجتهاد ، ويزعمون أن هذه الشروط اليوم ممكنة الوجود فى مجموعة من الأفراد ، لا فى الفرد الواحد . وهذا الفريق لا يبعد عن روح الدين الإسلامى كما بعد الفريق الأول وإن كان معظم رجال الدين اليوم لا يرون فتح باب الاجتهاد .

وهناك فريق ثالث يرى التعجيل بعملية «التصفية» وخلاصة ما يقال فى وصف هذه العملية أن يُنَحّى إلى جانب من مسائل الدين وأحكامه ودراساته ما لا يمكن تطبيق نصوصه ولا العمل به فى عصرنا الحاضر ، فهو مُرْجأ إلى أن يأذن الله بعودته ، مثل معظم أحكام الجهاد والرق والعتق وإقامة الحدود إلى غير ذلك مما أصبح عبئاً على عاتق الثقافة الإسلامية التى تضطرها الظروف القاهرة إلى التخفف منه كى تنشط وتتمكن من لحاق من سبقها

فى ميادين الحضارة والعزة والغلبة .

هذه خلاصة مايحدث ، أو ربما يحدث من توثب الفكر الدينى — خيره وشره — بعد الحرب .

وما ذكرته أصول لهـا ذيول لا يمكن استيفاؤها إلا فى مصنفات أو محاضرات تلقى فى غير هذه الحفلة . أما حفلتنا هذه فيكفيها ما اجترأت به عليها مذ شغلتها بغير ما أعدت له : أعدت هذه الحفلة (بعد البيانات الرسمية) لبحوث اللغة وطرق وقايتها مما يهدد سلامتها .

ومهما ذكرت لكم من مهددات سلامة اللغة لا آتى بشىء تجهلونه بل سأعمد إلى عكس ذلك : فأذكر لكم أيها السادة من أسباب سلامة اللغة وضمانة أبديتها شيئاً جديدا ، شيئاً فيه طرافة وفيه استجمام ، وفيه استشفاف لما يأتى به الغد القريب من صنع الله العجيب .

يعود نشاط الآراء وتوثب الحرية فى المسائل الاجتماعية بعد الحرب إلى أشد مما كانت عليه قبلها . ويعود الداعى فيدعو إلى الشىء النكر : إلى استبدال اللغة العامية باللغة الفصحى ، ولا أطيل القول فى هذه المسألة لما أنكم أيها السادة المصريون خاصة أعرف بها وبمبتدإ خبرها من كل أحد . فالدعوة إلى اللغة العامية أشأم ما يهدد لغتنا العربية ، وهناك مسألة أخرى وهى استبدال الحروف اللاتينية بحروف كتابتنا العربية .. وهذه الدعوة أيضاً قد علمتم من أمرها أكثر مما علمتم من أمر الدعوة الأولى ، إذ لم تهدأ بعد هماهم الداعين إليها ، وشقاشق الرادين عليها ، وهى فلتة قام على أنقاضها نهضة مباركة تدعو إلى تيسير الكتابة العربية وتسهيل الإفادة بها والاستفادة منها ، وذلك من طريق إضافة حركات أونترات موصولة بأطراف الحروف العربية أو أوساطها ، فتصبح الكتابة العربية (ونسميها الكتابة الميسرة) سهلة فى القراءة ، قريبة التناول فى الطباعة ، خفيفة الظل على المعلمين والمتعلمين ، ولا شؤم فى هـذا المشروع ولا ضير ، بل إن فيه الخير كل الخير .

ومثله مشروع إصلاح قواعد اللغة العربية والاقتصار من مسائلها على ما تمس إليه الحاجة وتتوقف عليه صناعة البيان وملكة الإفصاح ... وهذان المشروعان (تيسير الكتابة ، وإصلاح قواعد اللغة) أهم ما يعنى به مجمعنا فى دورته التى نحن واقفون على عتبتها ، غير أن بعض المتشائمين يعترضنا ويقول : إن ما عرض حتى الآن من نماذج الكتابة الميسرة لا يخرجها عن كونها كتابة مستقلة ذات طابع خاص وشكل خاص ، لا يحسنه إلا من اعتاده وتمرن عليه ، فإذا حذقت الأجيال الآتية من أبنائنا هذه الكتابة وأهملوا الكتابة بالحروف العربية القديمة نسوا هذه الأخيرة بالطبع وجهلوا قراءتها . فتنقطع صلتهم بثقافة ماضيهم والاستمتاع بآثار أسلافهم . ومثاله القريب حروف الكتابة المغربية الافريقية اليوم فانها عربية فى أصلها ، لكن طرأ عليها من الأشكال والأوضاع والنترات والتقوسات ما حولها عن شكل الخط العربى المشرقى إلى خط خلاسى حتى أصبحنا نحن المشارقة عاجزين عن قراءة خطوط المغاربة ، وبذلك انقطعت صلتنا بثقافتهم وآثار علمائهم وهم إخواننا وأهلونا .

(وإنا نرى أقدامنـا فى نعالهم وآنفـنا بين اللحى والحواجب)

وكم مرة حملنا كتابات هؤلاء الأخوان ومصنفاتهم المخطوطة أو المطبوعة بحروفهم إلى من يقرؤها لنا منهم ، وقد لا نجده ، غير أن هذا كان قبل أن ينهض إخواننا فضلاء المغرب إلى تدارك هذه القطيعة بيننا وبينهم ، أما اليوم فقد أخذوا يطبعون وينشرون آثارهم القلمية بحروفنا المشرقية ، وبذلك عدنا إلى الوصل واجتماع الشمل ، وإلى الانتفاع بآثار عملهم والارتواء من معين فضلهم .

هذا بعض ما يقال فى لز الكتابة الميسرة المتوقع اختيارها ، فإذا كان ما يقوله هؤلاء العائبون لها حقاً ، وكان ما قاله أولئك فى لز الحروف اللاتينية حقاً أيضا ، وقعنا فى حيرة من أمرنا ، وأركسنا فى اليأس من تيسير كتابتنا ، وتسهيل تناول العلم على أحداثنا

هنا أسمع بعض الملهمين يقول مستبشراً : إنه لا ينجينا من هذه إلا إذا أصغينا إلى هاتف الأمل ، يهتف بنا من وراء حجب المستقبل ؛ فهو ينصح لنا — أولا — بالبقاء على الثقـة بكتابتنا العربية الجميلة التى ورثناها عن ابن مقلة . ويبشرنا — ثانياً — قائلا : إنكم علمتم مبلغ التطور المتوقع حدوثه بعد هذه الحرب ، وسيكون هذا التطور على أشده فى الصناعات ومختلف آلاتها وأدواتهـا ، ومن الصناعات التى سترتقى وتتطور إلى أقصى حد من الترقى والتحسن صناعة طبع الكتابة ، أى تصويرها بالفوتوغراف بآلة خاصة ، وطريقة خاصة ، وقد ارتقت هذه الآلة ، وطريقة التصوير بهـا فى سنين قليلة إلى حد أن مجلة « المستمع العربى » التى تطبع فى لندن باللغة العربية أصدرت منذ نحو شهرين

عدداً قدمته إلى القراء بقولها: «قمنا فى هذا العدد بتجربة جديدة، ذلك أننا قررنا جريا على خطتنا فى تحسين مجلتنا أن نستخدم طريقة الفوتوغرافير (Photogravure) وهى ليست من أحدث طرق الطباعة فحسب، بل هى من المستلزمات الضرورية لطبع الصحف الكبيرة المصورة، وقد اتبعت أمهات الصحف العالمية المصورة هذه الطريقة اهـ.

وطريقة الفوتوغرافير الطفلة سوف لا تبقى على طفولتها ولا على حالتها التى طبعت بها مجلة المستمع، بل سترتقى وتتطور كما ترقت وتطورت مطبعة (يوحنا غوتمبرج) التى تدار باليد إلى المطبعة الحديثة التى تطبع مطبوعاتنا بتذويب الرصاص (لينوتيب) (Linotype) بل إن الطيارة التى قطعت المانش منذ خمس وثلاثين سنة لا نسبة بينها وبين طيارات هذه الحرب، ولا يعلم إلا الله ما ذا يكون من مصير تطورها بعد خمس وثلاثين سنة أخرى.

وعلى هذه النسبة سترتقى الكتابة العربية المصورة بطريقة (الفوتوغرافير) ارتقاء مدهشا نستخدمه معشر العرب فى حفظ مكتبتنا والميراث الثقافى الذى تلقيناه من أسلافنا، وفى نشر العلم واللغة الصحيحة بين أبنائنا، وعندها نبقى على اتصالنا بماضينا والانتفاع بعلوم أسلافنا.

سيكتب الكاتب منا بعد خمس وثلاثين سنة — أو أقل — ما يريد كتابته من مقال أو خطاب أو رسالة أو مصنف، ويضطر الكاتب — بسبب أوامر الحكومة التى تجعل طبع الكتابة المعربة إجباريا — يضطر أن يجوّد حروف ما يكتب، ويتحرّى وضع النقط على الحروف وضبطها بالشكل الشامل لها، أو ما يلزم تشكيله منها، ثم يسلم أصول ما كتب إلى مدير مصنع الفوتوغرافير فيطبع منه أو نقول يصوّر عنه ألوفا وألوفا من النسخ فى ساعة من الزمن، فتجىء كلها طبق النسخة الأصلية المخطوطة بخط الكاتب أو المؤلف، وتُنشر هذه الملايين من النسخ المحلاة بعلامات الإعراب بين أيدى القراء، فإذا مرّ على الجيل الآنى من أبنائنا نصف قرن، وهم لا يقرأون من الخطوط إلا ما كان مطبوعا بطريقة الفوتوغرافير لا يعود أحد منهم يقرأ الكلام إلا معربا، ولا يلفظه إلا معربا، ولا يستظهره إلا معربا، بل لا يفهمه إلا معربا ويصبح إعراب الكلام سليقة لأبنائنا، وملكة راسخة فى نفوسهم، وهذا كالشأن فى أولاد عرب الجاهلية، قبل فساد اللغة بمخالطة الأعاجم، وإذ ذاك يصح للفتى العربى منا أن يتمثل بقول أبى الأسود:

ولستُ بنحويٍّ يلوك لسانه ولكن سليقىٌّ أقول فأعرب

وإذا اتفق وأصدر مصنع الفوتوغرافير كتابة عربية، لا هى بالمجوّدة، ولا بالمحررة ولا بالمعربة، بحيث لا يفهمها قارئوها، رفع الأمر إلى وزارة المعارف، فتصادر النسخ ذات الخطأ، ويحاكم مدير المصنع، وبهذه الصورة تقع المحافظة على سلامة اللغة العربية التى هى مبتغانا، ومن أهم أغراض مجمعنا، وسيكون من أثر انتشار هذه الطريقة (طريقة الفوتوغرافير) أن تهمل مطبعة (غوتمبرج) وتكسد صناعتها وصناعة ما يشبهها من آلات الطباعة، كما تبطل صناعة النحو إلا قليلا.

أما صناعة الخط بالقلم (ن. والقلم وما يسطرون). (علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فتنتعش وتنتشر، ويعود سلطانها إلى سابق عهده، وسامى مكانته.

وإذا نسخ الكاتب العربى فى المستقبل كتباً لطبعها وتصويرها سوف يكتبها معربة بسليقته وملكته السليمة لا بملكة قواعد قاسى عرَق القربة فى تعلمها، إلى غير ذلك من النتائج التى تُحدثها صناعة (الفوتوغرافير) فى ثقافتنا، وسهولة نشر العلم بين أحداثنا، وما يدرينا أن تقوم مجامعنا فتضع لصناعة الفوتوغرافير أسماء كالفغرفة مثلا كما قالوا الفلسفة والفذلكة.

وإذ ذاك لا نعود نهدد بمشروع اللغة العامية ولا نروّع بمشروع الحروف اللاتينية، بل ستهدأ فورة هؤلاء وتتحول إلى رضى واطمئنان وابتسام، ويضطر مجمع فؤاد الأول أن يعدل قوانينه وأنظمته تعديلا كبيراً أو صغيراً حسب الحاجة، ويستبدل ببعض أغراضه أغراضاً أخرى اقتضاها التطور، وترتفع الأصوات بشكر الله وحمده على أن وفق البشر إلى هذا الاختراع العجيب، فأنقذنا من الحيرة، ونجانا من المحنة.

عبد القادر المغربى

من تاريخ الأدب الفرنسي

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

فى حديقة النباتات بباريس ، وأمام متحفها ، يجلس تمثال بوفون Buffon ، باديا على محيّاه وقار العلماء ، وهدوء الباحثين ، وسكينة النّفس ، واطمئنان الضمير ، ولقد أحسن الفرنسيون فى اختيار هذا المكان لتمثاله ، فقد وقف الشطر الأكبر من حياته على دراسة ما فى الطبيعة من حيوان ونبات .

ولد بوفون فى السابع من سبتمبر سنة ١٧٠٧ فى مونتبار القريبة من ديجون ، وقضى تعليمه العالى بكلية ديجون ، ولم يكن متميزا فيها إلا بميله إلى الرياضيات . وظل بيفون إلى الثانية والثلاثين من عمره غير مهتد إلى السبيل التى هيأته الطبيعة لها ، ولم يقم بما يدل على أنه سيكون فى قابل حياته العالم العبقرى والكاتب الممتاز ، وفى تلك المرحلة قام برحلة مع أحد الأمراء إلى إيطاليا ولندن ، وألقى بحثاً فى المجمع العلمى نال به لقب العضو المساعد ، وترجم عن الإنجليزية بعض الكتب العلمية . وإذا كانت المصادفة تقود خطى بعض الناس ، وتكشف لهم عما يكمن فى أنفسهم من المواهب ؛ فإن الصدفة قد لعبت دوراً كبيراً فى حياة بيفون ، وحددت له الطريق الذى يجب أن يوجه اليه جهده ، فقد عين مديراً لحدائق الملك ، وكلفه الوزير أن يضع وصفاً منهجياً لما بالمقصورة الملكية من مجموعات النباتات ، ومنذ ذلك الحين وجد بيفون طريقه ، وخصص نفسه لدراسة التاريخ الطبيعى .

كان حينئذ فى الثانية والثلاثين من عمره ، وقضى المدة الباقية له فى الحياة ، وقدرها تسعة وأربعون عاما ، بين باريس التى كان يفر منها كلما استطاع ذلك وبين بلدته مونتبار ؛ وهناك كان ينهض من نومه الساعة الخامسة ، ويحبس نفسه بمكتبه حتى التاسعة ، ويفطر فى نصف ساعة يعود بعدها إلى العمل حتى الساعة الثانية إذ يتغدى . وهكذا كان يقضى كل يوم إلى نهاية حياته سنة ١٧٨٨ قدر بيفون أن يخرج كتابه : التاريخ الطبيعى العام والخاص فى خمسة عشر مجلدا ، ولكنه لم يمت إلا بعد أن صار ستة وثلاثين مجلداً ، ولقد أحرز ما ظهر من هذا الكتاب فى حياته شهرة واسعة ، وأقبل عليه القارئون فى شوق وحب .

كان بيفون ذا نفس سامية متزنة ، مستقلة ، هادئة ، وكان بعيدا كل البعد عما يدور فى عصره من المجادلات والاضطرابات وعاش للدرس والبحث والتأمل ، واجدا فى ذلك كل سعادته .

ولكى يجمّل التاريخ الطبيعى — وهو مادة جافة — مقبولا لدى الذوق احتاج أن يكون فى ذكاء كاتب من الدرجة الأولى .

وفى سنة ١٧٥٣ دعاه المجمع الفرنسى إليه من غير أن يتقدم بيفون بطلب إلى المجمع ، واستقبل فيه يوم ٢٥ من أغسطس ، وألقى حديثاً عرض فيه بعض خواطره عن الأسلوب ، وقد أثرت نقل هذا الحديث إلى اللغة العربية بجملته حتى لا يشوهه التلخيص ؛ قال بيفون :

سادتى :

لقد غمرتمونى بالشرف حين دعوتمونى إليكم ، ولكن التشريف لا يكون مزية إلا اذا كان المرء به جديرا ؛ وأنا لا أستطيع أن أقنع نفسى أن بضع مقالات كتبت خالية من الفن وغيره من الزخارف سوى زخرف الطبيعة تكون حججاً كافية للجرأة على أخذ مكان بين سادة الفن ، والرجال الأمجاد الذين يمثلون هنا عظمة فرنسا الأدبية ، والذين سارت أسماؤهم فى مختلف الأمم ، وسيظل ذكرهم حياً رفيعاً على ألسنة آخر أحفادنا . وإن لكم أيها السادة لبواعث أخرى فى اختياركم إياى ، ذلك أنكم أردتم أن تقدموا للمجمع العلمى المجيد الذى كان لى الشرف باتصالى به منذ زمن بعيد[1] — علامة جديدة من تقديركم ، وإن اعترافى بجميلكم — مهما يكن مقسما — لن يكون لتقسمه أقل قوة .

والآن ، كيف أؤدى الواجب المفروض علىّ ؟ ليس لدىّ أيها السادة ، ما أقدمه إليكم سوى ما لكم أنتم من فضل . فهو بعض أفكار عن الأسلوب استقيتها من كتبكم ، فبقراءتى لكم وبإعجابى

(١) كان بيفون عضواً فى المجمع العلمى منذ سنة ١٧٣٣

بكم أدركتها ؛ وبعرضها تحت أضواء أفكاركم تتضح فى جلاء .

فى كل الأزمنة وجد رجال عرفوا كيف يسيطرون على غيرهم بقوة الكلام ، ومع ذلك لا تعرف الكتابة الجيدة وفصاحة القول إلا فى العصور المستنيرة ، وإن الفصاحة الحقيقيـة تتطلب مران العبقرية والموهبة النفسية ، وهى فى الحق تختلف عن السهولة الخلقية فى الكلام التى ليست إلا نوعا من الفطنة ، موهوبا لكل هؤلاء الذين عواطفهم قوية وألسنتهم مطواعة وخيالهم سريع . هؤلاء الناس يشعرون شعوراً قويا ، ويتأثرون بقوة أيضاً ، ويبرزون شعورهم فى الخارج مدموغاً بالقوة ؛ وبتأثير آلىّ محض ينقلون إلى الآخرين حماستهم وانفعالاتهم . إن الجسم هو الذى يتحدث إلى الجسم ، فكل الحركات والإشارات تتعاون وتخدم أيضا

ماذا يجب لإثارة الجماهير وقيادتها ؟ وماذا ينبغى لتحريك القسم الأعظم من الرجال وإقناعهم ؟ نغمة حادة مؤثـرة ، وإشارات معبرة كثيرة ، وكلمات سريعة رنانة . ولكن العدد القليل من أصحاب العقول الراجحة ، والأذواق الدقيقة ، والمشاعر السامية ، الذين هم على شاكلتكم — أيها السادة — ممن يستقلون النغمة والإشارات ، والرنة الفارغة للكلمات ، تجب له أشياء أخرى وأن تقدم إليه أفكار وحجج ، ينبغى لمن يقدمها أن يعرف كيف يبرزها وكيف يلونها وينسقها ، ولا يكفيه أبداً أن يقرع الأذن أو يشغل العين ، بل يجب أن يحرك الروح ، ويلمس القلب ، متحدثاً إلى اللب (١) .

ليس الأسلوب إلا النظام والحركة التى يضعها المرء فى أفكاره (٢) ، فإذا ربطت هذه الأفكار بدقة ، وضمت ، صار الأسلوب متيناً قوياً موجزا ، أما إذا تركت تتتابع فى بطء ولا تأتلف ، إلا بفضل رباط الكلمات ، مها كانت أنيقة فإن الأسلوب يكون مسهبا رخواً مملاً .

ولكن قبل أن نبحث عن النظام الذى تصبُّ فيه الأفكار يجب أن يكون ثمت خطة أشمل وأثبت ، من الواجب ألا يدخل فيها سوى العناصر الأولى ، والأفكار الأساسية (١) ، وإنه بتعيين مكان العناصر والأفكار من هذه الخطة البدائية ، يكون الموضوع محدداً معروف المدى ، وبالتذكر الدائم لهذه الخطوط تحدد المسافات الصحيحة للأفكار الأساسية ، وتخلق الخواطر الإضافية الثانوية التى تفيد فى إكمالها بقوة العبقرية ، نستحضر كل الأفكار العامة والخاصة فى ثوبها الحقيق ، وبالدقة العظيمة فى الفرز تتميز الأفكار المجدبة من الخصبة ، وبالبصيرة النافذة المتنبئة التى يأتى بها كثرة اعتياد الكتابة يشعر الكاتب سلفاً بما سوف تفضى إليه كل عملياته العقلية . وعند ما يكون الموضوع واسعاً أو معقداً يكون من البيّن أنه من النادر أن يستطاع شموله بنظرة واحدة ، أو اختراقه بأول مجهود للموهبة . ومن النادر كذلك أنه حتى بعد تأملات عدة أيضاً تدرك كل تفصيلاته فلا يستطاع إذاً أن يشغل الكاتب نفسه بذلك كثيراً ، ومع هذا ، تلك هى الطريقة الوحيدة لتوطيد أفكار الكاتب ، وتفصيلها والسمو بها : فكلما منحها ما يقومها ويقويها بالتفكير يكون من السهل عليه بعدئذ أن يوضحها بالتعبير .

ليست هذه الخطة مع ذلك بالأسلوب ، ولكنها قاعدته . هى التى تصونه وتقوده وتنظم حركته ، وتخضعه للقوانين ، وبدونها يضل خير الكاتبين ، ويسير قلمه بدون قائد ، ويأتى مصادفة بصفات شاذة ، ومجازات متنافرة ؛ ومهما تكن الألوان التى يستخدمها لامعة ، والمحسّنات منثورة فى الجزئيات ، فإن العمل فى جملته يصدم الإحساس ولا يتضح ، ولن يكون التأليف أبداً محكم البناء . ومع إعجابنا بعقل المؤلف يستطاع الارتياب فى أن الموهبة تنقصه (٢) . ولهذا السبب كان هؤلاء الذين يكتبون كما يتكلمون — مهما كان حديثهم عظيم الجودة — ذوى كتابة

---

(١) لايقبل بيفون إلا فصاحة التفكير ، والتفكير عنده أساس التأثير

(٢) هذه هى الفكرة السائدة فى المقال ، وهى أول تحديد للاسلوب ولها قيمة خاصة ، إذ أنها لا تفرق بين المعنى والصورة ، وتعود بفن الكتابة إلى فن التفكير الدقيق المنظم

(١) هذه هى الخطة التى اتبعها بيفون ، فإنه قبل أن ينشر المجلدات الثلاثة الأولى لكتابه التاريخ الطبيعى ، كانت خطة كتابه كاملا قد نشرت فى مجلة العلماء Journal des Savants .

(٢) قال فنلون Fénelon : إن المقال لا يكون له نظام حق إلا إذا كان من غير المستطاع أن نضع جزءا مكان آخر بدون أن نضعف المجموع أو نبهمه أو نخل به ، وكل مؤلف لا يضع هذا النظام لمقاله لايملك موضوعه حقاً ، وليس له إلا ذوق غير كامل وفطرة متنقصة . ويجب أن يشمل النظر كل شىء ، ويخترق كل شىء ، ليعرف المكان الدقيق لكل كلمة .

رديئة ؛ وهؤلاء الذين يتبعون أول شرارة يقدحها خيالهم يأخذون سمة من لا يستطيعون ضبط أنفسهم ؛ وهؤلاء الذين يخافون أن يفقدوا أفكارهم المفرّقة الشاردة ، ويكتبون فى أوقات مختلفة قطعاً متفرقة لا يستطيعون أبداً أن يجمعوها بدون تغيير اضطرارى ، وفى كلمة واحدة : نجد كثيراً من المؤلفات قد كون من قطع شتى وقليل منها ما له هدف واحد .

ومع ذلك كل موضوع وحدة[1] ، ومهما يكن البحث واسعاً فمن الممكن وضمه فى مقال واحد ، والانقطاعات والاستراحات والتقسيمات لا يصح أن تستخدم إلا عند ما تعالج موضوعات مختلفة ، أو عند التحدث فى أشياء جليلة شائكة متباينة ، فيجد تيارُ التفكير نفسه معترضاً بشتى العقبات ، ومكرها بضرورة الظروف ؛ وفضلا عن ذلك ترى كثرة الأقسام ، مع بعدها عن أن تجعل الموضوع شديد الالتحام تهدم وحدته . وإن الكتاب بها يبدو أمام العينين واضحاً ، ولكن هدف المؤلف يظل غامضاً ، ولا يمكن أن يؤثر فى نفس القارئ ؛ وإن الغرض لا يدرك إلا باتصال الأفكار ، وارتباطها ارتباطاً ملتئماً ، وبالشرح المتتابع ، والتدرج الآخذ بعضه بحجز بعض ، وبالحركة المتسقة التى يهدمها كل انقطاع أو يضعفها .

ولماذا كانت أعمال الطبيعة تامة الكمال ؟ ذلك أن كل عمل وحدة تامة ، وأنها تعمل تابعة لخطة خالدة لا تفارقها أبداً . إنها تهيئ فى صمت بذور ما تنتجه ، وترسم بنظام واحد الشكل الأول لكل المخلوقات الحية ، وتنميه ، وتكمله بحركة دائمة وفى وقت معين . العمل عجيب ، ولكنه الطابع الإلهى فيه سماته التى يجب أن تؤثر فينا . وإن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تخلق شيئاً ، ولا تنتج إلا بعد أن تكون خصبة بالتجربة والتأمل ؛ ومعارفها بذور إنتاجها ، ولكنها إذا قلدت الطبيعة فى سيرها وعملها ، وإذا ارتفعت بالتأمل إلى أسمى الحقائق فوحدتها وربطتها ، وكونت منها بالتفكير كلًّا ومنهاجا فإنها تبنى آثاراً خالدة على أسس لا تتزعزع .

إنه لمن نقص فى الخطة ، ومن عدم التفكير الكافى فى الغرض ، أن رجلا ذكياً يجد الموضوع يملك نفسه ولا يعرف بم يبدأ الكتابة . إنه يدرك مرة واحدة جملة عظيمة من الأفكار ، ولأنه لم يستطع أن يوازن بينها ، ولا أن يلحق فكرة بأخرى ، لا يمكنه أن يجزم بتفضيل بعضها على بعض ، ويظل إذاً يتخبط فى حيرته .

ولكنه منذ أن يضع الخطة ، ومنذ أن يجمع أفكاره الأساسية للموضوع وينظمها ، يدرك فى الحال بسهولة ما يجب أن يتناوله قلمه ، وسيشعر باللحظة التى يتم فيها نفح فكرته ، وسيجد نفسه معجلا إلى الإنتاج ، ولن يجد إلا السرور بالكتابة ، تتتابع الأفكار فى يسر ، ويصير الأسلوب طبيعياً سهلا ، وتتولد الحرارة من هذا السرور ، وتشيع فى كل مكان ، وتعطى الحياة لكل تعبير ، وينتعش كل شىء كلما تقدم الكاتب فى الكتابة ، وترتفع نغمة الأسلوب ، وتأخذ الأشياء ألوانا زاهية ، والشعور منضما إلى الوضوح يفخمها ويقويها ، ويصير الأسلوب بذلك جذاباً مشرقاً .

لا شىء يعارض الحرارة إلا الرغبة فى أن نضع دائماً عبارات أخاذة . ولا شىء ينافى الوضوح والضوء الذى يجب أن يكون له مركز ينتشر منه متناسقاً فى المؤلَّف كله — إلا هذه الومضات التى تغتصب بالقوة من تضاد الكلمات بعضها لبعض ، والتى لا تبهرنا بعض الوقت إلا لتتركنا بعدئذ فى الظلمات . إنها أفكار لا تلمع إلا بتضادها[1] ، ولا تبرز إلا جانباً من جوانب الموضوع بينما يوضع فى الظلام كل الجوانب الأخرى ؛ وفى العادة يكون هذا الجانب الذى يختار حدا أو زاوية يتلهى الذهن بها بسهولة ، بينما يكثر بعدُه عن الجوانب العظيمة التى اعتاد الفكر المستقيم أن يقدر بها الأشياء .

[البقية فى العدد القادم]

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(١) قال فنلون ذلك عينه وبالأسلوب نفسه تقريباً ؛ قال : كل مقال وحدة ، وإنه ليعود إلى قضية واحدة وضحت بعبارات مختلفة . هذه الوحدة فى القصد جعلت الكتاب بجملته يرى بنظرة واحدة كما يرى من ميدان فى المدينة جميع الشوارع والأبواب إذا كانت الطرق كلها مستقيمة منتظمة مهندسة . إن المقال لهو القضية مشروحة ، وإن القضية لهى المقال مجملا .

(١) قال باسكال Pascal هؤلاء الذين يصنعون ألوان الطباق بإكراه الكلمات مثلهم مثل هؤلاء الذين يصنعون نوافذ كاذبة للتناسب .

صوت من العالم الآخر

للأستاذ نجيب محفوظ

[تتمة ما نشر فى العددين السابقين]

استرق إلى نفسى خاطر أن أنطلق بروحى إلى العالم فانطلقت، لم تحدث حركة فى الواقع . وإنما كان يكفى أن يتجه فكرى إلى شىء حتى أجده ماثلاً أمامى . بل الواقع أعظم من ذلك ؛ فقد صار بصرى شيئاً عجباً ؛ لا يعصى أمره شىء ، صار قوة خارقة تشق الحجب وتتخطى السدود ، وتنفذ إلى الضمائر والأعماق . بيد أنى — وقد حم الوداع — نازعنى الفكر إلى أهلى . فوجدت نفسى فى دارى . أما الصغار فقد راحوا فى نوم عميق لا يزعجه بكدر . وأما زوجى وأمى فقد افترشتا الأرض ، ولاح فى وجهيهما الهم والغم . لشد ما أعياهما الحزن والبكاء ! وغدا يتضاعف حزنهما عند تشييع التابوت إلى مثواه الأبدى . وقد تغلغل روحى فى فؤاديهما فتحرك رأساهما وتمثلت لهما فى الأحلام ، ورأيت القلبين المحزونين يخفقان فى كمد وألم . فيم كان كل هذا الكدر ؟ ! بيد أن شيئاً استرعى بصرى ! رأيت فى سويداء القلبين نقطة بيضاء . فعرفتها — فما عاد يخفى علىّ علم شىء — فهى بذرة النسيان ! آه ... ستكبر هذه النقطة وتنتشر حتى تشمل القلب كله . أجل أدركت هذا حق الإدراك ، ولكن بغير مبالاة فلم أعد أكترث لشىء . وتساءلت مسوقاً بلذة المعرفة متى يمكن أن يحدث هذا ؟ ! فأرتنى عيناى العجيبتان صورة من المستقبل : رأيت أمى تمسك غلاماً بيمناها وتشق طريقها وسط زحام شديد ملوحة بزهرة اللوتس . فعلمت أنها خرجت — أو أنها ستخرج — للمشاركة فى أسعد أعياد قريتنا ، عيد الإلهة إيزيس . كان وجهها متهللاً وكان ابنى يهتف ضاحكاً . ورأيت زوجى تهيئ مائدة — والطعام خير ماتصنع فى دنياها — وتدعو إليها رجلاً أعرفه ، فهو ابن خالها ساو . ونعم الزوج هو . ولو أن ميتاً يسر لسررت لها ، لأن ساو رجل فاضل ، وهو خير من يسعد زوجى ويرعى أبنائى .

وانصرفت روحى عن دارى . فمرت فى سبيلها بقصر أميرى المحبوب ، فشاهدت عقل الأمير ووجدته متأسفاً لفقدى وهو الذى قدرنى أجمل التقدير وجازانى خير الجزاء . ووجدته مشغولاً باختيار خلف لى فقرأت فى ذاكرته اسم المرشح الجديد « آبرع » وكان من مرءوسى النابهين وإن لم تتصل بيننا أسباب المودة . كل هذا جميل . ولكن إلام أبقى فى قريتى واليوم يستقبل فرعون رسول الحيثيين لتوقيع معاهدة الصلح والسلام ؟ رأيت منف — فى لمح البصر — تعج بجمهورها الحاشد . والقصر فى أروع منظر . وقد اجتمع فى بهو العرش العظيم الملك والرسول والكهنة والنبلاء والقواد . هؤلاء هم سادة الدنيا قد جمعهم مكان واحد . وهذا فرعون المظفر يحادث رسول الحيثيين الجبابرة فى جو بالمودة عامر . أما صدر الملك فقد امتلأ احتقاراً ، وترددت بأعماقه هذه العبارة : « لا بد مما ليس منه بد » وأما صدر الرسول فقد بض كراهية ، وتحيرت به هذه الفكرة : « صبراً حتى يموت هذا الملك القوى » . ونشطت عيناى ، فرأيت الوجوه والملابس والقلوب والعقول والبطون . رأيت عالمى الظاهر والباطن بغير حجاب . وتسليت زمناً بتفحص ما فى البطون من طعام فاخر وشراب معتق ، حتى عثرت بمعدة كاهن على بصل وثوم ! وهما محرمان على الكهنة . وتساءلت ترى كيف غافل هذا الرجل الورع أقرانه ودس هذا الطعام فى جوفه ؟ ! ولمحت فى ناحية من معدة أحد النبلاء دبيب المرض الذى أودى بحياتى ، وكان الرجل يحاور قنداً فى سرور وانشراح فقلت له فى نفسى : « على الرحب والسعة ! » . ثم وقع بصرى على الحاكم تيتى الذى اشتهر بالقسوة والبطش حتى ليوالى فرعون النصح له بالاعتدال مع رعايا إقليمه . فنظرت إليه بإمعان . وسرعان ما تكشف لى عن جسم مهزول ، مريض الأعضاء ، لا يفتأ يشكو مرّ الشكوى أسنانه ومفاصله . وكلما ألح عليه الألم تمنى لو يستطيع بتر الفاسد من جسمه . ولذلك تملكته فكرة البتر بقسوة فلا يتردد عن بتر المعوج من رعاياه بعنف لا يعرف الرحمة . وإلى جنب تيتى شاهدت الوزير مينا ، ذلك الرجل العنيد الذى حارب فكرة الصلح بكل قواه ، وطالما حرّض على القتال ، وتساءلت ترى ماسر عناد هذا الوزير الخطير ؟ ! رأيت عقله نيراً ، ولكن أمعاءه ضعيفة فتستبقى فضلات الطعام طويلاً فتلوث دمه فى دورته فيذهب إلى عقله فاسداً ، ويغشى نور أفكاره ، حتى إذا خرجت من فمه كانت ذات شر كبير ! والرجل مقتنع برأيه يراه واضحاً مستقيماً كما أرى مخه مسوداً ملوثاً ! ثم دار بصرى بالصدور يستقرئها خفاياها الكامنة وراء بسمات الثغور . هذا صدر ثقل عليه الملل فهمس لصاحبه : « متى العودة إلى القصر حيث السماع والقيان ؟ ! » وهذا صدر يتوجع قائلاً : « لو مات الرجل بمرضه لكنت الآن قائداً على فرقة الرماح ! » وذاك صدر يقول فى جزع متسائلاً : « متى يقوم الأحمق برحلته التفتيشية فأهرع

إلى زوجه الحسناء المحبوبة ... آه ... » وقال صدر لصاحبه من الأعماق : « لا يدرى إنسان متى يحين الأجل . فلا يجوز بعد اليوم أن أؤخر بناء مقبرتى . أو فما فائدة المال إذاً ؟ ! » وتولت الحيرة صدراً كبيراً فجعل يقول لصاحبه : « قال أخناتون إن الرب هو آتون . وقال حار محب إنه آمون . وهناك قوم يعبدون رع . فلماذا يتركنا الرب فى شقاق ؟ » ولم أواصل الاستطلاع طويلاً فى هذا الحفل الفرعونى الجليل إذ سرعان ما أدركنى الملل .

فتحولت عنه ووجدت نفسى مرة أخرى فى الدنيا الواسعة . ومرت أمام ناظرى مشاهد كثيرة من الأرض والسماء ، لمست حقائقها جهرة ، ونفذت إلى صميمها ، حتى وقع البصر على جنين يتكون فى رحم ، فرأيته يكتسى لحماً وعظماً . وشهدت مولده . وجرى البصر معه فى المستقبل فرآه طفلاً وصبياً وغلاماً وشاباً وكهلاً وشيخاً وميتاً . وشاهد ما اعتوره من حادثات وحالات سرور وحزن ورضا وغضب وأمل ويأس وصحة ومرض وحب وملل . رأى ذلك جميعه فى دقيقة من الزمان . حتى كاد يختلط فى أذنى بكاء الميلاد وشهقة الموت ! وغلبتنى على أمرى رغبة جامحة فى اللعب فسايرت حيوات أفراد كثيرين من الميلاد إلى الممات . واستلذذت كثيراً وقوع الحالات المتنافرة لا يكاد يفصل بينها زمن ! فهذا وجه يضحك ويقطب ثم يضحك ويقطب عشرات المرات فى جزء من الثانية ! وهذه امرأة تتيه حسناً وتعشق وتتزوج وتحبل وتلد وتهرم وتقبح وتسمج فى لحظة من الزمان ! ووفاء وخيانة لا يفصل بينهما زمن . هذا وغيره مما لا يحيط به حصر جعل الحياة مهزلة . فلو أن ميتاً يضحك لأغرقت فى الضحك . وبدا لى كأنه لا حقيقة فى العالم إلا التغير ! ورغبت نفسى عن مطالعة الأفراد وحيواتهم المجنونة فغابوا عن بصرى . ورنوت إليهم من بعيد جمعاً غفيرا لا يحده شىء . تضاءلت الحجوم وطمست المعالم وانعدمت الفوارق . فصاروا كتلة واحدة . ساكنة صامتة . لا حياة فيها ولا حركة . رحت ألقى البصر فى دهشة وحيرة . حتى ألفت النظر . فتكشف لى عن جانب جديد كان من قبل خافياً . رأيت ذلك الظلام الساكن يشع نورا شاملاً ؛ فإن الأنوار الخافتة المتهافتة التى تخفق فى كل مخ — على حدة — ضعيفة خابية ، اتصلت فى المجموع الملتحم المتماسك ولاحت نوراً قوياً باهراً . رأيت فى لمعها حقاً باهراً وخيراً صافياً وجمالاً متألقاً فازددت دهشة وحيرة . رباه لشد ما تعانى الروح وتتعذب ولكنها تبدع وتخلق على رغم كل شىء . رباه لقد رأى توتى أموراً جليلة وليرين أموراً أجل وأخطر . وأيقنت أن ذلك النور الذى بهرنى إن هو إلا نقطة من السماء التى سأعرج إليها . وغضضت البصر . ووليت الدنيا ظهرى . فوجدت نفسى فى حجرة التحنيط المقدسة . وقد ملأ روحى سرور إلٰهى لا يوصف ...

***

وانتهت أيام التحنيط السبعون . فجاء الرجال مرة أخرى ، واستخرجوا الجثة من الحوض وأدرجوها فى الأكفان ، وأتوا بالتابوت وقد زانوا غطاءه بصورة جميلة لتوتى الشاب ووضعوا فيه الجثة ، ثم رفعوه على أعناقهم وساروا به إلى الخارج ، فتلقاه المشيعون من الأهل والجيران بالعويل واللطم ، وعاد النواح كأفظع مما كان يوم النعى ، وذهبوا إلى شاطئ النيل ، وهبطوا إلى سفينة كبيرة أقلعت بهم صوب مدينة الأبدية على الشاطئ الغربى ، والتفوا بالتابوت يصوتون وينوحون . قالت أمى : « لا جف لى دمع ، ولا اطمأن لى قلب من بعدك يا توتى ! » . وصاحت زوجى : « لماذا قضى علىّ بأن أعيش بعدك يا زوجى ! »

وقال حاجب الأمير : « توتى أيها الكاتب المجيد . لقد تركت مكانك شاغراً ! »

ولبثت أنظر بهاتين العينين اللتين تنكرتا لماضيهما ، وكأن سبباً لم يصلنى يوماً بهذه الدنيا ، ولا بهؤلاء الناس . ورست السفينة إلى الشاطئ ، فرفعوا التابوت مرة أخرى ، ومضوا به إلى المقبرة التى أنفقت فى تشييدها جل ثروتى ، وأحلوه موضعه من الحجرة : وفى أثناء ذلك كان جماعة من الكهنة يتلون بعض الآيات من كتاب الموتى ، يلقنوننى التعاليم الهادية من أقوم سبيل ! ثم جعلوا ينسحبون تباعاً حتى خلا القبر ، ولم يعد يسمع من شىء إلا العويل الآتى من بعيد ، وأغلقت الأبواب وهيلت عليها الرمال ، فانقطعت كل صلة بين العالم الذى ودعت ، والدنيا التى أستقبل ...

* * *

ملاحظة : هنا انقطعت الكتابة فى المخطوط الهيرغليفى ، ولعل فترة الانتظار التى أشار إليها الكاتب فى أول كتابته كانت قد انتهت . ولعل رحلته الأبدية كانت قد بدأت ، فشغل بها عن قلمه المحبوب ، وعن كل شىء .

نجيب محفوظ



متحمس . . . !

يتحمس فى كل شىء : فى رأيه ، فى إشارته ، فى نطقه ، فى عبارته ، فى جلسته ، فى حركته ، فيما يختار من ألوان ملبسه ، فى ضحكته ؛ ولا بد أنه قياساً على كل هذا متحمس كذلك فى بكائه . وكم تمنيت — على شدة كراهيتى للبكاء — لو رأيته يبكى لأرى مبلغ حماسته فى دمعته !

قارب الثلاثين أو جاوزها قليلاً . حديث العهد بشهادة من شهادات إحدى جامعتينا فهو بها معتز مغتبط متحمس فى اعتزازه واغتباطه . ولست أجد فى ذلك مايلام عليه فهذا ما يفعله كثيرون غيره ممن يظفرون بشهادات جامعية يستطيعون بعدها أن يعملوا ليظفروا بالألقاب العلمية الضخمة ، ومن منهم لا يحب أن يصبح دكتوراً مرموق المكانة عظيم الخطر ؟

وصاحبنا الذى اختلس منظارى النظر إليه ساعة ، وحملقت فيه عيناى أكثر من مرة من شدة إعجابى به ، ولست أقول من فرط تعجبى منه ، قد عقد النية فيما علمت من أنبائه على أن يكون دكتوراً مهما كلفه ذلك من جهد . على أننى لا أذكر أنى رأيت فيمن يحملون هذا اللقب العظيم من هو أشد ذهاباً بنفسه من صاحبنا هذا ، ولا من يصطنع لهجة الأستاذية والضلاعة ، ولا من يقطع بالرأى فى سرعة ويقين ، ولا من يقذف بالأحكام العريضة فى سخاء ويسر ، كما يفعل هذا الذى لم يصبح دكتوراً بعد ، وهذا هو سر إعجابى به ، فما أحسب إلا أنه غنى بذلك كل الغنى عن جميع الألقاب

كل وصف عنده ، سواء وصف ما يرضيه أو وصف ما يسخطه ، يأتى على وزن أفعل كما يقول النحاة ، فهذا أحسن مؤلف ظهر حتى اليوم ، وفلان أكبر عالم فى البلد ، وهذا أجهل رجل بكيت وكيت من المسائل ، وهذه أحسن خطة ؛ وهكذا دائماً على وزن أفعل النحاة ، أو على طريقة أفعل التجار فى مثل قولهم أحسن صنف وأفخم قماش وأجمل لون وأرخص سعر !

وهو على أهبة دائماً لأن يعارضك فيما تبدى من رأى . وليته يقارعك حجة بحجة ، أو يعنى حتى بمجرد الاستماع إلى أن تتم رأيك ، فإنك ما تكاد تشير إلى فكرة حتى تراه ينهال عليك بما حفظ من مسائل ، فيورد طائفة مختلفة من الآراء وليس يهمه إن كانت تتصل من قريب أو من بعيد بما يدور الكلام حوله ، وإنما يكفيه أنه هكذا قرأها ، وإنه ليوردها أحياناً مبتورة مشوهة فيقحمها عليك إقحاماً ، فإن غيرت مجرى الحديث لتصحح له نسومه عاند وأصر على أن الصحيح ما يقول ، فلا مناص إذاً من أن تجد نفسك وإياه وقد خضتما فى حديث جديد لتنتقلا منه بنفس الطريقة إلى غيره ثم إلى غيره ، وحينئذ ينظر إليك نظرة الظافر ، ويبتسم ابتسامة من يرثى لضيق عقلك وقلة اطلاعك ، وإنه لأهون عليك ألف مرة أن ترضى بذلك من أن تساويه فى جدله

وإنه ليلتفت إلى متحاورين فى المجلس فما أسرع ما يجعل من نفسه خصماً ثالثاً وما سأله أحد رأيه . وإنه ليسفه كلا الرأيين المتجادلين ، فما تدرى ماذا يريد ، ثم يهجم هجومه على أسلوبه المعتاد ، فهذا الرأى أضعف ما قيل فى هذه المسألة ، وذلك أبعد ما يكون عن الحقيقة ، وقول فلان هـذا يرفضه أبسط متعلم ، ولا يجوز عند أقل الناس إلماماً وأضعفهم إدراكاً ، وإن الرأى الصحيح بل أدق الآراء وأحذقها هو ما ذكره العلامة فلان والفيلسوف علان فى كيت وكيت من الكتب . وإنه ليرتعش من جميع نواحيه وتهتز أطرافه من فرط تحمسه ، وتتعاقب الصفرة والحمرة على محياه الكريم ، بحيث لو دخل زائر فى هذه الحالة لما شك أنها معركة تبودلت فيها أقذع التهم وأخش المطاعن

وإنك لتقرأ فى وجهه العجب والغضب من أنك تطاوله ؛ فضلاً عن أن تنكر عليه ما يقول ، فهل قرأت مثل ما قرأ أو بعضه ؟ وكيف لا تؤمن بطول باعه ورسوخ قدمه ، وإنك لتراه يتناول كل معضلة ويجادل فى كل فن ولا تعزب عن ذهنه صغيرة ولا كبيرة من المسائل ، فإن تكلم فى المجلس اقتصادى انبرى له ، وإن تحدث لغوى وثب عليه ، وإن جادل سياسى أخذه من أقطاره ، وإن شرح طبيب سبب علة أبان له وجه الخطأ فيما يقول ، وإن أرخ مؤرخ لحادث شهده بنفسه أو روى حديثاً عن عظيم طواه الموت جابهه بما يشبه التكذيب لأنه لا يمكن أن يعتقد وقوع ذلك فإنه أبعد ما يكون عن العقل وأضعف سنداً من أن يعتمد عليه

وبعد فما كانت الحماسة عيباً ، وإننا معشر المصريين لمن أكثر بنى الدنيا تحمساً فى معظم الأمور ، وإنما هو هذا المنظار اللعين يأبى إلا أن يستخرج من هذه الحماسة الشائعة ما يسوقه مساق التندر والمعابثة ، وهذه صورة منها سوف تعقبها صور

الخفيف

التصوير الفني في القرآن

لمؤلفه الأستاذ سيد قطب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

نقد وتعليق

هو كتاب شاعر ناثر ناقد، زاول الشعر والنثر والنقد، ونجح في ذلك كله كثيراً من النجاح.

ولا بد لمن يتناول البحث في القرآن من جانب فنه البياني أن يكون قد زاول التعبير الفني ونجح فيه واتصل بفنونه اتصالا وثيقاً، وأن يكون كذلك له ذوق وحكم وتقليب نظر في أجواء البيان الرفيع.

ولست أقدم «المؤلف» للقراء، فهم يعرفونه، بل أقدم كتابه هذا الذي هو لا شك نظرة واسعة لبيان القرآن جاوزت حدود تلك النظرات القديمة المعقدة الضيقة التي كانت في أكثرها تتخذ «وحدة» القياس البياني في الغالب من العلاقات والتخييلات الجزئية بين أجزاء الجملة. فتنظر لوضع اللفظ وحده في وصلته بالحقيقة والتخييل، وقليلا ما تتخطاه إلى الصورة الجامعة وملابساتها وما حولها من الظلال والرموز.

ومن حق المؤلف أن يحظى من النقد بالتفتيش والتتبع لما يكتبه من أدب حر، لأنه هو يعنّي نفسه في التفتيش والتتبع لما يكتب المؤلفون، وتقديمه للناس وتعريفهم به. وهو عمل متعب مشكور، له أثره في تعريف الكاتبين إلى أنفسهم أولا، وفي وجود صدى لا بد منه لآثارهم. وفي إثارة الأذهان نحو النقد والحكم على الآثار الأدبية ومعرفة أهدافها وتبيين آثارها وأساليبها وسماتها، وفي التاريخ لها أولا بأول..

والذي أستطيع أن أقوله بسرعة عن هذا الكتاب: إنه ينزل إلى مكان كريم من مكتبة القرآن، لأنه حديث جديد عميق في أسرار بيانه، وعرض رشيق لمذهب من مذاهب الفهم والذوق لإعجاز تعبيره.

وينزل كذلك إلى مكانه من مكتبة بحوث «البلاغة» والنقد الأدبي، لأنه ظاهرة طيبة لتحررها من النظرة الجزئية وتسديدها إلى النظرات الواسعة الكلية التي تستوفي «الجو» العام الذي صدر فيه الأثر البياني، وتتلمس المناسبات الداخلية والخارجية حوله، وتحلل العلاقات الكثيرة بين الكاتب والمكتوب والقارئ والموضوع.

ويدخل كذلك ببعض فصوله إلى مكانه من مكتبة الأدب الفني لأنه يكشف عن صورة للقرآن في ذهن شاعر معروضة عرضاً جميلا بأسلوب ناثر دقيق التعبير مشرق الأسلوب، له ذوق وحساسية وبيان، لا بأسلوب «محصل» علم، إن أصاب الفكرة فقد يخطئ التعبير..

ويدخل كذلك إلى مكتبة «الفن» وأعني به هنا التصوير بالريشة والإزميل، فهو يضع أمام المصورين الباحثين عن الشاهد الرائعة صوراً بيانية للوحات حية مشروحة الدقائق والتفاصيل والأضواء والظلال والأطياف والشواخص والمعاني، يستطيعون أن يتملّوها ويتفرسوا فيها فيجدوا متاعاً أي متاع..

وينزل كذلك إلى مكانه من «البحث» المستقصي والتتبع والتحقيق وجمع الحلقات المفرقة عن الموضوع الواحد. كما يتجلى ذلك في مباحث «القصة في القرآن». وهي مباحث استغرقت أكثر من ربع الكتاب وتعد موضوعاً قائماً بذاته فيه.

وقد عرض في بعض فصوله لكثير من المباحث التي تدور حول القرآن، ولا غنى عنها لمن يريد أن يتفرس في بيانه.

***

غير أنني أخشى أن يكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف في أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية التي عنونه بها في جو من المبالغة والتعميم.

ذلك أن يقرر في الفصل الذي أنشئ من أجله الكتاب أن (التصوير هو الأداة «المفضلة» في أسلوب القرآن) وأن إدراكه وسيلة إلى (إدراكنا «سر الإعجاز» في تعبير القرآن)

فإذا تجاوزنا عن الفرق بين كلمة «أسلوب» وكلمة «تعبير» وفهمنا أن الأستاذ في الغالب يريد من الكلمة الأولى معنى الكلمة الثانية، إذ لا يخفى عليه الفرق بينهما، وخصوصاً في القرآن، فإننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إطلاق كلمة «المفضلة» ولا عن

إطلاق « سر الإعجاز » لأن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة فى التعبير يقتضى الاعتماد على « الإحصاء » وظهور نتيجته بكثرة عددية .. فهل إذا أحصينا طرق التعبير فى القرآن نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟

إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن ، فسيجد أن التصوير الفنى أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة فى القرآن ، وليست هى الغالبة ولا الكثيرة .

فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافئ المعنى واللفظ ، والذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعير لفظاً واحداً من غير أسرة الألفاظ التى فى الجملة ليحرك به الخيال ويلمس الحس لمساً رفيقاً ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابسات الخيال متساوية ، وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هى الغالبة ، وتارة تكون هى الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن فى كل أولئك بأسلوبه المتفرد وسر إعجازه ؛ فليس التصوير الفنى وحده هو سر الإعجاز فى تعبيره كما يرى المؤلف الصديق .

وحديث سر الإعجاز حديث شغل الباحثين فى القرآن من قديم ، ولا يزال يشغلهم للآن ، وسيظل يشغلهم أبد الدهر ، ولن يصلوا إليه « ويدركوه » وقد « أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض » ؛ لأننا نستطيع فى اليوم الذى « نصل » فيه إلى إدراك سر الإعجاز فى تعبير القرآن أن نستخدمه فى صنع كلام معجز ... وحينئذ لا يكون معجزاً ... ما دام مفتاحه بأيدينا وفى طوق صنعتنا .

فالمعجز من أمور الحياة هو ما لا يمكن الوصول إلى سره واستخدامه . ونحن نجد فى مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة استخدام التصوير الفنى للتعبير عن « المعانى الذهنية والحالات النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور والنموذج الإنسانى والطبيعة البشرية » إلى آخر ما قرره المؤلف من الحالات والسمات والمواقف التى رأى القرآن يعبر عنها على قاعدة التصوير التى تجعل « المستمعين نظارة » فلو لم تفلت هاتان الكلمتان من قلم المؤلف الواعى ، ولو لم يحاول أن يجعل قضية كتابه التى عنونها « قاعدة ومذهباً مقرراً وخطة موحدة وخصيصة شاملة » يفضلها أسلوب القرآن أو بالأحرى تعبيره ، إذاً لجاء المعنى الذى أراده خالياً من هذا التعميم ، ولكان موضوعه كما يحدده عنوان الكتاب هو استقراء « الصور الفنية » فى القرآن وعرضها والتعليق عليها وبيان ما فيها من روعة وأسرار .

***

فى الكتاب فصل عن « المنطق الوجدانى » يتصل بالمباحث العقلية حول القرآن وأسلوب دعوته إلى الإيمان بالله الواحد وقضايا الدين . وهو فصل أثار فى نفسى تعليقاً وخواطر حول بيان أساس الدين ، وهل هو الوجدان أو العقل ؟

والمؤلف يرى أنه الوجدان ، وأن الذهن ليس أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها إلى الدين .

ونظراً لخطر الموضوع وقيمته فى الدعوة الإسلامية والدينية الصحيحة عامة سأضطر إلى مناقشة هذه الفكرة التى صارت زعماً عاماً انتقل إلى المسلمين الذين أساس دينهم (بل أساس الدين الصحيح كله) العقل ؛ لأننى أعتقد أن المسلمين الآن بحاجة إلى أن يعلموا أن قضية الإيمان بالله الواحد كما استعرضها ودعا إليها القرآن ليست قضية « وجدانية » تأخذ من المجهول للنفس أكثر مما تأخذ من المعلوم لها ، بل هى فى أصلها ومنبثها الأول تأخذ من «المعلومات» ويقينات الحس والبداهة والحكم العقلى أكثر مما تأخذ من أى منطقة أخرى من مناطق النفس البشرية ...

فليس الموطن الأول لهذه العقيدة هو الوجدان ، منطقة الانفعال والاستسلام أو الثورة ، بل موطنها هو موطن ذلك «البرق» الذهنى أو العقلى الذى ينتج « حكماً » يرسله إلى الوجدان فينفعل له ويتقبله «ويعقده» فى طويته ويستسلم له ويسير حياته على مقتضاه .

هذا البرق الذى ينتج « الحكم » يستمد حيثيات أحكامه من انطباعات الصور الثابتة للكون فى النفس ومن الانفعالات الداخلية بهذه الصور . والذى أعلمه من علم النفس أن أول « برق » يبرق فى النفس وينطبع فيها هو حقيقة «السببية» التى تفجأ الطفل ويتحرك لها فمه حركة « منعكسة » آلية عندما تلقمه أمه ثديها ، فيجد أثراً واضحاً لذلك التحريك تنفعل له أعصاب الجوع والشبع وكذلك عند ما يصل إلى عينه أو أذنه أول شعاع ضوئى أو أول صوت فيجد له أثراً فى حساسية بصره أو سمعه ، ثم لا تلبث الآثار المطردة « الأسباب » أن تتلاحق على مجمع حواسه حتى تنتج طائفة من الأحكام المطردة المبنية على الانفعالات المطردة التى يجدها فى حواسه وفيما وراءها

وهذا ما يقرره القرآن نفسه بقوله : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » فعندما يصل الناشىء إلى ترك مرحلة ذهول الطفولة وإلى إدراك الكون كله كوحدة ، لايتجه بانفعال وجدانى إلى السبب الأكبر للكون لأن ذلك الوجدان لم يوجد بعد ، وإنما يتجه إليه بحكمه الذهنى الذى يركب قضية ذهنية منطقية فى خفاء وبدون ألفاظ ، يحكم بها بأن لهذا الكون سبباً وقدرة ومشيئة تدبره ... وهى التى أدخلت الإنسان إلى الدنيا العجيبة وتخرجه منها . ولن ينفعل لهذا وجدانه « بالدين » إلا إذا صح لديه هذا الحكم . فإن لم يصح لديه أن لهذا الكون عقلا يدبره فلن ينفعل وجدانه لعقيدة دينية إلا تحت تأثير الخوف والقصور والتهيب أمام المجهول . وليست هذه مواقف الإيمان الصحيح المستنير الثابت الذى لا يتزعزع ، وإنما هى مواقف الإيمان الأعمى القلقل الحائر المستعد للتقلب ، كما هو الحال فى أكثر الذين لا يأخذون الدين بالفكر عند ابتداء صحوهم من ذهول الطفولة . فالعقل أو الحكم أو « الذهن » يا صديق قطب ، هو صاحب هذا الموضع الأول من النفس ، ينتج لها تلك النتيجة الأولية التى تجعلها تنفعل بوجدانها انفعال الإيمان . وهو الجزء « المتبلور » فى جميع النفوس — والوجدان جزء مائع — وهو الحكم الذى يكاد يكون من عالم الأرقام التى تنتج نتائج واحدة بقوانينها الواحدة .

ولن يضيره أن يكون مختلفاً فى الناس اختلافا ما . فكذلك الوجدان مختلف .

ونحن فى سبيل البحث عن حجة لله على الناس جميعاً . ولن تكون هذه الحجة فى أغلب الأمر إلا عن طريق العقل والذهن المـقبن الذى يحاكمنا الله إليه دائما فى الحياة وفى القرآن ، وردد اسمه دائما ؛ ويلومنا ويقرّعنا بأننا لا نفكر ولا نعقل ولا نتدبر ولا نتذكر ولا نتخذ أسباب الوقاية كما يوحيها العقل .

نعم إن الموطن النهائى للعقيدة الحارة هو الضمير والوجدان ، ولكن بعد أن تمر من العقل أولا ويحكم بوجوب سكناها فى الوجدان لتستمد من حرارته قوة الاندفاع والعمل للدين .

وقد كان الوثنيون الذين أنزل إليهم القرآن يعتقدون عقيدة فى « وجدانهم » ويتعصبون لها ويصدرون عنها فى حياتهم ، لأن أذهانهم كانت تحكم بصحتها . فبماذا زعزعها القرآن فى وجدانهم وضميرهم ؟ أليس بالمحاكمة العقلية التى كشفت عن عقولهم ضباب الوثنية القديم ، وأدركوا بها الحق الأول بالذهن والحكم ، ثم أخلوا وجداناتهم من العقيدة القديمة وأحلوا محلها العقيدة الجديدة؟

والوثنيات تجد فى منطق الوجدان وحده مدداً متصلا لها بالانطلاق وراء الرموز والتهاويل والإثارات الفنية التى هى باب الواجدان ... وقد افتخر « طاغور » واحتج للوثنية بأنها مجال طيب لرقى الفنون ... ولاشك أن هذا احتجاجٌ طفلىٌ وجدانى لايتصل بسبب كريم بالحق والعقل والكرامة الإنسانية والمصلحة الإجتماعيـة . فالقول بأن منطقة الدين هى الوجدان وحده قول غير إسلامى . أخذه المسلمون المحدثون عن المفكرين غير المسلمين الذين لم يعرفوا الأساس الأول للاسلام والدين عامة ، والذين وجدوا فى أديانهم أسساً يأباها العقل والمنطق ، ووجدوا الدين فى حد ذاته كفاية نفسية لابد منها ، فأرادوا أن يجمعوا بين الدين والعقل ، فزعموا أن لكل منهما منطقة قد يناقض ما فى إحداهما ما فى الأخرى ولا ضير ! أما الإسلام فأساسه أن إله القرآن هو الإله الذى وصفته الطبيعة ووجهت العقل اليه ؛ واعتمدت فى هذا التوجيه على المحاكمات العقلية كأساس أول وعلى المحاكمات الوجدانية المبنية على هذا الأساس ، وقد استخدم القرآن فى سبيل ذلك كله البيان المشرق الجميل البارع المعجز فى تعبيره وأسلوبه .

ولم يقصر خطابه على طائفة واحدة معينة هم طائفة الذين ارتفعوا عن المستوى العام للناس واحتكت عقولهم بما وراء سطح الحياة وما وراء البداهة والحس من عوالم الفروض والصور الطليقة من قيود الحياة الظاهرة ، بل خاطب الناس بالقدر المشترك بينهم جميعاً وخاطب هذه الطائفة الممتازة فى بعض معارضه كما خاطب المبتدئين القاصرين فى البعض الآخر

والقرآن يفرض الفكر ميزاناً قائماً بذاته مستقلا عن الإنسان ثم يعجّبه مما يراه فى الوجود ، كأنه زائر غريب عن الحياة دخل إليها من عالم آخر وهو بكل وعيه ، ولا شك أن الفكر بجميع قواه حينما يدخل إلى الوجود كأنه غريب عنه يعجب غاية العجب من بدائعه ويحكم الحكم الجازم بأنه لبارئ واحد . وليس هنا مجال تفصيل هذا ، وقد سبق أن عالجناه فى بعض البحوث .

فالموقف الأول من الكون والإيمان بربه الواحد ، موقف « جزْم » بالذهن والحكم العقلى . إذ أننا نشعر ونحس أننا

واقفون إزاء « معلومات » تنتج العلم والحكم الضرورى البديعى والمركب .

وهو موقف دينى سابق على مجىء النبوات والرسالات ، لأنها تعتمد عليه فى التدليل على قضاياها والتحاكم إليه . فالدين عقلى طبيعى فى الإيمان بأصله الأول وهو الله الواحد .

ولقد وجدنا كل جماعة دينية تؤمن بما عندها بوجدانها . فهل لهذا وزن إلا عند ما يدركون شاكلة الحق الذى عند الله والذى يوحى به الكون ؟ وهل يدرك الحق إلا بقوة « الحكم » التى هى موضع الحساسية بالعدالة والقوانين الطبيعية التى استمددنا منها حكمنا ، والتى لا تنظر إلى الصور والإطارات وإنما تنظر إلى صلب الأمور ؟

***

والقرآن لم يعن بأن يرد على منكرى وجود الله . وكأنه لم يفرض وجودهم . أو كأنه نظر إليهم على أنهم خارجون عن نطاق العقل والبداهة ، ولذلك لم يحاجهم ولم يوجه إليهم قولا يشعر بأن لهم وزناً . وإنما وجه حديثه الأكثر إلى المشركين مع الله آلهة أخرى ، الذين من فرط شعورهم بالألوهية استكثروا منها ... وخلعوا صفاتها على كثير من المخلوقات ، فهؤلاء لديهم الإيمان الوجدانى ولكنه إيمان مدخول منكوس يحتاج فى تعديله وإقامته فى نصابه الطبيعى إلى منطق عقلى يستعرض الكون ويستقرئه ويستنتج منه أنه لا إله واحد .

فالحديث مع هؤلاء المشركين لا يستلزم إلا الإيقاظ إلى الكون وأعاجيبه الموحية أنه من صنعة يد واحدة ... وهذا ما فعله القرآن . أما الذين التمسوا وراء حديث الإيمان الفطرى مناطق يتحدثون فيها عن ذات الله وصفاته والكون ومبدإ وجوده وعلاقته بالله وصفاته ، إلى آخر مباحث علم الكلام والفلسفة فهؤلاء لا يدعون أنهم يؤسسون عقيدة للجمهور بكلامهم ، وإنما يريدون أن يصلوا بين هذا الكون المادى العجيب وبين ما قبله وما بعده . وموقفهم هذا موقف طبيعى ، هو نتيجة للعجب الذى يرونه فى هذا الكون ، ونتيجة لشعورهم بأن عقلهم وحكمهم يريد أن يتصل بألغاز الحياة وما قبلها وما بعدها . فإنهم يشعرون أنهم غرباء ، فى هذا الكون المادى ذى القوى الموزونة والطلعة الجبارة المثيرة للفكر أيما ثورة . ولا بد للغريب أن يبحث ويتقصى ويتعرف المكان الذى دخل إليه ويتعرف إلى صاحبه ويبحث عن شئونه حيثما ساعدت الوسائل .

غير أنهم يجب لكى يضمنوا الحياة العملية فى الأرض والألفة العقلية ألا يشردوا ويحملوا عقولهم فوق ما تطيق ، ولا ينسوا أن الإله الحكيم الذى وضعهم هكذا قاصرين عن إدراك كثير من الأمور ، وعن إدراك المبدأ والمنتهى إدراكاً كما يشتهون ويتطلعون ، إنما فعل ذلك لحكمة بالغة هو يعلمها ، فيجب أن يلتزموا حدود « الضيافة » المؤقتة فى هذه الحياة . ولا شك يكون لهذا الالتزام ما بعده من التناسق بين الفكر والعمل والألفة العقلية . وما كان للقرآن أن يكونُ على أسلوب تفكيرهم الخاص وهو قد جاء ميسر الذكر للناس جميعاً .

ولكنه مكن هؤلاء العقليين والمتفلسفين أن يؤلفوا من معانيه التى تحت « سطحه التعبيرى » قضايا ذهنية يستطيعون أن يستخدموها فى أسلوبهم الخاص . فهو قد ساق قضية عقلية عظمى بأسلوب بسيط ميسر للناس جميعاً حينما قال : « لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا » ؛ وترك للعقليين أن يبينوا كيف يكون هذا الفساد حينما يفرض التعدد فى الآلهة ...

وحينما قال : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » . أرسل هذه القضايا هكذا واضحة ميسرة ، وترك للعقل أن يتحاكم إلى الكون ويستقرئ أحوال الأشياء إذا كانت بين والد ومولود وإذا كانت بيد واحدة ، وإذا كانت بأيد متعددة ، وعماد الحكم فى ذلك هو الحركة العقلية الآخذة من كل مورد من موارد النفس والكون وكل قوة من قواهما لتصل إلى الحكم .

والمتتبع للقرآن يرى أن وراء « سطحه التعبيرى » السهل الميسر ، عالماً يموج بالمسائل العقلية والبديهية والفرضية تضع العقل البشرى فى موضع أصيل كريم كأنه هو وحدة القياس فى كل العالم لا فى الأرض وحدها .

...

وأخيراً أشكر المؤلف الصديق على هديته التى جعلتنى أعيش فترات فى جو فنى بديع ، فيه الفكر والبيان ، وحسن الترتيب والتبويب ، ولطف المدخل إلى ما تناوله من موضوعات .

عبد المنعم خلاف

هــــذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

بترول من الميكروبات ؟ !

من الأخطار التى تهدد المدنية الحديثة نقص احتياطى البترول فى العالم ، فقد استنفدت أدوات الحرب كميات طائلة منه . ولهذا اتجهت انظار الساسة والاقتصاديين إلى مد أنابيب البترول عبر شبه جزيرة العرب لاستغلال آباره مع ما يتكلفه هذا المشروع الضخم من نفقات كبيرة . ولقد أجهد الكيميائيون والعلماء أذهانهم ليحصلوا على موارد جديدة تزيل المخاوف المقبلة .

وكان من أمتع الأبحاث وأغربها بحث الدكتور كلود زوبل الذى تجاوزت مدته ١٥ سنة ، قضاها لا يحفر الأرض ليعثر على آبار جديدة للبترول ، بل منقباً عن حشرة صغيرة تحول المواد الأولية إلى بترول . ووفق أخيراً إلى العثور على ضالته فكان لكشفه أهميتان مزدوجتان

أولاهما أن البحث عن آبار البترول لن يحتاج إلى حفر أغوار بعيدة ، ولا إلى استعمال المجسات المختلفة ، بل سيبحث العلماء بعد ذلك سطح الأرض للعثور على هذا النوع من البكتريا ، فإن وجدوها فقد وجدوا الآبار .

والثانية أن دراستنا لهذا النوع من البكتريا ستتيح لنا معرفة الوسيلة التى يتكون بها البترول فى الطبيعة ، فيستطيع الإنسان بوسائله الصناعية الإسراع فى إنتاجه بالمقادير اللازمة .

فمنذ خمس عشرة سنة اقتنع الدكتور زوبل بأن نوعاً من البكتريا يقبض بيده على سر إمداد العالم بالزيوت ، فنقب ودرس ما وسعته الدراسة وهو يوفق فى كل فترة إلى كشف جديد يبطل فكرة قديمة أو يقدم للعالم معلومات جديدة — فعثر على قائمة طويلة بأنواع من البكتريا لم يسمع عنها الناس ، ومنها ما تحول الدهنيات النباتية أو الحيوانية إلى مواد بترولية . ولكن الميكروبات لم تكن ثابتة الإنتاج فأحيانا تترك بقايا زيتية وأحياناً ترفض .

واتجه تفكير زوبل إلى ناحيتين ، فأما أن البكتريا تنتج البترول بشروط خاصة وإما أنه يجرب فى أكثر من نوع واحد منها ، وأى الاحتمالين يقض مضجع صاحبه . فنى أى الظروف تنتج البكتريا الزيت ؟ وكيف يحصل على البكتريا الأصيلة نقية ؟

ولكى يحقق الاحتمالين خرج إلى عرض المحيط مرات ليستخرج من قاعه عينة نقية . فمن المعروف أن أكثر الزيوت العالمية نشأ فى ظروف بحرية . وفى خلال هذا التنقيب قلب كثيراً من الأوضاع العلمية القديمة ، وأثبت خطأها ، فنفى ما قيل من أن البكتريا لا تعيش فى المياه الملحة فى أعماق المحيط .

وقال العلماء أيضاً إن الأحياء الميكروسكوبية لا تعيش فى أعماق المحيط أو الأرض لأنها تتأثر بالضغط ودرجة الحرارة فأخرج لهم زوبل أحياء ميكروسكوبية من أعماق زادت على ثلاثة أميال . وأثبت أن بعض الأحياء تعيش فى أبعد الأعماق ، وتتحمل عشرة أضعاف ضغطها وفى درجات حرارة لم يحلم بها عالم .

وغذى ميكروباته بالسكر واللحم والدهن والملح والخضروات والجيلاتين والفيتامين وأحيانا بالكعك ، فهضمت كل المواد العضوية وأنتج بعضها ثانى اكسيد الكربون أو الميثين كما حلل آخر أحجار الجير أو أطلقوا الألمنيوم من السليكا أو استخرجوا البوتاسا أو النيتروجين إلى غير ذلك من قائمة المستخرجات والانحلالات .

ولكن الموضوع الذى يحصر فيه كل تفكيره استمر على غموضه إذ تعطيه بعض الأنواع مادة زيتية لا تلبث أن تتلفها . فكيف تنتج المادة و كيف تفسد وتزول ؟ أهو قبل نوعان من البكتريا يتشابهان فى المظهر ؟

سؤال أرسل إلى رأسه الصداع مرات فإنه ليضع ١٥٫٠٠٠ حى تحت المجهر فلا تزيد طولها عن بوصة واحدة فكيف السبيل إلى التفريق بين النوعين . كثيراً ما أعطته هذه المجموعة نفسها دهنيات لا زيوتا .

ولقد جرب حتى أنهكته التجارب ، وفصل الأنواع حتى أرهقه التنويع . وأخيراً هدته المصادفة وحدها إلى عزل النوع المضبوط ، لحصل على النتيجة التى يريد ، فنى إحدى المرات عزل مجموعات منها فى أوانيه الصغيرة ثم غطاها بلصقة باريس ووضع فوق الجميع شمع البارافين . وبعد أسابيع أزال الأغطية فعثر على

سائل أثبت التحليل الكيماوى أنه زيت خام . كما وجد أن التجربة التى عملها أوجدت بيئة بحرية داخل الإناء ، وأعاد التجربة مرات فاذا هو يجد نفس النتيجة .

ومن الطبيعى أن يعتبر الجزء التجارى من أبحاث زوبل فى الوقت الحالى من الأسرار العسكرية . ويقال إن نجاحه كان عظيما حتى ليتيح تحويل جميع مخلفاتنا النباتية إلى زيوت معدنية ، على أن مبدأ واحداً أذيع وهو كيفية الكشف عن منابع البترول التى يتسرب قليل منها خلال طبقات الأرض مما يتعذر على الطرق الكيميائية معرفته ، ولكن هذه « البكتريا المحللة » تستطيع بطبيعتها الخاصة اكتشاف أماكنه . فأينما وجد هذا النوع من البكتريا فالى جواره منابع زيت .

فهذه الجراثيم الدقيقة هى الآن قائدتنا إلى منابع الزيت المختفية فى باطن الأرض لا المجسات ولا وسائل الحفر والاستنتاج .

زجاج من غير رمل

استخدمت إحدى مصانع النظارات نوعا جديداً من الزجاج للوقاية من بعض أنواع الحوامض التى تأكل الزجاج العادى ، فإن سقطت على جسم الإنسان أحرقته . وهذا النوع نقى جداً ولا يدخل فى صناعته الرمل كما هو معروف .

وينتظر أن يكون لهذا النوع من الزجاج مستقبل كبير لأن الحامض المعروف باسم هيدروفلوريك ضرورى فى كثير من الصناعات الحيوية الهامة مثل صناعة المعادن والمنسوجات والمطاط الصناعى . وكان فى أول أمره عسير الحفظ لأنه يأكل المعادن والزجاج ويصعب وضعه فى آنية .

وقد استعيض فى هذا الزجاج عن الرمل الذى يعتبر جوهريا فى جميع أنواع الزجاج بأحد مركبات الفسفور . ومن الغريب أن هذه المادة شديدة التفاعل مع الماء وتحدث فرقعة شديدة . ولكنه تيسر تذليل هذه العقبة بجعلها أقل تفاعلا مع الماء . وعلى العموم فإنه يفضل وضع هذا الحامض الشديد الأثر فى هذه الأوانى الزجاجية على وضع الماء فيها .

ولهذا الزجاج نفس خواص الزجاج العادى فينصهر فى درجة حرارة الزجاج . ويمكن صنعه فى رقائق طويلة أو مربعة أو لفه على شكل زجاجات ويسهل صقله بوسائل صقل الزجاج المعروف .

لوقاية الآذان من الضوضاء

استخدم أحد المصانع أخيراً غطاء للآذان يقيها من الصمم الناتج عن الأصوات المرتفعة . ويستخدم هذه الغطاءات رجال المدفعية فى البحر والبر فإن شدة انفجار القنابل تحدث دويا مرتفعاً يؤدى إلى الصمم الكامل

وتخفض هذه الصمامات دوى أصوات المطارق الكهربائية الضخمة وحركات الآلات الكبيرة الكافية لصم الآذان فتجعلها كصوت قطار قادم على محطة وقوفه

علاج لشلل الأطفال

لا يزال شلل الأطفال من الأمراض المستعصية فى الطب . وقد وصل الطب إلى اكتشاف علاج له على ضوء اختبارات نباتية وصناعية . فقد كانوا من قبل يجربون لإحياء أعصاب المرضى مهتدين بما هو متبع فى تقليم الأشجار بفصل الفروع التى لا فائدة منها للشجرة

وكان الأطباء يعمدون إلى قطع الأعصاب الباقية فى جزء ملتهب من الجسم بدقه بمطرقة صغيرة ذات وجهين . ونظرية الأطباء فى هذه العملية هى أنه عند ما يقطع العصب يبدأ فى النمو ثانية ولكنه فى هذه الحالة يتفرع بطريقة أقوى مما يجعله أكثر تغذية للعضلات وهو ما يحدث عند تقليم شجرة

ولكن الاستخدام اليدوى لهذه الطرقة كان عملا مرهقاً للطبيب ويحتاج إلى قوة احتمال طويلة منتظمة مما يصعب على أعصاب الطبيب تحمله :

وحدث أن زار بعض الأطباء الذين يهتمون بهذا المرض أحد مصانع الطائرات ، وهناك رأوا مطرقة كهربائية على شكل مروحة تدور فتدق أطرافها المسامير . وفى هذه المطرقة وجد الأطباء ضالتهم المنشودة فصقلوها حتى تؤدى الغرض المطلوب منها فى تقليم أعصاب المرضى بشلل الأطفال .

وقد أجريت التجارب فى معهد فيلادلفيا فى ٥٠٠ مريض فتحسنت حالتهم إلى حد يدعو إلى كثير من الرجاء . ويرجع فضل هذه الاكتشافات إلى إحدى المؤسسات الخاصة بعلاج حالات الشلل التى قدمت لأطبائها ما يلزمهم من أموال لإجراء تجاربهم .

فوزى الشتوى

حنينُ غريب !!

للأديب محيي الدين صابر

مضى الرَّكبُ ، يا قلبي ، فأين حبائبي
وأينَ مجالاتي ؛ وأين مذاهبي ؟
وأين الرَّبيعُ الحلوُ ؟ قد مات في يدي
وصوَّح إلاَّ صورةً في رغائبي
وأين العشيَّاتُ الرِّطابُ ؟ عبرْنَني
كما تعبرُ الصحراءَ ، غنوةُ راكب !
وأين غدي ؟ إنِّي دفعتُ خيالَهُ
على جدولٍ في منهل الغيب ساكبِ !
ويومي ؟ لقد كفَّنْتُه ... في دموعه
بوادٍ حزينِ الظلِّ سأمانَ شاحب !
وعشتُ فضاءً ناعساً خلف ربوةٍ
على سفحها المحرومِ ، أغفتْ ركائبي
ملالُ طريدٍ ... أو سآمةُ مُدلجٍ
ويأسُ شقيٍّ ... أو تثاؤبُ شارب!
فيا موكبَ الأحزانِ عطلتَ فرْحتي
وشرَّدْتَ أنغامي وأضرعْتَ جانبي !
وأطلقتني في اللَّيل ؛ كاللَّيل ذاهلاً
حنيفاً ... كأنِّي فيه دمعةُ راهب !
وأفردْتني كالنَّجم حيْرانَ ساهراً
كأني على دنياكَ ... لفْتةُ هارب !
وأظمأتَني حتى من الوهمِ ... في دمي
وكان كثيراً ، كالحياةِ ، مشاربي ...
وأفقرتَني حتى المنَى ... ما تزورني
وكانت يدُ الأقدار تُسْنِي مَطالبي !
وأشقيتني يا ذلَّ روحي ، على الذُّرى
وضيعةَ أيَّامي ؛ بوادي المصائب
تمرُّ بيَ الذكرى ؛ فأجثو كأنني
ضميرُ نبيٍّ ... أوْ ضراعةُ تائبِ
فتنثر أفراحي ، على حَرِّ مهجتي ...
كما تنثرُ الأشواقَ دمعةُ عاتب
أحدِّثها كالطِّفل حين تهزُّه ...
طرافةُ لهوٍ ، أو دعابةُ صاحب !
وأبكي كما يبكي الغريبُ قد التَقَى
بسامره — بعد النوى — والحبائب !
وأعذرُ دمعي ... دمعةٌ كُرِّمتْ بها
محاريبُ أشواقٍ — خلتْ — وملاعب!
أحسُّ حياتي في التراب صريعةً
تساقَطُ من روحي ، كأنفاسِ لاغب
وأغمضُ عينَيَّ أستعيدُ مباهجي
وأخدعُ حسِّي في الليالي الذَّواهب
لياليَ أشباهٌ حياتي ... على الهوى
فيوضُ ندى الأُفْقِ ... رطب الجوانب
وليليَ أنغام ، وخمرٌ وفتنةٌ ،
وسُمَّار صدقٍ ... كالأماني الكواذب!
فعُدْنَ كأنَّ الكأسَ دمعٌ شربتُه
وأنَّ صدى الألحان صرخةُ نادب
على مهجتي ، ماضٍ عدتْني ظلالُه
وصار حصيداً بين فأسٍ وحاطب
حنينٌ كدَفْق الموج يسري بخاطري
فمن نازعٍ منه عنيفٍ ، وسارب !
وأصبحتُ كالطير الغريب مفزَّعاً
على فننٍ باكي العشيَّات ، ناحبِ
فيا منهلاً عذباً وردتُ على الصبا
أنيقاً كوجهِ الرَّوض تحت السحائب !
سلامٌ على عهدي بواديكَ إنه
هو الزَّاد ، في عهد النوى ... والنوائب
ويا غربتي نوحي عليَّ وطرِّبي
كرجفةِ غابٍ في السَّوافي الحواصب
وهبِّي على عمري ، وسوقي زمانهُ
وذَرِّيهِ في أفق ، على السفح غارب
فلا خير في عُمْرين ، ذكرهما أسىً
فمن بين مجهول ، وآخرَ ذاهبِ
وحسبُك أن تأسى على ما عرَفْتَهُ
وتجزَعَ من مُستحدثٍ في العواقب



إلى خلفاء جلفر والسندباد !

تلقينا من بريد بيروت هذا الكتاب العجيب ونصه :

حضرة الفاضل مدير مجلة الرسالة الغراء

فى العالم اليوم موجة جارفة نحو المادة التي يتهالك فى سبيلها البشر ، وتتكالب عليها الجماعات والأفراد فى مشارق الأرض ومغاربها

ومنذ سنوات ونحن نراقب ما جرته الحروب من ويلات وخطوب ، فآلمتنا هذه المطامع الدنيوية والرغبات الأرضية التى ما زالت تزدحم فى صدر الإنسان منذ كان الإنسان حتى الآن ، على رغم ما توالى على البشرية من شرائع وأديان

فنحن أتباع الدكتور داهش بعد أن درسنا هذه الشؤون من جميع نواحيها ، ورأينا على أى خبث ولؤم تنطوى روح الإنسان ، وبعد أن عقدنا النية على الاتجاه نحو المثل العليا والسير بموجب التعاليم السماوية المنزلة ، ولاحظنا صعوبة تطبيقها فى المجتمع الموبوء الذى يحيط بنا ، وبعد أن شاهدنا من الناس اضطهاداً رهيباً لمنعنا من نشر أفكارنا الحقة واعتناق مذهبنا بحرية ، فقد وطدنا النية على مغادرة لبنان فى أول فرصة مواتية ، والهجرة إلى جزيرة نائية ، نعيش فيها أحراراً ونتمتع فيها بالحق المقدس المعطى لكل إنسان أن يفكر ويدين كما يشاء

فهل لكم أن ترشدونا على صفحات مجلتكم إلى جزيرة متوسطة الموقع ، جيدة المناخ ، ذات مياه غزيرة وهواء نقى ؟ ولا ريب أن الصحيفة التى ستهدينا قبل سواها إلى مثل هذه الجزيرة نعاهدها منذ الآن بأننا نبقى على اتصال معها ، فنوافيها بأهم الأنباء التى تتعلق بكيفية عيشنا هناك وباختباراتنا وبأطرف ما تجود به قرائحنا فى تلك الوحدة الوادعة ، خصوصاً وبيننا نحن الداهشيين أطباء ومحامون وفئة تميل إلى الأدب والشعر والرسم وسائر الفنون الجميلة

فرجو التلطف بالإجابة على كلمتنا كما أننا نرجو نشرها فى مجلتكم الغراء لعل البعض من قرائكم يحبذون فكرتنا ويقررون الانضمام إلينا فى السفر ، وهذا مما يقلل العقبات التى تعترض تنفيذ هذا التصميم ، والسلام عليكم

عن الداهشيين

بيروت ١٤ نيسان ١٩٤٥ **شاهين صليبى**

طبيب العيون

نشرنا هذا الكتاب بنصه وفصه كما أراد طبيب العيون الدكتور شاهين صليبى ، ثم نسأله : مَن هذا النبى الجديد ؟ وإلى أى إلـه ينتمى ؟ وبأى تنزيل جاء ؟ وإلى أى الأمم أرسل ؟ لقد سمعنا عن هذا الداهش أنه منوّم ماهر فكيف أيقظ هذه الفتنة ؟ إن العالم العربى يعانى اليوم مشكلة الوطن اليهودى فى البر ، فهل تريدون يا دكتور أن تخلقوا للعالم الغربى مشكلة أخرى للوطن الداهشى فى البحر ؟ إنا على كل حال نود مخلصين أن نستودعكم (نبتون) إلى آخر الدهر ! فعسى أن نجد فى خلفاء جلفر والسندباد من يدلكم على هذه الجزيرة النائية فتعششوا وتبيضوا وتفرخوا وتصفروا وتنقروا ما شاء لكم هذا الدين الجديد ... أما مكافأة الرسالة إن وجدتم هـذه المملكة عن طريقها فأن يخصها نبيكم (داهش) بما يوحَى إليه من ربته الصغيرة ، وأن يُطرفها شاعركم (دموس) بما يصدر من شعره عن هذه الجزيرة !

إلى الأستاذ حبيب الزحلاوى

قرأت قصتك الممتعة « الأفعوان » فى مجلة المنتدى التى تصدر فى بيت المقدس (عدد نيسان ١٩٤٥) فأسفت أشد الأسف على ما ورد فيها من الغمز الجارح للدكتور بشر فارس ، كقولك فيها : « نسمع محاضرة صديقك الدكتور نشر فهارس فى مذهب الشعر الرمزى والعقل الرمزى » وقولك : « إن صاحبك الدكتور فهارس السربونى سيتكلم عن الرمزية . وستضحك منه مع من سيصفرون له من المستمعين كما ضحكنا وسخرنا من شعره المهلهل وقصصه الرمزية الملتوية » وقولك أيضاً : « كما يقال مثلاً دكتور بيطرى . ودكتور فى الشعر الرمزى . ودكتور نشر فهارس » الخ

إن قصة الأفعوان لا يتصل بحثها بما بينك وبين الدكتور بشر فارس من الخصومة الأدبية فى كثير ولا قليل ، وقد أقحمت اسمه فيها إقحاماً لا يرضى به الأدب رسالة الفن السامى ،

فلا يصح أن يكون وسيلةً تعين على تنشيط الغرائز غير المهذبة فى الإنسان ؛ فعمل الناقد فى الأدب كعمل الطبيب الجراح ، يعمل مبضعه فى الجسم العليل بمقدار ، غير مدفوع إلى ذلك بعوامل الانتقام من المريض ، بل بدوافع الرحمة وتخفيف الآلام .

وفى الأدب الحديث نزعة خطيرة تلزم القائمين على توجيه المجلات الأدبية فى العالم العربى ، بمحاربة تلك النزعة ، ذلك أن القراء يريدون أن يقف الناقد الفنى إلى جانب الأديب المنتج فى حلبة صراع لا رحمة فيه ولا هوادة ، وهم يقهقهون ويغمزون ويلمزون .

وثمة نزعة أخرى لا تقل فى خطرها عن الأولى ؛ ذلك أن الناقد الفنى ينسى أو يتناسى أن عمله الأدبى لا يقل خطورة عن الأثر الأدبى الذى يتحدث عنه إلى قرائه ، فلا ينبغى له أن يسمح لفنه أن يهبط إلى مستوى المهاترات الكلامية والتراشق بالألفاظ غير المهذبة .

إننا من المعجبين بأدبك أيها الأستاذ فرجو أن ينصرف عملك كله إلى الفن الخالص . عفا الله عنك . وسدد فى المستقبل خطاك . والسلام عليك ورحمة الله .

(فلسطين)

شريف الفبج
دكتور فى الفلسفة

الى مؤلف كتاب « التصوير الفنى فى القرآن »

كتابك جوهرة فى الكتب كشفتَ عن الذكر فيه الحجب
وثبتَ به وثبــةً للعلا ســواك إلى مثلها لم يثب
بلغتَ به منزل الخالدين فى ذكريات لسان العرب
حللتَ به عقدةً حيرت عقول القدامى طوال الحقب
لِسحر يحسونه فى القلوب وما يعرفون له من سبب
أقاموا حيــارى على بابه قنوعاً بنشــوتهم والطرب
حيارى ... ولـكنهم مهتدون بفيض سنا منه لا يحتجب
إلى أن أتيت بمفتاحه فصاحوا على الفور: هذا عجب!
أجِدَّك تنشــد مفتاحه دهوراً ؟ ومفتاحه عن كثب!

***

تبــارك مــنزل قرآنه على ســيد البشر المنتخب
تلألأ معجزة فى الدهـــور تدول — وما إن يدول — الشهب!
به نالت الفخر أم اللغـــات عزت وعز بنوها النُّجب!
لغات الورى من ردىء النحاس إذا الضاد شــبهتها بالذهب

(المنصورة)

علي أحمد باكثير

فى جامعة فاروق

أقام نادى فاروق لطلبة الجامعة يوم الأربعاء الماضى ١٨ أبريل مهرجاناً للشعر اشترك فيه أبناء الجامعة الشعراء ، وقد خصصت جوائزأدبية لأحسن القصائد ، وكان المحكمون الأساتذة : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، وصديق شيبوب ، وأحمد عبد الهادى

وقد اشترك فى هذا المهرجان من كلية الآداب الأستاذ حسن ظاظا المدرس بالكلية ، والطلبة والطالبات الشعراء والشواعر : فاطمة على حسن ، وكمال نشأت ، وحميد عبد الجليل ، ونفوسة زكريا ، ومحمد العشماوى ؛ ومن كلية الحقوق : سالم حق ، وحسين البشبيشى ، وعبد العزيز خاطر

وبعد أن ألقى المتسابقون قصائدهم أنشد الأساتذة : خليل شيبوب ، وحسن ظاظا ، وأحمد أبو شادى ، بعضاً من أشعارهم

وإنا لنرجو أن يكون هذا المهرجان الشعرى فاتحة عهد زاهر للشعر فى الثغر ، ولا سيما بعد وجود جامعة فاروق التى نرجو أن تكون باعثة على إحياء نهضة ثقافية كبيرة فى الأسكندرية

إنصاف فهمى
كلية الآداب بالأسكندرية



المارسليز

للقصصي الروسي ليونيد اندرييف

ترجمة الأستاذ شكري محمد عياد

كان نكرة ؛ له روح أرنب واستسلام دابة . وعندما رماه القدر بسخريته اللئيمة بين صفوفنا السود ، ضحكنا كالمجانين حين فكرنا أن مثل هذه الأخطاء الشنيعة الفاحشة ترتكب حقاً . أما هو فقد بكى . وما رأيت قط رجلا تهمى من عينيه الدموع بهذا اليسر والوفرة . كانت تسيل من عينيه وأنفه وفمه ، كان أشبه بإسفنجة غمست في الماء ثم اعتصرت . ولقد رأيت في صفوفنا رجالا يبكون ، ولكن دموعهم كانت ناراً تجفل منها الوحوش الضارية . كانت تلك الدموع الجبارة تسرع بالوجوه إلى الهرم ولكنها ترد العيون شابة من جديد . كانت أشبه باللابة المنطلقة من أحشاء الأرض الملتهبة ، تترك على سطح الأرض آثار الحريق ، وتدفن تحتها مدنا بأسرها من الخدع الحقيرة والهموم التافهة . أما هذا الفتى فكان حين يبكي لا يعدو أن يحمر أنفه ويبتل منديله ؛ ولعله كان يعلق مناديله صفا لتجف ؛ فقد كنت أسائل نفسي أنى له كل تلك المناديل ؟

كان طيلة عهد النفي يلجأ إلى ذوي السلطان الحقيق أو الموهوم ، ينحنى ويبكي ويحلف أنه برىء ، ويتوسل إليهم أن يرحموا شبابه ، ويعاهدهم ألا يفتح فاه طوال عمره إلا ضارعا أو شاكراً . ولكنهم كانوا يضحكون منه كما كنا نفعل ، ويسمونه « الخنزير الصغير الحقير » ، وينادونه : تعال ياخنزير ! فيهرع إليهم خاضعا ، راجيا في كل مرة أن يسمع نبأ عودته إلى وطنه ولكنهم كانوا يهزلون . كانوا يعلمون مثلنا أنه برىء ، غير أنهم يظنون إذ يعذبونه أنهم يرهبون غيره من الخنازير الصغيرة ، كأن هذه الخنازير الصغيرة في حاجة إلى مزيد من الخور . ولقد يأتي إلينا يدفعه فزع حيواني من الوحدة ، ولكن وجوهنا كانت صلبة لا تلين ، وكانت مغلقة من دونه ، وعبثا كان يبحث عن المفتاح ؛ فإذا حار في أمره دعانا رفاقه وأصدقاءه ، ولكنا نهز رؤوسنا ونقول :

— حذار ! قد يسمعك أحد ! .

فلا يخجل الخنزير الصغير أن يلتفت إلى الباب !

أكنا نستطيع عندئذ أن نمنع أنفسنا من الضحك ؟ كلا ، لقد كنا نضحك بأفواه ألفت الضحك منذ عهد بعيد . ثم يتشجع ويهدأ ، ويقرب مجلسه منا ، ويحدثنا ، ويبكي كتبه العزيزة التي خلفها على المنضدة ، وأمه وإخوته الصغار ، الذين لا يدرى أأحياء هم أم أهلكهم الروع والأسى .

أبينا قرب النهاية أن نتصل به . ولما بدأ الإضراب عن الطعام أصابه الفزع ، فزع مضحك لا سبيل إلى وصفه . وكان من الجلي أن الخنزير الصغير المسكين نهم تلقامة ، وكان شديد الخوف من رفاقه ومن السلطات أيضا . فجعل يهيم بيننا جزعا ، يمسح بمنديله جبينه الذي نضح عليه شيء لا أدرى أهو الدمع أم العرق ثم سألني متردداً :

— هل ستضربون طويلاً عن الطعام ؟

فأجبته بغلظة :

— سنضرب طويلا .

— أو لا تأكلون أي شيء خفية ؟

فأجبته بجد وكأني أوافقه :

— سترسل إلينا أمهاتنا الفطائر .

فنظر إلى مرتابا ، وأومأ برأسه وذهب وهو يتنهد .

وفي اليوم التالي أجاب وقد اخضر لونه من الجوع فصار كلون الببغاء :

— أيها الرفاق الأعزاء ! إنني سأصوم معكم .

— فأجبناه بصوت واحد : صم وحدك !

ولقد صام ! لم نصدق ذلك كما أنك لن تصدقه . فظننا أنه يأكل بعض الأشياء خفية ، وكذلك ظن حراسنا . فلما أصابه تيفوس المجاعة في أخريات الإضراب هززنا أكتافنا وقلنا :

— ياللخنزير الصغير المسكين !

ولكن واحداً منا — ذلك الذى لم يضحك قط — قال واجما :

— إنه رفيقنا . فلنذهب إليه .

كان يهذى وكان هذيانه المضطرب يثير الإشفاق كما كانت حياته كلها . كان يتكلم عن كتبه العزيزة ، وعن أمه وإخوته . كان يطلب حلوى ، حلوى باردة كالثلج ، حلوى لذيذة . وأقسم أنه برىء ، وسأل العفو ، ونادى فرنسا وطنه العزيز . ويا لضعف القلب الإنسانى ! لقد مزق قلوبنا بصيحته : يا عزيزتى فرنسا !

كنا جميعا فى الحجرة وهو راقد يموت . واسترد وعيه قبل الموت ، ورقد صامتا صغيراً ضعيفا ، ووقفنا نحن رفاقه صامتين . وسمعناه نحن جميعا يقول :

— غنوا علىّ المارسلييز حين أموت .

فصحنا وقد انتهبنا مزيج من الفرح والغضب الثائر .

— ماذا تقول ؟

فردد . غنوا على المارسلييز حين أموت .

ولقد كانت عيناه جافتين للمرة الأولى ، ولكننا بكينا ، بكينا جميعاً . وكانت دموعنا ملتهبة كالنار التى تجفل منها ضاريات الوحوش .

مات . وغنينا عليه المارسلييز . كنا نغنى هذه الأغنية العظيمة — أغنية الحرية — بأصوات ظامئة شابة ، والمحيط يرددها متوعداً ، وأواذى الموج تحمل إلى وطنه العزيز فرنسا فزعا شاحبا وأملا فانيا .

أصبح إلى الأبد شعارنا ذلك النكرة ، بجسمه الذى يشبه أرنبا أو دابة ، وبروحه الإنسانى العظيم ! ركوعا أيها الرفاق والأصدقاء !

كنا نغنى ! وكانت البنادق مصوّبة إلينا ، وأقفالها ترن منذرة ، وأسنة الحراب موجهة إلى صدورنا تتهدد ، ولكن الأغنية المتوعدة ظلت تدوى عالياً عالياً ، والتابوت الأسود يتأرجح فى أكف عماليق .

كنا نغنى المارسلييز !

شكرى محمد عياد



فلم «قبلة في لبنان»

تأليف الأستاذين : سليمان نجيب بك ويوسف جوهر
إخراج الأستاذ أحمد بدرخان — إنتاج شركة اتحاد الفنيين

الموضوع

زوجة شابة من سيدات الطبقة الراقية تسافر وحيدة إلى لبنان ، وهناك تلتقي بشاب مصري ويتعارفان ويتفاهمان ويساعد الجو الشاعري على أن تصحو العاطفة في قلبيهما ، وتنتهي هذه اليقظة الفاجئة إلى قبلة خاطفة تنبه الزوجة إلى الخطر المحدق بها فتختفي عن عين الفتى وتعجل بالعودة إلى القاهرة من غير أن تحيط أسرتها علماً بهذه العودة ، وتفاجئ زوجها يقبل فتاة في بيتها فتثور (طبعاً) ويعلم والد زوجها بما حدث فيسخر هذا الوالد العصري من ابنه الذي لو كان مثل أبيه لما استطاعت زوجته أن تضبطه متلبساً بفعلته ... ثم يعلم هذا الوالد بما كان بين زوجة ابنه وبين من تعرفت به في لبنان — بعد أن حاول عبثاً حملها على أن تغفر لزوجها خطيئته — فيستغل ما استكشفه من سر العلاقة التي ربطت بين الزوجة الشابة والفتى في لبنان . والصورة التي كانت قد التقطت لهما . فيتهددها بهذا السر فتنزل على إرادته وتعفو عن زوجها من غير أن يعرف الزوج عن خطيئتها شيئاً ، ويتلقى الفتى المحب هذا الدرس القاسي فيذهب إلى غير رجعة ...

هذا ملخص لقصة الفيلم ، وقد سبق للفرقة المصرية أن قدمت هذه القصة بالذات وأسمتها (كلنا كده) ودار حولها نقاش وكان مما قيل فيها : إنها تسيء إلى الأخلاق والكرامة بالصورة التي أرادها المؤلف للطبقة الراقية في مصر . ولست أدري لماذا وقع اختيار اتحاد الفنيين على هذه القصة لتكون باكورة إنتاجهم . وإن كنت أدري أن مثل هذه القصة ليست صالحة لتكون فيلماً نظيف الصورة رفيع الفكرة ...

التمثيل

قام سليمان نجيب بك بدور (محسن باشا) وقد أراد له المؤلف أن يكون والداً من الصنف الذي يفهم (العصرية) على أنها سخرية بالأوضاع واستهانة بالتقاليد فكان له ما أراد ، ولهذا لم تتسنى لسليمان بك فرصة فنية تقتضيه بذل جهد ممتاز .

وقام أنور وجدي بدور (سامي بك) وهذا دوره الذي يجيده ، وقامت مديحة يسري بدور (فتحية هانم) فأبدعت حقاً وعرفت كيف تجيد التعبير عن إحساسات مختلفة في براعة فائقة ، وقام محمد فوزي بدور (منير) ويمكن أن نعتبر هذا الدور بداية طيبة إذا اعتبرنا صاحبه وجهاً جديداً ، وقد وفقت زينب صدقي وفردوس محمد وهاجر حمدي ، وكذلك نجحت النجمة الجديدة ليلى عبده ودلت على استعداد يؤهلها لأن تكون نجمة لامعة ، ووفق أيضاً فؤاد شفيق ومحمد كامل .

الأغاني :

ألف أكثرها أحمد بدرخان فدل على طول باعه في التأليف . ولحنها وغناها محمد فوزي فدل على أنه يمشي في طريق النجاح . وكلها تشهد ببراعته في التلحين والموسيقى التصويرية .

الصوت والإضاءة والديكور :

كان الصوت سيئاً جداً في كثير من المشاهد ، وكانت الإضاءة خير ما في الفيلم وكذلك الديكور .

الإخراج :

اضطلع به الأستاذ أحمد بدرخان وهو مخرج شاب له موهبته وثقافته ومقدرته ، وقد بذل جهداً كبيراً في الإخراج ولكن تفاهة القصة جعلته كجندي يحارب في غير ميدان .

وبعد :

فإن من الشائع عندنا أن الذين يؤلفون للسينما يسيرون وراء المؤلف الغربي ويأخذون عنه ويقتبسون منه ويحاكونه . ناسين أو متناسين أن لكل بلد جوه ومزاجه وتقاليده . وقد تجلت هذه الظاهرة واضحة في قصة هذا الفيلم . وقد تستساغ مثل هذه القصة في البلاد الغربية لأنها لا تتنافى مع ما ألفوه من عادات وتقاليد ، ولكنها في مصر لا يمكن أن تستساغ ولا أن تهضم ...

... كم أتمنى أن تقوم عندنا نهضة فنية صحيحة ! ! نعم كم أتمنى ! !

محمد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦١٨ – الاثنين ٧ مايو ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 618

Lundi - 7 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٧ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نهـــاية دكتاتورين !

عَمْرك اللهَ ، أهى نهاية دكتاتورين ، أم نهاية دولتين ، وعبودية أمتين ، وعبرة الدهر لمن يسول له الحمق الآدمى أن يطاول الله فى سمائه ، ويصرّف الأقدار فى أرضه ؟ !

سبحانك ربنا ما أبلغ حكمتك وأعدل حكمك ! كأنما يقضى عدلك المطلق بين آدم وإبليس فى صراع الخير والشر أن ترسل من الجحيم رسلا للفساد ، كنيرون وجنكيز وهتلر ، كما أرسلت من الجنة رسلا للصلاح ، كموسى وعيسى ومحمد ! وإلا فكيف يتصور عقلنا المحدود أن رجلا كسائر الرجال ، فيه الخطل والجهل والعجز والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة بِسْمرك ، ولا أدب جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، يستطيع أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربى الممتاز ، وأن يسخرهم اثنى عشر عاماً فى ابتكار أفظع ما يتصور الذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار ، فابتكروا من المهلكات المعجزات ما لو وجهوه إلى الخير لعمرت الأرض ، وأنفقوا من الأموال والثمرات ما لو سلطوه على الفقر لسعدت الدنيا . ولو أن هذا الشقى وأحلافه فعلوا ذلك فساعدوا الخير بمبتكرات العلم ، وأشاعوا الغنى ببراعات الإنتاج ، لكانت رسالتهم أكرم وسيادتهم أعمّ ومجدهم أخلد ؛ ولكنهم لم يهيأوا بطبائعهم لهذا الأمر لحكمة يريدها الله من هذا الكون العجيب الذى يحيا بالموت ، ويصلح بالفساد ، ويتجدد بالبلى ، ويقتات بعضه ببعضه ، ويتربص كله بكله !

نعم هلك الطاغيتان موسولينى وهتلر فى أسبوع واحد بعد أن ظلا ستة أعوام ينشران الفزع والجوع والموت والخراب والحداد فى كل أمة وفى كل أسرة وفى كل نفس ، دون أن يعصم الناس من كل أولئك عاصم من دفاع أو ملجأ أو بعاد أو حِيدة . ومن سخر الأقدار أن الفوهرر الذى كان يدعو إلى النازية فى مشرب من مشارب البيرة فى ميونخ ، يُقتل وهو يدافع فى برلين فيهوِى على قاعدة مدفع ؛ وأن الدتشى الذى كان يخطب للفاشية على ظهر مدفع فى البندقية ، يُصرع وهو يفر إلى الحدود فيخر على صدر مومس ! ! والحق أن هاتين الميتتين : مِيتةَ الأسد لزعيم الألمان ، وميتة الكلب لزعيم الطليان ، هما الخاتمان اللذان صاغتهما الحوادث للزعيمين من معدن الأمتين ليطبعهما التاريخ على وثيقة هذه المجزرة البشرية فيرمز بهما إلى نفس كل زعيم وطبيعة كل أمة ! وفى المجرمين تفاوت فى الطباع يدعو بعضها إلى الإكبار وبعضها إلى الإصغار ؛ ولكن اللص الإيطالى الذى يغتالك خفية بالموسى ، لا يختلف فى رأى القانون عن اللص الأمريكى الذى يقتلك جهرة بالمسدس ؛ وليس فى الإجرام تفاضل ولا فى الشر خيار .

***

انبعث هذان المسيخان من ركنين متجاورين من أركان التمدن الحديث ، فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجعلان الآخرة للدنيا ، والأمة للفرد ، والعقل للهوى ، والعلم للشر ، والحضارة

للدمار ، والحياة للموت . ثم خرجت هاتان النِّحلتان من الكهوف والمواخير وانتشرتا فى جواء برلين وروما انتشار الظلام المضل والغاز الخانق ، فعميت عيون كانت ترى ، وغبيت قلوب كانت تفقه . ثم هتكت النازية أستار الدول بالجواسيس ، وبلبلت عقائد الناس بالدعاية ، واشترت ضمائر الساسة بالمنى ، وبثت فى دخيلة كل أمة دعاة الهزيمة وسماسرة النفاق يزيفون الوطنية فى كل نفس ، ويميتون الحمية فى كل رأس ، حتى تركت القوم تماثيل من غير خلق ولا روح ؛ ثم رمت جوانب الأرض وخوافق السماء بالموت الوحِيِّ فى شتى أشكاله وأهواله ، فأصبحت أوروبا الجميلة خليطاً من الأنقاض والأشلاء ، ومزيجاً من الدموع والدماء ، وانبسط الطغيان المحورى على ممالك كانت بالأمس مسارح للسلطان والمجد ، فأصبحت اليوم سجوناً للأحياء ، وقبوراً للموتى .

ثم وقفت الديمقراطية من الدكتاتورية موقف الفريسة المرتاعة تنظر إلى الناب البارز ، أو الشهيد الصابر ينتظر هُوِيَّ الحسام المصْلَت ؛ ولكننا قلنا يومئذ والأمل فى النصر كبصيص المنارة الخافت على محيط من اليأس يموج بالظلام والهول : إن الفوز مكفول للديمقراطية ، لأنها هى الصحة التى انتهى إليها جسم الإنسانية العليل ؛ أما الطغيان والبربرية فهما نكسة المرض ؛ والنكسة خلل عارض لا يلبث بحسن علاج الطبيب وصدق إيمان المريض أن يزول . وقد صدّق الله هذا القول ، فانهارت النازية على نفسها وأهلها انهيار الطود الأشم فلم تدع خنزوانة فى رأس طاغية ولا أملاً فى صدر طامع .

***

والدكتاتورية نظام من أنظمة الحكم الشاذ يقتضيه حال ويستوجبه جيل ويستسيغه زمن ؛ ولكنه كالعلاج بالسم إذا زاد مقداره قتل . وعيب الدكتاتور الصالح أنه يعرف كيف يبتدئ ولا يعرف كيف ينتهى . إنه عجَلة من غير فرملة ، يحمل عليها أمته المتلكئة المتخلفة ، ثم ينطلق بها انطلاق الطائرة المطاردة لا يلوى على شىء ، حتى إذا غلا فى السرعة وأوغل فى السير أعياه الوقوف فيضل فى مفازة سحيقة ، أو يتردى فى هاوية عميقة .

والطاغية إذا ركب رأسه تنكر للنصح وتمرد على المشورة . فهو يسكت أقطاب الرأى ليتكلم ، ويؤخر أبطال القيادة ليتقدم . والغالب أنه يجيد القول ولكنه يزوِّر ، ويحسن العمل ولكنه يطيش . وما زلنا قريب عهد بشقشقة هتلر وثرثرة موسولينى ، فقد كانا يقولان القول ولا يصدقان فيه ، ويعدان الوعد ولا يبران به ؛ لأن الاستبداد بالرأى ينفى التبعة ، والاعتداد بالنفس يلغى الرقابة ؛ والتبعة والرقابة مزيتا الديمقراطية . ومن ذلك كانت خطب تشرشل وروزفلت وثائق يستشهد بها السياسى ويعتمد عليها المؤرخ . والديمقراطية تنظر إلى الشىء من جهاته الست ، وتسلك إلى الغاية طرقها المختلفة ؛ ولكن الطغيان لا ينظر إلى الشىء إلا من الجهة التى تجذبه ، ولا يسلك إلى الغاية إلا الطريق التى تعجبه . ثم يحمل الشعب على رأيه ونهجه بالإرهاب المستمر ، والتعليم المسموم ، والتربية الآلية ، والدعاية المغشوشة ، فلا يجوز لصوت أن يرتفع بتعريف أو إنكار ، ولا ينبغى لأحد أن يقول للقاطرة الرعناء إلى أين تذهبين بالقطار !

***

آلآن ، وقد تحطمت النازية بعد أن تحدَّت بجبروتها سنة الله وقوة الطبيعة ، وارتفعت أيدى الأبالسة عن منشأ هذه الرجفة العامة من الأرض ، وأخذت غواشى الليل الطويل تتكشف عن فجر السلام الشرق ، وأوشكت الإنسانية المكروبة أن تجد نَفَساً من الرجاء ورَوحاً من الطمأنينة ، وآن لقادة الحديد والنار أن يتركوا الميدان لساسة الرأى والهوى ، آلآن يجمل بالأقطاب الثلاثة أو الأربعة الذين يقررون اليوم مصاير الأمم والشعوب أن يتخذوا لهم من أهوال ست سنين موعظة وعبرة . يجمل بهم أن يذكروا وهم حول الموائد الُخضر تلك الميادين الحمرَ فتتمثل لعيونهم تلك القذائف الجهنمية تذرو أجساد الشباب كما تذرو العاصفة غثاء الهشيم ! يجمل بهم أن يذكروا وهم ينعمون بالحفلات الساهرة بعد المناقشات الثائرة ، تلك الدور الحزينة التى خلت من عائلها الكادح ، وفتاها الشابل ، وأنسها الأنيس ، وعيشها الآمن ، فترد على خواطرهم تلك المآسى الدامية التى مثلتها الحرب فى كل مكان ! نعم يجمل بهؤلاء الأقطاب أن يذكروا أنهم أنقذوا الدنية هذه المرة أيضاً بأعجوبة . وليست الأعاجيب والمعجزات مما يُكشف أو يخترع ؛ إنما هى الفرص والمصادفات تسنح أو تبرح كما يشاء القدر . إنهم إذا ذكروا كل أولئك كانوا حريين ألا يقبلوا فى مؤتمر الصلح مندوبين عن أصحاب الجلالة : الاستئثار والاستعمار وبسط النفوذ ! وإذن يتمتع العالم بسِلم طويلة يضمد فيها جروحه ويستأنف بها سيره .

أحمد حسن الزيات

دار الترجمة

ونهضة مصر الثقافية

للأستاذ سيد قطب

قرأت مقال الأستاذ صاحب الرسالة عن « دار الترجمة » فى العدد الأسبق من الرسالة ، ذلك الذى يقول فيه :

« والغريب المخجل أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية . فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ، ونشرهما على حسابه ! »

« فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالمياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب »

قرأته فإذا هو « يشخص » موقف المكتبة العربية الراهن من الثقافة العالمية تشخيصاً صادقاً صحيحاً . ولا يكتفى بهذا « التشخيص » بل يصف طريق العلاج ، ثم يتجاوزه إلى وصف الدواء فيقول :

« لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ، فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ، أو قل : إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يختار لها مئتان من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية .

« هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية » ...

***

لقد استطردت فى الاقتباس من كلمة الأستاذ ، لأنها واضحة دقيقة وافية ، تحيل ذلك الحلم الضخم عياناً منظوراً ، وتحول هذا المشروع الكبير حقيقة مستطاعة .

استطردت فى الاقتباس لهذا ، ولسبب آخر يعنينى !

فالواقع أننى استرحت لهذا التفاؤل الذى يشيع فى كلمة الأستاذ بعد أن بلا من مصر ما بلا فى هذه السنين الطوال . وبعض هذا البلاء كاد يردنى أنا الشاب إلى اليأس من كل رجاء ! ... إلى اليأس من تنفيذ أى اقتراح إنشائى يكلف المسئولين تغيير «الروتين» اليومى ، والإقدام على المشروعات الضخمة التى لا تسير على مثال سابق ، ولا تطرد على وتيرة معروفة . إن « السوابق » هى التى تحدد طريقة العمل واتجاهه فى الديوان !

وكثيراً ما ابتلع هذا « الروتين » البغيض شخصيات حية مجددة تملأ الدنيا ابتكاراً وتجديداً وهى خارج « القفص الذهبى » حتى إذا آوت إليه لفها الدولاب ، وابتلعها الجو العام ، وعادت « موظفين » . أى آلات تسير سيرة الآلات !

فإذا ظل الرجاء يداعب رجلاً مجرباً كالأستاذ الزيات ، فذلك شعاع مضىء يعشو إليه أمثالنا من الشبان . وعجيب أن ينبع الأمل من نفوس الشيوخ وأن يتسرب منها إلى نفوس الشبان ، فى هذا الزمان !

فى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف مشروع مهيأ لترجمة « شكسبير » وكان مقرراً أن يسند إلى أديب كبير يوثق بحسن قيامه على هذا العمل الضخم . ثم ماذا ؟ ثم تغيرت

الظروف السياسية ، فطوى المشروع ، لأن الرجل الذى اختير له لا « ينسجم » مع القائمين بالحكم فى ذلك الأوان !

وفى وقت من الأوقات كان فى وزارة المعارف أديب كبير جم النشاط متعدد الجوانب ، وكان للترجمة مشروع يقرب من مشروع الأستاذ الزيات ، تقدم به كاتب السطور ، وقيل له : إن المشروع موضع النظر والتفكير ، ثم صب على الرجل سيل من أعمال « الروتين » فغرق وقته كله ، حتى تغيرت الأحوال .

وفى وقت من الأوقات كان على رأس وزارة المعارف وزير يشتغل بالتأليف وبالترجمة أيضاً . وكان المنظور أن يصنع شيئاً فى هذا المجال . ولكن عجلة « الروتين » « وتوزيع الدرجات » قد استغرقت وقته مع المقابلات والوساطات والرجاءات ... !

وفى كل وقت مثل ، وفى كل عهد نموذج . وأسباب التسويف كثيرة ، و « القفص الذهبى » لا يسمح بالتحليق والطيران !

* * *

لا أريد أن أثبط عزيمة أحد ، ولا أن أطفئ الآمال فى صدر أحد ؛ ولكنى أحب أن أصارح الأستاذ المتفائل : إننى قليل الرجاء فى الدواوين . وإذا أسعدنا القدر فى وقت من الأوقات بوزير يقدم على عمل إنشائى كهذا العمل الجليل ، فالتقلبات السياسية بالمرصاد . ولا بد للوزير الجديد أن يجدد ، وأن يبدل ؛ ولا بد أن يجد من كبار المسئولين موافقة إجماعية على التجديد والتبديل ، كالتى لقيها سلفه سواء بسواء !

أجل لا بد أن ندور فى هذه الحلقة المفرغة ما دام «الروتين» هو الروتين ؛ ما دامت « السوابق » هى التى تحدد الاتجاه ؛ ما دامت روح الابتكار محصورة فى هذه الحلقة المفرغة على توالى الأجيال .

لقد قضينا الآن أكثر من عشرين عاما منذ حصلنا على نوع من الاستقلال ، نغير ونبدل فى مناهج التعليم ، فلم يتعد التبديل والتغيير طول مدة الدراسة وقصرها توزيع المواد المقررة على السنوات الدراسية ، توزيع الموظفين على المناطق أو حشدهم فى الديوان ، توزيع الدرجات على أساس أقدمية التخرج أو أقدمية التعيين أو أقدمية الدرجة ... ! إلى آخر هذه الدورات التى لا تنتهى فى الحلقة المفرغة المضروبة !

لم نفكر فى تغيير النظام الدرسى كله ، ولا تجديد عقلية التعليم ، أو على الأقل تغيير طرق الدراسة . لم نفكر فى « النموذج الإنسانى » الذى نريد أن نصل إليه بالتلميذ ، لنستطيع رسم الوسائل والأدوات . بل لم نؤلف « مكتبة التلميذ » . فهل تريد يا سيدى أن نؤلف « مكتبة الأجيال » ؟ . ألا ما أحلى الآمال !

* * *

أما لئن استطاع وزير المعارف الحالى أن يقهر الماضى كله ، وأن يقتحم العقبات جميعاً ، وأن ينفذ اقتراح الأستاذ الزيات فليكونن أكبر ميدان فى العاصمة أصغر من أن يتسع لتمثاله الخالد . إنه يكون واضع أسس النهضة وضامن بقائها أجيالا طويلة .

إن النهضة الثقافية فى مصر مودعة بضعة رءوس كبيرة ، ولكنها فانية — مع الأسف — فلئن أودعت بطون الكتب ، ليكونن هذا طريقها للخلود ، ولتضمنن لصاحبها كذلك الخلود .

وعندئذ نستطيع أن نحرر برامجنا المدرسية من نير اللغات الأجنبية فى سن مبكرة ، ومن مزاحمة هذه اللغات للغة القومية فى عهد التكوين . وهى مشكلة تواجه واضعى البرامج عندنا ، وتصطدم بقواعد علم النفس والتربية المقررة .

وعندئذ يصبح تعلم اللغات ضرورة لمن تستدعى الضرورات العملية فى الحياة أن يتعلموها ، وتصبح المكتبة العربية مصدر ثقافة عالية ككل المكتبات العالمية .

هذا أمل ، وأمل كبير . وما علينا أن نرجو فى تحقق الآمال ؟

سيد قطب

إلى حامى الإسلام ...

للأستاذ على الطنطاوى

[جاء فى برقيات أمس أن موسولينى قد أسر ، ولو كان موسولينى البطل النبيل الذى حارب حتى سقط ، لنسينا عداوته وحيينا بطولته ، وللبطولة حقها لا يجحده كريم ، ولكن موسولينى دعى ظالم ، وخصم لئيم ، فلذلك وجهنا إليه هذا المقال] (ع ...)

يا من يفتش فى الكتب عن العبر ! يا من يبحث فى خرائب التاريخ ، تعالوا : فإن ها هنا عبرة ما فى التاريخ أجلّ منها ، وما فى الكتب مثلها . تعالوا فشاهدوا واعجبوا واعتبروا ...

هذا الذى تكبر وانتفخ حتى ما تسعه ثيابه ، وما يحتويه جلده ... هذا الذى تطاول وتعالى حتى ما يجد محلا يرتقى إليه . ولا علا فوق علوه ... هذا الذى طغى وبغى حتى استلب فراش هيلاسلاسى من تحته ، وطرده من بيته ... هذا الذى تجبر وتمرد حتى ألقى الشيخ المجاهد الصالح عمر المختار من الطيارة فتلقته الأرض ، أرضه وأرض قومه ، أشلاء ومزقاً ... هذا الذى جنّ من الكبر ، وحمّ حتى صار يهذى فى حمّاه ، ويثرثر فى جنونه ، يقول : أنا حامى الإسلام !

تعالوا انظروا إليه أسيراً ذليلا ، يقاد إلى الموت ، بأيدى قومه ، قد طار هواء الكبر من جوفه ، فانحنى واستخذى وهبط من بعد علاه إلى الحضيض ، ونزل من يفاعه إلى القاع ، فمن كان يظن أن موسولينى سيكون أسيراً فى بلاده يساق إلى المشنقة ؟

ألا لا يأمنن بعد اليوم ظالم ، ولو مدّ الله له ومنحه قوة وأعطاه مالا . ولا ييأسنّ مظلوم ولو ابتلاه الله فقدر عليه الضعف وكتب عليه الفقر . ولايفتحن فمه ملحد فاجر ، فإن لهذا الكون إلهاً منتقماً جباراً عادلاً ، يمهل ولا يهمل ، ويمد للظالم ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

***

يا موسولينى ، يا حامى الإسلام هلم احم رأسك غداً من سيف الجلاد . احم اسمك من لعنات التاريخ . احم (عظمتك ...) من سخرية الأجيال ، وهزء القرون الآتيات ، فإن للإسلام رباً يحميه ، وإن للإسلام يا أيها الدوتشى ... ولا دوتشى اليوم ! جنداً إن لم يكن لهم (الآن) مثل رصاص جندك الذى لا يقتل ، ومدافعهم التى لا تؤذى ، وأسطولهم الذى لا يحارب ، فإن لهم قلوباً فيها إيمان وسواعد فيها عزم ، ونفوساً لا تهاب الموت . ومن يجمع الإيمان والعزم وحب الموت لا يغلبه شىء . وسل إن كنت ناسياً ... سل عنهم بطاح طرابلس ، وبقاع الريف ، وجنات الغوطة ، وجبل النار . سل جنود إيطاليا الذين كنت تخطب فيهم خطبك المسرحية ... تظن أنك صرت بها قيصر ثانياً ...

لقد أجاب عليها شاعرنا حافظ ابراهيم ، فقالها كلمة حق وصدق ، كلمة قوة ونبل ، فاسمعها إن لم تكن سمعتها :

قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملأوا الدنيا كلاما

نعم لقد امتلأت الدنيا أمس يا دوتشى بالكلام عنك ، والهتاف باسمك ، باسم موسولينى الأسير الجانى ... فهنيئاً لك هذه الشهرة وهذا المجد !

يا موسولينى ، لقد قوض المسرح ، ومزق الستار ، وبدا المكنون للعيون ، فإذا أنت وجندك كما قال الرافعى فيهم :

يا أمة النحت والتصوير وبحكم حتى جنودكم الأنصاب والصور

ولقد هدمت الأنصاب ، ومزقت الصور ... وثقبت هذه الكرة المنفوخة بإبرة ، فعادت قطعة من جلد ميت ...

***

يا من يفتش عن العبر ، هذه عبرة فخذوها ، وأذيعوها ، واصرخوا بها فى أذن كل ظالم ، علّه يسمع ويصيخ ، ويتعظ ويعتبر ، قبل أن يقضى الله فيه قضاءه فيكون عبرة للمعتبرين .

قولوا لهم إن الظلم مرتعه وخيم ، وإن دعوات المظلوم سهام مسمومة ، وإن الدهر دوار ، والأيام دولاب ، وربما عزّ غداً الذليل وذلّ العزيز ، وجاءت ساعة الانتقام ، وويل يومئذ للظالمين .

***

ويا أيها المظلومون ، فرادى وجماعات ، فى كل قطر وتحت كل كوكب ، اصبروا ولا تقنطوا من رحمة الله ، ولا تيأسوا من روحه وكونوا معه ، فإن الظالم مهما كبر ، فالله أكبر ، ومهما طالت يده وعلت ، فإن يد الله فوق يده ، ومهما ملك من أمر يومه ، فإن غده وراء باب مغلق ، ومفتاحه عند الله ، وما يدرى أحد بماذا يطلع عليه غده .

لقد قال هوجو شاعر فرنسا الأكبر لنابليون بطلها الأكبر الذى تجرأ لما ولد له (ملك روما) فقال المستقبل لى : « يا أيها الملك ، إنك تستطيع أن تظفر فى أوسترلتز ، وأن تفتح فينا ، وأن تملك العالم ، ولكنك لا تستطيع أن تقول المستقبل لى ، لأن المستقبل يا أيها الملك ، لله وحده ! »

***

وأنت يا فاتح الحبشة ، وغازى طرابلس ، اخل الآن بنفسك وابك على خطيئتك ، واستعد تلك الخطب ، وفكر فى هاتيك الأيام التى كنت تطل فيها من شرفة قصرك ، على أولئك الآلاف المؤلفة من الشخوص السود ، أبطال الفاشست ، فتصرخ فيهم حتى تتمزق حنجرتك ، وتتفجر رئتاك ، وهم يجيبون بدوى يهتز له ذلك القصر ... أين هؤلاء الذين أعددتهم ليكونوا عدتك فى بنيك على طرابلس ؟ أين ذلك الحماس وذلك الدوى ؟ مجد بنيته فى الهواء فضربته الرياح ! يا غازى طرابلس ، لقد كانت فرقة المغاربة من الطرابلسيين وإخوانهم المسلمين أول فرقة وطئت أرضك ، وغزت بلادك ، وطاردتك حتى سقطت فى الفخ ، كما تسقط الضبع الخبيثة التى لا تأكل إلا لحوم الموتى لأنها لا تجرؤ على الأحياء ! لا نست الأسد الجريح ، ولا النسر المهيض !

فكر فى ذلك الشيخ الشهيد الذى ملأ مصرعه كل قلب بغضاً لك ، وكل عين دمعاً عليه ، لقد انتقم الله له ، ولكنا لا نريد أن يفعل بك ما فعلت به لأنا أكرم منك أصلا وفرعا ، وأنبل خلقاً وطبعا ، ولأن نبينا نهانا عن المثلة ، وأمرنا بالرفق حتى بالحيوان فلا نذبحه إلا بشفرة حادة ، فاطمئن فقد أحدت لك الشفرة !

يا موسولينى ، وما إياك نخاطب ، لقد صرت أقل وأذل من أن تخاطب ؛ ولكن ليعتبر قوم لم يقلوا بعد قلتك ، ولم يذلوا ذلتك . ياموسولينى إنا لانشمت ، وما الشماتة سجية فينا ، ولكنا ندل على مكان العبرة فيك ، حين نلت جزاءك ... لقد أوكت يداك ، ونفخ فوك ، فغرقت ، فالحمد لله الذى أنقذ الأرض منك وأقر بك عيون من ظلمت ، وأرانا فيك هذا اليوم الأسود(1) . اللهم أنعمت فزد ، فإنها لا تزال الأرض تعج بالظالمين !

القاهرة **على الطنطاوى**

حاشية : قضى الله قضاءه العادل فى موسولينى الظالم بين كتابة هذا المقال ونشره .

(على)

---

(1) اقرأ مقالة (فضيحة القرن العشرين) فى الرسالة عدد (151) فى 20 مايو سنة 1936

صــــلوات فـكر

فى محاريب الطبيعة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أزل وأبد !

لما تعب الناس من الوقوف على عتبة المهد ، يقولون لكل قادم : من أين أتيت ؟ والوقوف على عتبة اللحد ، يقولون لكل ذاهب : إلى أين عزمت؟ ولم يعلموا من الأزل والأبد علما ، انصرفوا حين ذهب عنهم ذهول الطفولة إلى القنطرة والجسر الذى وجدوا أنفسهم فوقه ، يتراكضون عليه ويبنون ويتراحمون ويختصمون ، واتخذوا لهم فلسفة هى وحى الحياة النادية فوق هذه القنطرة وحدها ، واقتناء التجارب فيها ، ومدوا علمهم فى تراب الأرض ورحابها ، وصار من طبيعة تفكير أكثرهم أنهم لا يسألون عن النبأ العظيم الذى ينبثّ فى السماء والأرض ، ويوجه الأفكار المخلصة للسؤال عنه وإنهم ليمرقون من الدين الموروث لأنهم لم يحسوا حقيقتيه فى الأزل والأبد بأنفسهم ، ولم يَدُرْ بخواطرهم التفكير فى هذا الوجود الغريب الذى ليس من طبيعته أن يكونوا هم منه .

إنهم لا يلتفتون للأزل إلا حين يطرق بابهم مولود قادم فيفرحون ويضحكون له ، ولا يتيقظون للأبد إلا حين يودّعهم مودّع ميت فيبكون عليه .

هم يضحكون للأول لأنه كائن يظهر لهم وينمو ويتفتح « فيفتنونه » ويملكونه كتاع ...

وهم يبكون على الذاهب لأنه يُنْتَزَع منهم ويختفى ، ويذكرهم باختفائهم وذهابهم إلى المصير المجهول فيخافون ...

هم لا يتيقظون إلا حين ظهور شىء أو اختفائه . أما استمراره وحركة حياته فلا يسترعيان انتباههم .

مهما فلسف الحسّيون الماديون الذين لا يؤمنون بالغيب فيما قبل حياتهم وما بعدها ، فإن العقل والطبع لا يقبلان أن يصدر هذا الكائن العظيم من غير مصدر أزلى عظيم ، ولا أن يذهب إلى غير مصير أبدِيٍّ عظيم ، لأنه يوقن أن له فى ضمير الكون كله نسباً عريقا خالداً !

همسات :

هنا همس من عوامل الحياة ودورات الأحداث ودوافع الأرحام
وهناك همس من عوامل الموت وسكون الأجداث وعقم الرجام
والإنسان بينهما لا يسمع ... لأنه لا يسمع إلا بأذنين ...
وهما لا يسمعان إلا ضجيج الطبل ورنين الدينار والكأس .

أما الهمس النافذ الدائم فله حاسة أخرى تكاد تكون مفقودة عند الأكثرين ... الإنسان بين المهد واللحد ، بين السرير والنعش ، بين القصر والقبر ؛ ولا يسأل ما هاته العجائب المتضادة التى ما جاء للحياة إلا ليدركها أو يحار فيها ...

أحاول بهذه الكلمات أن أضخم هذه الهمسات حتى يسمعها الذين لا يسمعون إلا بالأذان ، وأن أشق لها طريقا بين ضجيج الحياة ... فلقد امتلأت الآذان بالصخب والزئاط والعياط حتى تصدعت الرءوس ، وشاقها أن تسمع بعض الألحان الخافتة التى تفتحت عليها آذانها ، وهى فى مهد الحياة كما يشوق الرجال أن يستعيدوا الألحان والأهازيج التى سكبتها الأمومة فى آذانهم ... وقد رأيت الآداب والفنون توشك أن تنساها وتجهل أقدارها وتغفلها إغفالا ، وشغلت بضجيج الطبول وأشكال الفقاقيع الفانية وأحاديث الأسمار والمخاصمات والمتاجرات فى الحطام والشهوات ...

جامع أزهار

أنا جامع أزهار من حديقة الله . وكثيرون مشغولون بجمع أحطابها وأشواكها .

فلا عجب أن أكون متفائلا مبتهجا نتيجة ما توحيه بهجة الأزهار . . .

ولا عجب أن آخذ منها وجهها الرفيق الباسم الملون بألوان جميلة . والذين أخذوا أنفسهم بجمع أحطابها وقشورها وأشواكها لا شك قد ورثوا من ذلك قسوة وعبوساً وعنفا وتشاؤما وغفلة عن العناية بنواحى الجمال والفن فيها .

فاللهم اجعل حظى دائما جمع أسرارها من أزهارها وثمارها وجنبنى أشواكها وعبوسها ... !

قلوب مفتحة وقلوب مغلقة

من الذى له عظمة الله ورحمته ولطفه وجبروته وكبرياؤه ، وهو

مع ذلك يحتفى بكل مخلوق من رعيته، ويضع عينه عليه ويمنحه ورشده؟!

إنه يزور ضمير كل إنسان فى جميع الأحيان ... فالمخلصون له المترقبون لجلاله، الداعو الفكر فيه، يفتحون له أبواب ضمائرهم كلما أحسوا نسائم رحمته أو عواصف نقمته! وحينئذ يدخلها سره، ويلقى فيها ما يشاء، ثم يتركهم فترات ليفكروا ويقدروا ...

والمعرضون عنه الغافلون عن جلاله وعلمه، لا يفتحون له قلوبهم إلا كما يفتح البخيل باب داره .. فلا يحسون قربه ونفاذه إلى ضمائرهم ..

اللياذ والاحتماء

هل نملك ونحن عجزة ضعفاء، غير أن نتعلق بيد الله رب العزة والجبروت قهار السموات والأرض، وصاحب هذه الدار التى أدخلنا إليها وجعل لنا فيها مثل ما لغيرنا، فاعتدى علينا الظلمة أمام ساحة عدله، وهو ينظر القاتل والمقتول؟

هل نملك غير أن نتعلق بهذه اليد القاهرة، نسألها أن تبطش بالذين غيروا ما وضعته، وأفسدوا ما أصلحته، وشوّهوا ما سوّته، وحرموا الضعاف من برها وعطفها المباح؟!

لقد عجزنا وذهبت حيلتنا! وطمست علينا وجوه السبل لننقذ أنفسنا وننقذ ما فرحنا به من صور المثل العليا ومباهج الحياة! ولم يبق لنا إلا التعلق بيده، نسألها حيلتها ومكرها ليحيق بمكر أهل السوء!

لا وجوه:

لا وجه يطالعنى مما أرى فى الطبيعة ولا مما وراءها ... لا وجه واضح المعالم محدث اللسان مضىء العينين! إنما هى أجسام غير محدودة ولا مشكلة إلا فى النبات والحيوان ... وما عداهما فأهراء من التراب والسحاب والحجارة ... وأنصاب من الجبال، وأغوار من المياه ... ثم صمت يكتنف الجميع ... ...

أمد نظرى إلى عالم التراب فيقف مصدودا لدى عتبات الباب .. وأمده إلى السحاب فيضيع فى الضباب ... وأمده إلى النجوم فيرتد حسيرا، وأمده إلى أغوار الماء فلا يرى إلا خياله ...

لا وجه إلا وجه الإنسان؛ وهذا قريب حاضر، ولكنه مثلى قاصر ... ووجه الله، وهذا بعيد جليل لا يستطاع التحديق إليه ..!

طالما وقفت وقوف العاجز المسجون أطلب أن أرى وجهاً آخر غير وجه الإنسان ليحدثنى عن أسرار الحياة!

عبد المنعم خلاف

أبو سعيد أبو الخير

وشطحات المتصوفة

للدكتور جواد على

علّق معالى الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق فى كتابه القيم « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » على اسم أبى سعيد أبى الخير ، وفى أثناء عرضه لرأى المستشرق « تنمان » " guillaume Theophil Tenremann " بهذا التعليق : « لم أجد ذكراً فيما بين يدىَّ من مراجع البحث لأبى سعيد أبى الخير ، لكن يوجد أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز نسبة إلى خرز الجلود من القرب ونحوها من أهل بغداد ، وقد ذكره صاحب كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » وقال السيد مصطفى العروسى فى حاشيته على شرح الرسالة القشيرية « هو شيخ الطائفة غير أنه توفى على الأرجح سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) وذلك يمنع أن يكون هو المراد بواضع علم التصوف قبل القرن الثانى أو فى ثناياه »[١] .

ثم استمر معاليه قائلا : « على أن الأستاذ ماسنيون ذكر فى كتابه « مجموعة نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام » ص ٨٧ أبا سعيد بن أبى الخير المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) وذكر أنه خراسانى وأشار إلى أنه كان يتحلل من القيود الدينية وكان ذا صلة بالفيلسوف ابن سينا ، وليس أبو سعيد ابن أبى الخير هذا هو المقصود بالضرورة »[٢]

ثم ذكر معاليه بعد هذه الفقرة نصوصاً فيمن يصح أن ينسب إليهم التصوف وفيهم اسم أبى سعيد الخراز البغدادى . وحين تحدث المستشرق عن أبى سعيد تحدث عن تطور التصوف فى الإسلام وعن الأفكار الحديثة التى حلت بناديه كفكرة وحدة الوجود ثم ذكر تأثير بعض المتصوفة فى التصوف كأبى سعيد أبى الخير فى فارس والهند .

وتأثير أبى سعيد فى متصوفة فارس تأثير مشهور معروف ولا سيما عند المستشرقين ، وسبب ذلك على ما أرى هو أن هذا المتصوف كان فى إيران ، وكان يكتب فى عصر أخذ الفرس فيه يدونون أفكارهم بلغتهم الوطنية ، وفى عصر ظهرت فيه حكومات إيرانية أخذت تشجع اللغة الفارسية ، فصار صاحبنا يكتب بهذه اللغة بأسلوب سلس جذاب وينظم بها نظماً جديداً على طراز مبتكر فريد[١] ، وفضلا عن ذلك فإنه لم يغادر وطنه على ما هو معروف عنه . ومع ذلك فإن الكتب العربية تحدثت عنه كمتصوف عظيم ونعتته « بشيخ الوقت ومقدم شيوخ الصوفية وأهل المعرفة فى وقته »[٢]

وأما قول معاليه حكاية عن رأى تنمان : « ثم جاء التصوف فعرض لهذا العلم المؤلف من اصطلاحات خاوية وانضم إليه خصوصاً عند فرقة القائلين بوحدة الوجود من أهل التصوف الذى وضعه قبل القرن الثانى أو فى ثناياه أبو سعيد أبو الخير ، ولا تزال تلك الفرقة منتشرة فى فارس والهند »[٣] ففيه التباس على ما أعتقد نتج إما عن خطأ فى الأصل وقع فيه المستشرق — وهو حكم لا أستطيع أن أجزم به لعدم وجود كتاب المستشرق لدى فى الوقت الحاضر — وإما عن صعوبة فى العبارة ووهم فى الترجمة أو الإختصار إذ لا يوجد شخص آخر فى تاريخ التصوف بهذا الإسم وبهذه الصفات ظهر أثره فى فارس واتهم بالتحلل من قيود الدين وبالقول بوحدة الوجود غير هذا الشخص الذى نتحدث عنه الآن والذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ، لا قبل القرن الثانى أو فى ثناياه كما جاء فى الكتاب .

---

(١) راجع كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى باشا عبد الرازق ص٦ عن أحمد بن عيسى الخراز. راجع الرسالة القشيرية ص٢٤ والخراز من أهل بغداد صحب ذا النون المصرى والنباجى وأبا عبيد البسرى والسرى . مات سنة سبع وسبعين ومائتين أو تسع وسبعين ومائتين. راجع الطبقات الكبرى، للشعرانى ص ٧٨ وما بعد .

(٢) تمهيد ص ٦

(١) راجع عنه The Mystics of Islam, by R.A. Nicholson كذلك Browne Persian Literature vol I. p, 416. London 19٠h رسالة حوزائيه ص ٤٩٣ Zhukovski

(٢) راجع طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ابن تقى الدين السبكى (المطبعة الحسينيه) ج ٤ ص ١٠ كذلك الأنساب للسمعانى (طبعة جب ص ٥٥٠ . أيضا تذكرة الاولياء لفريد الدين عطار ج ٢ ص ٣٢٢ وتذكرة الشعراء تأليف أمير دولتشاه بن علاء الدولة (طبعة Broune) ص ٨٤ و ٥٢١ .

(٣) تمهيد ص ٥ وما بعد .

والمستشرقون من ذوى التخصص فى موضوع التصوف حين يتحدثون عن مشاهير المتصوفة يتحدثون عن أبى سعيد كمثل بارزمن أمثلة المتحررين والقائلين بوحدة الوجود. وكتب التصوف الفارسية تعتبره أمة بنفسه فى عالم التصوف، صاحب مدرسة ورأى. ومن البديهى أن يكون الشخص الذى بحث عنه تمان هو هذا الشخص الذى ذكره سائر المستشرقين وكتاب العرب والفرس[١]

وأبو سعيد بن أبى الخير الذى تحدث عنه هذا المستشرق، والذى نتحدث عنه الآن، هو شخصية مشهورة جداً؛ وقد بحث عنه المستشرق المعروف إتى (Ethé) فى رسالته التى وضعها فى عام ١٨٧٨ للميلاد، والمستشرق الروسى زوكوفسكى (Zhukowski) ناشر كتاب «أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد»[٢] ثم المستشرق الثقة فى موضوع التصوف الإسلامى الإنكليزى «نيكلسون»[٣]، والمستشرق (إدوارد براون) فى كتابه القيم «تاريخ الأدب الفارسى»[٤]. وهو أبو سعيد فضل الله بن أبى الخير ولد فى غرة المحرم من عام ٣٥٧ للهجرة (٧ دسمبر ٩٦٧ م) فى ميهنه وهى مدينة من إقليم خابران بخراسان[٥] وتوفى فى ٤ شعبان من عام ٤٤٠ للهجرة (١٢ يناير من عام ١٠٤٩ للميلاد)[٦]، وكان أبوه عطاراً، ولكنه كان فناناً موهوباً محبوباً من السلطان محمود الغزنوى ملك غزنة.

يقول فريد الدين عطار: رسم أبو الخير والد أبى سعيد على جدران بيته صورة بديعة للسلطان محمود الغزنوى وهو فى وسط معركة حامية الوطيس تحف به فيلته وجنوده على طريقة الهنود فى المعارك، فلما أبصر ابنه أبو سعيد هذه الصورة وهو طفل يافع نقش على جدران البيت أسماء الله الحسنى فلم يترك مكاناً إلا كتب عليه اسم الله العظيم. فلما رأى ذلك والده امتعض كثيراً ووبخه على عمله الذى سبب تسويد الجدران وتشويه منظرها. فما كان من الطفل إلا أن أجاب: «نقشت يا والدى على الجدار اسم سلطانك، ونقشت أنا اسم سلطانى»

فخجل الوالد من هذا الجواب وأمر بإزالة معالم ما رسمه هو على الجدار[١].

درس أبو سعيد، على طريقة ذلك الوقت، النحو والفقه والتفسير والحديث والشعر وعلم الطريقة، وحفظ من شعر العرب وحده ثلاثين ألف بيت[٢] ناهيك بشعر العجم. ولما توسم أبوه فيه الخير أخذه إلى أكبر شيخ فى بلده وهو الشيخ أبو القاسم الكركانى من كبار المتصوفة وأصحاب الطرق ليتبرك به ولينال على يديه العلم والفوز والسعادة[٣].

كانت الأحوال السياسية والاجتماعية فى هذا العصر سيئة جداً: أمراء يتذابحون على جيف الدنيا، وسلاطين يتقاتلون على ملك زائل لن يدوم، ومشايخ يتحاسدون على نعمة لا تساوى شيئاً، وانحطاط فى الخلق إلى أقصى حد، ونقص فى المثل الإسلامية العليا، وشذوذ فى الطبع غريب، وتكالب على المادة. فرأى الناس أن المخرج الوحيد للخروج من هذا المأزق هو محاربة المادة عن طريق التصوف، ومجاهدة الدنيا عن طريق الزهد. فنفقت سوق المتصوفة وراجت بضاعتها. ويجب ألا ننسى بأننا فى بلد فيه استعداد لهذا المبدأ قديم، والهند وهى عش من أعشاش التصوف تجاوره وقد أمدته وغذته بهذه المادة منذ العصور التى سبقت الإسلام.

وكانت العادة أن يتنقل طالب العلم فى ذلك الوقت من مكان إلى مكان طلباً للعلم وبحثاً عن شيخ شهير. وفى ذات يوم وبينما كان الغلام يغادر المدرسة إلى البيت إذا بأحد الفضوليين من المارة يسأله عما درس وعن الكتاب الذى درس فيه، وأخيراً عن «ماهية الحقيقة» ولما لم يكن أبو سعيد يعرف شيئاً عن ماهية الحقيقة تشوش واضطرب، فأجيب: «حقيقة العلم ما كشف عن السرائر»[٤] فأثار هذا الجواب فى نفسه شوقاً عظيماً إلى معرفة الحقيقة

---

(١) راجع طبقات السبكى ج ٤ ص ١٠، الانساب للسمعانى (طبعة جب) ص ٥٥٠. كتاب لب الالباب ص ٢١٠ طبعة Petrus vettr (أمستردام). رسالة حورائيه طبعة Zhukovski ص ٤٩٣. تذكرة الشعراء (طبعة براون) وتذكرة الاولياء.

(٢) طبع فى بطرسبرك سنة ١٨٩٩.

(٣) راجع كتابه الشهير Nicholson. The Mystics of Islam London, 1914 Nicholson, Studies in Islamic Mysticism Cambridge 1921 1—76

(٤) Broune persian Literature p. 2

(٥) راجع لب الالباب ص ٢١٠.

(٦) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) مجلد ١ ص ٣٥٢. والانساب ص ٥٥٠. وطبقات السبكى ج ٤ ص ١٠.

(١) راجع تذكرة الاولياء ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) نفس المصدر.

(٤) راجع تذكرة الاولياء ص ٣٣٤.

ولم يزل يبحث عنها حتى وجدها فى أروقة الزهاد والمتصوفين .

اتصل وهو بمرو بالفقيه الشافعى أبى عبد الله الحصرى ، ثم تحول إلى أبى القفال ، والظاهر أن دراسة الفقه لم تجد فى نفسه هوى ومكانة فانتقل إلى «سرخس» وهنالك اتصل بصوفى مجذوب هو لقمان السرخسى ، وقد أرشده هذا الصوفى إلى صوفى آخر هو « أبو الفضل حسن » تلميذ أبى نصر السراج على طريقة الجنيد البغدادى المتوفى عام ٢٩٧ للهجرة وعام ٩٠٩ للميلاد[١] .

أتقن أبوسعيد مبادئ التصوف واجتاز الامتحانات النفسية الشاقة ونال « الخرقة من أبى عبد الرحمن السلمى النيسابورى (المتوفى عام ٤١٢ للهجرة) وأصبح درويشاً من الدراويش من أهل السلك والذوق وقطباً من أقطاب التصوف فى منطقة خراسان[٢] .

والتصوف فى نظر أبى سعيد أبى الخير هو « طرح النفس فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والنظر إلى الله بالكلية »[٣]

وبعد سياحة فى البرارى والقفار على طريقة الفقراء دامت سبع سنوات لم يبال خلالها بحر أو ببرد عاد أبو سعيد إلى مخالطة الناس ومجالسهم ، ونال خرقة ثانية من أبى العباس القصاب بمدينة « آمل » إلى أن حل أخيراً بنيسابور[٤] .

بلغ أبو سعيد منزلة عالية جداً فى التصوف ، والتف حوله جم غفير من المريدين رأوا فى سيرته سيرة الرجل الزاهد الصالح الذى وصل إلى مرتبة الوجد والفناء[٥] . فكانوا يتبركون به ويتهالكون عليه . والسعيد منهم من حصل على قطرة ماء من ماء وضوئه ليتبرك بها . حكى أنه سقطت منه قطعة من قشر البطيخ

(١) عطار جـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٢) عطار جـ ٢ ص ٣٢٦ وهو صوفى شهير وقد اشتهر بتفسير القرآن على طريقة الصوفية وله فيه كتاب شهير هو كتاب (حقائق التفسير) ويتممه الذهبى فى تذكرة الحفاظ حـ ٣ ص ٢٤٩ راجع أيضاً Journal Asia 1912, 584 .

(٣) راجع طبقات السبكى حـ ٤ ص ١٠ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ ص ٣٥٣ فريد الدين العطار حـ ٢ ص ٣٢٧ وما بعد .

(٥) الوجد هو بشارات الحق بالترقى إلى مقامات مشاهداته . راجع كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٢ (طبعة اربرى) . والفناء عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله على ذلك . راجع اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ص ١٧٩ . التعرف ص ٩٢ الجرجانى ص ١١٢ .

«الرق» فتهالك أصحابه عليها وأشتراها أحدهم بعشرين ديناراً[١] .

وأبو سعيد كسائر كبار المتصوفة من أصحاب الحس المرهف والخيال ، فنان موهوب بطبعه ، حلو الحديث ، سلس العبارة ، كان على رأى أكثر المتصوفة الفرس فى مذهب الحلول ووحدة الوجود بل كان من متطرفى أصحاب هذا المذهب فى هذه العقيدة . وقد سما خياله فى هذا الباب حتى على خيال بايزيد البسطامى (المتوفى عام ٢٦١ للهجرة) والحلاج . وقد تحلل فى كثير من أقواله عن القيود المألوفة ، لم يجد فى ذلك حرجا ولا غضاضة . والأنبياء وعددهم (١٢٤) ألف نبى كلهم فى الدرجة سواء جاءوا لتحقيق شىء واحد هو « معرفة الله » ولكن متى تمت هذه المعرفة عرف الإنسان كل شىء وسقط عنه كل شىء وتساوى لديه كل شىء[٢] .

والشريعة هى ظاهر المعرفة ، لذلك فهى لا توصل إلى المعرفة لأنها ظاهر الحق جاءت لمن لا يعرف الحق ولم يؤت العلم الصحيح . والسبيل الوحيد الذى يسلك بنا إلى المعرفة هو مسلك (الطريقة) وذلك لا يتم طبعاً إلا بعد جهد جهيد يصل الإنسان فى نهايته إلى إدراك (الحقيقة) ثم إلى (النهاية) التى هى فوق (الحقيقة) وهى (المعرفة) التى لا يمكن إدراكها إلا بعد إدراك (علم اليقين)[٣] .

ومتى خصص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه فى الوجود الحقيقى بحيث اتصل به اتصالا كلياً أدرك عندئذ (عين اليقين) . ومتى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالا مباشراً (بالمعرفة) التى تشع بنورها على القلوب وتتجلى عندئذ أسرار النبوات وحقائق الكتب المنزلة فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط « لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسل »[٤] وحيث أن القليل من الناس من يصل إلى هذه المرتبة احتاج الناس إلى الأنبياء والوسطاء ليكونوا سفراء بين الحق والناس[٥] .

البقية فى العدد القادم

الدكتور جواد على

(١) دائرة المعارف مجلد ١ ص ٣٥٢ . عطار جـ ٢ ص ٣٢٧

(٢) راجع عطار جـ ٢ ص ٣٢٤ . عن المعرفة راجع التعرف ص ١٠١ . المعرفة إذا وردت على السر ضاق السر عن حملها كالشمس يمنع شعاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها .

(٣) راجع مصطلحات الصوفية ودرجاتهم .

(٤) راجع رسائل ابن تيمية الرسالة الأولى ص ٢٠

(٥) تذكرة الأولياء جـ ٢ ص ١٧٧ .

من تاريخ الأدب الفرنسى

بوفون وحديثه عن الأسلوب

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

ولا شىء كذلك أيضا يضاد الفصاحة الحقة إلا استخدام هذه الخواطر الضعيفة والبحث عن الأفكار السطحية المنحلة التى لا صلابة فيها ، والتى تشبه أوراقا معدنية مطروقة لا تنال اللمعان إلا بفقدان الصلابة ، وكلما أفرغنا من هذه الروح الضعيفة اللامعة فى مؤلف قل نصيبه من القوة والوضوح والحرارة والأسلوب ، إلا إذا كانت هـذه الروح هى الغرض من الموضوع ، ولم يكن للكاتب هدف إلا الفكاهة . إن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة ربما كان أصعب من الحديث عن الأمور العظيمة[1] .

لا شىء أكثر مضادّة للطبيعـة السليمة إلا التعب الذى يتكلف للتعبير عن أشياء عادية أو شائعة بطريقة شاذة أو مبهرجة[2] .

ولا شىء ينزل الكاتب عن درجته أكثر من ذلك ؛ ففضلا عن عدم الإعجاب به يلام لأنه قضى وقتاً طويلا فى تركيب مقاطع جديدة لأجل ألا يقول إلا ما يقوله كل الناس . هذا عيب النفوس المتعلمة العقيم ، فلديها كلمات كثيرة ، ولا أفكار عنـدها . مجال عملها إذا الكلمات ، وتتخيل أنها كونت فكرا ما دامت قد رصت جملا . وأنها قد نقت اللغة فى حين أنها قد أتلفتها بتغيير معناها . هؤلاء الكتاب ليس لهم أسلوب ، أو — إن شئت أن تقول — ليس لهم منه سوى الظلّ . إن الأسلوب يجب أن ينقش بالأفكار ، وهم لا يعرفون إلا أن يرسموا ألفاظاً .

للكتابة الجيدة إذاً يجب امتلاك ناصية الموضوع امتلاكا تاماً ، والتفكير فيه تفكيرا كافيا حتى يرى الكاتب بوضوح نظام عناصره ، ويكونها متتابعة ، ويجعل منها سلسلة متصلة فيها كل نقطة تمثل فكرة ، وعند ما يأخذ القلم يجب أن يعالج الموضوع بالتوالى مبتدئا بالنقطة الأولى من غير أن يسمح له بتركها ، أو أن يعنى بالعناصر عناية غير متساوية ، أو أن يضع عنصراً فى مكان غير مكانه المحدّد له والذى يجب أن يشغله . بهـذا تبدو صراحة الأسلوب ، وذلك أيضاً هو الذى يجعل منه وحدة ، وينظم سرعته ، وهو فقط ما يكفى لأن يجعـل الأسلوب دقيقا بسيطا متساوياً ، واضحاً ، حياً ، متتابعاً .

إذا ضمّ إلى هـذه القاعدة الأولى التى يكفل تحقيقها الموهبة — الرقة ، والذوق ، والدقة فى اختيار التعبيرات ، والعناية بألا تسمى الأشياء إلا بأكثر الأسماء عمومية[1] حاز الأسلوب نبلاً ، وإذا ضم إلى ذلك أيضاً الاحتراس من أول انفعال والاحتقار لكل ما ليس فيه سوى البريق والنفور الدائم من الإبهام والسخرية ، نال الأسلوب رصانة وجلالاً أيضاً . وأخيراً إذا كتب الإنسان كما يفكر ، وإذا كان مقتنعاً بما يريد أن يقنع به سواه ، أنتج هـذا الاقتناع الذى يرتاح إليه الغير ، وصدق الأسلوب — كل آثارهما ، على شريطة ألا يعبّر عن هذا الاقتناع الداخلىّ بعبارات حماسية قوية ، وأن يكون دائماً ، التحرّز أكثر من الثقة ، والتعقل أكثر من التحمس .

هكذا ، أيها السادة ، يبدو لى وأنا أقرؤكم أنكم حدثتمونى

---

(١) قال جريم Grimm : « من الواجب اعتقاد أن بفون أضاف هذه الفكرة الأخيرة ليغرى بعض زملائه الجدد الذين لا يستطيعون أن يدعوا أن لهم مجدا إلا مستمداً من أنفس ضعيفة براقة . ولكن فكرته ليست حقاً ، فإن فن الحديث عن الأشياء الصغيرة فن نحيل صغير ، ولا يتحدث عن العظائم إلا العبقرية . إنى أفضل أن أقول شيئاً واحداً ممتازاً طول عمرى على أن أطبع اثني عشر مجلداً فى أمور صغيرة . وإنى أتحدث عن هـذه الأشياء التافهة التى تجلب للرجل شهرة ضعيفة عابرة لأن هناك سمواً أيضاً فى الفكاهة ، لا يستطيع الحصول عليه إلا العبقرية » .

(٢) يبدو من الغريب أن بفون يمقت بهرجة الأسلوب ، وفى الحق أنه لا يمقته إلا حين يخفى تفاهة الفكرة وضآلتها ، ولكنه يقبـل حقاً — وكان هذا دأبه — أن يكون الأسلوب فخما مناسباً لعظمة الموضوع .

(١) يقصد بفون بالعبارة العامة هـذه التى لا تبرز الصفات العرضية للأشياء ، ولكن صفاتها الأساسية الدائمة . وإذا كان يوصى باستخدامها فذلك لأنه يرى أن عمومية الفكرة تكسو الكلمة نوعاً من النبل ، ولكن هذه الوصية خطرة لأن استخدام الأسماء العامة يلقى بنا فى الابهام والغموض ، ويجعلنا نضحي بالدقة المؤثرة ، وبالحياة فى سبيل جمال كاذب ، ونترك الكلمة الحقة المستخدمة إلى عبارات طويلة ، فلا يقال مثلا : الأسد ، ولكن ملك الوحوش ، ولا باريس ولكن عاصمة النور ؟ وقد هزئ باسكال Pascal من هؤلاء الذين يقنعون الضيء . والواجب أن نتمسك برأى برويير Bruyère الذى يقول : (كل عبقرية المؤلف تنحصر فى قوة تحديده وتصويره . يجب أن نصور الحق لتكون كتابتنا طبيعية قوية رقيقة .)

وعلمتمونى ؛ وإن روحى التى تلقت بشراهة إلهامات الحكمة هذه رغبت فى القفز والارتقاء إليكم ؛ وما أضيعها من جهود . إن القواعد ، كما قلتم أيضاً ، لن تحل محل الموهبة ، فهى إذا فقدت أصبحت القواعد غير مجدية . فالكتابة الجيدة هى التفكير الجيد والشعور الصادق والإبانة الممتازة مجتمعة معا ، هى أن يجتمع للمرء ذكاء وإحساس وذوق . وإن الأسلوب يتطلب اجتماع القوى العقلية وتمرينها . والأفكار وحدها تكون روح الأسلوب ، وتناسق الكلمات ليس إلا تابعا ، ولا يتعلق إلا بحساسية الأعضاء . ويكفى أن تكون لك أذن دقيقة نوعا ما لتتجنب تنافر الكلم ، ويكفى أن تمرنها وتكملها بقراءة الشعراء والخطباء ، لتندفع بدون وعى إلى تقليد التناسق الشعرى والأسلوب الخطابى ، لكن التقليد لم يخلق شيئا ، وتلاؤم الكلمات أيضا ليس أساس الأسلوب ، ولا قوته ، وكثيراً ما يوجد فى مؤلفات خالية من الأفكار[1] .

متانة الأسلوب ليست إلا ملاءمته لطبيعة الموضوع، ولا يصح أن تنال قسراً ، بل تتولد تولداً طبيعيا من معنى الموضوع نفسه ، وترتبط غالبا باستخدام العبارات العامة التى تجذب إليها الأفكار . وإذا كان من المستطاع الارتفاع إلى أعظم الأفكار عمومية ، وإذا كان الموضوع فى نفسه عظيما ، ارتفعت النغمة إلى المستوى نفسه . وإذا قدمت الموهبة ما يكفى لأن يوضح كل غرض وضوحا تاما مع احتفاظ النغمة بهذا المستوى ؛ وإذا أمكن أن نضيف جمال التلوين إلى قوة الصورة ، وفى كلمة واحدة ، إذا كان من المستطاع أن نبرز كل فكرة فى صورة حية محددة تحديداً تاما ، وأن نكون من سلسلة الأفكار لوحة متسقة ، حية — لم تكن قوة الأسلوب رفيعة فحسب ، بل فى غاية السمو .

هنا ، أيها السادة ، يكون التطبيق أفضل من القاعدة ، والأمثلة تفيد أكثر من النظريات ، ولكن بما أنه لا يسمح لى أن أذكر القطع السامية التى كثيراً ما أثرت فى لدى قراءة مؤلفاتكم أجد نفسى مضطراً إلى الوقوف عند حد التأملات . إن المؤلفات الجيدة الكتابة[1] هى وحدها فقط التى تنتقل إلى الخلف ، وإن كمية المعارف ، وطرافة الأعمال بل وجدة المكشوفات ليست ضمانات كافية للخلود[2] . وإذا كانت الكتب التى تحويها لا تتحدث إلا عن أغراض تافهة ، أو إذا كانت مكتوبة بلا ذوق ولا سمو ولا موهبة ، فسوف تبيد ؛ لأن المعارف والموضوعات والمكشوفات تسرق بسهولة وتنتقل ، بل وتكتب أيضا بأيد أكثر مهارة . إن هذه الأشياء خارجة عن الرجل ، أما الأسلوب فالرجل نفسه[3] وإذا فالأسلوب لا يستطاع سرقته ولا نقله ولا تحريفه ، فإذا كان رفيعا نبيلا ساميا صار المؤلف أيضا موضعا للاعجاب فى كل زمان لأنه لا شىء يبقى ويخلد سوى الحقيقة ، وإذا فالأسلوب الجميل لم يكن كذلك إلا بما يبرزه من عدد لا يفنى للحقائق ، وكل المحاسن العقلية التى به ، وكل التفصيلات التى يتكون منها حقائق بمقدار نفعها ، وقد تكون أغلى عند النفس الإنسانية من هذه الحقائق التى تستطيع أن تكون أساس الموضوع

إن السمو لا يستطيع أن يوجد إلا فى الموضوعات العظيمة . والشعر والتاريخ ، والفلسفة ، لها كلها موضوع واحد عظيم هو الإنسان والطبيعة ؛ فالفلسفة تصف وتصور الطبيعة ؛ والشعر يصورها ويزخرفها ، ويصور الناس أيضا ويمجدهم ويبالغ فى أوصافهم ، ويخلق الأبطال والآلهة . والتاريخ لا يصور إلا الناس

---

(١) فكرة عزيزة لدى بيفون، فهو يرى أن الأسلوب يجب أن يغير نغمته تبعاً لطبيعة الموضوع ، وينبغى أن يرتفع أو يهبط إلى مستوى المواد التى يعرضها والموضوع الذى يعالجه ؛ وهكذا كان بيفون فخما عندما يكتب فى التاريخ الطبيعى ، وبسيطاً مستخدماً للألفاظ الشائعة فى رسائله إلى أصدقائه المقربين

(١) لنفهم قيمة هذه الفكرة يجب أن نعود إلى التحديد السابق للكتابة الجيدة ، وهو : الكتابة الجيدة هي التفكير الجيد والشعور الصادق والابانة الممتازة مجتمعة معاً .

(٢) علق على ذلك الأستاذ (رينيه نولت) بقوله : إن الأعمال والمعارف والمكشوفات ليست إلا مادة الكتاب الذى لا يأخذ شكلا إلا بالأسلوب الذى يبرز الأفكار ويثبتها .

(٣) هذه العبارة مشهورة ، وفى بعض الطبعات الأولى نجد بعض التحريف ، إذ فيها : Le style est de l'homme même أى أن الأسلوب من الرجل نفسه ، وقد يذكر المعنى فى كلمات موجزة هكذا : Le style, c' est l' homme أي أن الأسلوب هو الرجل ، وقد يظن معنى تلك العبارة أن الأخلاق الشخصية للكاتب تظهر ظهوراً قويا فى أسلوبه ، ومع أن هذه الفكرة صحيحة فى ذاتها لا يقصد إليها بيفون ، بل يريد شيئاً آخر، ذلك أن مادة الكتاب نفسها ليست للمؤلف وحده بل هى مشتركة بينه وبين سواه ، أما الأسلوب فقط فلا يرتبط بغير الكاتب وهو ملك له ، فمثلا مادة كتاب التاريخ الطبيعى وما فيه من الملاحظات والأوصاف ليس ملكا خاصاً لبيفون ، بل كان له مساعدون آخرون لهم نصيبهم من هذه الملاحظات والأوصاف ، ولكن الذي اختص به بيفون ، والذى له وحده هو الأسلوب الذى صاغ فيه كل هذه المعلومات .

القضايا الكبرى في الاسلام

١٤ – قتل سعيد ابن جبير

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

إذا أردنا أن نصل إلى ما يرضى العدل والإنصاف فى هذه القضية الكبيرة ، وجب أن يسير البحث فيها بقطع النظر عن شخصية المقتول وشخصية القاتل ، لأنا إذا نظرنا إلى شخصية المقتول فسنجد أنه كما قال فيه خصيف : من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيَّب ، وبالحج عطاء ، وبالحلال والحرام طاوُوس ، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبير ، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير . وسنجد أيضاً أنه كان كما قال فيه أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه .

وإذا نظرنا إلى شخصية القاتل وهو الحجاج بن يوسف الثقفى ، فسنجد الناس يكادون يجمعون على أنه كان ظالماً جباراً ، وقد قال ابن خلكان : كان للحجاج فى القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ، ويقال إن زياداً أراد يتشبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ضبط الأمور والحزم والصرامة وإقامة السياسات ، إلا أنه أسرف وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمَّر

وقد نظر الناس إلى هذه القضية متأثرين بشخصية سعيد وشخصية الحجاج فلم يوفقوا كل التوفيق فيها من الناحية القضائية ، ولم يصلوا فيها إلى حكم يرضى القضاء كل الرضا ، ولا يتأثر بعاطفة الحب والكره ، وإذا خالفناهم فى ذلك فسنصل إلى حكم فى هذه القضية يرضى كل منصف من الناس ، لأنه يراعى فيه كل وقائع القضية من ناحية الحجاج وسعيد ، ويبين تبعة كل منهما فى هذه الوقائع .

اضطرب أمر المسلمين بعد قتل عثمان رضى الله عنه اضطرابا كبيراً ، ووقعوا فى فتن شديدة كادت تقضى على الإسلام فى مهده لولا أن الله كان يهيء لهم فترة من الاجتماع بعد التفرق ، فيمضى الإسلام ظافراً فى فترة الاجتماع ، وينظر العقلاء إلى ظفره فيرضيهم ويجعلهم يغمضون أعينهم على ما فى حكمهم من قذى حذراً من التفرق ، وما يجلبه على الإسلام من أكبر الضرر ، وقد جاء الإسلام بجواز ارتكاب أخف الضررين ، وكانوا مع هذا يرضون الله بالنصح الرفيق ، والبعد عن الاشتراك فى ذلك الحكم ، وكان من هذا الفريق الحسن البصرى رضى الله عنه ، وهو سيد التابعين وأكبر علماء عصره قدراً ، فكان يبتعد عن وظائف الحكم منكراً له فى صمت ، ولا يقصر فى توجيه النصح الرفيق للحكام ، وقد شكا إليه الحجاج ما يجده فى مرض موته فقال له : قد كنت نهيتك أن تتعرض إلى الصالحين فلججت . فقال له الحجاج : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى ، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روحى ، ولا يطيل عذابى . فبكى الحسن بكاء شديدا !

أما سعيد بن جبير فإنه لم يبتعد عن وظائف هذا الحكم ،

ويصورهم كما هم ؛ وهكذا نغمة المؤلف لا تصير سامية إلا عندما يضع صور أعاظم الرجال ، وعندما يعرض أعظم الأعمال وأعظم الحركات ، وأعظم الثورات . وفيما عدا ذلك يقاسى عناء أن يكون جافا عابساً ، ونغمة الفيلسوف تسمو فى كل حين يتحدث فيه عن قوانين الطبيعة ، والمخلوقات بوجه عام ، وعن المكان ، والمادة ، والحركة ، والزمن ، والروح والنفس الإنسانية والعواطف والانفعالات؛ وفيما عدا ذلك يقاسى عناء أن يكون فخما عاليا . ولكن نغمة الخطيب والشاعر ، متى كان الموضوع عظيما ، يجب أن تكون سامية دائما ؛ لأنهم السادة الذين يجمعون إلى سمو موضوعهم سمو التصوير والحركة والتخييل [1] الذى يسرهم ، ولأن من الواجب عليهم أن يصوروا الموضوعات ويفخموها — يجب أيضا فى كل حين أن يستخدموا كل قواهم وأن ينشروا كل ما تستطيعه عبقريتهم .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

---

(١) يقصد بالتخييل أن يتوهم القارئون والسامعون أن للموضوعات العظمة التى يدعيها الشعر والخطابة .

فكان فى أول أمره كاتباً لعبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود ، ثم كتب لأبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرى ، وقد ولاه الحجاج القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربى . وكان سعيد مولى لبنى والبة بن الحارث ، وهم بطن من بنى أسد بن خُزيمة ، فاستقضى الحجاج أبا بردة بن موسى الأشعرى ، وأمره ألا يقطع أمراً دون سعيد بن جبير ، ثم جعله فى سُمَّارِه وكلهم من رؤوس العرب ، وكان الحجاج يعرفه من عهد ولايته على الحجاز ، وقد أعطاه فى أول ما رآه مائة ألف درهم يفرقها فى أهل الحاجة ، ولم يسأله عن شيء منها .

وفى سنة ثمانين من الهجرة جهز الحجاج جيشاً لغزو رُتْبيل ملك الترك ، وولى عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى ، وجعل سعيد بن جبير على عطاء الجند ، وكان الحجاج يبغض عبد الرحمن ويقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله . وقد سمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم ، فأخبر عبد الرحمن به ، فقال : والله لأحاولن أن أزيل الحجاج عن سلطانه . وكان عبد الرحمن ينتمى إلى ملوك كندة ، فيعتز بنفسه ولا يخضع للحجاج كغيره ، وكان يبطن التشيع لعلى رضى الله عنه كغيره من أهل الكوفة ، فأراد الحجاج أن يرسله فى تلك الغزوة النائية ليتخلص منه ويشغله بالجهاد وكان قد غزا رتبيل قبله عبيد الله بن أبى بكرة فى جيش كثيف فهلك فى تلك البلاد ، فسار عبد الرحمن حتى وصل إلى بلاد رتبيل فأوغل فيها ، وفتح كثيراً من حصونها ، فلما حاز من أرضه أرضاً عظيمة ، وملأ يده من الغنائم ، حبس الناس عن الوغول فى تلك الأرض وقال لهم : نكتفى بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، وتجترىء المسلمون على طرقها ، ثم نتعاطى فى العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم فى كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم ، وفى أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ، ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله .

ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأى الذى رآه لهم ، فلما أتى كتابه إلى الحجاج كتب جوابه : كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى الموادعة ، فامض لما أمرتك به من الوغول فى أرضهم وإلا فإن إسحاق بن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته . فكبر ذلك على عبد الرحمن ، ثم جمع الناس إليه ودعاهم إلى الخروج على الحجاج فأسرعوا إلى إجابته ، وكان أكثرهم من أهل العراق الذين يضمرون البغض لبنى مروان ، ولم يقتصروا على خلع الحجاج ، بل خلعوا بعده عبد الملك بن مروان ، ونادوا بعبد الرحمن أميراً عليهم وانقلبوا فى يوم وليلة يذكرون ظلم الحجاج ، وظلم عبد الملك بن مروان ، وكانت بيعتهم لعبد الرحمن : تبايعون على كتاب الله ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم ، وجهاد المُحِلين ، فإذا قالوا نعم بايع . ثم صالح رتبيل على أنه إن ظهر على الحجاج فلا خراج عليه أبداً ما بقى ، وإن هُزم فأراده ألجأه عنده ، وكان سعيد بن جبير فيمن خرج مع عبد الرحمن وبايعه .

ولا شك أن من ينظر إلى هذه الوقائع يجد أن عبد الرحمن لم يخرج على الحجاج غضباً لله تعالى ، وإنما خرج غاضباً لنفسه حين كتب إليه الحجاج يرميه بالعجز والضعف ، ويولى مكانه أخاه إسحاق ابن محمد ، وقد دفعه الغرور بنفسه إلى هذا الخروج وهو ليس بأهل لما نصب نفسه له من الإمارة على المسلمين ، وقد كان يوجد من الصحابة والتابعين فى عصره من لا يذكر بجانبهم ، ومع ذلك آثروا السكون للمصلحة ، ورأوا أن الإسلام فى حاجة إلى فترة من الهدوء بعد تلك الفتن ، ولقد أساء عبد الرحمن إلى الإسلام حين صالح رتبيل ذلك الصلح الشائن ، وعمد إلى السيف الذى كان يجب أن يُصَوَّبه إليه فصوبه إلى رقاب المسلمين ، وأعادها فتنة عمياء كتلك الفتن التى لا يزال الإسلام يجنى آثارها إلى اليوم ، ولكن الغلطة غلطة الحجاج حين يولى عبد الرحمن هذه الإمارة وهو لا يثق به ، ويعرف أنه لا يخلص لأهل دولته ، وقد نصحه إسماعيل بن الأشعث فقال له : لا تبعثه ، فوالله ما وصل جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطاناً ، وإنى أخاف خلافه . فقال الحجاج : ليس هناك ، هو لى أهيب ، وفىَّ أرغب ، من أن يخالف أمرى ، أو يخرج من طاعتى .

وكان على سعيد بن جبير أن يعرف كل هذا ، وأن يذكر كل ما كان بينه وبين الحجاج ، وألا يجر نفسه وراء أطاع عبد الرحمن

فى الإمارة والملك ، وهو رجل عالم صالح لا أطاع له فى مثل ما يطمع فيه ، ولا يليق به أن يستخدمه مثله فى أغراضه ، وما كان أجدره أن يبعد عن الحجاج كما بعد عنه إخوانه من العلماء ، وأن يترفع عن وظائفه وأمواله كما ترفعوا عنها ، حتى لايكون له حجة عليه فى يوم من الأيام ، ولايؤاخذه بها إذا لم يقم بواجب الإخلاص له عليها

وقد جرت حروب شديدة بين الحجاج وعبد الرحمن ، ذهبت فيها دماء غزيرة من المسلمين ، ولو أنها وجهت إلى رتبيل لاستفاد منها الإسلام ، وانتفع منها المسلمون ، ثم انتهت هـذه الحروب بانتصار الحجاج ، ففر عبد الرحمن إلى رتبيل يطلب أمانه على ما كان بينهما من الصلح ، وهرب سعيد يتنقل فى البلاد إلى أن قصد مكة ، فكان هو وأناس أمثاله يستخفون فلايخبرون أحدا أسماءهم ، فلما ولى خالد بن عبد الله القَسْرِىُّ مكة قبض عليهم وأرسلهم إلى الحجاج ، وكان لا يعفو عمن خرج مع عبد الرحمن إلا إذا قال له : أتشهد أن قد كفرت ؟ فإذا قال نعم عفا عنه وإلا قتله ، وهو يرى فى ذلك أن من يخرج على الإمام يكون كافرا ، لأنه ورد فى بعض الأحاديث أن من مات ولا بيعة فى عنقه مات ميتة جاهلية ، وقد أخطأ الحجاج فهم ذلك الحديث ، لأن معناه أنه يموت على مثل ما كان الناس عليه فى جاهليتهم ، إذ لم يكن لهم إمام يجمع كلمتهم ، وليس معناه أنه يكون كافرا مثلهم .

وكانت مواقف حرجة قتل فيها كثير من العلماء الذين كبر عليهم أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وكان لبعضهم لباقة أنقذته من ذلك الموقف الحرج ، كما فعل الشعبى وقد أشار عليه إخوانه ونصحاؤه أن يعتذر أمام الحجاج ما استطاع من عذر ، فلما دخل عليه رأى غير ما ذكروا له ، فسلم عليه بالإمرة وقال : أيها الأمير إن الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير مايعلم الله أنه الحق ، وايمُ الله لا أقول فى هذا المقام إلا الحق ، قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إليه أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحلمك ، وبعـد فالحجة لك علينا . فقال له الحجاج : أنت والله أحبُّ إلىَّ قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ، ثم يقول ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبى فانصرف .

ولم يكن لسعيد بن جبير مثل لباقة الشعبى ، بل اضطرب أمره حين وقف أمام الحجاج ، ولم يلتزم طريقا واحدا ينفعه فى هـذا الموقف الحرج ، مع أن الحجاج قد لَوَّح له بأنه يحب أن يعفو عنه ، فإنه حين رآه قال : لعن الله ابن النصرانية — يعنى خالداً — أما كنت أعرف مكانه ؟ بلى والله والبيت الذى هو فيـه بمكة . ثم أقبل عليه فقال له : يا سعيد ، ألم أشركك فى إمارتى ؟ ألم أفعل ؟ ألم أستعملك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك علىَّ ؟ قال : إنما أنا بشر يخطىء مرة ويصيب مرة . فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده فى شىء فقال له : إنما كانت بيعة فى عنق . فغضب الحجاج وانتفخ حتى سقط أحد طرفى ردائه عن منكبه ، وقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى . قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة ، فأخذت بيعتك له ثانيا ؟ قال : بلى . قال : فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين ، وتفى بواحدة للحائك بن الحائك ، والله لأقتلنك . قال : إنى إذن لسعيد كما سمتنى أمى . فأمر به فضربت عنقه ، وإياه عنى جرير بقوله :

يا رُبَّ ناكثِ بيعتين تركتـه وخضابُ لحيته دَمُ الأوداج

وقد كان على سعيد وقد اعترف على نفسه بالخطأ فى خروجه على الحجاج أن يمضى فى ذلك حتى يحقن دمه ، وقد قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وما كان له بعد هذا أن يعتذر ببيعته لعبد الرحمن ، لأنه قد اعترف بخطئه فيها ، ولا معنى بعد هذا للاعتذار بها .

وإذا كان سعيد قد أخطأ تلك الأخطاء فى هذه القضية ، فإن خطأه فى أنه لم يتورع عن ذلك الحكم الجائر كما تورع غيره من العلماء ، وفى أنه أخطأ الطريق فى إنكاره فغلا فيه ووضع يده فى يد من لم يكن مخلصاً فى إنكاره ، ولعله أراد بذلك أن يكفر عن عدم تورعه عنه فى أول أمره ، ولـكن تلك الأخطاء بالغة مابلغت لا تبلغ خطأ الظلم نفسه ، فـكان على الحجاج أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب سعيدا ، وأن يعرف أن ظلمه هو الذى أوقع سعيداً وغيره فيما وقعوا فيه ، ولو أنه فعل ذلك لأراح نفسه وأراح الناس جميعاً .

عبد المتعال الصعيدى

الأسرة والمجتمع

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد من سعة الاطلاع، ورجاحة الفكر، والتمكن من ناصية البيان، ما يتيح له علاج أى موضوع من موضوعات الآداب والعلوم علاج الإخصائى الأريب، ويسمو ببحوثه فى نباهة الشأن، وألمعية التحقيق إلى منزلة منقطعة النظير. وقد تجلت خصائصه هذه جميعاً فى مقاله القيم بعدد الرسالة السابق عن كتابى «الأسرة والمجتمع» الذى ظهر أخيرا فى مؤلفات «الجمعية الفلسفية المصرية».

غير أننى — إذ أبدى كبير إعجابى بكلمته الممتعة عن هذا الكتاب، وأقدم إليه جزيل الشكر لما وجهه إلى الكتاب وصاحبه من عبارات الإطراء والمديح، وبذله فى دراسة مسائله من عناية مشكورة، ولما أبداه بصدده من ملاحظات قيمة تنم على دقة التأمل وعمق التفكير — أرى من الخير أن ألقى نظرة على بعض ما ورد فى ملاحظاته من أمور تحتاج إلى مزيد من التوضيح.

فمن ذلك ما ذكره الأستاذ بصدد تماسك أجزاء الكتاب، وذلك إذ يقول: «ويظهر أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة. أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر، فتكررت فيه العبارات بمعنى واحد، وورد فيه بعض الأسماء بألقاب مختلفة. ولكنه على هذا مطرد السياق، متتابع الفصول، يتمم اللاحق منه ما سبقه من الأجزاء، وينتقل فيه القارىء من تمهيد إلى مقدمة إلى نتيجة بغير انقطاع».

ولا أدرى كيف تتوافر هذه الصفات الأخيرة فى كتاب، ثم يُظَنّ مع ذلك أن بعض فصوله قد كتبت بمعزل عن بعضها الآخر، أو أنه قد ألف فى أوقات متفرقة؟! أما تكرار بعض العبارات فى مواطن مختلفة من هذا الكتاب، فقد تعمدته تعمداً، ورأيت أن تماسك أجزاء المؤلف لا يستقيم بدونه. وذلك أننى قد عمدت إلى هذا التكرار فى موضعين يظهر فى كليهما القصد وشدة المحافظة على ربط الأقسام بعضها ببعض.

أحدهما أننى قد ذكرت فى المقدمة الحقائق الأساسية، أو «الفكرة la thèse» التى سأعنى باستخلاصها من بحثى لظواهر الأسرة. ثم كررت فى الخاتمة هذه الحقائق نفسها، أو هذه «الفكرة»، بعباراتها المذكورة فى المقدمة بعد أن كشفت لى دراستى للموضوع عن صحتها، ومهدت لى سبيل استخلاصها. وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحافظة على اطراد السياق وربط أجزاء الموضوع بعضها ببعض، ويصل إليه الحرص على اتفاق نتيجة الدليل مع نفس القضية التى جعلت موضوعا للاستدلال. وقد كان لى فى منهج علماء الرياضة أسوة حسنة فى هذا السبيل. فقد جرت عادة الرياضيين فى علاجهم لنظرياتهم أن يعرضوا أولا نص النظرية التى يريدون دراستها، ثم يأخذون فى الاستدلال على صحتها، حتى يصلوا إلى نتيجة تتفق فى عباراتها اتفاقا تاماً مع نفس هذا النص.

والموضوع الثانى الذى تعمدت فيه التكرار لشدة المحافظة على ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض يلاحظه القارىء فى عرض طائفة من النظريات التى قال بها علماء الاجتماع. وذلك أن بعض هذه النظريات تشتمل على حقيقتين أو على حقائق كثيرة يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقاً، ولكنها تتصل بموضوعات عرضت لها فى عدة فصول من الكتاب؛ فاضطررت حيال كل نظرية من هذا النوع إلى تكرارها كاملة فى فصلين أو أكثر مع عنايتى فى كل فصل بالناحية التى تهم موضوعه منها. وذلك كنظرية «ماك لينان» التى يذهب فيها إلى أن نظام قتل الأولاد فى الأمم البدائية قد أدى إلى تحريم التزاوج بين الأقرباء وإلى اصطناع طريقة السبى فى الزواج. فلما كان موضوع المحارم قد عرضت له فى القسم الأول من الفصل الثانى وموضوع السبى قد عرضت له فى القسم الثالث من هذا الفصل، وكانت نظرية «ماك لينان» تتصل بكلا القسمين، وتتوقف عناصرها بعضها على بعض، اضطررت إلى تكرارها فيهما، مع اقتصارى فى كل قسم على مناقشتها من الناحية التى تهم موضوعه.

وأما ورود بعض الأسماء فى كتابى بألقاب مختلفة، فلا أرى

فى ذلك موضعاً للمؤاخذة متى كانت هذه الألقاب صحيحة ، كما لا أرى فيه دليلا على ماظهر للأستاذ العقاد . فقد ذكرت «فرزر» مرة بلقب العلامة ، ومرة بلقب العلامة الانكليزى ، ومرة بلقب الأستاذ ، وجميع هذه الألقاب صحيحة لأن فرزر أستاذ علامة انجليزى . وفعلت مثل ذلك بصدد مرجان ووستر مارك وباخوفين ودور كايم وماك لينان ... وغيرهم ممن ورد ذكرهم فى عدة مواطن من الكتاب . وقد يكون بعض الألقاب مقصوداً استعماله بالذات فى موطن ما لغرض يدل عليه سياق الحديث ، وقد يكون غير مقصود . ولكن أمراً عادياً كهذا لا يدل على أى حال ، على أن الكتاب قد ألف فى أوقات متفرقة أو كتب بعض فصوله بمعزل عن البعض الآخر ، كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد . وإن الواحد منا ليكتب خطاباً إلى صديق فيتحدث فيه عن شخص ثالث مرة بلقب الصديق ، وأخرى بلقب الأخ ، وثالثة بلقب الأستاذ ، ورابعة بلقب الدكتور ... ، بدون أن يكون فى ذلك دليل على أن الخطاب قد كتبت بعض أجزائه بمعزل عن البعض الآخر . وأكبر الظن أن الأستاذ العقاد نفسه لو كان قد ذكر اسمى فى مقاله أكثر من مرة لتعددت ألقابى لديه عن قصد وعن غير قصد .

***

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الأستاذ بصدد خلاصة الكتاب إذ يقول : « وخلاصة الكتاب كله أن الأسرة نظام اجتماعى لا طبيعى ، كما جاء فى الفصل الثالث ... »

وحقيقة الأمر أن خلاصة الكتاب ، كما بينت ذلك بصراحة فى مقدمته وفى فصله الأخير ، تشتمل على ثلاث حقائق : إحداها الحقيقة التى أشار إليها الأستاذ العقاد ؛ وثانيتها « أن نظم الأسرة ليست من صنع الأفراد ، ولا هى خاضعة فى تطورها لما يريده لها القادة والمشرعون . وإنما تنبعث من تلقاء نفسها عن العقل الجمعى واتجاهاته ، وتخلقها طبيعة الاجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة ، وأن القادة والمشرعين ليسوا فى هذه الناحية وغيرها إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وماهيئت له . فإن انحرفوا فى تشريعهم عن هذا السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين » ؛ — وثالثة هذه الحقائق « أن نظام الأسرة فى أمة ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وتاريخها وعرفها الخلقى وما تسير عليه من نظم فى شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء ، وما تمتاز به شخصيتها الجمعية ، ويكتنفها من ظروف فى شتى فروع الحياة ، وأنه فى طريق تطوره يسير منسجماً مع هذه الأمور . فشأنه معها شأن جهاز مع بقية أجهزة الجسم الحىّ . يسير فى أداء وظائفه ومناهج تطوره على طريق ينسجم مع طريق الأجهزة الأخرى ؛ ولا يستقيم أمره وأمر الجسم الذى يحل فيه إلا إذا سار على هذا السبيل . فإن لم يراع القادة والمشرعون هذه الحقيقة فى علاج النظام العائلى جاء إصلاحهم عنصراً غريباً فى حياة الأمة ، تتجرعه الجماعة تجرعاً ولا تكاد تسيغه ، وتتضافر نظمها الأخرى على مطاردته ودفعه ، ولا تنفك تطارده وتدفعه حتى تجهز عليه ، فيصبح أثراً بعد عين ، كجرثومة ضعيفة تنفذ إلى جسم منيع » .

ولا تقل الحقيقتان الأخيرتان أهمية فى نظرى عن الحقيقة الأولى ، بل إنهما لتزيدان عنها أهمية من الناحيتين العملية والإصلاحية كما أننى لم أعن بواحدة منها أكثر من عنايتى بما عداها . ولا يظهر فى الكتاب أى أثر لترجيح بعضها على بعض .

***

ومن ذلك أيضاً أننى ذكرت فى الفصل الأخير من الكتاب لتأييد الحقيقة الأولى المشار إليها فيما سبق ، اثنى عشر دليلا متماسكة مترابطة يشد بعضها بعضاً ، وتقفى فى مجموعها على كل منفذ يتسرب منه الشك إلى هذه الحقيقة . وقد استخلصت هذه الأدلة استخلاصاً من دراستى لموضوع الأسرة ، وذكرتها تحت أرقام مسلسلة ، ولكن الأستاذ العقاد قد اقتصر على نقل فقرة واحدة من الدليل الأول وحده ، وذكر هذه الفقرة فى صورة يتبادر منها إلى ذهن القارئ أن هذا هو كل ما اعتمدت عليه . ثم ناقشها ورأى أنها لا تنهض حجة على تأييد النظرية التى أريد تأييدها ، وبنى على ذلك معظم ما ذكره فى مقاله .

وغنى عن البيان أن بنياناً يقوم على اثنتى عشرة دعامة يأخذ بعضها بحُجَز بعض ، ويشد بعضها بعضاً ، يبدو ضعيفاً واهياً إذا لم يبق من دعائمه هذه إلا جزء من دعامة واحدة ، ولا يحتاج هدمه فى هذه الحالة إلى كبير عناء ؛ وإن حكما بناه القاضى على

فلسفة المجتمع

ذوات الطنين ..

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

ولم أكد أنتهى من إنشاد صاحبي شعر العبسي ، حتى تقلص وانفرد ، وقد ارتعشت شفتاه ، وانفسحت بينهما مسافة مخيفة ، انطلقت منها هذه الكلمات تتخلج ولا تتحرج : يا أخى ، جنبنى شر شعرك هذا ! فما عدت أومن بما للشعر من قيم وأقدار ؛ قلت : أو يؤمن الشعر بمن لا يعرف أواصره وأنسابه ؟

قال : أريد أن تبرأ من هذا الشعر وفيه جودة التصوير والصدق .. وصاحبي هذا نسيت أن أقدمه لقارئيه ، حتى يطمئنوا إلى مايجرى على لسانه من حديث وجدل ... فهو قد انبعث إلى أوربا بضاعة مزجاة ، ثم ردت بضاعتنا إلينا مهوشة مضطربة ككل بضاعة وافدة من هناك ، تنكر الفصحى وتتهم ثقافتها ، وتعيش بمعزل عن كل ما يقرأ أو يكتب من الميمنة إلى الميسرة ، والعجب الطريف من أمره أن يده اليمنى معطلة ، فهو مع شماله دائماً ، قارئاً وكاتباً ... فصاحبي رجل — أعور العقل واليد — ورحم الله الرافعي ...

قلت له : لن أبرأ من هذا الشعر وإن كان للعبسي ... فقد حدثتك نفسك ، وهي ذكية ، لولا ما يكتنفها من « كثافتك » . حدثتك أن جواً خاصاً أعيش فيه يتنفس بهذا الشعر ... والزمن مهما تراخى ، لا بد واصل بوشائج وصلات ، بين مظاهر الحياة ومفاتن المجتمع ...

كان ثمت للعبسي روضة وذباب .... افتتن بهما ، وافتن فى تصويرهما ... وقد احتفظ نقدة الأدب ومؤرخوه بهذه الروعة الماثلة فى هذين البيتين ، وظلت تتحدر من قمة الزمن ، حتى ترسبت فى سفح هذا الجيل ، نابضة بالصدق ، مزدانة بالتصوير ...

روضة واحدة كان يغشاها العبسي غردة بذبابها ، مخضلة بنداها . أما أنا وأنت يا صاحبي ، فأينما اتجهنا ، فرياض نواحة بذبابها « الأصيل » مخضوبة بلعابه السام ... وذباب واحد كان يستهوى العبسي بنشيده الموقع المحبوب ، فى ضحوة الصبح وصفرة الأصيل ...

وتسمع للذباب إذا تغنى كتغريد الحمام على الغصون[1]

ذباب يترشف ألحانه من كؤوس الزهر البليلة المشرقة فى مطالع الربيع ومجالى الطبيعة ، كما يحدث أبو النجم عن روضته الأنُف التى تعلِّل ذبابها من أكاليل الزهر وريحانه

أُنُفٌ ترى ذبابها تعلله من زهر الروض الذى يكلله

أما أنا وأنت ياصاحبي ، فقذى أعيننا مواكب الذباب الأصيل يستثيرنا بطنينه المُلح الموصول فى غدونا ورواحنا ... ذباب يصوغ أصواته من دم الأخلاق الهزيلة الضالة ، ولا ينشط إلا فى عتمة الليل ومتاهات الظلام حيث ترهف الآذان ، وتنحط معانى الحيوان ...

ولا تثقل عليك فلسفتى هذه يا صاحبي ، فقد ذكر الجاحظ : « إن للذباب وقتاً يهيج فيه لأكل الناس وعضهم وشرب

(١) البيت للمثقب العبدى شاعر جاهلى من شعراء البحرين

اثنى عشر سبباً تدل عند ضمها بعضها إلى بعض على صحة ما جاء به ، ليبدو حكما فطيراً ضعيفاً إذا لم ينشر من أسبابه هذه إلا فقرة من سبب واحد .

فلو أن الأستاذ العقاد قد ذكر جميع الأدلة التى أوردتها أو لخصها لا تضح وجه الحق فيما أذهب إليه . بل لو أنه ذكر الدليل الأول وحده كاملا لظهرت النظرية فى شىء من قوتها .

* * *

أما النظرية التى ذهب إليها الأستاذ العقاد بصدد الدعائم التى يقوم عليها نظام الأسرة ، وهى النظرية التى عارض بها نظريتى والأدلة التى أعتمد عليها لتأييد هذه النظرية فتحتاج مناقشة هذا كله إلى مقال طويل نرجئه إلى عدد قادم إن شاء الله ، مع تكرار شكرنا للأستاذ الجليل لما قدمه إلينا من فضل ، وما أتاحه لنا من فرصة للتحدث فى هذا الموضوع الهام على صفحات الرسالة الغراء .

علي عبد الواحد وافي
دكتور فى الآداب من جامعة باريس

دمائهم ، وإنما يعرض هذا الذباب فى البيوت عند قرب أيامها ، فإن هلا كها يكون بعد ذلك وشيكا » (١)

قال صاحبى : بقى جانب غامض فى موقفك من هذه المخلوقات المتواضعة الصغيرة أرجو أن تجلوه لى : لم ترصد أجواء هذه الحشرات عادا عليها أنفاسها ؟ أتنطوى عوالمها على أسرار ومعجزات ؟ قلت : ولست بمحص لك أسرارها ، فهى وحدها بمزاجها ودقة تكوينها سر هذه الأسرار ، ثم فى تأملها اعتراف بقدرة خالقها ، ورياضة للنفوس الزارية بها ، ولعل الجاحظ أيضاً يمحك فيمنحك ثقة بها تباعد بينها وبين احتقارك لها ...

أوصيك أيها المستمع المصيخ ، ألا تحقرشيئاً أبداً لصغرجثته . وإياك أن تسىء الظن بشىء من الحيوان لاضطراب الخلق ولتفاوت التركيب ، ولأنه مشنوء فى العين ...

... ولعلك يا صاحبى تصدق أن الذباب لم يكن فى أيام العبسى إلا ذباب الربيع الباكر البهيج ، لا تكتحل العين به إلا فى موسم وميعاد

أما فى أيامك ، فهو كل ما تلقاه حيث أنت ، عاكفاً بالليل ، أو سارباً بالنهار

كان فى الزمن الأول يقتات نوافح الزهر ، حيث لا يضطرب المجتمع بغير نوازع الحب والكبرياء الدافعة إلى خوض المضاجع والدماء ، أسمعت العبسى ينشد :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

هذا ... كان مشغلة لفن الشعراء ، فى قمة الزمن الأول ... كبرياء الحب الصحيح مجلبة لاشتباك الأسنة والسيوف ، عمل النفوس فى النفوس صفاء ، ووفاء ، ودماء

أما فى «مستنقع» زمنك الأخير يا صاحبى ، فمشغلة الكاتبين لجاجة الذباب .. كما سماها أستاذك الجاحظ فقد أصابه منها شر متطاير وثاب ، ستأتيك قصته فى خاتمة الحديث

استقرت لجاجة هذا الذباب الذى أصبحت تعرفه مى ، على أوضاع توائم دواعى الأيام ، حيث يصطرع مجتمعه بأعاصير التعاطف الرخيص العاصف بالنفوس الذليلة ، والضمائر العليلة . فأطعمه المجتمع شرائح الأعراض ، فامتصها غرداً كفعل الشارب المترنم ، ثم نفثها ، طاقة ومجهودا ؛ فاستشرت الأدواء فى الأصحاء

... قتل وتجريح وإيذاء ! ! ..

قال صاحبى : ألهذا آثرت العافية .. ونجوت ؟ قلت : ولمساخر أخرى يحجزنى عن التصريح بها أنك رجل وفدك الورع ، وأسقمتك التقوى ، وتلك التى لم تستطع أوربا أن تبتزها منك ! ! وحسبك أن شيئاً وأشياء — تزيد على ما أصاب أستاذك الجاحظ — نالنى من شر هذه المخلوقات ، فألفيتنى أعدو وأجد ؛ وقد سلبنى « الذباب » راحة البال واطمئنان الخاطر ، وقد يئست من استنقاذهما منه ، ضعف الطالب والمطلوب ! وظللت أعدو حتى انتهى الشوط

أأجد يا صاحبى ظلا وأمنا فى هذا المكان ؟ حيث لا للشر على الخير سلطان ...

قال قل لى ما كان من أمر الجاحظ حين خرج يريد دير الربيع ، فتلقاه الأندلسى قائلا : مالك يا أبا عثمان ؟ هل من حادثة ؟

قلت يا صاحبى : هذه قصة تطول ... فافرغ لى من شغل غدك ، أكمل لك ما كان من شأن أبى عثمان . .

قال : وحينذاك أفتيك عن مصيرك فى هذا المكان . ما ؟

أحمد عبد المجيد الغزالى

(١) الحيوان . الجزء الثالث . ص ٣١٦ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

المصطلحات العلمية

والمجمع اللغوى

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كنت مع الأستاذ العقاد فاختلفنا على لفظ « الوعى الباطن » أو « اللاشعور » والاصطلاح فى اللغة الإنجليزية unconsciousness وفى الفرنسية Jnconscience . قلت له ماذا تعنى بالوعى؟ قال الوعى من الوعاء ، فتكون النفس أشبه بالوعاء الذى يحتوى الأحوال النفسية phè omènnes psycho Logigues. ، قلت له هذا رأى من الآراء فى تعريف الشعور أو الوعى ، وهناك رأى آخر لا يجعل الشعور كالوعاء الذى يحتوى الأحوال النفسية ، ظاهرة كانت أم باطنة ، بل يجعل الشعور كالمرآة التى تنعكس عليها الأحوال النفسية ؛ فإذا كان الأمر كذلك فاستعمال لفظ اللاشعور أصح من استعمال الوعى الباطن .

واتفقنا على أن اصطلاح « العقل الباطن » الذى شاع استعماله فى مصر وقتا طويلا ، ليس اصطلاحا ملائما . فنحن إذن أمام ثلاثة مصطلحات : الوعى الباطن ، واللاشعور ، والعقل الباطن ؛ فأيها نأخذ ؟ وأيها صحيح ؟ ومن يستطيع الحكم على صحة هذه المصطلحات وملاءمتها لمقتضى العلم ، ومطابقتها لروح اللغة ؟

مهما يكن من شىء فنحن فى حاجة إلى اتفاق على المصطلحات العلمية فى شتى أنواع العلوم التى تقدمت تقدماً عظيما ، ونريد أن ننقلها إلى اللغة العربية . فنحن فى عصر النقل أو الترجمة . وأهمية الاتفاق على المصطلحات واضحة ، إذ يمتنع اللبس وتقل البلبلة والاضطراب ، ويستقيم الفهم عند المطلعين ، ويسهل عليهم معرفة المقصود إذا كانوا على علم باللغات الأجنبية التى نأخذ عنها .

هذا الخلاف يزيد أمره وتتسع شقته بما يجرى عليه علماء الأقطار الشقيقة من ترجمة تختلف عما يجرى عليه العلماء فى مصر . ولو أن كل قطر من الأقطار العربية استقل بوضع المصطلحات العلمية ، لانتشر فى اللغة العربية بعد زمن وجيز عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، فنبتعد بذلك عن روح الوحدة العربية أو الجامعة العربية التى نعمل على تحقيقها .

ونضرب لذلك مثلاً بما جاء فى كتاب « المنطق » للأستاذ جميل صليبا ، عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ، وهو كتاب كبير فيه أبحاث جليلة ، ولا يقلل من قيمة الكتاب ما نأخذه عليه من نقد . وصاحب الكتاب يذكر الاصطلاح العربى وإلى جانبه نعمناه بالأفرنجية . وهذا مما يسهل للقارئ خصوصاً المطلع على اللغات الأجنبية معرفة المعنى المقصود .

فى ص ١٠ علم قاعدى Science normative ، وقد درجنا فى مصر على تسمية هذه العلوم بالعلوم المعيارية ، كالمنطق والأخلاق وعلم الجمال ، وهى تسمية مأخوذة عن العرب ، وللغزالى كتاب إسمه « معيار العلم » يقصد به المنطق .

فى ص ١١ ميتودولوجيا أو علم الأصول Méthodologie ، وفى ص ٥٥ جعل عنوان الكتاب الثانى « المنطق التطبيقى أو علم الأصول » . والميتودولوجيا نسبة إلى « الميتود » أى المنهج ، ولهذا كانت التسمية التى اصطلحنا عليها وهى « مناهج البحث » أليق من « علم الأصول » خصوصا وأن المسلمين يطلقون علم الأصول على أصول الدين أو أصول الفقه ، وعندهم أن فلاناً عالم بالأصلين ، يريدون الفقه والدين .

وفى ص ١٥ ، « المعانى أو المفاهيم هى أبسط أجزاء التفكير المنطقى ،لأنها العناصر الأولى التى تتركب منها الأحكام والأقيسة » . وهذه القضية عليها خلاف ، لأن الرأى الحديث بعد كانت الفيلسوف يجعل الأحكام هى أبسط أجزاء التفكير ، وفى ذلك يقول جملته المشهورة « التفكير هو الحكم Penser c'est juger » وليس مجالنا الآن تحقيق هذه المسألة .

وواضح أن المؤلف يجعل « المعنى » مرادفاً « للمفهوم » ولكل منهما دلالة معينة فى المنطق . فالمفهوم فى اصطلاح المناطقة مجموع الصفات التى يدل عليها اللفظ Compréhension ولكن الأستاذ جميل صليبا يضع اصطلاحين جديدين للمفهوم والماصدق هما التضمن — والشمول ، وكلاهما لا يصلحان للتعبير عن المفهوم والماصدق ، كما أننا فى غير حاجة إلى ابتكار مصطلحات جديدة إذا كان العرب قد وضعوها واستقرت فى الإستعمال .

وكذلك ما يسميه « معانى الحرمان Idées Privaties » . ص١٩، وفيها يقول « وهى تدل على الإيجاب والسلب معاً ، مثل معنى الأعمى فهو لا يقال إلا على الموجودات القادرة على الرؤية » والعرب يسمون هذه الألفاظ « العدم والملكة » فهى ألفاظ عدمية ، أى أن صاحبها كان تملك الصفة ثم عدمها ، مثل العمى فهو عدم البصر ، والصلع عدم الشعر .

ولا نريد أن نتعقب جميع ماورد فى الكتاب من مصطلحات ومناقشتها ، لأن غرضنا التنبيه على الخلاف الشديد الذى يذهب إليه المؤلفون فى تعريب الألفاظ الأجنبيــة ، وهذه فوضى عجيبة لا تبشر بالخير فى عالم الثقافة العربية .

***

وعلاج هذه الحالة ما رآه بعض المفكرين من إنشاء « المجمع اللغوى » الذى يضم قادة الفكر من علماء الأقطار العربيــة ، وبعض المستشرقين ، ومن أغراضه وضع المصطلحــات العربية للألفاظ الأجنبية المستحدثة التى لم يضع لها العرب ألفاظاً .

وقد مضى على إنشاء المجمع زمن ليس بالقليــل ، ومع ذلك لا يزال سلطانه ضئيلا ، وآية ذلك أن العلماء يمضون فى سبيلهم يضعون ما يعجبهم من اصطلاحات ولا يعترفون بما يفعله المجمع ، فما السبب فى ذلك ؟

يرى الدكتور على مصطفى مشرفه بك فى كتابه « نحن والعلم » أنه ينبغى البدء بالنقل وتشجيع التأليف العلمى لإيجاد المصطلحات قال : « والتأليف العلمى هو الوسيلة الطبيعية لإيجاد هذه المصطلحات فى لغتنا . فكل لغة حية إنما تنمو عن طريق التأليف والكتابة . واللغة العلمية وليدة التفكير العلمى ، والمصطلحات العلمية فى اللغات الأوربية إنما نشأت بهذه الطريقة ، ونتجت عن نمو العلم والتأليف . ومن العبث أن يقوم مجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين فرضاً ، وإنما تأتى مهمة المجامع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها ، فالمجمع اللغوى يجمع ما ورد فى الكتب العلمية من مصطلحات ويدونها ويفسرها . » ص ٢٤ ، ٢٥

فما رأى أعضاء المجمع فى هذه الدعوى التى يريد بها صاحبها أن يغلق أبواب المجمع اللغوى ؟

ونحن نرى أن المجمع اللغوى بحالته الراهنــة لا يستطيع أن يخدم اللغة العربية من جهة المصطلحات العلمية الحديثة ، لأنه فى واد ، والمؤلفين والمترجين فى واد آخر . والواجب أن يتقرب المجمع من الجمهور ومن المشتغلين بشتى فروع العلم ، وأن يتصل المؤلفون والمترجمون بالمجمع . وسبيل ذلك ما يأتى :

١ — إصدار مجلة المجمع بصفة جدية ، على أن يكون إصدارها أسبوعياً فى صفحات قليلة وتخصص لمصطلحات العلمية فقط ؛ وأن تتخذ الصفة التجارية ، من حيث الحجم والطباعة والإخراج والثمن والتوزيع ، ولا بأس أن يدفع أجر لكل من يراسلها من المؤلفين والمترجين ، كما تفعل جميع المجلات . أما الاعتذار بصعوبة الحصول على الورق فأمر غير مفهوم .

٢ — تصنيف العلوم المختلفة ، وهذا رأى يسير بطبيعة الحال ، ثم تسجيل جميع المؤلفات العربية فى كل علم أو فن ، وتسجيل أسماء المؤلفين أو المترجين مع بيان عنوانهم لسهولة الاتصال بهم .

٣ — أن يخاطب المجمع العلماء والمؤلفين ، ويطلب منهم رأيهم دون أن ينتظر منهم أن يخاطبوه هم . فالمجمع فى حاجة إلى العلماء قبل أن يكون العلماء فى حاجة إلى المجمع . وبذلك يكون المجمع همزة الوصل بين العلماء فى شتى الجهات والأقطار ، وسبيلا من سبل التقريب .

دكتور

أحمد فؤاد الأهوانى



متحمسان ...!

كنا ذات صباح نحو عشرين رجلا قد وقفنا واحداً خلف واحد ننتظر في قلق حتى تفتح نافذة تذاكر السفر؟ وأخذ يتزايد عددنا دقيقة بعد أخرى، وكان كل قادم يأخذ مكانه في ذيل هذا الخط الطويل الذي ذكرني بما كنا نفعل ونحن صغار حين كنا نقلد القطار ...

وكنا جميعاً لا نفتأ ننظر في ساعاتنا وصفير القُطر وصوت رحيلها على الأفاريز القريبة يملأ أسماعنا، وحركة المسافرين والحمالين وهم يسرعون في موجب وفي غير موجب تزيدنا قلقاً على قلق، ونشاط صارفي التذاكر في النوافذ المفتوحة على جانبي نافذتنا الموصدة يلقي في نفوسنا الشك في وجود من يفتحها أو يميل بنا إلى الظن أنه ربما ربكه في حجرته عمل آخر. وكان أكثرنا نظراً في ساعاتهم من كانوا أكثر بعداً عن النافذة؛ على أن القلق قد اشتد بنا جميعاً حتى أوشك أن يتحول إلى ضجر ... وأخيراً فتحت النافذة.

أقبل بائع التذاكر على عمله في هدوء وتؤدة، بعد أن ألقى نظرة على المنتظرين، وكأن مبعث اطمئنانه أنه كفيل ببيع التذاكر جميعاً قبل تحرك القطار بوقت كاف فهو خبير بعمله وقلما داخله ما يداخل المسافرين من قلق.

وأخذ كل منا يخطو خطوة كلما خلا من مقدمة الصف رجل، وبينا نحن على هذا النظام الذي نفعله مقلدين زملاءنا منذ كثر عددهم بيننا في هذه الحرب، إذ أخذت عيناي لا بل أخذ منظاري شاباً مقبلا بادي الأناقة، متكلف العظمة، يلتمع شعر رأسه الحاسر التماعاً لا يضاهيه إلا التماع رباط عنقه الأحمر، وإنه ليخطو في خيلاء تشبه الصلف، يضرب الأرض بقدميه ضرباً قوياً حتى ليحدث حذاؤه صوتاً واضحاً في ضوضاء الفناء، وما أسرع ما فطنت إلى أني منه تلقاء متحمس، وإني لشديد المحبة للمتحمسين عظيم الشغف برؤيتهم.

ومشى هذا المتحمس إلى النافذة فوضع نفسه في رأس الصف وهيهات أن يرضى متحمس أن يكون في المؤخرة، ولكنه ما كاد يمد يده بالنقود حتى سرت في الصف كله موجة احتجاج كانت أكثر شدة في آخره؛ وارتفع صوت من الوسط ينبه هذا المخالف:

— أرجو أن تأخذ دورك وإلا فما معنى أن كلاً منا قد انتظر دوره؟

— هذا ليس من شأنك ... أأنت مفتش؟... أأنت مراقب؟

— يا سيدي هذا لا يليق ... ارجع إلى موضعك من فضلك

— موش شغلك يا أفندي ... إشكني إلى مدير المصلحة

وتحير هذا الذي يحتج ماذا يقول، ولكنه ما لبث أن صاح قائلا في غضب: «يظهر أنه ما زال بيننا (جليطه) كثير» ونظرت فإذا بي منه تلقاء متحمس ثان في نهاية سن الكهولة، وأنا كما ذكرت لك أحب المتحمسين وأطرب أشد الطرب لرؤية تحمسهم

وجاء أجنبي في تلك اللحظة فقصد إلى النافذة كما فعل المتحمس الأول؛ ولعله قد رأى مزاحمته فظن الأمر فوضى، وما كاد ينبهه أحدنا حتى عاد إلى موضعه في ذيل الصف معتذراً عن خطئه وفي وجهه حمرة شديدة من فرط الخجل.

وإذ ذاك نظر المتحمس الثاني إلى المتحمس الأول قائلا وهو يشير إلى ذلك الأجنبي: «ألا ترى؟ هذا لأنه بني آدم»

ولكن صاحبنا لم يتزحزح عن موضعه وكأنه يتمسك بمبدأ الثبات حتى الموت، وإلا فما له لا يبالي بضجر المتضجرين في الصف كله — إلا أنا بالضرورة — ولا يبالي بنظرات الإزدراء تصوب نحوه في شدة كادت تجعل من في الصف ما عداي متحمسين؟

لم يعبأ على الرغم من ذلك وظل متمسكا بمبدئه القويم ومد يده بالنقود إلى بائع التذاكر فما أشد ما أخذه من حيرة إذ سمع ذلك البائع يقول له في هدوء: «من فضلك اذهب إلى موضعك»

وثارت ثائرة هذا المتحمس، فقال في صوت أشبه بالصراخ وهو يضرب النافذة بقبضته «أتمتنع عن بيع التذكرة؟» وتطلعت في فرح أحسبني أظفر برؤية متحمس ثالث، ولكن البائع ظل هادئاً ونظر إليه مبتسما وهو يقول: «إشكني إلى مدير المصلحة»

وتناول البائع النقود من كل مسافر حسب دوره في الصف وظل صاحبنا في موضعه قرب النافذة متمسكا بمبدأ الثبات حتى الموت يرشقه كل من أخذ تذكرته بنظرة ازدراء، حتى جاء دور المتحمس الثاني وقد امتلأت نفسه إعجاباً ببائع التذاكر وعدالته، فنظر نظرة نصفها إليه ونصفها إلى ذلك الذي لم تجده حماسته وقال متهللا: «والله ما يصح أن يكون مدير المصلحة غيرك»؛ ثم صوب نحو زميله الذي ماتت حماسته من الخزي نظرة شامتة وهرول إلى حيث يقف القطار.

الخفيف

ريح الشمال ...

[مهداة إلى الوزير الشاعر دسوقى بك أباظة]

للأستاذ أحمد مخيمر

تنسمتُ أرواح الشمال هنيهةً فهاج بىَ الشوق الدّفين هبوبها
بسمى كمعسول الحديث حفيفها رخىٌّ ، وفى قلبى شجىٌّ دبيبها
فتحتُ لها صدرى فأمّتْ خميلة من الحب فيه صادحٌ عَندليبها
نأتْ راحةُ السّاقى فصوّح دوحها
وما غاض فى ظل الغصون قليبها(١)
وكانت كرونقِ الشمس فى ميعة الضحى
يرفُّ رفيفـــاً زهرها وقضيبها
ويبرقُ من فرط النّضارة عشبها
ويهتزّ من فرط الحياة رطيبها
فنى لحظةً ريحَ الشمال ، فطالما تمنّتْكِ نفس شرّدتها خطوبها
لعل شذًى منها لديكِ أشمّه وهاتفةً مما تبثُّ أجيبها
وبين فؤادينا صحارى رحيبة
تُضِلُّ الخطى وديانها ولهوبها(٢)
يعوم عليها الآل حتى كأنه ظنون بأرض النفس ناءٍ قريبها
بعثت عليها من أمانىَّ طائراً فآب مهيضاً ألهتْه دروبها
وإن كثيراً أن أظل ببلدة غريباً ولا يدنو لنفس حبيبها
إذا الليل وارانى شعرت بلوعة يشبُّ بأحناء الضلوع لهيبها
وجاء إلىّ الحزن من كل جانب وهمهمت الأشواق جمًّا سروبها
وبان لعينىّ الظلام كأنه حفيرة موتى فاجأتها شعوبها(٣)
ورفّتْ بقلبى ذكريات من الهوى
تفوح كأزهار الرياض طيوبها
أرود بها لذات عهد قد انقضى وأيام حب غاب عنها رقيبها
فما هو إلا أن طبتنى ظلالها
فسرحتُ عينى فاستهلّت غروبها
وكنت كذى غلّ(١) رأى الماء قلبه
ظنوناً ، وهل يُروَى بهن طلوبها !

* * *

لكِ الله يا ريح الشمال ، وإنها لساعة بثّ ثم يدنو مغيبها
تهيجين أشواقى ! وقد كنتِ قبلها
مزاميرَ غيبٍ ، فى الضلوع طروبها
وكنتُ إذا أعولتِ فى ظلمة الدجى
توزّعنى أسرارها وغيوبها
أظلُّ كأنى قد فتحت لناظرى سبيلاً إلى الآباد رحتُ أجوبها
فبالله يا ريحَ الشمال أشيّعتْ إلينا تحيات لديك نصيبها !
ألامستِ خديها ، أجاذبتِ شعرها
ضفائر صـــفراً ينفح العرف طيبها
كمثل خيوط الشمس ، والفرق وسطه
شعاعةُ قمـــراء بهىٌّ سروبها
عجيب كصحراء الخيال مموّهٌ بذوب نضارٍ قاعها وكثيبها
جميل كألوان على السحب ثرّةٍ
وقد حان من شمس النهار غروبها

* * *

شفت كبدى ريح الشمال وقد سرت
فيا ليت شعرى هل شفتها جنوبها
نأت دارنا عنها ، وشطّتْ بدارها
نوًى قذفٌ قد أبعد السأو(٢) نيبها
وإنّى امرؤٌ أقصى مناه وهمه بقيمان أدفو أوبةٌ فيئوبها !

(ادفو) احمد مخيمر

(١) القليب : البئر .
(٢) اللهوب : المهاوي بين الجبال .
(٣) شعوبها : المنية

(١) الغل : الغليل
(٢) السأو : الهمة .



حول المدرسة الرمزية

سيدى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد :

لست أريد من هذه الكلمة القصيرة التى شرفها أنها موجهة إليكم ، إلا أن أذكر لسيدى الأستاذ أن الجملة الأخيرة التى أنهى بها مقاله عن « المدرسة الرمزية » فى عدد سابق ، هى نفسها ماظللت أشعر به منذ سنين ، آن ملت إلى الرمزية أنصفها وأنقذها من أيدى من كفانا الأستاذ الكريم عناء وصفهم ولله الشكر ... فلقد لست بيدى ضرورة الإيمان بأن « ميزان الصدق فى هذا المذهب أن يكون الرمز ضرورة لا اختيار فيها » ... وأن يكون الإيحاء « لتقريب المعنى البعيد لا لإبعاد المعنى القريب » ... أى وربى ... ولا أخفى على الأستاذ أنى ما شعرت بهذا إلا من كثرة ما أغوص فى نفسى الحزينة المتألمة ، حيث أقف على كل عاطفة ، دقيقة وغير دقيقة ، وكل معنى ، واضح أو مبهم ، فأذهل فى هذه المرحلة التى أسميها مرحلة العواطف ، وأشعر أنى فى جو جديد ، أنصت للهمسات المتشردة ، وأرنو إلى ألوان متتابعة ... حتى يأتينى هيجانُ النظم ، فلا أقنع بما دون الحالات كلها وأجرب وصفها وتصويرها ... فأضطر إلى أن أغالى ... فأغالى ... وما العمل ؟ وأصبح لا أريد من الرمزية إلا الوقوف على هذه الحالات الدقيقة ، مردداً فى كل مناسبة هذه الجملة التى كادت تكون تسبيحى : « إذا الرمزية لم تأخذ على عاتقها إجلاء غوامض النفس فحرىٌ بها أن لا تكون ... »

غايتى إذاً فى الرمزية هو التعبير عن هذه الدقائق النفسية التى لاريب قد شعر بها القارئ كل أو بعض الشعور ، والتى يمكن على كل حال إحياؤها فيه ... ووسيلتى — وهى أيضاً غاية بعض الرمزيين المنصفين — ليست الغموض وحده ولا الوضوح وحده ولكن تعانق هذين اللونين اللذين نجدهما — كما يقول صديقنا الأستاذ بديع حقى — فى كل شىء ضمته هذه الحياة ، هذه الحياة التى هى نفسها تعانق وضوح وغموض ... نعم صديقنا بديع — وهو أكثر ما أراه ميالا إلى الغزل وإلى وصف الطبيعة فى شعره الرمزى — يريد أن تكون الرمزية صورة هذه الحياة ... وله الحق ... ولكن أنا ... لا أريد من الرمزية إلا التعبير عن هذه العواطف الدقيقة وتلك المعانى المبهمة بأسلوب يقتضيه الحال ، فنكون بذلك قد خدمنا الأدب الرمزى خاصة والأدب العربى عامة ... وأنا أقول هنا الأدب العربى لأن الأدب العربى لم يجهل قط فى عصر من عصوره الإسلامية هذا النوع من النظم ! ! واليوم ، يجب أن لا ننظر إلى الرمزية بعين الازدراء أو التعصب فنعدها خروجاً عن الأدب أو مفسدة للذوق الفطرى الأدبى أو غير ذلك : ولكن يجب التعقل فيها !. نعم ، نحن ورثنا عن القدامى رمزيات عديدة كتلك التى رمز إليها أستاذنا آنفاً أو تلك التى أسعدنى الحظ ففصلتها فى بحث يطول الآن اختصاره ، قدمته لمباراة أبى العلاء التى أقامتها مجلة (الأديب) الغراء فى السنة المنصرمة ... فكان والحمد لله من الفائزين : وقد تبين لنا فيه أن المعرى رمزى صوفى ، لم يدفعه إلى الرمزية إلا تصوفه ... وغير ذلك ... ولكن ياحضرة الأستاذ ألا ترانا بحاجة إلى تجديد هذه المفاهيم الصوفية الرمزية العربية ؟ إننا اليوم نرمز ونحن بعيدون عن التصوف بعد الأرض عن السماء ، أفلسنا بحاجة إذاً إلى رفع لواء الرمزية الحقيقية حيث يكون « الرمز فيها ضرورة » .

سيدى الأستاذ ، أنا قد آمنت بهذه الرسالة التى يجب أن أحمل مشعلها فى الأدب الحديث ، باثاً هذه المفاهيم الشاقة الشيقة التى وجدتُ أيضاً (جذورها) عند منصفى الرمزية الفرنسية : عند (مالرمه) — وخاصة مالرمه هذا — و(فرلين) وقليلا عند (رمبو).. وأنا اليوم أنظم على منوال مفاهيمى هذه التى رمزت إليها فوق ، والتى أحب ، بعد هذه الكلمات ، أن أسمع أستاذى بعض ألحانها ... فهل يتكرم الأستاذ فيبدى فيها رأيه ، بعد ما أتيحت لى هذه المناسبة السعيدة التى تجعلنى أومن كل الإيمان بأن (الرسالة) هى تاريخ هذا العصر الأدبى المضطرب ... وبعدما طمعت — والشباب كله طمع وأمل — فى جودكم المعهود الذى يجعلكم لا تضنون برأى على قريب ولا بعيد ...

فالقصيدة ، وعنوانها « بقايا حُلم » جربت فيها تصوير هذه الفترة الدقيقة التى تمر على كل إنسان فى ساعات أحلامه : فيندفع وراء الأوهام باسماً فرحاً ، بوعى وبغير وعى ... فتحمله ... وأواه ... لا تحمله إلا إلى خيبة ، إلى حزن ، إلى قبور جامدة فيقف قائلا لنفسه :

بقايا حلم

لحشرجة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمين ؟ ...
تموت الرؤى فى الضلوع ... ولا تشعرين !!.
وتهفو ، يُشَيِّعُها الفلُّ واليـاسمين :
لتسكُبَ حُزنى على زَغردات الأنين !؟ !.

وتبقينَ حَيْرَى ، وراء الهضاب الحزين !!.
فأسألُ عنكِ الخيالَ ... الخيالَ الأمين :
إذا بالتهاويل تومئ : « صَه ... بعضَ حين » !.

« ٥ »

فأهمس للموت ... والبيدُ ليست تبين :
قبورٌ على أبحُرِ الوهم تبكى السنين ...
وترنو إلى الذكريات بعين الحنين !..
قبورٌ ... ولحن احتضار ... ودنيا ... ودين ...
وألقاكِ ، أنتِ ، تقولين للنادبين :
« بنفسى أشيع نفسى! ... فهل من معين؟! » ..

« ٦ »

لحشرجة الوهم ، يا نفس ، هل تبسمين ..

فهذه قصيدة قد تغنى عن كل ما لخصناه فوق والسلام عليكم وإلى اللقاء ...

دمشق عدنان الزهبي

غيرة فيلسوف

ليت الغيرة التى دفعت الدكتور شريف القبيح إلى نقد طريقة إقحامى النقد الأدبى فى فن القصة كانت غيرة على الأدب وحده دون سواه ، وبذلك كنت أحمد له غيرته ، وأقدر تجرده عن الغرض البادى من تضاعيف سطوره وتعابيره غير المحمودة .

إنى أتغاضى عما قال — سامحه الله — حباً بالنقد وحرصاً على الحرية — لأقول له إن ما بينى وبين زميل له من خصومة أدبية هى التى حفزتنى إلى إقحام النقد الأدبى فى فن القصة . فهل هذا الإقحام جائز أو غير جائز ، مقبول أم مكروه ، أو هو بدعة للتشفى كما توهم ؟

أعرف أن ميدان القصة رحب يسع ما فى الحياة بأ كلها من صور وألوان ، وأعرف أن إقحام النقد الأدبى لا يكون إقحاماً على القصة بمعناه الصحيح إلا إذا عجز القاص عن إلحاقه بسياق الحديث ، وبمجراه الطبيعى ، وبجوه المناسب ، ولم أند عن هذا السمت فيما أوردته فى قصتى « الأفعوان » المنشورة فى مجلة « المنتدى » .

أما زعمه أنى فعلت ذلك للتشفى من زميل له فهذا زعم باطل ، لأنى خاصمت بشر فارس الشاعر القاص وحاربته فى شعره وفى قصصه ، ولن أنفك عن منازلته فى كل ميدان ، ومحاربته بكل سلاح ، حتى أقتل التواءات فى نفسه يقرنى عليها كل الأدباء ولن أعامله كما رغب إلىّ حضرة الدكتور — سامحه الله مرة ثانية — « كما يعمل الطبيب الجراح مبضعه فى الجسم العليل » لأنى أعتقد أن فى وسع هذا الزميل الانعتاق من هذه الرمزيات الشعرية والقصصية متى انجابت السحب الدكناء عن ذهنه غير المظلم ، وعندها يكون صحيحاً كأحسن الأصحاء . أفعل ذلك ، لاحباً به ولا كراهة ، ولكن غيرة منى على ناشئة قد يسممها هذا الضرب السمج من الرمزية الجوفاء ، الحامل لواءها المنكس الدكتور بشر فارس .

حبيب الزحلاوى

حفلة المعهد الملكى للموسيقى العربية

أقام المعهد الملكى للموسيقى العربية يوم الإثنين الماضى حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على الخريجين تحت رعاية الوزير الحصيف الدكتور عبد الرازق السنهورى بك الذى أناب عنه الأستاذ محمد بك فهيم ، وقد بحثت بإمعان عن مجهود الطلبة فى هذا المعهد فلم أجد له أثراً ينسينا أخطاءه الماضية وجموده الدائم بالرغم من وجود الدكتور شرف الدين سليمان والأستاذ عبد الحليم على فى المعهد وفى الوزارة وهما علمان بارزان فى سماء الفن ولولاهما لسقطت الحفلة سقوطاً مريعاً . وأعتقد مع الأسف الشديد أن النظم العتيقة فى هذا المعهد هى التى ظلمت جهود هذين البطلين وحالت بينهما وبين تنفيذ برامجهما الفنية فى عالم الأوبرا التى قدم منها الدكتور شرف أول محاولة بالنسبة إلى فهم المعهد . وقد أجمع المثقفون على صلاحيته لمثل هذا العمل لولا النظم البالية التى حالت بينه وبين تنفيذ برامجه فى عالم الموسيقى المسرحية التى لم يسمع بها المعهد بعد ! ونحب أن ننبه القائمين بالأمر على صفحات هذه المجلة التى تخدم الفن والأدب بإخلاص إلى ضرورة الالتفات إلى وضع الموسيقى المسرحية والأوبرا فى برامج المعهد فى العام القادم حتى نتخلص من هذه الأوضاع الجامدة التى تركض بنا إلى الوراء ركضاً سريعاً ، وحتى نرى فى السنين القادمة أثراً واضحاً ينير الطريق للسالكين بعد هذا الليل الطويل .

عبد القادر محمود



الشـــــوق العائد

ديوان جديد للشاعر الأستاذ علي محمود طه

آية الفنان الموهوب أنك فى دنياه لا تكاد ترجع ما يعرضه أمام ناظرك ، ويجريه فى حسك ، إلا إلى منابع روحه ، وفيوض مواهبه ، وحسب هذه المجموعة التى يقدمها الشاعر — على محمود طه — فى ديوانه الجديد الشوق العائد أنها تحمل هـذا الطابع الفنى الرائع فى معناها ومبناها ، فهى تتقـدم فى مبنى غاية فى الأناقة ، ومعنى من دنيا الشاعر الذى يهيم فى أجواء الحب ، ولا يكاد يثنيه عن الولع بهذا الجانب الإنسانى العاطفى ما يغلى به مرجل العالم من أحداث وأهوال . ولـكن متى كان فى استطاعة الإنسانية أن تتخلص من أسر العواطف ؟ والشوق العائد وحى الوجدان الصادق ، فليس فيه عاطفة مصطنعة ، ولا صورة غريبة ، ولا شعور متكلف ، ولا إحساس دخيل ، بل يغمرك بوقدة روحه ، ويشع عليك وهج قلبه فى صدق وأمانة ، ويرسم لك عواطفه وخوالجه بهذا الوضوح والهدوء ، فلا يحلق بك وراء السحاب ، ولا يقذفها هوجاء عاصفة ، ولا معقدة غامضة ، ولا أدرى ما إذا كان هذا من حسنات — محمود طه — فى نظر بعض الناقدين أم من مآخذه . ومن بين عرائس هذا الديوان قصيدة (الشوق العائد) التى يقول فيها :

إهدئى يا نوازع الشوق فى قلـ ... بى فلن تملكى لماض رجوعا
آه هيهات أن يعود ولو أفنـ ... يت عمـــرى تحرقاً وولوعا

ثم يعقب على هذا الزائر المعاود فيقول :

أيها الزائر المعـــاود ما ألـ ... قاك أحسنت بالمزار صنيعا
ما أرى فى سمات وجهك إلا ... شـــبحاً رائعاً وحلماً وجيعا
يتـــوقاه ناظراى كأنى ... فيه ألقى آلام عمرى جميعا

ثم ينتهى إلى هذه النغمة الحزينة :

عدت يا شوق! فيم عدت ؟ ربيع الـ ... عمر ولى! فهل تعيد الربيعا ؟ !

ولقد استطاعت المرأة أن تبسط سلطانها على أكثر ما فى هذا الديوان ، وأن تطلق فيه أشباحها ، وأن تستأثر منه بصفحات خالدات من أمثال : طاقة زهر — وامرأة وشيطان — وهى وهو — وثلج ونار — ونار ونار — والغرام الذبيح — وامرأة .

وهو يضم أيضاً عدة قصائد من بينها : الأيام — وإلى الطبيعة المصرية — وفاروس الثانى — وموكب الوداع . وكلها نماذج لهذا الشعر العاطفى الراقص ، والديوان من الشعر الحى الذى تعتز به دولة الشعر الحديث .

محمد عبد الحليم أبو زيد

البلاغة العصرية واللغة العربية

للأستاذ سلامة موسى

كتاب للأستاذ سلامه موسى يحمل طابعه المعروف ، أهداه إلى الأستاذ أحمد أمين لأنه هو الذى أوحى إليه بموضوعه من حيث لا يدرى (أحمد أمين بك يوم أن نشر مقالا فى الثقافة) يشير إلى أن الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة ...

والأستاذ سلامه يرى أننا نفكر بالكلمات وكثيراً ما ننخدع فنظن أننا نعالج الأشياء فى حين أننا نعالج الأسماء ويرى أن الكلمات تكسبنا اتجاهاً أخلاقياً وتكون لنا مزاجا فنيا وأحياناً تحمل إلينا رواسب ثقافية قديمة كثيراً ما تضرنا فى مجتمعنا ، وهو من أجل هذا عالج فى كتابه البيئة واللغة ، واللغة والتطور البشرى ، واللغة والمجتمع ، والأحافير اللغوية . وتعرض إلى ضرر اللغة (هكذا فى الكتاب)

وقارن بين الكلمة الموضوعية والكلمة الذاتيـة وتحدث عن المجتمع العربى القديم .

وعقد فصلاً حول (الكلاسية داء الأدب العربى) ... الخ وليس فى الكتاب بحث يتصل بالبلاغة بمعناها الاصطلاحى إلا كلمة (فن البلاغة)

والكتاب بحوث حول اللغة كأداة للتعبير وحول تبسيطها وإخضاعها للحياة المعاصرة .

ومع أن الكتاب فى جملته بحوث تثير التأمل إلا أن الكتاب لم يأت بجديد يحل مشكلة اللغة من ناحية البلاغة ؛ لأن نهاية إجهاد قلمه كانت تتلخص فى (أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلا من بلاغة الانفعال والعقيدة ، كما يجب أن نتوق المرادفات والكلمات الملتبسة وأن نميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية .

ثم يدعو الأستاذ إلى أن يتأنق (التلميذ) فى تعبيره ولكن تأنق الذكاء وليس تأنق البهرجة البديعية ...

وهذه الأماني تحققها كتب البلاغة حتى الكتب القديمة .

والأستاذ يعرف أن بلاغة العقيدة هي أشد أنواع (البلاغات) وأن المترادفات متى استدعتها دواعي البلاغة كانت ألزم في تظليل المعنى وإيضاح الفكرة ، والفن العاري المجرد لايهز النفس ولايمتع الروح ، والأستاذ (سلامه) في حاجة إلى أن يراجع آراءه القاسية التي تريد للغة أن تكون من وحي (التلغراف)

وعليه أن يعرف أن فن البلاغة خضع للتطور ، وأن أدباء العرب لم يقدسوا شيئاً كما ظن فقد بهرجوا الزائف بدقة أذواقهم وقوانينهم التي أجدت على النقد وأسعفت الفن الرفيع .

وأما تعرض الأستاذ سلامه لمنهج العقاد وسلوكه في تأليفه على نهج سلفي وإضافة كثرة الأدباء إلى هذا فندع ذلك وبيان إيضاحه للقراء ، ندع أمره والدفاع عنه للأستاذ العقاد . ونحن نعتز بالفصحى ونعتز بمن يعتز بها ، ولست أدرى ... لم يضيق الأستاذ سلامه موسى بأحافير اللغة ما دمنا نستطيع الانتفاع بها وما دامت فيها روح الإعجاز والخلود .

واللغات جميعها تنتفع بماضيها وتحيي من نفائسها ما يربط مستقبلها وحاضرها بالتليد النافع

وإذا فاتك التفات إلى المـــا ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

كامل محمد عجلان

الأطياف الأربعة

للأساتذة أمينة وحميدة ومحمد وسيد قطب

أخرجت لجنة النشر للجامعيين أخيراً كتاب « الأطياف الأربعة » للاخوة الأربعة الأساتذة حميدة وأمينة ومحمد وسيد قطب .

« كتاب كتبه إخوة في الدم ، إخوة في الشعور ، كلهم أصدقاء ، يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف ، هم أنفسهم كل ما يملكون في الكون العريض . إنهم أبداً يحلمون وقد يتفزعون في الحلم ولكنهم إليه يعودون . أودعوا خطراتهم صفحات هذا الكتاب ، فاحتوى عصارة من نفوسهم وظلالاً من حياتهم »

يصف الأدباء الأربعة صوراً خبروها في حياتهم ، وحوادث مرت بهم ، بعضها يبعث على الأسى ، وبعضها يكتنفه الأمل ، وبعضها يستدر العطف . لوحات فنية رسمها كل منهم بريشته الخاصة وتفكيره الخاص فأخرجوا منها مجموعة يصح أن تزين معرضاً . لقد كشف ذلك الكتاب عن أسرة تعيش في دنيا الأدب ، يرتفع أفرادها مرة إلى أفق الخيال البعيد ، ثم يهبطون إلى دنيا الحقائق الملموسة ، ومايلبثون حتى يحلقوا في عالم الأطياف والرؤى

أهدى المؤلفون كتابهم إلى « أماه » التي عاشوا وهي معهم غرباء في القاهرة ، فلما مضت عنهم تفرقوا في الكون العريض كنباتات ضالة ليس لها جذور ، وأطياف هائمة ليس لها قرار .

ولقد اتصف الصديق الكريم الأستاذ سيد قطب بالوفاء وتسربل بالإخلاص . وتلك الصفة وذلك اللباس يتجليان رائعين فيما كتب من فصول عن « أماه » تلك الملهمة التي لا يفتأ الأستاذ قطب يردد ذكراها ويحس بالوحشة إليها . وما أجمل اللوحة التي أبدعها قلمه حين قال مخاطباً إياها « قفي ... قفي نصمد لعجلة الزمن العاتية كي لا تدور فتسحق كل عزيز وتدفن الماضي الذي نعيش على هداه . ظللي ياأماه حياتنا بجناحيك الرفيقين ، ولا تحسري هذا الظل عن مواقعه التي تفيأناها . عيشي معنا يا أماه في هواجسنا وأفكارنا ، ولا تبالي أن يلذعنا ألم الذكرى كل لحظة ، فهو ألم رفيع عزيز ، يغذي من نفوسنا ما كان يغذيه عطفك ، ويملأ من وجداننا ما كانت تملؤه رعايتك . جنبينا الفراغ القاتل ، والسلوى الرخيصة ... يا أماه » .

والحق أن كتاب « الأطياف الأربعة » ممتع يلتذ القارئ بقراءته حتى ليكاد يستعيد بعض فصوله مرات ومرات ؛ فإن الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفوه ، والمشاعر السامية التي أودعوها صفحاته ، والتحليلات النفسية البارعة التي عرضوها فيه ، دلت على قدرة مشاعة بين إخوة أربعة ، وفطنة مشتركة بينهم ، ولباقة أدبية يتميزون بها ويتحلون .

غير أنني أريد أن أهمس في آذان الكتاب الأفاضل ، ولا أظنني متحاملا عليهم ، إن مصنفهم اتشح بالسواد واكتنفته مسحة قاتمة من الحزن تكاد تبلغ مرتبة التشاؤم . حتى الغلاف لم يسلم من ذلك الخمار الأسود القاتم يجلل صدره . أما كان يجدر بهم أن يضيفوا إلى « الأطياف الأربعة » طيفاً خامساً مرحاً أو باسماً ؟ أما كان من الأفضل أن يكون الكتاب معرضاً لصنوف المشاعر ، بين فرح وحزن ، وابتسام وعبوس ، وجمال ودمامة ؟

والكتاب فيما عدا ذلك قطعة أدبية فنية رائعة ، تحس حين تقرأه اتساقاً وانسجاماً بين فصوله المختلفة تفصح عن مكنونات قلوب كاتبيه السمحة ، وميولهم الأدبية الرفيعة .

وديع فلسطين
بكالوريوس صحافة

محكمة قنا الجزئية الأهلية

إعلان بيع في القضية رقم ٨٦٢ سنة ٩٤٤ جزئي قنا

في يوم الاثنين ٢٨ مايو سنة ٩٤٥ الساعة ٨ أفرنكي صباحا بسراي المحكمة سيباع بطريق المزاد العلني اجرى العقار الآتي بعد المملوك إلى جندي أفندي حليم إبراهيم وأمين لوقا سيدار وس من بندر قنا وفاء للمبلغ ٦٦ جنيه و٠٣٨ مليم بخلاف ما يستجد من المصاريف بثمن أساسي قدره ٧٠ جنيه للمنزل جميعه

وهذا بيان للمنزل وهو كائن ببندر قنا

هدد ٣٦٢ ذراع عبارة عن منزل كائن ببندر قنا بحارة الأنصاري حسب جرد البندر وحارة أبو شقرة حسب خرائط ١/١٠٠٠ تحت رقم ٤ وحديثا رقم ١٠٨ جرد مبنى بالطوب الأحمر والأخضر مكون من ثلاثة أدوار حده البحري زقاق وفيه الباب وطوله ١٢ وثلثي أذرعة والحد الشرقي شارع وطوله ١٦ وثلث ذراع والحد القبلي بعضه شارع وبعضه ملك ورثة مصطفى دغيمي وطوله ٢٤ ونصف ذراع والحد الغربي حوش رقم ١٠٧ ملك أمينه لوقا سيداروس بطول ٢١ وربع ذراع

وهذا البيع بناء على طلب الخواجه عازر جورجي خليل من بندر قنا ومحله مكتب حضرة الأستاذ ميشيل أفندي رزق المحامي

ونفاذ الحكم نزع للملكيه الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٢ — ٥ سنة ١٩٤٠ ومسجل بمحكمة قنا الكلية في ٢٨ منه تحت رقم ١٩٤ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

فعلى راغب الشراء الحضور وشروط البيع وجميع الأوراق بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب البيوع

صدر في منشورات أصدقاء الكتاب :

نساء عاشقات

للأستاذ

صلاح الدين المنجد

تحليل بارع لأروع قصص الحب

في الأدب الفرنسي بأسلوب ناعم حلو

أطلبوه من الوكيل العام

عبد الله السماوي

صاحب مكتبة الهلال

محكمة الصف الجزئية الأهلية

« إعلان بيع عقار »

نشرة في القضية رقم ٦٨٠ سنة ١٩٤٤

إنه في يوم ثلاثاء ٢٩ مايو سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ أفرنكي صباحاً بغرفة المزايدات بمحكمة الصف الجزئية الأهلية .

سيباع بطريق المزاد العلني بالشروط المدونة بحكم نزع الملكية العقار الآتي بيانه بعد ملك كامل عبد العال رضوان من ناحية الكوايه مركز الصف مديرية الجيزة وهاهو بيانه

٨١ سنتيمتر ، ٣٧ متر سبعه وثلاثون متراً مربعاً وواحد وثمانون سنتيمتر مربع قطعة ٩ بحوض السوقي ن ٨ قسم ثاني مشاعاً ر المنزل البالغ مسطحه ٢٥ س ، ١٥١ متر الحد البحري منزل ابراهيم أبو شبيكه والشرقي بعضه شارع وبه الباب وبعضه منزل ورثة محمد على البطيخة وبعضه — ١٢٦ بحوض رغفان حسن حموده وآخرين والقبلي — ١٢٧ بحوض رغفان وسعد وولى حسن حموده مناصله و"غربي بعضه منزل عبد سليمان جاد الحق وبعضه منزل شلباه محمود زعفان من ناحية الكوايه مركز الصف

٨١ س ، ٣٧ م قدره سبعه وثلاثون متراً مربعاً وواحد وثمانون سنتيمتر مربع .

وهذا البيع بناء على طلب ست الشكل على جمه من الكوايه مركز الصف مديرية الجيزه وفاء لمبلغ ١٠٢٥ قرش الف وخمسة وعشرين قرشاً صاغاً وما يستجد من المصاريف تنفيذاً لحكم نزع الملكية الصادر من محكمة الصف الأهليه بتاريخ ٣ ابريل سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة مصر الابتدائيه بتاريخ ٧ — ٤ سنة ١٩٤٥ رقم ٢٣٢ سنة ١٩٤٥ بثمن أساسي قدره ١٠٢٥ الف وخمسة وعشرين قرشاً صاغاً

فعلى من له رغبة في الشترى الحضور في ازمان والمكان المبينين آنفاً وشروط البيع والأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمه لمن له رغبه وللاطلاع عليها .

كاتب البيوع

سكك حديد الحكومة المصرية - مواعيد فصل الصيف

يتشرف المدير العام بأن يلفت نظر الجمهور إلى التعديلات التي أدخلت على بعض قطارات الإكسبريس والركاب والتي نفذت ابتداء من أول مايو سنة ١٩٤٥ كالمبين بالجداول المعروضة بالمحطات ودفتر الجيب الذي يباع بها .

وفيما يلي أهم التعديلات :

١ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٥ التي تغادر القاهرة في الساعة ٣٠ ٢٠ إلى الاسكندرية بقطار عادي مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل .

٢ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٦ بقطار عادي مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل ، يغادر الإسكندرية في الساعة ٤٥ ١٩ ويصل إلى القاهرة في الساعة ٢٥ ٢٣

٣ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٨ الذي يغادر القاهرة في الساعة ٠٠ ٢٠ إلى الشلال ، ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط ويسير بصفة إكسبريس بين الأقصر والشلال في الساعة ٤٠ ١١

٤ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٩ ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط . ويغادر الشلال في الساعة ٥٠ ١٦ ويسير بصفة إكسبريس إلى الأقصر ويصل إلى القاهرة في الساعة ٤٥ ٨

٥ — يغادر قطار الإكسبريس رقم ١٦٤ القاهرة في الساعة ٠٠ ١٦ وينقل ركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة ويمتد مسيرة بين سوهاج والشلال ويقف بجميع المحطات بين الأقصر والشلال فيصل إلى الشلال في الساعة ٣٥ ١٠ ويعود منها برقم ١٦٣ بركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة في الساعة ١٥ ١٧ إلى سوهاج والقاهرة فيصل القاهرة في الساعة ٢٠ ١١

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين



الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

التعليم فى رأى القـــابسى

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

قدم إليه معالي مصطفى باشا عبد الرازق

مُذيل بالرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين

لأبى الحسن القابسى المتوفى ٤٠٣ هجرية

اعظم كتاب فى تاريخ التربية والتعليم

يطلب من الناشر مكتبة الخانجى بشارع عبد العزيز بمصر.

ومن مكتبة المثنى ببغداد

الثمن خمسون قرشاً وللبريد ٦٣ مليما

13 me Année No. 619
Lundi - 12 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ٦١٩ «القاهرة في يوم الإثنين ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ١٤ مايو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

التربية السياسية

للأستاذ عباس محمود العقاد

أحسنتم في كلمتكم التي شيعتم بها عهد الدكتاتورين هتلر وموسليني ، وأشرتم إلى موضع العجب العاجب من أمر الأمة الألمانية التي يستطيع رجل كسائر الرجال ... « فيه الخطل والجهل والعجز والهوى ، وليس فيه إيمان لوثر ، ولا سياسة بسمارك ، ولا أدب جوته ، ولا فلسفة نيتشه ، أن يسيطر على ستين مليوناً من الجنس الأوربي الممتاز ، وأن يسخرهم اثنى عشر عاماً في ابتكار أقطع ما يتصور الذهن الجبار المجرم من وسائل الفتك وآلات الدمار »

والحق أن أعجوبة الأعاجيب في هذه الأمة الألمانية أنها على وفرة نوابغها وشيوع التعليم بين طبقاتها وازدهار المعارف والصناعات فيها ، لا تزال تستسلم لطاغية بعد طاغية سواء من عواهلها أو من المغامرين بالحكم فيها ، ثم تمضي معهم في مخاطرة بعد مخاطرة من أيسر شرورها هزيمتها وامتلاء الأرض كلها بالوجل والبلاء بضع سنوات

ولكنها عبرة من عبر التاريخ الكبرى تساق إلينا نحن الشرقيين خاصة لنعلم هوان المعارف والصناعات ووفرة النوابغ وكثرة المتعلمين إلى جانب التربية السياسية التي تتوارثها الأمة جيلا بعد جيل في ظل الحرية والمعاونة البصيرة بين الرعاة والرعية

فالأمة الألمانية قد استوفت كل مزية من مزايا العلم والصناعة والنبوغ إلا هذه المزية التي لا غنى عنها ، وهي مزية التربية السياسية

وأولى خصائص هذه المزية هي الاستقلال بالرأي في محاسبة الحكام ، أو هي اشتراك الجميع في الحكم ببداهة المعاونة التي تنشأ من طول المرانة وكثرة المراس

فالأمة الإنجليزية مثلا قد نشأت في جزيرة يحوطها البحر ، فاستغنى ملوكها عن الجيوش القائمة الكبيرة التي يدفع بها الملك خطر العدوان من جيرانه ، وأمن رؤساء العشائر أن يسومهم الملك طاعة لا مراجعة فيها ولا مشاورة ، لأنهم كانوا جميعاً في عشائرهم بمثابة الملوك الصغار ، وكان لهم من الجند والأتباع ما يستعينون به على مكافحة العسف والطغيان كلما تجاوزا حدود المصلحة الكبرى التي يرتضونها أجمعين

وكان الإنجليز أمة تجار وبحارة ينفردون بأنفسهم في لجج البحار . فتعلموا من التجارة مساومة الآخرين ، وأن الأمر لا يؤخذ في الدنيا بالغصب والإكراه ، وتعلموا من البحر كيف

ينفردون بمكافحة الأخطار ، وكيف يستقلون بآرائهم فى مداورة الصعوبات

وجيل بعد جيل بعد ثالث بعد رابع على هذه الوتيرة كفيلة بتربية الاستقلال والخبرة بمداولة الشؤون وإقامة الحدود المعقولة بين الحاكم والمحكوم

لكن الألمان على نقيض ذلك ، قد شاء لهم سوء الحظ أن يقيموا فى الرقعة الوسطى من القارة الأوربية ، وكانوا فى حاجة دائمة إلى الطاعة العسكرية ، لأنهم يغيرون على جيرانهم ويغير جيرانهم عليهم فى كل حين ، ولم يزالوا على ذلك عرضة لسطوات الأقوياء كلما ظهروا من حولهم فى الشرق أو الغرب أو الجنوب أو الشمال . فمن ظهر فى الشرق أخذهم فى طريقه غرباً إلى حيث يريد الفتح أو القتال ، ومن ظهر فى الغرب أخذهم فى طريقه شرقاً كما يشاء وحين يشاء ، وكذلك كان يصنع بهم من يمتد بسلطانه من الجنوب إلى الشمال ، أو يمتد به من الشمال إلى الجنوب

وكانوا من قديم عصورهم قبائل متفرقات تعمل فى الرعى والقنص والزراعة ، فعاشوا عيشة القبائل الأولى وهى عيشة طاعة وتسليم ، وجاءتهم النظم العسكرية التى لا فكاك منها ، فزادتهم طاعة على طاعة وتسليما على تسليم

وقد تعددت ولاياتهم حتى زادت على ثلثمائة فى نهاية القرون الوسطى ، ولم تنقص هذه الولايات عن مائة وسبعين فى أيام الثورة الفرنسية ، ثم تجمعت بعض التجمع فى زعامة ولاية من أكبرها فى العدة العسكرية ، ولكنها من أقلها نصيباً فى الثقافة والأخلاق الاجتماعية ، وهى بروسيا التى عرفت فى تاريخها بأنها آخر القبائل الجرمانية حضارة وأقلها دماثة وأدباً ، فطبعتهم من جديد بطابع الإذعان الذى لا يعرف المراجعة ولا يؤمن بتعدد الآراء

وقد ثار الألمان على الكنيسة أو على البابوية ، ولكنهم لم يثوروا قط على طغيان الحكومات وعسف القادة ، وإنما ثاروا على البابوية لأنهم كانوا فى طاعة القادة والحكومات

قلنا فى كتاب تذكار جيتى الذى ظهر منذ بضع عشرة سنة : « ... يجب أن نذكر كذلك فى هذا الصدد أن مبادئ الديمقراطية حين وصلت إلى ألمانيا كانت مبادئ عدوها المغير عليها المذل لكبريائها : كانت مبادئ الجيش الفرنسى والدولة الفرنسية . فليس بعجيب أن يتلقاها فلاسفة الألمان بشيء من الفتور والإعراض ، وأن تجنح بهم الوطنية إلى إنكار الديمقراطية فى إبان المنافسة والملاحاة بين الشعبين ... على أن السبب الذى يتصل بجميع هذه الأسباب ويكاد يدرجها كلها فى أطوائه هو حرب الثلاثين المشهورة ، فإن هذه الحرب الطحون قد دمرت ألمانيا فى الشمال والجنوب تدميراً ، وعطلت البحث والأدب فيها جيلين متواليين ، ورزحت استقلال الفكر فيها خلال القرن السابع عشر الذى نشطت فيه دعوة الفكر الحرفى الأمم الأوربية الكبرى »

من هذه العوامل التى فصلنا بعضها فى « تذكار جيتى » وبعضها فى كتاب « هتلر فى الميزان » أصيبت الأمة الألمانية بتلك الآفة الجائحة وهى نقص « التربية السياسية » وكان بعضها من صنع يديها وبعضها من صنع الحوادث والملابسات .

لا جرم يطيع الألمان حكامهم تلك الطاعة العمياء ويعتقدون فيهم كما يعتقد الأطفال فى آبائهم « إن أبانا لعلى كل شيء قدير » .

وقد خدعهم فى هتلر — فوق خداع التربية السياسية الناقصة — أنه نجح فى ضم السار والرين والنمسا وبلاد السوديت بغير قتال ، فخيل إليهم أنه يلعب بأوربا وبالعالم وأنه يملك من قوة الدهاء وقوة السيف ما يخضع له أوربا إذا خالفته ويخضع له العالم كله إذا وقف فى طريقه .

وذلك هو الضلال الأكبر فى القياس والتفكير .

لأن مصطفى كمالاً — كما قلنا فى كتاب هتلر فى الميزان — « لم ينفق جزءاً من ألف من ربوات الملايين التى أنفقها هتلر على التسليح ، واستطاع مع ذلك أن يفتح الآستانة فتحاً ثانياً وفيها جيوش الحلفاء ، وأن يعيد إليها الحصون التى منعت إقامتها بعد هزيمة الحرب العظمى ، وأن يلغى الامتيازات الأجنبية والمعاهدات التى سبقت ألمانيا الحديثة ونشأت من أيام سليمان الكبير » ... ولم ينجح مصطفى كمال ولا هتلر فيما صنعاه لأنهما أقوى من الدول التى كانت تأبى ما صنعاه ، وإنما سر المسألة كله صعوبة الإقدام

على حرب عالمية سواء كان المقدم عليها من الحكام الدستوريين أو من الحكام المستبدين ، فالذى صنعه هتلر إذن هو أنه غير هذه الحالة بسياسته الخرقاء، وجعل الصعب سهلاً على الدول فى مدى ثلاث سنوات ، وما ثلاث سنوات فى تواريخ الأمم وحوادث الدنيا ؟ ... »

نعم هذا هو الضلال الذى طير صواب هتلر فطار معه صواب الألمانيين ، لأنهم لا ينظرون إلا كما ينظر القادة والزعماء فى أصغر الهنات وأخطر الأمور .

***

لقد عصفت التربية السياسة الناقصة بكل فضيلة من فضائل هـذه الأمة الألمانية ، وحرمتها ملكة الابتداع حتى فى العلم والصناعة . فاشتهر الألمان بأنهم محسنون مكملون لما يخترعه الآخرون ولم يشتهروا بأنهم مخترعون مبدعون . وتبين ذلك فى الطيارات والدبابات التى هى عدتهم فى مقاومة الأساطيل البحرية ، فإنهم كانوا يشتغلون بالمناطيد يوم كان العالم كله يشتغل بالطيارات على اختلافها ، ولما التفتت الأمم إلى الطيارات واستخدامها فى الحرب كرة أخرى كانت طيارات الألمان دون غيرها فى الصناعة والقيادة والتأثير .

ولقد شاع بين الشرقيين كما شاع بين غيرهم أن هؤلاء الألمان يحسنون مالم يحسنه سائر الأوربيين ، لأنهم يصنعون الأدوية والمواد الكيمية التى تنقطع عن العالم بانقطاع مواصلاتهم فلا تعوضها الأدوية من سائر البلدان .

وهو وهم فارغ كان يسهل علينا نحن المصريين أن ندرك حقيقته إذا التفتنا إلى ما يجرى فى بلادنا ونصنعه بأيدينا . فنحن نستورد القمح والدقيق وبلادنا تستورد القمح وتطحن الدقيق ، وإنما نفعل ذلك لأن زراعة القطن أنفع لنا - أو كانت أنفع لنا - من زراعة الحبوب ... فليس فى الأمر عجز ولا قصور .

وكذلك الألمان والصناعات الكيمية فى القرنين الماضيين ، فإن علم الكيمياء الحديث قد راج فى أوربا يوم كانت البلاد الإنجليزية والبلاد الفرنسية ذوات مصانع ومنشآت تدار على نسيج الصوف والقطن وعلى مصنوعات المعادن والأخشاب ، فلم يكن معقولاً أن تلغى هذه المصانع والمنشآت وأن تحل الشركات التى تديرها لتعود إلى إدارتها على الأدوية والكيميات ، وإنما كان المعقول أن تترك هذه الصناعة لألمانيا كما تركت صناعة الألبان للدنمرك مع وفرة الألبان فى المراعى الإنجليزية والفرنسية . وما اضطرت أمم أوربا وأمريكا قط إلى استخراج مادة كيمية إلا أتقنتها كما يتقنها الألمان أو فوق إتقان الألمان .

فالنقص فى التربية السياسية هو علة النقص فى استقلال الرأى حيث كان ، ولو تجاوز مجال الحكم والشورى إلى مجال الرأى والابتداع .

والنقص فى التربية السياسية هو الذى ضيع على هتلر وأتباعه كل ما استكملوه من العدة الحربية ، فليكن لنا فى ذلك عبرة نحن أبناء الشرق المترددين بين المذاهب والآراء . فلا نعدل بالحرية بديلاً من الخيرات التى يقال إنها تنوب فى عهود الطغيان عن الحرية والاستقلال .

عباس محمود العقاد

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

كان العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب قد نبه على أشياء فى الجزء الأول والجزء الثانى من هذا الكتاب، ثم شغله الذى هو أهم . وفى أثناء مراجعة فى أجزائه لحت العين ما أنا ذاكر قسماً منه اليوم . والكتاب — كما يلوح — فيه ما فيه ، وإن بالغ فى تحقيقه العلماء الفضلاء من مصححيه . ومثل هذا المرجع جدير بالضبط المحكم ، والإصلاح الأكمل .

* فى جزء ١٠ ص ٢٥ فى قصيدة ابن الشبل البغدادى :

تُبادِى ثم تخنس راجعات وتكنس مثلما كنس الصُّوار
وأيام تَعَـرَّفنـا مَداهـا لهـا أنفاسنا أبداً شفار
وكم من بعد ما كانت نفوس إلى أجسامها طارت وطاروا
ولا أرض عصته ولا سماء ففيما ينول أنجمها انكدار

قلت : (تبادى) فى البيت الأول هى (تبارى) أى تتبارى حذفت الأولى جوازاً .

و(تعرفنا مداها) فى الثانى هى (تعَـرَّقنا مُداها) والمدى مع جموع المدية وهى الشفرة ، و (تعرقنا) أى تتعرقنا حذفت التاء الأولى جوازاً : وفى اللسان : « عرقت العظم وتعرقته إذا أخذت اللحم عنه بأسنانك نهشا » وعجز البيت يثبت المعنى الحق .

والبيت الثالث هذه روايته الصحيحة :

وكم من بعد ما ألفت نفوسٌ جسوما عن مجاثمها تطار[١]

وليست (نفوس) تمييزاً لكم كما جاء فى الحاشية .

والبيت الرابع عجزه : ففيم ينول أنجمها انكدار ؟

* فى ج ١٠ ص ٣٥ وقال (يعنى ابن الشبل) :

وكأنما الإنسانُ منا غيرَه متكوّن والحس منه معار
متصرّف وله القضاء مصرف ومسيّر وكأنه مختار

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٤٨

وجاء فى حاشية البيت الأول « كانت فى الأصل (والحسن فيه) ولكن لا يستقيم المعنى إلا بما غيرت إليه . وجاء فى حاشية البيت الثانى : « كانت فى الأصل (ومخير) ولكنها لا تقيم معنى البيت »

قلت : البيتان فى مقطوعة أرويها تامة[١] ؛ فإنها من الشعر البارع الحكيم ، وفيها الرواية الصحيحة للبيتين ، وإن قوله (الحسن فيه معار) يجاوب قوله (وكأنما الإنسان فيه غيره) وأما الحس فى الإنسان وفى غير الإنسان .. فلن يكون فى كل حال إلا حقيقة لا استعارةً ولا مجازاً ...

وكأنما الإنسانُ ، فيه غيرُه متكوناً ، والحسن فيه معار
متصرِّفاً وله القضاء مصرِّف ومكلَّفاً وكأنه مختار
طوراً تصوبه الحظوظ وتارة خطأً تحيل صوابه الأقدار
تعمى بصيرته ، ويبصر بعدما لا يسترد الفائتَ استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ويُرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ندما إذا لعبت به الأفكار
لا يعرف الإفراط فى إيراده حتى يبينه له الإصدار

وقد ذكرنى هذا الشعر بأبيات لبشار حكميات :

طُبعت على ما فىَّ غيرَ مخيَّر هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى، وأُعطى ولم أرد وقصر علمى أن أنال المغيبا
فأُصرف عن قصدى وعلمى مقصر
وأُمسى وما أعقبت إلا التعجبا

* فى ج ١٢ ص ٢٢٦ ومنه (أى من شعر علىّ بن أحمد بن سلّك الفالى بالفاء) :

تصدّر للتدريس كل مهوِّس بليد يسمى بالفقيه المدرس
فَحَقٌّ لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كل مفلس

قلت : فى رواية (تَسمى) مكان (يُسمى) وجاء فى الحاشية : « وربما كانت (مهوش) بالشين » والصحيح هو (مهوس) كما روى فى كثير من كتب الأدب .

والقول فى البيت الثانى (فَحَقٌ لأهل العلم) هو (فَحُقَّ لأهل العلم) وهذا ما قاله قارض الشعر وأراده . وهذا أسلوب العربية فى القديم فى هذا المعنى . وفى التاج عن الأساس « وأما حُقَّ

(١) وهى رواية ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء ج ١ ص ٢٥٠

لك أن تفعل فمن حق الله الأمر أى جعله حقاً لك أن تفعل وأثبت لك ذلك وهو تحقيق نفيس» وفى اللسان : « قال الفراء : حُق لك أن تفعل ذلك وحَق ، وإنى لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حُق قلت لك ، وإذا قلت حَق قلت عليك » فإن قيل : ألا يحق لنا أن نقول اليوم : حَقٌ للعلماء أن يتمثلوا الخ .. قيل لنا أن نقول وليس لنا أن نُقَوِّل ...

* فى ج ١٥ ص ٢١٠

وله (لابى على المنطقى) من قصيدة فى عضد الدولة بذكر الصَّدْقَ :

ما زلت تنصف فى قضاياك العلا | قل لى : فما بال الضحى يتظلم ؟
أهديت رونقه إلى جنح الدجى | فاعتنّ أشهبَ وهو طِرف أدهم
حتى كأن الليل صبح مشرق | وكأن ضوء الصبح ليل مظلم
هى ليلة لبست رضاك فأشرقت | من بعد ما كانت بسخطك تظلم
ما كان فى ظن امرىء من قبلها | أن الملوك على الليالى تحكم

قلت : ضبطت (الصدق) بتشديد الصاد وكسرها وسكون الدال وفتح القاف ... والشعر لا يدل على شىء من الصدق ، وإنما يصف (السَّذَق) وهو ليلة الوقود عند الفرس ، واللفظة معربة فارسيتها (سذه) والسدق بالدال لغة فيه ، وبعضهم يراه محرفا ، وأنا لا أرى ذلك . والصَّدَق بالصاد لحن عند صاحب القاموس .. وقد ذكره معجم عصرى بالصاد كأنه لغة فى السذق

والسذق من ميراث المجوسية . ولبديع الزمان الهمذانى رسالة عبقرية (كتبها إلى الرئيس أبى عامر) فى الإشادة بذكر العرب والتنديد بذلك العيد وناره المجوسية . ومما جاء فيها :

نحن (أطال الله بقاء الشيخ) إذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم ، وعلى سائر الأمم ، أردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ، ولم ننكر أن تكون أمة أحسن من العرب ملابس وأنعم منها مطاعم وأكثر ذخائر ، وأبسط ممالك وأعمر مساكن . ولكنا نقول : العرب أوفى وأوفر ، وأوقى وأوقر ، وأنكى وأنكر ، وأعلى وأعلم ، وأحلى وأحلم ، وأقوى وأقوم ، وأبلى وأبلغ ، وأشجى وأشجع ، وأسمى وأسمح ، وأعطى وأعطف ، وأحصى وأحصف ، وأنقى وأتقى . ولا ينكر ذلك إلا وقح ، ولا يجحده إلا نغل ... إن عيد الوقود لعيد إفك ، وإن شعار النار لشعار شرك ، وما أنزل الله بالسذق سلطانا ، ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا ... وإنما جعل الله النار تذكرة ومتاعا ، ولم يجعلها وداً ولا سواعا : ولم يضرب الله تعالى لها عيداً ، ولم يجعلنا لها عبيداً . الله والنبىّ ، والعيد العربىّ ، والتكبير الجهير ، وتلك الجماهير ، والملائكة بعد ذلك ظهير ، والرحمة صوباً وصبا ، والبركات فيضاً وفضا ، والجنة وصراطها ، والنجاة وأشراطها ، والموسم الطاهر من لغو الحديث . ذلك ، لاما شرع الشيطان لأوليائه ، نار لديهم تشب ، ولعنة عليهم تصب ، وخمرة متاعها قليل ، وفى الآخرة خمارها طويل . هذا هو العيد ، وذلك هو الضلال البعيد ...

* فى ج ١٦ ص ٩٢ فأنا بين حشا خافقة[1] ، ودمعة مهراقة

قلت : هذا فى رسالة للجاحظ إلى ابراهيم بن المدبر . واليقين أن القول هو (فأنا بين حشا خفاق ودمع مهراق) والحشا مذكر لا مؤنث ، والدمع فى هذا المقام خير من الدمعة . وإن قال أبو عثمان : دمعة مهراقة فلن يقول حشا خافقة ولا خفاقة .

* فى ج ١٦ ص ١٤٩ قال الأصمعى وحدثنى عيسى بن عمر قال : لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سَوْنى أى وسطى

قلت : ضبطت (سونى) بفتح السين وسكون الواو ؛ وإنما هى (سَوائى) وسواء الشىء وسطه لاستواء المسافة إليه من الأطراف كما فى النهاية . وفيها فى صفته (صلى الله عليه وسلم) سواء البطن والصدر ، أى هما متساويان لا ينبو أحدهما عن الآخر . وفى الفائق : بطنه غير مستفيض فهو مساو لصدره . وفى النهاية : ومنه حديث أبى بكر والنسابة : أمكنت من سواء الثغرة أى وسط ثغرة النحر .

* فى ج ١٥ ص ٧٢ وكأنها عنده رواية عضّدها القياس وكان شيخنا موهوب ينمى ذلك عليه

قلت : ضبطت (عضدها) بتشديد الضاد ؛ وإنما فى اللغة عضده[2] وعاضده . وعضد المشدد فعل لازم وهو لا يعنى المعاونة فى التاج : « ورمى فأعضد ذهب يميناً وشمالا كعضد تعضيداً ، وهذا مما استدرك به على اللسان » وذهب يمينا وشمالا يعنى السهم وضبطت (ينمى) بكسر العين وهى بالفتح من حد سعى .

---

(١) وردت بهذه الصورة فى « رسائل الجاحظ » ص ٣١٤

(٢) ومن مجاز المجاز عضده كنصره عضدا أعانه ونصره . وفى كتب الأمثال مايقتضى أنه صار متعارفاً كالحقيقة . قالوا عضده إذا صار له عضدا أى معيناً وناصرا ، وأصل العضد فى اليدين فاستعير للمعين، ثم استعملوا من معناه الفعل ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية . قلت : ولذا لم يذكره الزمخشرى فى المجاز (التاج) .

حول اقتراح

الترجمة واللغة العربية

للدكتور عبد العزيز برهام

طلعت علينا (الرسالة) الغراء باقتراح جليل لرئيس تحريرها الفاضل الأستاذ (الزيات)؛ اقتراح لو أخذ به لسد نقصاً يشعر به كل من عالج تعلم اللغات الأجنبية التي لا غنى عنها في عصرنا الحديث. ولقد وفى الأستاذ الموضوع حقه؛ فأبان حاجتنا الماسة إلى الترجمة في الأدب وفي العلم. وإني لأستميحه أن أضيف إلى آرائه القيمة بعض أفكار تواردت على ذهني حين قرأت اقتراحه:

إن حاجتنا إلى النقل من اللغات الأجنبية ليست وليدة اليوم، وإنما شعرنا بها من يوم أن دب في بلاد الشرق دبيب الحياة وأخذت بعد سباتها العميق تستيقظ وتتصل بالغرب. عندئذ أدرك الآخذون بأسباب من العلم والمعرفة أن نهضتنا لن تقوم وتنجح إلا إذا قبسنا من نور الغرب، فأخذت ترجمة الكتب ولا سيما الأدبية تترى. وسار كل غيور على رفعة وطنه في هذا التيار حتى رأينا كثيراً من الكتب النافعة نقلها من اللغات الأجنبية جلة العلماء في عصر المغفور له (محمد على باشا)، ولكن لم تكن هذه الكتب القليلة العدد شيئاً يذكر إن ووزنت بما كنا في حاجة إليه إذ ذاك. ثم خطت الترجمة بعد ذلك خطوات واسعة غير أن أغراضها تنوعت، وصار للعنصر التجاري فيها شأن أي شأن. فكم من قصة ترجمت لم يقصد بها العلم وإنما قصد بها الربح! وساير ترجمة الكتب انتشار الصحف والمجلات في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل هذا القرن. والصحف العربية والمجلات لا تزال تعول على الجرائد الأعجمية في كثير من موضوعاتها

نجم عن ذلك كله أن اتسعت دائرة الترجمة إلى اللغة العربية اتساعا يبعث كثيراً من الأمل في نفوس ذوي الغيرة الوطنية. بيد أن أكثر القائمين بأمر هذه الترجمات لم يكن بصيراً باللغة العربية بصره باللغة التي ينقل عنها. فكانت تستعصي عليه لذلك ترجمة كثير من الأساليب التي لا يجد — لضعفه في العربية — مثيلا لها في لغة الضاد. فالتوت لغة الترجمة وكثر ما عمد الناقل إلى الأسلوب أو التعبير الأجنبي فنقله بنصه دون مراعاة لروح اللغة التي ينقل إليها فغمضت على القارىء. وكثر ما دخل في اللغة العربية من كلمات أعجمية لم يستطع المترجمون أن يجدوا لها مدلولا في لغتهم فطغت على لغة الكتابة والخطابة، واستعملها الناس في حديثهم دون شعور بأعجميتها. وزاد الطين بلة تلك الحرية الواسعة التي يتمتع بها المترجمون. وإنه ليسهل عليك أن تجد تعبيراً واحداً في لغة أعجمية نقل إلى العربية بأساليب متعددة حتى يعجزك رد هذا التعبير إلى أصله. ولقد تدهش أحياناً من أن كلمات عربية دخلت منذ حين في لغات أعجمية فإذا ما أعيدت إلى لغتها الأصلية أعيدت مشوهة. وما كلمة (الحمراء) التي نقلت إلى الإسبانية والفرنسية ثم عادت إلى اللغة العربية (الهمبرة) ببعيدة عن الأذهان، وإن الجرائد المصرية ليحلولها دائماً حين تكتب عن (قناة السويس) أن ترسمها (قنال السويس) (Canal de Suez) وناهيك بما يعترض سبيلك وأنت تقرأ مجلة أسبوعية أو برقيات جريدة يومية من كلمات أعجمية لم يعمل المترجم فيها إلا أن كتبها بحروف عربية، وليته أعجمها حتى يستطيع الجاهل باللغة التي نقلت عنها قراءتها صحيحة، بل ترك للقارىء حرية الحدس والتخمين، وتركك تسمع في نطقها العجب العجاب. أوليست كلمات رجيم (Régime)، ستراتيجية (Stratégique)، ومونوكل (Monocle)، سامباتيك (Sympatique)، بوستة (Poste)، وابور (Vapeur)، شيري (Chéri) ... الخ ... الخ ... من الكلمات التي نقرؤها ولم نعد نهتم بها كأنما صارت من صميم الكلمات العربية؟

ولما كان لكل لغة قواعدها النحوية والصرفية واللغوية الخاصة بها فمن العسير أن تنقل من لغة إلى أخرى إلا إذا كنت ملماً بقواعد كلتا اللغتين وإلا تعرضت للزلل. أولا يستعمل العامة والخاصة فعل (أعطى) متعديا لمفعول واحد فيقال: أعطيت الكتاب لفلان، كما يقول الفرنسيون J' ai donné le livre à un tel وهو في اللغة العربية متعد لمفعولين فيقال: أعطيت فلانا الكتاب؟ أو لم تجر أقلام الكتاب باستعمال (لا) قبل (يجب أو ينبغي) إذا أريد نفي ما بعدهما فيقولون: لا ينبغي (أو لا يجب) أن نفعل كذا "Il ne faut pas faire telle ou telle chose" والعرب تقول ينبغي ألا نفعل كذا وكيت وعليك ألا تفعل كذا وكيت؟

لقد نقل الخطأ الشائع وأضرابه بادىء ذي بدء من لم يكن متمكنا من اللغة العربية التي ترجم إليها ثم استعمله سواه من بعده ولم يلبث أن انتقل إلى أقلام الخاصة.

وما نشأ هذا الخلط وعمت هذه الفوضى في الأساليب

والتعبيرات وطغت الروح اللغوية الأعجمية على روح اللغة العربية إلا لأن الترجمة نفسها لا تخضع لنظام . حتى إن كل من أتقن لغة أعجمية أو اعتقد أنه أتقنها استباح لنفسه الترجمة منها دون مراعاة لمبلغ قدرته فى اللغة المنقول إليها . وإنه ليسهل عليك أحيانا أن تفهم بعض التعبيرات فى لغتها الأصلية عن أن تفهمها فى اللغة العربية ؛ وذلك لأن المترجم إما أن يكون ضعيفاً فى اللغة العربية فلا يحضره من الألفاظ ما يسد به حاجة الترجمة ، أو أن يكون ضعيفاً فى اللغة الأعجمية فينقل إليك التعبير دون تصرف فيه فتكون ترجمة حرفية سقيمة المعنى أوخلواً منه — وإنى لأذكر — وأنا لا زلت طالباً بمصر — أن كنا ندرس فى كتاب مترجم فى « النظريات السياسية » . ولقد كان أكره الدروس إلى نفوسنا درس هذه المادة لحبيبة النافعة . كان ذاك لتعقد فى أسلوب الكتاب كثيراً ما دعانا إلى أن نقف عند كل سطر وأن نكون أحياناً حلقات ندرس فيها ما يراد وما لا يراد من هذه العبارة أو تلك . وما أكثر ما ثرنا على أستاذ المادة — وكان أحد المترجمين — حتى لكنا نلجئه إلى قراءة الكتاب فى (الفصل) لنفهم عباراته . وإن انتشار هذه التراكيب الركيكة فى اللغة السائدة فى الكتب والصحف ليتسرب إلى لغة كثير من فضلاء العلماء والأدباء دون أن يشعروا بأنهم ينزلون بلغتهم درجات . خذ مثلا كتابا من كتب القانون أو اقرأ الدروس التى يلقيها على طلبته بعض الشبان من رجال القانون الحديثى العهد بالتدريس باللغة العربية وستتبين من غير عسر روح الترجمة فيها . وإنى لأنقل إليك عبارة واحدة على سبيل المثال تجدها فى مذكرات للقانون الجنائى لعالم فاضل وأترك لك الحكم عليها .

« إذن فطبقاً للرأى الذى ساد المراد بالاختلاس أن الجانى يأتى بحركة مادية يخرج بها الشىء من حوزة غيره ويستولى هو عليه . وليس بذى شأن أن ينقل الجانى الشىء بيده كحالة اللص الذى ينشل محفظة من جيب المجنى عليه أو بواسطة كمن يحرض كلبه ... كذلك يكفى أن يهيء الجانى أسباب الانتقال وبعد ذلك يتم انتقال الشىء من تلقاء نفسه ... الخ ؟

وأمثال هذه التعبيرات كثير : أنا شخصياً لا أقبل هذا Moi, personnelement je n' accepte pas cela . « قابل صاحب الدولة رئيس الوزراء بوصفه وزيراً للخارجية en qualité de ... » « هذا الأمر بالقياس إلى هذا ... » « Rapport à cette question par » ؛ « من وقت لآخر » Du lempis en temps وهكذا وهكذا .

ثم إذا نحن جاوزنا لغة الأدب إلى لغة العلم لما تغير الأمر كثيراً ولا قليلا . واللغة العلمية والمصطلحات العلمية أحوج ما تكون إلى أن تكون موحدة . ولن نصل إلى هذا التوحيد إلا إذا قضينا على الحرية المطلقة الفردية فى الترجمة وأخذنا المترجمين جميعاً على استعمال تعابير بعينها .

هذا ، وإن بعض المواد لا تزال ندرس فى (مصر) حتى اليوم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية : إما لأن اللغة العربية لا تتسع — كما يقولون — لما وسعه غيرها من اللغات (وهى التى وسعت فلسفة الإغريق ، وحضارة الفرس) ؛ وإما لأننا لا نزال ندرج على سنة درج عليها آباؤنا من قبلنا وإن انقطعت اليوم الأسباب التى دفعت بهم إلى فعل ما فعلوا . وليس من سبيل لسد هذا النقص القوى وتمصير الطب مثلا إلا طوفان من الترجمات يجرف جميع الكتب القيمة الأعجمية التى وضعت فى هذه المواد جرفا ليلقى بها على ساحل اللغة العربية .

وبعد فإن ترك الترجمة فوضى شأنه اليوم يعرض سلامة اللغة لخطر مستمر ، وينقل إلينا سيلا من الكلمات والتعابير الأعجمية التى تنخر فى عظام الأساليب العربية الرصينة . وحسبك أن تقرأ كتابا (كالبؤساء) الذى ترجمه حافظ إبراهيم أو غيره مما ترجم الأستاذ (الزيات) أو (المنفلوطى) وهذه الكتب نفسها إن أشرف على ترجمتها ذوو الترجمات العاجلة الخاطفة لتلمس الفرق بين الترجمتين ، ولتدرك أيهما كتب باللغة العربية الفصيحة : من بلاغة فى الأسلوب ، وصفاء فى الديباجة ، وسمو فى البيان ، وتنوع فى الصياغة ، ودقة فى التعبير حتى لكأنك تقرأ القصة فى لغتها وبأسلوب كاتبها .

وإنك لتعجب حين تقرأ كتابا ما ترجم إلى لغات عدة من أن أثر الترجمة لا يحس إلا فى اللغة العربية إن نقله إليها من لم يلم إلماماً تاما بها . ولو علم كثير من كبار الكتاب الأعاجم مقدار ما يصيب آثارهم الفذة من مسخ وتشويه إن أسىء نقلها لحرموا الترجمة ولآثروا أن يظلوا غفلا فى البقاع التى تسودها هذه اللغات المنقول إليها من أن يساء إلى بنات أفكارهم . أو لم تؤلف اللجان لترجمة القرآن حتى يحتفظ له ما أمكن فى اللغة التى ينقل إليها بأسلوبه المعجز ، وسحر بيانه ، وجماله الفنى ، وتصويره الرائع ؟

فليس أمامنا إذاً إلا سبيل واحدة لنسلكها حتى نحيط اللغة بسياج متين من تسرب الدخيل إليها ونحفظ عليها بنيتها وروحها وأساليبها — تلك هي الترجمة الدقيقة المنظمة. ولا سبيل إلى مثل هذه الترجمة إلا إذا قام بها من هو ذو بصر باللغة العربية وباللغة التي ينقل عنها. وإن إنشاء دار للترجمة وتزويدها بأعلام الأدب والعلم والفن ممن يحذقون لغات أعجمية لهو الطريقة المثلى لتحقيق هذه الأمنية.

وإننا — كما يقول الأستاذ الفاضل صاحب الاقتراح — « إذا نقلنا إلى العربية نتائج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الإنجليز والأمريكان، والفرنسيين والألمان، والروسيين والطليان — أصبح هؤلاء العالميون جزءاً من كياننا الأدبي، وركناً في بنائنا العلمي، نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه، كما فعل آباؤنا الأقدمون بما نقلوه من علوم الإغريق والهنود واليهود والسريان والفرس » — ولجددنا في اللغة مع محافظتنا عليها، ودعمنا النهضة، ويسرنا القراءة ودعونا إليها، ولهيأنا للعلوم التي تدرس بلغة أعجمية في معاهدنا العلمية سبيل تدريسها باللغة العربية، ولأمددنا كتاب الصحف والمجلات بأساليب ترفع من ترجمتهم العاجلة، وتسعفهم إن ضاق بهم الوقت؛ ولاستطعنا كذلك أن نضع معاجم عربية — أعجمية يقل فيها الخطأ ويكثر فيها الدقة.

إن مصر ليجهل جمهرة أهلها اللغات الأعجمية. والذين يحذقون أكثر من لغة قليل ماهم. وفي هذا التباين ما فيه من خطر قومي يدفع إليه تباين الثقافات، فمن ثقافة عربية إلى ثقافة أعجمية، ومن ثقافة فرنسية إلى ثقافة إنجليزية أو ألمانية. وفي تنوع هذه الثقافات ما يخلق تبايناً في التفكير بين أفراد الأمة حتى ليتهم بعضهم بعضاً بالقصور عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة أو يدل بعضهم على بعض. ولقد ألفت آذاننا سماع تفضيل ثقافة على ثقافة، وألفنا الحديث عن مدارس الثقافة الفرنسية وعن مدارس الثقافة الإنجليزية وهكذا، فاتسعت الهوة بين المنتمين إلى هذه والمنتمين إلى تلك، فإذا نحن نقلنا هؤلاء جميعاً المؤلفات القيمة من مختلف الثقافات جعلناهم يتغذون بلبن واحد فاتحدت طريقة تفكيرهم ومادتها التي لن تكون إلا عصارات هذه الثقافات ممتزجة، وزالت الفوارق بين طبقات المتعلمين، واقتربت وجهة النظر بينهم، وصاروا جميعاً أبناء أمة واحدة يرتوون من منهل واحد هو الثقافة المصرية.

ثم ما ظنك بفريق من أدعياء العلم والأدب الذين بنوا لهم مجداً شامخاً في الشرق على ما انتحلوه من آراء الأعاجم دون أن يشيروا إليها أو يدلوا عليها؟ داء عسير دواؤه أصيبت به الطبيعة الشرقية لضعف في النفوس وجهل بها، وعجز عن الابتكار والاختراع، واستهانة بالقراء، وغرام بالشهرة ولو كاذبة. وشجع على استفحاله أن الشرق ولاسيما المصري لم يُعَدَّ إعداداً يحبب إليه القراءة والاطلاع، والتعمق في العلم، فهو يكتفي بما يقع تحت بصره دون تطلع إلى ما وراء ذلك؛ وكان جهله باللغات الأعجمية أو بأكثرها من العوامل التي جعلته يقف في قراءته عند ما كتب بالعربية.

إن هذا الفريق من الأدعياء سينكشف أمره، وسيرى مجده يتداعى يوم أن ينقل إلى اللسان العربي جميعُ ما ألف في سواه أو جمهرته، ويطلعَ الناس على مصدر الآراء التي ارتفع بها أقوام لا يستحقون الرفعة فينزلونهم من حالق. وسيوصد الباب أمام هذه الفئة الطفيلية فنتخلص من شرورها وغطرستها.

وحبذا لو فكر القائمون بالأمر في وزارة المعارف في إرسال البعوث من ذوي الكفاية في اللغة العربية لدراسة اللغات الأعجمية في مهدها، ولا سيما وقد انفتح الطريق الآن بيننا وبين بعض هذه البقاع. ولو أن السنة التي خطها صاحب المعالي محمد حلمي عيسى باشا حين كان وزيراً للمعارف في عام ١٩٣٣ اتبعت منذئذ لاجتمع لدينا الآن عدد لا يستهان به من الشبان الأكفاء الذين يسند إليهم هذا العمل الجليل؛ فلقد أرسل معاليه بعثة للترجمة والتحرير إلى فرنسا وألمانيا وإنجلترة كانت الأولى والأخيرة. وشاء تغير الوزراء من بعده، وعدم استقرار سياسة التعليم، ونقض كل وزير ما أبرم سلفه أن يغفل هذا الأمر!

ولعل وزارة المعارف إن وصلت إليها هذه الصيحة وكتب لها أن تستأنف إرسال بعوث الترجمة أن تسند إليهم متى عادوا — بعد عمر طويل — أعمال الترجمة نفسها لا أن تكل إليهم أمر تعلية خزان أسوان أو كهربة خط حلوان، أو أن تكافئهم على جدهم بتكليفهم العمل في حقول التجارب وفلاحة البساتين. والله الهادي إلى سواء السبيل.

عبد العزيز برهام
دكتوراه الدولة في الآداب
ليسانسيه في القانون من باريس

أبو سعيد أبو الخير وشطحات المتصوفة

للدكتور جواد علي

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

ساقت هذه الفلسفة الجديدة : فلسفة المعرفة ، جماعة المتصوفة إلى تقرير نظرية جديدة هى نظرية « الحق واحد وإن تعددت مظاهره » وما دام الإنسان يتوصل إلى الحق فلا حاجة للأصفياء بالرسل والأنبياء . يقول أحدهم وهو السيد قاسمى الأنوار : « قبل أن تبنى الخانقاه ، وقبل أن تنشأ أديرة السومنيه التى هى أقدم أديرة الكون، كنت معى فى أطوار الكائنات . فدرجة الأنبياء قد ارتفعت من بيننا ؛ إذا ما دمنا مجتمعين دائماً فما هى الفائدة من الرسل إذاً[١] .

ومتى توصل الإنسان إلى معرفة (حق اليقين) الذى هو الفناء المطلق[٢] تساوت الدرجات وأصبح المعلوم واحداً وتجلت الغاية من الأديان عموماً . فالأديان على اختلاف درجاتها تقصد غاية واحدة وهدفاً معيناً ، هو التوصل إلى معرفة الله ، تستوى فى ذلك الصابئة واليهودية والنصرانية والإسلامية كما جاء :

عبادتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير[٣]

وإلى هذا المعنى ذهب (شمس تبريز) حيث قال : « لست بمسيحى ولا يهودى ولا مسلم »[٤] . وهذه النزعة الإنسانية التى توصل إليها متصوفة الإسلام هى نفس النزعة الإنسانية (Humanism) التى توصلت إليها متصوفة أوربا فى القرون الوسطى . ثم المذهب الإنسانى الفلسفى الذى تمثل فيما بعد على لسان الفيلسوف (هيردر) « Herder » ، وعلى لسان الفلسفة الإنكليزية ثم الأوربية فى القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر للميلاد[٥] .

(١) Browne, Persion Literature vol 3, p, 477.

(٢) راجع تفسير ابن عربى القاهرة ١٣١٧ جـ ٢ ص ٦٤ سورة ٢٩ آية ٤٤ .

(٣) محاضرات عن الاسلام للمستشرق اليهودى المجرى كولد زهير ص ١٧ .

(٤) راجع ديوان شمس تبريز ١٢٤ . Nicholson, The Mystics of Islam 87

(٥) راجع دائرة المعارف البريطانية مادة فلسفة

وهكذا تساوت الأديان فلا فرق إذاً بين أن يكون الإنسان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً . وما دامت غاية الإنسان الاتصال بالله عن طريق المعرفة فالتصوف وحده هو الكفيل بذلك . فمن طريق التأمل بذات الله تتم المعرفة وتنال السعادة الأبدية ، أما الأديان والشرائع على رأى نفر من المتطرفين بآرائهم فإنها تحول بين الإنسان وبين معرفة الذات ، وتفرق بين اتصال العبد بالرب فهى عامل فتنة وخراب[١] .

وصنف جلال الدين الرومى البشر من حيث معرفة الخالق إلى صنفين : صنف تعلق بالطقوس والشرائع ، وصنف امتلأ قلبه وفاض بحب الله[٢] . ولابن العربى كلمات تشبه هذه الكلمات[٣] . وقد نسب ابن تيمية إلى أحد المتصوفة وهو التلمسانى من تلامذة ابن عربى هذا القول : « القرآن كله شرك وإنما التوحيد فى كلامنا »[٤] على أن ابن تيمية من أعداء الفلسفة والتصوف ويجب أن ننظر إلى كلامه بشىء من التروى على ما أعتقد والحذر .

ونسبت إلى نفر من المتصوفة بعض الأقوال التى لا تلتئم مع ما هو مألوف . مثل قول حافظ : « اتركوا الإثنين والسبعين فرقة لأنها لا ترينا الحقيقة ، ولأنها تستمد وحيها من وحى الشياطين[٥] . ونسب إلى أبى سعيد أبى الخير قول يشبه هذا القول فقد قيل إنه قال : « ما دامت المساجد والمدارس باقية لا تتطرق إليها أيدى البلى فإن عمل الدراويش لا يتم . وما دام هنالك مؤمن وكافر فإنه لا يمكن أن يظهر على سطح الأرض مسلم حقيق أبداً »[٦] .

وفى أقوال أبى سعيد وأشعاره مواضع أخرى تشير إلى هذا النوع من التفكير الحر . وهذه الأقوال ولا شك هى التى أثارت غضب بعض العلماء عليه أمثال ابن حزم الظاهرى والمؤرخ الشهير الحافظ الذهبى[٧] ولهذا السبب عينه قال عنه

(١) راجع عطار تذكرة الأولياء جـ ٢ ص ١٥٩ س ١٢ ابن تيمية رسائل ١ ص ١٤٨ .

(٢) مثنوى ص ٨٣ .

(٣) الظاهرية للمستشرق كولد زهير ص ١٣٢ حيث تجد النص وكذلك محاضرات عن الاسلام ص ١٧٠

(٤) رسائل ابن تيمية رسالة ١ ص ١٤٥ .

(٥) حافظ جـ ١ ص ٥٨٤ . محاضرات عن الاسلام ص ١٧١

(٦) Etrè vèl' 2, p, 157 1375 Nicholson' Studies in Islamic Mysticism Cambridge. 1—76.

(٧) السبكى جـ ٤ ص ١٠ .

المستشرق نيكلسون فى كتابه « التصوف الإسلامى » وفى الفصل الذى عقده عنه فى « دائرة المعارف الإسلامية » بأنه « يمثل الآراء الحلولية المتطرفة التى جاء بها بايزيد البسطامى المتوفى عام ٢٦١ للهجرة (٨٧٤م) تلك الآراء التى يمتاز بها متصوفة الفرس بوجه عام. ولسنا بحاجة إلى أن نزيد أن أبا سعيد كان ينظر إلى الإسلام وغيره من الأديان المنزلة نظرة احتقار »[١] وهو قول ردد صداه المستشرق الفرنسى لويس ماسنيون والمستشرق الإنكليزى إدوارد براون وأغلب المستشرقين المشتغلين بموضوع التصوف.

على أن من باب الحق والمنطق أن نقول بأن جماعة كبيرة من العلماء كانوا يثنون عليه ويذكرونه ذكراً جميلاً. أمثال: السبكى صاحب كتاب طبقات الشافعية الكبرى[٢] والسمعانى فى كتابه « الأنساب »[٣] وفريد الدين العطار فى كتابه تذكرة الأولياء[٤] وأمثالهم؛ وقول هؤلاء طبعاً قول مقبول محترم لا يمكن أن يرد بأى حال من الأحوال.

أما أنصار التصوف وأصحاب مبدأ « حسن الظن من الإيمان » فإنهم يعتذرون عن هذه الأقوال ويفسرونها تفسيراً فيه حسن ظن ورجاء، ويتجاوزون عنها ويرجئون أمرها إلى الله، ويؤولونها تأويلاً، ويحسبونها شطحة من شطحات اللسان. والشطحة عندهم « عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من زلات المحققين فإنها دعوى بحق يفصح بها العارف من غير إذن إلهى بطريق يشعر بالنباهة »[٥] وهم يؤولون كلام هؤلاء كما قلنا فيقولون: نعم، فى ظاهر هذه الكلمات خروج عن المألوف والذوق، ولكنهم لا يقصدون ظاهر هذه الألفاظ بل بواطنها وذلك لا يدركه إلا من سما فى العلم الإلهى وفى درجات المعرفة.

ثم قالوا: « وإن للقوم عبادات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم نخبر ببعض ما يحق وتكشف معانيها بقول وجيز، وإنما نقصد فى ذلك إلى معنى العبادة دون ما تتضمنه

(١) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية مجلد ١ ص ٣٥: .
(٢) ج ٤ ص ١٠ .
(٣) طبع بعناية تذكار جب ص ٥٥٠ .
(٤) طبع بعناية المستشرق براون ج ٢ ص ٣٢٢ .
(٥) التعريفات للسيد الشريف الجرجانى ص ٨٦ وكتاب اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ص ١٧٧ .

العبادة فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف »[١] وإن القوم فى حالة سكر فى الذات العلية[٢] وفى غيبوبة تامة[٣].

قالوا ومن هذا القبيل قول سهل بن عبد الله التسترى إذ يقول: « أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم، وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شمالى، ولم أزل من ذلك اليوم أربى تلامذتى وهم فى الأصلاب لم يحجبوا عنى إلى وقتى هذا »[٤] وقوله: « أشهدنى الله تعالى ما فى العلى وأنا ابن ست سنين، ونظرت فى اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمانى سنين، وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت فى السبع المثانى حرفاً معجماً حار فيه الجن والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته، وحركت ما سكن وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة »[٥].

وامتازت فلسفة هؤلاء المتصوفة أصحاب الذوق بأسلوب جديد مبتكر أخاذ هو الشعر الغزلى التصوفى الذى أطلقوا عليه اسم « الغزل الصوفى » كما نعتوا الحب البرىء « بالحب الأفلاطونى » أو « الحب العذرى » وفيه الرمزية والخيال البعيد. ولنا فى باب « الغزل الصوفى » طائفة كبيرة من الشعراء. والتصوف فى حد ذاته نوع من نوع الشعر أو الفن، ففيه عاطفة جامحة؛ لذلك كان أكثر المتصوفة ينظمون نظماً دقيقاً فيه عاطفة دقيقة وإن كانوا قد خرجوا فيه كما خرجوا فى نثرهم عن القيود الدينية المألوفة والأساليب المتعارفة كما نجد ذلك فى شعر الحلاج[٦] وفى شعر محيى الدين بن عربى وفى شعر السهروردى وأمثالهم. ويكفينا فى هذا الباب ما نظمه الشيخ المتصوف سيدى ابراهيم الدسوقى المتوفى

(١) كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف أبى بكر محمد بن اسحق البخارى الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ للهجرة ص ٨٠ .
(٢) راجع التعرف ص ٨٥ .
(٣) التعرف ص ٨٧ .
(٤) راجع طبقات الشعرانى ص ١٥٨ عن أقوال سهل راجع أيضاً التعرف لمذهب أهل التصوف (١٩٣٣) فى عدة مواضع من الكتاب .
(٥) نفس المصدر ص ١٥٨ عن سهل أيضاً. Nicholson A. Literary History of the Arabs p. 392.
(٦) عن الحلاج L. Massignon, La Passion d' al-Hosayn Ibn Mansour Al-Halladj وكتبه الاخرى .

عام ٦٧٦ للهجرة[١] : فنى هذا النظم أشياء كثيرة لا توافق ما هو مألوف لنا فى هذا القول من اتحاد الذات فى الإنسان وفى الأشياء . والقصيدة مرآة صافية لفكرة وحدة الوجود التى شاعت فى أوربا أيضاً واعتنقها جمهور من الفلاسفة والمفكرين ولا سيما أولئك الذين درسوا الآداب الشرقية واطلعوا على تراجم الأشعار الفارسية على الأخص كالشاعر غوته الذى دان بمذهب وحدة الوجود[٢] . يقول هذا المتصوف الزاهد الذى يرجع بنسبه إلى الإمام علىّ بن أبى طالب والذى تأثر بآراء من سبقه من كبار المتصوفة كالحلاج والسرىّ السقطى والجنيد البغدادى والشيخ عبد القادر الجيلى على الأخص فى جملة ما قاله هذه الأبيات :

تجلّى لى المحبوب فى كل وجهة	فشاهدته فى كل معنى وصورة
وخاطبنى منّى بكشف سرائرى	فقال أتدرى من أنا قلت منيتى
فأنت منائى بل أنا أنت دائماً	إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
فقال كذاك الأمر لكنه إذا	تعينت الأشياء كنت كنسختى
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته	بغير حلول بل بتحقيق نسبتى
فصرت فناء فى بقاء مؤبد	لذات بديمومية سرمدية
وغيبنى عنى فأصبحت سائلاً	لذاتى عن ذاتى لشغلى بغيبتى
وأنظر فى مرآة ذاتى مشاهداً	لذاتى بذاتى وهى غاية بغيتى
فأغدو وأمرى بين أمرين واقف	علومىَ تمحونى ووهمىَ مثبتى

ومنها :

أنا ذلك القطب المبارك أمره	فإن مدار الكل من حول ذروتى

ومنها :

وبى قامت الأنباء فى كل أمة	بمختلف الآراء والكل أمتى
ولا جامع إلا ولى فيه منبر	وفى حضرة المختار فزت ببغيتى

ومنها :

بذاتى تقوم الذات فى كل ذروة	أجدد فيها حلة بعد حلة

ومنها :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم
وسرّى فى الأكوان من قبل نشأتى

أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد	على الدرة البيضاء فى خلوتى

(١) راجع طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٥٨ .
(٢) راجع Miguel Asin, Islam and the Divine Comedy, London 1926

ثم يستمر على هذا النسق فيذكر أنه كان مع جميع الأنبياء ويختم قصيدته باسمه وبأنه القطب شيخ الوقت ابراهيم[١] .

وأبو سعيد أبو الخير من المبرزين فى الشعر الصوفى ، ويمتاز عن غيره من شعراء الفرس بابتداعه الشعر الصوفى عندهم[٢] وبنهجه منهجاً جديداً فى النظم حذا حذوه أكثر شعراء الفرس كفريد الدين العطار[٣] وجلال الدين الرومى وعمر الخيام[٤] .

وإذا صحت نسبة الرباعيات الفارسية إليه فيكون بذلك أول مؤسس لرباعيات المتصوفة وأول مبتكر لطريقة جديدة هى الطريقة الرمزية فى الشعر . ولكن هناك من يشك فى صحة نسبة الرباعيات إلى صاحبنا استناداً على رواية تقول بأن الناظم الأصلى لهذه الرباعيات هو أستاذ أبى سعيد أبو القاسم بشريس وهو متصوف أيضاً وأديب مشهور[٥] .

على أن شيئاً واحداً لا يمكن أن يتطرق إليه الشك هو أن أبا سعيد كان ينظم الشعر وكان يحفظ شيئاً كثيراً من شعر الفرس والعرب[٦] ، وأنه كان ضليعاً فى اللغة العربية وكان يجلس لتفسير القرآن . وبهذه المناسبة نقول إن تفسير القرآن على طريقة الصوفية هو تفسير خاص . ومن أشهر هذه التفاسير تفسير عبد الرحمن السلمى النيسابورى (٤١٢ هـ) أحد الأساتذة الذين درس عليهم أبو سعيد ونال الخرقة منه[٧] ولشتهر هذا الشيخ برواية الأحاديث ولا سيما أحاديث الصوفية وقد اتهم لذلك بأنه كان يضع الأحاديث على لسان الرسول لتقوية مذهب التصوف (سنن الصوفية)[٨] . وتفسير محيى الدين بن عربى الشهير[٩] وتفسير نظام الدين الحسن

(١) طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٥٨ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٣٥٤ .
(٣) راجع عنه براون فى كتابه تاريخ الأدب الفارسى ج ٣ ص ٨٨ ومواضع أخرى .
(٤) دائرة المعارف ج ١ ص ١٥٤
(٥) راجع Zhukowski حالات شيخ أبو سعيد ١٧٩٠ ص ٥٤
(٦) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٢٢
(٧) ذهبى ، تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٢٤٩ Journal Asiatig, 1912, 583 . ويعتمد القشيرى فى رسالته عليه كثيراً . راجع المقدمة
(٨) السيوطى . اللآلى المصنوعة ج ٢ ص ١٧٨
(٩) تفسير محى الدين بن عربى بولاق ١٢٨٣ فى جزئين ثم ١٣١٧

بن محمد النيسابورى (فى أوائل القرن الثامن للهجرة)(١) وتفسير عبد الرازق الكاشى (الكاشانى)(٢).

وكما أن أصحاب الباطن (الباطنية) من المسلمين والحروفية فسروا القرآن تفسيراً يوافق آراءهم باعتبار أن للقرآن ظاهراً وباطنا وقالوا بأن الظاهر هو المفهوم لدى العامة وأن الباطن هو المقصود من القرآن ولدى الخاصة وحدهم (علم الباطن) أولئك الذين يعرفون (ما ظهر منه وما بطن) فكذلك المتصوفة فسروا القرآن تفسيراً خاصاً حيث كانوا يعمدون إلى التأويل دائماً تأويلا يتفق مع آرائهم ومشاربهم.

واتصل أبو سعيد على ما يروى بالمتصوف الشهير أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيرى (المتوفى عام ٤٦٥ للهجرة)(٣) « وقد تلقى القشيرى أول الأمر هـذا الزائر الجديد بشىء من الحذر والنفور، ولكنه ائتلف به وأصبح صديقه الحميم فيما بعد، وتلك خاتمة يلوح لنا أنها بعيدة الإحتمال »(٤).

حول القشيرى وهومن رجال التصوف فى رسالته الشهيرة « الرسالة القشيرية » (كتبها سنة ٤٣٧ للهجرة) جمع خلاصة آراء وأفكار المتصوفة للتوفيق بين آراء المتصوفة وبين آراء جماع المسلمين والبرهنة على أن التصوف أصل الإسلام. وذكر طائفة من كبار المتصوفة بما فيهم الخلفاء الراشدون والأئمة العلويون(٥) وأكثر الصحابة، وقد فاته أن التصوف الذى كان عليه فى وقته لم يكن معروفاً بهذا الشكل فى صدر الإسلام، وأن الصحابة كانوا يؤاخذون الناس عليه كما فعل الخليفة عثمان بعامر بن عبد الله ابن قيس الذى ترهب وتزهد فى البصرة وامتنع عن أكل اللحوم والزبد والجبن وكل منتوج للحيوان، وأعرض عن الزواج(٦). وعُرف « براهب الأمة ».

والتقى أبو سعيد بالفيلسوف ابن سينا على ماذكره فريد الدين العطار فى كتابه(٧). والظاهر أن هذا اللقاء كان بنيسابور حيث

(١) تذكرة الأولياء جـ ٢ ص ٣٢٢. دائرة المعارف جـ ١ ص ٣٥٣
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان
(٣) عدة نسخ خطية.
(٤) دائرة المعارف جـ ١ ص ٣٥٣ عن القشيرى. راجع رسالة والتصوف الاسلامى للمستشرق نيكلسون
(٥) العبارة من دائرة المعارف جـ ١ ص ٣٥٣
(٦) راجع رسالته حيث يذكر أسماء الصحابة فى ضمن المتصوفة
(٧) عن عامر بن عبد القيس. راجع الطبرى (الطبعة الأوربية جـ ١ ص ٢٩٢٢. ابن سعد طبقات جـ ٧ ص ٧٤

أقام بها أبو سعيد محترماً مقرباً من عالمها الكبير إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى. وابن سينا الذى اشتهر بنظم الشعر باللغة العربية اشتهر بنظم الرباعيات بالفارسية فهو زميل منافس لصاحبنا المتصوف. ولعل هذه المنافسة هى التى أدت إلى نفرة أبى سعيد من ابن سينا، ثم إلى ردّه على ابن سينا برباعية من رباعياته المشهورة(١).

تمتع أبو سعيد بشهرة عظيمة فى بلاد فارس حيث كان محط الرحال إلى أن جاءه الأجل المحتوم فى سنة ٤٤٠ للهجرة فدفن فى مسقط رأسه « ميهنة » وبذلك تم دخوله فى عالم الفناء.

مات أبو سعيد فكتب حياة هذا المتصوف حفيده محمد بن أبى المنوّر، وعلى هذه الترجمة اعتمد فريد الدين العطار فى كتابه « تذكرة الأولياء »، وجامى ملانور الدين عبد الرحمن فى كتابه « نفحات الأنس »(٢).

بغداد — **الدكتور جواد على**

(١) راجع هذه الرباعية فى Ettr, 1878, pp, 52
(٢) راجع دائرة المعارف الاسلامية مجلد ١ ص ٣٥٢

الأسرة والمجتمع

للدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

من بين الحقائق التى عنيت بإبرازها وتوكيدها فى كتابى «الأسرة والمجتمع» ، الذى ظهر أخيراً فى مؤلفات «الجمعية الفلسفية المصرية» ، أن الأسرة تقوم على مصطلحات يرتضيها العقل الجمعى ، وقواعد تختارها المجتمعات ، وأنها لا تكاد تدين بشىء لدوافع الغريزة ، بل إن معظمها ليرمى إلى محاربة الغرائز أو توجيهها إلى طريق غير طريقها الطبيعى .

وقد ناقش الأستاذ العقاد[1] الفقرة الأولى من الدليل الأول الذى أوردته لتأييد هذه النظرية ، وهو — كما أشرت فى مقالى السابق[2] — واحد من اثنى عشر دليلا ذكرتها مسلسلة فى هذا الكتاب . فظهر له أن ما تشير إليه هــذه الفقرة لا ينهض حجة على صحة ما ذهبت إليه . ثم أدلى برأيه فى هــذا الموضوع ، فذكر أن الغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى جميع شئون الأسرة أو فى أهمها على الأقل ، واستدل على ذلك بعدة أمور .

ولست محاولا فى هذا المقال أن أسرد ما أغفله الاستاذ العقاد من الادلة التى أوردتها فى كتابى لتأييد نظريتى ، والتى لا تدع مجالا للشك فى صحتها ؛ لأن محاولة كهذه لا يتسع لها المقام من جهة ، ولأنها من جهة أخرى ستكون مجرد تلخيص مخل لمسائل استغرق بحثها نحو مائة وخمسين صفحة فى الكتاب . ولذلك سأقتصر على مناقشة الأستاذ فى النظرية التى أوردها ، وهى أن الغريزة وراء الظواهر الاجتماعية فى أهم شئون الأسرة .

***

ذكر الأستاذ لتأييد نظريته هذه أموراً كثيرة يمكن رجعها إلى دليلين رئيسيين . وقد أشار الأستاذ العقاد إلى هذين الدليلين إذ يقول : «إن أمرين اثنين تختلف النظم العائلية ما تختلف بين الشعوب والأجيال وهما ماثلان فى كل أسرة وفى كل شعب وفى كل جيــل . وهما حضانة الطفل والألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء . وكلا هـذين الأمرين قائم على الغريزة الفطرية دون سواها على نحو متشابه فى جميع الأجناس وجميع العصور» .

واتخذ من هذين الأمرين حجة على أن النظم الأساسية المشتركة فى العائلات الإنسانية قائمة على الغريزة .

ونحن نشكر للأستاذ كثيراً أن قدم لنـا دليلين من أقوى الأدلة على صحة ما نذهب إليــه ؛ فكفانا بذلك مئونة الجهد فى تأييد ما قررناه فى كتابنا ، وفى الرد على نظريته .

١ — حقا إن حضانة الاولاد أمر غرزى عند معظم الحيوانات[1] على اختلاف يسير فيما بينها : فأحياناً تتوافر هــذه الغريزة عند الأم وحدها ؛ وأحياناً عند الأب وحده ؛ ولكنها فى معظم الحيوانات الزوجية (وهى التى تعيش زوجين زوجين ، والتى منها الإنسان) تتوافر لدى الأب والأم معاً . ولكن هل تسير الحضانة فى الأسرة الإنسانية وفق ما تمليه هذه الغريزة ؟ الحقيقة أن النظم الاجتماعية وحدها هى التى تتحكم فى الحضانة تحكما مطلقاً لا تقيم فيه وزناً للغريزة ولا لمقتضياتها ، وأن الاسرة الإنسانية تخضع فى ذلك لما يسنه لها المجتمع سواء أكانت شرعته متفقة مع منهج الغريزة ، أم كانت معدلة له ، أم مختلفة معه كل الاختلاف . بل لقد وصــل الامر فى كثير من الشعوب أن أصبح واجباً على الآباء أن يقتلوا أولادهم أو بعضهم أو جنساً معيناً منهم عقب ولادتهم أو فى سن الطفولة أو يلقوا بهم فى مكان قفر Exposition أو يقدموهم قرباناً للآلهة ، وأبت هــذه المجتمعات إلا أن يتم لها ما أرادت ولو كرهت الغرائز ، وسارت العائلات وفق ما أملته عليها نظم مجتمعاتها لا وفق ما فطر عليه أفرادها من غريزة . فمن ذلك مثلا أن النظم الإسبرطية كانت توجب على الآباء إعدام أولادهم الضعاف أو المشوهين أو المرضى عقب ولادتهم أو تركهم فى القفار طعاماً للوحوش والطيور . وكانت الأم نفسها تلجأ إلى مختلف الوسائل لتحقيق هذه الغاية ؛ مع أن غريزة الحضانة والحدب على الصغار عند أنثى الإنسان ومعظم الحيوانات الثدية تتجلى فى أوضح مظاهرها حيال الضعاف من الأولاد (ولعل الاستاذ العقاد يذكر بيت المهلهل :

كأن كواكب الجوزاء عوذ   معطفة على ربع كسير

فللتأكد من صلاحية ولدها للحياة فى نظر مجتمعه ، كانت

(١) انظر مقاله بعنوان «الأسرة والمجتمع» فى مجلة الرسالة عدد ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٥ .

(٢) انظر مقالى بعنوان «الأسرة والمجتمع» بالرسالة عدد ٧ — ٥ — ٤٥

(١) أقول عند معظم الحيوانات ، لأن بعضها لا يحضن أولاده ، بل يلقى عبء ذلك على غيره ، كفصيلة «الكوكو» فى الطيور .

تغمسه عقب ولادته فى دن من النبيذ ، وتتركه مغموساً وقتاً ما : فإن عاش بعد ذلك دل هذا على قوة بنيته واستحقاقه للتربية ؛ وإن مات أدت الأم واجبها نحو المجتمع بأن خلصته من كائن ضعيف لايستحق الحياة فى نظره . وهذا النظام نفسه أومايقرب منه كان سائداً فى أثينا وفى روما وقد أقره فلاسفة اليونان أنفسهم وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو . ومن ذلك أيضاً أن التقاليد الاجتماعية كانت توجب على الآباء فى كثير من الشعوب البدائية وغيرها قتل أولادهم جميعاً أو بعضهم فى جميع الحالات أو فى حالات خاصة لاعتبارات دينية أو اقتصادية . ومن هؤلاء بعض عشائر من عرب الجاهلية كانت تقتل أولادها ذكورهم وإناثهم فى بعض الحالات ؛ وعشائر أخرى كانت تصطفى الذكور وتئد البنات . وفى كثير من الشعوب كانت النظم الاجتماعية توجب على الآباء تقديم أولادهم أو بعضهم فى حالات خاصة قرباناً للآلهة . ومن هؤلاء قدماء المصريين والعبريين والعرب فى الجاهلية . بل إن أقدم صورة للأضحية فى المجتمعات قد تمثلت فى الأضحية الإنسانية التى يقدمها الآباء من أولادهم[1] . وفى معظم المجتمعات الإنسانية ، إن لم يكن فى جميعها ، لا يقوم الاب بحضانة ولده من السفاح ؛ مع أن الغريزة لا تفرق بين ولد شرعى وولد غير شرعى ، وإنما جاءت هذه التفرقة من النظم الاجتماعية وحدها . بل إن الأم نفسها كثيراً ما تتخلى فى هذه الحالة عن الحضانة فتقتل ولدها أو تلقيه فى الطريق ، متصاممة عن نداء الغريزة ، خشية ما تجره عليها نظم مجتمعها وعرفه الخلقى .

وإذا كان الآباء فى معظم مجتمعاتنا المتمدينة الحاضرة يسيرون فى حضانة أولادهم فى حالة الزواج الشرعى وفق المنهج الغريزى إلى حد ما ، فإن السبب فى ذلك يرجع إلى أن النظم الاجتماعية قد أوجبت عليهم حضانة أولادهم وتربيتهم على هذا الوضع ، وأتاحت لهم بذلك إرضاء غرائزهم . ولو أنها سارت بهم فى طريق آخر ، كما كان الشأن فى شعوب أخرى كثيرة ، ما استطاعوا إلى مقاومتها سبيلا ، وما وجدت غرائزهم منفذاً إلى الظهور . على أن هذه الحضانة ، إذ يقرها المجتمع ويوجبها على الآباء ، لا يتركها للغريزة تتجه بها كما تشاء ، بل يتدخل فى تنظيمها ويضع لها قيوداً وأحكاماً تبعد بها بعداً كبيراً عن طريقها الفطرى.

(١) انظر تفصيل ذلك بكتابى « الأسرة والمجتمع » صفحات ١١٨ — ١٢٤ ، ومقالا لى « بالرسالة » فى عدد ٣ — ٣ — ٩٤١ عن « وأد البنات عند العرب » ، ومقالا لى بمجلة الشئون الاجتماعية عدد مارس سنة ١٩٤٠ عن « الأضحية والقرابين » .

وإن نظرة يسيرة فى أحكام الحضانة فى القانون الرومانى القديم والقانون الفرنسى الحديث وفى الشريعة الإسلامية ، وفيما تقرره هذه الشرائع من أحكام وقيود بهذا الصدد فى حالة بقاء عقد الزواج ، وفى حالة فسخه ، وفى حالة موت أحد الزوجين ، وفى حالة زواج أحد الأبوين بزوجة أخرى أو زوج آخر ... إن نظرة يسيرة إلى هذه الأمور وما إليها لكافية فى الدلالة على أن النظم الاجتماعية ، حتى فى حالة إقرارها مبدئياً لحضانة الأبوين لأولادهما لا تترك هذه الحضانة للغريزة توجهها كما تشاء ، بل تتدخل فى تفاصيلها وعناصرها ومدتها ، وتضع لها من القيود ما يبعد بها كثيراً عن سنن الغريزة.

أفبعد هذا دليل على أننا بصدد نظام يقوم على مصطلحات اجتماعية لا على أمور تقررها الغرائز ؟ !

٢ — وأما « الألفة الحميمة بين فئة من الأقرباء » التى ظن الأستاذ أنها أمر غريزى وأنها دعامة لجميع النظم العائلية ، فحقيقة الأمر أنها ليست من الغريزة فى شىء ، وأن النظم الاجتماعية هى التى تخلقها خلقاً ، وتحدد مجراها ونطاقها ، وتسير بها فى السبيل الذى يرتضيه العقل الجمعى ، ويتفق مع ما تصطلح عليه الجماعة من أوضاع ؛ فإذا كانت الجماعة تسير فى القرابة على « النظام الأمى » تألف أقرباء الفرد من أمه وأقارب أمه فحسب ، على حين يصبح أبوه وأقارب أبيه أجانب عنه ، لا تربطه بهم أية رابطة من روابط القرابة ، ولا يشعر نحوهم كما لا يشعرون نحوه بأية عاطفة عائلية ، ولا بأية ألفة حميمة أو غير حميمة . وإذا كانت الجماعة تسير فى القرابة على « النظام الأبوى » ، تنعكس الآية فتتجه العاطفة والألفة إلى الاب وأسرته ، وتصبح الام وأسرتها أجانب عن الولد لا تربطه بهم أية قرابة ، ولا يشعر نحوهم بأية عاطفة أو ألفة . وإذا كانت الجماعة تسير فى القرابة على النظام المشترك (وهو النظام الذى يعترف بقرابة الولد لكل من أبيه وأمه) مع ترجيح ناحية الأب أو ترجيح ناحية الأم اتجهت الألفة والعاطفة إلى الناحية التى يرجحها المجتمع أكثر من اتجاههما إلى الناحية الأخرى ؛ وإذا كان محور القرابة فى الأمة يعتمد على ناحية أخرى غير الأب والأم (وكثيراً ما تحقق ذلك فى المجتمعات الإنسانية) انقطعت صلة الولد بأبيه وأمه معاً ، واتجهت عاطفته وألفته نحو الجماعة التى يلحقه بها مجتمعه[1].

(١) انظر تفصيل هذه النظم بكتابنا « الأسرة والمجتمع » صفحات ٢٤ — ٢٩ — ١٣٤ .

فلسنا إذن بصدد أمور تحددها صلات الدم أو تقررها الغرائز ، بل بصدد نظم تصطلح عليها المجتمعات اصطلاحاً . والألفة التى يتحدث عنها الأستاذ العقاد ، حتى فى صورتها العاطفية الخالصة : لاتقوم على أساس من الغريزة ؛ وإنما تخلقها النظم الاجتماعية خلقاً ، وتتجه بها فى الطريق الذى تريد . على أن هذه الألفة لا تتمثل فى أمور عاطفية فحسب ؛ وإنما يتمثل أهم عناصرها فى طائفة من الحقوق والواجبات التى تربط الأقرباء بعضهم ببعض . وغنى عن البيان أن هذه الحقوق والواجبات لا تدين بشىء إلى الغريزة ؛ وإنما مردّها إلى المجتمع وقوانينه ؛ بل لقد وصل الأمر فى كثير من الشعوب الإنسانية أن انعدمت الألفة بمعناها العاطفى بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأقرباء ؛ لأن الأوضاع الاجتماعية كانت تحول دون نشأة الألفة بينهم بهذا المعنى؛ ولم تبق إلا الألفة بمعناها القانونى والاجتماعى متمثلة فى الحقوق والواجبات التى تربط أفراد الأسرة وتربط الأقرباء بعضهم ببعض . وإليك مثلاً العشائر البدائية باستراليا التى كان معظمها يسير على « النظام الأمى » (وهو الذى تعتمد القرابة فيه على الأم وحدها) . فى هذه العشائر كانت الأم تقيم عادة مع الأب فى منازل عشيرته ، مع أنها كانت تنتمى دائماً إلى عشيرة أخرى (فقد كان يحرم تزاوج أفراد العشيرة الواحدة بعضهم من بعض) . وكان نساء العشيرة الواحدة يتزوجن من رجال ينتمون إلى عشائر متعددة ويسكنون مناطق مختلفة . وكان أولادهن بمقتضى النظام المتبع (وهو النظام الأمى) ينتمون إلى توتم Totem أمهاتهم وعشيرتهن ، ويؤلفون معهن أسرة واحدة . وقد ترتب على ذلك أن كل أسرة من الأسرات التى تتبع هذا النظام كانت مبعثرة الأفراد ، لا يضم أعضاءها مكان واحد ، ولا يمكن أن تتكون بينهم ألفة عاطفية : يجمعهم ذلك الرباط الاجتماعى الدينى ، وتربطهم بعضهم ببعض طائفة من الحقوق والواجبات ؛ بدون أن تنتظمهم وحدة جغرافية أو تؤلف بينهم رابطة إقليمية ، أو تتوافر الظروف التى تنشىء فى نفوسهم ألفة بمعناها الوجدانى الطبيعى .

على عبد الواحد وافى

دكتور فى الآداب من جامعة السربون

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

— ٤ —

إن الروح العالية التي أملت على وزارة المعارف التنازل عن سلطانها إلى فروعها في المناطق التعليمية الإقليمية وفي إدارات مدارسها بمشروع اللامركزية الذي وضعته وتنفذه أخيراً – تلك الروح تستحق كل ثناء وإعجاب لأنها تدل على أن الوزارة جادة في تلمس أسباب الإصلاح. وإذا كانت هذه هي الخطوة الأولى في سبيله فإنه لا بد أن يتلوها خطوات؛ لأن الإصلاح يتطلب بجانب تنظيم إدارات التعليم تنظيماً لمعاهد التعليم على أسس جديدة تغير من روحها ومن جوهر الحالة القائمة فيها لتنتج الخطوة الأولى نتيجتها. وبث الروح الجديدة في المعاهد يتطلب مجهوداً جباراً ويتطلب تعاوناً صادقاً من الرجال ذوي التجارب الذين مارسوا المهنة طويلا، والذين يشرفون على معاهد التعليم، والذين يطلب منهم أن يقوموا بإخلاص بتنفيذ الأسس الجديدة. فلا بد لهؤلاء وهؤلاء أن يقتنعوا بما في المدرسة القائمة من عيوب وأن يقتنعوا بما يجب نحوها من تغيير وتبديل نتيجة بحث وتمحيص. ومشكلة التعليم يجب ألا تحصر في تغيير أسماء بأسماء أخرى، أو في نقل موظفين من هنا إلى هناك، أو في خلق وظائف جديدة قد لا يكون لها مبرر. إنما مشكلة التعليم الأساسية هي في المدرسة: في نظمها القائمة، وفي مدرسيها، وفي الروح السائدة فيها، وفي روح طلبتها.

فإذا كنا قد شكونا قديماً من أن روح المدرسة كانت محصورة منذ زمن بعيد في تلقين التلميذ كثيراً من المعلومات ليصبها صباً في ورقة الامتحان ثم ينساها بمجرد الانتهاء منه، فإن هذه الروح لا زالت قائمة إلى اليوم وهي التي تملى على المدرسة ومدرسيها أعمالهم، وتملى على الطلبة طرق السير في حياتهم وفي تفكيرهم، وفي غدواتهم وروحاتهم.

وإذا كنا شكونا حتى بحت الأصوات في كثير من الأوقات بأن المدرسة تباعد بين المتعلم وبين الأعمال والمشاريع الحرة، وإن كل متعلم متى حصل على الشهادة فهو لا يفكر في عمل يعمله غير الوظيفة، وأن المتعطلين من المتعلمين زاد عددهم قبل الحرب زيادة كبيرة، ونعتقد أن سيتضاعف عديدهم بعد الحرب، فإن السياسة التي رسمت أخيراً للوظائف والتوظف بتسعير الشهادات وأعمال الإنصاف قد زادت أبناء الأمة تشبثاً بالوظائف واندفاعاً في سبيلها وتعلقاً بأهدابها فزادت بذلك مسافة الخلف بينهم وبين العمل الحر، وارتفعت نسبة عباد الوظيفة من المتعلمين حتى أصبحت المدرسة بحق هي المصنع الدائم لصناعة الموظفين!

وإذا كنا شكونا قديماً وقلنا بأن المدرسة لا تعنى عناية مباشرة بتكوين النواحي الخلقية الضرورية في أبنائها أو بغرس الأخلاق القويمة التي تتطلبها حياة الأفراد والجماعات اليوم من صبر على المكاره ومثابرة على العمل وجهاد وتعاون على الخير الخ. فإن المدرسة لا زالت إلى اليوم تهمل كل هذه النواحي الهامة التي لا ينجح في الحياة فرد ولا مجتمع إلا بها. وإذا كنا شكونا قديماً من أن المدرسة تعنى العناية كلها بالأمور المظهرية والصورية دون الأمور الجوهرية في اتصالاتها وأعمالها وحفلاتها فإن الحالة لا زالت تجرى اليوم كما كانت قديماً. وإذا كنا شكونا من أن الاتصال الروحي الذي كان قائماً بين التلميذ وأستاذه والذي كنا نحسه قديماً في تلمذتنا يسرى في دمائنا ويدفعنا دفعاً إلى تمجيد أساتذتنا واحترامهم مما كان يبعث في قلوبنا للمدرسة الهيبة والتقديس قد أخذ في التضاؤل حتى أصبح شيئاً تافهاً، فإنا نحس اليوم أن ذلك الاتصال الروحي قد انقلب مع الأسف إلى ضده حتى أصبحنا نرى تلاميذ المدارس ينتهزون الفرص أحياناً للنيل من أساتذتهم ونظارهم ومعاهدهم التي تؤويهم. ثم إن روح الاستهتار لم تقتصر على التلاميذ وحدهم بل تعدتهم في الأيام الأخيرة إلى بعض المدرسين الحديثين الذين أصبحوا لا يقدرون حق التقدير واجبهم وما يلقيه عليهم من مسئوليات، فإذا عبثوا أو أهملوا وسئلوا في ذلك هزوا أكتافهم أو هربوا من المسئولية وألقوها على غيرهم ولفوا وداروا في الظلام بحثاً وراء من يحمى ظهورهم ويشجع استهتارهم بالعمل

على ترقيتهم وسبق زملائهم . لذلك نجد أن الروح الجدية أخذت مع الأسف تتلاشى تدريجياً بين مدرسى مدارسنا كما تلاشت بين تلاميذنا . فما بالك إذن بروح التعاون التى تتطلبها المدرسة والجماعة والأمة فى سبيل نهضتها ووحدتها ! ؟

ولقد زاد الطين بلة ما كان من ثورة على مناهج التعليم كأن المناهج لا المعلمين وكأن الخطط لا النظم هى التى تكون الناشئين ! فلطالما اهتزت أركان الوزارة فى ربع القرن الماضى بتغيير الخطط وتغيير المناهج وإطالة مدة مرحلة من مراحل التعليم وإنقاص أخرى من تلك التغييرات الظاهرية ، والتبديلات الجوفاء التى أضافت إلى جمود الروح المدرسى عبثاً آخر من فوضى التغيير الظاهرى والعبث بالاستقرار الحقيقى حتى ضج من ذلك المعلم والمتعلم . وكم نادينا على غير جدوى بأن المشكلة الحقيقية ليست فى المناهج والخطط ولكنها فى نظم الدراسة وروحها ومعلميها . ثم زاد الحالة سوءاً بعد ذلك ما كان من تشجيع الطلاب على الاندماج فى الحزبية الجامحة التى دفعت بالكثيرين منهم إلى الخروج على أبسط قواعد الأدب وتقاليد المجتمع !

كل ذلك يلمسه ويحسه القائمون على أمور المدارس والمتصلون بها من رجال التعليم والمشرفون عليها . وكل ذلك نادينا بضرورة إصلاحه من زمن بعيد فلم نجد مع الأسف من القائمين بالأمر إلا ارتجال مشروعات لا تمت بصلة صحيحة إلى إصلاح روح المدرسة ونظمها . وأعتقد أن رجال التعليم جميعاً يتحدثون بذلك ويدركونه ويتلمسون له الحلول فلا يجدونها !

وها هى ذى الأمة تقاسى اليوم من جراء ذلك ما تقاسى من فوضى الأخلاق ، وسوء معاملة الناس متعلمين وجاهلين بعضهم لبعض وعدم ثقتهم بعضهم ببعض ، وأنانيتهم وجشعهم وقلة اكتراثهم بعمل الخير ، وقلة إقدام متعلمينا وشبابنا على المشروعات العامة بسبب فقدان التناصر والتعاون حتى بين أفراد الأسرة الواحدة وخروج الإبن على أبيه ، وعدم رعاية حقوق الأخوة والجوار ، وانتزاع الرحمة ممن تجب عليهم الرحمة للضعفاء والمعوزين ، إلى غير ذلك مما يفت فى عضد الأمة ويضعف من قوتها ، ويوهن روح نهضتها ويضعضع وحدتها . ولقد أحس بذلك الصغير والكبير ورجل الشارع ورجل التعليم . فما السبيل يا ترى لإصلاح هذه الحال؟

فإذا كنا نادينا فى سبيل وحدة الأمة وتكاتف عناصرها بضرورة توحيد الثقافة فى المرحلة الأولى من مراحل التعليم بإحلال المدرسة الموحدة محل المدرسة المشتقة من التعليم الإلزامى والأولى والريفى والابتدائى ؛ وإذا كنا نادينا فى سبيل وحدة الأمة بضرورة توحيد معاهد المهنة الواحدة ، وعلى الخصوص معاهد المعلمين كدار العلوم ومعهد التربية وكلية اللغة العربية وإدماجها فى معهد واحد لتخريج مدرسين متعاونين متضامنين عارفين بواجباتهم مقدرين لمسئولياتهم ، فإنا ننادى كذلك بضرورة إصلاح المدرسة القائمة بصفة عامة إصلاحاً يتناول روحها ونظمها ويحدد أهدافها ، ولن يتم لنا كل ذلك إلا بالتعاون الفنى والتعاون القومى . لا يتم لنا كل ذلك إلا إذا تعاون رجال التعليم عامة فى لجان دارسة فاحصة تبحث عيوب النظام الحالى كلها وتناقشها فى محاضرات ومؤتمرات عامة ، وتضع الحلول المختلفة للخلاص منها . ثم تدرسها بعد ذلك لجنة فنية عليا لغربلتها وتصفيتها . ومما يساعد على ذلك الآن وجود عدد كبير من المفتشين العامين فى مختلف إدارات التعليم بالوزارة . ثم يعرض الأمر أخيراً على مجلس المعارف الأعلى الذى سمعنا بقرب تشكيله . وإنه ليفرح الأمة أن يتكون هذا المجلس تكويناً قومياً بحيث يكون جامعاً لخلاصة المفكرين ورجال الأعمال من كافة الأحزاب ، ويا ليته يضم عدداً من رجالات البلاد العربية الشقيقة حتى يكون عمله قومياً بحتاً معترفا به من جميع الحكومات على اختلاف مذاهبها . وبذلك تسير مصر كلها ومعها بلاد الجامعة العربية فى طريق واحد نحو هدف ثقافى واحد .

هذه هى الطريقة المثلى فى حل مشاكلنا التعليمية ، وهى طريقة وإن كانت بطيئة إلا أنها مضمونة الفائدة محققة النفع ذات هدف سام يرحب به الجميع ، وأقل ما توصف به من خير أن الحلول التى تضعها لمشاكل التعليم لا تكون بنت يومها أو بنت الطفرة ، ولا تكون حلولاً مرتجلة نتيجة تفكير فرد أو أفراد محدودين ، بل هى نتيجة بحث وفحص وتمحيص يشترك فيها الجميع وتمليها المصلحة القومية العامة ، مصلحة الأمة التى تطلب الوحدة وتنادى بها وتعمل لها .

عبد الحميد فهمى مطر

الأفغاني والوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

— ٤ —

وأخيراً ، أين بلغ الأفغاني من التأثير فى المسلمين بدعوته ؟ وأين وصل من الطريق إلى هدفه وغايته ؟ وما ذا أجدى فى تحقيق تلك الفكرة التى نهض لها ملء يقينه وجهد طاقته ؟

إننا نستمع إليه فى آخر حياته يرسل هـذه الصيحة الألمية اليائسة إذ يقول : « إن المسلمين قد سقطت هممهم ، ونامت عزائمهم، وماتت خواطرهم ، وقام شيء واحد فيهم، وهوشهواتهم!»

فى هذه الصرخة التى تفيض بالألم نرى الرجل مغيظاً محنقاً ، لأنه لم يجد فى المسلمين العزيمة التى كان يتمثلها ، والوثبة التى كان يتوقعها ، وكأنه يقول : لقد ناديت لو أسمعت حياً ، والواقع أن الرجل لم يكن يستطيع أن يبلغ أكثر مما بلغ ، فإنه كان ينادى على قوم يأخذون طريقهم إلى النهاية ، وسنن الوجود الاجتماعى لها فى هذا حكمها الذى لا يرد ، وقد كان التيار المتدفق من الخارج قوياً عنيفاً ، ودنيا النضال والنزال فى عهد جديد تسيطر عليه الآلة ، وهو عالم لا يعرف عنه المسلمون إلا كما يعرفون عن عالم السحر ودنيا الجان

فحسب الرجل نجاحاً أنه فتح العيون على الخطر الماثل ، ونبه الأذهان إلى غاية الشر المتنمر ، وأنه استطاع بصادق غيرته وقوة يقينه أن يجعل من دعوته نقطة تحول فى حياة الشرق العربى ، وأن يقيمها عقيدة اجتماعية لها تيارها واتجاهها فى تلوين الأفكار وتوجيه العقول والأفهام ، على أننا لا ننسى أن الأفغانى فى هذا كله كان لا يملك كثيراً من الوسائل المساعدة ، فهو رجل فقير مضطهد ، الملوك وأهل السلطان يخذلون جهده ، ودول الاستعمار وأهل المآرب يناهضون فكرته ، فنراه كل يوم على سفر يضرب فى فجاج الأرض ، كل ما فى قدرته أن يلقى بأفكاره إلى أفهام الطبقة المثقفة ، وكانت يومذاك قلة ، وليست فى يده الوسيلة التى يصل بها إلى الرأى العام ، ونحن نعلم من شواهد التاريخ أن الرأى العام هو القوة الفعالة فى تحقيق الدعوات ، وأن الجماهير هى الوقود الذى ينضج الثورات

ولعل أهم ما أجدى السيد الأفغانى فى توطيد دعوته والامتداد بأثرها فى إيقاظ الشرق وتنويره ، هم أولئك التلاميذ ، أو على الأصح أولئك المريدون الذين طبعهم بطابعه ، وصقلهم على غراره وخلع عليهم كل ما خصه الله به من عبقرية الدرس وعبقرية النفس، فكانوا لسان صـدق للدعوة ، وكانوا دعاة مخلصين واجهوا بها الأحداث فى إباء وشجاعة ، ولاقوا من أجلها الأهوال فى قوة وصرامة ، وقد كان أبرز هؤلاء الدعاة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضوان الله عليه ، والسيد عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله

أما الشيخ محمد عبده ، فقد كان صوتاً متفقاً مع الأفغانى ، شاركه الرأى والجهاد فى ميدان واحد ، وأما الكواكبى فكانت حياته أشبه ما تكون بحياة أستاذه فى الرحلة والتنقل من قطر إلى قطر ، وكانت تعاليمه ودعوته إلى الوحدة صورة مطابقة لما كان ينادى به الأفغانى . كان الأفغانى كما مر بك يرى أن تقوم الدعاية للوحدة بعقد مؤتمر عام كل سنة فى مكة يجمع أصحاب الكلمة والرأى من العلماء لحسم كل نزاع ، وتدبير كل ما من شأنه النهوض بالمسلمين ، فتطوع الكواكبى لعقد هذا المؤتمر فى عالم الخيال أو فى عالم الأمل ، وندب له أعضاء من جميع الأقطار الإسلامية ، ووضع أمامهم حال المسلمين للبحث وتمحيص الرأى ، وقد جعل هذا موضوع كتابه المعروف « بأم القرى » ، وهو اسم أخذه أيضاً من اسم الجمعية التى كان أنشأها أستاذه بمكة من قبل

ولـكن هؤلاء الدعاة ، وهم ما هم فى صـدقهم وإخلاصهم لم يستطيعوا أن يتمسكوا إلى آخر الشوط بدعوة الأفغانى فى نصها وحرفيتها كما يقولون ، لأن الحوادث كانت تتطور تطوراً سريعاً يحيط بهم ، ويكبر على جهدهم ، فكان عليهم أن يلائموا بين خطتهم وبين طبيعة الحوادث ، وقد تبصر المعتدلون من هؤلاء المريدين والأتباع ، فرأوا أن وحدة تشمل سائر الأقطار الإسلامية وتجمعها فى صعيد واحد لا يمكن أن تقوم لا فى الوضع السياسى ولا الاجتماعى ولا العمرانى ، وأن الفكرة فى ذلك فكرة فضفاضة

متموجة لا تحدها معالم ثابتة ولا تسندها مقومات متينة ، فضلا عما تثيره من الاتهامات والشبهات وما تلاقيه من المناهضة والمقاومة فعدلوا عن الوحدة الإسلامية إلى الوحدة العربية ، واختزلوا رغبة الأفغانى فى قيام وحدة تشمل سائر الأقطار الإسلامية إلى وحدة عربية تجمع الأقطار المتجاورة المتشابهة التى وحدت حوادث التاريخ الماضى بينها فى اللغة والتفكير والمظهر الاجتماعى ، والتى تؤلف بينها الأغراض المشتركة والآمال المتفقة فى الفوز بحياة الحرية والعزة ، ولم يكن قصدهم « العربية » المحصورة فى شبه الجزيرة العربية فحسب ، بل كانوا يقصدون أيضاً مايتفرع عنها من الجنس السامى فى العراق وسوريا وفلسطين ولبنان ، وما يتصل بها من الجنس الحامى فى مصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، وكانوا يعتقدون أن رابطة تشمل هذه الأقطار مما يدخل فى دائرة الإمكان ، بل إنها قائمة روحياً ومعنوياً ، لا ينقصها إلا خطوة نحو التنفيذ والإنجاز !

وإذا كان دعاة « الإسلامية » قد وقفوا فى تأييد دعوتهم عند أساليب الحث والوعظ والتذكير والإهابة بضرب الأمثال وأناشيد المجد السالف ، فإن دعاة « العربية » قد أخذوا فى دعم فكرتهم بأساليب الفلسفة السياسية والاجتماعية ، وخلعوا عليها لباساً علمياً من النظريات العلمية التى كانت شائعة بين العلماء فى ذلك الوقت . كانت الجامعة السياسية فى رأى علماء الألمان تقوم على وحدة اللغة ووحدة الجنس ، وعند علماء الطليان ترتكز على وحدة التاريخ ووحدة العادات ، وعلى مذهب الفرنسيين تعتمد على وحدة الطموح السياسى ونفوذ السلطان ، وفى جماع هذه الآراء والاتجاهات وجد دعاة العربية برهاناً لدعوتهم ، من وحدة اللغة ، ووحدة الجنس ، ووحدة التاريخ ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الطموح السياسى ، وبهذه الصبغة صبغوا دعوتهم ونادوا بفكرتهم وانتصروا لها بكل ما يملكون من أساليب البيان واللسان

وأذكى تيار هذه الفكرة ما كان من غطرسة الحكم التركى فى الاستخفاف بحقوق العرب والنظر إليهم بعين الإغضاء والاستهانة ، وقد اضطرت تركيا تحت هذا الضغط إلى إصدار كثير من « الفرمانات » تعلن فيها المساواة بين الأجناس والأديان فى السلطنة العثمانية ، ثم أعلنت دستور سنة ١٩٠٩ ، فغمرت العرب موجة من السرور والارتياح ، وشاموا فى هذا بداية عهد جديد يؤدى إلى جمع القلوب ، ولكن سرعان ما تكشفت الأمور فإذا هى هباء وألاعيب ، وإذا الاتحاديون الذين أعلنوا الدستور وجاهدوا من أجله أشد الغلاة فى هضم حقوق العرب والاستهانة بحريتهم وكرامتهم ، وظهر لأبناء العروبة أن « الفرمانات » التى حررت ، والدستور الذى أعلن لم يكن إلا حبراً على ورق ، فانقلبت آمالهم إلى خيبة مريرة ، وحسرة قاسية ، واشتدت عصبيتهم لجنسيتهم ، ووقفوا والعثمانيين وجهاً لوجه .

كانت هذه الحركة أقوى ما تكون فى سوريا والعراق لوقوعهما مباشرة تحت سلطة تركيا ، ولكن مصر كانت أوسع ميدان لها وأفسح مجال للعاملين على امتدادها ، إذ كانت مصر فى هذه الفترة موئلاً للمتمردين على الحكم العثمانى من أبناء الأقطار العربية ، كما كانت مجال حركة فكرية تملك من الوسائل والأسباب ما لا يملك غيرها من أقطار العالم العربى ، وامتد تيار هذه الحركة على أوسع ما يكون ، وتألفت أحزاب وجمعيات ومنتديات كثيرة فى مصر وبيروت وفى الأستانة نفسها ، وكل منها يعمل فى طريق للنهوض بأبناء العربية ، ووقف الشعوبيون من أنصار الرابطة « الطورانية » يناهضون هذا الاتجاه ويناضلون العرب فيما يدعون إليه ، ووجد أنصار الأغراض الاستعمارية لأنفسهم من هذا منفذاً لبث آرائهم ودعاياتهم ، فكان أن أصبح الرأى فوضى لا قوام له ، وأصبح الدعاة للوحدة والنهوض يخضعون لتيارات مختلفة ويعملون لأغراض متباينة ، فى مصر مثلاً كان الرأى القوى الذائع هو أن تنال مصر استقلالها وأن تتحد مع جاراتها العربية ، على أن يكون ذلك فى ظل الولاء للخلافة العثمانية ، ولكنك كنت تجد فى الجهة المقابلة رأياً يدعو إلى الاستقلال عن كل سلطة خارجية وصلة أجنبية ورعاية مصالح مصر قبل أى اعتبار آخر ، وفى سوريا والعراق كان جماعة ينتصرون للعربية من عسف الأتراك ، ويدعون إلى الوحدة على أن تظل على الإخلاص لبنى عثمان ، ولكن الرأى السائد كان عداوة للأتراك ، وعصبية للجنس ، وتشنيعاً على الاستعمار العثمانى فى جميع أطواره ، وكان أصحاب هذا

الرأى يعتقدون أن العرب إذا انسلخوا عن الوحدة العثمانية فى مقدورهم «أن يقيموا لأنفسهم دعائم استقلال سياسى» ، ولابأس عليهم من الاستعمار الأوربى ، وكان أكثر أهل هذا الرأى من «محترفى السياسة وتجارها» كما يقول بعض الكتاب ، ولسنا فى مقام توزيع التبعات وتحقيق الاتهامات وتفنيد الآراء ، ولكنها إلمامة عارضة أوردناها على قدر ما يقتضيه الموضوع الذى نحن بصدده فى بيان الأثر الذى امتدت به دعوة الأفغانى .

هــذه الفوضى التى اضطربت بالأفهام وبلبلت الأفكار ، وهذه الأغراض التى دخلت على الدعاة إلى الوحدة العربية واردة من « أوروبا » ، جعلت العقلاء ينظرون إلى المسألة بعين التبصر مرة أخرى ، ويحكمون فيها عقولهم قبل أن يندفعوا إليها بعواطفهم ، فظهر لهم أن هناك خطراً ماثلاً يتهدد كل وحدة فى الشرق مهما كان لونها أو اتجاهها ، وأن أوربا تريد أن تضع يدها على تركة المسلمين تحت سمعهم وبصرهم ، وأن « القوة العثمانية التى تمثل الاستقلال السياسى للمسلمين والتى هى مظهر السيادة الإسلامية قد أصبحت معرضة لأشد الأخطار » ، ظهر كل هذا للعقلاء المتبصرين ، فأشفقوا من الخلاف القائم ، وانبروا يدعون إلى الاتحاد تحت راية الخلافة ، ويحضون على وحدة شاملة لمدافعة الخطر ، وكانت مصر أفسح ميدان لهذه الدعوة وأعلى صوت فى الدعاية لها والحض عليها ، لأن ما كانت تعانيه من عسف « كرومر » قد بصرها بالأمر ، ولأنها كانت فى النهضة الوطنية والفكرية أسبق وأنضج ، ولأن صلة « بيتها الحاكم » ببنى عثمان كانت تقوم على المودة والقرابة .

وبين عشية وضحاها وضح الأمر وتكشفت الحقيقة فيما توقعه أولئك العقلاء ، إذ تألبت ممالك البلقان على الدولة العثمانية ، ودهمت إيطاليا طرابلس وبرقة وضرب أسطولها بيروت فى غير شفقة ولا رحمة ، فهز هذا من أريحية المصريين ، واستثار عواطفهم وشجونهم ، وارتفعت الأصوات بالإشفاق على مجد الإسلام ومعالمه الباقية ، وعادت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لتكون قوة فى وجه الاستعمار الذى كشف عن ناجذيه فى غير مواربة ، وقد بذلت مصر بذل المخلص الشريف فى نصرة العالم الإسلامى ، وأمدت تركيا بهبات سخية من المال والعتاد ، وأعانت المتكوبين إعانات فياضة ، مما دل على الإخلاص فى النية ، والصدق فى العزيمة ، والفنوت فى الملمات .

واطردت الأمور متقلبة متحولة ، ومضت الأحوال تجرى بين جزر ومد ، ولم تلبث الحرب الماضية أن نشبت على أوسع رقعة ، ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء ، فطوى كل رأى فى صدور أصحابه ، ووقفت كل دعوة عند حدودها ، وأصبح الأمر للدعايات الحربية والسياسات الحزبية والاتجاهات الملتبسة التى لا يرتبط فيها اللسان بالقلب ، ولا يتصل فيها القول بالعمل ، وفى هذا الجو ظهرت دعوة إلى « العربية » فى شكل جديد وعلى وضع جديد ، وكان الغرض فيها يدور حول الحركة التى قام بها السلطان « حسين بن على » فى الحجاز ، وامتدت دعاياتها إلى سائر الأقطار العربية ، وكان هذا الغرض هو ما تكشفت عنه الحوادث فى أعقاب الحرب الماضية ، وكان أثر هذه الدعوة الجديدة هو ما انتهت إليه بعد .

الخلاصة :

فأنت ترى فيما أوردناه عليك ، أن الدعوة إلى الوحدة إنما نشأت « إسلامية » قوامها القرآن فى لسان الأفغانى ومحمد عبده والكواكبى وأضرابهم ، ثم اختزلت إلى « العربية » فى تقدير المعتدلين ممن جاءوا على أثرهم وترسموا طريقهم ، ثم تشعبت هذه « العربية » فيما بعد إلى شعب لهــا مراميها وأغراضها ، ولها أساليبها وسبلها . ولا شك أن المؤرخ السياسى والاجتماعى لحياة الشرق العربى فى العصر الحديث لا بد له من تحليل هذه التيارات كعوامل وعناصر كان لها أثرها فى توجيه الرأى السياسى والاجتماعى الذى سيطر على الحركات الأخيرة ، وكيف النهضات الحديثة ، وأدى إلى ما بلغته الأقطار العربية اليوم ، بل وما ستبلغه فى الغد ، والفضل فى هذا كله للأفغانى العظيم ، الذى وهب نفسه للوحدة ، وظل طول حياته يجاهد فى سبيل هذه الدعوة .

(تم البحث)

محمد فهمى عبد اللطيف

هرموبوليس مدينة الحج

للأستاذ فوزى الشتوى

انقرضا من مصر

فى أساطير قدماء المصريين أن مجاعة اجتاحت بلاد النوبة ففتكت بأهلها وزرعها ، إلى أن خف إليها الإله توت على شكل قرد أنقذها وأعاد إليها الأمن ورغد العيش . والإله توت من أقدم معبودات قدماء المصريين . وله رمزان يمثله أحدهما على صورة طير أبى منجل . ويمثله الثانى صورة وجه القرد .

وقد تبين من حفريات جامعة فؤاد الأول برياسة الدكتور سامى جبرة فى منطقة تونة الجبل قرب ملوى أن أرض مصر فى عهد الفراعنة كانت تضم مجموعة كبيرة من الحيوانات التى انقرضت أو هاجرت إلى بقاع أخرى ومنها طير أبى منجل والقرد . والأول من فصيلة أبى قردان وله طباعه فى الفتك بالحشرات الضارة بالإنسان وزرعه .

رمزا الإله

قال عنه هيرودوتس المؤرخ اليونانى إنه كان يسكن بين جبال سينا فيأكل الثعابين والحيات قبل دخولها أرض مصر . ويقول الدكتور سامى جبرة إن المصريين شهدوا اتزان مشيته ووقاره ، فأعجبوا بصفاته العالية ، واتخذوه رمزاً لإله المعرفة ، ولئن كانت قوانيننا الحالية تحرم صيد أبى قردان ، وتفرض الغرامة والسجن على مقتنصه فإن قوانين القدماء كانت تقضى بإعدام من يقتل أبا منجل .



(شكل ١)
طائر أبو منجل وأمامه تمثال الآلهة معات إله العدل

والقرد من الحيوانات النادرة التى تهلل جماعاتها إذا أشرقت الشمس وتنوح وتندب إن آذنت بالغروب . والمصريون القدماء معروفون بدقة الملاحظة . رأوا فى تهليله ونواحه علامة على معرفته لأسرار الشمس والعالم الآخر .

والإله توت إله المعرفة ، يعرف ما خفى وما استتر ، ويحق الحق ويزهق الباطل . وهل لإله المعرفة من رمز أشعى من الاتزان كما تمثل فى أبى منجل ؟ وهل من إدراك بالغيب وسر إقبال الشمس واختفائها أعمق من إدراك القرد ؟ رأى المصريون فى الحيوانين صفات شديدة الصلة بالإله توت فاتخذوهما له رمزين حيين ، ورفعوهما إلى مركز التقديس .

وزال أبو منجل من مصر ، ولكنه لا يزال يقطن السودان وشواطىء إيطاليا الجنوبية ، كما يعيش القرد فى عدة أماكن منها السودان . وعرف رمز الإله فى عهد الفراعنة باسم توت ، فلما أقبل اليونان والرومان رأوا فيهما تشابهاً مع إله المعرفة عندهم فسموه هرمس .

وأطلقوا على بلدة أشمون الغربية اسم هرموبوليس . ولتوت فيها مقابر من السراديب الصخرية قال عنها هيرودوتس إن مساحتها ٤٠ فدانا ضمت جثث آلاف القردة وأبى منجل .

ولعل القارىء سمع عن بلدة الأشمونين أو بلدى أشمون . والغربية منهما تكون من قبور الإله توت ومعابده ومكان الحجاج والشرقية هى مركز الحياة الدينية والإدارية . وقد كشفت حفريات الدكتور سامى جبرة عن المدينة المقدسة فأعطانا معلومات هامة عن فترة من أشد فترات التاريخ المصرى القديم غموضاً وهى ما يسميه الدكتور بعصر الانتقال . إذ يربط بين المدنية المصرية وبين المدنية اليونانية الرومانية . وهناك قطع أثرية جمعت بين الفنين . وقد امتدت إلى ما قبل العصر المسيحى بقليل .

مجهول ينكشف

ويقول الدكتور إن أبحاث الجامعة هناك تشمل فترة تبدأ من القرن السادس قبل الميلاد . وتمتد إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، أى أنها تضم تسعة قرون من الزمن . ولا تخلو آثارها من مفاجآت ، ففى أحد السراديب وجد ناووس للاله توت يخص الملك رمسيس الثانى من عهد الأسرة التاسعة عشرة .

ويرى مؤرخنا أن أهمية منطقة الأشمونين ترجع إلى موقعها الجغرافى والتاريخى . فهى فى مفترق الطرق بين مدينة طيبة قرب الأقصر وبين مدينة ممفيس فى الدلتا . وهى منطقة واسعة الثروة

يتسع فيها وادى النيل فيغطى رقعة واسعة من الأرض هى فى الواقع أوسع منها فى أى بقعة أخرى.

وتتفرع من هذه المنطقة أيضاً طرق قوافل تخترق البقاع إلى السودان وإلى البحر الأحمر. كما يخترقها نهر النيل وبحر يوسف فتجود أرضها بالوفير من الغلات والحاصلات.

وقد بدأت الحفريات فى سنة ١٩٠١ فى ظروف قاسية فلم يكن بالمنطقة ماء، ولا سكان، بل كانت تلالا من الرمال يتراوح ارتفاعها بين ١٢ متراً و ١٥ متراً فلم يكن هناك مفر من المبيت فى خيام أو أكواخ صغيرة، فتحمل الجميع شظف العيش هناك. وعلى مر السنين أقيمت المبانى وتيسر الحصول على الماء والغذاء وأصبحت من أجمل البقاع.

مدينة الحجاج

ومدينة الحجاج تتكون من ثلاثة سراديب طويلة متفرعة اتخذت مدافن للاله توت. شيد إلى جوارها بناء كبير يتكون



(شكل ٣)
داخل السراديب ونرى فتحات دفن طيور وقردة

من عدة غرف لتنظيم دفن جثث الطيور أو القردة. فإن مات واحد منها نقله صاحبه إلى الكهنة ودفع قدراً من المال يقرر تبعاً له مدى إتقان التحنيط ومكان الدفن. فإن كان كبيراً حنط رمز الإله تحنيط الدرجة الأولى ودفن فى فتحات خاصة حفرت فى الصخر على جانبى السراديب. فعرف مكانه وتيسر له زيارته كل عام فى عيد الإله توت فى أول الشهر المعروف باسمه فى التقويم القبطى، ويوافق ١٦ يوليو فى بدء الفيضان.

وإن كان صاحب الرمز فقيراً ودفع قدراً قليلا من المال حنطت الجثة من الدرجة الثالثة، ووضعت فى إناء من الفخار، ثم دفنت فى حجرات واسعة منتشرة على جانبى السراديب صفاً صفاً. فإن اكتمل نظام صف وضعت فوقه طبقة من الرمال لتبدأ طبقة أخرى من الجثث إلى أن تملأ الحجرة فيبدأ الدفن فى غيرها

ودفن الأثرياء مع رموز آلهتهم تماثيل وتمائم تمثلهم لتحل على أشخاصهم بركة الآلهة. وكانوا يضعونها فى صناديق من خشب الجميز الذى أثبت أنه لا يبلى بمر السنين، وأنه أقوى أنواع الخشب متانة واحتمالا بخلاف ما يقول المثل البلدى «تحن على الجميز» وكتب بعضهم على هذه الصناديق أدعية.

معدات تحنيط كاملة

وقرب مدخل السراديب وجدت غرفة تحنيط كاملة المعدات وتبين جميع مراحله، فى أحد أركانها إناء كبير يحتوى على مادة التحنيط نفسها، ولكن تحليلها لم يكشف عن سر تركيبها، فإن انتهت هذه العملية حمل الكهنة المومياء فى موكب دينى وهم يرتلون أدعيتهم ونزلوا السرداب بظهورهم إلى أن يضعوها فى مقرها الأخير

وأحد هذه السراديب خاص بالعظماء، نقش سقفه بالألوان وزين بالرسوم، وتغطيه الآن طبقة خفيفة من «الهباب» لايعرف مصدرها وإن كان يظن أنها أثر حريق شب فى السراديب أو لأن المسيحيين كانوا يلجأون إليه هرباً من اضطهاد الرومان فيتصاعد دخان مسارجهم ويغطى السقف بلونه القاتم

واحتفظ معبد الأرواح المقدسة فى أحد السراديب بنقوشه وآثاره. شيده أحد البطالسة تقربا من المصريين وهو يمثل الإله توت على شكل قرد يستقبل أشعة الشمس. ويلاحظ أن جميع غزاة مصر حاولوا التقرب من المصريين وحكمهم عن طريق الاندماج فى دياناتهم، فقد وجد ناووس قرد للملك داريوس الفارسى. وتحاط مدينة الحج بسور متدرج فى الارتفاع تكون كل ثمانية أعمدة درجة. والثمانية هو درج، والثمانية هو رمز تلك المنطقة وتعبير عن عدد آلهتها الثمانيــة المعترف بهم فى ذلك الوقت. فلا تجد هناك شيئاً يتكون من ست أو سبع بل ثمانية ومضاعفتها وحتى مدخل السراديب أضىء بثمانى مسارج.

فوزى الشتوى

عيد الجلوس والربيع والسلام

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

لواء مُلكك يا مولاى منشور
وعيدك السَّمح ضاحى الوجه مشهور
له على الأرض ضجَّات وجلجلة
وفى السموات تهليل وتكبير
يوم من الخلد قد خُطَّت صحائفه
كأنه فى سجل الخلد مسطور
مع الربيع قد انهلَّت بشائره   وللربيع إذا وافى تباشير
كأنه مُؤْذِنٌ بالخصب فى بلد
ثَراؤه فى كتاب الله مذكور ...
مولاى تلك الأسارير التى انبسطت
ما أشرقت مثلها فينا أسارير
مولاى تلك الأزاهير التى ابتسمت
ما شابهتها على الروض الأزاهير
تبسَّم الزمن المنكود واعتدلت   أموره وتحامتنا الأعاصير
ومرَّ من سيئات الدهر ما غُفِرَت
وكلُّ سوء على الأيام مغفور
وأصبحت مصرُ والأيام مقبلة
والحظُّ فى أمرها جذلانُ مسرور
لما جلست أقال الله عثرتها   وصالحتها على الخير المقادير
مولاى عيدُك هذا العامَ تغمره
بشرى السلام وَيَسْرى فوقه النورُ
كأنه من هُتاف الحقِّ أغنية   أو أنه من نشيد السلم مَزمور
كانَ الطُّغاة لهم تدبيرٌ منتقم   فينا ، ولله يا مولاى تدبير ...
رَمَوا ولله فى أغراضهم هدف
وقدَّروا ، ولحكم الله تقدير ...
شنُّوا على الأرض حرباً غير عاقلة   الجوُّ منها لظى والبحر تنُّورُ
ظنوا الليالى عليهم غيرَ دائرة   مَن اطمأنَّ إلى الأيام مغرور
الأرضُ ضاقت عليهم وهى مُفزِعة
والجوُّ سُدَّ عليهم وَهْوَ مذعور ...
كم آمرٍ بات منهم وهو مُؤتمِر
وآمرٍ بات فيهم وهو مأسور ...
مولاى : فى الشرق نورٌ كم أضاء به
على الدجنات فى التاريخ دَيجور
وللعروبة يا مولاى ألوية
يُنبيك عنها من الرومان « نقفور »
لواؤها فى دروب البرِّ منتصر
وجيشها فى خِضَمِّ البحر منصور
إذا غزت فهى نيران مسعرة   وإن رمت فهى تخريب وتدمير
ماض من العيش قد ولت بشاشته   وما جرت فيه بالسعد المقادير
قد غيَّر الدهرُ يا مولاى سيرته   والدهر فى صرفه حوْلٌ وتغيير
إنا لنرجوك للآمال تجبرها   فكل كسر على كفيك مجبور
عسى الليالى التى ضاعت نضارتها   تعود منها الفيافى وهى يخضور
ما دام فيه قلوبٌ مثلُ قلبكمو   فكل معسوره لا شك ميسور
فكن إلى المجد ركناً فى بنايته   فإنما الملك إصلاح وتعمير
يا قائد الجيش إن السيف ما برحت   له على الأرض آراء وتدبيرُ
كفى الوقوفُ بمجدليس يحفظه   إلا الفوارسُ والأُسْدُ المغاوير
من فاته السيف فى الدنيا فليس له
من ذنبه فى حِفاظ الحقِّ تكفيرُ
لا يحفظ الحقَّ إلا السيفُ منصلتاً
دعوى السلام بتلك الأرض تغرير ...

ذلك الصوت!

للأستاذ ابراهيم العريض

يا ابنة الحسن ! قد عشقتُك صوتاً   يتهادى على جناح الأثير
أنا أصغى إليك فى كِلَّة الليـ   ـل كأنى فى عالم مسحور
ليت شعرى ! أيضحك البدر لى أم   أنا فى وسط حفلة للطيور ؟
لم أكن قبل ذلك الصوت أدرى   أن فى الأرض كل هذا السرور
ما وعتْ من لحونك الأذن لحناً   إنما غبتُ ... غبت بين الزهور
يا طريد الجنان ! عرِّج على الخالـ   ـد ، فما ذاك غير صوت البشير
هو كالروح ... فى ضلوعى منه   خفقةٌ ، بلت أرق شعورى
هو كالورد ... ما نشقت بأنفى   ريحه ، بل لمسته فى ضميرى
هو كالصيف ... ليله مرَّ بالأنجـ   ـم يزهو ، فى قلبى المحرور
هو كالنجم ... ما تصوَّرت إلا   أنه فى السماء بات سميرى
كنت فى ظلمة ، أعيش لذكرى
حسن ، حتى حظيت منه بنور
هو دنيا من الشعور لقلبى   يا لدنيا - فى وحدتى - من شعور



فى مدرج كلية الحقوق بجامعة فؤاد

دفعنى حب الاستطلاع إلى مشاهدة مناقشة رسالة الأستاذ (أنور مصطفى الأهوانى) فى يوم السبت الماضى عن « رئيس الدولة فى النظام الديمقرطى » التى تقدم بها إلى (كلية الحقوق) بالجيزة . ولطالما تاقت نفسى — بعد أن طوفت ماطوفت فى جامعات أوربا وشهدتُ مناقشة رسائل عدة بها — إلى أن أحضر نقاشاً فى جامعة مصرية يكون فيها المحتكِم والمحتكَم إليه من المصريين . ولقد تركت أحسن الأثر فى نفسى تلك الساعات القليلة التى قضيتها فى مدرج كلية الحقوق أستمع إلى الحوار الذى دار بين أعضاء لجنة التحكيم وبين مقدم الرسالة . وراعنى حقاً حرص المحكّمين جميعاً على الفصل بين العلم والسياسة ، وإيثارهم التفرقة بين لغة الكتب ولغة الصحف ، وأن يكون النقاش كله بالعربية الفصحى وإن رأت لائحة الكلية غير ذلك

وكان يسود الجلسة روح من المرح والإفادة ، وكان يغشاها جلال العلم ورهبته لولا ما تخللها من تصفيق استحسان أو قهقهة استملاح . وحبذا لو عمل رؤساء لجان التحكيم على أن يظل للعلم حرمته ولقاعة المباحث ما لايذهب بقدسيتها ويصيرها سرادقاً يضم خطباء ومعجبين .

ولقد أظهرت مناقشة المحكمين للرسالة دراستهم إياها دراسة مستفيضة وإلمامهم بموضوعهم إلماماً تاماً ، ودلت على غزارة مادتهم واطلاعهم على ما كتب الأعاجم ، ولا غرو فمن بحرهم نهلوا أو عليهم تتلمذوا . وعندى أن لو هيئ لهذا الشباب الناهض من الأساتذة ، مجال العمل وإيقاف النفس على العلم وحده دون تطلع إلى مناصب القضاء أو الإدارة لأتى بأطيب الثمرات ، ولأنجبت مصر مئات من عبد الحميد بدوى وأحمد ماهر

وكان غريباً أن يطلب إلى المرشح أن يذكر ملخصاً لأطروحته باللغة الفرنسية ، ولا أكتمك أنى أحسست عند ذاك بخدش فى عزتى القومية ، وتساءلت كيف نكون فى جامعة مصرية ، وبين أساتذة وطلبة مصريين تناقَش رسالة مصرية بلغة أعجمية ؟ ولم يذهب بدهشتى إلا قول جار لى إن لائحة الكلية تجيز ما كان . إلا أنه إذا صح لـِلائحة أن تجيز ذلك أيام أن كنا فقراء فى العلماء ، وكان الأساتذة الأعاجم يشتركون فى مناقشة الرسائل ، أوَ لا يجدر بنا أن نغفل هذا الأمر اليوم بعد أن توفر بيننا العدد الكافى من المحكمين المصريين ؟

ثم أعود فأقول إن من صواب الرأى أن يؤذن للطالب بالحديث والرد وهو جالس لا أن يترك أكثر من ساعة واقفاً كالخطيب يستند على إحدى قدميه تارة وعلى الثانية أخرى . إن المرشح يكون فى حال نفسية تتطلب أن توفر له أسباب الراحة ، ولن يكون هذا بتركه يلقى ملخص رسالته وهو واقف والكرسى بجانبه . ولعل إدارة الكلية تفكر فى أن تضع ثلاثة مصابيح ثابتة على منصة المحكمين أمام كل عضو مصباح حتى لايتكرر ما تكرر فى الجلسة التى نكتب عنها مما ذهب ببعض جلالها .

وبعد ، فلقد كان الدكتور سيد صبرى بارعاً فى محاجته للطالب وإن ظهرت عليه روح التحامل حيناً وروح الخطابة أحياناً . وكان بارعاً كذلك فى دفاعه عن نفسه وتنصله من أنه « يميل إلى الحلول الوسطى » أو « أن بعض العبارات فى كتبه غامضة » وكانت روح الدعابة التى مزج بها نقده تخفف على المتحَن بعض ما لقى منه .

أما الدكتور وحيد رأفت فكان حواره حوار العالم الذى لا يرى من وراء مناقشته إلا إلى الوصول إلى الحقيقة وإرشاد المخطئ إلى مواضع خطئه . وكان التزام سبيل المنطق فى الإقناع أكبرعون له على بلوغ غايته ؛ وألبست نبرات صوته المتزنة الهادئة الجلسة جلالا فوق جلالها ؛ فكان الكل آذاناً صاغية له .

وكان صديق الدكتور عثمان خليل مثلا للشباب الحى . ولقد

برهنت مسايرته الطالب فى المناقشة متتبعاً الرسالة صفحة صفحة على أنه « قتلها بحثاً » ولو كنت ذا إمرة لأذنت لعضو اليسار بأن يكون البادئ فى المناقشة ؛ فهو عادة أحدث المحكمين سناً ، وأن سَبْقه بغيره مما يفوت عليه كثيراً من نقده .

ولو أن الدكتور عثمان التزم اللغة العربية الفصحى فى مناقشته لكان لحواره شأن آخر . وليت شعرى لماذا كانت تبدو عليه أمارات الغضب والتألم وهو يعد المآخذ على الرسالة ؟ إن كان المصنف قد أسرف فى الاقتباس إسرافاً حوّل الرسالة إلى « ملخص » مدرسى ، فكيف أذنت له الكلية فى طبعها ؟ كيف أذنت فى أن يحمل اسمها كتاب ليس لواضعه فيه إلا الجمع والترقيع ؟

عبد العزيز برهام

إلى الدكتور جواد علي

قلت فى السطر الرابع من العمود الثانى من مقالك القيم « أبو سعيد أبو الخير وشطحات المتصوفة » فى عدد الرسالة السابق ٦١٨ ص ٤٧٣ : « وأبو سعيد ... ... كان على رأى أكثر المتصوفة الفرس فى مذهب الحلول ووحدة الوجود بل كان من متطرفى أصحاب هذا المذهب فى هذه العقيدة » .

وأقول إن ثمة فرقاً كبيراً بين مذهب الحلول ووحدة الوجود حتى إنه لا يحق لنا أن نجمع بينهما ونقول إن أبا سعيد كان من أتباعهما معاً . إن المذهب الاول اثنينى dualiatic يقول بطبيعتين مختلفتين : إلهية وبشرية ، يمكن للأولى أن تحل فى الثانية إن تحققت شروط معينة . ويتضح هذا المذهب خير ما يتضح عند الحلاج الذى قد تأثر ولا شك بفكرة المسيحيين عن اللاهوت والناسوت .

أما المذهب الثانى فمذهب واحدى monistic يقول بحقيقة واحدة كلية لها تعينات هى الحقائق الجزئية على اختلافها . الكل هو التعينات والتعينات هى الكل وهذه وتلك هى الله . ويتضح هذا المذهب خير ما يتضح عند ابن عربى .

هذا الخلط بين مذهب الحلول ومذهب وحدة الوجود قد وقع فيه من قبل الدكتور زكى مبارك مع أنه قد ميز بينهما فى هامش من هوامش كتابه التصوف الإسلامى .

وإذا كان الأمر كذلك فإنى أسأل الدكتور أن يجيبنا : من أتباع أى المذهبين كان أبو سعيد » ولكم الشكر .

حسن على الحلوة

إلى الأستاذ محمد يوسف موسى

قدم الأستاذ محمد يوسف موسى كتابه « ابن رشد الفيلسوف » إلى الأستاذ أحمد عاصم بك المدير العام لدار الكتب المصرية فأرسل إليه هذا الكتاب .

شكرتك من قبل على هديتك العلمية القيّمة ، كتابك عن « ابن رشد الفيلسوف » ، والآن وقد قرأته أكثر من مرة ، أرى من حق هذا السفر الممتع أن أبعث إليك بكلمة تعبر عن مدى تأثيره فى نفسى .

لقد كنت إلى عهد غير بعيد أشعر بشىء من الضجر كلما وقع فى يدى كتاب فى الفلسفة أو عن الفلاسفة ، وكنت ألمس مثل ذلك الشعور فى إخوانى الذين لا أشك فى مقدرتهم العلمية ، وكان هذا الملل يتطور أحيانا إلى درجة « النفور » من الفلسفة . حتى حملنى ذلك على تلمس السبب فى هذا الشعور المشترك بينى وبين من أعرفهم من صفوة المثقفين المفكرين ، فلم أجد لذلك سبباً إلا ما يتوخاه بعض من يكتبون فى الفلسفة من طرق معقدة كثيرة الغموض والدوران ، توحى أحياناً بأن المؤلف نفسه لا يملك ناصية مادته ، ولا يستطيع صوغها فى القالب السهل الواضح الذى يجتذب القارىء الحيرة ، ويشبع أطماعه ويحبّب إليه ما يقرأ .

ولكنى قد لمست الآن ولله الحمد تطوراً عظيما فى أسلوب الكتابة فى الفلسفة ، يبشر بعصر مزدهر فى حياة هذه المادة ، فهى لا يعوزها غير إقبال القراء عليها ، والمؤلفون وحدهم هم الذين يملكون هذا التيسير . فإن قلت لك إن كتابك حملنى على قراءته عدة مرات ، علمت بعد هذه التوطئة التى سقتها مبلغ تأثيره فى نفسى ، ومدى إعجابى به وبأسلوبه .

وإنى لأرجو مخلصاً أن ينسج الكتّاب على منواله ، كما أننى شديد التفاؤل ما دامت قد قامت الآن نهضة فلسفية يحمل علمها جلّة من العلماء المعاصرين ، وفى زمرتهم الأستاذ صاحب « ابن رشد الفيلسوف » . ولا شك فى أن للأزهر وأبنائه فضلهم العظيم فى إحياء هذه النهضة التى ترمى إلى تيسير فهم الفلسفة على غير الفلاسفة ، وإثبات أن الدين والعقل متلازمان لا تنافر بينهما ، فينصف بذلك أمثال ابن رشد والفارابى وابن سينا وغيرهم على يد الأزهر وفلاسفة الأزهر . لهذا غمرتنى موجة من الغبطة حينما رأيتك وقد وفيت موضوعك حقه ، وأعطيت ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، ويسعدنى ما أشعر به من أن السواد الأعظم من الناس ستطمئن نفوسهم إلى الفلسفة وهم يرون الأزهر يحمل شعلتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

٢٠ – ٥ – ١٩٤٥ **أحمد عاصم**

نقل مبتور عن ابن تيمية

نشر الدكتور جواد على تعليقاً على ما كتبه معالى مصطفى عبد الرازق باشا عن الفيلسوف أبى سعيد أبى الخير ، وقد عرض الدكتور فى نهاية كلامه للامام ابن تيمية ، إذ نقل كلاماً مبتوراً من رسالته الأولى ، ونسبه على هذا البتر إلى ذلك الشيخ الجليل فكانت فيه وقفة للقارىء . وإليك ما كتب الدكتور، واستشهد عليه بالنقل المبتور :

« ومتى خصص الإنسان كل قواه وحصر كل حواسه فى الوجود الحقيقى ، بحيث اتصل به اتصالا كلياً أدرك عندئذ — عين اليقين — ومتى وصل الإنسان إلى هذه الدرجة من المعرفة اتصل اتصالا مباشراً بالمعرفة ... فلا حاجة إلى نبوة أو وسيط ، لأنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسل »

وقد نسب الدكتور هذا التعليل المحجوز بين حاجزين إلى الإمام ابن تيمية ، دون أن يبين لنا : أهو يحكى هذه الفقرات عن غيره ، أم هو يقرر فكرة يراها ويستشهد لها ؟ والقارئ لما نقل عن ابن تيمية على هذا الوجه يفهم فهماً أولياً أن ابن تيمية ممن يرون الاستغناء عن النبوة لمن يسمون أنفسهم « متصلين » مع أن هذا الإمام رجل يقظ لم يتخبط فى دينه على هذا النحو ، وقد ذكر هذه الفقرة فى كلام طويل ينكر فيه تلك الفكرة ، ويشنع على القائلين بها ، ويجرح فهمهم وتعليلهم الذى استشهد به الدكتور على صحتها . ويبتره ابن تيمية فى كلامه الطويل أصحاب الرسول (ص) وأتباعه عن القول بمثل هذا التحريف ، فإيراد هذه الجملة مبتورة عما يتصل بها ليس من أمانة النقل ، ولا من الإنصاف فى عرض المسائل الخلافية ، فضلا عما فيه من إثارة الحفيظة الدينية نحو ابن تيمية ، وتصويره للناس فى صورة جماعة هو من خصومهم . وليرجع من شاء إلى صفحة ٢٠ من الرسالة الأولى لابن تيمية ، ليعلم الفرق بين الأصل والنقل وكنى

عبد اللطيف السبكي

المدرس فى كلية الشريعة

الكتب

مجمع الأحياء

كتاب للعقاد تعيد قراءته الآن

كان فرحي بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيماً ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، اشتهيتها منذ بضعة عشر عاماً . وظهوره في طبعته الثالثة يسد نقصاً في المكتبة المصرية ، لأن طبعتيه الأوليين نفدتا ولم نستطع الحصول عليه لندرة وجوده ، فلما ظهرت هذه الطبعة تلقيتها فرحاً فما هو هذا الكتاب ؟

إن مقدمات العقاد لكتبه هي غالباً مفاتيح لشخصيته العظيمة المتعددة النواحي في تلك الكتب العديدة ، وهي شروح للظروف التي أوحت بها ، وللمؤثرات التي أحاطت به فكتبها ، فلنرجع إلى تصدير الطبعة الثالثة حيث يقول : « هذه الرسالة وليدة الحرب العالمية الماضية ... شغلني موضوعها يومئذ ، لأنه موضوع الصراع في الحياة الإنسانية ، بل في الحياة عامة ، وأحببت أن أعرف لهذا الصراع معنى يطمئن إليه الضمير ، فانتهيت بالرسالة إلى معنى فيه بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، وهو أن الحق والنواميس الطبيعية يتلاقيان »

ويقول فيها أيضاً : « وها هي ذي الطبعة الثالثة لمجمع الأحياء تصدر والدنيا مشغولة بحرب عالمية أخرى هي أشد هولا وأوسع مدى وأقوى اختلافاً على المبادئ والآراء من الحرب التي نشبت قبل ثلاثين سنة ، فإذا كان هناك خاطر يرد على الذهن في تصدير هذه الطبعة — خلال هذه الحرب القائمة — فذلك الخاطر مما يزكي موضوع الرسالة ويؤيد نتيجتها ، أو يسير بنا في وجهتها ، وهي أن الصراع الأكبر الذي نشهده اليوم سينتهي أيضاً إلى عاقبة فيها بعض الاطمئنان أو كل الاطمئنان ، لأنها تناقض القوة العمياء : قوة الحديد والنار ، وتشايع القوة البصيرة : قوة العدل والحرية » .

والعقاد يبسط في مقدمة الطبعة الثانية آراء عميقة : منها أن الخير والشر في هذه الدنيا لا ينفصلان ، وأن أشرف ما يعرفه الناس من الحق غيرتهم على ما يعتقدون أنه الحق ، ولكن الحق الذي نعرفه غير الحق الذي تتوخاه حركات الكون ، والسعادة المطلقة لفرد واحد معناها إبادة مطلقة للنوع ، وكثيرون من الخلق يشكون من تفاوت الأعمار والحظوظ ، فإذا تساوى الناس في كل شيء ، فأي دنيا تكون هذه وأي حياة ؟ ولو أن هؤلاء الشاكين صار إليهم أمر الكون لحاروا في تسييره فهدموه ، لأنهم لا يعرفون كيف يوفقون بين أجزائه المتفاوتة المختلفة ، لأنهم ناقصون ، ويحسبون أن الكون فوضى لأن جميع أجزائه غير كاملة ... فإذا أردنا حياة سعيدة أقرب إلى الكمال فلنفهمها بلغتها ، ولا نحاول التعبير عنها بلغتنا ، فقد صورت حقائقها مرة واحدة في كتاب نحن حروفه وكلماته وأرقامه ، فنحن إذن النتيجة لا المسألة ... والحروب دائماً تزلزل العقائد وتطفر بالناس والأخلاق ، ومقاييسها طفرات أخرى غير المألوفة ، فتشكك قوماً وتجذب إلى الدين آخرين ... ولكنه يعتقد أن الغيرة على الحق هي روح الإنسانية ، أو هي مظهر أنانيتها وحب البقاء فيها ، فإذا أريدت حياة سعيدة ، فليسمع الناس صوت الطبيعة على سجيته قبل أن يضطروا إلى سماعه زجرة ووعيداً ، وليسمعه كل إنسان على شاكلته : الشرير فيتمادى في شره ، والأمة فتقضى على هذا الشرير ... وتسمعه الإنسانية فتنحى على الأمة التي تفرط في حقوق الحياة ، أو تمسخ عناصرها الباقية في الأمم إيثاراً لمنافعها المحدودة « وما دام هذا الصوت مسموع النداء ، فالعالم الإنساني ممدود البقاء »

وقد شرح العقاد هذه الآراء شرحاً جميلا في رسالته ، على ألسنة الحيوان والإنسان ، فهو يتخيل الغاب ، وقد وجد إنسان نفسه في هذا الغاب ، ورأى هناك امرأة جميلة جليلة ولكنها ضريرة . هي الحياة ، أم المخلوقات . وقد دعتهم إليها لتلقي إليهم

بنبأ خطير ، فأسرعوا من كل حدب وصوب يستمعون إليه ، وكل يراها فى الهيئة التى يصورها له وهمه وخياله . .

وألقت عليهم كلامها فإذا هى تعاتب المخلوقات كلها على ما شجر بينها من خلاف وبغضاء وفتنة ... يطغى الأبيض على الأسود والأصفر على الأبيض وهذا على ذاك . وهى تدعوهم إلى الوئام فيما بينهم على اختلاف المذاهب والألوان ، ثم تشير على اليمامة — رمز السلام — لتحدثهم عن علم الإنسان وتواريخه وأديانه ، ليكون لهم منها عظة وعبرة وزاجر . فيؤمنون جميعا على كلامها ، وكلهم ظاهر الرضى والاقتناع !

ووقفت اليمامة تتكلم ، فذكرت حقائق من التاريخ الملموس المتكرر كل يوم ، بدأتها بالآية الكريمة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض » . وشرحتها بالشواهد الملموسة ، وطالبت بالعدل والرحمة وبالإخاء بين القوى والضعيف !

وحينئذ وقف الثعلب قائلا : وعظتكم اليمامة وأوصتكم بالضعفاء وقالت لكم إن الله بارك فى مخلوقاته الضعيفة ليحرم عليكم قتلها ... ثم يعارض الثعلب اليمامة فى كل ما قالت ويتملق القوة والأقوياء فيفوز أثناء كلامه (بتصفيق من جانب الأسد !) — أقوى الحيوان — وهو يتكلم كلاما منطقيا عن العرف والقوانين ، فالسارق إذا سطا على بيت فضحوه ، والقاتل إذا سلب أمة أو أعمل فيها قتلا عظموه !

وينتهى الثعلب ، ويضج الآخرون بين معارض ومؤيد ، ثم يقوم القرد — وهو يمثل الطموح أو الطماع ... ولكنه المتدين ذو الضمير الحى المتمسك بالعدل والحقوق والقوانين والوحدة . فإن فى تماسك الضعفاء قوة ضد القوى الظالم الجبار . والديمقراطية الصحيحة السليمة جديرة بخلق شعوب نابغة صحيحة . أما الأرستقراطية المتعالية المتألهة فمآلها ومآل حثالة شعبها جميعا إلى الخسارة والفناء أو للمصير الذى هو أسوأ من الفناء . هو حياة كحياة السائمة المتهالكة !

ويا لها من مفارقة عجيبة ! يدافع القرد عن الديمقراطية الصحيحة والأخاء والضمير ، ويحمل على مبدأ القوة الغاشمة . فيغضب النمر فيكاد يضربه فيتعلق القرد بأطراف الشجرة ، ثم يقف الأسد فيهابه النمر فيخرس فالقرد الفيلسوف لم يستطع دفاعا عن نفسه ، والأسد الشرس الأغلم أرهب النمر ، ولا فصاحة ولا بلاغة ولا فلسفة !

فأخلاق الأسد هى أخلاق بنى الإنسان الجهلة الأقوياء . القوة الظالمة الغاشمة ولا شىء غيرها !

ثم تكلمت المرأة . وكان كلامها طبيعياً ، تلك الثرثرة الأبدية الخالدة عن حقوقها التى اغتصبها منها الرجل ، وعن نبوغها فى أشياء وتقصيرها فى الأخرى ، ولكن الذنب ذنب الرجل ، وكأنها إن أصابت فمن وحى عبقريتها . وإن أخطأت فمن ظلم الرجل وتجنيه عليها !

وها هو الرجل يعقب عليها فيقول إنه كان يحذر كل الحذر من يوم تصل المرأة فيه إلى نصيب ولو قليل من الحرية لأنها شديدة الطيش والغرور ، ولا تنال القليل حتى تطمع فى الكثير ، ولو أنها حرمت كل شىء لما طمعت فى شىء ما ، وهى تخلط كل شىء بسفسافها وألاعيبها .

ثم ينكر عليها الحرية المطلقة التى تطلبها ، وهى تطلبها لأنها نوع جديد من الزينة ، وهى لا تفهم لها مرمى ...

وهذا كلام حق !

فالرأى الذى ينادى به العقاد هنا — منذ ثلاثين عاماً — يرجع العالم إليه فيندد بتلك الحرية التى منحها للمرأة فأساءتها . وقد خرجت كتب كثيرة هذه الأيام فى المناداة بهذا الرأى ...

ثم يقول الرجل : « أى مساواة للرجل تدعيها المرأة وهى إلى اليوم لا تجاريه فى صناعة الطهى لو شاركها فيه ؟ »

فالمرأة لا تجيده وهى التى قضت الدهور والأجيال فى تعلمه ، لأنه صناعتها الأولى . فهل ملته ؟ وإذا كانت ملت هذه الوظيفة الطبيعية التى خلقت لها والتى أهلتها لها الطبيعة — كما أهلتها لوظائف الأمومة التى سلحتها لها بكل سلاح من تركيب الجسم ومن درجة الجمال — فما بالك بوظائف الرجل تزاحمه فيها ؟

حسين غنام

كل هؤلاء ...

من مصر : أحمد أمين بك ، عبد العزيز أحمد ، على محمود طه ، عبد الوهاب عزام ، بشر فارس ، محمود تيمور بك .

من فلسطين : قدرى حافظ طوقان ، اسحق موسى الحسينى ، الأب مرمرجى ، عيسى العيسى .

من العراق : طه الراوى ، رفائيل بطى ، رزوق فرج رزوق

من سورية : خليـل مردم بك ، عفيفه صعب ، وداد سكاكينى ، عبد الغنى العطرى ، أنور العطار ، صلاح الدين المنجد ، محمد يحيى الهاشمى .

من المهاجر : عبد الله برى ، حسن صعب .

من المستشرقين : لويس ماسينيون .

من لبنان : خليل تقى الدين ، يوسف غصوب ، نقولا فياض ، رشاد المغربى ، مصطفى فروخ ، جبور عبد النور ، صبحى المحمصانى . عبد اللطيف شرارة ، السيدة املى فارس ابراهيم ، سليم حيـدر ، حبيب ثابت ، نور الدين بيهم ، إلياس خليل زخريا ، عبد الله العلايلى ، واصف البارودى .

... يجتمعون على صفحات العدد الممتاز من « الأديب » الذى يصدر فى هذا الأسبوع .

إدارة البلديات . مطافىء

تطرح بلدية أسيوط بالمزايدة العامة بيع وابور بخارى وسيارتى رش وشاسيه سيارة نقل وأصناف أخرى مستهلكة وتقبل العطاءات بالبلدية المذكورة لغاية ظهر ٣٠ / ٥ / ١٩٤٥ وتطلب الشروط منها مجاناً ٣٤٥١

سكك حديد الحكومة المصرية – مواعيد فصل الصيف

يتشرف المـــدير العام بأن يلفت نظر الجمهور إلى التعديلات التي أدخلت على بعض قطارات الإكسبريس والركاب والتى نفذت ابتداء من أول مايو ســـنة ١٩٤٥ كالمبين بالجداول المعروضة بالمحطات ودفتر الجيب الذى يباع بها

وفيما يلى أهم التعديلات :

١ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٥ التى تغادر القاهرة فى الساعة ٣٠ ٢٠ إلى الاسكندرية بقطار عادى مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل .

٢ — تستبدل العربة الديزل الإكسبريس رقم ٢٦ بقطار عادى مؤلفاً من عربات درجة أولى وثانية وصالون بولمان وعربة أكل ، يغادر الإسكندرية فى الساعة ٤٥ ١٩ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢٥ ٢٣

٣ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٨ الذى يغادر القاهرة فى الساعة ٠٠ ٢٠ إلى الشلال ، ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط ويسير بصفة إكسبريس بين الأقصر والشلال فى الساعة ٤٠ ١١

٤ — ينقل قطار الإكسبريس رقم ٨٩ ركاب الدرجتين الأولى والثانية فقط . ويغادر الشلال فى الساعة ٥٠ ١٦ ويسير بصفة إكسبريس إلى الأقصر والقاهرة فيصل إلى القاهرة فى الساعة ٤٥ ٨

٥ — يغادر قطار الإكسبريس رقم ١٦٤ القاهرة فى الساعة ٠٠ ١٦ وينقل ركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة ويمتد مسيرة بين سوهاج والشلال ويقف بجميع المحطات بين الأقصر والشلال فيصل إلى الشلال فى الساعة ٣٥ ١٠ ويعود منها برقم ١٦٣ بركاب الدرجات الأولى والثانية والثالثة فى الساعة ١٥ ١٧ إلى سوهاج والقاهرة فيصل القاهرة فى الساعة ٢٠ ١١

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين



العدد ٦٢٠ - الاثنين ٢١ مايو ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة الواسطى الأهليه

اعلان بيع نفره أولى فى القضية المدنيه رقم ١١٣٤ سنة ٩٤٠

انه فى يوم السبت ٩ يونيه سنة ٩٤٥ الساعه ٨ — ٣٠ أفرنكى صباحا بحجرة المزايدات بسراى المحكمه .

سيصير الشروع فى بيع العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى الشيخ محمود عتيق خليفه والشيخ سيد عفيفي خليفه المقيمان بكفر ابجيج مركز الواسطى .

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر بجلسة ١٦ فبراير سنة ٩٤٢ من هذه المحكمة ومسجل بقلم كتاب محكمة بنى سويف الكلية الأهليه فى ١٨ — ٢ سنة ٩٤٢ — ٢٧٤ سنة ٩٤٢ وفاء لمبلغ ٧١٩ مليم ، ٢٣٠ جنيه بخلاف ما يستجد من المصاريف وبثمن أساسى قدره ٤٠ جنيه والمصاريف .

وهذا البيع بناء على طلب عبد ربه شيمى شحات الذى توفى أثناء سير الدعوى وحل محله ورثاه وهم أم خزيم بنت خلف عن نفسها وبصفتها وصية على القاصر فراج عبدربه شيمى ثم امين وعلى وشيمى وسيده أولاد المرحوم عبد ربه شيمى ببولاق مصر ومحلهم المختار بالوسطى مكتب حضرة الأستاذ محمد افندى منه مرسى المحامى .

بيان العقار

١٨ س ١٧ ط بزمام قمن العروس مركز الواسطى مديرية بنى سويف بحوض القصالى — ٩ قطعه — ٦٧ شيوعا فى ١٦ س ٩ ط ٢ فدان البحرى القطعه — ٦٣ بحوضه باسم الشيخ عبد المجيد خيرالله وآخر والشرقى القطعه — ٦٢ ، — ٦٨ بحوضه باسم محمد عبد المجيد خيرالله وآخر والقبلى القطعه — ١١٢ بحوضه باسم على عوض مصطفى وآخرين والغربى فرع ن ٢ من ترعة قمن عموميه بجسرها ثالثا وبيانه ٨ س ٦ ط من اسم محمود عفيفى خليفه ١٠ س ١١ ط من اسم سيد عفيفى خليفه ١٨ س ٧ ط

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة فى الزمان والمكان المحددين اعلاه ومن يرسى عليه العطاء يدفع الثمن فوراً وان تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق . كاتب البيوع

ادارة البلديات العامة

تنظيم

يطرح مجلس الزقازيق البلدى فى المناقصة العامة توريد ٦٥٠ أردبا من الشعير و ٣٠٠ حملا من التبن الأبيض وقد تحدد ظهر يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٤٥ لفتح العطاءات بديوان البلدية ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها .

٣٤٩٥

محكمة تلا الأهلية

اعلان بيع فى القضية ٥٠٩ سنة ١٩٤٣

فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٤٥ الساعه ٨ أفرنكى صباحا بسراى المحكمة

سيباع بالمزاد الجبرى الأطيان الموضحة بعد المملوكة إلى كل من عبد الدايم ومحمود ولدى محمد عبدالله أبو غريبة من كفر بتبس مركز تلا وفاء لمبلغ ٧٢٠ مليم ، ٧ جنيه بخلاف ما يستجد من المصاريف وهذا بيان الأطيان .

١٦ س ٢ ط بزمام كفر بتبس بحوض قورفياله — ٦ قطعة — ١٥ حدها البحرى طريق خصوصى فاصل حوض والشرقى الحاج احمد ابراهيم عبد الغفار والغربى مرسى عبد الله أبو غريبة والقبلى الحاج احمد ابراهيم عبد الغفار

وهذا البيع بطلب محمد مصطفى أبو جريدة ترزى عربى بمصر بشارع النزهة ن ٥٤ قسم الوايلى ومحله المختار بشبين الكوم مكتب حضرة الأستاذ رمسيس أفندى مرقس منصور المحامى نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بجلسة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٥ والمسجل بمحكمة شبين الكوم الكلية الأهلية فى ٤ مارس سنة ١٩٤٥ بنمرة ٨٨ وسيبتدئ المزاد على أساس قدره ١٠٠٠ الف قرش فمن يريد الشراء عليه أن يحضر للمزايدة .

13 me Année No. 620

Lundi - 21 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٠ «القاهرة فى يوم الإثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٣١ مايو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

وزراؤنا والأدب

من القضايا التى صدقت فى الماضى والحاضر ، وفى الشرق والغرب ، أن الأدب والفن لا يزدهران وينتشران إلا فى ظلال ملك أو وزير أو أمير .

وصدق هذه القضية جاءها من أن الأدب العالىَ والفن الرفيع لم يكونا من مطالب العامة فى أى عهد ؛ إنما يطلبهما عشاق المجد والحمد ممن بلغوا الغاية القصوى من بسطة الحياة وسطوة الملك فتشوفت نفوسهم وامتدت عيونهم إلى أبعد من ذلك . يطلبهما الملوك وأشباههم من أولى الصدارة والإمارة لأنهما العطر الباقى فى يد ابن آدم من الجنة ؛ فمن لم يطلبهما لمتعة النفس وسعادة الروح ، طلبهما لزينة الملك وجمال الأحدوثة . فالأدب والفن بمعناهما الأعلى أرستقراطيان لا يرفعهما إلا الرفيع ، ولا يقدُرهما إلا القادر. فإذا نزلا إلى الشعب ابتُذلا فلا ينفعانه ولا يرفعانه . إنما الأدب والفن معنيان من معانى السماء يحملك النزوع إليهما على أن تطمح ببصرك إلى الفوق ؛ ويدفعك الطمع فيهما إلى أن تطوح بنفسك إلى الأمام . ومن هنا كان الرجل إذا سمت ملكاته بالعلم أو بالملك ، ورقت مشاعره بالتربية أو بالمدنية ، وجد نفسه فى أفق الفن محوطاً بجماله ، مغموراً بجلاله . فإذا كان صاحب السلطان من ذوى القرائح الفنانة كان جدواه على الأدب من جهتين : جهة الإقتداء به فى الإقبال عليه ، وجهة المكافأة منه على الإحسان فيه . والناس منذ كانوا على دين الملوك وهوى القادة . قال أسامة بن معقل : «كان السفاح راغباً فى الخطب والرسائل يصطنع أهلها ويثيبهم عليها ، فحفظتُ ألف رسالة وألف خطبة طلباً للحظوة عنده فنلتها . وكان المنصور بعده معنياً بالأسمار والأخبار وأيام العرب يدنى أهلها ويجزيهم عليها ، فلم يبق شىء من الأسمار والأخبار إلا حفظته طلباً للقربة منه فظفرت بها . وكان موسى مغرماً بالشعر يستخلص أهله ، فما تركت بيتاً نادراً، ولاشعراً فاخراً، ولا نسيباً سائراً ، إلا حفظته ؛ وأعاننى على ذلك طلب الهمة فى علو الحال . ولم أر شيئاً أدعى إلى تعلم الآداب من رغبة الملوك فى أهلها وصلاتهم عليها . ثم زهد هرون فى هذه الأربعة فأنسيتها حتى كأنى لم أحفظ منها شيئاً» . وكل أديب أو فنان أو عالم هو فى ذلك أسامة بن معقل . وما النهضات الأدبية والعلمية فى الأمم إلا وثبات للمجد الروحى فى نفوس بعض الملوك . وفى تاريخنا الأدبى نستطيع أن نؤرخ النهضات فيه بتاريخ معاوية وعبد الملك فى دمشق ، والرشيد وابنه المأمون فى بغداد ، وعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم فى قرطبة ، والعزيز بالله وابنه الحاكم فى القاهرة . وإن فى قصور بنى بويه فى الرصافة ، وبنى حمدان فى حلب ، وبنى عبّاد فى إشبيلية ، لمنازل للوحى تنبأ بالقريض فيها من تنبأ ، وبعث برسالة العلم منها من أُرسل . وإنك لتذكر الوزراء الأدباء من أمثال ابن العميد ، والصاحب بن عباد ،

ويعقوب بن كلس ، ولسان الدين بن الخطيب ، والقاضي الفاضل ، فتذكر مجالس بالأدب ناضرة ، ومغانيَ بالعلم عامرة ، ومجالس كانوا فيها شموساً تدور من حولها توابعها تستمد الحرارة وتمد ، وتقتبس النور وتقبس .

وكان للمجالس الأدبية والعلمية في عصرنا الذهبي نفحات من الإلهام أيقظت رواقد العبقرية في ألوف من الأذهان الخصبة والقرائح الموهوبة فازداد بهم الأدب والعلم ازدهاراً وابتكاراً وكثرة .

كان للرشيد مجلس للأدب بلغ لألاؤه أطراف الإمبراطورية الإسلامية فعشا على ضوئه صاغة القريض ورواته حتى ضاقت عليهم بغداد بما رحُبت ، فاضطر يحيى بن خالد إلى امتحانهم في الشعر وترتيبهم في الجوائز ، ليخفف من زحمة الأدباء عن عاصمة الدنيا في ذلك الحين ، وقد عهد بذلك الامتحان إلى شاعره أبان اللاحقي فقام به

وكان للمأمون مجلس للعلم يعقده في دار الخلافة أيام الثلاثاوات من كل شهر ؛ فإذا أقبل الحكماء والفقهاء مدت الموائد وقيل لهم : « أصيبوا من الطعام والشراب ثم جددوا الوضوء . ومن كان خُفه ضيقاً فلينزعه ، ومن كانت قلنسوته ثقيلة فليضعها . فإذا فرغوا أُتوا بالمجامر فتبخروا ، ثم خرجوا فدخلوا على المأمون فيدنيهم منه خير إدناء ، ويناظرهم أحسن مناظرة ، حتى تزول الشمس فتنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون .

وكان للصاحب بن عباد مجلس للشعر لا يغشاه إلا من حفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، ومع ذلك الشرط القاسي كان يجتمع على سماطه كل يوم ألف من رجالات الأدب والعلم والكلام . وبنى داراً فاجتمع له من قصائد التهنئة عليها ديوان شعر ضخم . ونفق برذون لأديب من أدباء مجلسه فرثاه شعراء الحضرة بخمسين قصيدة. وقد ذكرتُ بذلك (مكسوبني) حصان الدكتور محجوب ثابت ، فإنه حين نفق من الهزال لم يظفر من شعراء مصر على كثرة ما ركبوه بالمزاح والهزل إلا بقصيدة واحدة لشوقي .

وكان للمعتضد عباد دار خاصة للشعراء ينزلونها على الرحب والسعة ؛ فإذا جاء يوم الشعر وهو يوم الإثنين من كل أسبوع دخلوا عليه فلا يقابل غيرهم ولا يسمع إلا شعرهم . ولقد بلغ من عنايته بهم ورعايته لأدبهم أن جعل لهم رئيساً يرجعون إليه ، ونظاماً يرتّبون عليه ، وسجلا يُحصون فيه .

ولو ذهبت أستقصي مجالس الأدب والعلم في عواصم العراق والشام ومصر والأندلس لاسترخى في يدي عنان القلم ، وتشتت في ذهني سياق الموضوع .

***

تواردت على خاطري هذه المآثر العربية التاريخية وأنا أنعم لأول مرة بالحديث إلى صاحب المعالي إبراهيم دسوقي أباظه باشا وزير المواصلات ؛ وكنت قبل هذا اللقاء الأول قد عرفته بالسماع ، والسماع بِسَريّ خُلقه وسمو أدبه مستفيض ، فلم يجر ذكره على لسان أديب إلا روى عن مجالسه، ونوه بمواهبه ، وحدّث عن أياديه . وكنت أعلم أنه استن لنفسه سنة وزراء بني بويه ، فاتخذ له بطانة من صفوة الشعراء الشباب يأنس إليهم في داره ، ويُسْبل عليهم بجاهه ، ويستعين بهم في عمله ، ويجزل لهم من فضله . وهم يعلمون أن الأدب وحده هو الذي أحظاهم عنده ، فلا يفتأون يتنافسون في تحصيله ويتفاضلون في تجويده . فلولا أن لهذا الوزير الشاعر طبعاً أصيلا في الأدب استفاده من مناشئ فطرته وتقاليد أسرته ، لما انبثق في حياته العاملة ذلك النور السماوي الذي استحال أدبا في نفسه يتخلقه ويعمل به ، وأدبا على لسانه يقوله ويفتنّ فيه ، وأدبا على سمعه يعيه ويشجع عليه

وللقطب ابراهيم الدسوقي باشا نظراء في الوزراء لم يجُد الدهر بأمثالهم على دولة من دول العرب في وقت واحد منذ دالت الهاشمية في العراق ، والأموية في الأندلس ؛ نذكر منهم الباشوات أصحاب المعالي : لطفي السيد ، ومحمد حسين هيكل ، ومصطفى عبد الرازق ، ونجيب الهلالي ، ومكرم عبيد ، وطه السباعي ، وحفني محمود . ولكل وزير من هؤلاء الوزراء الأدباء طُفاوة من ناشئة الأدب ومنشئيه ، تتسع أو تضيق على حسب ما يبذل لها من نفسه ، ويفيض عليها من نشاطه . وهم عسيّون إذا هم استجابوا لملكة الأدب فيهم ، وواجب العربية والعروبة عليهم، أن ينفخوا من رُوحهم ورَوْحهم في جذوة هذه النهضة الأدبية حتى تستعر وتنتشر فتصهر بقوتها الجامد ، وتنعش بحرارتها الخامد ، وتنير بأشعتها الطريق .

احمد حسن الزيات

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي

— ٢ —

* فى ج ٥ ص ٢٣ أما إنى لا أرضى من كرمه العَدَّ ، أن تُجرَّ أولياؤه على شوك الردَّ

قلت : القول من رسالة لأحمدبن محمد الصخرى . وقد ضبطت (العد) بفتح العين والدال ، وإنما هى (العد) بكسر العين وبكسر الدال صفة لكرمه . والعِد فى الأصل « الماء الجارى الدائم الذى له مادة لا تنقطع كماء العين » ، كما فى التاج . والعد الكثرة فى الشىء ، والعد القديم من الركايا . وفى الأساس : ومن المستعار : حسب عِد ، قال الحطيئة :

أتت آل شماس بن لأى وإنما أتاهم بها الأحلام والحسب العد

* فى ج ١٢ ص ٢٢٦

تصدر للتدريس كل مهوَّس

قلت : رويت (مهوس) بكسر الواو وإنما هى بفتحها [1] . فى التاج : وهو مهوس كمعظم ، وقد يطلق على الذى به الماليخوليا والوسواس وعلى من يشتغل بعلم الكيمياء ، والعامة تستعمل الهوس بمعنى الأمل وهو من ذلك

* فى ج ٨ ص ٥٣ وهو القائل : (يعنى الحسن بن إسحاق ابن أبى عبَّاد اليمنى النحوى) :

لعمرك ما اللحن من شيمتى ولا أنا من خطأ ألحن
ولكننى قد عرفت الأنا م فخاطبت كلا بما يحسن

قلت : ميم الأنام مع جماعتها فى الصدر ، وإقامتها فى العجز تخل بوزنه . وفى المتقارب تجتمع العروض الصحيحة والمقبوضة والمحذوفة

(١) أما الموسوس فهو بكسر الواو . فى الأساس . وسوس الرجل بلفظ ما سمى فاعله فهو موسوس بالكسر .

* فى ج ٦ ص ١٢٣ وقال (أسعد بن المهذب) فيه (فى الثلج فى حلب) :

لما رأيت الثلج قد غطى الوهاد والقنن
سألت : يا أهل حلبْ هل تمطر السما اللبن ؟

قلت : اليقين أن الأصل (سألت أهل حلبٍ)

* فى ج ٦ ص ١٧٥ ويقول الشعر (يعنى الصاحب بن عباد) وليس بزالٍ

وجاء فى الشرح : أى ليس منحرفاً عن الصواب

قلت : وليس بمبتذل والشعر الضعيف إنما يوصف بالابتذال لا بالزلل

* فى ج ٥ ص ٥٦ حدثنى المولى القاضى المفضَّل جمال الدين قال : دخلت إلى الصاحب أبى بشر وهو فى مجلسه ، فجلست إلى جانبه ، فأنشدنى متمثلا :

إنك لا تشكو إلى مُصْمِتٍ فاصبر على الحمل الثقيل أومتِ

إشارة إلى أنه لم يُشكه . قال أبو زياد الكلابى : ومثل من أمثال العرب : إنك لا تشكو إلى مُصْمِت . والتصميت أن تقول المرأة إذا بكى صبيها الرضيع وهى مشغولة عنه لبعض صبيانها أو لزوجها : صَمِّتْ هذا الصبى . فيأتيه فيحضنه بيده حتى يسكت ...

قلت : ضبطت (مصمت) فى البيت وفى المثل بسكون الصاد وكسر الميم غير مشددة . وإنما هى بفتح الصاد وكسر الميم مع التشديد . وبيت الراجز يكسر بذلك الضبط . وفى اللسان والتاج: « صمَّت الرجلَ شكا إليه فنزع له من شكايته ، قال : (إنك لا تشكو ، البيت) ومن أمثالهم (إنك لا تشكو إلى مصمت) أى لا تشكو إلى من يعبأ بشكواك »

وما ذكره ياقوت فى تفسيره طريف وإن لم يرد ...

* فى ج ٦ ص ١٨

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى
بخيلا له حتى الممات خليل

قلت : ضبطت (خلان) بكسر الخاء هنا وفى مواضع كثيرة فى الكتاب ، وهى بضمها . والبيت لإسحاق بن ابراهيم الموصلى فى مقطوعة أنشدها الرشيد ، وختمها بقوله :

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأى أمير المؤمنين جميل ؟ !

فقال الرشـيد : لا تخف ، إن شاء الله . ثم قال : لله در أبيات تأتينا بها ما أشـد أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم . فقال له إسحاق : وصـفك والله (يا أمير المؤمنين) لشعرى أحسن منه ، فعلام آخـذ الجائزة ؟ فضحك الرشيد ، وقال : اجعلوها لهـذا القول مئة ألف درهم . قال الأصمعي : فعلمت يومئذ أن إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني ...

وقول الرشيد (لا تخف) هو رواية الأغاني . وما جاء في (إرشاد الأريب) هو (لأكفيك)

وقد جاء في الحاشية : هذه طريقة الكوفيين إذا أكدوا الفعل إذ يكتفون باللام بدون نون التوكيد ، أما البصريون فيوجبون الجمع بين اللام والنون فيقولون : (لأكفينك)

قلت : رواية الأغاني أصح و (لا تخف) تجاوب (كيف أخاف ؟)

* في ج ٦ ص ٤٤ كان ابن الأعرابي يقول : إسحاق (والله) أحق بقول أبي تمام :

يرمى بأشباحنا إلى ملك ... نأخذ من ماله ومن أدبه

ممن قد قيل فيه

قلت : ترمى بالتاء ، وقبله :

لست من العيس أو أكلفها ... وخدا يداوي المريض من وصبه

وفي هذه القصيدة :

والحظ يعطاه غير طالبه ... ويحرز الدر غير مجتلبه

وهل يبالى إقضاض مضجعه ... من راحة المكرمات في تعبه

* في ج ٦ ص ٣٣ وقال (يعني الواثق لإسحاق الموصلي) ما هو الأفضل ؟ أدب وعلم مدحه الأوائل ، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم ، وكثر في حرم الله عز وجل ومهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم

قلت : ما هو إلا فضلُ أدب وعلم

* في ج ٦ ص ٢٩٠ ونصّ على يوم الوصول نجعله عيداً مُشرِفاً ، ونتخذه موسماً ومَعْـرِفاً

وجاء في الشرح : المعرف والمعرف واحد المعارف وهي الوجه بما اشتمل عليه ، يقال . امرأة حسنة المعارف ، وفلان من المعارف أي من المعروفين ، ومعارف الرجـل أصحابه وأهل مودته كما هو شائع

قلت : نجعله عيداً مُشَرَّفاً ، ونتخذه موسماً ومُعرَّفاً

وعرّف القوم - كما في اللسان - وقفوا بعرفة ، وهو المعرف للموقف بعرفات . وفي النهاية : وفي حديث ابن عباس : ثم محلها إلى البيت العتيق ، وذلك بعد المعرف يريد به الوقوف بعرفة ، وهو التعريف أيضاً

* في ج ٦ ص ٢٣١ فهذا الضرب من الكلام يجب أن يفتخر بمثله ويترقّقُ به ؟

وفي الحاشية : يريد الافتخار ، والترقق السخرية

قلت : لم أر الترقق بمعنى السخرية في مكان ، وربما أراد القائل بالترقق التظرف والتزين

* في ج ٦ ص ٢٠٠ فَلْيُفْرَج رَوْعُكَ

قلت : ضبطت (فليفرج) بلفظ ما لم يسم فاعله وبالجيم . وكلامهم في هذا المعنى « لِيُفْرِخْ روعك ، أي ليخرج عنك فزعك كما يخرج الفرخ عن البيضة » ، كما في اللسان ، وروى مثله التاج . وفرّخ الروع وأفرخ ذهب الذهب

ومن أمثالهم « أفرخ روعك » قال الميداني : أفرخت البيضة إذا انفلقت عن الفرخ فخرج منهـا . يضرب لمن يدعى له أن يسكن روعه

* في ج ٦ ص ١٩٥

دَبَّبْتَ الضر إلينا ومَشَيْتَ الجَمْرَ علينا

قلت : دبيت غير مضعفة وكذلك مشيت . والضر إنما هو (الضَّراء) في الصحاح : الضراء بالفتح الشجر الملتف في الوادي ، وفلان يمشي الضراء إذا مشى مستخفياً فيما يواري من الشجر ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يمشي له الضراء ويدب له الخمر

والجمر إنما هو (الخَمَر) في اللسان : الخمر كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يدب له الضراء ويمشي له الخمر

* في ج ٦ ص ٢٩٠

سقى الله دارات مررتَ بأرضها ... فأدنتك نحوي يا زيادُ بن عامر

من سخافات الوضاعين

سورة النورين

وكتاب دبستان مذاهب

للدكتور جواد علي

فى كتاب فارسي طبع عدة طبعات فى الهند وإيران[1] سورة دعيت سورة النورين ، زعم مؤلف الكتاب أنها من السور القرآنية التى لم يقبل الخليفة عثمان بن عفان درجها فى القرآن الكريم[2]. وقد نقل هذه السورة المستشرقون عن هذا الكتاب ومن أشهر هؤلاء المستشرق نولدكه فى كتابه « تاريخ القرآن »[3] والكتاب خير مرجع لمن أراد البحث عن تاريخ الملل

(١) راجع Encyclopépie de L' Islam vol 1 p 908 Catalogue of the Persian Manscripts of the Britisch Museum 1, 141

(٢) راجع دبستان مذاهب طبعة بمبي سنة ١٢٦٢ هـ ص ٢٢٨

(٣) راجع تاريخ القرآن جـ ٢ ص ١٠٢ كذلك Journal Asiatique 1842 vol 1 p, 431—439

والنحل والمذاهب والأديان فى الهند وإيران ، وبخاصة فى القرن الحادى عشر للهجرة ، أى فى العصر الذى عاش فيه مؤلف هذا السفر. على أننا لا نعرف عن مؤلف الكتاب شيئاً ؛ وكل ما نعرفه أنه عاش فى مدينة « إكرا » الهندية وأنه ألف الكتاب بين سنتى ١٠٦٤ و١٠٦٧ للهجرة[1].

يستهل صاحب الكتاب كتابه بالبحث فى عقائد الفرس عبدة النيران (Parsis)[2] فيفصل فيه تفصيلا وافياً ويجيد فيه إجادة تامة . ويتناول حياة (زردشت) على الأخص بالتفصيل ويدعوه (النبى زردشت)[3] وبعد هذا البحث ينتقل إلى آراء أهل الهند ثم أهل التبيت ، فيجيد فى بحث الهند أيضاً ، ويتناول بالبحث بعض الفرق الهندية التى لا يعرف عن آرائها إلا النزر اليسير . وهو فى بحثه هـذا أشبه الناس بالبيرونى أبى ريحان محمد بن أحمد (٩٧٣ — ١٠٤٨) الفيلسوف الرياضى الشهير وصاحب « تحقيق ملل الهند »[4] من حيث الطريقة فى البحث والحرية فى عرض الحقائق والحياد فى معالجة القضايا الدينية ومناهج البحث .

للمؤلف على ما يظهر راوية لما يسمع ، محدث لما يرى ، جالس علماء الطوائف المختلفة وتكلم إلى رؤساء الشيع والمذاهب ، فنقل ما سمعه نقلا لا ندرى مبلغ درجته من الصحة لجهلنا بمنزلة المؤلف ودرجته من الحق . أخذ معلوماته عن السنة من كتاب واحد هو « كتاب الملل والنحل » للعلامة الشهير أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى[5] ولعله استمد معلوماته عن بقية المذاهب الإسلامية من هذا الكتاب أيضاً ؛ غير أنه لم يذهب مذهبه فى التقسيم ولم يتوسع توسعه فى المعرفة بل اقتصر على معلومات عامة وخاصة تناسب الهند والحالة السياسية والإجتماعية التى كانت سائدة فى ذلك الزمان .

(١) دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ٩٥٨ أيضاً Ethé, Catalogue of the Persian 1, 1369

(٢) عن البارسس (الفرس) راجع دائرة المعارف البريطانية و Encyclopedia Britanica. The Religion of the East p, 60 f

(٣) راجع دبستان مذاهب ص ٧٢ وما بعد .

(٤) راجع Hitti, History of the Arabs p, 377 ودائرة المعارف الاسلامية . مادة البيرونى .

(٥) راجع الملل والنحل (طبعة لندن) فى جزئين عن الشهرستانى راجع دائرة المعارف الاسلامية ، كذلك G, W, Thatoher, Art " Shahrastani " in *Eney Clopedia of Religion and Ethics*

---

* وفى ج ٧ ص ١٤٤

أثابتُ بنُ سنان ، دعوةٌ شهدت

لربها أنه ذو غـلة أسِفُ

قلت : ضبطت (بن) بالضم فى البيتين وإنما هى بالفتح ، ولا يجوز الضم بوجه من الوجوه . و (زياد) و (ثابت) جائز فى مثلهما الضم ، والمختار الفتح ، وفى شرح الكافية ج ١ ص ١٤١ : « وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه »

وفى شرح المفصل لابن يعيش : حق الصفة أن تتبع الموصوف الصفة ... شبه سيبويه[1] حركة الدال من زيد بحركة الراء من امرىء ، وحركة النون من ابنم ، فكما أن الراء من امرىء تابعة للهمزة ، والنون من ابنم تابعة للميم ، كذلك أتبعوا الدال من (يا زيدَ بنَ عمرو) النون من ابن ، لأن الصفة والموصوف كالصلة والموصول، وانضاف إلى ذلك كثرة الاستعمال فقوى الاتحاد

(١) ج ١ ص ٣١٣ وشاهده قول الراجز : (يا حكم بن المنذر بن الجارود) وقول الراجز : (يا عمر بن معمر لا منتظر)

واستمد معلوماته الشفهية عن أهل السنة والجماعة ممن اتصل بهم من العلماء أمثال « الملا عادل الكشـمرى الذى التقى به فى مدينة لاهور عام ١٠٤٨ للهجرة ، والملا محمد معصوم الكاشغرى، والملايعقوب الترفانى وأمثالهم [1] . ويجعل المؤلف ديباجته عن أهل السنة والشيعة هذه العبارة « سمعت من ثقات أهل السنة رحمهم الله وقرأت فى كتبهم وفى كتاب الملل والنحل للشهرستانى أن الرسول عليه الســـلام قال : « لَيأتِيَنَّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل . تفرق بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة كلهن فى النار إلا ملة واحدة . قالوا : « يا رسول الله من الملة الواحدة » قال : « ما أنا عليه وأصحابى »[2] .

ويقسِّم المؤلف أهل السنة والجماعة إلى أصناف ثلاثة : معتزلة وأشعرية ومجسمة . ويتفرغ لبحث المجسمة على الأخص .فيذكر بعض حججهم واستدلالاتهم مثل قوله تعـالى : « الرحمن على العرش استوى » و « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ومثل ما روى فى الحديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » و « خلق الله آدم على صورته »[3] . وقد أسهب فى هـذا الباب إسهاباً يلفت النظر ، فالمعروف أن المشبهة أو المجسمة لم تكن إلا فئة قليلة بالنسبة إلى الأشعرية وهم غالبية السنة فلِمَ كل هذا الإسهاب؟

وعد الزيدية أو الأموية فى عداد أهل السنة ومعلوماته عنهم لا تجاب إلى القارئ شيئاً جديداً ، ولعل بُعد مسا كن الزيدية عنه حال بينه وبين الكتابة كما يجب أن يكون .

أما الطائفة الثانية من الطوائف الإسلامية فهى الشيعة، ويستهل بحثه عن الشيعة بهذه العبارة : « سمعت من علماء الشيعة بأن الشيعة هم حزب على بن أبى طالب القائلين بإمامته »[4] . ولم يذكر من طوائف الشيعة غير الإثنى عشرية والإسماعيلية . ومرجعه عن الإثنى عشرية رواية نفر من علماء الشيعة ممن كانوا يقيمون فى مدينـة لاهور . والظاهر أن الحديث معهم كان فى عام ١٠٥٣ للهجرة[1] . وهؤلاء العلماء الذين تحدث إليهم مؤلف الكتاب ونقل عنهم هم « ملا معصوم ومحمد مؤمن تونى وملا إبراهيم، ذكر أثناء حديثه عن الإثنى عشرية بعض العلماء أمثال العلامة الشيخ المفيد[2] والشيخ الطوسى[3] والشريف الرضى[4] والمحدث الكلينى صاحب « الكافى »[5] وهو أشهر كتاب فى الحديث لدى الشيعة الإثنى عشرية ، والعلامة الحلى[6] .

ويتكلم فى موضوع انقسام الشيعة الإثنى عشرية من حيث الفقه وأصوله إلى أصولية وهم غالبية الشيعة وجمهرتهم ، وأخبارية وهم القائلون بالأخبار وبقوة الحديث تجاه الرأى وبترك الأخـذ بالرأى والاجتهاد . ويستند فى بحثه عن الأخبارية على كتاب « الفوائد المدنية لملا محمد أمين الإسترابادى أشهر علماء الإخبارية ولسان هذا المذهب ومنظمه[7] » .

وينتقل المؤلف إلى الغلاة من الشيعة وهم العلى اللآـهية الذين يؤلِّهون عليًّا . ومن رأى المؤلف أن رجال هذه الفرقة يضيفون إلى القرآن كل ما يجدونه من كلام الإمام على ، على أنه من كلام الله ، فما دام القرآن هو كلام الله ، وما دام الإمام على هو الله بعينه فلِمَ لا يجمع كلامه كله فى صعيد واحد هو القرآن[8] ؟

وينفرد المؤلف بذكر فرقة إسلامية لم تعرف فى كتاب آخر سماها « الصادقية » أو « المسيلمية » أتباع مسيلمة الذى يلقبـه المسلمون بلقب « مسيلمة الكذاب » ويدعى بأنه رأى هذه الفرقة

---

(١) دبستان مذاهب ص ٢٢٣ ومواضع أخرى .

(٢) هنالك خلاف بين العلماء في منطوق هذا الحديث وفى صحتـه وعدم صحته . وقد جاء فى أغلب كتب علم الكلام . راجع الشهرستانى جـ ١ ص ٤ والمقريزى جـ ٢ ص ٣٤٥ وفرق الشيعة للنوبختي ص٣ والبغدادى ص ١٤ وغيرها .

(٣) راجع دبستان مذاهب فى بحث المجسمة .

(٤) دبستان مذاهب ص ٢٢٦ .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) المفيد محمد بن محمد بن النعمان مات سنة ٤١٣ للهجرة راجع عنه الفهرست للطوسى . النجف سنة ١٩٣٧ . رجال العلامة الحلى (طهران سنة ١٣١٢) وبحار الأنوار .

(٣) الطوسى شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام ٤٦٠ للهجرة . راجع الفهرست للطوسى (طبعة النجف ١٩٣٧) له كتابا التهذيب والاستبصار فى الحديث من الكتب المعتبرة عنـد الشيعة وكتب أخرى .

(٤) الرضى الشريف محمد بن الحسين نقيب العلويين ببغداد توفى سنة ٤٠٦ للهجرة . إتقان المقال ص ١٢٢ .

(٥) صاحب الكافى مات سنة ٣٢٨ هـ إتقان ص ١٣٥ .

(٦) دبستان ص ٢٣١ — راجع عن الحلى توفى سنة ٧٢٦ للهجرة (١٣٢٥ م) Brown Literary History of Pers'ds part 4 p, 405 Donaldson, the Shi'ite Religèon London 1933 p, 296 راجع كتاب الرجال لعلامة جمال الدين بن يوسف بن مطهر الحلى . وكتبه الأخرى .

(٧) دبستان ص٢٣١ وما بعد . (٨) دبستان ص ٢٤٦ .

فى مشهد من أعمال خراسان عام ١٠٥٣ للهجرة ، وأنه شاهد عالم هذه النِّحلة « محمد قلى » ؛ وقد أخبره هذا العالم على ما يدعيه مؤلف الكتاب بأن مسيلمة الذى يلقبه المسلمون زوراً بلقب الكذاب إن هو إلا نبى مرسل وشريك محمد رسول الله فى الرسالة[1].

ولمسيلمة هذا كتاب سماوى يضاهى القرآن ويحاكيه على حد تعبير إمام هـذا النحلة اسمه « الفاروق » لأنه يفرق بين الحق والباطل، وهو « الفاروق الثانى » ؛ أما الفاروق الأول فهو « الفرقان » أو « القرآن ». وقد جاءت فى « فاروق » مسيلمة آخرُ أحكام الله ونواهيه ، لذلك فهو خاتم الكتب السماوية ، كما أن مسيلمة هو خاتم الأنبياء والمرسلين[2] .

ويزعم مؤلف الكتاب أن زعماء الصادقية يعرفون كتاب « الفاروق » ويحفظونه ، وأن رئيسهم كان يحفظ هذا الكتاب المقدس، وأنه أخذه عن أجداده فأجداد أجداده إلى مسيلمة . وهو يفتخر بانتسابه إلى سلالة تشرفت بخدمة مسيلمة وقامت بواجب التعظيم لنبى مرسل ولكنه لم يذكر ولا آية واحدة من آيات هذا الفاروق على خلاف عادته فى ميله إلى ذكر الغريب[3] .

وتأخذ طرق « الصوفية » و « الإشراقية » و « الحكماء » حقلا طويلا من كتابه ، فهو يبحث فى فرقها حتى ينتهى الكتاب . ومن الطرق الغريبة طريقة « الواحدية » الذين يقولون بوحدة الجسد والروح . فهم فى هذا على مثال القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح[4] . ومؤسس هذه الطريقة هو « محمود » من قرية « مسجوان » إحدى قرى كيلان ، وقد ظهرت دعوته عام ٦٠٠ للهجرة[5] .

ومحمود هذا على زعم « الواحدية » هو المقصود بقوله تعالى: « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً »[6] وقد مزج أصحابه بين الفلسفة اليونانية وبين الصوفية الهندية الإيرانية ، وبين علم النجوم وأحكام الدين حتى تولدت من هذا المزيج الغريب « غنوسطية » لا هى مسيحية ولا هى إسلامية ولا هى شرقية بحتة ، بل هى وسط بين هذا وذاك أكلها علماؤهم على مر السنين، وتبايت كما قدم العهد عليها ، أمثال « درويش اسماعيل » و « ميرزا تقى » و « شيخ لطف الله » و « شيخ شهاب »[1].

وللواحدية كتاب اسمه « الميزان » يتألف من رسائل فيها علوم الأولين والآخرين منذ يوم الخليقة إلى يوم يبعثون ، فيها المغيبات والنبوّات وكل ما يحتاج إليه الإنسان . وأهمّ ما فى هذا الكتاب هو أن دين العرب سيدوم ثمانية آلاف سنة لأن برجه « الثريا » ، ثم ينطوى ذلك الدور ويأتى بعده دور العجم حيث يدوم نفس هذا المقدار[2].

وكانت للواحدية عصبة اتخذت لها مدينة « أصفهان » فى إيران مقراً وكانت لها جماعة وأنصار ، وقد زارها مؤلف الكتاب ووجد لها دعاة فى تلك المدينة ، ولكن الشاه عباس الصفوى ابن الشاخدابنده قضى على هذه الجماعة ونكّل بها حتى لم تبق لها بقية على ما يراه مؤلف الكتاب .

***

لم يعرف عن مؤلف الكتاب شىء ، وقد أجهد المستشرقون أنفسهم للتعرف على هذا المؤلف ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة حاسمة حتى الآن . وكان أول من عرّف هذا الكتاب إلى الأوربيين هو المستشرق الفرنسى « ده تاسى » (Garcin de Tassy)[3] ، ثم ترجم إلى اللغة الإنكليزية ، ترجمه المستشرق الإنكليزى « كلادوين » (Gladwine) بعنوان « The School of Manners » ولم تكن ترجمته ترجمة صحيحة مضبوطة فأكملها « داود شى » (David Shea) ، ثم « أنطون ترير » (Anton Trayer)[4] .

وذهب المستشرقون إلى أن مؤلف الكتاب هو رجل يدعى « محسن فانى » لما جاء فى مقدمة بعض الطبعات : « يقول محسن فانى »[5] ولعله الشيخ محسن فانى الكشميرى المتوفى عام ١٠٨١ للهجرة أو ١٠٨٢ . ولهذا الشيخ مؤلف اسمه « مصـدر الآثار مثنوى » وهو شعر على طريقة المتصوفة كتبه سنة ١٠٦٧ للهجرة .

(١) دبستان ص ٢٤٦ وما بعد عن مسيلمة ، راجع الطبرى وابن الأثير وسيرة ابن هشام وابن كثير الشامى ثم Muir, the life of Muhamned
(٢) دبستان ص ٤٧ .
(٣) دبستان ص ٢٣٨ وما بعدها .
(٤) راجع J M Robertson a short history of christianity فى مختلف الفصول أيضاً Encyclopaedia of Religian and Ethics 1918
(٥) دبستان ص ٢٣٩ وما بعد .
(٦) دبستان ص ٢٥٠ .

(١) دبستان ص ٢٥١ .
(٢) دبستان ص ٢٥١ .
(٣) Journal Aciatigue 1842 Tome 1 431 .
(٤) Pertsch P, 271 nr 229 Zeuker nr 832 Rieu, Catalogue of the Persian manuscripts of the Britisch museum 1, 141
(٥) نفس المصادر وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعـد و Troyer Daveid Schea the Dabistan 1843 .

وتوجد نسخة منه فى مكتبة إدارة الهند[١] .

ولعل أهم ما لفت أنظار المستشرقين إلى هـذا الـكتاب هو وجود سورة سماها المؤلف «سورة النورين» نزلت فى الإمام على وذريته.من بعده . زعم أن الشيعة يعتقدون بأنها من السور القرآنية التى حذفها الخليفة عثمان بن عفّـان[٢] . وقد نشرت فى المجلة الأسيوية (Journal Asiatique)[٣] ثم نشرت فى كتاب « تاريخ القرآن »[٤] .

ولا يذكر المؤلف اسم المصدر الذى استق منه هذه السـورة ، ولا الـكتاب الذى اعتمدعليه ، ولا الشخص الذى روى عنه سورة النورين . ولم أعثر حتى الآن على مصدر شيعى قديم أو حديث يعرف هذه السورة أو أشار إليها ولو إشارة بسيطة . ولو كانت هذه السـورة موجودة حقاً لماتورع المؤلفون عن ذكرها والاستشهاد بها كما فعلوا فى الاستشهاد بمواضع من آى الذكر الحكيم ، وبالأحاديث المروية عن الرسول فى تأييد وجهـة نظرهم إلى إمامة الإمام[٥] . أما السـورة المزعومة فهى هذه :

سورة النورين

بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين ، أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم . إن الذين يُوفون بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم . والذين كفروا من بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يُقذفون فى الجحيم . ظلموا أنفسهم وعصوا لوصى الرسول أولئك يسقون من حميم . إن الله الذى نوّر السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين . أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم . إن الله قد أهلك عاداً وثمودَ بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هـ.رون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لـكم آية وإن أكثركم فاسقون . إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون . إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم . يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون . قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون . مَثَلُ الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم . إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وإن عليـاً لمن المتقين . وإنا لنوفيه حقه يوم الدين . وما نحن عن ظلمه بغافلين . وكرّمناه على أهلك أجمعين . وإنه وذريته لصابرون . وإن عدوهم إمام المجرمين . قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود بعد توكيدها وقد ضربنا لـكم الأمثال لعلكم تهتدون . يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناًومن يتوله من بعدك يظهرون . فأعرض عنهم إنهم معرضون . إنا لهم محضرون فى يوم لا يغنى عنهم شيئاً ولا هم يرحمون . إن لهم فى جهنم مقاماً عنه لايعدلون . فسبح باسم ربك وكن من الساجدين . ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا عليهم فصبر جميـل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولَعنّاهم إلى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يُبلون[١] . ولقد آتيناك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين . وجعلنا لك منهم وصيـاً لعلهم يرجعون . ومن يتول عن أمرى فإنى مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلاتسأل عن الناكثين . يا أيها الرسول قد جعلنا لك فى أعناق الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين . إن عليـاً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجوثواب ربه ، قل هو يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون . سيجعل الأغلال فى أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون . إنا بشرناك بذرية الصالحين . وإنهم لأمرنا لا يخلفون . فعليهم منى صلاة ورحمة أحياء وأمواتاً ويوم يبعثون . وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى إنهم قوم سوء خاسرين . وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الغرفات آمنون . والحمد لله رب العالمين آمين[٢] .

جواد على

(١) Catalogue of the Persian manuscripts of the Library of the Jndia offiee gol 11, 1934 - p, 1071 .

(٢) دبستان مذاهب ص ٢٢٨

(٣) 1842, vol I P, 431 و 1843 vol 2 P, 414 .

(٤) تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد .

(٥) راجع كتب الشيعة المعتبرة أمثال الكافى لمحمد بن يعقوب الـكلينى (طهران ١٢٨١) ومن لا يحضره الفقيه . وبحار الأنوار للملاباقره المجلسى (طهران ١٣٠١) فى ٢٦ مجلداً وشرح اللمعة . وكتاب الارشاد للعلامة المفيد وغيرها .

(١) فى دبستان المذاهب فسوف يبصرون وفى تولدكه تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠١ فسوف يبلون .

(٢) دبستان مـذاهب (طبعـة بمبى) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ و Journal Asiatipne 1842 vol I P, 431 و 1843 vol 2 P, 414 وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١ .

على هامش النقد :

مباحث عن التصوير الفني في القرآن

للأستاذ سيد قطب

كانت خطتي التي اعتزمتها أن أدع كتاب « التصوير الفني في القرآن » وشأنه مع القراء والنقاد ، يصنعون كيف يشاؤون ، بعد أن فرغ بيني وبينه كل حساب !

ولكن بعض الذين تفضلوا بالكتابة عنه قد أثاروا أسئلة ومباحث حول الموضوع ذاته ، فلم تعد المسألة مسألة كتاب التصوير الفني ولكنها مسألة القرآن . وهي بهذا الوضع تصلح لحديث متصل ، ولا يعد حديثي عنها عودة إلى كتاب بذاته . وهذا ما يبيح لي أن أخالف خطتي في هذه النقطة وحدها . وسأدع للقراء والنقاد كل ما يعن لهم خاصاً بتقدير كتابي دون اعتراض عليه ، ولن أناقشهم إلا فيما يتناول الموضوع ذاته ، وهو ملك لي كما هو ملك لهم بطبيعة الحال !

* * *

وجه إليّ الأستاذ نجيب محفوظ سؤالاً ، ولاحظ على فصل من فصول الكتاب ملاحظة قال :

« فأما السؤال فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفني ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أي شيء آخر . أفلم يخطر لك أن تحدد نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟ »

وأنا أحسبني قد أجبت على مثل هذا السؤال حينما قلت في صفحة ٨٣ من الكتاب وما بعدها هذه الفقرات .

« جاء في القرآن الكريم : [وماعلّمناه الشِّعرَ - وماينبغي له - إنْ هو إلا ذكْرٌ وقرآنٌ مُبين] .

« وجاء فيه حكاية عن كفار العرب : « بل افتراهُ . بل هو شاعر » .

« وصدق القرآن الكريم ، فليس هذا النسق شعراً . ولكن العرب كذلك لم يكونوا مجانين يوم قالوا عن هذا النسق العالي : إنه شعر !

« لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع ، وسحر وجدانهم بما فيه من منطق ساحر ، وأخذ أسماعهم بما فيه من إيقاع جميل . وتلك خصائص الشعر الأساسية ، إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل .

« على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً . فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة . فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة . وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل ؛ والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي ؛ وضم ذلك كله إلى الخصائص التي ذكرنا ، فشأى النثر والنظم جميعاً » .

هو إذن ليس شعراً وإن أخذ من الشعر خصائصه الفنية فهو نثر . ولكنه النثر الذي يرتقي فيه التناسق الفني آفاقاً وراء آفاق على النحو الذي أوضحته في فصل « التناسق الفني » وقلت إن به تقويم هذا الكتاب وهي آفاق لم تبلغ في القديم والحديث بلا ارتياب .

ثم قال :

« وأما الملاحظة فمن الفصل الذي خصصته للنماذج الإنسانية . فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنساني بمعناه الفني شيء أشمل من هذا ، وقد يحوي الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوي غيرها . والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسي . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة — على اختلاف تقسيم علماء النفس لها — أما الطبائع فلا حصر لها . فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج » .

وأحسب كذلك أن اختيار كلمة « نماذج » أقرب إلى ما يفهم من طبيعة التعبير القرآني حين يقول مثلا : « ومن الناس من يعبد الله على حَرْفٍ فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » أو حين يقول : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على مافي قلبه وهو ألدُّ الخِصام وإذا تولى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » ... فقوله : « ومن الناس » يعني : وفريق من

الناس . أو وصنف من الناس . أو ونموذج من الناس .... على السواء .

على أن كل إنسان تغلب عليه «طبيعة إنسانية» معينة ، حتى تصبح سمة له يعرف بها وتدل عليه ، إنما يصبح « نموذجاً » إذا كان عنواناً لطائفة من هؤلاء الذين غلبت عليهم هذه الطبيعة بعينها « فالمكابرة » طبيعة و « المكابر » نموذج مثل « المقامر » و « البخيل » و « العبيط » وأمثالها من الصور الإنسانية التى أبدعتها أقلام بعض الفنانين ، وعرفت فى عالم الأدب باسم «النماذج» على هذا المدلول . ومنها معظم « النماذج الإنسانية » التى يرسمها التعبير القرآنى فى بضع كلمات أو فقرات .

***

وكتب الأستاذ عبد المنعم خلاف كلمة مطولة ضمنها ملاحظتين أساسيتين على مباحث الكتاب :

فأما أولاهما فخاصة بالتصوير فى القرآن وفيها يقول :

« غير أننى أخشى أن يكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف فى أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية التى عنونه بها فى جو من المبالغة والتعميم . ذلك أن يقرر فى الفصل الذى أنشئ من أجله الكتاب أن (التصوير هو الأداة « المفضلة » فى أسلوب القرآن) وأن إدراكه وسيلة إلى (إدراكنا « سر الإعجاز » فى تعبير القرآن) »

« فإننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إطلاق كلمة « المفضلة » ولا عن إطلاق « سر الإعجاز » لأن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة فى التعبير يقتضى الاعتماد على « الإحصاء » وظهور نتيجته بكثرة عددية . فهل إذا أحصينا طرق التعبير فى القرآن نجد ما قرره يحظى بالكثرة العددية ؟ »

وجوابى للأستاذ عبد المنعم هو « نعم » وقد كانت مهمتى هى هذا « الإحصاء » وكان حكمى قائماً على هذا « الإحصاء » وقد عبرت عن ذلك فى فصل « لقد وجدت القرآن » حين قلت :

« لقد بدأت البحث ومرجعى الأول فيه هو المصحف ، لأجمع الصور الفنية فى القرآن ، وأستعرضها ، وأبين طريقة التصوير فيها ، والتناسق الفنى فى إخراجها إذ كان همى كله موجهاً إلى الجانب الفنى الخالص ، دون التعرض للمباحث الدينية أو سواها من مباحث القرآن المطروقة .

« ولكن ماذا أرى ؟

« إن حقيقة جديدة تبرز لى . إن الصورة فى القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائره . إن التصوير هو قاعدة التعبير فى هذا الكتاب الجميل . القاعدة الأساسية المتبعة فى جميع الأغراض — فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال — فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب . ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز .

« ذلك توفيق . لم أكن أتطلع إليه حتى التقيت به »

ولقد كنت أعنى ما أقول ، وأرتكن فيه إلى الدليل .

والأستاذ عبد المنعم يخشى « إدراك سر الإعجاز » لأننا نستطيع فى اليوم الذى نصل فيه إلى إدراك سر الإعجاز فى تعبير القرآن أن نستخدمه فى صنع كلام معجز ، وحينئذ لا يكون معجزاً ما دام مفتاحه بأيدينا وفى طوق صنعتنا »

ولست أرى داعياً لهذه الخشية لأن المسافة بين إدراك سر الإعجاز فى العمل الفنى خاصة ، وبين صنع الكلام المعجز ذاته مسافة متطاولة . وليست هذه على كل حال بمانعة للباحثين من محاولة إدراك هذا السر قدر ما يستطيعون ، وترك ما لا يدركونه للغيب المجهول .

على أننى أحب أن أصحح شيئاً فى الموضوع ، فإن قولى « أدركنا سر الإعجاز فى تصوير القرآن » جاء فى معرض آخر يجعل له اتجاهاً آخر . إنه جاء هكذا بعد بيان ما فى تصوير القرآن من إبداع يرتفع فوق ما تستطيعه الريشة المصورة والعدسة المشخصة:

« فإذا ما ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى والحالة النفسية ، وتشخص النموذج الإنسانى أو الحادث المروى ، إنما هى ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر . أدركنا سر الإعجاز فى تعبير القرآن »

وما من شك أن قيام الألفاظ وحدها بوظيفة أرقى من وظيفة الريشة والعدسة فى مجاله الخاص نوع من الإعجاز ، وحين ندركه مطرداً إنما ندرك « سر الإعجاز » بمقدار ما يستطيع إدراكنا الإنسانى وهو المعنى فى هذه الحال .

***

وأما الملاحظة الثانية فعن « المنطق الوجدانى فى القرآن » وقد أدار عليها الأستاذ عبد المنعم معظم المقال . ومما جاء عنها هذه الفقرات :

« فليس الموطن الأول لهذه العقيدة هو الوجدان – منطقة الانفعال والاستسلام أو الثورة – بل موطنها هو موطن ذلك « البرق » الذهني أو العقلي الذي ينتج « حكما » يرسله إلى الوجدان ، فينفعل له ويتقبله و « يعقده » في طويته ويستسلم له ويسير حياته على مقتضاه .

« هذا البرق الذي ينتج « الحكم » يستمد حيثيات أحكامه من انطباعات الصور الثابتة للكون في النفس ومن الانفعالات الداخلية بهذه الصور »

ثم يقول :

« فالقول بأن منطقة الدين هي الوجدان وحده قول غير إسلامي أخذه المسلمون المحدثون عن المفكرين غير المسلمين الذين لم يعرفوا الأساس الأول للاسلام والدين عامة »

فماذا قلت أنا في كتابي مما بنى عليه الأستاذ عبد المنعم هذه الأحكام ؟

لقد قلت :

« كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة (عقيدة التوحيد) . وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان – موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها – وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً »

إلى أن قلت :

« فالذهن الإنساني خليق بأن يدع للمجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية ، ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » في عالم الذهن و « المحسوس » في تجارب العلم ، ليسا هما كل « المعروف » في عالم النفس . وما الفكر الإنساني – لا الذهن وحده – إلا كوة من كوى النفس الكثيرة . ولن يغلق إنسان على نفسه هذه النوافذ ، إلا وفي نفسه ضيق ، وفي قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم في هذه الشئون الكبار » .

ثم قلت :

« لقد عمد القرآن دائماً إلى لمس البداهة وإيقاظ الإحساس ، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاهما إلى الوجدان . وكانت مادته هي المشاهد المحسوسة ، والحوادث المنظورة ، أو المشاهد المشخصة ، والمصائر المصورة . كما كانت مادته هي « الحقائق » البديهية الخالدة ، التي تتفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتدركها الفطرة المستقيمة » .

فأين فيما قلت : « إن منطقة الدين هي الوجدان وحده » في الوقت الذي أقول فيه : « وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة » ... كل ما يفهم من مجموعة ما قلت أنني لا أريد أن أكل هذه المهمة الضخمة لهذا الذهن الإنساني المحدود « وحده » ، وفيها ما يتصل بالغيب المجهول .

ثم أعتقد أنني كنت دقيقاً في التعبير وأنا أذكر « الحقائق البديهية الخالدة » بل وأنا أذكر « المنطق الوجداني » والمنطق لا بد له من مقدمات ونتائج وليس هو مجرد « الانفعال » كما فهمه الأستاذ . وكل ما في الأمر أنها مقدمات ونتائج من نوع خاص يعتمد على الصور المحسوسة والمشاهد المنظورة كما يعتمد على الحقائق البديهية الكونية ، ولم يكن بد من تسميته كذلك وضعاً له في مقابل « المنطق الذهني » الذي اتبعه « علماء الكلام » وهو غير المنطق القرآني بلا جدال .

***

وكتب كاتب – أو كاتبة – في جريدة الأهرام « أن هذا الكتاب « محاولة » للبحث في جمال القرآن سبقتها اتجاهات في الجامعة »

وللكتابة على هذا النحو أسباب خاصة ليس من شأني الحديث عنها كما أن وصف هذا العمل بأنه « محاولة » مسألة داخلة في دائرة « التقدير » المتروكة للقراء .

إنما يعنيني هنا الحقيقة التاريخية ... إنني بدأت هذا البحث ونشرت فصولا منه بعنوان « التصوير الفني في القرآن » في المقتطف عام ١٩٣٨ ثم أخرجته كتاباً في هذا العام فأين هي البحوث الجامعية في هذا الاتجاه .

إن كان الغرض هو البحث في جمال القرآن فهذا بحث قديم قديم ؛ وإن كان الغرض هو البحث على نحو خاص غير مسبوق ، فالواقع ينطق بأن ما كتب في الأهرام لا يطابق الحقيقة . والسلام .

سيد قطب

صفحة من تاريخ الاستكشاف :

فيتـــوس بيرنج

VITUS BERING

للأستاذ محمود عزت عرفة

بطرس الأكبر بين حربين

شهدت أخريات القرن الخامس عشر خرستوف كولمبس يضرب فى أرجاء المحيط الأطلنطى غربا ، على أمل أن يبلغ الهند من طرفها الشرقى فيثبت صحة النظرية التى آمن بها من استدارة الأرض . وكان بسبيل أن يحقق نظريته هذه لولا أن اعترضته أمريكا بهيكلها العظيم، فبقيت نظريته معلقة — بل وقابلة للجدل! — حتى قدّر لماجلان أن يثبتها عمليا برحلته المشهورة فيما بين عامى ١٥١٩ و ١٥٢٢ م .

ومن ثم تتابعت الرحلات فى كل متجه ، وعرف الناس عن أمريكا الشىء الكثير ، حتى وافت أيام بطرس الأكبر — عاهل روسيا وسليل أسرة رومانوف(١) — فحاكت بصدره مشكلة آلى على نفسه أن يضع لها حلا ... مشكلة عاضلة يتعلق بها مستقبل بلاده ، ويتوقف عليها مجدها وعظمتها واستقرار شعبها هادئاً — مدى أجيال — فى حدود امبراطوريته التى تباعدت أطرافها ...

وكان بطرس قد شنّ على السويد حربا ضروساً انتهت بعقد معاهدة نيستاد فى أغسطس من عام ١٧٢١ ؛ وبها ضم إلى بلاده دويلات من البلطيق أمّن بها حدودها وعزز ركنها فى اتجاه الغرب فراح بعد ذلك يتلفت إلى الشرق ... إلى أطراف سيبريا المطلة على محيط مجهول يتكنفه الظلام والضباب .

ورأى بثاقب فكره أن لابد من النفوذ إلى أعماق هذه المواضع قبل أن تسد السبيل عليه فيها دولة مستعمرة ، فيقف منها أمام « سويد » أخرى تقتضيه حربا لا يعلم إلا الله نتيجتها .

... ألا ماذا فى نهاية الطرف الشمالى الشرقى من آسيا ؟...

... أهى ممتدة شمالا إلى مدى غير معلوم ، ... أم ثمة انفصال تبدأ عنده أمريكا من حيث ينتهى العالم القديم ؟

سؤال تقدم به بطرس إلى الطبيعة نفسها لا إلى عدو أو صديق من البشر، ومعضلة ينبغى أن يحلها رحالة مستكشف لا قائد محارب . وللطبيعة سر لا تسلمه إلا لمن ينتصر عليها ؛ والانتصار على الطبيعة غير المحدودة ولا المتناهيـة ... الطبيعة ذات الأسرار الرهيبة والمفاجآت المربكة والقوى المحتشدة الكامنة التى تعصف بقوى الإنسان قبل أن يشعر بمجرد وجودها ، فضلا عن أن ينهض إلى خصومتها — الانتصار على هـذه الطبيعة — وتلك صفاتها — غير الانتصار على كتيبة من جند السويد ، أو نشر شباك مكيدة حول تركيا ، أو انتهاز فرصة اضطراب داخلى فى بولندا ...

وكان بطرس ممن يحسنون تخير الرجال . فليس يزكى التاريخ « فيتوس بيرنج » بأكثر من أن يسجل أن بطرس قد انتقاه لمهمة خطيرة كانت شغله الشاغل وهو يجود بآخر أنفاس من حياته ... مهمة مات بطرس — كنحوينا المعروف — وفى نفسه منها شىء !

وكان بيرنج من أبناء دنمركة . ولد فى هورسنتز Horsens عام ١٦٨٠ ، وتقلب فى أحضان البحر منذ صباه فنشأ بحاراً بالسليقة إن صحت العبارة ..

وقد زار المحيطين الأطلسى والهادى قبل أن يلتحق — وهو فى الثالثة والعشرين من عمره — بالأسطول الروسى الحديث الذى أقام دعائمه بطرس الأكبر . واشترك بيرنج فى الحرب البحرية ضد السويد فأبلى البلاء الحسن ، وكان من أثر ذلك أن قرر القيصر إيفاده على رأس البعث الذى أعده لكشف مجاهل شرق آسيا وما يكتنفه من مياه . ولم يحل دون ذلك ما كان من مرض بطرس (الذى انتهى بموته) ، ولا ما حدث من اضطراب فى الأحوال الاقتصادية على آخر عهده .

(١) ولى الحكم فى روسيا بين عامى ١٦٧٢ و ١٧٢٥ م

ولقد كانت تلك فى الواقع أعجب رحلة كشفية يشهدها العالم ، منذ أن قام الفينيقيون فى عهد فرعون مصر « نخـاو » بطوافهم المشهور حول القارة الإفريقية (١) .

عبر مجاهل سيبريا

كانت أرض روسيا خلواً من المسالك والطرق ؛ وسيبريا التى تشغل شطرها الشرقى حتى المحيط لا تعدو أن تكون مهوبا مقفرة شديدة الإيحاش يسيطر عليها شتاء قاس رهيب لا تتبلج فى دهمته إلا غرر أيام من الصيف ضئيلات قصار .

وكان على بيرنج أن يقود بعثته مدى ألف ميل خلال هذه الأصقاع الموحشة حتى يبلغ المحيط فيبدأ أعماله الاستكشافية ؛ وكان عليه أيضاً — إذا قُـدر له أن يبلغ المحيط ناجيا — مهمةُ ابتناء السفن اللازمة لهذه الرحلة الخطرة . وإن من نكد الدنيا حقا أن ينوء هذا الرحالة الجرئ بعبء ستة عشر عاماً من الجهاد المضنى ، قبل أن يتاح له تقديم جواب صحيح عن ذلك السؤال المعجز لبطرس الأكبر . ثم هو لا يفرغ من ذلك إلا ليفارق حياته مبتئساً عليلا فوق جزيرة نائية ، بعـد معاناة خطوب فوادح وأهوال جسام ...

غادر بيرنج مدينة بطرسبرج فى فبراير عام ١٧٢٥ م على رأس خمسمائة من الرجال ما بين بحار وقين وكاتب ونجار وصانع شراع ، وكان معهم ثمانمائة دابة حمولة تقل ما يحتاجون إليه من الميرة والذخيرة ؛ وقد ارتفقوا بسائر ما يلزمهم عدا السفن نفسها ، إذ كانت مادتهـا الخشبية وقتذاك لا تزال جذوعاً ضخمة تغتذى وتنمو على الشاطئ الشمالى الشرقى من آسيا ، فى انتظار أن يأتى القوم فيقتطعوها ويصوغوا منها مطاياهم إلى البحر .



وكان على الركب الحاشد أن يقطع جبالاً شوامخ ، وأن يصنع لدى كل معبر نهرٍ زوارقَ وأطوافاً يجتاز عليها من شاطئ إلى شاطئ ، ثم يخلفها وراءه تنعى من شادها . وقد قضى البعث شتاءه الأول فى أيلمسك Ilimsk الواقعة على مدى ثلاثمائة ميل تقريباً شمالى إركتسك Irkutsk . وما كاد يتبلج وجه الربيع حتى تابعوا مسيرهم خـلال مستنقعات وغابات ومجار من الماء عميقة وجبال وعرة المسالك أدت بهم إلى بلوغ ياكتسك Yakutsk على نهر لينا ؛ وهناك ألجأتهم ضرورة النقل ومشقاته إلى أن ينقسموا أقساماً : فمضى فريق على رأسه سپانجبرج Spangberg فى أسطول صغير من الأطواف عبر المسالك المائية المنحدرة شرقا ، وتقدم بيرنج بطريق البر ومعه الجياد ومائتان من الرجال .. فى حين تبعهما الفريق الثالث عن كثب .

وبعد رحيل شاق مضنٍ استغرق سبعة أسابيع وصل بيرنج إلى أوختسك Okhotsk حيث اقتطع رجاله ما يلزمهم من الخشب لإنشاء السفن وتشييد أرباض الشتاء ..

أما سپانجبرج فقد قطع عليه البرد طريقه ، ونفقت ركائبه بفعل الجليد وانخفاض درجة الحرارة إلى السبعين تحت الصفر .

(١) ذكر هيرودوت أن نخاو — وقد حكم بين عامى ٦٠٩ و ٥٠٣ قبل الميلاد — أراد أن يعرف علاقة البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، فكلف جماعة من الفينيقيين أن يسيروا فى البحر الأحمر نحو الجنوب بإزاء ساحل إفريقية الشرقى ، ثم يعودوا عن طريق أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) إن أمكن . فقاموا بتلك السياحة خير قيام ، ولكنها استغرقت منهم ثلاث سنوات ، لأن سفينتهم لم تكن تتسع لمقدار كبير من المؤن ، فكانوا ينزلون على الساحل كل خريف فيزرعون الأرض ثم يقيمون إلى ما بعد الشتاء حتى ينضج الزرع ، فيحصدونه ثم يقلعون — راجع « أساس الفلك والجغرافيا » للأستاذين محمد نجم الدين وعبد الفتاح الزيادى

ولم يتصل ببيرنج إلا بعد انقضاء عامين كاملين فقد خلالهما ثمانية عشر من رجاله .

وكان بيرنج قد أنجز فى هذه الفترة تشييد أولى سفائنه « ذى فرشونا » وانتقل فيها مع رجاله وذخائره ومعداته إلى بولشير تسك : Bolsheretsk فى شبه جزيرة كمتشاتكا . وهناك أنشأ سفينته الثانية « جبرائيل » ، فاستنفد بذلك ثلاث سنوات وخمسة شهور فى عمل مضن وكفاح متواصل قبل أن يتهيأ له القيام بمهمته الرئيسية .. وهى التقصى عن خبر آسيا ومبتدأ أمريكا ..

هذه آسيا .. فأين أمريكا ؟

فى العاشر من يوليو سنة ١٧٢٨ أبحر بيرنج من كامتشاتكا ميمماً صوب الشمال ؛ والتقى فى إحدى الجزائر المأهولة بمن أفضى إليه من سكانها بحقائق نفعته . فقد علم أن الساحل الأسيوى بعد امتداده نحو الشمال قليلا ينحرف إلى الغرب . وبذلك تمثلت لديه أول فكرة عن انقطاع آسيا فى هذا الموضع واحتمال قيام أمريكا بإزائها . ومر بيرنج أثناء ذلك بجزيرة كبيرة أسماها سنت لورنس ، احتفاء بذكرى القديس الذى اكتشفها يوم عيده . وفى السادس والعشرين من أغسطس طاف حول رأس « إيست كيب » الواقع فى أقصى الطرف الشمالى الشرقى من آسيا ؛ وتحقق لديه يومئذ أن اليابسة تنحرف نحو الشمال الغربى ، فتتبع ساحل آسيا الشمالى إلى مدى ستمائة ميل غرباً حتى بلغ خليج تشوان : Tchuan Bay وعرف أن آسيا تنتهى حقيقة فى هذا الموضع ، لكنه لم يعثر بعدُ على القارة المزعومة التى قيل إنها تواجه آسيا عبر المحيط ، والتى يحتمل أن تكون أمريكا نفسها . ولاذ بيرنج بسواحل كامتشاتكا طوال أشهر الشتاء ، ثم انطلق يبحث عن أمريكا فى ربيع عام ١٧٢٩ متجهاً صوب الشرق . ولما أعجزه الوقوع على طلبته كر أدراجه عائداً إلى بطرسبرج ؛ وهناك قص حديث مغامرته العجيب فأثار ضده عاصفة قوية من السخرية والتكذيب .. عاصفة أنسته بشدتها ما قاسى من عواصف سيبريا ، وهونت لديه ما لقى من قواصف المحيط ..

وكانت القيصرة كترينا التى خلفت بطرس الأكبر على عرش روسيا لا تقل عن سلفها طموحاً فى الغاية ولا جرأة فى العمل ؛ وقد أثر فى نفسها ما لقيته مساعى بيرنج من إنكار وجحود وأعجبها من الرجل شهامته ونبل سلوكه ، فأبت أن تقطع الألسنة الحداد اللائى سلقنه إلا تزيد من تكريمه وتوكيد الثقة به ؛ وعهدت إليه برياسة بعث آخر أخطر من سابقه شأناً ..

(البقية فى العدد المقبل) **محمود عزت عرفة**

الأدب العصرى

فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب

للدكتور ر . ب . سارجنت

تمهيد

ليس فى أنحاء العالم العربى جزء يعرف عنه الناطقون بالضاد أقل مما يعرفون عن الزاوية التى فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب إذا استثنينا منها عمان . وفضلاً عن ذلك ليس فى تلك المنطقة ما هو أقل معرفة لجيرانه من بلاد اليمن ، على الرغم من وقوعها فى الطريق العام للعالم ، وعلى الرغم من تاريخها الطويل فى ميدان الحضارة . يقول ابن خلدون : « وتبقى الصنائع طويلاً فى البلاد المتحضرة . فهى هناك محفوظة تتجدد دائماً ، وخصوصاً ما تمتاز به اليمن (كنسج الوشى ، والعصب ، ونسج الثياب والملابس الحريرية إلى غير ذلك مما وصل إلى درجة الإتقان) » .

وليس من الصعب أن نشرح السبب الذى من أجله كنا على جهل بهذه البلاد ؛ فقد ظلت بلاد اليمن وحضرموت قرناً ونصف قرن وهما فى اضطراب وفوضى لم يقض عليهما إلا منذ نيف وعشرة أعوام مضت . وكانت الحكومات القائمة فى ذلك العهد لا ترضى أن تأخذ على عاتقها مسئولية السماح للأجانب بالسفر فى البلاد أو بالكشف عن أسرارها . وكان يؤيد ذلك الحظر مناعة البلاد بجبالها الشاهقة التى فى « اليمن الخضراء » ؛ لهذه الأسباب لم يتسن للرحالة، أو العلماء ، أو التجار ، أن يتعمقوا فى جنوبى بلاد العرب ، منذ البعثة العلمية الدنمركية لنيبوهر ، ومنذ الأيام التى كان فيها للبريطانيين والفرنسيين مصانع فى مخا تشتغل فى تجارة البن .

على أن الأحوال قد تغيرت فى السنوات الأخيرة ، فاستطاع كل من العرب والأوربيين أن يزوروا اليمن ، ومحمية عدن ، وحضرموت . وبين كتاب العرب فى تلك البلاد عبد المحسن الذى ظهرت كتاباته قبل الحرب الماضية ، ومنذ ذلك التاريخ ظهر الريحانى ، ونزيه المؤيد العظم ، ثم أحدثهم جميعاً الدكتور حزين . وكان من ثمرة الاتصال السياسى بين اليمن من جهة ، ومصر والعراق من جهة أخرى أن اليمن استجلبت منهما خبراء ، فى العلوم الهندسية فى الغالب ، كما أن اليمن أوفدت عدداً من طلابها إلى القاهرة وإلى بغداد . كذلك التحق بخدمة إمام اليمن عدد من السوريين والأتراك ، وعند عودتهم إلى بلادهم أفضوا بتصريحات إلى رجال الصحافة الذين كانوا يتطلعون لأخبار اليمن . ورغبة فى رى ظمأ العالم المفكر عن أخبار اليمن ، استخرج من بين طيات المخطوطات الأب أنستاس مارى الكرملى كتاب « بلوغ المرام » للعرشى ونشره (طبعة مصر سنة ١٩٣٩) وهو يصل بتاريخ اليمن إلى سنة ١٩٠٠ . على أن القسم الخلاب فى ذلك الكتاب هو الفصل الممتع الذى كتبه نيافة الأب بقلمه عن الدولة الحديثة ، معتمداً فيه على الكتابات والجرائد المعاصرة . ومع ذلك فإن القارئ يسترعيه لأول وهلة رجوع الأب أنستاس ، فى كثير من المواضع ، إلى مؤلفات الجغرافية فى القرون الوسطى ؛ فالمعلومات التى جمعها ابن حوقل ، أو المقدسى ، أو ياقوت ما زالت تقتبس سداً للنقص الذى فى المعلومات الحديثة عن اليمن ، على حين أن الهمدانى — وهو دائرة معارف عن جنوبى بلاد العرب — ذو نفع لنا لا يقدر . وقد أخرج نيافة الأب أنستاس الجزء الثامن من كتابه « الأكليل » مطبوعاً طبعاً شافياً . ولم يفتأ رجال الأدب يعلنون حزنهم على فقد الأجزاء الضائعة من ذلك السفر ، غير أنه ينبغى لنا ألا نفترض ضياعها لمن سيأتون بعدنا ، فإن الريحانى يقرر أن الإمام عنده نسخة كاملة للكتاب فى مكتبته بصنعاء ، وهى مكتبة يقال إنها إحدى كبريات المعاهد التى من هذا القبيل فى الجزيرة العربية ، ولو أن هناك كذلك مجموعات فاخرة من الكتب فى حوزة أمراء حضرموت . والحق أنه يجدر بنا أن نؤمل أملاً غير ضائع فى أن كثيراً من الكتب المأثورة ، التى لم يصل إلينا علمها إلا من كتاب « الفهرست » أو كتاب « كشف الظنون » ، ربما كشف عنها البحث فى جنوبى الجزيرة العربية .

ويشتغل بجمع هذه المخطوطات فى اليمن سيف الإسلام عبد الله المشهور بولعه بشئون التربية . وقد سمعت من يخبرنى بأن مصاحف بالخط الكوفى القديم كانت لا تزال تستعمل فى القرى النائية حتى عهد غير بعيد . وربما أحل انتشار المطبوعات مصاحف مطبوعة محل تلك المخطوطات ، فاليمن اليوم تتطور تطوراً ربما كان أعظم من أى تطور شاهدته فى خلال عدة قرون مضت .

أنواع الأدب القديم السائدة في الجنوب الغربي لجزيرة العرب

يجنح الأدب فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب ، بصفة عامة ، إلى نواح ملموسة ما تزال واضحة فى كتابات العصر الحاضر ، وخاصة فيما يتعلق بأغراض الأدب أو موضوعات الكتابة . وأقدم الكتب التى خلفها كتاب هذه البلاد فى الماضى هى فى الغالب دواوين شعر هو فى كثير من الأحيان شعر دينى ذو نزعة صوفية . وقد قام لويس شيخو بدراسة فيها شيء من التفصيل للشعراء النصاوى القدامى فى تلك المنطقة . وأشهر المنظومات غير الدينية ، وأصلحها تمثيلاً لغيرها ، هى « القصيدة الحميرية » لنشوان بن سعيد ، وفيها يتحدث الشاعر عن افتخاره بالتراث الموروث فى العلم والعزة والسلطان . ومن ذلك قوله :

ومـلوك حمير ، ألف ملك ، أصبحوا
فى الترب رهن صفائح وضراح
آثارهم فى الأرض تخبرنا بهم ، والكتب من سير تقص صحاح
أنسابهم فيها تبين ، وذكرهم فى الطيب مثل العنبر الفياح
ملكوا المشارق والمغارب ، واحتووا
ما بين أنقرة ونجـد الجاح
ملكت ثمود وعادا الأولى معاً منهم ملوك لم تكن بشحاح

وكان للمؤلفات التاريخية دائماً ازدهار وخاصة فى العصر الرسولى حينما كانت زبيد مركزاً لحركة أدبية منتعشة . ونكاد نكون فى غنى عن التنويه بأمثال هؤلاء المؤلفين أو هذه الكتب : عمارة الخزرجى ، والجندى ثم تواريخ صنعاء والغز . وكان من الطبيعى ، فى بلاد تقوم فيها الحياة على نظم القبائل ، أن يشغل علم الأنساب بال المؤلفين ، وقد كتب فيه السلطان الملك الأفضل ، كما أن هناك مجلداً ضخماً عن تاريخ الأولياء وطبقات الفقهاء فى بلاد اليمن ، إلى جانب سير الصحابة والمدائح النبوية .

ذلك إلى أننا نجد كثيراً من الكتب الزيدية بأقلام أتباع المذهب الخامس كما يسمى الزيدية مذهبهم ، كما نجد كمية عظيمة من الكتب الفقهية الشافعية ، وتنقسم البلاد جغرافياً إلى قسمين : اليمن الأعلى واليمن الأسفل ، ويتبع الانقسام المذهبى ذلك الانقسام الجغرافى على وجه التقريب . ويمكن أن تسمى صنعاء الحاضرة الثقافية للزيدية ، على حين أن زبيد ، وتريم ، وغيرهما من المدن الجنوبية ذات المعاهد العلمية التى أنشأها أو أحياها الأمراء الرسوليون ، ما زالت مراكز لفقه المذهب الشافعى .

ومن أنصع الأدلة على أهمية البلاد من حيث هى مركز ثقافى فى العصور الوسطى أن السلطان الملك الأشرف دعا العالم اللغوى الشهير الفيروزابادى للإقامة هناك فى نهاية القرن الثامن الهجرى ، ثم عينه بعد ذلك قاضياً للقضاة . ومعظم الكتب العلمية التى ألفت فى العصور الوسطى ، من طراز كتاب « شمس العلوم » لنشوان الحميرى ، هى نتاج لدراسة سنية صحيحة وإن كانت خالية من الابتكار . وعلى ذكر هذا الكتاب نقول : إن إمام اليمن كان يأمل أن ينشره بجميع أجزائه ، بل إنه رغب فى الأمر المرحوم الملك فؤاد ، وقد عين وقت للنشر ، بل إنه صدر إعلان عن ذلك النشر ، ولكن وا حسرتاه ، لم يظهر الكتاب حتى الآن . ويمكننا أن نقول بصفة عامة إنه يبدو أن اليمن فى العصور الوسطى ، على الرغم من الطابع الخاص الذى امتازت به مؤلفاتها ، لم تتمخض عن حركات أدبية مبتكرة أو ذات نباهة عظيمة . ولعل خير ما يوضح لنا اتجاه الناس نحو العلم ، من حيث هو إجلال واحتفاظ للمعلومات ، هو البيت الآتى الذى قاله شاعر مغمور وأنشدنيه أحد أصدقائى :

العلم يعلى بيوتاً لا أساس لها والجهل يدنى بيوت العز والشرف

وبما أن اليمن اليوم بلاد ما زالت إلى حد كبير فى العصور الوسطى ، تتحرك الهوينى نحو الحياة العصرية السائدة فى سائر العالم ، لم يكن هناك بد من أننا نجد ما ينشر فيها اليوم من الكتب يشبه كثيراً فى طابعه تلك الكتب التى أخرجتها فى العصور الوسطى .

الطباعة والمطبوعات فى اليمن

فى صنعاء اليوم مطبعتان ، إحداهما فى القصر الملكى المسمى « مقام الإمام » أو « المقام الشريف » . وهى هناك منذ العهد التركى ، وكانت تستعمل فى طبع الجريدة « صنعاء » التى سنتحدث عنها فيما بعد . ومع أن هذه المطبعة كانت على مايظهر تطبع بعض الكتب الصغيرة فى الحين بعد الحين ، ليس لدينا بيان عن مبلغ ما أخرجته من المطبوعات . والمطبعة الأخرى ملك لإدارة المعارف . وفى خلال العشرين سنة الماضية طبعت هاتان المطبعتان عدداً محدوداً من الكتب ، ربما لايتجاوز الثلاثين عداً ؛ ومن المرجح أن قليلاً من تلك الكتب خرج خارج البلاد نفسها . وتدل موضوعات تلك الكتب على مبلغ اشتغال الناس بالشئون الدينية ، مما تمتاز به المنطقة الجنوبية لجزيرة العرب ، وتشجعه حكومة إمام اليمن . وتشتمل الكتب المطبوعة هناك على بحوث قرآنية ، ورسائل فى مذهب الزيدية ، والفقه ، والحديث وما إلى ذلك ، وهى فى الغالب طبعات لكتب قديمة من كتب المؤلفين السابقين .

وفى العلوم المدنية شغلت إدارة المعارف نفسها بجمع مواد لإخراج كتاب فى تاريخ اليمن يمكن استخدامه فى المدارس كتاباً مدرسياً . وقبل إعلان هـذه الحرب كان تحت الطبع كتاب فى تاريخ الإمام يحيى . وقد بلغ من ارتباط الأسرة الزيدية المالكة ببلاد اليمن وما جرى لها ، سواء فى طول المدة أو وثاقة الصلة ، ما جعل هذين الكتابين على شاكلتهما ضرباً من الدعاية للأسرة الحاكمة . ومن المرجح أن ذلك سيساعد على خلق روح القومية فى البلاد . ومما يشغل بال حكام اليمن اليوم التربية والكتب المدرسية ، وهى مشكلة من المحتمل أن تزداد إلحاحاً على مرور الأيام . فأطفال المدارس الأولية مثلاً قلما يستعملون كتباً مطبوعة ، وإن كانت مدارس صنعاء تستعمل إلى حد ما كتاب « القاعدة البغدادية » لعيسى البابى الحلبى ، كما أن لدى إدارة المعارف مجموعة صغيرة من المطبوعات المدرسية . وفى « المدرسة العلمية » يكاد الطلاب لايستعملون سوى المخطوطات التى ينسخونها بأنفسهم . وطبع كتاب فى قواعد اللغة أو علم النحو ، وكذلك كتاب مؤلف فى القرن العاشر اسمه « كتاب العلماء والمتعلمين » وهو يبحث فى آداب المعلمين والطلاب ، ويبحث هذا الكتاب كذلك فى طريقة الخط ونسخ المخطوطات . وحسبنا فى أنه رؤى أن هذا الكتاب يستأهل الطبع دليلاً على نوع التربية التى ما زالت سائدة هناك ، فإن البلاد التى أخذت بنصيب أوفر فى التقدم لا ترى فى مثل هذا الكتاب ما يزيد كثيراً على قيمته التاريخية من حيث هو أثر من الآثار . وبانقطاع علماء اليمن عن الاتصال المباشر بسائر البلاد العربية ، بعوامل البيئة الجغرافية والاعتبارات المذهبية ، أصبحوا على غير شاكلة العلماء فى البلاد الأخرى .

على أن مطبعتى صنعاء أخرجتا عدة كتب فيها روح جديدة ، فهناك كتابان فى الفنون الحربية ، وكتاب فى الزراعة . وقد ظهر الكتابان الحربيان فى سنتى ١٣٤١ و ١٣٥١هـ . واسم أولهما « كتاب التربية العسكرية » ، ومؤلفه هو حسن تحسين باشا ، وهو رجل سورى كان فى وقت من الأوقات قائداً للجيش الهاشمى . وبين سنتى ١٩٣١ و ١٩٣٣م كان هذا الضابط فى اليمن يعيد تنظيم جيش الإمام ، والقواعد التى وضعها فى هذا الكتاب تدل على درجة أعلى فى تنظيم الجيش مما هو قائم الآن ، ولكنها تؤمل مجىء وقت تتحسن فيه الإدارة الحربية .

أما كتاب « رسالة فى فن زراعة الأشجار المثمرة » فكان من تأليف أحمد واصف بك ، المستشار الزراعى فى الحقبة التى فى سنتى ١٩٣٥ و ١٩٣٦م . ويعالج الكتاب ، كما يدل عليه عنوانه ، موضوع زراعة الفواكه واستخدام الوسائل الزراعية . وكان الأتراك فى مدة احتلالهم لليمن قد قاموا بتجارب متقطعة فى إدخال محاصيل جديدة فى البلاد ، وقد احتذى البيت المالك حذوهم فى القيام بتجارب أخرى من جانبه ، وعلى الأخص فى زراعة القطن . ولا شك أننا سنرى فى المستقبل الكثير من هذه المطبوعات الفنية والعلمية .

ومن المعلوم أن كثيراً من المؤلفات القيمة بأقلام بعض اليمنيين قد ظهرت فى القاهرة حيث تقطن جالية يمنية . ومن بين هذه المطبوعات الكتب الثلاثة التى ألفها عبد الواسع ، والتى تناول فيها التاريخ والجغرافية والشئون العامة التى تشوق القارئ . ونحن

نؤمل أن يأتى اليوم الذى يستطيع فيه هؤلاء المؤلفون اليمنيون أن ينشروا مؤلفاتهم فى وطنهم . وسترى أن معظم المؤلفات التى تنشر اليوم عن الجنوب الغربى لجزيرة العرب إنما تنشر فى مصر ، أو الهند ، أو جزائر الهند الشرقية .

عدن وطلائع الحركة الحديثة

تختلف عدن اختلافاً عظيما عن اليمن وعزلتها الجذابة التى خلفتها فى القرون الوسطى ، بما فيها من الجو العلمى الذى يستمد من مائة سنة كانت فيها عدن على اتصال مباشر بالبلاد الأوربية ، وبمصر ، والهند ؛ وبمدارسها الثانوية للبنين والبنات ؛ ويعلم فى مدارس البنين معلمون من البلاد العربية الأخرى كسورية ، وأحياناً من الهند ؛ وبالعدد المتزايد الذى ترسله من أبنائها إلى جامعات القاهرة وبغداد . ويطالع الأهالى الجرائد المصرية الشهيرة ، بل إننى كثيراً ما رأيت كذلك روايات مصرية فى أيدى المتعلمين فى المدارس الثانوية من أهل عدن . ومما لا شك فيه أن الجالية السورية المؤلفة من مستوردى المنسوجات والتجار تستورد كذلك الجرائد السورية ، وما نعهده فى السوريين وميلهم للاشتغال بالصحافة يدعو إلى الظن بأنه فى يوم من الأيام قد يقوم أحد السوريين بنشر جريدة فى عدن . وليس هناك مفر من أن الصحافة تنتعش فى مثل ذلك الجو ، وتصدر جريدة « فتاة الجزيرة » منذ أواخر سنة ١٩٣٩ . وكان فى عدن قبل سنة ١٩١٤ ثلاث مطابع ، وكانت إحداها فى السجن وربما كانت تقتصر على طبع المطبوعات الحكومية . وليس من المعروف مدى ما نشرته المطبعتان الأخريان من الكتب العربية ، ولم أستطع أن أعثر على أى مطبوع عربى صادر عنهما . على أنه قبل الحرب الحاضرة أخرجت مطبعة الهلال فى بازار بهرة — وهى تطبع بكل من اللغتين العربية والإنكليزية — مجموعة شعرية وصلت إلى يدى ، وهى ديوان لأغانى لحج على أوزان بحور الشعر القديمة والبحور المولدة ، من نظم الأمير فضل بن على . وقد أعيد طبع هذا الديوان فى مطبعة فتاة الجزيرة ؛ وقد طبعت هذه المطبعة أيضاً رسالة فى إباحة العود والرباب لنفس المؤلف المذكور . ولعل القراء يذكرون أن الموسيقى محظورة فى اليمن إذا استثنينا جوقات الموسيقى الحربية ، وهذا الكتيب ينادى بنظرة تسامحية فى شأن الموسيقى .

وقد نشر محرر فتاة الجزيرة عدة كتيبات أخرى شائقة ، على أن عدداً منها — كما هو الشأن فى مطبوعات مطبعة صنعاء — يتناول التاريخ ، والبحوث الدينية ، وسير الصالحين ، ككتاب « سلالة قحطان » ، تأليف محمد سعيد الأصبحى . وأهم ما نشر من الوجهة الصحافية هو سلسلة مقالات كتبها أعضاء النادى المعروف باسم « أقلام المخيم » ، وهى مقالات تتناول موضوعات شتى ، مثل الكشافة ، والمذياع (فإن عدن لها محطتها الإذاعية الخاصة «صوت الجزيرة» وهى كذلك تنشر صفحة عن إذاعتها) ، وحياة صيادى السمك على الساحل الجنوبى لجزيرة العرب ؛ وكل هذه المباحثات كتبت بأسلوب نقدى علمى . وقد أخبرنى محرر فتاة الجزيرة ، فى رسالة بعث إلىّ بها حديثاً ، أن هناك كثيراً من اليمنيين فى عدن يرغبون فى نشر كتب ألفوها ، وفى هذا دليل على مبلغ العناية التى ينالها الأدب فى هذه المنطقة من العالم العربى . ولا يسعنا إلا أن ننوه بعناية الجالية الهندية المسلمة فى عدن بالأدب العربى ، ولا سيما عبد الله يعقوب خان الذى هو حجة فى تاريخ ثغر عدن ، والذى نشر كتباً عن جغرافيته وأمثاله . وقد ورد ذكر الهنود القاطنين بالثغر قبل زمن أبى مخرمة الذى يشير فى كتابه « تاريخ ثغر عدن » عدة مرات إلى نشاطهم التجارى .

وخليق بالقراء الذين أخذوا من الحضارة بنصيب أوفى ، من أهل مصر وسورية اللتين مضى على قيام النهضة العربية فيهما عهد طويل — خليق بهؤلاء القراء ألا ينقدوا هذه المطبوعات نقداً حديثاً على وفق المقاييس العالية للانتاج الأدبى السائد فى بلادهم ؛ بل عليهم أن يعدوها نواة الإنتاج الأدبى الذى تقدمه بلاد الجنوب الغربى لجزيرة العرب إلى الثقافة العربية . ولنتذكر أن جمعيات المناظرة التى من طراز « نادى المخيم » كانت ذات أثر فعال فى القرن الماضى فى قيام النهضة الثقافية العربية فى سورية ؛ ونحن نرى اليوم فى عدن عوامل التقدم هذه تخلف آثارها .

(البقية فى العدد القادم) عن مجلة الأدب والفن الإنجليزية

حول مقال للأستاذ الطنطاوى

الموسيقى والأغانى الحديثة

للأديب سهيل إدريس

... وأخيراً ... عاد الأستاذ الطنطاوى إلى روض الأدب، بعد أن انقطع عن ارتياده حيناً من الزمن طويلاً، حسبنا معه أنه هجره إلى غير عودة، وذهب بنا الظن «أن الحرفة قد طغت عليه» فصرفته عن الأدب ... أما وقد رجع، فنرجو أن يواصل المسير، وأن يتبع الركب، فلا ريب أنه قد تخلّف عنه، ولعله لا يفوته بَعْدُ! ...

أقول هذا بعد أن قرأت مقال أستاذنا الطنطاوى[1] (الذى حبّب إلينا هذا البلاء الذى نعتز به والذى يدعونه الأدب فبتنا من طلابه ...) عن الموسيقى القديمة والموسيقى الحديثة، وعمّا تبعثه الأولى فى نفسه من سحر وفتنة، والثانية من اشمئزاز وبغضاء لها ولرجالها. ثم يقول «فلئن كان العلم عالمياً لا جنس له ولا وطن، فالفن لعمر الفن ما كان عالمياً ولن يكون. حاولوا أن تطربوا الإفرنج بغنائكم؛ إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لغنائهم، ولكن منا من يستشعر قوتهم وضعفنا، فيخادع نفسه رياء وتقليداً ...» ويتابع الأستاذ مخاطباً الموسيقيين فى بلادنا «ألم تدركوا أن أذواق الناس لا تنشرح إلا للشرقى الأصيل .. ما لنا وللجندول وأهل الجندول، ما لنا ولأنغام الإفرنج التى لا طعم لها فى حلوقنا؟»

أما أن يدعى الأستاذ أن العلم وحده عالمى، وليس الفن كذلك فهذا بِدْعٌ من القول، بل الحقيقة أن الفن أكثر عالميةً من العلم لأنه أقرب إلى نفوس الجميع، وأدنى إلى التذوق والفهم، وأبلغ تأثيراً فى الإحساس، من العلم. وللقطعة الفنية الرائعة جمال ورونق فى كل عين، وأثر إعجاب فى كل نفس وإن فى روائع الفن الغربى، لقطعاً قد يكون إعجاب الشرق بها متعدّياً إعجاب الغربى، سواء كان ذلك فى الموسيقى أو الرسم أو النحت أو غير ذلك من الفنون؛ وكذلك القول فى الفن الشرقى بالنسبة إلى الغربيين وأعنى نفسى من التمثيل لذلك. فإن هذا الأمر من البداهة بحيث لا يفتقر إلى إيماء، بَلْهَ تشريح وتمثيل! وإنما نعجب بفن الغربيين، ويعجبون هم ببعض فننا لأن الفن عالمى، هذا ما لا شك فيه.

ثم كيف يزعم الأستاذ الطنطاوى أننا لا نطرب لغناء الإفرنج، وأننا «لن» نطربهم بغنائنا؟ هل تجد اليوم شاباً فى جميع بلدان الشرق الأوسط لا يحفظ من الأغانى الغربيــة هذه الأغانى: "J' attenderai toujours, ton retour" و "Kiss my again" و "Balalaika"، ومن الذى لا يهوى سماع السمفونيات والتانجوات وغيرها؟ ومن منا لا يطرب اليوم للموسيقى الغربية؟ من منا لا يحب بتهوفن وباخ؟ وهل للقطع الموسيقية التى يحفظها الشرقيون من الغرب عد أو حصر؟ ليست القضية قضية موسيقى غربية أو شرقية، وإنما قضية موسيقى تؤثر فى النفس وتلمس أوتار القلوب؛ وفى الشرق والغرب من هذه الموسيقى الشىء الكثير! أما أننا لن نطرب الإفرنج بغنائنا، فليس ذلك عائداً إلى أن غناءنا — ولا سيما الحديث منه — ليس بالغناء الجميل، وإنما لتقصير فى وسائل بث هذا الغناء ونشره والدعاية له فى أوروبا، كما يفعل الغربيون بفنونهم. ولكن الأمر الذى يظلّ موضع النظر، هو الأغانى «المحلية» البحت، التى لا يستسيغها عادة إلا أقوام وعشائر معينة لا يمثلون أمة بكاملها أو شعباً بكامله. والواقع يدل اليوم على أن هذه الأغانى ليس لها من الشيوع مثل ما للأغانى غير المحلية. وقليلون هم الذين يؤثرون الأولى على الأخرى. وهذا راجع — فى اعتقادنا — إلى أن الأغانى المحليــة تتصف بالرتابة والترديد الباعث على الملل، وإلى أن لها «جوها» الخاص، وأن ليس لها نفس الحلاوة والجمال فى جو غيره. وقد يكون من الصحيح أن الأغانى المحلية ستندثر يوماً ما بداعى التطور.

(1) العدد ٦١٦.

وظاهر من مقال الأستاذ الطنطاوى أنه يؤثر هذا اللون من الغناء على غيره . فهى إذن هواية خاصة لا تبرر له أن يُعرِّى ألوان الغناء الأخرى من القيمة أو من الجمال . وما دام الأستاذ قد ذكر الجندول فى معرض الإنكار أو الكراهية ، فلا بأس هنا من أن نساجله القول ؛ فليس من ريب فى أن فن الأستاذ عبد الوهاب قد سجل تحولا جديداً فى الموسيقى العربية الحديثة يوم غنى الجندول من تلحينه ، ولا اذكر أن أحداً من رجال الفن أو الأدب أو السياسة أو حتى الفلسفة ... وقف من هذه الأغنية الموقف الذى يقفه الأستاذ الطنطاوى اليوم ! ولو أنه استشهد بغيرها من أغانى المطرب المعروف لكان الخطب أيسر ! ذلك أن هذه الأغنية أروع ما أنشد عبد الوهاب ، ولن تتماسك أمامه أية أغنية من أغانيه أو أغانى غيره فى معرض المقارنة . ذلك أنه بلغ غاية التوفيق فى تلحينها : فى اقتباس بعض مادتها من موسيقى الإفرنج وإضفاء الروح الشرقية الحالمة على ألفاظها ومعانيها . ولو أنه اجتزأ بأحد هذين العنصرين فحسب ، لعرّيت الجندول من قسط كبير من روعتها .

وقصارى ما أود قوله فى هذا المضمار — ولو أنى أعتمد فقط على تذوق للموسيقى دون أن أكون من رجالها — أن تلقيح الأنغام العربية بالموسيقى الأوروبية يرفع من شأن موسيقانا الحديثة إلى حد بعيد . فحسبنا من تلك الأدوار القديمة التى بليت ، وكفانا ذلك الترديد الرتيب والتمديد الممل للكلمات بل للأحرف ، وقد شبعنا كلَّ الشبع من أدوار صالح عبد الحى وعزيز عثمان وعبد الله الخولى وأضرابهم ! ...

ويظهر أن الموسيقيين المصريين قد ادركوا فى المدة الأخيرة أن التقيُّد بالقديم من الألحان مؤخر النهضة الفنية ، وصارفٌ الجيل الجديد عن القديم ، فإذا هم يعمدون إلى ألحان يستحدثونها أو يقبسونها من الأنغام الأوروبية ، فيسيرون فى هذا المضمار شوطاً بعيداً . ولا سبيل اليوم لأحد أن ينكر أن الهواة وغير الهواة من المستمعين يؤثرون ألحان عبد الوهاب على غيره من الموسيقيين القدماء . ونحن فى الحق نعتمد — فى نهضتنا الموسيقية الحاضرة — على عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى ومن بعدهم على فريد غصن ، وفريد الأطرش ، وعبد العزيز محمود ، وغيرهم كثير .

وإن الدعوة التى يدعو إليها الأستاذ الطنطاوى لدعوة مضرة بالموسيقى والغناء الحديث إن هى اتبعت ، ونخالها لن تتبع . هذا وإن الغناء الحديث قد ارتقى — فى اعتقادنا — ارتقاء كبيراً بالنسبة للغناء القديم ، إذ أنه خلا من الترديد والتمطيط ، فليس اليوم من مغن يسلخ خمس دقائق فى أداء « آه ... » تتبعه الجوقة فينقلب الغناء إلى جو من النعيب ! كما أن الغناء الحديث أصبح أرشق أداء وأرق لفظاً وأحيا روحاً من الغناء القديم . وإنى أرى فيما اتهم به الأستاذ الطنطاوى المطربين المحدثين — جميعاً ! ... — شيئاً من التعسف . وإليه على كل حال تحيتى الصادقة والسلام .

« بيروت »   **سهيل إدريس**

نشيد الزورق

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

« ربان هذا الزورق شاعر عاش فى دنياه طويلا ، بين الماء والسماء ، ويوشك أن يعيش فى دنيا الناس بعد أن رسا زورقه وركدت من تحته الأمواج » .

رسَا زورقى وطويتُ الشراعا   وكفَّنتُ فيه النَّدى والشُّعاعا
وعدتُ إلى شاطئى ساخراً   أردُّ اللَّيالىَ مرَّتْ سِراعا
هنا كان لى سامرٌ... أين ولَّى ؛   هُنا كان لى أملٌ... أين ضاعا
ذوَى أمَلى فى رَبيع المنى   وما خِلتُ يا «أملى» أنْ تراعا
فقدتُكَ يا « أملى » جدْولاً   تدفَّقَ لحناً بسمْعى مُشاعا
ترفُّ على جانبيْكَ المنى   فَتاةٌ يفيضُ هوًى واندفاعا
عرفْتُ المنى شاعراً ملهما   وخلفْتَنِى لا أجيدُ السَّماعا
أكادُ أُشوِّه هذا النشيدَ   وأُنكرُ فى أصبَعىَّ اليَراعا

رَسَا زورقى فوق صخرٍ رهيبِ
يطالعُ سرَّ الزمَانِ العجيبِ
نعتْ فجرَهُ نَسماتُ الضُّحى   ولفَّ الصباحَ شعاعُ الغروب
سَرى فوق أمواجِه العاتياتِ   بهَدْىِ النبىِّ وخطْوِ المريب
تُولْوِلُ فى جانبيْهِ الرِّياحُ   مُقذَّفَةً مِنْ وراءِ الغُيُوب

مضَى الزَّمن الحلو فوق العُبابِ   ولاذَ الغريبُ بشَطٍ غريبِ
فلاَ طائِرى غرِدٌ بالنَّشيدِ   ولاَ زورقى آهلٌ بالحبيب
فيا ليلةً جمعتْنَا هُنَا   على زورقى ، هل لنا أن تؤوبى ؟
ويا زورقى آنَ أنْ نستريحَ
فلا الخمرُ خمرِى ، ولا الكوب كوبى

رَسَا زورقى وصحَا الحالمُ   وثابَ إلى رُشْدِه الآثمُ
وغادَرَ حانته مثلَمَا   يغادِرُ مخدعَه النائم
وودع قيثاره مثلَمَا   يودِّعُ ريشته الرَّاسم

وألقى بها قبل عزفِ النشيد   فنامَ بها الوترُ الناعم
وسَلْسَلَ فيها نشيدَ السماء   سَنًى خاطفٌ وندًى ساجم

فيا شاعراً عافَ قيثاره   فزورقه موحِش سَاهم
لقد كان يُلهمُ أوتارَها   وينطقها روحه الهائم
أيلْهُو بزورقهِ بعدها   أما شاقه عهدها الناعم ؟

رسا زورقى ، هلْ رسَا واطمأنَّا ؟
وقد هَدأ الليلُ طيراً وغصناَ
وداعبَه الموجُ فى الضِّفتيْنِ   وسَبَّح فى الشطِّ ناياً ولحناَ
أيَحْيا هُنا خشباً جامداً   وقد عاش بالأمس روحاً وفناَ !
لقدْ هادنتْهُ رياحُ العشىِّ   فهل ستظلُّ سلامًا وأمنا ؛
أقامَ هُنا كالطَّريدِ السليم   وضمَّ إليهِ الطريدَ المعنَّى
طريدانِ سَارا النهارَ الطويل   إلى أن مَضَى نورُه واستكنا
نخافا ضلالَ الطريق البعيدِ   وناما بليلهما حينَ جنا ...
فمنْ لكَ يا زورقى ها هنا ؟   وقد سكن الكون حسًّا ومعنى ؛

رسا زورقى غارقًا فى الظَّلامِ   وقد شَردَ النجمُ فوقَ الغمام
ونامتْ على الشطِّ أمواجُه   فأقفرَ من زُوجِها السَّهام
أتغفُو وقد شاقَهُ صحوُها   أمَا سئمتْ طولَ هذا المقام ؟
أما شاقَها زورق سابحاً   فتجْرى به سبحةً للأمام ؟

لقدْ أوشكَ الليلُ أن ينجلى   وتهتفَ أطيارُه بالنِّيام
دعِ الليْلَ والموجَ يا زورقى   وجدِّف على موجةٍ من هيامى
بدا النورُ فى الأفق فاسبح له   فإنى سئمت حياة الظلام
ظمئتُ إلى الفجرِ يا زورقى   أما آن لى أن أندِّى أوامى ؟

رسا زورقى عند فجرٍ سَنِىٍّ   فصافحه بالشُّعاعِ النَّدىِّ
وأطلقَ صدَّاحَهُ هاتفاً   يُرحِّبُ بالزورق العَبْقرىِّ
فحوَّمَ مُستلْهماً سرَّه   ورفرفَ فوق الجبين الوَضِىِّ

هُنَا شاعرٌ سابحٌ فى رؤًى   مجنَّحة فى خيالٍ سرىِّ
توسَّدَ زورقَه مضجعاً   وأغفَى على صدْره كالصَّبىِّ
فأيقظَهُ الطيرُ من حُلْمِه   وغنَّاهُ لحنْ النشيد الشجىِّ

وأجْفَلَ من نايهِ عاطلاً كما يُجْفِلُ النورعند العَشِيِّ
غـدا زورق ها هنا معبداً يَضمُّ حُطامَه الشَّهيد الوفيّ

رسا زورق بعد عصف الرياح وهبّت عليه سَمُومُ الصباح
وعادَ إلى عُشِّهِ طائرى صريع الأمانى ، ذليل الجناح
شَدَا فى الغصون فأنكرْنَه وقد كانَ ملْء الجواء الفساح
جَفَا الروضُ شاديه العبقريّ وماتَتْ أغانيه بين الأقاحى
حَنانَيْك يا طائرى لا تَرَعْ جراحُك يا طائرى من جراحى
لئِنْ بَرِمتْ بك تلك الغصونُ فمش بين تلك الرُّبا والبطاح
فلمْ يعد الزهرُ ملكَ الطيور ولا وارفُ الظلّ بالمستباح
سَراحك؛ حسبُك أن يطلقوه متى يطلقون الغداة سراحى ؟!

رسا زورق فى الصَّباح الحزين فألقيْتُ مِجْدافه من يمينى
وغبتُ عن الكون فى رحلةٍ ترامى بها الوهمُ فوق السنين
فمن عالم من بناء الزمانِ إلى عالم من بنـاء الظنون
سئمتُ خِداعَ التُّراب المهين خلقْتُ فوق سَماء اليقين
عَوالمها أطلقَتنى سجيناً فواعجبًا للطليق السجين !!!
على قمة الدهر باتتْ قيُودى ممزقةً كالهشيم الدفين
وما راعنى غيرُ تهويمة
تطِلُّ مع الصبح خلف الدُّجون
تَلفتُّ أبحثُ عَنْ زورق فألفيتُ مِجْدافَه فى يمينى

رسا زورق فى انبثاق الضُّحى وأوْمأ للظّل أنْ يَسرحا
وللشَّمس فى الأفق أن تَعتلى وللطير فى الروضِ أن يصدحا
وللغصنِ أن يرتوى بالنَّدى وللعُشْبِ فى الغصن أن يترحا
وللروض أن يستفزَّ الطيورَ وللجدول الثرِّ أن يمرحا
وللزَّهر أن ينفح الحالمينَ وللطَّيف فى الحُلْم أن يسنحا

بدا الكونُ يا زورق فاتناً كما شئتَ ، هل آن أن تفرحا ؟
أطلتَ الوقوف هنا مُستكينًا وقد كان دأبُك أن تجمحا
جرى الموجُ يركضُ فى شطِّه فيا زورق آن أن تسبحا

أحمد عبد المجيد الغزالى

لقـــاء ...

للأستاذ إدوار حنا سعد

ترفق فقد هزت كيانى وخاطرى عواطف من فرح بلقياك غامر
أأنت أم الأطياف فى موكب المنى
تجد كدت من سحر أكذب ناظرى
تعايت دموعى فى نواك على الأسى
فكيف استجابت للسرور الباكر
نعيم سماوىّ الجنى لم تطف به خوافق أحلامى وطير خواطرى
ولو كنت فى الأحلام شاهدت صفوه
لما جن فى صدرى هتاف البشـائر
فقد تنقص الأحلام من فرحة اللقا
إذا هى أبدتهـا بشتى المظاهر
طلعت كواحات الأمانى ليائس وكالأمن فى واد عصوف المقادر
وكالضفة الخضراء لاحت لطائر لهيف الظما دامى الجناح مسافر
وكالمجد ألقى للطموح عنانه سنىّ المجانى لؤلؤى الأزاهر
وكالبرء للعانى ... وكالنوم للذى يؤرقه ركب الطيوف العوابر
وكالعيد للطفل الثرى .. وكالسنا لسارٍ .. وكالطفل الجنين لعاقر
فأوشك أن يطغى سرورى وأن أرى
هتوفاً بأفراحى العـذارى الزواهر
لكى يعلم الحساد أية نعمة
تشوفها أمسى وضاءت بحاضرى
توالى خفوق القلب يلقـاك ثائراً
كطبل زنوج الغاب فى عيد ساحر
تراقب عينى فيك أحور فاتناً وتسمع أذنى منك ترتيل شاعر
وألثم فى مغناك شتى فواكه وأنشق من رياك عطر مجامر
لقد حسدت بعض الجوارح بعضها
على رغم ودٍّ تالد وأواصر
قسمتْ حظوظاً بينها فأثرتها شواجر أطماع بدت لشواجر

الاسكندرية **إدوار حنا سعد**



إلى الأستاذ حبيب الزحلاوي

قرأت في عدد الرسالة ٦١٧ كلمة موجهة إليك بتوقيع شريف القبج الدكتور في الفلسفة ، وأنا حاملَ هذا الإسم وذلك اللقب أبرأ إلى الله مما جاء في هذه الكلمة الرقيقة ، ولست آسف كثيراً على هذا المجهول الذي نزع كلمة من هنا وكلمة من هناك ووقف على منبر في الخفاء ليعطي الإرشادات الفنية بشكل رسالة للفن السامي ، ويخاف من نشاط الغرائز غير المهذبة في الإنسان ، ويخشى أن يستعمل الأديب في النقد مبضعه بلا رحمة ولا هوادة .

ويتوقع أن يقف الأديب والناقد في حلبة صراع يجلب غمز القراء ولمزهم وقهقهتهم . وكأنه يندب حظ الأدب إذا تلطخ بالمهاترات الكلامية والتراشق بالألفاظ غير المهذبة .

ونحن القراء في هذا البلد «فلسطين» لا نزال ننعم ونتمتع بما تجود به الأقلام المصرية علينا لنغذي نفوسنا كما كانت مصر الخصيبة تملأ غرائزنا في المجاعات العالمية التاريخية .

لقد دل هذا الكاتب المقنع من تزييف توقيعي على أن إرشاداته للأدب والأديب كاذبة ، وأنا معذور إذا لم تتولد في روحي الحرارة الكافية للرد عليه ، لا لأنه أساء إلى الناقد الأديب السيد حبيب زحلاوي ، ولا لأنه أساء إلى القراء بقصة بهلوانية ، ولا أساء إلى بلاده بعملية التزوير ، بل لأنه كأولاد الشوارع الذين يرشقون السيارات بالحجارة ولا يسع صاحب السيارة إلا أن يشتم أهل البلد الذي وقع فيه الحادث ، ولكن المذنب في الحادث فرد مجهول .

قيل لي إن الذي مثل هذه الرواية شاب خليع ليس بالكاتب ولا بالأديب ولكنه يقول الشعر الجارح لا من قريحته بل من جمعه للقوافي المختلفة وقياسها بخيط طوله معلوم عنده ، فإذا جاءت قياساتها متناسبة وقوافيها على نغم واحد أخرجها قصيدة شتامة لرفاقه . ولقد كسدت بضاعته أو ربما أضاع الخيط الذي يقيس به فانتقل إلى صناعة النثر وبدأ باستعارة الأسماء ، وواجبي تجاه هذه المجلة العظيمة أن أعتذر للسيد حبيب زحلاوي عن هذا الواعظ المجهول ، وأعتذر لصاحب الرسالة عن ذلك الصبي الذي يرشق سيارات الناس فيسيء إلى سمعة بلده ، وأعترف أنني لا أملك المقدرة لمعالجة هذه الثلمة الأخلاقية بدرس ألقيه في الرسالة فأترك ذلك إليكم

والسلام عليكم ورحمة الله .

(طولكرم — فلسطين) **شريف القبج**

كتاب «التصوير الفني في القرآن»

كتاب طيب جديد في بابه ، يشق لنفسه طريقاً إلى نفسك ، ويحل عندك محله اللائق به من إعجاب به ، وتقدير لما بذل صاحبه في وضعه من جهد ، وما صادف من توفيق ، حتى جاء شاهداً لصاحبه بأنه كما قال الأديب عبد المنعم خلاف في الرسالة « شاعر ناثر ناقد ، زاول الشعر والنثر والنقد ، ونجح في ذلك كله كثيراً من النجاح » وحتى جاء شاهداً لنفسه — كما قال ذلك الأستاذ الأديب — « بأن له الموضع اللائق به من مكتبة القرآن ، ومكتبة بحوث البلاغة ، ومكتبة الفن ، ومكتبة البحث » وليس يسع القارئ لهذا الكتاب إلا أن يحمد لصاحبه عمله ، ويغبطه على نجاحه ، وذلك موقفي من الكتاب وصاحبه .

وإن تكن لنا ملاحظات بعد فهي ملاحظات هينة يسيرة ، لا تغض من قيمة الكتاب ، ولا تبخس فضل صاحبه ؛ وإنما هي ملاحظات — إن روعيت — تزيد الكتاب حسناً على حسنه ، وكمالا إلى كماله : وإليك هي :—

١ — عني المؤلف بتحليل الآيات عناية مشكورة ؛ ولكنه لم يعن بتحريرها على وجه الصحة ، فتطرق إلى كثير منها الخرم ، كما تسرب إلى بعضها التصحيف ، أو التحريف ، ولو أن ذلك قليل لهان الاعتذار عنه ، وإن شاء تبيان ذلك فليضع المصحف بين يديه ثم ليراجع من كتابه صفحات ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٧٦ ، ١٩٨ .

ب — اتجه المؤلف فى بحثه إلى الناحية البلاغية فحسب ، ونبه فى غير موضع من كتابه إلى أن الجانب الدينى ليس موضع نظره — وهذا حسن ، ولكنه (على غير قصد منه فيما أرجح) لمس الجانب الدين لمساً جارحاً حين عرض للآيات فى قصة يوسف عليه السلام — صفحة ١١٥ — إذ وصف النبى يوسف — أولا — بأنه الواعى الحصيف ، وبأنه كان فى موقفه من زليخا يحذر مواضع الحرج جميعها ، وهذا لا شىء فيه ؛ غير أنه جعل يوسف أمام المرأة وفى هذا الموقف الأجرامى أشبه بشخص عادى (كاد يضعف) لولا أنه كان واعياً حصيفاً يخشى أن تأخذه عين الرقيب مثلا ، أو يفجأه الزوج ، وقد صدقت فراسة يوسف : إذ فجأه الزوج حين محاولته الإفلات لدى الباب . وهذا تصور غير فنى لإنسان هيأه ربه للنبوة ، وكتب له العصمة من قبل ومن بعد . وأظن الأستاذ منساقا فى هذا وراء ما يقال : من أن يوسف إنسان لم تفارقه نوازع البشرية ، فهو يميل كما يميل أى إنسان ، ويكاد يضعف كما يضعف أى إنسان . وأظنه كذلك يحسب الآية فى ظاهرها تؤيد هذا إذ قررت أن المرأة همت به ، وأن يوسف هم بها . وليسمح لى الأستاذ أن أنبهه إلى أن هذا فهم سطحى غير سديد ، درج عليه غير الدارسين لقواعد اللغة ، والمتساهلون ممن فسروا هذه الآيات .

ولو أنه لم يتابع هؤلاء فى فهمهم ، ونظر نظرة استقلالية إلى التعبير لرأى بادى الرأى — وهو القوى الإدراك لأسرار القرآن — أن هذا توجيه لا يرضيه ، وأن المقام أسمى من ذلك ، وأن نوازع البشرية فى يوسف كانت مكفوفة بالزهادة الدينية على الأقل (فضلا عن العصمة) على نحو ما ترى وتقرأ عن الأتقياء فضلا عن الأنبياء ، ولو أن يوسف كاد يضعف وأنه تحرج للحصافة والوعى والحذر لكان الموقف منه أمام الله موقف عتاب ، لا موقف تبرئة وتزكية بقوله سبحانه وتعالى (إنه كان من عبادنا المخلصين) .

وفى سياق الآيات وألفاظها المفردة ما يتسع للنظر والوصول إلى ما أبديت . ولولا أن صفحات الرسالة لا تتسع للتطويل لأوضحت : وصاحب الكتاب فى غير حاجة منى لأكثر من هذه اللفتة ؛ وحسبه أن يراعى الوضع الترتيبى لكلمة — لولا أن رأى برهان ربه — فإن موقعها بين كلمتى همت وهم — وأن يتذكر ما تدل عليه كلمة لولا ، وسيجد نفسه أمام نفى قاطع لوجود الميل والهم من يوسف . وكفى .

حـ — مضى ذلك الردح الطويل من تاريخ الإسلام وقضية إعجاز القرآن ناهضة تضاءلت بجانبها جهود الباحثين ، كما تحطمت على صخرتها جهود العابثين ، ولم نر ممن كتبوا وعنوا أنفسهم واحداً يمن على الناس بما قدم لهم ، أو يغض من شأن سابقيه ، وكنت أحب للأستاذ قطب أن يدع للناس تقديره وأن يلحظ مالحظه الأولون من أنه فوق كل ذى علم عليم ، وأن الأيام ستطلع علينا وعلى الناس بالجديد فى كل شىء فلا يغمز الأوائل بالتجهيل أو القصور ونحن لا نبنى إلا من الحصيات نجمعها من ساحاتهم الواسعة .

د — كان حريا بالأستاذ سيد قطب وهو مدرك لبلاغة القرآن ومفتون بسحره أن يشاكل بين مؤلفه وبين الكتاب العزيز فيبدأه بالتسمية ليرتفع به عن نمط الروايات وكتب التسلية التى تقرأ وتلقى لا تقرأ وتقتنى فى الموضع الكريم بين الكتب الكريمة .

هـ — وكان جميلا فى النهاية أن يضع للكتاب دليلا يرشد الناظر فيه إلى موضع كل آية ببيان صفحتها حتى يسهل على من أحب الرجوع إلى آية بعينها أن يتعرف مكانها ، دون أن يخالف النظام الشائع ويصب الكتاب صباً تحت عناوين الفصول فحسب . وبعد — فليتقبل الأستاذ ثنائى خالصاً ، وشكرى مضاعفاً ، ولا عدمنا مثل هذه الجهود الطيبة النافعة .

عبد اللطيف السبكي
المدرس بكلية الشريعة

الفن والتاريخ فى فلم سلامة

أعرف أن من حق الفن أن يدخل على التاريخ ليبعث فى وقائعه الحياة ، وليلبس حوادثه ثوباً من الأناقة والطرافة يحببها إلى النفوس والقلوب . وليس للفنان القصصى فى القصد إلى التاريخ إلا أن يجمع بين الحقيقة التاريخية تحمل أسانيد الواقع وصدق الرواية ، والحقيقة الفنية تلائم بين الحوادث بالانسجام والروعة والجمال .

ولكنى لا أعرف أن يكون من حق الفن أن يمسخ ، وأن يجرى بوقائعه على الهوى ، فيغير الزمان والمكان ، ويزور

الأشخاص والمشاهد ، وينكر البيئة وما تقضى به ، ويجهل الحوادث وما تؤدى إليه ، فإنه حينئذ لا يكون فناً ولا تاريخاً ، ولكنه يكون المسخ والتشويه والخلط والتضليل والشعوذة التى لا تصح فى ذوق ، ولا تليق بأى صفة من صفات الفن .

ولقد قدر لى أن أشهد فلم « سلّامة » الذى مثلته المطربة المشهورة أم كلثوم ، وأخرجه السينمائى المعروف توجو مزراحى .

وقصة سلّامة فى الأدب العربى القديم من أروع القصص ، وهى بواقعيتها جميلة عنيفة تعالج كثيراً من الجوانب النفسية والخلجات العاطفية إلى جانب ما تحمل من طريف الرواية وحلاوة الغناء وروعة الجمال ، وقد استهوت بعض الأدباء المعاصرين فعرضوا وقائعها فى معرض الفن القصصى والرواية الطريفة وفيها ما فيها من روعة التحليل ، فكتبها المرحوم الأستاذ محمود مصطفى فى « مجلتى » ، وجلاها المغفور له الأستاذ الرافعى فى « الرسالة » آية من آياته الخالدة ، ثم حبكها صديقنا الأستاذ أحمد باكثير حبكة قصصية نال بها الجائزة لإحدى المسابقات . فلما قيل إن أم كلثوم مثلتها ، قلت : طاب الأصل والمثال ، والتقى سحر القديم بروعة الحديث ، وإنها لمتعة فنية من الواجب أن أدركها وأن أفوز بها على أى حال .

وقصدت إلى مشاهدة الرواية وسماع أغانيها ، فليتنى ما قصدت ! لقد دخلت إليها ونفسى مفعمة بما أتمثل من سحر وجمال وروعة فن ، ثم خرجتُ مكروب النفس آسفاً أن يبلغ عبث التجارة بالفن إلى هذا الحد السخيف ، وأن تصبح مشاهد التاريخ ووقائعه ملكا لهؤلاء المشعوذين يسخرون منها ومن الناس على هواهم ، وعلى ما تدعو إليه بواعث الكسب التجارى ، ومع هذا يأخذون الثمن الباهظ .

أول جريمة من جرائم التزوير فى الرواية أنْ نَقَلَ « حضرة المخرج الأريب » مكانها من المدينة ومكة بالحجاز إلى الكوفة والبصرة فى العراق ، وفى هذا كذب على التاريخ ، وفيه أيضاً جهل فاضح ، لأن قصة سلامة ما كانت تطلع إلا فى أفق الحجاز ، وما كانت حياة الترف والدعة والسماع إلا ديدنهم فى ذلك الوقت ، على حين كان أهل العراق فى فتن عاصفة وحروب طاحنة وحياة شديدة قاسية ، وهذه حقيقة أحسب أن « المخرج » لا يدركها ، ولكن ماذا تكون قيمة هذا « المخرج » فى العلم بصناعته إذا ما نقل مشاهد المدنية العامرة إلى ربوع الصحراء الخالية ، ومثل مظاهر أهل الحضر ، فى مواقع الوبر ؟!

أما الجريمة الثانية فتتصل بشخصيات القصة ، فقد كانت سلّامة على مايحدث الرواة جارية مولدة ، شاعرة متفقهة ، تقول الشعر وتجالس العلماء ، فأبى صاحبنا سامحه الله إلا أن يمثلها جارية من جلب رخيص ، مبتذلة العاطفة والفن ، تغنى بلهجة مغربية غثة فى ألحان تافهة كأنها ألحان « زفة العروسة » ، وتعابير نازلة تعلو عليها تعابير أولاد القرية وهم فى مزارع القطن ينشدون أناشيد « مقاومة الدودة » ، فأنت تسمع فيها « الحب حلو والا حرّاق » و « سلام الله على الأغنام » و « غنى لى شوىْ شوىْ شوىْ » وكثيراً من أمثال هذه السخافات . وأين هذا من تلك المقطوعات الشعرية العاطفية المنسجمة التى كانت تغنيها سلّامة ، والتى لو غنتها أم كلثوم لكانت لها مجداً خالداً فى الفن ، يضاف إلى ما بلغته من مجد .

وجاء « المخرج » — ولا أدرى لماذا — بالشاعر عمر بن أبى ربيعة بين أشخاص القصة ، وهو تزوير آخر على التاريخ ، إذ لم يعرف أن سلّامة التقت به ، وإن كانت هناك رواية تقول إنها التقت فى المدينة بصاحبه ابن أبى عتيق .

وفى صلة سلّامة بحبابة وبجميلة ، وفى كل شخص ، وفى كل مشهد ، تزوير على التاريخ ، وكذب على البيئة ، وخروج على روح الفن ، وشعوذة رخيصة لا تساغ إلا فى منعطفات الطرق كشاهد « جلا جلا » وحلقات الحواة .

لماذا لا يريح الناس أنفسهم ويريحونا معهم ، بعدم ذكر الفن والتعلق بهذا الحرم المقدس الذى وضع العلماء له القواعد والأصول ، والذى يحتاج فى مزاولته إلى علم ودراية وفهم وذوق ..

أنا والله لا ألوم هذا « المخرج » فى عبثه ، لأننى أعلم تماماً أنه رجل لا يخدم الفن ولكنه يخدم جيبه ، ولا يرضى الذوق وإنما يرضى خزائنه ، فهو يقيس النجاح بمقدار الدخل واستغفال العامة وأشباههم ، ولكن كيف تجيزله رقابة الروايات هذا العبث وهذا التلفيق يفسد به الفن ويكذب به على التاريخ ويجنى به على الذوق ويضحك به على الشعب المسكين ؟!

ثم ماذا ؟

قال صاحبى : إنها لا شك مؤامرة على أم كلثوم ، قلت : ومن الأسف أنها أفلحت ..

محمد فهمى عبد اللطيف



أقصوصة من لاتفيا القديمة

الرسالة

للكونتيسة هرميانازر موهلن

ترجمة الأستاذ فيصل عبد الله المحامى

لشد ما راعنى من مارتا حين لقيتها أول مرة دمامة وجهها الذى خلعت عليه أربعون عاما شر ما كان لديها .

لقد لاح وجهها آنذاك كما لو أن مثالا مجنونا نحته بأزميل مثلم الحد . وكانت تنوء فى دنياها بأنفها الغليظ وجيدها المترهل ، ووجهها المعروق الذى برزت فيه عظام خديها وبفمها الواسع العريض ... على أن عينيها كانتا على نحو آخر . فلم يكن ثمة غلو فى القول بأنهما على شيء من الحسن — لولا — ما تعبران عنه وتنطقان به من جوع ونهم

وبرغم ذلك كان من العجيب أن لم تتزوج مارتا ، فإن فتاة من الفلاحين يتيمة من الصغر تملك حقلا ممرعا وثمانى بقرات سمان وزوجى خيل من الأصائل ، وكن دجاج واسع يندر أن تبقى بكراً فى ريف لاتفيا القديمة ، حيث لا يكون الزواج فيها عقداً بين فتى وفتاة وإنما يكون بين حقل وحقل؛ ولكن مارتا لم تتزوج ، ولا يبدو أنها معنية بأن تتزوج . على أن عجائز القرية كان لهن — بالطبع — ما يلغطن به . فلقد كن يهمسن بحديث حب كان قبل عشرين عاما عن فتى وسيم الطلعة من الروس جاء هذا البلد كغيره يسعى لرزقه من جنى البطاطس .

ولقد روت لى عجوز درداء منهن ذات يوم حديث مارتا و الروسى ذاك ، فقالت وقد دلت لهجتها عن حقد تخفيه لمارتا ... (... لقد شغفها حباً ، ثم كان بعد ذلك أن أعلنا خطبتهما . وكان مقدراً أن تزف إليه فى عيد القديس ميخائيل لولا أن أصر (بوريس) على أن يرحل إلى أمريكا أولا ؛ فلقد كان يقول إن له أقرباء سراة هناك لا يضنون عليه بالمال إن سمعوا رغبته فى زواج صالح ، وهذا كما كان يقول سيعينه هو ومارتا على أن يبتاعا الحقول الثلاثة التى تحيط بحقلها والطاحونة التى شاخ راعيها وشح رزقه .

وبرغم أن مارتا لم تكن لتأبه بأن تمتلك الحقول أو الطاحونة فإن (بوريس) قد أصر على دعواه تلك ولج فيها فلم تستطع مارتا بالطبع لرغبته رفضاً ...)

ثم سعلت العجوز وبصقت على الأرض بذوراً كانت تمضغها واسترسلت فى حديثها وقد سرها أن تجد من لم يسمع بعد بما ترويه ويسعدها أن ترويه .

ثم قال لها بوريس : إنه ليستحى أن يفد على أقربائه معدما حقير الهيئة رث الثياب ، فكان أن باعت مارتان حقلين مما تملك وخمس بقرات وسواراً ذهبياً وحليا أخرى مما كانت لأمها وقدمت ثمن ذلك كله لبوريس الذى راح بعد ذلك ينفق منه على أقرانه فى الحان وهو يحدثهم ساخراً هازئا بحديث مارتا الدميمة الخلق الدنيئة الخلق التى صدقته فى كل ما ادعاه .. ثم لبث بعد جنى البطاطس حيناً على نهجه ذاك حتى أقبل الشتاء فعاش كالسادة على ما تدره الأرض . ولما أقبل الربيع ذهب ... ولم يعد

ومنذ ذلك الحين قل أن تتحدث مارتا إلى أحد ... فلم يعد لها فى دنياها من شيء غير العمل والأمل ، تعمل فى حقلها وترعى ما لديها وتنتظر بوريس أن يعود ... وترتقب ذلك اليوم الذى فيه سيعود

ولقد يكون محتملا أن تحس مارتا بغتة رغبة فى أن تتحدث إلى أحد ، وقد يكون محتملا أيضاً أنها قد أدركت أن من السهل أن تروى قصتها لغريب من أهل قريتها فيصدق كل ما ترويه ويأنس به وبها ، وقد يكون غير ذلك ، فلست أدرى ما الذى أوحى إلى مارتا أن تستوقفنى ذات يوم وقد مررت بحقلها على فرسى فطلبت إلى أن أترجل وأدخل مثواها لأشرب قدحاً من اللبن ؛ ثم راحت بعد ذلك تحدق فى بعينيها الزرقاوين ، وقد لاح عليها أن لديها ما تريد أن تقوله وما لا تريد أو ما لا تقوى على أن تقوله ،

فلقد لاح عليها تردد بيّن ثم تنهدت وهى تقول :

— ربما بلغك عنى ما يلغط به القوم هنـا ··· إن ذلك كله هراء محض ، وقمين بك ألا تصدقيه . كلا ··· إنه لم يهجرنى وسيعود ··· أجل سيعود .

ثم نهضت متثاقلة كأنما تحس على كاهلها عبء سنيها وانحنت على صندوق مزركش وأخرجت منه ورقة مطوية . كانت تلك الورقة رسالة تحمل تاريخاً قديماً واسم مدينة (بروكلين) ثم قالت وهى ممسكة بها : لقد كتب إلىّ هذه الرسالة . كتبها بلغة الحب الصادق . لقد أذاب قلبه فى رسالته هذه يناجينى فيها بأعذب الألفاظ . ثم عادت تحدق فىّ كأنما استقر خاطرها على رأى فجأة وقالت : إننى أعرف بالطبع أنها رسالة غرام . ولطالما تمنيت أن أطلع على ما فيها فأعرف كل كلمة حبيبة كتبها إلىّ .

وإنك لتعلمين أننى أمية لا أقرأ .

وليس فى القرية من أثق به فأطلب منه أن يقرأها لى ؛ والنساء يحقدن علىّ لأن زين الشباب أضحى أسير حبى ؛ والرجال يمقتوننى لأننى لم أرض بأحدهم زوجاً ؛ إذ كل ما يبغونه من زواجى لو تم ذلك لا يعدو الحقل . لذلك احتفظت برسالتى فلم يطلع عليها أحد . على أننى غالباً ما أخرجها من الصندوق ثم أعدو بالفكر فى مجالى الخيال أحاول أن أتصور مايعبر عنه من العواطف ويزدان به من المعانى ، وإنه ليسعدنى أن تقرأيها أنتِ علىّ إذا سمحت بذلك .

فأخذت الرسالة ، وقد كان واضحاً أن كاتبها ليس على شىء من العلم ، ثم أخذت أقرأها لنفسى قبل أن أتلوها عليها .. ولقد جلست إلى جانبى ، كأنما تلوذ بى مما تحسه وتفيض به من تلك العاطفة الجموح . وكانت عيناها الظامئتان المترقبتان لا تتحولان عنى .

ولقد قرأت رسالتها مرة وثانية وثالثة ، وقد أفزعنى أن أجدنى أرتعش ، وأخذنى دوار حاد ، إذ لا بد أن يكون الرجل ثملا حين أنشأ هذه الرسالة ؛ فلا يمكن لمخلوق بغير الخمر أن يثور فى نفسه كل هذا الحقد وكل هذه القسوة . مما لا يمكن تصوره فى حنايا إنسان . كان كل ما فى الرسالة سخرية من هذه البلهاء الدميمة التى صدقته فى تظاهره بالحب ، ولم تعجزه منشئها دقة الوصف وسعة العلم بما يزرى بمارتا ويخزيها ، ولم يفته مظهر من دمامتها يتهكم به ويسخر منه . كان يسخر من أهداب عينيها كأنما هى شعرات خنزير ، ومن جسدها كأنما هو كتلة واحدة من العظم ، ومن فمها الواسع كأنه فم ضفدعة أو أوسع وأبشع . وحين ينتهى من وصفه اللاذع لمارتا وتهكمه بها يتحدث مزهواً عن فتاته الأميركية الحسناء التى تجلس إلى جانبه وهو يكتب رسالته . هـذه الفتاة التى يقول عنها إنها مشرقة كالزهر ، منيرة كالبدر ، تبتسم فتبدو كزهرة الربيع .

ثم يروى لمارتا أنه حدّث فتاته بحديثها ، حدثها عن امرأة بلهاء جُنَّت به ووهبته كل مالها لكيما يبلغ هذا البلد السعيد الذى يعج بالنساء الفاتنات .

ولقد ألحت علىّ مارتا بعـد ذلك ، تسألنى فى لهفة وتحرق ، ما ذا يقول ؟ لما ذا لا تقرئين ؟ ما ذا تنتظرين؟

لقد كذبت عليها ، وماذا كان فى طوقى أن أفعل ؟ رحت أحدثها ويدى ترتجف وقلبى من الغيظ يتلوّى ، أن بوريس يذكرها أبداً ولا يملّ ذكراها ، وإنه ليذكر طول عمره ذلك الزمن الذى قضياه معاً . ثم رحت أصف لها شدة شوقه إليها وأنه سيعود ذات يوم حينما يفرغ صبرها وتيأس من رحمة الله ، ليفوز بها ولن يتركها بعد ذلك العمر كله .

لقد كنت أجد الكذب شاقاً على نفسى مجهداً لها ، فلقد أمضنى الرثاء الذى أحس به لهذه البلهـاء حقاً ، والاشمئزاز الذى أفيض به لذلك الذى عبث بهواها وتنعم بمالها ثم راح يسىء إليها قدر ما أحسنت إليه . على أننى وجدتنى بعد بضع جمل أتقن الكذب وأجيده . فرحت أجهد خيالى وأعنت ذاكرتى لتسعفنى بما تعى من شهيرات رسائل الحب التى قرأت .

ثم ألقيت بالرسالة بعد ذلك على المنضدة ، فأمسكت بها مارتا وهى على حال شديدة من الاضطراب . كانت كهيكل من الخشب بعثت فيه الحياة فجأة ، فلم يعد يبدو عليها ذلك العبوس ، وتلك البشاعة . كل ذلك انقلب الآن فى وجهها إلى عذوبة وإشراق وحياة .

ثم راحت تتحدث إلىّ بخفوت حتى لكأنها تحدث نفسها .. كتب إلى كل ذلك ؟ كل ذلك ؟ كل هذه الألفاظ الحلوة العذبة !! كل هذا الحب ··· لى أنا ! ؟ ثم تنهدت وقالت : على أننى لسوء الحظ لا أستطيع أن أقرأ كل هذا بنفسى . لماذا لا أتعلم القراءة ؟ ··· أرينى بالله فى أى سطر منها يؤكد شدة حبه إياى وشوقه إلىّ ، وأين

كتب يقول إنه سيعود حينما يعيينى الصبر .

ولقد أريتها بعض السطور فى أول الرسالة وأخرى فى آخرها.. فهزت مارتا رأسها وقالت : لو كان لى علم ذلك . حينما كربنى الهم وأمضنى اليأس وأضنانى الانفراد . لو أننى كنت أستطيع أن أقرأ على نفسى هذه الرسالة الحبيبة كل يوم ... ثم راحت تحدق فىّ كطفل يستجدى حلوىً وتقول : يا صديقتاه أخبرينى . هل يستطيع من فى سنى أن يتعلم القراءة ؟ ...

ولقد راعنى قولها هذا حقاً . على أننى قلت لها : إن هذا لغاية فى الصعوبة . ولكن ما الذى يدفعك إلى هذا وأنت تعلمين الآن ما كتب إليك ؟ فقالت : هذا صحيح . ومع ذلك فإننى أحس رغبة ملحة فى أن أقرأ الرسالة بنفسى لكى أتملى بكل حرف منها ... على أى حال لا بد أن أكلم معلم القرية فى ذلك .

ثم غلبها الصمت فراحت تحلم . وقد فاضت عيناها بالدمع غبطة . واستسلمت لأمانيها وأحلامها ، فلم تفطن إلىّ وأنا أنسل من جانبها فزعة كأنما ارتكبت إثما .

منذ ذلك اليوم حرصت على ألا أمر بحقل مارتا كلما امتطيت جوادى خيفة أن تبصر بى فتطلب إلى أن أقرأ الرسالة مرة أخرى فأتلوها على غير ما تلوتها أول مرة ، فيبعث هذا فى نفسها الشك .

على أننى عرفت مما تثرثر به عجائز القرية أن مارتا تقصد المدرسة مساء كل يوم فتمكث فيها ساعة أو تزيد، تتلقى على مدرسها دروساً فى القراءة . ولشد ما كان نساء القرية يضحكن وهن يلغطن بحديث مارتا ويقلن إنها تتعلم القراءة ... تتعلم القراءة فى سنها هذه ! ترى أكان هذا لأنها ستصبح عما قريب سيدة ؟ لقد ابتاعت كتابا للأطفال وإنها لتجلس على مقعد أمام بيتها كل يوم ممسكة به وهى تردد حروفا منه : ألف — باء — جيم — قاف — طاء — هاء — قطه .. وإن الناس لا يقوون على كظم ضحكهم مما يرون ، ثم يسترسلن فى ضحكهن ساخرات . أما أنا فقد وجدت فى الأمر غير ما وجدنه . لقد كان فيه ما يبعث على البكاء رثاء لها وفزعا مما ينتظرها .

ولقد خرجت أتنزه ذات يوم فضللت سبيلى . ثم ألفيتنى بعد حين فى غاب خلف حقل مارتا . وكان الوقت خريفاً والهواء البارد يهب من البحر قارساً ، فلذت بالأشجار محتمية بها ، ثم رحت أزحف بين أفنانها ، فبلغ أذنى بغتة صوت أجش قوى النبرات ردد ألفاظاً بجد وقوة : بيت — حقل — كلب — بقرة .. وما شا كل هذه الكلمات البسيطة الرقيقة التى كانت برغم ذلك تمهد السبيل الذى سيقود مارتا ذات يوم من النعيم إلى الجحيم .

وكان الصوت لا يزال يردد ... حقل ... الله ... الله ! أجل ... إنه هو وحده القادر على أن يبعث إلى مارتا بكسف من السماء يودى بها قبل أن تجد نفسها قادرة على أن تقرأ الرسالة ... الرسالة التى تفيض بالحقد والمقت والسخرية ... الرسالة القاتلة ... إنه القادر على أن يرحمها فيعمى عينيها الظامئتين المترقبتين قبل أن تستطيعا قراءة حرف .

وكانت ليلة ... أرخت فيها يد الخريف سدول الوحشة والكآبة على الكون ودوّت فيها العواصف القاصفة بالسهول ... وهدير البحر يتعالى مضطرباً صاخباً ، والأشجار العارية تمد أيديها كأنها تسأل النجدة أو تستغيث مما ترى وتسمع ... وأوراق الشجر تتناثر على الأرض فتلوح مما علاها كبساط مزركش زاه ... ثم أرسلت السماء بعد ذلك ثلجاً أبيض ناصعاً رقيقاً ، فكسا كل شىء رداء أبيض يشف عن طهر وروعة ، مبدلا بؤس الخريف وعبوسه دنيا بيضاء ... ناصعة البياض ، وكان هذا قبل عيد الميلاد بيومين ... حين تلجأ الساهرات إلى مثواهن يخشين الأشباح التى تطوف فى الكون كلما حان هذا الحين ... وعلى حين فجأة تبدى الكون الأبيض فى وشاح قرمزى اللون يضطرب ويلتهب ، فلقد اندلعت نيران ، نيران هائلة ، أضاءت من تلظيها الغابة التى كانت تجاورها . ولقد أهرع رجال القرية وعمال المقاطعات الأخرى ليطفئوا النار ... ينير لهم السبل وهجها الأحمر . ولما بلغ القوم بيت مارتا ألفوا حقلها يشتعل ، والريح الشمالية تقذف بألسنة ناره إلى كل جهة . وكانت الأبقار تخور فزعاً فيملأ خوارها الأرجاء ؛ والخيول مسّها خبل فأخذت تقمص حتى وجدت مخرجا فاندفعت منه إلى السهل الأبيض كأنها أشباح تطوف .

وأمام البيت الملتهب كانت تقف امرأة ... كان شعرها الأغبر الأشعث المنفوش يحيط بوجه كالح وعينين متحجرتين ... وكانت تقهقه ضاحكة ... فتعلو قهقهتها على خوار البقر وفرقعة الخشب المحترق ، ولقد لبثت حيناً بعد ذلك وهى تشهد كل ما حولها وتقهقه .

لقد قرأت مارتا الرسالة أخيراً ...

القدس — فيصل عبد الله الحامى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين



العدد ٦٢١ — الاثنين ٢٨ مايو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 621

Lundi - 28 - 5 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الأسرة والمجتمع

للأستاذ عباس محمود العقاد

كل ما يفصله الأستاذ على عبد الواحد فى كتابه عن « الأسرة والمجتمع » ، أو فى مقالاته بالرسالة يصلح لتقرير حقيقة واحدة ، وهى أن للمجتمع وآدابه شأناً فى نظام الأسرة على اختلاف الأزمان والبيئات

وهى حقيقة لا حاجة بها إلى كثرة الأدلة والأسانيد ، لأن المجتمع قائم وقوانينه وعاداته قائمة كذلك ، وليس فى وسع أحد أن ينكرها أو ينكر أثرها فى معيشة الأسرة ولا فى معيشة الفرد حيث كان

إن الأسرة تتأثر بالمجتمع وعاداته وقوانينه ، وهذا أمر بيّن بالبداهة كما هو بيّن بالمشاهدة العلمية ، فلا ينكره أحد ولا يحتاج القول به إلى إسهاب فى الأدلة والأسانيد ، إلا إذا كان إثبات الأدلة والأسانيد من قبيل الإحصاء والتقرير

لكن الحقيقة التى نقررها نحن هى شىء آخر غير هذه الحقيقة ، وهى أن الغريزة لها شأن فى تكوين الأسرة ، وأن المجتمع لا ينزع الغرائز نزعاً حين يتولى تنظيمها وتوجيهها إلى وجهاتها الكثيرة ،

وليس إثبات الآداب الاجتماعية بمنكر للغريزة ولا بمبطل لعملها فى نشأة الأسرة ولا فى نشأة الاجتماع نفسه وما يتفرع عليه من الآداب والقوانين

وقد يخالف المجتمع الغريزة فى وجهته وغرضه ، فلا يكون ذلك دليلا على أن المجتمع وحده هو الموجود وأن وجهته وحدها هى المحبوبة ، وإنما يكون دليلا على وجود شيئين مختلفين ، وأنهما على اختلافهما أو اتفاقهما لا يعملان منفردين

فإذا ناقشنا الأستاذ على عبد الواحد فى أمر الأسرة والغريزة فليس سبيله فى مناقشتنا أن يثبت لنا وجود المجتمع وآدابه ، فإن هذه الحقيقة فى غنى عن الإثبات ، ولا حاجة بأحد من علماء الاجتماع إلى إثبات وجود الاجتماع ، وإنما سبيله أن يورد لنا الأدلة التى تمنع وجود الغريزة أو ظهور أثرها فى نشأة الأسرة ، وليس لعلماء الاجتماع دليل على ذلك فيما أوردوه أو استخلصوه من المشاهدة والإحصاء

فلا ريب أن حاجة الطفل الإنسانى إلى الحضانة الطويلة لم يكن عملا من أعمال الاجتماع ، ولكنه عمل من أعمال الغريزة التى لا تختلف هنا أو هناك باختلاف قوانين الاجتماع

ولا ريب أن العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة تتوقف على الغريزة ولا تتوقف على آداب الاجتماع ؛ فإن عطف الأب والأم على ولدهما أشد فى كل مجتمع من عطف الولد على أبيه وأمه ،

ولو لم تكن غريزة حفظ النوع هي الغريزة الغالبة في إنشاء هذه العلاقات لكان حب البنين للآباء كحب الآباء للبنين ، بل لوجب أن يختلف الأمر اطراداً إذا كان مرجع الأمر كله إلى آداب الاجتماع ، لأن حاجة الأبناء إلى الآباء من الوجهة الاجتماعية أكبر من حاجة الآباء إلى أبناء

ولا يقال في هذا الصدد إن بعض الآباء قساة وبعض الأبناء رحماء ، فإن الغريزة الحيوانية أو الإنسانية لا تستلزم المساواة بين جميع الأفراد ولا تمنع الشذوذ في بعض الأحوال

وقد وجدت الصلة بين الأم وذريتها ، حيث لا يوجد شيء قط غير قوة الغريزة في أحوال الفرد أو في أحوال الجماعة ، فوجدت هذه الصلة في الحشرات والهوام وتتابع الارتقاء فيها على حسب الارتقاء في نمو الغريزة لا حسب الارتقاء في آداب الاجتماع

وجاء في كتاب الحشرات الاجتماعية للأستاذ وليام هويلر أستاذ علم الحشرات بجامعة هارفارد : « إنه قد حدث على التحقيق تطور طويل الأمد في أدوار عدة تزداد بها الصلة بين الأم وذريتها منذ الدور الأول الذي يخلو من كل اكتراث بالذرية إلى الدور الذي يتم فيه التعاون المتبادل بين الفريقين ، ونستطيع أن نرتب سلسلة هذه الأطوار على ما يأتي دون أن نتوقف لإيراد الشواهد التي سيمر بك الكثير منها . فهي على هذا الترتيب :

أولا : تبذر الأم بويضاتها في البيئة التي يعيش فيها أبناء نوعها ، وقد تبذر البويضات في بعض الأحوال إلى جانب المادة الغذائية التي تأكل منها بعد فقسها

ثانياً : تضع الأم بويضاتها على جزء من البيئة كأوراق الشجر التي تصبح غذاء للديدان المفقوسة

ثالثاً : تزود بويضاتها بغطاء واق ، وربما اقترنت هذه الحيطة بالدورين الأول والثاني اللذين تقدما

رابعاً : تبقى الأم مع بويضاتها والديدان المفقوسة منها وتحميها

خامساً : تضع بويضاتها في حرز مصون أو مكان مهيأ لها — كالعش وما إليه — مع مؤنة من الغذاء ميسرة للديدان بعد فقسها

سادساً : تقيم مع البويضات والصغار وتتعهدها بالوقاية والتغذية

سابعاً : أما الدور السابع فلا يقتصر الأمر فيه على حماية الأم لصغارها وتغذيتها ، بل تنمو الصغار وتتعاون معها على تربية نسل آخر وتستمر الأمهات والأبناء في معيشة سنوية أو معيشة دائمة ... »

فالغريزة قد أنشأت الأسرة المتعاونة بين الحشرات حيث لا عمل للاجتماع قط بمعزل عن الغرائز الحيوانية ، وقد أصبح للآداب الاجتماعية في النوع الإنساني عمل غير عمل الغرائز وما شابهها ، فجاز أن يقال في بعض العادات والمشارب إن هذا من وحي الغريزة ، وهذا من وحي الاجتماع . ولكننا إذا رجعنا بالاجتماع إلى أصوله لم نكد نعزله عن الدوافع الغريزية أو الدوافع الحيوانية البيولوجية ، لأن الاجتماع على التحقيق لم يكن من اختراع الأفراد وإنما كان من إيحاء النوع بأسره حيثما كان ، وكل ما كان « إيحاء نوعياً » ، فهو إيحاء غريزة فطرية على وجه من الوجوه

إننا نحب أن نؤكد هذه الحقيقة ، لأن إثبات الحقائق واجب لغير علة ، ولأننا في زمن خلقت فيه العلل الكثيرة لتعزيز مكان الأسرة من الطبيعة الإنسانية والفضائل الخلقية ، سواء رضي عنها دعاة المذاهب أو أغضبتهم عليها عوارض الدعاية ومراميها

والعلماء الاجتماعيون الذين درسوا نظام الأسرة وقرروا ما قرروه عن ارتباطها بالآداب الاجتماعية براء من غرض الدعاية ومن كل غرض غير تقرير الحقيقة العلمية كما يرونها ، ولكن الحقائق العلمية قد ابتليت اليوم بمن يسخرونها عامدين أو غير عامدين في خدمة مذاهبهم الهدامة وفي طليعتها الدعوة الماركسية ، ولم يفتح الله على دماغ كارل ماركس بشيء يفهمه ويرد إليه بواعث الاجتماع ، وكل باعث من بواعث الحياة غير الاستغلال وابتزاز الأموال ، فما هو إلا أن رأى في زمانه أناساً يستخدمون أبناءهم فيما ينفعهم ويستعينون بهم على مصالحهم أو يرهقونهم في جمع ثروتهم حتى جزم بفساد نظام الأسرة وقيامها جميعاً على أساس الاستغلال

الحياة صارفة !

بين الصوفية البلهاء والمادية الصماء !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الاعتراف بما أخرجته الحياة — السبيل إلى تعديل المادية الصماء — المجال الخصيب للجهد البشري — قضية لا شك فيها — الفكر والعمل — موازنة — عوامل الحياة أمينة — كفاح الحياة لحفظ الأحياء — إشارات إلى المستقبل

كل ما نجده في الحياة يجب الاعتراف به وعدم إسقاطه من حسابنا ... فإذا ثبت أنه ينمي عوامل الحياة ، وأنه من وسائل تقدمها المادي والمعنوي ، فهو إذاً من عالم الخير والصلاح ، ويجب الوقوف في صفه والدفاع عنه والإكثار منه ... وإذا ثبت أنه من عوامل الإفناء والفساد ، أو من معوّقات تقدم الحياة ، وجب الوقوف في وجهه ومكافحته وإفناؤه .

وعلى هذا ينبغي ألا نثور على أي عامل من عوامل نمو الحياة وصلاحها ، مهما بدا أن فيه تكليفاً مجهداً ، كما ينبغي ألا نبقي على أي عامل من عوامل فساد الحياة ، مهما بدا أن فيه لذة عاجلة .

ومصلحة الاجتماع البشري كله هي محور هذا ؛ لأن حياة الاجتماع هي طريق الترقي والقدرة على تسخير عوامل الطبيعة . فلسنا نستطيع السير وراء النظريات التي تنظر إلى الأفراد كوحدات مستقلة عندما نتحدث عن الإنسانية العامة ، بل لا نستطيع السير في هذا المقام وراء النظريات التي تنظر إلى الشعوب والأمم كوحدات مستقلة ، وإنما نسير وراء النظرية التي ترى إنسانية واحدة أمام طبيعة واحدة !

تلك أولى المقدمات في السبيل إلى إدراك صدق الحياة ،

والتسخير ، وإن المسألة كلها « حسبة اقتصادية » ومضاربة مالية تتبدل من زمان إلى زمان كما تتبدل صفقات الإنتاج وأسعار الأسواق

وكارل ماركس قد رأى أناساً يرهقون أنفسهم في طلب الرزق ويعملون فوق طاقتهم لادخار القوت أو الثراء ، ولعل هؤلاء أكبر عدداً ممن يرهقون الأبناء والبنات في طلب المعاش وهم مكرهون أو مختارون، فلماذا أبطل عواطف الأسرة وأواصر الأبوة والأمومة ، لأن بعض الآباء والأبناء ينتفعون بجهود أبنائهم ويسرفون في الانتفاع ، ولم يبطل عواطف « الأنانية » وحب الذات أو حب البقاء ، لأن أناساً من الخلق يجورون على أبدانهم وأذهانهم وهم يعملون لجمع الحطام ؟ لماذا تكون الأسرة « غير طبيعية » ، لأنها تسخر للمنفعة ولا تكون « الأنانية » غير طبيعية كذلك لأنها تسخر للمنفعة على هذا المنوال ؟

إن حاجة النفس الإنسانية إلى وشائج الأسرة لم تبطل قط في مجتمع من المجتمعات ، وإن آداب الاجتماع قد تفيد في إصلاح الأسرة أو وقايتها من عيوب الأفراد سواء كانوا من الآباء أو الأبناء . ولكن المجتمع لا يملك دليلا واحداً يخوله إلغاء الأسرة — إن أراده — حتى لو صح أن المرجع إليه وحده في نشأة الأسرة وتتابع أطوارها ، لأنه يقيس على غير شيء حين يقيس المستقبل على الماضي في هذه القضية ، ويعتسف طريقاً جديداً لا مسوغ لاعتسافه من الطبيعة ولا من الاجتماع

ولست أعني بما تقدم أن كتاب الأستاذ عبد الواحد ينحو هذا النحو أو يفضي إلى هذه النتيجة ، لأنه في الواقع لم يعد تقرير الحقائق الاجتماعية التي حصلها أساطين هذا العلم ممن لا يدينون بالماركسية ، ولعلهم ينكرونها إذا عرضوا لها بالبحث والمناقشة ، ولكنني عنيت أن الكلام عن الأسرة في زماننا هذا خليق أن يقترن بالحذر والحيطة لئلا يؤخذ على غير مأخذه أو يعين على غير قصده . ولهذا رجعنا بنظام الأسرة إلى مرجعه من غرائز الحياة في أبسط الأحياء ، ولم نشأ أن نقصر الحكم فيه على الاجتماع أو من يصطنعون الدعاية الاجتماعية ، لأن الأمر أعظم وأبقى مما تتناوله المذاهب والدعوات

عباس محمود العقاد

وتصور ما بها تصوراً صحيحاً ، وتصحيح عقائد الناس فيها ، وحملهم على الكفاح لإسعاد أنفسهم فى رحلتهم إلى الأرض أولاً ، وإلى الملكوت الذى ينتظرهم بعدها ثانياً .

ولكن مع الأسف يحاول كثير من الأدباء والفلاسفة والصوفية أن يفروا من وجه الحياة وينطلقوا مما يسمونه سجونها وأقفاصها ، ويقللوا من قيمة الجانب المادى فيها ويقللوا تبعاً لذلك من قيمة الجهد الصناعى الإنسانى ، ولا يعترفوا بالأجسام والشخوص والشكول الواضحة التى تملأ الحواس ، وتشغل الوعى الذى وراءها ، وتثير كفاية العمل إلى تقليدها ومحاكاة نماذجها ... كأنهم لا يرضيهم إلا أن تكون الدنيا رموزاً مبهمة وأفكاراً طليقة غير محدودة ولا مُبَلْوَرَة ...

إن المادة التى بها يضيقون ذرعاً ، ويحاولون أن ينفلتوا من سجونها وأقفاصها خَلْقٌ عجيب لا يليق بنا أن نزعم تفاهة اتصال النفس به وإعمال الفكر به . وإن أساطين العلم فى حيرة من أمر نشوئها وتعدد عناصرها . وقد خلقنا فيها وصورنا منها ، لندركها ونتعرف إليها ونتعجب ...

إننا ندرك الله تعالى وقدرته وعلمه من عمله البديع فى دولة الأجسام والأشكال ... ولم يأخذنا جميعاً إليه بأى دليل إلا من الأدلة المبثوثة فيها أو المرتبطة بها ...

إنها من أوعية أسراره ، ومجلى أنواره التى يرسلها إلى عقولنا وقلوبنا حتى نهتدى إليه ونؤمن به من غير أن نراه .

فلماذا تلك الحملة عليها والإزراء بها والتهوين من شأنها ؟ كأننا صرنا خالقين مبدعين قد أبدعنا شيئاً غيرها أو ظفرنا جميعاً بأمر عجيب خارج عن نطاقها !

قد يكون من المعقول أن نتطلع إلى القدرة التى أبدعت الطبيعة متلهفين إليها أن تطلعنا على عجائب ما لا نراه مثل ما أرتنا من هذا العجب الذى نراه ؛ فإن هذا دليل على شدة الحساسية ويقظة الأشواق وحسن الإدراك والتقدير لتلك القدرة ... ولكن ليس من المعقول أن نحقر ما نراه ونزرى به ونزعم أنه تافه ، فتنبو عنه حواسنا وعقولنا ، ونبحث عما عداه من المخبوء ، ونتطلع إلى ما وراءه مع أننا لم نفرغ من استيعابه وإدراك جميع أسراره .

ويحاول آخرون أن يفضلوا حياة الأقدمين الخالين العجزة الجهلة على المحدثين القادرين ، ما دامت الحياة الحاضرة قد جرت هذه المتاعب وهذه الضجة الآلية التى ملأت اليابس والماء والهواء فأقلقتهم . فذهب هؤلاء وأولئك بالطبع غير ملائم لنمو الحياة واطراد تقدمها ، فيجب إهداره وعدم الالتفات إليه ؛ لأنه مذهب فيه ارتداد وانتكاس وتشاؤم ومقاومة لدورة الفلك التى أعتقد أنها تجرى بالناس إلى غاية صالحة لا بد من الوصول إليها ، لأن الله لم يخلق هذا العالم الإنسانى لكى يضيعه أو يعوقه أو يفوّت على نفسه الغاية من خلقه .

هو مذهب يحول بين معتنقيه وبين حياة القوة والسيادة على مرافق الطبيعة ، وهى سيادة لا يظفر بها إلا من اتصل بها اتصالاً وثيقاً وتعرف إلى الأسرار المكنونة فيها ولم يقف عند حد مادامت الطبيعة تفتح له أبوابها وترفع أستارها ...

ومع أن مذاهب الإزراء والتحقير للمادة وشئونها والتشاؤم والنظر إلى الوراء دائماً والانتقاض على الحاضر ، لم تظفر فى مرحلة من مراحل تاريخ الإنسانية ، ومع أن الإنسانية لم تلتفت لقائليها أى التفات يبرر مضغ قضاياها وترديد دعواتها ... نجد كثيرين من الدعاة الدينيين والفلاسفة والشعراء يصرون على إحياء الدعوة إليها وتحكيمها فى الحياة وإفهام الناس أن فى الأخذ بها عقلاً وحكمة وإصابة لأهداف الحياة ... واعتقادى أن أكثر الإخفاق فى تعديل العقلية المادية الصماء وتقليل جشعها وتوسيع ضيقها راجع إلى هذه المناداة من هؤلاء السادة فى إهدار القيم المادية للحياة ، وإلى مبالغتهم فى تجريد الحياة الإنسانية من ملابسات المادة ، وإلى افتراء أكثرهم فى إلصاق مذهبهم هذا بالمسألة الدينية التعبدية التى هى لباب القلب البشرى ومصباح العقل الإنسانى . حتى لقد أعرض وأجفل كثير جداً من الناس من الإقبال على الله والاعتقاد به ، وحاول كثير منهم أن يخفتوا صوته المجلجل فى ضمائرهم ويتجنبوا التفكير فيه ، حتى لا يحرمهم ذلك من تذوق الحياة فى دنياهم والعمل المادى فيها والإحساس بها والتمتع بطيباتها التى رأوا هؤلاء المتشائمين المحرومين يقبحونها وينفرون عنها ، ويزعمون أنها عبث ومأساة وخديعة ومجلبة لسخط الله وخذلانه ...

لقد ثبت أن المادة هى مجال عمل إنسانى خصب ثابت دائم

النفع للإنسانية جميعها ، وأنها هي الشيء الوحيد الذي تلتقي فيه الإنسانية بأفكارها وأيديها ، وترتفق منه مرافق نفعها جميعاً .

أما المذاهب والفلسفات النظرية فلم تلتق فيها للآن . فلا غرو إذا كان الإكثار منها والإسراف فيها مما يزيد الإنسانية افتراقاً وبلبلة وتقطع أمر .

وقد يجد أنصار الشك سبيلا إلى كل قضية فكرية ، ويستطيعون أن يلبسوا فيها حقاً بباطل ، ويقيناً بشك ، إلا قضية فكرية واحدة ، هي قضية « تفوق » الإنسان واطراد تقدمه المادي المبني على أساس إدراكه أسراراً من الطبيعة . وهذا يجعلنا نتجه إلى إعطاء هذا الجانب من حياته أعظم اهتمام ، حتى نخترق به حجاباً وراء حجاب مما يدنينا من الراحة والسعادة والعلم بالأسرار ؛ بل يجب أن نتخذ هذا الجانب العظيم في الإنسان أساساً للايمان به وبصدق الحياة كما هي ثابتة في فكره العام . وإن هذا يعطي المثبتين لحقائق الأشياء حججاً دامغة ، ويقضي على مذاهب السفسطة والتشكيك . بل متى اتخذ هذا الجانب العظيم أساساً لحياة الفكر صح اعتباره أساساً للوحدة الإنسانية الشاملة التي طالما دعا إليها النظريون فلم يستمع إليهم إلا الأقلون ؛ لأنهم اعتمدوا على نظريات تختلف باختلاف الأجناس والبقاع ، وليست عامة يراها سكان الأرض جميعاً رؤية واحدة ويخضعون لنتائجها خضوعا واحداً كما هو الحال في رؤيتهم وخضوعهم لنتائج الأبحاث الطبيعية ذات الآثار الواحدة في جميع الأمكنة والأزمان .

ولقد أثبتت سيادة الغرب على الشرق أن عالم القوة المادية هو أساس حياة الحق وعمادها ، وأن الحق المجرد لا يعدو أن يكون فكرة فاكر ، أو حلم حالم ، ما لم تبرزه القوة المادية وتجسمه في أشخاص وآلات .

وبعد أن رأينا مَرَدَة الجو والبحر والبر يقذفون القنابل مصارعَ لراهبات الكنائس ، وأطفال المدارس ، وعجائز المنازل ، وغير هؤلاء من عباد السلام والحق والرحمة : كيف يصح لنا أن نقول إن هناك حقاً يدافع وحده عن نفسه أمام باطل مدرع ببأسه ؟ !

وبعد أن رأينا أمماً كأمم الهند وشمال إفريقية تعبد الله بالأقوال والأشعار ، وتسبح بحمد الحق ليل نهار منذ مئات السنين ، فلم يحمها ذلك أمام سيادة القوة وجبروتها ؟!

إننا لم نجد غير الأقوياء بالقوة المادية مضطلعين بأعباء الحياة الاجتماعية ، فهم أسرع الذين يؤثرون في الأخلاق وفي سير الحياة ، ومن عداهم فلا تأثير لهم في مجرى الحياة إلا بمقدار ما تسمح القوة المادية بدراسة آرائهم ومذاهبهم . فلو أن ذوي الأفكار العليا والأخلاق الكاملة التمسوا القوة المادية كالتماسهم الحق ، وأثروا بها في مجرى حياة الجماهير ، إذاً ما وجدنا هذا التخلف الفظيع بين حياة الفكر والخلق وحياة الواقع .

مهما صفا الفكر وامتلأ بالخواطر الراجحة الكريمة فلن يجدي المجتمع جدوى واسعة متعدية ، إلا إذا عاونته اليد بوسائل تنفيذ ما يمتلئ به .

ومهما امتلأت المعابد فلن يجدي امتلاؤها الحياة شيئاً ، إلا إذا امتلأت الشوارع والمعامل والأسواق والحقول والجيوش بمن ينفذ روح العبادة في هذه المجالات .

كل فكرة معرضة للفناء السريع ، أو للركود والدفن في الصحف ، إذا لم يسعفها التجسيم والتشكيل والتطبيق .

والفكرة إذا جسمت في قالب دخلت باب الوجود الحسي ، وصارت محلا للتحسين والنمو والتجميل ممن يأتي بعد صاحبها الأول . أما إذا تركت حيث انبثقت فهي كائن موقوت من عالم الأطياف !

فيا رجال التصوف والشعر من كل جنس ! لا تحاولوا أن تصرفوا الناس عن حياتهم المادية ، فقد صارت جميلة معقدة منوعة مغرية ذات قيمة كبيرة وسلطان على النفوس ؛ وحاولوا أن تفهموا أنتم وأن تفهموا الناس أن الدين جزء من الحياة ، وليس منفصلا عنها إلا في جزاءاته الموعودة في المصير الآجل المحتوم .

ومن السهل إفهام الناس ذلك في هذا العصر الذي اتسعت فيه أدوات الإقناع والتأثير .

اجعلوه امتدادا لأحلام الناس في السعادة والجمال الذي يفتهم من دنياهم ، ولا تجعلوه حرماناً وخواطر وضعف تشاؤم وبكاء .

اجعلوا الأخرى صورة كاملة مضخمة دائمة من هذه الدار الناقصة الفانية

ومن السهل أن تجدوا من منطق العقل ومنطق الوجدان

ومنطق القدرة العملية للانسان حججاً للاقناع ...

***

أيهما أوقع فى النفس وأشد إثارة لابتهاجها بالحياة ؛ وأدعى إلى الفرح بالإنسانية : أن نظهر الوحدات الإنسانية فى حشود استعراضاتها النظمية والرياضية ، ومواكبها الفنية التى تظهر جمال أجسامها وإشراق ديباجة الحياة بها ... أم أن نظهرها فى أفراد منثورة وزُمَر مبعثرة من الفقراء الضعاف العجزة الجهلاء المهزولين المكتئبين المتشائمين ، الذين يقتلهم الصمت والعزلة والوحشة ، قد طمست نضرة الحياة فى وجوههم ، وانطفأ نورها من عيونهم ، وخمدت شعلتها فى قلوبهم ، وتعطلت أيديهم من العمل ، وأذهانهم من العلم فليس لهم مهارة فى مهنة ، أو أثارة من علوم الدنيا ؟

لا شك أن رؤية استعراض عسكرى أو نظامى أو رياضى كاف أن يقذف فى قلوب المتشائمين شعلا وشُحَناً كهربية تردهم إلى الفرح بالحياة والحماس لها ، وللمعيشة بالأجسام عيشة رحبة ، إن كانوا ذوى طبع سليم يستجيب لعوامل الحياة .

إننا نستطيع أن نقول : إن أجسام الإنسانية ماهى إلا نبات ، كله وظهور أسراره والابتهاج به يكون عن طريق تصحيح أعواده وتقويتها وتجميلها إلى آخر حدود الصحة والجمال .

وإذا تفتحت أجسامنا فى صحة وقوة وجمال كما تتفتح الأزهار وتنضج الثمار ، حملنا ذلك على أن نحب الحياة وتحبنا ، ما دمنا قد جعلنا عقولنا وقلوبنا كمناطق النمو التى فى النبات ، محفوظة من الآفات وعوامل الفساد . وإن كل تنظيم جسمى ومادى مما يكون فى ذات الإنسان أو فى مرافق حياته يزيد فى ثقة الإنسانية بنفسها ، ويوضح أسرارها ، ويجلو امتيازها على غيرها .

وقد تدخلت يد الإنسان فى نبات الحقول ، ووزعت البذور بحيث ينال كل منها حظه وحقه من الماء والهواء والضوء ، وتنبت أعواده متباعداً بعضها عن بعض بدون احتكاك وطغيان ، وسهرت عينه عليها تحرسها من الآفات والجراثيم الضارة ، فخرجت أعواده وأوراقه وثماره مخضلة وارفة راقصة ، تعطى الأرض الجمال والنماء وسداد الاحتياجات .

وكذلك فعلت مع الحيوان ، فأحسنت نسله وتخيرته ومنعت طغيان بعضه على بعضه ؛ وروّضته واستأنسته حتى صار منظره فى المراعى والحظائر كذلك يعطى الأرض جمالا ورواء ومنافع .

فما بال يد الإنسان لا تتدخل فى مناطق نمو النفوس والأجسام الإنسانية بالتعليم والتهذيب والترتيب والتجميل ، بل تركتها تنمو نمواً « شيطانياً » متطاغياً ؟

ولقد أرى الوجه المُشَوَّه الأكمَهَ المجذوزَ القبيحَ المُركّبَ على جسمٍ مهزول ، والحاملَ للسانٍ قذرٍ وعقلٍ ممسوخ ، فأقول : هل يجوز أن تخرج ثمرة بطبيعتها إلى الحياة هذا الخروج ؟ ! أم أن هناك اعتداء على عوامل التكوين والتجميل التى تولت إخراج هذه الثمرة منع عنها الصحة والجمال ؟ !

إنه اعتداء مسلسل فى الأنسال المتحدرة فى أجيال الجهالة والضلال ...

فاسألوا الأمراض الخبيثة الوراثية ، وسلوا الأغذية السامة ، وسلوا الإهمال الشائن للأبوة والأمومة ؛ ولا تتهموا عوامل التكوين الأمينة الدقيقة .

إن كفاح الحياة الإنسانية فى سبيل حفظ ذاتها كفاح هائل ! فبرغم عوامل الفناء والدمار قد كثر عدد الإنسانية كثرة غصت بها أكثر بقاع الأرض خصوبة ، وضوعف عدد كل أمة أضعافاً مضاعفة ، وصارت مجموعات الناس وتشكيلاتهم أمراً لا يقاس به ما كان لهم فى القديم . وهذا مما يدل على أن شجرة الحياة الإنسانية وفصائلها خلقت للنمو والصحة والقوة والإنتاج ، وملء المسرح الأرضى الذى قدر عليها أن تمثل دورها فيه .

فنمو العدد ، ونمو صحة الأجسام ، ونمو العلوم ، ونمو الاختبارات والتجارب ... كل أولئك إشارات بلينة من حياة صادقة إلى مستقبل سعيد لهذا النوع الذى لمّا يعرف أسراره بعد ! ...

عبد المنعم خلاف

البحث العـــلمي

أصوله وآدابه

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

غريزة البحث

غرض كل حي المحافظة على نوعه ونشره في الأرض . فيستعين الحيوان على اختلاف أنواعه لبلوغ هذه الغاية بغريزة البحث وحب الاستطلاع . فالحيوان ومنه الإنسان يولد جاهلا بما حوله من البيئة لا يعرف عنها شيئاً . فيأخذ من وقت ولادته العلم عن كبرائه ويستمر طول حياته في التحصيل مدوناً في مخه مشاهداته واختباراته مستنتجاً من نتائج تأثيرها عليه ما يساعده في منع الضرر عن نفسه وما يعود عليه بالنفع .

ولما كان الإنسان يمتاز بعقله عن غيره من أنواع الحيوان فإنه يدأب في تعرف أسرار مايصادفه في حياته بقدر طاقة عقله البشري . ويلقن خبرته وما كشفه من أسرار الطبيعة لسلالته لتتوفر لهم وسائل الحياة ولترتقي معيشتهم .

فالبحث إذن هو القوة الدافعة للإنسان على اختلاف أجناسه لكشف أسرار ما حوله فيضع مشاهداته موضع التجربة لكي يصل إلى نتيجة عملية نافعة . ولولا البحث لما قهر الإنسان الطبيعة وسخرها لخدمته ولما وصل إلى ما هو عليه من الرقي . ومن الخطأ أن يعتبر البحث حرفة أو صناعة يختص بها أفراد دون آخرين . فهومشاع لكل مخلوق يريد الحياة ، فلكل إنسان بحاث في حرفته ، ولكل حرفة بحوثها ، فما تقدمت الحرف والصناعات الا بسلسلة متواصلة من التجارب تناقل نتائجها الخلف عن السلف فنشأت العلوم وتنوعت أبوابها بتراكم خبرة بني الإنسان .

توزيع العمل والتخصص

كلما تقدم الحيوان في مراتب الحياة الاجتماعية ينزع بغريزته إلى توزيع الأعمال وتخصيص الأفراد كل في عمل خاص إتقاناً له وتسهيلا لحياة المجموع . فالتخصص إذن ظاهرة طبيعية تشاهد في شتى أنواع الحيوان . فنراها واضحة جلية في الحشرات الاجتماعية كالزنابير والنحل والنمل والأرضة . ونراها في أكمل صورها في الإنسان ؛ لأنه بطبيعته مدفوع إلى التخصص لما اتضح له بالتجربة من امتياز بعض الأفراد دون غيرهم بإتقان نوع خاص من العمل يميلون بطبعهم إليه . فإذا وزع كل عمل على من يتقنه أدى ذلك إلى سرعة إنجاز الأعمال وإتقانها والاقتصاد في نفقاتها .

والتخصص في الأعمال موجود حتى في أحط الشعوب دركة في المدنية . فنرى في الجماعات التي تعيش على الفطرة أفراداً يبرعون في اقتفاء أثر الفريسة فيسترشد بهم قومهم في الصيد ، كما أن منهم من يتخصص في الريافة وهو علم استنباط الماء من الأرض بوساطة بعض الأمارات الدالة على وجوده فيعرفون دون سواهم بُعْدَ الماء وقربه من لون التربة وشكل سطحها ورائحة ترابها وبما ينمو فيها من النباتات الخاصة وبحركة الحيوانات التي تعيش في باطنها . كما أن منهم من يتخصص في معرفة فوائد الأعشاب فيبرعون في استعمالها لمعالجة قومهم ، وهكذا يتدرج الإنسان في التخصص ويبرع فيه كلما ارتفعت مرتبته في المدنية . فنشأ عن تراكم الخبرة أن وضعت أسس العلوم ونظمت فروعها إلى أن أصبحت كما نراها اليوم .

بدأت العلوم نظرية ، وذلك أن ذوى العقول الممتازة من بني الإنسان فكروا فيما حولهم من دقائق الكون مدفوعين بقوة عقلهم وصفاء روحهم وعمق تفكيرهم ، فاجتهدوا في حل أسرارها عن طريق المشاهدة والاستنتاج المنطقي المؤيد في كثير من الحالات بتجارب عملية تؤيد صدقها . وبهذه الوسيلة وضع علماء الأمم السالفة من مصريين وبابليين وهنود وصينيين وإغريق ورومان وعرب وغيرهم الحجر الذي أسست عليه العلوم الحديثة .

فالعلوم السماوية والفلسفية هي أول ما شغل عقول البشر . أما العلوم المادية الحديثة فلم تصل إلى حالتها من التقدم إلا بعد مشاهدات ودراسات وتجارب بنيت على أسس علمية وقواعد منظمة قام بها عدد عظيم من البحاثين المدربين على أسس البحث السليمة في جو يضمن لهم مطلق الحرية في إدارة بحوثهم من غير

أن يتأثروا بالمؤثرات الخارجية التى تعطل سير تفكيرهم وقيامهم بحل ما يطلب منهم من المسائل مستعينين برؤساء متينى الخلق مجردين عن الأهواء والأغراض المفسدة للنفوس . لا هم لهم سوى الوصول إلى الحقيقة المجردة لخير بنى وطنهم خاصة والإنسانية عامة

والواقع أن المدنية الغربية الحديثة لم تصل إلى ذروتها المعروفة إلا بفضل من كونتهم من جيوش البحاثين فى العلوم الطبيعية والكيميائية والطبية والبيولوجية والهندسية وغيرها . وقد أخذت فرق هذه الجيوش تزداد بتشعب العلوم وتقدمها إلى أن عمت كل مرافق الحياة الحديثة ، فأصبح لكل مهنة وحرفة وصناعة معاهد للبحث خاصة بها ومؤتمرات دولية يعقدها أفرادها لمناقشة دراساتهم ونتائج بحوثهم، فأصبح كل مصنع من المصانع الحديثة مزوداً بمعهد للأبحاث كامل العدة يقوم فيه اختصاصيون يجرون البحوث للتوصل إلى رقى هذه الصناعة وتقدمها تقدما يضمن للمصنع خاصة وللبلاد عامة التفوق فى جودة منتجاته وسرعة إنتاجها مع رخص ثمنها وذلك لكسب معركة التنافس . وهم ينشرون نتيجة بحوثهم فى نشرات ومجلات علمية تتداول فى جميع أصقاع الأرض . ومن أمثلة ذلك معاهد البحوث الخاصة بصناعات البيرة والشوكولاته والخبز والصناعات الزراعية على اختلافها كحفظ الخضر والفاكهة واللحوم والألبان ومشتقاتها بالوسائل المختلفة التى من أحدثها التجفيف . ناهيك عن معاهد البحوث فى كافة صناعات التعدين والآلات وغيرها وبناء المساكن الحديثة والطائرات والسيارات وكل ما يؤدى إلى رفاهية الإنسان ورفع مستوى معيشته .

ونتج عن التخصص فى البحوث أن أصبح لكل مهنة وحرفة وصناعة اختصاصيون ترجع إليهم الحكومات والهيئات فى حل مشاكل الحياة الحديثة وتعتمد عليهم فى تسيير دولاب أعمالها .

الشروط الواجب توفرها فى الباحثين

يجب لكى تنجح البحوث وتأتى بثمارها المطلوبة أن يقوم بها أناس يتوفر فيهم : حسن الخلق ، وغزارة المادة العلمية ، وقوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج ، والقدرة على تصميم التجارب وتنفيذها واستخلاص نتائجها ، والقدرة على ترتيب النتائج وإعدادها للنشر ، وحسن علاقة رؤساء البحوث بمرؤوسيهم .

أما حسن الخلق فان كتب العرب تفيض ببحار من آداب البحث وشروطه ، والواجب علينا أن نعمل بها ونسير على منهاجها ؛ لأن البحث أمانة فى عنق الباحث هو مسئول عنها أمام ربه وضميره . لذلك يجب عليه أن يكون متفرغا بقلبه لبحثه غير ملتفت إلى سواه ، وأن يكون محباً للعلم صدوقا منصفا بالطبع متصفا أكثر من غيره بالفضيلة والصدق والأمانة فى أقواله وأعماله ، لأن فضيحة البحاث إن هوى عظيمة وسقطته إن كبا مميتة ، فالحق لا بد أن يظهر ولو بعد حين .

ويجب ألا يكون الباحث فظاً سىء الخلق بل يكون كريم النفس سمحاً يرحم من دونه فى الرتبة ويحترم كباره وأساتذته وذوى النصح له لأن قدره من قدرهم .

ويجب ألا يهاب تجشم المشاق فى أبحاثه وألا يستهين بآراء غيره ومعلوماتهم مهما انخفضت مرتبتهم عنه فلكل فرد نصيبه من خبرة الحياة . وقد يستفيد أعلم العلماء من أقل الناس علماً .

ومن الأمانة ألا يغمط حق من سلفه فى البحث وأن يعترف بفضلهم مهما قل أو ضؤل . وليتخذ التواضع فى أقواله ومناقشاته ومناظراته ديدنا له فيحترم رأى مناظريه ولو كانوا بعيدين عن الصواب . وليعمل بقول الفيلسوف المصرى القديم « بتاح حتب » :— لا تكن فخوراً بعلمك ، وأعط الجاهل والعالم قسطاً متساوياً من الاحترام .

والواجب على البحاث أن يكون صريحاً فى كل أقواله وكتاباته غير هياب فى الحق فلا يخشى المجاهرة برأيه ولو كانت نتائجه غير متفقة مع نتائج زملائه الذين يشتغلون فى نفس موضوعه ؛ فان الحقيقة لا يحجبها مثل الجبن فى الدفاع عنها ونشرها بين الناس وهى بنت البحث لا وصول اليها إلا بالمناقشة والمناظرة .

وينبغى ألا يخالف قوله فعله فلو كذب مقاله حاله ينفر الناس منه ولا يسترشدون به ، لأن المقلد ينظر دائماً إلى حال المرشد

وينبغى على الباحث أن يكظم غيظه ولا يخلط جده بهزله ولا ييأس إذا لم يقبل قوله وأن يكون مثالا حسنا لزملائه ومرؤوسيه فى الخشية والشفقة والإحتمال والحلم والصبر والتواضع وعفة اللسان واليد والاشتغال بمصالح عمله وافادة الغير بعلمه وخبرته دون انتظار شكر أو جزاء .

وليعلم الباحث أن من وضاعة الخلق وضعف النفس أن ينشر بحثا يبنيه على آراء ونتائج أسرها إليه أحد زملائه أو حصل عليها بطريقة غير شريفة كاستراق سمعه لمناقشة ، أو أن ينقل اليه ناقل تفاصيل تجربة رآها ، فإن نشر وجب عليه أن يُعَنْعِنَ أى يذكر من أخذ عنه . وليجعل الباحث لنفسه فى نظر نفسه قيمة قبل أن يكون لعمله قيمة ، فاحترام المرء لنفسه يوجب احترام الناس له .

وليربط لسانه عن التفوه بنتائج بحوثه لمن يشتغل فى نفس موضوعه قبل نشرها لأن ذلك يحفظ له حق الأولوية ويقلل من سوء التفاهم الناشئ عن التنافس الطبيعى بين أفراد المهنة الواحدة ، وليس ذلك معناه ألا يساعد زملاءه فيما يطلبونه منه ، كلا بل الواجب عليه أن يكون كريما . فإن كشف فى بحثه نقطة تخص أحدهم فليبادر باطلاعه عليها لأن التعاون من روح البحث . وإن عثر على كتب أو نشرات تفيد أحدهم وجب إرسالها اليه لأن ذلك يبعث على توثق العلاقة ومحو التنافر وغرس المحبة والوئام بين أفراد يجب أن يكونوا أدعى الناس إلى التضامن فى خدمة العلم والإنسانية .

وواجب البحاث لا يضايق اخوانه ولا يزعجهم بكثرة الأسئلة ، لا يلح عليهم فى الإطلاع على نتائج بحوثهم قبل نشرها ، ولا يخشى الاعتراف بالخطأ فأن ذلك يقربه من الحقيقة ، ولا بالضعف لأن ذلك يزيده قوة .

وعليه أن يجعل الأمانة والصدق وسيلة لبلوغ أغراضه فإن الغش والتدليس وطبخ النتائج والتهريج العلمى كلها عوامل تؤدى إن آجلا أو عاجلا إلى موت أدبى محقق . فما التهريج إلا آلة الجهلاء وصناعة الضعفاء وهو آفة من الآفات التى تنخر فى عظام الأمم التى لم تضرب بسهم وافر فى المدينة الحديثة . فتراها متفشية فى شتى المهن والحرف والصناعات دون زاجر نفسى أو قانونى وواجب الحكومات أن تعمد بشتى الوسائل لمحاربة هؤلاء الأدعياء الذين كثيراً ما يحتمون بمؤهلاتهم وألقابهم الضخمة فينسبون إلى العلم والعلماء .

ولعل أحسن نصيحة للباحثين هى التى ألقاها البروفسور الروسى إيفان باڤلوف مخاطباً الشباب الجامعى السوفيتى إذ قال :

« يجب عليكم أن تنموا ملكة النظام فى عملكم لأن النظام من أهم العوامل فى الأبحاث العلمية ؛ لذلك ينبغى عليكم أن تعودوا أنفسكم من مبدأ دراساتكم على جمع معلوماتكم بطريقة متتابعة منظمة . والواجب عليكم أن تتعلموا أبجدية العلوم قبل أن تتسلقوا جبالها فلا تقصدوا فعل شىء إلا بعد أن تمهروا فى أداء ما يسبقه من الأعمال . والواجب ألا تخفوا نقص معلوماتكم بالتخمين والظنون والنظريات الجريئة ، ويجب أن تدربوا أنفسكم على رباطة الجأش وحكم النفس والصبر والقيام بالأعمال العلمية الشاقة المضنية ، فادرسوا وقارنوا واجمعوا الحقائق ؛ فالحقائق هى الهواء الذى بدونه لا يعيش العلم ولا يتسنى الوصول إلى حل المشكلات العلمية . فبدون الحقائق تصبح نظرياتكم مجهوداً ضائعاً . ولكن ينبغى عليكم ألا تقنعوا بالحقائق وحدها فى دراساتكم وتجاربكم ومشاهداتكم ، بل يتحتم عليكم التعمق للوصول إلى أصول هذه الحقائق ومعرفة النواميس التى تسيطر عليها وتتحكم فيها .

والواجب أن تكونوا متواضعين لا يأخذكم الغرور فتظنون أنكم تعرفون كل شىء . فيجب عليكم أن تقولوا دائماً « نحن جهلاء » مهما ازداد مدح الناس لكم . فلا تكونوا عبيداً أذلاء للغرور . والصلف يجعلكم عنيدين بدلا من أن تكونوا مرنين . ويجعلكم ترفضون النصح الصادق وتفقدون الهداية إلى الطريق المستقيم والغرض المنشود . والواجب أن يكون المشتغلون بالبحوث العلمية كخلايا الجسم تعمل منسجمة متعاونة مع بعضها البعض كل يؤدى وظيفته وعمله الخاص بمعاونة الآخرين للوصول إلى النتيجة المنشودة فالأنانية هى ألد أعداء العلم والعلماء .

والواجب عليكم أن تعلموا أن العلم يتطلب من طالبه أن يقصر عليه حياته ويتفانى فى حبه . فالعلم شره لا يقنع بغير المجهود الجبار فكونوا متوقدين فى حبكم له .

والواجب أن تكون العلوم مغروسة فى دم أبناء الأمة لأنها هى سلاحها التى تحافظ بها على كيانها »

(لها بقية)

الدكتور مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

صفحة من تاريخ الاستكشاف :

فيتـــوس بيرنج

VITUS BERING

للأستاذ محمود عزت عرفة

بقية المنشور فى العدد الماضى

الرحلة الثانية والأخيرة :

أمدت كترينا بيرنج بستمائة من الرجال بينهم لفيف من العلماء الأكفاء ذوى التخصص ، وبمحمول تسع مركبات ضخمة من الأجهزة العلمية الهامة ، بينها بعض المناظير الكبيرة التى يبلغ طول واحدها خمس عشرة قدما . وصحت نية بيرنج على ابتناء ثلاث سفن إحداها لكشف اليابان ، والأخريان للبحث عن أمريكا .

وقد تكررت فى الرحلة الثانية متاعب السفر الأول ومشقاته ، وإن كان بيرنج قد حاول تخفيف ذلك بإنشاء مصهر للحديد فى ياكتسك يستعين به على تجهيز سفنه وتيسير إعدادها .

وانطوت ثلاثة أعوام قبل أن تبحر السفينتان الأوليان ، وكانت مخازن الذخيرة ومراكز التموين قد أنشئت على امتداد الطريق البرية . وفى عام ١٧٣٦ م تناهت الأنباء بأن الجليد قد حصر إحدى الفرق المتقدمة ، وأن أفرادها يهلكون جوعاً وبرداً . وبادر بيرنج بإرسال النجدات الممكنة ، ولكن لم يُتح له أن ينقذ من أفراد الفرقة البالغ عددهم ستين رجلا أكثر من ثمانية ..

وبالرغم من هذه العوائق الموئسة تمكن سبانجبرج — وكان قد عهد إليه أمر البحث عن اليابان — من استكشاف جزائر كوريل وتصوير سواحلها . وكان بهذا قد بلغ اليابان حقيقة ، ولكنه لم يجد — ويا للأسف — من يصدق منه هذه الدعوى !

وشحَّت الأقوات لدى البعث حتى لم يجد بيرنج بداً من استجلاب المزيد منها من بطرسبرج على مسافة ألف ميل عبر اليابسة ذهاباً ومثلها إياباً ، يضاف إلى ذلك عبور بحر كامتشاتكا إلى حيث تقوم السفن بعملياتها الاستكشافية .

وأنشأ بيرنج سفينتين أخريين ليقودهما بنفسه بحثاً عن أمريكا ثم انطلق بهما عبر المحيط يناضل نضاله الأخير . وكان ذلك فى شهر يونية من عام ١٧٤١ ، أى بعد انطواء أكثر من سبعة أعوام على خروجه الثانى من بطرسبرج .

وقد خلد بيرنج ذكر سفينتيه سنت بيتر وسنت بول حين صاغ من اسميهما علماً للمدينة الجديدة التى أنشأها فى كامتشاتكا ودعاها بِترُوبَافـلُوفسك Petropavlovsk .



وكانت سنت بيتر تقل سبعين رجلا على رأسهم بيرنج، وفيهم العلامة الطبيعى المشهور جورج وليم ستِـلَّار G.W. Stellar وحملت السفينة الثانية ستة وسبعين رجلا . ثم انطلقت السفينتان صوب الشمال فيما يعرف اليوم باسم بحر بيرنج ، وكان شاطئ آسيا الشرقى إلى ميسرة القوم وإن لم يكن منهم بمرأى. وانقضت ثمانية أيام استدار بعدها بيرنج نحو الشرق ، وسرعان ما هبت قواصف المحيط فى عنف ففرقت ما بين السفينتين . ومضت سنت بول فى تيه فسيح من البحر الخضَم ؛ فاضطر بيرنج كى لا يفقدها أن يتحرك فى دائرة مناداحة طيلة شهر كامل . ولكن لم يُقدر له مع ذلك أن يلتقى بها مرة أخرى ... لقد فقدها إلى الأبد .

على أن بيرنج رأى عرَضاً هدفه المقصود — أمريكا — حين كان يجد فى البحث عن سنت بول ، وكان ذلك فى التاسع عشر من يولية سنة ١٧٤١ ؛ وبهذا تحقق الحلم الذى كان يتراءى له ويضنيه تحقيقه مدة ستة عشر عاما .

وكان أول ما بدا له من أرض القارة الجديدة جبل شامخ البناء رفيع السَّمك أسماه (سنت إيليا) ... إذ كان بيرنج رجلا تقياً متديناً كأكثر أولئك المغامرين البواسل من أبطال التاريخ .

حقائق جغرافية :

لزم بيرنج ساحل القارة الجديدة ستة أسابيع على أمل أن يلتقى بالسفينة المفقودة ؛ وكان بجولته هذه قد عبر المضيق المعروف باسمه ورأى رأى العين كيف تنتهى آسيا وتبدأ أمريكا .

ويبلغ عرض هذا المضيق فى أضيق أجزائه ستة وثلاثين ميلا وهو مرصع الصفحة بعدد من الجزائر يقوم سكانها منذ كانوا بمهمة الربط بين القارتين عن طريق التجارة وتبادل السلع .

والحق أن بيرنج كان قد بلغ موضعاً من الأرض ينطق بأورع ما تتكشف عنه غرائب الطبيعة ... فثمة تبدو مظاهر الانخساف الهائل فى اليابسة بكيفية نشأ عنها انهيار تلك القنطرة التى كانت تصل فى يوم ما بين العالمين القديم والجديد ؛ وثمة كان يمتد الطريق التاريخى الذى اجتازته طوائف البشر والحيوان قديماً منتقلة من آسيا إلى أمريكا ، وهو الطريق الذى يعلل وجوده نشوء الأسد The Puma والفهد The Jaguar الأمريكيين كسليلين لجديهما المهاجرين من العالم القديم ، والذى مكن كذلك للجمل الأسيوى القديم من أن ينشئ حفدته على سفوح جبال أمريكا باسم ... اللاما The Llama .

ويقول العارفون من علماء الجغرافيا إن جو هذه المناطق كان استوائياً شديد الحرارة فى الزمن القديم ؛ وهم قد وجدوا تأييداً لدعواهم — فى أكثر الجزائر التى أرسى عليها بيرنج — عظاماً نخرة وبقايا هياكل مطمورة لحيوان الماموث والكركدن والخرتيت والنمر والوعل وغيرها من تلك الأحياء التى لا تألف اليوم إلا أشد الأقاليم حرارة ...

وكان من غريب ما جرى لبيرنج أن انقطعت أخبار الرواد الأوائل العشرة الذين أرسلهم ليستطلعوا طِلْع العالم الجديد ، وكذلك كان مصير الأربعة الآخرين الذى تعقبوهم باحثين عنهم !

خاتمة بيرنج :

زحف الشتاء بخيله ورجله فلم يجد بيرنج بداً من أن يهرع إلى الجنوب الغربى ناجياً بنفسه من ويلاته . وهبت قواصف المحيط فى شدة وعنف ولجت فى العبث بالسفينة حتى أضلتها الطريق سبعة عشر يوما . وقد دهم هذا الزمهرير القوم وهم بين سماء وماء يتلمسون عبثاً طريقهم إلى ساحل كامتشاتكا ؛ وكانت أبدانهم قد نحلت وضوت من سوء التغذية ففشا بينهم داء (الأسكربوط) . وأنفقوا أياما طويلة فى أحضان المحيط وهم يتخبطون بين منهال الجليد ومنهل المطر ، فى حين كان الثلج المتساقط من أمراس السفينة يرض أجسامهم ويكاد يفضخ منهم الرءوس . وازدادت الأطعمة شحاً فى مقدارها وقلة فى غنائها حتى نهكت القومَ الأدواء ، وعلَّ الموت فيهم ونهل .

وقد شلت ساقا النوتى القائم على سكان السفينة ، وبدأ أكثر البحارة يعجزون عن الاضطلاع بأعباء عملهم يوما بعد يوم . وكان من سخرية القدر أن يعجز الرجل الذى استكشف قارة بأكلها عن أن يجد ذراعاً من الأرض يريح فوقها أجساد رجاله المتهالكين ...

وكان بيرنج شديد المنة قوى الاحتمال ، ولكن مسّاً من داء (الأسكربوط) أطاف به كصحبه فتركه عليلا لا يقدر على شىء . وثارت بالسفينة عواصف هوج كادت تحطمها على نواتىء بعض الصخور ، حطها ، ثم دفعت بها نحو مجموعة من الرضام [1] حتى استقرت دون كبير أذى فى أحضان بحيرة ضحلة من الجزيرة المعروفة اليوم باسم جزيرة بيرنج . وكان مجرد بروز القوم من غرفهم الخانقة الهواء كافياً لإزهاق أرواحهم على ظهر السفينة بتأثير البرودة القاسية . وقد اشتدت وطأة العلة على بيرنج فأضجعوه مدثراً فى فرائه ، ثم احتملوه إلى قرموص [2] أعدوه له على الشاطىء وهيأوا له منه شبه بيت مسقوف . ولاذ سائر البحارة بمواضع أخرى من الرمل احتفروها لأنفسهم . وهكذا نجا أكثرهم من الهلاك ثم عادوا بعد عام إلى أوطانهم على ظهر سفينة جديدة اصطنعوها من أنقاض « سنت بير » — أما بيرنج فقد كان يحثث الخطى نحو مصيره المحتوم ... كان يموت ! ولم يقدر له ، فوق هذا ، أن يودع حياته فى جو من الهدوء والسلام إذ كانت قطعان من الثعالب القطبية تغير على المعسكر ، وتنغص على القوم عيشهم بما تسلبهم من رمام موتاهم وطعام أحيائهم .

ورقد بيرنج مطموراً نصف جسده فى الرمل ؛ وكان يزعم أن هذا مما يخفف وطأة البرد عنه . والحق أن رجاله قاموا بأكثر

(١) الرضام صخور عظام أمثال الجزر (الواحدة رضمة — عن الثعالبي

(٢) الأصل فى القرموص حفرة واسعة الجوف ضيقة الرأس يستدفىء بها الصرد من البرد — المنجد

مما فى ظوقهم لإنقاذه وتخفيف ألمه ؛ وكان الطعام الطازج موفوراً لديهم بما يصطادونه من حيتان البحر وبقره وكلابه وسائر أصناف سمكه ، ولـكن الرجل كان خائفاً لا يشتهى الطعام ، ثم أصيب من الوهن بما عجز معه عن ازدراد لقيمة تقيم أوده ! وكان لا ينفك يهيل على بدنه كثباناً من الرمل ويزداد غوصاً فى أعماق حفرته كل يوم ، كأنما هو يقبر نفسه حياً . وفى صبيحة يوم مقرور ألفاه صحبه غائصاً فى الرمل إلى ذقنه وقد أسلم الأنفاس . وهكذا مات بيرنج الرحالة المجاهد ... ولـكن بعد أن أنجز مهمته الخطيرة وشهد انتصاره بعينى رأسه .

بيرنج بعد موته :

كانت حوادث هـذه الرحلة من الغرابة بحيث استحال على الـكثيرين تصديقهـا ... حتى جاء الرحالة الانجليزى المشهور « كابتن جيمس كوك [1] » فأزال قناع الريبة فيهـا عن وجه اليقين . وقـد جاس فى رحلته خـلال مضيق بيرنج ، وفحص الخرائط التى تركها الرحالة الذاهب ، فتبين له مبلغ دقتهـا ، وأمانته فى تخطيطها . وهكذا اتضح للعالم أجمع عظم المهمة التى اضطلع بها هذا المستكشف الدنمركى الجرىء الذى لم يقابَل بغير السخرية والتكذيب من رجال عصره الجاثمين خلف جدران بيوتهم لا يعملون ولا يدعون لغيرهم أن يعمل . وقد أقيم لبيرنج نصب تذكارى رائع فى مدينة « بتروبافلوفسك » التى يرجع إليه فضل إنشائها ، على أن ذكراه الحقة إنما تخلدت فى الجزيرة والمضيق والبحر اللائى سُمِّين باسمه جميعاً .

ولم يكد ينقضى جيل على وفاة بيرنج حتى نهضت أعظم تجارة للفراء عبر المياه التى ذلَّل للعالم سبيلها ومهد مسالكها . واكتسى ملوك أوربا وملكاتها وسائر أهل النبالة والثراء فيهـا من هذه الفراء الغوالى التى ترد عن طريق بحارٍ موحشة مقرورة جاد فيتوس بيرنج بحياته ، غير ضـنين ، فى سبيل أن يقرب قواصيها ويملِّك الناس نواصيها ..

(قوص) **محمود عزت عرفه**

(١) ولد كوك عام ١٧٢٨ ، وتوفى فى ١٤ فبراير سنة ١٧٧٩ م

الأدب العصرى

فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب

للدكتور ر . ب . سارجنت

بقية المنشور فى العدد الماضى

حضرموت :

لقد تأثرت الحياة السياسية والثقافية لحضرموت ، فى خلال عدة قرون على أقل تقدير ، تأثراً عميقاً بما طبعتها به عدة أسرات شهيرة من السادة نذكر من بينها الأسماء القليلة الآتية : السقاف ، وعيدروس ، وبا فقيه ، وبا علوى . وفى القرن الحادى عشر الهجرى أخرجت أسرة السقاف التى كان مقرها فى ذلك العهد غالباً فى تريم وابلا من الأدب الصوفى ، وطبعاً أخرجت الأسرات الأخرى كذلك مجموعة غير صغيرة من المؤلفات الصوفية . وقد طبع من مؤلفات السقافين عدد ما فى خلال القرن الماضى . ولم يقتصر نفوذ السقافين على كليتهم أو مدرستهم التى كانت فى تريم بل كانت لهم كذلك صلة بضريح عينات المشهور ، الذى تظهر صورته على طوابع البريد الحضرمية ، وكان نفوذهم وعلاقاتهم تمتد فى ذلك الحين — كما تمتد اليوم — إلى أفريقية الشرقية وإلى الهند ولا سيما أحمد آباد ؛ بل ربما كانت لهم علاقات بالجاليات العربية فى جزر الهند الشرقية . ومن المعلوم لنا أن الأسرة كانت مزدهرة منذ عهد يرجع على أقل تقدير إلى القرن التاسع ، ومن عجيب ما يروى أنه كان هناك شخص يسمى حسين بن أبى بكر السقاف أنكر على تدخين التبغ الذى كان يباع فى جزيرة العرب فى سنة ١٠١٢ هجرية ، وقد نجح فى الحصول على حظر بيعه العلنى فى الأسواق ! واشتهر السقافون بأنهم صوفيون غيورون ، وارتحلوا فى بقاع الأرض برسائلهم الصوفية ، وتقبلوا العباءة الصوفية من أعضاء الجمعيات الصوفية الأخرى .

ومن ثم لم يكن غريباً أن يكون اليوم للحضرميين حى يقطنون به فى القاهرة ، بناحية الجمالية ، على مقربة من مسجد سيدنا الحسين ، وقد نشر عدد من الكتب الحضرمية أحدها تأليف كاتب سقافى . ويحتوى هذا الكتيب على ست قصائد فى مدح الإمام يحيى ، نظمت فى سنة ١٩١٢ حينما كانت بلاد اليمن تحت الحكم التركى ، ونشرت فى سنة ١٩٢٦ ، وبه أيضاً ردان شعريان من الإمام نفسه ، إذ أن الإمام شاعر معترف بشاعريته .

وقد قامت هذه الأسرة المجددة ، فى خلال السنتين أو الثلاث الماضية بنشر مجلة الاعتصام ، وهى صحيفة شهرية تصدر فى مدينة سيون وتعالج الشئون الدينية والثقافية والأدبية ؛ ومن حسن حظى أننى أمتلك نسخة من هذه المجلة ، وهى العدد الثامن الصادر فى صفر سنة ١٣٦٢ هـ ، وهى السنة الأولى فى حياة الصحيفة . ومما يذكر عن هذه المجلة أنها مكتوبة بخط اليد إذ يظهر أنه ليس فى ذلك الجزء من الوادى مطبعة ، ولا بد أن تكون هذه الصحيفة هى المجلة الوحدة التى تصدر فى البلاد العربية على هذا الشكل .

وصدر فى القاهرة كذلك منذ بضع سنين كتاب آخر هام عن حضرموت اسمه « تاريخ حضرموت السياسى » ، وهو يشتمل على قدر كبير من المعلومات القيمة ، ليس فيما يتعلق بالشعراء العصريين ، والأدب العصرى ، والتاريخ الحديث فقط ، بل كذلك فيما يتعلق بالعلوم التى نهضت فى الغرب كعلم طبقات الأرض وعلم وصف البلدان ، مما له فائدة جليلة على الرغم مما قام به الطيران فى السنوات الأخيرة من رحلات الكشف والاستطلاع

وحضرموت تواجه الشرق كما تواجه الغرب ، ولقد كانت العلاقات بين جنوبى جزيرة العرب والهند قائمة على أساس وطيد قبل الإسلام بزمن طويل . ويقوم اليافعيون اليوم بالخدمة المتوارثة فى الحرس السلطانى الخاص لنظام حيدر آباد ، كما كان اليافعيون والمهريون يخدمون فى الحرس الخاص فى أحمد آباد فى عهد مضى عليه أكثر من أربعة قرون . ولدينا من الرجحان ما يقرب من اليقين إذ نعزو سبب طبع كتب مثل كتاب فتوح اليمن ، فى بمباى وغيرها من البلاد الهندية إلى أنه كان فى الهند جاليات حضرمية ؛ كذلك طبعت كتب أخرى تختص بشئون جنوبى جزيرة العرب ، فى المدينتين الهنديتين الكبيرتين، كلكتا وكانبور ، غير أنه طبع فى بغداد ، فى عهد أحدث من هذا ،

كتاب مشهور هو « النور السافر ، عن أخبار القرن العاشر » وهو من تأليف أحد أفراد أسرة العيدروس ، ويتناول أخبار الصوفيين فى جنوبى الجزيرة العربية وكجرات .

وللحضارمة جاليات تقطن منذ عهد بعيد فى جزائر الهند الشرقية الهولندية ، ومستعمرات الملايو البريطانية ، وإن كان من المرجح أن نشأة تلك الجاليات لا ترجع فى تاريخها إلى مثل ما ترجع اليه جاليات الحضارمة فى الهند . وللحضارمة مطبوعات نشرت فى بتافيا ، عاصمة الهند الشرقية الهولندية منذ سنة ١٨٧٥ وتتناول هذه المطبوعات فى معظمها العلوم الدينية ، والفقه ، وعلم التوحيد ، وبعضها طبع حجر وبعضها طبع حروف ؛ وبعد ذلك التاريخ بعشرة أعوام طبعت خريطة هـامة لشبه الجزيرة العربية ، وكذلك الأطلس العربى ، للسيد عثمان ، على طبعة الحجر .

ومعلوماتنا عن الجهود الأدبية للحضارمة خارج وطنهم ، معلومات متناثرة فى جلتها ، وبما أنهم أقليات فى تلك البلاد التى اتخذوها وطناً لهم — مهما تكن تلك الأقليات مهمة — فقد جر النسيان ذيله على جهودهم الأولى . وليس فيما أعلم فى مكلا نفسها مطبعة ، وإلى أن تنشأ هناك آلة للطباعة لن يكون مفر من أن ينتشر الأدب عن طريق المخطوطات التى تنسخها الأيدى أو عن طريق المطبوعات التى تستورد من البلاد العربية الأخرى. وهذا أدعى إلى الأسف ، إذ أن للبلاد تاريخاً ثقافياً عريقاً تمكن المحافظة عليه وتغذيته بما يعيد اليـه الحياة مرة أخرى ، بادخال فن الطباعة .

الصحافة والمطابع فى الجنوب الغربى لجزيرة العرب

أصبحت الجرائد اليوم مصدراً من المصادر التى يعتمد عليها التاريخ ، وإن كان من غير الممكن أن نقول عنها إنهـا فى الغالب دقيقة ، أو نزيهة عن المحاباة ، أو إنها دائماً حسنة الأسلوب ، بل لا نستطيع أن ندعى لها أنها تضع أمامنا صـورة صادقة عما هو حادث فى البلاد فعلا . والحق أن المؤرخ اليقظ لا يترقب أن يجد فى الجرائد تلك الصفات ، وهو إذ يرجع إليها إنما يرجع إليها مع شعوره بتشيعها ، ليوضح طريقة عرضها للحوادث فى ضوء ميولها الحزبية ، فيستنتج من الجرائد المختلفة آراء الأحزاب المختلفة عن شأن من الشئون ، ثم يعتمد على مصادر أخرى أقل تشيعاً ليستقى منها التأويل الحقيقى للحوادث . على أن المؤرخ الأدبى أسعد حظاً من زميله المؤرخ العام ، إذ أن الجرائد هى إلى حد كبير مرآة تنعكس عليها الحركات الأدبية للعصر الذى تصدر فيه ، بل إنها فى بلاد مثل بلاد الجنوب الغربى للجزيرة العربية تكاد تكون الوسيلة الوحدة لنشر الآداب . وقـد شاهدنا جميعاً الدور الهام الذى قامت به الجرائد فى نهضة الأدب العربى فى مصر وسورية ، فمن المهم إذن أن نتدبر أثر الجرائد فى المجهودات الأدبية فى ذلك الركن من شبه الجزيرة العربية .

وفى منتصف القرن التاسع عشر نشر عالم هولندى اسمه فان دن بيرغ ثبتا بالجرائد العربيـة التى كانت متداولة بين الجاليات العربية فى الهنـد الشرقية ، ولنا أن نفترض أن كل تلك الجرائد كانت متداولة فى المدن التى كان يمكن الوصـول إليها فى الجنوب الغربى للجزيرة العربية ، وكانت هناك جريدة « الجوائب » التى أسست فى إستنبول سـنة ١٨٦٠ وكانت تطبع فيها ، وقد عطل الباب العالى هذه الجريدة ، ولـكنها عادت للصـدور مرة أخرى سـنة ١٨٨٥ باسم جريدة « القاهرة » . كذلك كانت جريدتا « الاعتدال » و « الإنسان » تصدران فى إستنبول وتتداولان فى الهند الشرقية . ومما كان منتشراً فى الهند الشرقية أيضاً الجرائد البيروتية الآتية : « الجنة » و « لسان الحـال » و « ثمرات الفنون » ؛ ومن القاهرة جريدة « الوطن » ؛ ومن الاسكندرية جريدتا « الأهرام »و « روضة الاسكندرية » ؛ ولعل أهم ما كان متداولا من الجرائد هناك ، من الوجهة السياسـية ، هو صحيفة « العروة الوثقى » وهى مجلة دعاة الوطنية من العرب وكانت تصدر فى باريس .

وليس من الميسور الحصول على معلومات فيما يتعلق بإنشـاء المطابع وتأسيس دور الطباعة فى الجنوب الغربى للجزيرةالعربية . ذلك إلى أنه يظهر أن معظم المطبوعات الأولى التى أخرجتها تلك المطابع كان ذا صبغة وقتية فاختفى غير مخلف له أثراً يهتدى به على نوعه أو قدره . وما كتب له البقاء من الرسـائل أو الجرائد التى طبعت فى تلك المطابع فى عهدها الأول ، يرجح أنه اليوم مبعثر

بين المكتبات الخاصة والعامة فى تركيا ، والهند ، وصنعاء ، وعدن ، وبريطانيا العظمى ، ولكن القارىء العادى لا يعرف شيئاً عن وجودها . على أن لدينا شيئاً من المعلومات عن تأسيس الجريدة اليمنية « صنعاء » التى كانت تطبع بالعربية والتركية . ففى سنة ١٨٦٧ قررت الحكومة التركية العثمانية أن يكون فى عاصمة كل ولاية من ولايات الدولة العثمانية مطبعة ، وأن يقوم كبار الموظفين فى الولاية بنشر تقويم أو كتاب سنوى « سالنامه » يشتمل على أهم الأخبار فى الولاية ، وأن تنشر كذلك جريدة فى كل عاصمة . وبناء على هذا القرار أقيمت مطبعة فى القصر الحالى للامام المعروف باسم « مقام الإمام » وطبعت فيها جريدة « صنعاء » . ونسخ هذه الجريدة نادرة الوجود جداً فى الوقت الحاضر ، ومن المرجح أن هذه الجريدة لم تكن منتشرة ، حتى فى ذلك العهد ، إلا فى المدن الكبرى ، إذ أن سلطة الأتراك خارج تلك المدن كانت واهية جداً . ويظهر أن عدداً من الرسائل طبع كذلك فى تلك المطبعة ، ومن المرجح أن معظمه كان متصلا بالشئون الحربية والإدارية ، ولكن واحدة من هذه الرسائل قد وقعت فى يدى وهى تبحث فى الفرائض الدينية . والكتاب الأتراك عن اليمن هم الذين يمكنهم أن يكشفوا عن نشأة هذه المطبعة ، وعلى الخصوص حامد وهبى الذى نشر كتابه السنوى عن اليمن « سالنامه سى » فى سنة ١٢٨٩ هـ . ، وكذلك غيره من المؤلفين الذين كانوا على الأرجح موظفين فى الحكومة وكان لهم اهتمام بالبلاد دعاهم إلى كتابة تاريخها . ولقد كان الأتراك طبعا حكاما لجزء من اليمن فى حقبة قصيرة فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . ومما يذكر على سبيل التندر أنه مازال باقياً حتى اليوم فى القسطنطينية صور للفتح التركى لليمن من صنع فنانين أتراك من أهل ذلك العهد .

وفى أثناء العهد المضطرب الذى تلا الحرب العظمى الأولى لم يكن فى اليمن على ما يظهر نشاط أدبى كبير ، غير أنه فى سنة ١٣٤٥ هـ . و (١٩٢٦ م .) ظهرت الأعداد الأولى للجريدة اليمنية الجديدة فى صنعاء ، مطبوعة فى المطبعة التركية القديمة ومسماة باسم « الإيمان » . وتشتمل هذه الجريدة الرسمية على نصوص المعاهدات المعقودة مع الدول الأجنبية وعلى المراسيم ، والأحكام القضائية ، والقصائد المنظومة فى مدح الإمام وأمراء البيت المالك ، كما تحتوى على مقالات أدبية ودينية . وبفضل هذه الجريدة يمكن تتبع الموقف السياسى الداخلى للبلاد ، إلى درجة ما ، كما يمكن الوقوف على الجهود الحميدة التى تبذلها الحكومة المركزية فى النهضة بالتعليم ، وتربية روح وطنية عامة ـ لا روح قبلية محلية ـ فى جميع أنحاء البلاد . وعلى أنه من غير الممكن أن نقدر مبلغ ما لهذه الجريدة من الانتشار فى داخل بلاد اليمن ، يمكننا أن نسلم بأنها تصل إلى جميع دور الحكومة فى كل قضاء ، وبأنها تتداول بأيدى قراء يزيدون فى عددهم زيادة كبرى على ما كان للجريدة التى كانت تصدر فى العهد التركى ، وتؤدى بذلك خدمة أهم من تلك التى كانت تؤديها تلك الجريدة . ومن المميزات الشائقة فى جريدة « الإيمان » ما تنشره لمراسليها فى سورية وغيرها من البلاد العربية الأخرى .

أما أهل عدن فانهم يستوردون منذ عهد طويل الصحف المصرية التى يكاد يكون الحصول عليها فى عدن فى مثل سهولة الحصول عليها فى القاهرة ، ولا يقتصر قراؤها هنا على العرب فقط ، بل يقرؤها كذلك المتعلمون من الصوماليين . وتنتشر الجرائد كذلك فى لحج عاصمة السلطنة العبدلية ، ولكنها قليلة الانتشار فى الجهات الأخرى من المحمية . ولدينا من المراجع المسطورة ما يدل على أنه فى سنة ١٨٧٠ كان فى عدن مطبعتان : إحداهما فى السجن ، ومن المرجح أنها لم تطبع بجانب المطبوعات الحكومية إلا القليل ، والأخرى خارج السجن ، وليس لدينا ما يدل على أنها كانت تطبع كتباً عربية أو على مقدار ما طبعته منها إن كانت قد طبعت منها شيئاً . وشاهدت سنة ١٩١٤ قيام مطبعة ثالثة . فأصبح هناك ثلاث مطابع تقوم على خدمة عدد من السكان يتراوح بين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً ؛ واليوم أستطيع أن أسمى ثلاث مطابع تطبع بالعربية ، منها مطبعة « فتاة الجزيرة » ، ومطبعة « الهلال » فى بازار بهرة ، وربما كان هناك مطابع أخرى ولست أدرى أكان بين مطبوعات المطابع الأولى ما يزيد على حجم الرسائل أو الاعلانات أم لا ، ولكن من غير المحتمل أن تكون تلك المطبوعات قد اشتملت على كتب . ومنذ نشوب الحرب الحاضرة تولى تحرير جريدة « فتاة الجزيرة » صحفى عدنى

اسمه محمد لقمان ، وتنشر هذه الجريدة الأخبار المحلية ، وقصائد شعرية ، ومواد فى التربية والتعليم ، ومقالات عامة ، والأوامر الحكومية . وإذا قارنا هذه الجريدة بجريدة « الايمان » التى تجنح إلى الأسلوب القديم ، ألفيناها ذات أسلوب حديث فى عرض موضوعاتها ، وتستخدم لغة الصحافة الحديثة العربيـة . وهى منتشرة فى عدن ولحج وإن كنت رأيت بعض نسخ منها فى الأجزاء الأخرى من المحمية ، وربما وجدت أيضاً فى حضرموت حيث مستوى التعليم أعلى نوعا ما .

وقد سبق أن ذكرنا جريدة « الاعتصـام » الحضرمية ، ولـكنه إذ لا مفر من طبع جميع الـكتب الحضرمية فى الخارج ، كذلك الجرائد المطبوعة تأتى من الخارج . فمن ذلك أن الجرائد تستورد من جزائر الهند الشرقية الهولندية ، ومن المرجح أن يكون من بينها جريدة « حضرموت » التى تطبع فى سورابايا ، فى الهند الشرقية الهولندية ، منذ نحو سنة ١٩٢٣ . وكانت تطبع فى سنغافورة جرائد عربية قبل الحرب الماضية ، وعلى أننى لم أر واحدة منها ، أرجح كل الترجيح أنها كانت من تحرير الحضارمة ، وأنه ظلت الجرائد العربية تظهر هناك حتى عهـد قريب . ومن الصحف المتداولة فى المدن الساحلية للمحيط الهندى مجلة « العرب » التى تصف نفسها بأنها « جريدة إسلامية ، أخبارية ، أسبوعية ، تصدر من الهند » ؛ وقد بدأت هـذه الصحيفة فى الظهور فى سنـة ١٩٤٠ — ١٩٤١ ، وهى تحتوى على أخبار ومعلومات عامة عن عدن ، واليمن ، وحضرموت . وهى تطبع فى بمباى ، وتدعى أنها « حلقة الاتصال بين الهند والعالم العربى » ويرد إلى حضرموت مجموعة متنوعة من الصحف بالإضـافة إلى الصحف المصرية والعراقية ، غير أن توزيعها مقتصر على المدن ولا سيما المدن التى هى أقرب إلى الساحل .

اللغة العربية فى جنوبى الجزيرة العربية

ونختتم بحثنا هذا بكلمة قصيرة عن الأساليب العربية التى تستعمل فى جنوبى الجزيرة العربية . والأب أنستاس مارى يقول عن جدارة ، معبراً عن وجهة نظر الأمم الآخذة من التقدم بنصيب أوفى ، فيما يتعلق بالأسلوب العربى الذى يستعمله اليمن :

« وأما لغة الإنشـاء فصحيحة ، لـكن أسلوبها أسلوب العصور الوسطى ، وليس فيها تلك السلاسة والرطوبة واللدونة التى ترى فى أساليب العصريين من أهل مصر ، وسورية ، ولبنان ، والعراق ؛ وكل ما يرمى إليه كتبة اليمانيين السجع الممل . »

ولـكنه يحتاط فيقترح الحل الآتى : « على أننا لا نريد بذلك ذم كلام أبناء اليمن ، بل نود أن يطالعوا التصانيف الحديثة التى تصدر كل يوم فى الديار العربية اللسان . »

وفيما يتعلق بلغـة التخاطب والمحادثة ، يستخدم أهل المدن لهجة شائعة يفهمهـا الغريب بسهولة ، أما فى القرى فللناس لهجات كثيراً ما يصعب فهمها على المسافرين الوافدين من جهات أخرى . وبين يدى الآن وثيقـة قانون قبلى أو شرع قبيلة كما تسمى فى جنوبى جزيرة العرب ، وهى وثيقة لا يستطيع فهمهـا مصرى أو سورى ، بل لا يستطيع فهمها حضرمى مثـلا . ومع ذلك فهى مكتوبة باللهجة التى تتكلمها هـذه القبيلة دائماً ، بل يتكلمها سلطانها . وفى بعض المناطق ما زالت لغـة التخاطب قوية الشبه بلغة بنى حمير ، ولن يدهش علماء النحو أن يعلموا أن « ام » ما زالت تستعمل أداة للتعريف بصفة عامة جـداً ، كما أخبرنا بذلك منـذ قديم كل من الزمخشرى وسيبويه . إن فى الجنوب الغـربى لجزيرة العرب مناطق كثيرة لم تكد الحروف المطبوعة تخترق أصقاعها ، وهذه المناطق تكاد لا تزيد على أن تفهم لغة الجرائد العصرية . على أن ارتجال الشعر فى تلك الجهات ما زال عنصراً من عناصر الحياة الاجتماعية للناس . وليس ثمة شك فى أنه فى خلال نصف قرن يأتى ستتطور منطقة الجنوب الغربى بانتشار التربية وتعلم القراءة والـكتابة ، وما سيصحبهما من نشر المعلومات العصرية فى الفنون الهندسية والأساليب الأدبية ، وسيكون من الشائق جداً أن يلاحظ الباحث تطور هؤلاء القوم تحت تأثير هذه العوامل الحديثة . لقد كان للبلاد ماض مجيد فى تاريخ المدنية ، وجدير بها أن يكون لها مستقبل مجيد ، وهى بذلك أجدر بسبب ما تحتويه من الثروة الطبيعية التى ساعدت فى الحجاز على تقدم الشعب العربى .

الدكتور ر . ب . سارجنت

هرموبوليس مدينة الحج

– ٢ –

للأستاذ فوزى الشتوى

[انتهينا في المرة الماضية عند وصف سراديب التحنيط ونختم فى هذا المقال بوصف بعض الآثار الأخرى]

حياتنا لم تتغير

وإلى جوار السور معبد حاكم المنطقة الدينى بوتوزوريس .

وهو معبد فخم تبدو نقوشه بالألوان الطبيعية والصور المنحوتة فى الأحجار فترى فى تقاطيع أصحابها سمات المصريين ، وسمات السوريين والصينيين . ترى فيها تعابير الحزن كما ترى فيها علامات الفرح . وتدرك من نظرات أصحابها ما تنم عليه من إعجاب أو ازدراء ، فعلى حوائط هذا المعبد سجلت صور الحياة المصرية فى مراحلها المختلفة .

فهنا لوحة أو لوحات تمثل الفلاح يزرع أرضه من حرث وسق وإنبات ثم حصد وتدرية ، وفى لوحة ثانية ترى الصانع يحتضن أدواته ويحركها فى خزفه أو نحاسه ليخرج منها تلك الأوانى التى تشاهدها فى دار الآثار ، أوان أردتها حية مجسمة تجدها فى خان الخليلى ، فصناعه وأدواتهم وطرقهم يتبعون طرق اسلافهم ونادراً ما تجد أداة تغيرت ولكن ما تغير هو مرور تلك الحقبة من الزمن

ونظرة دقيقة إلى تلك اللوحات وما شملت ، ثم نظرة أخرى إلى تلك البقعة وما تبين توضح لك أننا لا نزال نعيش على حساب تلك العقول ، فهناك ترى صحاف النحاس تنقش ثبتت على قواعد من القار فترى منها نسخة أخرى فى خان الخليلى .

وما قيل عن صناع الصحاف النحاسية ينطبق على النجارين والخراطين وصناع الفخار . تراهم كلهم منهمكين فى عملهم فى تلك الاوضاع المختلفة التى لم يترك منها الفنان تعبيراً إلا نجح فى آدائه وإجادته طبقاً للحقيقة الحية .

كاهن ورع

وهكذا خصص من كل من حوائط المعبد واحدة أفردت الأولى للزراعة وبينت الثانية نواحى الصناعة وعرضت الثالثة لحياة الكاهن وموته . وعلى هذا الحائط تظهر عظمة صاحب المعبد . فهو لم يكن كاهنا عاديا ، رجلا تقياً ورعا يحج إليه الناس من كل مكان فيأتيه اليونانيون والرومانيون ليحصلوا على بركته وليعبروا له عن إعجابهم بسجاياه ، يمتدحون جليل أعماله ، ويطنبون فى حسن معاملته لأعوانه .

(شكل ١)

نقت حفريات الدكتور سامى جبرة فى تونه الجبل نظر علماء الآثار فى العالم ويرى فى الصورة وهو فى وسط لفيف منهم

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل على ذلك الحائط منظر أولاده الأربعة وبناته السبع وقد احتلوا أماكنهم فى صف واحد مرتبين تبعاً لأعمارهم فلا يسبق الغلام الفتاة ولا الفتاة الغلام . ففى المقدمة الإبن الأكبر وفى النهاية الإبن الأصغر وإنك لتلحظ فيهم اختلاف التقاطيع وتشابهها كما تلحظه فى أبناء أية أسرة . وإنك لترى فى تلون البشرة سمارها فى الذكور وبياضها فى الفتيات ، كما تلمس أمارات الرجولة فى الشبان وعلامات النعومة فى الفتيات وإن امتياز الجميع بقاماتهم الفارعة المشوقة .

ومات الكاهن الورع ، فقدمت الوفود من كل مكان . وسار الكهنة فى موكب جنازته يسحبون العربة التى تحمل جثته وترفرف فوق رؤوسهم أعلام بلادهم ، فهم لم يأتوا كأفراد فحسب ، بل قدموا كممثلين لبلادهم وليعبروا عن مكانة الرجل فى ديارهم .

يوم الحساب

والموت فى عرف المصريين القدماء مواصلة الحياة ولكن فى الدنيا الآخرة أو عالم الخلود . وليس الوصول اليه من الأمور الهينة فنى طريقه حساب عسير لا يكتفى فيه بالظاهر بل يوزن فيه قلب الإنسان ومبعث خيره وشره .

فإذا انتقلنا إلى الحائط الأخير وجدنا روح الميت بين أيدى الآلهة تقدم حسابها فتذكر أربعين سيئة لم يعملها الميت فى حياته ثم يترافع أمام مجمعهم مبيناً حقه فى الحياة الأبدية . إلا أن الآلهة لا تؤخذ بالأقوال فيزنون ما فى قلبه من شر . فان وازن ريشة «ممان» إلـهة العدل أدخل الجنة . وإن زاد عنها ألقى إلى حيوان ضخم يلتهمه ثم يندفع به فى حياة الظلمة .

ويربط هذا المعبد بين الفن المصري والفن اليونانى . فهو مصرى فى جميع نقوشه وتفاصيله إذا استثنينا طريقة الدفن . فالتبع فى المقابر المصرية أن يكون مرقد الميت إلى اليمين . فكان فى هذا المعبد فى بئر عميقة فى وسطه طبقاً لطقوس ذلك العصر . وفى سقف المعبد فوق البئر فتحة صغيرة لوحظ أن الشمس تسقط منها إلى أسفل البئر فتضيء المكان وتبارك صاحبه فى وقت الظهر من شهر بؤونة .

فن التصوير القصصى

وتمثل الحفريات الأخرى كثيراً من الفنون اليونانية . ونجد فيها أول مراحل فن التصوير القصصى . فنى أحد المنازل ،ويظهر أن صاحبه كان من رجال العلم ، صور الفنان قصتى أوديب الملك والكترا . فنى الأول يبين الرسم ذلك الحيوان الضخم وهو يسأل أوديب عن الشيء الذى يسير على أربع فى الصباح ، وعلى اثنين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء .

ويجيبه أوديب بأنه الإنسان عند ما يحبو طفلا ، وعند ما يمشى رجلا ، وعند ما يتوكا على عصاه شيخاً . ولأهمية هـذه الصورة نقلت إلى متحف الآثار واستبدلت فى مكانها نسخة حديثة الصنع .

وعلى حائط آخر مثل الفنان أخلاق الرجل والمرأة فرسم الأول على شكل ديك هادىء وديع ، وصور المرأة على شكل هرة ثائرة متحفزة للشر .



(شــكل ٢)
قصة أوديب الملك كما صورها الرسام فى مراحلها المختلفة

ومدينة الحج بعيدة عن موارد الماء . ولهذا احتاج إمدادها به إلى بناء ساقية تدل على رقى فن الهندسة . يبلغ عمقها ٣٤ متراً حتى يصل عمقهـا إلى مستوى ماء بحر يوسف . وهى مبنية على درجتين : عمق الأولى ٢٠ متراً ، وعمق الثانية ١٤ متراً يرفع منها الماء بالطرق المعروفة عندنا ليخزن على سطح الأرض فيأخذ منه السكان حاجتهم ويستقى منها الطير . ثم يتسرب ما يفيض ليروى أشجار الدوم التى كانت مزروعة حولها .

والمنطقة عامرة بكثير من الآثار التى تربط بين مختلف العصور المصرية ، ففيها معبد وجدت فى بعض أنحائه بعض أدوات يظن بعض المشتغلين بالآثار أنها من العهـد المسيحى ويرى أنها من أدوات عماد الأطفال فى الـكنائس .

والمنتظر عند ما يتم كشف هذه المنطقة ويدرس علماء الآثار محتوياتها أن تكشف لنا عن كثير من غوامض التاريخ فقد كانت المنطقة كما قلنا على جانب كبير من الأهمية الجغرافية ، وكانت فى أكثر أحوالها مقصد الناس . ونعتقد أن فائدتها لا تكمل إلا بإتمام كشف المنطقة الأخرى المعروفة الآن بالإدارة فقد وجدت هناك مبانى ضخمة تدل على عظمة وفن وروعة ؟

فوزى الشتوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٦١ — رب قليل أبلغ من الكثير

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد ، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيها الوزير ، إني ما كنت استعددت لهذه الحال ، ولا تقدمت لها عندي مقدمة فأعرفها ، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة . فقال : هاتهما ، فرب قليل أبلغ من الكثير ، فقال سعيد :

مدح الفضل نفسه بالفعال . فعلا عن مديحنا بالمقال

أمروني بمدحه قلت كلا كبر الفضل عن مديح الرجال

فطرب الفضل ، وقال له : أحسنت (والله) وأجدت ! ولئن قل القول ونزر، لقد اتسع المعنى وكثر . ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحاً يومئذ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ، وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لايتناشدون سواهما .

٦٦٢ — وشريكي في الصنعة

قيل لشبيب بن شبة بن عقال :

ما بال عبد الله بن الأهتم يغتابك وينتقصك ؟

قال : لأنه شقيق في النسب ، وجاري في البلد ، وشريكي في الصنعة .

٦٦٣ — شر من إبليس

قال الراغب الأصبهاني : توصل رجل إلى إبليس فقال له : لي إليك حاجة ؛ إن لي ابن عم ذا ثروة ، وله إحسان كثير إليّ ولي عاله نفع بيّن ، ولكن أريد أن تزيل نعمته وإن افتقرت بفقره . فقال إبليس لأصحابه : من أراد أن يرى من هو شر مني فلينظر إليه .

٦٦٤ — لا والله بل أنا

قال رجل لأبي عمرو بن العلاء : وعدتني بأمر فلم تنجزه .

فقال أبو عمرو : من أولى منا بالغم أنا وإلا أنت ؟

قال : أنا

قال : لا (والله) بل أنا

قال : وكيف ؟

قال : لأني وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد ، فبت جذلان مسروراً ، وبت أنا بهم الإنجاز ، فبت ليلتي مفكراً مغموماً بما عاق الدهر من بلوغ الإرادة فيه . فلقيتني مدلا، ولقيتك مستحيياً

٦٦٥ — وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

في (الأغاني) : الرياشي : سمعت الأصمعي يقول : قال هذا الباهلي محمد بن حازم في وصف الشيب شيئاً حسناً ، فقال له أبو محمد الباهلي تعني قوله :

كفاك بالشيب ذنباً عند غانية وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

فقال : إياه عنيت . فقال أبو محمد الباهلي : ما سمعت لأحد من المحدثين أحسن منه .

٦٦٦ — جحود الذنب ذنبان

أنكر الصابي على صديق له شيئاً فكتب إليه : إما أن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك ، وإلا فطب نفساً بالانتصاف منك ، فإن الشاعر يقول :

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان(١)

٦٦٧ — أوميروس وأنابو الماجن

(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) : جاء أنابو الماجن إلى أوميروس الشاعر اليوناني فقال : اهجني لأفتخر بهجائك إذ لم أكن أهلاً لمديحك . فقال له : لست فاعلاً ذلك أبداً ، قال :

(١) البيت لكلثوم بن عمرو العتابي . ومما يروى له في هذا المقام قوله لرجل اعتذر إليه : اني لو لم اقبل عذرك لكنت ألأم منك ، وقد قبلت عذرك فدم على لوم نفسك في جنايتك تزد في قبول عذرك والتجافي عن هفوتك .

فإنى أمضى إلى رؤساء اليونانيين فأشعرهم بنكولك . قال أوميروس مرتجلاً : بلغنا أن كلباً حاول قتال أسد بجزيرة قبرص فامتنع عليه أنفة منه ، فقال له الكلب : إننى أمضى فأشعر السباع بضعفك . قال له الأسد : لأن تعيرنى السباع بالنكول عن مبارزتك أحبُّ إلىّ من أن ألوّث شاربى بدمك .

٦٦٨ — شدة الاحتياط فى الدين … !

فى (الحيوان) للجاحظ : قال أبو بكر الهذلى : كنا عند الحسن البصرى إذ أقبل وكيع بن أبى سُود فجلس ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول فى دم البراغيث يصيب الثوب أيصلى فيه ؟ فقال : يا عجبا ممن يلغ فى دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث … ! فقام وكيع يتخلج[1] فى مشيه كتخلج المجنون . فقال الحسن : إن لله فى كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المعصية . اللهم ، لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك .

٦٦٩ — فلم لا يكذب الوراقون عليك ؟

حضر أبو العيناء يوماً مجلس بعض الوزراء ، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم ، فقال الوزير لأبى العيناء (وكان قد بالغ فى وصفهم) : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الورّاقين ، وكذب المؤلفين .

فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟

فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه .

٦٧٠ — والغصن يمرح فى غلائله

فى (نفح الطيب) : كانت نزهون القلاعية الأديبة الأندلسية تقرأ على أبى بكر المخزومى الأعمى ، فدخل عليهما أبو بكر الكتندى فقال يخاطب المخزومى :

لو كنت تبصر من تجالسه

فأفحم وأطال الفكر فما وجد شيئاً ، فقالت نزهون :

لغدوتَ أخرس من خلاخله[2]

البدر يطلع من أزرته والغصن يمرح فى غلائله[1]

(١) الأساس : المجنون يتخلج فى مشيته : يتفكك و يتمايل ، كأنه يجتذب شيئا .

(٢) لعبالة الساقين .. فى (الأساس) : وامرأة صموت الخلخال ، وفى (اللسان) : جارية صموت الخلخالين إذا كانت عبلة الساقين لا يسمع لخلخالها صوت لغموضه فى رجليها .

٦٧١ — يطول وقوفك إذن

ابن الجوزى : مر رجل من الفطناء برجل قائم فى طريق ، فقال : ما وقوفك ؟

قال : أنتظر إنساناً .

قال : يطول وقوفك إذن …

٦٧٢ — أيها الأمير ، ليس هذا من عملك …

فى (ثمار الأزهار فى الليل والنهار) لابن منظور صاحب (لسان العرب) : دخل عبد الله بن عمر قاضى إفريقية[2] على أميرها يزيد بن حاتم فقال : أهللنا هلال رمضان فتشايرناه بالأيدى ، فقال يزيد : لحنت يا ابن غانم ، إنما هو تشاورناه . قال : بينى وبينك أيها الأمير قتيبة النحوى ـ وكان إذ ذاك قدم على يزيد ، وهو إمام الكوفة ـ فبعث إليه ، وكان فى قتيبة غفلة ؛ فقال له يزيد : إذا رأيت الهلال وأشرت إليه وأشار غيرك إليه كيف تقول ؟ قال : أقول : ربى وربك الله ! فقال يزيد : ليس هذا أردنا ، فقال ابن غانم : دعنى أفهمه من طريق النحو فقال : إذا أشرت وأشار غيرك وقلت : تفاعلنا فى الإشارة إليه كيف تقول ؟ قال : تشايرنا وأنشد لكثير عزة :

وقلت وفى الأحشاء داء مخامر ألا حبذا (يا عز) ذاك التشاير

قال يزيد : فأين أنت يا قتيبة من التشاور ؟ قال : هيهات أيها الأمير ، ليس هذا من عملك ، هذا من الإشارة وذاك من الشورى . فضحك يزيد ، وعرف جفاء قتيبة فأعرض عنه ، واستحيا من ابن غانم .

(١) ذكرت المعجمات فى جمع إزر الأزرار والزرور ولم تذكر الأزرة وقد وجدت الأزرة فى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ٣٧ فى كتاب المتوكل فى لبس أهل الذمة : « … وان يؤخذ الجميع منهم فى قلانسهم بتركيب أزرة عليها يخالف ألوانها ألوان القلانس .. » (غلائله) برزت فلانة فى غلالة وبرزت فى غلائل وهى شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة . وتقول : قولوا للحلائل لا يبرزن فى الغلائل (الأساس) .

(٢) أبو عبيد البكرى : حد افريقية طولها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا ، وعرضها من البحر إلى الرمال التي فى أول بلاد السودان (معجم البلدان) .

أغنية:

أحـــــلام الجزيرة

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

خفقَ الروحُ بينَ تلك الروابى
ذكرياتى هنا ... ورَجْعُ شبابى
آهِ لو تعلم (الجزيرةُ) مابى،
منْ حنينٍ ولهفةٍ لحبيبى

كلما أقبلَ المساءُ عليها
جَنَحَ العاشقُ اللهيفُ إليها
وجثا للحبيب بينَ يَدَيها
أنا وحدى هنا ... فأين حبيبى ؟!

كم صحبتُ الظلامَ بين رباها
ودعوتُ الصباحَ يغْشَى سماها
ومع الطير ... كم ملأتُ ضحاها
بأغاريدَ صغتُها لحبيبى !!

ضَمَّها النيلُ جَنَّةً للغرامِ
ورواها بقلبه المُسْتهامِ
لَيْلُها ... كانَ معبدَ الأحلامِ
كم سَجَدْنا به ... أنا وحبيبى

عذبةٌ حيرتى، ولوعة روحى
وأنا أستعيدُ ذكرى جُروحى
وانطلاق مع الهوى وجُموحى ...
قَدَحى ... فاضَ بالأسى يا حبيبى

سألتْنى الظلالُ حينَ رأتْنى،
واجماً فى سكونها لا أغنِّى :
كيفَ غابَ الأليفُ عنكَ وعنى
فتهاويتُ باكياً يا حبيبى !!

كم خَطَرْنَا مع الدجى والنهارِ
بين تلك المروجِ والأشجارِ
اسألُوها تذيعُ من أسرارى
أنا قبَّلتُ فى حماها حبيبى ...

من نسيج الفؤاد صُغْتُ ابتهالى
للعصافير ... والربى ... والظلالِ،
أنْ تبثَّ الوجودَ لوعةَ حالى
وتُغَنِّى بما جَنَاهُ حبيبى ...

خفقَ الروحُ بين تلك الروابى
ذكرياتى هنا ... ورَجْعُ شبابى
آهِ لو تعلم (الجزيرةُ) ما بى،
منْ حنينٍ ولهفةٍ لحبيبى !!

عبد الرحمن الخميسى

ضـجة الربيع

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

(دقت نواقيس المساء حزينة تنعى النهار)
تجرى الأصيل مُرَوَّعَ الخطوات مجنون الفرار
وتركت والأفقَ الحزين يَلُفُّه طفَل الغبار
والوحدة الخرساء تسلمنى لآلام ضوار
ونسيج أحلام تمزقه أعاصير ادّكار

* * *

وترا كفت قطع السحاب كسرب أوهام بديده
دكناء يطردها الظلام كبعض آمالى الشريده

وسمعت ريح الليل تحمل صوت أرجاء بعيده
لكأنما همساتها أصداء أيامى السعيده
أمْ أن ريح الليل تحمل لى صبابات جديده ؟ !

***

ولمحت صاحبتى الحزينة كالنهار الغارب
وقفت مُرَنَّحة الخيال على الضياء الذاهب
عجفاء كالشجر المصوح ... كالمساء الشاحب
دَبّ المشيب بها ... فلاذت بالشباب الهارب
كتألُّقِ الأفق الحزين بنور فجر كاذب

***

تجرى ... فيقعدها السعال ... فتستريح إلى الدموع
وإذا انثنت طربا كسالف عهدها ... لا تستطيع
الشهوة الحمقاء تشعلها ... فيطفئها الصقيع
لم تبق غير أواخر الخفقات فى جَهْدِ الشموع
والشعرة البيضاء تنعب فى بقيات الربيع !

***

وفجاءة ضج الفضاء وصاح فى الدنيا نذير
واصطكت الريح الرخاء وثار فى الحقل الغدير
وكأن فى كبد السماء لواعجاً حرّى الزفير
عوت الذئاب كأنما جُنّت.. ودَمْدَمَتْ النسور
عجباً له ليل عميق الفكر ... ملتهب الشعور !

***

وإذا الشجيرات الذوابل ينتفضن مزمجراتِ
وإذا بروح تمرد تجتاح صمت الكائنات
لكأنما اندفعت عصارات الحياة إلى الموات
ويحى..هل انبعثت من الصمت المقدس ذكرياتى ؟!
كالمنبع المهجور منبثق المياه على فلاة

***

كالمزهر المحطوم تُرسل فيه أنغام خفيه
كالرغبة الحمراء فى أعراق راهبة فتيه
كطهارة العذراء فى خطرات غانية شقيه
كمدينة ذهبية الجدران فى أحلام قريه
كالقوت تبسطه لعينى جائع كف عصيه

***

يا ذكريات الأمس ... قرّى فى غيابات السكون
قد عاود الليل الخشوع ... وغيّم الصمت الحزين
لا صوت إلا أنّةُ الفلاح من ظلم السنين
وتناوح الطير المشرد بعد تمزيق الغصون
الزعزع النكباء قد بعدت عن البلد الأمين

عبد الرحمن الشرقاوى
المحامى



التصوير الفني في القرآن

يجب أن أشكر للأستاذ الفاضل عبد اللطيف السبكي المدرس بكلية الشريعة عنايته بنقد كتابي «التصوير الفني في القرآن». ولكن ليس هذا هو الذي يشفع لي في أن أشغل حيزاً من الرسالة!. إنما هو قد أثار مسألة أساسية في القرآن وفي الطبيعة البشرية. أثار مسألة يوسف في: «ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه» وهي مسألة تستحق المناقشة:

وقبل أن أتناول هذه المسألة الأساسية أستأذن القراء في سطور للحديث العابر عن المسائل الأخرى التي أثارها الأستاذ

١ — لقد لاحظ أن هناك بضعة نصوص أصابها الخرم عيّن مواضعها. وأنا أشكره هذا التنبيه، وآسف لوقوعها في الكتاب. وما دام هو قد لاحظها فأنا أرجوه أن يتفضل بإرسال بيان عنها إليّ، لملاحظتها في الطبعة التالية، موفراً عليّ جهد البحث عنها

٢ — ولاحظ أني لم أبدأ عملي بالتسمية (ليرتفع عن نمط الروايات وكتب التسلية)! وأحسب أن هذه التسمية إن كانت ضرورية في كل عمل فليست ضرورية في كتابي هذا! إذ ماذا تعني التسمية إلا إثبات التوجه إلى الله بالعمل. فهل كتاب عن القرآن على نمط كتابي في تمجيده من الوجهة الفنية، في حاجة إلى هذا الإثبات الشكلي؟ إنه كله توجه، وطبيعته كلها تسمية، من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة!

٣ — ولاحظ أن ليس بالكتاب دليل في نهايته. وله كل الحق في ملاحظته. ولكن من يعلمه: كم جاهدت لوضع هذا الدليل. وكم وقفت أزمة الورق وضرورات الطباعة بي عما أريد؟!

٤ — ولاحظ — ولا أدري كيف — أنني أمنّ على الناس بما قدمت، وهو ما عدت إلى الكتاب أبحث عنه فلم أجده. أم لعله يقصد ما ذكرته من أن الاتجاه إلى إدراك الجمال الفني في القرآن على النحو الذي اتجهته لم يكن من نصيب الباحثين في بلاغة القرآن — قدامى ومحدثين — فتلك حقيقة تاريخية لا بد من إثباتها ولا مَنّ فيها ولا منّ ... وفي قوله: «فلا يغمز الأوائل بالتجهيل أو القصور ونحن لا نبني إلا من الحصيات نجمعها من ساحاتهم الواسعة».

فتلك قضية أخالفه فيها فيما يختص بالجمال الفني في القرآن. لقد أثنيت ما استطعت على رجلين اثنين: عبد القاهر والزمخشري. وعرضت نماذج من حسن فهمهم — المحدود بحدود الزمان — لبعض الجمال الفني في القرآن وهذا كل ما يطلب مني ... وأحب أن أقول بعد هذا: إنني — فيما يختص بالجمال الفني — لم أبن من حصيات أحد ... وهذه حقيقة تاريخية كذلك لا أرى أن تقديرنا للقدامى يكفي لإنكارها. ومن الأمانة للبحث العلمي ألا نبخس الناس أشياءهم .. ولكن من الأمانة كذلك ألا نعطيهم فوق ما يستحقون.

***

ثم أخلص إلى القضية الأساسية. قضية يوسف:

يتحدث الأستاذ عن تصويري ليوسف بالاستناد إلى ما ورد عنه في القرآن بأنه الرجل الواعي الحصيف، واستشهادي بإبائه على مراودة امرأة العزيز، وقولي «ومع ذلك لقد كاد يضعف» فيقول:

«وهذا تصوير غير فني لإنسان هيأه ربه للنبوة، وكتب له العصمة من قبل ومن بعد. وأظن الأستاذ منساقاً في هذا وراء ما يقال: من أن يوسف إنسان لم تفارقه نوازع البشرية، فهو يميل كما يميل أي إنسان ويكاد يضعف كما يضعف أي إنسان. وأظنه كذلك يحسب الآية في ظاهرها تؤيد هذا إذ قررت أن المرأة همت به وأن يوسف هم بها، وليسمح لي الأستاذ أن أنبهه إلى أن هذا فهم سطحي غير سديد» ...

وأنا بدوري أحب أن أقول للأستاذ: إنني أخالفه فيما اتجه إليه. وأن هذه قضية مدروسة جيداً عندي — وإن لم أتعرض لها بتوسع في كتابي — لأنها من مباحث كتاب آخر أعده الآن عن «القصة بين التوراة والقرآن». والمجال لا يتسع هنا للتفصيل إلا أن يشاء الأستاذ وقراء الرسالة أن أعرضها كاملة.

ولكن هذا لا يمنع من بضع كلمات:

لقد كنت حريصاً في تعبيري فقلت: «كاد يضعف» ولم

أقل إنه ضعف فعلاً . وليس فى هذا ما يخالف العصمة فى اعتقادى . فالعصمة لا تقتل النوازع البشرية ، ولكنها تقيم حولها الحواجز ، وتجعل الروادع فى النفس أكبر من الدوافع ... وهذا يكفى

ولقد عصم الله يوسف ، فجعله يكافح النوازع البشرية وينتصر عليها فى اللحظة التى لا ينتصر فيها إلا أولو العزم . وإن هذا ليكفى ليقال عنه فى القرآن : « إنه كان من عبادنا المخلصين » .

وغير يوسف أنبياء مخلصون : منهم موسى ويذكر القرآن أنه قتل رجلا ثم تاب فتاب عليه الله . وداود وسليمان ويذكر القرآن أنهما قد فتنا ثم استغفر وأنابا ...

فالعصمة النبوية مسألة تحتاج إلى أفق أوسع فى النظر إليها . ولست ممن يميلون إلى أنها التجرد من جميع النوازع البشرية . وإن كنت أومن بأنها الانتصار على جميع النوازع البشرية .

ونفى الهم عن يوسف — بالمعنى الذى يريده الأستاذ — يحتاج إلى تأويل النص الصريح ، وأنا أنفر من التأويلات التى لا يدعو إليها إلا الغلو فى التحرج . وإن دراستى لطريقة التعبير فى القرآن لتبيح لى أن أقول : إن للنص القرآنى معنى واحدا فى كل حالة . وإن الاحتمالات المختلفة التى يرويها المفسرون للنص الواحد ، إنما تتوارى مع شىء من التدقيق ليبرز منها احتمال واحد هو الذى يتفق مع طبيعة التعبير القرآنى . وهذه مسألة لا يكفى الفراغ المتاح لشرحها اليوم . فقد أقوم ببيانها بتوسعة إذا وفقت .

على أن هناك عدة احتمالات فى موقف يوسف :

١ — فهل العصمة النبوية قبل الرسالة وبعدها ؟ أم بعد الرسالة فحسب ؟ هذا مبحث طويل .

٢ — وهل حادثة يوسف كانت قبل رسالته أم بعدها ؟ لا يذكر القرآن عن ذلك شيئاً . ولنا الحق فى أن نفهم أنها كانت قبلها . ولا سيما أن التوراة تحدد سنه فى هذا الوقت بأنها كانت دون الثلاثين .

٣ — ثم ألا يكون سجن يوسف تكفيراً عن النزعة التى قهرها وعصمه الله منها ؟ ليكون بعد ذلك « من عبادنا المخلصين » ؟

كل هذا يجوز ولكنى لا أحب الارتكان إليه ، لأن تفسير العصمة على النحو الذى أسلفت يغنينا عن كل هذه الاحتمالات .

وللأستاذ الفاضل شكرى على ما أتاح لى من هذا البيان .

سيد قطب

النبى ودائرة المعارف البريطانية

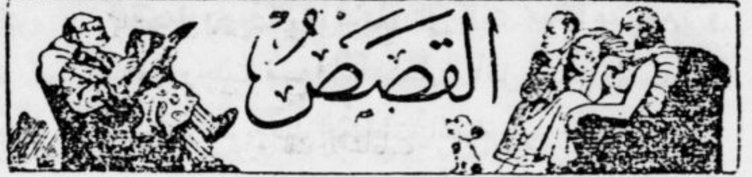
لاحظت فى الجزء الخامس عشر من دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٣٢ اعتباراً من الصفحة ٦٤٧ فى البحث عن حياة منقذ البشرية الأعظم محمد بن عبد الله هذه الجملة فى مفتتح الحديث وبالخط البارز (Mohammed as despot of yathrib) ولا يخفى ما يعنيه هذا الوصف (Despot) الذى لا يليق أن يوصف به ذلك النبى الأمين الذى أضاء بحكمته دياجير الظلمات الحالكة ، ورفع لواء العدل على الإنسانية تخلصها من نير العبودية ، وفكها من عقال الجهل ، وبسط السلام الحق ، وآخى بين الناس ، وأقر مبدأ المساواة فى الحقوق بين الأفراد ، وأزال الفوارق بين الطبقات ، وبصورة أعم فقد جاء بالحرية للانسان ؛ وهذا أمر اعترف به رجال التاريخ المنصفون من غير المسلمين ؛ فما بال دائرة المعارف المذكورة تتجاهل كل ذلك وتصفه بهذا الوصف الذى لم نرها تصف به من يستحقونه أمثال الإسكندر — ونابليون وأضرابهما من الحكام والمستبدين ؟

إن محمداً لم يكن يوما ما طاغية ولا مستبداً ولا حاكما مطلقاً كما يشهد التاريخ بذلك ، بل هو الذى علم الناس التسامح وجاء بالحكم الشورى الذى تدرج حتى صار يدعى اليوم بالحكم النيابى أو الديمقراطى .

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فقد وجدت الدائرة المذكورة تمعن فى هذا التجاهل فلا تستند إلى كتب التاريخ المهمة بل تستند إلى تاريخ الواقدى الذى تقول عنه إنها لم تجد غيره ، ثم هى فى الوقت نفسه تطعن فى هذا التاريخ وتقارنه ببعض الكتب الغربية الخرافية فى أوربا . والواقدى كما يعلم المتتبعون لحوادث التاريخ غير حجة ولا ثقة بالنسبة لغيره من المؤرخين الثقات ، هذا بالإضافة إلى أن البحث برغم استناده إلى ذلك التاريخ غير مستوف .

وظاهرة أخرى لاحظتها فى هذه الدائرة ، وهى أنها عند تعرضها لذكر كبار رجال الإسلام كالخلفاء الأربعة ومشاهير بنى أمية والعباسيين وغيرهم تأتى بنبذ مقتضبة عنهم لا تتجاوز بضعة أسطر فى حين أنها تكتب الصفحات الطوال عن نابليون وأمثاله وحتى عن رؤساء وزارات ووزراء وغيرهم .

هذا عرض موجز لما لاحظته ، وقد فكرت طويلا ثم ...



آل بونتبي . . .

للكاتب الأمريكي ستيفن فنسنت بنيت

تتكون عائلة بونتبي من تسعة أفراد : أم ، وأب ، وستة أولاد ، ثم خادم متقدمة السن . وهم يعيشون في مجاهل الغابة حيث يقتطعون الأخشاب ويتجرون فيها ، وبذلك اعتزلوا البلدة وأهلها فسرت تلك الأشاعات الهامسة التي كان يتناقلها أهل البلدة عنهم وذلك الشعور المبهم الذي كان يساورهم كلما رأوهم قادمين بين كل فترة طويلة وأخرى لتبادل المحاصيل بالمواد الغذائية اللازمة ، أو حين يتوجهون إلى الكنيسة في أيام الآحاد ، حتى لقد قيل عنهم إنهم يضربون في مجاهل تلك الغابة المخيفة حتى ائتلفوا مع حيواناتها المفترسة وأصبحت تربطهم بها صلة صداقة وثيقة .

شاء القدر أن يتوفى عميد العائلة ، ثم تلحق به زوجه ، وسرعان ما توفيت الخادم العجوز كذلك ، وتركوا الأبناء وحدهم وقد شعروا بنتائج تلك الوفيات المتلاحقة ، فهاهي ذي الأتربة بدأت تتراكم على النوافذ والجدران ، وها هم أولاء يطهون طعامهم بأيديهم ، طعامهم الذي فقد نكهته الأولى التي تعودوها في حياة والدتهم .

ولما تشاوروا فيما بينهم لم يجدوا مخرجاً من ذلك المأزق الحرج وبديلا لتلك الحياة الشاقة سوى أن يتزوج أحدهم حتى ترعى امرأته المنزل بما لها من حنكة النساء ودرايتهن بتدبيره . ولما اختاروا أكبرهم ويدعى هاري للقيام بتلك المهمة التي سبق أن أجمعوا على صعوبتها ، حاول أن يتهرب منها وأن يلقي بالعبء على أخيه الذي يليه ؛ ولكن هذا حاول أن يسند الأمر إلى من يصغره ... وهكذا ... حتى وجد هوب الأصغر أنه هو المكلف بالأمر فمانع واعتذر

منذ أشهر بذلك إلى معالي السيد عبد الرزاق السنهوري بصفته وزيراً لمعارف أكبر أمة إسلامية عرفت واشتهرت بمواقفها المشرفة في الدفاع عن الإسلام وشعوبه ، كما فيها أكبر معهد إسلامي يرنو إليه مسلمو الأرض بعين الثقة والأمل ألاوهو الأزهر ، وأهبت بمعاليه أن يتفضل ويدرس الموضوع في مرجعه والقيام بالتوسط لدى ناشري الدائرة لحذف ماينتافى وكرامة من يدين بدينه أكثر من أربعمائة مليون مسلم ثم تزويدهم ببحث واف مستفيض عن حياة الرسول الأعظم وكذلك عن مشاهير رجال الإسلام ليكون جاهزاً ينشر في الطبعة المستقبلة .

وأنا الآن أستنهض همم الهيئات المختصة من دينية ومدنية لا في مصر وحدها بل في جميع الأقطار الإسلامية للقيام بواجبهم نحو دينهم ورجال دينهم الذين لولاهم لما كنا اليوم نستنشق عبير الهواء ونطمح إلى حياة موفورة الكرامة ومنزلة رفيعة مرموقة تحت الشمس . ولعلهم إن شاء الله فاعلون .

(البصرة) **أحمد محمد آل صالح**

التواءات نفس

من نكد الدنيا على الأدب أن يوجد أديب واحد من أبناء هذا العصر ينزل منزلة المزورين في الأدب يلفق كلاماً يلصقه بغير قائله . ومن سوء طالع هذا الجيل أن يكون فيه كاتب واحد جبان لا يجرؤ على القول الحق والمجاهرة به .

لقد سمعنا بمقالات كان يكتبها أديب يدافع فيها عن الشعر الرمزي مذيلة بامضاء غيره ؛ ولكننا لم نسمع عن حادث في الأدب كحادث التزوير الذي ذكره الدكتور شريف القبج في العدد السابق من الرسالة في الدفاع عن الشاعر الرمزي بشر فارس .

وعلى الرغم من شناعة هذه الفرية الشائنة التي ألصقها مخلوق مريض النفس بأدبنا العصري ونهضتنا الزاهرة ، أحذر الأدباء هذا الانحطاط الخلقي وأهيب بهم مجافاة هؤلاء المرضى بالالتواءات النفسية ؛ لأن حكمهم ليس كحكم أصحاب العاهات من عميان ومجذوبين ومبتوري السوق تتقزز النفس لمرآهم ، بل كحكم مرضى يوبئون المجتمع بجراثيمهم الخلقية وعللهم النفسية ، وسنعمل على تطهير المجتمع الأدبي منهم

حبيب الزحلاوي

واقترح أن يقترعوا فيما بينهم وكانت نتيجة الاقتراع أن اختير هارى الأكبر .

وفى اليوم التالى ألبسوه أنظف لباس ثم أرسلوه إلى المدينة ليبحث عن زوجة له .

سار مشتت الفكر مبلبل الخاطر وقد قرر أن يفاتح أول فتاة تقابله فى أمر الزواج به . ولكن كانت أول من قابلته امرأة متزوجة ، ثم التقى بطفلة صغيرة ، وأخيراً ابنة الحاكم التى ما إن رأته حتى فرت هاربة .

فغمره اليأس ودخل حانة صغيرة وجلس بقرب النافذة ليشرب كوباً مثلجة من الخمر . وبينما هو يرسل نظرة تائهة نحو الخارج رآها ، وكانت فى ملابس الخادمات ، ريانة العود ، عذبة الملامح . ولم يشعر بنفسه إلا وهو يسرع إليها ويبتدرها قائلا :

— ما أبهج الصباح ، وما أسعدنى بلقائك ، يا له من يوم جميل يصلح لأن يكون يوم زواج .

فنظرت إليه طويلا ثم ابتسمت قائلة : هو كذلك .

فتشجع وقال فى حماسة : أتتزوجيننى ... أنا أدعى هارى بونتى وأسكن الغابة وأصلح لأن أكون زوجاً طيباً .

فتمنعت قليلا فى بادىء الأمر ولكنها سرعان ما وافقت . فأخذها من يدها مسرعاً إلى الحاكم ليعقد عليهما ثم اشترى لها ملابس جديدة وعاد بها إلى منزله عودة الظافر المنتصر .

ولما رأت اخوته الخمسة قالت — لماذا لم تخبرنى بذلك ياهارى من قبل ؟

فقال : لعل سعادة لحظة الزواج أنستنى كل شىء عداها .

ثم دخلت ذلك المنزل الكبير واستعرضت ما فيه فهالتها الأتربة المتراكمة والكميات الوافرة من الطعام التى تكفى لإشباع بطون كثيرة ، وأكوام الملابس القذرة التى فى أشد الحاجة إلى أيد تغسلها وتتعهدها . فشمرت عن ساعديها وأقدمت على العمل مجتهدة وتناول الفتيان ليلتئذ أول عشاء جيد لم يسبق أن تذوقوه منذ شهور .

كرت الشهور تتلوها الأيام واحتلت ميلى فى نفوسهم جميعاً مكانة عظمى فأصبحوا رهن إشارتها يضحون بكل ما تطلبه منهم كما تغيرت وجهة نظرها الأولى التى كانت تحفظها عنهم وهى فى البلدة إذ وجدت فيهم أناساً يتحلون بأنبل السجايا وعجبت كيف يختلق أهل القرية تلك الإشاعات المفتراة عنهم .

ويوما ، لاحظ عليها زوجها أنها تكد وتجتهد وتكافح فى سبيلهم حتى هزل جسدها ونال الضعف من قوتها فقال لها — يجب أن تنالى راحتك ولو قليلا يا عزيزتى .

فنظرت اليه فى ابتسامة وقالت — وبخاصة وأنا أشعر بذلك الجنين الذى بدأ يتحرك فى أحشائى .

فاجتمعت العائلة وقررت أن يتزوج هلبرت الأخ التالى حتى تمد زوجته يد المساعدة إلى ميلى فى إدارة المنزل .

وفى صباح اليوم التالى توجه هلبرت إلى البلدة وانتظره إخوته ولكنه عاد فاشلا ، فما من فتاة قبلت الزواج منه . وهن يتعجبن كيف تسنى لميلى أن تحتمل أعباء المعيشة معهم . فأرسلوا هوسيا الذى يصغره فى اليوم التالى ليجرب حظه ... ثم الأصغر ... ثم الأصغر ... إلا أنهم أخفقوا جميعا فى مساعيهم . وأخيراً لم تجد ميلى مفراً من أن تقف فيهم قائلة :

« يا إخوتى الأعزاء ، يجب أن تسلكوا طرقاً أخرى تمكنكم من نيل مآربكم ، فلقد رفضت هؤلاء الفتيات الزواج منكم بعد أن سألتموهن ، فلنجرب طريقة أخرى ، لم لا تتزوجوهن أولا ثم تسألوهن الموافقة بعدئذ !. »

فهتفوا فى صوت واحد — وكيف ذلك ؟

فقالت — لقد قرأت يوما فى كتاب من كتب التاريخ أن جماعة من الرومان تقدموا للزواج من فتيات بلدة من البلدان ولكن لسوء حظهم رفضت الفتيات أن يرتبطن معهن بتلك الرابطة ، فما كان منهم إلا أن أغاروا على البلدة ليلا وعادوا بنسائهم اللاتى اختاروهن عنوة معهم . فاذا لم تفعلوا أنتم مثلهم فلن أكون لكم أختا بعدئذ ، ولن تتقدم يدى إلى طعامكم أو ملابسكم ، بل عليكم أنتم أن تفعلوا كل شىء بأيديكم كسابق عهدكم .

فساد الصمت بينهم ولكن عاد صوتها يقول — أرجو ألا ينفذ اليأس إلى قلوبكم ، فأن ما يجعلهن يحجمن عن الزواج بكم إنما هى تلك الإشاعات الكاذبة التى يفتريها القوم عليكم هناك ،

ولكنى أؤكد أنه إذا ما قبلت إحداهن الزواج فسرعان ما تتقاطر الأخريات عليكم .

وبقيت صامتة فترة إلى أن خطر لها أن تسأل .

— هل هناك من يحرر عقوداً سوى الحاكم ؟

فأجابوها — هناك قسيس فقير فى الغابة .

— حسنا لقد انتهى الأمر .

كان اليوم أحد أيام الأعياد الوطنية ، وقد اعتاد الأهالى أن يتركوا أسلحتهم فى منازلهم فى مثل تلك الأعياد . وفى المساء وأهل البلدة فى هرجهم ومرجهم إذ بهم يفاجأون بالأخوة بونتبى وقد أشهروا أسلحتهم مهددين ... وسرعان ما انطلقوا هاربين بعد أن حملوامعهم صفوة الفتيات التى اختاروهن ولم ينسوا أن يغلقوا أبواب البلدة خلفهم جيداً حتى وصلوا إلى منزلهم فى الغابة سالمين .

عالج أهل البلدة فتح الأبواب فلم يتمكنوا من ذلك إلا فى الفجر ، وكانت الثلوج تتساقط فى غزارة حتى عجزوا عن تمييز أى شىء . وبقيت الحال على ذلك عدة أيام طويلة بعدئذ حتى دب اليأس إلى قلوبهم خوفا من الذهاب إلى منزل آل بونتبى مخترقين تلك الطريق المظلمة الخطرة ولم يجدوا بداً من الانتظار حتى الربيع .

أمسكت الفتيات فى بادئ الأمر عن تناول الطعام وتمسكن بأهداب الفكرة التى كانت تحوم برؤوسهن دائما عن العودة إلى أهلهن . ولما لاحظت ميلى ذلك الامتناع البغيض ، جعلت تدبر الأمر فى سياسة ، فأول ما فعلت أن جهزت لهن الشاى وجعلت تقنعهن حتى تناولنه ... ولما سرى الدفء فى أجسادهن بدأت تقول . « إنه لمن دواعى أسفى حقاً يا آنساتى أن أجدكن على تلك الحال التعسة بعد أن اختطفكن هؤلاء الوحوش . ولو أنى علمت أن تلك هى نواياهم لنصحتهم بالعدول عنها . بودى لو تعدن جميعاً إلى بلدتكن ، ولكن ما حيلتى الآن ... والثلوج متراكمة فى الطريق ... علينا إذن أن ننتظر حتى الربيع . ولكنى أؤكد لكن أنى سأحرص دائما على بقائكن فى أمان ودعة » .

ثم أخرجت مجموعة كبيرة من المفاتيح وعادت تقول « سنبقى نحن هنا ، ونغلق علينا أبواب المنزل جيداً ، أما هؤلاء الحمقى فليتناولوا طعامهم ولينا موا فى حظيرة البهائم حتى تخزهم ضمائرهم ويندموا على هذه الفعلة الشنعاء » .

فأشرقت وجوه الفتيات لذلك ، وقادتهم ميلى إلى حجراتهن وهن يشعرن بصداقتها الحقة .

ظلت الحال على ذلك أسبوعا كاملا ، فالفتيات داخل المنزل المغلقة أبوابه وقد تحققت أحلامهن القديمة عن حياة خالصة من شوائب الرجال . يا للسعادة حينئذ ... جعلت ميلى تحبذ تلك الفكرة فتقول : « أترين يا صديقاتى أن الحياة بدون رجال جنة من جنات النعيم والخلد » وكن يوافقنها فى حماسة فى بادئ الأمر .

إلا أن الملل بدأ يتسرب إلى نفوسهن على مر الأيام وبدأن يسأمن ذلك الحديث ، ولاحظت ميلى أنهن يحاولن بقدر المستطاع رؤية أحد الفتيان من النوافذ أو من خلف الستائر كما بدأت تقوم بينهن المنازعات ... وحينئذ ... قررت ميلى أن تخطو خطوتها الثانية

جمعتهن يوما فى حجرة واسعة بطرف المنزل فاستعرض الفتيات ما فيها من أثاث وإذا بابنة الحاكم تفتح صندوقا وقعت عليه عينها فوجدت فيه ثوب عرس فأفلتت منها صيحة إعجاب جعلت الباقيات يتجمعن حولها ويتحسسن الثوب فى رغبة خفية .

فقالت ميلى فى حزم — دعن الثوب ... لقد صنعته لما حاول أحدهم الزواج بإحداكن ... دعنه ... ولكنهن تجاهلن كلماتها وأسرعت ابنة الحاكم ترتديه وهى تقول :

— إن هوب الصغير له شعر مجعد ، كم هو مغر .

فقالت ابنة المحامى — ليس لهوب ما لهلبرت من جمال

فقالت الثالثة — أرأيت عينى هارفى ، إنهما فاتنتان بنظراتهما الهادئة الوديعة .

وقالت الرابعة : ما أجمل اسم هوارد وما ألطف وقعه على الأذن !

فقالت ميلى وهى تتظاهر بالخوف — ما هذا يا فتياتى ... أأصابكن الجنون ؟

فرمقتها جميعاً بنظرات التحدى والثورة حتى اضطرت إلى أن تخبرهن بأن هناك أربعة أثواب أخرى غير هذا الثوب .

ولما بدأن يهرعن لرؤيتها أوقفتهن وهى تقول — إن أردتن الزواج من آل بونتبى ، فليس هناك أى مانع ، ولكن اعلمن أنى لا أزال مسئولة عنكن أمام آبائكن ، فبمجرد زواجكن

يجب أن يعود كل إلى مكانه ، أنتن إلى هنا ، وهم إلى حظيرتهم ، ولا يمكنني أن أجمع بينكن وبينهم إلا بعد الحصول على موافقة آبائكن .

قام القسيس الفقير بصوغ العقود الخمسة ، وعاد الرجال إلى حظيرتهم ، كما أغلقت أبواب المنزل على الفتيات .

ولكن حدث فى ذلك المساء أن هبت ابنة الحاكم صارخة :

— أنا لا أفهم كيف تقوى فتاة متزوجة لها شرعية الوجود مع زوجها دائما على ألا تراه إلا من النوافذ خلسة !

وحينئذ ارتضت ميلى أن تسن لهن قانونا خاصاً ، فسمحت للرجال بزيارة زوجاتهم ثلاث مرات فى الأسبوع ، على أن يتناولوا العشاء معهن تحت مراقبتها .

كان النفور هو الشعور السائد بين الفتيان والفتيات فى أول الأمر ، ولكنه سرعان ما اختفى ، فهاهى ذى ابنة الحاكم وقد سمحت لهوب أن يضغط يدها فى غفلة عن ميلى ، كما خاطت ابنة المحامى زراً فى ثوب هنبرت وهكذا بدأت الأحوال فى التحسن والانتعاش ولو أن ميلى كانت تتظاهر دائماً بالحذر فى رقابتها .

وفى صباح يوم من أيام يناير استيقظت ميلى ونظرت من النافذة فابتسمت ابتسامة عريضة . لقد ضربن برقابتها عرض الحائط . فها هن يمرحن مع أزواجهن ، تلك تحدث زوجها والأخرى تقبله ، والثالثة تعدو أمامه . فشعرت بالسرور يملأ قلبها وخطر لها خاطر لم يزعجها ، إذ هى تذكرت أهلهن ولكنها وهى الندبة قد احتاطت للأمر من مبدئه ، إذ أوصت الفتيان أن يتركوا خطاباً بإمضاءاتهم هم الخمسة ويذكروا فيه حسن نواياهم ونبلها ويطمئنوا الرجال على فتياتهم .

وفى ذات يوم بعد أن وضعت ميلى طفلها بستة أسابيع ، جاءها هوب وهو يلهث ويقول :

— لقد جاء يا ميلى كل رجال المدينة مدججين بالسلاح ، تبدو على وجوههم معانى التحدى والشراسة . ما ذا نفعل ؟

قامت ميلى فجمعت الفتيات وأصدرت اليهن أوامرها كما أخفت الفتيان فى مكان أمين ، ونظرت أمامها فوجدت تلك الكتل البشرية القادمة صوب المنزل تحت قيادة الحاكم فلم تعرهم التفاتها .

ولما وصل القوم إلى المنزل عجبوا وتولتهم الدهشة ، إذ وجدوا أبوابه مفتوحة على مصراعيها ، فما كان من الحاكم إلا أن قرع الباب مرتين فظهرت ميلى تحمل طفلها فبادرته قائلة :

— لقد جئت فى الوقت المناسب يا جناب الحاكم فأنا أود أن أعمد طفلى .. هل جئت بذلك السلاح لتعمده به ؟

فخجل الرجل وألقى سلاحه ثم قال فى حدة — ليس لى شأن بولدك .. أين ابنتى ؟

فقالت فى هدوء — اصغ جيدا . .

أرهف الكل سمعهم فطرقت آذانهم صوت آلة غزل تدور وصوت آخر يجاريها وهو يتعالى بنشيد فى مرح وسرور . وقالت ميلى : هاهى ذى ابنتك يا جناب الحاكم .. أتراها سعيدة أم شقية ؟

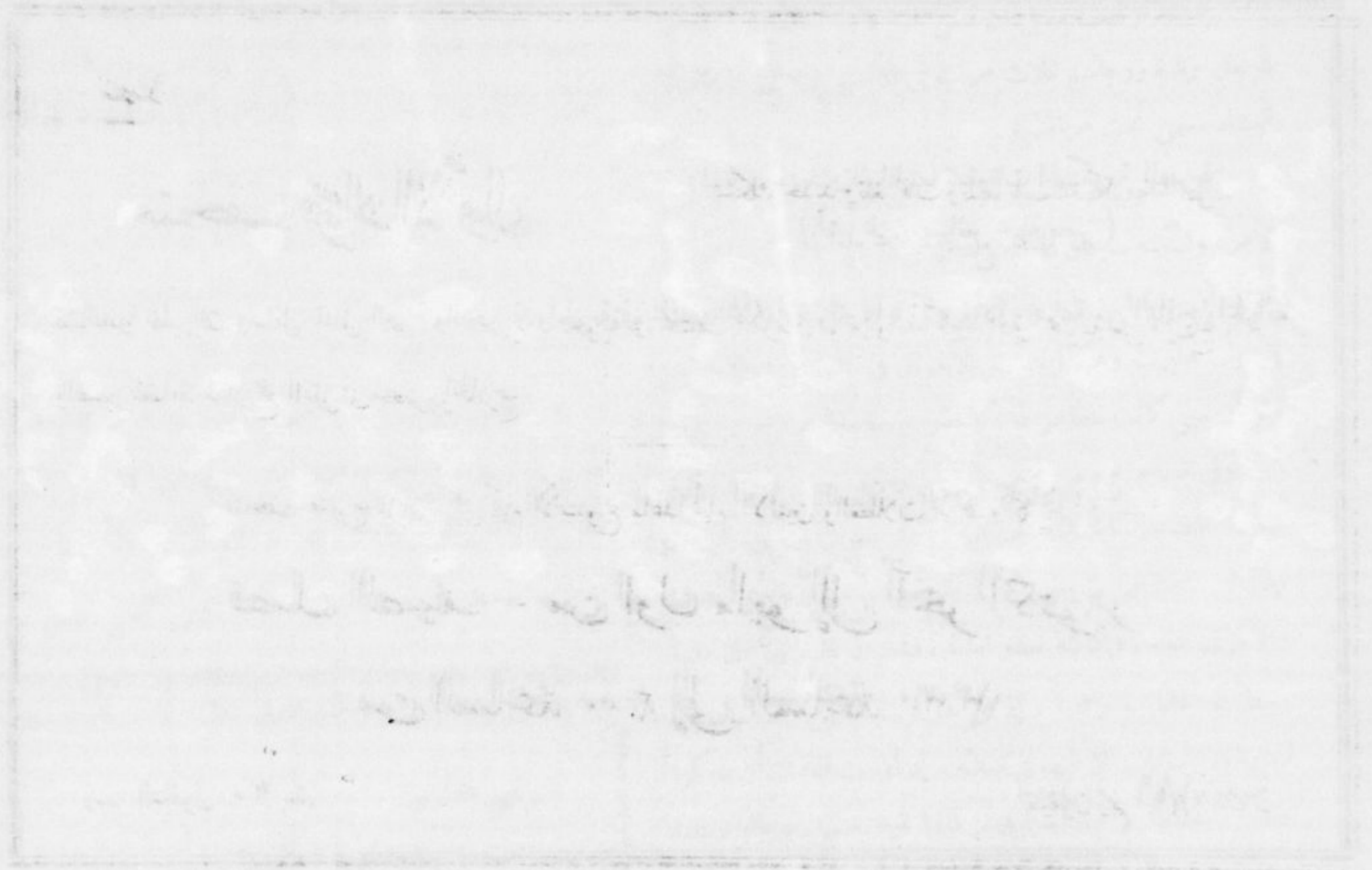
فتمهل الحاكم ثم قال — إنها سعيدة . .

وسرعان ما تعالت أصوات الباقين يتساءلون عن فتياتهم ، ولما أصاخوا السمع كانت هناك إحداهن تنشد أغنية عذبة ، وأخرى تغسل فى حبور ، وثالثة تطهى الطعام .

وخاطبتهم ميلى أخيرا « هاهن بناتكم ، ألسن سعيدات ، نحن جميعاً ندعوكم لتناول الغداء معنا » وأخيراً ظهرت الفتيات فهرع آباؤهن اليهن ، وتم التعارف بين الأزواج والأصهار

حسن فتحى خليل

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين





العدد ٦٣٢ — الاثنين ٤ يونيو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 622 | الرسالة | Lundi - 4 - 6 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ٤ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دار الترجمة أيضاً

عفواً يا معالى الوزير !

هذا الطريق لا يؤدى

فى عدد مضى من الرسالة اقترحنا على صاحب المعالى وزير المعارف أن تُنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة يُختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ينقلون المعارف الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً فلا يدَعون علَماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة والإجتماع إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية ؛ فإذا فرغوا من ترجمة الموجود فرغوا لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . وكان هذا الاقتراح مبين الأسباب ، مفصل النتائج ، موضح الآثار ، يقرأه القارئ فيحسبه لطول ما تردد فى نفسه ، وتجدد فى أمانيه ، صادراً عن رأيه أو منقولا عن شعوره . لذلك دوّى صداه فى الأقطار العربية فتجاوبته ألسنٌ مبينة ، وتناولته أقلام بليغة ؛ ولو ذهبنا نذكر كل ما قيل ، وننشر كل ما كُتب ، لما اتسعت الرسالة لموضوع غير هذا الموضوع .

على أننا ننشر اليوم قولين رسميين دارا على هـذا الاقتراح فى مجلس الشيوخ ، أحدهما سؤال الشيخ محترم أجمل فيه رأى الأمة ، والآخر جواب عنه لوزير المعارف لخص فيه رأى الحكومة ، ثم نعقب عليهما بما نعتقد أنه الحق والأحق

صاغ الأستاذ أحمد رمزى بك أحد أعضاء مجلس الشيوخ من هذا الاقتراح سؤالا وجهه إلى معالى عبد الرزاق السنهورى بك فأجابه عنه بقوله : «توجد فعلا بوزارة المعارف إدارة لأداء الأغراض النافعة التى أشار إليها حضرة العضو المحترم فى الجزء الأول من سؤاله ، وهى ترجمة المؤلفات الأجنبية ونقل المعلومات العلمية والإجتماعية والأدبيـة وثمرات الثقافة الأجنبية إلى اللغة العربية ؛ وعنـد ما توليت وزارة المعارف أعدت تنظيم إدارة الثقافة العامة التى تتبعها إدارة الترجمة بما يكفل لها أداء مهمتها على الوجه الأكمل ، وراعيت فى هذا التنظيم الجديد أنه يمكن الوزارة من أن تستعين بمن يمكن الاستعانة بهم من الكتاب والمترجمين من موظفين وغير موظفين فتعهد إليهم بأعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرفها لهم . وشكلت لجنة من كبار رجال الوزارة والجامعـة لاختيار الكتب التى تترجم ، ووضع المناهج للترجمة وتعيين من يقومون بها . أما عن النفقات التى يحتاجها هذا العمل فإن الوزارة فضلا عما يوجد فى أبواب ميزانيتها من اعتمادات مرصودة لهذا الغرض لن تتأخر عن التقدم إلى البرلمان بطلب ما يحتاجه هذا العمل الواسع النطاق من اعتمادات جديدة »

أما سؤال الشيخ فاتجاه إلى الطريق الأقوم فى تربية الشعب وترقية عقله ولغته وأدبه وعلمه وعمله ؛ وأما جواب الوزير فاحتفاظ

بالنمط المألوف من مسايرة (الروتين)، ومشاورة اللجان، ومطالعة التقارير، ومماطلة الحوافز، حتى يتراخى الزمن ويفتر العزم ويتغير الحال وينتقل الحكم وينتهى كل شيء إلى لا شيء! وكان الظن بصاحب المعالى وزير المعارف وهو من هو فى منطقه وتعمقه وجده أن يعالج نقل المعارف الأجنبية على أنه تصحيح نهضة وتثقيف أمة وبدء تاريخ، فيجعله الهدف الأول لسياسة الوزارة فى عهده، والنار الهادى لمن يسلك هذا الطريق من بعده

إذن بقينا فى نقل الثقافة الغربية على ما كنا عليه لم نتقدم خطوة: إدارة للترجمة فى مراقبة الثقافة العامة تشرف على خمسة مترجين أو ستة ينقلون سفراً ضخماً فى التاريخ العام لا ندرى فى أى مدة ينتهى، أو كتاباً فى تاريخ انجلترة لما كولى لا ندرى أى أمة يفيد؛ ثم الاستعانة بالكتاب والمترجين من موظفين وغير موظفين (فى أعمال الترجمة والمراجعة نظير مكافآت سخية تصرف لهم)، وهذه هى الخطوة الجديدة فى الإدارة القديمة ولكنها إلى الوراء، لأن اختيار الكتب وتوزيعها على أحرار المترجين تجربة تحققت فى بعض العهود ثم أخفقت. وإخفاقها إنما أتاها من نزعتها الفردية فى اقتراح الفكرة وانتخاب الكتاب واختيار المترجم. وبقاء الأعمال الفردية رهن ببقاء الفرد. والقاعدة عندنا أن يهدم الخالف ما بنى السالف حتى لا يكون لغيره بناء يقوم ولا عمل يتم. أما إذا أسس العمل على قانون أو مرسوم عز على الرياح أن تنال منه وإن سفت عليه التراب وزمجرت حوله باللغط.

وبعد، فهل نستطيع أن نعرف ولو بالحدس بعض الأسباب التى سوغت للوزارة أن تفضل إدارة للترجمة على دار للترجمة؟ يقولون إن من هذه الأسباب صعوبة الحصول على مائتى مترجم يصلحون لهذا العمل. واعتراف الوزارة بهذه الصعوبة اعتراف منها بالعجز عن أداء ما خلقت له؛ فإن من العار الذى لا يرحضه ندم ولا لوم ألا نجد فى جيلين نشأتهما وزارة المعارف فى مصر وفى أوربا، مائتين يحسنون اللغة العربية ولغة أخرى أوربية، وتعليمهما كما نظن يبتدئ مع الدراسة الإبتدائية، وينتهى مع الدراسة الجامعية! فإذا سلمنا لهم أن ذلك هو الواقع فإن فى الإمكان أن يسدوا هذا العوز بطائفة من إخواننا العرب، إذ الغرض العلمى واحد، والتعاون الثقافى قائم. فإذا أعيانا الوصول إلى هذا، كما أعيانا الحصول على ذاك، بدأنا العمل بمائة أو بخمسين ثم بعثنا إلى أوربا فى كل سنة عشرة من خريجى الأزهر ودار العلوم والجامعة يُخصصون فى درس هذه اللغات حتى يبلغ النصاب عدده. ولو أن (البعثة الفهمية) — ولها فى ذمة الوزارة ستمائة فدان من أخصب الأرض — سارت على النهج الذى رسمه لها صاحب المعالى حلمى عيسى باشا لما شكونا هذا النقص وأحسسنا ذلك القصور

كذلك يقولون إن هؤلاء المترجين إذا تيسر الحصول عليهم سيصيبهم داء الموظفين فيعملون عُشر مايستطيعون؛ وإذن يكون عشرون يرأسهم ضميرهم، خيراً من مائتين يرأسهم كبيرهم. ودواء ذلك إذا جاز أن يكون عين كلوء تراقب، ويد حازمة تصرّف، وتحديد يومى لإنتاج المترجم يطلب منه ويناقش فيه ويحاسَب عليه

أما غير هذين الإعتراضين على تهافتهما فرده إلى الهوى لا إلى العقل. والحق أن النار الذى ضفره عطارد لهذا العمل العظيم الخالد لا يزال مرفوعاً بين يديه ينتظر الرؤوس التى تستحقه. وما زالت قوى الأمل فى أن يكون من نصيب الصديقين العزيزين عبد الرزاق السنهورى واحمد أمين. فليت شعرى أهو الحذر الذى يخطئ، أم هو القدَر الذى يصيب؟

يا معالى الوزير! إنا أمة جاهلة فينا أفراد يعلمون. وإن من الخزى أن نظل كذلك وآباؤنا هم الذين علموا الشعوب ومدنوا العالم! إن الجهل باللغات الأجنبية عندنا مذمة وهو عند غيرنا محمدة. وعلة ذلك أن لغتنا لا تزال لغة العلم القديم؛ فمن اكتفى بها اتهم بخفة الوزن وقلة العلم. وهيهات أن ندرأ عنها وعنا هذه المعرة إذا لم تنقل إليها المعارف الحديثة على الوجه الذى أقترح! بهذا وحده يامعالى الوزير تعود لغتنا إلى الحال التى قل فيها كاهن قرطبة أيام كنا سادة الأندلس: «إنا نحب أن نقرأ الشعر والقصص، وندرس الدين والفلسفة فى اللغة العربية، لأنها لغة عذبة الألفاظ بليغة الأداء. ولا نكاد نجد فينا من يقرأ الكتب المقدسة باللغة اللاتينية، وشبابنا الأذكياء كافة لا يعرفون غير لغة العرب وآدابهم. وكلما قرأوا كتبها ودرسوا أدبها أعجبوا بها. فإذا حدثتهم عن كتاب من الكتب اللاتينية سخروا منه وقالوا: إن الفائدة منه لا تساوى التعب فى قراءته[1]...»

ذلك ما قالوه فى لغتنا بالأمس؛ وهو نفسه ما نقوله فى لغاتهم اليوم! فهل فى ذلك لقوم بلاغ؟

احمد حسن الزيات

(١) تاريخ العرب فى أسبانيا لدوزى بالفرنسية — ٢ ص ١٠٣

فى إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٣ —

* فى ج (١٠) ص ٢٦٣ .

ويلومون فيك يا ابنة عبد الله (م) والقلب عنـــدكم موهوق

وجاء فى الحاشية : موهوق يروى مكانها موثوق .

قلت : لم يرو موثوق مكان موهوق فى كتاب ، ولم يجئ ذلك عن راوية . ولن يعد تصحيف ناسخ أو تطبيع طابع رواية من الروايات … وكان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى وجد هذه اللفظة (موثوق) فى طبعة كتاب فسارع إلى تخطئة الشاعر ، قال فى مجلته (الضياء) س ١ ص ٥١٥ :

« وأغرب منه ورود مثل ذلك فى كلام أناس من أهل الجاهلية كقول عدى بن زيد العبادى : ويلومون ، البيت … يريد موثوق »

والشاعر لم يقل (موثوق) وإنما قالته المطبعة ، والبيت من شواهد اللسان والتاج فى (و هـ ق) .

وورد فى ج ١٠ ص ٢٦٤ فى قصيدة عدى هذا البيت :

مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

و (مرة) هنا هى (مزة) بالزاى . والمزة — كما فى اللسان — الخمرة التى فيها مزازة ، وهى طعم بين الحلاوة والحموضة ، وحكى أبو زيد عن الكلابيين : شرابكم مز .

وجاءت (مرة) فى طبعة الأغانى . والبيت من شواهد اللسان والتاج فى (م ز ز) والبيتان من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

بكر العاذلون فى وضح الصبح (م) يقولون لى : ألا تستفيق

وفيها هذا البيت المشهور :

فدعوا بالصبوح يوما فجاءت قينـــة ، فى يمينها إبريق

ولم يورد أبو الفرج هذه القصيدة فى كتابه (الأغانى) فى أخبار قائلها المنسوبة إليه ، وأوردها فى أخبار حماد الراوية ، فهل صائغها حماد … ؟

* فى ج ١٠ ص ٣٧ وقال (يعنى ابن الشبل البغدادى) :

احفظ لسانك ، لا تبح بثلاثة سر ومال — ما استطعت — ومذهب

فعـــلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفر ، وبحاسد ، ومكذب

قلت : بمكفر . وجاءت فى (طبقات الأطباء) بمفكر . والمفكر — يا أخا العرب — لا يكفر …

* فى ج ٦ ص ٢٣٧ : فكان إذا سمع منه كلاماً يسجع فيه ، وخبراً ينمقه ويرويه — يَبْلُقُ عينيه ، وينشر منخريه .

وجاء فى الشرح : بلق عينه كنصر وأبلق فتحها وأقفلها .

قلت : جاء فى اللسان : بلقه يبلقه بلقاً وأبلقه فتحه كله ، وقيل فتحه فتحاً شديداً ، وأغلقه ، ضد .

وعندى أن الأصل (يُبرّق عينيه) قال التاج : برق عينيه تبريقاً إذا وسعهما وأحد النظر ، قال أعرابى فى المعاتبة بينه وبين أهله :

فعلقت بكفها تصفيقا
وطفقت بعينها تبريقا
نحو الأمير تبتغى تطليقا

وفى الأساس : ومن المجاز : وبرق عينيه : فتحهما جداً ولمعهما .

وأغلب الظن أن (ينشر منخريه) هى (يُنشز منخريه) أى يرفعهما .

والقول لأبى حيان التوحيدى فى الصاحب بن عباد وأبى طالب العلوى أحد أصحابه ، أى فكان أبو طالب إذا سمع كلاماً منه أى من الصاحب الخ … وأبو حيان هو صاحب كتاب (مثالب الوزيرين) والوزيران هما ابن العميد والصاحب …

* فى ج ٧ ص ١٨٢ .

وصاحب أصبح من برده كالماء فى كانونَ أو فى شَباط

ندمانه من ضيق أخلاقه كأنهم فى مثل سم الخياط

نادمته يوماً فألفيتـــه متصل الصمت قليل النشاط

حتى لقـــد أوهمنى أنه بعض التماثيل التى فى البساط

قلت : جاءت (شباط) بفتح الشين وهي بضمها . في التاج : شباط وسباط كغراب اسم شهر من الشهور بالرومية . قال أبو عمرو : يصرف ولا يصرف . (وهو) قبل آذار يكون بين الشتاء والربيع . قال الأزهري : وهو من فصول الشتاء ، وفيه يكون تمام اليوم الذي تدور كسوره في السنين ، فإذا تم ذلك اليوم في ذلك الشهر سمّى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس ، وهو الذي يتيمن به إذا ولد مولود في تلك السنة أو قدم قادم من بلد .

* في ج ٨ ص ١٨٢ ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خاف ، ويخبر بما هو مجمجم .

قلت : أغلب الظن أن الأصل هو (الإبقاء على أهل العلم) في الصحاح : أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه ورحمته . وفي الأساس : وأبقى عليك بُقيا وبقية ، وأرعى عليه : أبقى ، وهو حسن الدَّعوى والدُّعيا كالبَقوى والبُقيا .

ومن أمثالهم : لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ . قال الميداني : أبقيت على الشيء إذا تركته عطفاً عليه ورحمة له . يقال هذا للمتوعد

* في ج ٦ ص ١٨٥ ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه ، فقال له الصاحب : أبو من ؟ فأنشد الرجل :

وتتفق الأسمـــاء في اللفظ والكنى
كثيراً ولكن لا تلاقَى الخلائقُ

فقال له : اجلس يا أبا القاسم .

قلت : رواية البيت هي :

فقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى
كثيراً ولكن لا تلاقِى الخلائق

جاء في (خزانة البغدادي) . قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وذلك كما قال صديق مولانا القريب وابن عمته النسيب الفرزدق بن غالب وقد قيل له : انزل على أبي قطن قبيصة ، فحسبه ابن مخارق الهلالي فإذا هو آخر ، وذم قراه وجواره فقال :

سرت ما سرت من ليلها ثم وافقت
أبا قطن ليس الذي لمخارق

وقد تلتقي البيت . وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج (ولكن ميزوا في الخلائق) والذي في الخزانة هو أضبط .

و (دخل إلى الصاحب) ربما كانت (على الصاحب) وإن جازت (إلى) .

* في ج ١١ ص ١٥٥

كنت في عينها كرود كحل صرت في عينها كشوك السَّبال

وجاء في الشرح : السبال سنابل الحنطة وغيرها جمع سبلة .

قلت : هو السَّيال ، في اللسان : السيال بالفتح شجر له شوك أبيض وهو من العضاه . وروي اللسان والتاج للأعشى (والبيت من معلقته) :

باكرتها الأغراب في سنة النوم (م) فتجري خلال شوك السيال[1]

قلت : الأغراب الأقداح والمفرد غَرْب . وقد جاءت الأغراب هنا في المعجمين بالعين وإنما هي بالغين .

* في ج ٨ ص ٢١٠ ومنها (أي من وجوه الواو ومواقعها) أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك : استوى الماء والخشبةُ أي مع الخشبة .

قلت : جاءت الخشبة مرفوعة وهي منصوبة . والقول للامام أبي سعيد السيرافي في المناظرة بينه وبين متى بن يونس القنائي . والإمام يعني بالفعل (استوى) ارتفع لا تساوى حتى يجوز العطف ، ويقصد واو المفعول معه لا العاطفة إذ قد ذكر هذه في أول بحثه فقال : منها معنى العطف في قولك أكرمت زيداً وعمراً و (استوى الماء والخشبة) من أمثلة المفعول معه في همع الهوامع وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ...

* في ج ٨ ص ٨١

رأيت قلنســـوة تستغيث (م) من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قُلِعَت وهي طوراً تميل (م) من عن يسار ومن عن يمين

قلت : وقد قَلِقَت فهي الخ . ولو قلعت ما كانت تميل من عن يسار ومن عن يمين ...

* في ج ٩ ص ١٢ وقلت كما قال رؤبة لما استزاره أبو مسلم صاحب الدعوة :

لبيك إذ دعوتني لبيكا أحمـــد ربي سابقاً إليكا

(١) السيال أصوله أمثال ثنايا العذارى ... قال الأعشى : باكرتها البيت ، يصف الخمر (اللسان) .

على قارعة الطريق

صور من الجيل الجديد

للأستاذ سيد قطب

١ — تلميذة

لقيتها منذ عام واحد صبية أقرب إلى أن تكون طفلة . كانت فى السنة الرابعة الابتدائية ، تلميذة لأحد الزملاء ... وكان معى حينما تقدمت هى إليه لتحييه تحية التلميذة للاستاذ فى الطريق ، وسلمت علىّ معه فى براءة .

واليوم لمحتها . لا فى الطريق ، ولكن فى محل عام من محال « السندوتش » وغير السندوتش أيضاً ! لم تكن وحيدة . كان معها رفيق تلمع على كتفيه نجمة ... قلت لعله أخوها أو قريبها فما تجرؤ طفلة على الجلوس هكذا فى ركن منعزل خفى عن الأنظار ، مع غير قريب !

ولم ألق بالا إلى الأمر بعد النظرة الأولى . ولكن ماذا ؟ هأنذا أسمع أصواتاً فيها شىء . شىء غير حديث الإخوة أو الأقرباء أو ممكن هذا ؟ أو يكون ؟

نعم يكون فنحن فى الجيل الجديد !

لم تكن قد رأتنى بعد كما رأيتها ، لقد كانت مستغرقة فيما هى فيه . ولكن ها هى ذى ترانى ... وأقول الحق كى لا أظلمها ... لقد خجلت وتوردت وجنتاها ! أم لعلهما قد توردتا لسبب آخر ؟

على أية حال لقد همست له ، وهمس لها . ثم إذا هما ينسحبان ... أأكون قد عكرت عليهما الجلسة « البريئة » ... ؟ ربما أكون !

٢ — عذراء

كان يقف فى محطة الترام ، وقد غاب . كان يقطع الطوار جيئة وذهوبا من ملل الانتظار . وفجأة يرفع عينه إلى شرفة المنزل الفخم المقابل فتقع عينه على فتاة .

لم يكن يريد شيئا حينما رفع يده يمر بها على موضع شاربه ! كانت حركة آلية شبه غريزية فى هذه المفاجأة . ولكنه وجد يدها ترتفع بالتحية ، ولما كان الموقف كله هزلا فى نظره ، فقد تحرك حركة غريزية أخرى ، حرك أصبعه للاستدعاء !

قلت : رواية البيت هى :

أحمــد ربا ساقنى إليكا

وبعده :

الحمــد والنعمة فى يديكا

وقبل الأول :

قلت ونسجى مستجد حوكا

وعندى أن (صاحب الدعوة) هى صاحب الدولة وإن جاءت الدعوة فى كتب كثيرة .

* فى ج ٧ ص ٢٥٠ فأما أخونا أبو الحسين قريبه ـ أعزه الله ـ فقد ألزمنى بإخراجه إلى أعظم منة .

قلت : ضبطت (أعظم) بالكسر كأنها مجرورة بإلى ، وجوزت كسره عند ضابطه الإضافة . والقول هو : ألزمنى بإخراجه إلىّ أعظمَ منة . يقال ألزمته الشىء فالتزمه كما فى الصحاح وغيره ، وألزمه به كما فى التاج ، ولم يرد ألزمه إلى الشىء .

والجملة من رسالة للصاحب بن عباد إلى أبى على الفارسى وقد جاء فيها :

« والشيخ — أدام الله عزه — يبرد غليل شوقى إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطاب الوسط ، دون الخروج فى إعطاء الرتب إلى الشطط كما يخاطِب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه »

وكلام الصاحب هذا مطرب مثمل[1] . وأبو على هو « أوحد زمانه فى علم العربية ، كان كثير من تلامذته يقول : هو فوق المبرد » كما روى ياقوت فى كتابه . وما القول فى إمام ، ابن جنى تلميذه ؟

(١) الأساس : وأثملهم الشراب .

واختفت من الشرفة ، تمضى دقائق قليلة . ثم يجدها بعد ذلك على الطوار !

لقد ارتبك قليلا . ولكنه تماسك نيرى ! فم كان يخطر على باله أن يتم الأمر كله بهذه السهولة . ومن يدرى لعلها لم تلحظ إشارته ولم تحس بوجوده وإنما هى تمضى لشأن خاص .

وقال كلمة عابرة ، مما يقوله الشبان للفتيات . وما كان أشد دهشته حين أشارت إليه أن يصمت هنا وأن يمضيا هناك .

إنها لتلحظه هنا كل صباح . وإنها لتعرف أنه مدرس فى المدرسة الثانوية بالحى ، وأنه خاطب ليتزوج . فأين هى « دبلة » الخطوبة ؟

واستمر فى عبثه فقال : لقد عدلت نهائيا عن الزواج . فما راعه إلا أن تقره فتاة على هذا العزم . لأن الطلاقة هكذا هى أليق الأوضاع !

والتقيا مرتين قبل أن ترافقه إلى داره ! ...

وفى الصباح سأل فى سخرية : ألا تتزوجيننى ؟ قالت : لا . إن أبى مستشار ، ولن يرضى بالمدرسين !

وسألته عن شاب آخر يدرس معه فى المدرسة نفسها : ما اسمه وأية مادة يدرس ؟

وواعدته مرة ثم أخلفت الميعاد !

وبعد يومين شاهدها مصادفة ... برفقة ذلك الشاب !

إنها من الجيل الجديد ...

٣ — خطيبان

جلسا قبالتى فى ترام رقم ١٥ ، وكنا ثلاثة فى الحجرة ، كان يبدو عليه شغف وفتنة ، وكان يبدو عليها دلال وإغراء ... إنهما خطيبان . لقد لمحت فى أصبعيهما « دبلتين » فى اليد اليمنى ...

وسمعتها تقول : الحمد لله إذ كنت موجودا لئلا تظن شيئا !

وقال — فى لهجة يخالطها العتاب — : ماذا تقولين ؟ أظن شيئا ؟ ماذا أظن ؟ وافرضى أننى لم أكن موجودا ... اسمعى : إنه لا يمكن أن يجول فى نفسى أى شىء عنك . إن على الإنسان أن يبحث عن الأسرة أولا وعن الأم ثانيا ... ثم يثق ، فلا يفتش بعد ذلك أبدا . !

وتبادلا النظرات فى إغراء ...

ونزل فى محطة وتابع الترام سيره ...

ثم يصعد فى المحطة التالية مباشرة رجل آخر يأخذ مكان الرجل الأول . فتتصافح الأيدى والعيون والأجسام أيضاً ...

ويسأل : أين نزل ؟ فتجيبه وهى تغمز : فى المحطة السابقة . فيعقب هذا ضحكة مشتركة ساخرة ... ثم يأخذ وجهها طابع الجد ، وهى تقول :

إنت عارف « ياسوسو » أننى قبلته من أجل خاطرك انت !

فيجيب وهو يربت على يدها بين يديه :

« معلهش » ياميمى ... « برقان كويس » !

٤ — زوجة

كنت أعرفها سيدة فاضلة . وكانت تزور أسرة أخرى أعرفها بنظام واطراد ... ثم انقطعت عنها فلم أعد أراها هناك .

قلت لها : لم لا تزورين بيت فلان ؟

فترددت هنيهة ، ثم انطلق لسانها ... لسان حواء !

قالت : لأننى أخجل أن أقابل فلانا هذا ، بعد ما اتخذتنى زوجته ستاراً لأشياء ، وهو يثق بى فلا يفكر فى هذه الأشياء . وانطلقت تحكى :

لقد كانت يوما ما هناك ، ثم استأذنت مبكرة لأنها تنوى الذهاب إلى الخياطة ... وما كان أسرع الزوجة لأن ترجوها فى الانتظار هنيهة حتى تتهيأ للخروج معها إذ أنها قد غاضبت خياطتها وتود أن تعرف خياطة جديدة .

ولم يمانع الزوج بطبيعة الحال ، فخرجتا بعد قليل .

ولم تكن صديقتها لتشك فى أنها تعنى ما تقول . فلهذا دهشت حينما فاجأتها الصديقة بعد خطوات بالاستئذان منها بعد أن قامت بمهمتها ... وأنها تقصد إلى جهة أخرى .. إلى موعد « برىء » !

وقالت الصديقة المدهوشة : ولكن يافلانة ما الذى تنقمين من زوجك ، وهو رجل مهذب ، ومركزه الاجتماعى كبير ، وسيرته معك طيبة ؟

وقالت لها الزوجة : حذار أن تفهمى أننى أنقم من زوجى

شيئا . إنه ما تقولين وأ كثر . وإنه لوالد أطفالى ، ورب بيتى ... ولـكن يافلانة ... لا بد من التغيير بين الحين والحين !!!

وفغرت الصديقة فاها عجبا ... فما راعها إلا الزوجة تقول : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى ! نحن فى جيل جديد ! !

٥ — أم

قلت له : لماذا فصمت الخطبة ، وقد كنت معجبا بالفتاة ؟

قال : أمُّها !

قلت : ومالك أنت وأمها إذا أعجبتك ذاتها ؟

قال : فإذا شاءت هذه الأم أن تغلب ابنتها ؟

قلت : ويحك ! أهى ألغاز ؟

قال : كلا ! هو ما أقوله لك .

قلت : اتق الله ! ولا يبلغ بك العبث هذا المبلغ فى الحديث عن العائلات !

وأقسمَ : إنه لصادق . وإنها لامرأة نصف ، لم تشبع بعد من الدنيا . وإنها لا ترى الحياة إلا صراعا ... ولو مع ابنتها !

ولما كنت أعرف صدق صاحبى — كما عهدته — فقد رحت أحوقل وأستعيذ ، وأخبط كفا على كف ... ثم أقول : دعنا من الأخلاق . فأين الأمومة يا أخى ؟ عاطفة الأمومة ؟

قال : أوه . يبدو أنك من الجيل الماضى . يا مولانا نحن فى جيل جديد !

إنها هكذا تقول !!

٦ — أب

نزل من عربته الفخمة ، وجلس على « البار » الصغير تحت عمارة « الإيموبليا » أمام مفرق الطريق ... جلس ينفض الممرات من بعيد ، ويحملق فى السيقان العارية ، ويتبعها بنظره إلى بعيد !

ثم لمح على مقربة رجلا وفتاة ينتظران انفتاح الطريق للمرور. ورأيت الرجل يشير للفتاة فى حذر وتهيب على هـذا الجالس ، ثم يندفع للتسليم عليـــه فى انحناء ، ويدعو الفتاة لتسلم على عمها فلان بك .

واتسعت حدقتا البك ، واختل توازن عضلات وجهه وهو يبتسم ويحملق ويهز يد الفتاة آن .

وقال : لماذا لم تمر علىَّ لتذكرنى بمسألتك ؟

قال الرجل فى تلعثم : البركة فيك ياسعادة البك .

قال : غدا — إن شـاء الله — لا بد أن تمر علىَّ (وينظر للفتاة) ! — ... والآن تجلسان لتناول شيء ما .

وقال الرجل : متشكرين ياسعادة البك ، وهزت الفتاة رأسها شكراً .

قال سعـادة البك : آه . طيب . هنا لا يناسب الجلوس . ولـكن ستأخذان معى الشاى فى « جروبى » غداً إن شـاء الله ! وفى الصباح تمر علىَّ فى المـكتب من أجل مسألتك !

وسلما وانصرفا شاكرين ... والرجل تبرق من الفرح عيناه ونظرت فاذا البك يتقصى تقاطيع جسد الفتاة — ابنة الرجل — وشفتاه تتمطَّان وعيناه ! !

* * *

منذا الذى دفع بالجيل إلى الهاوية ؟ منذا الذى جعل هـذه الصور الشائهة تتوالى أمام عينيه دون استنكار ؟

بضعة «واخير» ... بعضها يسمى مجلات . وبعضها يسمى أفلاما . وبعضهـا يسمى أغانى تتسور جدران البيوت عن طريق المذياع ... وبضعة « هلافيت » لا يهمهم أن يكون فى البلد فراش نظيف . يسمون أنفسهم من حملة الأقلام !

سيد قطب

مناقشات فى الصيف . .

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

— ١ —

« التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنسانى والطبيعة البشرية ... فما يكاد يبـدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة .. »

« فإذا ما ذكرنا أن الأداة التى تصور المعنى الذهنى والحالة النفسية و ... إنما هى ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر ، أدركنا سر الإعجاز فى تعبير القرآن »

والأمثلة على هذا الذى نقول هى القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرنا ... »

فليس هو (أى التصوير الفنى) حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتفق ، إنما هومذهب مقرر وخطة موحدة وخصيصة شاملة »

بهذا التعميم يبسط الأستاذ سيد قطب رأيه الذى يربط به إدراك « سر الإعجاز فى تعبير القرآن »

وقد قلت فى مقالى السابق[1] عن كتابه « إن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة مفضلة فى التعبير يقتضى الاعتماد على الإحصاء وظهور نتيجته بكثرة عددية ، فهل إذا أحصينا طرق التعبير فى القرآن نجد ما قرره المؤلف يحظى بالكثرة العددية ؟ إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن ، فسيجد أن التصوير الفنى أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة فى القرآن ، وليست هى الغالبة ولا الكثيرة ، فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافىء المعنى واللفظ ، الذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها ، وتارة يستعير لفظة واحدة من غير أسرة الألفاظ التى فى الجملة ليحرك بها الخيال ويلمس الحس لمساً رفيقا ، وتارة تكون ألفاظ الحقيقة وملابسات الخيال متساوية ، وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هى الغالبة ، وتارة تكون هى الكل ، ومع ذلك يحتفظ القرآن فى كل أولئك بأسلوبه المتفرد وسر إعجازه . فليس التصوير الفنى وحده « هو سر الإعجاز فى تعبيره » .

ولكن الأستاذ سيد يقول فى الرد علىّ « نعم (أى أن نتيجة الإحصاء تؤكد رأيه) وقد كانت مهمتى هى هذا الإحصاء وكان حكمى قائماً على هذا الإحصاء »

وقد وصلنا بهذا الرد إلى مكان تغنى فيـه الأمثلة والشواهد ما لا يغنى الجدل . ولست أستطيع أن أسرد « القرآن كله » فى مجلة الرسالة للاستشهاد كما لم يستطع صاحب « جحا » أن يعد النجوم حينما سأل « جحا » كم عدد نجـوم السماء ؟ فقال له : كذا ... فلما تشكك ذلك الصاحب قال له جحا : إن لم تصدقنى فعدها أنت ... »

وهأنذا أفتح المصحف حيثما اتفق ، فاقرأ معى من سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السموات والأرض ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدَّره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يَخلُقون شيئاًوهم يُخلَقون ، ولايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا ، وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ؛ فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهى تملَى عليه بكرةً وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض . إنه كان غفورا رحيما » . ولنفتح القرآن مرة أخرى حيثما اتفق ولنقرأ من سورة الأنعام :

« الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يَعدِلون . هو الذى خلقكم من طين ، ثم قضى أجلا . وأجل مسمى عنده ، ثم أنتم تمترون . وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون . وماتأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » . ولنقرأ من سورة الأعلى :

(١) انظر العدد ٦١٢ من الرسالة .

« سبّح اسم ربّك الأعلى . الذى خلق فسوّى . والذى قدّر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى . سنُقرِئك فلا تنسى . إلا ما شاء الله . إنه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى . فذكّر إن نفعت الذكر ... »

ولنقرأ من النساء : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم وكان الله سميعا عليما . إن تُبدُوا خيرا أو تخفوه أو تعفُوا عن سوء فإن الله كان عفوًّا قديرا . إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مُهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيما » . واقرأ من سورة الأعراف : « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين . قال ياقوم ليس بى ضلالة ، ولكنى رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين . أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذّبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك ، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، إنهم كانوا قوما عَمِين » وهكذا سأتعب وأتعب القارىء من عد آيات القرآن للاستشهاد بها فى هذا المعرض كما يتعب من يعد نجوم السماء ...

فأين فى هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفنى » الذى لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله حتى وهو طفل ، بحبكته فى اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذى الظلال والأجواء الشاملة كما يتجلى فى « ومن الناس من يعبد الله على حَرْف ، فإن أصابه خير اطمأنّ به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ... » وفى : « مَثَلُ الذين كفروا بربهم ، أعمالُهم كرمادٍ اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء » وفى « له دعوة الحق . والذين يَدْعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليَبْلُغ فاهُ ، وما هو ببالغه ... » وفى « ومن يشرك بالله ، فكأنما خرَّ من السماء فتخطَفُه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ... »

فهل نستطيع أن نقول إن أمثال هذه الآيات التى ذكرناها من سور الفرقان والأنعام والأعلى والنساء والأعراف لا تعبر عن « معان مجردة أو حالات نفسية أو صفات معنوية أو نماذج إنسانية ... الخ » وهل نستطيع أيضا أن نقول إن « نوع » التعبير فى هذه الألوان واحد من الجهة الفنية ؟ وهل لا نلمس فى هذه الآيات نفس الإعجاز الذى نراه فى غيرها من أدوات التعبير القرآنى ، حتى نربط ما بين الإعجاز وبين التصوير الفنى ؟

لا . إنى لا أقر الأستاذ قطب على هذا التعميم ، وكنت أحسبه فلتة قلم دعا إليها حماسه للموضوع ولكن رده علىّ بعد ذلك يؤكد أنه « يعنى ما يقول مرتكنا فيه إلى الدليل » . فلم يكن لى بد أن أسرد له وللقراء تلك الشواهد التى سلفت ، محيلا إياهم على استعراض القرآن . ليتبينوا أن « التصوير الفنى » أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة ، وأن القرآن يحتفظ بروحه الفذ وجميع خصائصه الإعجازية فى كل هذه الأدوات ...

— ٢ —

أنا ما خشيت على القرآن من إدراك « سر الإعجاز فى تعبيره » كما ظن الأستاذ سيد ، وإنما بينت أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز وبين التصوير الفنى وحده نكون قد سوينا بين تعبير القرآن وبين غيره من مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة إذ أننا نجد فى مواريثهم استخدام التصوير الفنى للتعبير عن « المعانى الذهنية والحالات النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور ... الخ » ومع ذلك لا نجد فى بيانهم هذا اللون المتفرد ولا نجد فى نفوسنا هذه الاستجابة المسحورة لتخييلهم وتصويرهم كما نجدها حينما نتلو القرآن .

فأكرر للمرة الثانية أن المعجز من أمور الحياة ما لا يمكن الوصول إلى سره واستخدامه ، وكل أدوات التعبير التى أشرنا إليها قد استخدمها البلغاء . ولكن شتان بين الروح الخفى الذى يترقرق فى بيان القرآن ويشع من « هياكله » البيانية فى السطور وما بينها وبين الهياكل البيانية البشرية الجميلة ... شتان بين ما يمكن إدراكه بالمقاييس والمساقات ، وبين أسرار ذلك العالم الأعلى الطليق

الذى تنزل منه فى القرآن روح متفرد لا يستطاع حده بحدود وأربطة. فلا يصح أن نربط بين سر الإعجاز وبين أى أداة من تلك الأدوات. إن الكون صنع الله والقرآن كلام الله، وأسرار الإعجاز فى كلامه كأسرار الإعجاز فى صنعه، نستطيع أن نصف آثارها فى نفوسنا وعجبنا منها. ونستطيع أن نهتدى فيها إلى معالم للجمال تقاس، وعجائب للبلاغة تجلى ولكنا لا نستطيع أن نقول: إنها موضع سر الإعجاز فى تعبيره.

— ٣ —

كل ما فى القرآن من «منطق» الوجدان فى إثبات عقيدة التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخاذ حرك به الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية، ولم يسقها بأسلوب جاف كأسلوب المناطقة الرياضيين الذى تتزاحم فيه المعانى فى ألفاظ ضيقة. وأى كلام اعتمد على «الحقائق البديهية الخالدة» وعلى مقدمات ونتائج صحيحة سواء أكانت محسوسة ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة فهو منطق ذهنى. فإذا جمع إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق الطلعة فهو منطق «وجدانى» كذلك. منطق الوجدان – وإطلاق «المنطق» هنا تجوز فى التعبير — هو الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة و«نقط الارتكاز» الواضحة فى عالم البداهة و«الحكم العقلى». والتأثر بهذا «المنطق» تأثر وقتى لا يترك رواسب فى الذهن ومقاييس تملأ اليد، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها، ولأنها ألوان وظلال ونغمات وأعراض غير ملازمة تنفعل لها النفس انفعال الانقباض أو الانبساط وقتاً ثم يزول تسلطها عليها.

وليست هذه الأعراض هى طريق إقرار «العقائد» ودعائم الفكر والحياة عند الراصدين المتيقظين الواعين، وخصوصاً الدعامة الأولى والقضية الكبرى قضية «التوحيد» التى هى قضية الكون كله وأعظم شئونه! إن الوجدانيات من الخطابيات والشعر والموسيقى وسائل إقناع وقتى للبسطاء، وليست وسائل يقين ثابت للذين يبحثون لعقولهم عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء والنوازع والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى لإثبات القضية الكبرى أن يعتمد على «المنطق» الوجدانى. وإنى أرى الذهن فى إثبات العقائد وخصوصاً «التوحيد» هو أوسع المنافذ وأصدقها وأدقها، كما بينت فى المقال السابق بهذا الخصوص.

والذى يدعونى إلى أن أفهم أن الأستاذ سيذهب إلى أن موطن العقيدة ـ بنافيها التوحيد ـ هو الوجدان قوله «موطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان» «وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً» «فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة. فأما العقيدة فهى فى برجها العالى هناك، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البداهة ويهتدى بهدى البصيرة ويفتح حسه وقلبه لتلقى الأصداء والأضواء».

فهذه كلمات صريحة (فيها الحصر بأمّا والنفى والاستثناء) فى إقصاء الذهن عن منطقة العقيدة، وفى التفريق بين عمل الذهن وعمل الوجدان فى الحياة والعقيدة، اضطررت إلى مناقشتها فى مقالى السابق كظاهرة لمذهب كلامى فشا الحديث به فى هذا العصر الذى اتصل فيه المسلمون بغيرهم من الذين وجدوا أصول دينهم لا تستقيم مع الفكر والحكم العقلى فالتمسوا العقيدة عن سبيل الوجدان وحده

ومع أن هذا النص من كلام المؤلف يكفى لأن يسلكه مع القائلين بأن منطقة العقيدة هى الوجدان وحده، فإننى لم أغفل النظر إلى ما قاله قبيل هذا النص مما يستفاد منه أنه لا يخرج الذهن إخراجا كلياً من منطقة العقيدة.

ولذلك لم أناقش كلامه مناقشة حرفية ولكنى ناقشت الفكرة التى تشيع فى جو الفصل كله. ولنُنَمِّه هذا الجدل بالمثال فإنه أبلغ فى الحجة وأروح للنفس. قلنا إن مسألة المسائل التى دار عليها أكثر جدل القرآن هى عقيدة التوحيد. وأنسب الآيات التى تناولت هذا الموضوع هى آيات سورة الأنبياء وقد ساقها المؤلف كدليل على ما ذهب إليه فلنقرأها معاً:

«أم اتّخذوا آلهة من الأرض هم يُنْشِرُون. لا (يَنْشُرُون) كما ضبطها المؤلف. فليضمها إلى ما نبه إليه

فضيلة الشيخ السبكى] . لو كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ! لا يُسأَلُ عمَّا يَفعَلُ وهم يُسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة .. قل هاتوا برهانكم ! هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِىَ وذِكْرُ مَن قَبْلِى ، بل أكثرُهم لايعلمون الحق فهم معرضون » فهل ترى هذه الآيات تركت حجة « ذهنية » يمكن إيرادها للكر على مزاعم القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنْشِرون » فالإله هو وحده الذى يخلق ويحيى ويُنْشِرُ الخلائق من الأرض . فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال بكلمة واحدة يدور بها الذهن فى استعراض سريع للأرض وكائناتها للبحث عن حىٍّ مخلوق واحد لغير الله فلا يجد . وإنه لَلدَّليل الاستقرائى بعينه ! ذلكَ الذى بنى عليه (بيكون) الفلسفة الاستقرائية الحديثة .. وإنه لَلدَّليل المفضَّل عند المربين وعلماء النفس .

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » وهذا مقطع آخر من مقاطع الاستدلال فى كلمة واحدة أيضاً ... وإنه للدليل التطبيق بعينه ! أحد ضروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيه العقل فى ظروفه المتسعة ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعددين ولا يمنع خلافهم وتنافسهم وتحاسدهم أنهم آلهة فى طباع مختلفة عن الآدميين . فإن التصور البشرى لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه هو ، فهو معذور !

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ذلك موقف وجدانى فيه انفعال وتقزز من تلك الدعوى وتنزيه لله عما وراءها من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه تعود الآيات بعده إلى الاستدلال « لا يُسأل عما يَفعل وهم يسألون » وهذا مقطع آخر فيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال هو الدليل العملى الواقعى ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة الكبرى وله فى الفلسفة العصرية المقام الأول إذ به تسير الحياة العملية وهو محور الاجتماع ...

فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة مَلَّكَ الناسُ أن يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة فلا يصح أن تكون آلهة ما دامت تقع عليها الدينونة ... ولكن الذى خلق السموات والأرض لايملك عابد له أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم والإذعان مادام عاجزاً عن الهرب من أقطار السموات والأرض ...

« من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمددْ بسبب إلى السماء ، ثم لْيقطع فلْينظر هل يُذهِبَنَّ كيدُه ما يغيظ ! »

وهل فيما زعمته الوثنيات والإشراكيات شخصية إلهية لم تُسأل ؟ إن آلهة اليونان والهندوس وغيرهما كما وردت فى أساطيرهم ذات صفات عاجزة فيها العبث والغلط والمنازعات التى كان وراءها مسئوليات .

« أم اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم ! » إذاً نحن فى مقام جدل كبير يتسع للرد وقرع الحجة بالحجة وتشقيق الدليل وراء الدليل ، ولسنا فى مقام تسليم بوجدان عن طريق تعريض « الحس والقلب للأصداء والأضواء » والخطابيات والشعريات والنغمات .

« هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » وهذا مقطع عظيم أيضاً من مقاطع الاستدلال هوما يسمونه « الدليل التاريخى » إذ أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بغير الوحدانية ... إذاً فقد سد القرآن مجالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى أثبت أنهم لا يستندون فى دعواهم إلى أى حق ، وإنما إلى التكبر والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » نتيجة منطقية ذهنية واضحة لمقدمات واضحة أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً لجدل مجادل ...

فكيف بعد هذا كله يضرب الأستاذ قطب هذه الآية مثلا فى أن القرآن تناول مشكلة التوحيد بلا جدل ذهنى ؟ ! إن المنطق هنا منطق ذهنى دقيق أخذ من موارد الكون والنفس جميعاً ، غير أنه ورد بتعبير القرآن الفنى الجميل المعجز الذى يُدنى البعيد القصىَّ ...

ألم يقل : « فإنما يسرناه بلسانك لتُبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدًّا » وما أدراك ما لَدَدُ العربَ وجدالهم ! « بل هم قوم خَصِمُون »

ولكن « إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً » وقد أتاهم من القرآن إعصار من البيان كَبَّهم على مَناخِرِهم وأذقانهم !

عبد المنعم محمد خلاف

البحث العلمى

أصوله وآدابه

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

٢ – قوة الملاحظة والقدرة على الاستنتاج

من الصفات اللازمة لنجاح البحاث فى عمله أن يرى بعينه وبصيرته مالا يراه معظم الناس . فالشخص العادى إن أعطيته زهرة نبات لايلاحظ فيها سوى لونها وحجمها ورائحتها . أما المدقق القوى الملاحظة فإنه يرى فيها ما يشغل فكره ويحير لبه . فإن ما رآه داروين وباستير وغيرهم من فطاحل العلماء قد مر بلا شك على نظر الملايين من الخلق قبلهم من غير أن يلاحظوه .

ولما كانت روح التنقيب والاستقصاء وحب الاستطلاع غريزية وقوية جداً فى الأطفال وجب تشجيعها فيهم وذلك بأن يترك لهم المجال للاعتماد على أنفسهم فى حل ما يعترضهم من المسائل فلا يتعدى ما يقدمه إليهم كبارهم الإرشاد فى كيفية استخدام عقولهم وتدريبها فى العمل على كشف أسرار ما يصادفونه من المعميات والصعاب .

على هذه النظرية بنى التعليم الحديث . فالأمم الحديثة الراقية تدرب صغارها لتصبح عقولهم مرنة غير جامدة ، وعيونهم يقظة قوية الملاحظة ، وأذهانهم وقادة سريعة الاستنتاج فيستخلصون النتائج بدقة وإمعان ، فإذا التحق أحدهم بعد إتمام دراسته بعمل ما أو بمعهد من معاهد البحث كان مدربا من يوم نشأته على الاعتماد على نفسه فى معرفة ما يستلزمه عمله أو بحثه من الشروط غير مستعين برئيسه إلا للاستفادة برأيه والاسترشاد بخبرته فى حل المعضلات العويصة

فالتعليم التلقينى وهو الذى يلقن فيه الطالب العلم من أفواه المدرسين وصفحات الكتب دون التدرب على الاعتماد على النفس وقوة الملاحظة والاستنتاج وما يتبعهما من تشغيل الذهن ؛ هذا التعليم نتيجته تخريج شبان ضيقى العقل جامدى الفكر قليلى الاعتماد على أنفسهم فى حل ما يصادفهم من العقبات ، فتراهم فى عملهم حيارى لا يعرفون أين يتجهون فيكثرون من إلقاء الأسئلة على رؤسائهم لمناسبة ولغير مناسبة ، وتجدهم ضعيفى الملاحظة والمشاهدة سريعى الاستنتاج الذى كثيراً ما يكون خطأ . وليس هذا الضعف طبيعى ، بل هو نتيجة لازمة للتعليم التلقينى وصرف عقولهم عن طريق التأمل والتفكير إلى طريق الحفظ . مثل هذا التعليم لايلائم روح العصر الحاضر ولا يمكن بوساطته إخراج رجال يمكن البلاد الاعتماد عليهم فى أعمالها ولا يكون لهم رأى محترم فى دوائر البحث العلمية العالية .

وقوة الملاحظة أو الفراسة صفة وراثية يصعب غرسها فيمن جرد منها . أما من اتصف بهـا فهو أوفق الأشخاص لأعمال البحث ، إذ يمكنه بتهذيب هذه الصفة فى نفسه وتنميتها أن يتمكن من كشف غوامض الأشياء وحل رموزها بأبسط الطرق وأقربها منالا . وهذا ليس بسهل لأن السواد الأعظم من الناس يحاول حل المشكلات بأصعب الطرق وأكثرها تعرجا فيخيبون . ولايفوز بسرعة الحل إلا الذى يتبع الطريق السهل الذى لبساطته وسهولته لا يخطر إلا ببال النوابغ .

٣ – غزارة المادة العلمية

من أوجب الواجبات أن يكون البحاث واسع الاطلاع دائب المذاكرة فى الكتب والمراجع لايفوته علم قديم أو حديث ، وعليه أن يلم بشتى العلوم التى لها صلة بعمله ليستعين بها فى حل معضلات أبحاثه وتعليل نتائجها . ولنضرب لذلك مثلا المشتغل فى البحوث البيولوجية ، فواجبه إن أراد أن يكون من أعلامها أن يلم بأصول اللغات اللاطينية والإغريقيـة نظراً لاستعمال أصولها فى وضع الأسماء العلمية . وعليه أن يجيد علاوة على لغته لغتين أو ثلاثا من اللغات الحية للاستعانة بمراجعها فى بحوثه كما يجب أن يلم بالعلوم الرياضية وأن يعرف الفيزيقا العلمية والنواميس المتصلة بكافة ظواهر الحياة كالجذب السطحى والميوعة وما إليها . ويلم بالكيمياء وعلى الأخص كيمياء الأحياء . وإن تعذر عليه ذلك فليستعن بكيميائى وهذا ضعف .

والواجب على المشتغلين ببحوث أمراض النبات أن يلموا إلماماً تاما بكيمياء المواد العضوية التى يتركب منها قسم النبات العائل وجسم الطفيل المسبب للمرض والذى يفرزها كلاهما . مثل كيمياء النشويات ، والسكريات ، والخلووزات ، والبكتوزات ، والتنينات

والأحماض والالدهيدات وأحماض الأمينو والجلوكوسيدات والأنزيمات والزيوت الطيارة والإسترات وهلم جرا . ومن رأى أكابر العلماء الحديثين فى دراسة علم أمراض النباتات أن بحوث هذا العلم تتوقف فى نجاحها على فهم كيمياء العائل والطفيلى وما يطرأ فى كليهما من التغيرات أثناء ارتباط حياة بعضهما ببعض . لذلك كان أغلب المتخصصين فى البكتريولوجيا حاصلين على درجات فى علم الكيمياء . وواجب الباحث فى أمراض النباتات أن يكون متمكنا من علم الكيمياء غير العضوية لتساعده على البحث فى المبيدات الفطرية ويتحتم عليه أن يحيط بأصول علم الأرصاد الجوية (الترپولوجيا) وعلم الجيولوجيا وفزيقا التربة لما لهذه العلوم من العلاقة التامة بحدوث الأمراض وانتشارها . كما يتحتم عليه الإلمام بعلوم الزولوجيا (علم الحيوان) والحشرات لأن كثيراً من الحيوانات والحشرات الدنيا تنقل الأمراض النباتية وتسببها كأن تحدث أوراما فى جسم النبات تشبه الأورام الپاثولوجية ، فمعرفته بالآفات الحشرية تساعده على أن تكون استنتاجاته صحيحة مجدية . وليس لعمل المشتغل ببحوث أمراض النباتات أية قيمة مطلقاً إن كان قاصر المعرفة بعلم النبات ؛ إذ كيف يمكنه دراسة المرض وتأثيره بدون أن يعرف تركيب النبات وتشريحه وتركيب أنسجته فى حالة الصحة وما يطرأ عليها من التغير بسبب المرض وعلى وظائف النبات من الخلل بسبب البيئة ؟ لذلك كان لعلم الفسيولوجيا النباتية المنزلة الأولى فى بحوث أمراض النباتات إذ لا يمكن للباحث أن يعرف أحوال النبات المريض إلا إذا كان ملماً بالكيفية التى يؤدى بها النبات السليم وظائفه . ومن أوجب الواجبات على الباحثين فى أمراض النبات أن يتبحروا فى العلوم الزراعية على اختلافها ، وفى فلاحة البساتين بصفة خاصة .

ونظراً للتشابه الكبير بين الپاثولوجيا النباتية والحيوانية كان من المستحسن أن يتصل المشتغلون بالبحث فى هذين العلمين ببعضهم البعض زيادة فى الاستفادة .

وما يقال عن الباحثين فى العلوم البيولوجية يقال عن غيرهم من الذين يشتغلون بالبحث فى مختلف العلوم .

٤ — القدرة على تصميم التجارب وتنفيذها واستخلاص النتائج

لا بد للباحث عند وضع نظريته أن يثبتها بسلسلة من التجارب يكررها عدة سنوات ليتأكد من ثبات نتائجها وصحتها ، لذلك يبدأ الباحث فى بناء بحثه بكثرة المشاهدة وجمع البيانات على أساس احصائى لتتكون عنده فكرة عامة عن موضوع بحثه وتتجمع له المعلومات التى يستعين بها فى وضع منهج تجاربه . وعند تنفيذ تجاربه تظهر له مشاهدات أخرى جديدة قد تدفعه إلى تعديل منهج تجاربه الأول . وهكذا كلما تكونت عنده فكرة جديدة وصادفته مشاهدات جديدة استعان على دحضها أو إثباتها بالتجارب حتى يصل فى النهاية إلى الحقيقة الثابتة الناصعة المبنية على أساس علمى .

فالذى لا يأنس فى نفسه القدرة على اتباع هذا الطريق فى أبحاثه لا يصح أن يقوم بأى عمل من أعمال البحث . وانه لما يؤسف له أن العالم ملىء بالكثير من أصحاب النظريات غير المؤيدة بتجارب عملية صحيحة . وتراهم يفرضون آراءهم على الناس وعلى من ولى أمورهم للأخذ بها فيجدون من يغتر بأقوالهم فيستمع إليهم ويعمل بإرشادهم فلا يظهر دجلهم إلا بعد أن تتكبد البلاد نفقات باهظة ؛ ناهيك بضياع الوقت وإفلات الفرص . وبلادنا تعج بأمثلة كثيرة من هؤلاء فى كل مهنة وفن . والواجب على حديثى العهد بالبحوث العلمية أن يدأبوا على القيام بتجارب متنوعة كثيرة متواصلة واضعين نظرياتهم ونظريات غيرهم موضع الاختبار والدراسة ليستفيدوا ويزدادوا خبرة وعلما .

ومن أهم أركان البحث قدرة الباحث على تفسير مشاهداته واستخلاص نتائج تجاربه . وهذا يستلزم القدرة على ربط النتائج بعضها ببعض للاستنتاج النهائى . وهذا يتطلب الدقة فى الحكم وعدم التسرع فيه لأن الباحث إذا أراد أن تكون بحوثه مصدقة محترمة وجب عليه أن يتثبت من صحة نتائجه وصدق تعبيرها .

والواجب ألا يكتفى من يقوم بأعمال البحث بما حصل عليه غيره من النتائج بل عليه أن يعيد تجارب غيره حتى يحصل بنفسه على نتائج تؤيدها أو تنفيها . كما يجب عليه ألا يكتفى بنتائج تجارب قام بها أحد كبار الباحثين اعتماداً على شهرته . فكل عالم عرضة للخطأ والزلل كأى إنسان آخر . وكم من رجل وصل إلى الشهرة بالأعلان والدجل ودق الطبول ونفخ الأبواق وحرق البخور .

وواجب البحاث أن يصدق كل شىء ليبنى على هذا الشىء تجاربه ؛ وألا يصدق أى شىء حتى يحصل على نتائج تجاربه ؛ وألا يمنعه أى اعتبار مهما كان مقدساً عن البحث فى طبيعة الأشياء .

٥ – القدرة على تدوين النتائج وإعدادها للنشر

لما كانت الكتابة واسطة للتعبير وجب على الباحث إجادتها ليؤدى المعنى بأبسط عبارة. ولذلك ينبغى عليه أن يعرف آداب اللغة التى يكتب بها وقواعدها وأساليبها مع التضلع فى مفرداتها ليسهل عليه التعبير عن نتائجه بطريقة سليمة بسيطة سهلة لا يملها القارئ. فلا يستعمل كلمات لا معنى لها فى موضوعه. إذ من أصول الكتابة العلمية أن تؤدى كل كلمة معناها الخاص بها اللازم للتعبير عن غرض الباحث. لذلك يجب عدم تكرار الألفاظ لغرض التنميق والتجميل لأن الغرض من الكتابة العلمية ذكر الحقائق من غير حشو وبأسلوب بعيد عن التجميل المستطاب فى كتب الأدب.

والواجب على الباحث عند نشر بحوثه باللغة العربية أن يراعى قواعدها والكتابة بأساليبها لتبلغ جمله غايتها من غير شطط، وأن يرجع إلى لغة العرب لانتقاء ما يصلح من ألفاظها للمصطلحات العلمية الحديثة؛ فإن عجز فلا غبار عليه من تعريب هذه المصطلحات بما يقبله الذوق أو من وضعها بحالتها وله قدوة فى ذلك بمن سبقنا من علماء العرب الذين نقلوا كتب الأعاجم إلى العربية

والخلاصة هى أن الباحث يجب أن يراعى فى نشر بحوثه القواعد الآتية: –

١ – أن تكون كتابته واضحة سهلة تؤدى لمن يقرؤها المعنى المقصود.

٢ – أن يكون لكل كلمة وجملة يكتبها معنى يتصل اتصالاً وثيقاً ببحثه.

٣ – أن تكون جمله صغيرة تحمل معنى كبيرا

٤ – أن تكون جمله منطقية الترتيب تترك من يقرؤها مقتنعاً بصحة نتائج بحثه.

ولا حرج على الباحث من نشر ما ينتهى منه من فروع بحثه أولا بأول ولا يمنعه ذلك من الإستمرار فى بحثه حتى تتم أدواره.

٦ – حسن علاقة رؤساء البحوث بمرؤوسيهم

يجب أن يكون المشرفون على البحوث بالنسبة لمرؤوسيهم كالقلب بالنسبة للجسم ينظم حركة عمله. فإذا كان القلب سليماً انتظمت أعمال الجسم ولذلك يجب أن تتوفر فى رئيس البحوث شروط خاصة كنكران الذات والتضحية والتفانى فى المحبة وحسن الخلق والعلم الغزير مع التواضع وحسن توزيع العمل. وأن يعمل على إيجاد الجو الصالح لإدارة البحوث من غير أن يتأثر الباحثون بمؤثرات خارجية تشغل بالهم وتقلق راحتهم فينصرفون عن بحوثهم بمتاعب أنفسهم. لذلك يجب عليه أن يعمل لتأمين مرؤوسيه على مستقبلهم فيضمن لهم العدالة فى الترقية ومكافأة المجد على قدر ما يعود من الفائدة من نتائج بحوثه

ويجب عليه إشراك مرؤوسيه فى مسئولية العمل ليشعروا بقيمتهم فى الهيئة الإجتماعية والعلمية، وبأنهم يؤدون عملاهم أصحاب الفضل فى إنجازه، وألا يجعلهم يشعرون بأنهم آلات تعمل لمصلحته ورفعته فإن فعل ذلك فإنه يدل على ضعة فى النفس لا يكسب منها سوى حقد مرؤوسيه عليه واحتقارهم له وإهمالهم فى العمل، بل والى الغش الذى يسئ إلى سمعة المعهد خاصة والبلاد عامة. لذلك يجب على رئيس البحوث أن يكون لمرؤوسيه بمثابة الأستاذ للطلبة، له فضل تدريبهم وتعليمهم وإرشادهم، ولهم نتيجة دراساتهم وبحوثهم يجنون ثمارها فإنه ليس أدعى إلى بذر بذور الحقد والكراهية فى مكامن النفوس بين الرئيس ومرؤوسيه من شعورهم بمحاولته غمط حقوقهم المكتسبة بكدهم وحسن عملهم.

ومن دواعى فخر الرئيس العاقل أن يرى مساعديه ينشأون بين يديه صغاراً كالأطفال ثم ينمون ويترعرعون بفضل تعهده لهم وعنايته بهم إلى أن يصبحوا رجالاً مسئولين ذوى آراء محترمة وعمل نافع.

وعلى المرؤوسين واجبات مقدسة نحو رئيسهم، فعليهم أن يعتبروه كالأب يسرون إليه باخطائهم فيجدونه واسع الصدر صادق الحكم والرأى، حليماً فى إرشادهم إلى الصواب، ويجب عليهم أن لا ينسوا أنه صاحب الفضل فى تمرينهم وتدريبهم إلى أن وصلوا إلى الحالة التى مكنتهم من الاستقلال بعملهم.

* * *

هذا هو دستور البحث وأصوله وقواعده إذا توفر فى أمة ضمنت نجاحها وتأهلت مكاناً لائقا بين الأمم الراقية. فهل نحن عاملون به فى مصر. هذا موضوع سنتكلم عنه فى فرصة قادمة إن شاء الله.

دكتور محمد مأمون عبد السلام

من أساليب التفكير

التبرير الجدلي

للأستاذ زكريا إبرهيم

« للكاتب الأمريكي جيمز هارفي روبنسون رسالة قيمة عرض فيها لأساليب التفكير المختلفة ، مبيناً الدور الذي يؤديه كل في تكوين الحضارة الانسانية . ونحن نعرض في هذا المقال لواحد من تلك الاساليب محاولين أن نكشف عن الاصل فيه ، على ضوء علم النفس الحديث »

من أساليب التفكير المتنوعة أسلوب يطلق عليه علماء النفس المحدثون اسم « التبرير العقلي » أو الجدلي . والأصل في هذا الضرب من التفكير أن يعرض أحد لمناقشة عقائدنا وآرائنا ؛ فإننا عندئذ نعمد إلى تبرير هذه الآراء والمعتقدات بأدلة عقلية نصطنعها من أجل مواصلة الاعتقاد بتلك الآراء . وقد يحدث أحياناً أن نغير آراءنا وأفكارنا دون أن يكون ثمة مؤثر خارجي ، ولكن إذا حاول أحد أن يثبت لنا خطأنا ، فإننا نزداد تمسكا بهذه الآراء التي ننادي بها ونمعن في التعصب لها والتعلق بها . ونحن في العادة متسرعون في تكوين آرائنا ومعتقداتنا ، ولكننا نجد أنفسنا حريصين على هذه الآراء والمعتقدات ، حينما يحاول أحد أن ينتقص من قيمتها ، أو أن يشككنا في صحتها . ومن الواضح أن الأفكار نفسها ليست هي الشيء العزيز علينا ، وإنما هو تقديرنا لذواتنا وحرصنا على كرامتنا الشخصية . فإذا كنا نميل بطبيعتنا إلى أن نتعصب لشخصنا وأسرتنا ومجتمعنا ومعتقدنا ، فما ذلك إلا لأن في هذا ذَوْداً عن كرامتنا الشخصية . وقد تشتد الهجمات الموجهة إلى عقائدنا وأفكارنا ، فنضطر إلى التسليم ، ولكن يندر أن نعترف بالهزيمة « فالسلم — في العالم العقلي على الأقل — يجيء دائماً بغير نصر حاسم »

وقلما يكلف الناس أنفسهم عناء البحث عن الأصل في معتقداتهم التي يحرصون عليها ويتمسكون بها ، فإن الحقيقة أننا ننفر بطبيعتنا من القيام بهذا العمل . . إننا نحب أن نثبت على العقيدة التي اعتدنا أن نسلم بأنها هي الحق ؛ فإذا ما أثير حولها الشك ، رحنا نبحث هنا وهناك عن حجج معقولة تبرر مواصلتنا التمسك بها ، ولهذا فإن الجانب الأكبر مما نطلق عليه اسم « الاستدلال » أو التفكير المنطقي ، ينحصر في البحث عن حجج وأدلة تبرر ثباتنا على المبادئ التي اعتدنا أن نسلم بصحتها .

أما الأسباب « الحقيقية » لمعتقداتنا وآرائنا ، فهي في الحقيقة خافية عنا ، كما هي خافية عن غيرنا ، والذي يحدث في واقع الأمر هو أننا نشب على الآراء التي وجدنا مجتمعنا يأخذ بها . ونحن نتشرب هذه الآراء من البيئة التي نعيش فيها عن طريق لاشعوري ؛ فالجماعة التي نحيا بين ظهرانيها هي التي تهمس في آذاننا دائماً أبداً بهذه الآراء والمعتقدات . ولما كانت هذه الآراء أو الأحكام وليدة الإيحاء (لا التفكير المنطقي) ، فإنها تبدو واضحة تمام الوضوح ؛ حتى أن أي ظل من الشك يلقى حولها ، يثير في الناس الدهشة والاستغراب . والواقع أننا إذا حاولنا أن نناقش رأياً من الآراء فوجدنا أنفسنا بإزاء فكرة تبدو واضحة بينة حتى أن مجرد التعرض لمناقشتها يعتبر في نظر الناس عملا غير مرغوب فيه ، فإن هذا الرأي لا بد أن يكون عبارة عن فكرة تتنافى مع العقل ، وبالتالي لا تستند إلى حقيقة ثابتة بينة .

أما الآراء التي هي وليدة الخبرة والتجربة ، أو التفكير الصائب النزيه ، فهي — على العكس من ذلك — لا تتصف بهذا « اليقين الأوّلي » Primary certitude . وفي هذا الصدد يروي روبنسون أنه حينما كان حدثاً صغير السن ، سمع جماعة من الناس يتناقشون في مسألة خلود النفس ، فاستثاره الشك الذي أظهره بعضهم حول هذه الحقيقة . وهو يردف ذلك بقوله إنه حينما يعود اليوم ببصره إلى الوراء ، فإنه يرى بوضوح أنه لم يكن معنياً بذلك الموضوع في ذلك الحين ، بل أنه يقيناً لم يكن يعرف دليلا واحداً صحيحاً يثبت به هذا المعتقد الذي يتعصب له . ولكن على الرغم من أنه لم يكن معنياً بالموضوع من قبل ، وعلى الرغم من أنه لم يكن له عهد بالبحث في مثل هذه المسائل ، فإنه مع ذلك لم يتردد في أن يظهر غضبه واستياءه حينما وجد آراءه ومعتقداته توضع موضع البحث والمناقشة .

وهذا التأييد التلقائي spontaneous لآرائنا السابقة وأفكارنا المبتسرة ؛ أو بعبارة أخرى هذا البحث عن الأدلة « المعقولة » التي تبرر معتقداتنا المألوفة وآراءنا التقليدية ، هو ما يُعرف عند علماء النفس المحدثين باسم « التبرير الجدلي » rationalizing ؛ وهو بلا ريب ليس سوى اسم جديد لشيء قديم

جداً . وهذه الأدلة « المعقولة » هي بطبيعة الحال وليدة التفضيل الشخصي والأحكام السابقة ، فهي إذن لا تمت بصلة إلى الرغبة الصادقة في البحث عن معرفه جديدة أو في التسليم بحقائق جديدة

وإذا نظرنا الآن إلى أحلام يقظتنا Reveries وجدنا أننا كثيراً ما نشغل أنفسنا فيها بتبرير ذواتنا . ومن الواضح أن السبب في ذلك هو أننا لا نستطيع أن نحتمل الشعور بأننا مخطئون على الرغم من أن الأدلة كلها قائمة على ضعفنا وكثرة أخطائنا . وتبعاً لذلك فإننا نضيع وقتاً كبيراً في البحث عن ظروف خارجية نرجع اليها أخطاءنا مثل سوء الحظ وانعدام التوفيق وعدم مواتاة الظروف لنا ، ونجتهد في أن نُسقط على الآخرين (وكثيراً ما يكون ذلك بمهارة فائقة) أسباب سقوطنا وخيبتنا . فالتبرير الجدلي إذن هو عبارة عن تبرئة النفس حينما يتهمنا الناس (أو يتهمون جماعتنا) بالخطأ أو سوء الفهم .

وليس من شك في أن حبنا لذواتنا ، إنما هو العامل الخفي الذي يكمن من وراء كل تبرير جدلي . فهذا الضمير الذي نعبر عنه بحرف الياء (ى) هو في الحقيقة جوهر الحياة الإنسانية ؛ هو حرف صغير لا يضيره أن تلحقه بأي لفظ كائناً ما كان ، لأنه لا يفقد قيمته على أي حال ، يستوي في ذلك أن تقول بيتي ، عقيدتي ، بلادي ، إلهي ... إلخ . فنحن لا نغضب فقط حينما يخبرنا أحد بأن ساعتنا غير مضبوطة ، أو أن سيارتنا ليست جيدة ، وإنما نغضب أيضاً إذا قال لنا أحد إن نطقنا لاسم « ابكتاتوس » غير صحيح ، أو إن رأينا عن تاريخ سارجون الأول بعيد عن الصواب .

وهذا الشعور نفسه كثيراً ما نجده عند الفلاسفة والعلماء أنفسهم إذا كانوا بصدد مسألة يدخل فيها حبهم لذواتهم amour propre فإن كثيرا من المؤلفات الجدلية ، لم تكتب إلا لمواجهة خصومة أدبية — وعلى الرغم من أن بعض هذه المؤلفات قد ينطوي على استدلالات تبدو سليمة لا غبار عليها ، فإنه من المحتمل أن تكون هذه الاستدلالات مجرد تبريرات جدلية ترجع في نهاية الأمر إلى بواعث نفسية . وإذن فإن من الممكن أن يُكتب تاريخ الفلسفة واللاهوت في عبارات الكبرياء المجروحة ، والخصومات المذهبية ، وضروب العداء المستحكمة بين الطوائف ويكون على هذه الصورة أصدق تعبيرا مما لو كُتِب على الطريقة المألوفة . وإننا لنعرف أن ملتون قد كتب مبحثه عن الطلاق نتيجة للمتاعب الكثيرة التي لاقاها بعد زواجه من تلك الفتاة التي كانت تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً . وكذلك نعرف أيضاً أنه لم يكتب كتابه المشهور المعروف باسم : Areopagitica إلا حينما اتهم بأنه رائد مذهب جديد هو مذهب المُطلِّقين ؛ فكتب كتابه هذا لكي يثبت أن من حقه أن يقول ما يعتقد أنه الصواب ؛ وبالتالي لكي يثبت حرية الصحافة والتأليف في إعلان الحق .

واليوم ، تتردد لدى بعض الكتاب والمفكرين فكرة مؤداها أنه من المحتمل أن تكون كل معارفنا التي حصلناها ، في علم الاجتماع ، أو في الاقتصاد السياسي ، أو في الأخلاق ، إبان الأجيال الماضية ، مجرد تبريرات عقلية قد يطرحها الجيل المقبل . وقد وصل المفكر الأمريكي جون ديوي بالفعل إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بالفلسفة ؛ واستطاع فبلن Veplen وغيره من المؤلفين أن يكشفوا عما في الاقتصاد السياسي التقليدي من آراء مبتسرة وافتراضات غير مدركة . واليوم يأتي عالم اجتماعي ايطالي يدعى « ڤلفريدو باريتو » Vilfrido في كتاب ضخم له عن الاجتماع العام ، فيكرس مئات الصفحات ، لكي يثبت هذه القضية العامة فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية جميعا . وهذه النتيجة التي توصل إليها ، قد تعتبر في نظر الأجيال المقبلة إحدى المكتشفات العظمى لعصرنا الحديث . وليس بدعاً أن يكون ذلك كذلك ، فإن الحقيقة أنه كما كانت علوم الطبيعة المختلفة قبل بداية القرن السابع عشر مجرد ضروب مختلفة من التبريرات العقلية Rationalizations التي تتفق مع المعتقدات الدينية السائدة ، فكذلك العلوم الاجتماعية أيضا قد بقيت — حتى إلى يومنا هذا — مجرد تبريرات عقلية تتفق مع العوائد والعقائد المتقبلة بغير نقد أو تمحيص .

* * *

من هذا كله يظهر لنا أنه إذا كنا بصدد فكرة قديمة يسلم بها الناس أجمعون ، فإن هذا لا يمكن أن ينهض دليلا على صحة هذه الفكرة ، بل هو — على العكس من ذلك — أدنى إلى أن يكون دليلا على أنه من الواجب أن نفحص هذه الفكرة بعناية ، على أنها مثال محتمل للتبرير الجدلي .

زكريا ابراهيم
مدرس بمدرسة السويس الثانوية
« مصر الجديدة »

التعليم ووحدة الأمة

— ٥ —

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

يسرنا أن نشهد في هذه الأيام شيئاً من الاهتمام بمسائل التعليم وإصلاحه فقد رأينا نقاشاً يتردد بين بعض رجال التعليم فى الجرائد والصحف الأسبوعية مما يدل على هذا الاهتمام وعلى أن وزارة المعارف ترحب بالآراء الجديدة التي تتناول المشاكل التعليمية وتعمل لإنماء روح البحث والاجتهاد فى هذا الموضوع الجليل الشأن . غير أنى أرجو أن يتحول البحث إلى المسائل التى فى الصميم والتى تتغلغل فى روح المدرسة وروح النهضة التعليمية التى تنشدها البلاد .

فالبحث الذى دار فيه النقاش والجدل أخيراً كان خاصاً بزيادة مرحلة وسطى بين مرحلتى التعليم العام . والتعليم العام سواء اشتمل على مرحلتين أو ثلاث مراحل هو فى حاجة ماسة إلى إصلاح أهم وأعم لايتناول مراحله فحسب ، بل يتناول نظمه ويتناول روحه حتى نحصل منه على الثمار المرجوة . ولقد تناول صديقنا الأستاذ فريد أبو حديد إحدى مسائله الهامة فى العدد ٣٣٣ من الثقافة . تناول مسألة المعلم فطالب وزارة المعارف إذا شاءت أن تعد البلاد للمستقبل الذى تنشده أمم العالم جميعاً أن تتجه اتجاهاً جدياً إلى المعلم ، وطالب الدولة كلها بأن تعين وزارة المعارف على ذلك وأن تحلها من كل قيد وأن تبذل لها من عنايتها ما يمكنها من أن تجعل المعلم روحاً حياً يبعث الحركة فى ناشئة البلاد . وهذا مطلب لا نشك فى أهميته ولا فى عدالته ولا فى ضرورته للنهضة التعليمية . ولقد سبق أن طالبنا الأمة به فى مواقف كثيرة ، وسبق أن أوضحنا ما للمعلم من أثر فعال فى تكوين أبنائه وفى بناء نهضة هـذه البلاد ، وأنه هو العامل الحى الذى يبث الحياة فى النشء ويبصرهم بأمور الدنيا ويفتح عيونهم على ما يجرى حولهم فى الحياة . وهو القدوة الحية أمامهم يحاكونه فى أعمالهم ويتخذونه مثلا أعلى لهم ويقلدونه فى حركاتهم وسكناتهم ويلجأون إليه فى معضلاتهم . وإذا كنا نشكو اليوم ما فى المدرسة من جمود وخمود وما فى تلاميذها من استهتار وقلة تبصر وعدم اهتمام بمسائل الحياة وعـدم إقدام خريجيها على العمل الحر المنتج فإنما يرجع الـكثير من ذلك إلى خمود روح المعلم وجموده ، وإلى سيره فى حياته التعليمية على طريقة أوتوماتيكية خالية من البحث والتفكير والابتكار . وله العـذر فى ذلك لأن الحالة القائمة بين جدران المدارس وفى تقدير كفايات المدرسين وأعمالهم لا تشجع مع الأسف على شىء من ذلك . فمعلم اليوم مكبل بقيود ونظم وتقاليد لا تسمح له بالتفكير فى مستقبل تلاميذه إلا فى دائرة محدودة جداً هى دائرة المنهج المقرر وعدم الخروج عنه لأى سبب من الأسباب ، والعمل على إنهاء دراسته فى المدة المحددة له حتى يستطيع طلابه اجتياز الامتحان . وهـذا هو كل ما هو مسئول عنـه . فهو بذلك معذور حقاً إذا لم يحاول أى عمل أكثر من إلقائه الدرس الملىء بالمعلومات التى لا تمت إلى الحياة بصلة فى الغالب مكررا على أسماع تلاميذه برغم أنوفهم تلك المعلومات التى لا تثير ميولهم ولا غرائزهم ولا تثير فيهم ميلا إلى البحث والتفكير؛ لأن ما ذكره فى الأعوام الماضية يجىء فيكرره فى عامه الحـاضر دون تنويع أو تحوير ما دامت الطريقة التى اتبعها من قبـل قد أرضت المفتش والناظر وأدت إلى نجاح معظم تلاميذه فى الامتحان . هو معذور إذا لم يعمل عملا ما لتحسين حال تلاميذه من الوجهتين الصحية والخلقية لأن المدرسة لا يعنيها ذلك . وهو معذور إذا لم يحاول أن يعرف تلاميذه شيئاً عن الحياة وما يحيط بهم منها وما يتعلق بها داخل المدرسة وخارجها ، لأنه إن فعل ذلك أجهد نفسه فيما لايقدره أحد ولايشجعه أحد ؛ ويجد نفسه قد أضاع جزءا من الوقت الثمين المخصص لإنهاء المنهج الذى لا يقدر رؤساؤه غيره ، فلابد له من ملء الأدمغة وحشوها بكل ما جاء فيه مهما كان نوعه ومهما كانت قيمته بالنسبة إلى ميول التلاميذ . وما عليه من بأس مادام قد خلق المنهج فى أدمغة التلاميذ سواء أعرفوا شيئا عن الحياة بعد ذلك أم لم يعرفوا . ثم هو معذور إذا لم يعرف شيئاً عما يجرى فى مختلف البـلاد المتحضرة من آراء حديثة وأفكار جديدة فى التربية والتعليم لأنه لايتابع قراءة شىء عن ذلك . ولعل أكثر من تسعين فى المائة من المعلمين لم يقرأوا شيئا من مقالاتى هذه لما

يستشعرونه من رؤسائهم من عدم اهتمام أو عدم تقدير لكل تفكير جديد. ثم نحن محاطون بكثير من المدارس الأجنبية المنتشرة فى البلاد التى تتبع طرقا فى التعليم غير طريقتنا. فمن يا ترى من رجالنا فكر فى الاتصال بها ومعرفة شىء مما يجرى بين جدرانها! فالمعلم المسكين لا يفتح عينيه إلا على تلاميذه ومنهجه ودرسه! ثم هو معذور إذا لم يتعاون مع زملائه التعاون الضرورى لرفع مستوى التعليم فى معهده وتكوين الجماعات التعاونية بين طلابه؛ لأنه مشغول بنفسه وبالدفاع عن قضية عيشه فى أوساط تكلفه أكثر مما يطيق وتغمط حقه فى الحياة ولا تقدر مسئولياته فيها؛ ولأنه مشغول بالكر والفر بين زملاء يتنافر الكثيرون منهم معه فى الثقافة والتكوين ولا يتفقون معه فى الآراء ولا ينسجمون معه فى العاطفة والروح بطبيعة اختلاف ثقافاتهم باختلاف المعاهد التى نشأوا فيها.

لذلك نكلف المعلم شططا إذا نحن طالبناه بالخروج عن جوده إلى العمل الجدى والنهوض بتلاميذه وبمدرسته، لأنه مقيد بقيود تقف حجر عثرة فى سبيله بعضها يرجع إلى البيئة المحيطة به وبعضها يرجع إلى التصرفات التى تجرى فى محيطه التعليمى. فهو غالبا لم يدخل مهنة التعليم لحبه لها وشغفه بها كما يدخل غيره فى باقى المهن. ومعنى ذلك أنه مسوق إلى العمل فى مهنته برغم ميوله وإرادته. ولقد أثبت صحة هذا الرأى من زمن بعيد الخبير الفنى المسيو كلاپاريد فى تقريره عن حالة التعليم فى مصر تحت عنوان «النزعة البيداجوجية» إذ لاحظ أنه من بين الـ ٦٩ طالبا بمدرسة المعلمين العليا الذين وجهت إليهم أسئلة عن سبب اختيارهم لمهنة التعليم لم يختر منهم هذه المهنة بدافع الميل غير ٣١ طالبا أى أقل من النصف؛ وأن كثيرين منهم التحقوا بهذا المعهد لأن معاهد أخرى رفضت قبولهم. ومعنى ذلك أن عدداً ليس بالقليل من المشتغلين فعلا بالمهنة البيداجوجية لا تتوفر فيهم النزعة الغريزية اليها. فاذا كانت هذه هى الحالة فى مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٩ قبل إلغائها فإن الحالة لا زالت هى هى فى معهد التربية الذى أنشىء على انقاضها وفى دار العلوم وفى معاهد المعلمين والمعلمات التى امتلأت بالفتيان والفتيات لا رغبة فى مهنة التعليم وحبا فيها بل رغبة فى كسب العيش عن طريقها. ولذلك فإنا لا نجد فى خريجى هذه المعاهد من القائمين بأمر التعليم الآن إلا أناساً مسوقين بحكم وظائفهم مجبرين على العمل الذين يقومون به لا محبين فيه. ويزيد نفورهم من المهنة ما يقاسون فيها من عناء وكد واجحاف بالحقوق بالنسبة لأقرانهم وزملائهم فى المهن الأخرى. وما يقاسون فيها من تنافس وتنافر غير مشروع بينهم يظهر من آن لآن بسبب النزعات والثقافات المختلفة. ولذلك فإنا مقتنعون بأن الحجر الأساسى فى بناء نهضة التعليم فى مصر ينحصر فى تشويق الشباب إلى المهنة وتحبيبهم فيها بما يجب أن يوجد فيها من مغريات ومشجعات لا أثر لها فيها اليوم، كما ينحصر فى العمل الجدى على توحيد ثقافات المعلمين بضم معاهدهم المتنافرة المتناحرة بعضها إلى بعض فى معهد واحد ليكون الجميع يدا واحدة متناصرين متعاونين متجهين جميعا الاتجاه الصحيح فى تفكيرهم وبحوثهم وعملهم فى سبيل وحدة الأمة المنشودة. وإنه لن يتم للبلاد ما ينادى به الزعيم الوطنى الكبير على ماهر باشا فى أن يتحد أبناؤها اتحاداً شاملا حرا وأن يكون هذا الاتحاد اتحادا فى القرية واتحادا فى الإقليم واتحادا فى عاصمة البلاد كما ذكر رفعته فى حديثه لمراسل جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٤٥؛ أقول لن تتم لنا تلك الوحدة العزيزة المنشودة إلا إذا وضعنا أساسها بين معاهد تخريج المعلمين من اليوم ليكون المعلمون على مر الزمان دعاة تلك الوحدة وأنصارها والقابضين على زمامها فى القرية والمدينة والعاصمة. ولتكون المدرسة نواة الإصلاح الحق فى بناء تلك الوحدة وتدعيمها كما هو الحال عند غيرنا من الأمم التى سبقتنا فى مضمار الحياة الحرة الكريمة. وإنا لنغتبط كل الاغتباط بما جاء فى سياق حديث رفعته المتمع من حماس للوحدة القومية إذ قال: «وما دام الحق واحدا لا يتعدد فالوحدة القومية التى فيها إنقاذ شرف الأمة يجب أن تكتسح كل من يقف فى سبيلها».

لهذا نأمل أن يعمل العاملون فى بناء هذه الوحدة فوراً على وضع أساسها وتدعيم جدرانها بتوحيد معاهد المعلمين وتوحيد ثقافاتهم حتى يبنى البناء الشامخ على أساس وطيد سليم لا تزعزعه العواصف بل لا تزيده إلا تماسكا وقوة وعزة ورفعة.

عبد الحميد فهمى مطر



٥ ـ الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزبل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الحركة في الفن

يوجد بمتحف اللوفر تمثالان لرودان يتنازعانني ويؤثران فيّ بوجه خاص، هما : « العصر الحديدى » « ويوحنا المعمدان » . ويخيل إلىّ أنهما أكثر حياة من غيرهما — إذا صح هذا التعبير . حقيقة أن كل تماثيل « رودان » الأخرى تنبض بالحياة ، وتتنفس ويُحس منها ما يحس من اللحم الحقيقى إلا أن هذين التمثالين يتحركان !

كاشفت رودان بولعى الخاص بهذين التمثالين ذات يوم وأنا جالس بمرسمه بميدون فما كان منه إلا أن أجابنى :

إنهما حقاً من تلك التماثيل التى أبرزت فيهما الفن التقليدى إلى أبعد حدوده ، مع أنى صنعت غيرهما كثيراً مما لا يقل عنهما حركة وحياة ، أذكر منها على سبيل المثال « رهائن كاليه » « وبلزاك » « والرجل الذى يمشى » . وحتى فى أشغالى التى لا يظهر عليها النشاط حرصت دائماً على أن أطبعها بطابع الحركة . لم أصنع قطعاً وادعة ساكنة إلا فيما ندر . ولقد حاولت دائماً أن أعبر عن الأحاسيس الداخلية بحركات العضلات . وهذا صحيح حتى فى تماثيلى النصفية التى أجعلها تميل أو تنحرف انحرافاً خاصاً أو تأخذ وضعاً معيناً يجعلها تنم عن خلجة من خلجات النفس .

لا يمكن الفن أن يعيش بغير حياة . فإذا ما أراد مثّال أن يعبر عن السرور أو الحزن مثلاً أو عن أية عاطفة كانت فإنه لا يستطيع تحريك مشاعرنا من غير أن يعلم بادئ ذى بدء كيف يبث الحياة فيما يسوى من الأجسام . وإلا فكيف يؤثر فينا السرور أو الحزن المرتسم على شىء جامد كقطعة من الصخر الأصم مثلاً ؟

ويمكننا الحصول على مخايل الحياة فى أعمالنا عن طريق التمثيل الجيد والحركة . هاتان الصفتان هما بمثابة الدم والروح لكل عمل جيد » . وهنا قلت له :

أيها المعلم ! لقد حدثتنى عن التمثيل فأصبحت قادراً على تذوق روائع الفن أكثر من ذى قبل ، فاسمح لى الآن أن أوجه إليك بعض أسئلة عن الحركة التى أراها لا تقل أهمية عنه . عندما أحدق فى تمثالك المسمى « العصر الحديدى » الذى ينهض ويملأ رئتيه هواء ويرفع ذراعيه عالياً ، أو فى تمثال « يوحنا المعمدان » الذى يخيل إلى الرائى أنه يهم بمغادرة قاعدته التى يقف عليها ويضرب فى أنحاء الأرض مبشراً برسالته بكلمات من الهدى ، يعرونى مزيج من الإعجاب والدهش . ويخيل إلىّ أن هناك سحراً فى ذلك الفن الذى يهب مادة الشَّبَه حركة . ولقد درست روائع أخرى لأسلافك العظماء أذكر منها تمثال المارشال (ناى) « Ney » والمارسليز ، وكلاهما من عمل (رود) « Rude » ثم الرقص من عمل (كاربو) « Carpcaux » وكذلك حيوانات (بارى) « Barye » الوحشية الكاسرة ، ولا يسعنى إلا الاعتراف بأنى ما وجدت إلى اليوم تفسيراً مقنعاً للتأثير العميق التى تحدثه تلك التماثيل فى نفسى . وما زلت أسائلها كيف يمكن أن تؤثر فينا كتل صماء من الحجارة أو الحديد ؟ وكيف تبدو بعض التماثيل كأنها تعمل ، بل وكأنها فى حركة عنيفة بينما هى فى الواقع ساكنة لا حراك بها ؟ »

فأجابنى رودان : « أما وقد جعلتنى فى عداد السحرة فسأحاول جهدى أن أحمى سمعتى ، وذلك بأن أقوم بواجب هو أصعب بكثير من نفخ الحياة فى الشبه أو الحجر ، ألا وهو أن أشرح لك كيف يتسنى ذلك

لاحظ أولا أن الحركة هى الانتقال من وضع معين إلى وضع آخر . والحق يقال إن هذا التعريف الذى يكتنفه الصدق هو مفتاح السر . ولا ريب أنك قرأت فى أوفيد كيف استحالت (دافنى) « Daphne » إلى شجرة الغار ، و (برونى) Progne إلى عصفور السنونو . يرينا هذا الاديب الساحر أن الأولى اتخذت من قشور الأعواد ومن الأوراق غطاء بينما ادثرت الأخرى بالريش حتى لنستطيع أن نرى فى كل منهما المرأة التى استحالت والشجرة أو الطير التى سوف تنقلب إليهما . وأظنك تذكر أيضاً أن دانتى يصور لنا فى جحيمه حية تلتف حول جسد أحد اللاعين فتنقلب رجلا ، وينقلب الرجل بدوره حية تسعى . يصف لنا الشاعر العظيم هذا المنظر بجلاء تام وعبقرية فذة بحيث يستطيع المرء أن يتابع فى كل من هذين المخلوقين الصراع الدائم بين طبقتين تصطرعان لتسود إحداهما الأخرى .

وقصارى القول يمكن المصور أو المثال عثل هذا الضرب من التطور والتبدل أن يهب المخلوقات التي يبتكرها الحركة والحياة بأن يمثل التحول من وضع إلى آخر، ويظهر كيف يتصل الأول بالثاني ويمحى فيه بشكل غير محسوس ... ويجب أن نرى في عمله بعضاً مما وقع أو مما كان، ونستبين طرفا مما سيكون. ولأضرب مثلا يوضح لك الأمر أكثر من ذلك:

« لقد ذكرت منذ هنيهة تمثال المارشال ناي الذي صنعه رود فهل تستوعبه بوضوح؟ » فأجبته:

« نعم » إن البطل يشهر سيفه ويصيح في جنوده بأعلى صوته: إلى الأمام ».



تمثال المارشال ناي — (صنع المثال رود)

« تمام! حسن! عند ما تمر بهذا التمثال مرة أخرى تأمله بدقة أوفى فتلاحظ إذ ذاك أن رجلي التمثال واليد اليسرى التي تقبض على غمد الحسام ثبتت على الحالة التي كانت عليها عند ما استُل السيف من قرابه. أما الرجل اليسرى فقد انسحبت قليلا إلى الوراء لكي يسهل إمساك السيف باليد اليمنى التي استلته منذ هنيهة. وأما اليد اليسرى فثابتة في الهواء ممسكة بالغمد كأنها ما زالت تقدم الغمد.

ولندرس الجسم الآن؛ كان يجب أن يكون مائلا قليلا إلى اليسار في اللحظة التي أتى فيها بالحركة التي وصفت آنفاً. ولكنه هنا منتصب، والصدر بارز إلى الأمام، والرأس يدور نحو الجنود وقد دوى منه الأمر بالهجوم. وأخيرا ترى الذراع اليمنى مرتفعة وقد شرعت الحسام. فها أنت ترى في كل ذلك إثباتا لما قلته لك آنفاً. فما الحركة في هذا التمثال إلا تغيير من وضع أولي — هو الذي كان عليه المارشال عند ما استل سيفه — إلى وضع ثانوي هو عند ما رفع ذراعه وشرع في الاندفاع صوب العدو ... وفي هذا كل السر في الحركة كما يفسرها الفن. فعلى المثال إذا أن يلزم المشاهد بتتبع تطورات حركة ما في فرد معين. ونرى في المثل الذي استشهدنا به أن العينين تلتزمان التنقل من الأطراف السفلى إلى العليا حتى الذراع المرفوعة، فتريان أثناء ذلك التنقل أجزاء الجسم ممثلة في فترات متتابعة رتتوهمان بأن الحركة تمت ».

وقد اتفق وجود صبيبتين (١) لتمثالي « العصر الحديدي » « ويوحنا المعمدان » في البهو الكبير حيث كنا، فسألني رودان أن أنظر إليهما ففعلت، وأدركت صدق قوله للتو واللحظة. لاحظت في التمثال الأول أن الحركة تصاعدية كما في تمثال ناي. فالشاب غير كامل النهضة، فساقاه متخاذلتان، تميدان من تحته، فاذا ما صعدت عيناك فيه قليلا وجدت الوقفة أصلب، والأضالع بارزة من تحت الجلد، والصدر يتمدد وينهد، والوجه يواجه السماء، والذراعين ممدودتين كمن يحاول أن ينضي عنه خموله. أما موضوع هذا التمثال فيلخص في التخلص من حالة الركود والخمود إلى حالة النشاط في الإنسان الذي يتحفز للعمل.

وفضلا عن ذلك فإن تلك الحركة البطيئة التي تدل على الاستيقاظ والنهوض لتظهر أروع مما هي عليه عندما يدرك المرء مغزاها. فهي تمثل — كما يدل على ذلك اسم القطعة — أول خفقة من الإدراك والتمييز في إنسانية لا زالت في مدارجها الأولى وأول

(١) اخترت كلمة صبيبة للفظة الانجليزية Cast وهي ما يصب في قالب على نحو السبيكة للمعدن المذوب الذي يفرغ في قالب.

انتصار للعقل على وحشية العصور السابقة للتاريخ .


تمثال يوحنا المعمدان — (صنع رودان)

ثم درست بعد ذلك تمثال يوحنا المعمدان على الوتيرة السابقة ، فرأيت أن انسجام هذا الجسم أدى إلى تطور من حالة إلى حالة أخرى كما قال رودان . فأولا يتكئ الجسم بكل ثقله على القدم اليسرى التي تضغط على الأرض بكل قوتها . ويبدو كأنه يتذبذب في ذلك الوضع هنيهة بينما تنظر العينان صوب اليمين . وبعد ذلك ترى الجسم كله يتجه في هذا الاتجاه ثم تخطو الرجل اليمنى وترتكز قدمها على الأرض . وفي تلك اللحظة يظهر الكتف الأيسر المرتفع كما لو كان يلقى بثقل الجسم إلى هذا الوضع الجديد كيما يعين القدم اليسرى الخلفية على الخطو إلى الأمام . والآن ، لم يخرج علم الفنان عن أنه يضع تلك الحقائق نصب عين الرائي على النحو الذي ذكرته حتى يكون من تعاقبها وتتابعها ما يشعر بالحركة .

وفضلا عن هذا أيضاً فإن لحركة « يوحنا المعمدان » دلالة روحية كتلك التي لتمثال « العصر الحديدي » . فالنبي يتحرك حركة آلية كلها جلال ووقار حتى لتتوهم أنك تسمع وقع أقدامه مثلما تتوهم ذلك عند ما تشاهد تمثال « القائد » تحس منه كأن قوة خفية كامنة تهيمن عليه وتسيره . وعلى هذا نرى أنه بينما تبدو لنا حركة المشي عادية صرفة نراها هنا جليلة لأنها في سبيل رسالة مقدسة . وهنا سألني رودان فجأة :

— « هل سبق لك أن عاينت بإمعان صورا فوتوغرافيه لأشخاص تمشي ؟ » . ولما أجبته بالإيجاب قال « حسن . ماذا لاحظت عليها . »

— « لاحظت أنها ثابتة في أماكنها لا تتقدم ، وتبدو على العموم كأنها ترتكز على ساق واحدة ، في غير ما حراك ، أو أنها تحجل على قدم واحدة » .

— تمام ! ولأضرب لك الآن مثلاً تمثالي (يوحنا المعمدان) ، الذي ترى قدميه مرتكزتين على الأرض . فإذا ما أخذت صورة فوتوغرافية لمثال حي يمشي مشيته فلربما ظهرت قدمه الخلفية مرتفعة تلاحق القدم الأخرى ؛ أو على النقيض من ذلك قد لا تكون القدم الأمامية على الأرض إذا ما شغلت الرجل الخلفية في الصورة الفوتوغرافيه نفس الوضع الذي تشغله من التمثال .

ولهذا السبب عينه قد يبدو مظهر هذا المثال الفوتوغرافي غريبا كما لو كان رجلا فاجأه الفالج وتحجر في موضعه ، كما وقع في القصة الخرافية البديعة لخدام « الجمال النائم » الذين مسخوا وسمروا في مكانهم على حالهم التي كانوا عليها . وهذا أيضا يدعم ما شرحته لك من هنيهة بخصوص الحركة في الفن . وفي الواقع أنه إذا ظهرت الأشخاص في الصور الفوتوغرافية كأنها مثبتة في الهواء مع أنها أخذت وهي في حالة الحركة فما ذلك الا لأن جميع أجزائها صورت في فترة زمنية واحدة هي جزء من عشرين أو أربعين من الثانية فلا يوجد في هذه الحال تدرج في الحركة كما هو الحال في الفن » .

فقلت :

— « انى أفهمك تمام الفهم يا أستاذ : ولكن أرجو أن تسمح لي بأن أقرر أنك تناقض نفسك » .

— « وكيف ذلك ؟ »

— « ألم تصرح لي أكثر من مرة بأنه يجب على الفنان أن ينسخ الطبيعة بكل اخلاص ؟ »

— « لا ريب في ذلك . ولا أزال أتمسك به . »

— « حسن! إذن إنه عند ما يفسر الحركة فيناقض بتفسيره الآلة الفوتوغرافية تمام المناقضة — والفوتوغرافيه دليل آلي دامغ لا يرقى إليه الشك — فانه بذلك يغير من الحقائق . »

— « كلا . ان الفنان هو الصادق ، والآلة الفوتوغرافية هي الكاذبة ؛ لأن الزمن لا يقف كما هو ثابت مقرر . وإذا نجح الفنان في اظهار تعبير حركة تستغرق عدة لحظات حتى تتم فان عمله يكون بلا ريب أقل تكلفا من الطيف العلمي « الفوتوغرافية » حيث اقتضب فيه الوقت اقتضاباً مفاجئا .

(له بقية) دكتور محمد بهجت

فرنسا الجريحة

[بمناسبة الحوادث الأخيرة فى القطرين الشقيقين سوريا ولبنان].

للأستاذ ادوار حنا سعد

فرنسا الجريحـــة لا تجرحى فإن شقاءك لم يبرح
وإن كان فيك دماء نعيف فسوى خرابك أو أصلحى
عجيب لعمرى بطش الجريح ببيتِ الموالين والنُصَّح
فنبكى ونضحك من حمقه ونرثى له ساحة المــذبح !

جناحك فى الغرب ملقًى به ونابك فى الشرق ... فى قلبه
فرزت إليــه من الفـاتحين فهل كان غوثك من ذنبه ؟
فيا للطريدة قــد ضمها كريمٌ تخفَّت إلى حربه
لئن كنتِ أخطأتِ فى بغضنا لقد أخطأ الشرق فى حبه

أهذى بواكيرُ عهد السلامْ جيوش تساق وشعب يضامْ
فيا سوأةً للعهودِ العِذابِ ويا ضِلةَ للأمانى الضخـام
وهل حُمِّلَ العالمُ المستثارُ سنين اللظى والدما والظلام ..
... لمستهترين بحق الشعوبِ ومؤتمرٍ غارق فى الكلام ؟

وأين التساوى وأين الإخاء ؟ رياء ... تنصل منــه الرياء
تراث الجــدود فهل صنته وقد خطه دمعهم والدماء
ولو تنطق اليـــوم أشلاؤهم لثارت على مشبهى الأقوياء
هويتِ بمجــدٍ ولوثته ومنبعه من كروم السماء

ثرى الحرب

للأستاذ محمد برهام

أراه فأذكر الحظ السعيدا وأطرق إذ أرى حظى بليدا
لقــد فهم الحياة فجد حتى أقام لنفسه ملكا وطيــدا
إذا عبست له الأقدار (بيضا) فقد ضحكت له الأقدار (سودا)
ثرىّ الحرب إن الناس حرب عليـك لجمعك المال العديدا
وأوليك المــديح ولا أبالى إذا ما صرت فى مدحى فريدا
وجود ضاع لا خـــير فيه فما أحراك أن تنسى الوجودا
أليس المرء فى دنيـــاه مالا يقاس به هبوطاً أو صعودا
تحـــدث بالثراء ولو كذابا تجدك غدوت إنساناً مجيدا
وقالوا جاهل قلنـا سيغدو على الأيام أبلغنا قصيــدا
وقالوا مجـــده مجد طريف فقلت المجد لم يخلق تليدا
صفات سوف تنساها الليالى وثروته تخــلده خلودا
لعمرك كم نمجـــد أثرياء فنطريهم ونلبسهم عقودا
وكانوا لا تسلنى كيف كانوا وخلى المـال صيتهم بعيدا
إذا فتشت عن أسباب مجد فلا تنسَ الدراهم والنقودا
لماذا لا أكون ثرىّ حرب فألبس خاتماً وأزين جيداً
وقل ما شئت فى ذمى فعندى سواء أن تذم وأن تشيدا
أينبل شاعر قـــد وظفوه فلاقى فى وظيفته الجحودا
بلا حول ، فإن طلب الترقى أقاموا دونه (كَدْرًا) حديدا
منيع ، تتبع النظرات فيـه فتلقى كل أحرفه قيـــودا
نظل سنين نحسب — كى نعلَّى (جنيهاً) وا تفاهة ما أريدا
علاوات كدود البطن تردى فسموها (الوحيدة) والوحيدا
إلـهى طال للعـدل انتظارى ولا أمـل لدى أرى الفقيدا
فمن ذا يشترى علمى وشعرى ويبـدلنى بهم جهلا مفيدا
هنيئا يا ثرى الحرب مال ضمنت بجمعه العيش الرغيدا
فعش من نور جهلك فى رخاء ودع لى الفقر والخلق الحميدا

أشـــواق ...

للشاعر مصطفى عبد الرحمن

أيها الناعم فى ملك الكرى بين أحلام الأمانى الباسمات
من على بالك يهفو يا ترى عندما تذكر ما مر وفات
لا رأت عيناك يوماً ما أرى وأقاسى من لهيب الذكريات

حينما يعرضها المـاضى لعينى
صوراً تجلو الذى أفلت منى
من ليال بهوانا راقصات



تقدير فخم لكتاب قيم

أرسل إلينا الأستاذ نزار الحلى من كربلاء كتاباً يقول فيه :

« أهدى السيد محمد حسن آل ضياء الدين سادن الروضة العباسية بكربلاء هدية نفيسة إلى الأستاذ عباس محمود العقاد تتألف من مصحف أثرى ، وسجادة فاخرة ، وقطعة من الذهب المقصب تمثل ضريح الحسين عليه السلام ، وذلك بمناسبة تأليفه كتابه (أبو الشهداء) واعترافاً بإجادته فى هذا الموضوع . وتقدر هذه الهدية بألف جنيه علاوة على قيمتها الأثرية .

حمل الصبح إلى الكون نشيدى   رائع اللحن شجى النغمات
كالمنى تخفق كالحلم السعيد   كرضانا كابتسام الزهرات
بيد أنى لا أبالى بالوجود   ذاع لحنى فيه أم ضاع ومات

إن يكن قلبك لا يسمع لحنى
فلمن يا فتنة الروح أغنى
للهوى لحن الليالى الخالدات

آه لو تسمعنى أشكو الجوى   يا حبيبى . . . آه لو تسمعنى
وترى القلب ونيران الهوى   ولظاها بات يرعى بدنى
لترفقت وحطمت النوى   وانطوى سهدى وولى حزنى

أين أحلام شبابى ، أين منى
أمسيات من فتون وتمنى
وعيون الدهر عنا غافلات

يا حبيبى أيقظ الماضى شجونى   حينما طافت رؤاه فى خيالى
وتلفت بعينى ليقينى   فإذا الحاضر كالليل حيالى
وإذا بى قد خلت منك يمينى   وانطوى ما كان من صفو الليالى

طال بى شوق لأيام التغنى
وليال هن بعضى غاب عنى
هاتها لى يا حبيب الروح هات

ولقد أرسل الأستاذ المهدى إليه رسالة رقيقة إلى السيد المهدى نرسل إليكم صورتها لتنشروها فى مجلتكم الغراء ، وهذا نصها بعد الديباجة :

« تحيات الإجلال إلى مقام السيد الكريم ، وقد تلقيت هديته الفاخرة فتلقيت كنزاً ثميناً بكل معنى من معانيها ، وكل إشارة من إشاراتها ، وهى كثيرة المعانى والإشارات

وحسبى منها أنها عنوان الرضوان من أمثالكم ذوى الفضل والعلم ، ورضوانهم مفخرة لكل من يحمل القلم فى خدمة الحق والمعرفة ، وأنها قداسة تقترن بوحى الله وتزدان باسمه جل وعلا وأسماء نبيه الكريم وصفوة آله الأبرار وأنها مع هذا وذاك آية رائعة من آيات الصنع المونق المعجب والفن المحكم الجميل ، ولست أوفيها الشكر عن بعض هذه المعانى فكيف أوفيها الشكر عليهن مجتمعات ؟

غاية رجائى أننى استحققتها من كرمكم بكتابى عن (أبى الشهداء) فعسى أن أوفيها شكرها بالمضى فى هذا النهج القويم والمثابرة على خدمة الفضيلة والإيمان . ولعلى أسعد بفرصة يشكركم فيها اللسان مع هذا الشكر القاصر من اليراع .

ولكم منى أسنى التحية والسلام والإجلال »

المخلص

عباس محمود العقاد

من مستشار أديب إلى مؤلف أديب

عزيزى الأستاذ الكبير كامل كيلانى بك

إنى — منذ تفضلت فأهديت إلى تحفتيك الأخيرتين — أتفيأ ظلال حديقة أبى العلاء ، أنعم بوارف هذا الظل وأمتع ناظرى بجمال تنسيقها ووشى أزهارها وأجتنى ثمارها وأتذوق عذب نميرها ، وأهنأ برسالة الهناء ، وما حوت من طريف اللغة ودقيق المعانى وما كشفت من نواحى الحياة الوضاءة حيناً والمظلمة أحياناً ، وأعجب من هذه القدرة التى حباك الله بها فيسرت العسير ، وذللت الصعب الممتنع ، وسقت لنا فلسفة أبى العلاء وأدب أبى العلاء وخيال أبى العلاء الشعرى الرائع فى أسلوب جزل حلو جذاب وثاب ينفذ إلى القلوب فيهز مشاعر النفس وجوانب الحس . وقد عقدت

الموازنة الطريفة بين حديقة أبى العلاء كما نسقها بنانك ورواها بيانك ، وبين غابة أبى العلاء بوحشيتها المحببة وروعتها الموطأة .

فلك منى الشكر على كريم هديتك ، والتهنئة على عظيم توفيقك . ولا عجب فماضيك فى الأدب يحمل أكبر الدلالة على حاضر موفق ومستقبل أكثر توفيقاً بإذن الله . فالله يكافئك على ما قدمته للعربية من روائع أدب تضيف إلى كنوزها كنوزاً وتحمل رسالة السلف إلى الخلف فى يسر وجمال وإغراء .

والله يجزيك جزاء العاملين الصالحين .

المخلص

محمد العشماوى

المستشار الملكى

ادارة للأدب فى فرنسا

أنشئت فى العهد الأخير فى وزارة المعارف العمومية الفرنسية إدارة للأدب عهد إليها بالإشراف على كل ما يختص بالدفاع عن الأدب الفرنسى والكتاب الفرنسيين الماضين والحاضرين والذين يظهرون فى المستقبل وإبرازها .

وستقدم هذه الإدارة المساعدات التالية لطبع المؤلفات العلمية التى يضعها كبار الكتاب العصريين ، أو تقديم أداة العمل كالمعجم . وستعنى أيضاً بإصدار الكتب الفرنسية إلى الخارج . وقد شرعت فى وضع مرشد فرنسا الأدبى ليستعين به الأجانب .

وستحقق هذه الإدارة أمنية جورج دوهاميل بإنشاء « صندوق وطنى للأدب » بحيث يمكن توزيع المساعدات اللازمة للعمل فتذهب عن كل من يمنحونها المشاغل المادية مدة عام أو عامين . وستكون هذه المساعدات شبيهة بجائزة روما للرسامين والموسيقيين والحفارين ، ويمكن أن تمنح للشبان من الشعراء والروائيين والفلاسفة والمؤرخين وغيرهم .

وستتولى إدارة الأدب صيانة عقيدة الكتاب ، وحماية منازل الكتاب المتوفين من الإهمال أو التدمير .

وستعنى بتنفيذ بعض المشروعات مثل متحف الأدب الذى يمثل منظراً واسع النطاق لنشاط الإنسان ، أو لحركة عهد من العهود ، أو تطور حركة من حركات الأدب ، فيمثل للجمهور مثلا أدب النهضة أو أدب بارناس أو الأدب الروائى أو أدب بلزاك أو فيكتور هوجو .

وبالإجمال ستكون مهمة هذه الإدارة اختيار ما أخرجه الأدب الفرنسى مهما يكن مصدره واتجاهه وصيانته من العبث .

هيكل باشا مع المؤرخين

قرأت ما كتب فى « الرسالة » حول اسم كتاب الدكتور هيكل باشا (الفاروق عمر) فأرسلت بهذه الكلمة استدراكاً على ذلك !

قال المؤرخ الصفدى فى (الوافى بالوَفيَات) : قد عرفت العلم والكنية واللقب ، فسردها يكون على الترتيب : يقدم اللقب على الكنية ، والكنية على العلم ، ثم بالنسبة إلى البلد ، ثم إلى الأصل ، ثم إلى المذهب فى الفروع ، ثم إلى المذهب فى الاعتقاد ، ثم إلى العلم والصناعة . والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والإمرة والمشيخة والحج والحرفة كلها تقدم على الجميع ، فيقال فى الخليفة : أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامرى البغدادى الهاشمى القرشى العباسى الشافعى الأشعرى . ويقال فى أشياخ العلم العلامة أو الحافظ أو المسند — فيمن عمر وأكثر الرواية — أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه ، ويورد الباقى إلى أن يختم الجميع بالأصولى ، والمنطقى أو النحوى . انتهى . هذا مصطلح المؤرخين . وهيكل باشا منهم .

دمشق

احمد بسام الفرسى

تصحيح آية

جاء فى مقال الأستاذ النبكى أثناء نقده لكتاب التصوير الفنى فى القرآن أن الله سبحانه وتعالى قال فى وصف سيدنا يوسف إنه كان من عبادنا المخلصين . ومع أن الأستاذ الناقد أخذ على المؤلف إهمال تحرير الآيات فانه وقع فى نفس المؤاخذة بأن زاد كلمة (كان) على كلام الله تعالى . فنرجو تصحيح ذلك .

عبد السلام النجار



التعليم فى رأى القابسى

للأستاذ محمد يوسف موسى

رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى ، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ٣٢٦ صفحة القطع الكبير .

ظن كثير من الناس أن نشر رسالة فى التربية لعالم من علماء الإسلام لا يقتضى من المجهود ما يستحق به صاحبه درجة دكتور فى الآداب ، حتى نشر الأستاذ الأهوانى هذه الرسالة وقرأها هؤلاء الذين كان رأيهم هذا الرأى ، فتبين لهم أنهم كانوا على أنفسهم مسرفين

ومن الحق أن قارىء هذه الرسالة القيمة يتبين له بوضوح مقدار ما عانى صاحبها الفاضل وما بذل من جهد ، وما كان له من آراء خاصة ونقد قوى لما يستحق النقد من آراء القابسى وغيره من المستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين .

***

جعل الأستاذ رسالته من قسمين : التعليم فى رأى القابسى وهو من علماء القرن الرابع ، ونص رسالة القابسى التى بين فيها أحوال المعلمين والمتعلمين .

بدأ أولا بعرض حياة القابسى وبيان منهجه فى رسالته ، وأن هذا المنهج كان منهج رجال الحديث الذين يعتدون بالآثار ويكرهون الابتداع ، كما كان واقعياً فيما عرض من آراء فى التعليم والتربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يكون مؤرخا أيضاً ؛ فيعنى فيما يبحث من مسائل — إذا اقتضى الأمر — بردها إلى أصولها التاريخية وتتبع تطورها إلى أن تبلغ زمانه (٤٦) .

ولم يفت الأستاذ أن يلحظ أن القابسى وإن كان واقعياً فى آرائه يعنى بتقرير الواقع ووصفه ، إلا أنه كان مثاليا فيما رأى من وجوب أن يكون تعليم الصبيان حتماً إلزامياً (٥٠ ، ٨٣) ، وبهذا سبق بقرون عديدة ما رأته الأمم فى هذه الأيام .

ثم عرض بعد هذا إلى الكلام عن الكتاتيب فى الإسلام ، وإلى البواعث التى جعلت أصحاب الحديث هم المشرفين على التعليم ، وإلى الغرض من التعليم فى رأى القابسى ومناقشته . وهنا نراه يقوم لذلك بعرض تاريخى عن التعليم فى فارس والشام ومصر قبل الإسلام أخذ منه الفصل الرابع كله والفصل الخامس أيضاً .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تحليل الرسالة وبيان ما وعت من مسائل عديدة عولجت بمقدرة وشجاعة وعمق جدير بالإعجاب ، ولكنه يجب علينا مع هذا أن نشير إلى أن الأستاذ الفاضل كان موفقاً وقوياً فى نقده للقابسى فى منهجه وفى بعض آرائه التى قررها وفى نقده لبعض الذين كتبوا فى التربية عند المسلمين من المستشرقين وغيرهم من المسلمين المعاصرين ، لقد كان موفقاً فى ذلك كله إلى أبعد حدود التوفيق .

١ — نقد القابسى فى منهجه الذى يقوم على تلمس الآثار وآراء السابقين ، بأن هذا لا يصلح فى التربية لما يدعو إليه من جمود وحجر على الرأى ، وبخاصة والأمر أمر يتصل أوثق اتصال بشئون الدنيا (ص ٣٣) .

٢ — نقده أيضاً فى أنه أهمل فى الآراء التى أنهى إليها نفسية الطفل ورعاية مراحل نموه ، كما أهمل العلوم الطبيعية والرياضة البدنية فلم يجعلها من العلوم الواجب أن يؤخذ بها الناشئة ، على أن الأستاذ كان منصفاً حين لاحظ أن هذه الآراء كانت أثر البيئة الاجتماعية فى عصر القابسى ، وأن العيب الأول كان عيب العصر كله فى الشرق والغرب (ص ١٥٧) .

٣ — وكذلك نقد بعض المستشرقين ومن أخذ إخذهم ؛ إذ لم يفرقوا فيما ذهبوا إليه من أغراض التربية عند المسلمين وآرائهم فيها بين المؤلفين الواقعيين كالقابسى والمثاليين كابن عبد البر والغزالى وإخوان الصفاء ، ومن ثم كان خطأ أولئك الكاتبين — ومنهم الدكتور خليل طوطح فى كتاب التربية عند العرب — فى اعتبارهم آراء هؤلاء المؤلفين آراء المسلمين جميعاً . ص ٢٠١ وما بعدها .

٣ — والأستاذ « كارادى فو » المستشرق الفرنسى المعروف ناله شواظ من نقد الأستاذ الأهوانى بحق ؛ فقد زعم فى كتابه « مذهب الإسلام » أن الشرق الإسلامى ليس فيه الذوق

الفطرى للتعليم ، وأن الإسلام لم يهتم بأمر الطفل ... فأكد لنا الأستاذ الأهوانى أن هذا المستشرق لو عرف رسالة القابسى لغير هذا الرأى الخاطىء ، فكيف بها وبغيرها من المؤلفات التى عنيت بالتربية والتعليم ! (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) . هذه الرسالة التى — كما جاء فى آخر القسم الأول من البحث — وضع بها القابسى مؤلفها أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر ، والتى فكر فيها فى التعليم الإلزامى وتعليم البنات .

وبعد فقد كنا نود الوقوف عند هذا ، ولكن نرجو أن يسمح لنا الدكتور الفاضل بأن نشير إلى أمرين :

(ا) استعمل في مواضع «أهل السنة» للدلالة على «أصحاب الحديث» (ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣) . والمعروف أن أهل السنة فى المقام الذى جاء ذكرهم فيه ، هم الأشاعرة والماتريدية الذين يقابلون المعتزلة ، لا أصحاب الحديث ، كما يتبين من ابن خلدون وطاش كبرى زاده وغيرهما من الذين عرضوا للكلام والمتكلمين

(ب) ذكر الأستاذ الفاضل (ص ٧٧) رأى الغزالى عن المعتزلة من أنهم رأوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم فهو كافر ... ومع أن هذا ، كما ذكر الأستاذ ، ورد فى فيصل التفرقة للغزالى ، إلا أنه كان الواجب فى رأيى أن يأتى الأستاذ بنص فى ذلك من كتب المعتزلة أنفسهم ، لا من خصم لهم ، ولكنا نعرف قول الخصوم بعضهم على بعض . وبخاصة والمعروف المشهور أن هذا التضييق على الناس فى وجوب معرفة الله من أدلة خاصة لها مقدمات خاصة هو رأى القاضى أبى بكر الباقلانى الذى ذهب إلى أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول ؛ حتى جاء إمام الحرمين الجُوَيْنى وأعرض عن هذا الرأى ، وقرر أن بطلان الدليل لا يؤدى إلا بطلال المدلول بحال .

هذا ، وليس هذا المأخذ أو ذاك مما يغض من قيمة هذه الرسالة القيمة التى عالج فيها صاحبها العالم الجليل مسائل التربية والتعليم — على تنوعها وتعددها — فى القديم والحديث بمقدرة يستحق التهنئة عليها وأسلوب واضح مبين ومنهاج مستقيم لا عوج فيه . وهذا كله وأكثر منه ننتظره من الدكتور الأهوانى الذى تخصص فى هذا الموضوع زمناً طويلا .

محمد يوسف موسى

مرايا النـــــاس (*)

للأستاذ حبيب الزحلاوى

السيدة وداد سكاكينى ، أديبة سورية ، وكاتبة من الطراز الأول بين جميع بنات جنسها ، وأقدر من عرفت من كاتبات العربية على الجمع بين حسن الديباجة ، وطلاوة الأسلوب ، وسلامة البيان ، واختيار الألفاظ ، وبراعة السبك ودقة التصوير خصوصاً فى الأمور الواقعية .

ما قرأت لهذه السيدة بحثاً من البحوث إلا أحسست بالجهد الذى أنفقته والعناية التى بذلتها فى صقل جملها لتكون على أجمل وأكمل ما يتراءى لها ، وعلى أحسن ما يمكن أن يكون وقعها فى نفس قارئها ، وهذه صفات قلما وجدنا لها نظيراً بعد المرحومة الآنسة « مىّ » بين كاتبات العربية فى هذا العصر . بل هى ميزة تمتاز بها على قريناتها خصوصاً فى معرفة مداخل الموضوعات والخلوص منها .

جمعت هذه السيدة الفاضلة ما كتبت فى مستهل حياتها من قصص فى كتاب أسمته « مرايا الناس » ؛ وأول ما يبدو لخاطر قارىء هذه المجموعة أن مؤلفتها كانت حبيسة دار الزوجية لا تسمع فيها — إن سمعت — سوى أحاديث الكتاب والأدب ، والكتّاب والأدباء ، ولا تخرج من دارها إلا لتذهب إلى المدرسة تعلم بعد أن تعلمت وأخذت منها كل ما يمكن أن تعطيه لفتاة مجتهدة مثلها ، وإذا جنحت عن المدرسة أو البيت — وقل ما نلاحظه فى هذه المجموعة أنها جنحت عنها — فتكون لزيارة صديقة قريبة أو زميلة . وقد ألمس الحقيقة إذا قلت إن حوادثها الخاصة وصورها الذاتية المرسومة فى كتاب « مرايا الناس » مستمدة من محيط ضيق كل الضيق لم يتخط بيت طفولتها ، ودور المدارس ، ومنزل الزوجية . والمؤلفة برغم هذه العقبات وأصعبها عقبات كأداء لسيدة متوثبة الذهن ، متحفزة لاقتحام ميدان الحياة واجتلاء أسرارها ، ألفتّ هذه المجموعة من القصص فجاءت ضيقة الحدود ، متعرجة الخطوط ، ناصلة الألوان ، غير واضحة المعالم ، وقد بدا شأنها فيها كشأن مقتحم الصحراء وهو غير مزود حتى بالبوصلة . وأزعم أن مجموعة قصصها الجديدة ،وقد كتبت ما كتبت منها تحت سماء مصر ، هذا القطر السعيد ،

(*) يقع فى ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر

الجياشة صدور أدبائه بالطموح إلى الخروج عن الطوق ، وإثبات الشخصية ، والسادرة أقلام نقاده في جنان من المديح والثناء المأجور ، أقول إنها ستعنى كثيراً بعرض موضوعها القصصي ومعالجته وتحليل شخصيات القصة ، وتسلسل الحوادث ، وبالعقدة والخاتمة ، وبالمحافظة على عنصري الصدق والتشويق ، وإلى خصائص مقررة لا محيد ألبتة عن التزامها في بناء القصة . أما مجموعتها هذه فهي غنية بالصور الوصفية ، وقد تكون قصة « شقيقة نفسي » من أغناها ، لأن بناءها قائم على رسم تطور حياة فتاة ، هي حياة المؤلفة الخاصة قالت :

« وقد مرت الأيام على « وئام » فألقت بها في لجة الحياة ، وكأنها كانت تقول لها : حاولي النجاة ... فلاحت لها الدنيا بوجهها ، ورأت فيها الحمامة الوديعة والحية الرقطاء . ثم فتحت كتاب الناس فراعها أن لم تجد فيه صفحة مما تعلمته في المدرسة ، وندمت على شباب نسجته بالمثل العليا ، فأخذت تتمرس بآفات المجتمع غير منطوية على يأس ، ولا متقنعة بمصانعة »

ثم تقول « وأسدل الستار على فصل من رواية عمرها ، فاذا هي في فصل جديد ، وإذا بها كل أنثى تنضو عنها فتوة جاهدة ، وتروز تبعات جديدة ، فتشيع قافلة من السنين تجاوز العشرين ، وينبثق حجاب الزمان عن سر الغد القريب ، فاذا بها تجلي في طلعة دنياها التي خلقت من أجلها كل أنثى » .

أحيي السيدة وداد تحية الولاء والصداقة ؛ وأرجو أن تحملني مجموعة قصصها التالية على الوقوف عند كل قصة وقفة النهم من موائد مترعة الكؤوس بخمرة الحياة .

شخصيات ومذاهب فلسفية*

من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

من طبيعة الأدب شعره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس في يسر ولين لا عنف ولا مشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها ، راضية عنه مقبلة عليه مستأنسة إليه .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رُزق الصبر عليها والأنس بها . وقلما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لا يقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها .

(*) للدكتور عثمان أمين مدرس الفلسفة بكلية الآداب — مطبعة الحلبي .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هذا النفور الذي يعانيه الجمهور من القراء . ولا أدري ماذا كانت حجتهم في الأبهام وعذرهم في التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة الغموض وهيبة الخفاء ؛ وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستئثار بالأستار ، أم جاءهم ذلك الغموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء « المجهول » « وما بعد الطبيعة » وما إليهما مما أبدىء الكلام فيه وأعيد ولا يزال المجهول مجهولا ؟

والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة — وخاصة عند المسلمين لا يفيد القارىء أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله — كالكلام في النفس ووحدتها وبقائها ؛ وكالكلام في الكون وهل هو حادث أم قديم ، وكالكلام في معرفة الله للجزئيات أو الكليات ، وكالكلام في البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون في هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أزاحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازي وهو لا يدري إلى أين ... وعبر عن ذلك بقوله في بيتين يعبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله ، وهما :

لعمري ما أدري وقد آذن البلى ... بعاجل ترحال إلى أين ترحالي
وأين محل الروح بعد خروجها ... من الهيكل المنحل والجسد البالي

ولقد أراح — والله — خطيب أياد وحكيمها «ابن ساعدة» نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محا ... لة حيث صار القوم صائر ...

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صوابا في القول حين قالت في تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلا أخرى ، فيعنوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمور التي يتجه إليها التفكير في كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم في أسلوب سائغ جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور علي عبد الواحد وافي قد هدف إليها في رسالته الجليلة « الأسرة والمجتمع » التي تعد بحق تحفة في المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون في سلسلة هذه الجمعية عن الحياة الأخلاقية ، والتشريع

والإصلاح الاجتماعى . وأمثال هذه الموضوعات التى تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء الغيبيات والمجهولات ...

ولكن الدكتور عثمان أمين — وهو شريك الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابة تصدير هذه السلسلة — ترك العناية بالشئون الإنسانية من أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سدَّ النقص فى القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار المفكرين) .

وما كان الأنبياء يا صديق فلاسفة ولا أحرار تفكير ولكنك لا تنكر الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام فى الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف فى الشئون الإنسانية — كما صنع الدكتور على عبد الواحد — يُعدُّ ركونا إلى أهون الحلين وأخف العبئين ...

إلا أننى لا أكتمك أننى وجدت فى كتابك لوناً من المتعة واللذة عرفتُه من قبل فى كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت فى أسلوبك الواضح السائغ أخذا بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية فى تصديركما لأول كتاب .

وما أنا بقائل هنا لك جديداً ؛ فقد كنت أقرؤك فى مجلة « المقتطف » من سنوات فأجد فيك من الوضوح ما صارحتك به من حين إلى حين . وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب فى سقراط ، وفى الثلاثة الفلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفى ديكارت وهيوم من الغربيين .

ولا أدرى يا أخى السر فى اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم مع كثرة ما كتب عنهم ونشر فيهم . فهلاَّ كتبت عن ابن زهر والرازى وابن بطلان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبَّداً وأنا ما عرفتك ألا تجتاز الصخور والوعور ؟ ؟

وهل بين الذين كتبت عنهم غرض يؤلف بينهم ، أو غرض اتفق لك فى الكتابة عنهم ؛ أم هى أشتات من الشخصيات لا يؤلف بينها غرض ولا يجمع بينها إلا كلمة الفلسفة ؟ ؟

ولا يزال (ميزانك) يا أخى فى تقديم الكتاب وحفظ النسب بين فصوله فيه كثير من السخاء فى موضع ، والشح فى موضع . فإن الفصل الذى كتبته عن آثار الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المسيحية واليهودية لا يشفى غليلا . فقد أوجزت فيه إلى حد لا تغفره لك عربيتك وإسلامك . ولا يغفره لك الإنصاف العلمى التاريخى . على الرغم من إعلانك أنك لا تنتحل الأسباب للاشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبته فى صفحتين ونصف صفحة على حين خصصتَ « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنتَ يا أخى منصفاً للعرب حين قلتَ فى هذا الفصل « ولعل أسبينوزا عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى ابن ميمون » . وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين فى كتابه : "The Story of Philosophy" (١)

ولقد ذكرت يا أخى أن « هيوم » نشر كتابه « رسالة فى الطبيعة البشرية » سنة ١٧٤٠ . وليس الحق كله معك فى هذا ... فإن « الطبيعة البشرية » ظهرت فى يناير سنة ١٧٣٩ . فى مجلدين ؛ أما الذى نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادىء الأخلاق .

وذكرت أن « هيوم » بعد رحلته فى فرنسا عاد إلى أدنبره فقضى فيها آخر سنى حياته . وهنا طفرة فى التاريخ لا أظنها خفيت على علمك . فقد عاد من فرنسا إلى أدنبره — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً فى وزارة الخارجية فقضى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر فى أدنبره سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولا له ! ! وأنا أعرفك يا أخى بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التى ترسل الابتسامة المرة لما تقع عليه من أمورنا ... ولكن سياسة ابن سينا يا أخى تستحق الأعجاب ولا تستحق مرير الابتسامات . وقد كتب عنها الأب بولس مسعد فصلا لطيفاً فى كتابه الصغير عن « ابن سينا الفيلسوف » (٣)

وبالرغم مما ذكرته لك فأن كتابك قد ترك فى نفسى الأثر الطيب الذى تتركه عندى آثارك . وقد نزل من مكتبتى المنزلةَ التى أنت أعرف الناس بها . فأهنئك على كتابك وأهنئك على جهدك فى الجمعية الفلسفية التى وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

---

(١) ص ١٦٢ طبعة Simon and Schustet نيويورك .
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة David Hnme
(٣) مطبعة الاتحاد على السور بيروت سنة ١٩٣٧

إدارة البلديات العامة — تنظيم

عدد أردب شعير	عدد حمل تبن	
١٤٠	٧٠	مجلس بيا البلدى
١٢٠	—	مجلس شبين القناطر البلدى
١٠٠	٥٠	لمجلس سمنود البلدى

تقبل العطاءات بالمجالس البلدية المبينة بعاليه حتى ظهر يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٤٥ عن توريد كميات الشعير والتبن الموضحة قرين كل منها ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ./. من قيمتها

٣٥٧٢

هتفت له الجماهير ...

... وتسابقت لمشاهدته

إنتصار للسينما المصرية

وفخر الأفلام الغنائية

القلب له واحد

فوز ساحق ... ونجاح متجدد

إنتاج آسيا   إخراج بركات

غناء شهى للرشيقة ...

صباح

مفاجآت طريفه للنجم ...

انور وجدى

مع مجموعة فريدة من النجوم

ميمى شكيب — سليمان نجيب

منى — فردوس محمد

بسينما

الكوزمو

مصر   والاسكندرية

٤ حفلات يومياً

توزيع بهنا فيلم

شركة نحاس فيلم تقدم :

نور الهدى ، محمود ذو الفقار ، بشاره واكيم

مع

حسن فايق ، فردوس

فى فيلم

الآنسة

بوسه

إخراج — نيازى مصطفى

تأليف — أبو السعود الابيارى

بسينما الكورسال

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٢٣ — الاثنين ١١ يونيه ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

العدد ٦٢٣ — الاثنين ١١ يونيو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ظهرت الطبعة الثانية من :

اشپنجلر

تأليف

الدكتور عبد الرحمن بدوى

أعمق تحليل فى أروع عرض لأعظم فلاسفة الحضارة وصاحب المذهب الذى اهتزت له أوربا بعد الحرب ، لأنه تنبأ علمياً بانحلالها وأقام بناء فلسفة التاريخ ، وكشف عن ينابيع الوجود وتيارات الحياة .

الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، ٦ شارع عدلى باشا بالقاهرة وثمنه خمسة وعشرون قرشاً

13 me Année No. 623

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi - 11 - 6 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٢٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ — ١١ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

قصة النمل الأبيض...

قالت نملة حمقاء لجماعة من النمل الأبيض أنقذها الفرار من أخفاف الفيَلة : لِمَ لا نعمل كما عمل (تيتو) وقد صنع الحلفاء بنا ما صنعوه به، فجعلوا على جوانبنا أجنحة، ووضعوا في أفواهنا أسلحة ؟

قالت لها الجماعة : وماذا تريدين أن نعمل يا ذات الأجنحة الأمريكية والأسلحة الإنجليزية ؟

قالت : نهجم على هذه الجماعة البشرية وهي في نشوة من وعود النصر، وغفوة من عهود السلام، فنخرجها من دار أميَّة، أو ندفنها في أنقاضها وهي حية ؟

وكان في الجماعة نملة متصوفة من أتباع (مسِّنيون) تكفر بخطب الحجاج، وتؤمن بطواسين الحلاج، فنهضت تقول وفي عينها رقراق من الدمع : ولِمَ هذا البغي يا أختاه ! أنسيتِ والعهد قريب، بطشة الجبارين بأرضنا العزيزة وأهلها يومئذ يتقلبون في النعمة ويتبسطون على الأنس ؟ أنسيت والهول لا يزال يعصف بالقلوب، تلك الجبال التي كانت تسير فتنفجر منها الحُمم، والقلاع التي كانت تطير فتنهمر منها الصواعق، ونحن نلوذ بأجواف الأرضين فلا يغنينا ذلك دون أن نُسحق أو نحرق ؟ ولولا أن جاءنا النصر بطريق القرض، لبقينا كاليهود مشردين في الأرض ؟ فهل يزكو بمن قاسى معرة الظلم أن يظلم، وبمن كابد مذلة الحرمان أن يحرِم ؟ ثم أسمعك تذكرين الأجنحة المستعارة، كأنك لا تذكرين الحكمة التي تقول : لا يزال النمل بخير ما لم تنبت له أجنحة ؛ فإذا نبتت أجنحته وأخذ يطير، صادته العصافير. وهل في أمة النمل أحد ينسى قول أبي العتاهية شاعر الأنس :

وإذا استوت للنمل أجنحة ... حتى يطير فقد دنا عطبه

فما كان جواب النملة الحمقاء إلا أن قالت في ضحكة ساخرة ولهجة ماكرة : إنك لا تزالين يا صديقتي متأخرة، ومن العجيب أنك تُنسبين إلى أمة متحضرة ودولة مستعمرة ! على أننا لا نجادلك بوصايا سان فرنسسكو، ولا بنصائح وشنطون ولندرة وموسكو إنما، نجادلك ببرهان العمل وسلطان الواقع. وما هي إلا دمدمة كعزيف الجن حتى غامت السماء بالنمل، وسالت الأرض بالحشرات، وأخذت هذه الطير الأبابيل، ترمي الناس بحجارة من سجيل. ولم يغن عن العزل الأبرياء دعس النعال، في دفع هذه النمال ؛ فاستحرَّ القتل، وأثخنت الجراح، وانتشر النهب، وفشا الخراب، وكاد النصر المؤقت يتم لهذه الحشرة الباغية لولا أن صاح من الجانب الغربي صائح يقول وفي يده بوقه وعلى رأسه بنوده : «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده» ! فلم تبق نملة سمعت هذا الصوت من ذلك البوق، إلا دخلت مذعورة في شق من الشقوق ! وهيهات ألا يبعث الله من في القبور ؛ إلا يوم ينفخ إسرافيل في الصور !

وحينئذ قالت النملة المتصوفة الحكيمة وهي تُنفض رأسها استهزاء بالضعيف المغتر والذليل المعتز : أليس من خيبة الحكمة ألا ينفضَّ مشكل، إلا بجن سليمان أو أسطول تشرشل ؟ !

ابن عبد الملك

عصرنا العجيب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعجب العصور فى تاريخ الإنسان كله هو عصرنا الذى نحن فيه ، ولا سيما هذا النصف الأول من القرن العشرين .

لك أن تلغى التاريخ كله مكتفياً بهذه السنين الأربعين أو الخمسين ، لأنك واجد على اليقين مائة عبرة فى مكان كل عبرة تلغيها من تلك التواريخ الغابرة ، ولأنك على يقين واجدها أضعافاً مضاعفة ، فى القوة والكثرة والدلالة والوضوح .

لقد كانت السنون تنقضى فى تواريخ الماضين عشراً بعد عشر ، ومائة بعد مائة ، بل ألفاً بعد ألف فى بعض الأحايين ، قبل أن يظهر للعالم رجل خطير يضطلع بأعباء حادث خطير ، أو قبل أن تقام دولة وتسقط دولة ، وقبل أن تنجلى للأبصار والبصائر بواعث القيام ودواعى السقوط .

أما اليوم فقيام الدول وسقوطها من أنباء الصباح والمساء ، واختلاف العبر وتقلبات المقادير من ذكريات العمر الواحد الذى لم يتجاوز الثلاثين ، ومسرح القدر كريم بالمآسى والملهيات يعرضها خمساً خمساً أو عشراً عشراً فى وقت واحد ، فلا يفوتك فصل هنا إلا عوضته بفصول هناك ، ولا تذكر خيال يوربيد وارستفان وسفوكليس واسكايلاس وشكسبير إلا تلقيت حولك من نسج الواقع روايات مشهودة تفوق كل خيال .

موسولينى من بيت الحداد ، إلى أزقة جنيف ، إلى مظاهرات ميلان ، إلى دست الحكم فى روما القياصرة ، إلى الصولة على العالم كله وهو فى شرفات قصر البندقيــة يقعقع بالسلاح فيرتجف الأقوياء والضعفاء ، ويحمدون الله على السلامة إذا انقضى ذلك الدعاء بغير النيران والدماء .

وموسولينى أيضاً من محب للسلام يلقى بنفســه أمام القطار ليعوق حركة الجنود التى تغزو طرابلس ، إلى مسعر للحرب لا يقوم ولا يقعد فى حكمه إلا بثمانية ملايين من الحراب ! وألوف الألوف من صرعى البلاد والخراب !

ثم موسولينى هو هو بعينه هاربا يتسلل على أبواب التخوم لا يزال يطمع فى الحياة بما بقى له من سبائك الذهب وسلوى الغرام ، ثم يفوته هذا المطمع الذليل فإذا هو معلق من قدميه لأنظار السابلة الشامتين ، لا تسلم جثته بعد الموت من رصاصة انتقام وبصقة ازدراء

وهتلر سيد الألمان وصاحب الأمر المطاع فى القارة التى تطلب الطاعة من جميع القارات ...

من طفل مدلل ، إلى جندى مخذول ، إلى شريد على أبواب الصدقة فى العاصمة النمسوية ، إلى حلس قهوات فى ميونخ عاصمة البافاريين ، إلى وارث العرش العريق فى برلين ، وسيد الأمة المختارة كما قال بين أمم العالمين . كلمة فإذا العالم يتساءل ماذا يريد ؟ وهمسة فإذا هى أجهر فى الآذان من البروق والرعود ، وحركة فإذا الأكف على الصــدور ، وغضبة فإذا المغرب والمشرق يتحدثان بالشرور وعظائم الأمور .

عاش ليفتح الأرض بما رحبت ، ومات لتضن عليــه الأرض بقبر من ألوف القبور .

وفى روسيا ، أين دولة القياصرة ومن كان منهم يدعى بالأب الصغير إذا دعى الله بالأب الكبير ؟

وفى القسطنطينية أين دولة الخواقين ومن كان منهم يدعى بظل الله وخليفة رسول الله ؟

وفى أمة الفرس أين عرش الأكاسرة ؟ وفى أمم الصين أين عرش أبناء السماء ؟

لا تسل عن هؤلاء وسل عن لينين وكمال ورضا وشيان ، وكلهم بين طالب منى وجندى ناشىء وثائر مغضوب عليه .

ودع السياسة والحرب وانظر إلى النسك والزهادة تر فى الهند ناسكا حاسر الرأس حافى القدم ينازل الدولة التى صمدت للنزال ، فى ميادين السياسة وميادين القتال .

ودع النسك والزهادة وانظر إلى عواطف القلوب وخلجات النفوس تر العــاهل العظيم الذى يتخلى عن ملكه ولا يتخلى عن زوجه وشريكة فؤاده وروحه .

ودع كل هذا وانظر إلى الصناعة والاختراع تر الإبداع الذى ينسيك كل إبداع : هاتف فى أقصى المغرب تسمعه فى لمحة عين وأنت على عشرات الألوف من الأميال ، وطيارة تسابق الشمس فتذرع الشرق والغرب فيما بين ليلة ونهار .

ما من شىء فى مصارع الدول ومقادير الشعوب ، وما من شىء

فى مظاهر القوة بين مظهر خادع ومظهر صحيح ، وما من شىء فى أفانين الدعوة التى تقال أو لا تقال ، وما من شىء فى أساليب الغلب بالسياسة أو بالسلاح ، وما من شىء فى موازين التقدير ومقاييس النجاح والإخفاق ، ومامن عبرة فى حياة الأمم أو الأفراد خلت منها هذه السنون الحسون ، أو نقص نصيبها منها عن نصيب الدهور متجمعات متلاحقات .

أفنحن سعداء بهذه الآونة العجيبة أم أشقياء ؟

إن كانت السعادة وفرة الحياة وثروة التجربة فنحن سعداء . وإن كانت السعادة خلو البال من العبر والأحداث فنحن لا نغبط السعيد الخالى ، لأن الخلو لم يكن قط بالنعيم الذى يعمر النفس ويحمده الأحياء .

فالعمر فى هذا العصر الحافل لا شك أعمار ، والحياة بين هذه العوالم لا شك حيوات ، وما نخال أحداً يستبدل بأيامه فى هذا العصر أياماً فى العصور الأخريات ولديه سبب مفهوم .

قال قائل وقد كنت أذكر عجائب عصرنا : نعم ويخيل إلى ناس مع هذا أن العصر عصر باهت لا عجب فيه ، وأن العجائب حق العجائب قد ذهبت مع ذاهب العصور ، لأنهم يعجبون على البعد ولا يعجبون على القرب ، ولا يعلمون أنهم متعجبون إلا إذا رأوا أنهم متعجبون !

وسأل سائل : لكن أليس بعجيب من هذا العصر أنه لم يبدع ملحمة من الشعر كملاحم الأقدمين ، وما كانت طروادة وميادينها وأبطالها إلا حادثة من حوادث الأقسام فى جوانب الحوادث التى مرت بأهل هذا الزمان ؟

قلت حذار يا أخانا أن تخطىء هذه الخطأة التى ينزلق إليها نقاد الظواهر مغمضين ! . . لو أن أدباء الملاحم الغابرة عاشوا فى عصرنا هذا لما كان شأنهم غير شأن الأدباء الذين يعيشون فيه . لأن الاختلاف إنما يكون فى النظر إلى الوقائع لا فى ضخامة الوقائع ونصيبها من السعة والضجيج . وحذار يا صاح من كل رأى يسول لك أن مجرد الخلائق الآدمية فى بعض الأجيال من سليقتهم التى طبعوا عليها فى غير ذلك الجيل ؛ فإن السليقة لا تتبدل إلا كما يتبدل الناس بين عصر اليقظة وعصر الغفلة والجمود ، فإذا لم يكن العصر عصر غفلة أو جمود فسليقة النفس الآدمية واحدة من أقدم العصور إلى أحدث العصور ، ولا سيما فى مسائل الحس والتعبير .

أما أن الأقدمين نظموا الملاحم فيما هو أهون من أعاجيب اليوم فإنما نظموها لأنهم كانوا يتلقون الحوادث بدهشة الخيال ، ولا يستعظمونها مع هذا حتى يضفى عليها القدم ثوبا من الغموض والتهويل .

ولا كذلك يصنع المحدثون حين يتلقون الحوادث الكبرى فى عهدهم المشهود أوفيما غاب عنهم من العهود ، لأن الحادثة الكبيرة تقع بينهم فإذا هى حيز فى الصحيفة ، وحديث فى المذياع ، وصورة على اللوحة البيضاء ، وموضع للتحليل فى كتاب ، وباب للترجمة وسرد السير فى سجل من سجلات التاريخ ، ودرس من دروس الصناعة فى المعامل أو معاهد التدريب . فقد شبع منها الحس واستنفدها اللسان ، والحس إذا شبع من شىء لم يرجع به إلى دهشة الخيال ؛ واللسان إذا استنفد القول تحليلا وتعليلا لم يبق منه بقية للغموض والتهويل .

ترى لو كان « هوميروس » قد شهد حصان طروادة صورة متحركة ، وقرأ أبطال الإغريق كتباً مفصلة ، وسمع المساجلات بينهم حديثاً مذاعاً أو أصداء على اللوحة البيضاء ، وعلم أنه لا أرباب هناك ولا أنصاف أرباب ، وأنه لا نبتون فى البحر ولا زيوس على متن السحاب — أكان ينظم الإلياذة كما نظمها أو كأن الناس يسمعونها منه كما سمعوها ؟

إن الخيال يعمل حين يلجئه الخفاء إلى العمل ، وإن المرء ليضفى حلل الخيال على الغانية فى البرج المحجوب ، ولكنه حين يراها إلى جانبه فى الترام ، وينظر إليها وهى تأكل الطعام ، ويستمع إليها وهى تتكلم فتحسن الكلام أو لا تحسن الكلام ، يفكر فيها كل تفكير يخطر على البال إلا أن يلحقها بأجواء الخيال .

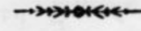
ولسنا نعنى بهذا أن الحوادث فى عصرنا لم تبق بقية لخيال الشاعر وبديهة الفنان ، ولكننا نعنى أن النظرتين تختلفان وأن التخيل فى عصرنا أصعب من التخيل فى تلك العصور ، فما كان يسيرا على هوميروس فى أيام طروادة لن يتيسر له هذا اليسر فى عصر دنكرك وستالنجراد .

نحن نشبع من الحوادث حساً وفهماً فلا نعجب لها كما كانوا يعجبون وهم يتلقونها بالدهشة والخيال ، وعلى هذا قد تمضى السنون الطوال قبل أن نحس ما نحن فيه كما ينبغى أن نحسه ، وقبل أن نفهمه كما ينبغى أن نفهمه بمعزل عن الأهواء .

عباس محمود العقاد

عرب فرنسا

للأستاذ عمر الدسوقى



عطبت سيارتنا، ونحن نُصعِّد فى الجبل صوب قرية من قرى لبنان، وكان عطبها إزاء كوخ مشرف على الطريق، أطلت منه عجوز نالت منها السنون حتى تركتها أثراً متهدماً لإنسان: درداء، شمطاء، عجفاء، معروقة اليدين، مخددة الوجه، محدودبة الظهر. وكأنما راعها أن تقف سيارة فخمة بباب كوخها المتهدم المتواضع الذى يحاكيها قدما، ويجانسها ضعفاً، ويعاثلها قماءة، فأخذت تجيل فينا بصراً لا يزال حديداً، لم يبل كما بلى جسمها، ولم يرث كما رثت مُنتَّتها، يتطلع إلينا فى لهفة وعجب، كأننا من عالم آخر لم تره من قبل.

فقال صاحبى يداعبها: صُبِّحت بالخير ياخالة. من أى العرب أنت؟، فأجابت بلهجة جبلية قحة، وبصوت خشن، استعار غلظته من هذه الصخور الجاسية التى تحيط بها: «إنى من عرب فرنسا». فقال صاحبى دهشاً: «وى! وهل لفرنسا عرب؟» فتلعثمت العجوز، وحارت ثم أجابت: «إننا لا نعرف غيرها حاكما على هذه الديار. قد بسطت ألويتها على السهول والحزون، وتغلغلت لغتها فى القرى والعساكر، والبيوت والمتاجر، ينطق بها الصغير والكبير، ويزهى بالتشدق بها الحقير والأمير؛ قد طبعت بلادنا بطابعها، وتدخلت فى الهين والجليل وملكت أزمة المال والرجال. وإنى فى وكرى هذا لأحس بأسها وسطوتها فهل حدت عن الجادة إذا قلت: إنى من عرب فرنسا؟

ولم يطل صاحبى معها الحديث لنستشف خبيئة نفسها، ونعرف أمتهكمة هى أم جادة، وفرحة بهذا الوضع أم ترحة؟ فقد جارت السيارة مستأنفة السير فهرولنا إليها مشيرين إلى العجوز مودعين. وما إن استقر بنا المقام فى السيارة حتى التفت إلى صاحبى وقال: «ما رأيك فيما سمعت؟» فقلت: «نكراً والله، إن كانت هذه العجوز جادة تقرر حقيقة قد سلمت بها، واعتقدتها من قلبها فذلك برهان لا مرية فيه على أن فرنسا نجحت فى هذه الديار نجاحاً نفذ إلى ألباب العجائز فى الجبال. أما إن كانت متهكمة فهذا دليل اليقظة الروحية، والإيمان الكامن فى هذه القرى النائية عن العمران، وحجة على أن هذا الجبل الأشم أشد بأساً وأقوى مراساً من أن يلين لزبرج الحضارة المموهة، وأساليب الاستعمار الخادعة.

فقال: لعلها تقرر الحقيقة من وجهة نظر فرنسا، فإنها تعمل جادة على أن تسلخ هذه الشعوب من مقومات شخصيتها، وتجردها من كل ما يذكرها بمجد تليد، أو يحفزها لعمل مجيد؛ وتلهيها عن مثلها العليا بخلق أسباب التناحر بين أفرادها، وتطفىء جذوة الإيمان بالحرية المستقر بالفطرة فى كل نفس بشرية بما تقدم من نفايات حضارتها ومادية مدنيتها.

ألا ترى كيف فرضت لغتها على المدارس بشتى درجاتها يلقنها الطفل قبل أن يلقن لغة بلاده، ويتعلم بها كيف يعبر ويفكر ويحسب!؟ أليس من الخزى أن يُعلَّم تاريخ هذه البلاد العربية وجغرافيتها باللغة الفرنسية؟! إن اللغة رمز القومية، وعنوان الشخصية، فإذا لهج إنسان بلغة غير لغته فى حديثه المعتاد ومع أهل بيته وجنسه، فهل ثمت مايفصح عن قوميته ويدل على شخصيته؟. إن الوجوه تتشابه، والعقول تتكافأ، ولكن اللغة وحدها هى التى تفرق بين أمة وأمة. ولأمر ما يعتز الانجليزى بلغته، حتى وهو غريب، ويفرضها على الناس فرضاً فى الفنادق والمتاجر فى أوربا نفسها، ولا يفكر فى تعلم لغة البلاد التى يستوطنها

إن لغة أى بلد تحمل فى طياتها تاريخها، وحضارتها، وعصارة أفكار أجيالها السالفة، وآدابها، وأمثالها؛ وتذكر دائماً بماضى تلك الأمة، وهى رمز الشعور المشترك بين أفرادها؛ فإذا عافها أبناؤها وأنفوا من التكلم بها، وفرض عليهم الدخيل لغته، فقد اقتطعهم من كل مايذكرهم بكيانهم الخاص وبدد ما بينهم من شعور بالقومية. وهذا ما عملته فرنسا فى الجزائر، وشمال أفريقية ولبنان وسوريا.

أولا ترى كيف أضرمت فرنسا فى هذا البلد نار الطائفية الدينية، بل فرقت بين أبناء الدين الواحد، وجعلتهم مذاهب وشيعاً، وزادت هوة الخلاف بينهم، وجذبت إليها بعض رؤسائهم

وأغدقت عليهم النعم ، ومدت لهم فى أسباب المودّة ، وأضفت عليهم الألقاب حتى يمعنوا فى خلافهم ، وخلقت لهم المناصب ، ووزعتها طبقاً للطائفية ؟ فكيف يرضى هؤلاء وقد نمموا بالرياسة أن يخضع بعضهم لبعض ؟ أو لم تسمع بالرب «سليمان» ؟ قلت : كلا ! ، قال : إنه شخص يدعى الألوهية بجبال العلويين ؛ ويزعم أن روح الله حلت به ، وقد اعترفت فرنسا بألوهيته، وحين ينزل بيروت تضيفه الحكومة الفرنسية فى أرقى الفنادق ، وتحيطه بحرسها وجندها ، وتقله فى أفخم سياراتها ، وتوهمه أنه إلـه حقيق لا مرية فيه .

ألا تتصور الرب « سليمان » هذا يعود إلى موطنه فى جبال العلويين ، يشيد بفرنسا وعظمتها ويسبح بحمدها وقد بشم من الشبع على موائد الغاصبين ، وانتفخ عظمة كاذبة من ثناء الخادعين، واكتظت حقيبته بالمال والهدايا ثمناً لضميره الذى بيع للمستعمرين ؟

إن فرنسا تتدخل فى الصغيرة والكبيرة من أمور هذه البلاد ، فلا تدع لأبنائها مجالاً للتفكير والتدبير ، والموازنة والتقدير . فهى تريد عقولهم مشلولة أو مخبولة ، أو قل إنها تريد أن تفنيهم معنويا ، وتجعلهم بعد جيل أو جيلين لا يحسون ولا يدركون مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، يُدَبَّر أمرهم وهم فى غفلة ساهون ويُقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ولا يُستأذنون وهم شهود وهكذا شأن الجزائر اليوم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله !

فهل بعد هذا تعجب حين تقول هذه العجوز : « إنها من عرب فرنسا » ، إنها من عرب ملك لفرنسا تفعل بهم ما تشاء، أو أنهم على وشك أن يكونوا كذلك ، تسومهم الخسف وسوء العذاب ، وتسلبهم حرياتهم ، وتفرقهم أباديد ، وتقتل فيهم الحياء والإباء ، والمروءة والوفاء .

فقلت : وكيف يرضى أهل هذه الديار بهذا ؛ وعهدى بأهل الشام أولى نجدة وحمية ، وغيرة متقدة وحماسة ملتهبة ، ووطنية متأججة . لهم تاريخ حافل بصفحات المجد والفخار ، وفيهم حيوية متدفقة وذكاء فطرى عظيم ، وحرارة إيمان شديدة . ثم هم أحفاد الغسانيين ، والعرب الفاتحين ، وأهل جبال فيهم مراس وبأس ، وصبر واحتمال ، ونزوع إلى المخاطرة والمغامرة ، لا يبالون بالشدائد والأهوال فى سبيل أهدافهم ، فكيف رضوا بنير الاستعمار ؟

فقال صاحبى : إن الاستعمار دنس ، يلوث النفوس الطاهرة ، ويوهن العزم القوى ، ويفتن القلب الأبى ، ويضل العقل الذكى . إنه امتهان للانسان وكرامته ، وانحطاط به إلى مرتبة الرق . وأوربا قد حاربت الرق الفردى ، ولكنها استباحت الرق الجمعى . نخرجت سوريا من الحرب الماضية منهوكة القوى من الجوع والجهل والضعف ، وطمعت فيها فرنسا ، فأبى فيصل وأتباعه على ما بهم من وهن أن يكونوا طعمة هينة ، ثم كانت موقعة (ميسلون) وبسطت فرنسا نفوذها على الشام ، وقطعتها إرباً اربا ، فشرق الأردن ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، وجبال العلويين ، وجبال الدروز ، والاسكندرونة ، وإنطاكية . وجعل لكل جزء رئيس ، وصار لكل رئيس أذناب وأتباع ، يطمعون فى المناصب والجاه الكاذب . وبذلك ذهبت قوة بلاد الشام فى هذه التفرقة ، ومُكِّن لفرنسا أن تعمل ما تشاء هى وإنجلترا . فلو كان الشمل جميعاً ، والقلوب متحدة ، والقوى متضافرة ، والموارد متجمعة ، لكان الشأن غير ما ترى اليوم ، ولكن قاتل الله الرق والاستعمار !

كان هذا الحديث قبل أن تنهار فرنسا ، وتبتلى بالمحن الشداد ، وتسقى كأس الذل حتى الثمالة ، وتنتهك حرماتها .

وقلنا لعله درس يعلمها كيف يتألم سليب الحرية ، وكيف يتململ تململ الذبيح تحت مدية الجزار ، وكيف يتأوه المظلوم والمحروم ، ويصعِّد الزفرات والحسرات ، وقد سدت دونه السبل ، وأشرعت فوق رأسه حرب الغاصبين .

وشاء الله أن تعتق فرنسا على يد الحلفاء ، ولم تكد تتنسم نسمة واحدة من الحرية حتى أخذت تتطلع إلى أن تسرق غيرها ، وتبسط سلطانها على سواها من الأمم التى وقفت لها وهى مثخنة الجراح فلم يطعنها من الخلف ؛ مع أن فرنسا لا تزال بعد دامية الجراح ، مفككة الأوصال ، تهددها المجاعة بالموت .

كنا نظن ، وقد ذاقت فرنسا مرارة الذل والاستعباد ، أنها ستقدر نزعات الحرية عند غيرها من الشعوب ، وكنا نظن ، وقد اعترفت الدول الكبرى باستقلال سوريا ولبنان أن لم يعد ثمة مجال للمساومة فى الرق بأى صورة كانت : انتداباً ، أو استغلالا ، أو امتيازاً .

وكنا نظن ، وأوربا بأسرها كانت تقاتل حتى أمس القريب فى سبيل الحرية ، والمبادىء الديموقراطية ، أننا مقبلون على عهد جديد ، يكرم فيه الإنسان أينما كان ، وتمحى فيه السيادات ، ويعيش الناس سواسية متحابين بعد هذه المحنة القاسية ، والحرب الشنعاء . وإلا ففيم كانت كل هذه الدماء المراقة ، والدعاوى العريضة ، والبلاد المخربة ، والإنسانية المنكوبة ؟ !

ياعجباً ! تلجأ فرنسا التى كانت تئن بالأمس تحت سياط الجلاد ، إلى تلك السياط التى تسلطها على شعوب تأنف فى شمم وكبرياء أن تدين بعد اليوم لأمة ما بالطاعة والعبودية . أتضرب دمشق بالمدافع والطائرات الفرنسية ، لأن أهلها يرفضون وصاية وانتداباً فرض عليهم قسراً ، ولأنهم يرون أنفسهم ومن ورائهم ماضيهم وبين أيديهم حاضرهم ، أكثر رشداً ، وأقوم خلقاً ، وأوفى عهداً ، وأشد جلداً من هذه الأمم التى تفرض نفسها على غيرها ، وتسم غيرها بالقصور ، وهى فى أمس الحاجة إلى مرشد حكيم يجنبها مواطن الزلل ، ويعرفها أن طرق الاستعمار القديمة البالية لا تستسيغها الأمم بعد اليوم ؟ !

كل البلاد العربيــة فى موقف مشابه لسوريا ولبنان ، وهما تعبران اليوم عما يجيش فى كل نفس عربية ، وتضربان بجهادهما الرائع وضحاياهما الخالدة البرهان الناصع على حيوية هذه الشعوب العربية ، وما تستطيع أن تفعله كل منها حين تقف للجهاد ، وتزأر زئير الحرية . وتتضافر الأمم العربية معهما وشدها أزرهما المحك الذى تبتلى به جامعة الأمم العربية ، فإما عزة وسؤدد يبقيان للابد ، وإما خزى وعار وذل واستعباد لكل هذه الشعوب لا قدر الله . فهل آن لنا أن نعيش أحراراً من نير أوربا ؟ !

عمر الدسوقى

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٤ —

* في ج ٨ ص ١٨١ وهـذا شيء (يعني تفسير كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي) ما تم للمبرّد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن دَرَسْتَوَيْه مع سعة علمهم وقبض بنانهم .

وجاء في الشرح : وقبض بنانهم هو من قبض على الشيء بيده أمسكه وضم عليه أصابعه وهو إشارة إلى تمكنهم .

قلت : أغلب الظن أنه (فيض بيانهم) والمبرد هو بفتح الراء كما ضبط ابن خلكان في (وفيات الأعيان) وبيّن ابن عبد ربه في (العقد) ودل عليه خبران في (تاريخ بغداد) وللخطيب و (شرح المقامات) للشريشي . وكنت قد ذكرت كل ذلك في « الرسالة الغراء » . ولما اطلع العلامة ابراهيم مصطفى الأستاذ في جامعة فاروق الأول على النصوص التي أوردتها نشر كلمة في الرسالة (٢٠٥) ذكر فيها أن الشيخين اللغويين الشنقيطي والمرصفي كانا يذهبان إلى كسر الراء ثم قال :

« ولعمري لو أنهما شهدا وهدى إليهما ما قدم في الرسالة من النصوص لما رأيا إلا الفتح ... فما كان لهؤلاء العلماء من التشدد في الحق إلا ريثما تنكشف لهم الحجة في غير ما بأيديهم ، فهم أتباع الحق أبداً ... »

وهذه طرائف جديدة تنصر الفتح :

روى ابن حجة في (خزانة الأدب) لشيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري الحموي :

ويلاه من نوى المشرد وآه من شمل البدد
يا (كامل) الحسن ليس يطفى ناري سوى ريقك (المبرد)

وجاء في الأساس : فلان يفصّل كلامه تفصيل الفريد ، وهو الدر الذي يَفصِل بين الذهب في القلادة المفصّلة ، فالدر فيها فريد والذهب مُفرَّد ، والواحدة فريدة ، وقيل : الفريد الشذر ، ويقال لبائعه : الفرّاد . وتقول : كم في تفاصيل البرد ، من تفصيل فريد ومفرَّد .

ومن عرف أسلوب الزمخشري في سجعات الأساس أيقن أنه لم يقصد إلا الفتح . ومثل تلك السجعة هذه المقطوعة لسلمان ابن عبد الله الحلواني النهرواني :

تقول بُنيَّتي : أبتِ ، تقنع ولا تطمع إلى الأطماع تعتد[1]
ورض باليأس نفسك فهو أحرى وأزين في الورى ، وعليك أعود
فلو كنت الخليل وسيبويه أو الفرّاء أو كنت المبرد
لما ساويت في حي رغيفاً ولا تُبتاع بالماء المبرد

وقال شاعر لا أذكر الآن اسمه :

ومليح إذا النحاة رأوه فضلوه على (بديع الزمان)
برضاب عن (المبرد) يروى ونهود تروى عن (الرماني[2])

وقال الثعالبي في (خاص الخاص) :

« أبو العباس المبرد قال : اجتزت يوماً بسذاب الوراق وهو قاعد على باب داره ، فقام إليّ ، ولاطفني ، وعرض عليّ القرى . فقلت : ما عندك ؟ قال : عندي أنت ، وعليه أنا . يعني أن عنده لحم السكباج المبرد ، وعليه السذاب المقطع[3] . فاستظرفت هذه النادرة ونزلت عنده »

وما كان أمثال الجاحظ والأعمش والمبرد والأخفش يكرهون ألقاباً شهروا بها .

روى ياقوت في أخبار علي بن سليمان (الأخفش الصغير) : حدث أبو عبيد الله : حضرت يوماً أبا الحسن الأخفش ودفع كتاباً إلى بعض من كان في مجلسه ليكتب عليه اسمه ، فقال له أبو الحسن : خَفِّشْ ، خفش . يريد اكتب الأخفش . ثم قال أنشدنا أبو العباس المبرد :

لا تكرهن لقباً شهرت به فلرب محظوظ من اللقب

(١) (أبتِ) جمع بين التاء والياء — بين العوض والمعوض منه — ضرورة ، وقد ورد في الشعر مثل ذلك

(٢) أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المتكلم أحد الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلام والعربية . أخذ الأدب عن أبي بكر ابن دريد وأبي بكر بن السراج « ابن خلكان » .

(٣) السكباج بالكسر معرب عن سركه باجه ، وهو لحم يطبخ بخل ، ويقال : سكبج الرجل إذا أعد سكباجا ، والسذاب بقل له خواص وطبائع معروفة في كتب الطب . (التاج) وفي (ألفاظ الفارسية المعربة) : نبات يقارب شجر الرمان ورقه كالصعتر . وزهره أصفر .

وبعد فالفضل كل الفضل فى تحقيق ذلك الإسم وضبطه إنما هو لرسالة العرب والعلم والفضل والأدب ، وللعلامة الأستاذ ابراهيم مصطفى ، وللأديب البارع الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف .

* فى ج ١٠ ص ٢١٢

إن هشاما جده هشام مقابِل مدابِر هضام

قلت : كسرت الباء فى مقابل ومدابر وهى فيهما بالفتح . ورجل مقابل مدابر كريم الطرفين من قبل أبيه وأمه كما فى اللسان والتاج وهو من المجاز كما ذكر الأساس . والبيتان من أرجوزة لحفص الأموى فى الخليفة هشام بن عبد الملك .

* فى ج ١١ ص ٧٦

وقبلك داوى الطبيب المريضْ فعاش المريض ومات الطبيبْ
فـكن مستعداً لدار الفناء فإن الذى هو آت قريب

قلت : سكنت ضاد المريض وفتحها واجب ، والقبض هنا كثير ، وليس البيت مصرّعاً ولا مقفّى حتى يجوز التسكين . وعندى أن القائل وهو الخليل بن أحمد لم يستعمل إلا الضرب الصحيح وإن جاء قصره وجاز .

وقوله (فـكن مستعداً لدار الفناء) هو (فـكن مستعداً لداء الفناء) أى للموت كما روى الأنبارى فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) ومعلوم أن تلك الدار التى يستعد لهـا المؤمنون هى دار البقاء لا دار الفناء ...

* فى ج ٩ ص ١٧٩

يلذ له طعم الـكماة كأنما
جرى الشنب المعسول فوق العواسل (١)

قلت : يلذ له طعن الـكماة لا طعمهم ... والبيت للحسن بن محمد العسقلانى فى صارم الدولة بن معروف .

* فى ج ١١ ص ٢٠٤ وتهم قُرونتى أن أرفع عقيرتى ...

قلت : جاءت قرونتى بضم القـاف وهى بالفتح كما ضبط القاموس المحيط ... وضُبط فى المخصص ، وقد جاء فيه : سامحت قَـرونه وقَـرونته وهى النفس ، وهى القَـرينة وهى القَـرِن ، وحكى ابن الأعرابى : أسمحت قَـرُونه أى لانت وانقادت .

(١) ثغر أشنب ، وفيه شنب وهو رقته وصفاؤه وبرده (الأساس) العواسل : الرماح ، عسل الرمح : اشتد اهتزازه فهو عاسل وعسال وعسول : مضطرب لدن .

* فى ج ١٤ ص ١٦ وكان الشيخ عبد القاهر الجرجانى (صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) قد قرأ عليه (يعنى على ابن عبد العزيز الجرجانى صاحب الوساطة بين المتنبى وخصومه) واغترف من بحره ، وكان إذا ذكره فى كتبه تبخبخ به ، وشمخ بأنفه بالانتماء إليه .

قلت : وردت (بخبخ) ولم تجىء (تبخبخ) واليقين أنها تبجح به . فى التاج : تبجح به . فخر ، قال اللحيانى . فلان يتبجح ويتمجح أى يفتخر ويباهى بشىء ما ، وقيل : يتعاظم .

* فى ج ٢ ص ٨١ وله (للصابى) إلى الصاحب :

لـما وضعت صحيفتى فى بطن كف رسولها
قبلتهـا لتمسها يمناك عند وصولها
حتى ترى فى وجهك الـ ميمون غاية سؤلها

قلت : سولها بالتخفيف ضرورة هنا .

* فى ج ٧ ص ١٠٦

سُرج لقوم يهتدون بهـا وفصائل تنمى ولا تجرى

قلت : (تنمى) بكسر الميم ، و (تجرى) هى تحرى بالحاء ، وهى كرمى يرمى . فى النهاية : فى حديث وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) فما زال جسمه يحرى أى ينقص ، يقال : حرى الشىء يحرى إذا نقص ، ومنه حديث الصديق : فما زال جسمه يحرى بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) حتى لحق به .

* فى ج ٨ ص ١٣٥

ومثالث العيدان يُسـ ـعد جَسها بم وزير

قلت : بم بالفتح والبم الغليظ من أوتار العود ، والزير الدقيق منها

* فى ج ٨ ص ١٤١ وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان فيضربون خيامهم فى باغ سلم بن عَود .

وجاء فى الشرح : باغ اسم مكان فيه دار ابن عود

قلت : الباغ البستان بالفارسية ، وهو فى شعر أبى الفتح على ابن موسى البستى ، رواه الثعالبى فى مقدمة (كتابه فقه اللغة) :

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من
علومك الغر أو آدابك — النتفا
فقيم الباغ قد يهدى لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا

حول انهيار فرنسا

لأستاذ عربي كبير

حينما انهارت فرنسا أحدث انهيارها المفاجئ هزة أرضية عالمية ، دهش لها من دهش ، وابتهج بها من ابتهج ، وبكى منها من بكى.. وكان الظن بكتاب العرب يومئذ وهم الذين اكتووا طويلا بنار الاستعمار الفرنسي أن يتنفسوا الصعداء بزوال هذا الكابوس ، ولكنهم انقادوا للنوازع الانسانية والأدبية فيهم فكتبوا يرثون فرنسا ويرثون لها ويعطفون عليها ، إلا هذا الكاتب المفكر الكبير فانه عارض هذه النزعة وعالج الموضوع على ضوء الحقائق المجردة والوقائع الثابتة . ولم تتهيأ لنا الفرصة يومئذ لنشر هذه الآراء القيمة ، فننشرها اليوم بمناسبة المأساة السورية فإنها جمرة متقدة من تلك النار ، وأثر سيئ من آثار ذلك الانهيار..

... أخذ عدد غير قليل من الكتاب العرب يتبارون في نشر المقالات ونظم الأشعار ، حول هذا الانهيار ، وكان معظم ما كتب في هذا الموضوع (عاطفياً) بكل معنى الكلمة . كان أكثرها مراثي تندب حظ فرنسا ، وتظهر أسفاً شديداً ، وحزناً عميقاً على الكارثة التي حلت بها ؛ وكان بعضها يغالي في الرثاء ، إلى أن يبلغ به درجة البكاء ...

غير أن هذه المراثي قوبلت بمعارضة شديدة ، فقد حمل عليها بعض الكتاب حملات عنيفة وقالوا : كيف يجوز لكاتب عربي أن يبكي على فرنسا وينسى ما فعلته بالقسم الأعظم من البلاد العربية ؟ كيف يجوز لمفكر عربي أن يرثى النكبة التي حلت بفرنسا وهو يعلم أنها كانت من أهم العوامل التي أنزلت أكبر النكبات بالأمة العربية وبخاصة بعد الحرب العالمية ؟

احتدم الجدال بين الفريقين ؛ وحاول كل فريق أن يبرر حسن عواطفه بمقالات حارة ، أودع فيها كل ما أوتي من قوة البلاغة والبيان ...

أنا من الذين يعتقدون أن الكتابات العاطفية تعبر عن نفسية كتابها الشخصية وخوالجهم الذاتية ، فلا تتحمل المناقشة مناقشة علمية ...غير أن أصحاب المراثي لم يكتفوا بإظهار عواطفهم وتثبيتها ، بل أخذوا يدافعون عنها ويدعون إليها ، وحاولوا أن يدعموها ببعض الآراء والنظريات السياسية والاجتماعية . .

فإذا جازلنا أن نسكت تجاه « العواطف الشخصية » ، فلا يجوز لنا أن نلتزم مثل هذا السكوت تجاه الآراء والنظريات التي صارت تنشر لتبرير تلك العواطف ...

لقد قال البعض « يجب أن نميز بين فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية المستعمرة » ، كما قال آخرون : « يجب علينا أن نفرق بين عمل الساسة وعمل الأمة كلها ، فلا يجوز أن نعتبر الشعب الفرنسي مسؤولا عن أعمال حكامه . .

فلننعم النظر في الآراء التي تتضمنها مثل هذه الأقوال . . ولنفكر جيداً : هل يمكن التمييز بين فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية المستعمرة تمييزاً حقيقياً ؟

أنا لا أقول بذلك أبداً . . . لأن الأدب الفرنسي نفسه لم يلتزم الحياد تجاه السياسة الفرنسية بوجه عام وحيال السياسة الاستعمارية بوجه خاص . بل بعكس ذلك انبرى لخدمة تلك السياسة

---

* في ج ١٠ ص ١٣٦

أتطلب الفصاحة من الغم ، والصباحة من المغم ؟

قلت : من الأغم . والغمم كما جاء في الصحاح أن يسيل الشعر حتى تضيق الجبهة أو القفا ، ورجل أغم ، وجبهة غماء ، قال هدبة بن الخشرم :

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والأنزع الذي ينحسر شعر مقدم رأسه مما فوق الجبين كما في النهاية . وفي اللسان : وامرأة نزعاء ، وقيل : لا يقال نزعاء ، ولكن يقال زعراء . وفي صفة علي (رضي الله عنه) البطين الأنزع (١) . والعرب تحب النزع وتتيمن بالأنزع ، وتذم الغمم ، وتتشاءم بالأغم ، وتزعم أن الأغم القفا والجبين لا يكون إلا لئيما ، ومنه قول هدبة : البيت . وفي (الكامل) : الغمم كثرة شعر الوجه والقفا ، وأورد البيت ، ثم قال : والعرب تكره الغمم .

---

(١) وقيل معناه الأنزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان (النهاية) .

بكل الوسائل الممكنة. وقد كتب الأدباء عدداً لا يحصى من المقالات والخطب والأشعار والقصص والروايات التي تمجد الاستعمار وتزينه في النفوس، وتحث على الاستعمار وتحببه إلى القلوب . .

إن دلائل ذلك تظهر للعيان من خلال جلسات الأكاديمية الفرنسية أيضا . لأن هذه الندوة الأدبية العليا قد حرصت كل الحرص على أن تختار بعض أعضائها من بين رجال السياسة والجيش، كما اختارتهم أحياناً من بين صناديد الاستعمار . وهؤلاء لم يتجردوا من نزعاتهم السياسية والاستعمارية عند دخولهم قاعة اجتماع تلك الندوة حتى إنهم لم يترددوا أحياناً في اتخاذ تلك القاعة منبراً لإسماع آرائهم الاستعمارية في خطب أدبية رائعة .

ولعل أقرب وأوضح الأدلة على ذلك كان انتخاب الماريشال (ليوتي) عضواً في الأكاديمية المذكورة . ومن المعلوم أن هذا الماريشال يعتبر من أكبر رجال الاستعمار، فقد لقبه الفرنسيون بلقب «الإفريقي» — تقليدا لما فعله الرومان في القرون الأولى، عندما خلعوا مثل هذا اللقب على (اسجسيون) بعد تمكنه من تدمير قرطاجنة . إن الأكاديمية الفرنسية انتخبت الماريشال ليوتي عضواً بها، أفتدرون ماذا كان موضوع «خطبة القبول» التي افتتحت حياته الأكاديمية وفقاً لتقاليد الندوة الأدبية المذكورة؟... كان موضوع الخطبة «الاستعمار» ... اقرأوا الخطبة المذكورة تجدوها قطعة أدبية رائعة في مدح الاستعمار وتمجيده... إنها تشرح فوائد الاستعمار المادية والمعنوية بأسلوب حار بليغ، وتدعو إلى «الإيمان» بضرورته لحياة فرنسا!

«لأن الاستعمار — مصدر هام للقوة والثروة، ومنبع لا ينضب للجيش، وساحة تدريب وتكوين للقواد ... ولأن الأمم المحرومة من المستعمرات تكون جانحة إلى الركود والجمود الروحي . . .»

أعتقد أن هذه الخطبة من أبرز الأمثلة والأدلة على تداخل وتشابك الأدب والاستعمار؛ فلا يجوز لنا إذن أن نقول بوجوب التمييز بين «فرنسا الأدبية المتمدنة وفرنسا السياسية الاستعمارية» بوجه من الوجوه .

وأما إذا قيل: «إن القصد من التمييز المبحوث عنه، هو (تقدير الأدب الفرنسي) في حد ذاته، بقطع النظر عن السياسة الفرنسية والاستعمار الفرنسي»، فأنا أسلم بصحة هذا الرأي، غير أنني أقول بلا تردد: إذا كان الأمر كذلك، فلا يبقى داع ولا مبرر للرثاء . . . لأن «الأدب الفرنسي» ظل خارجاً عن حدود النكبات؛ فإن النكبة التي نحن بصددها حلت بالدولة الفرنسية والجيش الفرنسي لا بالأدب الفرنسي ... لأن انهيار الجيش لا يستوجب انهيار الأدب، والاندحار في ميادين الحرب والسياسة لا يستلزم الاندحار في ميادين الأدب والثقافة ..

إنني أستطيع أن أخطو خطوة أخرى في هذا السبيل فأقول: «إن مثل هذه النكبات قد لا تخلو من الفائدة إلى الأدب، لأنها قد تكون منبتاً خصباً للانتاج الأدبي . فإن الآلام والأتراح تكون — بوجه عام — أفعل من الأفراح في إثارة العواطف، وتوليد الأدب الرائع ...

وعلى كل حال فإن نظرية التمييز بين فرنسا الأدبية وفرنسا الاستعمارية لا تستند على أساس قويم من هذه الوجهة أيضاً .

وأما القول في وجوب التفريق بين الشعب والحكام وعدم اعتبار الشعب مسؤولا عن أعمال الحكام ... فهو غريب جدا، ولا سيما بالنسبة إلى فرنسا التي تفخر وتباهي بالديمقراطية والجمهورية والإدارة الشعبية ...

أنا لا أنكر أن الحكام قد يستطيعون في بعض الأحوال أن يجروا شعبهم إلى الاتجاه الذي يريدونه؛ غير أنني أعتقد أن ذلك الاتجاه لا يمكن أن يستمر طويلا إذا لم يأت موافقاً لنزعات الشعب ويجد هوى في أمياله النفسية...

ومن المعلوم أن «الاستعمار» لم يكن من الحوادث العارضة في تاريخ فرنسا ... بل ان تاريخ الاستعمار هناك طويل وطويل جدا؛ حتى ان بدء الاستعمار الفرنسي للبلاد العربية نفسها يعود إلى أكثر من قرن . فإن فرنسا بدأت حملتها على الجزائر سنة ١٨٣٠ وقد مضى على ذلك التاريخ قرن كامل مع عقد من السنين ... غيرت فرنسا «نظام حكمها» — خلال هذه المدة أربع مرات بل خمسا، انتقلت من الملكية إلى الجمهورية، فالامبراطورية، ثم عادت إلى الجمهورية . والآن أخذت تجرب شكلاً جديداً من نظام الحكم ... مع هذا لم تنحرف عن سلوكها الاستعماري طوال هذه المدة وخلال هذه النظم

المختلفة . فإنها أتمت استعمارها للجزائر بين شتى الانقلابات السياسية ، واستولت على تونس سنة ٨٨٢ ، وبسطت حمايتها على مراكش سنة ١٩١١ ، واستولت على سورية ، وأتمت استعمارها للمغرب الأقصى بعد الحرب العالمية ... وقد توالى خلال هذه المدة الطويلة عدة أجيال ، ونشأ وتنازع فى غضونها عشرات الأحزاب ، وتولى الأمر فيها عشرات وعشرات من الحكومات المتضاربة النزعات . . . ومع كل هـذا ، لقد ظل « العمل الاستعمارى » هو هو ، دون أن يتوقف أو يتغير من جراء تبدل نظم الحكم ، أو تعاقب الحكومات وتوالى الأجيال ... فلا يجوز لنا أن نسلم بأن « الاستعمار الفرنسى » من أعمال حكام فرنسا ، فلا يعتبر الشعب الفرنسى مسؤولا عنه ... »

* * *

هذا ، ومما يسترعى النظر ، أن معظم ما كتب فى رثاء فرنسا وفى الدفاع عن ذلك الرثاء — فى اللغة العربية — يُظهر آثار افتتان غريب بها ومغالاة شديدة فى اعتبارها أرقى شعوب الأرض على الإطلاق ...

فقد قال أحد الكتاب « إن المساواة فى العدل الاجتماعى لم تكد تتحقق فى أمة من الأمم فى كل أدوار التاريخ إلا فى فرنسا » ... كما قال كاتب آخر : « لم يثر ثائر على الاستعمار فى مشرق أو مغرب إلا وفى روحه جذوة من النار التى أوقدتها باريس للغضب على استعباد الشعوب » .

وقال أحدهم « لا أعرف فرداً قد ربى فيه الوازع الشخصى بمثل ما ربى فى الرجل الفرنسى » .

وقد صاح أحد الكتاب قائلاً : « إن قوة الألمان فيض من قوتك ياباريس » كما خلع كاتب آخر على فرنسا سلسلة نعوت خارقة مثل « مبعث النور والحرية ومهد الإختراعات »

إن معظم هذه الدعيات تخالف الحقائق الراهنة مخالفة صريحة ، كما ان ما تبقى منها ينطوى على مغالاة صارخة ...

فإن التاريخ يذكر لنا عشرات الثورات التى قامت قبل ثورة باريس المعلومة . والفرنسيون أنفسهم يعترفون بأنهم تأخروا كثيراً فى تحقيق المساواة فى العدل الاجتماعى . كما أن معظم مفكريهم يشكون بمرارة ضعف الوازع الشخصى فى نفوس مواطنيهم ، ويحسدون بصراحة بعض الأمم من جراء الوازع الشخصى المبحوث عنه ...

واما نعت فرنسا « بمبعث النور ومهد الاختراعات » واعتبار الفرنسيين أرقى شعوب الأرض على الإطلاق ، فإن كان ذلك من الدعاوى التى كان يمكن الدفاع عنها فى دور من أدوار التاريخ ، فقد أصبح من القضايا التى لا يمكن التسليم بها فى الدور الذى نعيش فيه الآن ...

لقد فنّد الفيلسوف الإنكليزى الشهير « هربرت سبنسر » الأسطورة القائلة « بتفوّق الفرنسيين » على جميع شعوب الأرض فى « المدخل » الذى كتبه لعلم الاجتماع ، قبل نحو سبعة عقود من السنين ، وانتقد انتقاداً لاذعاً المبالغات المفرطة التى كانت تلقب فرنسا بلقب « محررة الأمم » ، والتى كانت تدعى بأن اندراس باريس يعنى انطفاء مشعل المدنية .

انا لا أشك فى أن مثل هذه المبالغات التى استثارت انتقادات هذا الفيلسوف عندئذ ، قد أصبحت أشد بعداً عن الحقيقة الآن ، وأجدر بالانتقاد الشديد فى هذا الزمان .

لا أنكر ان فرنسا كانت أرقى بلاد العالم فى دور من أدوار التاريخ ؛ هـذا الدور هو العهد الذى يمتد بين أواسط القرن السابع عشر وأواخر الثامن عشر ، وأعرف أن البعض من المفكرين الذين استعرضوا تاريخ أوروبا استعراضاً فلسفياً ، ولاحظوا تتابع دور الاقطاع ودور الانبعاث « قد سموا الدور الذى نحن بصدده باسم « الدور الفرنسى » ؛ غير أننى أعرف أيضاً أن ذلك الدور قد مضى وانطمس فى أغوار التاريخ منذ مدة طويلة ؛ لأن حالة أوربا وحالة العالم تبدلت تبدلاً هائلاً خلال القرن التاسع عشر ، فلم تستطع فرنسا أن تحتفظ بمنزلتها السابقة بين هذه التبدلات والتقلبات العالمية الهائلة . أنا لا أود أن أقول : ان فرنسا تأخرت منذ ذلك الحين ؛ غير إننى أقول أن أمماً ودولاً أخرى قامت ونهضت وتقدمت بسرعة هائلة منذ ذلك العهد فأخذت تتسابق مع فرنسا تسابقاً عنيفاً فى جميع ميادين التقدم والرقى ... وقد لحقتها فى معظم الميادين ، بل سبقتها فى بعض الميادين . فقد خرجت الحضارة العصرية من سيادة فرنسا المعنوية منذ مدة غير قصيرة ، ففقدت فرنسا بذلك مكانتها السابقة بصورة قطعية .

القضايا الكبرى فى الإسلام

١٥ – قتل الوليد بن يزيد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

فى سنة ست وعشرين ومائة ثار يزيد بن الوليد المُلَقَّبُ بالناقص على الوليد بن يزيد فقتله ، وكان الوليد بن يزيد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وأجوادهم وأشدائهم ، منهمكاً فى اللهو والشرب وسماع الغناء ، وكان يزيد بن الوليد يظهر النُّسُكَ ويتواضع ، وهو الذى يقال فيه وفى عمر بن عبد العزيز : الناقص والأشج أعْدَلاَ بنى مروان . أى عادِلاَهُمْ ، ولايجرون أفعل التفضيل على بابه ، لأنها تقتضى نسبة العدل إلى غيرهما من بنى مروان ، ولم يكن فى بنى مروان عادل سواهما . وهكذا يقرن التاريخ ذلك الناقص بعمر بن عبد العزيز فى العدل ، مع أن عمر بن العزيز لو عاش إلى زمانه ما فعل فعله فى قتل ابن عمه من غير تحقيق فى أمر مانسب إليه ، ولم يقم حول الوليد من الأخبار التى لاتمحيص فيها مايسوغ الإقدام على قتله ، وما يُشَكِّكُ الناس فى دينه من غير روية ولا تثبيت ، والقضاء أدق من التاريخ نظراً ، وأقوى منه تثبتاً ، لأنه لا يحكم إلا بالبينة العادلة ، والأصل عنده البراءة ما لم تقم أدلة قاطعة على الإدانة ، فيجب أن يدرس ما نسب إلى الوليد درساً قضائياً ، وأن يرجع إلى تحقيق ما نسب إليه من تهم ، ليتبين أمر الوليد فى ذلك بياناً عادلا ، ولا ينزل به إلى ذلك الحضيض الذى نزل به التاريخ إليه ، وليتبين أمر ذلك الناقص الذى يشبهه الناس بعمر بن عبد العزيز ، ولم يكن من ذلك الملك العادل فى شىء ، وإنما كان الذى يشبهه فى زمنه أخ له لم يطمع فى الملك طمعه ، وسيكون قوله فى هذه القضية هو القول الفصل .

كان يزيد بن عبد الملك قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم جعل الأمر من بعد هشام لابنه الوليد ، وكان سن الوليد فى ذلك الوقت إحدى عشرة سنة ، وقد عاش أبوه يزيد ذلك حتى بلغ خمس عشرة سنة ، فكان يقول له : الله بينى وبين من جعل هشاما بينى وبينك . وكأنه كان يعرف ما سيلقاه ابنه من أخيه هشام ، فإنه لم يكد يتولى الملك بعد أخيه يزيد حتى أراد الوليد على خلع نفسه من ولاية العهد ، ليجعل الأمر من بعده لابنه مَسْلَمَةَ فأبى الوليد ذلك كل الإباء ، فتنكر له هشام وأضرَّ به ، وجعل يشيع حوله أخبار السوء لتسقط منزلته عند الناس ، وكان يزيد يقول الشعر فى الخمر والغزل ، وله فى ذلك أشعار جياد كان أبو نواس يأخذ منها ، ويحذو حذوه فيها ، وهذا إلى شغفه بسماع الغناء ، وانصرافه عن الناس إلى مجالسه بين أرباب ذلك الفن ، فوجد هشام فى ذلك مرتعاً خصيبا للتزيُّد على الوليد ، وتنقيصه عند الناس بما يشيعه حوله ، حتى جعل كثيراً منهم ينظرون إليه نظرة سوء ، ويتهمونه فى دينه وعرضه ، ولكنه على اجتهاده فى ذلك لم يقدر أن يثبت عليه شيئاً يمكنه من خلعه من ولاية العهد ، مع أن ملكه استمر من سنة خمس ومائة إلى سنة خمس وعشرين ومائة .

فلما ملك بعده الوليد بن يزيد لم ينس ما فعله معه عمه هشام ، فأساء إلى أولاده ، وأخذ سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرَّبه إلى عمَّان من أرض الشام ، وكذلك أساء إلى أولاد عمه الوليد بن عبد الملك ، ففرق بين روح بن الوليد وامرأته ، وحبس عدة من إخوته ، فأخذوا يرمونه بالكفر ، ويشيعون بين الناس أنه يغشى أمهات أولاد أبيه ، إلى غير ذلك من التهم التى ستأتى بعد ، وكان أشدهم فى ذلك يزيد بن الوليد ،

***

مع هذا لا تزال تتمسك بالشهرة التى كانت اكتسبتها سابقاً ، بالرغم من حرمانها من التفوق الذى كانت أحرزته قبلا فى هذا المضمار .

إننى أشبه منزلة فرنسا وشهرتها المزعومة بمكانة « الوجوه والأعيان » الذين يتمتعون فى بعض المجتمعات بشهرة المكانة التى كانوا امتازوا بها قبلا ، دون أن يعترفوا بسمو المكانة التى قد أحرزها غيرهم بكل جدارة واستحقاق .

وكما أن بعض الناس يتأثرون — عادة — بالشهرة السابقة دون أن يلتفتوا إلى « الحالة اللاحقة » فإن بعض كتابنا ظلوا تحت تأثير شهرة فرنسا السابقة ، دون أن يعرضوا هذه الشهرة إلى حكم الأحوال الحالية ويزنوها بالموازين الجديدة .

(البقية فى العدد القادم)

وكان الناس إلى قوله أميل ، لأنه كان يظهر السمت ويتواضع ، فإذا أردنا تحقيق ذلك على الاجمال وجب أن نرجع فيه إلى رجل من بني أمية كان له خطره بينهم في ذلك الوقت ، وهو العباس ابن الوليد أخو يزيد بن الوليد ، وكان أمر أصدق ، ولم يكن في بني أمية مثله ، لأنه كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فرأيه في ذلك يرجح كل رأي ، لتلك الصفات التي تحمله على قول الحق ، ولأنه أخو يزيد بن الوليد فلا يتهم في شهادته عليه .

وقد مشى إليه أخوه يزيد فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد بن يزيد ، فقال له : يا أخي إن الناس قد مَلوُّا بني مروان، وإن مشى بعضكم في إثر بعض أُكِلتم ، ولله أجل لا بد أن يبلغه ، فانتظره .

ثم مشى إليه مرة أخرى هو وأخوه بِشر بن الوليد ، فكلمه بشر في أن يخلع الوليد بن يزيد ، فنهاه عن ذلك ثم قال له : يابني مروان ، أظن أن الله قد أذن في هلاككم ، ثم قال :

إني أعيذكمُ بالله من فِتنٍ
مثل الجبال تَسامى ثم تندفعُ
إن البرية قد مَلَّتْ سياستكم
فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تُلْحِمُنَّ ذئابَ الناس أنفسكم
إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لا تُبْقِرُنَّ بأيديكم بطونكم
فَثَمَّ لا حسرة تُغني ولا جَزَع

ثم عاوده يزيد مرة أخرى وكان قد أجمع أمره ، وعزم على الدعوة لنفسه ، فشاور يزيد بن عمر الحَكَمِيَّ فقال له : لا يبايعك الناس على هذا وشاور أخاك العباس ، فإن بايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان الناس له أطوع ، فإن أبيت إلا المضي على رأيك ، فأظهر أن أخاك العباس قد بايعك . فأتى يزيد أخاه العباس فاستشاره فنهاه عن ذلك ، فرجع وبايع الناس سراً وبث دعاته بينهم ، ثم عاود أخاه العباس فاستشاره ودعاه إلى نفسه ، فزجره وقال له : إن عدت لمثل هذا لأشدنك وثاقا وأحملنك إلى أمير المؤمنين فخرج من عنده فقال العباس : إني لأظنه أشأم مولود في بني مروان .

ولما قامت الحرب بين الوليد ويزيد كتب العباس إلى الوليد إني آتيك ، فلما علم بذلك جيش أخيه أرسل من وقف له في الطريق ، فأخذوه قهراً إلى جيشهم ، وأكرهوه على البيعة لأخيه يزيد ، ونصبوا له راية وقالوا : هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد . فقال العباس : إنا لله ، خدعة من خدع الشيطان، هلك بنو مروان . فتفرق الناس عن الوليد حين رأوا راية العباس وتم الأمر ليزيد بهذه الخدعة الماكرة .

فلما رأى الوليد ذلك ظاهر بين درعين ، وركب فرسه السندي، وقاتلهم قتالا شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدو الله قِتلة قوم لوط . ارجموه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق عليه الباب ، فأحاطوا به من كل باب ، وضيقوا عليه ، فدنا من الباب وقال : أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟ فقال يزيد بن عنبسة السكسكي : كلمني . فقال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ، ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ، ألم أخدم زمناكم . فقال يزيد بن عنبسة : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، إنما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله . فقال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت ، وإن فيما أحل الله سعة عما ذكرت .

ثم رجع إلى داخل القصر وجلس وأخذ مصحفاً فنشره يقرأ فيه ، وقال : يوم كيوم عثمان . فصعدوا على الحائط ونزلوا إليه فاحتزوا رأسه ، وكان آخر كلامه : الله لا يرتق فتقكم ، ولا يَلُمُّ شعثكم ، ولا يجمع كلمتكم . ثم ساروا برأسه إلى يزيد بن الوليد فأمر بنصبه ، فقال له يزيد بن فروة مولى بني مُرَّةَ : إنما تنصب رؤوس الخوارج ، وهذا ابن عمك وخليفة ، ولا آمن إن نصبته أن ترِقَّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته . فلم يسمع منه ، ونصب الرأس على رمح فطافوا به دمشق .

وقد أكبر الناس قتل الوليد بن يزيد بهذا الشكل ، وثار لقتله أهل حمص وأهل فلسطين وغيرهم . واضطرب أمر بني مروان اضطرابا كبيرا ، وعجل الله بأيام يزيد بن الوليد ، فلم يدم له الملك إلا خمسة أشهر واثني عشر يوما ، ولم يدم أمر بني مروان بعده إلا سنين تعد على الأصابع .

فإذا أخذنا في قصة الوليد بن يزيد بهذا السياق ، وهو قائم على وقائع تنطق بنفسها ، وجدنا أنه لم يزد أمره عن غيره من بني مروان ، وأنه كان سائراً على سنتهم في الملك ، آخذا بطريقهم في سياسة الناس ، ووجدنا أن يزيد بن الوليد لم يخرج عليه لأخذه بسنة آبائه ، لأن الناس كانوا قد ألفوها على ما فيها من إرهاقهم ،

فلم يكن فى أخذ الوليد بها ما يثيرهم عليه ، وقد سار عليها يزيد بعد قتل الوليد ، فتَشَتَّى من رأسه ذلك التشفى ، وعسف بأولاده وأنصاره كما كان يعسف الوليد وغيره من بنى مروان ، ولو أنه خرج عليه لأنه يريد تغيير تلك السياسة كما غيرها عمر بن عبد العزيز ، لكان له فى ذلك بعض العذر ، ولكان له فيه غرض شريف ، ولكنه كان يريد الملك لا أكثر ولا أقل ، فسلك إليه ذلك الطريق الشائك ، ولم يجد إلا أن يغالى فى أمر الوليد ، ويلصق به من أشنع التهم ما يلصق ، ليثير العامة عليه ، ويصل بذلك إلى غرضه فى الملك . ولقد كان عمه هشام أشرف منه خصومة ، وأقل منه حرصاً على ذلك المنصب الزائل ، فلم يستبح لنفسه أن يخلع الوليد من ولاية العهد على غير إرادته ، وخشى من ذلك مالم يخشه يزيد ، وقد نصحه أقرب الناس إليه فلم ينتصح ، وحذر مما يقدم عليه فمضى فيه ولم يلتفت إلى نصح ناصح .

فهل بعد هذا نصدق شيئاً من تلك التهم الشنيعة التى ألصقها أشياعه بالوليد ليصلوا بها إلى مآربهم ، وليرضوا الناس بعد أن غضبوا لقتلهم إياه ؟ وهل نصدق ما يروونه من أنه فتح المصحف يوما فخرج فيه (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بالسهام وقال :

تُهَدِّدُ كل جبار عَنِيدٍ فهأنذاك جبارٌ عَنِيدُ
إذا ما جئت ربك يوم حشرٍ فقل ياربِّ مزَّقنى الوليدُ

وهل بعد هذا نصدق ما رواه العلاء بن البندار من أنه كان زنديقا ، وأن رجلا من كلب كان يقول بمقالته مقالة الثَّنَوِيَّةِ ، فدخل عليه العلاء يوماً وعنده ذلك الكلبى ، وإذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه ، فإذا ما يَبْدُو له منه حرير أخضر ، فقال الوليد : ادن ياعلاء . فدنا فرفع الحرير فإذا فى السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلا فى جفنه ، فهو يطرف كأنه يتحرك ، فقال له الوليد : هذا مانى ، لم يبتعث الله نبياً قبله ، ولا يبتعث نبياً بعده . فقال له : يا أمير المؤمنين ، اتق الله ، ولا يغرنك هذا الذى ترى عن دينك . فقال الكلبى : يا أمير المؤمنين ، ألم أقل لك إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث .

وهناك تهم أقبح من هذه التهم تلصق بالوليد ، يحجم القلم حياء عن ذكرها ، ولا يرى أن يلوث بها صفحات مجلة الرسالة الغراء ، وكلها تهم إذا فتح لها التاريخ بعض صحائفه ، لأنه يروى كل سمين وغث ، فإن القضاء لا يمكن أن يؤاخذ الوليد بها ، لأنه لا يؤاخذ الشخص فى دينه بما يقوله غيره عنه ، وإنما يؤاخذه بما يقربه على نفسه ، وقد تبرأ الوليد من هذه التهم الشنيعة التى تلصق به ، فلا يمكن القضاء أن يؤاخذه بها ، لأنه يتحرج مما لا يتحرج منه التاريخ ، وقد وضعت فى يده رقاب الناس ، فلا يمكنه أن يجازف فيها ، ولا يستبيح أن يحكم فيها إلا بما يراه يقينا . ولو أن هذه التهم التى تلصق بالوليد قدمت إليه لعاقب أصحابها عليها ، لأنه ليس عندهم ما يثبتها ، فيعدها من القذف الذى يعاقب عليه ، حفظاً لأعراض الناس ، وصونا لأصحاب المروءة والشرف .

ويكفى فى براءة الوليد من تلك التهم الشنيعة وقوف العباس ابن الوليد ذلك الموقف منه ، وهو ذلك الرجل التقى الصادق ، وقد كان أشبه بنى أمية بعمر بن عبد العزيز لا أخوه يزيد الناقص ، وهو الذى كان يجب أن يقرن إليه فى ذلك القول المشهور — الناقص والأشج أعدلا بنى مروان — لأن الناقص لم يكن أمره فى شئ من أمر عمر بن عبد العزيز .

وقد أنكر قوم ما قيل فى حق الوليد من ذلك ، وقالوا إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح . قال المدائنى : دخل ابن للغمر ابن يزيد أخ الوليد على الرشيد ، فقال له : ممن أنت ؟ فقال : من قريش . قال : من أيها ؟ فأمسك ، فقال : قل وأنت آمن ولو أنك مروانى . فقال : أنا ابن الغمر بن يزيد . فقال الرشيد : رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعا ، فإنهم قتلوا خليفة مجمعا عليه ، إرفع إلى حوائجك . فرفعها إليه فقضاها .

وقال شبيب بن شبة : كنا جلوساً عند المهدى فذكروا الوليد ، فقال المهدى : كان زنديقا ، فقام أبو عُلاثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل أعدل من أن يولى خلافة للنبوة وأمر الأمة زنديقا ، لقد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته ، فكان إذا حضرت الصلاة يطرح ثيابا كانت عليه من مطيَّبة ومصبَّغة ، ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتى بثياب نظاف بيض فيلبسها ويصلى فيها ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب فلبسها ، واشتغل بشربه ولهوه ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدى : بارك الله عليك يا أبا علاثة .

عبد المتعال الصعيدى

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

البلاجرا قد تؤدى الى الجنون

تصور قرية عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة ، منهم ٥٠٠ مصابون بالبلاجرا فلا يستطيعون الحركة ، فضلا عن حالة الاضطراب العصبى التى ترهقهم . فكم تخسر القرية المصرية بفقدها ١٠ ٪ من أيديها العاملة فقداناً كاملا ؟ وكم تخسر هذه القرية أيضاً من وقت يبذله الآخرون فى العناية بهؤلاء المرضى ؟

يود الدكتور على حسن أستاذ الكيمياء الحيوية بكلية الطب لو يتاح له الوقت فيقدر هذه الخسائر بالأرقام ، ويبين للأمة كم تخسر من الأموال كل سنة بانتشار هذا المرض الخبيث الذى يصيب سكان بعض القرى بنسبة تتراوح بين ٦و١٠٪ من سكانها

تبدأ عوارض هذا المرض بآلام فى السلسلة الفقرية واضطراب فى الهضم ، وضعف عام ينتاب الجسم كله . فان استمر سوء التغذية احمر الجلد وجف .

والمسئول الأول عن هذا المرض هو الطفيليات وإن لم تكن هى سببه المباشر ؛ فالإصابة بالبلاجرا نتيجة لسوء التغذية أو بالتعبير الطبى نقص فى كميات الفيتامين فى الجسم وهو الفيتامين المعروف باسم حامض النيكوتين .

وسوء التغذية كما يقول رجال قسم الكيمياء الحيوية بكلية الطب بمصر يرجع إلى عاملين يؤدى أحدهما إلى الإصابة بالمرض وأولهما خارجى بأن لا يجد المريض حاجته من المواد الغذائية ، والثانى داخلى وهو أن يصاب الإنسان بطفيليات تحرمه من المقدار اللازم لغذاء جسمه بأن تتغذى الطفيليات بطعامه . وفى مصر أكثر المصابين بالبلاجرا مصابون أيضاً بالطفيليات .

« ومما يؤسف له أن تنتشر الطفيليات فى بعض قرانا بنسبة مزعجة تصل إلى ٩٠ ٪ من عدد السكان . فان أراد الطبيب علاج البلاجرا أو أى مرض آخر أضعفت الطفيليات علاجه مما يستنفد وقته وعقاقيره ومال الدولة أيضاً » .

ومن المتناقضات فى ريفنا المصرى أن زيادة الخير معناها انتشار المرض . ففى شمال الدلتا حيث الرى الصيفى ، والماء المتوفر ، والزراعة المنتعشة وباء الطفيليات من بلهارسيا وانكلستوما وغيرهما من الأمراض الشديدة الفتك بالفلاح بخلاف ما يشاهد فى البلاد القليلة الخير التى تروى بالحياض .

ولا يسبب مرض البلاجرا أمراض الجنون ، ولكنه يظهرها عند المستعدين للاصابة بواحد منها ؛ فهو يضعف الجسم ويجعل الإنسان فى حالة عصبية سيئة تكشف عن علل جسمه الكامنة ، فلا يلبث أن تظهر عليه أعراض الجنون فتخسر الأمة جهده ، كما تخسر نفقها بنفسها إذ يرفع نسبة المجانين فيها .

لفت هذا المرض نظر قسم الكيمياء الحيوية كما استرعى انتباهه علاجه المتبع فى أمريكا . وعلى ضوء اختلاف البيئة والغذاء عندنا وعندهم خالفهم فى العلاج أيضاً وأثبت أن علاج الأمراض يجب أن يتبع سياسة قومية لا سياسية تقليدية . ولئن اتفق المرض فى جوهره فإنه يختلف فى تفاصيله باختلاف البيئة من جو وتغذية .

ففى أمريكا تكون البلاجرا مصحوبة بنقص ثلاثة أنواع من الفيتامين المعروف باسم مركب (ب) أما فى مصر فأغلب الحالات ينقصها فيتامين واحد من هذه المجموعة وهو حامض البيكوتيك

وفى سنة ١٩٤١ أجرى القسم التجارب لاختبار نظريته فعهد إلى أحد تلاميذه الدكتور شوقى مترى بوزارة الصحة تطبيق النظرية طبياً فجربها فى ٤٨ حالة عالجها كلها بفيتامين حامض النيكوتين فشفيت جميعها فى مدة لا تتجاوز اسبوعا واحداً . وكان نجاحه مؤيدا لنظرية الدكتور على حسن . وأتيح بواسطته توفير نفقات العلاج بالفيتامينات الأخرى .

وكانت خطوته الموفقة برهاناً ساطعاً على وجوب بحث أمراضنا بحثاً محلياً . فلا يجوز أن نقلد العلماء الأجانب فيما يوفقون إليه تقليدا أعمى ؛ بل علينا أن نستفيد من تجاربهم بما يتفق وحاجة بلادنا . وأصلح أناس يؤدون هذا العمل هم إخصائيونا فهم أدرى بحالة البلاد من سواهم ، فمنذ بدأ هذا العلاج فى سنة ١٩٤١ لم تشذ عنه إلا حالة واحدة .

إنتاج البنسلين بسرعة

حار الكيماويون فى إيجاد طريقة سريعة يجففون بها البنسلين

حتى يتيسر لهم إنتاجه بكميات كبيرة تكفى حاجة العالم إلى هـذا العقار الهام فى مكافحة الأمراض . وكان تعريضه للطرق العادية السريعة لتبخير مائه يقتل العقار ويجعله عديم القيمة .

وقد توصـل أحد المصانع إلى استنباط طريقة كهربائية يجفف بها البنسلين فى نصف ساعة ، وهى عملية كانت تحتاج إلى يوم كامل . واستعانوا لتحقيق أغراضهم بالذبذبات اللاسلكية .

وتتلخص هذه الطريقة فى وعاء مفرغ من الهواء تثبت فيه دوارات تلف بسرعة ٣٠٠٠ لفـة فى الدقيقة وتعمل الأحزمة المعدنية بين الدوارات كصفائح كهربائية . وبهذا تيسر إغلاء العقار فى درجة ٥٠ فهرنهيت بغير أن يصيبه أى تلف .

ومن تجارب تجفيفه السابقة استخدام الجليد فى أوان مفرغة من الهواء .

معالجة الأسنان بمياه الشرب

يتجه بعض العلماء الآن إلى علاج أمراض الأسنان بالجلة وذلك بإضافة مادة الفلورين إلى مياه الشرب . فقد اجتمع أخيراً فى معهد نيويورك لفيف من الإخصائيين فى أمراض الأسنان والصحة العامة ودرسوا النتائج التى توصل إليها بعضهم . وأخيراً قرر خمسة منهم أن استعمال الفلورين فى مياه الشرب كمادة مانعة لتلف الأسنان ووقاية الصحة يحتاج إلى تجارب قد تمتد إلى عشر سنوات أخرى

ومن النتائج التى وصل إليها الطب الحديث ما قاله الدكتور فرندلى دين عن تجربة أجريت عن ٧٫٢٥٧ تلميذاً تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة عاشوا طول حياتهم يشربون من الميـاه المكررة العادية فى المدن ثم أضيف إلى المياه التى يشربونها نسبة ضئيلة من الفلورين قيمتها واحد إلى مليون فقلت نسبة إصابتهم بأمراض الأسنان إلى ثلث نسبة الإصابات فى جماعة أخرى تماثلهم فى العدد وتشرب الماء المكرر العادى .

وقال الدكتور والاس أومسـترونج إن الفحص الطبيعى للاسنان دل على أن السليمة منها تحتوى على كمية أكبر من الفلورين عن الأسنان التالفة . وأيده الدكتور بازيل بيلى فقال إنه أجرى ست دراسات على تغطية الأسنان بأحد مركبات الفلورين فقلت نسبة التلف فى الأسنان من ٢٦ إلى ٥٠٪ بعـد استعمال الفلورين من مرتين إلى ١٥ مرة .

وقال الدكتور فردريك ما كاى إن إضافة الفلورين إلى مياه الشرب يقلل تلف الأسنان فى الأمة إلى نصفها .

وتجرى الآن فى كنجستون ونيوبوروف فى ولاية نيويورك تجربة واسعة النطاق ينتظر أن تمتد إلى عشر سنوات وهدفها اختبار قدرة الفلورين فى مياه الشرب على منع فساد الأسنان .

وتحتوى مياه نيوبوروف فى مياهها العادية على فلورين نسبته واحد من المليون . ويضاف إليها مقادير أخرى منـه حتى تصل نسبته إلى واحد فى المليون . أما مياه كنجستون فلا تحتوى على فلورين على الإطلاق ؛ وعلى أساس إصابات الأسنان بالأمراض فى البقعتين ودراستها دراسة طبية يستطيع العلماء تقدير فائدة الفلورين فى الماء أو ضرره . على أن الإحصائية التى يريد العلماء الأخذ بها هى نتيجة السنة الثامنة عند ما تـكون الأمراض المتقدمة قد أزيلت والأسنان أخذت حاجتها من مناعة الفلورين .

أبناء العظماء ومستقبلهم

قلما يصل الأبناء إلى اوج الشهرة التى وصل إليها آباؤهم . وذلك تبعاً لتقرير كتبه البروفسور جوزيف شنيـدر فى مجلة الأبحاث الاجتماعية الأميركية فقال فيه ان أبناء الوزراء نادرا ما يصبحون وزراء معروفين و كذلك أبناء الأطباء ورجال الدين .

وقد قارن الباحث بين ميول الشعبين الإنجليزى والإميركى معتمداً على إحصائيات استقاها من عام ١٦٠٠ إلى الآن فوجد أن المشهورين من الاميركيين كانوا يخرجون غالباً من الطبقة المغمورة ويصلون إلى اوج رفعتهم عن طريق الأعمال أو الفلاحة أوالسياسة أو الصحافة أو الأعمال الفنية .

ووصل أكثر مشاهير الإنجليز إلى مراكزهم عن طريق الدين وكتابة سير الأفراد أو الرسائل الأدبية ، وقال ان ٤٥ فى المائة من مشاهير الرجال فى الولايات المتحدة زاولوا أعمالاً ما كان يظن انها ترفع من شأنهم . أما أبناء الطبقة المنتخبة فى الولايات المتحدة فقد اكتسبوا الشهرة عن طريق السياسة أو الحرب بينما وصل أربعة اخماس أبناء الفنانين إلى مراكزهم الرفيعة عن طريق الفن وكتابة الرسائل .

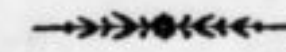
فوزى الشتوى



٦ - الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت



إن ما يعيب بعض المصورين المعاصرين عندما يريدون تصوير خيول تعدو هو أنهم يمثلونها في أوضاع أخذت في لمح البصر .



سباق ابسوم (للمصور جريكول)

انتُقِد جريكول (Gericault) لأنه صور بلوحته الموجودة باللوفر وهي « سباق ابسوم » خيوله تعدو وقد تمطَّطتْ جسومها حتى لتكاد تلامس بطونها الأرض ، رامية بقوائمها الأمامية إلى قدام وبالخلفية إلى وراء في نفس اللحظة . ويقال إن لوح الفوتغرافية الحساس لا يعطي مثل هذه النتيجة . وحقيقة ما نرى في التصوير الفوتغرافي هي أنه عند ما تكون قوائم الحصان الأمامية إلى قدام يكون للقوائم الخلفية التي دفعت الجسم إلى الأمام بطبيعة وضعها وقت للتجمع تحت الجسم لإعادة الكرة ، فتكون بذلك القوائم الأربع متجمعة مع بعضها في الهواء في وقت معين ، ويبدو الحيوان كأنه يقفز من على الأرض وكأنه بغير حَرَاك وهو في ذلك الوضع .

« وأعتقد الآن أن جريكول هو المصيب وأن العدسة هي المخطئة لأن خيوله تظهر كأنها تعدو . ويتبين ذلك عند ما يتتبع الناظر اللوحة من اليمين إلى الشمال ، فيرى أول ما يرى القوائم الخلفية تنجز ذلك الجهد الذي تنشأ عنه القوة الدافعة العامة ، ثم يرى بقية الجسم ينبسط ويتمطط ، وأخيراً يرى القائمتين الأماميتين ممدودتين وهما تهويان إلى الأرض . وهذا خطأ في الواقع ، لأن هذه الحركات لا يمكن أن تحدث في وقت واحد ، ولكنه صواب إذا ما لوحظت الأجزاء على التتابع ، وهذا الصدق وحده هو الذي يعنينا لأنه هو الذي نراه ونتأثر به .

لاحظ إلى ذلك أن المصورين والمثالين الذين عند ما يؤلفون بين الأوجه المختلفة لحركة ما في صورة أو تمثال معين لا ينزلون في ذلك على حكم العقل أو المهارة الفنية ولكنهم يعبرون بكل بساطة عما يشعرون به فترى عقولهم وأيديهم كأنما تنساق في اتجاه الحركة فيعبرون عن تطورها بالغريزة .

ونرى هنا — كما هو الحال في كل ميادين الفن — أن الإخلاص وحده هو القاعدة الوحيدة »

صمتُّ برهة طويلة أفكر فيما قاله لي إلى أن قطع صمتي بسؤاله : « ألم أقنعك ؟ »

نعم ، بالطبع . ولكني عند ما أتأمل تلك المعجزة ، معجزة التصوير أو النحت التي يمكنها أن تجمع في جسم واحد حركة تدوم عدة لحظات ، أقول عند ما أتأمل ذلك أسائل نفسي إلى أي حد يتسنى للتصوير والنحت أن ينافسا الأدب — والمسرح بوجه خاص — في تسجيل الحركة . ولا يسعني إلا أن أقول في صراحة إنني أميل إلى الاعتقاد أن مثل هذا التنافس لا يمكن أن يجرى لشوط بعيد ، وأن رجال الريشة والإزميل لأشد قصوراً في هذا الميدان من رجال القلم ، فقال رودان :

ليس قصورنا كبيراً كما تظن . وإذا كان باستطاعة التصوير والنحت أن يهبا الأجسام الحركة فني مقدورهما أن يأتيا بأكثر من ذلك ؛ بل ويستطيعان في بعض الأحوال أن يجاريا الفن الدراماطيقي في إظهار عدة مناظر متتابعة في نفس اللوحة أو مجموعة التماثيل » فأجبته :

« نعم . ولكنهم يدلسون بعض الشيء . لأنني أظنك تتكلم عن تلك الصورة القديمة التي تعرض تاريخاً شاملاً لشخص معين فتظهره

عدة مرات فى أوضاع مختلفة على نفس اللوحة . فمثلا توجد بمتحف اللوفر لوحة زيتية إيطالية صغيرة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر تقص علينا تاريخ أوروبا على هذه الوتيرة . فترى فيها أول ما ترى الأميرة الصغيرة تلعب فى حقل نضير مع أترابها للواتى يعاونها على امتطاء صهوة الثور « جوبيتر » ، ثم تراها بعد ذلك مروعة وقد اختطفها الإلـه وغاص بها فى لجج اليم » . فأجاب رودان :

« هذه طريقة بدائية على الرغم من أن بعض الفحول من الفنانين مارسوها . فمثلا عالج ڤيرونيز Veronese قصة أوروبا هذه بنفس الطريقة كما يتضح من لوحته الموجودة بقصر الدوقية بمدينة البندقية . ولـكن على الرغم من هذا النقص فلوحة كالياري Caliari معجبة . وأنا لم أشر بشيء إلى مثل تلك الطرق الصبيانية لأنى لا أوافق عليهـا كما يمكنك أن تدرك ذلك . ولـكى أجعل نفسى أكثر جلاء ووضوحا يتحتم على أن أسألك أولاً عما إذا كنت تذكر لوحة واتو Watteau المسماة « ركوب السفينة إلى جزيرة سايتيرا » فقلت :

« إنى لأذكرها تماما كما لو كانت نصب عينى الآن » .

« إذاً فسوف لا أجد صعوبة فى الإفصاح عن نفسى . فاذا تذكرت رأيت أن الحركة فى تلك اللوحة الفذة تبدأ فى الأمام إلى اليمين وتنتهى فى الخلف إلى اليسار . وتلاحظ أول ما تلاحظ فى مقدم اللوحة شخصين هما سيدة فاتنة وعشيقها المتيم جالسين تحت الظلال الوارفة قريبين من تمثال نصفى لسايبريس Cypris منمق بأضافير الورد وإكليله ، يشتمل الرجل بعباءة مطرزة عليها قلب نفذ فيه سهم . وفى ذلك إشارة لطيفة إلى ما سوف يتجشمه فى هذه المرحلة الغرامية . تراه راكعاً بجانبها يستميلها ويستعطفها فى حرارة ولـكنها تقابل ضراعاته بفتور ربما كان مصطنعا ، وتتظاهر كما لو كانت متشاغلة عنه بمعاينة التهاويل التى على مروحتها . ويجلس بالقرب كيوبيد Cupid صغير فوق كنانته وقد تعرى أكثره . يرى أن المرأة قد أمعنت فى التدلل والتمنع فيجاذبها قميصها ليستلين فؤادها.

وإلى هنا لا تزال المرحلة الغرامية فى مبتداها . هذا هو المشهد الأول . وهاك الثانى : ترى إلى اليسار من ذلك زوجاً آخر . أما السيدة هنا فتقبل يد حبيبها الذى يعاونها على النهوض ، وقد أدارت ظهرها إلينا وتدلت من رأسها ذؤابة من تلك الذوائب الشقراء الذهبية التى يصورها واتو برشاقة ساحرة . أما المشهد الثالث فيقع إلى أبعد من ذلك بقليل . ففيه يضع المحب ذراعه حول خصر مالكة لبه ليجذبها إليه ويسير بها فتتلفت إلى قرنائها الذين يحيرها تخلفهم ، ولـكنها لا تلبث أن تنقاد فى غير ما تأب .

والآن ينزل المحبون إلى الشاطئ ويندفع الجميع إلى السفينة ضاحـكين ولم يعد الرجال بحاجة إلى التوسل والتضرع ، وقد تشبثت السيدات بأذرعهم .

وأخيراً يعاون المحبون فاتناتهم على الاستواء على ظهر السفينة الصغيرة التى تتأرجح على صفحة الماء كأنها الحلم الذهبى وقد ازينت بالأزهار وشارات خافقات من الحرير الأحمر . أما اللاحون فكبون على مجاديفهم وهم على وشك التجديف . وثمت آلهة الحب الصغيرة تتقدمهم محمولات على أجنحة النسيم كأنما تقود المحبين إلى الجزيرة اللازوردية التى تلوح فى الأفق » .

« ألاحظ يا أستاذ أنك تحب هذه اللوحة لأنك تذكر كل دقائقها » .

« انها لمتعة لا يستطيع المرء أن ينساها . ولـكن هل لاحظت تطورات هذا التمثيل الصامت ؟ خبرنى بربك الآن : أيها أصدق فى تسجيل الحركات أهو المسرح أم التصوير ؟ حقاً إنه ليصعب على المرء أن يقطع بقول فى هذا الأمر . فها أنت ترى أن الفنان لا يستطيع – إذا ما أراد – أن يصور الحركات العارضة فقط بل ويمثل فصلاً طويلا على حد تعبير الفن الدراماطيقى .

وليس عليه لإدراك النجاح سوى أن يضع أشخاصه بحيث يرى الناظر أول ما يرى منها أولئك الذين يبدأون العمل ، ثم الذين يمضون به ويستمرون فيه . وأخيراً يرى أولئك الذين ينهون ذلك العمل . أتريد مثلا فى النحت ؟ » وعند ذلك فتح كتاباً أخذ

يبحث فيه هنيهة ثم سحب منه صورة فوتوغرافية وقال :

« هاك المارسليز الذى نحته رود ليوضع فى جانب من نصب « قوس النصر » ، ترى « الحرية وقد لبست درعا نحاسية تشق الهواء بأجنحة منتشرة وترعد فى صوت هائل : « إلى السلاح أيها المواطنون » . ترفع يدها اليسرى عالية تستحث بها الأبطال من حولها ، وتمسك بالأخرى سيفاً تصوبه نحو الأعداء . إنها بلاريب أول ما تشاهد إذ أنها تسود المجموعة كلها . أما ساقاها المنفرجتان



تمثال المارسليز (صنع المثال رود)

اللتان تجعلانها تبدو كأنها تجرى فتخالها نغمة أضيفت إلى هذه الأنشودة الحربية السامية . وكأنى بصوتها القوى المنبعث من فمها الحجرى يشق صماخ الأذن ، فما لك من سماع صوتها من بد ، ولم تكد ترسل دعوتها إلى الحرب حتى تدافعت الأبطال إلى الأمام . فهذا غوطى كأن شعره لبدة الأسد يلوح بخوذته عالياً كأنه يحيى الآلهة وقد وقف ابنه الفتى الصغير إلى جانبه ممسكا بقبضة سيفه يستعطفه ليرافقه إلى ساحة الوغى وقد بدا عليه كأنه يقول : « أنا قوى كما يجب يا أبتاه ، إننى رجل ، أريد أن أذهب معك ، فيقول له أبوه وقد حدجه بنظرة عطف وخيلاء : « تعال » .

أما المشهد الثالث فيتكون من محارب قديم يترنح تحت أعباء عتاده ويجهد ليلحاق بهم ، إذ يتحتم على كل من يشعر من نفسه القوة أن يذهب إلى ميدان القتال . ثم هذا رجل هرم قوست السنون ظهره يتبع الجند بأدعيته وصلواته ، وتدل إشارة يده على أنه يعيد عليهم نصائحه التى استخلصها لهم من تجاريبه الخاصة .

ويتكون المشهد الرابع من قواس يثنى ظهره المتعضل ليشد عليه سلاحه ، ومن بوق يرسل نداءه المثير إلى الجحافل ومن بنود تخفق ورماح مشرعة إلى الأمام . لقد صدر الأمر وابتدأ الكفاح فعلا .

وترى هنا أيضاً رواية مثلت أمام أعيننا ؛ ولكن بينما لوحة « ركوب السفينة إلى سايتيريا » تذكر المرء بهزليات ماريفو marivaux فإن المارسليز يذكره بمآسى كورنيل Corneille وإنى لا أدرى أى الاثنتين أفضل ، إذ أرى فى إحداهما من الروعة والعبقرية بقدر ما أراه فى الأخرى » ثم قال بعد أن حدجنى بنظرة تحدّ ماكرة :

« أعتقد أنك سوف لا تقول بعد الآن بأن لا قبل للتصوير والنحت بمنافسة المسرح » فقلت له : « طبعاً كلا » .

وفى تلك اللحظة لمحت فى الكتاب الذى أعاد إليه صورة المارسليز صورة شمسية أخرى لتمثاله البديع المسمى « رهائن كاليه » ثم قلت :

« ولكنما أبرهن لك على أنى أفدت من تعاليمك دعنى أطبقها على عمل من أجل أعمالك ؛ لأننى أرى انك أنت نفسك تطبق تلك القواعد التى كشفت لى عنها . فهنا فى تمثالك رهائن كاليه[1] ، Burghers of Calais أستطيع أن أرى منظراً متتابعاً كالذى ذكرت من أعمال واتو وروود . فالشخص الذى فى الوسط هو أول ما يسترعى النظر . وما من إنسان يشك فى أنه (يوستاك سنت بيير) . إنه يحنى رأسه الجليل الذى يكلله شعر أشيب طويل .

(١) الأصل فى معنى كلة Burghers هو « نواب » ولكنى استصوبت وضع كلة « رهائن » بدلا منها .

ليس متردداً ولا خائفا ، يتقدم بخطى ثابتة وقد أسبلت عيناه فى صلاة صامتة . وإن كان يترنح قليلا فإنما ذلك من جراء الشدائد التى عاناها أثناء الحصار الطويل . إنه هو الذى يلهم الآخرين . إنه أول من تقدم من الرهائن الستة الذين يتوقف على اعدامهم انقاذ أبناء بلدتهم من المذبحة المنتظرة ، وذلك حسبما شرط الغزاة . أما المواطن الذى إلى جانبه فليس أقل منه شجاعة . ومع أنه لا يجزع لمصيره الخاص إلا ان شروط تسليم المدينة يسبب له ألماً ممضا . وفى حين يقبض بيـده المفتاح الذى يتحتم عليه تسليمه للانجليز نراه يصلب كل جسمه كيما يجد من نفسه القوة على احتمال هذ الذل المحتوم . وإلى جانب هذين . وفى مستواهما ، نجد رجلا أقل شجاعة منهما لأنه يسرع فى مشيته فتقول عنه : أماوقد وطن نفسه على التضحية فإنه يتوق إلى تقصير الوقت الذى بقى على استشهاده .

ومن وراء هؤلاء يأتى رهينة آخر ممسكا رأسه بيديه ومسلماً نفسه ليأس عنيف ، ربما كان يفكر فى زوجه وأولاده أو فى أحبائه أو فيمن سيشقى برزئه من مماته .

وثم رهينة خامس يحرك يده أمام عينيه كأنما يحاول بذلك أن يبدد كابوساً مرعباً أناخ على روحه ... إنه يتعثر ، ولا غرو فقد روَّعه الموت .

وأخيراً نرى الرهينة السادس وهو أصغرهم جميعاً . نراه كأنه متردد غير مستقر ، يقبض أسارير وجهه هم ناصب . أهو طيف حبيبته الذى يستحوذ على أفكاره ؟ ولـكن رفقاءه يتقدمون وها هو ذا يتبعهم مادا عنقه كما لو كان يسلمه إلى سيف القدر .

ومع أن هؤلاء الثلاثة أقل شجاعة من الثلاثة الأول فإن نصيبهم من التقدير والإعجاب لا يقل بحال من الأحوال عنهم ، لأن إخلاصهم أدعى إلى التقـدير والثناء . ويكلفهم أكثر مما يكلف الآخرين .

وهكذا يتسنى للمرءان يتابع بدقة فصلا تمثيلياً فى رهائن كاليه ، ذلك التمثيل الذى هو نتاج شـعور وتأثر كل فرد منهم بنفوذ يوستاك دى سنت بيير ومقدار اقتدائه به والنسج على منواله فيراهم المرء وقد أسلموا قيادهم إليه رويدا رويدا وقد قرر الواحد تلو الآخر أن يتقدم معه إلى الموت ليدفع ثمن مدينتهم .

ولا ريب أن فيما ذكرت أعظم إثبات وتعضيد لرأيك عن قيمة الحركة والمناظر فى الفن » فأجاب رودان :

« لو لم يكن فيما تراه فى عملى شىء من المغالاة لجزمت بأنك أدركت ما هدفت إليه تمام الإدراك . لقد قدرت (رهائنى) كل التقدير ورتبتهم بحق تبعاً لمقدار بطولتها . ولـكيما أظهر هذه الحال بأجلى مظهر أبديت رغبتى التى ربما تعلمها بأن تثبت تماثيلى الواحد وراء الآخر على بلاط الميدان قبالة سراى بلدية كاليه لتكون أشبه بحلقة حية من الآلام والتضحية . لو أنها وضعت كذلك لبدت كأنها تخطو من دار البلدية إلى معسكر ادوار الثالث ، ويشعر سكان كاليه اليوم عندما يخالطونها فى غدوهم ورواحهم شعوراً عميقاً بالتضامن أو الاتحاد التقليدى الذى يربطهم بأولئك الأبطال ، ولـكان أثر ذلك بالغا فيما أعتقد . ولـكنهم رفضوا مقترحى وأصروا على وضع التماثيل على قاعدة قبيحة بقدر ما هى غير لازمة . إنهم كانوا مخطئين ، وأنا متأكد مما أقول » . فقلت « وا أسفاه . كأنما قدر على الفنان دواما أن يجارى الأفكار السائدة . وما أسعده لو استطاع أن يحقق طرفاً من أحلامه الجميلة » .

دكتور محمد بهجت

من وحى إنجلترة (1) :

البـــانوراما

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

[البانوراما هى هضبة عالية بمدينة إكستر تشرف على السهول والأودية الممتدة حول هـذه المدينة التى تعد عروس المدن فى جنوب غربى انجلترة . وقف الشاعر عليها وأرسل الطرف بعيدا بعيدا ثم نظم هذه الأبيات] .

هذا الفضاء أمام عينك فانظرى   تجديه ملء السَّمع ملء المنظر
إنى أذُوقُ به لذاذاتِ الهوى   وأشمُّ نفحَ عبيرِهِ المتعطِّرِ
حيثُ الربيعُ هناك فى ريْعانه   يختالُ فى البُرد النضير الأخضر
حلَّت بشاشتُه بكل ثنيَّة   وبدتْ نضارته لكل مصوِّر
صُورٌ جلاها الحسنُ فهى مُشاعة
      نهبٌ لعبَّادِ الجمالِ الأطهر

***

قد عفتُ زَثرةَ المدينة فاسمعى   همس النسيم يمرُّ غير مُثرثر !!
وسئمتُ أكدارَ الحيـاةِ وهاهُنا
      ماء الحيـاةِ الصفوُ لم يتكدَّرِ
وبَرِمْتُ بالأنفاس وهى حبيسةٌ   فى قلبىَ المتأجج المتسعِّرِ
ووجدتُ أعباءَ الحياةِ ثقيلةً   فأردتُ أطرحها بهذا المشعَرِ !
وهناك فى النَّشَوات غبتُ كأننى
      سكرانُ من خَمرٍ ولو لم أسْكَرِ
وأفقتُ والدنيا أمامى جَنَّةً   حُفَّتْ بكل محبَّبٍ ومُخَيَّرِ
والجدولُ الوسنان يخطر تحتنا   ينسلُّ مثلَ العاشِقِ المتحذِّرِ
وعلى امتداد الطَّرف ألمحُ قريةً   قد لفَّها وَرَقُ الربيع بمئزر
ظَهَرتْ على الأفق البعيـد وخلفها
      دنيا مغيَّبة الصُّوَى لم تَظْهَر
عجباً يلوحُ لنا القريبُ كواقع   ووراءه غيبٌ كسرٍّ مُضْمَرِ
مَن لى (بزرقاء اليمامة) علَّنى
      أسْتَامُ ما خلف الستار الأكبر ؟؟

(1) من ديوان بهذا العنوان تحت الطبع

تمثلوا كلهم فى ذلك الرجل

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

[كانت الحفلة التكريمية التى أقامها الدستوريون من أبناء دار العلوم فى دار الأوبرا الملكية بمناسبة الانعام الملكى على صاحب المعالى الوزير الأديب إبراهيم دسوقى أباظه باشا مظهراً من مظاهر الأدب الرائع تجلى فيما ألقى الخطباء وأنشد الشعراء من أفانين البلاغة العالية التى استمدت صورها من فن المادحين ، وفكرها من أخلاق الممدوح . وإنا ننشر هذه القصيدة تمثيلا لما قيل فى هذا الحفل الكريم ، ومشاركة من الرسالة فى تكريم هذا الخلق العظيم]

مجدٌ أهل على أمجادك الأُولِ   ممن نفدِّيه بالأرواح والمقل
« فاروق » أكرم من يجزى على عمل
      للساهرين على الإخـلاص فى العمل
الصامتين وأيديهم محـدِّثةٌ   والعازفين عن التهريج والدجَل
السائرين على الأشواك لن يهنوا
      حتى يسير الحمى فى اليـانع الخضِل
الذاهبين مثالا فى الفناء له   حتى غدوا فى التفانى مضرب المثل
الخائضين الوغى ناراً مؤججة   فما استكانوا وما ذلوا على وجل
القاذفين بها أرواحهم شعلا
      أذكت لظاها ، فكانت أصدق الشعل
الثائرين على العدوان مجترئاً   والصامدين له فى الحادث الجلل
الصارخين وقد دوّى الحديد ضُحى
      والشُوبَكِيُّونَ أشلاء على السبل (1)
الغاضبين أسـوداً فى عرائنهم
      وقد عـوى الذئب محوماً على الحمل
أولئك الصفوةُ الأخيار أجمعهم   تمثّلوا كلهم فى «ذلك الرجل»

هو الدسوقى وفى يمناه صفحته   بيضاء : تقرأ فيها سيرة البطل
يا سيدى : رتبـةُ الفاروق مفخرةٌ
      فانعم بها فى هوى « الفاروق » واحتفل
تهييتك فلم تهمم مبكرة   وأين همتها من قمة الجبل ؟
سعت إليـك لجال الشعر فى خلدى
      والشعر لولاك لم يخطر ولم يجـل
يا سيدى فى يدى قيثارة عجب   شدت بمجدك فى حب وفى غزل

(1) إشارة إلى حوادث الاحتلال الدامية فى بلدة « الشوبك » سنة ١٩١٩

تهتز أوتارها نشوى فمن ثمل   يميل من فرط نشواه على ثمل
سكبتُ ألحانها من « خافقى » قُبلاً
على يديك فكانت أعمق القبل
ألحانها من كريم الشدو ينفحه
عهدٌ إذا حالت الأيامُ لم يحل
ياطالما صدحت فى بيتكم وشدت   وطالما كنت ترعاها فتسمع لى
أغلو بشعرىَ مزهواً فتوسع لى   صدراً لمصرَ بهِ دنيا من الأمل
خلعتُ من حلل الأشعار أوسمة   عليه أخلد ما يعلوه من حُلل
واليوم ذاك مجالى من يزاحمنى   ومن يقول إذا «حسانُ» لم يقل
لى فى « غزالة » ناديك الذى انفسحت
أرجوؤه لكريم الشعر والجدل
يظله منك مجدٌ دون روعته   مجد الرشيد ومجد الأعصر الأول
فعشتَ للفن ترعاه وتكلاه ..   يامجدىَ الضخمَ فى حلى ومرتحلى
وعشتَ للحق ترعى الحق واطردت
خطاك للنيل فى منجًى من الزلل
لما تحايلت الأيام تخدعه   ألقيتَ درساً عليها بارع الحيل
سعيتَ للهدف العالى ففزت به   ومال غيرك للدنيا فلم تمل

الأبد الصغير

للمرحوم أبى القاسم الشابى

ياقلب ! كم فيك من دنيا محجبة   كأنها حين يبدو فجرها « إرَم »
ياقلب ! كم فيك من كون قد اتقدت
فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم
ياقلب ! كم فيك من أفق تنمقه   كواكب تتجلى ثم تنعدم
ياقلب ! كم فيك من قبر قد انطفأت
فيه الحياة وضجت تحته الرمم
ياقلب ! كم فيك من غاب ومن جبل
تدوى به الريح أو تسمو به القمم
ياقلب ! كم فيك من كهف قد انبجست
منه الجداول تجرى مالها لجم
تمشى ... فتحمل غصناً مزهراً نضر
أو وردة لم نشوه حسنها قدم
أو نحلة جرها التيار مندفعاً   إلى البحار تغنى فوقها الديم
أو طائراً ساحراً ميتاً قد انفجرت
فى مقلتيه جراح جمة ودم
ياقلب ! إنك كون مدهش عجب
إن تسأل الناس عن آفاته يجموا
كأنك الأبد المجهول قد عجزت
عنك النهى واكفهرت حولك الظلم

ياقلب ! كم من مسرات وأخيلة   ولذة يتحامى ظلها الألم
غنت لفجرك صوتاً حالماً فرحاً
نشوان ثم توارت وانقضى النغم
وكم رأى ليلك الأشباح هائمة   مذعورة تتهاوى حولها الرجم
ورفرف الألم الدامى بأجنحة   من اللهيب وأنّ الحزن والندم
وكم مشت فوقك الدنيا بأجمعها   حتى توارت وسار الموت والعدم
وشيدت حولك الأيام أبنية   من الأناشيد تبنى ثم تنهدم

تمضى الحياة بماضيها وحاضرها
وتذهب الشمس والشطآن والقمم
وأنت أنت الخضم الرحب : لا فرح
يبقى على سطحك الطاغى ولا ألم

ياقلب ! كم ذا تمليت الحياة وكم
راقصتها مرحاً ما مسك السأم
وكم توشحت من ليل ومن شفق
ومن صباح توشى ذيله السُّدم
وكم نسجت من الأحلام أردية   قد مزقتها الليالى وهى تبتسم
وكم ضفرت أكاليلاً موردة
طارت بها زعزع تدوى وتحتدم
وكم رسمت رسوماً لا تشابهها   هذى العوالم والأحلام والنظم
كأنها ظلل الفردوس حافلة   بالحور ثم تلاشت واختفى الحلم

تبلو الحياة فتبليها وتخلعها   وتستجد حياة مالها قدم
وأنت أنت : شباب خالد نضر   مثل الطبيعة . لاشيب ولاهرم



الماضي الخالد

سيدى الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد

اطلعت أخيراً على أحد المنشورات البريطانية عن تاريخ اهتمام الإنكليز بالعرب واللغة العربية، وقد جاء فى ذلك المنشور ما يأتى :

« من بين أولئك الذين تأثروا تأثراً عميقاً بالعلوم العربية الفيلسوف العظيم «بيكون» . ومما يستحق الذكر أن أول كتاب طبع فى انكلترا، وهو كتاب كلمات الفلاسفة وحكمهم كان مؤلفاً على نسق كتاب عربى اسمه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» الذى ألفه عام ألف وثلاثمائة وخمسين بعد الهجرة « الأمير المصرى مبشرين فاتك» ، ولم يطبع النص العربى لهذا الكتاب ، ولكن له نسخة مخطوطة فى هولاندا ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الأوربية ، وقد كان فى وقت من الأوقات صاحب شهرة عظيمة فى الشرق » .

فهل قرأت يا سيدى العزيز هذا الكتاب فى الإنجليزية ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما رسالته ؟ وكيف انتقلت النسخة المخطوطة إلى هولاندا ؟ وفى أى عصر كان هذا الانتقال؟ وإذا كان «بيكون» قد تأثر بهذا الكتاب فما مبلغ تأثره وما نتيجة ذلك ؟ وإذا كان هذا الكتاب قد ترجم إلى معظم اللغات الأوربية فأين النص العربى الآن ؟

ومتى نعرف أن Sir William Jones « سير وليم جونس » ترجم المعلقات السبع ، وأن Hindley « هندلى » ترجم التنبى ، وأن George Sale « جورج سيل » ترجم القرآن الكريم ، وأن Pococke « بوكوك » ترجم لامية الطغرائى ومختصر الدول ، وأن Ockley « أوكلى » ترجم رسالة حى بن يقظان لابن طفيل ؟ !

وإلى متى نظل فى مهاتراتنا حول قضية القديم والحديث ، وهذا عالم إنجليزى لا يحضرنى اسمه يقول لابن أخيه : « إننى وقائدى ودليلى العقل قد تعلمت شيئاً من أساتذتى العرب ، ولكنك يابنى قد تعلمت شيئاً مختلفاً عنه ، فقد بهرتك مظاهر السلطة فوضعت فى رأسك لجاماً تقاد به ، وكما أن الحيوانات تقاد من مقودها حيث يشاء الإنسان دون أن تدرى لم تقاد وإلى أين .. كذلك كثير منكم يرسف فى أغلال البساطة ولا يدرى أين يُذهب به » وأقول إن أولئك الذين يعرفون ما كتبه العرب يدركون لأول وهلة مصادر الدرس الذى تعلمه هذا الفيلسوف ، وأن أولئك الذين تعلموا علوم العرب ودرسوا لغتهم ليدركون كل الإدراك معنى هذا الدرس

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وإن فى هذا لبلاغا لقوم يعقلون .

عبد القادر محمود

هل الموسيقى لغة ؟

حاول الاديب سهيل إدريس تفنيد بعض آراء الأستاذ على الطنطاوى عن الموسيقى فأعوزه التوفيق فى إيضاح ما تعرض له إيضاحاً علمياً . وأمامى الآن كتاب صغير عن تأريخ الموسيقى وضعه الأستاذ و ج . تيرنر فى سنة ١٩٣٠ وفرغت أنا والفنان . شكيب من نقله إلى العربية فى خلال السنة الماضية . ففى الفصل الأول من هذا الكتاب تعرض المؤلف للبرهنة على أن الموسيقى لغة ، وأود أن أجمل فيما يلى بعض ما ذكره ، وهى كفيلة بوضع الأمور فى نصابها .

ما هى الموسيقى ؟ قال البعض : إنها الفن الذى يؤلف بين أصوات مطربة . وظاهر أن هذا التعريف لا يشمل أصول الموسيقى الروحية أو الذهنية ، إلى غير ذلك من مختلف التعاريف التى ينقصها الشمول والتحديد والتى لا ترتفع لمستوى ذلك التعريف الذى وضعه بتهوفن معرفاً به الموسيقى ، إذ قال : « إن الموسيقى هى الحلقة التى تربط حياة الحس بحياة الروح » ـ أى الحياة الباطنة بالحياة الظاهرة . والواقع أن الموسيقى لغة يمكن أن تعبر عما يخالج النفس الإنسانية من شعور ـ سواء أكان حسياً بسيطاً أم روحياً مركباً .

ومثل الموسيقى مثل بقية الفنون فى قدرتها على التقليد والمحاكاة ـ فكما أن الشاعر قادر على محاكاة الأشياء كالكر والفر فى ميدان المعركة بترتيبه للألفاظ ترتيباً فنياً خالصاً ، كذلك

الموسيقى فإنه قادر على الوصف قدرة لا حد لها - إما بالمحاكاة المباشرة أو عن طريق التداعى ، وذلك بالنغم .

والنغم هو أداة الموسيقى كما أن اللفظ هو أداة الأديب واللون أداة الرسم . ويرتبط اللون واللفظ بأشياء خارجية تسبب تداعى مختلف المعانى ، ويرجع هذا لأثر البيئة . فإذا كتب كاتب : « شجرة » فإن القارئ قد يتصور نخلة تمر أو شجرة بلوط أو ما شاكل ذلك ، وإذا حاول رسام أن يخرج للحياة فكره وشعوره الباطنى عن طريق اللون فإن الرسم قد يُخرج مختلف الصور الذهنية عند مختلف الأفراد . هذه هى المعضلة الأساسية التى تقابل المترجم والرسام : عليه أن يتخير اللفظ واللون ليخرج صورة حية قمينة بالخلود ، ولا يتأتى هذا إلا للعبقرى .

أما الموسيقى فهى خلو من هذه الصعوبات ؛ لأن النغم واحد عند الجميع ، إذ هو مستمد من الروح الإنسانية ، أو بعبارة أخرى ، لأنه غير مرتبط بعوامل خارجية . والموسيقى قبل هذا كله لا ترتبط بالعالم الظاهر فيما عدا تقليدها المباشر لعدد قليل من الأصوات الطبيعية التى تخلقها الطبيعة ، مع ملاحظة أن الأصوات جد نادرة فى الطبيعة وأن عالمنا الذى نعيش فيه عالم صامت إلى أبعد الحدود ، ويمكن التدليل على صحة هذا بأن يتخيل القارئ أنه يعيش وحيداً فى الريف أو فى الصحراء بعيداً عن الناس وعن ضوضاء المدينة ، حيث السكون شامل مطلق .

يتساوى هذا السكون فى نظر الأفراد فى مختلف بقاع الأرض لأنه غير مرتبط بماديات الحياة . هذا السكون هو الذى وهب الموسيقى ذاتيتها الفريدة ، فتعبير الموسيقى عن فكره وشعوره عن طريق النغم مستمد من صميم العالم الباطن للروح الإنسانية ، وهى بهذا وطدت عالميتها وإنسانيتها .

والموسيقى لغة لا تقدر على ربط معاملات الناس التجارية ولكنها قادرة على التعبير عما يختلج فى قلوبنا من عواطف وما يمر فى عقولنا من خيالات - كل هذا بأدق وصف ، وسهولة أداء وقدرة على التعبير ، لأنها أنقى لغة تترجم عن النفس الإنسانية ولأنها تبحث فى دنيا الباطن ، وليس لها شىء فى عالم الظاهر . هى لغة لأنها تنقل للآخرين صورة حية لما يتفاعل فى نفس الموسيقى من شعور وآمال باطنة . هذه الصورة هى المظهر الخارجى الذى يفهمه الآخرون بحواسهم . فتعبيرات الموسيقى النفسية هى ألحان موضوعة فى نغم موسيقى ، والنفس الإنسانية واحدة فى الجوهر وإن اختلفت فى المظهر ، وعلى هذا فتعبيرات الموسيقية واحدة تنبع كلها من نبع واحد هو النفس الإنسانية وإن اختلفت فى الشكل الخارجى .

هذا مجمل لرأى الأستاذ تيرنر فى هذا الموضوع .

محمد التونى

المدرس بالمعهد البريطانى للعلوم التجارية

مؤتمر إصلاح الأسرة

قررت الجمعية العمومية لرابطة إصلاح الأسرة فى اجتماعها السنوى برياسة سعادة محمد على علوبة باشا الدعوة إلى عقد مؤتمر عام لبحث شئون الأسرة يدعى إليه رجال الدين والاجتماع والتربية والمشتغلون بالأبحاث الاجتماعية فى مصر والأقطار الشقيقة ، وقد شكلت لجنة لتنظيم المؤتمر من حضرات أصحاب العزة :

محمد فتحى بك ، عبد الحميد بك عبد الحق ، جلال حسين بك ، حسن بك فريد ، صالح جودت بك ، أحمد محمد بك ، الدكتور محمد صالح حلمى بك ، الدكتورة فاطمة فهمى ، الأستاذة زينب لبيب المحامية

وتطلب البيانات الخاصة بهذا المؤتمر من سكرتارية الرابطة ٦ شارع محمد صدقى باشا بميدان الفلكى بمصر .

اسماعيل توفيق



ناظرة المدرسة

لانطوني تشيكوف

بقلم الأستاذ محمد قطب

في منتصف الساعة التاسعة خرجت العربة من المدينة . وكان الطريق الجبلي جافاً وشمس أبريل الضاحية المشرقة تنشر الدفء والبهجة وإن كان الجليد ما زال باقياً في الحفر وفي ثنايا الغابات ، فقد انتهى الشتاء المظلم الطويل ولما يكد ، وطلع الربيع فجأة على غير انتظار . ولكن الدفء الجميل ومنظر الغابات الشفافة التي أنعشتها نسمات الربيع الدافئة ، والطيور المحلقة في جماعات كبيرة فوق المستنقعات العظيمة التي تبدو كالبحيرات ، والسماء الصافية الرائقة التي تبعث الرغبة في الإنطلاق ، وتخيل للانسان أن يرتقي إليها صعدا فيوغل في أرجائها الفسيحة ... كل أولئك لم يكن ليبعث معنًى واحداً جديداً في نفس « ماريا فاسيلفينا » التي كانت تجلس في العربة . فهي ناظرة مدرسة منذ ثلاث عشرة سنة ، ولا يستطيع أحد أن يحصي عدد المرات التي ذهبت فيها إلى المدينة لتقبض راتبها . وسواء كان الوقت ربيعاً كما هو الحال اليوم ، أو كان يوم خريف ممطر أو شتاء مظلم ، فلا فرق لديها أبداً . وهو إحساس واحد يختلج في نفسها كل مرة : هو التطلع إلى إنهاء هذه الرحلة بأسرع ما يكون .

وخيل إليها أنها تعيش في هذا المكان منذ أجيال طويلة وآماد بعيدة ، وخيل إليها أنها تعرف كل صخرة وكل شجرة في الطريق من المدينة إلى المدرسة ، لقد كان هنا ماضيها وحاضرها . ولا تستطيع أن تتخيل لها مستقبلا آخر غير المدرسة والطريق إلى المدينة والعودة إلى المدرسة وهكذا ... إلى ما شاء الله .

وقد أقلعت عن التفكير في ماضي حياتها قبل أن تصبح ناظرة مدرسة بل كادت تنساه ... لقد كان لها — ذات يوم — والد ووالدة وكانا يسكنان في موسكو في منزل فخم . ولكن لم يبق في ذاكرتها من هذا كله إلا أشياء غامضة باهتة كطائف الأحلام فقد مات أبوها وهي في العاشرة من عمرها وماتت أمها على أثره . وكان لها أخ ضابط في الجيش وكانا يتراسلان بين الحين والحين ، ولكن أخاها قطع عنها مراسلاته ولم تعد تعلم عنه شيئاً . ولم يبق لها ما يربطها بالماضي البعيد إلا صورة لأمها ... وحتى هذه قد بهتت معالمها من أثر الرطوبة في المدرسة ولم يبق منها إلا شعر الرأس والحاجبان .

كانت ماريا — في أثناء الطريق — تفكر في مدرستها وفي الامتحان الذي سيقع في القريب وفي البنت والأولاد الأربعة الذين سترسلهم إليه . وبينما هي مسترسلة في أفكار الامتحان أدركها أحد الجيران من كبار الملاك — رجل يدعى هانوف — في عربة يجرها أربعة جياد وكان هو بعينه الرجل الذي امتحن تلاميذها في العام الفائت . فلما رآها عرفها وانحنى لها محيياً وهو يقول : « صباح الخير . أنت عائدة إلى المدرسة فيما أظن »

كان هانوف هذا في الأربعين من عمره ؛ رجلا بارد العاطفة يبدو في وجهه أثر الإجهاد ، وكان الهرم قد بدأ يدب إليه ولكنه مع ذلك وسيم محبوب من النساء .

وكان يعيش في منزله الكبير بمفرده — ولم يكن موظفاً — وكان الناس يقولون عنه إنه لا يصنع شيئاً في المنزل إلا أن يروح ويجيء في الغرفة وهو يصفر بفمه أو يلعب الشطرنج مع سائق عربته ويقولون كذلك إنه مدمن للشراب ، وهذا حق ، فقد كانت الأوراق التي أحضرها معه في الامتحان تفوح برائحة الخمور ... وقد كان في ذلك اليوم مرتدياً ملابسه الجديدة وبدا في عيني ماريا وجيها جذاباً ، وكانت طوال جلستها إلى جانبه في غمرة من الانفعالات والأحاسيس . لقد تعودت أن ترى ممتحنين غلاظاً جفاة ، وآخرين معقولين معتدلين ، ولكن هذا كان نموذجاً فريداً فلم يكن يدري في أي موضوع يسأل ! ولم يكن يعطي التلاميذ أقل من الدرجة النهائية !

قال موجها كلامه إلى ماريا فاسيلفينا : « إنني ذاهب لزيارة باكفست ولكني أخبرت أنه ليس في المنزل »

ثم انحرفوا عن الطريق الصاعد فى الجبل إلى طريق جانبى يؤدى إلى القرية ، وكان هانوف فى المقدمة يليه سيميون . وكانت الجياد الأربعة تتحول بسرعة ضئيلة وهى تجر وراءها العربة الثقيلة وسط الأوحال ، أما سيميون فقد كان يتأرجح من جانب إلى جانب فى الطريق وكثيراً ما كان ينزل من العربة ليساعد حصانه الهزيل

وكانت ماريا فاسيليفنا ما تزال تفكر فى المدرسة وفيما إذا كانت أسئلة الحساب ستأتى مناسبة لمستوى التلاميذ أو صعبة على أفهامهم .

وأحست فى هذه اللحظة بالغضب والاستياء من رجال المنطقة الذين لم تجد أحداً منهم فى اليوم الفائت . ما أبعدهم عن الشعور بمسئولية العمل ! لقد مر عامان وهى تطلب تغيير البواب الذى لا يقوم بأداء عمل ما ويعاملها معاملة خشنة ويضرب التلاميذ ؛ ولكن أحداً لم يعرها التفاتاً . وكان من المتعذر عليها أن تجد حضرة المراقب فى مكتبه ، فإذا وجدته بعد لأى أجابها والدموع فى عينيه إنه لا يجد لحظة فراغ واحدة يبحث فيها الطلب !

أما المفتش فهو يزور المدرسة مرة كل ثلاثة أعوام ! ولم يكن يعرف عن طبيعة عمله شيئاً. فقد كان موظفاً فى مصلحة الضرائب وحصل على وظيفة التفتيش بطريق الوساطة والاستثناء !

وكان راعى المدرسة مزارعا يكاد يكون أمياً ، وكانت به جلافة وضيق عقل ، وكان صديقاً حميما للبواب يحميه من كل سوء .

فلمن تتقدم بشكواها وقد أوصدت أمامها الأبواب ؟

قالت لنفسها وهى تنظر إلى هانوف « إنه حقيقة وسيم »

وزاد الطريق سوءا . وكانت العجلات تغرق فى الماء وتثير رشاشاً حاداً يضربهم فى وجوههم . فقال هانوف وهو يضحك : « يا له من طريق ! » .

وتأملته الناظرة حيناً فلم تستطع أن تدرك لماذا يعيش هذا الرجل العجيب هنا . وكيف يتناسب جاهه ووسامته وأبهة منظره مع هذا المكان المظلم القاتم الغارق فى الطين ؟ ليست له أية مصلحة فى الحياة هنا ، وها هو ذا يقود جياده فى ذلك الطريق المتعب كما يفعل سيميون ويلاقى ما يلاقيه هذا من نصب وعنت ... لماذا يبقى الإنسان هنا ما دام يستطيع أن يعيش فى بطرسبورج أو فى مدن القارة الكبرى ؟

لقد كان من الواضح أن هانوف لم يكن يحس وطأة هذه الحياة أو رغب فى أحسن منها . لقد كان عطوفاً ، لينا ، ساذجاً ، لا يدرك غلظة هذه الحياة ؛ كما كان - أثناء الإمتحان - لا يعرف موضوعات الإمتحان .

وأيقظها سيميون من تفكيرها حين صاح بها « أمسكى بالعربة جيدا » فقد قفزت العربة فجأة وكادت تنقلب وأحست ماريا بشىء ثقيل يقع على قدميها فإذا هو حقيبتها وبداخلها ما ابتاعته من المدينة فى الصباح . كان الطريق يصعد رأسياً فى الجبل والأوحال تغطيه من كل جانب وكانت الخيل المجهدة تلهث من التعب فنزل هانوف وسار بجانب العربة وهو يمسح عرقه قائلا « ياله من طريق ! » وضحك مرة أخرى وهو يقول . « إنه كفيل بأن يحطم العربة »

فرد سيميون بلهجة أدنى إلى التوقح « لا أحد يضطرك إلى الركوب فى يوم كهذا . كان الأجدر بك أن تبقى فى المنزل »

فقال « إننى أضيق بالمنزل ياجدى ولا أحب البقاء فيه »

وكان يبدو بجانب سيميون العجوز رشيقاً متوفزا ومع ذلك فقد كان فى مشيته شىء خفى يكشف عن بنيان بدأ يدب فيه الضعف والانحلال . وأحست ماريا بشعور يملؤها بالخوف والعطف على هذا الرجل الذى يسير فى طريقه إلى الانحلال لغير ما سبب مفهوم . وخيل إليها أن لو كانت هى زوجته أو أخته لجعلت حياتها كلها وقفاً على إنقاذه مما هو فيه . زوجته ! لقد شاءت الظروف أن تجعله يعيش فى بيته الفسيح منفردا وتعيش هى فى هذه القرية اللعينة بمفردها ومع ذلك فإن مجرد التفكير فى أن يكون كلاهما بجوار الآخر مساوياً له يبدو أمراً مستحيل الوقوع .

فى إلحق إن ظروف الحياة وملابسات بنى الإنسان قد ركبت تركيباً عجيبا يقف الإنسان أمامه حائراً عاجزاً عن تفهمه فإذا لم يجد له حيلة عاد مثقل الفؤاد .

قالت لنفسها وهى تفكر فى ذلك « إنه لمن أخفى الأمور وأصعبها فهما أن يعطى الله هذا الجمال وهذه الرشاقة وتلك العيون الحزينة الجميلة لقوم ضعفاء تعست حظوظهم فلا يصلحون لشىء لماذا ... لماذا يجعل الله فيهم كل تلك الفتنة الجذابة ؟ »

قال لها هانوف وهو يستقل العربة « هنا يجب أن أنحرف إلى

الشرق . وداعا ! أرجو لك كل شيء حسن ! »

وعادت تفكر فى التلاميذ وفى الامتحان وفى البواب وحين نقلت الريح إلى سمعها صوت العجلات المبتعدة اختلطت أفكارها تلك بأفكار أخرى . وأحست بالشوق الجارف إلى التفكير فى العينين الجميلتين ، وفى الحب ، وفى السعادة التى لن تكون ... زوجته ؟

لقد كانت تحيا حياة قاسية . الجو بارد فى الصباح ، ولا أحد يوقد الموقد ، وقد اختفى البواب ، والتلاميذ يتوافدون بمجرد ظهور الضوء يحملون قطعاً من الثلج والطين ويتصايحون فى ضجة عظيمة . كل شيء متعب مقلق للأعصاب . وكان مسكنها يتكون من غرفة واحدة صغيرة يتبعها المطبخ . وكانت تشعر بالصداع بعد انتهاء العمل ويصيبها الإلتهاب بعد كل أكلة . وكان عليها أن تجمع النقود من الأطفال للخشب وللبواب وأن تعطيها لراعى المدرسة ثم ترجوه — وهو ذلك الفلاح الفظ الغليظ — أن يرسل إليها الخشب . وفى الليل كانت تحلم بالامتحانات والفلاحين والعواصف الثلجية ... ما أقسى هذه الحياة التى تسرع بها إلى الهرم وتجعلها تبدو قبيحة محدودبة ثقيلة كأنما خلقت من رصاص .

لقد كانت أبدا خائفة قلقة . وكانت تنتفض واقفة ولا تجسر على الجلوس فى حضرة أحد موظفى المراقبة أو راعى المدرسة . وتستعمل العبارات الرسمية والتحيات المبجلة فى حديثها معهم .

ولم يكن أحد يظنها جذابة . وكانت حياتها تمر جافة مزعجة بغير عاطفة حية ولا إحساس صداقة ولا معارف يشاركونها بعض هموم الحياة .

ما أعجب حياتها لو وقعت فى الحب وهى فى حالتها تلك !

« أمسكى جيداً ياماريا ! »

مصعد آخر فى الجبل .

لقد أصبحت ماريا ناظرة تحت ضغط الضرورة . ولم تكن تشعر بأى ميل لهذه المهنة . ولم تتجه قط إلى مهنة بعينها ولا كانت تفكر فى خدمة ذلك الغرض النبيل : غرض التعليم والتثقيف . وكان يخيل إليها دائماً أن المهم فى الأمر كله ليس هو التلاميذ ولا التعليم وإنما هو الامتحان .

ومن أين لها الوقت لتفكر فى شرف المهنة وفى خدمة الثقافة ؟ إن المدرسين والأطباء ضئال الأجور ، بما يزحون تحته من أعباء مرهقة عنيفة ، لا يجدون ما يخفف عنهم ، ولا حتى الاعتقاد بأنهم يخدمون فكرة عليا أو يخدمون الناس ، ما دامت رءوسهم دائماً مشغولة بالتفكير فى أمر القوت اليومى وفى المرض وفى سوء حالة المواصلات ...

إنها حياة شاقة مملة ، لا يستطيع احتمالها طويلا إلا « حمير الشغل » من أمثال ماريا فاسيليفنا . أما أولئك المتوفزون الذين تتدفق الحياة فى جنوبهم والذين يحدثون عن شرف المهنة وعن خدمة الأغراض النبيلة فسرعان ما يدركهم الملل من التدريس فينفضون أيديهم منه .

كان سيميون يجعل باله دائماً إلى اختيار أخصر الطرق وأكثرها استقامة ولكنه كان يجد العراقيل دائماً فى الطريق ، فهنا أحد الفلاحين لا يسمح له بالمرور ، وهناك أرض القسيس لا يخترقها أحد ، وفى جهة ثالثة قد اشترى بعضهم قطعة أرض وحفر حولها حفرة فلا سبيل إلى عبورها ، وهكذا كان يضطر بين الحين والحين إلى تغيير طريقه ووجهته .

ومروا فى أثناء الطريق على قرية « نيز هناى جورود يتشى » فقال سيميون « لقد كانوا يبنون مدرســة هنا أخيراً . وكان هذا عملا سيئاً جداً ! »

فقالت ماريا باستغراب « لماذا ؟ »

« يقولون إن المراقب أخذ ألف جنيه فى جيبه وأخذ راعى المدرسة ألفاً أخرى وأخذ المدرس خمسمائة »

« لقد تكلفت المدرسة كلها ألف جنيه . فمن الخطأ يا جدى أن تفترى على الناس مثل هذه الأكاذيب »

لا أدرى ... وإنما أخبرتك بما سمعت من الناس »

ولكن كان من الواضح أن سيميون لم يصدق الناظرة . ولم يكن الفلاحون يصدقونها كذلك . فقد كانوا يعتقدون أنها تأخذ راتباً ضخما : عشرين روبل (وكان يكفيها خمسة) وأنها كانت تأخذ لنفسها معظم المال الذى تجمعه من التلاميذ باسم الخشب وباسم البواب ، وكان راعى المدرسة يعتقد ذلك أيضاً ، وكان هو بدوره يجعل لنفسه ربحاً من المال المجموع للخشب ، وكان يأخذ

هبات من الفلاحين بصفه كونه راعى المدرسة بدون علم السلطات المختصة ..

وأخيراً خرجوا من الغابة إلى الطريق المستوى الذى يؤدى إلى فيازوفيا ، وكان عليهم أن يعبروا النهر ثم خط السكة الحديد فيصبحوا على مرأى البصر من فيازوفيا .

قالت ماريا « إلى أين أنت ذاهب ياسيميون ؟ خذ الطريق الأيمن إلى الجسر »

« نستطيع أن نذهب من هذا الطريق أيضاً . وليس النهر عميقاً هنا » ، « واحذر أن تغرق الحصان »

« ماذا ؟ » فقالت : ماريا وقد رأت الجياد الأربعة عن بعد : « انظر إن هانوف فى طريقه إلى الجسر . إنه هو ، أليس كذلك ؟ »

« نعم : فهو إذن لم يجد با كفست فى منزله . ألا ما أغباه ! لأى شىء قاد عربته إلى هناك وكان يستطيع أن يجىء من هنا فيوفر على نفسه ميلين كاملين »

ثم وصلوا إلى النهر . وهذا النهر يصبح فى الصيف جدولا صغيراً يسهل عبوره ويجف عادة فى شهر أغسطس ، أما الآن بعد ذوبان الثلوج فإن عرضه يصل إلى أربعين قدماً وهو سريع الجريان كثير الوحل بارد المياه

صاح سيميون فى حصانه وهو يجذب اللجام بحدة وعنف « هلم ! أسرع ! » فنزل الحصان فى الماء حتى بطنه ثم وقف ؛ ولكنه مالبث أن تحرك بجهد عظيم ، وأحست ماريا بالصقيع فى قدميها فصاحت هى الأخرى « أسرع ! أسرع ! » .

وحين وصلوا إلى الضفة الأخرى كان حذاؤها قد امتلأ بالماء وابتل أسفل ردائها وأخذ أحد أكمامها يقطر ماء . واختلط الماء بالسكر وبالدقيق اللذين اشترتهما من المدينة ، وكان هذا فوق ما تطيقه ماريا ولكنها لم تجد لها حيلة إلا أن تشبك أصابع يديها فى يأس وتصيح « إنك متعب ، متعب ياسيميون . كم أنت متعب ! »

وكان الحاجز الذى يغلق الممر قد أنزل قبل أن يجىء القطار من المحطة فوقفت ماريا تنتظر مروره وجسمها كله يرتعد من البرد . وكان أمامها على مدى النظر قرية فيازوفيا والمدرسة بسقفها الأخضر والكنيسة بصلبانها اللامعة فى ضوء الشمس الغاربة

وكانت نوافذ المحطة تمع كذلك فى الضوء ، والدخان الأسود يرتفع من مدخنة القاطرة ... وخيل إليها أن كل شىء يرتعد من البرد !

وأخيراً جاء القطار . وكانت نوافذه تعكس النور فى عينيها فتعشيهما . وبينما هى تحدق فى العربات السائرة أمامها على مهل أبصرت بين عربتين من عربات الدرجة الأولى بسيدة واقفة فتأملتها وهى تمر بها . ياللعجب ! أمها ! ما أشبهها بها ! لقد كان لأمها مثل هذا الشعر الفخم ومثل هذين الحاجبين وكانت ثنيات وجهها تشبه هذا الوجه إلى حد كبير .

ولأول مرة منذ ثلاثة عشر عاما برزت أمام مخيلتها بوضوح عجيب ودقة تامة صورة أمها ، وأبيها وأخيها ، ومنزلهم فى موسكو وكل شىء من الماضى بتفاصيله الدقيقة . وسمعت من أعماق ذلك الماضى نغمات البيانو تنبعث فى الفضاء وصوت أبيها يناديها وأحست — كما كانت تحس إذ ذاك — أنها شابة جميلة ، رشيقة ، وخيل إليها أنها جالسة فى غرفتها الدافئة على كرسى وثير وحولها أقاربها وغمرها شعور مفاجىء بالبشر والسعادة فغمرت خديها بيدها فى نشوة عارمة ونادت هامسة فى ضراعة « أماه ! »

وطفقت تبكى . لا تدرى لم ؟ وفى تلك اللحظة ذاتها وصل هانوف بعربته وجياده الاربعة . وما أن رأته حتى أحست بالسعادة كما لم تحس من قبل أبدا . وابتسمت وهزت رأسها محيية له باعتباره صديقاً ونداً لها . وخيل إليها أن سعادتها بل انتصارها يملأ الفضاء من كل جانب ويلمع فى النوافذ وفى الأشجار وعلى أوراق الزهور ! وأن أباها وأمها لم يموتا أبدا وأنها لم تكن قط ناظرة مدرسة . وأن هذا كله كان حلماً مزعجاً طويلا أفاقت منه هذه اللحظة

« اركبى يا ماريا ! »

وفجأة انتهى كل شىء . ورفع الحاجز ببطء وصعدت ماريا إلى العربة وهى ترتعش من الصقيع . وعبرت العربة ذات الجياد الأربعة خط السكة الحديد وتلاها سيميون . ورفع عامل الإشارة قبعته محيياً » . « ها هى فيازوفيا . وها نحن أولاء . »

محمد قطب

إدارة البلديات العامة ــ تنظيم

عدد أردب شعير	عدد حمل تبن	
١٤٠	٧٠	مجلس بيا البلدى
١٢٠	—	مجلس شبين القناطر البلدى
١٠٠	٥٠	لمجلس سمنود البلدى

تقبل العطاءات بالمجالس البلدية المبينة بعاليه حتى ظهر يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٤٥ عن توريد كيات الشعير والتبن الموضحة قرين كل منها ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ./. من قيمتها ٣٥٧٢

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مدير كلية البوليس الملكية لغاية ظهر يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٥ عن توريد أدوات للألعاب الرياضية

ويمكن الحصول على الشروط من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة مائة وخمسون مليماً

٣٦٠٩

مجلس بلدى المنصورة

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمجلس بلدى المنصورة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٤ / ٦ /١٩٤٥ عن توريد الأغذيه اللازمة لمطعم جمعية البر بالفقراء بالمنصورة وتطلب الشروط والبيانات من المجلس على ورقة دمغة من فئة ٣٠مليماً نظير دفع مائة مليماً

٣٦٢٥

إعلان بيع

إنه فى يوم الاثنين ١٨ يونية سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا ببندر طنطا بشارع للديرية

سيباع بالمزاد العمومى العلنى دبلة وخاتم ذهب ملك محمد أفندى محمد رفعت التاجر بطنطا بشارع المديرية السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٢٣ مايو سنة ١٩٤٥ نفاذا للحكم رقم ٩٩٦ سنة ١٩٣٤ جنايات طنطا

وهذا البيع بناء على طلب شفيق أفندى منصور للقيم بطنطا فعلى راغبى الشراء الحضور فى اليوم والمكان المذكورين للمشترى ومن يرسى عليه المزاد يدفع الثمن فوراً وإن تأخر بعاد البيع على ذمته يلزم بالفرق

كاتب أول محكمة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٢٤ — الاثنين ١٨ يونيو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ظهرت الطبعة الثانية من

اشپنجلر

تأليف

الدكتور عبد الرحمن بدوى

أعمق تحليل فى أروع عرض لأعظم فلاسفة الحضارة وصاحب المذهب الذى اهتزت له أوربا بعد الحرب ، إن تنبأ علمياً بانحلالها وأقام بناء فلسفة التاريخ ، وكشف عن ينابيع الوجود وتيارات الحياة .

الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، ٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة وثمنه خمسة وعشرون قرشاً

13 me Année No. 624 — Lundi - 18 - 6 - 1945

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
. تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٤ «القاهرة في يوم الإثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٤ — ١٨ يونيو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

خليفة نابليــون !

لا تقل إن خليفة نابليون بيتان ؛ فإن المرشال جثا ضارعاً أمام النازية وجيشه يفعم الميادين والمدائن ، وذهبه يتخم الصناديق والخزائن ، وعلمه يخفق على مستعمرات مسخرات بأمره ، وحليفته الغنية القوية تسأله جاهدة أن تصل عمرها بعمره !

ولا تقل إنه ديجول ؛ فإن الجنرال لم يشتهر في أيـة ملحمة ، ولم يُعرف بتدبير خطة محكمة . وجملة أمره أنه تشبث يوم الهزيمة بطائرة فهرب ، ثم لجأ إلى لندن وطلب فأعطته لندن ما طلب ! ولـكن قل معي : إن خليفة نابليون ووارث بطولته وعبقريته هوالجنرال أوليفا روجيه دكتاتور فرنسا في سورية ! !

وجه كوجه البومة عليه صفرة المومياء ، ورأس كرأس النعامة فيه رعونة الكبرياء ، وشخص كتمثال الموت في يده منجل الفناء ، وصوت كنعيب الغراب يردد في أجواز الفضاء :

« أخفق نابليون في استعمار مصرفأنا أستعمر سورية ، وعجز نابليون عن تدمير عكا فأنا أدمر دمشق !! وكان في يد هذا المغرور بقية من عتاد الحلفاء فيها القاذفات والدبابات والرشاشات والبنادق ؛ وكان من حول هذا المغرور طغمة من عبيد السنغال غلاظ المشافر سود الأكباد حمر العيون يعملون كالآلة من غير وعى . وكان إخواننا السوريون قد نظروا في أمرهم وأمر هؤلاء فلم يجدوا لهم مزية عليهم ؛ فلا هم قدوة في حسن الخلق ، ولا حجة في صحيح العلم ، ولا قوة في نظام العالم ؛ وإنما هم أمة أمرضتها رواسب اللاتينية فاستكانت لعوامل البلى ، حتى إذا ابتليت بهذه الحرب انخرعت فلم تقم ، وانماعت فلم تتماسك . فلو كان بينهم وبينها أسباب من فتح أو عهد لأعادوا النظر فيها بعد انهيارها المخزى ؛ فكيف والسبب الذى انقطع كان أوهن من خيوط الباطل ؟ ولـكن مسيخ نابليون يصمم على البقاء، وإن أبدعت الحجة ، ويصرعلى المعاهدة وإن فقدت الثقة ! فهو يجلب المدد ليعززالعدد ، وينصب المدافع ليحصن المواقع ، ويتحدى حمية العرب الذين كان آباؤهم يحملون السيوف ليقودوا الأمم، أيام كان آباءهؤلاء من (الغال) يحملون العصى ليقودوا الغنم ! فلم يكن بد من قبول التحدى . ووقف الكماة الأباة العزل يتلقون برءوسهم قنابل النار ، وبصدورهم قذائف الرصاص ، دون أن يفروا كما فر في (سدان) خلفاء نابليون الثالث وهم مدججون بالسلاح محصنون بالمدافع . فاستشهد منهم على أرض سورية الكريمة العظيمة ثمانمائة وجرح ألفان ! وكاد أربعون مليوناً من العرب يؤججون بأجسادهم هذه النار ليَصلى بها من يشاء الله أن يَصلى ، لولا أن رفع الصوتَ من يملك الرفع والخفض ، فانخلعت قلوب القادة وانخرعت متون الجنود !

ولا والله ما ذهب باطلا ذلك الدم الذى طهر سورية من الدخيل ، وجمع كلمة العرب وقوتها من شرق دجلة إلى غرب النيل !

ابن عبد الملك

هذه هى فرنسا . . .

للأستاذ سيد قطب

كلما سمعت أو قرأت - بمناسبة حوادث سوريا الأخيرة - أن هذه الحوادث مخالفة لتقاليد فرنسا ، ثار فى نفسى شعور السخرية المريرة من هؤلاء المتحدثين أو الكاتبين ...

تقاليد فرنسا !

ومتى كانت تقاليد فرنسا إلا هذه البربرية المتوحشة ؟ ومتى كان الفرنسيون إلا عشاق المجازر البشرية ، المولعين بالدماء فى كل زمان ومكان ؟ حتى فى ثورتهم الكبرى التى يعيشون باسمها حتى الآن .

تقاليد فرنسا !

تقاليدها فى سورية ، أم فى مراكش ، أم فى تونس ، أم فى الجزائر ، أم فى أية بقعة من بقاع الأرض على مدى الأزمان والأجيال ؟

إننى لأستعرض أمامى تاريخ فرنسا فى الشرق ، فلا أجد إلا صفحات من البربرية المتوحشة ، وإلا بركاً من الدماء حيثما وضعت أقدامها فى مكان ، وإلا وسيلة واحدة من وسائل التدمير والتخريب .

فى أيام نابليون سلطت المدافع من قلعة الجبل على المصريين ، ودخلت الجنود الفرنسية المتبربرة بخيولها الأزهر ، وجرت الدماء فى شوارع القاهرة ، وديست كرامة الدين ، وانتهكت الحرمات العامة ... باسم تقاليد فرنسا !

وفى سنة ١٩٠٥ ضربت دمشق بالقنابل ، وأريقت الدماء فى الشوارع ، واعتدت الجنود الفرنسية المتبربرة على الآمنين . وضج الشرق العربى للمأساة ، بينما كانت الصحافة الفرنسية تمجد أعمال الوحشية فى سورية ... باسم تقاليد فرنسا !

وفى سنة ١٦٣١ وما بعدها وما قبلها أيضاً سالت الدماء فى مراكش العربية لإرغام الناس هناك على الدخول فى المسيحية وترك ديانتهم الإسلامية ، باسم « الظهير البربرى » المعروف جيداً فى كل صقع إسلامى ، والذى يشهد بأن دماء الصليبيين لا تزال تجرى فى عروق الفرنسيين . ومنذ ذلك الحين بل قبله والزعماء المراكشيون منفيون فى المستنقعات الحارة ، وبلغ من الوحشية المتبربرة أن تشغل هؤلاء الزعماء السياسيين فى رصف الأرض وقطع الأحجار فى تلك الجهات الحارة النائية فى أواسط إفريقية حتى يصاب بعضهم بالسل ، وبعضهم بالحمى الصفراء ... وذلك باسم تقاليد فرنسا !

وفى تونس ، وفى الجزائر ، البلدين العربيين اللذين تدعى فرنسا أن ثانيهما « أرض فرنسية » تعمل جاهدة على رد أهله عن دينهم بكل وسائل العنف والقسوة ... باسم تقاليد فرنسا !

هذه هى فرنسا .

هذه هى فى حقيقتها من وراء الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . بل هذه هى حتى من خلال الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . فما هذه الأضواء التى تخدع المخدوعين ، وتطلق ألسنة الدعاة ؟ إنها الدعارة الفاجرة ، والتحلل الذميم ، والبوهيمية المطلقة ... إنها هى بعينها النكسة إلى حياة الحيوانية ، وفوضى البربرية !

***

ولكن هنا رءوساً وأقلاماً لا تزال تمجد فرنسا ، ولا تزال تتشدق باسم فرنسا !

أولئك بضعة نفر عاشوا فى فرنسا فترة من العمر ، فسمحت لهم فرنسا الداعرة بإشباع أقصى لذائذهم الحيوانية ، وتروية أظمأ شهواتهم الحسية ... ثم عادوا فإذا فى الشرق بقية من تقاليد وبضعة من حواجز ، فلم يرق لهم ما فى هذا الشرق من « رجعية » ! وظلوا يحنون إلى عهد فرنسا الداعر وإلى لذائذها الممنوعة ، وإلى شهواتها المحرمة !

وقليل منهم وجد فى فرنسا علماً وفناً - وإن لم يجد لفرنسا قلباً - ففتنه العلم والفن عن أقدس المقدسات القومية والإنسانية . فتنه عن كرامة الوطن ، وعن حرمة الأهل وعن شرف العرض... فإذا أحدهم يجادلنى فى أمر الشرق العربى وفظائع فرنسا فيه فيقول : « إذا لم يكن بد للانسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربى ، فليذهب الشرق العربى إلى الجحيم ! »

هؤلاء نفر منحلون ... وعلامة الانحلال فى فرد أو أمة

أن يهون عليه شرف العرض وحرمة الأهل وكرامة الوطن. كما هانت على هذا الذي كان يجادلني في أمر فرنسا.

ويقولون لنا حين نجادلهم: إنكم لم تعيشوا في فرنسا. أجل نحن لم نعش في فرنسا، ولكن فرنسا عاشت عندنا فلم نطلع منها في يوم من الأيام على صفحة بيضاء ... فهلا أخطأت فرنسا مرة فأطلعتنا على حقيقة عناصرها الطيبة؟!

ويعتذرون لفرنسا اليوم في تصرفاتها البربرية بأنها تحس «مركب النقص» بعد الهزيمة، فتريد التعويض بمظاهرات القوة، وأن سياسة وخز الإبر التي تتبعها معها انجلترا في الشرق هي التي تثير أعصابها تلك الثورة الوحشية.

ولكننا نستعرض تاريخ فرنسا في الشرق، فلا نجد اختلافاً بين مركب النقص ومركب الكمال!، ولا نلمح فرقاً بين فرنسا الظافرة بعد الحرب العظمى وفرنسا المهزومة في هذه الحرب.

إنها هي هي ... فرنسا المتوحشة في كل حال. فرنسا التي تدك القاهرة بالقنابل وتعتدي على حرمة الأزهر وكرامة الدين في عهد نابليون، هي فرنسا التي تدك عاصمة الأمويين بالقنابل في عام ١٩٢٥ ثم في عام ١٩٤٥.

فإما أن «مركب النقص» هذا طبيعة فرنسية دائمة، وإما أننا نختلق لفرنسا المعاذير لأننا منحلون. لا نثور لعرض، ولا نغضب لأهل، ولا تعنينا كرامة، بعد أن تهيئ لنا فرنسا لذائذ الحس، وشهوات البدن، أو حتى لذائذ الفكر وشهوات الوجدان!

* * *

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أطلقت قنابلها على القاهرة وداست بخيلها مسجدنا الأعظم في عهد نابليون

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي مهدت الطريق للاحتلال الإنجليزي بانسحاب أسطولها من المياه المصرية سنة ١٨٨٢، وترك الأسطول الإنجليزي يهاجمنا بعد الخدعة اللئيمة التي خدعها دي لسبس لعرابي بحماية قناة السويس وعدم السماح للأسطول الإنجليزي بمهاجمة مصر من ناحيتها، ثم النكث بالعهد، لأن فرنسا كانت تبصبص بذنبها كالكلب ينتظر فتات المائدة في «الاتفاق الودي» بعد ذلك بأعوام!

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أطلقت قنابلها على دمشق عاصمة الأمويين مرتين في خلال عشرين عاماً، بلا مبرر، وبعد تدبير شنيع

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي دبرت مؤامرة وحشية دنيئة لم تتم لقتل أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان السوري، وكان عدم إتمامها راجعاً إلى وقوع وثيقة في يد الحكومة السورية

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أصدرت أمراً يومياً لقواتها في سورية بالاستعداد «لمذبحة كبرى»! وأن قائدها هناك هو الذي صرح بحبه لمظاهر القتل والدماء!

يجب أن نذكر أن الجزائر وتونس ومراكش تلقى من البربرية الفرنسية ما لا يلقاه أحد من العالمين من القتل والنفي والتشريد، واستخدام الوسائل الخسيسة في تعذيب الزعماء السياسيين

يجب أن نذكر هذا كله، لنحتقر الثقافة الفرنسية مهما تكن، لأن الثقافة تظل أبداً جوفاء إن لم يكن من آثارها تهذيب الطبع، وإنارة القلب، وبث الشعور الآدمي بين المثقفين!

ويجب أن نذكر هذا كله لنحتقر دعاة فرنسا في كل مكان في الشرق العربي، وننظر إليهم كما ننظر إلى الأمساخ المشوهة، والمخلوقات المريضة، فما يرتفع تمجيدهم لفرنسا على تمجيد الشهوة. ولو كان تمجيد الثقافة التي لا تخرج بالإنسان عن طبيعة الحيوان!

ويجب أن ننتهز الفرصة السانحة لخنق الثقافة الفرنسية في الشرق كله، كما صنعت سورية الباسلة، فتختنق فرنسا في الشرق بلا قتال!

يجب أن يكون لنا شرف المساهمة في أن تعود فرنسا دولة صغيرة — كما تستحق — فقد برهنت على أنها لا تستحق غير هذا يوم جثت على ركبتيها عند الضربة الأولى!

يجب ... وإلا فدعونا من الثورات المؤقتة، ومن الجعجعة الفارغة، ومن الألفاظ الجوفاء!

سيد قطب

قضي استئنافياً بجلسة ٢٣ - ١٢ - ١٩٤٠ في الاستئناف ١٦٨٠٢ بتغريم اسماعيل حسن الدهان جنيهان لبيعه لحماً بأزيد من التسعيرة.

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٥ —

* فى ج ١٥ ص ١٢٨ : وكتب حسن بن على الجُوَيني فى ذى القعدة سنة ست وستين وخمسمائة بالديار المصرية عمّرها الله تعالى بدوام العز : وقال المعرى وضرب علىّ بن هلال مثلاً :

طربتُ لضوء البارق المتعالى ببغداد وهنا ما لهن ومالى
فيابرق ليس الكرخ دارى وإنما رمى بى إليه الدهر منذ ليالى
فهل فيك من ماء المعرة نغبة تغيث بها ظمآن ليس بسالى
ولاح هلال مثل نون أجادها بماء النضار الكاتب ابن هلال

قلت : (طربن لضوء البارق المتعالى) (فهل فيك من ماء المعرة قطرة) (بجارى النضار الكاتب ابن هلال) (كما فى سقط الزند) ويؤيد ذلك قول الشارح فى البيت الأول : « الضمير فى طربن للأبل، والمعنى خفت الإبل شوقاً لما رأت البارق ... يعنى بارقاً نشأ من نحو أوطانها بالشام وهى بالعراق ... » وقوله فى البيت الثانى : « فهل حملت أيها البرق قطرة من ماء بلدتى » وقوله فى البيت الثالث : « شبه هلال رجب بنون خط ابن البواب (الجوينى) بالنضار الجارى أى بماء الذهب ».

* فى ج ٧ ص ١٢٩ كان بندار[١] بن عبد الحميد الكرخى الأصبهانى يحفظ سبعمائة قصيدة ، أول كل قصيدة (بانت سعاد) . قال المؤلف : وبلغنى عن الشيخ الإمام أبى محمد الخشاب أنه قال : أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة .

(١) ضبط (بندار) فى الكتاب بكسر الباء وإنما هو بضمها .

وجاء فى شرح (أمعنت) أى أبعدت فى الاستقصاء وبالغت فيه ، وكانت فى الأصل (ممنت) وأصلحت .

قلت : ربما كان الأصل (أنعمت التفتيش) أو (أمعنت فى التفتيش) .

فى النهاية : وفى حديث صلاة الظهر : فأبرد[١] بالظهر وأنعم ، أى أطال الإبراد وأخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر فى الشىء أى أطال التفكير فيه .

وفى المخصص ج ٣ ص ٢٩ : قالت الأوائل : إن اليقين هو العلم الثانى أى أنه لا يُعلم ولا يُدرك عن بديهة ولكنه بعد بذل الوسع فى التعقب وإنعام النظر والتصفح . وفيه ص ٥٢ والرأى الدَّبَرى الذى لم يُنعم النظر فيه .

وقول الحريرى فى المقامة الثانية الحلوانية : « أمعنت النظر فى توسمه » محرف[٢] ، والصواب ما جاء فى مقدمة المقامات : « ومن نقد الأشياء بعين المعقول وأنعم النظر فى مبانى الأصول نظم هذه المقامات فى سلك الإفادات » وما جاء فى المقامة السادسة المراغية . وفى الخامسة عشرة الفرضية وفى التاسعة والأربعين الساسانية .

وأمعن فى الأمر : أبعد فيه كما فى الأساس ، وفى النهاية : وأمعنوا فى بلد العدو وفى الطلب أى جدوا وأبعدوا . ومثل ذلك فى كتب اللغة . وفى المقامة الخامسة عشرة الفرضية ، وفيها (أنعم وأمعن) : « قال : لأنى أنعمت النظر فى التقامك ما حضر، حتى لم تبق ولم تذر . فرأيتك لا تنظر فى مصلحتك ، ولا تُراعى حفظ صحتك . ومن أمعن فيما أمعنت[٣] وتبطّن ما تبطنت ، لم يكد يخلص من كظة مدنفة ... » .

(١) الأبراد : انكسار الوهج والحر ، وهو من الأبراد الدخول فى البرد (النهاية) .

(٢) يظهر أن التحريف قديم ، ففي شرح الشريشى عند هذه اللفظة : أمعنت بالغت وأدمت النظر وأصله من أمعن فى الأرض إذا أبعد الذهاب فيها .

(٣) فسر الشريشى (أمعن) هنا بقوله : أمعن كثر ، وتقول أمعن لى بحق : اعترف به وأظهره ، مأخوذ من الماء المعين وهو الجاري الظاهر ، وهذا التفسير بعيد وهو يخالف شرحه (أمعن) فى الحلوانية .

وأمعن فعل لازم وأنعم فعل متعد .

* في ج ١٤ ص ١٩٦ كان أبو الفتح بن العميد قد أغرم قبل القبض عليه بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه عن ترديدهما :

ملك الدنيا أناس قبلنا   رحلوا عنها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا   ونخليها لقـــوم غيرنا

قلت : في اليتيمة : (ونخليها لقوم بعدنا) فغيّر النساخُ .

* في ج ١٠ ص ١٥٤

والدهر إذ مات نماريده   قد مد أيديه إلى بُلْـهِهِ

وجاء في الحاشية : في الأصل (نماريره) فجعلت نماريده ، واحدها نمرود ، وكان يطلق على ملك بابل ، فلما تجبر وتكبر حين دعاه الخليل إلى التوحيد صار يستعمل في كل متكبر جبار ، كفرعون اسم لكل من ملك مصر ثم استعمل في الشخص المتصف بالجبروت :

قلت : نحاريره . في التاج : « النحرير — بالكسر — الحاذق الماهر العاقل المجرب ، وقيل : الرجل الطِبن[1] المتقن الفطن البصير بكل شيء مأخوذ من قولهم : نحر الأمور علماً . » والجملة الأخيرة في الأساس في مجازه . والبيت ختام مقطوعة للحسين بن محمد اللباس المعروف بالبارع ، ومقطوعته :

أفنيت ماء الوجه من   طول ما
أسأل من   لا ماء في وجهـه
أُنهي إليـــه شرح حالي الذي
يا ليتـــني مت ولم أُنهـه
فلم ينلني أبداً رفـــده   ولم أكد أسلم من جَبْهِهِ

* في ج ١٣ ص ٢٢٢ وخضت في المناظرة والمجادلة سنة جَـرِدَةً رضيت عن نفسي فيه ، ورضى عني أستاذي .

وجاء في الشرح : يقال : سنة جردة : خالية من النبات فكأنه يقول : لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة .

قلت : قالوا : أرض جردة ، وقالوا : سنة جارود : مقحطة شدة المحل . و (جردة) في الجملة هي (جرداء) قال الأساس : مضى عليهم عام أجرد وجريد وسنة جرداء أي كاملة منجردة من النقصان . ونقل التاج هذا القول . وفي اللسان : عام أجرد : تام . و (فيه) في الجملة (فيها) والقائل الإمام البيهقي ، وأستاذه الذي عناه هو تاج القضاة يحيى بن عبد الملك . قال : وكان ملكاً في صورة إنسان !

* في ج ٧ ص ٢١٧

أقول لما جاءني نَعِيـُّهُ   بعداً وسحقاً لك من هالك
يا شر ميت خرجت نفسه   وشر مدفوع إلى مالك

قلت : جاءت (نعيه) بكسر العين وتشديد الياء ؛ وإنما هي (نَعْيُـه) بسكون العين وتخفيف الياء ، وإن صح هذان المصدران ، وصح صدر البيت وحده[1] .

والبيتان قالهما حُبَيْـش بن عبد الرحمن أبو قِلابة في الأصمعي لما بلغته وفاته شامتاً به .

قلت : من أمثال العرب : الشماتة لؤم .

* في ج ١٢ ص ١٠٥ ... أخبرني[2] أبو علي[3] عن أبي بكر[4] عن أبي العباس[5] قال : سمعت عِمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ : (ولا الليل سابقُ النهارَ) فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت (سابقَ النهارِ) فقلت : فهلا قلته . فقال : لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأفصح .

قلت : عمارة هذا بضم العين ، وسابق الأولى المضمومة المنونة هي بضمة واحدة ، وهي قراءة عمارة بن عقيل ، و (سابقَ النهارِ) هما (سابقٌ النهارَ) بضم سابق وتنوينه وفتح الراء في النهار .

وقد قرئ (قل هو الله أحدُ الله الصمد) بغير تنوين في أحد ،

(١) في الأساس : هو طبن : عالم .

(١) الصدر من الرجز ، والبيتان من السريع .
(٢) القائل ابن جني .
(٣) الفارسي .
(٤) ابن دريد .
(٥) المبرد .

والحيد هو التنوين كما قال (الكشاف) .

* فى ١٢ ص ١٥٩ وله (لميمون بن عيسى البلطى أبيات يحسن فى قوافيها الرفع والنصب والخفض (مطلعها) :

إنى امرؤ لا يصطبينى (٥) الشادن الحسنُ القوامُ (ما) رفع القوام بالحسن لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير الحسن قوامه كما تقول : مررت بالرجل الحسن وجهه ، ونصبه على الشبه بالمفعول به ، وخفضه بالإضافة .

وجاء فى شرح (يصطبينى) : كانت فى الأصل يطيب لى ، والبيت بها ينكسر ، يقول : إن الشادن الذى هذه صفته ليس فى مكنته أن يحملنى على الصبوة إليه ، والفعل مزيد بتاء الافتعال أبدلت طاء .

قلت : لا يَطَّبِينى . فى الأساس : طباه واطباه : دعاه واستماله . ومثل ذلك فى الصحاح واللسان والتاج . وفى أمالى المالى والنهاية : « إن مصعبا (مصعب بن الزبير) أطبى القلوب » . وفى المقصورة الدريدية :

لا يطبنى طمع مدنس إذا استمال طمع أو اطبى

وفى طبعة (الجوائب) : يطبئنى . فختل بالهمز الوزن ، واستحال الفعل ...

* فى ج ١٤ ص ٢٢٧ واستدعى ابن عباد من أصفهان وولى الوزارة ودبرها برأى وثيق ، وجِد رَتيق .

وجاء فى شرح رتيق : من رتق الشىء جعله يلتئم بعضه مع بعض .

قلت : لا رتيق فى العربية . واللفظة المحرفة هى (زنيق) والزنيق المحكم الرصين يقال : رأى زنيق وأمر زنيق أى وثيق ، وكذا تدبير زنيق كما فى التاج . وفى الأساس : ومن المجاز : ورأى زنيق : محكم ، وتقول : هذا تدبير أنيق ، ورأى زنيق .

٢ ـ حول انهيار فرنسا

لأســتاذ عربى كبير

ولنترك مسائل المدح والإطراء والرثاء جانباً ، ولنعد إلى أصل القضية ونتساءل ماذا كانت أسباب انهيار فرنسا ، هذا الانهيار السريع الذى يكاد يكون فجائياً ؟ ...

فمن أبسط وأسهل الأجوبة التى تخطر على البال رداً على هذا السؤال هى أن فرنسا لم تكن مستعدة للحرب .

وفى الواقع أن هذا التعليل قد سيطر على الأذهان والأقلام ، سيطرة غريبة . فإن معظم الذين كتبوا وعالجوا هذا الموضوع عللوا الانهيار بعدم الاستعداد والبعض منهم جعلوا من « عدم الاستعداد » هذا دليلاً على حسن الطوية ونبل الغاية .

فقد قرأت بين ما قرأته من المقالات حول هذا الانهيار فى المجلات المصرية ، هذا الحكم البتّار :

« ما غلبوا إلا لأن الديمقراطية التى يعتقدونها لا تفكر إلا فى السلم ولا تتسلح إلا بالعهود والمواثيق والقوانين والشرف ، وأن الديكتاتورية التى يعادونها لا تفكر إلا فى الحرب ولا تتسلح إلا بالحديد والنار والدعاية والخيانة والكذب »

أنا لا أستطيع أن أسلم بصحة هذا الرأى ، بالرغم من احترامى الشخصى لصاحبه ؛ فلنستعرض الأعمال العسكرية والسياسية التى قامت بها فرنسا منذ انتصارها فى الحرب العالمية المنصرمة : إنها استولت على مراكش من جهة ، وعلى الشام من جهة أخرى ، وجردت الحملات العسكرية على مختلف النواحى فى أوربة وآسية ، وأمريقية : حاربت الأتراك ، حاربت العرب ، حاربت الروس بعد الهدنة ، اشتركت فى احتلال قسم من البلاد الألمانية ، وأقدمت بمفردها على الاستيلاء على قسم آخر منها ؛ ساعدت دول بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا فى تسليحاتها وتنظيماتها العسكرية ، وفتلت أحابيل الحلف الكبير والحلف الصغير ، وأخذت تدير دفة السياسة الأوربية بصوت مسموع ومكانة مرموقة . . وأنفقت مبالغ طائلة فى سبيل تشييد « خط ماجينو » على طول الحدود الألمانية ، ورصعت البلاد السورية والمراكشية بعدد كبير من المواقع العسكرية . . . فكيف يجوز والحالة هذه أن نقول إن فرنسا لم تفكر إلا فى السلم ، ولم تتسلح إلا بالعهود والمواثيق ؟

العهود والمواثيق ؟ هل احترمتها فرنسا — مثلا — فى سياستها السورية ؟ ألم تكن أعمالها هناك — من أولها إلى آخرها — سلسلة حركات تتلخص فى القسوة والعنف دون أن تتقيد بالمواثيق والمواعيد ؟ ...

فالعامل الأصلى فى الانهيار لم يكن عدم الاستعداد للحرب .

وعلى من يخامره أدنى شك فى هذا الباب أن يرجع بذاكرته إلى أوائل الحرب الحالية ، ويتذكر ما كان يسمعه وما كان يقرأه من الآراء والأخبار حول قوة فرنسا العسكرية : فكلنا كنا نسمع كل يوم مقارنات طويلة عريضة ، بين خط ماجينو وخط سيجفريد ، مقارنات تنتهى بوجه عام بالمدح والإطراء على الأول وبالقدح والازدراء بالثانى . كل يوم كنا نسمع ونقرأ أخباراً شتى كلها تؤكد تفوق المدفعية الفرنسية على المدفعية الألمانية وتبرهن على تفوق الطيران الفرنسى على الطيران الألمانى ...

ولا حاجة للبيان أن مصادر هذه الأخبار والدعايات كلها كانت فرنسية ...

وكل شىء يدل على أن فرنسا كانت « تعتقد » أنها مستعدة للحرب أتم الاستعداد ، وأنها ستنتصر بدون ريب . وإلا لما أقدمت على إعلان الحرب ، ولأوعزت إلى بولندا بوجوب التساهل مع ألمانيا فى قضية دانزيج والممر ، ولا نكبت بعد ذلك على إتمام استعداداتها ؛ غير أنها لم تفعل ذلك ، بل بالعكس شجعت بولندا على المقاومة ، وانضمت إلى بريطانيا العظمى فى توزيع « الضمانات » إلى اليمين واليسار ، وعلى القريب والبعيد ، ممن يطلبها أولا يطلبها من الدول ... فلا مجال للشك فى أن فرنسا كانت مغرورة بقوتها ومخدوعة فى قوة عدوها .

من المعلوم أن القوة من الأمور النسبية ؛ فالقوى بالنسبة إلى شىء ، قد يكون ضعيفاً بالنسبة إلى شىء آخر ، والغلط فى التقدير فى مثل هذه الأحوال قد ينتج من غلط فى تقدير القوة نفسها ، أو فى غلط فى تقدير القوة المقابلة لها ، أو من غلط فى كلا الأمرين ... إن سير الوقائع يدل دلالة قطعية على أن فرنسا أخطأت خطأ فاحشاً فى تقدير قوة ألمانيا ...

فيجدر بنا أن نتساءل إذاً : لماذا اخطأت فرنسا كل هذا الخطأ الفاحش فى تقدير قوة عدوتها ؟

إننى أعزو سبب ذلك إلى انخداع فرنسا بأقوال اللاجئين الموتورين الذين هربوا من ألمانيا أو طردوا منها ... وقد فتحت فرنسا أبوابها لهؤلاء ، وأرادت أن تستفيد منهم ومن شكاواهم ودعاياتهم فى إثارة الرأى العام العالمى ضد ألمانيا واستمالته نحو فرنسا ... فى حين أن القسم الأعظم من هؤلاء اللاجئين كانوا من الطفيليين الموتورين الذين لا يرتبطون بأى وطن من الأوطان العتيدة ارتباطاً قلبياً ، ولذلك أخذوا يصورون ألمانيا على غير حقيقتها ؛ صوروا النظام الجديد الذى قام فى ألمانيا بصورة مجموعة من التعسف البربرى تقوم بها جماعة من الطغاة فيكرهها جميع الناس . قالوا إن كل الناس ينفرون من النازية نفوراً شديدا ويستعدون للثورة عليها استعداداً كبيراً . كلنا سمعنا انعكاسات هذه الأقوال والمدعيات . ألمانيا على أبواب ثورة داخلية ستندلع نيرانها قريباً فتجرف الهتلرية جرفاً عنيفاً ... كل شىء ردىء هناك ، حتى المعادن التى تصنع منها الأسلحة ، حتى الأسمنت الذى يستعمل فى بناء الحصون لم يكن من الأنواع الجيدة ...

لقد فتح الفرنسيون أبواب بلادهم لمئات الألوف من هؤلاء الموتورين على مصراعيها ، كما فتحوا آذانهم لسماع دعاويهم ودعاياتهم ، وصاروا يصدقون كل ما يقولونه ، ولاسيما أن ما يقوله هؤلاء كان موافقاً لما يتمناه الفرنسيون كل التمنى ...

وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن ذلك كان من أهم الأسباب التى أدت إلى انخداع فرنسا فى تقدير قوة عدوتها ، وأدت بها إلى الانكسار الفظيع ...

فقد أفاضت الجرائد كثيراً فى ذكر أعمال الذين سموا باسم « الطابور الخامس » وبحثت كثيراً عن الدور الذى لعبته الجمعيات التى كانت تقوم بدعايات متسترة — على حساب ألمانيا — ويهيئون بذلك الجو النفسى الملائم لعمل الجيوش الجرارة

غير أننى أقول : إن عمل أرتال اللاجئين فى فرنسا لم يكن أقل تأثيراً من عمل الطوابير الخامسة فى النتيجة النهائية . فإن أرتال اللاجئين الموتورين أضروا فرنسا من حيث كانوا يريدون خدمتها ؛ وخدموا ألمانيا من حيث كانوا يعتقدون إضرارها ... لأن دعاياتهم خدعت الفرنسيين خدعة قوية فى قوة ألمانيا ، وجرتهم إلى الحرب والاصطدام مع قوى تفوق قواهم تفوقاً عظيماً ... وأدت بذلك إلى انخذالهم ذلك الانخذال المريع.

* * *

والآن ، بعد أن حدث ما حدث فظهرت الحقائق للعيان ، تبين بصورة لا تترك مجالا للشك أن الجيش الألمانى الذى هاجم الجيش الفرنسى ، كان يفوقه تفوقاً عظيماً من جميع الوجوه المادية والمعنوية . كان يفوقه تفوقاً بارزا من حيث العدد والتجهيزات والانضباط والقيادة ... وبتعبير أقصر ، من حيث الكمية والكيفية ...

من المعلوم أن ألمانيا كانت جُرِّدَت من السلاح ، وحُرِمَت من حق التسلح بعد الحرب العالمية ، فظلت محرومة من الأسلحة ومن مصانعها مدة تزيد على عشر سنوات ، فعندما بدأت تتسلح مؤخراً — سراً فى بادىء الأمر ، وعلناً فى نهاية الأمر — لم تتقيد بشىء من القديم — بطبيعة الحال . . . فاستحضرت أنواعاً جديدة من الأسلحة الحربية ، وابتكرت أنواعاً جديدة من أساليب الحرب . ويظهر أنها كانت تمكنت من ابتكار أنواع عديدة ، فاستفادت من كل نوع منها فى إحدى صفحات حروبها المتوالية فى بولندة ، وفى النرويج . وفى هولندا ، وعندما جاء دور هجومها على فرنسا استطاعت مفاجأتها بوسائط وأساليب حربية أخرى ، أفسدت على الجيش الفرنسى جميع الخطط التى كان قد وضعها ...

وزد على ذلك أن الجيش الألمانى الذى انقض على الجيش الفرنسى بمثل هذه الوسائط الحربية الجديدة ، كان متفوقاً عليه تفوقاً كبيراً من حيث العَدَد أيضاً . وإذا بحثنا أسباب هذا التفوق العَدَدى نستطيع أن نذكر أموراً كثيرة منها مساعدة الموقع الجغرافى ، وسير صفحات الحرب ، وكثرة وسائط النقل ، ونظام خطط التعبئة .. وما أشبه ذلك من العوامل والأسباب ، غير أننا — مع كل ذلك — نضطر إلى التسليم بأن السبب الأصلى يعود إلى كثرة العدد ؛ إذ من المعلوم أن عدد نفوس ألمانيا يناهز ضعف عدد نفوس فرنسا ، فلا غرابة ، والحالة هذه أن يتفوق جيشها على جيش فرنسا تفوقاً كبيراً من حيث العدد أيضاً ..

ومما يجدر بالانتباه أن قضية عدد السكان كانت من القضايا التى أخذت تشغل بال الفرنسيين وتثير مخاوفهم منذ مدة غير يسيرة ، فإن

الاحصاءات الموجودة تدل على أن نفوس فرنسا كانت مساوية لنفوس ألمانيا سنة ١٨٦٥ غير أنها لم تزد بعد ذلك خلال سبعين سنة — أى حتى سنة ١٩٣٥ — إلا ثلاثة ملايين ، فى حين أن نفوس ألمانيا — زادت — خلال المدة نفسها — أكثر من ثلاثين مليوناً ...

لا شك فى أن قضية النفوس وحدها لا تكون من القضايا الحاسمة فى سير التاريخ ؛ فإن التاريخ يرينا أمثلة كثيرة من تغلب الأمم الصغيرة على بعض الأمم الكبيرة ، بالرغم من قلة عدد نفوسها ، غير أن مثل هذه الحوادث لا تحدث عادة إلا عندما يكون هناك فرق عظيم بين الأمتين ، من حيث مستوى الحضارة والثقافة ، وشدة الروابط الاجتماعية وقوة الإيمان القومى ... وأما إذا كانت الأمتان متقاربتين من هذه الوجوه الثقافية والاجتماعية — كما هى الحالة فى فرنسا وألمانيا الآن — فمن الطبيعى أن تكتسب قضية النفوس خطورة خاصة ، وتؤثر فى سير التاريخ تأثيراً كبيراً .

فقد انتبه عدد غير قليل من الكتاب والمفكرين فى فرنسا إلى الخطر الذى أخذ يحدق ببلادهم من جراء نقص عددها ؛ حتى إنه ظهر بينهم من قال : يجب أن نعلم بأننا فى كل سنة من السنين التى تمر علينا على هذا المنوال نخسر معركة ونفقد جيشاً دون أن نقدم على حرب ودون أن نشعر بهذه الخسارة ، فى حين أن ألمانيا - بعكسنا - تربح فى كل سنة معركة وتحصل فى كل سنة على جيش جديد ، دون أن تقدم على حرب ودون أن تضحى شيئاً فى سبيل ذلك ...

إلا أن الأمور ظلت على حالتها هذه بل زادت خطورة من جراء التدابير المتخذة فى ألمانيا فى هذا السبيل — لقد وضعت ألمانيا عدة قوانين واتخذت عدة تدابير لضمان تكاثر النفوس - زيادة على سيره المعتاد - فى حين أن فرنسا لم تخرج عن ساحة النقد والبحث فى هـذا المضمار ، ولم تقدم على وضع قانون يعالج هذه القضية الحيوية بعض العلاج إلا قبل اندلاع نيران الحرب الحالية

كان يأمل رجال السياسة فى فرنسا التغلب على المشاكل والمخاطر التى تنجم عن مسألة النفوس بوسيلتين غير مباشرتين .

الأولى — التجنيد من المستعمرات ، وتقوية الجيش الوطنى بجيش المستعمرات .

الثانية — تكوين اتفاقات سياسية وعسكرية تربط فرنسا بكتل كبيرة قوية ، تكفى للافاة نقص النفوس الأصلى ، بل تضمن التفوق على أعدائها من جهة النفوس أيضاً .

غير أنه ممـا لا مجال للشك فيه أن الجيوش التى تجمع من أهالى المستعمرات — وتساق إلى ساحات الحروب سوقاً وتحمل على خوض غمار الحرب — دون أن تشعر بدافع باطنى يجب إليها الاستقتال ، أن مثل هذه الجيوش لا يمكن أن تتكافأ والجيوش الوطنية التى تعمل وتحارب بشعور وطنى وإيمان قومى ...

وأما الاتفاقات السياسية — فقلما تستقر على حال ؛ فلا تستطيع أن تضمن المستقبل فى جميع الأحوال ، لأن منافع الدول والأمم معضلة أعضالا شديدا ، ومتشابكة تشابكا كبيرا . فإذا رأت دولة ما أن من مصلحتها أن تتفق مع دولة أخرى فى بعض الظروف ، فقد ترى من مصلحتها أن تلتزم الحياد ، أو تتفق مع غيرها عند تبدل الظروف . إن نظرة بسيطة إلى تقلب الاتفاقات السياسية وتطور التكتلات الدولية تكفى لاظهار ذلك للعيان ...

هذه إيطاليا ، فقد انضمت إلى فرنسا وانجلترا ، ضد روسية فى حرب القرم ، ثم اتفقت مع ألمانيا ضـد فرنسا بعد استيلاء الأخيرة على تونس ؛ ومع هذا لقد انضمت إلى أعداء ألمـانيا خلال الحرب العالمية ، وفى الأخير عادت واتفقت مع ألمانيا ضد أعدائها فى الحرب الحالية ...

وهذه إنجلترة ، فقد حاربت فرنسا فى عهد نابليون ، ثم اتفقت معها ضد روسيا فى حرب القرم ، ثم اتفقت مع اليابان فشجعتها على محاربة الروس بعكس ما عملته فرنسا عندئذ ، ثم اتفقت مع فرنسا وروسية ضد ألمانيا فى الحرب العالمية ، ثم حاربت روسيا بعد انتهاء الحرب المذكورة ، وفى الأخير بذلت الجهود الجبارة بالاتفاق معها قبيل الحرب الحالية . وكذلك الأمر فى علاقات إنجلترة مع تركيا فإنها كانت على الدوام يوماً لها ويوماً عليها ...

ونحن نستطيع أن نذكر عشرات الأمثلة لذلك ... مما يدل على أن مثل هذه الاتفاقات لا توجد موازنات مستقرة — بين تطور المنافع وتقلب الاتجاهات ...

ولذلك كله سارت الأمور خلال الحرب الحالية سيراً غريباً — بالرغم من الاتفاقات والضمانات السابقة — وقد أدى هذا السير إلى بقاء الجيش الفرنسى — فى آخر الأمر — وحيداً ازاء الجيش الألمانى فى ساحات الحرب ... فازداد بذلك تأثير التفوق العددى زيادة هائلة ...

(س)

لزوم مــــا لا يلزم

متى نُظم وكيف نُظم ورتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

عنيت بأبى العلاء المعرى ناشئاً ، وكتبت فى أخباره وأشعاره تلميذاً . وما زلت مَعنيًّا به حافظاً لأخباره وأشعاره . واللزوميات أعظم آثار الرجل ، وهى سجلّ عقائده وآرائه ، ولها النصيب الأوفر من أحاديث من يتحدثون عن المعرى ، وكتابة من يكتبون فى فلسفته .

وكثيراً ما ساءلت الأدباء وسألت نفسى : متى نظمت اللزوميات وكيف رُتبت ؟ أخط الشاعر خطتها ثم نظمها وِلاءً على ترتيب حروف الهجاء ، فآراؤه فيها متوالية على هذا الترتيب ؛ ما تتضمنه أبيات على رويّ الهمزة مقدّم زماناً على ما يذكر فى أبيات على رويّ الباء، وهلم جرا ؟ أم نظم الرجل ما نظم ثم رتبه على حروف الهجاء ، فقدّم متأخراً وأخر متقدماً ، مسايرة للترتيب الهجائى ؛ فما يُعرف المتقدم والمتأخر من شعر الرجل إلا ما دلت عليه حوادث مذكورة فيه ، ولا يستطاع تتبع أفكاره ورعاية تطورها على الزمان؛ وكنت أقول إنه لا بد لمؤرخ أبى العلاء من أن يَفصل فى هذه القضية ، فيجزم بأن اللزوميات مرتبة على الزمان أو غير مرتبة .

لذلك أعدتُ قراءة اللزوميات مستوعباً ، متقصّياً الأبيات التى تذكر فيها حوادث معروفة أو رجال معروفون ، والتى تذكر فيها سنُّ أبى العلاء أو حاله من الشباب والكهولة والشيخوخة . وراجعت ما أثره التاريخ من أخبار الرجل ، وذكر كتبه ، فانتهيت إلى القضايا التى أسجلها فيما يأتى :

— ١ —

متى نظمت اللزوميات

جمهرة شعر أبى العلاء فى مجموعتين : الأولى تتضمن شعر الصبا والشباب ، وهى التى سماها سقط الزند . وقد جرى فى هذا الشعر مجرى الشعراء الآخرين ، فمدح وهجا وتغزّل ورثى ووصف الخ .

وقد قال أبو العلاء فى مقدمة سقط الزند :

« وقد كنت فى رُبّان الحداثة . وجنّ النشاط ، مائلاً فى صغو القريض ، أعتدّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ . ثم رفضته رفض السَقب غِرسه ، والرأل تريكته ؛ رغبة عن أدب معظم جيّده كذب ، ورديئه ينقص ويجدِب » .

وقال مستملى أبى العلاء الذى كتب ثبت كتبه كما رواه ياقوت فى معجم الأدباء :

« ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل فى الدهر الأول يعرف بكتاب سقط الزند وهو ثلاثه آلاف بيت » .

وفى سقط الزند قصائد قالها فى بغداد ، وأخرى أرسلها إلى بغداد بعد رجوعه إلى المعرة سنة أربعمائة ، وأبيات قيلت بعد سنين كثيرة من اعتكافه فى المعرة كالبيتين اللذين مدح بهما القاضى ابن نصر المالكى (١) . فإن هذا القاضى مر بالمعرة فى طريقه من بغداد إلى القاهرة ، ولم تطل إقامته بمصر ، فتوفى بها سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، فقد نظم المعرى هذين البيتين حوالى سنة عشرين وأربعمائة . ومرثية جعفر بن على بن المهذب التى مطلعها :

أحسن بالواجد من وجده صبر يُعيد النار فى زَنده

والمجموعة الثانية هى التى سماها « لزوم ما لا يلزم »

— ٢ —

هذه المجموعة الثانية من أشعار أبى العلاء قد نظمت بعد رجوعه من بغداد . وقد خط خطتها ، وتكلف لها ما تكلف من لزوم ما لا يلزم ، ومن استيعاب الحروف الهجائية على الحركات الثلاث والسكون . قال فى مقدمتها :

« كان من سوالف الأقضية أنى أنشأت أبنية أوراق توخّيت فيها صدق الكلمة ، ونزّهتها عن الكذب والمَيط . ولا أزعمها كالسِمط المتّخذ ، وأرجو ألا تحسب من السُّميط . فمنها ما هو تمجيد لله الذى شرف عن التمجيد ... الخ » .

وقال فى المقدمة كذلك :

(١) والمالكى ابن نصر زار فى سفر بلادنا فحمدنا النأى والسفرا
إذا تفقه أحيا مالكا جدلا وينشر الملك الضليل إن شعرا

« وقد تكلفت فى هذا الكتاب ثلاث كُلَف :

الأولى : أنه ينتظم حروف المعجم عن آخرها

والثانية : أن يجىء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك

والثالثة : أنه لُزم مع كل رويّ فيه شىءٌ لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف »

فهذا شعر حُدِّد موضوعه واختير له نظامٌ فى القوافى . وترتيب على الحروف وحركاتها ، وكأنه كتاب من كتب العلوم اتصل تأليفه حتى كمل ، وهى خطة تسلّى بها المعرى فى عزلته ، فينبغى أن يكون تاريخه متصلا ونظمه متواليا

وأنا أدّعى أن ما تضمن هذا الكتاب من الآراء هو فلسفة أبى العلاء فى عزلته بعد سنة أربعمائة ، وأن هذا الكتاب كله ، إلا أن تشذ أبيات قليلة ، نظم بعد هذه السنة .

يدل على هذا أن أبا العلاء قال فى مقدمة السقط : إنه رفض الشعر . وقال فى مقدمة اللزوميات : « وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : إنى رفضت الشعر رفض السقب غِرسه ، والرأل تريكته ، والغرضُ ما استُجيز فيه الكذبُ ، واستعين على نظامه بالشُبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن ، وأمراً بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على الغش والمكر ، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب »

فهذا النظم الذى توخّى فيه العظة والإيقاظ كان بعد النظم الذى جرى فيه مع الشعراء ، ثم رفضه رفض السقب غِرسه ، والرأى تريكته كما تقدم

ودليل آخر أنه ذكر سنّه فى كثير من أبيات اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ، ولم يذكر ما دون الأربعين ، وهو قد بلغ الأربعين سنة ثلاث وأربعمائة إلا بيتاً واحداً فى هذه القطعة :

إذا هبّت جنوب أو شمال ... فأنت لكلٍّ مُقتاد جنيب

رويدك إنْ ثلاثون استقلّت ... ولم يُنب الفتى فمتى ينيب ؟

والخطاب فى هذا البيت إما أن يكون لغير الشاعر ، وإما أن يكون بعض اللزوميات قد نظم حين جاوز الثلاثين قبل سفره إلى بغداد ، وإما أن تكون هذه القطعة نظمت كذلك بعد رجوعه من بغداد واعتزامه الاعتزال ، وكانت سنّه حينئذ سبعاً وثلاثين سنة ، فقد مضت الثلاثون ولم يبلغ الأربعين ؛ فليس بعيداً أن يذكر مرور الثلاثين . ومهما يكن فجمهرة الكتاب نظمت بعد سنة أربعمائة كما أسلفت .

ودليل آخر على أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعد رجوعه من بغداد بقليل ، أنه يذكر فى اللزوميات — كما فعل فى سقط الزند — رحلته إلى العراق آسفاً على الرحيل وعلى الأوبة . وهذا ، فى غالب الظن ، لا يقال بعد مضىّ سنين كثيرة على هذه الرحلة :

ومالى طِرق للمسير ولا السُّرى ... لأنى ضرير لا تضىء لى الطُرْق

أغِربانُ نك السُحم استقلّت مع الضحى ... سوانحَ أم مرّت حمائمك الوُرق

رحلتُ فلا دنيا ولا دين نلته ... وما أوبتى إلا السفاهة والخرق

* * *

يالهف نفسى على أنى رجعت إلى ... هذى الديار ولم أهلك ببغداذا

إذا رأيت أموراً لا توافقنى ... قلت الإياب إلى الأوطان أدّى ذا

* * *

شُئمتِ يا همّة عادت شآمية ... من بعد ما أوطنت عصراً ببغداذى

* * *

وأزيد على هذه الأدلة أن أبا العلاء ذكر سن الأربعين مرات فى اللزوميات ، وقد بلغها بعد رجوعه بسنين ثلاث

— ٣ —

إن كان المعرى شرع ينظم لزوم ما لا يلزم حين رجع من بغداد أو بعد رجوعه بقليل ، فكم استمر ينظمها ، ومتى انتهى من نظمها وجمعها ورتبها وكتب لها المقدمة التى كتب ؟

يمكن أن نجيب على هذا السؤال بوسيلتين : الأولى تتبع الحادثات التى ذكرها والرجال الذين أورد أسماءهم فى شعره ؛ والثانية استقراء الأبيات التى ذكر فيها سنّه

(ا) الحوادث والرجال :

١ — أولا : بنو عامر وطيء

يذكر أبو العلاء فتناً وخطوباً أثارها بنو عامر وطيّىء فى الشام وما حولها ، ويسمّى بعض رجالهم فى مواضع كثيرة ، منها :

إذا عامر تبعت صالحا ... وزجّت بنو قرّة الحردبا

وأردفَ حسانُ في مأزقٍ متى هبطوا مُخصباً أجدبا
وإن قرعوا جبلاً شامخاً فليس يعنف إن يحدبا
رأيتَ نظير الدَّبا كثرة فتبرُهمُ كميون الدَّبا

ومنها :

ألم تر طيئاً وبنى كلاب سموا لبلاد غزّة والعريش
ولو قدروا على الطير النوادى لمـا نهضت إلى وكر بريش

ويذكر طيئاً وزعيمها حسان فى قوله :

قد أشرعت سنبس ذوابلها وأرهفت بحتر معابلها
لفتنة لا تزال باعثة زاحمها فى الوغى ونابلها
حسان فى الملك لايحس لها تزجى إلى موتها قنابلها

ويقول :

أرى حلباً حازها صالح وجال سنان على جلّقا
وحسان فى سلفى طىء يصرّف من عزّه أبلقا
فلمـا رأت خيلهم بالغبار شغاما على هامهم علّقا
رمت جامع الرملة المستضام فأصبح بالدم قد خلّقا الخ

وقد رثى للرملة كثيراً وحزن لمـا ناب أهلها ؟ يقول :

والرملة البيضاء غودر أهلها بعد الرفاغة يأكلون قفارها

عتروا الفوارس بالصوارم والقنا
والملك فى مصر يعتّر فارها (١)
جعلوا الشفار هواديا لتنوفة مرهاء تكحل بالدجى أشفارها
تكبو زناد القادحين وعامر بالشام تقدح مرخها وعفارها

ويقول :

أبا قيلُ إن النار صال بحرّها مقيم صلاة والمهند وارس
وبالرملة الشعثاء شيب وولدة أصابهم مما جنيت الدهارس
وقد ظهرت أملاك مصر عليهم فهل مارست من ظلمها ما تمارس؟
وأحسنُ منكم فى الرعية سيرة طغج بن جف حين قام وبارس

وقد ذكر المعرى هذه الحادثات فى سقط الزند كذلك ، إذ

قال فى القصيدة التائية التى بعث بها إلى على التنوخى بعد رجوعه من العراق :

بينى وبينك من قيس وإخوتها فوارس تذر المكثار سكيتا

ويقول فى القصيدة الطائية التى أرسلها إلى خازن دار العلم ببغداد وهو محتجب بمعرة النعمان :

وما أذهلتنى عن ودادك روعة وكيف وفى أمثالها يجب الغبط
ولا فتنة طائية عامرية يحرّق فى نيرانها الجعد والسبط
وقد طرحت حول الفرات جرانها
إلى نيل مصر فالوساع بها تقطو
فوارس طعانون ما زال للقنا
مع الشيب يوماً فى عواضهم وخط
وكل جواد شفّه الركض فيهم وج يتمنى أن فارسه سقط
ونبّالة من بحتر لو تعمدوا بليل أناسى النواظر لم يخطوا

فما هذه الفتن التى ذكرها أبو العلاء ، ومتى كانت ؟

(يتبع) **عبد الوهاب عزام**

---

(١) الملك فى مصر كان للفاطميين حينئذ وكان الخليفة منهم الظاهر (٤١١ — ٤٢٧) فهو يلوم الفاطميين على أن تركوا هذه القبائل تعيث فى الأرض وهم لاهون بتعتير فارات المسك يتطيبون بها لا بعتر الفوارس والعتر الذبح .

فصل كتاب :

يتيمــة الدهر

للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

كنت أظن أن اسم « يتيمة الدهر » وقف على كتاب أبي منصور الثعالبي المعروف ، حتى عثرت منذ سنوات في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا — على رسالة صغيرة الحجم بسماة يتيمة الدهر للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه .

وهذه الرسالة في ٦١ ورقة مكتوبة بخط نسخي جيل مشكول وكل صفحة في أحد عشر سطراً ، وعلى الرغم من شدة عناية المرحوم تيمور باشا بمخطوطات خزانته ، وحرصه الزائد على ذكر مؤلفيها وبيان عصورهم وطرف من تراجمهم — لم أجد في فهارس الخزانة ما يكشف الغطاء عن شخصية مؤلف هـذه الرسالة ، وأخذت أقلب الكتاب لعلى أجد في ثناياه ما ينم عن هوية مؤلفه فلم أجد إلا تلك العبارة المسطرة في رأس الصفحة الأولى منه وهي: « كتاب يتيمة الدهر . بسم الله الرحمن الرحيم . قال الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه : الحمد لله العلى الكبير ، القوى القدير ، العليم الخبير ، السميع البصير ... إلى أن يقول : أما بعد ، فإن أحق ما نطق به لسان ، وأعرب عنه بيان ، وانطوى عليه كتاب ، وانتهى إليه خطاب ، ما زاد في قوة البصيرة ، وعاد بصحة السريرة ، وطرق طرائق العدل ، وبين حقائق الفضل ، فصار تذكرة للأخيار ، ومزجرة للأشرار ، وقوة لأولى الألباب والأبصار ، وإماماً للعمال ، وقواماً للأعمال ، يرجع إليه الساسة ، وتبنى عليه السياسة ، وتنظم به الأسباب ، وتتجمع فيه الآداب

وإن الأدب أدبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ؛ فأدب الشريعة ما قضى الفرض ، وأدب السياسة ما عمر الأرض ، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان ، وعمارة البلدان ، وصلاح الرعية ، وكمال المزية ، لأن من ترك الفرض ظلم نفسه ، ومن خرب الأرض ظلم غيره » . في مقدمة طويلة على هذا النسق من سجع قصير غير متكلف استغرق ثماني صفحات من الأصل إلى أن يقول في آخر المقدمة : « وقد جمعنا من إنشائنا في كتابنا هذا ألفاظاً وجيزة ، وأجريناها مجرى الأمثال ، وفصولا قصيرة قد جعلناها عمدة للولاة والعمال ، وعدة للعقلاء، وذوى الأعمال ، وقصدنا فيما ألفناه من ذلك وجه الاختصار ليقل لفظه ، ويسهل حفظه ، وجعلناه ألف فصل ومثل في ثمانية أبواب :

الباب الأول : في الاستعانة على حسن السياسة

الباب الثاني : في الاستعانة على فضيلة العلم والعمل

الباب الثالث : فيما يستعان به على الزهد والعبادة

الباب الرابع : فيما يستعان به على أدب اللسان

الباب الخامس : في الاستعانة على أدب النفس

الباب السادس : في الاستعانة على مكارم الأخلاق

الباب السابع : في الاستعانة على حسن السيرة

الباب الثامن : في الاستعانة على حسن البلاغة

واستعنا فيما وضعناه من ذلك بالله الجليل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

***

ثم قام أحد الناشرين بطبع هذا الكتاب ، وكتب له أحد كبار رجال القضاء الشرعي مقدمة نفيسة ، وصرح كاتب المقدمة بأنه لم يعثر على ترجمة المؤلف ، ولم يشر إلى أن هذه الرسالة طبعت قبل هذه المرة

والواقع أن هذه الرسالة قد طبعت في القاهرة من نحو خمسين سنة ، وإذا أردنا التحديد قلنا : إنها طبعت سنة ١٣١٧ هـ مسماة بغير اسمها ، منسوبة إلى غير مؤلفها ، فقد طبعت على هامش كتاب « نثر النظم وحل العقد » لأبي منصور الثعالبي ، وسميت « كتاب الفرائد والقلائد » ، ونسبت إلى أبي منصور الثعالبي أيضاً ، وذلك بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر سنة ١٣١٧ هـ ، ثم طبعت هذه الرسالة مرة أخرى بعنوان « كتاب الأمثال المسمى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً بالعقد النفيس ونزهة الجليس » ،

ونسب فى هذه المرة أيضاً إلى أبى منصور الثعالبي . وهذه الطبعة مطبوعة فى مطبعة التقدم التجارية بحارة العتبة رقم ١٠ بشارع محمد على بمصر وليس عليها تاريخ الطبع

وهكذا فقد طبع هذا الكتاب مرتين — ولعله طبع مرات أخرى لا نعرفها — مسمى بغير اسمه الحقيقى — ونسب إلى غير مؤلفه فى كلتا المرتين ؛ حتى عثر على نسخة الخزانة التيمورية ، فعرف أن اسمه الحقيقى هو « يتيمة الدهر » ، وأن المؤلف هو الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه .

* * *

بقى أن نعرف من هو السيد أبو الحسين صاحب كتاب « يتيمة الدهر » ؟ وفى أى عصر عاش ، وما هى مكانته الأدبية ؟

لقد أطلت البحث عن ترجمة للسيد أبى الحسين ، وبذلت كثيراً من الجهد والوقت ، ولكن حياة هذا السيد الكريم ما زالت غامضة خفية . لم أستطع كشف القناع عنها ، فإنى مع كثرة ما بحثت وراجعت من المراجع لم أجد للسيد أبى الحسين ذكراً إلا ما ورد فى رسائل بديع الزمان الهمذانى فى سياق تلك المناظرة التاريخية التى وقعت بين البديع والخوارزمى فى نيسابور سنة ٣٨٣ ﻫ ، فقد كرر البديع الهمذانى اسم السيد أبى الحسين أكثر من مرة واحدة فى أثناء حكايته لتفصيلات تلك المناظرة ، وذكر أن السيد أبا الحسين كان أحد شهود المناظرة المحكمين ، وأنه كان يناصر الخوارزمى ، وأن الخوارزمى كان يلجأ إليه ويخصه بالحديث والالتفات فى الجلسة الأولى للمناظرة ، فلما كان المجلس الثانى احتال البديع على السيد أبى الحسين ، واستماله إلى جانبه بقصيدة أنشده إياها فى مدح أهل البيت والتشيع لهم ، واستمع إلى البديع حيث يقول : « ... ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والأمامة ، وعامر أرض الوحى ، والمحتبى بفناء النبوة ، والضارب فى الأدب بعرقه ، وفى المنطق بحذقه ، وفى الإنصاف بحسن خلقه ، فجثم إلى المجلس قد سيفه ، وجعل يضرب عن هذا الفاضل — أبى بكر الخوازمى — بسيفين لأمر كان قد موه عليه ، وحديث كان قد شبه لديه ، وفطنت لذلك فقلت : أيها السيد ! أنا إذا سارغيرى فى التشيع برجلين ، طرت بجناحين ، وإذا مت سواى فى موالاة أهل البيت بلمحة دالة توسلت بغرة لائحة ، فإن كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ، ثم إن لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتى البر والبحر ، وركبت الأفواه ، ووردت المياه ، وسارت فى البلاد ، ولم تسر بزاد ، وطارت فى الآفاق ، ولم تسر على ساق ، ولكنى لا أنسوق بها لديكم ، ولا أتنفق بها عليكم . وللآخرة قلتها لا للحاضرة ، وللدين ادخرتها لا للدنيا

فقال : أنشدنى بعضها فقلت :

يا لمـــة ضرب الزما ... ن على معرسها خيامه
لله درك من خزا ... مى روضة عادت ثغامه
لرزية قامت بهـا ... للدين أشراط القيامه
لمضرج بدم النبو ... ة ضارب بيد الأمامه
متقسم بظبا السيو ... ف مجرع منها حمامه
منع الورود وماؤه ... منه على طرف الثمامه
نصب ابن هنـد رأسـه ... فوق الورى نصب العلامه

إلى آخرها ، وهى قصيدة فى نحو خمسة وعشرين بيتاً كلها على هذا الطراز

قال البديع : « فلما أنشدت ما أنشدت ، وسردت ما سردت ، وكشفت له الحال فيما اعتقدت ، انحلت له العقدة ، وصار سلماً ، يوسعنا حلماً »

* * *

هذا كل ما وجدته عن السيد أبى الحسين ، ومنه يظهر مكانه فى العلم والأدب ، كما يعلم أنه من معاصرى البديع والخوارزمى ومقارعيهما ، وأنه كان موجوداً فى أواخر القرن الرابع الهجرى

بقى أن نعرف : هل هذا السيد الذى قص البديع الهمذانى خبره — هو الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه صاحب كتاب يتيمة الدهر ؟ .

ذلك ما لا سبيل إلى الجزم به الآن ، ولعل فى قراء « الرسالة » الغراء من يعرف عن كتاب « يتيمة الدهر » ومؤلفه السيد أبى الحسين أكثر مما نعرف . فإلى أولئك أوجه الرجاء أن يتفضلوا بنشر ما لديهم من المعلومات مشكورين .

برهان الدين الداغستاني

البلاغة العصرية

واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

موضوع الكتاب — اسم على غير مسمى — الأسلوب التلغرافى — اللغة العربية وحرية المرأة — البلاغة والمنطق — لغتنا حرية استقراطية عقيدية — دار العلوم والمنطق — دار العلوم والاصلاح اللغوى — دار العلوم للمسلمين — أبو تمام والثقافة ... ...

— ١ —

لم يكد يفرغ الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات من دفاعه المنصف المجيد عن البلاغة حتى أخرج الأستاذ سلامة موسى هذا الكتيب . ولقد يتوسم قارئ اسمه أنه محاولة موفقة لتجديد البلاغة العربية ، أو نقد ونقض لبعض أسسها القائمة ، لكنه إذا ما أتمه دهش من انقطاع الصلة بين العنوان والمعنون ، فليس فيه تجديد ولا نقض ، اللهم إلا الدعوة إلى أن تجارى لغتنا عصرنا ، وتماشى حياتنا ، وهى دعوة قديمة قال بها عبد العزيز الجرجانى وعبد الكريم النهشلى وغيرهما ، وإنما نثر المؤلف فى بحثه سوانح عنت له فى نشأة اللغة ، وعلاقتها بالمجتمع ، وضرر اللغة ، والتفسير الإقتصادى للغة ، والفصحى والعامية الخ ، فمن المغالطة أن يسمى كتيبه بهذا الإسم ، ومن المغالطة أن يعقد فصلا عنوانه (فن البلاغة) ولا شيء فيه من فن البلاغة . فهل من البلاغة العصرية ألا تدل الكلمات على مسمياتها المعهودة ؟

— ٢ —

كرر فى بحثه الدعوة إلى الأسلوب التلغرافى « وكذلك نحن نتبع الأسلوب التلغرافى ، ونتخير الكلمة التى تحمل المغزى فضلا عن المعنى » ص ١٩

فماذا يريد به ؟ إنه يريد أن يكون الأسلوب خالياً من الروعة والبراعة والجمال والموسيق ، فلا يمتاز من أسلوب الخطاب المعتاد المتداول فى الشئون اليومية . يريد ألا تتفاوت الموضوعات والمناسبات وأقدار الأدباء والقراء ، يريد (الاشتراكية) فى اللغة كما قرر فى مواضع أخر ، ويتجافى ما تقرره البلاغة وعلم النفس من أن الأسلوب صدى لما فى نفس منشئه ، فالإنفعال القوى لا يعبر عنه إلا أسلوب يلائمه قوة . والانفعال الهادئ لا يوائمه إلا أسلوب يشا كله دقة ، والمغات كلها تعيا أحيانا عن تصوير العواطف بكلماتها الوضعية ، فلا مندوحة للأديب من اللجوء إلى الخيال وأفانين الجمال .

وإذا كان هذا رأيه الذى طالما دعا إليه ، فلماذا لم يأخذ نفسه به ؟ ما له لا يلتزم الأسلوب التلغرافى الذى يدين به ؟ ثم ما له لجأ إلى تكرير المعانى فى هذا الكتيب ؟

على أنا إذا آثرنا الأسلوب التلغرافى فقد جحدنا ما خلفه أدباء العالم كله من تراث فنى . ولخير إذاً للزيات والعقاد والجارم وبرنارد شو وأندريه موروا وأضرابهم أن يحطموا أقلامهم ، أو يغيروا أساليبهم ، وهيهات هيهات !

وليس من الصواب الفصل بين الأسلوب والمعنى ، فهما جزء واحد ، وهما معاً قسيمان فى إثارة القارئ ومجاوبته للأديب ، أو شعوره بالمتعة الفنية ، وهما معاً شريكان فى التعبير عن خلجات الأديب وعواطفه ، والأسلوب التلغرافى لا يحقق كل ذلك .

ولذا عرف بوفون الكتابة الجيدة بأنها « التفكير الجيد والشعور الصادق والإبانة الممتازة مجتمعة معاً » وفى رأى بوفون أيضاً أن « متانة الأسلوب ليست إلا ملاءمته لطبيعة الموضوع ، وهى تتولد تولداً طبيعياً من معنى الموضوع نفسه » . وهكذا كان بوفون فخما عند ما يكتب فى التاريخ الطبيعى ، وسهلا يستخدم الألفاظ الشائعة فى رسائله إلى أصدقائه المقربين(١) .

والأستاذ سلامة يناقض نفسه إذ يقول فى ص ١٧ « ويمكننا أن ننظر إلى اللغة النظر الفنى فننشد بالكلمات والجمل رفاهية ذهنية لا تؤديها الدقة العلمية » وفى هذا رد على دعوته إلى الأساليب التلغرافية ، إذ الرفاهية الذهنية ليست إلا ثمرة للروعة فى التعبير ، والإبداع فى التصوير ، والفحولة فى التفكير .

(١) بوفون والأسلوب . الرسالة العدد ٦٠٨

— ٣ —

« ثم انظر إلى ما ورثنا من المجتمع العربى القديم بشأن المرأة فقد ألغى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية إلغاء يكاد يكون تاما ، أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية ؛ ولكن مازلنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الإسم ، مع أن الإسم جزء من الشخصية وإهماله هو سبة للمرأة ... وإهمالنا لاسم المرأة هو تراث لنوى قديم يحمل إلينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافحها » ص ٤٩

وليس فى هذا شىء من الحق ، فإن الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، واختصها القرآن الكريم فى كثير من المواضع بالخطاب ، ومنحتها الشريعة حقوقها كاملة ، وبحسبنا أن الشريعة الإسلامية لم تحرمها التصرف فى مالها الخاص أو الميراث إذا تزوجت ، ولم تجعل لزوجها سلطانا على مالها ، مع أن القانون الفرنسى ما زال يعتبرها ناقصة الأهلية ، فيتصرف زوجها فى مالها كما يتصرف المولى أو الوصى فى مال القاصر ، وليس لها حق التقاضى إلا بإذن زوجها .

ثم إن الشريعة الإسلامية منحت المرأة حرية اختيار زوجها ، وأجازت أن تكون العصمة بيدها . وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام أرق المثل فى إعزازها والحدب عليها ورد الاعتبار لها بأفعاله وأقواله ، وطالما تغنى الشعراء بحبها والزلفى لها ، وطالما أسهمت فى الحركة الأدبية والعلمية والسياسية بنصيبها ، وطالما سُمِّى الرجال بأسماء أمهاتهم وبناتهم ، فليس بصواب أن المجتمع الإسلامى — ودينه الإسلام — انتقص حقوق المرأة وحقر من شأنها كما ادعى الاستاذ .

وهل تناسى الأستاذ أن أوروبا بعد ذلك العصر كانت تسوم المرأة الذلة والهوان ؟ وأن أوروبا كانت تتجادل فى حقيقة المرأة أإنسان هى أم شيطان ؟

ولا تحقير للمرأة فى أن نطلق عليها « أم فلان » ، وإنما فيه تكريم لها ومسرة واعتراف بالفضل ، إذ أنجبت ، وأدت وظيفتها الأولى فى الحياة . ولا تحقير لها فى أن نكنى عنها بحرم فلان ؛ لأنها فى عصمته ورعايته وحمايته ، وهى تعلم أن الزواج شرفها وحليتها وأملها ، وهل المجتمع الغربى المعاصر يحقر المرأة ؟ وإلا فلماذا يطلق عليها مسز فلان وليدى فلان ومدام فلان ؟ ومن لطائف برناردشو فى ذلك أن سيدة قالت له : إن الرجل قد سلب المرأة حقوقها ، فقال لها : بل سلبته هى كل شىء حتى اسمه

— ٤ —

« يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة ، وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشئ بدلا من مخاطبة العواطف » ص ٥٦

وهذه فكرة عاسفة تهدم أساس الشعر والنثر والفنون الجميلة عامة ؛ لأن الفنون وليدة العواطف ، واستجابة لنوازع نفسية لا صلة للمنطق بها ، ولو أنا أخضعنا كثيراً من النصوص الأدبية التى تروقنا للمنطق لوجدناها هباء .

فكلنا نعجب بقول المنخل اليشكرى :

وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيرى

ونطرب لقول جميل :

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

ويروعنا قول المتنبى :

تسوّد الشمس منا بيض أوجهنا
ولا تسود بيض العذر واللمم
وكان حالهما فى الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

ويهزنا قول شوقى :

وجواهر التيجان ما لم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح

وأى منطق فى هذا ؟

لو أنا اتخذنا المنطق وحده دعامة للأدب لا نقلب إلى حقائق جافة لا خيال فيها ولا جمال ولا سحر ، ولكان أحرى به أن يسمى علماً لا أدبا ؛ لأن خصيصة الأدب فى لغات العالم كلها أن معانيه خيالية ، وليس معنى هذا أنها بمعزل عن منطق الحياة ، أو فيها خلط واضطراب ، وما زال العالم يكبر ما خلفه هوميروس واليونان من تراث ، وأى منطق فى أبطالهم وأعمالهم الخوارق وهم آلهة وأنصاف آلهة ؟

— ٥ —

« لغتنا لا تماشى المعارف العصرية ؛ لأنها قضت شبابها

تلابس مجتمعاً أرستقراطياً حربياً عقيدياً » ص ٧٧ ، « يجب أن تـكون لغتنا متمدنة تتسع للتعبير عن نحو مئة وعشرين علماً وفناً لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا » ص ٢٠

أما أن لغتنا متخلفة عن ركب الحياة العصرية فهذا حق ، ولـكن الوزر علينا ؛ لأن اللغة لا تنمى نفسها ، وإنما ينميها المتكلمون بها ، وقد ركدت حياتنا أحقاباً طوالا انزوينا فيهـا عن العالم المتجدد ، فلما أفقنا وجدنا فى لغتنا قصوراً عن مجاراة الحياة المتجددة ، فعلينا أن ننميها بالاشتقاق أو التعريب

وأما اتهام اللغة بأنها وليدة مجتمع أرستقراطى حربى دينى فلم تعد صالحة لحياتنا — فجرأة ودعوى باطلة ، فلم تـكن الأمة الإسلامية فى العصر العباسى الذى يقصده المؤلف أرستقراطيـة حربية دينية فحسب ، وإلا فبأية لغة ترجم المسلمون تراث اليونان والفرس والهنود والنبط ؟ أتتسع اللغة العربية للتعبير عن فلسفة أفلاطون وأرسطو والتعليق عليها وشرحها ثم تتهم بأنها لغة مجتمع أرستقراطى حربى دينى فحسب فليست صالحة لنـا ؟ وبأية لغة ألف المسلمون فى الفلسفة والجغرافيـا والفلك والرياضة والمنطق والأخلاق والـكيمياء والبلاغة الخ ... الخ

وبحسبى أن المؤلف قد ناقض نفسه بقوله : « إن اللغة خدمت المجتمع العباسى أجل خدمة ، وقامت بشئون حياته » ص ٧٥

ومن عجب أن يطالب بإلغاء كلمات الحرب من لغتنـا ؛ لأن مجتمعنا سلمى ص ٧٧ فأى سلام هذا الذى يحلم به ؟ وأين اللغـة التى تخلو من كلمات الحرب حتى نجرد لغتنا منهـا ؟ أو ليس من الحق أن تتهم اللغة بعد قرن إذا ما جردناها من كلمات الحرب بأنها كانت لغة قوم أذلاء مستضعفين ؟

— ٦ —

« وإذا كان اللورد هوردر الطبيب الإنجليزى ينصح لـكليات الطب فى بريطانيا بتـدريس كتاب جيفونز فى المنطق فى السنة الأولى من الدراسة الطبية فإننا أحوج إلى مثل هذه النصيحة فى دراسة اللغة العربية فى كلية الآداب أو فى دار العلوم » ص ٦ ١

والعجب من مؤلف ينصب قلمه للاصلاح المزعوم أو الموهوم ثم يتجنى أو يغفل ، كأنه لا يعلم أن المنطق القديم والحديث يدرس بدار العلوم دراسة تفوق الحد الذى يتطلبه الأستاذ .

— ٧ —

« أبناء دار العلوم هم الذين تخصصوا فى اللغة ، وتخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة ، فضاقت آفاقهم وتحجرت لغتهم ... وهم يخشون التغيير لأسباب اقتصادية وطبقية » ص ١٤

أما أنهم هم الذين تخصصوا فى اللغة وأدبها فهذا حق ، وأما أن تخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة فهذا باطل ، ذلك أنهم يدرسون مع اللغـة التى تخصصوا وحدهم فى دراستها كما يقول الأستاذ ثقافات أخرى منها علم النفس والتربية والتاريخ والشريعة والمنطق والأدب ، والأدب المقارن والعبرية والسريانية والإنجليزية والاقتصاد والاجتماع ... الخ الخ ... وقد درسوا فى تجهيزية دار العلوم برنامج المدارس الثانوية وزادوا عليه التفسير والحديث والفقه . ولو اطلع الأستاذ على مناهجهم واستيعابهم لها وشغفهم بالبحث والدرس لغير رأيه ، أو لوجد من الخير له ألا يهاجم به إن كان له فى الإصرار على الانتقاص الظالم أرب .

وأما أن المتخرجين فى دار العلوم يخشون التغيير والتجديد لأسباب اقتصادية وطبقية فهذا افتراء وضغن ، فليسوا يعادون التجديد حرصاً على وظائفهم أن تزايلهم كما يزعم ؛ لأنهم دائماً فى طليعة المجددين ، لـكن على أن التجديد إصلاح وبنـاء ودعم ، لا اعتساف ونزوة وهدم ، ثم هم قد درسوا الرياضة والتاريخ والجغرافيا فى مدارس المعلمين والمدارس الحرة فبرعوا ، واستحقوا تقدير الرؤساء ، ونالوا إعجاب الطلاب ، ولم يخطر لأبيهم أن يقاوم تجديداً فى اللغة لأنه يؤثر صالحه كما يتهجم عليهم الأستاذ ، وإلا فما بالهم يجددون فى منهج دار العلوم ويستقدمون أساتذة ليسوا من أبنائها ؟ وما بالهم دعوا إلى إنشاء المجمع اللغوى منذ ثلاثين عاما ؟

— ٨ —

ولم ينفد بعد تجنيه على دار العلوم ، فيقول « ودار العـلوم للمسلمين ، وهذه نظرة تربط بين اللغة والدين ... فاللغة عند زكى مبارك وابن عرب والحكومة المصرية ليست لغـة الديمقراطية والاتومبيل والتلفزيون بل هى لغة القرآن وتقاليد العرب » ويخيل لى أن هذا مفتاح ضغنه على دار العلوم ، فلماذا يختص بها المسلمون ؟ أليس فى هذا حرص على اللغة العربية لأنها لغة الدين ؟

نعم دار العلوم للمسلمين ، لأن المسلمين ما زالوا يرون حفظ

رسالة الفن

٧ ـ الفن

للكاتب الفرنسى بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل الخامس — الرسم واللون

كان رودان يرسم كثيراً مستعيناً بقلم الحبر أحياناً وبقلم الرصاص أحياناً أخرى . وكان فى أول الأمر يرسم الخط الخارجى بالحبر ثم يضع الظلال بريشة . وتظهر مثل تلك الرسوم المائية كأنها أخذت عن نماذج بارزة أو منحوتة . وما كانت تلك الرسوم فى جلتها إلا رؤى المثّال وأخيلته . أما فى العهد الأخير فكان يستعمل القلم الرصاص ليرسم الجسم العريان ثم يضع ألوان اللحم بالريشة . وهذه الأخيرة أبسط من الرسوم السابقة ، والأوضاع فيها أقل تحديداً ، ولكنها أكثر حركة وأوفى نشاطاً . فترى فى بعض الحالات الجرة أو الخط قوياً عنيفاً كأن به جنة . ترى جسماً بأكمله وقد نظمته جرة واحدة من القلم الرصاص ـ وتنم تلك الرسوم عن ذلك الجزع المقدس الذى يعترى الفنان حينما يخشى أن يفوته أو يفلت منه تعبير طارئ . أما ألوان اللحم فتوضع بسرعة وقوة وتتم فى ثلاث أو أربع لمسات ، وأما التمثيل فينشأ عن جفاف بقع الألوان حيث تتخلف عند كل لمسة نقط عديدة لا يتسنى للريشة العجلى جمعها والتقاطها .

وهذه الرسوم الأولية تمسك وتثبت الإشارات والإيماءات الخاطفة ، وتسجل الحركة المتتابعة التى قلما تلمحها العين لأكثر من نصف ثانية . وهى لا تطلعك على الخطوط والألوان فحسب ، بل تريك الحركة وتشعرك الحياة أيضاً . إنها أخيلة المصور أكثر منها أخيلة المثّال .

وأخيراً توقف رودان عن إجراء التمثيل بالريشة وذلك لمداومته على استعمال القلم الرصاص ، فهو يقتصر على مسح الخط الخارجى بأصبعه فينشأ عن ذلك لون فضى يغشّى الأجسام كأنه الغلالة الرقيقة ، ويضفى عليها جمالاً رائعاً يجعلها تبدو كأنها غمست فى الشعر والخيال .

وتلك الدراسات الحديثة أجمل دراساته على ما أعتقد . فهى مضيئة ، تزخر بالحياة وتفيض بالسحر .

وعند ما كنت أنظر مع رودان فى بعض تلك التصاوير قلت له : « كم تختلف هذه عن تلك التصاوير الكاملة المنمقة التى تصادف هوى الجمهور ؟ » فقال :

القرآن الكريم والحديث الشريف غذاء اللغة ومعينا للأدب ، وما زالوا يحرصون على سلامة اللغة وبقائها ليبقى الدين ويبقى القرآن الكريم . وأى ضير فى أن يكون للغة علاقة بالدين ؟ أيريد الأستاذ أن يتهاون أبناء دار العلوم باللغة فلا إعراب ولا فصاحة ولا تحرز من أن تفشو الكلمات الأعجمية وإن استطعنا وضع معانيها من لغتنا العربية كما صرح بذلك فى كتابه حتى يصبح القرآن غريباً فى هذه اللغة وهو منها الروح الملهم والمدد الذى لا يغيض ؟ أم يريد ألا يدرس أبناء دار العلوم دينهم ولا يعلموا فيما بعد تلاميذهم ؟

— ٩ —

« وقد كان نابليون يصف الأدباء بأنهم تجار الكلمات ، ولأبى تمام شطرة من بيت كثيراً ما نذكرها هى :

« السيف أصدق أنباء من الكتب »

والواقع أن أبا تمام لم يقل كلمة هى أبعد عن الصحة والحقيقة من هذه الشطرة لأن السيوف لا تتحرك إلا للكلام الذى سبقها ... » ص ٨٨

فهم أن أبا تمام يفضل الحرب والقسوة على الثقافة ، كنابليون ولكن الحقيقة أن الشاعر يريد كتب المنجمين الذين أرادوا أن يعوقوا المعتصم عن فتح عمورية ، والتنجيم خرافة ، فلا تثريب على الشاعر ولا وجه للومه ، والشاعر يقول فى القصيدة نفسها :

والعلم فى شهب الأرماح لامعة
وفى الجديدين لا فى السبعة الشهب

مشيراً إلى خرافة المنجمين .

(يتبع) **أحمد محمد الحوفى**

المدرس بالسعيدية الثانوية

« حقاً إنها التفاصيل والدقائق المينة الخالية من التعبير ، والحركة الزائفة المتكلفة هى التى تستهوى جهال وتطربهم . فالعامة لا تستطيع أن تدرك كنه تعبير قوى لا يحفل بالدقائق والتفاصيل التى لا فائدة منها ويعنى بحقيقة المجموع كله . نعم لا تستطيع السوقة أن تدرك شيئاً من تلك الملاحظات الصادقة التى تنأى بنفسها عن الأوضاع المسرحية المفتعلة والتى تعنى بأحوال الحياة الحقيقية البسيطة ذات الأثر البالغ فى النفس

إن من الصعب تصحيح الأغلاط الشائعة عن موضوع الرسم . فمن الخطأ البين أن يظن امرؤ أن الرسم جميل فى حد ذاته . إنه ليس جميلا إلا بما يعبر به عن الحقائق الصادقة وعن المشاعر العميقة . يعجبُ الجمهور بفنانين يملكون ناصية فنهم بلا مراء ولكنهم يزوقون وينمقون خطوطاً إنشائية خالية من الدلالة ، ويثبتون مرسوميهم فى أوضاع متكلفة غير طبيعية ، ولكنها تعد فنية لأنها تشبه أوضاع المُثُل الإيطالية الذين يعرضون أنفسهم على أبواب المراسم . وهذا ما يسمى غالباً بالرسم الجميل ، وما هو فى الحقيقة إلا « خفة يد » تعجب البلهاء الحمق .

وفى الواقع يوجد رسم فى الفن كما يوجد أسلوب فى الأدب ، أى أن الرسم فى الفن هو بمثابة الأسلوب فى الأدب . فالأسلوب المزوق الذى يترك أثراً فى النفس أسلوب ردىء . وأما الأسلوب الجيد الرصين فهو الذى يستخفى ويتوارى كيما يوجه القارئ كل اهتمامه إلى الموضوع الذى هو بصدده وإلى العاطفة المصورة .

فالفنان الذى يزوق رسومه والكاتب الذى يصبو لامتداح أسلوبه كلاهما كالجندى الذى يزين كسوته بالريش ولكنه يتهيب الذهاب إلى المعركة ، أو كالفلاح الذى يشحذ ويجلو سكة المحراث بدلاً من أن يقوم ويفلح بها الأرض .

قد لا يخطر ببالك أن تمتدح الرسم أو الأسلوب ذا الجمال الصادق لأنك تؤخذ بأهمية كل ما يعبران عنه ؛ ومثل هذا يقال عن اللون أيضاً . وفى الواقع لا يوجد أسلوب جميل أو رسم جميل أو لون جميل ، وإنما يوجد جمال واحد فقط هو جمال الحقيقة السافرة المتجلية . فعند ما يتمخض عمل عظيم - أدبياً كان أو فنياً - عن حقيقة جلية ، أو عن فكرة عميقة ، أو عن شعور قوى فياض فمن البدهى أن يكون الأسلوب أو الرسم أو اللون بالغاً منتهى الإجدة والسمو ولا تكون تلك الصفات إلا نور الحقيقة منبعثاً من مصباحها .

يعجب الناس برسوم رفائيل بحق ، ولكن يجمل بهم ألا يعجبوا بها لذاتها أو لاتزان خطوطها اتزاناً بارعاً ، وإنما يعجبون بما تنطوى عليه من المعانى . وأما محاسن هذه الرسوم وكل ما يدعو إلى الإعجاب بها فتنحصر فى وداعة الروح ووداعة حلوة رأتها عينا رفائيل وسفرت معبرة عن نفسها على يديه ، وفى الحب الذى يغمر نواحى نفسه والذى يفيض من قلبه على الطبيعة بأسرها .

ولقد حاول الكثيرون ممن تنقصهم روحه أن يستعيروا موسيقية الخطوط والحالات التى صور عليها أشخاصه فلم ينتجوا إلا مقلدات غثة لأعمال نابغة أوربينو العظيم [1] .

وفى رسوم ميشيل أنجلو لايعجبن المرء بالطريقة التى انتهجها أو بالنتوءات القوية أو بالتشريح البارع ، ولكن بقوة هذا الفنان الزاخرة . أما مقلدوه الذين تعوزهم روحه والذين نسخوا فى لوحاتهم أوضاعه القوية الوطيدة ، وعضلاته المنتفخة ، فقد باءوا بالفشل ووضعوا أنفسهم موضعاً كله شين وسخرية .

وإن ما يصح أن نعجب به من ألوان تيتيان Titian هو ما تقدمه لنا من المعانى لا بانسجامها القليل أو الكثير . فليس لألوانه جمال حقيقى إلا بما تتضمنه من سَيْدُودَة جليلة شاملة . ويظهر الجمال الحقيقى لألوان فيرونيز فى قدرتها على إبراز حفلات النبلاء الرشيقة الأنيقة بألوان فضية موسيقية ساحرة .

وأما ألوان روبنز (Rubens) فلا قيمة لها فى حد ذاتها ويكاد يكون جمالها المتوهج هراء لولا انطباعها بطابع الحياة والبهجة والسرور والشعور القوى العميق .

ولا أظن أنه يوجد عمل فنى واحد يرجع جماله إلى اتزان خطوطه أو تهويل ألوانه فقط أو إلى أنه يسترعى العين وحدها . خذ مثلا النوافذ ذات الزجاج الملون التى يرجع عهدها إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فهى إذا ما سحرتنا بألوانها الزرقاء المخملية ، أو بحنان ألوانها البنفسجية ، أو بحرارة ألوانها الحمراء ، فما ذلك إلا لأن تلك الألوان تفصح عن سرور خفى أمل بصانعوه البررة الأتقياء أن يحظوا به فى سماء أحلامهم . وإذا ما جاءت بعض

(١) رفائيل سانزيو ، وأربينو بلدته .

قطع القاشاني الفارسي المزينة بأزهار فيروزية اللون آية من آيات الألوان الساحرة المحببة فما ذلك إلا لأن ألوانها البديعة تحمل النفس إلى ما لا أدري من أودية الأحلام والخيال . وعلى ذلك فكل رسم وكل ألوان منسجمة تؤدي معنى بحيث لا يصبح لها جمال بدونه ... وهنا قاطعته قائلا :

« ولكن ألا تخشى الحط من قيمة الصنعة في الفن ؟ »

ومن يقول لك باحتقارها أو بالإقلال من شأنها ؟ ليست الصنعة إلا وسيلة . ولن يبلغ الفنان الذي يهملها غايته التي هي التعبير عن الشعور والأفكار . ويكون مثل هذا الفنان مثل السائس الذي نسي أن يعلف جواده الشعير .

ومما لا مشاحة فيه أنه إذا كان الرسم ضعيفاً ركيكا واللون مزيفاً مسيخاً ، فلا يمكن والحالة هذه أن تجد أقوى العواطف سبيلا إلى الظهور والأفصاح . قد يبعث التشريح الخاطئ على الضحك على حين يرغب الفنان أن يكون جد مؤثر . ويرتكب اليوم كثير من أحداث الفنانين هذا العيب الشائن ، ويخونهم ضعفهم وقصورهم في كل مناسبة لأنهم لم يدرسوا الدرس الكافي . قد تكون مقاصدهم سليمة ، ونياتهم حسنة ، ولكن ذراعا قصيرة قصر أظاهراً ، أو ساقاً غير مستقيمة ، أو منظورا مختلا مشوهاً — كل ذلك من شأنه أن يجعل الرائي يصد عن رؤيتها ويشيح بوجهه عنها .

وقصارى القول لا يمكن أن يغني الهام مفاجيء عن العمل الطويل الذي لا غنية عنه لإكساب العين القدرة على الإلمام التام بالشكل والنسبة ، ولجعل اليد تنصاع لأوامر الشعور وتجرى مجراه

وعند ما أقول بأن الصنعة يجب أن تتناسى فلا أعني أو يدور بخلدي قط أن الفنان يستطيع أن يزاول عمله من غير إلمام بالعلم ، وأرى على النقيض من ذلك أن لا غنى له عن طريقة شاملة يخفي تحتها ما يبطن ويعلم . ولا غرو فإن أبرع رجال العالم في نظر السوق الجاهل هم بعض المشعوذين الذين يرسمون بضعة خطوط شاذة ، أو يأتون بألوان شبيهة بالألعاب النارية المدهشة ، أوهم الذين يكتبون جملا طويلة منمقة حشوها الغريب من الألفاظ . ولكن الصعوبة كل الصعوبة ، وأساس الفن الصحيح هو أن ترسم أو تصور أو تكتب بسهولة وبساطة .

إنك لتشاهد صورة أو تقرأ صحيفة فلا يستوقفك الرسم أو اللون أو الأسلوب ، ولكنك تشعر بالتأثير العميق في نفسك من غير أن تخشى الوقوع في غلطة ، فالرسم واللون والأسلوب كلها كاملة من الناحية الفنية ... فقلت له :

ألا يمكن مع هذا يا أستاذ أن تكون بعض الأعمال العظيمة الخالدة ناقصة من ناحية الصناعة الفنية ؟ ألم يقولوا مثلا إن ألوان رفائيل تغلب عليها الرداءة غالبا ، وإن رسم رمبراند لم يسلم من الغمز واللمز ؟ فقال :

صدقني إن هذا خطأ صراح . فإذا كانت قطع رفائيل تسر النفس فما ذلك إلا لأن كل شيء فيها — من لون ورسم — يمد هذا السرور بمعين . انظر إلى سان چورج الصغير باللوفر ، وإلى پارناسس بالفاتيكان ، وإلى رسوم الستائر في سوث كنسنجتن (South Kensington) ، انظر إلى كل هذه تر الإنسجام فيها ساحراً أخاذا . نعم ، تختلف ألوان سانزيو عن ألوان رمبراند ولكنها تلائم الهامه كل الملاءمة ، إنها صافية نقية كصنعة القرط . إنها تبدي انسجامات مفرحة ، طلية زاهرة . إن لها شباب روفائيل الخالد . إنها لا تبدو حقيقية ، وذلك لأن الحقيقة التي كان يراها نابغة أوربينو ليست حقيقة مادية فحسب ، بل كانت دنياه دنيا شعور حيث تستحيل الأجسام والألوان بنور الحب . ولا غرو إذا قال أحد غلاة الواقعيين بأن ألوانه غير صحيحة ، أما الشاعر فيراها صادقة .

ولو قورنت ألوان رامبراند أو روبنز برسم رفائيل لبدت الأولى جافية بشعة ، ما في ذلك من شك .

ومع أن رسم رامبراند يختلف عن رسم رفائيل فهو لا يقل عنه جودة . فخطوط رفائيل حلوة نقية ، أما خطوط رامبراند فخشنة متعرجة . كانت مخيلة الفلمندي العظيم متأثرة بالثياب الخشنة ، والوجوه الفظة الجعدة ، وبأيدي الطبقة الفقيرة المسجلة الدرنة . وما كان الجمال عنده إلا التباين بين حقارة الغلاف المادي الخارجي والإشعاع الروحي الداخلي . وإلا فكيف كان يتسنى له أن يعبر عن هذا الجمال المؤلف من بشاعة مادية ظاهرة ومن سمو نفساني رائع إذا ما حاول أن يجاري رفائيل في أناقته ؟ ينبغي أن تدرك أن رسمه كامل متقن إلى أبعد حدود الكمال والإتقان لأنه يتفق تمام الإتفاق مع خلجات نفسه وأفكاره فقلت :

وعلى ذلك قد نفهم من قولك إنه من الخطأ الاعتقاد بأن الفنان لا يستطيع أن يكون بارعا في فن الألوان ورساما عظيما في آن واحد

فقال : ما فى ذلك من شك. وأنا لا أدرى والله كيف رسخت هذه الفكرة فى الأذهان إلى هذا الحد . فإذا كان عظماء الفنانين فصحاء بلغاء ، وإذا كان فى مقدورهم أن يملكوا أعنة نفوسنا ويذهبوا بنا كل مذهب ، فما ذلك إلا لأنهم يملكون كل وسائل التعبير التى تلزمهم . لقد برهنت لك على ذلك من لحظة بحالتى رفائيل ورامبراند . ويمكن تطبيق مثل هذه الأدلة على جميع عظماء الفنانين. فمثلا اتهم البعض دلا كروا بجهله أصول الرسم ؛ أما الحقيقة فعلى النقيض من ذلك تماما ؛ فإن رسمه يتمشى تمشياً معجباً مع ألوانه . فهو مثلها وعر متقطع ، محموم ، سام ، مترع بالحيوية والعواطف القوية . وهو مثلها يجنح إلى الغلو والجنون أحيانا وعند ذاك يبدو أجمل وأروع ما يكون ... إن الرسم واللون شىء واحد ولا يمكن أن يعجب بالواحد دون الآخر .

ولقد يغرر أنصاف النقاد بأنفسهم حينما يفرضون وجود ضرب واحد من الرسم فقط هو رسم رفائيل أو حتى رسم من هم دونه من مقلديه أمثال دافيد وأنجر . وحقيقة الواقع أنه يوجد من ضروب الرسم والألوان بقدر ما يوجد من الفنانين .

يقال عن ألوان البرخت دورر (Alb echt Durer) إنها صلبة جافة ، وليست كذلك بتاتا . إن دورر جرمانى ، فهو يعمم ولا يخصص ، وترى تراكيبه الإنشائية محكمة مدعمة كالحقائق المنطقية ، وأشخاصه جامدة كما ينبغى أن تكون . وهذا يفسر لنا دقة رسمه البالغة ، وكيف جاءت ألوانه مكبوتة محدودة .

« وينتمى هولبين (Holbein) إلى نفس المدرسة ، فليس لرسمه شىء من الرشاقة الفلورنتينية ، ولا للونه الجمال البندقى[1] .

ولكن لخطوطه وألوانه قوة ورسوخ ومعنى باطنى ، وهذه صفات قد لا تتوفر لأى مصور آخر .

ويمكن أن يقال إجمالا عن فنانين حريصين مدققين كمن ذكرت : إن رسمهم غير مرن وإن ألوانهم باردة جافة جفاف الحقائق الرياضية ؛ كما يمكن أن يقال على النقيض من ذلك عن البعض الآخر الذين هم شعراء الوجدان أمثال رفائيل وكوريجيو (Corregio) وأندريا دل سارتو (Amdrea dıl Sarto) إن خطوطهم أكثر طراوة وليونة ، وألوانهم أوفى رقة وجاذبية . أما فى غير هؤلاء ممن نسميهم «الواقعيين» أى أولئك الذين هم أقل عمقاً فى الشعور والحس أمثال روبنز وڤلاسكويز ورمبراند فترى أن لخطوطهم جمالا حيا له قوة وروعة ، وهدوء وسكون . أما ألوانهم فتقوى أحياناً حتى لكأنها أخذت من أشعة الشمس ، أو تخبو أحياناً أخرى فتبدو كأنها الهيدب أو الستر الشفيف .

وعلى ذلك قد تختلف طرائق التعبير عند نوابغ الفنانين باختلاف نفوسهم . ويكاد يكون مستحيلا على المرء أن يقرر بأن رسم ولون فريق منهم أحسن أو أفضل من رسم ولون الفريق الآخر » . فقلت :

— « إنى أدرك ذلك يا أستاذ ؛ ولكنى أراك لا تفكر لحظة فيما تسببه من الإحراج لجماعة النقاد المساكين عند ما ترفض مبدأ تقسيم الفنانين إلى رسامين وملونين . ولكن يسرنى أن أفهم من قولك إن هناك طريقة جديدة لمن يرغب ذلك من مريدى التقسيم ، فأنت تقول إن الرسم واللون ليسا سوى وسيلة ، وإن روح الفنان هى العامل المهم الذى يعنينا . وعلى هذا يمكن أن نضع المصورين فى جماعات تختلف باختلاف أمزجتهم . فالبرخت دورر مثلا يقرن بهولبين ، لأن كليهما منطقى . ويوضع رفائيل وكوريجيو وأندريا دل سارتو الذين ذكرتهم فى قسم تغلب عليه العاطفة والحس ، ويأتى هؤلاء فى طليعة المحزونين الذين يشبهون بشعراء المراثى . وثم قسم آخر يشمل أولئك الفنانين الذين يعنون بالوجود وبالحياة اليومية يكون من أقطابه الثالوث المؤلف من روبنز وڤيلاسكويز ورمبراند . وأخيرا يؤلف بعض الفنانين أمثال كلود لورين وتيرنر قسما رابعاً ينظر إلى الطبيعة كأنها رؤى وضاءة آبقة » .

فابتسم روادن وقال :

« أرى أن لا داعى لمثل هذا التقسيم الذى قد يكون أقرب إلى الصواب والعدل من ذلك الذى يقسم الفنانين إلى رسامين وملونين . وعلى كل حال فإن أى تقسيم من هذا النوع مصيره إلى الفشل ، وذلك لتعقد الفن أو بالأحرى لاختلاف النفوس الإنسانية التى تتخذه لغة للتخاطب والتفاهم . وعلى ذلك فغالباً ما يكون رامبراند شاعراً سامياً ورفائيل واقعياً صرفا

دعنا نروض أنفسنا على فهم عظماء الفنانين . دعنا نحبهم ، ولنقصدهم لنستلهمهم ونستوحيهم ، ولكن فلنكف عن وضع بطاقات عليهم كتلك التى نضعها على العقاقير فى مخازن الأدوية

دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

(١) نسبة إلى مدينة البندقية

أغانى الرعاة . . . !

للمرحوم أبى القاسم الشابى

أقبل الصبح يغنى للحياة الناعسه
والربى تحلم فى ظل الغصون المائسه
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسه
وتهادى النور فى تلك الفجاج الدامسه

أقبل الصبح جميلا ! يملأ الأفق بهاه
فتمطى الزهر والطير وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحى ... وغنى للحياه
فأفيقى يا خرافى ! واهرعى لى يا شياه !

واتبعينى يا شياهى بين أسراب الطيور
واملئى الوادى ثغاء ! ومراغاً وحبور
واسمعى همس السواقى وانشقى عطر الزهور
وانظرى الوادى يغشيه الضباب المستنير

واقطفى من كلأ الأرض ومرعاها الجديد
واسمعى شبابتى تشدو بمعسول النشيد
نغم يصعد من قلبى كأنفاس الورود
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادى السعيد

وإذا جئنا إلى الغاب وغطانا الشجر
فاقطفى ما شئت من عشب وزهر وثمر
أرضعته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل فى وقت السحر

وامرحى ما شئت فى الوديان أو فوق التلال
واربضى فى ظلها ما شئت إن خفت الكلال
وامضغى الأعشاب والأفكار فى صمت الظلال
واسمعى الريح تغنى فى شماريخ الجبال

إن فى الغاب أزاهير وأعشاباً عذاب
ينشد النحل حواليها أهازيجاً طراب
لم تدنس عطرها الطاهر أنفاس الذئاب
لا ... ولا طاف بها الثعلب فى بعض الصحاب

وشذا حلواً وسحراً وسلاماً وظلال
ونسيما ساحر الخطوة ! موفور الدلال
وغصوناً يرقص النور عليها والجمال
واخضراراً أبدياً ليس تمحوه الليال

إن تملى يا خرافى ! فى حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى فى ملال فوق هاتيك السهول

لك فى الغابات مرعاى ومسعاى الجميل
ولى الإنشاد والعزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل
فهلمى نرجع المسعى إلى الحى النبيل

في دار الإذاعة :

غريب . . .

للأستاذ إبراهيم العريض

يا ابنة الحسن ! لا تقولى غريب	غربتنى فى الحب عينا مهاة
لم تكن غير نظرة ... تركتنى	ظامئاً — بعدنا — إلى نظرات
أغمض العين كى أراها بسمعى	حين تسترسلين فى النغمات ...
فى فؤادى أحس وقع خطاها	حيثما تهدين بين اللدات
ساءلتنى : أأنت تشعر ؟ هلا	ساءلت عنى النجوم رواتى ؟
آه لى من هواك ! لو كنت عوداً	جسّرته يداك للنغمات
أنا من فى الجمال غرّد حتى	ردد النيل لحنه للفرات
قدك يا هند ! طاب عهدك لما	جرت عليّ ابتسامة فى حياتى
لم تكن غير بسمة عجلت عيناك فى القلب سحرها بالتفات	
ثم عدنا ... تخفيك عنى الليالى	بين أحلامها ... وبين ملاتى
أيها الليل ! ضمّ ما شئت عنى	غير صوت يلم بى فى أناة
صوت تلك التى بشاطئ « جمنا »(١)	تتجنى ... عرفت فيها مماتى !

(١) اسم النهر الذى تقوم عليه العاصمة الهندية .

ألوان . . .

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

ليل باك

استوى الليلُ على عرش السما: مُطفئاً فيها مصابيحَ الفضا:
كافراً تقطرُ من حلكته بالدجى حتى أعاصير الهواء،
سلّط البَرْدُ على أكتافه من سياط البرق تعذيب الشتاء،
والرياحُ الهوجُ من أنفاسه أطلقَتْ من قلبه بعض الغناء،
يحمــلُ اللوعةَ فى أغواره يجهش الرعد بها كيف يشاء،
فتدوِّى قصفةٌ من فمه كلما اشتدت عليه البُرَحاء،
تسرد الأمطارُ عن شقوته قصة الحزن لعشاق البكاء

حيرة

بكسرِ مجدافى ومادتْ بزورقى أعاصير هوجٌ كلهنَّ جنونْ
وأفردْتُ وحدى فى الخضمِّ ولفَّنى ظلام من الأرزاء ليس يهون
فلا الموج يطوينى ولا النور مُسعفى ولا الشاطئُ المجهولُ عنه يبين

شجن

ثارت بنفسى حيرةُ السأمانِ ورمتْ فؤادى فى اللظى أحزانى
وودتُ لو أحظى بلقيا عابر فى الليل أفزعُ نحوه فيرانى
ويرى الذى قد خطه من شقوتى ألمى على وجهى الهزيل العانى
وأنيُّـه هتفات قلبٍ راسفٍ فى الحبْ والتعذيب والحرمانِ
فلقدْ يُريحُ النفسَ أن تُفشى الذى فى غورها من هاتف الأشجان
ولقد يُريحُ النفس أن يُصغى إلى صرخاتها قلبٌ وحيــدٌ حانى
أوّاه من شجنى الذى أبكانى ومشى على قلبى وفى أركانى
يا قُدْسَهُ من لاعجٍ نيرانى لم يُبقِ إلا صورةَ الإنسانِ



حول منهج البحث عن تكوين الشعب المصري الجديد

ليس من الحق أن ننكر ما بذله الأستاذ الشيال من الجهد في بحثه (تكوين الشعب المصرى الجديد بعد الفتح العربى) في مجلة الثقافة من رجوع إلى المصادر العربية القديمة ومحاولة تنسيق النقول المختلفة منها مع صحة الاستنباط وبراعة الاستنتاج، بيد أنى مضطر إلى القول بأن المنهج الذى ابتدعه يعوزه الترتيب وتنقصه المحاولة الدقيقة فى البحث عن أصول هذا التكون وعوامله ومقدار التلون الذى أدخلته كلتا الشخصيتين العربيـة والمصرية على الأخرى . وإذا ما عدنا إلى مناهج الغربيين الباحثين عن أصول تكون الشعوب الأوروبية وجدناها تختلف عن منهجه اختلافاً قوى الأثر بعيد الخطر . ولا يصح أن يقال إن ظروف التكون التى أحاطت بهذه الشعوب تختلف عن الظروف التى أحاطت بتكون الشعب المصرى العربى بعد الفتح ؛ فإن الأصول الأولى التى عرفت والتى كان لها أكبر الأثر فى تكون هذه الشعوب ونمو شخصيتها الجديدة هى بعينها الأصول التى عرفت عند العرب . وإذا ما جاز لنا أن نحاول مثل هذه الدراسات فى البحث عن أصول الشعوب العربية الجديدة وتأثرها بمقومات الشعوب التى استعمرتها فى الثقافة والدين واللغة والجنس فإن هذا يحتاج إلى منهج من نوع آخر ليس يكفى فيه تنضيد النصوص العربية والوقوف عندها بالاستنتاج الحذر مما لا يلقى صورة واضحة ولا يدلى بأسباب قوية عن هذا التكون.

ولقد حاول المؤرخون الإنجليز البحث عن أصول تكون الشعب الإنجليزى المختلفة المتعاونة على تقويم حياة الشعب فكانت لهم من ذلك محاولات يصح أن ينتفع بها الدارسون لمثل هذه المحاولات فى الشعوب العربية وآدابها والأستاذ الشيال حين يبدأ أولى هذه المحاولات يقف عند المصادر العربية وقوفاً عجيباً فلا يحفل بالبحث عن مقومات البيئة المصرية الأولى التى استعمرها العرب . ونحن نعلم مما وصل إلينا من البحوث المختلفة التى عولجت حول هذه البيئة من مؤرخى اليونان والرومان الذين رحلوا إلى الأسكندرية أو استقروا فيها شيئاً كثيراً يتصل بعضه بالأديان المختلفة التى كانت تصطرع فى هذه المدينة وبعضه بالآثار الأدبية المختلفة من يونانية وقبطية وبعضه يتناول نواحى من التدين خاصة كالتصوف الذى تأثر به العرب فيما بعد والذى كان أصلاً من أصول الحياة الدينية المصرية القديمة (١) .

وإن الأفلاطونية الحديثة التى نشأت فى مدينة الأسكندرية كان لها أثر قوى فى البحوث الدينية عند المسلمين فيما بعد ولعل هذا يلفتنا إلى وجوب البحث الدقيق عن مسالك تأثر المسلمين بالثقافات اليونانية إذ ربما حول ذلك مجرى البحث الذى استقر فى مثل هذه الموضوعات عندهم .

وإذا كان المؤرخون الإنجليز حاولوا شيئاً من هذا فى دراساتهم الأدبية والتاريخية فأولى بنا أن نرجع أولاً إلى مثل هذه المحاولات قبل البدء فى دراسة هذه الموضوعات . وبين يدى الآن مرجع من هذا الطراز Kistory of later Greek Literatureby Wright يبحث فيه صاحبه ما تردد فى الأسكندرية من ألوان الثقافات المختلفة التى كان لها أكبر الأثر فى تكوين الشعب المصرى الجديد .

ولا يقف فى سبيلنا ما لا يزال موضعاً للدراسة مما روى من إحراق مكتبة الأسكندرية على يد عمرو بن العاص بأمر عمر فإن تأثر العرب بالثقافات القديمة فى مصر لا يرتكز فقط على المتحف والمكتبة وإنما يعتمد على أشياء أخرى تظهر لمن خصص نفسه لمعالجة مثل هذه الدراسات برفق ولين وأناة .

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد لجأت إلى الأسكندرية بعد ما لاقت من ألوان الاضطهاد والأذى فى الغرب فوجدت فيها حياة آمنة وأفقاً طليقاً يلائم الفلسفة والتفلسف فأجدر بنا ألا نقف عند هذه المحاولات بل ينبغى أن يمتد ذلك إلى تعرف آثارها فى الحياة العربية الإسلامية المصرية فيما بعد .

وإذا كان المقريزى فى خططه يصف سكان مصر فيقول : « وهم أخلاط مختلفة من الفرس والروم والعجم والبربر » ولكل من هذه الأخلاط مقومات مميزة انصهرت انصهاراً عجيباً فى البيئة المصرية فإن البحث عن أصول هذا الشعب ينبغى أن يتناول هذه الأخلاط المتباينة فى الجنس والثقافة والدين .

وسواء أكان العرب الذين استقروا فى مصر قيسيين أم يمنيين فإنهم وافدون من جزيرة العرب ذات المقومات الخاصة فى الدين واللغة والجنس ، ونحن نعرف من تاريخهم أكثر مما نعرف من تاريخ القبط والروم والفرس والبربر؛ فالاتجاه إلى بحث الجنس العربى وحده اتجاه يسير الجدوى قليل الأثر .

(١) انظر ترجمة ذى النون فى حلية الأولياء لأبى نعيم .

وإنى أرجو أن يتعاون الباحثون عن تكون الشعب المصرى الجديد تعاوناً يستند على أصول دقيقة من البحث العلمى حتى تقوم دراسة الأدب العربى المصرى على أسس صحيحة من البحث المنتج السليم .

السيد خليل

طباعية لا طبعية ولا طبيعية :

قال الإمام العالم الأديب أبو حيَّانَ التوحيدى فى المقابسة الثانية والعشرين فيما بين المنطق والنحو من المناسبة ص ١٧٢ من كتاب المقابسات — وشهادة النحو طِباعِيَّةٌ ، وشهادة المنطق عقلية — فنسب إلى طِباعٍ ولم ينسب إلى طبيعة ، ونحرز بذلك المشكلة القائمة الآن فى النسب إليها ، وقد جاء فى القاموس : الطَّبْعُ والطبيعة والطِّباع ككتاب السجية جبل عليها الإنسان أو الطباع ككتاب ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التى لا تزايلنا ، كالطَّابِع كصاحب

فهل لنا أن نقلد ذلك الإمام الجليل فى تلك النسبة ، ونقول فى هذا المعنى — طباعية وطباعى — ولا نقول طبيعى ولا طَبَعى لأن النسبة الأولى تخالف القياس فى المنسوب إلى ما يكون على فَعِيلة والنسبة الثانية تلتبس بالنسبة إلى طَبَع بفتح الطاء والباء ، وهو الصدأ والدنس ، ولا شك أن مثل هذا الالتباس له حكمه فى اللغة ، وقد أوجب دفعه كثيراً من أحكام النحو .

عبد المتعال الصعيدى

أين شعراؤنا ؟

رحم الله (شوقياً) و (حافظاً) إنى كلما جد حادث فى مصر أو فى الشرق ، تذكرت هذين الشاعرين فسكبت عليهما الدموع ، ولعلهما لو عاشا إلى أيامنا هذه لقرأنا لهما القصائد الجياد فى هذه الأحداث التى تمر بنا . ولكنهما ماتا ، ولم يصدق الشاعر حين قال :

قالوا خلت مصر بعد الشاعرين ولم يعمر بمثلهما ميدانه الخالى
ولست وحدى له فى مصر بعدهما فمصر ملأى بأشباهى وأمثالى

نعم وجد هذا الشاعر سعة فى مجال الفخر ولكنه لم يجدها فى مجال الشعر ، وإلا فأين أشباهه وأمثاله ؟ أين هؤلاء الذين ملأوا الصحف بالأمس يبكون (باريس) أين هم اليوم ليبكوا « دمشق » و « حلب » و « حماة » ؟ ضلة لهؤلاء المفتونين بفرنسا وضلالات فرنسا ، أتراهم سكتوا الآن لأنهم يحبون فرنسا أكثر مما يحبون « سوريا » و « لبنان » إنا لنرفعهم عن ذلك ، ولكن ما بالهم لم تهز مشاعرهم هذه الحوادث الفظيعة التى ترتكب فيهما ؟

أيها الشعراء ، سجلوا مفاخر قومكم قبل أن تسجلوا مفاخر أعدائكم ، وابكوا على مصائبكم قبل أن تنوحوا على مصائب الناس وأسمعونا أصواتكم .

على محمد حسن

تصويب أخطاء فى العدد الماضى

فى الصفحة الأولى من العمود الثانى فى السطر ١٧ : هيهات ألا يبعث ، والصواب لا يبعث

فى الصفحة ٦٢٠ العمود الأول السطر الرابع للواتى والصواب اللواتى
« « « الثانى السطر ٢١ أيها « أيهما
« « ٦٢٢ « الأول السطر ١٣ من مماته « بعد مماته
« « ٦٢٥ « « « العاشر بعد الهجرة « بعد الميلاد

جريدة الأنذار

أصدرت جريدة الأنذار التى يصدرها أسبوعياً بالمنيا الأستاذ صادق سلامه عدداً ممتازاً فى ٣٢ ص بمناسبة دخولها فى سنتها السادسة عشرة وهو عدد حافل بالطرائف الأدبية والآراء القيمة لنخبة من رجال العلم والأدب والسياسة فنرجو للزميلة دوام التوفيق واطراد التقدم



الدمـــيم (*) ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

— ١ —

ما كدت أبتعد بضعة أمتار عن المقهى حيث كنت جالساً مع طائفة من أصدقائى حتى شعرت بقبضة يد رقيقة تستمهلنى . التفت فرأيت واحداً من أولئك الأصدقاء الجلاس ، فلمحت فى نظراته شبه استعطاف ، فقال لى بلهجة لا تخلو نبراتها من قوة : أريد أن أسألك بشرط أن تجيبنى بصراحة ، ما هى عقدة القصة ؟ وما هى الحبكة ؟ ما هو العرض والفكرة والوحدة التى تكلمت عنها فقلت إنها عناصر حيوية للقصة ؟ أنا يا صديق أحسن كتابة القصة ، أو بعبارة أخرى أحسن خلقها فوراً ، وأبتدع وقائعها وأشخاصها ابتداعاً ، وأجذب المستمع إلى الانتباه إلىّ ، ولا أتركه إلا بعد أن أشبعه وأمتعه بلذات من الخيال المذوّق ، والتلفيق الموشى بألوان من حسن الكلام . أليس هذا هو الفن ؟ ! واستطرد قائلاً : ما دام الأمر كما ذكرت لك ، وأزعم أنى ذكرت الحقيقة الواضحة عن البناء الفنى ، فما هى إذن العقدة ، والحبكة . والعرض والفكرة والوحدة التى تكلمت عنها ، وأحسب أنى فهمت من مجمل كلامك أن لا قيمة للقصة الخالية من هذه الخصائص ؛ فهل هذا صحيح ؟

أعجبتنى رؤية مسحة الطفولة تكسو وجه هذا الشاب ورفقت به وبأمثاله ممن يتغالبون فى الآداب والفنون ويستهينون بها كأنها سهلة التناول فقلت :

تعال معى إلى النادى فهناك أستمع إليك بانتباه وأجيبك إلى طلبك عن رضى .

قال : فى الجلوس فى المقهى متعة للنظر لاوجود لها فى الأندية .

فقلت : ليس بى ميل إلى إشغال الذهن بمراقبة المارة ، وليس فى ذلك الظمأ إلى المرأة الذى ينتابكم أنتم يا جلاس المقاهى

قال : نحن على غير مذهبك الفردى يا صاحبى ، نحن جلاس الأفاريز ، رواد المقاهى ، نتضور جوعاً ، نتلهف على لفتة من فتاة ، أو نظرة من امرأة . ألا تحس مثلنا بالمجاعة الجنسية وقد طغت واستعصى أمرها على وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

ابتسمت لكلام هذا الشاب المتحمس ، فأخذته من يده فمشى معى ، فلما دخلنا المصعد الذى سيرتفع بنا إلى الدور العاشر من البناء قال : انت مصرّ على الجلوس فى النادى وكَبر الكهول والشيوخ من أرباب المال ؟ حسن ، سأجلس معك فى هذا النادى المرتفع المترفع عن الناس ، وأقص عليك قصة من صميم الواقع ، وأنا قمين بأنك ستشهد لى ببراعة الارتجال ، وبأن القصة هى القصة ، أعنى أن العقدة والحبكة ، والفكرة والوحدة ، إن هى إلا افتعالات ، أما إذا كانت شيئاً غير ذلك فستدلنى عليه .

ابتسمت أيضاً لهذا الإدعاء الجديد الذى يمثل ادعاءات الشبان وهم يتوهمون الأمور وفق أمزجتهم الرخوة لا وفق الواجب فى معرفة الأصول ، وقلت لصاحبى بعد أن انتحينا ناحية فى النادى مزدانة بأصص من الزرع دائمة النضارة الربيعية ، يحسن أن تجلس هنا فتقص علىّ قصة شعرية يرتجلها خيالك الخصب وينتزعها من صميم الواقع كما قلت .

أرجو ألا تهزأ بى . استمع إلىّ :

« وضعت حقائبى فى المكان المعد لها ، وجلست على المقعد الذى احتجزته فى عربة القطار ، ثم التفت لأرى رفاق الطريق الذى سأقطعه بمرحلة واحدة من مرسيليا إلى باريس ، فلقيت سيدة تتألق نضارة وشباباً ، وضاحة المحيا بادية الفتنة وسمعتها تقول للرجل الجالس إلى جانبى : ألم أقل لك إنه غير فرنسى ، إذ لو كان فرنسياً لكان حيّانا بإشارة بسيطة ساعة دخوله ، ولما كان ألهاه الودعون ولا الشاغلُ الذهنية عن آداء التحية الواجبة » .

وسمعته يقول لها : لِمَ لا تقيمين للتقاليد والعادات اعتباراً ؟ لماذا تفرضين على غير الفرنسيين الأخذ بعاداتكم وتقاليدكم ، وقد تكون هذه التقاليد التى ترينها حميدة عندكم مستهجنة عند بعض

(*) من مجموعة قلب مبعثر (تحت الطبع)

الأقوام ، وربما كانت مستقبحة عند أقوام آخرين أمثال الإنجليز مثلاً الذين يحيون من لا يعرفون مهما كانت الظروف والمناسبات .

فهمت من لهجة الرجل ومن قسمات وجهه ولون بشرته أنه أميركى يحسن التعبير عن خواطره باللغة الفرنسية وكان يلفظها صحيحة ولكن يبطء ممض أوجع نفس السيدة الفرنسية الجيّاشة ، وأدركتُ أن مدار الحديث يدور حولى لأنى أخذت مكانى فى عربة القطار ولم أحيى من فيها ساعة دخولى !

هل أدخل فى القضية طرفاً ثالثاً على حد تعبير المحامين ، وهى قضية خاصة بى برغم قيامها بين السيدة الفرنسية والشاب الأميركى ، أو ألزم الصمت وأحترم سجية نفسى وعادات قومى وأسكت عن الكلام مع من لا معرفة لى به . أليس فى ذلك تطفل أو تخط للعرف ؟ أو ليس هو وسيلة سهلة مؤدية إلى التعرف بهذه السيدة الجميلة المغرية ؟ أو ليس فى ذلك فائدة للوصول إلى ناس يطيب لى أن أحدثهم عن قومى وبلادى وقد لا يعرفون عنهم شيئاً أو يعرفون ما تنقله لهم الدعاية المغرضة ، والفكر الاستعمارى وجهالةُ بعض الكتاب الطائشين ؟

جالت هذه الخواطر فى ذهنى والسيدة والرجل ما زالا يتحاوران ويتناقشان . هى تصر على أن عادات قومها مرتكزة على قواعد آداب الاجتماع وهو ينكر أن للآداب الاجتماعية قواعد ثابتة ، هى تقول إن قواعدها الفن والذوق ، وهو يقرر أيضاً أن مباءات الفن هى معارض النحت والتصوير ودور التمثيل وبعض دواوين الشعراء وكتب الأدباء والروائيين ، وأن الذوق مسألة فردية وإحساس ذاتى . هى تغضب من تعمده إهمال ذكر المرأة فى أنها الفن كله باعتبار أنها الباعثُ الأول على استفزاز ملكات الفن والإلهام الفنى ، وهو ينكر عليها بعض دعواها ويؤيد بعضها ويقول : إن المرأة موحية حافزة ، وليست هى بشىء فى صميم الفن ! هى تصرخ قائلة : إنكم معاشر الأميركان لا تتذوقون الحياة إلا عن طريق الدولار ؛ وإنكم ... وإنهم عبدة الدولار فقط . أليس كذلك يا مسيو ؟ والتفتت إلىّ تدخلنى فى هذا الجدال . كاد يرتج علىّ حين فاجأتنى بسؤالها وهو استنجاد بى أكثر منه سؤالا ، ولكنى تمالكت نفسى وقلت :

إخال أنى كنت السبب فى هذا الحوار الذى بلغ بكما إلى هذه النتيجة ، فهل تسمح لى سيدتى أولاً أن أحييها وقد آليت على نفسى مجاراة الفرنسيين وتقليدهم ما دمت فى بلادهم ثم أدخل فى الحوار ، لا كفضولى متطفل قد تعرضه صفاقته إلى سماع ما يؤذى إباء النفس ، بل كرفيق الطريق الذى يحرص على إبقاء أطيب أثر فى نفوس رفاقه ؟

هاك يدى . أما أنا فمدام « فرانس » وصديق هذا مستر « أميركا » وأنت يا صديقنا على هذا القياس من تكون ؟

رطبت شفتىّ بقبلة من يدها البضة وقلت متابعاً على المنوال نفسه : أنا يا سيدتى مستر « إيجبت ».

إيجبت ... إيجبت ! رددت السيدة كلمة إيجبت وهى تلفظها ممطوطة ممدودة بتؤدة كأنها تعود بذاكرتها آلاف السنين إلى الوراء تستعرض بلمحة واحدة آثار الماضى السحيق الباقية على الدهر وتقول : انت إذن مصرى ؟ !

نعم يا سيدتى أنا مصرى من سكان القاهرة ، وانت فرنسية فقاطعتنى قائلة : « فرنسية باريسية » وصديقنا أميركى من واشنطون أو نيويورك وليس قطعاً من هوليود . وها نحن الثلاثة نمثل ثلاثاً من قارات عالمنا ، ونمثل أيضاً أعرق مدنية عرفها التاريخ القديم وهى تتوثب الآن للعودة إلى الحياة ، وأعرق مدنية حديثة ستتغلب عليها مدنية أحدث منها ، ومدنية جديدة فى العالم الجديد قد يكون لها طابع خاص سوف يتحول بسرعة إلى طابع يعم العالم ، وأردفت كأنها تتدارك فوات فرصة : نعم نعم سيكون الدولار طابع أميركا الخاص كما يحاول الروس أن يجعلوا الاقتصاد أساساً لنظام العالم الاجتماعى الجديد . قالت السيدة كلمتها عن الدولار . وضحكت ضحكة عالية لها رنة الأوتار المتزنة والنغمات الرقيقة .

قلت : العالم يا سيدتى لا يقوى على السير فى نظام اقتصادى محض بل يستحيل عليه المضى فى طريق السعادة البشرية بغير دوافع الروح

هذا صحيح يا مستر إيجبت ولكنى ألاحظ أن مدام فرانس تتحدانى فى كل ما أقول ، فإذا كان ذلك يلذ لك يا سيدتى فلا أمانع أنا الأميركانى فى تقرير الدولار طابعاً لبلادى وهو بالفعل الإله الذهبى الموحى إلى كل الناس كل الرغبات والشهوات .

المرأة يا مستر أميركا ، أرجوك ألا تنسى المرأة ، بل أحتم عليك عدم نسيانها لأنها الروح الذى تكلم عنه مستر إيجبت ولأنها وحدها الموحى لكل الناس كل الرغبات والشهوات — على حد تعريفك أنت — بل هى وحدها موحية الحياة والحب لو كل النساء كن مثلك يا سيدتى لما ترددت فى الاعتراف بذلك ولكن ...

دع يا مستر أميركا قرض المديح ونظم الثناء والإطراء لأنها من طبائعنا الأصيلة التى لم تقتبسوها عنا بعد ، وإنها وإن كانت

ترضى غرور المرأة وتدغدغ زهوها ولكنها لا تقوم مقام الحقيقة التي لا محيص عن الاعتراف والجهر بها وهي « أن المرأة هي الإله الوحيد الموحى إلى كل الناس معنى الحياة والحب ، ولذة الوجود والفرح به على الأرض ، ولذة الألم والحزن أيضاً » .

قال مستر أميركا موجهاً إليّ السؤال : هل تعترفون بألوهية المرأة في مصر ، وبأنها مصدر إلهام يوحى إلى الناس معاني الحياة كما قالت مدام فرانس ؟

بلعت ريقي وتكلفت ابتسامة رضى وقلت : ليتك يا مستر أميركا تضع السؤال في الصيغة التالية : هل بلغت المرأة الأميركية درجة من الرقي سمت بها إلى مقام جعل الرجل يتطلع إليها فيه كما نتطلع كلنا إلى المرأة الأوروبية باعتبار أنها الملهم معاني الحياة والدافع إلى الشعور بالفرح بها ؟

لقد نجحت في تحويل الدفة ، كما يقال في تعبير النوتية ، وفي رفع الأثقال عن كتف المرأة المصرية والرجل المصري ، وفي إزاحة الألم عن نفسي من قول الحق ، وقد أفلحت في ذلك ، إذ ما كدت أنتهي من تحريف السؤال وتوجيهه إلى مستر أميركا حتى انبرت مدام فرانس تقول : تخولني معلوماتي حق القول بأن المرأة الأميركية أخذت تدرك قدر نفسها وستنجح في صيرورة ذاتها مصدر حياة أفعل في روح الرجل الأميركي من الدولار .

ما كادت تنتهي مدام فرانس من قولها حتى رأيتني مدفوعاً إلى الكلام فقلت معقباً :

سوف تصير المرأة المصرية ذاتها مصدراً لإلهام الرجل وإذكاء روحه متى خلصت من شوائب الطفرة وبعد أن ترغمها الآلام على التفكير في ماضيها ومستقبلها بالقياس إلى حاضرها المضطرم بنيران الانتقال .

صحيح ما رمزت إليه بلباقة يا مستر إيجبت عن المرأة أنها في طور الانتقال الذي يعقب الانقلاب الاجتماعي ، ويمكنني القول إن بواكير الانقلابات تكون من النساء وفي النساء كما تكون بوادر الثورات وطلائعها من شرارات يقدحها طلاب الجامعات بإيحاء غير مباشر من أرواح يقظة عاملة هادئة .

* * *

سكت محدثي الشاب وكاد يطول سكوته ولكنه رفع رأسه ونظر إليّ نظرة استفهام واضحة ، فقلت له ببرود : ثم ماذا ؟

ماذا ؟ ! نعم نعم ، كدت أظن أني أنهيت القصة ولكني نسيت فصلها الثاني .

دوّى رنين الجرس يدعو الراغبين في الطعام من ركاب الدرجة الأولى إلى تناول العشاء ... وكان الكلام حماً لمدام فرانس التي أمرت أحد الندل (جارسون) بتهيئة مائدة لثلاثة أشخاص ... فكان طعام وكان شراب ، بل كان شراب وطعام وكلام وشعر وتوريات ورموز وتلميحات ومقارنة بين المرأة المصرية وأختيها الفرنسية والأميركية ، وكادت تضطرم ثورة مدام فرانس لتوهمها أن أختها المصرية أوفر براعة منها في إرضاء الرجل ...

عدنا إلى مقاعدنا وقد أذبل الشراب أجفاننا ، وأخمد قوة النضال الكلامي فينا ، وأذكى بطبيعة الحال قوة النظر الطويل والإعجاب الذي لا حدّ له والافتتان بهذه المرأة المملوءة حيوية وجمالاً ونضارة وسحراً والممددة أمامنا على مقعد عربة سكة الحديد تحاول النوم على هدير القاطرة وصفيرها وقرقعة العربات .

لقد أحيينا الليل ورفيقي الأميركي نتحادث همساً حتى لا نزعج السيدة النائمة ، وكان طبيعياً أن نختلف في الرأي وأن نتحاور ونتجادل ثم نعود إلى صفائنا الأول ، وكان بديهياً ، بحكم الرغبة الكامنة ألا نختلف أبداً وأن نتفق اتفاقاً تاماً على ألا نعيد الغطاء كلما سقط عن جسم هذه المرأة الفاتنة المتناومة ، وكان عذباً على سماعنا قولها : يا لكما من شابين شقيين !

سكت محدثي مرة ثانية فلم أدعه يتمهل بل قلت له بنبرة جافة : ثم ماذا ؟ صدمه سؤالي وكاد يتخاذل ولكنه تجلد وقال :

طلع الفجر ، ثم تفجرت أشعة الشمس ، وانجلت عروس تربة فرنسا بثوبها الزبرجدي النضر . وبلغنا باريس فافترقت القارات الثلاث ، وراح مستر أميركا ومستر إيجبت كل في طريقه ، وراحت مدام فرانس تنثر القبلات وتتقبل القبل من مستقبليها على إفريز المحطة

ربتّ كتف محدثي وقلت له ببشاشة أذهبت وقع الصدمة الأثيمة التي صدمته بها عند سؤالي إياه تتمة القصة بقولي : «ثم ماذا» ليست قيمة القصة يا صاحبي في المادة التي تتألف منها ، ولا في كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها في الكيفية التي تؤدى بها وفي عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفي صدق الرواية عن الحياة ، مضافاً إليها الخصائص الفنية التي ذكرتها في حديثي مع رفاق المقهى ، أما قصتك المرتجلة هذه فإنها تماثل حكاية واقعية وقعت لي حين رحلت إلى جزيرة رودس التي انتزعها الطليان من الدولة العثمانية مع بقية جزر الدوديكانيز .

قال : أترتجل قصتك ارتجالاً ؟ فابتسمت لسؤال هذا الشاب وقلت

يتبع

حبيب الزحلاوي

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة مدير إدارة الميزانية واللوازم بوزارة الداخلية لغاية ظهر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٥ عن توريد الأصناف المستهلكة لسنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦

ويمكن الحصول على الاستعلامات اللازمة لذلك من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم . ٣٦٦٣

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مدير كلية البوليس الملكية لغاية ظهر يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩٤٥ عن توريد أدوات للألعاب الرياضية

ويمكن الحصول على الشروط من إدارة أسلحة ومهمات البوليس ببولاق وثمن النسخة مائة وخمسون مليماً

٣٦٠٩

إنه في يوم ٢٤ يونية سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ صباحا بجهة أدفو وأرضها مركز المنيا ويوم الثلاثاء ٢٦ منه بسوق دمشير بالنسبة للمواشى .

سيباع علناً محصول ٦ ف مزرعة قمح وعدد ١ عجل بقر ملك إبراهيم حسن إسماعيل القيم بناحية أدفو مركز المنيا كطلب حضرة صاحب المعالى مصطفى باشا عبد الرازق تنفيذاً للحكم ٣٤٢ سنة ١٩٤٥ الصادر بتاريخ ١١ / ٣ / ١٩٤٥ من محكمة المنيا الجزئية الأهلية ووفاء لمبلغ ٢٦٣ ج و ٦٩٦ م بخلاف ما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

مجلس بلدى المنصورة

إعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمجلس بلدى المنصورة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٤ / ٦ /١٩٤٥ عن توريد الأغذيه اللازمة لمطعم جمعية البر بالفقراء بالمنصورة وتطلب الشروط والبيانات من المجلس على ورقة دمغة من فئة ٣٠ مليماً نظير دفع مائة مليماً

٣٦٢٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٥ — الاثنين ٢٥ يونيو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 625

Lundi - 25 - 6 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٢٥ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٤ — ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

من وحي المرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلة ما نظمه الشعراء في رثاء النساء، ولا سيما الزوجات

فعلى كثرة الغزل في المرأة نرجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم، فلا نرى في لغة من اللغات إلا قصائد معدودات في رثاء النساء والزوجات منهن على الخصوص

فليس أكثر مما نظمه الشعراء في التغزل بالمرأة، ولا أقل مما نظموه في الحزن عليها

وقد رثى شعراء العربية الأمهات كرثاء المتنبي لجدته ورثاء الشريف لأمه، ونظموا العزاء في أخوات الأمراء وقريباتهم، كما نظم المتنبي تلك القصيدة اللامية في رثاء أخت سيف الدولة، ولم ينس أن يقول منها:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

كأنه يعتذر من هذا الشذوذ في قواعد الرثاء بحالة مستثناة لا يقاس عليها، وهي حالة هذه السيدة التي تفضل السادة الرجال!

بل وجد في صدر الإسلام من رثى امرأته معتذراً حيث يقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولم يظهر المعنى الإنساني في رثاء المرأة — حليلة كانت أو غير حليلة — قبل عهد ابن الرومي الذي قال في بستان المغنية:

بستان وا حسرتا على زهر فيك من اللهو بل على ثمر

وقال من القصيدة بعينها يذكر وفاتها في ريعان الشباب:

يا غضة السن يا صغيرتها أصبحت إحدى المصائب الكبر

ورثى امرأته رثاء يدل على هول الفجيعة فيها فقال:

عيني سحا ولا تشحا جل مصابي عن العزاء

ونظم قصيدة أخرى في مثل هذا الرثاء

***

وليس بالعسير تعليل هذه الظاهرة المتفقة في جميع الآداب العالمية، فإن الأمر مرتبط بمكانة الزوجة في العصور القديمة، ثم في هذه العصور الحديثة. ومما لا اختلاف فيه بين الأمم أن الزوجة كانت في أقدم العصور كالقنية المملوكة التي لا فرق بينها وبين الجارية الرقيقة، ثم ارتفعت مكانتها فظهرت الزوجة ربة البيت، ولكنها لم تزل في عرف المجتمع شهوة من شهوات الضرورة التي يلجأ إليها الرجل في ساعة ضعفه أو الساعة التي تغلبه فيها الطبيعة الحيوانية، ولم تظهر المرأة التي هي « شريكة حياة »، أو سكن للرجل كما جاء في القرآن الكريم إلا في العصور الأخيرة، وإن كانت لها رائدات سابقات بين بعض الأسر فيما تقدم من العصور

فالشاعر كان يتغزل في المرأة ولا يخجل من ذلك لأن الغزل منسوب إلى الظرف واللباقة

وكان يرثى أمه أو جدته لأن حب الأمهات والجدات محسوب من البر المشروع الذى لا ضعف فيه

وكان يرثى أمهات الأمراء وقريباتهم ، لأن عزاء الأمراء واجب من واجباته المفروضة عليه

ولكنه لم يكن يرثى الزوجة المتوفاة ، لأنها شىء يخصه ولا يفهم معنى الفجيعة فيه عند أبناء عصره إلا على معنى الضعف الذى لا يجمل بالرجال ، وكيف كان يجمل بهم أن يتفجعوا على الزوجة المفقودة ، وقد كانت زيارة قبرها مما يحتاج إلى اعتذار ؟

ولا شك أن آداب الأمم هى خير مسجل لأخلاقها الاجتماعية سواء تعمدها الشعراء أو لم يتعمدوها

فمن الظواهر الحديثة التى تسجل فى الأدب العربى — أو الأدب المصرى — أن الزوجة « شريكة الحياة » تمثلت فى شعرنا العصرى تمثلا واضحاً بليغاً صادق المدلول ، لأننا قرأنا فى سنوات متقاربات ديوانين كاملين فى رثاء الزوجة الفقيدة ، وكلاهما لم يكن ظهوره بالمفهوم قبل هذا الجيل ، لأن وجود شاعرين اثنين يفيان لذكرى فقيدتيهما لا يكفى لإظهار ديوانين فى هذا المعنى ، ما لم يكن هذا المعنى ملحوظاً مقدراً عند الكثيرين من أبناء الجيل الذى ينشآن فيه

قرأنا بالأمس ذلك الديوان الحزين الذى نظمه الشاعر المطبوع الأستاذ عزيز أباظة بك وسماه « الأنات الحائرة » ، لأنه أقوى من أن يسمى بالدموع

وقرأنا هذه الأيام ديواناً آخر فى هذا المعنى للشاعر الألمى الأستاذ عبد الرحمن صدقى سماه « من وحى المرأة » ، لأنه لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على فقيدته العزيزة ، فخرج فى جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى ناظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى فى عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم فى هذا الموضوع أوغيرهذا الموضوع

ويدل على أن ظاهرة الزوجة شريكة الحياة هى الباعث على نظم هذين الديوانين أنهما قد نظما فى زوجتين لا تجمع بينهما صفة تعزهما غير صفة المشاركة فى الحياة ، فلا يقال إن القرابة هى باعث الرثاء ، لأن إحدى الزوجتين أجنبية عن البلد فضلا عن الأسرة ، ولا يقال إن الذرية هى علة الإعزاز ، لأن إحدى الزوجتين لم تعقب ذرية بعدها ، ولا يقال إن الحب العاطفى هو مصدر هذا الوحى ، لأن الحب العاطفى قد يوجد ولا يوجد معه التفاهم فى الأفكار ولا التعاون على أعباء الأسرة وشواغل النفوس ، ولكنها المشاركة فى الحياة وحدها هى التى يرجع إليها الإيحاء بهذين الديوانين ، حين فهم العصر كله معنى الزوجية التى تقوم على هذه المشاركة بين حياة إنسانين

والزوجة شريكة الحياة — حياة الأديب على التخصيص — هى التى يقول الأستاذ صدقى فى وصفها :

وكنت الغنى من مشكل بعد مشكل
وعقدات نفس تستديم قلاقلى
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى
وحاجة ذى حس ، وحاجة عاقل
جمعت لى الدنيا فأغنيت مُعدمى
وأمتعت محرومى وزينت عاطلى

أو يقول فى ذكرياتها من قصيدة أخرى :

وخير رفيق أنت فى كل رحلة وخير سمير للحديث ينضد
ونجلس فى حضن الطبيعة صمتنا مناجاتها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للأشعار ندرسها معاً
كأن ليس غير الكتب فى العيش مقصد

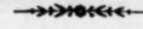
وقد تكون شريكة حياة ولا يكون قوام المشاركة بينها وبين قرينها طول الشغل بالدراسة والمطالعة ، كما قال الأستاذ عزيز فى قصيدته الدالية فى يوم ميلاده :

أقول والقلب فى أضلاعه شرق
بالدمع : لا عدت لى يا يوم ميلادى
نزلت بى ودخيل الحزن يعصف بى
وقادح البث ما ينفك معتادى
وكنت تحمل لى والشمل مجتمع
أنساً يفيض على زوجى وأولادى
فانظر تر الدار قد هيضت جوانبها
وانظر تجد أهلها أشباح أجساد
فقدتها خلة للنفس كافية تكاد تغنى غناء الماء والزاد
ومونلا أجد الأمن الكريم به إذا تعاورنى بالبغى حسادى

بقية حديث فى فرنسا . . .

[إلى الأستاذ توفيق الحكيم]

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف



قد يذكر القراء أنى كتبت غداة انهيار فرنسا وسقوط باريس فى قبضة الألمان سنة ١٩٤٠ فى عددى ١٢ _ ٨ _ ١٩٤٠ و٢ _ ٩ _ ١٩٤٠ من هذه المجلة مقالين أندد فيهما بذلك الموقف الشاذ الذى وقفه بعض كتاب مصر والشرق العربى يبكون فرنسا بدمع غزير وعاطفة حارة ناسين أن فرنسا أشد أمم الاستعمار تعصباً على العرب والمسلمين ونكاية بمن وقع منهم فى يدها وتحت سلطانها، وأنها كانت أعظم عائق فى طريق المفاوضين المصريين فى مؤتمر « مونترو » لإلغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ، وأنها كانت آخر دولة تنازلت عن دفع فوائد الدين المصرى بالذهب فى الأزمة التى وقعت بهذا الخصوص ، وأنها كانت أشد الأمم احتياطاً وتشدداً فى ضمان الحرية للمعاهد الأجنبية فى مصر .

وقد يذكرون أيضاً أن هذين المقالين كانا سبباً فى أن يمنع ممثل فرنسا فى سوريا ولبنان فى ذلك الوقت دخول « الرسالة » إلى هذين القطرين الشقيقين برغم أن الرسالة أفسحت صدرها لمن ردوا على رأيى منتصرين لفرنسا ومدافعين عن ميراثها الثقافى وروحها كما تراءى لهم . وكان منهم الدكتور زكى مبارك .

وقد بعثت إلى الرسالة بمقالين آخرين لم ينشرا حينذاك تمهيداً لعقد هدنة بين ممثل فرنسا فى سوريا ولبنان وبين الرسالة .

وقد ضاع المقالان ولم يبق لدى منهما إلا مسودات سأحاول الآن جمع ما تفرق من المعانى فيهما لأن الظروف قد صدقت رأيى فى فرنسا ، وجلبت عليها عداوة كثير من أقلام عربية وغير عربية من جراء تخبط سياستها ورجالها ، ومن جراء تلك الروح الوحشية البربرية الرجعية الحمقاء التى تزاول بها سياستها مع شعوب العالم العربى ، ومن جراء ذلك التخلف الذهنى الذى يبلغ درجة الانحطاط عن مستوى الروح العالمى الإنسانى الذى يغمر قلوب بعض الأوصياء على الحضارة ، على الأقل فى مظاهر الخداع والإرضاء ومحاولة الوصول إلى الأهداف من طرق ملتوية ولكنها سلمية .

وما أظن أحداً من أذناب فرنسا فى مصر يستطيع أن يرفع رأسه ويحرك قلمه الآن للدفاع عن فرنسا إلا بحذر وتمويه ولذعات خفية وظهور بمظهر الغيرة على موقف مصر بموازنة موقف انجلترا منها بموقف فرنسا فى سوريا ولبنان وشمال أفريقية ، كما يفعل الأستاذ توفيق الحكيم فى « الأهرام » بين آونة وأخرى مع أنه ظل ساكتاً لا يعلن سخطاً ولا نكيراً على سلوك فرنسا الأخير فى سوريا ، ومع أنه ربما يكون لاستنكار أمثاله من ربيبى فرنسا الأوفياء شىء ولو قليلا من الاعتبار . حتى إذا ما تحركت انجلترا بإيقاف تلك « المذبحة الكبرى » تحرك قلمه يغمز ويلمز فى مظهر الغيرة على الوطنية المصرية . وهو موقف مكشوف ظاهره الوطنية وباطنه تبرير موقف فرنسا بمقارنة صنيعها بصنيع انجلترا فى مصر . وما كان أولاه أن يتحرك قبل الآن ليثير الغبار والشرر والنار فى وجه الفرنسيين المعتدين الغاشمين على أبناء قومه فى المشرق والمغرب ، إن كان يدين بالقومية العربية التى يعيش من الكتابة بلغتها ... أو ليغمز الانجليز كما يشاء .

تحنـــو على وترعانى وتبسط لى

فى غمرة الرأى رأى الناصح الهادى

وهذه هى صفة الزوجية التى تشترك فيها حياتان بالرأى والعطف ، وتكاد تننى غناء الماء والزاد ، بل تكاد تجعل يوم الميلاد يوماً مشتركا لا يستقل فيه الزوج بذكرى ولادة له لا ترتبط بذكرى الزواج

هذه الحياة أعجوبة الأعاجيب ، وهى أعجب ما تكون فى مألوفاتها الشائعة كل صباح ومساء ، ومن تلك العجائب أنها لم تجود بخير لا شرفيه ولا تصيب بشر يخلو كل الخلو من الخير . وليس عزاء الإنسان على شطر نفسه وصنو حياته باليسير ، ولكنه على كل حال من العزاء النبيل للشاعرين الفاضلين أن مصابهما قد أغنى الأدب العربى بهذه الذخيرة النفيسة ، وسجل للمجتمع المصرى هذه الظاهرة الكريمة التى تقترن أبداً بالتهذيب والارتقاء

عباس محمود العقاد

وأنا بعد أن لست أخيراً حماسته لفرنسا حماسة نسى فيها أدب الحديث والمناقشة مع بعض الجالسين فى إحدى جلسات ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ينبغى ألا أصانعه ، بل ينبغى أن أكشفه وأكشف أمثاله للعالم العربى ليعرف فى ساعة العسرة والأزمات هؤلاء الذين يعيشون معه بأجسامهم فقط . .

وإنى أدعو الأستاذ سيد قطب أن يكشف عن هذا الأثيم الذى جادله فى أمر الشرق العربى وفظائع فرنسا فيه ، وقال تلك المقالة المنكرة « إذا لم يكن بد للانسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربى فليذهب الشرق العربى إلى الجحيم ! » فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نبقى على صداقات تنكر الصداقة الأولى التى يعرفها الحيوان قبل الإنسان وهى صداقة الوطن والجنس ، فعليه أن يكشف هذا الدخيل الجاهل وهو معاف من قيود الأخلاق فى مثل هذه الحال .

المقال الأول

مما لم ينشر فى سنة ١٩٤٠

إلى ممثل فرنسا فى سوريا ولبنان

كتب الدكتور زكى مبارك إلى جنابكم كتاباً مفتوحاً نشر فى العدد(١) من « الرسالة » حاول فيه أن يبرىء الرسالة من جرائر المقالتين اللتين أنحيتُ فيهما باللائمة الشديدة والسخط البالغ على أساليب فرنسا الاستعمارية التى لا تفرق فيها بين الشخصية السياسية للمحكومين لها وبين شخصيتهم الإنسانية والأدبية التى تتطلب غذاء لأرواحهم وعقولهم فى هذا العصر الذى تسمونه عصر العلم والنور وارتفاع قيمة المعانى الإنسانية ، وقد أدى عدم التفريق هذا إلى تخلف العرب والبربر المحكومين بكم عن قافلة الحياة الإنسانية بمائة سنة على أقل تقدير . وفى هذا جناية عظيمة على الحضارة بحرمانها من جهود أمة من أذكى أمم الأرض وأعرقها مدنية ، وجناية على المبادىء السامية التى زعمتم أنكم أول من أعلنها فى ثورتكم الكبرى .

وقد طلبتُ من الباكين على فرنسا فى محنتها الحاضرة أن يذكروا محنة بنى قومهم بكم قبل أن يذكروا محنتكم بالألمان ؛ وأن يكفُّوا عن افتتانهم بحضارتكم فتنة العمى عن عيوبكم وجناياتكم على الإنسان بحرمانه من خبز الروح وخبز البدن ... مما لم ير العالم له مثيلاً إلا فى عصور البربرية والهمجية .

وطلبت من هؤلاء الباكين أيضاً أنهم إذا ذكروا « باستور » وفضله على الإنسان كما ذكره الدكتور زكى فليذكروا أنكم الآن تحكمون البشر أقل من حكم البقر والغنم التى كانت فى حظائر « باستور » ليجرى عليها تجاربه وأبحاثه ؛ فقد كان يسمنها ويربيها ويداويها ويبقى على حياتها ويفكر لإنقاذها من الأمراض ويعدها للغاية التى خلقت لها . وإذا أحيا « باستور » ملايين الأجسام فقد أمات قومه ملايين الأرواح والأجسام موتاً مادياً وأدبياً أخف منه الموت بالطاعون والأوجاع الثقيلة التى تقضى على الإنسان مرة واحدة ولا تهدر دمه وترخص روحه .

وإذا ذكروا « شمبوليون » وفضله على مدنية أجداد المصريين كما ذكره الدكتور زكى فليذكروا أنه جاء مصر غازياً فى حملة نابليون الذى نكل بالمصريين تنكيلاً فظيعاً ، فإذا احتفل الأول بأحجار قدماء المصريين فقد أباح الثانى لجنوده أن يتخذوا من الأزهر — صاحب الفضل الأول على الدكتور زكى مبارك ! — اصطبلاً لخيلهم ، وأن يحرقوا أحفاد صانعى الأحجار التى فتن بها « شمبوليون » بالنفط ويضربوا نطاقاً من المواد الملتهبة حول القاهرة وحواضر الأقاليم . وكتب نابليون إلى أحد قواده يأمره بقطع خمسة رءوس كل يوم من أعيان البلاد كما يقطع هو كل يوم عشرة رءوس منهم !

وإذا ذكروا « السوربون » وفضله على الأدب والعلم فليذكروا الأزهر الذى اتخذته جنودكم اصطبلاً للخيول ولم يرعوا للعلم والدين حرمة .

---

(١) عدد ٣٧٥ تاريخ ٩ سبتمبر ١٩٤٠

وإذا ذكروا انتفاعهم بعلومكم وفنونكم ، فليذكروا أنكم كنتم أشد الأمم إصراراً على الاستمرار فى إهدار الكرامة المصرية وكنتم الشوكة الوحيدة فى حلوق المفاوضين المصريين فى مؤتمر « مونترو » لإلغاء الامتيازات الأجنبية ، التى كانت تجعل من السنغالى التابع لكم شخصاً له امتياز على المصريين فى ديارهم . وأنكم كنتم آخر دولة وقعت على محضر إلغاء صندوق الدين : رمز الذل الاقتصادى الذى أصاب مصر ، فلم توقعوا إلا بعد هزيمتكم ونكبتكم ، وأنكم كنتم الوحيدين الذين أصروا على دفع فوائد ديونهم فى مصر ذهباً لا ورقاً ، وأنكم وحدكم الذى عنيتم بفرض ضمانات شديدة لاحتلالنا بثقافتكم .

وإذا ذكروا التماثيل والأنصاب التى تجمل مدنكم ، فليذكروا أن أشرف نُصُب فيها وهو ضريح الجندى المجهول فى باريس يثير فى نفوس العارفين ذكرى أكبر مخزاة ومظلمة ونكران للجميل ! فقد ذكر سكرتير مسيو « كلمنصو » فى مذكراته أن حكومتكم لما فرغت من إقامة بناء ذلك النصب التى تحته قبر الجندى المجهول فى باريس أرادوا أن يضعوا فيه جثة جندى فرنسى ، فذهبوا إلى ميدان موقعة « المارن » الشهيرة ، وصاروا ينبشون لإخراج جثة . وشاء الله أن يسجل على فرنسا لعنة أبدية حيث أرادوا لها فخراً . فكانوا كلما نبشوا عن جثة وجدوها جثة قتيل من جنود شمال إفريقية فيردمون عليها ، وهكذا لم يهتدوا لجثة جندى فرنسى « أبيض » إلا بعد عثورهم على ثلاثة عشر جثة للمغاربة ! ومع هذا لم ينصفوا قوم هؤلاء القتلى الذين ذهب ملايين منهم ضحايا فى سبيل فرنسا أى إنصاف ، ولم يمكنوهم من أقل الحقوق الإنسانية وهى حق الحياة والعلم ، وأبو أن يضعوا جثة أحدهم مكان جثة فرنسى قح ...

وإذا ذكر الباكون أنهم عاشوا بباريس فى رحاب الشراب والحب والغزل والأنس ، فليذكروا أن بطلاً كريماً هو المجاهد محمد عبد الكريم الخطابى بطل ثورة الريف فى مراكش الذى تفخر به قوميتهم العربية أعظم من فخرها بأى قلم تافه لأحدهم ... قد مضى عليه خمسة عشر عاماً « الآن مضى عليه عشرون عاماً » وهو ملقى فى أصفاده على صخور جزيرة مدغشقر ، وأنه لم يسلم نفسه لفرنسا إلا بعد عهد قطعته على نفسها ثم نكثت به وخانت شرف اسمها ، وأن هذه الأمة الفرنسية التى لا يزال قلبها يتنزى ألماً وحسرة على نهاية بطلها نابليون لا تشعر أى شعور إنسانى نحو أمثاله من الذين نهضوا يذودون عن حرية قومهم ومجدهم .

فيا جناب ممثل فرنسا ! أظن أنك رجل تغار على قوميتك وتدافع عنها ! فدعنا نفعل ذلك دائماً

وأظنك ترى معى أن كل من يضفى على فرنسا حنان قلبه ويغسلها بدموع عينيه من المصريين إنما هو أحد رجلين : رجل جاهل بجرائركم على أمته وكرامة قومه ، قد استسلم للفتنة بما عندكم ، وهذا لا يليق به أن يتصدى لقيادة الشباب بقلمه مهما كان له من الحسنات فى مجال « الترف العقلى » ولا يجوز لكم أن تعتبروه معبراً عن شعور هذه الأمة المصرية حين يرسل لمصرع أمتكم دموعاً تشهد عليه أنه غير سليم الموقف ولا صحيح الطبع ، وإنما هو ذو مزاج مؤوف ورأى منكوس .

وإما رجل يعرف هذه الجرائر ولكنه يطويها عن الناس فى نفسه ولا يذكرهم بها ليبين لشباب قومه المفتون جوهر نفوسكم وحقيقة حضارتكم ، لأنه صريع الخيانة أو مأجور القلم . وهذا لا شك رجل تافه الصداقة تافه العداوة ؛ فليس فيه نفع لكم لأنه لم ينفع قومه . وهو جدير أن ينقلب عليكم حين تفوته المنفعة ، ولأنه لم يعشق روحكم التى يزعمها روح أحرار ، فلو عشقها حقاً لكان أولى من حاكمكم إليها حين رآكم تحيدون عنها وخصوصاً مع بنى قومه

وإذا كان فيما مضى كتاب خادعون أو مخدوعون فتنوا بمظاهر حياتكم فتنة العمى عن حياة قومهم المعذبين بكم ، وصالحوكم ولم يذيقوكم مرارة العداوة والثأر من ممتكم ، لإخوانهم ، فإن الزمن الآتى لن يسمح لأمثالهم أن يسيطروا على عقول الشباب العربى ، بعد أن نطقت حوادث الزمان أنكم قوم لا تصلحون لوصاية على أحد إذ أنكم أنتم محتاجون فى الواقع إلى أوصياء يهدونكم سبيل الرشد .

عبد المنعم محمد خلاف

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

- ٦ -

* ج ١٣ ص ٤٧ :

ولما نشرتْ أفاويقَها طوى الناس ديباجة البحترىّ

وجاء فى الحاشية :

لعل الأفاويق جمع فواق ، من فاق بنفسه فواقاً : إذا كانت على الخروج أو مات وهذا يناسبها نشرت ، وكنت على وشك أن أجعلها أقاويلها جمع أقوال وتكون نشرت بمعنى أبرزت غير أنى أبقيتها ونبهت على ما كنت أريده ليكون للقارئ الخيار .

قلت : أفاويفها ... فى المخصص : الفَوف الثوب الرقيق ، وفى اللسان والتاج : الأفواف ضَرْب من عَصْب البرود ، وفى الأساس : شعر كأنه أفواف . وحلة أفواف وبرد مفوّف ، أصله من الفوف وهو نقط بياض فى أظفار الأحداث الواحدة فوفة . وقال أبو القاسم فى مقدمة مقاماته : ولم يأتل فيما يعود على مقتبسيها بجليل النفع وعظيم الجدوى فى بابَى العلم والتقوى من انتقاء ألفاظها وإحكام أسجاعها وتفويف نسجها وإبداع نظمها . وقال صاحبها الزمخشرى فى الشرح : التفويف التوشية وبرد مفوف فيه خطوط بيض ، قال ابن دريد : المفوف الموشى فيه رقة ، ويقال للوشى أفواف قال :

قد كذبتم ما لباسكم جيد الأفواف والحبره
بل لباس القين بزكم ولباس القين مشتهره[1]

(١) (بزكم) جاءت فى شرح المقامات بالذال وهو خطأ . (القين) فى اللسان : قيل : كل صانع قين والجمع أقيان وقيون ، وفى التاج : كل عامل بالحديد قين عند العرب ، وقال السكرى : كل صانع يعالج صنعة بنفسه فهو قين إلا الكاتب . . . (قلت) : لباس الصانع أو العامل فى وقت العمل أجمل لباس فى الدنيا .

وروى ياقوت فى كتابه لأبى حيان من (مثالب الوزيرين) : ثم ما ذنبى إذا قال لى (يعنى الصاحب) : من أين لك هذا الكلام المفوف المشوف الذى تكتب به إلىّ فى الوقت بعد الوقت ؟ فقلت : وكيف لا يكون كما وصف مولانا وأنا أقطف ثمار رسائله ... وأرد ساحل بحره ... فيقول : كذبت وفجرت لا أم لك ! ومن أين فى كلامى الكدية ... والتضرع والاسترحام ؟ كلامى فى السماء ...

ولأبى هلال العسكرى فى مقطوعة :

وعلى الربا حلل وشاهن الحيا فسهم ومزخرف ومفوف

وروى ابن حجة فى (خزانته) لابن قاضى ميلة :

بعيشى ، ألم أخبركما أنه فتى
على لفظه برد الكلام المفوف ؟

و (التفويف) من أنواع (البديع) ...

وبيت (الأفاويف) ختام قصيدة لعلى بن الحسن الباخَرزى صاحب (دمية القصر) فى أبى القاسم على بن موسى نقيب الطالبيين بمرو ، وقد جمع أفوافاً على أفاويف .

* ج ١٦ ص ١٩٦ :

وقنّعنى الزمات فلستُ آسٍ
على فوت الثراء وأنت عندى

وجاء فى الشرح : آسٍ: حزين ، وأصله آسيا لأنه خبر ليس ، لكنه جره على توهم الباء لكثرة مجيئها فى الخبر .

قلت : فلست آسَى .

أسِيَ يأسَى أسًى فهو آس وأسيان وأسوان كما فى اللسان . وفى حديث أُبَى بن كعب : والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أضلوا كما فى النهاية .

* ج ١٥ ص ٩٨ :

ومن شعر أبى تراب (على بن نصر الكاتب) :

حالى بحمد الله حال جيّدهْ
لكنه من كل خير عاطل

قلت : (حالى بحمد الله حال جيد) والحال يذكر وإن كان التأنيث أكثر .

* ج ٨ ص ٢١ : ورفع مناور العلم .

وجاء فى الشرح : وجمعها (أى منارة) مناور لا تقلب الواو همزة لأنها أصيلة ، والقلب إذا كانت زائدة ، وكانت فى الاصل (مناثر) .

قلت : الأصل صحيح . والقاعدة فى هذا الجمع معلومة ، وشذت منائر ومصائب . وقد ورد الجمعان فى كلامهم ومعجماتهم . وكان ابن جنى يقول : همزة مصائب من المصائب ...

* ج ١٥ ص٩١ : كتب عبد الله بن المعتز إلى على بن مهدى :

يا باخلاً بكتابه ورســوله أأردت تجعل فى الفراق فراقا

إن العهود تموت إن لم تحيها والنـأى يحدث للفتى إخلاقا

فكتب إليه على بن مهدى :

لا والذى أنت أسنى من أجدّه عندى وأوفاهم عهداً وميثاقا

ما حلت عن خير ما قد كنت تعهده ولا تبدلت بعــد النأى أخلاقا

قلت : (والنأى يحدث للفتى أخلاقا) بفتح الهمزة جمع خلق ، وهو ما أراده ابن المعتز .

* ج ١٦ ص ٢٦٢ : وكان (الحريرى) غاية فى الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر بنبله ، وكفاه شاهداً كتاب المقامات التى أربى بها على الأوائل ، وأعجز الأواخر . وكان مع هذا الفضل قذراً فى نفسه وصورته ولبسته وهيئته ، قصيراً ذميماً بخيلاً مبتلى بنتف لحيته .

قلت : دميماً لا ذميماً .

فى الأساس : دممت ودممت[1] دمامة ، وهو دميم الخلق ذميم الخلق ، وقد أدّمت فلانة وأذّمت جاءت به كذلك .

(١) دم من بابى ضرب وتعب ومن باب قرب لغة (المصباح)

وفى التاج : قال ابن الأعرابى : الدميم بالدال فى قده وبالذال فى أخلاقه ، وأنشد :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً : إنه لدميم

إنما يعنى به القبيح ، ورواه ثعلب بالذال فرُد ذلك عليه .

قال الأنبارى فى (نزهة الألباء) : كان الحريرى دميم الخلق ، فيُحكى أن رجلاً قصده ليقرأ عليه ، فاستدل على مسجده الذى يقرأ فيه ، فلما أراد الدخول رأى شخصاً دميم[1] الخلق ، فاحتقره ، وقال : لعله ليس هو ، فرجع ثم قال فى نفسه لعله يكون هذا ، ثم استبعد أن يكون هو ، والشيخ يلحظه ، فلما تكرر ذلك منه ، تفرس الشيخ منه ذلك ، فلما كان فى المرة الأخيرة قال له : ارحلْ ، فأنا من تطلب ؛ أكبر من قرد محنّك ... والقصة التى فيها البيتان الرائيان — وقد رواها ابن خلكان — مشهورة .

* ج ١٠ ص ١٩٠ :

فأنت امرؤ لو رمت نقــل مَتالع ورضوى ذرتْها من سُطاك نواسف

قلت : (متالع) بضم الميم كما ضبط القاموس وغيره ، وهو جبل فى البادية فى بلاد طىء . والبيت لأبى العلاء صاعد البغدادى فى أبى عامر المنصور .

* ج ١١ ص ٨٠ : توفى القاضى السجزى (الخليل بن أحمد ابن محمد) بسمرقند وهو قاض بها سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة . وقال أبو بكر الخوارزمى يرثيه :

ولما رأينا الناس حــيرى لِهدّة بدت بأساس الدين بعــد تأطد

أفضنا دموعاً بالدماء مشــوبة وقلنا : لقد مات الخليل بن أحمد !

قلت : بعد توطد ، وتوطد الشىء تثبت ، ولم ترد (تأطد) فى كلام ، ولما اضطر الوزن أبا تمام إلى أن يقول فى بيت له

(١) جاءت (دميم) فى الجملتين فى (نزهة الألباء) بالذال أيضاً ...

(اتأطدت) وهى (اتطدت) ضجّ اللغويون ، ونقد الناقدون . وأبو بكر من الهمز والخطأ فى بيته فى مندوحة .

* ج ١٦ ص ٩٩ : كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول فى فصل منه : إن أمير المؤمنين يَجِدُ بك ، ويهش عند ذكرك ، ولولا عظمتك فى نفسه لعلمك ومعرفتك لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه ، ولغصبك رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه ، وقد كان ألقى إلى من هذا عنوانه ، فزدتك فى نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك ؛ فاعرف لى هذه الحال[1] ...

قلت . يَجِدُ بك من وجد يجد لا مَن جدَّ يجد . ووجد به : أحبه واغتبط به كما فى النهاية . ولأبى العباس الزرارى :

لى صديق قد صيغ من سوء عهد
ورمانى الزمان فيه ببعد
كان وجدى به فصار عليه
وظريف زوال وجد بوجد

(١) تلكم منزلة أبى عثمان عند السلطان

وجدى به : حبى إياه ، ووجدى عليه غضبى عليه . ولهذا الفعل مصادر ومعان كثيرة تذكرها المعجمات .

* ج ١٦ ص ١٦٣ : وهذا كعب بن مالك الأنصارى عتب على امرأته فضربها حتى حال بنوها بينهما فقال :

لولا بنوها حولها لخبطتها
إلى أن تُدانى الموت غير مذمم[1]
ولكنهم حالوا بمنعى دونها
فلا تعدميهم بين ناه ومُقسم
فمانت وفيها حائش من عبيطها
كحاشية البرد اليمانى المسهّم[2]

وجاء فى الشرح : الحائش : أصلا جماعة النخل ، ولا واحد له .

(قلت) : جائش — بالجيم — أى فائض ، سائل .

و (قلت) : أكرم من الشعر المتقدم شعر القائل :

رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشلت يمينى حين أضرب زينبا

(١) فى البيت خرم ، وهو كثير فى شعر ولا يكون إلا فى اول الجزء فى البيت .

(٢) عبيطها : دمها . فى الصحاح : العبيط من الدم الخالص الطرى

بحث في الصـــلاة

للدكتور جواد على

بين يدىّ رسالة للمستشرق اليهودى المعروف المرحوم أويكين ميتوخ (Eugeen Mittwoch) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود. وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول فى الموضوع، هى أن الرسول الكريم أخذ صلاته من صلاة اليهود كما أخذ سائر الطقوس والعبادات[١].

وبين يدىّ أيضاً بعض الأبحاث العلمية التى قام بها نفر من المستشرقين فى نفس هذا الموضوع، أى تطور الصلاة ونشوء العبادات فى الإسلام، كبحث المستشرق المجرى اليهودى كولدزهير (Goldzyiher) وبحث المستشرق الهولنـــدى جوينبول (Juynbole)[٢] وأبحاث المستشرق المرحوم بيكر (Becker)[٣] وهى تسير على نفس الأسلوب ولكنها تختلف فى النتائج. إذ من رأى هؤلاء أن النبى علية الصلاة والسلام أخذ صلاته وعباداته عن النصارى لا اليهود.

وبالنظر إلى ما فى أبحاث هؤلاء المستشرقين من أمور لا تقرها الحقيقة رأيت أن أكتب فى هذا الموضوع، وأن أقارن بين الصلاة فى الإسلام وبين الصلاة فى اليهودية خاصة، لكونها أساس الصلاة عند المسيحيين فأقول:

أجمعت المذاهب الإسلامية قاطبة على أن هنالك خمس صلوات مفروضة فى اليوم، وأجمعت كذلك على عدد الركعات؛ فصلاة الصبح ركعتان، وصلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات إلا صلاة المغرب فإنها ثلاث ركعات[٤].

(١) راجع بحثه المقدم إلى الأكاديمية الملكية البروسية سنة ١٩١٣ بعنوان تطور الصلاة الاسلامية وطقوسها.

(٢) راجع بحث (Juynboll) الذى طبعه فى مدينة ليدن الهولندية عام ١٩١٠ بعنوان Handboak of tte Jslamic law.

(٣) راجع أبحاثه فى مجلة (الاسلام) السنة الثالثة ج ٤ عن رأى المستشرق المجرى راجع كتابه « دراسات إسلامية » ج١ ص ٣٥.

(٤) راجع كتب الفقه فى بحث الصلاة على اختلاف المذاهب مثل كتاب الوضع لأبى زكريا الجناوونى يحيى بن الخير (القاهرة) المطبعة البارونية ١٣٠٥هـ، وكتاب النيل وشفاء العليل لعبد العزيز إبراهيم المصعبى، وكتاب شرح النيل وشفاء العليل للاطفيشى وهي على مذهب الأباضية.

ولم تختلف المذاهب الإسلاميــة قديماً وحديثاً فى الشكل الأساسى للصلاة ولا فى هيكلها وكيفيتها، وإنما اختلفت فى مسائل فرعية طفيفة لا علاقة لها بالوضع العام للصلاة. فطريقة الركوع والسجود واحدة بين الجميع، وعدد الركعات ثابت كما قلنا، والاتجاه نحو القبلة واجب لا خلاف فيه. وأما فيما عدا ذلك مثل الجهر بالقراءة أو الإخفات، وإسبال اليدين فى الصلاة أو « التكتيف» فوق السرة أو تحتها، وجواز القنوت أو عدم جوازه، ورفع السبابة فى التشهد أو عدم رفعها وإدارة الرأس نحو اليمين واليسار حين السلام أو عدم ذلك، ثم الحد الأدنى للآيات التى يجب قراءتها فى الصلاة، وأمثال ذلك، فإن كل هذه لا تؤثر على هيكل الصلاة وشكلها كما قلنا ويكاد يصعب على غير المسلم تمييز هذه النقاط

« والصلاة هى الدعاء وعبادة الله الرحمن الرحيم بأقوال وأفعال ونظام وترتيب جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واتبعه الصحابة وفسره أئمة الدين الذين تفرغ كل منهم لوصف ما وصل إليـه وتمحيصه من صحيح العلم ودقيق العمل كما كان عن النبى صلى الله عليه وسلم وما فعل الصحابة الذين عاصروه وقاموا باتباع ما جاء به.. ولكم فى رسول الله أسوة حسنة ... »[١].

والصلاة مظهر من مظاهر تعلق الفرد بخالقـه وواجب من واجبات الإنسان الدينية والانفرادية والاجتماعيـة فى كل الأيام وعند جميع الشعوب وهى التكلم مع الله وطلب ما يحتاج اليـه الإنسان مع الشكر لأجل المراحم الإلهية[٢]. ففى الصلاة إذاً عنصران: عنصر الشكر لله ومدحه وتبجيله على عظمته وبديع صنعه؛ وعنصر الطلب من الله القوى القهار الذى يسأل فيجيب

وهى فرض فى الإسلام واجب لأنها ركن من أركان الدين ولأنها « مفتاح من مفاتيح الجنة »[٣] والصلاة عماد الدين[٤] جاء فى القرآن الكريم « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »[٥] وجاء فى القرآن الكريم أيضاً « ما سلككم فى

(١) راجع كتاب الاسلام لعبد لطفى حسن. القاهرة سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢. طبعة الجمعية البروتستانية. Hastings. D'ctionary of the Bible P, 744.

(٣) كنز العمال ج ٤ ص ٦٤. نمرة ١٠٤٩. mittwocb P, 5.

(٤) كنز العمال حيدر آباد ١٣١٣ ج ٤ ص ٧٢ نمرة ١٢٠٦.

(٥) القرآن الكريم.

سقر؛ قالوا لم نكن من المصلين ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين»[١] وجاء عن النبي (ص) أنه قال «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً»[٢] وجاء أيضاً « من ترك الصلاة متعمداً أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله توبته »[٣] . فالصلاة إذاً فرض واجب على كل مسلم ؛ من تركها متعمداً فهو ليس بمسلم[٤] وعد كافراً وجازقتله[٥] . وفى الكتب التى أرسلها الرسول إلى القبائل العربية ذكر للصلاة بعد الإيمان[٦] وفى الحديث « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »[٧]

والصلاة فى الأصل الدعاء والرحمة والاستغفار والبركة[٨] ثم خصصت لنوع معين من أنواع العبادات فيها ركوع وسجود وحركات معينة وقواعد ثابتة لا تتأثر بإرادة المصلى ولا برغبته وميوله ولا بالوقت الذى يريده إذا كانت الصلاة مفروضة واجبة[٩] وللصلوات شكل معين معلوم وإن لم يعينه القرآن إلا أنه معين باتفاق الصحابة والمذاهب الإسلامية عليه .

ثم إن الصلوات اليومية الخمس تؤدى فى أوقات معينة معلومة لا يمكن المصلى أن يتخطاها وإلا اعتبر مقصراً وأصبحت صلاته باطلة . وأما الدعاء فإنه يكون فى أى وقت كان وفى أى صورة يريدها المتضرع ؛ فهو لا يتقيد بقيود ولا يتعين بشكل خاص ولا يكون فى الصلاة إلا فى مواضع معينة مخصوصة .

---

(١) قرآن الكريم .
(٢) الاسلام ص ٢٤٠ .
(٣) الاسلام ص ٢٤٠ .
(٤) الاسلام ص ٢٤٠ mittwocb. P, 5. .
(٥) الشيرازى تنبيه طبعة (Juynball) ص ٥٠ر٥ .
(٦) راجع الكتب التى أرسلها الرسول إلى القبائل العربية بعد إسلامها m ttwocb. P, 5. .
(٧) فى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح لحسين بن المبارك الزبيدى ج ١ ص ١٣ « شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس » وفى ج ١ ص ٨ « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .
(٨) القاموس ج ص ٣٥٢ . المصباح المنير ج ١ ص ٥٣ . المطبعة الأميرية بمصر ١٩١٠
( ) mittwocb. P, 6 .

وكلمة « صلاة » آرامية فى الأصل ثم استعملها اليهود فأصبحت لفظة آرامية عبرية[١] دخلت اللغة العربية عن طريق اليهود أو المسيحيين[٢] . استخدم اليهود هذه الكلمة (صلوتة) (Salûte) فى الأزمنة المتأخرة من عهد التوراة حتى أصبحت كلمة مألوفة ذات معنى دينى خاص[٣] . وفى القاموس «والصلوات كنائس اليهود وأصله بالعبرانية صلوته »[٤] ومن جملة الصلاة «الدعاء» إلا أن «الدعاء» فى الاسلام هو الابتهال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من خير . ويقابل لذلك فى العبرية كلمة «تحنونيم» ومعناها التضرعات والدعاء ! وأما الصلاة التى هى ركوع وسجود فإنها تقابل لفظة «تفلوت» التى تعنى صلوات[٥] قبل أن تخصص الصلاة عند اليهود بكلمة « صلوته » الآرامية فى عهود التوراة المتأخرة[٦] .

والذى لاحظه المتتبعون أن الشعوب القديمة حتى البربرية منها كانت تقوم بفروض دينية يصح أن نطلق عليها لفظة «صلاة»[٧] ومن بين ما عثر عليه المنقبون بعض النصوص القديمة التى كان يقرؤها الأشوريون والبابليون فى الصلاة[٨] . والصلاة عادة طقوس خاصة وشرائط لابد منها ؛ وبدون هذه الشروط تكون الصلاة باطلة غير مقبولة مثل ضرورة الغسل وشروط الملابس والبخور والوضع فى المعبد وما يجب على المرء أن يقوم به أثناء الصلاة وهى تختلف باختلاف الأمم وعقليات الشعوب .

وقد لعبت الصلاة فى العصور الوثنية دوراً هاماً . اعتقد الوثنيون أن المرء متى أحسن أداء الصلاة وقرأ النصوص التى لابد منها كما هى مكتوبة وقام بجميع أركان الصلاة وناجى آلهته فى صلاته بأسمائها الصحيحة فإن الآلهة تلبى طلب المصلى لا محالة وتجبر على إجابة رغباته حتما[٩] .

---

(١) mittwoch. P, 6. .
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر أيضا بحث المستشرق كولدزهير بعنوان دراسات إسلامية ج ١ ص ٣٥ .
( ) القاموس ج ٤ ص ٣٥٢
(٥) mittwoch. P, 6. .
(٦) نفس المصدر .
(٧) راجع Encyclopeledia Britanicta art Prayer .
(٨) The Religions of the East P, 17 .
(٩) The old Persian Religion. 1920 P. 22 .

وفى استطاعة المصلى أيضاً إذا ما كرر الكلمات المقدسة فى صلاته طرد الأرواح الخبيثة والعوالم الشريرة عنه بل وفى المصلى استخدام الأرواح العليا لقضاء مصالحه وطلباته ولتنفيذ رغباته فيما إذا أحسن المصلى أداء الصلاة . جاء فى ياسنا من دين زرادشت « وبواسطة صلاتى هذه يا مزدا (Manydáh) أرجو منك طرد الأرواح الشريرة والخبائث »(١) .

ومن الأمور التى تهتم بها الشعوب فى صلاتها مسألة عدد الصلوات اللازمة على كل إنسان وتعيين أوقات الصلاة بالضبط ليتسنى لكل مؤمن أداء الفرائض فى أوقاتها ومواقيتها . وقضية الوقت هى قضية مهمة جداً فإن لم تعين أوقات الصلاة وتضبط التبس الأمر على المؤمن وحار ، لذلك ارتبطت مواعيد الصلاة بالصلاة مذ صلى الإنسان الأول . وبالنظر إلى عدم معرفة الإنسان طريقة فنية لضبط الأوقات ، وبالنظر إلى عقيدة تقديس الأجرام السماوية والانصراف إلى عبادتها ربط الإنسان أوقات صلاته بأوقات ظهور الأجرام السماوية ؛ ولا سيما الكبيرة منها ، وأعنى

(١) راجع Persian. Religèan P, 23 .

بذلك الشمس والقمر ؛ لأن عقلية الإنسان الابتدائى تميز هذين الجرمين لكبرهما عن الأجرام الأخرى بسهولة ، ولذلك كان الشروق والغروب ووقت الزوال أحيانا من أوقات الصلاة المفروضة لدى غالبية الأمم والقبائل والشعوب (٢) .

وحتمت الديانات الآرية القديمة والسامية منذ أقدم الأزمنة على الإنسان الصلاة فى أوقاتها ، فمن الواجبات الدينية على كل رجل من أتباع زردشت بلغ سن التكليف الدينى (٣) أن يصلى ثلاث مرات فى اليوم صباحاً وعصراً ووقت العشاء (المغرب) وعليه فضلا عن ذلك صلاة (Ashewvohu) وهى الصلاة التى يجب على كل رجل أداؤها حين ذهابه إلى الفراش لأجل النوم ، وبعد نهوضه من النوم مباشرة (٤) .

(البقية فى العدد القادم) **جواد على**

(٢) راجع الكتب المؤلفة فى تاريخ الأديان Yasna. 33,4 .

(٣) The ald Persiau Religian. P, 124 nirangastau 31, . ويقبل الفرس اليوم الطفل الفارسى فى المجمع الدينى متى بلغ السابعة من العمر . راجع Zend. av 2. 243 .

(٤) Shâyast 7. 1. The old Pers Rel P, 124

٣ – حول انهيار فرنسا

للأستاذ عربي كبير

تتمة ما نشر فى العددين السابقين

هذا ، وفى آخر الأمر يجب علينا أن نشير — حينما نبحث عن أسباب انهيار فرنسا — إلى سبب آخر ، سبب يجب أن يعطى الموقع الأول بين سلسلة الأسباب ، بل يجب أن يعتبر السبب الأصلى ، بل هو علة العلل ...

هذا السبب هو علائم بلبلة الآراء وفوضى النزعات التى كانت تسود فرنسا إزاء مظاهر وحدة الكلمة وتراصّ الصفوف التى كانت تميز ألمانيا ...

لقد دخلت ألمانيا الحرب ، وهى متحدة الكلمة ، تسير وراء زعيم واحد تثق به ثقة لا حد لها ، وتتجه نحو هدف عام يعرفه الكل ويقدسه الجميع ... فى حين أن فرنسا كانت منقسمة على نفسها فى معظم أمورها ، وقد بلغت فيها الشهوات الحزبية درجة تكاد تتغلب على الفكرة الوطنية ، وتعددت الأحزاب تعدداً لامثيل له فى التاريخ ، فلم يبق حزب قوى يستطيع أن يضمن الأكثرية ويدعم الحكومة ، حتى بالاتفاق مع حزب ثان ، فأصبح من المحتم على كل حكومة تسعى إلى تسيير دفة الأمور أن تتفنن فى إجراء ترتيبات معقدة بين عدة أحزاب متخالفة ...

وبما أن مثل هذه الترتيبات المعقدة تكون عرضة للتغيير السريع بتقلب الظروف ، أصبح التوازن الحكومى شبيهاً بالأعمال البهلوانية التى يقوم بها اللاعبون على الحبال

ولا حاجة لبيان أن تعدد الأحزاب وتنازعها على هذا الوجه كان يُفسح مجالا واسعاً لدسائس النفعيين ، ويزعزع ثقة الشعب بالحكومات ويسىء إلى سمعتها إلى حد كبير

وإذا كان تسيير دفة الشؤون بين هذه النزعات المتخالفة من الأمور الممكنة فى الأحوال الاعتيادية فلا شك فى أنه يصبح من رابع المستحيلات خلال الأزمات الحربية ، لأن الحرب تحتاج إلى أعمال منسقة تنسيقاً تاماً ، ولا سيما فى هذا العهد الذى أصبحت فيه الأعمال الحربية غير مقتصرة على الجيوش المحاربة وحدها وغير منحصرة فى ساحات القتال وحدها ، بل شاملة جميع أبناء الوطن وجميع أقسام البلاد ... فالبلبلة فى الآراء والفوضى فى الأعمال من الأمور التى لا يمكن أن تلتئم مع ضرورات الحرب بوجه من الوجوه ، فإذا أقدمت أمة ما على الحرب وهى مبلبلة الآراء ، فلا بد من أن تتعرض إلى كوارث ونكبات

وهذا ماحدث فعلا فى فرنسا ، لأن البلبلة التى كانت تضطرب فى نفوس أبنائها حين بدء الحرب ، ازدادت يوماً فيوماً من جراء سير الوقائع من جهة وبتأثير إذاعات الألمان من جهة أخرى ، ولا شك فى أنها كانت علة العلل فى أمر الانهيار

* * *

وهنا مسألة هامة تتطلب التفكير والاهتمام :

إن تعدد الأحزاب وبلبلة الآراء لم تكن من الأمور الشاذة فى فرنسا ، بل هى من الأمراض الاجتماعية المزمنة التى كانت تنخر عظم فرنسا منذ مدة غير يسيرة ، ومع هذا فأنها لم تؤد فى الماضى إلى انكسار وانهيار ، لأن الأحزاب كانت تنبذ عادة منازعاتها عندما تشعر بالخطر الخارجى ، وتسرع إلى الاتحاد والتكتل عند ما يدعوها إلى ذلك داعى الوطن ، كما حدث فعلا فى الحرب العالمية

فلماذا لم يحدث مثل ذلك فى هذه المرة ؟ لماذا لم تتحد الأحزاب أمام الخطر الهائل الذى أحدق بفرنسا منذ نشوء الحرب الحالية ؟

لا شك فى أن ذلك لا يمكن أن يعلل إلا بأن نقول : إن داء الحزبية كان قد اشتد إلى درجة أصبح معها لايتأثر من ضرورات الحرب ، وإن روح الفردية كانت قد قويت إلى درجة تحولت معها إلى أنانية مفرطة تتغلب على الروح الاجتماعية والروح الوطنية .

غير أن هذا التعليل لا يحل المسألة حلا مرضياً ، فيجب علينا أن نتساءل بعد هذا التعليل أيضاً : لماذا اشتدت روح الحزبية إلى هذه الدرجة ، ولماذا تقوت فكرة الفردية إلى هذا الحد ؟

إننى أعتقد أن الدعايات الشديدة المستمرة التى قامت فى طول فرنسا وعرضها منذ سنوات ضد النظام النازى والفاشى لم تخل من التأثير الشديد فى هذا الباب . إن تلك الدعايات كانت تستهدف — فى حقيقة الأمر — تبغيض ألمانيا وإيطاليا ، غير

أنها كانت تهاجم قبل كل شيء النظام الجديد الذى اختارته لنفسها كل واحدة من هاتين الدولتين مهاجمة عنيفة ، وذلك من وجهة تأثيرها على الحرية الفردية فى الدرجة الأولى ، ولذلك أخذت الدعايات المذكورة تستمد قوتها من (فكرة الحرية) و (نزعة الفردانية) المنتشرة فى البلاد ، فصارت تزدرى حتى بـ (روح التكاتف والتراص) و (دعوة التوحد والتضحية) التى يتضمنها هذان النظامان ، فإن الكتاب والخطباء كلما أرادوا تزييف النازية ومهاجمتها لوحوا أمامها بعلم « الحرية المطلقة والفردية التامة » دون أن ينتبهوا إلى التأثيرات والأضرار التى قد يحدثها ذلك فى داخلية البلاد ونفسية الناس . على هذا الوجه تقوّى الداء وتأصل ، وصار الناس يمجدون « الحرية » تمجيداً مطلقاً ولو أدت إلى الفوضى ، وينفرون من (التوحد) ولو أصبح ضرورياً لحياة الأمة ، ويسترسلون فى (الفردية) ولو تحولت إلى أنانية فتاكة ... وفى الواقع أن مخاطر هذه الأمور لم تبق خافية على انظار جميع الفرنسيين بطبيعة الحال ؛ فقد ظهر بين رجال الفكر والسياسة مَن شَعَر بالأخطار التى ستنجم عن استمرار هذه الأحوال ، ومن أخذ يعارض الإفراط فى فكرة الحرية فيدعو إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، حتى ظهر من يحمل بعض الحملات على روح الفردية والأنانية ... غير أن الدعايات التى ذكرناها آنفاً ، كانت أثرت فى النفوس تأثيراً عميقاً حتى صار الناس ينظرون إلى كل محاولة من هذا القبيل كضرب من ضروب النازية أو الفاشية ، كما أخذوا يتهمون معتنق مثل هذه الآراء بخدمة الأعداء وخيانة الوطن

وعبثاً حاول بعض الكتاب والمفكرين أن يرشدوا الناس إلى سواء السبيل بقولهم : « يجب أن نكره النازية من حيث سياستها الخارجية وحدها ، ولم يشمل كرهنا لها جميع أعمالها وجميع خصائصها ... ومهما كرهنا النازية من وجهة سياستها الخارجية فيجب ألا ننكر بأنها قامت بأعمال هامة فى سبيل الإصلاحات الداخلية والتنظيمات الشعبية ، وإن بعض تلك الأعمال الداخلية جدير بالإعجاب وحرى بالاقتداء ... » غير أن أصوات هؤلاء المفكرين ضاعت بين صرخات الصارخين الذين ظلوا يهاجمون النازية من جميع الوجوه باسم الحرية ... ويستخفون بجميع مبادئها وأعمالها باسم الفردية ...

ولذلك استمرت فى فرنسا الأمراض والنزعات السياسية والأخلاقيه النفسية التى شرحناها آنفاً ، خلال الحرب أيضاً ... ولا شك فى أن هذا الاستمرار كان أهم الأسباب التى أدت إلى الانهيار .

* * *

ومن الغريب أن دعايات « الحرية والفردية » المفرطة التى كانت انتشرت فى فرنسا فأدت بها إلى الانهيار كما اسلفنا أثرت تأثيراً عميقاً فى آراء عدد غير قليل من كتاب العرب . فراح بعضهم يردد تلك الدعايات بحماس شديد ، حتى بعد ظهور أضرارها الفادحة للعيان فى الويلات والنكبات التى جرتها على فرنسا نفسها ...

فقد نشر أحد الكتاب المشهورين[1] ، فى إحدى المجلات المصرية الشهيرة ، سلسلة مقالات حول فرنسا ، بعد انهيارها ، أبدى فيها من الآراء ما يستوقف النظر ويتطلب النقاش ...

فقد وصف الكاتب المحترم ، فى مقالاته هذه « الحالة النفسية التى كانت وصلت إليها فرنسا قبل الحرب الحالية بكلمات صريحة » فكتب — فى جملة ما كتبه فى الأقسام المختلفة من مقالاته المذكورة — الكلمات التالية :

« كانت شهوة السياسة الحزبية فى فرنسا أقوى من الفكرة الوطنية »

« امتلأ الفرنسى بنفسه ، وأصبح الفرد كل شيء ، يؤثر نفسه بكل شيء ، يؤثرها بأعظم حظ ممكن من اللذة ، ويجنبها أعظم حظ ممكن من الألم ... »

« استجاب الفرنسى لداعى العقل الفردى ، أكثر مما استجاب لداعى العقل الاجتماعى » .

« قد رأى الفرنسى أن الحياة لم تمنح للناس ليبذلوها فى الجهود المضنية التى تنتهى إلى الفناء ، إنما منحت للناس لتكون عليهم نعمة ليستمتعوا بلذاتها وليتجنبوا آلامها ... »

« فرنسا آثرت نفسها بالعافية واللذة ونعيم الحياة ... »

أنا لا آخذ على نفسى مسؤولية هذه الكلمات القاطعة ، ولا أشترك فى إطلاقها وتعميمها على هذا المنوال . ومع هذا ، أرى من الضرورى أن ننعم النظر فيها قليلا ...

---

(١) الدكتور طه حسين

إن هذه الصفات الأخلاقية ، وهذه النزعات النفسية ، هذه الفردية المفرطة التي لا تفكر في شيء غير نفسها . . والتي تتجنب الجهود المضنية على اختلاف أنواعها ، فتحاول أن تنال أعظم حظ ممكن من اللذة ... والتي تؤثر نفسها على الدوام بالعافية واللذة ونعيم الحياة ... كل من ينعم النظر في هذه الصفات ، يضطر إلى التسليم معي بأنها تدل على شيء واحد ، هو « التفسخ الأخلاقي » وتؤدي بطبيعة الحال إلى نتيجة واحدة ، هي « الإنحلال الاجتماعي » ...

غير أن الكاتب المحترم ، لا يقول بذلك ، بل بالعكس يرى في كل هذه الصفات والحالات أثراً من آثار التحضر والتثقف ، ونتيجة من نتائج الأمعان في الحضارة والثقافة . إنه يعلل كل واحدة منها بقوله : « إن الفرنسي قد تحضر وأمعن في الحضارة » و « ومضت فرنسا في الحضارة إلى أقصى غاياتها » ويكرر ذلك مرات عديدة ، ويعتبر كل ذلك من نتائج « الحضارة والثقافة » الطبيعية ، حتى إنه يقول بكل صراحة ما يأتي .

« إن أية أمة من الأمم تبلغ من الثقافة ما بلغته فرنسا وتسلك بالثقافة الطريق التي سلكتها فرنسا منتهية من غير شك إلى مثل ما انتهت إليه فرنسا ...

ويزيد على ذلك قائلا . « نحن بين طريقين » إما أن نستقبل الثقافة أحراراً (يريد مثل ما تفعل فرنسا) وإما أن نستقبلها مقيدين (يريد مثل ما تفعل المانيا) كما يقول أخيراً « أما أنا فاختار الطريق الأولى وأقبل أن أتعرض لما تتعرض له الأمم الحرة من ألوان الخير والشر ومن اختلاف الخطوب » ويعلل اختياره هذا بنزوعه إلى الحرية حيث يقول : « إن الحياة الحرة ... خليقة بأن نشتريها بأغلى الأثمان » ...

أنا لا أستطيع أن أشارك الكاتب المحترم في آرائه هذه ... ولا أسلم بأن الأحوال والصفات التي ذكرها « نتيجة طبيعية » للأمعان في الحضارة والثقافة ، كما لا أسلم بصحة رأيه في انحصار الأمر بين طريقين لا ثالث لهما ؛ غير أن حديثي قد طال

ولكن من الضروري ألا أنهي حديثي دون أن أناقش الكاتب المحترم قليلا في كلمته الأخيرة .

« إن الحياة الحرة ... خليقة أن تشترى بأغلى الأثمان ... » ؛ إن سياق الكلام — في المقالات المذكورة — يدل دلالة صريحة على أن التمنى هنا هو « كيان الدولة » و « حياة المجتمع » ... فهل يجب علينا أن نسلم بهذا القول ؟ هل يجوز لنا أن نقدم « الحياة الحرة » على كيان الدولة « وعلى مصالح المجتمع الحيوية »؟ وهل يمكننا أن نضحى « الحياة الحرة » بتضحية حياة الدولة وكيانها ؟ ...

أنا لا أرى لزوماً لإطالة الحديث في الإجابة على هذه الأسئلة ، ومع هذا أرى من المفيد أن أذكر كلمة قالها قبل الحرب العالمية أحد عظماء السياسة في فرنسا ، وكلمة أخرى كتبها أحد كبار الأدباء ...

في عهد وزارة بريان استعد الاشتراكيون لحمل الناس على إضراب عام يشمل عمال وموظفي السكك الحديدية ، ليشلوا جميع الأعمال والحركات في طول البلاد وعرضها . فلما اطلعت الحكومة على أخبار هذه الاستعدادات اعتقدت بأن ذلك قد يؤدي إلى كارثة كبرى ، نظراً لما كانت تعرفه عن استعداد المانيا نظراً لاحتمال إقدامها على انتهاز فرصة هذا الاضطراب العام للاستيلاء على البلاد استيلاء فجائياً ... فقررت الحكومة الفرنسية أن تتخذ تدبيراً حاسما في هذا المضمار ، والتجأت إلى طريقة التجنيد . جندت عمال السكك الحديدية قبل يوم الإضراب ، وأمرتهم بتسيير القطارات بصفتهم جنوداً وضباطا . ومن المعلوم أن العامل حر في العمل أو الإضراب غير أنه يفقد هذه الحرية — بطبيعة الحال — عند ما يصبح جندياً ... وبهذا التدبير استطاعت الحكومة أن تفسد على الاشتراكيين ترتيباتهم في هذا الباب وأن تحول دون تحقيق الإضراب العام الذي كانوا يستعدون له منذ مدة .

هذا التدبير سبب هياجا عظيما على الحكومة ، فأخذ المعارضون يقولون هذا إخلال بأحكام الدستور ، وإنه تعد على حق الحرية .. غير أن رئيس الحكومة رد على هذه الاعتراضات قائلا : « إن العمل الذي قمت به لا يخالف الدستور ولا يكون تعدياً على حرية الأفراد ..ومع هذا أود أن أصرح من على هذا المنبر بأنني لو

كنت أعلم بأنه مخالف للدستور ولحق الحرية .. لما أحجمت عن القيام به .. لأنني أعتقد أن حياة فرنسا أغلى من الدستور ، وأثمن من حرية الأفراد ... »

إن ساسة فرنسا الذين كانوا يحملون مثل هذا الاعتقاد قادوا بلادهم إلى النصر في الحرب العالمية المنصرمة .. وأما رجال فرنسا الجدد الذين فقدوا هذا الاعتقاد وصاروا يعتبرون هذه الأعمال ضرباً من ضروب النازية ... فقد أوصلوا بلادهم إلى وادي الاندحار ...

هذا وأذكر أنني حضرت رواية في باريس قبيل الحرب العالمية عنوانها (الغرب) يصور فيها مؤلفها ضابطا من كبار ضباط البحرية الفرنسية يعيش مع راقصة مغربية تنحدر من عشيرة مراكشية ، وللضابط أخ شاب مأخوذ بالآراء والنظريات المعارضة للخدمة العسكرية . يفر هذا الشاب من الجندية ، غير أن أخاه الضابط يتمكن — بعد سلسلة وقائع — من إقناعه وإعادته إلى حظيرة الخدمة الوطنية . تقف المرأة المغربية دهشة أمام خضوع الشاب لكلمات أخيه هذا الخضوع ، فتتساءل : ألم يكن هذا الشاب حرا ؟ فكيف يخضع لأوامر الضابط كأنه كلب مطوق بالأغلال أو عبد يمتثل أوامر سيده الذي اشتراه بماله الخاص ؟ ؟

أما الضابط فيبتسم لأقوال خليلته المغربية ، وعند ما يختلي بها يقول لها ما مؤداه « إن الحرية في نظرنا نحن الغربيين ، هي غير الحرية التي تفهمونها وتطلبونها أنتم الشرقيين . الحرية في نظركم هي أن يرتدي المرء برنسه ويعتلي صهوة جواده فينطلق في الصحراء حيث شاء ... أما نحن فلا نطلب حرية مثل تلك الحرية ، فإن كلاً منا يحمل في عنقه أغلالا وأصفادا ... أغلالا وأصفادا مصنوعة من ذهب معنوي ... من ذهب المنعنات والتاريخ والواجبات ... نحن نحب تلك الأصفاد بكل جوانحنا ، ونحمل تلك الأغلال بكل سرور ... نحن نبجل تلك الأصفاد والأغلال ، بل يقدسها كل التقديس ... » .

إن الجيل الذي يقول مثل هذه الأقوال قد قاد فرنسا إلى المجد والنصر ، وإن الجيل الذي عدل عن تقديس الأغلال الاجتماعية فأخذ يتمسك بالحرية المطلقة ... الجيل الذي ترك التساند الاجتماعي جانبا ، فأخذ يقدس تلك الفردية ... هذا الجيل ... قد أوصل فرنسا إلى هذه النكبات ...

إنني أعتقد أن هذه النتيجة يجب أن تكون درساً ثميناً لجميع شبان العرب ...

فأنا أود أن يعرف الكل أن الحرية لم تكن غاية قائمة بنفسها ، بل هي واسطة من وسائط الحياة العالية ... والمصالح الوطنية التي تتطلب من المرء أحياناً تضحية الحرية أيضاً في بعض الظروف ...

إن كل من لا يضحي بحريته الشخصية في سبيل حرية أمته — عند ما تقتضيه الحال — قد يفقد حريته الشخصية مع حرية قومه ووطنه ...

وكل من لا يرضى أن (يفنى) نفسه في الأمة التي ينتسب اليها — في بعض الأحوال — قد يضطر إلى « الفناء » في أمة من الأمم الأجنبية التي قد تستولي على وطنه في يوم من الأيام ...

ولذلك فأنني أقول بلا تردد وعلى الدوام ...

الوطنية والقومية قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ...

حتى فوق الحرية ، وقبل الحرية ...

(س)

لزوم مـــا لا يلزم

متى نُظم وكيف نُظم ورُتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

كانت أمور الشام ولا سيما البلاد الشمالية فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس مضطربة بين سلطان الفاطميين والأمراء المتغلبين من بنى حمدان ومواليهم ومن رؤساء القبائل العربية . وقد استولى صالح بن مرداس الكلابى صاحب الرَّحبة على حلب فى هذا الاضطراب سنة ٤٠٢ . ثم وقعت خطوب ردّت حلب إلى سلطان الفاطميين حيناً . فلما قتل نائب الفاطميين عزيز الدولة سنة ٤١٣ ، وتولى من قِبَلهم ابن شعبان طمع صالح ابن مرداس فى التغلب على نوّاب الفاطميين فحالف اثنين من رءوس العرب هما حسّان الطائى وسنان بن عُليّان الكلبى واتفقوا على أن يقتسموا الشام من حلب إلى حدود مصر . فصارت حلب وما يليها لصالح ، ودمشق لسنان ، والرملة وما يليها إلى مصر لحسّان . وذلك عام ٤١٤ . وقد تقدمت أبيات المعرى التى تذكر هذا التقسيم .

هذه حوادث وقع بعضها فى العَقد الأول من القرن الخامس ومعظمها فى العَقد الثانى . فهذه الأبيات قد نظمت كذلك فى هذين العقدين ولا سيما الثانى منهما .

ثانياً — يُذكر صالح بن مرداس فى اللزوميات مرات أُخر لحادث آخر كان له فى نفس المعرى أثر باق .

نقل ياقوت عن أبى غالب بن مهذب المعرى فى حوادث سنة ٤١٧ من تاريخه : « صاحت امرأة يوم الجمعة فى جامع المعرة وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغتصبها نفسها . فنفر كل من فى الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه . وكان أسد الدولة (صالح) فى نواحى صيدا فوصل الأمير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلا . وذلك برأى وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ . وأوهمه أن فى ذلك إقامة للهيبة — قال ولقد بلغنى أنه دُعِى لهؤلاء المعتقلين بآمد وميافارقين على المنابر — وقطع تادرس عليهم ألف دينار . وخرج الشيخ أبو العلاء المعرى إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرة وقال له : مولانا السيد الأجلّ أسد الدولة ومقدَّمها وناصحها كالنهار المائع اشتد هجيره وطاب بَرداه ، وكالسيف القاطع لان صفحه وخشن حدّاه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

فقال صالح قد وهبتهم لك أيها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه » .

ونقل ياقوت أيضاً عن القِفطى أنه وجد على ظهر ديوان الأعشى فى مدينة قفط سنة ٥٨٥ ما يأتى : « حكى أن صالح ابن مرداس صاحب حلب نزل على معرة النعمان محاصراً لها ونصب عليها المجانيق واشتد فى الحصار لأهلها فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبى العلاء لعجزهم عن مقاومته لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به وسألوا أبا العلاء تلافى الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدبير الأمر برأيه إمّا بأموال يبذلونها أو طاعة يعطونها . فخرج ويده فى يد قائده وفتح الناس له باباً من أبواب معرة النعمان ، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل . فقال صالح هو أبو العلاء فجيئونى به . فلما مثل بين يديه سلّم عليه ثم قال : الأمير أطال الله بقاءه كالنهار المائع الخ .

وهذه الحادثة ذكرها المعرّى فى موضعين من اللزوميات فى حرف الدال المكسورة واللام المكسورة . يقول :

تغيّبت فى منزلى بُرهة ستيرَ العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقلّ وحُمّ لروحى فراقُ الجسد
بُعثتُ شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأى فسد
فيسمعُ منّى سجع الحمام وأسمعُ منه زئير الأسد
فلا يعجبنّى هذا النفاق فكم نفّقت محنة ما كسد

ويقول :

آليت أرغب فى قميص مموّه . فأكون شارب حنظل من حنظل
نجّى المعاشر من براثن صالح ربٌّ يفرّج كل أمر مُعضل
ماكان لى فيها جناحُ بعوضةٍ والله ألبسهم جناحَ تفضّل

فهاتان القطعتان نظمتا فى حادث وقع سنة سبع عشرة وأربعمائة والظن أن نظمهما لم يتأخر عن هذا التاريخ كثيراً .

ثالثاً — يذكر الشاعر « محموداً » فى مواضع كثيرة يقول :

يسلك محمود وأمثاله طريق خاقان وكنداج

* * *

أُسَرُّ إن كنتُ محموداً على خلُق
ولا أُسرُّ بأنى المَلك محمــــود
ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها
وإنما هو بعد الموت جُلمود

* * *

لا كانت الدنيا فليس يسرّنى أنى خليفتها ولا محمودها

* * *

سيموت محمود ويهلك آلك ويدوم وجه الواحد الخلاّق
فمن مُبلغ عنى المآلك معشرا علياً ومحموداً وخانا وآلــكا
فما أتمنّى أننى كأجلّــكم
ولـكن أضاهى القترين الصعالـكا

وكلمة آلك فيما أظن ، يريد بها المعرى أِلك خان وهو لقب لبعض ملوك تركستان الذين قامت لهم دولة بين سنة ٣٢٠ وسنة ٦٠٩ ، والظاهر أن أول من لقب منهم أِلك خان هو نصر بن على فاتح ما وراء النهر المتوفى سنة ٤٠٣ . فهذا دليل على أن هذه الأبيات نظمت بعد هذا التاريخ . وأما علىّ المذكور فى البيت فلم أعرف من هو إلا أن يكون علياً أسد الدولة أحد أمراء بنى مزيد تولى الملك من سنة ٤٠٣ إلى سنة ٤٠٨ .

ومن محمود الذى كرر المعرى ذكره وجعله مثلا فى الملوك وقال إنه لا يسرّه أن يكون فى منزلته ، وإن الدهر سيبطش به كما بطش بالضعفاء ؟

فى تعليقات الطبعة المصرية أنه أمير المعرة إذ ذاك . ولا نعرف من تولى فى تلك النواحى ذلك العصر إلا محموداً حفيد صالح ابن مرداس . ومحمود هذا تولى الإمارة سنة ٤٥٢ وخلع فى السنة التالية ، ثم تأمر مرة أخرى سنة ٤٥٤ ، فدامت له الإمارة حتى سنة ٤٦٨ . فقد تولى بعد وفاة المعرى .

ولا أدرى لماذا أثبت الشيخ الميمنى البيت الأول : « يسلك محمـود ... الخ » أولَ فصل من كتابه عن المعرّى عنوانه : « هو ووزير محمود بن نصر بن صالح » . نقل فى هذا الفصل ما يقال عن تدبير محمود هذا لقتل المعرى وخلاص المعرى بالدعاء . وهى خرافة مَرويّة نفاها الشيخ الميمنى وقال إنّ محموداً تولى بعد وفاة المعرى كما قلتُ . فهل الميمنى ، مع نفيه هذه الخرافة ، يظن أن محموداً الذى فى البيت هو حفيد صالح ذكره المعرّى قبل تولّيه الملك ؟ لا أدرى لماذا أثبت هذا البيت فى فاتحة هذا الفصل .

والذى أراه أن محموداً الذى أكثر المعرى ذكره هو سلطان ذاع صيته فى ذلك العصر وضرب المثل بقدرته وغناه ، هو يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين فاتح الهند . ولهذا قرنه المعرى بالخليفة فى البيت :

لا كانت الدنيا فليس يسرنى أنى خليفتها ولا محمودها

والسلطان محمود تولى من سنة ٣٨٧ إلى سنة ٤٢١ . فهذه الأبيات التى تضمنت اسمه نظمت قبل سنة ٤٢١ ولا ريب ؛ لأن المعرى يذكره ذكر الأحياء ، ويقول : سيموت محمود ... الخ » .

ويؤكد ما رأيته فى محمود هذا أن الشاعر يقول فى اللزوميات أيضاً :

محمودنا الله والمسعود خالقه فعدّ عن ذكر محمود ومسعود
ملكان لو أننى خُيّرت مُلكهما
وعُود صَلب أشار العقل بالعود

ومسعود هو ابن السلطان محمود استقر له الملك سنة ٤٢١ بعد أن ظفر بأخيه محمد . وبقى له السلطان حتى سنة ٤٣٢ . وأما السلطان محمود السلجوقى وأخوه مسعود فقد ملكا فى القرن السادس الهجرى .

رابعاً — كان أبو القاسم المغربى الوزير ممن أقام بالمعرة ، وكان يوادّ المعرى ويراسله ، وكان المعرى يحفظ له ولأبيه من قبلُ أياديه . فلما توفى رثاه بأبيات مثبتة فى اللزوميات . ولا أعرف فيها رثاء لغيره أو مدحا صريحاً .

ليس يبقى الضرب الطويل على الدهـ
ـر ولا ذو العَبــالة الدِرحايه
يا أبا القـــاسم الوزير ترحّلـ
ـت وخلّفتنى ثِقـــال رَحايه
وتركت الـكتب الثمينة للنا س وما رحت عنهمُ بسَحايه
ليتنى كنت قبل أن تشرب المو ت أصيلاً شربتُه بضُحايه
إن نحتْك المنون قبلى فإنى منتحاها وإنها منتحايه
أمُّ دَفْر تقول بعدك للذا ئق لا طعم لى فأين نَخايه
إن يَحُـطّ الذنبَ اليسير حفيظا
ك فكم من فضيلة محّايه

وهذا الوزير توفى سنة ٤١٨ . فهذه القطعة نظمت فى هذه السنة .

خامساً — يقول المعرى :

ألم ترنى وجميع الأنام فى دولة الكذب الذائل
مضى قَيلُ مصر إلى ربّه وخلّى السياسة للخائل
وقالوا يعود فقلنا يجوز بقدرة خالقنا الآئل
إذا هبّ زيد إلى طيّء وقام كليب إلى وائل

أظن أن قَيل مصر المعنىّ فى هذا البيت هو الحاكم بأمر الله الفاطمىّ ، فهو الذى انتظر بعض الناس عودته . والحاكم هلك سنة ٤١١ . فالظاهر أن هذه الأبيات نظمت قريباً من هذا التاريخ .

(ب) سن المعرى فى اللزوميات :

يذكر المعرى سنه فى اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ؛ تارة يقول بلغت كذا أو جاوزت كذا ، وتارة يقول : إذا بلغ الإنسان كذا آن له أن يرعوى أو حان له أن يهلك . وقد عبرت اللزوميات مستقصياً الأبيات الذى يذكر فيها سنه ؛ فإذا هو يذكر الأربعين مراراً ويذكر الخمسين كثيراً ولا يذكر ما دون الأربعين إلا مرة واحدة قدمت الكلام فيها ، ويذكر السبعين مرة سأثبتها من بعد .

يقول فى الهمزية التى افتتح بها اللزوميات :

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءنى ولو نُصّ لى بين النجوم خِباء
أرابيك فى الودّ الذى قد بذلته
فأُضعِفُ إن أجدَى لديك رباء
وما بعد مرّ الخمس عشرة من صبا
ولا بعد مرّ الأربعين صَباء

* * *

ويقول :

خبَر الحياة شرورها وسرورها
من عاش مـدة أول التقارب
وافى بذلك أربعين فما له عذر إذا أمسى قليل تجارب

. . .

ومتى سرى عن أربعين حليفها
فالشخص يصغر والحوادث تكبر

. . .

ورميت أعوامى ورائى مثل ما رمت المطىُّ مهامه السُّفّار
وركبت منها أربعين مطيّة
لم تخلُ من عَنَتٍ وسوء نِفار

. . .

شربتُ سِنِىّ الأربعين تجرّعا فيا مَقِراً ما شربهُ فىّ ناجع

ويجوز أن تدل هذه القطعة أنه بلغ ثمانياً وأربعين :

عش يا ابن آدم عدة الوزن الذى
يُدعى الطويلَ ولا تجاوز ذلكا
فإذا بلغت وأربعين ثمانيا فحياة مثلك أن يوسَّد هالكا

وأما ذكر الخمسين فأكثر وأصرح :

حياتى بعد الأربعين منيّة ووجدان خِلف الأربعين فقود
فمالى وقد أدركت خمسة أعقُد
أبينى وبين الحادثات عقود ؟
إذا كنتُ قد جاوزت خمسين حجة
ولم ألق خُسرا فالمنيّة لى سِتر
وما أتوقّى ، والخطوب كثيرة ،
من الدهر إلا أن يَحلَّ بى الهِتر

. . .

إذا طلع الشيب الملمُّ لحيّه ولا ترض للعين الشباب المزوّرا
لقد غاب عن فوديك خمسين حجّة
فأهلاً به لما دنا وتسوّرا

. . .

وما العيش إلا لُجّة باطِليّة ومن بلغ الخمسين جاوز غمرها

. . .

أخمسين قد أفنيتَها ليس نافعى
بتأخير يوم أن أعضّ على خمس

. . .

لا خير من بعد خمسين انقضت كَملا
فى أن تمارس أمراضاً وأرعاشا

. . .

خمسون قد عشتَها فلا تعشِ والنعش لفظ من قولك انتعش

. . .

عَلِقتُ بحبل العمر خمسين حجة فقدرتُ حتى كاد ينصرم الحبل

. . .

كأنك بعد خمسين استقلّت لمولدك ، البناء دنا ليهوى

وقد ذُكرت الخمسون فى ثلاث قطع أخرى ، فى حرف الطاء والكاف والميم . ولم تذكر الستون فى اللزوميات قط . وجاء ذكر السبعين فى قوله :

من عاش سبعين فهو فى نصب وليس فى العيش بعدها خِيَرَه

(يتبع) عبد الوهاب عزام

الجمال الفني والعقيدة الدينية

في القرآن الكريم

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

منذ أسبوعين قرأ الناس في الرسالة « مناقشات » الأستاذ عبد المنعم خلاف حول « التصوير الفني في القرآن » وحول « المنطق الوجداني » كذلك .

وإذا أنا عدت اليوم إلى مناقشة هذه المناقشات ، فإنما يدعوني إليها أنها طريقة مضمونة لتوجيه النظر إلى الجمال الفني في القرآن من زاوية لم تعرف قبل الآن . فأنا أزعم أن هذا الجمال قد بقي مجهولا في الغالب ، منذ أن حاول تجليته الإمام « عبد القاهر » فوصل إلى أقصى ما يتيحه له عصره ... ثم لم يتابعه أحد في الطريق الصحيح ، إلا فلتات تقع بين الحين والحين .

وأنا أزعم كذلك أن الأدب العربي لم ينتفع الانتفاع الواجب بكتاب الإسلام المقدس ، كما انتفعت آداب الأمم المسيحية بكتابهم المقدس من الوجهة الفنية ... فكل تجلية لطريقة القرآن الأدبية ولمواضع الجمال فيها على طريقة فنية شاملة إنما هي كسب للأدب العربي — ولو جاء متأخراً جد التأخر عن موعده — وتوسيع لآفاق النظرة الفنية للبلاغة ، واتجاه بها إلى « النقد الفني » الذي كان يجب أن تصير إليه ، لو لم تركد عند القواعد البلاغية الجافة التي يحاكمون إليها الجمال الفني في الأدب العربي عامة

* * *

لا يزال الأستاذ عبد المنعم يجادلني حول طريقة التعبير المفضلة في القرآن ، وحول العقيدة بين المنطق والوجدان . فلنتحدث اليوم عن المسألة الأولى . فأنا أزعم أن الطريقة المفضلة هي « التصوير » ويرى هو هذا الزعم مبالغة دعا إليها مجرد الحماس .

وحين أحيله على المصحف لينظر صدق ما أتجه إليه يرى أنني أحيله إلى محال على طريقة « جحا » في عد نجوم السماء !

ولكنه يفتح المصحف هنا وهناك فيجد أمثلة لا تنطبق عليها القاعدة ، ويرى مواضع للتعبير لا يبرز فيها التصوير . وعندئذ يحاكمني إلى هذه المواضع وإلى أمثالها ... ما دام لا يستطيع أن يسرد « القرآن كله » في مجلة الرسالة للاستشهاد !

وأحسب : أن ليس هكذا تكون مقاييس الفنون !

والذي أفهمه أنا حين أقول عن التصوير في القرآن : « فليس هو حلية أسلوب ، ولا فلتة تقع حيثما اتفق . إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة ، وخصيصة شاملة » أو حين أقول : « والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض التي ذكرنا ... »

الذي أفهمه حين أقول هذا : أن السمة الواضحة التي تحدد « عنوان » الطريقة المتبعة في القرآن هي سمة « التصوير » وأن هذا لا يعني انتفاء نص أو عدة نصوص لا تتضح فيها هذه السمة . إنما الطابع العام هو الذي يعنيني ، وهو الذي يعني كل ناقد ينظر في عمل فني ، فيبحث عن السمات العامة فيه ، ولن يجد من يقول له : إن هنا سطراً أو فقرة أو صفحة لا تتضح فيها هذه السمة . فذلك آخر ما يقال في الحكم على الفنون .

فأما حين نكون في المعمل فنقول إن خصائص « الأكسجين » هي كيت وكيت . فإن لكل باحث أن يقول : نعم أو كلا . إن هناك خصيصة ذكرت خطأ ، أو هناك خصيصة نسيت . فالحكم غير صحيح !

وهذه هي نسخة المصحف التي كانت مرجعي في أثناء تحضير كتابي . تحمل صفحاتها « تأشيراتي » على مواضع التصوير في القرآن . وهأنذا لا أكاد أجد صفحة واحدة خلت من موضع يحمل إشارة إلا أن تكون تشريعاً ... وهذا حسبي لتقرير هذه الحقيقة التي قررتها في كتابي بعد التتبع بطريقة القرآن ، والحياة في جوه أكبر وقت مستطاع .

بل هأنذا أنظر في كلمة الأستاذ عبد المنعم الأولى التي يعدد فيها طرائق التعبير القرآني فيقول : « إني أترك له أن يستعرض صفحات القرآن فسيجد أن التصوير الفني أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة في القرآن ؛ وليست هي الغالبة ولا الكثيرة (١) فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المتكافىء المعنى واللفظ الذي يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها (٢) وتارة يستعير لفظة واحدة من غير أسرة الألفاظ التي في الجملة ليحرك بها الخيال ويلمس الحس لمسا رقيقاً (٣) وتارة تكون ألفاظ الحقيقة

وملابسات الخيال متساوية (٤) وتارة تكون ملابسات التصوير وإثارة الخيال هى الغالبة (٥) وتارة تكون هى الكل ... »

فهذه خمس طرائق للتعبير عددها الأستاذ عبد المنعم ... أنظر فأرى أربعاً منها مما أعنيه حين أذكر طريقة التصوير . وواحدة فقط هى التى تسلك الطريقة الذهنية المجردة . وتكملة لهذا البيان أقرر أن هذه الطريقة تكثر فى مواضع التشريع وفى بعض مواضع القرآن لأنها تكاد تطرد فى سائر الأغراض .

أم لعل الأستاذ عبد المنعم لا يرى التصوير إلا فى الطريقة الخامسة وحدها ؟ هكذا فهمت منه حين يقول تعقيباً على النصوص التى استشهد بها فى مقاله الأخير !

« فأين فى هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفنى » الذى لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله حتى وهو طفل بحبكته فى اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذى الظلال والأجواء الشاملة كما يتجلى فى « ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ... »

وجوابى على هذا أن هذا اللون « الفاقع » من التصوير ليس من الضرورى أن يتحقق دائماً لنطلق عليه عنوان « التصوير » وإذا كان هذا اللون هو الذى لفت خياله فى الطفولة ، فهذا شأن الطفولة التى لا تلفتها إلا الألوان الزاهية الصارخة . فأما حين تكتمل الحواس الفنية ، فهى خليقة أن تدرك أدق الخطوط وأهدأ الألوان ، وتنفعل بها أشد الانفعال ... وهذا هو الذى كان !

ولكن أكنت أنا مقصراً فى التنبيه إلى ما أعنيه بالتصوير فى القرآن ، وهل تركت مجالا فى كتابى لمثل هذا اللبس !

فلنعد إلى بعض نصوص الكتاب :

جاء فى صفحة ٣٢ من الكتاب ، فى فصل « التصوير الفنى »

« ويجب أن نتوسع فى معنى « التصوير » حتى ندرك آفاق التصوير الفنى فى القرآن . فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخيل ؛ كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون فى التمثيل . وكثيراً ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، فى إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان ... »

وجاء فى صفحة ٦٠ وما بعدها فى فصل « التخييل الحسى والتجسيم » بعض التطبيق لهذه القواعد :

« لون من ألوان « التخييل » يمكن أن نسميه « التشخيص » يتمثل فى خلع الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية ، والانفعالات الوجدانية . هذه الحياة قد ترتقى فتصبح حياة إنسانية تشمل المواد والظواهر والانفعالات ، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين ، وتأخذ منهم وتعطى ، وتتبدى لهم فى شتى الملابسات ، وتجعلهم يحسون الحياة فى كل شىء تقع عليه العين ، أو يتلبس به الحس ، فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبونه فى توفز وحساسية وإرهاف .

« هذا هو الصبح يتنفس . (والصبح إذا تنفس) فيخيل إليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التى تنفرج عنها ثناياه ، وهو يتنفس فتتنفس معه الحياة ، ويدب النشاط فى الأحياء ، على وجه الأرض والسماء .

« وهذا هو الليل يسرع فى طلب النهار فلا يستطيع له دركا : (يُغشى الليل النهارَ يطلبه حثيثاً) ويدور الخيال مع هذه الدورة الدائبة التى لا نهاية لها ولا ابتداء .

« أو هذا هو الليل يسرى : (والليل إذا يَسْرِ) فتحس سريانه فى هذا الكون العريض ، وتأنس بهذا السارى على هينة واتئاد .

« وهاتان هما الأرض والسماء عاقلتين يوجه إليهما الخطاب فتسرعان بالجواب : (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها . قالتا أتينا طائعين) والخيال شاخص إلى الأرض والسماء ، تدعيان وتجيبان الدعاء .

« وهذه هى الأرض « هامدة » مرة و « خاشعة » مرة ينزل عليها الماء فتهتز وتحيا : (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ... »

« ومن « التجسيم » وصف المعنوى بمحسوس كوصف العذاب بأنه غليظ : (ومن ورائهم عذاب غليظ) واليوم بأنه ثقيل : (ويدعون وراءهم يوما ثقيلا) والرياح بأنها لواقح تشبيها لها بالحيوان لما تحمل من مطر (وأرسلنا الرياح لواقح) .

« وضرب الأمثلة على المعنوى بمحسوس كقوله : (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) لبيان أن القلب الإنسانى لا يتسع

لاتجاهين . ومثل (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها — من بعد قوة — أنـكاثا) لبيان العبث فى نقض العهد بعد المعاهدة ... »

وجاء فى ص ٧٤ وما بعدها فى فصل « التناسق الفنى » .

« هناك المواضع التى يتناسق فيهـا التعبير مع الحالة المراد تصويرها فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية . وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير ، والتعبير للتصوير ... مثال ذلك : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . فإن كلمة « الدواب » تطلق عادة على الحيوان — وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنه يدب على الأرض — ولـكن شمولها هذا للانسان ليس هو الذى يتبادر إلى الذهن ، لأن للعادة حكمها فى الاستعمال . فاختيار كلمة « الدواب » هنا تم تجسيم الحـالة التى تمنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم « الصم البكم » كلاهما يكمل صورة الغفلة والحيوانية التى يريد أن يرسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون لأنهم « لا يعقلون » !

***

« وقد يستقل لفظ واحد — لا عبارة كاملة — برسم صورة شاخصة — لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة — ... تسمع الأذن كلمة « اثاقلتم » فى قوله : (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لـكم انفروا فى سبيل اثّـاقلتم إلى الأرض ؟) فيتصور الخيال ذلك الجسم المثّـاقل ، ليرفعه الرافعون فى جهد فيسقط من أيديهم فى ثقل . إن فى هذه الكلمة «طنّـا» على الأقل من الأثقال !

« وتقرأ : (وإن منـكم لَمَنْ لَيُبَـطِّئَنَّ) فترتسم صورة التبطئة فى جرس العبارة كلها — وفى جرس « ليبطئن » خصة وإن اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل إلى نهايتها »

« وتتلو حكاية قول هود . (قال أرأيتم إن كنت على بينـة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعُمِّيت عليـكم أنُـلزِمُكموها وأنتم لها كارهون ؟) فتحس أن كلمة « أنلزمكموها » تصور جو الإكراه بإدماج هذه الضمائر فى النطق وشد بعضها إلى بعض . كما يدمج الـكارهون مع ما يكرهون ، ويُشدون إليه وهم منـه نافرون ! »

وهكذا ...

وفى هذا الفصل عند استعراض آفاق التناسق الفنى فى القرآن ضربت الأمثلة بالموسيقى التصويرية التى تهيئ الجو العام فى مثل :

« والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهـدى . ووجدك عائلا فأغنى ... »

فهنا إيقاع موسيقى هادئ لطيف يصور الجو العام الذى تعيش فيه معانى السورة . وهو مخالف حتما للايقاع المنبعث من مثل قوله :

« كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صَـفّاً صَـفّاً ... »

والموسيقى التصويرية لون من ألوان التصوير الفنى بلا جدال .

***

التصوير هو القـاعدة العامة فى تعبير القرآن ... أكررها مرة ومرة ، لا إصراراً على قول ، ولـكن اقتناعاً بعـد درس . وكل ما أطلبه إلى الأستاذ عبد المنعم ألا يحاكمنى فى هذا الرأى إلى نص أو مثال . ولـكن إلى سمة غالبة ، وإلى شمول فى معنى التصوير كما بينته فى مواضع متعددة من كتابى . وإنى لأطلب إليه وكتابى بين يديه أن يعود فيقرأه كله ثم يقرأ القرآن !

ويبقى تقويم هذا التصوير ، والأستاذ يقول : « إنما يبين أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز وبين التصوير الفنى وحده نـكون قد سوينا بين تعبير القرآن وبين غيره من مواريث أرباب البيان الرفيع فى كل لغة إذ أننا نجد فى مواريثهم استخدام التصوير الفنى ... »

ولست أدرى كيف يقال هذا الـكلام بعد ما رددت به على الأسـتاذ نجيب محفوظ فى تقويم هذا التصوير فى القرآن وفى الشعر عامة ؟

إن العبرة ليست باستخدام التصوير ، ولـكن بمستوى هذا التصوير من التناسق والحياة . وقد كشفت فى كتابى فى مواضع كثيرة عن تفرد التصوير القرآنى فى خصائصه فلم يبق مجال لمثل هذا الاعتراض الذى ينطبق على جميع طرائق التعبير لا على طريقة التصوير وحدها . ولا حكم فيه على أى طريقة . لأن السمة شئ ومستواها شئ آخر والسـلام .

سيد قطب

نموذج من الشعر المرسل الحر !

للأستاذ علي أحمد باكثير

عجباً كيف لم تعصف بالدنى زلزله ؟

كيف لم تهو فوق الورى شهب مرسله ؟

يا لها مهزله !

يا لها سوءة مخجلة !

مثلت دورها أمة تدعى ضلة أنها من كبار الدول

سلمت للمغيرين أوطانها لتوارى فى سوريا وفى لبنان الخجل !

أمة ولت من وجه العدو فرارا

من ضربته الأولى انهارت ككثيب الرمل انهيارا !

خاست بمواثيق أحلافها الباسلين

الذين توافوا إلى أرضها منجدين

ثم خرت ساجدة تحت أقدام أعدائها المعتدين

نشرت صحف الدنيا يوماً هذا النبأ التالى :

احتلت جنود فرنسا البواسل (سردينيا)

قالت الدنيا : يا بطولتها ! يا شجاعتها !

رجعت لفرنسا حميتها وتقاليدها العسكريه

فإذا صوت قد علا لا يسمعه إلا المنصفون :

يا أيتها الدنيا هل تدرين أنك مخدوعة ؟

اسألى قبل أن تعجبى : من هم هؤلاء الجنود البواسل ؟

أى شعب أنجبهم ؟

إن لم تعلمى فاعلمى أنهم ليسوا من فرنسا !

إنهم من أبناء (المغرب) الأكرمين

إنهم من نسل العرب الميامين !

وروت صحف الدنيا يوماً هذا النبأ التالى :

أبلت فى « بئر حكيم » جنود فرنسا بلاء كبيرا

صدت (النازى) فارتد كسيراً حسيرا

قالت الدنيا : يا بطولتها ! يا شجاعتها !

عادت لفرنسا حميتها وتقاليدها العسكريه

فعلا صوت لا يسمعه إلا المنصفون :

يا أيتها الدنيا هل تدرين أنك مخدوعة ؟

اسألى قبل أن تعجبى من هم هؤلاء الجنود البواسل ؟

أى شعب أنجبهم ؟

إن لم تعلمى فاعلمى أنهم ليسوا من فرنسا !

إنهم من أبناء (الشام) الأكرمين

إنهم من نسل العرب الميامين !

يا فرنسا يا مهد الثورة الكبرى !

يا ناشرة الحرية فى الدنيا !

يا من ركعت تحت أقدام المعتدين

وتخلت لأعدائها عن أحلافها الباسلين

وتحرج أبناؤها إشفاقاً على باريس عروس السين

فرأوا أن يزفوها غير ممسوسة لغزاتهم الفاتحين ؟

ما نفع الكرامة فى الدنيا إن زالت تلك الفنون الغرائب ؟

إنهم ليسوا بالغلاظ طباعاً كأبناء عاصمة الإنجليز

الذين استماتوا عنها دفاعاً فأضحت أطلالاً وخرائب !

يا فرنسا يا مهد الثورة الكبرى !

يا ناشرة الحرية فى الدنيا !

أى حق على قومنا تدعين؟

وبأى جميل علينا تمنين ؟

أبما راج فى سوقنا من لسان به ترطنين ؟

وثقافة سوء أذلتك فى العالمين !

فاذهبى وتولى بها عنا !

قد تبرأنا منها فلتعلن براءتها منا !

إنا لا نقبل من أحد عدواناً ومنا :

إذهبى عنا بثقافتك الخانعه !

إن فى الدنيا غيرها لثقافات حرة واسعه !

ويلها ! أأرادت فرض ثقافتها بالسلاح ؟

فلنحطم ثقافتها والسلاح معا !

ويلها ! أأرادت فرض مصالحها بالسلاح ؟

فلنحطم مصالحها والسلاح معا !

يا لسخرية الأيام !

أتهددنا دولة فى عهد السلام

بالسلاح الذى لم تقاتل به الأعداء

بل ألقت به فى الثرى ساعة الهيجاء

لتصول به وتجول على من أحس لها بازدراء

وأباح لها فى محنتها من معونته ما تشاء ؟!

فاشهدى يا أيتها الدنيا هذه الدولة الباغيه !

ليت شعرى أقاتلت الدنيا طاغيه

ليقوم على إثره طاغيه ؟

اشهدوا يا من وقعوا ميثاق النور على بحر الظلمات

أننا قد وفينا بالميثاق

إذ قمنا نصون كرامتنا ونصون السلام

لسنا ممن ينقضون العهود !

أو من يؤثرون على حريتهم شيئاً فى الوجود !

لن نسلم « باريسنا » للعدو لنحفظها من أذاه !

بل ندمر « لندننا » باسلين ليبقى لنا حقنا فى الحياة !

فاسمعى أنت يا باريس !

واشهدى أنت يا لندن !

السودان يعزى الشام

للشاعر السودانى الأستاذ أحمد محمد صالح

صبراً دمشق فكل طرف باك … لما استبيح مع الظلام حماك

جزعت عمان وروعت بغداد واه … تزت ربى صنعاء يوم أساك

وقرأت فى الخرطوم آيات الأسى … وسمعت فى الحرمين أنة شاكى

ضربوك لا متعففين سفاهة … لم تأت إثماً يا دمشق يداك

ورماك جبار يتيه بحوله … شلت يمين العلج حين رماك

قم يا ابن هند وامش فيهم غازياً … فى كل جبار العزيمة شاكى

جدد لنا يوم اللواء وعهده … وأعد علينا ما حكاه الحاكى

أيام خيل الله أوغل نجمها … فى دار أهل الإفك والإشراك

يحملن كل أغر وضاح السنا … عند الكريهة باسم ضحاك

داسوا فرنسا واستباحوا أرضها … وغدوا لحوزتها من الملاك

سبحانك اللهم أمرك نافذ … لك حكمة جلت عن الإدراك

صبراً دمشق فكل هم زائل … وغداً يلوح مع النجوم سناك

تتألقين كما عهدتك درة … فى تاج أروع من أمية زاكى

فى الجاهلية كان عزك باذخاً … وازدان بالإسلام عقد حلاك

يا جنة الدنيا وبهجة أهلها … وحظيرة العباد والنساك

يا معقل الإسلام فى عليائه … لا تذعنى للغاصب السفاك

قولى لديجول مقالة شامت … أنسيت فى باريس نوح الباكى

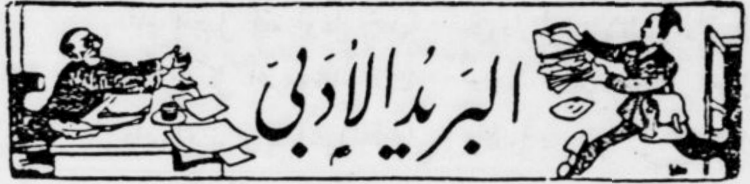
أنسيت كيف تربحت سيدان من … ضرب على هام الرجال دراك

مهلا فرنسا فالحوادث جمة … والدهر دوار مع الأفلاك

والله لولا الإنجليز وحلفهم … لذهبت غير حميدة ذكراك

قل للعروبة قول باك مشفق … لا تركنى للغرب فى مسعاك

فالوعد عندهم جهام خلب … وعهودهم شرك من الأشراك



الأستاذ أحمد محرم

فجع الشعر العربي في علم من أعلامه الذين حفظوا وجوده وأقاموا عموده ومهدوا له السبيل إلى هذه النهضة : ذلك هو المغفور له الأستاذ أحمد محرم . قبض إلى رحمة الله في الأسبوع الماضي على الفراش الذي ينسجه القدر للأدباء الأحرار من الفاقة والمرض والوحشة ، بعد أن ظل اسمه لامعاً في سماء الأدب العربي قرابة نصف قرن . والناظر في تاريخ الشعر الحديث يراه في الرعيل الأول من شعراء الإحياء الذين خلفوا البارودي على إرث الشعر فجددوا باليه وأنعشوا ذاويه ، ثم تخطفتهم المنايا واحداً بعد واحد فلم يبق منهم غير مطران والكاشف !

كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة والقافية المحكمة ؛ وكان يطيل في غير سقط ، ويبالغ في غير شطط ، ويتأنق في غير تكلف . وربما كان أقل معاصريه وقوعاً على المعنى الطريف والفكرة العميقة ؛ ولكنه كان من أكثرهم احتفالا بحسن الصياغة ولطف التخيل . وقد قام في أعقاب عمره بنظم (الإلياذة الإسلامية) وهو عمل يكفي وحده لتمجيده وتخليده .

هذه كلمة ننعى بها الفقيد الكريم ولا نزعم أننا نرثيه ؛ فإن الرثاء يقتضي العلم بحياة المرثي وصفاته ومقوماته وملابساته ، ومعرفتنا بالشاعر الراحل لم تعد المعرفة الفنية لشعره . لذلك نتقدم إلى إخوانه الذين خالطوه ولابسوه — وفي مقدمتهم الأديب الوفي للأدب ، والصديق المخلص للأصدقاء ، الأستاذ كامل كيلاني — أن يكتبوا للتاريخ ترجمة حياته وثبت مؤلفاته ؛ فإن ذلك غاية ما يطلبه الأديب من الحقوق ، في دنيا لم ينل منها ومن بنيها غير العقوق !

أين شعراؤنا ؟

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ علي محمد حسن كلمة أخذ فيها على الشعراء تقصيرهم إزاء شقيقتنا سوريا . والأستاذ مشكور على غيرته وحماسته وخاصة فيما يتعلق ببكاء شعرائنا المتفرنسين « باريس » بكاء الثكالى الوالهات ! ولو قد سقطت الاسكندرية تحت سنابك حصان موسليني الأبيض كما كان يرجو ما ذرفوا عليها دمعة واحدة !

وأحب أن أذكر بهذه المناسبة أني قلت شيئاً في حوادث لبنان سنة ١٩٤٢ حينما أمعن غربان السنغال في التنكيل بأهل بيروت! ولكن الرقابة حالت يومئذ دون نشره . ولما كانت حوادث سوريا هي حوادث لبنان ، وسنغال الأمس هم سنغال اليوم ، وعقلية فرنسا الاستعمارية لم تتغير ولن تتغير ، أستميح الرسالة الغراء نشر هذه القطعة ليعرف الكاتب الفاضل أن الشعراء لم يقصروا وإن لم يقوموا بكل ما يجب .

إلى الجنرال ديجول ! !

ديجولُ ، قلْ لي — هداكَ اللهُ — ديجولُ
أأنتَ عما جرَى في « الأرْزِ » مشغولُ ؟
أعطيتَ « لبنانَ » عهداً ما وفَيْتَ به
فكيف فاتك أنَّ العهدَ مسئول
فيم المواثيقُ إنْ كنتم على ثقةٍ
أنَّ المواثيقَ تمويهٌ وتضليل
قولوا لنا : كيف يحلو الظُّلمُ من فئةٍ
أجلاهمو الظُّلمُ عن أوْطانهم ، قولوا
أتنكرون على الأحرار حقَّهمو
في عُقْرِ دارهمو ! تلك الأباطيل
جزاؤُهم منكمُ في ظلِّ رايتهم
— على المودّة — تشريدٌ وتقتيل
تركتموني — وقد أكبرتُ ثورتكم — ؛
أقول : ثورتكم يا قوم تدجيل
أغمدْ سيوفَك إنَّ البغيَ جردها
على البريء ! وسَيفُ البغي مفلول
لا تحقِرنَّ دماء راحَ يسفَحُها
غِربانُ(١) جُندِكَ ! غالت جندك الغولُ
شننتَ حرباً على من لا سلاحَ له
وفي بلادكمو تجري الأفاعيل

(١) السنغال .

قد كان أولى بذاك «الهُونُ»[1] وحدهمو
فشيخكمُ[2] فى إسار «الهون» مغلول
عوذوا إلى الحق، إن الحقَّ منتصرٌ
مَنْ ذاد عنه، ومَنْ عاداه مخذول
إنّا غضبنا «لِلُبْنانٍ» وساكِنه
و«الأرْزُ» شاطرَه أحزانه «النِّيل»
كلا الشقيقين – صانَ اللهُ حوزتَه –
أبناؤه العربُ الغرُّ البهاليلُ

على الجندى

كتاب الفاروق عمر لمعالي هيكل باشا[3]

تبدو لنا فى ابتسامات الضحى السير
متى جلاها عزيز القول مقتدر
يا (هيكل) إن ما دبجت عن عمر
قد كان يرقبه من (هيكل) عمر
خليفة ملأ الأسماع ذو خطر فما له غير جبار له خطر
ومن سواك انتضى فى كفه قلماً
نور الهداية من فكيه منحدر؟
ساس الأمور فعاش الكل فى دعة
وإن تفرست عن أعمالهم بهروا
ما حاد فى الله يوماً قيد أنملة
فى سلم من آمنوا أو حرب من كفروا
وإن رأى شبهة جالت بخاطره من خشية الله لا ينفك يعتذر
ويقبل الحق مهما كان مصدره لم ينسه الحكم يوما أنه بشر
الناس فى عدله طراً سواسية كالمشط، ما فيهم سام ومحتقر
هذى صحائف غر راح يبسطها (محمد) بأياد كلها غرر
تبرى من الأدب العالى على فلك
وهالة ما سرى فى مثلها قمر
قدمت للعرب عقداً من مفاخرهم
فما هنالك تثريب إذا افتخروا
حللت تاريخه من كل ناحية فكنت أجمل تاريخ به صور
سفر يكمله سفر كما كملت ببعضها الآى فى التنزيل والسور
فالله يشكر ما قدمت من عمل لدينه، ولسان الله من شعروا!

محمد برهام

(1) الجرمان. (2) يبنان وكل الألمان يختون فرنسا.
(3) بمناسبة صدور الجزء الثانى

مجمع العرب...

اجتمع على مائدة جلالة الملك فاروق جمع كريم من رجالات البلاد العربية وزعمائها وفيهم سمو الأمير محمد بن عيسى آل خليفة عم حاكم البحرين، وهو شاعر عظيم وراوية كبير، فقدم إليه صديقه الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن هذه الأبيات:

شرّفتَ يا ابن الضاربين فى الكَرَمْ
جوانبَ النيـل وَساحةَ الهرمْ
مصرُ التى كانت على طول المدى منارةَ العلم ومصباحَ الظُلَمْ
لملة الإسلام فيها دَولةٌ ولغةُ الضاد لها فيها حُرَمْ
اتحـد الجمعُ على ربوعها واجتمع الشملُ عليها والتأمْ
قد صدقوا العزمَ على نيّاتهم والعربىُّ صادقٌ إذا عزمْ
ما العرب إلا أمةٌ واحدةٌ لها الجلالُ والجمالُ والقِدَمْ
قد فرقتهم كلُّ أرضٍ حرةٍ واتحدوا فى ظل ذلك العلم
أليس من طينتهم كلُّ فتىً محتدمِ البأس إذا البأس احتدمْ
من كلِّ ممنوع على الضيم فلا يُرْجَى، وأبّاءٍ فليس يهتضمْ
الأمل المنشودُ آخى بينهم وألْقمهمُ الجراحُ والألمْ
ألم يكونوا أمس آسادَ الحمى وسادةَ الدنيا وقادةَ الأمم؟
قد فتحوا الأرض على أقطارها وزلزلوا كلَّ بناءٍ فانهدمْ
فى كل خطوةٍ لهم غنيمةٌ وهمةٌ علياءُ فى كلِّ قَدَمْ
مجد أضاعه بنوه فمضى وحائطٌ قد تَلَمُوهُ فانثلمْ
واليوم قد هبَّت عليه نفحةٌ منكم وسار فى خلاله الضَّرَمْ
فيم التغنى بتراثٍ ضائعٍ وفيم يا قوم النشيد والنغم؟!
لا يُدرَكُ المجدُ بمجدٍ فائتٍ ولا يُنالُ بالفخارِ والكلمْ
والحقُّ لا يُحمى بقولِ أعزلٍ الحقُّ يُحمى بالحـديد والحمم
يا أمة العُرْب وفيكم أنفسٌ تأبى على القيد وفيكم الهمم
كفاكم النومُ قروناً عدةً من طلب الأمر الجليل لم ينم
قولوا لمن نام إلى رأد الضحى
قد غطّت الشمسُ الهضابَ والأكَمْ
المجدُ لا يُرجى بحُلم زائل من عاش فى الأوهام يا قوم وهم

محمد عبد الغنى حسن



الدميم ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

– ٢ –

ألقت الباخرة « إيجيتو » مراسيها ، وأخذ الركاب يتزاحمون ويلتفون حول الضابط المكلف بالتأشير على الجوازات ، هذا يتوسل ، وذاك يطلب ، وذلك يتضرع ، وهذه تتدلل ، وتلك تغمز الضابط تستحثه التأشير على الجواز ، أى على السماح بالدخول إلى جزيرة « الورد » كما يسميها الطليان .

لا بد من الانتظار الطويل ريثما ينتهى الضابط من أسئلة سخيفة كان يخص بها السيدات الجميلات .

اقتعدت مقعداً بعيداً عن الزحمة أنتظر دورى ، وإذا برجل يقترب منى ويقول : إنه مصرى مثلى جاء ليقضى فترة من إجازة الصيف فى هذه الجزيرة التى قرأ وصفاً لها فى الصحف فخال أنها قطعة من جنات عدن ، وإنه ما جاء إلا منساقاً بفعل الدعاية التى أحدثتها الصحافة فى نفسه ، فى حين أنه ألف الاصطياف فى مدن « الكوت دازير » وأخذ يتكلم عن مصايف فرنسا وسويسرا وإيطاليا وألمانيا بلهجة حارة ولفظ عذب وعبارات مختارة من صحيح اللغة ، وكان يدعونى صديقه .

نظرت إلى وجه هذا الرجل الذى طرح علىّ صداقته فإذا به يمثل الدمامة بله البشاعة خير تمثيل : أعمش ، أمرط الحاجبين ، أصلع ، فى جبينه وعلى خديه ندوب الجدرى ، وفى عنقه أخدود من أثر جراحة ؛ وهو فوق هذا أستاذ علم الزراعة فى الجامعة يحمل شهادة دكتور ... وقد أدهشنى عند ما قال لى إنه فى الرابعة والثلاثين من عمره وقد كنت أظن أ كثر من ذلك .

لقد سحرنى هذا الدميم بعذب حديثه وطيب بيانه وحسن اطلاعه فانقدت إليه . فذهبنا بعد أن تركنا الباخرة إلى أول فندق رضينا به اعتباطاً وقد أشر الضابط السمج على جوازى سفرنا .

ارتاحت نفسى إلى صداقة هذا الدميم لأن فيه من جمال الصفات الروحية والخلقية ما يستر تلك البشاعة الواضحة المنكرة ؛ ولأن خفة ظله ، وحضور ذهنه ، وبراعته فى التنكيت تلقى ستاراً على دمامته المنفرة .

اسمع ياصاحبى، أحسب أن المشوه كالأحدب والمخلع والأعرج وكل ذى عاهة يعتقد أنك ستسخر منه فيبادرك بسخرية مؤلمة . والظريف فى أصحاب هذه العاهات أن البارع منهم يمزج سخريته بالابتسام والضحك وبذلك يبطن الانتقام بالمرح .

كنت ألقى صاحبى الدميم فى الصباح على مائدة الطعام ، ثم ننتحى ناحية فى بستان أو حرج بعيدين عن الناس وضوضائهم لنقرأ ؛ وكان رفيقى ولوعاً مثلى بقراءة الكتب ، ثم نعود فنجتمع فنتحدث فيما قرأنا .

لم أسمع من صديقى هذا حديثاً يخرج عن دائرة الكتب وأسماء المؤلفين . ومن غريب أطوار هذا الدكتور الجامعى أنه يقرأ الأدب ويتذوقه ؛ وله فى أدبائنا المعاصرين نظرات صائبات؛ وله آراء فى كلية الآداب أسكت عن ذكرها ، ولكنه يجهل الحياة بجهله المرأة . وقد قال لى : إنه لا يعرفها ويهرب منها لأنها هبة الشيطان ، وعصا إبليس ، وسم الحية ، وأنه ما من رجل يطاوع هواه ويساير شهوته فيقترب من امرأة إلا وهو ضعيف العقل ملموس من خبال الغريزة ! ؟

ضحكت فى سرى من ضلال هذا الرأى وانتحلت لصديقى عذراً فى إبدائه على هذا النمط المخالف لسنة الطبيعة وقدّرت ظروفه الخاصة التى جعلته ينفر من المرأة ويتجنى فى الحكم عليها ، ولم يعد الحديث عنها يدور لنا على لسان .

أخذت الوحشة من الوحدة يدب دبيبها فى نفسى ، والسأم يرين علينا من هذه البلدة الصغيرة الخالية من وسائل التسلية ، والتى لا أنيس لى فيها ولاسمير سوى الكتاب وصديقى الجامعى اللطيف .

كل ما فى طبيعة (رودس) هادئ ؛ البحر والأشجار ، السماء والناس ، والقلوب كلها هادئة أو شبه متحركة . وقلما رأيت حتى فى الفتيات الرودسيات المرحات عيوناً تتطلع إلى القلوب

أو ترميها بنظرات ، فإن فعلت فهى تتطلع إليها خلسة تشتهيها شهوة هادئة ولا ترميها رمية صائبة .

كيف آلف الهدوء وطبيعة رفيقى على النحو الذى وصفته لك ؟ وكيف لا تتوق نفسى إلى صخب الحياة وقد اتخذت « بيرون » وكل مؤلفاته رفيقاً لى وسميراً ومعلماً فى اعتكافى فى هذه الجزيرة الهادئة ؟ كيف أجمع بين حياة هادئة فاترة فرضتها علىّ طبيعة وجودى فى هذه الجزيرة الساحرة مع هذا الصديق الدميم عدو المرأة البعيد عن الحياة ، وحياة قلقة حيرى ، صاخبة فياضة تضطرب فى صدر رفيقى « بيرون » العظيم وقد سارت عدواها إلى صدرى ؟

صممت على الرحيل ... ولكن إلى أين ؟

قال لى رب الفندق : إن فى أعالى الجزيرة فندقا جميلا قائما على القمة بين أحراج الصنوبر تحسن الإقامة فيه فترة من الزمن ؛ فقطعت الرأى على الذهاب إليه . ومن المدهش أنى ما كدت أضع حقيبتى فى السيارة حتى رأيت حقائب صديقى الدميم تلق فى السيارة ووجدت هذا الصديق نفسه ينحط فى المقعد ويجذبنى إليه جذباً وقال : أتهرب منى إلى الجبال وتتركنى وحدى فى هذا البلد الميت ؟

قلت قلبك هو الميت يا صديق ! إن الحياة هى الحياة التى نعرفها نحن الأصحاء ، أما أنت المريض ميت القلب فلا تعرفها ولا تحس بوجودها .

لم يعر فورة نفسى التفاتاً ... وأشار إلى سائق السيارة أن يسير . ولما كانت السيارة تدرج على شاطئ البحر وتنعرج وتتسلق جبالا هى مجموعة من حدائق وبساتين كان صاحبى ملتزماً الصمت ، وما كنت أعرف أكان صمته ذاك وسيلة لتهدئة نفسى ، أم لعلاّك ما رميت به قلبه بالموات ولوك هذه الفرية .

ما أكثر وجوه الشبه بين فندق « الأيل » ويسمونه باللغة الإيطالية « شيرفو » وبين الأديار فى لبنان ! سكان الأديرة قساوسة جرفتهم الأقدار إلى هذا المحيط الضيق فأخذوا يمنون أنفسهم بمحيط واسع تتحقق فيه الأمانى وتظهر الغاية الإلهية من الوجود الإنسانى عقب الخلاص من هذا العالم الفانى !

سكان فندق « شيرفو » أكثرهم مرضى ينتجعون العافية فى هذه المصحة ، وشيوخ يأملون فى العودة إلى الحياة ، حياة الشباب من طريق الاستراحة وطيب التغذية ، وفتية صغار يضيق بهم فناء الفندق فيتسرحون فى الحرج القريب ويمرحون . وكنت أنا وصديق الدميم كمريضين أو قسيسين ننتجع العافية أو نمنى النفس بسعادة لا نجدها إلا فى قراءة الكتب وفى شىء آخر محبوب أكثر من الكتب .

قال لى صاحبى ذات مساء وقد عاد من رحلة فى تسلق الصخور : « لقد وجدتها ، لقد وجدتها » .

كانت نبرات صوته تدل فى هذه المرة على شعور لم أتبين مثله فى كلامه معى من قبل ، فقلت : وجدت من ؟ من هى التى وجدتها ؟

ولما لم يجب على سؤالى ولو بكلمة واحدة لم أعر تاء التأنيث اهتماماً لأنى عرفت فيه نفوراً من الأنثى وسمعت حكمه الصارم على كل من يقترب منها .

تغيب عنى فى تلك الليلة فلم أر له وجهاً فى غرفة المائدة ولا فى قاعة الجلوس . وفى صبيحة اليوم التالى لمحته يهرول صوب وادى « أبولون » يحمل مراوة ليلحق بطائفة من النسوة ولم أرها انحدرت فيه قبله

من أين أقبلت هذه الزمرة من النساء ؟ ما علاقة صاحبى بهن ؟ من هى التى وجدها ؟ هل هى واحدة منهن ؟ لا أدرى !

الفندق الذى أقيم فيه محدود مساحة وارتفاعاً ، أكاد أعرف نزلاءه بملامحهم ووجوههم واحداً واحداً ، وواحدة واحدة ، من شيوخ وأطفال كأن عنصر الكهول والشباب لا وجود له ولا حساب ، فمن أين أقبلت زمرة النساء التى لحق بها صاحبى واندمج فيها حتى صرت لا أرى له وجهاً لا فى الصباح ولا وقت تناول طعام الظهر أو العشاء ؟ !

نضوت ثوب البلادة ، واطرحت الكتاب جانباً ، وقمت أسعى . هدانى السعى إلى فندق ملحق بفندقنا قائم على مرتفع ليس ببعيد ، تحجبه غياض الصنوبر عنا ، وتعج فيه الحياة ، ويصطخب مرح الشباب بأمواج من السرور ، ورأيت صاحبى الدميم تحف به جماعة من فتيان وفتيات يقهقهون . تقدمت قليلا وما كدت أدنو منهم حتى أحاطوا بى وأخذوا ينهالون علىّ بأقوال فيها ضحك ومزاح وعدم تورع فى السخرية من شاب مثلى دأبه القعود والقراءة والنوم ، وآفته الكبرى مصاحبة رجل تتمثل فيه الدمامة .

أدركت مبلغ تسامح صاحبى معهم فى المزاح حتى تجرأوا

عليّ أنا الذى لم أرهم قبل هذه اللحظة ، وكانوا لى بذات الشكيل الذى رضى هو به .

أنقذت موقفى بتصويب سخرية لاذعة إلى جمال أبرز فتاة ، وإلى رجولة شاب مسكين فى الزمرة ، ولم أتعفف عن صد كل مازح أومازحة بضحكة المستهزىء .

شعرت بأنى كدت أعكر الجو ، وأجلب حقد النفوس على ، التفت إلى رئيس الموسيقى وطلبت إليه أن يعزف رقصة « الفالس » ، واجتذبت فتاة ليست على شىء من الجمال ، وأخذت أراقصها برشاقة وبراعة ... تقلبت خمس راقصات على ذراعى . ولم تكف الجوقة الموسيقية عن العزف لأنى دغدغت كف رئيسها فصار طوع إشارتى .

صفا الجو الذى عكرته بسلاطتى التى ما كان لى محيص عن التوسل بها لإنقاذ نفسى من المأزق الذى حشرنى فيه صاحبى على غير قصد . ولما فرغنا من الرقص تكونت حولى الراقصات اللاتى أعجبن برقصى فأخذت أحدثهن حديثاً طريفاً فى فن الرقص ثم فى الأزياء والعواطف وما تركت القاعة وقد كاد الصبح يتنفس حتى أيقنت أن سلطانى مد رواقه على الفتيات والسيدات والشبان النازلين فى ملحق الفندق

لم أنس أن آخذ صاحبى الدميم معى حين عودتى إلى الفندق ، ولما انفردنا قال لى إنه انتقل إلى ملحق الفندق ، فعرف فيه فتاة جذابة أذكت بفتنتها الجذوة الكامنة فى قلبه . وقد عقد عزمه على الاقتران بها وأنه سيتزوجها لا محالة .

قلت : أفى النساء عليلة نظر وحس وذوق ترضى بدمامتك وشناعتك ؟

أخرسنى الخبيث بأشارة فضحكت .

أعدت على مسمعه قوله فى المرأة أنها هبة الشيطان وسم الأفعى ، وعصا إبليس ؛ وحكمه على الرجل الذى يدنو منها بأنه خفيف العقل ، ممسوس بخيال الغريزة فأجاب .

كان حكمى ذاك قبل أن أصعق بفتنتها .

قلت اذهب إلى فراشك لأنك متعب وسنتحدث فى النهار فى أمر زواجك .

قال محتجاً : لا ، لا أذهب إلى فراشى ولن أذهب إليه ، لا أطيق النوم . وارتمى على كتفى كطفل وقال بصوت باك كبكاء الطفل « لقد أحببت » سمسم . بكل جوارحى العطشى ، ماعرفت الراحة منذ عرفت الآنسة « سمسم » ولن يستقر بى قرار حتى أبنى بها

قلت : أجاد أنت فيما تقول أم هازل ؟

رفع رأسه عن كتفى ونظر إلىّ نظرة استفسار حادة فتابعت قولى : كيف تكون جاداً وقد اضطرنى موقف أصحابك من فتيان وفتيات منك ومنى ، وإمعانهم فى الضحك والاستهزاء بك إلى مخاشنتهم ، وكانت الآنسة « سمسم » هذه إحدى الضاحكات ، وهل يشاد بناء الزواج على غير قواعد مكينة من الرصانة والجد ؟

قال : مصيبتى الكبرى فى وجهى المشوه الذى يثير الضحك ، ثم ما شأنى فيمن يضحكون منى فأسخر بهم فأهملهم بلحظة واحدة وأنكرهم كأن لا وجود لهم ؟ أما الآنسة « سمسم » فما ضحكت قط منى ولا هزأت بى . كنت أراقبها وأستشف معانى ضحكها . كنت أحس نظراتها تهز مشاعرى ، وحنوها يظللنى كغمامة موسى الكليم ، وأن شفقتها علىّ قد تدفع بى إلى اقتحام الصعاب وتذليلها لأجل إسعادها ، وسأسعدها إذا رضيت بى زوجاً لها ، سترضى وسأتزوجها .

قلت أتعرف حكاية الشاب الفلاح مع ابنة الملك التى أحبها ؟

قال : لا أعرف الملوك والحكايات ، بل أعرف حكاية عرشى فى قلبى تستوى عليه مليكتى « سمسم » .

قلت : « سمسم » هذه هل سألت عنها ، هل عرفت أهلها ، هل كاشفتها الحب ، هل عرضت عليها الزواج ، هل رضيت بك بعلا ؟

صرخ فى وجهى صرخة شعرت بحرارتها تغلب دويها وقال : هذه أمور أترك لك تذليلها ، أما أنا فلست براغب فقط بل أريد حتماً الزواج من « سمسم » وسأرغمها على الرضى بى .

عجباً ، كيف ترغم فتاة على قبول زواج ؟

قال : يالك من أبله ، لقد لمحت شفقتها بى ترتسم فى نظراتها ، والشفقة عنصر قوى من عناصر الرضى والحب .

قلت أوافقك جدلا على استنتاجك ، ولكن هب أنها ليست على دينك فكيف يكون الحل ؟

قال : من منا لا يقدم الدين الإنسانى على نواميس الأديان السماوية وكلها فى الجوهر واحد ؟

قلت : دستور الدولة والعرف .

قال : أستهين بالعرف وبالشرائع التى تحول دون اتحاد قلبين وأدار كتفه وانصرف .

(يتبع) حبيب الزحلاوى

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير قطار اكسبريس بين القاهرة ودمياط (رأس البر)

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه أبتدأ من **١٩** يونية ولغاية **٨** يولية سنة **٩٤٥** يسير قطار اكسبريس (درجة أولى وثانية وثالثة وعربة بولمان) بين القاهرة ودمياط ثلاث مرات فى الأسبوع يغادر القاهرة فى الساعة **٣٠ ٨** ويصل إلى دمياط فى الساعة **١٥ ١٢** أيام الثلاثاء والخميس والسبت ويعود من دمياط فى الساعة **٣٠ ١٧** ويصل إلى القاهرة فى الساعة **١٥ ٢١** أيام الأربعاء والجمعة والأحد وسيسير يومياً ابتداء من **٩** يولية سنة **١٩٤٥** ولحين صدور اعلان آخر. وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :

المحطات		٩٣٩ اكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
مصر	قيام	٣٠	٨
بنها	وصول	٠٨	٩
	قيام	١٢	٩
الزقازيق	وصول	٤٣	٩
	قيام	٥٠	٩
المنصورة	وصول	٠١	١١
	قيام	٠٨	١١
دمياط	وصول	١٥	١٢

المحطات		٠٤٩ أكسبريس درجة ١ و٢ و٣ وعربة بولمان	
دمياط	قيام	٣٠	١٧
المنصورة	وصول	٤١	١٨
	قيام	٤٧	١٨
الزقازيق	وصول	٠٩	١٩
	قيام	٠٤	٢٠
بنها	وصول	٣٥	٢٠
	قيام	٣٧	٢٠
مصر	وصول	١٥	٢١

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

إعلان

مجلس مطوبس القروى يشهر فى المزايدة العامة تأجير التزام معدية مطوبس لمدة ثلاث سنوات إبتداء من أول يناير سنة ١٩٤٦ لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٤٨ حسب الشروط المودعة بقلم سكرتارية المجلس القروى بمطوبس لكل من يريد الاطلاع عليها وتحدد ميعادا للمزايدة جلسة يوم الخميس الموافق ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٥ من الساعة التاسعة أفرنكى صباحاً بديوان المجلس القروى بمطوبس .

فكل من له رغبة فى الدخول فى هذا المزاد عليه الحضور فى الموعد المحدد لتقديم عطاؤه بالنسبة لمن يرغب الاستئجار لها بعد أن يدفع تأميناً قدره ٢٠/٠ من قيمة عطائه عن ثلاث سنوات

٣٦٧١